THE BOOK WAS DRENCHED

(تم فهرست الجزء الخامس عشر من ابن جرير)

(فهرست الجزء الخامس عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الخامس عشر من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الخامس عشر من تفسير النيسابورى)

(فهرست الجزء السادس عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفه

صحيفه

(تم فهرست الجزء السادس عشر من ابن جرير)

(فهرست الجزء السادس عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء السادس عشر من تفسير ابن جرير)

صحيفة

صحيفة

(تم فهرست الجزء السادس عشر من النيسابوري)

*(فهرست الجزء السابع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري)

(تم فهرست الجزء السابع عشر من ابن جرير)

(فهرست الجزء السابع عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء السابع عشر من ابن جرير)

صحيفه

صحيفه

(تم فهرست الجزء السابع عشر من النيسابورى)

(فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الثامن عشر من النيسابورى)

(فهرست الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير)

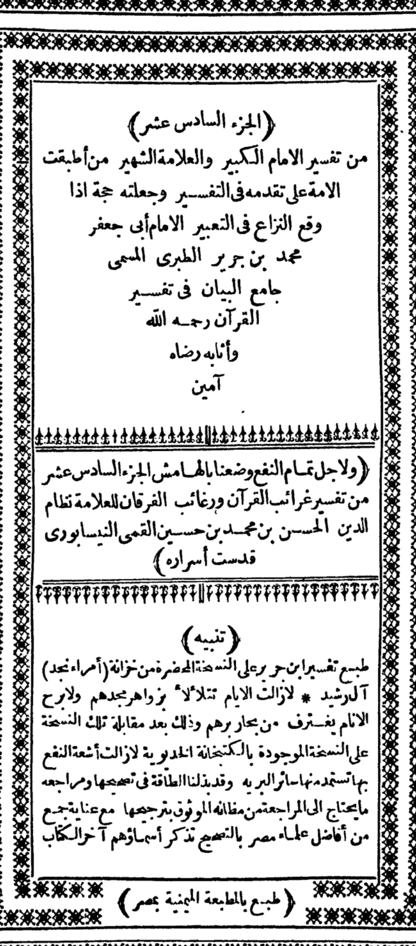
(فهرست الجزء التاسع عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء التاسع عشر من تفسير ابن جرير)

(تمت فهرست الجزء التاسع عشر من النيسابورى)

(فهرست الجزء العشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

(تم فهرست الجزء العشرين من ابن جرير)

(فهرست الجزء العشرين من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء العشرين من ابن جرير)



(الجزء السادس عشر)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المسمى

جامع البيان فى تفسير القرآن

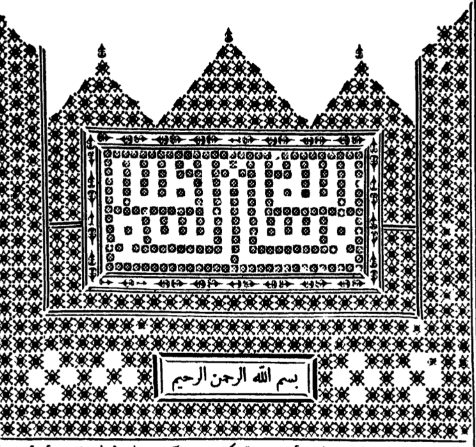
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء السادس عشر من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد) آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولابرح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة مايحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)



القول فى تاويل قوله تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) يقول أما فعلى مافعلت بالسفينة فلانها كانت لقوم مساكين يعملون فى البحر فاردت أن أعيبها بالخرق الذى خرقتها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل فاردت أن أعيبها قال أخرقها حدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وكان امامهم وقدامهم ملك كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكان وراءهم ملك قال قتادة امامهم ألا ترى انه يقول من ورائهم جهنم وهى بين أيديهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان فى القراءة وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا وقد ذكر عن ابن عيينة عن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قرأ ذلك وكان امامهم ملك * قال أبو جعفر وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب وراء من حروف الاضداد وزعم انه يكون لما هو امامه ولما خلفه واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر

أترجو بنو مروان سمعى وطاعتى * وقومى تميم والفلاة ورائيا

يعنى امامى وقد أغفل وجه الصواب فى ذلك وانما قيل لما بين يديه هو ورائى لانك من ورائه فانت ملاقيه كما هو ملاقيك فصار اذ كان ملاقيك كأنه من ورائك وأنت امامه وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك هو ورائى ولا اذا كان وراءك أن يقال هو امامى ويقول انما يجوز ذلك فى المواقيت من الايام والازمنة كقول القائل وراءك برد شديد وبين يديك حر شديد لانك أنت وراءه فجاز لانه شئ يأتى فكأنه اذا لحقك صار من ورائك وكأنك اذا بلغته صار بين يديك قال فلذلك جاز الوجهان وقوله يأخذ كل سفينة غصبا فيه قول القائل فما أغنى خرق هذا

أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تاويل مالم تسطع عليه صبرا) القراآت انسانيه بضم الهاء حفص والمفضل وقرأ على بالامالة مع كسر الهاء نبغى بالياء فى الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وعلى فى الوصل الباقون بخلاف الياء فى الحالين اتباعا لخط المصحف رشدا بفتحتين أبو عمرو ويعقوب بضمتين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين معى بفتح الياء حفص ستجدنى ان بفتح الياء أبو جعفر ونافع فلا تسألنى بنون التأكيد الثقيلة واثبات الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر بحذف الياء ابن مجاهد عن ابن ذكوان والاحسن اثباتها لانه شاذ عن أهل الشام الآخرون بنون الوقاية وحذف الياء ليغرق أهلها بياء الغيبة وفتحها مع فتح الراء ورفع الاهل حمزة وعلى وخلف الباقون بتاء الخطاب مضمومة وكسر الراء

العالم السفينة التى ركبها عن أهلها اذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها معيبها وغير معيبها وما كان وجه اعتلاله فى خرقها بانه خرقها لان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا قيل ان معنى ذلك انه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ويدع منها كل معيبة لانه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها فان قال وما الدليل على ان ذلك كذلك قيل قوله فاردت أن أعيبها فابان بذلك انه انما أعابها لان المعيبة منها لا يعرض لها فاكتفى بذلك من أن يقال وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا على ان ذلك فى بعض القراءة كذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال هى فى حرف ابن مسعود وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى الحسن بن دينار عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فى قراءة أبى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وانما عبتها لارده عنها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا فاذا خلفوه أصلحوها بزفت فاستمتعوا بها قال ابن جريج أخبرنى وهب بن سليمان عن شعيب الجبائى ان اسم الرجل الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا هدد بن بدد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما) يقول تعالى ذكره وأما الغلام فانه كان كافرا وكان أبواه مؤمنين فعلمنا انه يرهقهما يقول يغشيهما طغيانا وهو الاستكبار على الله وكفرا به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وقد ذكر ذلك فى بعض الحروف وأما الغلام فكان كافرا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وأما الغلام فكان كافرا فى حرف أبى وكان أبواه مؤمنين فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين وكان كافرا فى بعض القراءة قوله فخشينا وهى فى مصحف عبد الله فخاف ربك أن يرهقهما طغيانا وكفرا حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا عبد الجبار بن عباس الهمدانى عن أبى اسحق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا والخشية والخوف توجههما العرب الى معنى الظن وتوجه هذه الحروف الى معنى العلم بالشئ الذى يدرك من غير جهة الحس والعيان وقد بينا ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول معنى قوله خشينا فى هذا الموضع كرهنا لان الله لا يخشى وقال فى بعض القراآت فخاف ربك قال وهو مثل خفت الرجلين ان يعولا وهو لا يخاف من ذلك أكثر من انه يكرهه لهما وقوله فاردنا أن يبدلهما ربهما * اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصريين فاردنا أن يبدلهما ربهما وكان بعضهم يعتل لصحة ذلك بانه وجد ذلك مشددا فى عامة القرآن كقول الله عز وجل فبدل الذين ظلموا وقوله واذا بدلنا آية مكان آية فالحق قوله فاردنا أن يبدلهما به وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة فاردنا أن يبدلهما بتخفيف الدال وكان بعض من قرأ ذلك كذلك من أهل العربية يقول ابدل يبدل بالتخفيف وبدل يبدل بالتشديد بمعنى واحد * والصواب من القول فى ذلك عندى انهما قراءتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقيل ان الله عز وجل أبدل أبوى الغلام الذى قتله صاحب موسى منه بجارية ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا المبارك بن سعيد قال ثنا عمرو بن قيس فى قوله فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما قال بلغنى انها جارية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى سليمان بن أمية انه سمع يعقوب بن عاصم يقول أبدلا

من الاغراق وبنصب الاهل زاكية على فاعلة أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب الآخرون زكية على فعيلة نكرا بضمتين حيث كان أبو جعفر ونافع غير اسمعيل وابن ذكوان وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد فلا تصحبنى من الصحبة روح وزيد الآخرون من المصاحبة من لدنى خفيفا أبو جعفر ونافع وأبو بكر وحماد والمفضل يضيفوهما من الاضافة المفضل لتخذت من التخذ مدغما أبو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ ابن كثير بالاظهار الباقون لاتخذت من الاتخاذ وقرأ حفص والمفضل والاعشى والبرجمى مظهرا يبدلهما من التبديل وكذلك فى سورة التحريم ونون والقلم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو والآخرون مع الابدال رحما بضمتين ابن عامر ويزيد وعباس وسهل ويعقوب الباقون بسكون الحاء * الوقوف حقبا ه سربا ه غداءنا ز لانقطاع النظم مع صدق اتصال المعنى نصبا ه الحوت ز لتمام استفهام التعجب مع اتحاد الكلام وكون الواو حالا ان أذكره ه لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال فى البحر وقفة قيل عليه تم كلام يوشع ثم ابتدأ موسى عجبا أى أعجب لذلك عجبا والوصل أجوز أى سبيلا عجبا أو اتخاذا عجبا ه نبغ ه قد قيل لتمام قول أحدهما وابتداء فعلهما والوجه الوصل لعطف اللفظ وسرعة الرجوع على الفور قصصا ه لا لاتصال النظم واتحاد الحال علما ه رشدا ه صبرا ه خبرا ه أمرا ه ذكرا ه فانطلقا وقفة لان حتى اذا للابتداء خرقها ط أهلها ج لانقطاع النظم واتحاد القائل امرا ه

مكان الغلام جارية قال ابن جريج وأخبرني عبدالله بن عثمان بن خيثم انه سمع سعيد بن جبير يقول أبدلا مكان الغلام جارية * وقال آخرون أبدلهما ربهما بغلام مسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما قال كانت أمه حبلى يومئذ بغلام مسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة انه ذكر الغلام الذي قتله الخضر فقال قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى كان فيه هلاكهما فرضى امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وقوله خيرا منه زكاة يقول خيرا من الغلام الذي قتله صلاحا ودينا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة قال الاسلام وقوله وأقرب رحما * اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وأقرب رحمة بوالديه وأبر بهما من المقتول ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وأقرب رحما أبر بوالديه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأقرب رحما أى أقرب خيرا * وقال آخرون بل معنى ذلك وأقرب ان يرحمه أبواه منهما المقتول ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وأقرب رحما أرحم به منهما بالذى قتل الخضر * وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك وأقرب ان يرحماه والرحم مصدر رحمت يقال رحمته رحمة ورحما * وكان بعض البصريين يقول من الرحم والقرابة وقد يقال رحم ورحم مثل عمر وعمر وهلك وهلك واستشهد لقوله ذلك ببيت العجاج

* ولم تعوج رحم من تعوجا *

ولا وجه للرحم فى هذا الموضع لان المقتول كان والذى أبدل الله منه والديه ولد الابوى المقتول فقرابتهما من والديه وقربهما منه فى الرحم سواء وانما معنى ذلك وأقرب من المقتول ان يرحم والديه فيبرهما كما قال قتادة وقد يتوجه الكلام الى ان يكون معناه وأقرب ان يرحماه غير انه لا قائل من أهل التأويل تأوله كذلك فاذ لم يكن فيه قائل فالصواب فيه ما قلنا لما بينا

القول فى تأويل قوله تعالى (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول صاحب موسى وأما الحائط الذى أقمته فانه كان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما * اختلف أهل التأويل فى ذلك الكنز فقال بعضهم كان صحفا فيها علم مدفونة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وكان تحته كنز لهما قال كان تحته كنز علم حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن سعيد بن جبير وكان تحته كنز لهما قال كان كنز علم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وكان تحته كنز لهما قال علم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وكان تحته كنز لهما قال علم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء

صبرا ه عسرا ه فانطلقا وقفة لما مر فقتله لا لان قال جواب اذا بغير نفس ط للفصل بين الاستخبار والاخبار نكرا ه نصف السبع ونصف القرآن والجزء السادس عشر والربع الثالث صبرا ه فلا تصاحبنى ج لاختلاف الجملتين عذرا ه فانطلقا وقفة فاقامه ط أجرا ه وبينك ج صبرا ه غصبا ه وكفرا ه ج للعطف مع الآية رحما ه صالحا ج لما قلنا من ربك ج عن أمرى ط صبرا ه لانقطاع القصة * التفسير هذه قصة أوردها الله تعالى انتعين (٤) على المقاصد السابقة مع كونها مستقلة فى الافادة أما نفعها فى قصة أصحاب الكهف فهو ان اليهود قالوا ان أخبركم محمد عنها فهو نبى والا فلا فذكر الله تعالى قصة موسى والخضر تنبيها على ان النبى لا يلزم ان يكون عالما بجميع القصص والاخبار وأما نفعها فى الرد على كفار قريش حين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والانصار فهو ان موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف التام فى حقه ذهب الى الخضر وتواضع له لاجل طلب العلم فدل ذلك على ان التواضع خير من التكبر وأكثر العلماء على ان موسى المذكور فى الآية هو موسى بن عمران صاحب التوراة والمعجزات وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن ميشا بن يعقوب وهو قد كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو الله واحتج الاكثرون على صحة قولهم بان موسى حيث أطلق فى القرآن أريد به موسى بن عمران فلو كان المراد ههنا شخصا آخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور حجة الاقلين واليه ذهب جمهور اليهود ان موسى ابن عمران بعد ان خصه الله تعالى بالمعجزات القاهرة التى لم يتفق لمن قبله مثلها يبعد ان يؤمر بالتعلم والاستفادة وأجيب بان العالم الكامل فى أكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل فيحتاج فى تعلمها الى من يختص بعلمها جميعا أما فتى موسى فالاكثر على انه يوشع بن نون ويروى هذا القول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل هو أخو يوشع وكان مصاحبا لموسى فى السفر وعن الحسن انه أراد عبده ويؤيده ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال ليقل أحدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وأمتى قال أهل السير ان موسى لما ظهر على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله ان يذكر

جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وكان تحته كنز لهما قال صحف لغلامين فيها علم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال صحف علم **حدثني** أحمد ابن حازم الغفارى قال ثنا هنادة ابنة مالك الشيبانية قالت سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول فى قول الله عز وجل وكان تحته كنز لهما قال سطران ونصف لم يتم الثالث * عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب وعجبت للموقن بالحساب كيف يغفل وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح * وقد قال وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قالت وذكر انهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الاب الذى حفظا به سبعة آباء وكان نساجا **حدثني** يعقوب قال ثنا الحسن بن حبيب بن ندبة قال ثنا سلمة بن محمد عن نعيم العنبرى وكان من جلساء الحسن قال سمعت الحسن يقول فى قوله وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم * عجبت لمن يؤمن كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يقول ما كان الكنز الا علما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن حميد عن مجاهد فى قوله وكان تحته كنز لهما قال صحف من علم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عباس عن عمر مولى غفرة قال ان الكنز الذى قال الله فى السورة التى يذكر فيها الكهف وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب ممن عرف الموت ثم ضحك عجب ممن أيقن بالقدر ثم نصب عجب ممن أيقن بالموت ثم أمن أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله * وقال آخرون بل كان مالا مكنوزا ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة وكان تحته كنز لهما قال كنز مال **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن عكرمة مثله **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو داود عن شعبة قال أخبرنى أبو حصين عن عكرمة مثله قال شعبة ولم نسمعه منه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكان تحته كنز لهما قال مال لهما قال قتادة أحل الكنز لمن كان قبلنا وحرم علينا فان الله يحل من أمره ما يشاء ويحرم وهى السنن والفرائض ويحل لامة ويحرم على أخرى ولكن الله لا يقبل من أحد مضى الا الاخلاص والتوحيد له * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب القول الذى قاله عكرمة لان المعروف من كلام العرب ان الكنز اسم لما يكنز من مال وان كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز فان التأويل مصروف الى الاغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه الى غير ذلك لعلل قد بيناها فى غير موضع وقوله أبوهما صالحا فاراد ربك أن يبلغا أشدهما يقول فاراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذى أقمته رحمة من ربك بهما يقول فعلت فعلى هذا بالجدار رحمة من ربك لليتيمين وكان ابن عباس يقول فى ذلك ما **حدثني** موسى بن عبد الرحمن قال ثنا

قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله فقال انه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاى الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى الله اليه بل أعلم منك عبد لى بمجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر عليه السلام فى أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى أيام موسى وروى ان موسى سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدل على الهدى أو ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو أعلم منى فادللنى عليه قال أعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تاخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هنالك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى عليه السلام فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه فى البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى عليه السلام فقال وأنى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر فى الماء فقال الخضر ما ينقص علمى وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر قلت وهذا صحيح لان علم الانسان متناه وعلم الله غير متناه ولا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى أصلا ولنرجع الى التفسير قال الزجاج وتبعه جار الله لا أبرح بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه ولان قوله حتى أبلغ غاية مضروبة فلابد لها من ذى غاية فالمعنى لا أزال أسير الى ان أبلغ ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح سيرى حتى أبلغ على ان حتى أبلغ هو الخبر حذف المضاف وهو السير وأقيم المضاف اليه وهو ياء المتكلم مقامه فانقلب الفعل من لفظ الغائب الى لفظ المتكلم ويجوز أيضا ان يكون لا أبرح بمعنى لا أزول من برح المكان والمعنى لا أبرح ما انا عليه أى لا أترك المسير والطلب حتى أبلغ مجمع البحرين يعنى ملتقى بحرى فارس والروم وقد شرحنا وضع البحار فى سورة البقرة فى تفسير قوله والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وقيل أراد طنجة وقيل افريقية ومن غرائب التفسير ان البحرين موسى والخضر لانهما بحرا العلم وهذا مع غرابته

أبو اسامة عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس فى قوله وكان أبوهما صالحا قال حفظا بصلاح أبيهما وماذكر منهما صلاح **حدثنا** أبو كريب قال ثنا سفيان عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد بن جبير بمثله وقوله وما فعلته عن أمرى يقول وما فعلت ياموسى جميع الذى رأيتنى فعلته عن رأيى ومن تلقاء نفسى وانما فعلته عن أمر الله اياى به كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما فعلته عن أمرى كان عبدا مأمورا فمضى لامر الله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما فعلته عن أمرى ما رأيت أجمع ما فعلته عن نفسى وقوله ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا يقول هذا الذى ذكرت لك من الاسباب التى من أجلها فعلت الافعال التى استنكرتها منى تأويل يقول ما تؤول اليه وترجع الافعال التى لم تسطع على ترك مسئلتك اياى عنها وانكارك لها صبرا وهذه القصص التى أخبر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بها عن موسى وصاحبه تأديب منه له وتقدم اليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزؤا به وبكتابه واعلام منه له ان أفعاله بهم وان جرت فيما ترى الاعين بما قد يجرى مثله احيانا لاوليائه فان تأويله صائر بهم الى أحوال أعدائه فيها كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة فى الظاهر عند موسى اذ لم يكن عالما بعواقبها وهى ماضية على الصحة فى الحقيقة وآيلة الى الصواب فى العاقبة ينبئ عن صحة ذلك قوله وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه يعلم نبيه ان تركه جل جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين بغير نظر منه لهم وان كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم نظرا منه لهم لان تأويل ذلك صائر الى هلاكهم وبوارهم بالسيف فى الدنيا واستحقاقهم من الله فى الآخرة الخزى الدائم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذى القرنين ما كان شأنه وما كانت قصته فقل لهم سأتلوا عليكم من خبره ذكرا يقول سأقص عليكم منه خبرا وقد قيل ان الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر ذى القرنين كانوا قوما من أهل الكتاب فاما الخبر بأن الذين سألوه عن ذلك كانوا مشركى قومه فقد ذكرناه قبل وأما الخبر بأن الذين سألوه كانوا قوما من أهل الكتاب **فحدثنا** به أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة قال ثنى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن شيخين من تجيب قال أحدهما لصاحبه انطلق بنا الى عقبة بن عامر نتحدث قالا فأتيناه فقالا جئنا لتحدثنا فقال كنت يوما أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت من عنده فلقينى قوم من أهل الكتاب فقالوا نريد أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن لنا عليه فدخلت عليه فأخبرته فقال مالى ومالهم مالى علم الا ما علمنى الله ثم قال اسكب لى ماء فتوضأ ثم صلى قال فما فرغ حتى عرفت السرور فى وجهه ثم قال أدخلهم على ومن رأيت من أصحابى فدخلوا فقاموا بين يديه فقال ان شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه فى كتابكم مكتوبا وان شئتم أخبرتكم قالوا بل أخبرنا قال جئتم تسألونى عن ذى القرنين وما تجدونه فى كتابكم كان شابا من

منبنيشع جدا لان أحد البحرين اذا كان هو موسى عليه السلام فكيف يصح ان يقول حتى أبلغ مجمع البحرين اذ يؤل حاصل المعنى الى قولنا حتى أبلغ مكانا يجتمع فيه بحران من العلم أحدهما انا أو أمضى حقبا أسير زمانا طويلا قال جار الله الحقب بالضم ثمانون سنة ويقال أكثر من ذلك وقيل انه تعالى أعلم موسى حال هذا العالم وما أعلمه موضعه بعينه فقال موسى لا أزال أمضى حتى يجتمع البحران فيصيرا بحرا واحدا أو أمضى دهرا طويلا حتى أجد هذا العالم (٦) وهذا اخبار من موسى عليه السلام بانه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد الى أن يلقاه وفيه تنبيه على شرف العلم وان طالب العلم يحق له أن يسافر ويتحمل المتاعب فى الطلب من غير ملال وكلال فلما بلغا مجمع بينهما قال جمهور المفسرين الضمير للبحرين أى تحقق ما قال موسى وبلغ المكان الذى وعد فيه لقاء الخضر ولا بد للبين من فائدة ولعل المراد حيث يكاد يلتقى وسطاهما متد من البحرين طولا والاضافة بمعنى فى أى مجمعا فى وسط البحرين فيكون كالتفصيل لمجمع البحرين والبيان والايضاح بكلام علام الغيوب تعالى أولى منه بكلام موسى أو البين بمعنى الافتراق أى البحران المفترقان يجتمعان هنالك ويحتمل على هذا ان يعود الضمير الى موسى والخضر أى وصلا الى الموضع الذى وعد اجتماع شملهما هنالك أو البين بمعنى الوصل لانه من الاضداد فيفيد مزيد التأكيد كقولهم جد جده وهذه الوجوه مما لم أجدها فى التفاسير فان كن صوابا فمن الله والا فمنى ومن الشيطان نسيا حوتهما لانه تعالى جعل انقلاب الحوت حيا علامة على مسكن الخضر قيل ان الفتى كان يغسل السمكة لانها كانت مملوحة فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توضأ فى ذلك المكان فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب الى الماء وقيل انفجرت هنالك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة فحييت وطفرت الى البحر ونسيان الحوت الذهول الروم عن الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب والسبب فى هذا الذهول مع ان هذه الحالة كانت أمارة لهما على الطلبة التى تناهضا من أجلها هو ان يوشع كان قد تعود مشاهدة المعجزات القاهرة فلم يبق لحياة السمكة ولقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها فى مثل السرب منه وقع عنده وقيل ان موسى عليه السلام لما استعظم على نفسه أزال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الذى يشبه الضرورى

تنبيها لموسى عليه السلام على ان العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على قلوب عباده وانتصاب قوله سربا على انه مفعول ثان لاتخذ أي اتخذ
سبيله سبيلا سربا وهو بيت في الارض وذلك ان الله تعالى أمسك اجراء الماء عن الجرى وجعله كالكوة حتى سرى الحوت فيه معجزة لموسى
عليه السلام أو للخضر وقيل السرب هو الذهاب والتقدير سرب في البحر سربا الا أنه أقيم قوله واتخذ سبيله مقام سرب فلما جاوزا أي موسى
وفتاه الموعد المعين وهو الصخرة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا وهو ما يؤكل بالغداة (٧) لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا وجوعا قال
المفسرون قوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك قال الفتى متعجبا أرأيت ومفعوله محذوف لدلالة قوله فاني نسيت الحوت عليه كأنه قال أرأيت ما دهاني ووقع لي اذ أوينا الى الصخرة قيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت عليه ثم ذكر ما يجري مجرى السبب في وقوع ذلك النسيان فقال وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره بدل الاشتمال من الهاء في انسانيه أي وما أنساني ذكره قال الكعبي لو كان النسيان بخلق الله وارادته لكان اسناد ذلك الى الله تعالى أولى من اسناده الى الشيطان اذ ليس له في وجوده سعي ولا أثر وقال القاضي المراد بانساء الشيطان أن يشتغل قلب الانسان بوساوسه التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر لان ذلك لا يصلح أن يكون الا من قبل الله تعالى قال أهل البرهان لما كان اتخاذ الحوت سبيله في البحر عقيب النسيان ذكر أولا فاتخذ بالفاء ولما حيل بينهما ثانيا بجملة معترضة هي قوله وما انسانيه زال معنى التعقيب وبقي العطف المجرد فقال واتخذ سبيله بالواو وانتصاب عجبا كما مر في سربا قال صلى الله عليه وسلم كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا قال موسى
ذلك يعني اتخاذ الحوت السبيل في البحر ما كنا نبغي أي انه الذي كنا نطلبه لانه أمارة الظفر بالمطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا على طريقهما
المسلوك قصصا مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر أي يتبعان آثارهما اتباعا أو هو مصدر في موضع الحال أي رجعا على الطريق الذي جاآ منه
مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا الاكثرون على ان ذلك العبد كان نبيا لانه تعالى وصفه بقوله آتيناه رحمة من عندنا والرحمة هي الوحي
والنبوة بدليل قوله أهم يقسمون رحمة ربك وقوله وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ومنع ان كل رحمة نبوة قالوا ووصفه

الروم فجاءه فبنى مدينة مصر والاسكندرية فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء فقال له ما ترى فقال
أرى مدينتين ومدائن ثم علا به فقال ما ترى فقال أرى مدينة ثم علا به فقال ما ترى قال أرى الارض
قال فهذا اليم محيط بالدنيا ان الله بعثني اليك تعلم الجاهل وتثبت العالم فأتى به السد وهو جبلان لينان
يزلق عليهما كل شيء ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج ثم مضى به الى أمة وجوههم وجوه
الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم
وجوه الكلاب ثم مضى حتى قطع به هؤلاء الى أمة أخرى قد سماهم واختلف أهل العلم في المعنى الذي
من أجله قيل لذي القرنين ذو القرنين فقال بعضهم قيل له ذلك من أجل انه ضرب على قرنه فهلك ثم
أحيي فضرب على القرن الآخر فهلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن
عنبسة عن عبيد المكتب عن أبي الطفيل قال سأل ابن الكواء عليا عن ذي القرنين فقال هو عبد
أحب الله فأحبه وناصح الله فنصحه فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه فقتلوه ثم بعثه الله فضربوه
على قرنه فمات حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي
الطفيل قال سئل علي رضوان الله عليه عن ذي القرنين فقال كان عبدا ناصح الله فناصحه فدعا قومه
الى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات فسمي ذا القرنين
حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل
قال سمعت عليا وسألوه عن ذي القرنين أنبيا كان قال كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه وناصح
الله فنصحه فبعثه الله الى قومه فضربوه ضربتين في رأسه فسمي ذا القرنين وفيكم اليوم مثله * وقال
آخرون في ذلك بما حدثني به محمد بن سهل البخاري قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني
عبد الصمد بن معقل قال قال وهب بن منبه كان ذو القرنين ملكا فقيل له فلم يسمى ذا القرنين قال
اختلف فيه أهل الكتاب فقال بعضهم ملك الروم وفارس وقال بعضهم كان في رأسه شبه القرنين
* وقال آخرون انما سمي ذلك لان صفحتي رأسه كانتا من نحاس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن
حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال ثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني قال انما
سمي ذا القرنين ان صفحتي رأسه كانتا من نحاس وقوله انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا
يقول انا وطأنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا يقول وآتيناه من كل شيء يعني ما يتسبب اليه
وهو العلم به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا
عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وآتيناه من كل شيء سببا يقول علما حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتيناه من كل شيء سببا أي علما حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وآتيناه من كل شيء سببا قال من كل شيء علما
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وآتيناه من كل شيء سببا قال
علم كل شيء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن
عباس وآتيناه من كل شيء سببا علما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال
سمعت الضحاك يقول في قوله وآتيناه من كل شيء سببا يقول علما وقوله فأتبع سببا * اختلفت

القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة فاتبع بوصل الالف وتشديد التاء بمعنى سلك وسار من قول القائل اتبعت أثر فلان اذا قفوته وسرت وراءه وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة فاتبع بهمز الالف وتخفيف التاء بمعنى لحق * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه فاتبع بوصل الإلف وتشديد التاء لان ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذي القرنين في الارض التي مكن له فيها لا عن لحاقه السبب وبذلك جاء تاويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فاتبع سببا يعني بالسبب المنزل **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سببا قال منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه **حدثني** محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد فاتبع سببا قال طريقا في الارض **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاتبع سببا اتبع منازل الارض ومعالمها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاتبع سببا قال هذه الآن سبب الطرق كما قال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات قال طرق السموات **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فاتبع سببا قال منازل الارض **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاتبع سببا قال المنازل ۞ القول في تاويل قوله تعالى (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا) يقول تعالى ذكره حتى اذا بلغ ذو القرنين مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة فاختلفت القراء في ذلك فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة في عين حمئة بمعنى انها تغرب في عين ماء ذات حمأة وقرأته جماعة من قراء المدينة وعامة قراء الكوفة في عين حامئة يعني انها تغرب في عين ماء حارة * واختلف أهل التأويل في تاويلهم ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته ذكر من قال تغرب في عين حمئة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حمئة قال في طين أسود **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يقرأ في عين حمئة قال ذات حمأة **حدثنا** الحسن بن الجنيد قال ثنا سعيد بن مسلمة قال ثنا اسمعيل بن علية عن عثمان بن حاضر قال سمعت عبد الله بن عباس يقول قرأ معاوية هذه الآية فقال عين حامئة فقال ابن عباس انها عين حمئة قال فجعلا كعبا بينهما قال فارسلا الى كعب الاحبار فسألاه فقال كعب أما الشمس فانها تغيب في ثاط فكانت على ما قال ابن عباس والثاط الطين **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني نافع بن أبي نعيم قال سمعت عبد الرحمن الاعرج يقول كان ابن عباس يقول في عين حمئة ثم فسرها ذات حمأة قال نافع وسئل عنها كعب فقال أنتم أعلم بالقرآن مني ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه

عن

بقوله وعلمناه من لدنا فلما والعلم المختص به تعالى هو الوحي والاخبار بالغيوب وأيضا قال في آخر القصة وما فعلته عن أمري أي عرفته وفعلته بامر الله وذلك مستلزم للوحي وروي ان موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال من عرفك هذا قال الذي بعثك الي والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية والتحقيق فيه اذا ضعفت القوى الحسية والخيالية بواسطة الرياضة (٨) قويت القوة العقلية وأشرقت الانوار الالهية على جواهر العقل ويفيض عليه من عالم الارواح أنوار يستعد بسببها لملاحظة أسرار الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت والاكثرون أيضا على ان ذلك العبد هو الخضر سمي بذلك لانه كان لا يقف موقفا الا اخضر ذلك الموقف وقال الجبائي روي ان الخضر انما بعث بعد موسى عليه السلام من بني اسرائيل فان صحت الرواية لم يكن ذلك العبد هو الخضر لانه بعث بعده وبتقدير كونه معاصرا له فانه أظهر الترفع على موسى حين قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وان موسى أظهر التواضع له حين قال ولا أعصي لك أمرا ومع انه كان مبعوثا الى كافة بني اسرائيل والامة لا تكون أعلى حالا من النبي وان لم تكن الرواية صحيحة بان الخضر لا يكون من بني اسرائيل لم يجز أن يكون الخضر أفضل من موسى عليه السلام لانه تعالى قال لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين وأجيب بانه يجوز أن يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتوقف نبوته عليها قال العلماء ان موسى راعى مع الخضر في قوله هل اتبعك أنواعا من الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا وفيه ان المتعلم يجب عليه الخدمة وتسليم النفس والاتيان بمثل أفعال الاستاذ وأقواله على جهة التبعية لا الاستقلال فان المتابعة هي الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا لسنا متبعين لليهود في قولنا لا اله الا الله لانا لا نقول كلمة التوحيد لاجل انهم قالوها بل لقيام الدليل على قولها ولكنا متابعون في الصلوات الخمس للنبي صلى الله عليه وسلم لانا نأتي بها لاجل انه أتى بها ومنها أنه استأذن في اثبات هذه التبعية ومنها انه قال على أن تعلمني مما علمت وفيه اقرار على استاذه بالعلم وفيه انه لم يطلب منه الا بعض علمه ولم يطلب منه أن يجعله مساويا له في العلم كما يطلب الفقير من الغني ان يرفع اليه جزأ من أجزاء ماله لا كله وفيه اعتراف بان ذلك العلم علمه الله

عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حمئة قال هي الحمأة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في عين حمئة قال ثأط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قول الله عز ذكره تغرب في عين حمئة قال ثأطة قال وأخبرني عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قرأت في عين حمئة وقرأ عمرو بن العاص في عين حامئة فأرسلنا الى كعب فقال انها تغرب في حمأة طينة سوداء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تغرب في عين حمئة والحمئة الحمأة السوداء حدثنا عمرو بن عبد الاعلى قال ثنا مروان بن معاوية عن ورقاء قال سمعت سعيد بن جبير قال كان ابن عباس يقرأ هذا الحرف في عين حمئة ويقول حمأة سوداء تغرب فيها الشمس * وقال آخرون بل هي تغيب في عين حارة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حامية يقول في عين حارة حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول في عين حامية قال حارة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله في عين حامئة قال حارة وكذلك قرأها الحسن * والصواب من القول في ذلك عندي ان يقال انهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الامصار ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه وذلك انه جائز ان تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين فيكون القارئ في عين حامية واصفها بصفتها التي هي لها وهي الحرارة ويكون القارئ في عين حمئة واصفها بصفتها التي هي بها وهي انها ذات حمأة وطين وقد روي بكلا صفتيها اللتين قلت انهما من صفتيها أخبار حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا العوام قال ثني مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غابت فقال في نار الله الحامية في نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لاحرقت ما على الارض حدثني الفضل بن داود الواسطي قال ثنا أبو داود قال ثنا محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن ابن عباس عن أبي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم اقرأه حمئة وقوله وجد عندها قوما ذكر ان أولئك القوم يقال لهم ناسك وقوله قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب يقول اما أن تقتلهم ان هم لم يدخلوا في الاقرار بتوحيد الله ويذعنوا لك بما تدعوهم اليه من طاعة ربهم واما أن تتخذ فيهم حسنا يقول واما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) يقول جل ثناؤه قال أما من ظلم فسوف نعذبه يقول أما من كفر فسوف نقتله كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أما من ظلم فسوف نعذبه قال هو القتل وقوله ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا يقول ثم يرجع الى الله تعالى بعد قتله فيعذبه عذابا عظيما وهو النكر وذلك عذاب جهنم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) يقول وأما من صدق الله منهم ووحده وعمل بطاعته فله عند الله الحسنى وهي الجنة جزاء يعني ثوابا على ايمانه وطاعته ربه وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة

تعالى والاسمي فاعله وفيه اشعار بان انعامه عليه في هذا التعليم شبيه بانعام الله عليه فيه ومن هنا قيل أنا عبد من علمني حرفا ومنها ان الخضر عرف انه نبي صاحب المعجزات المشهورة ثم انه مع هذه المناصب العلية والمراتب السنية لم يطلب منه المال والجاه وانما طلب التعليم فقال على ان تعلمني فدل ذلك على انه لا كمال فوق كمال العلم وانه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه ان كل من كانت احاطته بالعلوم أكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر فكان حرصه على زيادتها أوفر ومنها انه قال رشدا (٩) وهو يصلح ان يكون مفعولا لتعلمني ولعلمت أي علما ذا رشد أرشد به في ديني وفيه تعظيم لما سيعلمه فان الارشاد هو الامر الذي لو لم يحصل حصل الضلال ثم انه تعالى حكى عن الخضر انه قال ٧ بظواهر الامور شرعا فلما يتمالك أن يصبر عليها وخبرا تمييز أي لم يحط به خبرك أو هو مصدر لكونه في معنى الاحاطة استدلت الاشاعرة بالآية على أن الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل والا لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة قبل الصبر فيكون قول الخضر بنفي الاستطاعة كذبا وكذا قوله وكيف تصبر لانه استفهام في معنى الانكار أي لا تصبر ألبتة أجاب الجبائي بانه أراد بنفي الاستطاعة انه يثقل عليه الصبر لانه لا يستطيعه يقال في العرف ان فلانا لا يستطيع ان يرى فلانا وان يجالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا قال له موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي أي ستجدني غير عاص لك أمرا ويجوز ان يكون قوله ولا أعصي جملة مستأنفة معطوفة على مثلها أي ستجدني ولا أعصي قال أهل السنة في قوله ان شاء الله بطريق الشك والصبر مأمور به دليل على انه تعالى قد لا يريد من العبد ما أوجبه عليه قالت المعتزلة انما ذكره بطريق الادب وأجيب بان هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد فاي أدب في

ذكر الكلام الباطل قالت الاصوليون في قوله ولا أعصي لك أمرا دليل على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر عاص بهذه الآية والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال المحققون في قول الخضر تغليظ وتجهيل وفي قول موسى تحمل وتواضع فدل ذلك على ان المعلم ان رأى التغليظ على المتعلم فيما يعتقد له نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم ان يتلقاه بالبشر والطلاقة ثم قال فان اتبعتني فلا تسألني شرط على موسى عليه السلام في اتباعه

و بعض أهل البصرة والكوفة فله جزاء الحسنى برفع الجزاء واضافته الى الحسنى واذا قرئ ذلك كذلك فله وجهان من التأويل أحدهما أن يجعل الحسنى مرادا بها ايمانه وأعماله الصالحة فيكون معنى الكلام اذا أريد بها ذلك وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاؤها يعني جزاء هذه الافعال الحسنة والوجه الثاني أن يكون معنيا بالحسنى الجنة وأضيف الجزاء اليها كما قيل ولدار الآخرة خير والدار هي الآخرة كما قال وذلك دين القيمة والدين هو القيم وقرأ آخرون فله جزاء الحسنى بمعنى فله الجنة جزاء فيكون الجزاء منصوبا على المصدر بمعنى يجازيه جزاء الجنة * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأه فله جزاء الحسنى بنصب الجزاء وتنوينه على المعنى الذي وصفت من أن لهم الجنة جزاء فيكون الجزاء أيضا على التفسير وقوله وسنقول له من أمرنا يسرا يقول وسنعلمه نحن في الدنيا ما تيسر لنا تعليمه مما يقربه الى الله ويلين له من القول وكان مجاهد يقول نحوا مما قلنا في ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من أمرنا يسرا قال معروفا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا) يقول تعالى ذكره ثم سار وسلك ذو القرنين طرقا ومنازل كما **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أتبع سببا يعني منزلا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم أتبع سببا منازل الارض ومعالمها حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا يقول تعالى ذكره ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك ان أرضهم لا جبل فيها ولا شجر ولا تحتمل بناء فيسكنوا البيوت وانما يغورون في المياه أو يسربون في الاسراب كما **حدثني** ابراهيم بن المعتمر قال ثنا سليمان بن داود أبو داود قال ثنا سهل بن أبي الصلت السراج عن الحسن تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال كانت أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت عليهم الشمس تغوروا في الماء فاذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم قال ثم قال الحسن هذا حديث سمرة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ذكر لنا انهم كانوا في مكان لا يستقر عليه البناء وانما يكونون في أسراب لهم حتى اذا زالت عنهم الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عليهم فيها بناء قط وكانوا اذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس أو دخلوا البحر وذلك ان أرضهم ليس فيها جبل وجاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها فقالوا لا نبرح حتى تطلع الشمس ما هذه العظام قالوا هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا قال فذهبوا هاربين في الارض **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن

معمر

ان لا يسأل عما ينفي عليه وجه صحته حتى يكون الخضر هو المبتدي بتعليمه اياه وباخباره عن وجه الحكمة فيه فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها روى ان أهلها قالوا هما من اللصوص وأمروهما بالخروج فنعهم صاحب السفينة وقال أرى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهم بلا أجرة فلما حصلوا في اللجة أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء وقيل خرق جدار السفينة ليعيبها ولا يتسارع الغرق الى أهلها فجعل موسى يسد الخرق بثيابه و يقول أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا أتيت شيأ عظيما يقال امر الامر اذا عظم و يقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف له شبيه انه أمر احتج الطاعنون في عصمة الانبياء بان موسى عليه السلام اعترض على الخضر بعد توكيد العهود والمواثيق وذلك ذنب وأجيب بانه لم يقل ذلك اعتراضا وتوبيخا ولكنه أحب ان يقف على حكمة ذلك الامر الخارج عن العادة أو انه خلف الشرط بناء على النسيان ولهذا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا مؤاخذة على الناسي وما موصولة أو موصوفة أو مصدرية أي بالذي نسيت و بشيء نسيته و بنسياني وجوز في الكشاف ان لا يكون ناسيا في الحقيقة ولكنه أوهم بقوله لا تؤاخذني بما نسيت انه قد نسي ليبسط عذره في الاعتراض على المعلم وهو من معاريض الكلام التي يتقي بها الكذب مع التوصل الى الغرض وجوز أيضا ان يكون النسيان بمعنى الترك أي بما تركت من وصيتك أول مرة ولا ترهقني ولا تغشني من أمري عسرا وأراد بامره أمر المتابعة أي يسر على متابعتك بالاغضاء وترك المناقشة وانما قال في هذه القصة خرقها بغير فاء لانه جعله جزاء الشرط وفي قصة الغلام جعل فقتله من جملة الشرط معطوفا عليه بفاء التعقيب لان القتل يعقب لقاء الغلام ولفظ الغلام يتناول الشاب البالغ كما يتناول الصغير ومنه قولهم رأي الشيخ خير من مشهد الغلام وأصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وليس في القرآن انهما كيف لقياه وهل كان يلعب مع جمع من الغلمان أو كان منفردا وهل كان مسلما أو كان كافرا وهل كان بالغا أو كان صغيرا واسم الغلام بالصغير أليق الا انه بغير نفس بالبالغ أليق لان الصبي لا يقتل قصاصا وعن ابن عباس ان نجدة الحروري الخارجي كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من

معمر عن قتادة قوله تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال بلغنا انهم كانوا فى مكان لا يثبت عليهم بناء فكانوا يدخلون فى اسراب لهم اذا طلعت الشمس حتى تزول عنهم يخرجون الى معايشهم * وقال آخرون هم الزنج ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال يقال هم الزنج وأما قوله كذلك فان معناه ثم اتبع سببا كذلك حتى بلغ مطلع الشمس وكذلك من صلة اتبع وانما معنى الكلام ثم اتبع سببا حتى بلغ مطلع الشمس كما اتبع سببا حين بلغ مغربها وقوله وقد أحطنا بما لديه خبرا يقول وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علما لا يخفى علينا مما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم ولا من غيره شئ وبالذى قلنا فى معنى الخبر قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله خبرا قال علما حدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا قال علما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) يقول تعالى ذكره ثم سار طرقا ومنازل وسلك سبلا حتى اذا بلغ بين السدين واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين حتى اذا بلغ بين السدين بضم السين وكذلك جميع ما فى القرآن من ذلك بضم السين وكان بعض قراء المكيين يقرؤه بفتح ذلك كله وكان أبو عمرو بن العلاء يفتح السين فى هذه السورة ويضم السين فى يس ويقول السد بالفتح هو الحاجز بينك وبين الشئ والسد بالضم ما كان من غشاوة فى العين وأما الكوفيون فان قراءة عامتهم فى جميع القرآن بفتح السين غير قوله حتى اذا بلغ بين السدين فانهم ضموا السين فى ذلك خاصة وروى عن عكرمة فى ذلك ما حدثنا به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن أيوب عن عكرمة قال ما كان من صنعة بنى آدم فهو السد يعنى بالفتح وما كان من صنع الله فهو السد وكان الكسائى يقول هما لغتان بمعنى واحد * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الامصار ولغتان متفقتا المعنى غير مختلفته فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ولا معنى للفرق الذى ذكر عن أبى عمرو بن العلاء وعكرمة بين السد والسد لانا لم نجد لذلك شاهدا يبين عن فرقان ما بين ذلك على ما حكى عنهما ومما يبين ذلك ان جميع أهل التأويل الذى روى لنا عنه فى ذلك قول لم يحك لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك وضمه ولو كانا مختلفى المعنى لنقل الفصل مع التأويل ان شاء الله ولكن معنى ذلك كان عندهم غير متفرق فيفسر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك وأما ما ذكر عن عكرمة فى ذلك فان الذى نقل عن أيوب هرون وفى نقله نظر ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه والسد والسد جميعا الحاجز بين الشيئين وهما ههنا فيما ذكر جبلان سد ما بينهما فردم ذو القرنين حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم ليقطع مادة غوائلهم وعيثهم عنهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر

خال الولدان مما علمه علم موسى فلذلك ان تقتل قال الكسائى الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة وقال أبو عمرو الزاكية التى لم تذنب والزكية التى أذنبت ثم تابت ويجوز ان يكون وصفها بالزكاة لانه لم يرها أذنبت فهى طاهرة عنده قيل النكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة وقيل النكر أشد لان ذلك كان خوفا يمكنه تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه وأيضا الامر العجيب والعجب يستعمل فى الخير والشر والنكر ما تنكره العقول فهو شر وظاهر الآية يدل على أن موسى استبعد ان يقتل النفس الا بالنفس وليس كذلك لانه قد يحل القتل بسائر الاسباب ولعله اعتبر السبب الاغلب الاقوى واختلفوا فى كيفية قتله فقيل قتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر انه ما زاد على ان أذكره ما عاهد عليه فقال ألم أقل لك وانما زاد ههنا لك لان الانكار أكثر وموجب العتاب أقوى وقيل أكد التقرير الثانى بقوله لك كما تقول لمن توبخه لك أقول واياك أعنى وقيل بين فى الثانى المقول له لما لم يبين فى الاول فعند هذا قال موسى ان سألتك عن شئ بعدها بعد هذه الكرة أو المسئلة فلا تصاحبنى نهاه عن المصاحبة حينئذ مع حرصه على التعلم لظهور عذره كما قال قد بلغت من لدنى عذرا وهذا كلام نادم شديد الندامة حره المقال واضطره الحال الى الاعتراف وسلوك سبيل الانصاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى موسى استحيى فقال ذلك فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية هى انطاكية وقيل الايلة وهى أبعد أرض الله من السماء استطعما أهلها وكان حق الايجاز أن يقال استطعماهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتأكيد كقوله

لبث الغراب غداة ينعب بيننا * كان الغراب مقطع الاوداج

وأيضا لعله كره اجتماع الضميرين المتصلين فى مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة والاستطالة فأبوا أن يضيفوهما يقال أضافه وضيفه اذا أنزله وجعله ضيفه والتركيب يدار على الميل من ضاف السهم عن الغرض والضيف يميل الى المضيف عن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما قيل الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف أقدما عليه وأيضا الضيافة من المندوبات وترك المندوب غير منكر فكيف جاز لموسى ان يغضب عليهم حتى ترك عهد صاحبه وقال لو شئت لاتخذت عليه

أجروا وأجيب بان الرجل اذا جاع بحيث ضعف عن الطاعة أو أشرف على الهلاك لزمه الاستطعام ووجبت اجابته ولقائل أن يقول لو كان قد بلغ الجوع الى حد الهلاك لم يقو على اصلاح الجدار ولمجيب أن يقول انه أقام الجدار معجزة فقد روى انه مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود دعمه به وقيل نقضه وبناه وروى انه كان ارتفاع الجدار مائة ذراع قال أهل الاعتبار شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ويحكى ان أهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس حتى اذا بلغ بين السدين قال الجبلين الردم الذي بين ياجوج وماجوج أمتين من وراء ردم ذي القرنين قال الجبلان أرمينية وأذربيجان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا بلغ بين السدين وهما جبلان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله بين السدين يعني بين جبلين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله بين السدين قال هما جبلان وقوله وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا يقول عز ذكره وجد من دون السدين قوما لا يكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم وقد اختلفت القراء في قراءة قوله يفقهون فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفة يفقهون قولا بفتح القاف والياء من فقه الرجل يفقه فقها وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة يفقهون قولا بضم الياء وكسر القاف من أفقهت فلانا كذا أفقهه افقاها اذا أفهمته ذلك * والصواب في ذلك عندي من القول في ذلك انهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الامصار غير دافعة احداهما الاخرى وذلك ان القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر جائز أن يكونوا لا يكادون يفقهون قولا لغيرهم عنهم فيكون صوابا القراءة بذلك وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك كانوا لا يكادون أن يفقهوا غيرهم لعلل اما بالسنتهم واما بمنطقهم فتكون القراءة بذلك أيضا صوابا وقوله ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض اختلفت القراء في قراءة قوله ان ياجوج وماجوج فقرأت القراء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم ان ياجوج وماجوج بغير همز على فاعول من يججت ومججت وجعلوا الالفين فيهما زائدتين غير عاصم بن أبي النجود والاعرج فانه ذكر انهما قرآ ذلك بالهمز فيهما جميعا وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام وكأنهما جعلا ياجوج يفعول من أججت وماجوج مفعول والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا ان ياجوج وماجوج بالف بغير همز لاجماع الحجة من القراء عليه وانه الكلام المعروف على ألسن العرب ومنه قول رؤبة بن العجاج

لو ان ياجوج وماجوج معا * وعاد عاد واستجاشوا تبعا

وهما أمتان من وراء السد وقوله مفسدون في الارض اختلف أهل التأويل في معنى الافساد الذي وصف الله به هاتين الامتين فقال بعضهم كانوا يأكلون الناس ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن الوليد الرملي قال ثنا ابراهيم بن أيوب الحوراني قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول في قوله ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض قال كانوا يأكلون الناس * وقال آخرون بل معنى ذلك ان ياجوج وماجوج سيفسدون في الارض لا انهم كانوا يومئذ يفسدون ذكر من قال ذلك وذكر صفة اتباع ذي القرنين الاسباب التي ذكرها الله في هذه الآيات وذكر سبب بنائه الردم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني بعض من يسوق أحاديث الاعاجم من أهل الكتاب ممن قد أسلم مما توارثوا من علم ذي القرنين ان ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبا بن مردبة اليوناني من ولد يونن بن يافث بن نوح حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي وكان

بحمل من الذهب فقالوا يا رسول الله نشتري بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء أي فأتوا ان يضيفوهما فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قوله يريد أن ينقض معناه يسرع سقوطه من انقض الطائر اذا هوى في طيرانه يقال قضضته فانقض ويحتمل أن يكون أفعل من النقض كاحمر من الحمرة فالنون تكون أصلية واحدى الضادين مكررة زائدة عكس الاول واستعيرت الارادة للمداناة والمشارفة تشبيها للعماد بالاحياء نظيره ولما سكت عن موسى الغضب قالتا أتينا طائعين ولما أقام الخضر الجدار ورأى موسى من الحرمان ومسيس الحاجة قال لصاحبه لو شئت لاتخذت عليه أجرا طلبت على عملك جعلا حتى نستدفع به الضرورة واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ على الاصح قال الخضر مشيرا الى الفراق المتصور في قوله فلا تصاحبني أو مشيرا الى السؤال والاعتراض هذا فراق بيني الاضافة بمعنى في أي فراق أو سبب فراق في بيني وبينك وحكى القفال ان البين ههنا بمعنى الوصل ثم شرع في تقرير الحكم التي تضمنتها أفعاله وتلك الحكم تشترك في أصل واحد هو انه اذا تعارض الضرران وجب تحمل الادنى لدفع الاعلى فقال أما السفينة فكانت لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وقد تقدم استدلال خالد الشافعي بهذه الآية على أن الفقير أسوأ حالا من المسكين وكان وراءهم ملك وهو مسمى بجلندي والوراء ههنا بمعنى الامام وقد مر في قوله ومن ورائه عذاب غليظ وقيل أراد خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه وما كان عندهم خبره يأخذ كل سفينة أي غير معيبة غصبا ولا يخفى ان الضرر الحاصل من التغريق أهون من فوات السفينة بالكلية والتغريق وان كان تصرفا في ملك الغير الا أنه اذا تضمن نفعا زائدا لم يكن به

بأس ولعل مثل هذا التصرف كان جائزا في تلك الشريعة أو لعله كان من مخصوصات النبي صلى الله عليه وسلم قال جار الله قوله فأردت أن أعيبها
مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه أن يتأخر عن السبب ولكنه قدم للعناية أي تعجب من هذا وهو مرادي وأنا مأمور به وأيضا
خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كون السفينة للمساكين فتوسط ارادة العيب بين المسكنة والغصب كتوسط الظن بين
المبتدأ أو الخبر في قول المتنزيد ظني مقيم في انه يتعلق بالطرفين وأما الغلام فقد قيل انه كان بالغا قاطع الطريق يقدم على الافعال
المنكرة وكان أبواه مضطرين الى
التعصب له والذب عنه فكانا يقعان
في الفسق لذلك واحتمل أن يؤدي
ذلك الى الكفر والارتداد كما قال
فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا
يقال رهقه أي غشيه وأرهقه اياه
وقيل انه كان صبيا الا أنه تعالى
علم من حاله انه لو صار بالغا صدرت
عنه هذه المفاسد فأعلم الخضر بحاله
وأمره بقتله لئلا يرتد الابوان بسببه
ومثل هذا لا يجوز الا اذا تأكد
الظن بالوحي وقيل أراد فخفنا أن
يغشى الوالدين طغيانا عليهما وكفرا
بنعمتهما بعقوقه أو خفنا أن يقرن
بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع
في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر
وجوزوا أن يكون قوله فخشينا
من كلام الله تعالى أي كرهنا
كراهة من خاف سوء عاقبة أمر
فغيره والزكاة الطهارة والنقاء من
الذنوب وكأنه بازاء قول موسى
نفسا زاكية والرحم الرحمة
والعطف بمعنى الاشفاق على
الابوين روي انهما ولدت لهما
جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا
هدى الله على يديه أمة من الامم
وروي انها ولدت سبعين نبيا وقيل
أبدلهما ابنا مؤمنا وقيل اسم
الغلام المقتول الحيسون وفي
نسخة الحسين وأما الجدار فكان
لغلامين قيل اسمهما أصرم وصريم
وقوله في المدينة بعد قوله أتيا أهل
قرية فيه دلالة على أن القرية لا تنافي المدينة ومعنى الاجتماع والاقامة مراعى فيهما أما الكنز فقيل هو المال لقوله ويستخرجا ولان المفهوم
منه عند اطلاقه هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان أبوهما صالحا ودفن المال لا يليق بأهل الصلاح وعورض بقول قتادة أحل الكنز
لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا وجمع بعضهم بين الامرين فقال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه # عجبت لمن يؤمن بالقدر
كيف يحزن # وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب # وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح # وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل # وعجبت

خالد رجلا قد أدرك الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال ملك مسح
الارض من تحتها بالاسباب قال خالد وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا
أما رضيتم أن تسموا بأسماء الانبياء حتى تسموا بأسماء الملائكة فان كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ذلك فالحق ما قال والباطل ما خالفه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن
اسحق قال فحدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني وكان له علم بالاحاديث الاول انه كان يقول
ذو القرنين رجل من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر وانما
سمي ذا القرنين ان صفحتي رأسه كانتا من نحاس فلما بلغ وكان عبدا صالحا قال الله عز وجل يا ذا
القرنين اني باعثك الى أمم الارض وهي أمم مختلفة ألسنتهم وهم جميع أهل الارض ومنهم أمتان
بينهما طول الارض كله ومنهم أمتان بينهما عرض الارض كله وأمم في وسط الارض منهم الجن
والانس ويأجوج ومأجوج فأما الامتان اللتان بينهما طول الارض فأمة عند مغرب الشمس يقال
لها ناسك وأما الاخرى فعند مطلعها يقال لها منسك وأما اللتان بينهما عرض الارض فأمة في قطر
الارض الايمن يقال لها هاويل وأما الاخرى التي في قطر الارض الايسر فأمة يقال لها تاويل فلما قال
الله ذلك قال له ذو القرنين الهي انك قد ندبتني لامر عظيم لا يقدر قدره الا أنت فأخبرني عن هذه
الامم التي بعثتني اليها بأي قوة أكابرهم وبأي جمع أكاثرهم وبأي حيلة أكايدهم وبأي صبر أقاسيهم
وبأي لسان أناطقهم وكيف لي بأن أفقه لغاتهم وبأي سمع أعي قولهم وبأي بصر أنفذهم وبأي حجة
أخاصمهم وبأي قلب أعقل عنهم وبأي حكمة أدبر أمرهم وبأي قسط أعدل بينهم وبأي حكم
أصابرهم وبأي معرفة أفصل بينهم وبأي علم أتقن أمورهم وبأي يد أسطو عليهم وبأي رجل
أطؤهم وبأي طاقة أحصيهم وبأي جند أقاتلهم وبأي رفق أستألفهم فانه ليس عندي يا الهي شيء
مما ذكرت يقوم لهم ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم وأنت الرب الرحيم الذي لا يكلف نفسا الا وسعها ولا
تحملها الا طاقتها ولا تعنتها ولا تفدحها بل أنت ترأفها وترحمها قال الله عز وجل اني سأطوقك
ما حملتك أشرح لك صدرك فتسمع كل شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء وأبسط لك لسانك
فتنطق بكل شيء وأفتح لك سمعك فتعي كل شيء وأمد لك بصرك فتنفذ كل شيء وأدبر لك أمرك فتتقن
كل شيء وأحصي لك فلا يفوتك شيء وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء وأشد لك ظهرك فلا يهدك
شيء وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء وأشد لك قلبك فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة
فاجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك وأشد لك عقلك فلا
يهولك شيء وأبسط لك من بين يديك فتسطو فوق كل شيء وأشد لك وطأتك فتهد كل شيء وألبسك
الهيبة فلا يروعك شيء ولما قيل له ذلك انطلق يؤم الامة التي عند مغرب الشمس فلما بلغهم وجد جمعا
وعددا لا يحصيه الا الله وقوة وبأسا لا يطيقه الا الله وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة وقلوبا متفرقة فلما
رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها فأحاطتهم من كل مكان وحاشتهم حتى
جمعتهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور فدعاهم الى الله والى عبادته فمنهم من آمن له ومنهم من صد
وعمد الى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم

لمن رأى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها * لا اله الا الله محمد رسول الله وفى قوله وكان أبوهما صالحا دلالة على أن صلاح الآباء يفيد العناية باحوال الابناء عن جعفر بن محمد رضى الله عنه كان بين الغلامين و بين الاب الذى حفظا فيه سبعة آباء وذكر من صلاح أبيهما ان الناس كانوا يضعون الودائع عنده فيردها اليهم سالمة قالت العلماء الاشبه ان اليتيمين كانا جاهلين بحال الكنز و وصيهما كان عالما به الا انه غائب وقد أشرف الجدار على السقوط * رحمة من ربك مصدر منصوب بارادلانه فى معنى رحمهما أو مفعول له وما فعلته عن أمرى أى (١٤) اجتهادى و رأيى وانما فعلته بامر الله * سؤال لم قال فى الاول فاردت ان أعيبها وفى الثانى فاردنا وفى الثالث فاراد ربك الجواب لان الاول افساد فى الظاهر فاسنده الى نفسه وفى الثالث انعام محض فاسنده الى الله سبحانه وفى الثانى افساد من حيث القتل وانعام من حيث التبديل فجمع بين الامرين ويمكن أن يقال ان القتل كان منه ولكن ازهاق الروح كان من الله ويحتمل أن يقال الوحدة فى الاول على الاصل والجمع فى الثانى تنبيه على انه من العلماء المؤيدين بالعلوم الدينية والاسناد الى الله بالآخرة اشارة الى أنه لا ارادة الا ارادة الله وما تشاؤن الا أن يشاء الله ذلك الذى ذكر من أسرار تلك الوقائع تاويل مالم تسطع عليه صبرا أى مرجع المقصود من تلك الافاعيل الى ما قررنا وأصل تسطع تستطع كما فى قوله سأنبئك بتاويل مالم تستطع الا أن التاء حذفت لاجل التخفيف وهذا شاذ من جهة القياس ولكنه ليس بشاذ فى الاستعمال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى موسى لولبث مع صاحبه لابصر أعجب الاعاجيب * التأويل واذ قال موسى لفتيه فيه ان المسافر لابد له فى الطريق من الرفيق وفيه ان من شرطهما ان يكون أحدهما أميرا والآخر مامورا وان يعلم الرفيق عزيمته ومقصده حتى يكون على بصيرة من صحبته وان لا يسام من متاعب السفر حتى يظفر بمقصوده كما وان يكون نيته طلب شيخ يقتدى به فان طلب الشيخ فى الحقيقة هو طلب الحق ومجمع البحرين هو مجمع ولاية الشيخ وولاية المريد وعنده عين الحياة الحقيقية فاذا وقعت قطرة منها على حوت قلب المريد حيى واتخذ سبيله فى بحر الولاية سربا فلما جاوزا فيه اشارة الى أن المريد فى أثناء السلوك لو تطرقت اليه الملالة أصاب قلبه الكلالة وسولت له نفسه التجاوز عن صحبة الشيخ ظانا ان مقصوده يحصل من غير واسطة

ودخلت فى بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب منهم فماجوا فيها وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا اليه بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا فى دعوته فجند من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحوشهم من حولهم والنور امامهم يقودهم ويدلهم وهو يسير فى ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التى فى قطر الارض الايمن التى يقال لها هاويل وسخر الله يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره فلا يخطئ اذا ائتمر واذا عمل عملا أتقنه فانطلق يقود تلك الامم وهى تتبعه فاذا انتهى الى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال فنظمها فى ساعة ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الامم وتلك الجنود فاذا قطع الانهار والبحار فتقها ثم دفع الى كل انسان لوحا فلا يكرثه حمله فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل فعمل فيها كعمله فى ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه فى ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله فى الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا فى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهى الامة التى بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند فيها كفعله فيما قبلها فلما فرغ منها عطف منها الى الامم التى وسط الارض من الجن وسائر الناس ويأجوج ومأجوج فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة من الانس صالحة يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله وكثير منهم مشابه للانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع ويأكلون قشاش الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله فى الارض وليس لله خلق ينمى نماءهم فى العام الواحد ولا يزداد كزيادتهم ولا يكثر ككثرتهم فان كانت لهم مدة على مانرى من نمائهم وزيادتهم فلا شك انهم سيملؤن الارض ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم الا ونحن نتوقعهم وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير فاعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما أعدوا الى الصخور والحديد والنحاس حتى ارتاد بلادهم واعلم علمهم وأقيس ما بين جبليهم ثم انطلق يؤمهم حتى دفع اليهم وتوسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد ذكرهم وأنثاهم مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخالب فى موضع الاظفار من أيدينا واضراس وأنياب كاضراس السباع وأنيابها واخفاف الابل قوة تسمع لها حركة اذا أكلوا كحركة الجرة من الابل أو كقضيم البغل المسن أو الفرس القوى وهم هلب عليهم من الشعر فى أجسادهم ما يواريهم وما يتقون به الحر والبرد اذا أصابهم ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان أحدهما وبرة ظهرها وبطنها والاخرى زغبة ظهرها وبطنها يسعانه اذا لبسهما يلتحف احداهما ويفترش الاخرى ويصيف فى احداهما ويشتى فى الاخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى الا وقد عرف أجله الذى يموت فيه ومنقطع عمره وذلك انه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت الانثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد فاذا كان ذلك أيقن بالموت وهم يرزقون التنين أيام الربيع ويستمطرونه اذا تحينوه

الشيخ هيهات فانه ظن فاسد ومتاع كاسد الا ان أدركته العناية الأزلية ورد اليه صدق الأرادة فيقول الرفيق التوفيق آتنا غداءنا وهو همة
الشيخ وبركة صحبته لقد لقينا من سفرنا هذا الذى جاوزنا صحبة الشيخ نصبا فقال له رفيقه أرأيت اذ أوينا الى الصخرة صخرة النفس وتسويلها
فانى نسيت حوت القلب قال ذلك ما كنا نبغى من حوت القلب الميت المملح بملح حب الدنيا وزينتها ان يتخذ سبيله فى بحر ولاية شيخ كامل فوجدا
عبدا من عبادنا حرا من رق غيرنا وفى قوله وعلمناه من لدنا علما اشارة الى انه تعالى أطلعه على بواطن الاشياء وحقائقها وهذا
النوع من العلم لا يمكن تعلمه وانما يحصل بتصفية النفس وتجريد القلب عن العلائق الجسمانية وقد ذهب موسى الى تعلم العلم فكان من الواجب على الخضر أن يظهر له علما يمكن تعلمه فبين علم الخضر وبين مقصد موسى تباين وتناف فلهذا قال الخضر انك لن تستطيع معى صبرا وفى اظهار المسائل الثلاثة اشارة الى ما قلنا من ان العلم الظاهر يباين علم اللدنى وليس من التعليم والتعلم فى شئ واذا تأمل العاقل السالك فى قول موسى هل أتبعك الخ وفى قول الخضر فان اتبعتنى فلا تسألنى الخ وجد أصول الشرائط التى شرطوا الصوفية للمريد والشيخ مودعة فيها وفى تفصيلها طول وقد أشرنا فى التفسير الى طرف منها ومن أراد الكل فعليه بمطالعة كتاب آداب المريدين للشيخ المحقق أبى النجيب السهروردى تغمده الله بغفرانه حتى اذا ركبا فى السفينة هى سفينة الشريعة خرقها بهدم الناموس فى الظاهر مع صلاح الحال فى الباطن وفيما بينه وبين علام الغيوب ومثل هذا قد يفعله كثير من المحققين طردا للعوام وحذرا من التباهى والعجب أخرقتها لتغرق أهلها فى أودية الضلال اذا اقتدوا بك حتى اذا لقيا غلاما هو النفس الامارة
فقتله بسكين الرياضة وسيف المجاهدة حتى اذا أتيا أهل قرية هى الجسد وهم القوى الانسانية من الحواس وغيرها استطعما أهلها بطلب
أفاعيلها التى تختص بها فأبوا أن يضيفوهما باعطاء خواصها كما ينبغى لكلالها وضعفها فوجدا فيها جدارا هو التعلق الحائل بين النفس
الناطقة وبين عالم المجردات يريد أن ينقض بقطع العلاقة فأقامه بتقوية البدن والرفق بالقوى والحواس كما قيل نفسك مطيتك فارفق بها
لو شئت لاتخذت عليه أجرا أى لو شئت لصبرت على شدة الرياضة الى افاضة الانوار ونيل الكشوف أما السفينة فكانت لمساكين

كما نستمطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة بواحد فيأكلونه عامهم كله الى مثله من العام القابل
فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم فاذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسمنوا ورؤى أثره عليهم فدرت عليهم
الاناث وشبقت منهم الرجال الذكور واذا أخطأهم هزلوا وأجدبوا وجفرت الذكور وحالت الاناث
وتبين أثر ذلك عليهم وهم يتداعون تداعى الحمام ويعوون عواء الكلاب ويتسافدون حيث
التقوا تسافد البهائم فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف الى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وهو
فى منقطع أرض الترك مما يلى مشرق الشمس فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ فى عمله حفر
له أساسا حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس يذاب ثم
يصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الارض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل
خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه عرق من جبل تحت الارض برد محبر من صفرة النحاس وحمرته
وسواد الحديد فلما فرغ وأحكمه انطلق عامدا الى جماعة الانس والجن فبيناهو يسير دفع الى أمة
صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون فوجد أمة مقسطة مقتصدة يقسمون بالسوية ويحكمون
بالعدل ويتآسون ويتراحمون حالهم واحدة وكلمتهم واحدة وأخلاقهم مشتبهة وطريقهم مستقيمة
وقلوبهم متألفة وسيرتهم حسنة وقبورهم بأبواب بيوتهم وليس على بيوتهم أبواب وليس عليهم
أمراء وليس بينهم قضاة وليس بينهم أغنياء ولا ملوك ولا اشراف ولا يتفاوتون ولا يتفاضلون ولا
يختلفون ولا يتنازعون ولا يستبون ولا يقتتلون ولا يقحطون ولا يحردون ولا تصيبهم الآفات التى
تصيب الناس وهم أطول الناس أعمارا وليس فيهم مسكين ولا فقير ولا فظ ولا غليظ فلما رأى ذلك
ذو القرنين من أمرهم عجب منه وقال أخبرونى أيها القوم خبركم فانى قد أحصيت الارض كلها برها
وبحرها وشرقها وغربها ونورها وظلمتها فلم أجد مثلكم فأخبرونى خبركم قالوا نعم فسلنا عما تريد
قال أخبرونى ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم قالوا عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ولا يخرج
ذكره من قلوبنا قال فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب قالوا ليس فينا متهم وليس منا الا أمين مؤتمن
قال فما لكم ليس عليكم أمراء قالوا لا نتظالم قال فما بالكم ليس فيكم حكام قالوا لا نختصم قال فما بالكم
ليس فيكم أغنياء قالوا لا نتكاثر قال فما بالكم ليس فيكم ملوك قالوا لا نتكابر قال فما بالكم لا تتنازعون
ولا تختلفون قالوا من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا قال فما بالكم لا تستبون ولا تقتتلون قالوا من
قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم وسسنا أنفسنا بالاحلام قال فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم
مستقيمة مستوية قالوا من قبل أنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضا قال فأخبرونى من أين
تشابهت قلوبكم واعتدلت سيرتكم قالوا صحت صدورنا فنزع بذلك الغل والحسد من قلوبنا قال
فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير قالوا من قبل انا نقسم بالسوية قال فما بالكم ليس فيكم فظ ولا
غليظ قالوا من قبل الذل والتواضع قال فما جعلكم أطول الناس أعمارا قالوا من قبل انا نتعاطى الحق
ونحكم بالعدل قال فما بالكم لا تقحطون قالوا لا نغفل عن الاستغفار قال فما بالكم لا تحردون قالوا من
قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا وأحببناه وحرصنا عليه فعرينا منه قال فما بالكم لا تصيبكم الآفات
كما تصيب الناس قالوا لا نتوكل على غير الله ولا نعمل بالانواء والنجوم قال حدثونى أهكذا وجدتم

هم العوام الذين يعملون في بحر الدنيا وليس لهم في بر عالم الربوبية سير وسلوك حتى يصلوا الى ملوك تحت الدمار فاردت أن أعيبها في الظاهر
لتسلطهم بالاخلاص في البواطن وكان وراءهم ملك هو الشيطان يأخذ كل سفينة عبادة غصبا الا من كل عبادة تخلو عن الانكسار والذل
والخشوع فانهم الشيطان لا للرحمن وأما الغلام فكان أبواه وهما القلب والروح مؤمنين فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة هو النفس
المطمئنة وأقرب رحما أي نسبة الى الابوين (١٦) وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين هما النفس المطمئنة والملهمة وكان تحته كنز
لهما هو حصول الكمالات النظرية
والعملية وكان أبوهما وهو
العقل المفارق صالحا كاملا بالفعل
فلهذا ادخر لاجلهما ما ادخر اراد
ربك أن يبلغا أشدهما بتربية
الشيخ وارشاده على سبيل الرفق
والمداراة ويستخرجا ما كان كامنا
فيهما (ويسألونك عن ذي
القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا
انا مكناله في الارض وآتيناه من
كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ
مغرب الشمس وجدها تغرب في
عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا
ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن
تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم
فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه
عذابا نكرا وأما من آمن وعمل
صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له
من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى
اذا بلغ مطلع الشمس وجدها
تطلع على قوم لم نجعل لهم من
دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما
لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ
بين السدين وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا
القرنين ان ياجوج وماجوج
مفسدون في الارض فهل نجعل
لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم
سدا قال ما مكني فيه ربي خير
فاعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم
ردما آتوني زبر الحديد حتى اذا
ساوى بين الصدفين قال انفخوا

آباءكم يفعلون قالوا نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم ويواسون فقراءهم ويعفون عمن ظلمهم
ويحسنون الى من أساء اليهم ويحلمون عمن جهل عليهم ويستغفرون لمن سبهم ويصلون أرحامهم
ويؤدون أماناتهم ويحفظون وقتهم لصلاتهم ويوفون بعهودهم ويصدقون في مواعيدهم ولا
يرغبون عن أكفائهم ولا يستنكفون عن أقاربهم فاصلح الله لهم بذلك أمرهم وحفظهم ما كانوا
أحياء وكان حقا على الله أن يحفظهم في تركتهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان ياجوج وماجوج يحفرونه كل
يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فتحفرونه غدا فيعيده الله وهو
كهيئته يوم تركوه حتى اذا جاء الوقت قال ان شاء الله فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه
ويتحصن الناس في حصونهم فيرمون بسهامهم فيرجع فيها كهيئة الدماء فيقولون قهرنا أهل الارض
وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في أقفائهم فيقتلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن
اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري ثم الظفري عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الاشهل عن
أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح ياجوج وماجوج فيخرجون
على الناس كما قال الله عز وجل وهم من كل حدب ينسلون فيغشون الارض وينحاز المسلمون عنهم الى
مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم فيشربون مياه الارض حتى ان بعضهم ليمر بالنهر فيشربون
ما فيه حتى يتركوه يابسا حتى ان من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول لقد كان ههنا ماء مرة حتى لم يبق من
الناس أحد الا انحاز الى حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الارض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء
قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها الى السماء فترجع اليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فبيناهم على ذلك
بعث الله عليهم دودا في أعناقهم كالنغف فتخرج في أعناقهم فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس فيقول
المسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل العدو قال فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبا لنفسه قد
وطنها على انه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين ألا أبشروا فان
الله قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها رعي الا
لحومهم فتشكر عنهم أحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط **حدثني** بحر بن نصر قال
أخبرنا ابن وهب قال ثني معاوية عن أبي الزاهرية وشريح بن عبيد ان ياجوج وماجوج ثلاثة
أصناف صنف طولهم كطول الارز وصنف طوله وعرضه سواء وصنف يفترش أحدهم اذنه ويلتحف
الاخرى فتغطي سائر جسده **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي
عن أبيه عن ابن عباس قالوا ياذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض قال كان أبو سعيد
الخدري يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل قال
وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول لا يموت من ياجوج وماجوج أحد حتى يولد له
ألف رجل من صلبه فالخبر الذي ذكرناه عن وهب بن منبه في قصة ياجوج وماجوج يدل على ان
الذين قالوا لذي القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض انما أعلموه خوفهم ما يحدث منهم

حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي من
فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء
انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك

الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) القراءة فاتبع ثم اتبع مقطوعة ابن عامر وعاصم وحمزة (١٧) وعلى وخلف الباقون بالتشديد موصولة

من الافساد في الارض لانهم شكوا منهم فيهم أو في غيرهم والاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم سيكون منهم الافساد في الارض ولا دلالة فيها انهم قد كان منهم قبل احداث ذي القرنين السد الذي أحدثه بينهم و بين من دونهم من الناس في الناس غيرهم افساد فاذا كان ذلك كذلك فالذي بينا الصحيح من تأويل قوله ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض ان يأجوج ومأجوج سيفسدون في الارض وقوله فهل نجعل لك خرجا اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة و بعض أهل الكوفة فهل نجعل لك خرجا كأنهم نحوا به نحو المصدر من خرج الرأس وذلك جعله وقرأته عامة قراء الكوفيين فهل نجعل لك خراجا بالالف وكأنهم نحوا به نحو الاسم وعنوا به أجرة على بنائك لنا سدا بيننا و بين هؤلاء القوم ‌* وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه فهل نجعل لك خراجا بالالف لان القوم فيما ذكر عنهم انما عرضوا على ذي القرنين ان يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السد وقد بين ذلك بقوله فاعينوني بقوة أجعل بينكم و بينهم ردما ولم يعرضوا عليه جزية رؤسهم والخراج عند العرب هو الغلة ‌* و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فهل نجعل لك خرجا قال أجرا على أن تجعل بيننا و بينهم سدا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فهل نجعل لك خرجا قال أجرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله فهل نجعل لك خرجا قال أجرا وقوله على أن تجعل بيننا و بينهم سدا يقول قالوا له هل نجعل لك خراجا حتى ان تجعل بيننا و بين يأجوج ومأجوج حاجزا يحجز بيننا و بينهم ويمنعهم الخروج الينا وهو السد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة أجعل بينكم و بينهم ردما) يقول تعالى ذكره قال ذو القرنين الذي مكنني في عمل ما سألتموني من السد بينكم و بين هؤلاء القوم ربي ووطأه لي وقواني عليه خير من جعلكم والاجرة التي تعرضونها على لبناء ذلك وأكثر وأطيب ولكن أعينوني منكم بقوة أعينوني بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة قال برجال أجعل بينكم و بينهم ردما وقال ما مكني فيه فادغم احدى النونين في الاخرى وانما هو ما مكنني فيه وقوله أجعل بينكم و بينهم ردما يقول اجعل بينكم و بين يأجوج ومأجوج ردما والردم حاجز الحائط والسد الا أنه أمنع منه وأشد يقال منه قد ردم فلان موضع كذا يردمه ردما وردما و يقال أيضا ردم ثوبه يردمه وهو ثوب مردوم اذا كان كثير الرقاع ومنه قول عنترة

هل غادر الشعراء من متردم ‌* أم هل عرفت الدار بعد توهم

‌* و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أجعل بينكم و بينهم ردما قال هو كأشد الحجاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال كأنه البرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد

حامية بالالف من غير همز ابن عامر ويزيد وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص الباقون حمئة بالهمزة من غير ألف جزاء الحسنى بالنصب منونا يعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الآخرون جزاء الحسنى بالرفع والاضافة السدين بفتح السين ابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو زيد عن المفضل الآخرون بضمها يفقهون بضم الياء وكسر القاف حمزة وعلى وخلف الباقون بفتحهما يأجوج ومأجوج حيث كان مهموزا عاصم غير الشموني فهل نجعل و بابه بادغام اللام في النون على وهشام خراجا بالالف حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الباقون خرجا بسكون الراء سدا بفتح السين ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وعاصم والباقون بضمها مكنني ابن كثير الباقون بادغام النون في النون ردما ائتوني يحيى وحماد والابتداء بكسر الالف الصدفين بضم الصاد والدال ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وسهل ويعقوب المفضل غير أبو بكر وحماد بضم الصاد واسكان الدال الآخرون بفتح الصاد والدال قال ائتوني والابتداء بكسر الالف يحيى وحماد وحمزة فما اسطاعوا بالادغام حمزة غير حماد وخلاد وقرأ أبو نشيط والشموني فما اصطاعوا بالصاد وهو الصحيح من نقل ابن مهران دكاء بالمد حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل والخزاز عن هبيرة أفحسب الذين بسكون السين ورفع الباء يزيد و يعقوب والاعشى في اختياره دوني أولياء بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ان ينفد بياء الغيبة حمزة وعلى وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ‌* الوقوف القرنين ط ذكرا ه ط سببا لا سببا ه قوما ه ط حسنا ه نكرا ه الحسنى ج لاختلاف الجملتين يسرا ه ط لان ثم لترتيب

الاخبار وسببا ه سترا ه لا كذلك ط أى كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس وقيل يبتدأ بكذلك أى ذلك كذلك أو الامر كذلك وقيل أى أحطنا بما لديه من العدد والعدد كذلك أى كما أنا بقوم سبق ذكرهم خبرا ه ثم اتبع سببا ه قوما لا قولا ه سدا ه ردما ه الحديد ط انفخوا ط نارا لا لان قال جواب اذا قطرا ه ط لان ما بعده ابتداء اخبار نقبا ه من ربى ج لعطف الجملتين المختلفتين دكا ج لذلك حقا ه ط لانقطاع القصة (١٨) جمعا ه لا للعطف عرضا ه لا سمعا ه أولياء ط نزلا ه أعمالا ه ط للفصل بين الاستخبار والاخبار لان التقدير هم الذين ويجوز أن يكون نصبا على الذم أو جرا على البدل صنعا ه وزنا ه هزوا ه نزلا ه أعمالا ه لا حولا ه مددا ه واحد ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب أحدا ه

رأيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) يقول عز ذكره قال ذو القرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم و بين يأجوج ومأجوج سدا آتونى أى جيئونى بزبر الحديد وهى جمع زبرة والزبرة القطعة من الحديد كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله زبر الحديد يقول قطع الحديد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنى اسمعيل بن سيف قال ثنا على بن مسهر عن اسمعيل عن أبى صالح قوله زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد قوله آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة آتونى زبر الحديد أى فلق الحديد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد وقوله حتى اذا ساوى بين الصدفين يقول عز ذكره فآتوه زبر الحديد فجعلها بين الصدفين حتى اذا ساوى بين الجبلين بما جعل بينهما من زبر الحديد و يقال سوى والصدفان ما بين ناحيتى الجبلين ورؤسهما ومنه قول الراجز

قد أخذت ما بين عرض الصدفين * ناحيتيها وأعالى الركنين

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بين الصدفين يقول بين الجبلين حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس حتى اذا بلغ بين السدين قال هو سد كان بين صدفين والصدفان الجبلان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الصدفين رؤس الجبلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بين الصدفين يعنى الجبلين وهما من قبل ارمينية واذربيجان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما الجبلان حدثنى أحمد بن يوسف قال أخبرنا القاسم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم انه قرأها بين الصدفين منصوبة الصاد والدال وقال بين الجبلين وللعرب فى الصدفين لغات ثلاث وقد قرأ بكل واحدة منها جماعة من القراء الفتح فى الصاد والدال وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة والكوفة والضم فيهما وهى قراءة أهل البصرة والضم فى الصاد وتسكين الدال وذلك قراءة بعض أهل مكة والكوفة والفتح فى الصاد والدال أشهر هذه اللغات والقراءة بها أعجب الى وان كنت مستجيزا القراءة بجميعها لاتفاق معانيها وانما اخترت الفتح فيهما لما ذكرت من العلة وقوله قال انفخوا يقول عز ذكره قال للفعلة

* التفسير لما أجاب عن سؤالين من أسئلة اليهود وانتهى الكلام الى حيث انتهى شرع فى السؤال الثالث والجواب عنه وأصح الاقوال ان ذا القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس الرومى الذى ملك الدنيا بأسرها اذ لو كان غيره لانتشر خبره ولم يخف مكانه عادة يحكى انه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد ملوك المغرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بنى اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح فى مذبحه ثم عطف الى أرمينية و باب الابواب ودانت له العبرانيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا ابن دارا وهزمه الى أن قتله فاستولى على ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان و بنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها قال الامام فخر الدين الرازى لما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية أو ما يقرب منها وثبت من علم التاريخ ان من هذا شأنه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بان ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه كان تلميذ الارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطو حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله أخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والسبب فى تسميته بذى القرنين انه بلغ قرنى الشمس أى مطلعها ومغربها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها

انفخوا

انفخوا النار على هذه الزبر من الحديد وقوله حتى اذا جعله نارا وفي الكلام متروك وهو فنفخوا حتى
اذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا اختلفت القراء في قراءة ذلك
فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة قال آتوني بمد الالف من آتوني بمعنى
أعطوني قطرا أفرغ عليه وقرأه بعض قراء الكوفة قال ائتوني بوصل الالف بمعنى جيئوني قطرا أفرغ
عليه كما يقال أخذت الخطام وأخذت بالخطام وجئتك زيدا وجئتك بزيد وقد يتوجه معنى ذلك اذا
قرئ كذلك الى معنى اعطوني فيكون كأن قارئه أراد مد الالف من آتوني فترك الهمزة الاولى من
آتوني واذا سقطت الاولى همز الثانية وقوله أفرغ عليه قطرا يقول أصب عليه قطرا والقطر النحاس
* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني
أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله آفرغ عليه قطرا قال القطر النحاس
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد
قال سمعت الضحاك يقول في قوله أفرغ عليه قطرا يعني النحاس حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة أفرغ عليه قطرا أي النحاس ليلزمه به حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد
الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أفرغ عليه قطرا قال نحاسا وكان بعض أهل العلم بكلام
العرب من أهل البصرة يقول القطار الحديد المذاب ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر

حساما كلون الملح صاف حديده * جرازا من قطار الحديد المنعت

وقوله فما اسطاعوا أن يظهروه يقول عز ذكره فما اسطاع يأجوج ومأجوج ان يعلوا الردم الذي
جعله ذو القرنين حاجزا بينهم وبين من دونهم من الناس فيصيروا فوقه وينزلوا منه الى الناس يقال
منه ظهر فلان فوق البيت اذا علاه ومنه قول الناس ظهر فلان على فلان اذا قهره وعلاه وما استطاعوا
له نقبا يقول ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما اسطاعوا أن
يظهروه من فوقه وما استطاعوا له نقبا أي من أسفله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فما اسطاعوا أن يظهروه قال ما استطاعوا ان ينزعوه حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فما اسطاعوا أن يظهروه قال ان يرتقوه
وما استطاعوا له نقبا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فما
اسطاعوا أن يظهروه قال يعلوه وما استطاعوا له نقبا أي ينقبوه من أسفله واختلف أهل العربية في
وجه حذف التاء من قوله فما اسطاعوا فقال بعض نحويي البصرة فعل ذلك لان لغة العرب ان تقول
اسطاع يسطيع يريدون بها استطاع يستطيع ولكن حذفوا التاء اذا جمعت مع الطاء ومخرجهما
واحد قال وقال بعضهم استاع فحذف الطاء لذلك وقال بعضهم اسطاع يسطيع فجعلها من القطع كأنها
أطاع يطيع فجعل السين عوضا من اسكان الواو وقال بعض نحويي الكوفة هذا حرف استعمل فكثر

وقيل كان له قرنان تضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وقيل كان لتاجه قرنان وعن وهب انه سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس
ويروى الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين وقيل لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه
ينطح أقرانه وقيل رأى في المنام كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس أي بقرنيها وزعم الفرس ان دارا الاكبر تزوج بابنة فيلقوس فلما
قربها وجد رائحة منكرة فردها الى أبيها وكانت قد حملت منه بالاسكندر فولدت الاسكندر وبقي عند فيلقوس وأظهر انه ابنه
وهو في الحقيقة ابن دارا الاكبر
وقال أبو الريحان انه من ملوك
حمير والدليل عليه ان الاذواء كانوا
من اليمن كذي يزن وغيره ويروى
انه ملك الدنيا بأسرها أربعة
ذو القرنين وسليمان وهما مؤمنان
ونمرود وبختنصر وهما كافران
واختلفوا فيه فقيل كان عبدا
صالحا ملكه الارض وأعطاه العلم
والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له
النور والظلمة فاذا سرى يهديه
النور من امامه وتحوطه الظلمة من
ورائه وعن علي رضي الله عنه سخر
له السحاب ومدت له الاسباب
وبسط له النور وأحب الله وأحبه
وسأله ابن الكواء وكان من أصحابه
ماذو القرنين أملك أم نبي فقال
ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا
صالحا ضرب على قرنه الايمن في
طاعة الله أي في جهاده فمات ثم
بعثه الله فضرب على قرنه الايسر
فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين
وفيكم مثله يعني نفسه قالوا وكان
ذو القرنين يدعو الناس الى التوحيد
فيقتلونه فيحييه الله وقيل كان
نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض
والتمكين المعتد به هو النبوة ولقوله
وآتيناه من كل شئ سببا وظاهره
العموم فيكون قد نال أسباب
النبوة ولقوله قلنا يا ذا القرنين اما
أن تعذب وتكليم الله بلا واسطة
لا يصلح الا للنبي وقيل كان ملكا من
الملائكة عن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قوله سأتلو
عليكم أي سأفعل هذا ان وفقني الله تعالى وأنزل فيه وحيا والخطاب في عليكم للسائلين وهم اليهود أو قريش كأبي جهل واضرابه وآتيناه من
كل شئ سببا طريقا موصلا اليه والسبب في اللغة هو الحبل والمراد ههنا كل ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة أو آلة وذلك انه أراد بلوغ
المغرب فاتبع سببا وصله اليه وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا وصلا اليه وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا أدى اليه ثم انه سبحانه شرع في

ثمت مسيره الى المغرب قائلا فاتبع سببا أي سلك طريقا أفضى به الى سفر المغرب ومن قرأ بقطع الهمزة فمعناه اتبع نفسه سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامئة أي حارة ومن قرأ بحذف الالف مهموزا فمعناه ذات حمأة أي طين أسود ولا تنافي بين القراءتين فمن الجائز أن تكون العين جامعة للوصفين عن أبي ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله

ورسوله أعلم قال فانها تغرب في عين حامئة قال حكماء الاسلام قد ثبت بالدلائل اليقينية ان الارض كروية في وسط العالم وان السماء محيطة بها من جميع الجوانب وان الشمس في فلكها تدور بدوران الفلك وأيضا قد وضح ان جرم الشمس أكبر من جرم الارض بمائة وست وستين مرة تقريبا فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الارض فتأويل الآية ان الشمس تشاهد هنالك أعني في طرف العمارة كأنها تغيب وراء البحر الغربي في الماء كما ان راكب البحر يرى الشمس تغيب في الماء لانه لا يرى الساحل ولهذا قال وجدها تغرب ولم يخبر انها تغرب في عين ولا شك ان البحار الغربية قوية السخونة فهي حامئة وأيضا حمئة لكثرة ما في البحار من الطين الاسود أما قوله ووجد عندها قوما فالضمير اما للشمس واما للعين وذلك ان الانسان لما تخيل ان الشمس تغرب هنالك كان سكان ذلك الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس قال ابن جريج هنالك مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها سمع الناس وجوب الشمس حين تجب كانوا كفرة بالله فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وان يتخذ فيهم حسنا وهو تركهم أحياء فاختار الدعوة والاجتهاد فقال أما من ظلم بالاصرار على الشرك فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه عذابا نكرا منكرا فظيعا وروى صاحب الكشاف عن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن يقول آمن أعطاه وكساه وفيه نظر لان العذاب النكر بعد أن يرد الى ربه لا يمكن أن يكون من فعل ذي القرنين ومن قرأ جزاء بالنصب أراد فله الفعلة الحسنى جزاء ومن قرأ بالرفع أراد فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة أو فله ان يجازى المثوبة الحسنى وسنقول له من أمرنا أي مما نأمر به الناس من الزكاة والخراج وغير ذلك يسرا أي قولا ذا يسر ليس بالصعب الشاق ثم حكى سفره الى أقصى المشرق قائلا ثم اتبع سببا أي

حتى حذف ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا) يقول عز ذكره فلما رأى ذو القرنين ان يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بني من الردم ولا يقدرون على نقبه قال هذا الذي بنيته وسويته حاجزا بين هذه الامة ومن دون الردم رحمة من ربي رحم بها من دون الردم من الناس فأعانني برحمته لهم حتى بنيته وسويته ليكف بذلك غائلة هذه الامة عنهم وقوله فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء يقول فاذا جاء وعد ربي الذي جعله ميقاتا لظهور هذه الامة وخروجها من وراء هذا الردم لهم جعله دكاء يقول سواه بالارض فألزقه بها من قولهم ناقة دكاء مستوية الظهر لا سنام لها وانما معنى الكلام جعله مدكوكا فقيل دكاء وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء قال لا أدري الجبلين يعني به أو ما بينهما وذكر ان ذلك يكون كذلك بعد قتل عيسى بن مريم عليه السلام الدجال ذكر الخبر بذلك حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي قال ثنا هشيم بن بشير قال أخبرنا العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر وهو ابن عفازة العبدي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ليلة الاسراء ابراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة وردوا الامر الى ابراهيم فقال ابراهيم لا علم لي بها فردوا الامر الى موسى فقال موسى لا علم لي بها فردوا الامر الى عيسى قال عيسى أما قيام الساعة لا يعلمه الا الله ولكن ربي قد عهد الي بما هو كائن دون وقتها عهد الي أن الدجال خارج وانه مهبطي اليه فذكر ان معه قصبتين فاذا رآني أهلكه الله قال فيذوب كما يذوب الرصاص حتى ان الحجر والشجر ليقول يا مسلم هذا كافر فاقتله فيهلكهم الله ويرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون لا يأتون على شئ الا أكلوه ولا يمرون على ماء الا شربوه فيرجع الناس الي فيشكونهم فادعو الله عليهم فيميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم فينزل المطر فيجر أجسادهم فيلقيهم في البحر ثم ينسف الجبال حتى تكون الارض كالاديم فعهد الي ربي ان ذلك اذا كان كذلك فان الساعة منهم كالحامل المتم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهارا حدثني عبيد بن اسمعيل قال ثنا المحاربي عن أصبغ بن زيد عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن عبد الله بن مسعود قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة فذكر نحو حديث أحمد بن ابراهيم الدورقي عن هشيم وزاد فيه قال العوام بن حوشب فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا وقال فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا يقول وكان وعد ربي الذي وعد خلقه في دك هذا الردم وخروج هؤلاء القوم على الناس وعيثهم فيهم وغير ذلك من وعده حقا لانه لا يخلف الميعاد فلا يقع غير ما وعد انه كائن

۞ القول في تأويل قوله تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) يقول تعالى ذكره وتركنا عبادنا يوم يأتيهم وعدنا الذي وعدناهم بأنا ندك الجبال وننسفها عن الارض نسفا فنذرها قاعا صفصفا بعضهم يموج في بعض

يقول تختلط جنهم بانسهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن هرون بن عنترة عن شيخ من بني فزارة في قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض قال اذا ماج الجن والانس قال ابليس فانا أعلم لكم علم هذا الامر فيظعن الى المشرق فيجد الملائكة قد قطعوا الارض ثم يظعن الى المغرب فيجد الملائكة قد قطعوا الارض ثم يصعد يميناً وشمالاً الى أقصى الارض فيجد الملائكة قطعوا الارض فيقول مامن محيص فبيناهو كذلك اذ عرض له طريق كالشراك فاخذ عليه هو وذريته فبيناهم عليه اذ هجموا على النار فاخرج الله خازناً من خزان النار قال يا ابليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك ألم تكن في الجنان فيقول ليس هذا يوم عتاب لو أن الله فرض علي فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه فيقول فان الله قد فرض عليك فريضة فيقول ماهي فيقول يأمرك ان تدخل النار فيتلكأ عليه فيقول به وبذريته بجناحيه فيقذفهم في النار فتزفر النار زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى لركبتيه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض قال هذا أول يوم القيامة ثم نفخ في الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعاً ونفخ في الصور وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في الصور وماهو وماعني به واخترنا الصواب من القول في ذلك بشواهده المغنية عن اعادته في هذا الموضع غير انا نذكر في هذا الموضع بعض مالم نذكر في ذلك الموضع من الاخبار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال ثنا أسلم عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اعرابياً سأله عن الصور فقال قرن ينفخ فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن سليمان التيمي عن العجلي عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا محمد بن الحارث القنطري قال ثنا يحيى بن أبي بكير قال كنت في جنازة عمر بن ذر فلقيت مالك بن مغول فحدثنا عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم وحنى الجبهة وأصغى بالاذن متى يؤمر فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قولوا حسبنا الله وعلى الله توكلنا ولو اجتمع أهل منى ما أقلوا ذلك القرن كذا قال وانما هو ما أقلوا حدثني أبو السائب قال ثنا حفص عن الحجاج عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى ظهره وجحظ بعينيه قالوا فما نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله توكلنا على الله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عطية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ فيه فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف نقول قال تقولون حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله حدثنا أبو كريب والحسن بن عرفة قالا ثنا اسباط عن مطرف عن عطية عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثني يعقوب قال ثنا شعيب بن حرب قال ثنا خالد أبو العلاء قال ثنا عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالاذن متى يؤمر أن

هيأ أسباباً تليق بسفر المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس أي مكان طلوعها أوجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً عن كعب ان الستر هو الابنية وذلك ان أرضهم لا تمسكها فليس هناك شجر ولا جبل ولا أبنية يمنع شعاع الشمس وتدفع حره عنهم فاذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب لهم واذا غربت اشتغلوا بتحصيل المعاش فحالهم بالضد من أحوال سائر الخلق وعن مجاهد ان الستر الثياب وانهم عراة كالزنج وحال كل من سكن في البلاد الغربية من خط الاستواء كذلك حكى صاحب الكشاف عن بعضهم انه قال خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا أحدهم يفرش اذنه و يلبس الاخرى وحين قرب طلوع الشمس سمعت كهيئة الصلصلة الصاخبة فغشي علي ثم أفقت فلما طلعت الشمس اذا هي فوق الماء كهيئة الذنب فادخلونا سرباً لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك و يطرحونه في الشمس فينضج لهم وللمفسرين في متعلق قوله كذلك وجوه أحدها كذلك أمر ذي القرنين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكناه ماعنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به الثاني لم نجعل لهم ستراً مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الابنية أو الثياب الثالث بلغ مطلع الشمس مثل الذي بلغ من مغربها الرابع تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم فقضى في هؤلاء كما قضى في أولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين وقد سبق بعض هذه الوجوه في الوقوف ثم حكى سفره الى ناحية القطب الشمالي بعد تهيئة أسبابه قائلاً ثم اتبع سبباً حتى اذا بلغ بين السدين قيل السد اذا كان مخلوق الله فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول أي هو مما فعله الله وخلقه واذا كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثاً قاله أبو عبيدة وابن الانباري وانتصب بين على انه مفعول به كما ارتفع بالفاعلية في قوله لقد تقطع بينكم قال الامام فخر الدين الرازي الاظهر ان موضع السدين في ناحية الشمال فقيل جبلان بين ارمينية واذربيجان وقيل في منقطع أرض الترك وحكى محمد بن جرير الطبري في تاريخه ان صاحب اذربيجان أيام فتحها وجه انساناً من ناحية الخزر نشاهده ووصف انه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وقيل ان الواثق رأى في المنام كأنه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه م

وشاهدوه ووصفوا انه بناء من لبن من حديد مشدد من النحاس المذاب وعليه باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول الرجوع أخرجهم الدليل الى البقاع المحاذية لسمرقند قال أبو الريحان البيرونى ومقتضى هذا الخبران هذا الموضع فى الربع الغربى الشمالى من المعمورة والله أعلم بحقيقة الحال ولما بلغ الاسكندر ما بين الجبلين الذين سد ما بينهما وجد من دونهما أى من ورائهما مجاوزا عنهما قريبا قوما لا يكادون يفقهون بانفسهم أو يفقهون غيرهم قولهم لانهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم * سؤال كيف فهم منهم ذو القرنين ان يأجوج

ينفخ ولو أن أهل منى أجمعوا على القرن على أن يقلوه من الارض ماقدروا عليه قال فابلس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليهم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن رافع المدنى عن يزيد بن فلان عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يارسول الله وما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين وقوله فجمعناهم جمعا يقول فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جمعا وقوله وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا يقول وأبرزنا جهنم يوم ينفخ فى الصور فاظهرناها للكافرين بالله حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب ولو جعل الفعل لها قيل أعرضت اذا استبانت كما قال عمرو بن كلثوم

وأعرضت اليمامة واشمخرت * كأسياف بأيدى مصلتينا

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله قال يقوم الخلق لله اذا نفخ فى الصور قيام رجل واحد ثم يتمثل الله عز وجل للخلق فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيأ الا وهو مرفوع له يتبعه قال فيلقى اليهود فيقول من تعبدون قال فيقولون نعبد عزيرا قال فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم فيريهم جهنم وهى كهيئة السراب ثم قرأ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ثم يلقى النصارى فيقول من تعبدون فيقولون نعبد المسيح فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم قال فيريهم جهنم وهى كهيئة السراب ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيأ ثم قرأ عبد الله وقفوهم انهم مسؤلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا) يقول تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين الذين كانوا لا ينظرون فى آيات الله فيتفكرون فيها ولا يتأملون حججه فيعتبرون بها فيتذكرون وينيبون الى توحيد الله وينقادون لامره ونهيه وكانوا لا يستطيعون سمعا يقول وكانوا لا يطيقون ان يسمعوا ذكر الله الذى ذكرهم به وبيانه الذى بينه لهم فى آى كتابه بخذلان الله اياهم وغلبة الشقاء عليهم وشغلهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان فيتعظون به ويتدبرونه فيعرفون الهدى من الضلالة والكفر من الايمان وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لا يستطيعون سمعا قال لا يعقلون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وكانوا لا يستطيعون سمعا قال لا يعقلون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى الآية قال هؤلاء أهل الكفر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء انا

ومأجوج مفسدون فى الارض الخ وأجيب بان كاد نفيه اثبات أو لعله فهم ما فى ضميرهم بالقرائن والاشارات أو بوحى والهام وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقيل مشتقان من أجيج الظليم فى مشيه اذا هرول وتأجج النار اذا تلهبت ومن أجيج الريق أو موج البحر سموا بذلك لشدتهم وسرعة حركتهم وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل والديلم ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة وأثبت لهم مخالب وأضراسا كأضراس السباع اما افسادهم فى الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل يأكلون لحومهم وقيل يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه فهل نجعل لك خرجا وخراجا أى جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال وقيل الخرج ما يخرجه كل أحد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان من البلد كل سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج فى الارض قال ذو القرنين ما مكنى فيه ربى أى جعلنى فيه مكينا ذا مكانة من المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج نظيره قول سليمان فما آتانى الله خير مما آتاكم فاعينونى بقوة بآلات ورجال وضياع وقيل بعمل أصرفه فى هذا المهم ولا اخذه لنفسى والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع وزبر الحديد قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة من قرأ آتونى بالمد فظاهر ومن قرأ ائتونى من الاتيان فعلى حذف باء التعدية والنصب بنزع الخافض ثم ههنا اضمار أى فأتوه بها فوضع بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما على القراآت جانبا الجبلين لانهما يتصادفان أى يتقابلان أفرغ عليه قطرا حذف الاول أصب عليه النحاس

اعتدنا

المذاب وقطراً منصوب بأفرغ والتقدير آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا أجمل ما يستدل به البصريون في أن المختار عند تنازع الفعلين هو اعمال الثاني اذ لو عمل الاول لقال أفرغه عليه يحكى انه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن

أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) يقول عز ذكره أفظن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون الله أولياء يقول كلا بل هم لهم أعداء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء قال يعني من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة وهم عباد الله ولم يكونوا للكفار أولياء وبهذه القراءة أعني بكسر السين من أفحسب بمعنى الظن قرأت هذا الحرف قراء الامصار وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعكرمة ومجاهد انهم قرؤا ذلك أفحسب الذين كفروا بتسكين السين ورفع الحرف بعدها بمعنى أفحسبهم ذلك أي أفكفاهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء من عبادتي وموالاتي كما حدثت عن اسحق بن يوسف الازرق عن عمران بن حدير عن عكرمة أفحسب الذين كفروا قال أفحسبهم ذلك والقراءة التي نقرؤها هي القراءة التي عليها قراء الامصار أفحسب الذين بكسر السين بمعنى أفظن لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا يقول أعددنا لمن كفر بالله جهنم منزلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عنتك ويجادلونك بالباطل ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين اليهود والنصارى هل ننبئكم أيها القوم بالاخسرين أعمالا يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحا وفضلا فنالوا به عطبا وهلاكا ولم يدركوا ما طلبوا كالمشتري سلعة يرجو بها فضلا وربحا فخاب رجاؤه وخسر بيعه ووكس في الذي رجا فضله ۞ واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بذلك فقال بعضهم عنى به الرهبان والقسوس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا المقبري قال ثنا حيوة بن شريح قال أخبرني السكن بن أبي كريمة أن أمه أخبرته انها سمعت أبا جحيفة عبد الله بن قيس يقول سمعت علي بن أبي طالب يقول في هذه الآية قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت حيوة يقول ثني السكن بن أبي كريمة عن أمه أنها أخبرته انها سمعت عبد الله بن قيس يقول سمعت علي بن أبي طالب يقول فذكر نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف عن مصعب بن سعد قال قلت لابي وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أهم الحرورية قال هم أصحاب الصوامع حدثنا فضالة بن الفضل قال قال بزيع سأل رجل الضحاك عن هذه الآية قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا قال هم القسيسون والرهبان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن هلال بن يساف عن مصعب بن سعد قال قال سعد هم أصحاب الصوامع حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مصعب بن سعد قال قلت لسعد يا أبت هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا أهم الحرورية فقال لا ولكنهم أصحاب الصوامع ولكن الحرورية قوم أزاغوا فأزاغ الله قلوبهم ۞ وقال آخرون بل هم جميع أهل الكتابين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد والله رأيته قال العلماء هذا معجز من ذي القرنين لان تلك الزبر الكثيرة اذا صارت كالنار لم يقدر الآدمي على القرب منه وكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين فما اسطاعوا أن يظهروه أي يعلوه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته لما تكرر لفظ الاستطاعة مرارا حذف عنها التاء تخفيفا في الموضعين وأعاد ذكرها بالآخرة تنبيها على الاصل ورجوعا الى البداية ثم قال ذو القرنين هذا السد أو هذا الاقرار والتمكين نعمة من الله عز وجل ورحمة على عباده فاذا جاء أي دنا مجيء القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومن قرأ دكاء بالمد فعلى الوصف أي جعله أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا وهذا آخر حكاية ذي القرنين ثم شرع سبحانه في بقية أخبارهم فقال وتركنا بعضهم يومئذ يموجون أي حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد يروى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم

يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ثم يبعث الله نغفا ودودا يكون في أنوف الابل والغنم فيدخل آذانهم فيموتون وقيل أراد أن قوم السد لما منعوا من الخروج ماج بعضهم في بعض خلفه وقيل الضمير للخلق واليوم يوم القيامة أي وجعلنا الخلق يضطربون ويختلط انسهم وجنهم حيارى ونفخ في الصور من آيات القيامة وسيجيء وصفه ومعنى عرض جهنم ابرازها وكشفها الذين عموا عنها في الدنيا وفي ذلك نوع من العقاب للكفار لما يتداخلهم من الغم والفزع عن ذكرى أي عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم

فأطلق المسبب على السبب أو عن القرآن وتأمل معانيه وصفهم بالعمى عن الدلائل والآيات فأراد أن يصفهم بالصمم عن استماع الحق فقال
وكانوا لا يستطيعون سمعا وهو أبلغ من أن لو قال وكانوا صما لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم الاستطاعة بالكلية
احتجت الاشاعرة بالآية على ان الاستطاعة مع الفعل لانهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا وأجيب بان المراد من نفي الاستطاعة النفرة والاستثقال
ثم أنفذ في التوبيخ والوعيد قائلا أفحسب (٢٤) الذين كفروا والمراد أفظنوا أنهم ينتفعون بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر آيات الله
وتمردهم عن قبول أمره وأمر
رسوله وفيه اضمار تقديره
أفحسبوا اتخاذ عبادي أولياء نافعا
والعباد اما عيسى والملائكة واما
الشياطين الذين يطيعونهم واما
الاصنام أقوال ومن قرأ بسكون
السين فمعناه أفكافيهم ومحسبهم
ان يتخذوهم أولياء على الابتداء
والخبر أو على انه مثل أقائم الزيدان
يريد ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم
عند الله كما حسبوا قال الزجاج النزل
المأوى والمنزل وقيل انه الذي يعد
للضيف فيكون تهكما بهم نحو
فبشرهم بعذاب اما الذين ضل سعيهم
أي ضاع وبطل فعن علي رضي
الله عنه انهم الرهبان كقوله عاملة
ناصبة وروي عنه صلى الله عليه
وسلم ان منهم أهل حروراء وعن
مجاهد أهل الكتاب والتحقيق انه
يندرج فيه كل ما يأتي بعمل خير
لا يبتني على ايمان واخلاص وعن
أبي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال
يوم القيامة هي عندهم في العظم
كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ
وذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة
وزنا قال القاضي ان من غلبت
معاصيه طاعاته صار ما فعله من
الطاعة كأن لم يكن فلا يدخل في
الوزن شيء من طاعاته وهذا مبني
على الاحباط والتكفير وفي قوله
فحبطت أعمالهم اشارة الى ذلك
أو المراد فنزدري بهم ولا يكون لهم
عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما وضع لاهل الحسنات والسيآت من الموحدين ذلك العرب
الذي ذكرناه من أنواع الوعيد جزاؤهم وقوله جهنم عطف بيان الجزاء والسبب فيه انهم ضموا الى الكفر بالله اتخاذ آيات الله واتخاذ
رسله هزأ وتكذيبا ويجوز أن يكون كل من الامرين سببا مستقلا للتعذيب ثم أردف الوعيد بالوعد على عادته عن قتادة الفردوس أوسط
الجنة وأفضلها وعن كعب ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس

مصعب بن سعد قال سألت أبي عن هذه الآية قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في
الحياة الدنيا أهم الحرورية قال لا هم أهل الكتاب اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا بمحمد وأما
النصارى فكفروا بالجنة وقالوا ليس فيها طعام ولا شراب ولكن الحرورية الذين ينقضون عهد الله
من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون فكان
سعد يسميهم الفاسقين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن
ابراهيم بن أبي حرة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه في قوله قل هل ننبئكم بالاخسرين
أعمالا قال هم اليهود والنصارى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن
جريج عن أبي حرب بن أبي الاسود عن زاذان عن علي بن أبي طالب انه سئل عن قوله قل هل ننبئكم
بالاخسرين أعمالا قال هم كفرة أهل الكتاب كان أوائلهم على حق فاشركوا بربهم وابتدعوا في
دينهم الذين يجتهدون في الباطل ويحسبون انهم على حق ويجتهدون في الضلالة ويحسبون انهم
على هدى فضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ثم رفع صوته فقال وما أهل
النهر منهم ببعيد * وقال آخرون بل هم الخوارج ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال
ثنا يحيى عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل قال سأل عبد الله بن الكوا عليا عن قوله قل
هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا قال أنتم يا أهل حروراء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
ثني يحيى بن أيوب عن أبي صخر عن أبي معاوية البجلي عن أبي الصهباء البكري عن علي بن أبي
طالب أن ابن الكوا سأله عن قول الله عز وجل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا فقال علي أنت
وأصحابك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن سلمة بن كهيل
عن أبي الطفيل قال قام ابن الكوا الى علي فقال من الاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال ويلك أهل حروراء منهم حدثنا ابن بشار قال ثنا
محمد بن خالد بن عثمة قال ثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله قال ثني أبو الحويرث عن نافع بن
جبير بن مطعم قال قال ابن الكوا لعلي بن أبي طالب ما الاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا قال أنت وأصحابك * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله عز وجل عنى بقوله هل
ننبئكم بالاخسرين أعمالا كل عامل عملا يحسبه فيه مصيبا وانه لله بفعله ذلك مطيع مرض وهو
بفعله ذلك لله مسخط وعن طريق أهل الايمان به جائر كالرهبانية والشمامسة وأمثالهم من أهل
الاجتهاد في ضلالتهم وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة من أهل أي دين كانوا وقد اختلف
أهل العربية في وجه نصب قوله أعمالا فقال بعض نحويي البصرة يقول نصب ذلك لانه لما أدخل
الالف واللام والنون في الاخسرين لم يوصل الى الاضافة وكانت الاعمال من الاخسرين فلذلك
نصب وقال غيره هذا باب الافعل والفعلى مثل الافضل والفضلى والاخسر والخسرى ولا تدخل فيه
الواو ولا يكون معه مفسر لانه قد انفصل بمن هو كقوله الافضل والفضلى واذا جاء معه مفسر كان
للاول والآخر وقال ألا ترى انك تقول مررت برجل حسن وجها فيكون الحسن للرجل والوجه
وكذلك كثير عقلا وما أشبهه قال وانما جاز في الاخسرين لانه رده الى الافعلة والافعلة قال وسمعت

انما أنارسول ربك لاهب لك غلامازكيا) يقول تعالى ذكره نخافت مريم رسولنا اذ تمثل لها بشرا سويا وظنته رجلا يريدها على نفسها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال خشيت أن يكون انما يريدها على نفسها حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فتمثل لها بشرا سويا فلما رأته فزعت منه وقالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فقالت انى أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك تقول أستجير بالرحمن منك ان تنال منى ما حرمه عليك ان كنت ذا تقوى له تتقى محارمه وتجتنب معاصيه لان من كان لله تقيا فانه يجتنب ذلك ولو وجه ذلك الى انها عنت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تتقى الله فى استجارتى واستعاذتى به منك كان وجها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ولا ترى الا أنه رجل من بنى آدم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن عاصم قال قال ابن زيد وذكر قصص مريم فقال قد علمت ان التقى ذونهية حين قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك يقول تعالى ذكره فقال لها روحنا انما أنا رسول ربك يامريم أرسلنى اليك لاهب لك غلامازكيا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق غير أبى عمرو لاهب لك بمعنى انما أنا رسول ربك يقول أرسلنى اليك لاهب لك غلامازكيا على الحكاية وقرأ ذلك أبو عمرو بن العلاء ليهب لك غلاما زكيا بمعنى أنا رسول ربك أرسلنى اليك ليهب الله لك غلامازكيا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار وهو لاهب لك بالالف دون الياء لان ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين وعليه قراءة قديمهم وحديثهم غير أبى عمرو وغير جائز خلافهم فيما أجمعوا عليه ولا سائغ لاحد خلاف مصاحفهم والغلام الزكى هو الطاهر من الذنوب وكذلك تقول العرب غلام زاك وزكى وعال وعلى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالت أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) يقول تعالى ذكره قالت مريم لجبريل أنى يكون لى غلام من أى وجه يكون لى غلام أمن قبل زوج أتزوج فارزقه منه أم يبتدئ الله فى خلقه ابتداء ولم يمسسنى بشر من ولد آدم بنكاح حلال ولم أك اذ لم يمسسنى منهم أحد على وجه الحلال بغيا بغيت ففعلت ذلك من الوجه الحرام فحملته من زنا كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ولم أك بغيا يقول زانية قال كذلك قال ربك هو على هين يقول تعالى ذكره قال لها جبريل هكذا الامر كما تصفين من انك لم يمسسك بشر ولم تكونى بغيا ولكن ربك قال هو على هين أى خلق الغلام الذى قلت ان أهبه لك على هين لا يتعذر على خلقه وهبته لك من غير فحل يفتحلك وقوله ولنجعله آية للناس يقول وكى نجعل الغلام الذى نهبه لك علامة وحجة على خلقى أهبه لك ورحمة منا يقول ورحمة منا لك ولمن آمن به وصدقه أخلقه منك وكان أمرا مقضيا يقول وكان خلقه منك أمرا قد قضاه الله ومضى فى حكمه وسابق علمه انه كائن منك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى من لا أتهم عن وهب بن منبه وكان أمرا مقضيا أى ان الله قد عزم على ذلك فليس منه بد ۞ القول فى تأويل قوله

ان الله تعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر أو تقول ان الله لا يقدر على الانبات حتى يستعين بالماء ألم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فقال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله قادر على ما يشاء وزالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لضيق قلبها واستيلاء الضعف عليها من الحمل فحين دنا نفاسها أوحى الله اليها أن اخرجى من أرض قومك كيلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى أرض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد أدركها النفاس فألجأها الى أصل نخلة قال جار الله أجاء منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء لا يقال جئت المكان وأجاءه فيه زيد كما يقال بلغته وأبلغنيه ونظيره أتى حيث لم يستعمل الا فى الاعطاء ولم يقل أتيت المكان وآتانيه فلان قلت حاصله تخصيص باء التعدية بعد تعميم والمخاض بفتح الميم وجع الولادة قال الجوهرى مخضت الناقة بالكسر مخاضا مثل سمع سماعا قيل طلبت الجذع لتستقر به وتعتمد عليه عند الولادة روى انه كان جذعا النخلة يابسة فى الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما كتعريف النجم والصعق لكون ذلك الجذع مشهورا هنالك واما للجنس أى جذع هذه الشجرة خاصة أرشدت اليه لتطعم منها الرطب الذى هو خرسة النفساء أى طعامها الموافق لها ولان النخلة أقل الاشياء صبرا على البرد ولا يتم الا باللقاح فكان ظهور ذلك الرطب من ذلك الجذع فى الشتاء من دون لقاح وابارد ليلا على حصول الولد من غير ذكر قال فى الكشاف النسى اسم ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها ونظيره الذبح لما من شأنه ان يذبح وعن يونس ان العرب اذا ارتحلوا قالوا انظروا أنساكم يعنون العصا والقدح والشظاظ ونحوها تمنت لو كانت شيأ لا يعبأ به حقه ان ينسى فى العادة ومعنى منسيا انه قد نسى واطرح فوجد فيه النسيان الذى هو حقه وانما تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء والخجل أو لانهم يبهتوها وهى عارفة ببراءة ساحتها فشق ذلك عليها أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها ومن قرأ نسيا بالفتح فقد قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر ويجوز ان يكون تسمية بالمصدر كالحمل وقرئ نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه أهله لقلته ونزارته فناداها من تحتها الذى هو تحتها أو

انسان تحتها يعني جبريل بناء على انه كان يقبل الولد كالقابلة أو أراد أسفل من مكانها لان مريم كانت أقرب الى الشجرة منه أو كان جبريل تحت الاكمة وهي فوقها فصاح بها لاتحزني وعن الحسن وسعيد بن جبير ان المراد به عيسى لانذكر عيسى أقرب ولان موضع اللوث لا يليق بالملك ولان الصلة يجب ان تكون معلومة للسامع والذى علم كونه حاصلا تحتها هو الولد ويجري القولان فيمن قرأ بكسر الميم وعن عكرمة وقتادة ان الضمير في تحتها للنخلة قوله سريا (٤٢) جمهور المفسرين على ان السرى هو الجدول وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم سمى بذلك لان الماء يسرى فيه وقيل هو من السرو ومعناه سخاء في مروءة ويقال فلان من سروات قومه أى من أشرافهم وجمع السرى سراة وجمع سراة سروات عن الحسن كان والله عبدا سريا حجة هذا القائل ان النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يمكن أن يقال المراد ان النهر تحت أمرها يجرى بأمرها ويقف بأمرها كما في قوله وهذه الانهار تجرى من تحتى لانه خلاف الظاهر وأجيب بان المكان المستوى اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت وأراد ان النهر تحت الاكمة وهي فوقها وأيضا حمل السرى على النهر موافق قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وقوله فكلى واشربي يروى ان جبريل ضرب برجله فظهر ماء عذب وقيل كان هناك ماء جار والاول أقرب لان قوله قد جعل ربك مشعر بالاحداث في ذلك الوقت قال القفال الجذع من النخلة هو الاسفل مادون الرأس الذى عليه الثمرة وقال قطرب كل خشبة في أصل شجرة فهي جذع والباء في قوله بجذع النخلة كالزائد لان العرب تقول هزه وهز به والمعنى حركي جذع النخلة أو افعلى الهز به ورطبا تمييز أو مفعول تساقط على

تعالى (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) وفي هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنه فنفخنا فيها من روحنا بغلام فحملته فانتبذت به مكانا قصيا وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سهل قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل ابن أخي وهب بن منبه قال سمعت وهبا قال لما أرسل الله جبريل الى مريم تمثل لها بشرا سويا فقالت له انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة الى الرحم فاشتملت حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليمانى قال لما قال ذلك يعني لما قال جبريل قال كذلك قال ربك هو على هين الآية استسلمت لامر الله فنفخ في جيبها ثم انصرف عنها حدثنا موسى قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال طرحت عليها جلبابها لما قال جبريل ذلك لها فاخذ جبريل بكميها فنفخ في جيب درعها وكان مشقوقا من قدامها فدخلت النفخة صدرها فحملت فاتتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت انى حبلى قالت مريم أشعرت أيضا انى حبلى قالت امرأة زكريا انى وجدت ما في بطنى يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج يقولون انه انما نفخ في جيب درعها وكمها وقوله فانتبذت به مكانا قصيا يقول فاعتزلت بالذى حملته وهو عيسى وتنحت به عن الناس مكانا قصيا يقول مكانا نائيا قاصيا عن الناس يقال هو بمكان قاص وقصى بمعنى واحد كما قال الراجز

لتقعدن مقعد القصى * منى ذى القاذورة المقلى

يقال منه قصى المكان يقصو قصوا اذا تباعد وأقصيت الشئ اذا أبعدته وأخرته * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فانتبذت به مكانا قصيا قال مكانا نائيا حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله مكانا قصيا قال قاصيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما بلغ ان تضع مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقى منه فاتت أقصاه وقوله فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا يقول تعالى ذكره فجاء بها المخاض الى جذع النخلة ثم قيل لما أسقطت الباء منه أجاءها كما يقال أتيتك بزيد فاذا حذفت الباء قيل آتيتك زيدا كما قال جل ثناؤه آتونى زبر الحديد والمعنى ائتونى بزبر الحديد ولكن الالف مدت لما حذفت الباء وكما قالوا أخرجت به وأخرجته وذهبت به وأذهبته وانما هو أفعل من المجئ كما يقال جاء هو وأجأته أنا أى جئت به ومثل من أمثال العرب شرما أجاءنى الى مخة عرقوب واشاء ويقال شرما يجيئك ويشيئك الى ذلك ومنه قول زهير

وجار سار معتمدا عليكم * أجاءته المخافة والرجاء

حسب القراآت اللازمة والمتعدية وعن الاخفش المراد جواز انتصابه بهزى أى هزى اليك رطبا جنيا بجذع النخلة أى يعني على جذعها والجنى المأخوذ طريا والظاهر انه ما أثمر الا الرطب وقد صار نخلا وقيل انه كان على حاله وانه أثمر مع الرطب غيره قالوا اذا عسر ولادة المرأة لم يكن لها خير من الرطب والتمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذا التحنيك والمراد انه جمع لها فائدتان في السرى والرطب احداهما الاكل والشرب وقدم الاكل مع ان ذكر السرى مقدم لان احتياج النفساء الى أكل الرطب أشد من احتياجها الى شرب الماء لكثرة ما سال

يعنى جاءبه وأجاءه الينا واشاءك من لغة تميم وأجاءك من لغة أهل العالية وانما تاول من تاول ذلك
بمعنى ألجأها لان المخاض لما جاءها الى جذع النخلة كان قد ألجأها اليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله
فاجاءها المخاض قال المخاض ألجأها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن
جريج عن مجاهد قال ألجأها المخاض قال ابن جريج وقال ابن عباس ألجأها المخاض الى جذع النخلة
حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فاجاءها المخاض الى جذع النخلة يقول
ألجأها المخاض الى جذع النخلة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قال اضطرها الى جذع النخلة واختلفوا فى أى المكان الذى انتبذت
مريم بعيسى لوضعه وأجاءها اليه المخاض فقال بعضهم كان ذلك فى أدنى أرض مصر وآخر أرض
الشام وذلك انها هربت من قومها لما حملت فتوجهت نحو مصر هاربة منهم ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد بن سهل قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل انه سمع
وهب بن منبه يقول لما اشتملت مريم على الحمل كان معها قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين
الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم فكانت مريم
ويوسف يخدمان فى ذلك المسجد فى ذلك الزمان وكان لخدمته فضل عظيم فرغبا فى ذلك فكانا يليان
معالجته بانفسهما وكناسته وطهوره وكل عمل يعمل فيه وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشد
اجتهادا وعبادة منهما فكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف فلما رأى الذى بها استفظعه
وعظم عليه وفظع به فلم يدر على ماذا يضع أمرها فاذا أراد يوسف أن يتهمها ذكر صلاحها وبراءتها
وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر عليها فلما اشتد عليه ذلك كلمها
فكان أول كلامه اياها ان قال لها انه قد حدث فى نفسى من أمرك أمر وقد حرصت على ان
أميته وأكتمه فى نفسى فغلبنى ذلك فرأيت الكلام فيه أشفى لصدرى قالت فقل قولا جميلا قال
ما كنت لاقول لك الا ذلك فحدثينى هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل تنبت شجرة من غير غيث
يصيبها قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم ان الله تبارك وتعالى أنبت الزرع
يوم خلقه من غير بذر والبذر يومئذ انما صار من الزرع الذى أنبته الله من غير بذر أولم تعلم ان بقدرته
أنبت الشجر بغير غيث وانه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعدما خلق كل واحد منهما
وحده أم تقول لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته
قال يوسف لها لا أقول هذا ولكنى أعلم ان الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن
فيكون قالت له مريم أولم تعلم ان الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر قال بلى
فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه ان الذى بها شئ من الله تبارك وتعالى وانه لا يسعه أن يسألها عنه
وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه وذلك
لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتو بطنها وضعف قوتها ودأب نظرها ولم

من السماء والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزين لزكريا أوارهاصا لعيسى أوكرامتين لمريم وأشار الى هذه بقوله وقرى عينا لان قرة العين
تلزم قوة القلب والتسلى من الهموم والاحزان وقيل ان ألم النفس أشد من ألم البدن فلم قدم دفع ألم البدن على دفع ألم القلب وأجيب بان
الخوف النفسى كان قليلا لتقدم بشارة جبريل فكان التذكر كافيا فاما ترين أصله ترأيين مثل تسمعين خففت الهمزة وسقطت نون الاعراب
للجزم ثم ياء الضمير للساكنين وذلك بعد لحوق نون التأكيد وقدمر فى قوله اما يبلغن عندك الكبر اذا التأكيد فى هذه الصورة
يقصد به ان الشرط مما سيقع غالبا
فان مريم لابد ان ترى أحدا من
البشر عادة عن أنس بن مالك
الصوم هنا الصمت وعن ابن عباس
مثله وقال أبو عبيدة كل ممسك
عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم
وقيل أراد الصيام الا أنهم كانوا
لا يتكلمون فى صيامهم قال القفال
لعل مثل هذا النذر يجوز فى شرعنا
لان الاحتراز عن كلام البشر بجرد
الفكر لذكر الله تعالى وهو قربة
ولعله لا يجوز لما فيه من التضييق
والتشديد ولا حرج فى الاسلام وفى
الكشاف نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن صوم الصمت
وروى انه دخل أبو بكر الصديق
على امرأة وقد نذرت ان لا تتكلم
فقال أبو بكر ان الاسلام هدم هذا
فتكلمى وفى أمرها بهذا النذر
معنيان أحدهما ان كلام عيسى
أقوى فى ازالة التهمة وفيه ان
تفويض الامر الى الافضل أولى
والثانى ان السكوت عن جدال
السفهاء صون للعرض ومن
أذل الناس سفيه لم يجد مسافها
وكيف أخبرتهم بالنذر قيل
بالاشارة والا لزم النقض وقيل
خص هذا الكلام بالقرينة
العقلية وقوله انسيا أراد المبالغة
فى نفى الكلام أو أراد انى أكلم
الملائكة دون الانس وهذا أشبه
بقوله فاما ترين من البشر فاتت به
أى بعيسى قومها تحمله الجملة حال عن وهب قال أنساها كربة الميلاد وما سمعت من الناس ما كان من بشارة الملائكة فلما كلمها جاءها
مصداق ذلك فاحتملته فاقبلت به الى قومها وعن ابن عباس ان يوسف النجار انتهى بمريم الى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها
ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها تباكوا وقالوا لقد جئت شيأ فريا
بديعا من فرى الجلد وليس فى هذا ما يوجب تعييرا أوذما لان أمرها كان خارجا عن المعتاد ويحتمل ان يراد انه أمر منكر خارج عن طريق

تكن مريم قبل ذلك كذلك فلما دنا نفاسها أوحى الله اليها أن اخرجي من أرض قومك فانهم ان
ظفروا بك عيروك وقتلوا ولدك فافضت ذلك الى أختها وأختها حينئذ حبلى وقد بشرت بيحيى فلما التقتا
وجدت أم يحيى ما في بطنها خر لوجهه ساجدا معترفا لعيسى فاحتملها يوسف الى أرض مصر على حمار له
ليس بينها حين ركبت وبين الاكاف شيء فانطلق يوسف بها حتى اذا كان متاخما لارض مصر في
منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس ألجأها الى أري حمار يعني مذود الحمار وأصل نخلة وذلك في
زمان أحسبه بردا أو حرا الشك من أبي جعفر فاشتد على مريم المخاض فلما وجدت منه شدة التجأت الى
النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة قاموا صفوفا محدقين بها وقد روي عن وهب بن منبه قول
آخر غير هذا وذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن
منبه قال لما حضر ولادها يعني مريم ووجدت ما تجد المرأة من الطلق خرجت من المدينة مغربة من
ايليا حتى تدركها الولادة الى قرية من ايلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم فأجاءها المخاض الى
أصل نخلة اليها مذود بقرة تحتها ربيع من الماء فوضعته عندها * وقال آخرون بل خرجت لما
حضر وضعها ما في بطنها الى جانب المحراب الشرقي منه فأتت أقصاه فألجأها المخاض الى جذع النخلة
وذلك قول السدي وقد ذكر الرواية به قبل حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا حجاج
قال ابن جريج أخبرني المغيرة بن عثمان قال سمعت ابن عباس يقول ما هي الا ان حملت فوضعت
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال وأخبرني المغيرة بن عثمان
ابن عبد الله انه سمع ابن عباس يقول ليس الا ان حملت فولدت وقوله يا ليتني مت قبل هذا ذكر انها
قالت ذلك في حال الطلق استحياء من الناس كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط
عن السدي قال قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا
تقول يا ليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بعل وكنت نسيا منسيا
شيأ نسي فترك طلبه كخرق الحيض التي اذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل شيء نسي
وترك ولم يطلب فهو نسي ونسي بفتح النون وكسرها هما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى
واحد مثل الوتر والوتر والجسر والجسر وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا وبالكسر قرأت عامة
قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وبالفتح قرأه أهل الكوفة ومنه قول الشاعر

كأن لها في الارض نسيا تقصه * اذا ما غدت وان تحدث تبلت

ويعني بقوله تقصه تطلبه لانها كانت نسيته حتى ضاع ثم ذكرته فطلبته ويعني بقوله تبلت تحسن
وتصدق ولو وجه النسي الى المصدر من النسيان كان صوابا وذلك ان العرب فيما ذكر عنها تقول
نسيته نسيانا ونسيا كما قال بعضهم من طاعة الرب وعصي الشيطان يعني وعصيان وكما تقول
آتيته اتيانا واتيا كما قال الشاعر

أتى الفواحش فيهم معروفة * ويرون فعل المكرمات حراما

وقوله منسيا مفعول من نسيت الشيء كأنها قالت ليتني كنت الشيء الذي ألقي فترك ونسي
* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا

الحسين

العفة والصلاح فيكون توبيخا وتوكيدا قولهم يا أخت هرون الآية واختلفوا في هرون فقيل كان أخاها من أبيها من أمثل بني اسرائيل
وهذا أظهر لان حمل اللفظ على الحقيقة أولى من غيره وقيل ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم عنوا هرون النبي أخا موسى عليهما
السلام وكانت من أعقابه في طبقة الاخوة وبينهما ألف سنة وأكثر وعن السدي كانت من أولاده والمراد انها واحدة منهم كما يقال يا أخا
همدان أي يا واحدا منهم وقيل أرادوا رجلا صالحا في زمانها أي كنت عندنا مثله في الصلاح يحكى انه تبع جنازته أربعون
ألفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه وقيل كان رجلا طالحا معلنا بالفسق فنسبوها به وبالتشبيه بسيرته ويروى انهم هموا برجمها فأشارت اليه أي ان عيسى هو الذي يحكم وبم عرفت ذلك اما بان كلمها في الطريق أو بالالهام أو بالوحي الى زكريا أو بقول جبريل على ان أمرها بالسكوت بعد ما سبق من البشارة قيل كان المستنطق لعيسى زكريا وعن السدي لما أشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد من زناها ثم قالوا كيف نكلم من كان في المهد قال جار الله كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح للقريب والبعيد وههنا للزمان القريب عن الحال بدلالة الحال أو هو حكاية حال ماضية أي كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا في المهد حتى نكلم هذا ويحتمل أن يقال كان زائدة نظرا الى أصل المعنى وان كان يفيد زيادة ارتباط مع رعاية الفاصلة أو هي تامة وصبيا حال مؤكدة روى انه كان يرضع فلما سمع مقالتهم ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وتكلم مع جاره وأشار بسبابته قائلا اني عبد الله فكان فيه أولا رد قول النصارى آتاني الكتاب هو الانجيل أو التوراة أي فهمها وقيل أكمل الله عقله واستنبأه
طفلا بل في بطن أمه وقيل أراد انه سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه قد وجد والاول أظهر وصغر الجسم
لا يقدح في كمال العقل وخرق العادة فيه أكثر قالوا ان كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متقدما على التحدي وهو غير جائز ولو
كان نبيا في ذلك الوقت وجب ان يشتغل ببيان الشرائع والاحكام ولو وقع ذلك لاشتهر ونقل والجواب ان بعض معجزات النبي لا بد ان يكون
مقرونا بالتحدي اما الكل فممنوع وبعبارة أخرى لا بد ان يكون مقرونا بفعل خارق عن العادة ولكن كل فعل خارق للعادة فانه لا يلزم اقترانه

بالتصدي وكذا الكلام في بيان الشرائع فان بعض أوقات النبي لابد أن يقترن به التصدي دون كل أوقاته وحالاته على انه أشار الى بعض التكاليف بقوله وأوصاني بالصلاة والزكاة كما يجيء وعن بعضهم انه كان نبيا القوله وجعلني نبيا ولكنه ما كان رسولا لانه ما جاء بالشريعة في ذلك الوقت ومعنى كونه نبيا انه رفيع القدر على الدرجة وضعف بان النبي في عرف الشرع أخص من ذلك ومعنى قوله مباركا أينما كنت نفاعا حيثما كنت روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معلما للخير

الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا لم أخلق ولم أك شيأ حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وكنت نسيا منسيا يقول نسيا نسي ذكري ومنسيا تقول نسي أثره فلا يرى لي أثر ولا عين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكنت نسيا منسيا أي شيأ لا يعرف ولا يذكر حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله وكنت نسيا منسيا قال لا أعرف ولا يدرى من أنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس نسيا منسيا قال هو السقط حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا لم أكن في الارض شيأ قط

القول في تأويل قوله تعالى (فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق فناداها من تحتها بمعنى فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم في تأويله فمن متأول منهم اذا قرأه من تحتها كذلك ومن متأول منهم عيسى وانه ناداها من تحتها بعد ما ولدته وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة فناداها من تحتها بفتح التاء بمعنى فناداها الذي تحتها على أن الذي تحتها عيسى وانه الذي نادى أمه ذكر من قال الذي ناداها من تحتها الملك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت ابن عباس قرأ فناداها من تحتها يعني جبرائيل حدثني عبد الله بن أحمد بن يونس قال أخبرنا عبثر قال ثنا حصين عن عمرو بن ميمون الاودي قال الذي ناداها الملك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة انه قرأ فخاطبها من تحتها حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة انه قرأ فخاطبها من تحتها حدثنا الرفاعي قال ثنا وكيع عن أبيه عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة انه قرأها كذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك فناداها من تحتها قال جبرائيل حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم عن سفيان عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فناداها من تحتها أي من تحت النخلة حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي فناداها جبرائيل من تحتها الا تحزني حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فناداها من تحتها قال الملك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فناداها من تحتها يعني جبرائيل كان أسفل منها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فناداها من تحتها قال ناداها جبرائيل ولم يتكلم عيسى حتى أتت قومها ذكر من قال ناداها عيسى صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فناداها من تحتها قال عيسى بن مريم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم

وضلال كثير من أهل الكتاب باختلافهم فيه لا يقدح في منصبه كما قيل

على نحت القوافي من معادنها
وما على اذا لم تفهم البقر

وهذه سنة الله في أنبيائه ورسله كلهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا روي ان مريم سلمت عيسى الى المكتب فقالت للمعلم أدفعه اليك على ان لا تضربه فقال له اكتب فقال له أي شئ أكتب فقال اكتب أبجد فقال لا أكتب شيأ لا أدري ثم قال ان لم تعلم ماهو فانا أعلمك الالف من آلاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جمال الله والدال من أداء الحق الى الله وقيل البركة أصلها من بروك البعير والمعنى جعلني ثابتا في دين الله مستقرا فيه وقيل البركة هي الزيادة والعلو فكانه قال جعلني في جميع الاشياء غالبا مفلحا الى ان يكرمني الله بالرفع الى السماء عن قتادة انه رأته امرأة وهو يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن حملتك وثدي أرضعت به فقال عيسى عليه السلام مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يك جبارا شقيا وأوصاني بالصلاة والزكاة أي بادائهما ما في وقتهما المعين وهو وقت البلوغ واما في الحال بناء على انه كان مع صغره كامل العقل تام التركيب بحيث يقوى على أداء التكاليف ويؤيده قوله ما دمت حيا وقيل الزكاة ههنا صدقة الفطر وقيل تطهير البدن من دنس الآثام وقيل أوصاني بان آمركم بهما وفي قوله وبرا بوالدتي دلالة واشارة الى تبرئة أمه من الزنا والالم يكن الرسول المعصوم مأمورا بالبربها قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا قوله وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ولا تجد سيئ الملكة الا مختالا فخورا وقرأ وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وانما نفى عن عيسى الشقاوة ولم ينف عنه المعصية كما نفى عن يحيى لما جاء في الخبر ما أحد من بني آدم الا أذنب أو هم بذنب الا يحيى بن زكريا ومن عقائد أهل السنة ان الانبياء معصومون

قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن فناداها من تحتها ابنها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال الحسن هو ابنها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه فناداها عيسى من تحتها ألا تحزني حدثني ابن حميد وأحمد بن المغيرة الحمصي قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا محمد بن مهاجر عن ثابت بن عجلان عن سعيد بن جبير قوله فناداها من تحتها قال عيسى أما تسمع الله يقول فأشارت اليه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فناداها من تحتها قال عيسى ناداها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا حدثت عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي عن أبي بن كعب قال الذي خاطبها هو الذي حملته في جوفها ودخل من فيها * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال الذي ناداها ابنها عيسى وذلك انه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل فرده على الذي هو أقرب اليه أولى من رده على الذي هو أبعد منه ألا ترى انه في سياق قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا يعني به فحملت عيسى فانتبذت به ثم قيل فناداها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه ولعلة أخرى وهي قوله فأشارت اليه ولم تشر اليه ان شاء الله الا وقد علمت انه ناطق في حاله تلك وللذي كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته اياها بقوله لها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وما أخبر الله عنه انه قال لها أشيري للقوم اليه ولو كان ذلك قولا من جبرائيل لكان خليقا أن يكون في ظاهر الخبر مبينا ان عيسى سينطق ويحتج عنها للقوم وأمر منه لها بأن تشير اليه للقوم اذا سألوها عن حالها وحاله فاذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذي بينا فبين ان كلتا القراءتين أعني من تحتها بالكسر ومن تحتها بالفتح صواب وذلك انه اذا قرئ بالكسر كان في قوله فناداها ذكر من عيسى واذا قرئ من تحتها بالفتح كان الفعل لمن وهو عيسى فتأويل الكلام اذا فناداها المولود من تحتها ألا تحزني يا أمه قد جعل ربك تحتك سريا كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فناداها من تحتها ألا تحزني قالت وكيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج فأقول من زوج ولا مملوكة فأقول من سيدي أي شيء عذري عند الناس يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لها عيسى أنا أكفيك الكلام * واختلف أهل التأويل في المعني بالسري في هذا الموضع فقال بعضهم عني به النهر الصغير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قد جعل ربك تحتك سريا قال الجدول حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت البراء يقول في هذه الآية قد جعل ربك تحتك سريا قال الجدول حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قد جعل ربك تحتك سريا وهو نهر عيسى حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال السري النهر الذي كان تحت مريم حين ولدته كان يجري يسمى سريا

حدثني

عن الكبائر دون الصغائر قوله والسلام علي قالت العلماء انما عرف السلام ههنا بعد تنكيره في قصة يحيى لان النكرة اذا تكررت تعرفت على ان تعريف الجنس قريب من تنكيره وقيل ان الاول من الله والقليل عنه كثير قليل منك يكفيني ولكن * قليلك لا يقال له قليل واني لأرضى منك يا هند بالذي * لو أبصره الواشي لقرت بلابله بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى * وبالوعد حتى يسام الوعد آمله والثاني من عيسى والكثير منه لا يبلغ معشار سلام الله عن بعضهم ان عيسى عليه السلام قال ليحيى أنت خير مني سلم الله عليك وسلمت على نفسي وأجاب الحسن بأن تسليمه على نفسه هو تسليم الله عليه وقال جار الله في هذا التعريف تعريض باللعنة على متهمي مريم وأعدائها من اليهود لانه اذا زعم ان جنس السلام خاصته فقد عرض بأن ضده عليهم نظيره في قصة موسى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى يروى انه كلمهم بهذه الكلمات ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وعن اليهود والنصارى انهم أنكروا تكلم عيسى في المهد قائلين ان هذه الواقعة مما يتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لاشتهرت وتواترت مع شدة غلو النصارى فيه وفي مناقبه وأيضا ان اليهود مع شدة عداوتهم له لو سمعوا كلامه في المهد بالغوا في قتله ودفعه في طفوليته وأجاب المسلمون من حيث العقل بأنه لولا كلامه الذي دلهم على براءتها من الذي قذفوها به لاقاموا عليها الحد ولم يتركوها ولعل حاضري كلامه قليلون فلذلك لم يبلغ مبلغ التواتر ولعل اليهود لم يحضروا هناك فلذلك لم يشتغلوا وقتئذ بدفعه والله أعلم ذلك الموصوف بالصفات المذكورة من قوله اني عبد الله الى آخره هو عيسى بن مريم وفي كونه ابنا لهذه المرأة نفي كونه ابنا لله على ما زعمت الضالة وأكد هذا المعنى بقوله قول الحق فان كان الحق هو اسم الله فهو كقوله كلمة الله وانتصابه على المدح وان كان بمعنى الثابت والصدق فانتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة كقولك هو عبد الله الحق وقول الحق من اضافة الموصوف الى الصفة مثل حق اليقين وقد مر آنفا ارتفاعه على انه خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدأ محذوف ومعنى تمترون تشكون من المرية الشك أو المراد يتمارون من المراء اللجاج وذلك ان اليهود قالوا

ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة ثم صرح ببطلان معتقدهم فقال ما كان لله ما صح له وما استقام أن يتخذ من ولد كما لا يستقيم
ان يكون له شريك وقد مر مثل هـذه الآية في سورة البقرة والذي نزيده ههنا ان بعضهم قال معنى الآية ما كان لله ان يقول لاحد انه ولدي
لان هذا الخبر كذب والكذب لا يليق بحكمته تعالى وزعم الجبائي بناء على هذا التفسير انه ليس لله أن يفعل كل شئ لان قوله ما كان لله أن
يتخذ من ولد كقولنا ما كان لله أن يظلم فلا يليق شئ منهما بحكمته وكمال الهيبة وأجيب بان الكذب على الله محال والظلم تصرف
في ملك الغير فلا يتصور في حقه فان أردتم هذا المعنى فلا نزاع وان أردتم معنى آخر فالدليل على استحالته احتج بعض الاشاعرة بالآية على قدم كلام الله لان قوله كن ان كان قديما فهو المطلوب وان كان محدثا احتاج في حدوثه الى قول آخر وتسلسل واستدلت المعتزلة بها على حدوث كلامه قالوا ان قوله اذا قضى للاستقبال وذلك القول متأخر عن القضاء المحدث والمتأخر عن المحدث محدث وأيضا الفاء في فيكون للتعقيب والقول متقدم عليه بلا فصل والمتقدم على المحدث بزمان قليل محدث وكلا الاستدلالين ضعيف لانه لا نزاع في حدوث الحروف وانما النزاع في كلام النفس وأيضا قوله كن عبارة عن نفاذ قدرته ومشيئته والا فليس ثم قول لان الخطاب مع المعدوم عبث ومع الموجود تحصيل الحاصل ومن الناس من زعم ان المراد من قوله كن هو صفة التكوين فانها زائدة على صفة القدرة لانه قادر على عوالم أخر سوى هذا وغير مكون لها ولعل هذا الزاعم سمى تعلق القدرة بالمقدور تكوينا ومن قرأ وان الله بالفتح فمعناه ولان الله ربي وربكم فاعبدوه وفيه ان الربوبية هي سبب العبادة فمن لم تصح ربوبيته لم يستحق ان يعبد ولا رب بالحقيقة الا
الله لانتهاء جميع الوسائط والاسباب اليه فلا يستحق العبادة الا هو وههنا نكتة هي ان الله تعالى لا يصح أن يقول ان الله ربي وربكم فاعبدوه
فالتقدير قل يا محمد بعد اظهار البراهين الباهرة على ان عيسى عبد الله ان الله ربي وربكم وقال أبو مسلم الاصفهاني انه من تتمة كلام عيسى
وما بينهما اعتراض وعن وهب بن منبه عهد اليهم حين أخبرهم عن حاله وصفته ان كنا عبيد الله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم أي من بين
أهل الكتاب قال الكلبي هم اليهود والنصارى وقيل النصارى اختلفوا ثم اتفقوا على أن يرجعوا الى علماء زمانهم وهم يعقوب ونسطور

حدثني أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن عمرو بن ميمون الاودي قال في هذه الآية قد جعل ربك تحتك سريا قال السرى نهر يشرب منه **حدثنا** يعقوب وأبو كريب قالا ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمرو بن ميمون في قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال هو الجدول **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سريا قال نهر بالسريانية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج نهر الى جنبها **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن قتادة عن الحسن في قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال كان سريا فقال حميد بن عبد الرحمن ان السرى الجدول فقال غلبتنا عليك الامراء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قد جعل ربك تحتك سريا قال هو الجدول النهر الصغير وهو بالنبطية سرى **حدثني** أبو حميد الحمصي قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا محمد بن مهاجر عن ثابت بن عجلان قال سألت سعيد بن جبير عن السرى قال نهر **حدثنا** أبو كريب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال النهر الصغير **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم انه قال هو النهر الصغير يعني الجدول يعني قوله قد جعل ربك تحتك سريا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال جدول صغير بالسريانية **حدثت** عن الحسن قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله تحتك سريا الجدول الصغير من الانهار **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد جعل ربك تحتك سريا والسرى هو الجدول تسميه أهل الحجاز **حدثنا** الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله سريا قال هو جدول **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قد جعل ربك تحتك سريا يعني ربيع الماء **حدثنا** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قد جعل ربك تحتك سريا والسرى هو النهر * وقال آخرون عنى به عيسى ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قد جعل ربك تحتك سريا والسرى عيسى نفسه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد جعل ربك تحتك سريا يعني نفسه قال وأي شئ أسرى منه قال والذين يقولون السرى هو النهر ليس كذلك النهر لو كان النهر لكان انما يكون الى جنبها ولا يكون النهر تحتها * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قيل من قال عني به الجدول وذلك انه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذي جعله عندها وقال لها وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي من هذا الرطب واشربي من هذا الماء وقري عينا بولدك والسرى معروف من كلام العرب انه النهر الصغير ومنه قول لبيد

فتوسطا عرض السرى وصدعا * مسجورة متجاورا أقلامها

ويروى وحسامسجورة ويروى أيضا فغادرا وقوله وهزي اليك بجذع النخلة ذكر ان الجذع كان جذعا يابسا وأمرها ان تهزه وذلك في أيام الشتاء وهزها اياه كان تحريكه كما **حدثني** يونس قال

ومايكافقيل الأول ماتقول فى عيسى فقال هو الله هبط الى الأرض فخلق وأحيى ثم صعد الى السماء فتبعه على ذلك خلق كثير وهم اليعقوبية
وسئل الثانى فقال هو ابن الله فتابعه جم غفير وهم النسطورية وسئل الثالث فقال كذبوا وانما كان عبدا مخلوقا نبيا يطعم و ينام فصارا
خصمه وهو المؤمن المسلم وقيل كانوا أربعة والرابع اسمه اسرائيل فقال هو اله وأمه اله والثلاثة أقانيم والروح واحد واعلم ان بحث الحلول
والاتحاد فيه طول وقد يتجر الكلام فيه الى مقامات يصعب الترقى اليها فلذلك ضل فيه من ضل وزل عنه من زل والله سبحانه
أعلى من جميع ذلك وأجل فويل
للذين كفروا من مشهد يوم عظيم
أى من شهودهم هذا الجزاء
والحساب فى ذلك اليوم أو من
زمان شهودهم أو من مكان
شهودهم فيه وهو الموقف و يحتمل
ان يكون المشهد من الشهادة أى
من يشهد عليهم الملائكة والانبياء
أو جوارحهم فيه بالكفر والقبائح
أو من مكان الشهادة أو وقتها وقيل
هو ماقالوه وشهدوا به فى عيسى
وأمه يوم ولادته ومعنى من التعليل
أى الويل لهم من أجل المشهد
وبسببه قال أهل البرهان
انما قال ههنا فويل للذين كفروا
وفى حم الزخرف فويل للذين
ظلموا لان الكفر أبلغ من الظلم
وقصة عيسى فى هذه السورة
مشروحة وفيها ذكر نسبتهم اياه
الى الله حتى قال ما كان لله أن يتخذ
من ولد فذكر بلفظ الكفر وقصتهم
فى الزخرف مهملة فوصفهم بلفظ
دونه وهو الظلم قلت و يحتمل ان
يقال الظلم اذا أريد به الشرك كان
أخص من الكفر فعمم أولا ثم
خصص لان البيان بالمقام الثانى أليق
أسمع بهم وأبصر صيغتان للتعجب
والمراد ان هاتين الحاستين منهم
جديران يتعجب منهما فى ذلك
اليوم بعد ما كانوا صما وعميا فى
الدنيا وذلك لكشف الغطاء ولحاق
العيان بالخبر والتعجب استعظام
الشئ بسبب عظمه ثم جوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب أو من غير سبب قال
سفيان قرأت عند شريح بل عجبت و يسخرون فقال ان الله لا يعجب من شئ انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابراهيم النخعى فقال ان شريحا
شاعر يعجبه علمه وعبد الله أعلم بذلك منه والمعنى انه صدر من الله فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب فى قلوبهم وقيل معنى
الآية التهديد أى سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم وقيل أراد أسمع بهؤلاء وأبصر أى عرفهم مآل القوم الذين يأتوننا ليعتبروا وينزجروا

أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة قال حركها ذكر من قال ذلك
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وهزى
اليك بجذع النخلة قال كان جذعا يابسا فقال لها هزيه تساقط عليك رطبا جنيا حدثنا ابن حميد
قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقول كانت نخلة يابسة حدثنى
محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت
وهب بن منبه يقول فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة فكان الرطب يتساقط عليها وذلك فى الشتاء
حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى وهزى اليك بجذع النخلة
وكان جذعا منها مقطوعا فهزته فاذا هو نخلة وأجرى لها فى المحراب نهر فتساقطت النخلة رطبا جنيا
فقال لها كلى واشربى وقرى عينا * وقال آخرون بل معنى ذلك وهزى اليك بالنخلة ذكر من قال
ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال قال مجاهد فى قوله وهزى
اليك بجذع النخلة قال النخلة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عيسى بن
ميمون عن مجاهد فى قوله وهزى اليك بجذع النخلة قال العجوة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم
قال أخبرنا حصين عن عمرو بن ميمون انه تلا هذه الآية وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا
جنيا قال فقال عمرو ما من شئ خير للنفساء من التمر والرطب وأدخلت الباء فى قوله وهزى اليك بجذع
النخلة كما يقال زوجتك فلانة وزوجتك بفلانة وكما قال تنبت بالدهن بمعنى تنبت الدهن وانما تفعل
العرب ذلك لان الافعال يكنى عنها بالباء فيقال اذا كنيت عن ضربت عمرا فعلت به وكذلك كل فعل
فلذلك تدخل الباء فى الافعال وتخرج فيكون دخولها وخروجها بمعنى فمعنى الكلام وهزى اليك
جذع النخلة وقد كان لو أن المفسرين كانوا فسروه كذلك وهزى اليك رطبا بجذع النخلة بمعنى على
جذع النخلة وجها صحيحا ولكن لست أحفظ عن أحد انه فسره كذلك ومن الشاهد على دخول الباء
فى موضع دخولها وخروجها منه سواء قول الشاعر

بواديمان ينبت السدر صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان

واختلفت القراء فى قراءة قوله تساقط فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة تساقط بالتاء
من تساقط وتشديد السين بمعنى تتساقط عليك النخلة رطبا جنيا ثم تدغم احدى التاءين فى الاخرى
فتشدد وكان الذين قرؤا ذلك كذلك وجهوا معنى الكلام الى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط
النخلة عليك رطبا وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة تساقط بالتاء وتخفيف السين ووجه معنى الكلام
الى مثل ما وجه اليه مشددوها غير انهم خالفوهم فى القراءة وروى عن البراء بن عازب انه قرأ ذلك
يساقط بالياء حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن جرير بن حازم
عن أبى اسحق قال سمعت البراء بن عازب يقرأه كذلك وكانه وجه معنى الكلام الى وهزى اليك بجذع
النخلة يساقط الجذع عليك رطبا جنيا وروى عن أبى نهيك انه كان يقرأه تسقط بضم التاء
واسقاط الالف حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت
أبا نهيك يقرأه كذلك وكانه وجه معنى الكلام الى تسقط النخلة عليك رطبا جنيا * قال أبو جعفر

والصواب

عن الاتيان بمثل فعلهم وقال الجبائي يجوز ان يراد أسمع الناس بهؤلاء وأبصرهم ليعتبروا بسوء عاقبتهم والوجه هو الاول يؤيده قوله لكن الظالمون أي لكنهم فوضع المظهر موضع المضمر اليوم وهو يوم التكليف في ضلال مبين حيث أغفلوا النظر والاستماع وتركوا الجد والاجتهاد في تحصيل الزاد للمعاد وهو يوم الحسرة لتحسر أهل النار فيه وقيل أهل الجنة أيضا اذا رأى الادنى مقام الاعلى والاول أصح لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة لانها دار السرور واذ بدل من يوم الحسرة (٤٩) أو منصوب بالحسرة ومعنى قضى الامر فرغ من

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال ان هذه القرا آت الثلاث أعني تساقط بالتاء وتشديد السين و بالياء وتخفيف السين و بالياء وتشديد السين قرا آت متقاربات المعاني قد قرأ بكل واحدة منهن قراء أهل معرفة بالقرآن فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه وذلك ان الجذع اذا تساقط رطبا وهو ثابت غير مقطوع فقد تساقطت النخلة رطبا واذا تساقطت النخلة رطبا فقد تساقطت النخلة بأجمعها جذعها وغير جذعها وذلك ان النخلة مادامت قائمة على أصلها فانما هي جذع وجريد وسعف فاذا قطعت صارت جذعا فالجذع الذي أمرت مريم بهزه لم يذكر أحد نعلمه انه كان جذعا مقطوعا غير السدي وقد زعم انه عاد بهزها اياه نخلة فقد صار معناه ومعنى من قال كان المتساقط عليها رطبا نخلة واحدا فتبين بذلك صحة ما قلنا وقوله جنيا يعني مجنيا وانما كان أصله مفعولا فصرف الى فعيل والجني المأخوذ طريا وكل ما أخذ من ثمرة أو نقل من موضعه بطراوته فقد اجتني وكذلك قيل فلان يجتني الكمأة ومنه قول ابن أخت جذيمة

هذا جناي وخياره فيه ✽ اذ كل جان يده الى فيه

القول في تأويل قوله تعالى (فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) يقول تعالى ذكره فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك واشربي من ماء السري الذي جعله ربك تحتك ولا تخشي جوعا ولا عطشا وقري عينا يقول وطيبي نفسا وافرحي بولادتك اياي ولا تحزني ونصبت العين لانها هي الموصوفة بالقرار وانما معنى الكلام ولتقر عينك بولدك ثم حول الفعل عن العين الى المرأة صاحبة العين فنصبت العين اذ كان الفعل لها في الاصل على التفسير نظير ما فعل بقوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وانما هو فان طابت أنفسهن لكم وقوله وضاق بهم ذرعا ومنه قوله يساقط عليك رطبا جنيا انما هو يساقط عليك رطب الجذع فحول الفعل الى الجذع في قراءة من قرأه بالياء وفي قراءة من قرأه تساقط بالتاء معناه يساقط عليك رطب النخلة ثم حول الفعل الى النخلة ✽ وقد اختلفت القراء في قراءة قوله وقري فاما أهل المدينة فقرؤه وقري بفتح القاف على لغة من قال قررت بالمكان أقربه وقررت عينا أقربه قرورا وهي لغة قريش فيما ذكر لي وعليها القراءة وأما أهل نجد فانها تقول قررت به عينا أقر به قرارا وقررت بالمكان أقر به فالقراءة على لغتهم وقري عينا بكسر القاف والقراءة عندنا على لغة قريش بفتح القاف وقوله فاما ترين من البشر أحدا يقول فان رأيت من بني آدم أحدا يكلمك أو يسائلك عن شئ من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتكه فقولي اني نذرت للرحمن صوما يقول فقولي اني أوجبت على نفسي لله صمتا أن لا أكلم أحدا من بني آدم اليوم فلن أكلم اليوم انسيا ✽ وبنحو الذي قلنا في معنى الصوم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا معتمر ابن سليمان عن أبيه قال سمعت أنس بن مالك يقول في هذه الآية اني نذرت للرحمن صوما صمتا حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا حجاج قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني المغيرة بن عثمان قال سمعت أنس بن مالك يقول اني نذرت للرحمن صوما قال صمتا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اني نذرت للرحمن صوما قال يعني

الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال يؤتى بالموت فيذبح كما يذبح الكبش والفريقان ينظران فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرح وأهل النار غما الى غم قال أرباب المعقول ان الموت عرض فلا يمكن ان يصير حيوانا فالمراد انه لا موت بعد ذلك عن الحسن وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وقوله وأنذرهم اعتراض ويحتمل ان يتعلق بأنذرهم أي أنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين و يحتمل ان يكون اذ ظرفا للانذر أي أنذرهم حين قضى الامر ببيان الدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب ثم أخبر عنهم انهم في غفلة وهم لا يؤمنون ثم قرر بقوله انا نحن نرث ان أمور الدنيا كلها تزول وان الخلق كلهم يرجعون الى حيث لا علك الحكم الا الله وفيه من التخويف والانذار ما فيه ✽ التأويل واذكر في الكتاب الازلي مريم القلب اذا انتبذت من أهلها تفردت من أهل الدنيا متوجها الى جانب شروق النور الالهي فاتخذت من دونهم حجاب الخلق والعزلة وأرسلنا النهار وحنا وهو نور الالهام الرباني والخاطر الرحماني كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا فتمثل لها بشرا سويا كما تمثل روح التوحيد بحروف لا اله الا الله لانتفاع الخلق به قالت اني أعوذ بالرحمن منك ظنا منها انه يشغلها عن الله قال انما أنا رسول الوارد الرباني لاهب لك غلاما زكيا طاهرا عن لوث الظلمة الانسية وهو النفس المطمئنة القدسية ولم يمسسني بشر خاطر من عالم البشرية ولم أك بغيا أطلب غير ما خلقت لاجله وهو التوجه الى عالم الروح المجرد فحملته بالقوة القريبة من الفعل فانتبذت به مكانا قصيا الافتقاره الى العبور على منازل الشريعة والطريقة فأجاءها المخاض الطلب

بالصوم الصمت حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي قال سمعت أنسا قرأ انى نذرت للرحمن صوما وصمتا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة انى نذرت للرحمن صوما أما قوله صوما فانها صامت من الطعام والشراب والكلام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله نذرت للرحمن صوما قال كان من بنى اسرائيل من اذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام الا من ذكر الله فقال ذلك لها الذلك فقالت انى أصوم من الكلام كما أصوم من الطعام الا من ذكر الله فلما كلموها أشارت اليه فقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فاجابهم فقال انى عبد الله آتانى الكتاب حتى بلغ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون * واختلفوا فى السبب الذى من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر فقال بعضهم أمرها بذلك لانه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة وذلك أنها جاءت وهى أيم بولد فامرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها ذكر من قال ذلك حدثنا هرون بن اسحق الهمدانى قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن حارثة قال كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ما شأنك فقال أصحابه حلف أن لا يكلم الناس اليوم فقال عبد الله كلم الناس وسلم عليهم فان تلك امرأة علمت ان أحدا لا يصدقها انها حملت من غير زوج يعنى بذلك مريم عليها السلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال لما قال عيسى لمريم لا تحزنى قالت وكيف لا أحزن وأنت معى لا ذات زوج ولا مملوكة أى شئ عذرى عند الناس ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لها عيسى أنا أكفيك الكلام فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا قال هذا كله كلام عيسى لامه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فانى سأكفيك الكلام * وقال آخرون انما كان ذلك آية لمريم وابنها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله انى نذرت للرحمن صوما قال فى بعض الحروف صمتا وذلك انك لا تلقى امرأة جاهلة تقول نذرت كما نذرت مريم ألا تكلم يوما الى الليل وانما جعل الله تلك آية لمريم ولابنها ولا يحل لاحد ان ينذر صمت يوم الى الليل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقرأ انى نذرت للرحمن صوما وكانت تقرأ فى الحرف الاول صمتا وانما كانت آية بعثها الله لمريم وابنها * وقال آخرون بل كانت صائمة فى ذلك اليوم والصائم فى ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس فاذن لمريم فى قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهى صائمة ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فاما ترين من البشر أحدا يكلمك فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فكان من صام فى ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسى فقيل لها لا تزيدى على هذا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) يقول تعالى ذكره فلما قال ذلك عيسى لامه اطمأنت نفسها وسلمت لامر الله وحملته حتى أتت به قومها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق

والتعب الى جذع النخلة وهى كلمة لا اله الا الله التى كان أصلها ثابتا فى أرض نفسها قالت ياليتنى مت قبل هذا قال بعض أهل التحقيق هذه كلمة يذكرها الصالحون عند اشتداد الامر عليهم قال على عليه السلام يوم الجمل ياليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت بلالا لم تلده أمه وقيل ان مريم قالت ذلك لعلمها بان الله تعالى يدخل النار خلقا كثيرا بسبب تهمتها او بسبب الغلو والتقصير فى حق ابنها قلت ان مريم القلب قالت ياليتنى مت عن اللذات الجسمية قبل هذا الوقت الذى فزت باللذات الحقيقية وكنت نسيا منسيا فان الخمول راحة والشهرة آفة فناداها بلسان الحال من تحت تصرفها من آلات القوى ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك أى تحت تصرفك سريا هو الغلام الموعود أو جدول الكشوف والعلوم الدينية وهزى اليك بجذع النخلة بالمداومة على الذكر تساقط عليك رطبا جنيا من المشاهدات والمكاشفات حالا فحالا فكلى واشربى من خوان الافضال وبحر النوال من مادته أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وقرى عينا بانوار الجمال فى حجرة الوصال فاما ترين من السوانح البشرية أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما كما قيل الدنيا يوم ولنا فيه صوم أى عن الالتفات بغير الله فاتت به قومها من عادة الجهال انكار أحوال أهل الكمال يا أخت هرون النفس المطمئنة أو الامارة بناء على ان هرون كان صالحا أو طالحا ما كان أبوك وهو الروح المفارق امرأ سوء وما كانت أمك وهى القالب بغيا تستأنس الى غير عالم الطبيعة التى خلقت لاجلها فاشارت اليه فيه ان هذا القوم هم أهل الاشارات فى المهد مهد السر وذلك المتولد من نفخ الروح فى مريم القالب ليس ابنا لله ولا محلا له ولا نفسه فاختلف الاحزاب فقوم عبدوا الله لاجله وقوم عبدوه طمعا فى جنته وقوم عبدوا الهوى وذلك قوله فويل للذين كفروا أسمع بهم أى باهل الله وأبصر يوم يأتوننا الا انهم بانه يسمعون وبه يبصرون (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه

عن

عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال أنساها يعني مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى حتى اذا كلمها يعني عيسى وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به الى قومها وقال السدى في ذلك ما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال لما ولدته ذهب الشيطان فاخبر بني اسرائيل ان مريم قد ولدت فاقبلوا يشتدون فدعوها فأتت به قومها تحمله وقوله قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا يقول تعالى ذكره فلما رأوا مريم ورأوا معها الولد الذى ولدته قالوا لها يا مريم لقد جئت بأمر عجيب وأحدثت حدثا عظيما وكل عامل عملا أجاده وأحسنه فقد فراه كما قال الراجز

قد أطعمتني دقلا حجريا * قد كنت تفرين به الفريا

* وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى فريا قال عظيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لقد جئت شيأ فريا قال عظيما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى لقد جئت شيأ فريا قال عظيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال لما رأوها ورأوه معها قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا أى الفاحشة غير المقاربة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) اختلف أهل التأويل في السبب الذى من أجله قيل لها يا أخت هرون ومن كان هرون هذا الذى ذكره الله وأخبر انهم نسبوا مريم الى أنه أخته فقال بعضهم قيل لها يا أخت هرون نسبة منهم لها الى الصلاح لان أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هرون وليس بهرون أخي موسى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يا أخت هرون قال كان رجلا صالحا في بني اسرائيل يسمى هرون فشبهوها به فقالوا يا شبيهة هرون في الصلاح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا قال كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرف بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هرون مصلحا محببا في عشيرته وليس بهرون أخي موسى ولكنه هرون آخر قال وذكر لنا انه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمون هرون من بني اسرائيل حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبي صدقة عن محمد بن سيرين قال نبئت ان كعبا قال ان قوله يا أخت هرون ليس بهرون أخي موسى قال فقالت له عائشة كذبت قال يا أم المؤمنين ان كان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر والا فاني أجد بينهما ستمائة سنة قال فسكتت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أخت هرون قال اسم واطأ أسماء كم بين هرون وبينهما من الامم أمم كثيرة حدثنا أبو كريب وابن المثنى وسفيان ابن وكيع وأبو السائب قالوا ثنا عبد الله بن ادريس الاودى قال سمعت أبي يذكر

كان بي حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا)

القرا آت ربي انه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو مخلصا بفتح اللام حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بكسرها ابراهام وما بعده هشام والاخفش عن ابن ذكوان اذا يتلى بالياء الفضائية وكذلك في سورة الحج قتيبة نورث بالتشديد رويس

* الوقوف ابراهيم ط نبيا ه شيأ ه سويا ه لا تعبد الشيطان ط عصيا ه وليا ه يا ابراهيم ج وقد يوصل ويوقف على آلهتي مليا ه سلام عليك ج للابتداء بسين الاستقبال مع ان القائل واحد لك ربي ط حفيا ه وادعو ربي ز لانقطاع النظم والوصل أولى لان عسى لطمع الاجابة فيوصل بالدعاء شقيا ه من دون الله لا لان ما بعده جواب لما ويعقوب ط نبيا ه عليا ه موسى ز للابتداء بان مع ان المراد بالذكر اخلاص موسى نبيا ه نجيا ه نبيا ه اسمعيل ز لما مر نبيا ج للآية مع العطف والزكاة ص مرضيا ه ادريس ز نبيا ه عليا ه مع نوح ز على تقدير ومن ذريته ابراهيم وما بعده قوم اذا تتلى عليهم وكذا وجه من وقف على ذرية

آدم أو على اسرائيل والاصح ان الكل عطف على ذرية آدم والوقف على قوله واجتبينا ط لئلا يحتاج الى الحذف وليرجع ثناء السجود والبكاء الى الكل وبكيا ه غيا ه شيأ ه لابناء على ان جنات بدل من الجنة بالغيب ط مأتيا ه سلاما ه وعشيا ه تقيا ه بأمر ربك لا للاختلاف الجملتين ذلك ج لان قوله وما كان معطوف على نتنزل مع وقوع العارض نسيا ج ه لان ما بعده بدل أو خبر مبتدأ محذوف لعبادته ط سميا ه * التفسير (٥٢) ان الذين أثبتوا معبودا سوى الله منهم من أثبت معبودا حيا عاقلا كالنصارى ومنهم من عبد معبودا جمادا كعبدة الاوثان وكلا الفريقين ضال الا أن الفريق الثاني أضل وحين بين ضلال الفريق الاول شرع في بيان ضلال الفريق الثاني تدرجا من الاسهل الى الاصعب وانما بدأ بقصة ابراهيم عليه السلام لانه كان أبا العرب وكانوا مقرين بعلو شأنه وكمال دينه فكأنه قال لهم ان كنتم مقلدين فقلدوه في ترك عبدة الاوثان وعبادتها وان كنتم مستدلين فانظروا في الدلائل التي ذكرها على أبيه والمراد بذكر الرسول اياه في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فهو سبحانه هو الذي يذكره في تنزيله وقوله اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض ولما كان هذا الاعتراض صار الوقف على ابراهيم مطلقا وجوز في الكشاف ان يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات والصديق من أبنية المبالغة فهي اما مبالغة صادق لان ملاك أمر النبوة الصدق واما مبالغة مصدق وذلك لكثرة تصديقه الحق وهذا أيضا بالحقيقة يعود الى الاول لان مصدق الحق لا يعتبر تصديقه الا اذا كان صادقا فيه والحاصل انه كان صادقا جدا في أقواله مصدقا لجميع من تقدم من الانبياء والكتب وكان نبيا في نفسه رفيع القدر عند الله وعند الناس بحيث جعل واسطة بينه وبين عباده وقيل ان كان بمعنى صار والاصح انه بمعنى الثبوت والاستمرار أي انه لم يزل موصوفا بالصدق والنبوة في الاوقات الممكن له ذلك فيها والتاء في يا أبت عوض من ياء الاضافة وقد مر في أول سورة يوسف أورد على أبيه الدلائل والنصائح وصدر كلا منها بالنداء المتضمن الرفق واللين استمالة لقلب أبيه وامتثالا لامر به على مارواه أبو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أوحى الله الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك

عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل نجران فقالوا لي ألستم تقرؤن يا أخت هرون قلت بلى وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ألا أخبرتهم انهم كانوا يسمون بانبيائهم والصالحين قبلهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال أرسلني النبي صلى الله عليه وسلم في بعض حوائجه الى أهل نجران فقالوا أليس نبيك يزعم ان هرون أخو مريم هو أخو موسى فلم أدر ما أرد عليهم حتى رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انهم كانوا يسمون باسماء من كان قبلهم وقال بعضهم عنى به هرون أخو موسى ونسبت مريم الى أنها أخته لانها من ولده يقال للتميمي يا أخا تميم وللمضري يا أخا مضر ذكر من قال ذلك **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي يا أخت هرون قال كانت من بني هرون أخي موسى وهو كما تقول يا أخا بني فلان * وقال آخرون بل كان ذلك رجلا منهم فاسقا معلن الفسق فنسبوها اليه * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه وانها نسبت الى رجل من قومها وقوله ما كان أبوك امرأ سوء يقول ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش وما كانت أمك بغيا يقول وما كانت أمك زانية كما **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وما كانت أمك بغيا قال زانية وقال وما كانت أمك بغيا ولم يقل بغية لان ذلك مما يوصف به النساء دون الرجال فجرى مجرى امرأة حائض وطالق وقد كان بعضهم يشبه ذلك بقولهم ملحفة جديد وامرأة قتيل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) يقول تعالى ذكره فلما قال قومها ذلك لها قالت لهم ما أمرها عيسى بقيله لهم ثم أشارت لهم الى عيسى أن كلموه كما **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال لما قالوا لها ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا قالت لهم ما امرها الله به فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت اليه الى عيسى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأشارت اليه قال أمرتهم بكلامه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه فأشارت اليه يقول أشارت اليه ان كلموه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فأشارت اليه ان كلموه وقوله قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا يقول تعالى ذكره قال قومها لها كيف نكلم من وجد في المهد وكان في قوله من كان في المهد صبيا معناها التمام لا التي تقتضي الخبر وذلك شبيه المعنى بكان التي في قوله هل كنت الا بشرا رسولا وانما معنى ذلك هل أنا الا بشر رسول وهل وجدت أو بعثت وكما قال زهير بن أبي سلمى

أجزت اليه حرة أرحبية * وقد كان لون الليل مثل الارندج

بمعنى وقد صار أو وجد وقيل انه عنى بالمهد في هذا الموضع حجر أمه ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كان في المهد صبيا والمهد الحجر * قال أبو جعفر وقد بينا معنى المهد فيما مضى بشواهده فاغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى

(قال

ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري فقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر منفي المفعول لا منوي به فان الغرض نفي الفعلين على الاطلاق دون التقييد وما موصولة أو موصوفة أي الذي لا يسمع أو معبودا لا يسمع وشيأ مفعول به من قوله أغن عني وجهك أي ادفعه ويجوز أن يكون بمعنى المصدر أي شيأ من الاغناء وعلى هذا يجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين أي لا يسمع شيأ من السماع الى آخره وحاصل (٥٣) الدليل ان العبادة غاية الخضوع فلا يستحقها الأشرف الموجودات لا أخسها وهو الجماد غاية عذرهم عن ذلك هي انهم اتماثيل أشياء يتصور نفعها أو ضرها كالكواكب وغيرها فيقال لهم أليس الكواكب وسائر الممكنات تنتهي في الاحتياج الى واجب الوجود فاذا جعل شئ من هذه الاشياء معبودا فقد شورك الممكن والواجب في نهاية التعظيم وهذا مما ينبو عنه الطبع السليم ورفع الوسائط من البين أدخل في الاخلاص وأقرب الى الخلاص وقوله يا أبت اني قد جاءني تنبيه ونصيحة وفيه ان هذا العلم تجدد له حصوله فيكون أقرب الى التصديق وفي قوله من العلم ما لم يأتك فائدة هي انه لم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم ليست معك فلا تستنكف وهب أني في مفازة وعندي معرفة بالدلالة دونك فاتبعني أهدك صراطا سويا مستويا مؤديا الى المقصود وهو صلاح المعاش والمعاد استدل أرباب التعليم بالآية بانه لا بد من الاتباع وأجيب بانه لا يلزم من اتباع النبي اتباع غيره والانصاف ان هذا الطريق أسهل ثم أكد المعنى المذكور بنصيحة أخرى زاجرة عما هو عليه قال يا أبت لا تعبد الشيطان أي لا تطعه فان عبادة الاصنام هي طاعة

(قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا) يقول تعالى ذكره فلما قال قوم مريم لها كيف نكلم من كان في المهد صبيا وظنوا ان ذلك منها استهزاء بهم قال عيسى لهم متكلما عن أمه اني عبد الله آتاني الكتاب وكانوا حين أشارت لهم الى عيسى فيما ذكر عنهم غضبوا كما **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما أشارت لهم الى عيسى غضبوا وقالوا لسخريتها بنا حين تأمرنا ان نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن لا يتهم عن وهب بن منبه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فاجابهم عيسى عنها فقال لهم اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا الآية **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال لهم اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا فقرأ حتى بلغ ولم يجعلني جبارا شقيا فقالوا ان هذا الامر عظيم **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله لم يتكلم عيسى الا عند ذلك حين قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقوله آتاني الكتاب يقول وآتاه الكتاب والوحي قبل أن يخلق في بطن أمه فان معنى ذلك بخلاف ما يظن وانما معناه وقضى يوم قضى أمور خلقه الى أن يؤتيني الكتاب كما **حدثني** بشر بن آدم قال ثنا الضحاك يعني ابن مخلد عن سفيان عن سماك عن عكرمة قال آتاني الكتاب قال قضى ان يؤتيني الكتاب فيما مضى **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا سفيان عن سماك عن عكرمة في قوله اني عبد الله آتاني الكتاب قال القضاء **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة في قول الله اني عبد الله آتاني الكتاب قال قضى أن يؤتيني الكتاب وقوله وجعلني نبيا وقد بينت معنى النبي واختلاف المختلفين فيه والصحيح من القول فيه عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته وكان مجاهد يقول في معنى النبي وحده ما **حدثنا** به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال النبي وحده الذي يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل وقوله وجعلني مباركا * اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه وجعلني نفاعا ذكر من قال ذلك **حدثني** سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي قال ثنا العلاء عن عائشة امرأة ليث عن ليث عن مجاهد وجعلني مباركا قال نفاعا * وقال آخرون كانت بركته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ذكر من قال ذلك **حدثني** سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن يزيد بن حبيش المخزومي قال سمعت وهيب بن الورد مولى بني مخزوم قال لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال له يرحمك الله ما الذي أعلن من علمي قال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه دين الله الذي بعث به أنبياءه الى عباده وقد اجتمع الفقهاء على قول الله وجعلني مباركا أينما كنت وقيل ان بركته كانت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان * وقال آخرون معنى ذلك جعلني معلم الخير ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس بن عبد الاعلى قال ثنا سفيان في قوله

الشيطان ثم استقبح نفسه اذلم يقل ان الشيطان عدو لبني آدم بل قدم حق ربه فقال ان الشيطان كان للرحمن عصيا حين ترك أمره بالسجود عنادا واستكبارا لا انسيانا وخطأ نبههم بهذه النصيحة على وجود الرحمن ثم على وجود الشيطان وان الرحمن مصدر كل خير والشيطان مظهر كل شر بدلالة الموضوع اللغوي وهذا القدر كاف من التنبيه لمن تأمل وأنصف ثم بين الباعث على هذه النصيحة فقال يا أبت اني أخاف وفيه منع اللغو بغض من سوء العاقبة أنواع من الادب اذ ذكر الخوف والمس ونكر العذاب قال الفراء معنى أخاف أعلم والاكثرون على انه محمول

على ظاهره لان ابراهيم عليه السلام لم يكن جازما بموت أبيه على الكفر والاثم يشتغل بنصحه والخوف على الغير ظن وصول الضرر الى ذلك الغير مع تألم قلبه من ذلك كما يقال أنا خائف على ولدي وذكروا في الولي وجوها منها انه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان في النار واللعنة سبب الولاية أو مسببها غالبا واطلاق أحدهما على الآخر مجاز وليس هناك ولاية حقيقية لقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو اني كفرت بما أشركتمون من قبل ومنها ان جعل العذاب على الخذلان ومنها ان الولي بمعنى التالي والتابع قال جار الله جعل ولاية

وجعلني مباركا أينما كنت قال معلما للخير أينما كنت وقوله وأوصاني بالصلاة والزكاة يقول وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة يعني بالمحافظة على حدود الصلاة واقامتها على ما فرضها علي وفي الزكاة معنيان أحدهما زكاة الاموال ان يؤديها والآخر تطهير الجسد من دنس الذنوب فيكون معناه وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي وقوله ما دمت حيا يقول ما كنت حيا في الدنيا موجودا وهذا يبين عن ان معنى الزكاة في هذا الموضع تطهير البدن من الذنوب لان الذي يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه انه كان لا يدخر شيأ لغد فتجب عليه زكاة المال الا أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكل ما فضل عن قوته فيكون ذلك وجها صحيحا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل عيسى للقوم وجعلني مباركا وبرا أي جعلني برا بوالدتي والبر هو البار يقال هو بر بوالده وبار به وبفتح الباء قرأت هذا الحرف قراء الامصار وروي عن أبي نهيك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن أبي نهيك انه قرأ وبرا بوالدتي من قول عيسى عليه السلام قال أبو نهيك أوصاني بالصلاة والزكاة والبر بالوالدة كما أوصاني بذلك فكأن أبا نهيك وجه تأويل الكلام الى قوله وبرا بوالدتي هو من خبر عيسى عن وصية الله اياه به كما في قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة من خبره عن وصية الله اياه بذلك فعلى هذا القول يجب ان يكون نصب البر بمعنى عمل الوصية فيه لان الصلاة والزكاة وان كانتا مخفوضتين في اللفظ فانهما بمعنى النصب من أجل انه مفعول بهما وقوله ولم يجعلني جبارا شقيا يقول ولم يجعلني مستكبرا على الله فيما أمرني به ونهاني عنه شقيا ولكن ذللني لطاعته وجعلني متواضعا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا انه يعني عيسى كان يقول سلوني فان قلبي لين واني صغير في نفسي مما أعطاه الله من التواضع وحدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ذكر لنا ان امرأة رأت ابن مريم يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص في آيات سلطه الله عليهن وأذن له فيهن فقالت طوبى للبطن الذي حملك والثدي الذي أرضعت به فقال نبي الله ابن مريم يجيبها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد أبي رجاء عن بعض أهل العلم قال لا تجد عاقا الا وجدته جبارا شقيا ثم قرأ وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا قال ولا تجد سيء الملكة الا وجدته مختالا فخورا ثم قرأ وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وقوله والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا يقول والامنة من الله علي من الشيطان وجنده يوم ولدت ان ينالوا مني ما ينالون ممن يولد عند الولادة من الطعن فيه ويوم أموت من هول المطلع ويوم أبعث حيا يوم القيامة ان ينالني الفزع الذي ينال الناس بمعاينتهم أهوال ذلك اليوم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا قال يخبرهم في قصة خبره عن نفسه انه لا أب له وانه سيموت ثم يبعث حيا يقول الله تبارك وتعالى ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ذلك

الشيطان ودخوله في جملة أتباعه وأوليائه أكبر من نفس العذاب لان ولاية الشيطان في مقابلة رضى الرحمن وقال عز من قائل ورضوان من الله أكبر واذا كان رضوان الله أكبر من نعيم الجنة فولاية الشيطان أعظم من عذاب النار ثم ان الشيخ قابل ملاطفات ابراهيم بالفظاظة والغلظ قائلا أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم فقدم الخبر على المبتدأ اشعارا بانه عنده أعني وفي هذا الاستفهام ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وفي قوله يا ابراهيم دون أن يقول يا بني في مقابلة يا أبت تهاون به كيف لا وقد صرح بالاهانة قائلا لئن لم تنته لارجمنك باللسان أي لاشتمنك أو باليد أي لاقتلنك وأصله الرمي بالرجام ثم ههنا اضمار أي فاحذرني واهجرني مليا أي زمانا طويلا من الملاوة أو أراد مليا بالذهاب والهجران مطيقا له قويا عليه قبل ان أثخنك بالضرب فلما رأى ابراهيم اصرار أبيه على التمرد والجهالة قال سلام عليك يعني سلام توديع ومتاركة كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وفيه ان متاركة المنصوح اذا ظهر منه آثار اللجاج من سنن المرسلين ويحتمل أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ورفقا به بدليل قوله سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف وقد مر في آخر الاعراف احتج بالآية بعض من طعن في عصمة الانبياء قال انه استغفر لابيه الكافر وهو منهي عنه لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وأقوله في الممتحنة قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو لم يكن هذا الاستغفار معصية لم يمنع من التأسي به والجواب لعل ابراهيم عليه السلام في شرعه لم يحصل ما يدل على القطع بتعذيب الكافر أو لعل هذا الفعل منه من باب ترك الاولى أو لعل الاستغفار بمعنى الاستبطاء كقوله قل للذين

(ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) يقول تعالى ذكره هذا الذى بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره من أمر الغلام الذى حملته مريم هو عيسى ابن مريم وهذه الصفة صفته وهذا الخبر خبره وهو قول الحق يعنى ان هذا الخبر الذى قصصته عليكم قول الحق والكلام الذى تلوته عليكم قول الله وخبره لاخبر غيره الذى يقع فيه الوهم والشك والزيادة والنقصان على ما كان يقول الله تعالى ذكره فقولوا فى عيسى أيها الناس هذا القول الذى أخبركم الله به عنه لا ماقالته اليهود الذين زعموا انه لغير رشدة وانه كان ساحرا كذابا ولا ماقالته النصارى من انه كان لله ولدا وان الله لم يتخذ ولدا ولا ينبغى ذلك له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق قال الله الحق **حدثنى** يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنى أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن ابراهيم قال كانوا يقولون فى هذا الحرف فى قراءة عبد الله قال الذى فيه يمترون قال كلمة الله ولو وجه تأويل ذلك الى ذلك عيسى ابن مريم القول الحق بمعنى ذلك القول الحق ثم حذفت الالف واللام من القول وأضيف الى الحق كما قيل ان هذا لهو حق اليقين وكما قيل وعد الصدق الذى كانوا يوعدون كان تأويلا صحيحا وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق قول الحق برفع القول على ما وصفت من المعنى وجعلوه فى اعرابه تابعا لعيسى كالنعت له وليس الامر فى اعرابه عندى على ماقاله الذين زعموا انه رفع على النعت لعيسى الا أن يكون معنى القول الكلمة على ماذكرنا عن ابراهيم من تأويله ذلك كذلك فيصح حينئذ أن يكون نعتا لعيسى والا فرفعه عندى بضمير وهو هذا قول الحق على الابتداء وذلك ان الخبر قد تناهى عن قصة عيسى وأمه عند قوله ذلك عيسى ابن مريم ثم ابتدأ الخبر بان الحق فيما فيه تمترى الامم من أمر عيسى هو هذا القول الذى أخبر الله به عنه عباده دون غيره وقد قرأ ذلك عاصم بن أبى النجود وعبد الله بن عامر بالنصب وكأنهما أرادا بذلك المصدر ذلك عيسى ابن مريم قولا حقا ثم أدخلت فيه الالف واللام وأما ماذكر عن ابن مسعود من قراءته ذلك عيسى ابن مريم قال الحق فانه بمعنى قول الحق مثل العاب والعيب والذام والذيم * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا الرفع لاجماع الحجة من القراء عليه وأما قوله تعالى ذكره الذى فيه يمترون فانه يعنى الذى فيه يختصمون ويختلفون من قولهم ماراًيت فلانا اذا جادلته وخاصمته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون امترت فيه اليهود والنصارى فأما اليهود فزعموا انه ساحر كذاب وأما النصارى فزعموا انه ابن الله وثالث ثلاثة واله وكذبوا كلهم ولكنه عبد الله ورسوله وكلمته وروحه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله الذى فيه يمترون قال اختلفوا فقالت فرقة هو عبد الله ونبيه فآمنوا به وقالت فرقة بل هو الله وقالت فرقة هو ابن الله تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا قال فذلك قوله فاختلف الاحزاب من بينهم والتى فى الزخرف قال دقيوس ونسطور ومار يعقوب قال أحدهم حين رفع الله عيسى هو الله وقال الآخر ابن الله وقال الآخر كلمة الله وعبده فقال المفتريان

امنوا يغفر والذين لا يرجون أيام الله والمعنى سأسأل ربى أن لا يجزيك بكفرك مادمت حيا والجواب فى الحقيقة مامر فى آخر سورة التوبة فى قوله عز من قائل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والمنع من التأسى لا يدل على المعصية فلعل الاستغفار مع ذلك الشرط كان من خصائصه كما ان كثيرا من الامور كانت مباحة للرسول صلى الله عليه وسلم وهى محرمة علينا ثم صرح بما تضمنه السلام من التوديع والهجران فقال واعتزلكم أى أهاجر الى الشام وأعتزل ماتدعون أى ماتعبدون من دون الله وقد يعبر بالدعاء عن العبادة لانه منها ومن وسائطها يدل على هذا التفسير قوله فلما اعتزلهم ومايعبدون أما قوله وادعو ربى فيحتمل معنيين العبادة والدعاء كما يجىء فى سورة الشعراء وفى قوله عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا تعريض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم وعبادتها مع التواضع وهضم النفس المستفاد من لفظة عسى قال العلماء ماخسر الله تعالى على أحد فان ابراهيم لما ترك أباه الكافر وقومه فرارا بدينه عوضه الله أولادا مؤمنين أنبياء وذلك قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم شيأ من رحمتنا عن الحسن هى النبوة وعن الكلبى المال والولد والاظهر انها عامة فى ذلك كل خير دينى ودنيوى ولسان الصدق الثناء الحسن عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطلق بها وهو العطية وقدمر تحقيق الاضافة فى أول يونس فى قوله قدم صدق تبرأ ابراهيم من أبيه ابتغاء مرضاة الله فسماه الله أبا المؤمنين ملة أبيكم ابراهيم وتل ولده للجبين ففداه الله بذبح عظيم وأسلم نفسه لرب العالمين فجعل النار عليه بردا وسلاما وأشفق على هذه الامة فقال وابعث فيهم رسولا فاشركه الله فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلوات الخمس وفى حق سارة كما قال تعالى وابراهيم الذى وفى فجعل موطئ قدمه مباركا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعادى كل الخلق فى الله حين قال فانهم عدو لى الا رب العالمين فلا جرم اتخذه الله خليلا ثم قفى قصة ابراهيم بقصة موسى عليه السلام لانه تلوه فى الشرف والمخلص بكسر اللام الذى أخلص العبادة عن الشرك والرياء وأخلص وجهه نيته وبالفتح الذى أخلصه الله وكان رسولا نبيا الرسول الذى معه كتاب من الانبياء والنبى الذى ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر الاعم قبل الاخص الا أن رعاية الفاصلة اقتضت عكس ذلك

كقوله فى طه برب هرون وموسى الايمن من اليمين أى من ناحيته اليمنى من موسى أو هو من اليمين صفة للطور أو الجانب وقربناه حال كونه نجيا أى مناجيا شبه تكليمه اياه من غير واسطة ملك بتقريب بعض الملوك واحدا من ندمائه للمناجاة والمسارة وعن أبى العالية ان التقريب حسى قربه حتى سمع صريف القلم الذى كتبت به التوراة والاول أظهر ومنه قولهم العبادة تقرب والملائكة انهم مقربون ووهبنا له من رحمتنا أى من أجلها أى بعض رحمتنا فيكون أخاه بدلا وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا ونبيا حال من هرون قال ابن عباس كان هرون أكبر من موسى فتنصرف الهبة الى معاضدته وموازرته وذلك بدعاء موسى فى قوله واجعل لى وزيرا من أهلى وخص اسمعيل بن ابراهيم بصدق الوعد وان كان الانبياء كلهم صادقين فيما بينهم وبين الله أو الناس لانه المشهور المتواصف من خصاله من ذلك انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به وعن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره فى مكان فانتظره سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه واعد رجلا ونسى ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبى عن الرجل يعد ميعاده الى أى وقت ينتظره فقال اذا واعدته فى وقت الصلاة فانتظره الى وقت صلاة أخرى وكان يبدأ باهله فى الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لغيرهم ولان الابتداء بالاحسان الدينى والدنيوى بمن هو أقرب أولى قوا أنفسكم وأهليكم نارا ابدأ بمن تعول ويحسن أن يقال أهله أمته كلهم أقارب أو أباعد من حيث انه يلزمه فى جميعهم ما يلزم المرء فى أهله خاصة من قضاء حقوق النصحة والشفقة ورعاية مصالحهم الدينية والدنيوية وعلى القوانين يندرج فى الصلاة الصلوات المفروضة والمندوبة كصلاة التهجد وغيرها وأما الزكاة فالاقرب انها الصدقة المفروضة وعن ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص لان فاعلها يزكو بها عند الله وأما ادريس فالاصح انه اسم عجمى بدليل منع الصرف كما مر اراً فى آدم ويعقوب وغيرهما وقيل افعيل من الدرس لكثرة دراسته كتاب الله ولعل معناه بالاعجمية قريب من الدراسة فظنه القائل مشتقا منها وفى رفعته أقوال منها ان المكان العلى شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل عليه ثلاثون صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب

الكلام

ان قولى هو أشبه بقولك وقولك بقولى من قول هذا فهلم فلنقاتلهم فقاتلوهم وأوطؤهم وغلبوهم حتى خروج النبى صلى الله عليه وسلم وهم مسلمة أهل الكتاب **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون قال اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا فى عيسى حين رفع فقال أحدهم هو الله هبط الى الارض وأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه قال هو ثالث ثلاثة الله اله وهو اله وأمه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى قال الرابع كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم اتباع على ما قال فاقتتلوا فظهر على المسلمين وذلك قول الله ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال قتادة هم الذين قال الله فاختلف الاحزاب اختلفوا فيه فصاروا أحزابا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وأن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره لقد كفر الذين قالوا ان عيسى ابن الله وأعظموا الفرية عليه فما ينبغى لله أن يتخذ ولدا ولا يصلح ذلك له ولا يكون بل كل شئ دونه فخلقه وذلك نظير قول عمرو بن أحمر

في رأس حلقاء من عنقاء مشرفة * ما ينبغى دونها سهل ولا جبل

وأن من قوله أن يتخذ فى موضع رفع بكان وقوله سبحانه يقول تنزيها لله وتبرئة له ان يكون له ما أضاف اليه الكافرون القائلون عيسى ابن الله وقوله اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون يقول جل ثناؤه انما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء وأنشأه انشاء من غير فحل افتحل أمه ولكنه قال له كن فيكون لانه كذلك يبتدع الاشياء ويخترعها انما يقول اذا قضى خلق شئ أو انشاءه كن فيكون موجودا حادثا لا يعظم عليه خلقه لانه لا يخلقه بمعاناة وكلفة ولا ينشئه بمعالجة وشدة وقوله وان الله ربى وربكم فاعبدوه اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وأن الله ربى وربكم واختلف أهل العربية فى وجه فتح ان اذا فتحت فقال بعض نحوى الكوفة فتحت ردا على عيسى وعطفا عليه بمعنى ذلك عيسى ابن مريم وذلك ان الله ربى وربكم واذا كان ذلك كذلك كانت ان رفعا وتكون بتأويل خفض كما قال ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم قال ولو فتحت على قوله وأوصانى بان الله كان وجها وكان بعض البصريين يقول وذكر ذلك أيضا عن أبى عمرو بن العلاء وكان ممن يقرأه بالفتح انما فتحت أن بتأويل وقضى ان الله ربى وربكم وكانت عامة قراء الكوفيين يقرؤنه وان الله بكسر ان بمعنى النسق على قوله فانما يقول له وذكر عن أبى بن كعب انه كان يقرأه فانما يقول له كن فيكون ان الله ربى وربكم بغير واو * قال أبو جعفر والقراءة التى نختار فى ذلك الكسر على الابتداء واذا قرئ كذلك لم يكن لها موضع وقد يجوز أن يكون عطفا على ان التى مع قوله قال انى عبد الله آتانى الكتاب وان الله ربى وربكم ولو قال قائل ممن قرأ ذلك نصبا نصب على العطف على الكتاب بمعنى آتانى الكتاب وآتانى ان الله ربى وربكم كان وجها حسنا ومعنى

الكلام وانى وأنتم أيها القوم جميعا لله عبيد فاياه فاعبدوا دون غيره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال عهد اليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أى انى واياكم عبيد الله فاعبدوه ولا تعبدوا غيره وقوله هذا صراط مستقيم يقول هذا الذى أوصيتكم به وأخبرتكم ان الله أمرنى به هو الطريق المستقيم الذى من سلكه نجا ومن ركبه اهتدى لانه دين الله الذى أمر به أنبياءه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يقول تعالى ذكره فاختلف المختلفون فى عيسى فصاروا أحزابا متفرقين من بين قومه كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فاختلف الاحزاب من بينهم قال أهل الكتاب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاختلف الاحزاب من بينهم ذكر لنا انه لما رفع ابن مريم انتخبت بنو اسرائيل أربعة من فقهائهم فقالوا للاول ما تقول فى عيسى قال هو الله هبط الى الارض فخلق ما خلق وأحيا ما أحيا ثم صعد الى السماء فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت اليعقوبية من النصارى وقال الثلاثة الآخرون نشهد انك كاذب فقالوا للثانى ما تقول فى عيسى قال هو ابن الله فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت النسطورية من النصارى وقال الاثنان الآخران نشهد انك كاذب فقالوا للثالث ما تقول فى عيسى قال هو اله وأمه اله والله اله فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت الاسرائيلية من النصارى فقال الرابع أشهد انك كاذب ولكنه عبد الله ورسوله هو كلمة الله وروحه فاختصم القوم فقال المرء المسلم أنشدكم الله ما تعلمون ان عيسى كان يطعم الطعام وان الله تبارك وتعالى لا يطعم الطعام قالوا اللهم نعم قال ما تعلمون ان عيسى كان ينام قالوا اللهم نعم قال فخصمهم المسلم قال فاقتتل القوم قال فذكر لنا ان اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلمون فانزل الله فى ذلك القرآن ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم **حدثنا** الحسن قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فاختلف الاحزاب من بينهم اختلفوا فيه فصاروا أحزابا وقوله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يقول فوادى جهنم الذى يدعى ويلا للذين كفروا بالله من الزاعمين ان عيسى لله ولدا وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يوما عظيما شأنه وذلك يوم القيامة وكان قتادة يقول فى تأويل ذلك ما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم شهدوا هولا اذا عظيما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن حال الكافرين به الجاعلين له أندادا والزاعمين ان له ولدا يوم ورودهم عليه فى الآخرة لئن كانوا فى الدنيا عميا عن ابصار الحق والنظر الى حجج الله التى تدل على وحدانيته صما عن سماع آى كتابه وما دعتهم اليه رسل الله فيها من الاقرار

ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واسمه أخنوخ من أجداد نوح لانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأهل التنجيم بعضهم ينسبونه هرمس ولهم نوادر فى استخراج طوالع المواليد ينسبونه اليه وقيل ان الله تعالى رفعه الى السماء والى الجنة وهو حى لم يمت * وقال آخرون رفع الى السماء وقبض روحه عن ابن عباس انه سأل كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا فقال جاءه خليل من الملائكة فسأله ان يكلم ملك الموت حتى يؤخر فى قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به فلما كان فى السماء الرابعة اذا بملك الموت يقول بعثت لاقبض روح ادريس فى السماء الرابعة وأنا أقول كيف ذلك وهو فى الارض فالتفت ادريس فرأى ملك الموت فقبض روحه هنالك وعن ابن عباس انه رفع الى السماء السادسة وعن الحسن المراد انه رفع الى الجنة ولا شئ أعلى منها أولئك المذكورون من لدن زكريا الى ادريس هم الذين أنعم الله عليهم من النبيين من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم من ذرية آدم هى للتبعيض وكذا فى قوله وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل والمراد بمن هو من ذرية آدم ادريس لقربه منه وبذرية من حمل مع نوح ابراهيم عليه السلام لانه من ولد سام بن نوح وبذرية ابراهيم اسمعيل وبذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية وفى هذا الترتيب تنبيه على ان هؤلاء الانبياء اجتمع لهم مع كمال الاحساب شرف الانساب وان جميع ذلك بواسطة هداية الله وعزية اجتبائه واصطفائه ثم ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا يتلى كلاما مستأنفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقد عرفت فى الوقوف سائر الوجوه من قرأ يتلى بالتذكير لان تأنيث الآيات غير حقيقى والفاصل حاصل والبكى جمع باك فعول كسجود فى ساجد أبدلت الواو ياء وأدغمت وكسر ما قبلها للمناسبة ومن زعم انه مصدر فقد سها لانه قرينة سجدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال أبو مسلم أراد بالآيات التى فيها ذكر العذاب وقال غيره الاطلاق الآيات والحديث المذكور يدل على العموم لان كل آية اذا فكر فيها المفكر صح ان يسجد عندها او يبكى قلت لعل المراد بآيات الله ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة لان القرآن حينئذ لم يكن منزلا

واختلفوا في السجود فقيل هو الخشوع والخضوع وقيل الصلاة وقيل سجدة التلاوة على حسب ما تعبدنا به ويحتمل انهم عند الخوف كانوا
يتعبدون بالسجود قال الزجاج الانسان في حال خروره لا يكون ساجدا فالمراد خروا ساجدين منتهيين للسجود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا
القرآن بحزن فانه نزل بحزن وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه
وقالت العلماء يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك

بتوحيده وما بعث به أنبياءه فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم في الآخرة وأبصرهم يوم يشهدون حين
لا ينفعهم الابصار والسماع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أسمع بهم وأبصر ذاك والله يوم القيامة
سمعوا حين لا ينفعهم السمع وأبصروا حين لم ينفعهم البصر حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أسمع بهم وأبصر قال أسمع قوم وأبصرهم حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا يوم القيامة
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي
العالية قال أسمع بحديثهم اليوم وأبصر كيف يصنع بهم يوم يأتوننا حدثني يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال قال ابن زيد في قوله أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا قال هذا يوم القيامة فأما الدنيا فلا كانت على
أبصارهم غشاوة وفي آذانهم وقر في الدنيا فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا وقرأ
ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وقوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين
يقول تعالى ذكره لكن الكافرون الذين أضافوا اليه ما ليس من صفته وافتروا عليه الكذب
اليوم في الدنيا في ضلال مبين يقول في ذهاب عن سبيل الحق وأخذ على غير استقامة مبين انه جائر عن
طريق الرشد والهدى لمن تأمله وفكر فيه فهدي لرشده ﴿ القول في تأويل قوله تعالى
(وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم على ما فرطوا في جنب الله
وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الايمان بالله والطاعة له وادخلوا هم مساكن أهل الايمان بالله
من النار وأيقن الفريقان بالخلود الدائم والحياة التي لا موت بعدها فيا لها حسرة وندامة * وبنحو
ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن
مهدي قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله في قصة ذكرها قال
ما من نفس الا وهي تنظر الى بيت في الجنة وبيت في النار وهو يوم الحسرة فيرى أهل النار البيت الذي
كان قد أعده الله لهم لو آمنوا فيقال لهم لو آمنتم وعملتم صالحا كان لكم هذا الذي ترونه في الجنة
فتأخذهم الحسرة ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار فيقال لولا ان من الله عليكم حدثنا أبو
السائب قال ثنا معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف بين الجنة والنار كانه كبش أملح قال فيقال يا أهل الجنة هل
تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت فيقال يا أهل النار هل تعرفون هذا
فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت ثم يؤمر به فيذبح قال فيقول يا أهل الجنة خلود فلا موت
ويا أهل النار خلود فلا موت قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي
الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده في الدنيا حدثني عبيد بن أسباط بن محمد قال ثنا
أبي عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية وأنذرهم يوم
الحسرة قال ينادي يا أهل الجنة فيشرئبون فينظرون ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون فينظرون

المسبحين بحمدك وأعوذ بك ان
أكون من المستكبرين عن أمرك
وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم
اجعلني من الباكين اليك الخاشعين
لك وان قرأ ما في هذه السورة قال
اجعلني من عبادك المنعم عليهم
المهديين الساجدين لك الباكين
عند تلاوة آياتك ولما مدح
هؤلاء الانبياء ترغيبا لغيرهم في
سيرتهم وصف اضدادهم تنفيرا
الناس عن طريقتهم قائلا فخلف
من بعدهم خلف وهو عقب السوء
كما مر في آخر الاعراف فاضاعة
الصلاة في مقابلة الخرور سجدا
واتباع الشهوات بازاء البكاء عن
ابن عباس هم اليهود تركوا
الصلاة المفروضة وشربوا الخمر
واستحلوا نكاح الاخت من الاب
وعن ابراهيم النخعي ومجاهد
أضاعوها بالتأخير وعن علي رضي
الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات
من البناء الشديد وركب السور
ولبس المشهور وهو عن قتادة في
هذه الآية فسوف يلقون غيا
قال جار الله كل شر عند العرب غي
وكل خير رشاد وقال الزجاج هو
على حذف المضاف أي جزاء غي
كقوله يلق أثاما أي مجازاة أثام وقيل
غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد
في جهنم تستعيذ منه أوديتها احتج
بعضهم بقوله الا من تاب وآمن على
ان تارك الصلاة كافر والا لم يحتج
الى تجديد الايمان والجواب انه اذا كان المذكورون هم الكفرة أو اليهود كما روينا عن ابن عباس سقط الاستدلال فيقال
واحتجت الاشاعرة في أن العمل ليس من الايمان لان العطف دليل التغاير وأجاب الكعبي بانه عطف الايمان على التوبة مع انها من الايمان
ومنع من ان التوبة من الايمان ولكنها شرطه لانها العزم على الترك والايمان اقرار باللسان وانما حذف الموصوف ههنا وقال في الفرقان
وعمل عملا صالحا لانه أوجز في ذكر المعاصي فأوجز في التوبة وأطال هنالك فأطال ههنا وهذا الاستثناء بحسب الغالب فقد يتوب عن كفره ويؤمن

ولم يدخل بعد وقت الصلاة أو كانت المرأة حائضا ثم ماتت فهو من أهل النجاة مع انه لم يعمل صالحا ومعنى لا يظلمون شيأ لا ينقصون شيأ من جزاء
أعمالهم بل يضاعف لهم تفضلا تنبيها على ان تقدم الكفر لا يضرهم بعد ان يتوبوا ويحتمل أن ينتصب شيأ على المصدر أى شيأ من الظلم
ومعنى جنات عدن قد مر فى سورة التوبة فى قوله ومساكن طيبة فى جنات عدن وصفها الله تعالى بالاقامة والدوام خلاف ما عليه جنان
الدنيا ولما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها ويحتمل انتصابها على الاختصاص وكذا انتصاب التى قال جار الله
عدن علم بمعنى العدن وهو الاقامة وهو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتى ومعنى بالغيب مع الغيبة أى وعدوها وهى غائبة عنهم غير حاضرة أو وهم غائبون عنها لا يشاهدونها أو الباء للسببية أى وعدها عباده بسبب تصديق الغيب والايمان به بخلاف حال المنافقين وقوله انه كان وعده مأتيا بالاول أنسب وهو مفعول بمعنى فاعل أو على أصله لان ما أتاك فقد أتيته وجوز فى الكشاف أن يكون من قولك أتى اليك احسانا أى كان وعده مفعولا منجزا قوله الا سلاما استثناء متصل على التأويل لان اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته كما تقدم فى عين اللغو فى البقرة وفى المائدة أى ان كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك كقولهم عتابك السيف أو استثناء منقطع أى لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة ويجوز أن يكون متصلا بتأويل آخر وهو ان معنى السلام الدعاء بالسلامة وأهل دار السلام عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة
الاكرام وفى الآية تنبيه ظاهر على وجوب اتقاء اللغو حيث نزه الله عنه الدار التى لا تكليف فيها ثم انه سبحانه من عادته ترغيب كل قوم بما
أحبوه فى الدنيا فلذلك ذكر أساور من الذهب والفضة ولبس الحرير التى كانت للعجم والارائك التى هى الحجال المضروبة على الاسرة وكانت
من عادة أشراف اليمن ولا شئ كان أحب الى العرب من الغداء والعشاء لانها العادة الوسطى المحمودة للمتنعمين منهم فوعدهم بذلك قائلا
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا هذا قول الحسن ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير أى يأكلون على مقدار الغداة الى العشى وقيل

فيقال هل تعرفون الموت قال فيقولون لا قال فيجاء بالموت فى صورة كبش أملح فيقال هذا الموت
ثم يؤخذ فيذبح قال ثم ينادى يا أهل النار خلود فلا موت و يا أهل الجنة خلود فلا موت قال ثم قرأ
وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن
جريج قال قال ابن عباس فى قوله وأنذرهم يوم الحسرة قال يصور الله الموت فى صورة كبش أملح
فيذبح قال فييأس أهل النار من الموت فلا يرجونه فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود فى النار وفيها
أيضا الفزع الاكبر و يأمن أهل الجنة الموت فلا يخشونه وأمنوا الموت وهو الفزع الاكبر لانهم
يخلدون فى الجنة قال ابن جريج يحشر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون فذلك قوله اذ
قضى الامر قال ذبح الموت وهم فى غفلة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن
ابن جريج عن أبيه انه أخبره انه سمع عبيد بن عمير فى قصصه يقول يؤتى بالموت كأنه دابة فيذبح
والناس ينظرون **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنذرهم يوم
الحسرة قال يوم القيامة وقرأ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله **حدثنى** على قال
ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنذرهم يوم الحسرة من أسماء يوم
القيامة عظمه الله وحذره عباده وقوله اذ قضى الامر يقول اذ فرغ من الحكم لاهل النار بالخلود
فيها ولاهل الجنة بمقام الابد فيها بذبح الموت وقوله وهم فى غفلة يقول وهؤلاء المشركون فى غفلة عما
الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين اليه من قبورهم من تخليده اياهم فى جهنم وتوريثه مساكنهم من
الجنة غيرهم وهم لا يؤمنون يقول تعالى ذكره وهم لا يصدقون بالقيامة والبعث ومجازاة الله اياهم
على سيئ أعمالهم ما أخبر انه مجازيهم به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انا نحن نرث الارض
ومن عليها والينا يرجعون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك تكذيب
هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحق فان الينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق
غيرهم ونحن وارثو الارض ومن عليها من الناس بفنائهم منها وبقائنا الا مالك لها غير نائم علينا جزاء
كل عامل منهم بعمله عند مرجعه الينا المحسن منهم باحسانه والمسىء باساءته ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا أبة لم تعبد ما لا يسمع ولا
يبصر ولا يغنى عنك شيأ) يقول تعالى ذكره لنبيه واذكر يا محمد فى كتاب الله ابراهيم خليل
الرحمن فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه انه كان صديقا يقول كان من أهل الصدق
فى حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب والصديق هو الفعيل من الصدق وقد بينا ذلك فيما مضى بما
أغنى عن اعادته فى هذا الموضع نبيا يقول كان الله قد نبأه وأوحى اليه وقوله اذ قال لابيه يقول اذكره
حين قال لابيه يا أبة لم تعبد ما لا يسمع يقول ما تصنع بعبادة الوثن الذى لا يسمع ولا يبصر شيأ ولا يغنى
عنك شيأ يقول ولا يدفع عنك ضر شئ انما هو صورة مصورة لا تضر ولا تنفع يقول ما تصنع بعبادة
ما هذه صفته اعبد الذى اذا دعوته سمع دعاءك واذا أحيط بك أبصرك فنصرك واذا نزل بك ضر دفع
عنك * واختلف أهل العربية فى وجه دخول الهاء فى قوله يا أبة فكان بعض نحويى أهل
البصرة يقول اذا وقفت عليها قلت يا أبه وهى هاء زيدت نحو قولك يا أمه ثم يقال يا أم اذا وصل ولكنه

أراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقوله تلك الجنة التي نورث كقوله في الأعراف ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها وهي استعارة أي تبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث منه قال القاضي في الآية دلالة على ان الجنة يختص بدخولها من كان متقيا غير مرتكب الكبائر وأجيب بمنع الاختصاص وبأنه يصدق على صاحب الكبيرة انه اتقى الكفر سئل ههنا ان قوله تعالى تلك الجنة التي نورث (٦٠) كلام الله وقوله بعده وما نتنزل الا بأمر ربك خطاب ليس من كلام الله فما وجه العطف بينهما وأجيب بانه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح فظاهر قوله وما نتنزل الا بأمر ربك خطاب جماعة لواحد وانه لا يليق الا بالملائكة الذين ينزلون على الرسول كما روى ان قريشا بعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وهل يجدونه في كتابهم فسألوا النصارى فزعموا انهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجده في كتابنا وهذا زمانه وقد سأل الرحمن اليمامة عن خصال ثلاث فلم يعرف فاسألوه عنهن فان أخبركم بخصلتين منها فاتبعوه فاسألوه عن فتية أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب فوعدهم الجواب ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عليه أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فنزل جبرائيل عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت عني حتى ساء ظني واشتقت اليك قال كنت أشوق ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله الآية وأنزل قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا وسورة الضحى ومعنى التنزل على ما يليق بهذا الموضع هو النزول على مهل أي نتنزل وقتا غب وقت ليس الا بأمر الله عز وجل ثم أكد جبرائيل ما ذكره بقوله له ما بين أيدينا وما خلفنا من الجهات والاماكن أو من الأزمنة الماضية والمستقبلة وما بينهما من المكان والزمان الذي نحن فيه فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة أو من زمان الى زمان الا بأمر ربك ومشيئته وقيل له ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة وما بين ذلك وهو ما بين النفختين أربعون سنة وقيل ما مضى من أعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها أو ما قبل وجودنا وبعد فنائنا وقيل الارض التي بين أيدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين

لما كان الاب على حرفين كان كأنه قد داخل به فصارت الهاء لازمة وصارت التاء كأنها بعدها فلذلك قالوا يا أبة أقبل وجعل التاء للتأنيث ويجوز الترخيم من يا رب اقبل لانه يجوز ان تدعو ما تضيفه الى نفسك في المعنى مضموما نحو قول العرب يا رب اغفر لي وتقف في القرآن يا أبه في الكتاب وقد يقف بعض العرب على الهاء بالتاء وقال بعض نحويي الكوفة الهاء مع أبة وأمة هاء وقف كثرت في كلامهم حتى صارت كهاء التأنيث وأدخلوا عليها الاضافة فمن طلب الاضافة فهي بالتاء لا غير لانك تطلب بعدها الياء ولا تكون الهاء حينئذ الا تاء كقولك يا أبت لا غير ومن قال يا أبه فهو الذي يقف بالهاء لانه لا تطلب بعدها ياء ومن قال يا أبتا فانه يقف عليها بالتاء ويجوز بالهاء فاما بالتاء فلطلب ألف الندبة فصارت الهاء تاء لذلك والوقف بالهاء بعيد الا فيمن قال يا أميمة ناصب بفعل هذه الفتحة من فتحة الترخيم وكان هذا طرف الاسم قال وهذا بعيد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أبة اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لابيه يا أبة اني قد أتاني الله من العلم ما لم يؤتك فاتبعني يقول فاقبل مني نصيحتي أهدك صراطا سويا يقول أبصرك هدى الطريق المستوي الذي لا تضل فيه ان لزمته وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أبة لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا) يقول تعالى ذكره يا أبة لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان لله عصيا والعصي هو ذو العصيان كما العليم ذو العلم وقد قال قوم من أهل العربية العصي هو العاصي والعليم هو العالم والعريف هو العارف واستشهدوا لقولهم ذلك بقول طريف بن تميم العنبري

أو كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثت الي عريفهم يتوسم

وقالوا قال عريفهم وهو يريد عارفهم والله أعلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أبة اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) يقول يا أبة اني أعلم انك ان مت على عبادة الشيطان انه يمسك عذاب من عذاب الله فتكون للشيطان وليا يقول تكون له وليا دون الله ويتبرأ الله منك فتهلك والخوف في هذا الموضع بمعنى العلم كما الخشية بمعنى العلم في قوله فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا) يقول تعالى ذكره قال أبو ابراهيم لابراهيم حين دعاه ابراهيم الى عبادة الله وترك عبادة الشيطان والبراءة من الاوثان والاصنام أراغب أنت يا ابراهيم عن عبادة آلهتي لئن أنت لم تنته عن ذكرها بسوء لارجمنك يقول لارجمنك بالكلام وذلك السب والقول القبيح * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك بالشتيمة والقول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله لئن لم تنته لارجمنك قال بالقول لاشتمنك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله لارجمنك يعني رجم القول وأما قوله واهجرني مليا فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معنى ذلك واهجرني حينا طويلا ودهرا ووجهوا معنى الملي الى الملاوة

السماء والارض وعلى الاقوال فالمراد انه المحيط بكل شئ لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فكيف يقدم على فعل الا بامره وقال أبو مسلم في وجه النظم ان قوله وما نتنزل من قول أهل الجنة لمن بحضرتهم أي ما ننزل الجنة الا بامر ربك اما قوله وما كان ربك نسيا فعلى القول الاول معناه انه ما كان امتناع النزول الا لعدم الاذن ولم يكن لترك الله اياكم لقوله ماودعك ربك وماقلى وعلى قول غير أبي مسلم هو تأكيد لاحاطته تعالى بجميع الاشياء وانه لا يجوز عليه ان يسهو عن شئ ما البتة وعلى قول أبي مسلم المراد انه ليس ناسيا الاعمال العاملين فيثيب كلا منهم بحسب عمله فيكون من تتمة حكاية قول أهل الجنة أو ابتداء كلام من الله تعالى خطابا لرسوله ويتصل به قوله رب السموات والارض أي بل هو ربهما وما بينهما فاعبده الفاء للسببية لان كونه رب العالمين سبب موجب لان يعبد واصطبر لعبادته لم يقل على عبادته لانه جعل العبادة بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك أي أوجد الاصطبار لاجل مقاومته ثم أكد وجوب عبادته بقوله هل تعلم له سميا أي ليس له مثل ونظير حتى لا تخلص العبادة له وان عديم النظير لابد ان يصبر على مواجب ارادته وتكاليفه خصوصا اذا كانت فائدتها راجعة الى المكلف وقيل أراد انه لا شريك له في اسمه وبيانه من وجهين أحدهما انهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن الا انهم لم يطلقوا لفظ الله على من سواه وعن ابن عباس أراد لا يسمى بالرحمن غيره قلت وهذا صحيح ولعله هو السر في انه لم يكرر لفظ الرحمن في سورة تكريره في هذه السورة وثانيهما هل تعلم سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل كلا تسمية * التأويل واذكر في الكتاب الازلي ابراهيم القلب انه كان صديقا الصديق ثلاث مراتب صادق صدق في أقواله وصادق صدق في أخلاقه وأحواله وصديق صدق في قيامه مع الله في الله بالله وهو الفاني عن نفسه الباقي بربه اذ قال لابيه الروح الذي يعبد صنم الدنيا بتبعية النفس قد جاءني من العلم اللدني ما لم يأتك لما ذكرنا ان القلب محل للفيض الالهي أقبل من الروح كالمرآة فانها تقبل النور لصفائها وينعكس النور عنها لكثافتها وصقالتها ووهبنا له اسحق السر يعقوب الخفي وناديناه من جانب الطور الايمن أسمعنا موسى القلب من جانب طور الروح لا من جانب وادي النفس الذي هو على يسار وكان يأمر أهله أي الجسم والنفس والقلب

من الزمان وهو الطويل منه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو داود قال ثنا محمد بن أبي الوضاح عن عبد الكريم عن مجاهد في قوله واهجرني مليا قال دهرا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله مليا قال حينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن واهجرني مليا قال طويلا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله واهجرني مليا قال زمانا طويلا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واهجرني مليا يقول دهرا والدهر الملي حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير واهجرني مليا قال دهرا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي واهجرني مليا قال أبدا * وقال آخرون بل معنى ذلك واهجرني سويا سالما من عقوبتي اياك ووجهوا معنى الملي الى قول الناس فلان ملي بهذا الامر اذا كان مضطلعا به غنيا فيه وكان معنى الكلام كان عندهم واهجرني وعرضك وافر من عقوبتي وجسمك معافى من أذاي ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس واهجرني مليا يقول اجتنبني سويا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واهجرني مليا قال اجتنبني سالما قبل أن يصيبك مني عقوبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واهجرني مليا قال سالما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن كثير بن درهم أبو غسان قال ثنا قرة بن خالد عن عطية الجدلي واهجرني مليا قال سالما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله واهجرني مليا اجتنبني سالما لا يصيبك مني معرة * قال أبو جعفر وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول من قال معنى ذلك واهجرني سويا سالما من عقوبتي لانه عقيب قوله لئن لم تنته لارجمنك وذلك وعيد منه له ان لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء ان يرجمه بالقول السئ والذي هو أولى بان يتبع ذلك التقدم اليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة فاما الامر بطول هجره فلا وجه له ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لابيه حين توعده على نصيحته اياه ودعائه الى الله بالقول السئ والعقوبة سلام عليك يا أبت يقول أمنة مني لك ان أعاودك فيما كرهت ولدعائك الى ما توعدتني عليه بالعقوبة ولكني سأستغفر لك ربي يقول ولكني سأسأل ربي أن يستر عليك ذنوبك بعفوه اياك عن عقوبتك عليها انه كان بي حفيا يقول ان ربي عهدته بي لطيفا يجيب دعائي اذا دعوته يقال منه تحفى بي فلان وقد بينت ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي

والروح بالصلاة له توجه كل منهم توجها يليق بحاله وبالزكاة أي تزكية كل واحد منهم من الاخلاق الذميمة ورفعناه مكانا عليا في مقعد صدق عند مليك مقتدر خروا بقلوبهم على عتبة العبودية سجدا بالتسليم للاحكام الازلية وبكيا بكاء الشمع بذوبان الوجود على نار الشوق والمحبة عباده بالغيب أي بغيبتهم عن الوجود قبل التكوين كقوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ولهم رزقهم رؤية الله على ما جاء في الحديث وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوا وعشيا وما نتنزل الا بامر ربك المقدور في علم الله

عن ابن عباس قوله انه كان بي حفيا يقول لطيفا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انه كان بي حفيا قال انه كان بي لطيفا قال الحفي اللطيف وقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله يقول واجتنبكم وما تدعون من دون الله من الاوثان والاصنام وادعو ربي يقول وأدعو ربي باخلاص العبادة له وافراده بالربوبية عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا يقول عسى أن لا أشقى بدعاء ربي ولكن يجيب دعائي ويعطيني ما أسأله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يقول تعالى ذكره فلما اعتزل ابراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الاوثان آنسنا وحشته من فراقهم وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم فوهبنا له ابنه اسحق وابن ابنه يعقوب بن اسحق وكلا جعلنا نبيا يقول وجعلناهم كلهم يعني بالكل ابراهيم واسحق ويعقوب أنبياء وقال تعالى ذكره وكلا جعلنا نبيا فوحد ولم يقل أنبياء لتوحيد لفظ كل ووهبنا لهم من رحمتنا يقول جل ثناؤه ورزقنا جميعهم يعني ابراهيم واسحق ويعقوب من رحمتنا وكان الذي وهب لهم من رحمته ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه وأغناهم بفضله وقوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا يقول تعالى ذكره ورزقناهم الثناء الحسن والذكر الجميل من الناس كما حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا يقول الثناء الحسن وانما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلو لان جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم والعرب تقول قد جاءني لسان فلان يعني ثناؤه أو ذمه ومنه قول عامر بن الحارث

اني أتتني لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر

ويروى لا كذب فيها ولا سخر

جاءت مرجمة قد كنت أحذرها * لو كان ينفعني الاشفاق والحذر

مرجمة يظن بها

۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد في كتابنا الذي أنزلناه اليك موسى بن عمران واقصص على قومك نبأه انه كان مخلصا * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين انه كان مخلصا بكسر اللام من المخلص بمعنى انه كان يخلص لله العبادة ويفرده بالالوهة من غير أن يجعل له فيها شريكا وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة خلا عاصم انه كان مخلصا بفتح اللام من مخلص بمعنى ان موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته وجعله نبيا مرسلا قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي انه كان صلى الله عليه وسلم مخلصا عبادة الله مخلصا للرسالة والنبوة فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب وكان رسولا يقول وكان لله رسولا الى قومه بني اسرائيل ومن أرسله اليه نبيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) يقول تعالى ذكره ونادينا موسى من ناحية الجبل ويعني بالايمن يمين موسى لان الجبل لا يمين له ولا شمال وانما ذلك كما يقال قام عن يمين القبلة وعن شمالها

تنادي أهل العزة من سرادقات العزة ان يا أهل الطبيعة أفيقوا من المتمنيات فانا ما نتنزل من عالم الغيب الا بامر ربنا وما كان ربك نسيا ليحتاج الى تذكير منهم بل هو رب سموات الارواح وأرض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار له فاعبده باركان الشريعة بجسدك وبآداب الطريقة بنفسك وبالاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى بقلبك وبالفناء في الله والبقاء به بروحك وبسرك هل تعلم له نظيرا في المحبوبية والله أعلم بالصواب (ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند

الرحمن عهدا * وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما
ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلكنا قبلهم من قرن
هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) القراآت أئذا مثل أأنكم فى الانعام (٦٣) يذكر من الذكر ابن عامر ونافع وعاصم وسهل
وروح والمفضل عن زيد والآخرون بتشديد الذال من التذكر مدغما ثم ننجى من الانجاء على وروح والمعدل عن زيد الآخرون بالتشديد خير مقاما بضم الميم ابن كثير الباقون بفتحها ريا بالتشديد أبو جعفر ونافع عن ورش وابن ذكوان والاعشى وحمزة فى الوقف وعن حمزة أيضا بالهمز فى الوقف ليدل على أصل اللغة الآخرون بهمز بعدها ياء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلى الآخرون بفتحهما يكاد على التذكير نافع وعلى ينفطرن من الانفطار أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وخلف وابن عامر والمفضل وأبو بكر وحماد والخزاز عن هبيرة الباقون ينفطرن من التفطر * الوقوف حيا ه شيأ ه جثيا ه للآية وللعطف عتيا ه ج لذلك صليا ه واردها ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى مقضيا ه تقريبا للنجاة من الورود مع ان ثم لترتيب الاخبار جثيا ه آمنوا لا لان ما بعدها مفعول قال نديا ه وريا ه مدا ه لان حتى لانتهاء مدة الضلالة أو لابتداء الرؤية وجواب اذا محذوف وهو آمنوا الساعة ط لابتداء التهديد جندا ه هدى ه مردا ه وولدا ه ط لابتداء الاستفهام
التقريع عهدا ط ه للردع كلا ط مدا ه لا للعطف فردا ه نصف الجزء وعزا ه لا كلا ط ضدا ه أزا ه لا للتعجيل عليهم ط
عدا ه ط وفدا ه ط وردا ه لئلا تشتبه الجملة بالوصف لهم عهدا ه م حذرا من ايهام العطف ولدا ه ط ادا ه لا لان ما بعده صفة
هدا ه لا لان التقدير لان دعوا ولدا ه لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف ولدا ه ط عبدا ه ط فردا ه ودا ه لدا ه من
قرن ط ركزا ه * التفسير لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته بالتبعية ان يعبدوا الله ويصطبروا لعبادته كان لمنكر ان يعترض بان هذه

شمالها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى
قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله من جانب الطور الايمن وقد بينا معنى الطور
واختلاف المختلفين فيه ودللنا على الصواب من القول فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع
وقوله وقربناه نجيا يقول تعالى ذكره وأدنيناه مناجيا كما يقال فلان نديم فلان ومنادمه وجليس
فلان ومجالسه وذكر ان الله جل ثناؤه أدناه حتى سمع صريف القلم ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
وقربناه نجيا قال ادنى حتى سمع صريف القلم حدثنا محمد بن منصور الطوسى قال ثنا يحيى
ابن أبى بكر قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح قال أراه عن مجاهد فى قوله وقربناه نجيا قال بين السماء
الرابعة أو قال السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب
ظلمة فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب وسمع صريف القلم قال رب أرنى أنظر اليك
حدثنا على بن سهل قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال قربه منه حتى
سمع صريف القلم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة وقربناه نجيا قال ادنى
حتى سمع صريف القلم فى اللوح وقال شعبة أردفه جبرائيل عليه السلام وقال قتادة فى ذلك ما حدثنا
به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وقربناه نجيا قال نجا
بصدقه وقوله ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون يقول ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هرون نبيا يقول
أيدناه بنبوته وأعناه بها كما حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن
عباس قوله ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال كان هرون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له
نبوته * القول فى تأويل قوله تعالى (واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان
رسولا نبيا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد فى هذا الكتاب اسمعيل
ابن ابراهيم فاقصص خبره انه كان لا يكذب وعده ولا يخلف ولكنه كان اذا وعد ربه أو عبدا من
عباده وعدا وفى به كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انه
كان صادق الوعد قال لم يعد ربه عدة الا أنجزها له حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى
عمرو بن الحارث ان سهيل بن عقيل حدثه ان اسمعيل عليه السلام وعد رجلا مكانا ان يأتيه فجاء
ونسى الرجل فظل به اسمعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا قال لا قال انى نسيت
قال لم أكن لابرح حتى تأتى فبذلك كان صادقا * القول فى تأويل قوله تعالى (وكان يأمر
أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) يقول تعالى ذكره وكان يأمر أهله باقامة الصلاة
وايتاء الزكاة وكان عند ربه مرضيا عمله محمودا فيما كلفه ربه غير مقصر فى طاعته * القول فى
تأويل قوله تعالى (واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) يقول
تعالى ذكره واذكر يا محمد فى كتابنا هذا ادريس انه كان صديقا لا يقول الكذب نبيا نوحى اليه
من أمرنا ما نشاء ورفعناه مكانا عليا اذكر ان الله رفعه وهو حى الى السماء الرابعة فذلك معنى قوله
ورفعناه مكانا عليا يعنى به الى مكان ذى علو وارتفاع وقال بعضهم رفع الى السماء السادسة * وقال

العبادات لامنفعة فيها فى الدنيا لانها مشقة ولا فى الآخرة لاستبعاد حشر الاجساد الى حالها فلا جرم حكى قول المنكر ليجيب عن ذلك فقال ويقول الانسان وهو للجنس لان هذا الاستغراب مركوز فى الطباع قبل النظر فى الدليل أولان هذا القول اذا صدر عن بعض الافراد صح اسناده الى بنى نوعه لانه منهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وقيل المراد بالانسان ههنا شخص معين هو أبو جهل أو أبى بن خلف وقيل بعض الجنس وهم الكفرة (٦٤) وانتصب اذا بفعل مضمر يدل عليه اخرج المذكور لا بنفسه لان مابعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا تقول اليوم لزيد قائم وانما جاز الجمع بين حرف الاستقبال وبين لام الابتداء المفيدة للحال لان اللام ههنا خلصت لاجل التأكيد كما خلصت الهمزة فى ياالله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما فى اذا ما للتوكيد أيضا وكأنهم قالوا مستنكرين أحقا انا سنخرج احياء حين تمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج اما الخروج من الارض أو الخروج من حال الفناء أو الندور ومن قولهم خرج فلان عالما اذا كان نادرا فى العلم فكأنه قال على سبيل الهزء سأخرج حيا نادرا وانما قدم الظرف وأولى حرف الانكار من قبل ان مابعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء الانكار كقولك لمن أساء الى محسنه أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت اليه ولما كان الانسان لا يصدر عنه هذا الانكار الا اذا لم يتذكر أولم يذكر النشأة الاولى قال سبحانه منبها على ذلك أولا يذكر وههنا اضمار تقديره أيقول ذلك ولا يذكر وزعم جار الله ان الواو عطفت لا يذكر على يقول فى قوله ويقول الانسان ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قال العقلاء لو اجتمعت الخلائق على ايراد حبة فى البعث أو جزء من هذه لم يقدروا عليها لان خلق الذات مع الصفات أصعب من تغيير الذات فى أطوار الصفات وهذا معلوم لكل صانع يتكرر عنه من عمل لان الاول لم يستقر بعد فى خزانة خيال والثانى قدار تسم واستقر وثبت له مثال واحتذاء واذا كان حال من يتفاوت فى قدرته الصعب والسهل كذلك فما الظن بمن لا يتوقف مقدوره الا على مجرد تعلق الارادة الازلية به وفى قوله ولم يك شيأ بحث قدمر فى أول السورة مثله وحين نبه على النكتة الضرورية أكدها بالاقسام قائلا فوربك لنحشرنهم الفاء للاستئناف وهو يفيد الإعراض عن قصة والشروع فى

آخرون الرابعة ذكر الرواية بذلك **حدثنى** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى جرير بن حازم عن سليمان الاعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ماقول الله تعالى لادريس ورفعناه مكانا عليا قال كعب أما ادريس فان الله أوحى اليه انى رافع اليك كل يوم مثل جميع عمل بنى آدم فاحب ان يزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة فقال ان الله أوحى الى كذا وكذا فكلم لى ملك الموت فليؤخرنى حتى أزداد عملا فحمله بين جناحيه ثم صعد به الى السماء فلما كان فى السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرا فكلمه وكلم ملك الموت فى الذى كلمه فيه ادريس فقال وأين ادريس فقال هو ذا على ظهرى قال ملك الموت فالعجب بعثت أقبض روح ادريس فى السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الارض فقبض روحه هناك فذلك قول الله تبارك وتعالى ورفعناه مكانا عليا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ورفعناه مكانا عليا قال ادريس رفع فلم يمت حتى رفع عيسى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا انه قال ولم يمت **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن ابيه عن ابن عباس ورفعناه مكانا عليا قال رفع الى السماء السادسة فمات فيها **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ورفعناه مكانا عليا ادريس أدركه الموت فى السماء السادسة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد ورفعناه مكانا عليا قال السماء الرابعة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن أبى هرون العبدى عن أبى سعيد الخدرى ورفعناه مكانا عليا قال فى السماء الرابعة **حدثنا** على بن سهل قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية الرياحى عن أبى هريرة أو غيره شك أبو جعفر الرازى قال لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم صعد به جبرائيل الى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبرائيل قالوا ومن معه قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء قال فدخل فاذا هو برجل قال هذا ادريس رفعه الله مكانا عليا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ورفعناه مكانا عليا قال ثنا أنس بن مالك ان نبى الله حدث انه لما عرج به الى السماء قال أتيت على ادريس فى السماء الرابعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم هؤلاء الذين اقتصصت عليك أنباءهم فى هذه السورة يا محمد الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه فهداهم لطريق الرشد من الانبياء من ذرية آدم ومن ذرية من حملنا مع نوح فى الفلك ومن ذرية ابراهيم خليل الرحمن ومن ذرية اسرائيل وممن هدينا للايمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا يقول وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا فالذى عنى به من ذرية آدم ادريس والذى عنى به من ذرية

من حملنا مع نوح ابراهيم والذى عنى به من ذرية ابراهيم اسحق ويعقوب واسمعيل والذى عنى به من ذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا وعيسى وأمه مريم ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وان كان يجمع جميعهم آدم لان فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح فى السفينة وهو ادريس وادريس جد نوح وقوله تعالى ذكره اذا تتلى عليهم آيات الرحمن يقول اذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التى أنزلها عليهم فى كتبه خروا لله سجدا استكانة له وتذللا وخضوعا لامره وانقيادا وبكيا يقول خروا سجدا وهم باكون والبكى جمع باك كما العتى جمع عات والجثى جمع جاث فجمع وهو فاعل على فعول كما يجمع القاعد قعودا والجالس جلوسا وكان القياس أن يكون وبكوا وعتوا ولكن كرهت الواو بعد الضمة فقلبت ياء كما قيل فى جمع دلو أدل وفى جمع البهو أبه وأصل ذلك أفعل أدلو وأبهو فقلبت الواو ياء لمجيئها بعد الضمة استثقالا وفى ذلك لغتان مستفيضتان قد قرأ بكل واحدة علماء من القراء بالقرآن وبكيا وعتيا بالضم وعتيا بالكسر وقد يجوز أن يكون البكى هو البكاء بعينه وقد حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم قال قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد فقال هذا السجود فاين البكى يريد فاين البكاء

القول فى تأويل قوله تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) يقول تعالى ذكره فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الانبياء الذين أنعمت عليهم ووصفت صفتهم فى هذه السورة خلف سوء خلفوهم فى الارض أضاعوا الصلاة * ثم اختلف أهل التأويل فى صفة اضاعتهم الصلاة فقال بعضهم كانت اضاعتموها تأخيرهم اياها عن مواقيتها وتضييعهم أوقاتها ذكر من قال ذلك حدثنى على بن سعد الكندى قال ثنا عيسى ابن يونس عن الاوزاعى عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة فى قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال انما أضاعوا المواقيت ولو كان تركا كان كفرا حدثنا اسحق بن زيد الخطابى قال ثنا الفريابى عن الاوزاعى عن القاسم بن مخيمرة نحوه حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنى الوليد بن مسلم عن أبى عمرو عن القاسم بن مخيمرة قال أضاعوا المواقيت ولو تركوها لصاروا بتركها كفارا حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن القاسم نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عيسى عن الاوزاعى عن ابراهيم بن يزيد ان عمر بن عبد العزيز بعث رجلا الى مصر فى أمر اعجله للمسلمين فخرج الى حرسه وقد كان تقدم اليهم أن لا يقوموا اذا رأوه قال فاوسعوا له فجلس بينهم فقال أيكم يعرف الرجل الذى بعثناه الى مصر فقالوا كلنا نعرفه قال فليقم أحدثكم سنا فليدعه فأتاه الرسول فقال لا تعجلنى أشد على ثيابى فأتاه فقال له ان اليوم الجمعة فلا تبرحن حتى تصلى وانا بعثناك فى أمر عجلة للمسلمين فلا يعجلنك ما بعثناك له ان تؤخر الصلاة عن ميقاتها فانك مصليها لا محالة ثم قرأ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم قال لم يكن اضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن المسعودى عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن مسعود عن ابن مسعود انه قيل له ان الله يكثر ذكر الصلاة فى القرآن الذين هم عن صلاتهم ساهون

أخرى عقيبها والواو للقسم وشرف المقسم به دليل كمال العناية بالمقسم عليه واضافة القسم الى المخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع المفسرين تفخيم لشأنه ورفع من مقداره والواو فى والشياطين اما للعطف واما بمعنى مع بناء على ان كل كافر مقرون مع شيطانه فى سلسلة واذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين بل الكفرة وان كان الضمير عائدا الى منكرى البعث فقط فلا اشكال وكذا فى قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا أى جثيا على الركب غير مشاة على أقدامهم لما يدهشهم من شدة الامر التى لا يطيقون معها القيام على الارجل أو على العادة المعهودة فى مواقف مطالبات الملوك ومقاولاتهم ثم لننزعن لنميزن من كل شيعة طائفة شاعت أى تبعت غاويا من الغواة وقد سبق تفسيره فى الانعام أيهم أشد قرئ بالنصب وهو ظاهر وأما المقتصرون على الضم فذهب سيبويه الى أنها مبنية كيلا يلزم خلاف القياس من وجهين أحدهما اعراب أى مع ان من حق الموصول أن يبنى والآخر حذف المبتدأ مع أن الاصل فيه أن يكون مذكورا والتقدير أيهم هو أشد وذهب الخليل الى أنها معربة ولكنها لم تنتصب على أن تكون مفعول لننزعن بل رفعت بتقدير الحكاية أى من كل شيعة مقول فيهم أيهم أشد فيكون من كل شيعة مفعول لننزعن كقولك أكلت من كل طعام أى بعضا من كل ويجوز أن يقدر لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد قال سيبويه لو جاز اضرب أيهم أفضل على الحكاية لجاز اضرب الفاسق الخبيث أى الذى يقال له الفاسق الخبيث وهذا باب قلما يصار اليه فى سعة الكلام ومذهب يونس فى مثله ان الفعل الذى قبل أى معلق عن العمل ويجيز التعليق فى غير أفعال القلوب ثم ان علقت قوله على الرحمن بأشد كقولهم هو أشد على خصمه فظاهر وان علقته بالمصدر فذلك لا سبيل اليه عند النحويين لان المصدر لا يعمل فيما قبله فالوجه أن يقال انه بيان لمحذوف فكأنه سئل ان عتوه على من فقيل على الرحمن وكذا الكلام فى أولى بها صليا تعلق المجرور بافعل من غير تأويل أو بصليا على التأويل صلى فلان النار يصلى صليا اذا احترق أخبر أولا انه يميز من كل فرقة ضالة من هو أضل ثم بين بقوله ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا انه يطرحهم أى أهل الضلال البعيد فى النار على

الترتيب يقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم ولا ريب أن الضال المضل يكون أولى بالتقدم من الضال وكذا الكافر المعاند بالنسبة الى المقلد وان كانوا جميعا مشتركين فى شدة العتو ويجوز أن يراد بالذين هم أولى المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وانهم أولى بالصلى لكون دركاتهم أسفل وان منكم الخطاب للناس من غير التفات أو للانسان المذكور فيكون التفاتا وعلى التقديرين فان أريد الجنس كله لم يكن فى قوله ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اشكال ولكنه يشكل بان المؤمنين كيف يردون النار وأجيب بما روى عن جابر بن عبد الله انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة وعنه عليه السلام أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها وأما قوله أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن عباس يردونها كانها اهالة ومنهم من لم يفسر الورود ههنا بالدخول لان ابن عباس قال قد يرد الشئ الشئ ولم يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ومعلوم ان موسى لم يدخل الماء ولكنه قرب منه ويقال وردت القافلة البلد اذا قربت منه فالمراد بالورود جثوهم حولها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن مجاهد هو مس الحمى جسده فى الدنيا قال عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفى رواية الحمى حظ كل مؤمن من النار وان أريد بالناس أو بالانسان الكفرة فلا اشكال فى ورودهم النار ولكنه لا يطابقه قوله ثم ننجى الذين اتقوا ووجه بانه أراد ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يردونها ثم يتخلصون * أسئلة كيف يندفع عنهم ضرر النار عند من فسر الورود بالدخول زعم بعضهم ان البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع أن يكون فى خلالها مواضع خالية عن النار أشباه الطرق الى دركات جهنم والمؤمنون يردون تلك المواضع والاصح انه سبحانه يزيل عنها طبيعة الاحراق بالنسبة الى المؤمنين وهو على كل شئ قدير ولهذا لا تضر النار الملائكة الموكلين بالعذاب * ما الفائدة فى ايراد المؤمنين النار اذا لم يعذبوا بها فيه وجوه منها ان يزدادوا سرورا اذا رأوا الخلاص منها ومنها

وعلى صلاتهم دائمون وعلى صلاتهم يحافظون فقال ابن مسعود رضى الله عنه على مواقيتها قالوا ما كنا نرى ذلك الا على الترك قال ذاك الكفر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عمر أبو حفص الابار عن منصور بن المعتمر قال قال مسروق لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين وفى افراطهن الهلكة وافراطهن اضاعتهن عن وقتهن * وقال آخرون بل كانت اضاعتموها تركها ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا أبو صخر عن القرظى انه قال فى هذه الآية فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يقول تركوا الصلاة * قال أبو جعفر وأولى التأويلين فى ذلك عندى بتأويل الآية قول من قال اضاعتموها تركهم اياها لدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على ان ذلك كذلك وذلك قوله جل ثناؤه الا من تاب وآمن وعمل صالحا فلو كان الذين وصفهم بانهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفارا لا يصلون لله ولا يؤدون له فريضة فسقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله وقد قيل ان الذين وصفهم الله بهذه الصفة قوم من هذه الامة يكونون فى آخر الزمان **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال عند قيام الساعة وذهاب صالح أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض فى الازقة قال محمد بن عمرو زنا وقال الحرث زنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال زنا كما قال ابن عمرو **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد وعطاء بن أبى رباح فخلف من بعدهم خلف الآية قال هم أمة محمد **وحدثنى** الحرث قال ثنا الاشيب قال ثنا شريك عن أبى تميم بن مهاجر فى قول الله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال هم فى هذه الامة يتراكبون تراكب الانعام والحمر فى الطرق لا يخافون الله فى السماء ولا يستحيون الناس فى الارض وأما قوله فسوف يلقون غيا فانه يعنى ان هؤلاء الخلف الذين خلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين سيدخلون غيا وهو اسم واد من أودية جهنم أو اسم بئر من آبارها كما **حدثنى** عباس بن أبى طالب قال ثنا محمد بن زياد بن زبان قال ثنا شرقى بن قطامى عن لقمان بن عامر الخزاعى قال جئت أبا امامة صدى بن عجلان الباهلى فقلت حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فدعا بطعام ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن صخرة زنة عشر عشراوات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهى الى غى وأثام قال قلت وما غى وما أثام قال بئران فى أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللتان ذكر الله فى كتابه أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقوله فى الفرقان ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عمرو بن عاصم قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن قتادة عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمرو فسوف يلقون غيا قال واديا فى جهنم **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله فسوف يلقون غيا قال واديا

افتضاح الكافرين اذا اطلع المؤمنون عليهم ومنها ان المؤمنين يوبخون الكفار ويتحقرون منهم كما حضروا في الدنيا ومنها أن يزيد التذاذهم بالجنة فبضدها تتبين الاشياء هل ثبت في الاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها قد ثبت ان المحاسبة تكون في الارض أو في موضعها لقوله يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجنة في السماء فالاجتماع يكون في موضع الحساب ثم يدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله أهل الجنة و يبقى أهل النار فيها قلت هذا على رأى (٦٧) الفلاسفة الاسلاميين ظاهر فالمحاسبة تكون

في النار حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله انه قال في هذه الآية فسوف يلقون غيا قال نهر في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أبو الاحوص عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن أبيه في قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال الغي نهر جهنم في النار يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الاحوص عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن أبيه في قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال الغي نهر جهنم في النار يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الاحوص عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال نهر في النار تقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات * وقال آخرون بل عنى بالغي في هذا الموضع الخسران ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فسوف يلقون غيا يقول خسرانا * وقال آخرون بل عنى به الشرك ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فسوف يلقون غيا قال الغي الشر ومنه قول الشاعر

من يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

قال أبو جعفر وكل هذه الاقوال متقاربات المعاني وذلك ان من ورد البئرين اللتين ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم فدخل ذلك فقد لاقى خسرانا وشرا حسبه به شرا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ) يقول تعالى ذكره فسوف يلقى هؤلاء الخلف السوء الذين وصف صفتهم غيا الا الذين تابوا فراجعوا أمر الله والايمان به وبرسوله وعمل صالحا يقول وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه وأدى فرائضه واجتنب محارمه فاولئك يدخلون الجنة يقول فان أولئك منهم خاصة يدخلون الجنة دون من هلك منهم على كفره واضاعته الصلاة واتباعه الشهوات وقوله ولا يظلمون شيأ يقول ولا يبخسون من جزاء أعمالهم شيأ ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالهم وقبل انابتهم الى طاعة ربهم في جهنم ولكنهم يدخلون مدخل أهل الايمان ۞ القول في تأويل قوله تعالى (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا) يقول تعالى ذكره فاولئك يدخلون الجنة جنات عدن وقوله جنات عدن نصب ترجمة عن الجنة ويعني بقوله جنات عدن بساتين اقامة وقد بينت ذلك فيما مضى قبل بشواهده المغنية عن اعادته وقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب يقول هذه الجنات هي الجنات التي وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب لانهم لم يروها ولم يعاينوها فهي غيب لهم وقوله انه كان وعده مأتيا يقول تعالى ذكره ان الله كان وعده ووعده في هذا الموضع موعوده وهو الجنة مأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله وقال بعض نحوى الكوفة خرج الخبر على أن الوعد هو المأتي ومعناه انه هو الذي يأتي ولم يقل وكان وعده آتيا لان كل ما أتاك فانت تأتيه وقال ألا ترى

في الارض ومرور الكل يكون على كرة النار ثم يرفع أهل الكمال الى السماء و يبقى الكفرة في النار ويؤيده قوله كان أي الورود على ربك حتما أي محتوما مصدر بمعنى المفعول مقضيا قضى به وعزم أن لا يكون غيره وذلك ان العبور من جميع الجوانب على كرة النار واحتجت المعتزلة بذلك على ان العقاب واجب على الله عقلا وقال الاشاعرة شبه بالواجب من قبل استحالة تطرق الخلف اليه وقد سبق ان المتقي عند المعتزلة من يجتنب المعاصي كلها وعند غيرهم هو الذي اجتنب الشرك فقط وقد يهدم بالآية قاعدة القائل بمنزلة بين المنزلتين وأجيب بان تنجية المتقين أعم من أن تكون الى الجنة أو الى غيرها وهب ان تنجيتهم الى الجنة الا أن الذي طاعته ومعصيته سيان غير داخل في المتقين ولا في الظالمين فيبقى حكمه مسكوتا عنه ومن المعتزلة من تمسك بالوعيد بقوله ونذر الظالمين ومنع ان الصيغة للعموم ولو سلم فمخصص بآيات الوعد لما رد على منكري البعث وقرر كيفية الحشر قال اذا تتلى عليهم آياتنا الآية والمراد انهم عارضوا حجة الله بكلام أعوج فقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان الحكيم لا يليق به ان يهين أولياءه و يعز أعداءه يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم و يدهنون و يتطيبون ويتزينون ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم أكرم على الله عز وجل منهم قال جار الله معنى بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو بتبيين الرسول قولا أو فعلا أو ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين وعلى التقادير تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا بهذه الاوصاف ومعنى الذين آمنوا انهم

انك تقول أتيت على خمسين سنة وأتت على خمسون سنة وكل ذلك صواب وقد بينت القول فيه والهاء فى قوله انه من ذكر الرحمن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) يقول تعالى ذكره لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوا وهو الهذى والباطل من القول والكلام الا سلاما وهذا من الاستثناء المنقطع ومعناه ولكن يسمعون سلاما وهو تحية الملائكة اياهم وقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يقول ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب فى قدر وقت البكرة ووقت العشى من نهار أيام الدنيا وانما يعنى ان الذى بين غدائهم وعشائهم فى الجنة قدر ما بين غداء أحدنا فى الدنيا وعشائه وكذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لانه لا ليل فى الجنة ولا نهار وذلك كقوله خلق الارض فى يومين وخلق السموات والارض فى ستة أيام يعنى به من أيام الدنيا كما حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قول الله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال ليس فى الجنة ليل هم فى نور أبدا ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق الابواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب حدثنا على قال ثنا الوليد عن خليد عن الحسن وذكر أبواب الجنة فقال أبواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم وتكلم فتفهم انفتحى انغلقى فتفعل حدثنى ابن حرب قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا عامر بن يساف عن يحيى قال كانت العرب فى زمانها من وجد منهم عشاء وغداء فذاك الناعم فى أنفسهم فأنزل الله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قدر ما بين غدائكم الى عشائكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال كانت العرب اذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عجب له فأخبرهم الله ان لهم فى الجنة بكرة وعشيا قدر ذلك الغداء والعشاء حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ليس بكرة ولا عشى ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون فى الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيها ساعتان بكرة وعشى فان ذلك لهم ليس ثم ليل انما هو ضوء ونور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) يقول تعالى ذكره هذه الجنة التى وصفت لكم أيها الناس صفتها هى الجنة التى نورثها يقول نورث مساكن أهل النار فيها من عبادنا من كان تقيا يقول من كان ذا اتقاء عذاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) ذكر ان هذه الآية نزلت من أجل استبطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل بالوحى وقد ذكرت بعض الرواية ونذكر ان شاء الله باقى ما حضرنا ذكره مما لم نذكر قبل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله بن أبان العجلى وقبيصة ووكيع وحدثنا سفيان ابن وكيع قال ثنا أبى جميعا عن عمر بن ذر قال سمعت أبى يذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان محمدا قال لجبرائيل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا قال هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم

يخالطونهم بذلك أو يفوهون به لاجلهم وفى شأنهم والمقام بالضم موضع الاقامة أى المنزل وبالفتح موضع القيام والندى المجلس ومجتمع القوم حيث ينتدون وقوله أى الفريقين يعنى المؤمنين بالآيات والجاحدين لها من الكلام المنصف على زعمهم والمقصود نحن أو هم حظا على ما يظهر منا فى أحوال قيامنا وقعودنا وحسن الحال فى الدنيا دليل ظاهر على الفضل والرفعة وضده امارة على النقص والضعة فأجابهم الله تعالى بقوله وكم أهلكنا أى كثيرا من المرات أهلكنا قبلهم أهل عصر فمن بيان المهلك ويجوز أن تكون زائدة للتأكيد وكم استفهامية لتقرير التكثير أو خبرية عند من يجوز زيادتها فى الموجب وهم أحسن فى محل النصب صفة لكم أو الجر صفة قرن والاثاث متاع البيت وقدمر فى النحل فى قوله أثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهرى من همز رئيا جعله من رأيت وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم يهمزه فاما أن يكون على تخفيف الهمز أى قلب الهمزة ياء وأدغم أو يكون من رويت ألوانهم وجلودهم ريا أى امتلأت وحسنت وقال جار الله الرئى هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول وقرئ بهمز قبله ياء على القلب كقولهم راء فى رأى وقرئ بالزاى المنقوطة واشتقاقه من الزى بالفتح وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة وفى الآية حذف والتقدير أحسن من هؤلاء والحاصل انه تعالى أهلك من كان أكثر مالا وجمالا منهم وذلك دليل على فساد احدى مقدمتيهم وهى ان كل من وجد الدنيا كان حبيب الله أو على فساد المقدمة الاخرى وهى ان كل من كان خبيثا لله فانه لا يوصل اليه نعما ثم بين ان مآل الضال الى الخزى والنكال وان طالت مدته وكثرت عدته وقوله فليمدد له الرحمن خبر مخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب الامهال وانه مفعول لا محالة لتنقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو ليزدادوا اثما كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما أو هو فى معنى الدعاء بأن يمهله الله عز وجل وينفس فى مدة حياته والغاية أحد الامرين المذكورين أى انقطاع العذر أو ازدياد الاثم أما قوله حتى اذا رأوا الى آخره فقد قال فى الكشاف انه يحتمل أن يكون متصلا بقوله أى الفريقين الى آخره وما بينهما اعتراض قالوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا حتى اذا رأوا ما يوعدون والمعنى لا يزالون يتفوهون بهذا القول مولعين به الى أن يشاهدوا

الموعود رأى عين اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم بالقتل والاسر وتغير أحوالهم من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر واما يوم القيامة فيحتمل أن تتصل بما يليها والمراد انهم لا ينفكون عن ضلالتهم وسوء مقالتهم الى أن يعاينوا عذاب الدنيا أو الساعة ومقدماتها وقوله فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا فى مقابلة قولهم خير مقاما وأحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم والجند الاعوان ولا ريب ان مكان القتل والاسر شر مكان فى الدنيا (٦٦) ومكان عذاب النار شر مكان فى الآخرة ولا شك أيضا انه لو كان لهم فى الوقتين ناصر قوى لم يلحقهم من الخزى والنكال ما لحقهم وحين بين حال أهل الضلال أراد أن يبين حال أهل الكمال فقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وذلك ان بعض الاهتداء يجر الى البعض الآخر كالايمان يجر الى الاخلاص فيه كما أن بعض الغواية تجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادات المرتبة على الايمان والواو فى ويزيد للاستئناف وقد تكلف جار الله فقال انه للعطف على معنى فليمدد أى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه وقد مر فى سورة الكهف ان الباقيات الصالحات فسرها الاكثرون بجميع الاعمال الصالحات المؤدية الى السعادات الباقيات وفسرها بعضهم بما هى أعظم ثوابا منها كالصلوات الخمس وغيرها وقوله خير يقتضى غيرا يكون مشاركا له فى أصل الخيرية ويكون هذا خيرا منه فان قدرنا ذلك شيأ فيه خيرية كبعض الاعمال الدنيوية المباحة أو كسائر الاعمال الصالحة عند من يفسر الباقيات بمعنى الاخص فظاهر انها خير ثوابا وخير مردا أى مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم هل لهذا الامر مرد وان قدرنا ذلك شيأ لا ثواب فيه ولا خيرية كما زعم جار الله ان المراد هى خير ثوابا من مفاخرات الكفار فيكون اطلاق الثواب على عقاب الكفار من قبيل التهكم ومن باب قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * ويكون وجه التفضيل فى الخير ما قيل فى قولهم الصيف أحر من الشتاء أى هو أبلغ فى حره من الشتاء فى برده ثم أردف مقالتهم الحمقاء باخرى مثلها قائلا على سبيل التعجب أفرأيت كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وانما استعملوا أرأيت بمعنى أخبر لان رؤية الشئ من أسباب صحة الخبر عنه عن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور انها فى العاص بن وائل

وسلم حدثنى محمد بن معمر قال ثنا عبد الملك بن عمرو قال ثنا عمر بن ذر قال ثنى أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما نتنزل الا بامر ربك الى وما كان ربك نسيا قال احتبس جبرائيل عن النبى صلى الله عليه وسلم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن فأتاه جبرائيل فقال يا محمد وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال ابث جبرائيل عن النبى صلى الله عليه وسلم فكأن النبى استبطأه فلما أتاه قال له جبرائيل وما نتنزل الا بامر ربك الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا قال هذا قول جبرائيل احتبس جبرائيل فى بعض الوحى فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ما جئت حتى اشتقت اليك فقال له جبرائيل وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى وما نتنزل الا بامر ربك قال قول الملائكة حين استراثهم محمد صلى الله عليه وسلم كالتى فى الضحى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال لبث جبرائيل عن محمد اثنتى عشرة ليلة ويقولون قلى فلما جاءه قال أى جبرائيل لقد ريثت على حتى ظن المشركون كل ظن فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما نتنزل الا بامر ربك احتبس عن نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى تكلم المشركون فى ذلك واشتد ذلك على نبى الله فأتاه جبرائيل فقال اشتد عليك احتباسنا عنك وتكلم فى ذلك المشركون وانما أنا عبد الله ورسوله اذا أمرنى بامر أطعته وما نتنزل الا بامر ربك يقول بقول ربك ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك فقال بعضهم يعنى بقوله ما بين أيدينا من الدنيا ويقول وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك النفختين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع له ما بين أيدينا يعنى الدنيا وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك النفختين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال ما بين أيدينا من الدنيا وما خلفنا من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين * وقال آخرون ما بين أيدينا الآخرة وما خلفنا الدنيا وما بين ذلك ما بين الدنيا والآخرة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس بين أيدينا الآخرة وما خلفنا من الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة له ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا من أمر الدنيا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة له ما بين أيدينا من الآخرة وما خلفنا من الدنيا وما بين ذلك ما بين النفختين حدثت عن الحسين قال سمعت

أبامعاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله له مابين أيدينا من الآخرة وماخلفنا من الدنيا * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج مابين أيدينا قال مامضى أمامنا من الدنيا وماخلفنا مايكون بعدنا من الدنيا والآخرة وما بين ذلك قال مابين مامضى امامهم و بين مايكون بعدهم وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يتأول ذلك له مابين أيدينا قبل أن نخلق وماخلفنا بعد الفناء ومابين ذلك حين كنا * قال أبوجعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه له مابين أيدينا من أمر الآخرة لان ذلك لم يجئ وهو جاء فهو بين أيديهم فان الاغلب فى استعمال الناس اذا قالوا هذا الامر بين يديك انهم يعنون به مالم يجئ وانه جاء فلذلك قلنا ذلك أولى بالصواب وماخلفنا من أمر الدنيا وذلك ماقد خلفوه فمضى فصار خلفهم بتخليفهم اياه وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه وو راءه ومابين ذلك مابين مالم يمض من أمر الدنيا الى الآخرة لان ذلك هو الذى بين ذينك الوقتين وانما قلنا ذلك أولى التأويلات به لان ذلك هو الظاهر الاغلب وانما يحمل تاويل القرآن على الاغلب من معانيه مالم يمنع من ذلك مايجب التسليم له فتأويل الكلام اذا فلا تستبطئنا يا محمد فى تخلفنا عنك فانا لا نتنزل من السماء الى الارض الا بأمر ربك لنا بالنزول اليها لله ماهو حادث من أمور الآخرة التى لم تأت وهى آتية وماقد مضى فخلفناه من أمر الدنيا ومابين وقتنا هذا الى قيام الساعة بيده ذلك كله وهو مالكه ومصرفه لا يملك ذلك غيره فليس لنا ان نحدث فى سلطانه أمرا الا بأمره ايانا به وما كان ربك نسيا يقول ولم يكن ربك ذا نسيان فيتأخر نزولى اليك بنسيانه اياك بل هو الذى لا يعزب عنه شئ فى السماء ولا فى الارض تبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يدبر و يقضى فى خلقه جل ثناؤه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وما كان ربك نسيا قال ما نسيك ربك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (رب السموات والارض ومابينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) يقول تعالى ذكره لم يكن ربك يا محمد رب السموات والارض ومابينهما نسيا لانه لو كان نسيا لم يستقم ذلك ولهلك لولا حفظه اياه فالرب مرفوع ردا على قوله ربك وقوله فاعبده يقول فالزم طاعته وذل لامره ونهيه واصطبر لعبادته يقول واصبر نفسك على النفوذ لامره ونهيه والعمل بطاعته تفز برضاه عنك فانه الاله الذى لا مثل له ولا عدل ولا شبيه فى جوده وكرمه وفضله هل تعلم له سميا يقول هل تعلم يا محمد لربك هذا الذى أمرناك بعبادته والصبر على طاعته مثلا فى كرمه وجوده فتعبده رجاء فضله وطوله دونه كلا ماذلك بموجود * و بنحو ماقلنا فى تاويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هل تعلم له سميا يقول هل تعلم للرب مثلا أو شبيها حدثنى سعيد بن عثمان التنوخى قال ثنا ابراهيم بن مهدى عن عباد بن عوام عن شعبة عن الحسن بن عمارة عن رجل عن ابن عباس فى قوله هل تعلم له سميا قال شبيها حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن مجاهد فى هذه الآية هل تعلم له سميا قال هل تعلم له شبيها هل تعلم له مثلا تبارك وتعالى حدثنا بشر قال ثنا يزيد

قال خباب بن الارت كان لى عليه دين فاقتضيته وقيل صاغ له حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا أقضيك ثم فانى أوتى مالا وولدا حينئذ من قرأ ولدا بفتحتين فظاهر ومن قرأ بالضم فالسكون فاما جمع ولد كاسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب والعرب فانكر الله سبحانه عليه بقوله مستفهما أطلع الغيب من قولهم أطلع الجبل أى ارتقى الى أعلاه ولاختيار هذه الكلمة شأن كانه قال أوقد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى (٧٠) الى عالم الغيب الذى تفرد به علام الغيوب أم اتخذ عند الرحمن عهدا عن الكلبى هل عهد الله اليه أن يؤتيه ذلك وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك مايقول وقيل العهد كلمة الشهادة كلا ردع وتنبيه على الخطأ فيما تصوره لنفسه وتمناه وفى قوله سنكتب بسين التسويف مع أن الحفظة يكتبون ماقاله فى الحال دليل على أن السين جردهنا لمعنى الوعيد أو أراد سيظهر له نبأ الكتابة بالتعذيب والانتصار يؤيده قوله وغدله أى نطول له من العذاب مايستأهله أمثاله من المستهزئين أونزيده من العذاب ونضاعف له من المدد مدده وأمده بمعنى ثم أكد المدد بالمصدر وهو مؤذن بفرط الغضب أعاذنا الله منه ثم عكس استهزاءه بقوله ونرثه مايقول أى نمنع عنه منتهى مازعم انه يناله فى الآخرة من المال والولد لانه تألى على الله فى قوله لاوتين ومن يتأل على الله يكذبه لان ذلك غاية الجراءة ونهاية الاشعبية والمراد هب انا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه فى العاقبة و يأتينا غدا فردا بلا مال ولا ولد وكلام صاحب الكشاف فى الوجهين مخبط فليتأمل فيه وكذا فى قوله فردا على الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء فى اتيانه فردا حين يأتى ثم يتفاوتون بعد ذلك وذلك ان الخلود لا يتحقق الا بعد الدخول أما انفراده فمحقق فى حالة الاتيان وتفاوت الحال بعد ذلك واشتراك الكل فى الاتيان منفردا لامدخل له فى المقصود فلا أدرى ما حمله على هذا التكلف قال ويحتمل ان هذا القول انما يقوله مادام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه و بين أن يقوله و يأتينا منفردا عنه غير قائل له أو أراد ان هذا القول لا ننساه ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته لنضرب به وجهه فى الموقف ونعيره به و يأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نعطه سؤله ومتمناه فيجتمع عليه خطيئآت تبعة قوله وفقد سؤله وحين فرغ من الرد على منكرى البعث شرع فى الرد على عبدة

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تعلم له سميا لا سمي لله ولا عدل له كل خلقه يقر له و يعترف انه خالقه و يعرف ذلك ثم يقرأ هذه الآية ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله هل تعلم له سميا قال يقول لا شريك له ولا مثل

القول في تأويل قوله تعالى (و يقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) يقول تعالى ذكره و يقول الانسان الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت أخرج حيا فابعث بعد الممات و بعد البلاء والفناء انكارا منه ذلك يقول الله تعالى ذكره أولا يذكر الانسان المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على احيائه بعد فنائه وايجاده بعد عدمه في خلق نفسه ان الله خلقه من قبل مماته فانشأه بشرا سويا من غير شئ ولم يك من قبل انشائه اياه شيئا فيعتبر بذلك و يعلم ان من أنشأه من غير شئ لا يعجز عن احيائه بعد مماته وايجاده بعد فنائه وقد اختلفت القراء في قراءة قوله أولا يذكر الانسان فقرأه بعض قراء المدينة والكوفة أولا يذكر بتخفيف الذال وقد قرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة والحجاز أولا يذكر بتشديد الذال والكاف بمعنى أولا يتذكر والتشديد بذلك أعجب الي وان كانت الاخرى جائزة لان معنى ذلك أولا يتفكر فيعتبر

القول في تأويل قوله تعالى (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فو ربك يا محمد لنحشرن هؤلاء القائلين أئذا متنا لسوف نخرج احياء يوم القيامة من قبورهم مقرنين باوليائهم من الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا والجثي جمع الجاثي كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا يعني القعود وهو مثل قوله وترى كل أمة جاثية

القول في تأويل قوله تعالى (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا) يقول تعالى ذكره ثم لنأخذن من كل جماعة منهم أشدهم على الله عتوا وتمردا فلنبدأن بهم * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن علي بن الاقمر عن أبي الاحوص ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا قال نبدأ بالاكابر فالاكابر جرما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا يقول أيهم أشد للرحمن معصية وهي معصيته في الشرك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أيهم أشد على الرحمن عتيا يقول عصيا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من كل شيعة قال أمة وقوله عتيا قال كفرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وزاد فيه ابن جريج فلنبدأن بهم * قال أبو جعفر والشيعة هم الجماعة المتعاونون على الامر من الامور يقال من ذلك تشايع القوم اذا تعاونوا ومنه قولهم للرجل الشجاع انه لمشيع أي معان فمعنى الكلام ثم لننزعن من كل جماعة تشايعت على الكفر بالله أشدهم على الله عتوا فلنبدأن باصلائه جهنم والتشايع في غير هذا الموضع التفرق

الاصنام فبين أولا غرضهم وذلك أن يتعززوا بآلهتهم و ينتفعوا بشفاعتهم ثم أنكر عليهم وردعهم بقوله كلا ثم أخبر عن مآل حالهم بقوله سيكفرون فان كان الضمير للمعبودين فهم اما الملائكة كقوله قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واما الاصنام فلا يبعد أن ينطق الله الجماد بذلك كقوله وألقوا اليهم القول انهم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين فهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين أما الضمير في يكونون فللمعبودين وقوله عليهم في مقابلة قولهم عزا وضد العز الهوان كأنه قيل و يكونون عليهم ذلا لا لهم عزا و يحتمل أن يراد بالضد العون لانه يضاد العدو و وحد لاتفاق كلمتهم وفرط تضامهم وتوافقهم كقوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم ومعنى كون الآلهة اضدادا أي أعوانا عليهم انهم وقود النار وان المشركين عذبوا بسبب عبادتها و يحتمل أن يكون الضمير في يكونون للمشركين أي يكونون المشركون كفرة بآلهتهم وأعداء لهم بعد ان كانوا يعبدونها وحيث بين مذاهب الفرق الضالة أراد أن يبين منشأها فقال ألم تر أنا أرسلنا الآية والأز الهز والتهيج قالت الاشاعرة في الآية دلالة على انه تعالى مريد لجميع الكائنات لان قول القائل أرسلت فلانا على فلان يفيد انه سلط عليه منه قوله صلى الله عليه وسلم سم الله وأرسل كلبك عليه ويؤيده قوله تؤزهم أي تغريهم على المعاصي وتحثهم عليها بالوسواس والتسويلات وقالت المعتزلة أراد بهذا الارسال التخلية بينهم و بينهم كما اذا لم يمنع الرجل من دخول بيت جيرانه وحاصل كلامهم انه أرسل الانبياء وأرسل الشياطين ثم خلى بين المكلفين وبين الانبياء والشياطين الا انه خص أولياءه بمزيد الالطاف حتى قبلوا قول الانبياء ومنع أعداءه تلك الالطاف وهو المسمى بالخذلان فقبلوا قول الشياطين ولما كان هذا الارسال سببا لهلاك الكفار عداه بعلى قلت لا يخفى ان استناد الكل الى الله تعالى فنزاع الفريقين لفظي أو قريب منه فلا تعجل عليهم يقال عجلت عليه بكذا اذا استعجل منه أي لا تعجل عليهم بان يهلكوا فتستريح أنت والمسلمون من شرورهم فليس بينك و بين ما تطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة قال ابن عباس نزلت في المستهزئين وهم خمسة رهط وعنه انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك وآخر العدد فراق أهلك وآخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه

ومنه قول الله عز ذكره وكانوا شيعا يعني فرقا ومنه قول ابن مسعود أو سعد اني أكره ان آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول شيعت بين أمتي يعني فرقت ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) يقول تعالى ذكره ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين ننزعهم من كل شيعة أولاهم بشدة العذاب وأحقهم بعظيم العقوبة وذكر عن ابن جريج انه كان يقول في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا قال أولى بالخلود في جهنم * قال أبو جعفر وهذا الذي قاله ابن جريج قول لا معنى له لان الله تعالى ذكره أخبر ان الذين ينزعهم من كل شيعة من الكفرة أشدهم كفرا ولا شك انه لا كافر بالله الا مخلد في النار فلا وجه و جميعهم مخلدون في جهنم لان يقال ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بالخلود من هؤلاء الخالدين ولكن المعنى في ذلك ما ذكرنا وقد يحتمل ان يكون معناه ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صليا والصلي مصدر صليت يصلى صليا والصلي فعول ولكن واوها انقلبت ياء فادغمت في الياء التي بعدها التي هي لام الفعل فصارت ياء مشددة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) يقول تعالى ذكره وان منكم أيها الناس الا وارد جهنم كان على ربك يا محمد ايرادهموها قضاء مقضيا قد قضى ذلك وأوجبه في أم الكتاب واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع فقال بعضهم الدخول ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو قال أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الازرق فقال ابن عباس الورود الدخول وقال نافع لا فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أوردوا أم لا وقال يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود أوردوا أم لا أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك قال فضحك نافع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال قال أبو راشد الحروري ذكروا هذا فقال الحروري لا يسمعون حسيسها قال ابن عباس ويلك أمجنون أنت أين قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال وان منكم الا واردها والله ان كان دعاء من مضى اللهم أخرجني من النار سالما وأدخلني الجنة غانما قال ابن جريج يقول الورود الذي ذكره الله في القرآن الدخول ليردنها كل بر وفاجر في القرآن أربعة أوراد فاوردهم النار وحصب جهنم أنتم لها واردون ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقوله وان منكم الا واردها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا يعني البر والفاجر ألم تسمع الى قول الله تعالى لفرعون يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود وقال ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فسمى الورود في النار دخولا وليس بصادر حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية عن بكار بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة ألم يعدنا ربنا الورود على النار قال قد مررتم عليها وهي خامدة قال ابن عرفة قال مروان بن معاوية

كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد وقال بعضهم شعر ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس وكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يعد عليها اللفظ والنفس ثم لما قرر أمر الحشر وأجاب عن شبه منكر به أراد ان يشرح حال المكلفين وقتئذ فقال يوم نحشر وانتصابه بمضمر متقدم أو متأخر أي اذكر يوم كذا وكذا يفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف ويجوز أن ينتصب بلا يملكون خص المتقون بالجمع الى محل كرامة الرحمن وافدين يقال وفد فلان على الامير وفادة أي ورد رسولا فهو وافد والجمع وفد كصاحب وصحب عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يحشرون على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وخص المجرمون بالسوق الى جهنم وردا أي ورادا وهم الذين يردون الماء وفيه من الاهانة ما فيه كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء وقال جار الله حقيقة الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون قال بعض العلماء في الآية دلالة على ان أهوال يوم القيامة تختص بالمجرمين لان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا النوع من الكرامة فكيف ينالهم بعد ذلك شدة قلت يحتمل أن يكون الحشر الى الرحمن غير الحشر الى الموقف فيراد بالحشر الى الرحمن أي الى دار كرامته وسوقهم الى الجنة لقوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وهذا بعد امتياز الفريقين فالامن الكلي فيما بعد هذه الحالة لا ينافي الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد في حديث الشفاعة وغيره وقوله الى الرحمن دون أن يقول الينا من وضع الظاهر موضع المضمر وفيه من البشارة ما فيه ولا يلزم منه التجسيم للتأويل الذي ذكرناه والضمير في لا يملكون للمكلفين المذكورين بقسميهم وفاعله من اتخذ على البدلية لانه في معنى الجمع ويجوز أن يكون الواو علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث فيكون من اتخذ فاعلا والاستثناء مفرغا ويجوز أن ينتصب من اتخذ على الاستثناء أو على تقدير حذف المضاف أي الا شفاعة من اتخذ واختلف المفسرون في الشفاعة فقيل لا يملكون أن يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك غيرهم أن يشفعوا لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل أو بكلمة الشهادة وحدها والاول يناسب أصول المعتزلة والثاني يناسب أصول الاشاعرة وعن ابن مسعود قال

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك فى هذه الحياة بانى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك فلا تكلنى الى نفسى فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع (٧٣) ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة

قال بكار بن أبى مروان أو قال خامدة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا مرحوم بن عبد العزيز قال قال ثنى أبو عمران الجونى عن أبى خالد قال تكون الارض يوما نارا فما أعددتم لها قال فذلك قول الله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريرى عن أبى السليل عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب تمسك النار للناس كانها متن اهالة حتى يستوى عليها اقدام الخلائق برهم وفاجرهم ثم يناديها مناد أن امسكى أصحابك ودعى أصحابى قال فيخسف بكل ولى لها ولهى أعلم بهم من الرجل بولده ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم قال وقال كعب ما بين منكبى الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عمود شعبتان يدفع به الدفعة فيصرع به فى النار سبعمائة ألف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيان عن مالك بن مغول عن أبى اسحق قال كان أبو ميسرة اذا آوى فراشه قال ياليت أمى لم تلدنى ثم يبكى فقيل وما يبكيك يا أبا ميسرة قال أخبرنا انا واردوها ولم يخبرنا انا صادرون عنها حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن اسمعيل عن قيس قال بكى عبد الله بن رواحة فى مرضه فبكت امرأته فقال ما يبكيك قالت رأيتك تبكى فبكيت قال ابن رواحة انى قد علمت انى وارد النار فما أدرى أناج منها انا أم لا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عمرو داود بن الزبير قال سمعت السدى يذكر عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وان منكم الا واردها قال داخلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله وان منكم الا واردها قال يدخلها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه فى حجر امرأته وبكى فبكت امرأته قال ما يبكيك قالت رأيتك تبكى فبكيت قال انى ذكرت قول الله وان منكم الا واردها فلا أدرى أنجو منها أم لا * وقال آخرون بل هو الممر عليها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان منكم الا واردها يعنى جهنم مر الناس عليها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وان منكم الا واردها قال هو الممر عليها حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنا أبو اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله فى قوله وان منكم الا واردها قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الاولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كاجود الخيل والرابعة كاجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم * وقال آخرون بل الورود هو الدخول ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة قال أخبرنى عبد الله بن السائب عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها وان منكم الا واردها يعنى الكفار قال لا يردها مؤمن حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عمر بن الوليد الشنى قال سمعت عكرمة يقول وان منكم الا واردها يعنى الكفار * وقال آخرون بل الورود عام لكل مؤمن وكافر غير ان ورود المؤمن المرور وورود الكافر الدخول ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان منكم الا واردها

نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ويجوز أن يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها كقوله وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله وحين ردعلى عبدة الاوثان عاد الى الرد على من أثبت له ولدا من اليهود والنصارى والعرب ثم من خص الآية بالرد على العرب القائلين بان الملائكة بنات الله لان الرد على النصارى تقدم فى أول السورة وفى قوله لقد جئتم التفات من الغيبة الى المخاطبة تسجيلا عليهم بالجراءة والتعرض لسخطه والاد الامر العجيب أو المنكر والتركيب يدل على الشدة والثقل ومنه أدت الناقة تئد اذا رجعت الحنين فى جوفها ويقال فطره بالتخفيف اذا شقه ومطاوعه انفطر وبالتشديد للتكثير ومطاوعه تفطر وهذا البناء للتكثير وانتصب هدا اما على المصدر لان الخرور فى معناه واما لان التقدير يهد هدا أو على الحال أى مهدودة أو على العلة أى لانها تهد ومحل ان دعوا اما مجرور بدلا من الهاء فى منه واما منصوب بنزع الخافض أى هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بالدعاء واما مرفوع بانه فاعل هدا أى

هدها الدعاء وخير الوجوه أوسطها كما مر فى الوقوف والدعاء اما بمعنى التسمية فيكون المفعول الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعى له ولدا واما بمعنى النسبة أى نسبوا الى الرحمن ولدا وما ينبغى لا يصح ولا يستقيم وهو فى الاصل مطاوع بغى اذا طلب وانما لا يصير مطلوبا لانه محال أما الولادة المعروفة فلا مقال فى استحالتها وأما التبنى فلان القديم لا جنس له حتى يميل طبعه اليه ميل الوالد الى الولد فى

أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن المختص به فليس أصول النعم وفروعها الا منه كما قيل لينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ماعندك عطاؤه وهذا من فوائد تكرير هذا الاسم فى هذا المقام * سؤال كيف تؤثر هذه الكلمة فى الجمادات حتى تنفطر وتنشق وتخر أجيب بانه سبحانه كأنه يقول كدت أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند دعائهم الولد لى غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى أوهو تصوير لاثر هذه الكلمة فى الدنيا أو المراد ان هذا الاعتقاد يوجب أن لا تكون هذه الاجرام على ما ترى من النظام كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال أبو مسلم أراد أن هذه الاجرام لو كانت ممن يعقل كادت تفعل ذلك ثم بين ان العابدين والمعبودين فى السموات أو فى الارضين كلهم تحت قهره وتسخيره فى الدنيا وفى الآخرة وانه محيط بجمل أحوالهم وتفاصيلها فقال ان كل ان نافية أى ليس فرد من أفراد الخلائق الا آتى الرحمن الا وهو ملتجئ الى ربوبيته مقر بعبوديته ثم أجمل حال المؤمنين بما لا مزيد عليه فى باب الكرامة قائلا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا أى سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير ما سبب من الاسباب المعهودة كقرابة أو اصطناع وذلك كما يقذف فى قلوب أعدائهم الرعب والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله المودة بين الناس عند اظهار الاسلام واما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى ياعلى قل اللهم اجعل لى عندك عهدا واجعل لى فى صدور المؤمنين مودة فانزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس يعنى يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل ياجبرائيل قد أحببت فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادى فى أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض وعن قتادة ما أقبل العبد الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب قال مكتوب فى التوراة لا محبة لاحد فى الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك فى القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا هذا قول جمهور المفسرين وعن أبى مسلم أن المراد انه سيهب لهم فى الجنة ما يحبون واستعمال المصدر بمعنى المفعول كثير

ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين ان يدخلوها قال وقال النبى صلى الله عليه وسلم الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط الجسر سماطان من الملائكة دعواهم يومئذ ياالله سلم سلم * وقال آخرون ورود المؤمن مايصيبه فى الدنيا من حمى ومرض ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وان منكم الا واردها حدثنى عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم قال ثنا اسمعيل بن عبيد الله عن أبى صالح عن أبى هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال ان الله يقول هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حظه من النار فى الآخرة * وقال آخرون يردها الجميع ثم يصدر منها المؤمنون باعمالهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال ثنى السدى عن مرة عن عبد الله وان منكم الا واردها قال يردونها ثم يصدرون عنها باعمالهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا شعبة عن السدى عن مرة عن عبد الله بنحوه حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أسباط عن عبد الملك عن أبى عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الازرق فقال له ياابن عباس أرأيت قول الله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا قال أما أنا وأنت ياأبا راشد فسنردها فانظر هل نصدر عنها أم لا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود فقال نحن يوم القيامة على كوى أو كرى فوق الناس فتدعى الامم باوثانها وما كانت تعبد الاول فالاول فتنطلق بهم ويتبعونه قال ويعطى كل انسان منافق ومؤمن نورا ويغشى ظلمة ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب تأخذ من شاء الله فيطفأ نور المنافق وينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفا لا حساب عليهم ثم الذين يلونهم كاضوإ نجم فى السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة فيشفعون ويخرج من النار من قال لا اله الا الله ممن فى قلبه وزن شعيرة من خير ثم يلقون تلقاء الجنة ويهريق عليهم أهل الجنة الماء فينبتون نبات الشئ فى السيل ثم يسألون فيجعل لهم الدنيا وعشرة أمثالها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن المبارك عن الحسن قال قال الرجل لاخيه هل أتاك بانك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك انك صادر قال لا قال ففيم الضحك قال فما رؤى ضاحكا حتى لحق بالله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث ان بكيرا حدثه انه قال لبشر بن سعيد ان فلانا يقول ان ورود النار القيام عليها قال أبو بشر اما أبو هريرة فسمعته يقول اذا كان يوم القيامة يجتمع الناس نادى مناد ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون فيقوم هذا الى الحجر وهذا الى الفرس وهذا الى الخشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله فيأتيهم الله فاذا رأوه قاموا اليه فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط وفيه عليق فعند ذلك يؤذن بالشفاعة فيمر الناس والنبيون يقولون اللهم سلم سلم قال بكير فكان ابن عميرة يقول فناج مسلم ومنكوس فى جهنم ومخدوش ثم ناج * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوى فيها الكفار وورودهموها

وانما صار الى هذا القول لان المسلم التقى يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون أكثرهم وقد يحصل مثل هذه المحبة للكفار والفساق فيكونون مرز وقين بميل الناس الى اختلاطهم وصحبتهم فكيف يمكن جعله انعاما فى حق المؤمنين وأيضا ان محبتهم فى قلوبهم من فعلهم لامن فعل الله فحمل الكلام على اعطاء المنافع به أولى وأجيب بان المراد محبة الملائكة والانبياء والصالحين ومثل هذه لاتحصل للكافر والفاسق وبانه محمول على فعل الالطاف وخلق داعية اكرامه فى قلوبهم ثم عظم شان مافى هذه السورة من التوحيد والنبوة وبيان الحشر والرد على الفرق الضالة قائلا فانما يسرناه كانه قال بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فانما أنزلناه باسانك أى بلغتك وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد جمع الالد الشديد الخصومة بالباطل كقوله فى البقرة وهو ألد الخصام يريد أهل مكة ثم ختم السورة بما هو غاية فى الانذار ونهاية فى التخويف لانبائه عن انقضاء القرون الخالية بالفناء أو بالافناء بحيث لم يبق منهم شخص يرى ولا صوت يسمع فيعلم منه ان مآل حال الباقين أيضا الى ذلك فيجتهدوا فى تحصيل الزاد للمعاد ولا يصرفوا همتهم الى ماهو بصدد الزوال والنفاد والركز الصوت الخفى وركز الرمح تغيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون * التأويل ويقول النفس الانسانية لجهلها بالحقائق اذا مات عن الصفات البشرية أخرج حيا بالصفات الروحانية لنحشرنهم والشياطين فلكل شخص قرين من الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم القهر والطبيعة وان منكم من الانبياء والاولياء والمؤمنين والكافرين الا هو واردها بادية الهوى بقدم الطبيعة حتما مقضيا لان حكمته الازلية اقتضت خلق هذا النوع المركب من العلوى والسفلى ثم نجى الذين اتقوا الهوى بقدم الشريعة على طريق الطريقة للوصول الى الحقيقة آياتنا من الحقائق والاسرار قال الذين كفروا ستروا الحق للذين آمنوا تحقيقا وايقانا وكم أهلكنا بحب الدنيا والاغراق فى بحر الشهوات والاحراق بنار المناصب للعرضيات أما العذاب وهو الموت على الانكار والغفلة واما الساعة وهى الاماتة عن الصفات البشرية عند قيام قيامة الشوق والمحبة فسيعلمون حزب الله من حزب الشيطان ويزيد الله بالترقى من الايمان الى الايقان ومن الايقان الى العيان ان دعوا للرحمن ولدا من فوائد ذكر اسم الرحمن ههنا ان الرحمانية أمهلتهم حتى قالوا ما قالوا والا

وورودهموها ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فناج مسلم ومكدس فيها * ذكر الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن الاعمش عن أبى سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت حفصة لايدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة يارسول الله أليس الله يقول وان منكم الا واردها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فه ثم ننجى الذين اتقوا حدثنا الحسن بن مدرك قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا أبو عوانة عن الاعمش عن أبى سفيان عن جابر عن أم مبشر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لارجو أن لايدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية قالت فقلت يارسول الله أليس الله يقول وان منكم الا واردها قال فلم تسمعيه يقول ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن محمد بن اسحق قال ثنى عبيد الله بن المغيرة عن معيقيب عن سليمان بن عمرو بن عبد العتوارى أحد بنى ليث وكان فى حجر أبى سعيد قال سمعت أبا سعيد الخدرى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوضع الصراط بين ظهرى جهنم عليه حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومجروح به ثم ناج ومحتبس ومكدس فيها حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد تفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم فى الدنيا يصلون صلاتهم ويزكون زكاتهم ويصومون صيامهم ويحجون حجهم ويغزون غزوهم فيقولون أى ربنا عباد من عبادك كانوا معنا فى الدنيا يصلون صلاتنا ويزكون زكاتنا ويصومون صيامنا ويحجون حجنا ويغزون غزونا لانراهم فيقول اذهبوا الى النار فمن وجدتم فيها منهم فاخرجوه فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم فمنهم من أخذته النار الى قدميه ومنهم من أخذته الى نصف ساقيه ومنهم من أخذته الى ركبتيه ومنهم من أخذته الى ثدييه ومنهم من أخذته الى عنقه ولم تغش الوجوه فيستخرجونهم منها فيطرحونهم فى ماء الحياة قيل وما ماء الحياة يارسول الله قال غسل أهل الجنة فينبتون كما تنبت الزرعة فى غثاء السيل ثم تشفع الانبياء فى كل من كان يشهد أن لا اله الا الله مخلصا فيستخرجونهم منها ثم يتحنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبدا فى قلبه مثقال ذرة من الايمان الا أخرجه منها حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبى وشعيب بن الليث عن الليث بن خالد عن يزيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالجسر يعنى يوم القيامة فيجعل بين ظهرى جهنم قلنا يارسول الله وما الجسر قال مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان يمر المؤمنون عليها كالطرف والبرق وكالريح وكاجاود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوس فى جهنم ثم يمر آخرهم يسحب سحبا فما أنتم باشد مناشدة لى فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار تبارك وتعالى اذا رأوهم قد نجوا وبقى اخوانهم حدثنى أحمد بن عيسى قال ثنا سعيد بن

فالالوهية مقتضية لاعدامهم في الحال وكلهم آتيه يوم القيامة فردا عن مشيئة وارادة بخلافهم في الدنيا فانهم يظنون ان لهم ارادة واختيارا فانما يسرناه فيه انه لولا تيسير الله درايته على قلب النبي صلى الله عليه وسلم والا فكيف يسع ظروف الحروف المحدثة المتناهية حقائق كلامه الازلية غير المتناهية وكم أهلكنا في تيه الضلالة أو تسمع لهم ركزا بالثناء الحسن عليهم والله أعلم بالصواب *(سورة طه مكية حروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون (٧٦) وكلماتها ألف وثلثمائة واحدى وأربعون وآياتها مائة وخمس وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك يا موسى) القراآت طه بامالة الطاء والهاء حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وعباس وقرأ أبو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وفي الكشاف ان أبا عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء والآخرون بتفخيمهما لاهله امكثوا بضم الهاء وكذلك في القصص حمزة اني آنست اني أنا الله بفتح ياء المتكلم فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو لعلي آتيكم بفتح

كثير بن عفير قال ثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير قال سألت جابر بن عبد الله عن الورود فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هو الدخول يردون النار حتى يخرجوا منها فآخر من يبقى رجل على الصراط يزحف فيرفع الله له شجرة قال فيقول أي رب ادنني منها قال فيدنيه الله تبارك وتعالى منها قال ثم يقول أي رب ادخلني الجنة قال فيقول سل قال فيسأل قال فيقول ذلك لك وعشرة أضعافه أو نحوها قال فيقول يا رب تستهزئ قال فيضحك حتى تبدو لهواته وأضراسه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يحيى بن أيوب ح **وحدثنا** أبو كريب قال ثنا محمد بن زيد عن رشدين جميعا عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان بحرس لم ير النار بعينه الا تحلة القسم فان الله تعالى يقول وان منكم الا واردها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر أخبرني الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات له ثلاثة لم تمسه النار الا تحلة القسم يعني الورود وأما قوله كان على ربك حتما مقضيا فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه كان على ربك قضاء مقضيا ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حتما قال قضاء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج حتما مقضيا قال قضاء * وقال آخرون بل معناه كان على ربك قسما واجبا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عمرو داود ابن الزبرقان قال سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وكان على ربك حتما مقضيا قال قسما واجبا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كان على ربك حتما مقضيا يقول قسما واجبا * قال أبو جعفر وقد بينت القول في ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) يقول تعالى ذكره ثم ننجي من النار بعد ورودهم جميعهم اياها الذين اتقوا فخافوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ونذر الظالمين فيها جثيا يقول جل ثناؤه وندع الذين ظلموا أنفسهم فعبدوا غير الله وعصوا ربهم وخالفوا أمره ونهيه في النار جثيا يقول بروكا على ركبهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونذر الظالمين فيها جثيا على ركبهم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ونذر الظالمين فيها جثيا على ركبهم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ونذر الظالمين فيها جثيا قال الجثي شر الجلوس لا يجلس الرجل جاثيا الا عند كرب ينزل به **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ان الناس وردوا جهنم وهي سوداء مظلمة فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم فأنجوا منها وأما الكفار فأوبقتهم أعمالهم واحتبسوا بذنوبهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) يقول تعالى ذكره واذا تتلى على الناس آياتنا التي أنزلناها

أنزلناها على رسولنا محمد بينات يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها أنها أدلة على ما جعلها الله أدلة عليه لعباده قال الذين كفروا بالله وبكتابه وآياته وهم قريش للذين آمنوا بذلك فصدقوا به وهم أصحاب محمد أي الفريقين خير مقاما يعني بالمقام موضع اقامتهم وهي مساكنهم ومنازلهم وأحسن نديا وهو المجلس يقال منه ندوت القوم أندوهم ندوا اذا جمعتهم في مجلس ويقال هو في ندي قومه وفي ناديهم بمعنى واحد ومن الندي قول حاتم

ودعيت في أولى الندي * ولم ينظر الي بأعين خزر

وتأويل الكلام واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين منا ومنكم أوسع عيشا وأنعم بالا وأفضل مسكنا وأحسن مجلسا وأجمع عددا وغاشية في المجلس نحن أم أنتم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قوله خير مقاما وأحسن نديا قال المقام المنزل والندي المجلس حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن أبي ظبيان عن ابن عباس بمثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا قال المقام المسكن والندي المجلس والنعمة والبهجة التي كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم وقص شأنهم في القرآن فقال كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين فالمقام المسكن والنعيم والندي المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه وقال الله فيما قص على رسوله في أمر لوط اذ قال وتأتون في ناديكم المنكر والعرب تسمي المجلس النادي حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأحسن نديا يقول مجلسا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أي الفريقين قال قريش تقولها لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأحسن نديا قال مجالسهم يقولونه أيضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في عيشهم خشونة وفيهم قشافة تعرض أهل الشرك بما تسمعون قوله وأحسن نديا يقول مجلسا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا قال الندي المجلس وقرأ قول الله تعالى فليدع ناديه قال مجلسه

القول في تأويل قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) يقول تعالى ذكره وكم أهلكنا يا محمد قبل هؤلاء القائلين من أهل الكفر للمؤمنين اذا تتلى عليهم آيات الرحمن أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا مجالس من قرن هم أكثر متاع منازل من هؤلاء وأحسن منهم منظرا وأجمل صورا فأهلكنا أموالهم وغيرنا صورهم ومن ذلك قول علقمة بن عبيد

ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر غير ابن مجاهد على النار هدى بامالة على غير ليث وأبي حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن سعدان وأبي عمرو والنجاري عن ورش وأبي عمرو وغير ابراهيم وابن حماد اني أنا ربك بفتح الهمزة وياء المتكلم ابن كثير وأبو عمرو ويزيد بكسر الهمزة وفتح الياء نافع الباقون بكسر الهمزة وسكون الياء طوى منونا حيث كان عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وانا اخترناك على الجمع حمزة والمفضل لذكري اني لي أمري عيني برأسي اني فتح الياآت أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ولي فيها بالفتح حفص والمفضل والاعشى والبرجمي والاصبهاني عن ورش مخير أخي اشدد بفتح الياء موصولة ابن كثير غير الخزاعي عن ابن فليح وأبو عمرو واشدد بفتح الهمزة وأشركه بضمها على التكلم ابن عامر والباقون بضم الاول وفتح الثاني على الامر سؤلك بالواو أبو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف الآخرون بالهمز * الوقوف طه ه كوفي ومن قال معناه يا رجل أو يا طالب أو يا هادي لم يقف لتشقى ه لا للاستثناء يخشى ه لا بناء على ان تنزيلا بدل تذكرة العلى ه لا لان الرحمن مبتدأ استوى ه الثرى ه وأخفى ه الا هو ط الحسنى ه حديث موسى ه لئلا يوهم ان اذ ظرف للاتيان هدى ه ياموسى ه نعليك ج للابتداء بان مع اتحاد القول طوى ه ط الا لمن قرأ انا اخترناك يوحى ه فاعبدني ه للعطف لذكري ه تسعى ه فتردى ه ياموسى ه عصاي ج لامكان ان يجعل أتوكأ مستأنفا أو حالا والعامل أضمر أو أشير بناء على ان هي بمعنى هذه أخرى ه ياموسى ه تسعى ه ولا تخف ق لحق السين الاولى ه آية أخرى ه لا لتعلق اللام الكبرى ه ج للآية والاستئناف بالامر على ان المقول متصل طغى ه صدري ه لا أمري ه لساني ه لا قولي ص لطول الكلام أهلي ه لا أخي ه لا وقف لمن قرأ أشدد بفتح الهمزة جوابا للدعاء ومن فتح الياء فله الوصل ومن قرأ أشدد بضم الهمزة فله الجواز لاتفاق الدعاء على الدعاء بلا عاطف أزري ه لا أمري ه لا لتعلق كي كثيرا ه بصيرا ه ياموسى ه لا * التفسير في طه قولان للمفسرين أحدهما انه من حروف التهجي وقد سلف البحث في أمثالها والذي زادوه ههنا أمور منها قول الثعلبي الطاء شجرة طوبى والهاء الهاوية

كميت كنشر الارجوان نشرته * لبيع الرئي في الصوان المكعب

يعني بالصوان التخت الذي يصان فيه الثياب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس أحسن أثاثا ورئيا قال الرئي المنظر حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس أحسن أثاثا ورئيا الاثاث المال والرئي المنظر حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله أثاثا ورئيا قال الاثاث أحسن المتاع والرئي قال المال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يقول الله تبارك وتعالى وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا أي أكثر متاعا وأحسن منزلة ومستقرا فأهلك الله أموالهم وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله أحسن أثاثا ورئيا قال أحسن صورا وأكثر أموالا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أثاثا قال المتاع ورئيا قال فيما يرى الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن حميد وبشر بن معاذ قالا ثنا جرير ابن قابوس عن أبيه عن ابن عباس الاثاث المال والرئي المنظر الحسن حدثنا القاسم قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس ورئيا منظرا في اللون والحسن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أحسن أثاثا ورئيا قال الرئي المنظر والاثاث المتاع أحسن متاعا وأحسن منظرا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول في قوله أحسن أثاثا يعني المال ورئيا يعني المنظر الحسن * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وريا غير مهموز وذلك اذا قرئ كذلك يتوجه لوجهين أحدهما ان يكون قارئه أراد الهمز فأبدل منها ياء فاجتمعت الياء المبدلة من الهمز والياء التي هي لام الفعل فأدغمتا فجعلتا ياء واحدة مشددة ليلحقوا ذلك اذ كان رأس آية بنظائره من سائر رؤس الآيات قبله وبعده والآخر أن يكون من رويت أروى رية وريا واذا أريد به ذلك كان معنى الكلام وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن متاعا وأحسن نظرا له ومعرفة لتدبيره وذلك ان العرب تقول ما أحسن رية فلان في هذا الامر اذا كان حسن النظر فيه والمعرفة به وقرأ ذلك عامة قراء العراق والكوفة والبصرة ورئيا بهمزها بمعنى رؤية العين كأنه أراد أحسن متاعا ومرآة وحكي عن بعضهم انه قرأ أحسن أثاثا وزيا بالزاي كأنه أراد أحسن متاعا وهيئة ومنظرا وذلك ان الزي هو الهيئة والمنظر من قولهم زييت الجارية بمعنى زينتها وهيأتها * وأولى القراآت في ذلك بالصواب قراءة من قرأه أثاثا ورئيا بالراء والهمز لاجماع الحجة من أهل التأويل على ان معناه المنظر وذلك هو من رؤية العين لا من الروية فلذلك كان المهموز أولى به فان قرأ قارئ ذلك بترك الهمز وهو يريد هذا المعنى فغير مخطئ في قراءته وأما قراءته بالزاي فقراءة خارجة عن قراءة القراء فلا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءتهم وان كان لهم في التأويل وجه صحيح واختلف أهل العربية في الاثاث أجمع هو أم واحد فكان الاحمر فيما

وكأنه أقسم بالجنة والنار ومنها ما روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه ان الطاء طهارته أهل الدين والهاء هدايتهم وقيل أراد بالطاهر من الذنوب وبالهادي الى علام الغيوب ومنها قول سعيد بن جبير هو افتتاح باسمه الطيب الطاهر الهادي وقيل الطاء تسعة في الحساب والهاء خمسة ومعناه يا أيها البدر القول الثاني انها كلمة مفيدة ومعناها يا رجل روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي ثم قال سعيد بن جبير بلسان القبطية وقال قتادة بلسان اليونانية والسريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال الكلبي بلسان عك وهو عك ابن عدنان أخو معد وهو اليوم في اليمن وعن الحسن ان طه أمر وأصله طأ أمرا بالوطء فقلبت الهمزة هاء وذلك لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فأمر بان يطأ الارض بقدميه معا ويؤكده ما روي انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمعدت قدماه أي تورمتا فقال له جبرائيل ارفق على نفسك فان لها عليك حقا ونزلت طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أي تتعب نفسك بالعبادة ولكنك بعثت بالحنيفية السهلة وعند الاكثرين معنى لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وتحسرك على ان يؤمنوا والشقاء يجيء بمعنى التعب ومنه المثل أشقى من رائض مهر وأتعب وقيل ان أبا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فرد الله عليهم بان القرآن هو السبب في نيل كل سعادة قال جار الله ان جعلت طه تعديد الاسماء الحروف فقوله ما أنزلنا ابتداء الكلام وان جعلته اسما للسورة فمبتدأ وما بعده خبر وقد أقيم الظاهر وهو القرآن مقام الضمير الرابط وان جعلته قسما فما يتلوه جواب وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس فعلا لفاعل الفعل المعلل والثاني جاز قطع اللام عنه لوجود الشرط ولا يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين فان التذكرة لا يمكن ان تحمل على الشقاء ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي فيه الا بمعنى لكن وفي قوله لتشقى والا تذكرة وجه آخر وهو انه ما أنزلنا عليك القرآن لتتحمل متاعب التبليغ الا ليكون تذكرة أي ما أنزلنا عليك هذا التعب الشاق الا لهذا الغرض كما يقال ما شافهناك بذلك الكلام لتتأذى الا ليعتبر بك غيرك فانتصب

ذكر

تذكرة نصب على انه حال أو مفعول له واذا كانت حالا جاز ان يكون تنزيلا بدلا منها واذا كانت مفعولا لاجله لم يجز ان يكون تنزيلا بدلا منها لان الشئ لا يعلل بنفسه فالانزال لا يعلل بالتنزيل في الظاهر ويجوز ان ينتصب تنزيلا بمضمر أي نزل تنزيلا أو بأنزلنا لان معنى ما أنزلناه الا تذكرة أنزلناه تذكرة أو على المدح والاختصاص أو بيخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله عز وجل أي لمن يؤول أمره الى الخشية لانه هو المنتفع به ومعنى كون القرآن تذكرة انه صلى الله عليه وسلم

كان يعظهم به وببيانه ومن خلق متعلق

ذكرلي عنه يقول هو جمع واحدتها أثاثة كالحمام واحدتها حمامة والسحاب واحدتها سحابة وأما الفراء فانه كان يقول لا واحد له كما ان المتاع لا واحد له قال والعرب تجمع المتاع أمتعة وأماتيع ومتع قال ولو جمعت الاثاث لقلت ثلاثة آثة وأثث وأما الرئي فان جمعه آراء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم القائلين اذا تتلى عليهم آياتنا أي الفريقين منا ومنكم خير مقاما وأحسن نديا من كان منا ومنكم في الضلالة جائرا عن طريق الحق سالكا غير سبيل الهدى فليمدد له الرحمن مدا يقول فليطول له الله في ضلالته وليمله فيها املاء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فليدعه الله في طغيانه **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة يقول تعالى ذكره قل لهم من كان منا ومنكم في الضلالة فليمدد له الرحمن في ضلالته الى أن يأتيهم أمر الله اما عذاب عاجل أو يلقوا ربهم عند قيام الساعة التي وعد الله خلقه أن يجمعهم لها فانهم اذا أتاهم وعد الله بأحد هذين الامرين فسيعلمون من هو شر مكانا ومسكنا منكم ومنهم وأضعف جندا أهم أم أنتم ويتبينون حينئذ أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا) يقول تعالى ذكره ويزيد الله من سلك قصد المحجة واهتدى لسبيل الرشد فآمن بربه وصدق بآياته فعمل بما أمره به وانتهى عما نهاه عنه هدى بما يتجدد له من الايمان بالفرائض التي يفرضها عليه ويقر بلزوم فرضها اياه ويعمل بها فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقد كان بعضهم يتأول ذلك ويزيد الله الذين اهتدوا هدى بناسخ القرآن ومنسوخه فيؤمن بالناسخ كما آمن من قبل بالمنسوخ فذلك زيادة هدى من الله له على هداه من قبل والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا يقول تعالى ذكره والاعمال التي أمر الله بها عباده ورضيها منهم الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات خير عند ربك جزاء لاهلها وخير مردا عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله وأنديتهم التي يفتخرون بها على أهل الايمان في الدنيا * وقد بينا معنى الباقيات الصالحات وذكرنا اختلاف المختلفين في ذلك ودللنا على الصواب من القول فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عمر ابن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال جلس النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأخذ عودا يابسا فحط ورقه ثم قال ان قول لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء اذا ذكر هذا الحديث قال لاهللن الله

بتنزيلا فيكون الظرف لغوا أو بكائنا صفة له فيكون مستقرا وفائدة الانتقال الى الغيبة من لفظ المتكلم حين لم يقل تنزيلا منا أمور منها الافتنان في الكلام على عادتهم ومنها تنسيق الصفات مع لفظ الغيبة ومنها التفخيم بالاسناد أولا الى ضمير المتكلم المطاع في أنزلنا ثم الى المختص بصفات العظمة والتمجيد وقيل أنزلنا حكاية كلام جبرائيل فلا التفات والعلى جمع العليا تأنيث الاعلى وفي وصف السموات بها دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها ويحصل منه تعظيم شأن القرآن بالضرورة فعلى قدر المرسل يكون حال الرسالة ومنه قول الحكماء عقول الرجال تحت لسان أقلامهم وارتفع الرحمن على المدح على تقدير هو الرحمن أو هو مبتدأ مشار بلامه الى من خلق والبحث في الاستواء على العرش من جانبي المشبهة والموحدة قدمر مشبعا في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وفي الاعراف في قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات فلا حاجة الى الاعادة ثم أكد كمال ملكه وملكه بقوله له ما في السموات الآية عن محمد بن كعب ان ما تحت الثرى هو ما تحت سبع الارضين وعن السدي هو الصخرة التي

تحت الارض السابعة وقيل الثور أو الحوت والتحقيق ان الثرى هو التراب الندي وهو ما جاوز الحفر من جرم الارض فالذي تحته هو ما بقي من جرم الارض الى المركز فيحتمل ان يكون هناك أشياء لا يعلمها الا الله سبحانه من المعادن وغيرها ولا ريب ان الكل لله سبحانه ثم بين كمال علمه بقوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى فالسر ما أسررته الى غيرك وأخفى من ذلك ما أخطرته ببالك أو السر هذا وأخفى منه ما ستسره وقيل أخفى فعل ماض أي يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلم هو قلت هذا المعنى صحيح لانه تعالى محيط بجميع الاشياء فلا يعزب

غنــه شيئ قط ولا يحيط به شيئ من الاشياء فلا يطلع على غيوبه أحد الا أن اللفظ يحصل فيه بشاعة اذا حمل على هذا التفسير فلهذا قال صاحب الكشاف وليس بذاك وكيف طابق الجزاء الشرط وأجيب بان معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك واما أن يكون تعليما للعباد أن الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر كأن يقتدي غيره به ومن فوائد الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة وترغيبه في الطاعات ظاهرة وباطنة وقد شرحنا شمة من حقيقة علمه تعالى في تفسير قوله وعلم آدم الاسماء كلها وفي غير ذلك من المواضع المناسبة فلنقتصر الآن على ذلك ثم ذكر ان الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور لا شريك له وهو الذي يستحق العبادة دون غيره واعلم ان مراتب التوحيد أربع الاقرار باللسان ثم الاعتقاد بالقلب ثم تأكيد ذلك الاعتقاد بالحجة ثم الاستغراق في بحر المعرفة بحيث لا يدور في خاطره سوى الاحد الصمد والاول بدون الثاني نفاق والثاني بدون الاول غير مفيد الا اذا لم يجد مهله كما اذا نظر وعرف وروي ان ملك الموت مكتوب في جبهته لا اله الا الله حتى اذا رآه المؤمن تذكر كلمة الشهادة فيكفيه ذلك ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان والاقرار بدون الثالث ايمان المقلد وفيه خلاف مشهور والاصح انه مقبول وأما المقام الرابع فهو مقام الصديقين والخاصة من عباد الله ومبتداه تفريق ونقص وترك ورفض على ما قرره المحققون وآخره الفناء في الله والبقاء به قال النحويون لا اله الا الله تقديره لا اله في الوجود الا الله وقال أهل العرفان معناه لا اله في الامكان الا الله وروي ان موسى بن عمران قال يا رب علمني شيأ أذكرك به فقال قل لا اله الا الله فقال كل عبادك يقول فقال قل لا اله الا الله قال انما أردت شيأ تخصني به قال يا موسى لو ان السموات السبع ومن فوقهن في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله والبحث عن أسماء الله تعالى قد سلف في تفسير البسملة وعن أسمائه الحسنى قدمر في آخر الاعراف في قوله ولله الاسماء الحسنى واعلم ان الموجودات على ثلاثة أقسام كامل لا يحتمل الزيادة والنقصان وهو الله تقدس وتعالى وناقص لا يحتمل الكمال سوى الصورة الكمالية التي جبل عليها كصغير ضمت

ولا كبرن الله ولا سبحن الله حتى اذا رأى الجاهل حسب اني مجنون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفرأيت يا محمد الذي كفر بآياتنا حججنا فلم يصدق بها وأنكر وعيدنا من أهل الكفر وقال وهو بالله كافر وبرسوله لاوتين في الآخرة مالا وولدا وذكر ان هذه الآيات أنزلت في العاص بن وائل السهمي أبي عمرو بن العاص ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو السائب وسعيد بن يحيي قالا ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب قال كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فقال فاذا أنا مت ثم بعثت كما تقول جئتني ولي مال وولد قال فأنزل الله تعالى أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا الى قوله ويأتينا فردا حدثني به أبو السائب وقرأ في الحديث وولدا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين فأتوه يتقاضونه فقال ألستم تزعمون ان في الجنة فضة وذهبا وحريرا ومن كل الثمرات قالوا بلى قال فان موعدكم الآخرة فوالله لاوتين مالا وولدا ولاوتين مثل كتابكم الذي جئتم به فضرب الله مثله في القرآن فقال أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا الى قوله ويأتينا فردا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لاوتين مالا وولدا قال العاص بن وائل يقوله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا ذكر لنا ان رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوا رجلا من المشركين يتقاضونه دينا فقال أليس يزعم صاحبكم أن في الجنة حريرا وذهبا قالوا بلى قال فميعادكم الجنة فوالله لا أومن بكتابكم الذي جئتم به استهزاء بكتاب الله ولاوتين مالا وولدا يقول الله أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال قال خباب بن الارت كنت قينا بمكة فكنت أعمل للعاص بن وائل فاجتمعت عليه دراهم فجئت لأتقاضاه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد قال قلت لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فاذا بعثت كان لي مال وولد قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تبارك وتعالى أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الى ويأتينا فردا * واختلفت القراء في قراءة قوله وولدا فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وولدا بفتح الواو من الولد في كل القرآن غير ان أبا عمرو بن العلاء خص التي في سورة نوح بالضم فقرأها ماله وولده وأما عامة قراء الكوفة غير عاصم فانهم قرؤا من هذه السورة من قوله مالا وولدا الى آخر السورة واللتين في الزخرف والتي في نوح بالضم وسكون اللام * وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك اذا

ضمت واوه فقال بعضهم ضمها وفتحها واحد وانما هما لغتان مثل قولهم العدم والعدم والحزن والحزن واستشهدوا لقيلهم ذلك بقول الشاعر

فليت فلانا كان فى بطن أمه * وليت فلانا كان ولد حمار

وبقول الحرث بن حلزة

ولقد رأيت معاشرا * قد ثمروا مالا وولدا

وقول رؤبة

الحمد لله العزيز فردا * لم يتخذ من ولد شئ ولدا

وتقول العرب فى مثلها ولدك من دمى عقبيك قال وهذا كله واحد بمعنى الولد وقد ذكر لى ان قيسا تجعل الولد جمعا والولد واحدا ولعل الذين قرؤا ذلك بالضم فيما اختاروا فيه الضم انما قرؤه كذلك ليفرقوا به بين الجمع والواحد والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك عندى ان الفتح فى الواو من الولد والضم فيها بمعنى واحد وهما لغتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب غير أن الفتح أشهر اللغتين فيهما فالقراءة به أعجب الى لذلك وقوله أطلع الغيب يقول عز ذكره أعلم هذا القائل هذا القول علم الغيب فعلم ان له فى الآخرة مالا وولدا باطلاعه على علم ما غاب عنه أم اتخذ عند الرحمن عهدا يقول أم آمن بالله وعمل بما أمر به وانتهى عما نهاه عنه فكان له بذلك عند الله عهد أن يؤتيه ما يقول من المال والولد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا بعمل صالح قدمه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا) يعنى تعالى ذكره بقوله كلا ليس الامر كذلك ما اطلع الغيب فعلم صدق ما يقول وحقيقة ما يذكر ولا اتخذ عند الرحمن عهدا بالايمان بالله ورسوله والعمل بطاعته بل كذب وكفر ثم قال تعالى ذكره سنكتب ما يقول أى سنكتب ما يقول هذا الكافر بربه القائل لأوتين فى الآخرة مالا وولدا ونمد له من العذاب مدا يقول ونزيده من العذاب فى جهنم بقيله الكذب والباطل فى الدنيا زيادة على عذابه بكفره بالله وقوله ونرثه ما يقول يقول عز ذكره ونسلب هذا القائل لأوتين فى الآخرة مالا وولدا ماله وولده ويصير لنا ماله وولده دونه ويأتينا هو يوم القيامة فردا وحده لا مال معه ولا ولد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ونرثه ما يقول ماله وولده وذلك الذى قال العاصى بن وائل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونرثه ما يقول ويأتينا فردا لا مال له ولا ولد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ونرثه ما يقول قال ما عنده وهو قوله لأوتين مالا وولدا وفى حرف ابن مسعود ونرثه ما عنده حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونرثه ما يقول قال ما جمع من الدنيا وما عمل فيها قال ويأتينا فردا قال فردا من ذلك لا يتبعه قليل ولا كثير حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ونرثه ما يقول

الانسان من المخلوقات وناقص يتقلب بين الامرين فتارة يصعد الى حيث يخبر عنه بانه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وتارة يتسفل الى أن يقال له ثم رددناه أسفل سافلين والكمال بالحقيقة لما ليس معرض الزوال فلا كمال فى الصحة والجاه والمال وانما الكمال فى الانتساب الى الكبير المتعال وهو تحقيق نسبة العبدية المنبئة عن عزة الربوبية وكل منتسب الى بلد أو قبيلة فانه يبالغ فى مدحها حتى يلزم مدحه بالعرض فيجب على المكلف ان يذكر ربه بالاسماء الحسنى حتى يثبت بذلك شرفه ويحسن ذكره الهنا حسن الاسم دليل حسن المسمى وحسن المسمى يدل على انه لا يفعل القبيح ولا يزال مواظبا على الاحسان كما قيل

يا حسن الوجه توق الخنا * لا تخلطن الزين بالشين

فيا حسن الاسماء والصفات لا تردنا عن خوان احسانك محرومين ذكر ان صيادا اصطاد سمكة وكانت له بنت فاخذتها وألقتها فى البحر وقالت انها ما وقعت فى الشبكة الا لغفلتها الهنا تلك المرأة رحمت سمكة بسبب غفلتها ونحن قد اصطادنا ابليس وأخرجنا من بحر رحمتك لغفلتنا فردنا الى مقرنا وأنت أرحم الراحمين عن محمد بن كعب القرظى ان موسى عليه السلام قال يا رب أى خلق أكرم عليك قال الذى لا يزال لسانه رطبا من ذكرى قال أى خلقك أعلم قال الذى يلتمس علما الى علمه قال وأى خلق أعدل قال الذى يقضى على نفسه كما يقضى على الناس قال وأى خلق أعظم جرما قال الذى يتهمنى وهو الذى يسألنى ثم لا يرضى بما قضيته له الهنا انا لا نتهمك فانا نعلم ان كلما أحسنت فهو فضل وكلما لا تفعله بنا من الاحسان فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء أعمالنا وعن الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من أهل الكرم أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخطون رقاب الناس ثم يقال أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادى أين الحامدون لله على كل حال ثم تكون التبعة والحساب على من بقى الهى فنحن حمدناك وأثنينا عليك بمقدار قدرتنا وطاقتنا فاعف عنا بفضلك وحسن أسمائك وحين عظم شأن القرآن وبين حال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما كلف من اعباء الرسالة قفاه بقصة موسى تثبيتا له وتقوية وتسلية قال الكلبى معنى وهل أتاك أى لم يأتك الى الآن وقد أتاك الآن فتنبه له ويقول المرء لصاحبه هل بلغك خبر كذا ليتطلع السامع لما يرقى اليه وعن مقاتل والضحاك عن ابن

عباس ان المراد منه تقرر الخبر فى قلبه أى قد أتاك ذلك فى الزمان المتقدم واذ ظرف الحديث لانه حدث أو المراد اذكر وقت كذا ومظروفه محذوف أى حين رأى نارا كان كيت وكيت قال أهل السير استأذن موسى شعيبا عليهما السلام فى الخروج الى أمه وخرج باهله وولده فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح نصله زنده فرأى نارا من يسار الطريق من بعيد قال السدى ظن انها من نيران الرعاة وقال الآخرون انه رآها فى شجرة واختلفوا أيضا فى ان الذى رآه كان نارا أم لا قالوا والصحيح انه كان نارا ليكون صادقا فى خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبياء ويمكن أن يقال اطلاق اللفظ على ما يشبه مسماه ليس بكذب قيل

نزنه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) يقول تعالى ذكره واتخذ يا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزا يمنعونهم من عذاب الله ويتخذون عبادتهموها عند الله زلفى وقوله كلا يقول عز ذكره ليس الامر كما ظنوا وأملوا من هذه الآلهة التى يعبدونها من دون الله فى انها تنقذهم من عذاب الله وتنجيهم منه ومن سوء ان أراده بهم ربهم وقوله سيكفرون بعبادتهم يقول عز ذكره ولكن سيكفر الآلهة فى الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة اياها وكفرهم بها قيلهم لربهم تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون فجحدوا أن يكونوا عبدوهم أو أمروهم بذلك وتبرؤا منهم وذلك كفرهم بعبادتهم وأما قوله ويكونون عليهم ضدا فان أهل التأويل اختلفوا فى تاويله فقال بعضهم معنى ذلك وتكون آلهتهم عليهم عونا وقالوا الضد العون ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ويكونون عليهم ضدا يقول أعوانا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويكونون عليهم ضدا قال عونا عليهم تخاصمهم وتكذبهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويكونون عليهم ضدا قال أوثانهم يوم القيامة فى النار * وقال آخرون بل عنى بالضد فى هذا الموضع القرناء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ويكونون عليهم ضدا يقول يكونون عليهم قرناء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويكونون عليهم ضدا قرناء فى النار يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ضدا قال قرناء فى النار * وقال آخرون معنى الضد ههنا العدو ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ويكونون عليهم ضدا قال أعداء * وقال آخرون معنى الضد فى هذا الموضع البلاء ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويكونون عليهم ضدا بلاء الضد البلاء والضد فى كلام العرب هو الخلاف يقال فلان يضاد فلانا فى كذا اذا كان يخالفه فى صنيعه فيفسد ما أصلحه ويصلح ما أفسده واذ كان ذلك معناه وكانت آلهة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله فى هذا الموضع يتبرؤن منهم وينتفون يومئذ منهم صاروا لهم أضدادا فوصفوا بذلك * وقد اختلف أهل العربية فى وجه توحيد الضد وهو صفة لجماعة فكان بعض نحوى البصرة يقول وحد لانه يكون جماعة وواحدا مثل الرصد والارصاد قال ويكون الرصد أيضا لجماعة وقال بعض نحوى الكوفة وحد لان معناه عونا وذكر ان أبا نهيك كان يقرأ ذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك الازدى يقرأ

النار أربعة أقسام نار تاكل ولا تشرب وهى نار الدنيا ونار تشرب ولا تاكل وهى نار الشجر جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونار تاكل وتشرب وهى نار المعدة ونار لا تاكل ولا تشرب وهى نار موسى عليه السلام وبعبارة أخرى نور بلا حرقة وهى نار موسى وحرقة بلا نور وهى نار جهنم وحرقة ونور وهى نار الدنيا ولا حرقة ولا نور وهى نار الاشجار فقال لاهله امكثوا انما جمع لان أهله جمع وهم المرأة والخادم والولد ويجوز ان يخاطب المرأة وحدها ولكن أخرج الخطاب على ظاهر لفظ الاهل فانه اسم جمع وأيضا فقد يخاطب الواحد بلفظ الجماعة تفخيما أى أقيموا فى مكانكم فقد آنست نارا أى أبصرت ابصارا لا شبهة فيه أو ابصارا يؤنس به والتركيب يدل على الظهور ومن ذلك انسان العين لانه يظهر الاشياء ومنه الانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم ومنه الانس ضد الوحشة لظهور المطلوب وهو المأنوس به قال جار الله لما وجد الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن أنفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين بنى الامر فيهما على الرجاء دون الجزم قائلا لعلى آتيكم قال المحققون فيه دلالة على ان ابراهيم عليه السلام لم يكذب ألبتة لان موسى قبل نبوته احترز عن الكذب المظنون فلم يقل انى آتيكم لئلا يعد ككل مالا يستيقن الوفاء به فابراهيم وهو أبو الانبياء أولى بالاحتراز من الكذب الصريح والقبس النار المقتبسة فى رأس عود أو فتيلة ونحوهما وهدى على حذف المضاف أى ذوى هدى أو اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى والظاهر انه أراد قوما يهدوننى الطريق وعن مجاهد وقتادة قوما ينفعوننى بهداهم فى أبواب الدين وذلك ان همم الابرار معقودة فى جميع أحوالهم بالامور الدينية لا يشغلهم عنها شاغل ومعنى الاستعلاء فى على النار ومفعول ثان لاجد أو حال من ذوى هدى ان أهل النار يشغلون المكان القريب منها أو المصطلون بها تكنفوها قياما

وقعودا فهم مشرفون عليها وان كان المكانان مستويين فلما أتاها أى أتى النار قال ابن عباس رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وقال وهب ظن موسى انها أوقدت فأخذ من دقاق الحطب ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتأخر عنها وهابها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن أسرع من خمودها فكانها لم تكن ثم رمى موسى نظره الى فرعها فاذا خضرة ساطعة فى السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الابصار فلما رأى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودى ياموسى من قرأ انى بالفتح فتقديره نودى بانى ومن قرأ بالكسر فلان النداء فى معنى القول أولان التقدير نودى فقيل ياموسى وتكرير الضمير فى انى أنا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى ياموسى قال من المتكلم فقال الله عزوجل انى أنا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى أسمعه من جميع جهاتى الست وأسمعه بجميع أعضائى حتى كان كل جارحة منى صارت أذنا وقيل لعله سمع النداء من جماد كالحصا والشجرة فيكون معجزا أو لانه رأى النار فى الشجرة الخضراء بحيث ان الخضرة ما كانت تطفئ تلك النار ولا النار تضر بالخضرة فعرف انه لا يقدر عليه أحد الا الله وجوز الاشاعرة ان يكون قد خلق الله تعالى علما ضروريا بذلك والمعتزلة منعوا منه قالوا ان حصول العلم الضرورى بان ذلك المتكلم هو الله يستلزم العلم الضرورى بوجود الصانع لاستحالة ان تكون الصفة معلومة بالضرورة والذات معلوما بالاستدلال وحصول العلم الضرورى بوجود الصانع ينافى التكليف وبالاتفاق لم يخرج موسى عن التكليف قال القاضى ان كانت النبوة قد تقدمت لموسى فلا كلام فى حصول هذه الخوارق والاوجب ان تكون المعجزات لغيره من الانبياء فى زمانه كشعيب مثلا قال وهذا أولى لان قوله وانا اخترتك فاستمع لما يوحى دليل على انه أول وحى يوحى اليه وعند أهل السنة الارهاص جائز فلم يوجبوا الحالة تلك الخوارق الى غيره وعندهم ان الله تعالى أسمعه الكلام الذى ليس بحرف ولا صوت والمعتزلة أنكروا وجود ذلك الكلام وقالوا انه تعالى خلق ذلك النداء فى جسم من الاجساد كالشجرة وهو قادر على ذلك وأهل السنة مما وراء النهر أثبتوا الكلام القديم الا انهم زعموا ان الذى سمعه موسى صوت خلقه الله فى الشجرة لانه تعالى رتب النداء على انه أتى النار والمرتب على المحدث محدث ومثله استدلال المعتزلة بقوله فاخلع نعليك على ان كلامه تعالى ليس بقديم

كل سيكفرون يعنى الآلهة كلا انهم سيكفرون بعبادتهم ❁ القول فى تاويل قوله تعالى (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يامحمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله تؤزهم يقول تحركهم بالاغواء والاضلال فتزعجهم الى معاصى الله وتغريهم بها حتى يواقعوها أزا ازعاجا واغواء * وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أزا يقول تغريهم اغراء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تؤز الكافرين اغراء فى الشرك امض امض فى هذا الامر حتى توقعهم فى النار امضوا فى الغى امضوا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو ادريس عن جويبر عن الضحاك فى قوله تؤزهم أزا قال تغريهم اغراء **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تؤزهم أزا قال تزعجهم ازعاجا فى معصية الله **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة فى قول الله تؤزهم أزا قال تزعجهم الى معاصى الله ازعاجا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله تؤزهم ازا قال تزعجهم ازعاجا فى معاصى الله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين قال تؤزهم أزا قال تشليهم اشلاء على معاصى الله تبارك وتعالى وتغريهم عليها كما يغرى الانسان الآخر على الشئ يقال منه أززت فلانا بكذا اذا أغريته به أؤزه أزا وأزيزا وسمعت أزيز القدر وهو صوت غليانها على النار ومنه حديث مطرف عن أبيه انه انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل وقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يقول عز ذكره فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك يامحمد انما نعد لهم عدا يقول فانما نؤخر اهلاكهم ليزدادوا اثما ونحن نعد أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما نعد لهم عدا يقول أنفاسهم التى يتنفسون فى الدنيا فهى معدودة وآجالهم ❁ القول فى تاويل قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) يقول تعالى ذكره يوم نجمع الذين اتقوا فى الدنيا فخافوا عقابه فاجتنبوا لذلك معاصيه وأدوا فرائضه الى ربهم وفدا يعنى بالوفد الركبان يقال وفدت على فلان اذا قدمت عليه وأوفد القوم وفدا على أميرهم اذا بعثوا من قبلهم بعثا والوفد فى هذا الموضع بمعنى الجمع ولكنه وحد لانه مصدر واحدهم وافد وقد يجمع الوفد الوفود كما قال بعض بنى حنيفة

انى لممتدح فما هو صانع * رأس الوفود مزاحم بن جساس

لان الامر والمأمور معدوم سفه فلا بد ان يكون هذا الامر عند وجود موسى فيكون محدثا أجابت الاشاعرة بأن كلامه الازلى ليس بامر ولا نهى ولو سلم فامره بالازل مستمر الى ان صار الشخص مامورا من غير تغير فى أمره كالقدرة الازلية تتعلق بالمقدور الحادث واما الحكمة فى الامر بخلع النعلين قال المفسرون لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وهو قول على ومقاتل والكلبى والضحاك وقتادة والسدى وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد ليباشر الوادى بقدميه متبركا به وقيل عظم البقعة عن وطئها الا حافيا يؤيده قوله انك بالواد المقدس ومن هنا كره بعضهم الصلاة والطواف (١٤) فى النعل وكان السلف يطوفون بالكعبة حفاة ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا وقع منه ذلك تصدق وعلى القول الاول لا يكره الا اذا كان غير مدبوغ وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم فى نعليه ثم خلعهما فى الصلاة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال ما لكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال فان جبرائيل أخبرنى ان فيهما قذرا يروى ان موسى خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادى قال الجوهرى طوى بكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشام فمن صرفه جعله اسم واد ومكان ومن لم يصرفه جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم مثل طوى وهو الشئ المثنى أى طوى مرتين أى قدس وقال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين ويحتمل ان يراد نودى نداءين وقيل طوى مصدر كهدى ومعناه العلى وعن ابن عباس انه مر بذلك الوادى ليلا فطواه فكان المعنى بالواد المقدس الذى طويته طيا أى قطعته حتى ارتفعت الى أعلاه وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة قيل فيه دلالة على ان النبوة لا تحصل بالاستحقاق وانما هى ابتداء عطية من الله وفى هذه الاخبار غاية اللطف والرحمة ولكن فى قوله فاستمع نهاية الجلال والهيبة ففى الاول رجاء وفى الثانى خوف كانه قال لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له واجعل جميع همتك مصروفة اليه الا

ولما يوحى أى للذى يوحى أو للوحى متعلق باستمع أو باخترتك ثم قال اننى أنا الله لا اله الا أنا ورتب عليه فاعبدنى ليعلم ان عبادته انما لزمت لالهيته ومن هنا قال العلماء ان الله معناه المستحق للعبادة قال الاصوليون تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ولكن عن وقت الخطاب جائز لانه أمره بالعبادة ولم يذكر كيفيتها وأيضا قال وأقم الصلاة ولم يبين هيآتها أجاب القاضى عن هذا الاخير بأنه لا يمتنع ان موسى عليه السلام قد عرف الصلاة التى تعبد الله بها شعيبا وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بأن حمل الخطاب متوجها على

وقد يكون الوفود فى هذا الموضع جمع وافد كالجلوس جمع جالس * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا ابن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن على فى قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة عن اسمعيل عن رجل عن أبى هريرة يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على الابل **حدثنا** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يقول ركبانا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس الملائى قال ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة وأطيبه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا الا أن الله طيب ريحك وحسن صورتك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح طال ما ركبتك فى الدنيا فاركبنى أنت اليوم وتلا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الى الرحمن وفدا قال وفدا الى الجنة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على النجائب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال سمعت سفيان الثورى يقول يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على الابل النوق وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يقول تعالى ذكره ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا الى جهنم عطاشا والورد مصدر من قول القائل وردت كذا أرده وردا ولذلك لم يجمع وقد وصف به الجمع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يقول عطاشا **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة عن اسمعيل عن رجل عن أبى هريرة ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال عطاشا **حدثنى** يعقوب والفضل بن صباح قالا ثنا اسمعيل بن علية عن أبى رجاء قال سمعت الحسن يقول فى قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال عطاشا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن يونس عن الحسن مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله الى جهنم وردا قال ظمأ الى النار **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونسوق المجرمين الى جهنم وردا سوقوا اليها وهم ظماء عطاش **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال سمعت سفيان يقول فى قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال عطاشا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يقول تعالى ذكره لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد يوم يحشر الله المتقين اليه وفدا الشفاعة حين يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض عند الله فيشفع بعضهم لبعض

الامن اتخذمنهم عندالرحمن فى الدنيا عهدا بالايمان به وتصديق رسوله والاقرار بما جاء به والعمل بما أمربه كما **حدثني** على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الامن اتخذ عندالرحمن عهدا قال العهد شهادة أن لااله الاالله ويتبرأ الى الله من الحول والقوة ولا يرجو الا اياه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله لايملكون الشفاعة الامن اتخذ عندالرحمن عهدا قال المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء الامن اتخذ عندالرحمن عهدا قال عملا صالحا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عندالرحمن عهدا أى بطاعته وقال فى آية أخرى لاتنفع الشفاعة الامن أذن له الرحمن ورضى له قولا ليعلموا ان الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان فى أمتى رجلا ليدخلن الله بشفاعته الجنة أكثر من بنى تميم وكنا نحدث ان الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى المليح عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شفاعتى لمن مات من أمتى لايشرك بالله شيأ ومن فى قوله الامن فى موضع نصب على الاستثناء ولا يكون خفضا بضمير اللام ولكن قد يكون نصبا فى الكلام فى غير هذا الموضع وذلك كقول القائل أردت المرور اليوم الا العدو فانى لاأمر به فيستثنى العدو من المعنى وليس ذلك كذلك فى قوله لايملكون الشفاعة الامن اتخذ عندالرحمن عهدا لان معنى الكلام لايملك هؤلاء الكفار الامن آمن بالله فالمؤمنون ليسوا من أعداد الكافرين ومن نصبه على ان معناه الالمن اتخذ عندالرحمن عهدا فانه ينبغى ان يجعل قوله لايملكون الشفاعة للمتقين فيكون معنى الكلام حينئذ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا لايملكون الشفاعة الامن اتخذ عند الرحمن عهدا فيكون معناه عند ذلك الالمن اتخذ عندالرحمن عهدا فاما اذا جعل لايملكون الشفاعة خبرا عن المجرمين فان من تكون حينئذ نصبا على انه استثناء منقطع فيكون معنى الكلام لايملكون الشفاعة لكن من اتخذ عندالرحمن عهدا يملكه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بالله اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا يقول تعالى ذكره للقائلين ذلك من خلقه لقد جئتم أيها الناس شيأ عظيما من القول منكرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله شيأ ادا يقول قولا عظيما **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لقد جئتم شيأ ادا يقول لقد جئتم شيأ عظيما وهو المنكر من القول **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله شيأ ادا قال عظيما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا**

التأسيس أولى قال لعله قد بين له ولكن لم يحك الله تعالى سوى هذا القدر وردبان البيان أكثر فائدة من الجمل فلو كان مذكورا لكان أولى بالحكاية ولقائل أن يقول سلمنا ان المبين أكثر فائدة للمخاطب ولكن لانسلم ان حكاية المبين أولى فلعل حكاية الجمل تكفى لغيره لصيرورة بعض هيآت ذلك التكليف منسوخا وان كان أصله باقيا وفى قوله لذكرى وجوه لان اللام اما بمعنى الوقت أوهى للتعليل والذكر اما بالجنان أوهو ضد النسيان وياء المتكلم فاعل فى الاصل أومفعول وهل يحتمل الكلام تقدير مضاف أم لا ولمثل هذه الاعتبارات تعددت الوجوه فمنها ان اللام للتعليل والياء منصوب أى لتذكرنى فان ذكرى ان أعبد (٨٥) ويصلى لى أو أراد لتذكرنى فى الصلاة لاشتمالها على الاذكار عن مجاهد والفرق أن اطلاق الذكر على العبادة والصلاة فى الاول حقيقة شرعية وفى الثانى مجاز أونقول فى الاول تكون نفس الصلاة مطلوبة بالذات وفى الثانى تكون مطلوبة بعرض الذكر أو أراد لذكرى خاصة لاتشوبه بذكر غيرى ومنها ان المضاف مع ذلك محذوف أى لاخلاص ذكرى وطلب وجهى ومنها ان الياء فاعل أى لانى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها أولان أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق ومنها ان اللام للوقت كقولك جئتك لوقت كذا أى لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة ومنها أن يحمل الذكر على ضد النسيان أى لتكون لى ذاكرا غير ناس فعل المخلصين فى كونهم رطاب اللسان فى جميع الاحيان بذكر مولى الانعام ومولى الاحسان رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو أراد ذكر الصلاة بعد نسيانها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كقوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة أونسيها فليصلها اذا ذكرها فلعل المضاف محذوف أى لذكر صلاتى أوذكر الصلاة هو ذكر الله فالياء فى الاصل منصوب أو الذكر والنسيان من الله عز وجل فى الحقيقة فالياء فاعل قال الشافعى من فاتته صلاة يستحب أن يقضيها على ترتيب الاداء ولو ترك الترتيب جاز ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان كان فى الوقت سعة يستحب أن يبدأ بالفائتة وان بدأ بصلاة الوقت جاز الا اذا ضاق الوقت فانه يجب الابتداء بصلاة الوقت وان تذكر الفائتة بعد ما شرع فى صلاة الوقت أتمها ثم قضى الفائتة ويستحب أن يعيد صلاة الوقت بعدها وقال أبو حنيفة يجب الترتيب فى قضاء الفوائت مالم يزد على صلاة يوم وليلة حتى لوتذكر حال صلاة الوقت بطلت الا أن يكون الوقت ضيقا فلا يبطل حجة الشافعى ماروى فى حديث قتادة انهم ناموا عن صلاة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يقودوا

الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله شيأ ادا قال عظيما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لقد جئتم شيأ ادا قال جئتم شيأ كبيرا من الامر حين دعوا للرحمن ولدا وفي الاد لغات ثلاث يقال لقد جئت شيأ ادا بكسر الالف وأدا بفتح الالف وآدا بفتح الالف ومدها على مثال مادّ فاعل وقرأه قراء الامصار بكسر الالف وبه انقرأ وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي انه قرأ ذلك بفتح الالف ولا أرى قراءته كذلك لخلافها قراءة قراء الامصار والعرب تقول لكل أمر عظيم اد وامر ونكر ومنه قول الراجز

لقد لقي الاعداء مني نكرا * داهية دهيا وادا امرا

ومنه قول الآخر * في لهث منه وخبل ادا * وقوله تكاد السموات يتفطرن منه يقول تعالى ذكره تكاد السموات يتشققن قطعا من قيلهم اتخذ الرحمن ولدا ومنه قيل فطر نابه اذا انشق * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا قال ان الشرك فزعت منه السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت أن تزول لعظمة الله وكما لا ينفع مع الشرك احسان المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم شهادة أن لا اله الا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة قالوا يا رسول الله فمن قالها في صحته قال تلك أوجب وأوجب ثم قال والذي نفسي بيده لو جيء بالسموات والارضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعن في كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا اله الا الله في الكفة الاخرى لرجحت بهن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ذكر لنا ان كعبا كان يقول غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا وقوله وتنشق الارض يقول وتكاد الارض تنشق فتتصدع من ذلك وتخر الجبال هدا يقول وتكاد الجبال تسقط بعضها على بعض سقوطا والهد السقوط وهو مصدر هددت فانا أهده هدا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وتخر الجبال هدا يقول هدما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وتخر الجبال هدا قال الهد الانقضاض **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتخر الجبال هدا قال غضبا لله قال ولقد دعا هؤلاء الذين جعلوا لله هذا الذي غضبت السموات والارض والجبال من قولهم لقد استتابهم ودعاهم الى التوبة فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة قالوا هو وصاحبته وابنه جعلوهما الهين معه وما من اله الا اله واحد الى قوله ويستغفرونه والله غفور رحيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات

والارض

قوله تعالى أقم الصلاة لذكري وقوله صلى الله عليه وسلم فليصلها اذا ذكرها وفي حديث جابر أن عمر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق يسب كفار قريش ويقول يا رسول الله ما صليت صلاة العصر حتى كادت تغيب الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا والله ما صليتها بعد قال فنزل في البطحاء وصلى العصر بعد ما غابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها وأما القياس فهما صلاتان فريضتان جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلاتي عرفة ومزدلفة فلما لم يجز اسقاط الترتيب فيهما وجب أن يكون كذلك حكم الفوائت فيما دون اليوم والليلة وأما اذا دخل في حد الكثرة يسقط هذا الترتيب ثم لما أمر موسى بالعبادة عامة وبالصلاة التي هي أفضلها خاصة علل ذلك بقوله ان الساعة آتية سؤال كاد نفيه اثبات واثباته نفي فقوله أكاد أخفيها يكون معناه لا أخفيها وهو باطل كقوله ان الله عنده علم الساعة ولان قوله لتجزى كل نفس انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار اذ لو كان المكلف عارفا وقت القيامة وكذا وقت الموت اشتغل بالمعاصي الى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون اغراء على المعصية والجواب لا نسلم ان كاد اثباته نفي وانما هو للمقاربة فقط والباقي موكول الى القرينة ولئن سلم فالمراد بعدم الاخفاء اخباره بانها آتية وان كان وقتها غير معين كأنه قال أكاد لا أقول هي آتية لفرط ارادة الاخفاء ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به وبالغ بعض المفسرين في هذا المعنى فقال أراد أكاد أخفيها من نفسي أي لو صح اخفاؤها من نفسي لاخفيتها مني وأكدوا ذلك بانهم وجدوه في مصحف أبي كذلك فقال قطرب هذا على عادة العرب في المخاطبة اذا بالغوا في كتمان الشيء قالوا كتمته من نفسي وقيل كاد من الله واجب وأراد أنا أخفيها من الخلق كقوله عسى أن يكون قريبا أي هو قريب قاله الحسن وعن أبي مسلم ان أكاد بمعنى أريد كقوله كذلك كدنا ليوسف ومنه قولهم لا أفعل ذلك ولا أكاد أي لا أريد ان أفعله وقيل أكاد صلة والمعنى ان الساعة آتية أخفيها وقال أبو الفتح الموصلي الهمزة للازالة أي أكاد أظهرها معناه قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة ومثله ما روى عن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بفتح الهمزة من أخفاه اذا أظهره وقوله لتجزى متعلق باخفيها كما قلنا أو بآتية فلولا القيامة لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء وذلك خلاف قضية العدالة والحكمة واحتجاج المعتزلة بالآية ظاهر لانه قال بما تسعى أي بسعيها فلو لم يكن

أعمال العباد بسعيهم لم يصح هذا الاسناد ولو لم يكن الثواب مستحقا على العمل لم يكن لباء السببية معنى والجواب ان اعتبار الوسط لاينافى انتهاء الكل الى الله واستناد الجزاء الى عنايته الازلية التى لاعلة لها ومعنى الفاء فى فلا يصدنك انه اذا صح عندك انى أخبرتك باتيان الساعة فلا تلتفت الى قول المخالف الذى يصدك عن التصديق بالساعة لان قوله ناشئ عن الهوى واتباعه وجوز أبو مسلم أن يكون الضمير فى عنها للصلاة والعرب تذكر شيئين ثم ترمى بضميرهما الى السامع اعتمادا على انه يرد كلا منهما الى ما هو له وزيف بان هذا انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا وأما الخطاب فالظاهر انه لموسى لان الكلام أجمع معه وجوز بعضهم

أن يكون لنبينا عليه السلام والمقصود الامة والنهى عن الصد فى الظاهر لمن لا يؤمن بالساعة وهو بالحقيقة نهى لموسى عن التكذيب والوجه فيه ان صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب أو صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل فى الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كانه قيل كن فى الدنيا صلبا حتى لا يطمع فى اغوائك الكافر والذى دعا الى هذا النهى البالغ فى معناه هو أن فى المبطلين والجاحدين كثرة وهى مزلة قدم فعلى المرء أن يكون مع المحققين وان قلوا لا مع غيرهم وان كثروا وفيه حث بليغ على العمل بالدليل وزجر قوى عن التقليد وانذار بان الردى والهلاك مع اتباع الهوى وههنا استدل الاصوليون على شرف علمهم ووجوب تعلمه كيلا يتمكن الخصم من تشكيكه وزعم القاضى ان فى نسبة الصد الى الكافر بالبعث دليلا على أن القبائح انما تصدر عن العباد وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا قال اهل التحقيق قوله أولا لموسى اخلع نعليك اشارة الى التخلية وتطهير لوح الضمير عن الاغيار وما بعده اشارات الى التحلية وتحصيل ما ينبغى تحصيله وأصول ذلك ترجع الى علم المبدأ وهو قوله انى أنا الله والى علم الوسط وهو قوله فاعبدنى وانه مشتمل على الاعمال الجسمانية وقوله لذكرى وهو مشتمل على الاعمال الروحانية والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة آتية وأيضا انه افتتح الخطاب بقوله وأنا اخترتك وهو غاية اللطف وختم الكلام بقوله فلا يصدنك الى آخره وهو قهر تنبيها على أن رحمته سبقت غضبه وأن العبد لا بد أن يكون سلوكه على قدمى الرجاء والخوف قوله وما تلك مبتدأ وخبر وبيمينك حال منتصب بمعنى الاشارة أو الاستفهام وجوز الكوفيون أن يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك أى ما التى بيمينك قيل لم يقل بيدك لانه يحتمل أن يكون فى يساره خاتم أو شئ آخر وكان يلتبس عليه الجواب أسئلة ما الفائدة فى هذا السؤال

والارض الا آتى الرحمن عبدا) يقول تعالى ذكره وتكاد الجبال ان تخر انقضاضا لان دعوا للرحمن ولدا فان فى موضع نصب فى قول بعض أهل العربية لاتصالها بالفعل وفى قول غيره فى موضع خفض بضمير الخافض وقد بينا الصواب من القول فى ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن عادته فى هذا الموضع وقال أن دعوا للرحمن ولدا يعنى بقوله أن دعوا أن جعلوا له ولدا كما قال الشاعر

الا رب من تدعو نصيحا وان تغب * تجده بغيب غير منتصح الصدر

وقال ابن أحمر

هوى لها مشقصا حشرا فشبرقها * وكنت أدعو قذاها الاثمد القردا

وقوله وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا يقول وما يصلح لله أن يتخذ ولدا لانه ليس كالخلق الذى تغلبهم الشهوات وتضطرهم اللذات الى جماع الاناث ولا ولد يحدث الا من أنثى والله يتعالى عن ان يكون كخلقه وذلك كقول ابن أحمر

فى رأس خلقاء من عنقاء مشرفة * ما ينبغى دونها سهل ولا جبل

يعنى لا يصلح ولا يكون ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا يقول ما جميع من فى السموات من الملائكة وفى الارض من البشر والانس والجن الا آتى الرحمن عبدا يقول الا يأتى ربه يوم القيامة عبدا له ذليلا خاضعا مقرا له بالعبودية لا نسب بينه وبينه وقوله آتى الرحمن انما هو فاعل من أتيته فانا آتيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) يقول تعالى ذكره لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم وعدهم عدا فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم وعرف عددهم فلا يعزب عنه منهم أحد وكلهم آتيه يوم القيامة فردا يقول وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيدا لا ناصر له من الله ولا دافع عنه فيقضى الله فيه ما هو قاض ويصنع به ما هو صانع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا) يقول تعالى ذكره ان الذين آمنوا بالله ورسله وصدقوا بما جاءهم من عند ربهم فعملوا به فاحلوا حلاله وحرموا حرامه سيجعل لهم الرحمن ودا فى الدنيا فى صدور عباده المؤمنين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن مسلم الملائى عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة فى الناس فى الدنيا **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال حبا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال الود من المسلمين فى الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق **حدثنى** يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن عبيد المكتب عن مجاهد فى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة فى المسلمين فى الدنيا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن القاسم بن أبى بزة عن

مجاهد فى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى خلقه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى المؤمنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا على بن هاشم عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يحبهم ويحببهم حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن قتادة فى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال ما أقبل عبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وزاده من عنده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا أى والله فى قلوب أهل الايمان ذكر لنا ان هرم بن حيان كان يقول ما أقبل عبد بقلبه الى الله الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان عثمان بن عفان كان يقول ما من الناس عبد يعمل خيرا ولا شرا الا كساه الله رداء عمله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة وذكر ان هذه الآية نزلت فى عبد الرحمن بن عوف حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى قال أخبرنا يعقوب بن محمد قال ثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم عن أبيه عن أمه أم ابراهيم ابنة أبي عبيدة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيها عن عبد الرحمن بن عوف انه لما هاجر الى المدينة وجد فى نفسه على فراق أصحابه بمكة منهم شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف فانزل الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقوله فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين يقول تعالى ذكره فانما يسرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك تقرأه لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله باداء فرائضه واجتناب معاصيه بالجنة وتنذر به قوما لدا يقول ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومك من قريش فانهم أهل لدد وجدل بالباطل لا يقبلون الحق واللد شدة الخصومة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لدا قال لا يستقيمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وتنذر به قوما لدا يقول لتنذر به قوما ظلمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتنذر به قوما لدا أى جدالا بالباطل ذوى لدد وخصومة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله وتنذر به قوما لدا قال فجارا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله قوما لدا قال جدالا بالباطل

جوابه ان الصانع الماهر اذا أراد أن يظهر من الشئ الحقير كقطعة من حديد شيأ شريفا كاللبوس المسرد عرضه على الحاضرين ويقول ما هذا حتى انه بعد اظهار صنعته يلزمهم بقولهم ويقول خذوا هذا من ذلك الذى قلتم فكأنه سبحانه قال لموسى هل تعرف حقيقة ما فى يمينك وانه خشبة يابسة حتى اذا قلبه ثعبانا عظيما كان قد نبهه على كمال قدرته الباهرة وقال أهل الخطابة انه سبحانه لما أطلعه على تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء وأسمعه تسبيح الملائكة ثم أسمعه كلام نفسه ممازجا باللطف والقهر والتكاليف تحير موسى ودهش وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له وما تلك بيمينك يا موسى ليعرف موسى أن يمينه هى التى فيها العصا وأيضا انه لما تكلم معه بالكلام الالهية وقرب موسى أن يدهش تكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة ولا لان المسؤل عنه مما يقع فيه الغلط كما أن السائل لا يجوز عليه الغلط نظيره حال المؤمن فى القبر يغلبه الوجل والخجل والحياء فيسئل عن أمر لا يشك فيه فى الدنيا وهو التوحيد دفعا للايحاش وجلبا للاستئناس وأيضا لما عرف موسى كمال الالهية أراد أن يعرفه نقصان البشرية فسأله عن منافع العصا فذكر ما ذكر فعرفه الله تعالى ان فيها منافع أجل مما ذكر تنبيها على أن عقول البشر قاصرة عن خفيات الامور لولا التوفيق والارشاد آخر خاطب موسى بلا واسطة وخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بواسطة جبرائيل فيلزم أن يكون موسى أفضل وجوابه المنع بدليل فاوحى الى عبده ما أوحى وبيان الافضلية ان كلامه مع موسى لم يكن سرا وكلامه مع محمد سر لم يستأهل له سواه وأيضا حصل لامته فى الدنيا شرف التكليم المصلى يناجى ربه وفى الآخرة شرف التسليم والتسليم سلام قولا من رب رحيم وأيضا ان موسى كان عند استغراقه فى بحر المحبة متعلقا بالعصا ومنافعها ومحمد عليه السلام لم يلتفت الى الكونين حين عرضا عليه ما زاغ البصر وما طغى بل كان فانيا عن الاغيار باقيا بالواحد القهار ولهذا لم يزد فى الثناء حينئذ على قوله أنت كما أثنيت على نفسك وههنا نكت منها انه سبحانه لما أشار الى العصا واليد بقوله وما تلك بيمينك يا موسى حصل فى كل منهما برهان باهر ومعجز قاهر فصار أحدهما وهو الجماد حيوانا والآخر وهو الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى قلب العبد فاى عجب أن ينقلب قلبه الجامد المظلم حيا مستنيرا ومنها ان العصا صارت بين يمين موسى حيا فكيف لا يصير قلب المؤمن الذى هو بين أصبعين من أصابع الرحمن حيا ومنها ان العصا باشارة واحدة صارت بحيث ابتلعت سحر السحرة كلهم

حدثنى

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتنذر به قوما لدا قال الالد الظلوم وقرأ قول الله وهو ألد الخصام حدثنا أبو صالح الصرارى قال ثنا العلاء بن عبد الجبار قال ثنا مهدى بن ميمون عن الحسن فى قول الله عز وجل وتنذر به قوما لدا قال صما عن الحق حدثني ابن سنان قال ثنا أبو عاصم عن هرون عن الحسن مثله وقد بينا معنى الالد فيما مضى بشواهده فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ❁ القول فى تاويل قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) يقول تعالى ذكره وكثيرا أهلكنا يا محمد قبل قومك من مشركى قريش من قرن يعنى من جماعة من الناس اذ سلكوا فى خلافى وركوب معاصى مسلكهم هل تحس منهم من أحد يقول فهل تحس أنت منهم أحدا يا محمد فتراه وتعاينه أو تسمع لهم ركزا يقول أو تسمع لهم صوتا بل بادوا وهلكوا وخلت منهم دورهم وأوحشت منهم منازلهم وصاروا الى دار لا ينفعهم فيها الا صالح من عمل قدموه فكذلك قومك هؤلاء صائرون الى ما صار اليه أولئك ان لم يعاجلوا التوبة قبل الهلاك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو تسمع لهم ركزا قال صوتا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا قال هل ترى عينا أو تسمع صوتا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا يقول هل تسمع من صوت أو ترى من عين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو تسمع لهم ركزا يعنى صوتا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال ركز الناس أصواتهم قال أبو كريب قال سفيان هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا قال أو تسمع لهم حسا قال والركز الحس والركز فى كلام العرب الصوت الخفى كما قال الشاعر

فتوجست ركز الانيس فراعها * عن ظهر غيب والانيس سقامها

آخر تفسير سورة مريم والحمد لله رب العالمين

(تفسير سورة طه)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

❁ القول فى تاويل قوله تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى) قال أبو جعفر محمد بن جرير اختلف أهل التأويل فى تاويل قوله طه فقال بعضهم معناه يا رجل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة عن الحسن بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس طه بالنبطية يا رجل حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فان قومه قالوا لقد شقى هذا الرجل

فقلب المؤمن أولى أن يصير بعد نظر الرب فى كل يوم مرات بحيث يبتلع سحر النفس الامارة بالسوء ثم ان جواب موسى عليه السلام يتم بقوله هى عصاى الا أنه زاد على ذلك لانه كان يحب المكالمة وكان المقام مقام انبساط وقرب فاغتنم الفرصة وجعل ذلك كالوسيلة الى درك الغرض وقيل هو جواب سؤال آخر كأنه سئل فما تصنع بها فاخذ فى ذكر منافعها وقيل خاف أن ينكر عليه استصحاب العصا كالنعلين ومعنى أتوكأ عليها اعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة والتركيب يدور على الشد والايثاق كالوسيلة الى درك وأهش بها أى أخبط الورق بها على رؤس غنمى لتأكله والتركيب يدل على الرخاوة واللين ومنه رجل هش المكسر أى سهل الشأن فيما يطلب من الحوائج وهو مدح وهش الخبز يهش بالكسر اذا كان يتكسر لرخاوته قال المحققون ان موسى عليه السلام كان يتوكأ على العصا ومحمد صلى الله عليه وسلم كان يتكل على فضل الله ورحمته قائلا مع أمته حسبنا الله ونعم الوكيل فورد فى حقه حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين أى حسبك وحسب من اتبعك وأيضا انه بدأ بمصالح نفسه فى قوله أتوكأ عليها ثم بمصالح رعيته بقوله وأهش بها على غنمى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل فى الدنيا الا باصلاح أمر أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون فلا جرم يقول موسى يوم القيامة نفسى نفسى ومحمد يقول أمتى أمتى ثم قال ولى فيها مآرب هى جمع المأربة بضم الراء الحاجة وقد يفتح الراء وحكى ابن الاعرابى وقطرب بكسر الراء أيضا ومثله الارب بفتحتين والاربة بكسر الهمزة وسكون الراء وانما قال أخرى لان المآرب فى معنى جماعة ونظيره الاسماء الحسنى ومن آياتنا الكبرى قالوا انما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فتطول مكالمته وقالوا انقطع بالهيبة كلامه فاجمل وقيل

فى المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والجراب وغيرها واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل ان موسى عليه السلام كان أحس بانه تعالى انما سأله عن أمر العصا لمنافع عظيمة فقال الهى ما هذه العصا الا كغيرها ولكنك لما سألت عنها وكلمتنى لسببها عرفت ان لى فيها مآرب أخرى وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين

ربه فانزل الله تعالى ذكره طه يعنى يارجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن مسلم أو يعلى بن مسلم عن سعيد ابن جبير انه قال طه يارجل بالسريانية قال ابن جريج وأخبرنى زمعة بن صالح عن سلمة بن هرام عن عكرمة عن ابن عباس بذلك أيضا قال ابن جريج وقال مجاهد ذلك أيضا حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا عمارة عن عكرمة فى قوله طه قال يارجل كلمة بالنبطية حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد الله عن عكرمة فى قوله طه قال بالنبطية يا انسان حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم عن قرة بن خالد عن الضحاك فى قوله طه قال يارجل بالنبطية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن عكرمة فى قوله طه قال يارجل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله طه قال يارجل بالسريانية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن فى قوله طه قالا يارجل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد يعنى ابن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله طه قال يارجل * وقال آخرون هو اسم من أسماء الله وقسم أقسم الله به ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله طه قال فانه قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله * وقال آخرون هو حروف هجاء * وقال آخرون هو حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى واختلفوا فى ذلك اختلافهم فى الم وقد ذكرنا ذلك فى مواضعه وبينا ذلك بشواهده والذى هو أولى بالصواب عندى من الاقوال فيه قول من قال معناه يارجل لانها كلمة معروفة فى عك فيما بلغنى وأن معناها فيهم يارجل أنشدت لمتمم بن نويرة

هتفت بطه فى القتال فلم يجب * فخفت عليه أن يكون موائلا

(وقال آخر)

ان السفاهة طه من خلائقكم * لا بارك الله فى القوم الملاعين

فاذا كان ذلك معروفا فيهم على ما ذكرنا فالواجب أن يوجه تأويله الى المعروف فيهم من معناه ولا سيما اذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين فتأويل الكلام اذا يارجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه عليك فنكلفك ما لا طاقة لك به من العمل وذكر انه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى من النصب والعناء والسهر فى قيام الليل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال هى مثل قوله فاقرؤا ما تيسر منه فكانوا يعلقون الحبال فى صدورهم فى الصلاة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال فى الصلاة كقوله فاقرؤا ما تيسر منه فكانوا يعلقون الحبل بصدورهم

بالليل واذا ظهر عدو حارب بشعبه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قلت هذه الخوارق ان كانت بعد نبوة موسى فلا كلام وان كانت قبلها ففى صحة الرواية بعد والا كان الانسب تقديمها عند تعداد المنافع وعلى تقدير صحتها فلعلها ارهاص أو من معجزات شعيب على ما يروى انه كان قد أعطاها اياه قال أهل النكت ان موسى لما قال ولى فيها مآرب أخرى أراد الله سبحانه أن يعرفه انه فيها مآرب أخرى لا يفطن لها وقال ألقها ياموسى وبوجه آخر كان فى رجله شئ وهو النعل (٩٠) وفى يده شئ وهو العصا والرجل آلة الهرب واليد آلة الطلب فامر بتركهما تنبيها على ان السالك مادام فى مقام الطلب والهرب كان مشتغلا بنفسه وطالبا لحظه فلا يحصل له كمال الاستغراق فى بحر العرفان وفيه ان موسى عليه السلام مع جلالة منصبه وعلو شأنه لم يمكن له الوصول الى حضرة الجلال حتى خلع النعل وألقى العصا فانت مع ألف وقر من المعاصى كيف يمكنك الوصول الى جنابه قال الكعبى الاستطاعة قبل الفعل لان القدرة على القاء العصا اما أن توجد والعصا فى يده فذاك قولنا أو توجد وهى خارجة عن يده وذلك تكليف بانه يلقى من يده ما ليس فى يده ويمكن أن يجاب بان القدرة مع القاء العصا قوله فاذا هى حية تسعى وفى موضع آخر فاذا هى ثعبان وفى آخر كأنها جان عبارات عن معبر واحد لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم وأما الثعبان وهو العظيم من الحيات والجان وهو الدقيق منها فبينهما تناف فى الظاهر لا فى التحقيق لانها حين انقلابها كانت تكون حية صفراء دقيقة كالجان ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى يصير ثعبانا آخر الامر أو انها كانت فى شخص ثعبان وسرعة حركة الجان ولهذا وصفها بالسعى وهو المشى بسرعة وخفة حركة والعجب ان موسى قال أتوكأ فى علم ما قصد فه الله تعالى فى ذلك وجعلها متكأ له بان كانت أعظم معجزاته وانما قلبها حية فى ذلك الوقت لتكون معجزة لموسى عليه السلام يعرف بها نبوة نفسه فان النداء والنور والكلام لم يكن فى ظهور الدلالة كهذه ولان توالى المعجزات كتتابع الخلع والكرامات وأيضا لانه عرضها عليه ليشاهدها ويوطن نفسه عليها حتى لا يخافها عند عدوه فالولى يستر العيوب والعدو يبرز المناقب فى صورة المثالب فكيف اذا وجد مجال طعن وقدح وقد مر فى الاعراف ان الحية كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها أربعون ذراعا فلما رأى ذلك الامر العجيب

فى الصلاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى لا والله ما جعله الله شقيا ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا الى الجنة وقوله الا تذكرة لمن يخشى يقول تعالى ذكره ما أنزلنا عليك هذا القرآن الا تذكرة لمن يخشى عقاب الله فيتقيه باداء فرائض ربه واجتناب محارمه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا تذكرة لمن يخشى وان الله أنزل كتابه وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر له أنزل الله فيه حلاله وحرامه فقال تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا تذكرة لمن يخشى قال الذى أنزلناه عليك تذكرة لمن يخشى فمعنى الكلام اذا يا رجل ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى به ما أنزلناه الا تذكرة لمن يخشى * وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب تذكرة فكان بعض نحوى البصرة يقول قال الا تذكرة بدلا من قوله لتشقى فجعله ما أنزلنا عليك القرآن الا تذكرة وكان بعض نحوى البصرة يقول نصبت على قوله ما أنزلناه الا تذكرة وكان بعضهم ينكر قول القائل نصبت بدلا من قوله لتشقى ويقول ذلك غير جائز لان لتشقى فى الجحد والا تذكرة فى التحقيق ولكنه تكرير وكان بعضهم يقول معنى الكلام ما أنزلنا عليك القرآن الا تذكرة لمن يخشى لا لتشقى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم هذا القرآن تنزيل من الرب الذى خلق الارض والسموات العلى والعلى جمع عليا واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله تنزيلا فقال بعض نحوى البصرة نصب ذلك بمعنى أنزل الله ذلك تنزيلا وقال بعض من أنكر ذلك من قيله هذا من كلامين ولكن المعنى هو تنزيل ثم أسقط هو واتصل بالكلام الذى قبله فخرج منه ولم يكن من لفظه * قال أبو جعفر والقولان جميعا عندى غير خطأ وقوله الرحمن على العرش استوى يقول تعالى ذكره الرحمن على عرشه ارتفع وعلا وقد بينا معنى الاستواء بشواهده فيما مضى وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وللرفع فى الرحمن وجهان أحدهما بمعنى قوله تنزيلا فيكون معنى الكلام نزله من خلق الارض والسموات نزله الرحمن الذى على العرش استوى والآخر بقوله على العرش استوى لان فى قوله استوى ذكرا من الرحمن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى) يقول تعالى ذكره لله ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ملكا له وهو مدبر ذلك كله ومصرف جميعه ويعنى بالثرى الندى يقال للتراب الرطب المبتل ثرى منقوص يقال منه ثريت الارض تثرى ثرى منقوص والثرى مصدر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما تحت الثرى والثرى كل شئ مبتل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما تحت الثرى

الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال حتى ذهل عن الدلائل وأخذ يفر ولو انه بلغ حينئذ مقام ففروا الى الله لم يفزع عن شئ أو لعله لما حصل له مقام المكالمة بقى فى قلبه عجب فأراه الله تعالى انه بعد فى نقص الامكان ولم يفاوت عالم البشرية وما النصر والتثبيت الا من الله وحده فقد روى انه لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان أدخل يده فى فيها وأخذ بلحييها قال الشيخ أبو القاسم الانصارى ذلك الخوف من أقوى الدلائل على صدقه فى النبوة لان الساحر يعلم ان الذى أتى به تمويه فلا يخافه البتة وعن بعضهم انه خافها لانه عرف ما لقى آدم منها قلت يحتمل أن يكون خوف موسى وهجره اياها من فوات المنافع المعدودة ولهذا علل عدم خوفه بقوله سنعيدها سيرتها الاولى قال جار الله السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة ومنه سير الاولين فيجوز أن ينتصب على الظرف أى فى طريقتها الاولى قال ما كانت عصا أو يكون أعاد منقولا بالهمزة من عاده بنزع الخافض بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين أو يكون المراد بالاعادة الانشاء ثانيا ونصب سيرتها بفعل مضمر فى موضع الحال أى سنعيدها تسير سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التى عرفتها ثم قوى أمره بمعجزة ثانية فقال واضمم يدك الى جناحك يقال لكل ناحيتين جناحان ومنه جناحا العسكر وجناحا الانسان لجنبيهما والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران أى يميلهما فقيل المراد بالآية تحت العضد بدليل قوله تخرج وعن ابن عباس معناه الى صدرك وضعف بانه لا يطابقه قوله تخرج قلت لا شك ان الصدر مستور بالقميص فيظهر عند ذلك معنى الخروج ويفسره قوله فى موضع آخر وأدخل يدك فى جيبك والسوء الرداءة والقبح فى كل شئ فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة والبرص أبغض شئ عند العرب بحيث تمجه أسماعهم فكان جديرا بان يكنى عنه ومعنى بيضاء انها تنور كشعاع الشمس قال فى الكشاف من غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء قلت لعله أراد ان من للتعليل أى ليس سبب البياض هو السوء وانما السبب غيره وحقيقته ترجع الى الابتداء وبيضاء وآية حالان معا أو متداخلتان واحتمل أن ينتصب آية بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذ ودونك وقوله لنريك اما أن يتعلق بهذا المحذوف أو بمحذوف آخر أى لنريك من آياتنا فعلنا ما فعلنا ولا يبعد عندى ان يتعلق بالامرين المذكورين أى ألقها واضمم لنريك قال الحسن اليد فى الاعجاز أعظم

فشرح الصدر هو أن يصير الصدر قابلا للنور والسراج المنير هو المعطى للنور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام هو التفاوت بين الآخذ والمعطى ولهذا قال موسى اللهم اجعلنى من أمة محمد الثالثة انه تعالى ذكر عشرة أشياء ووصفها بالنور أحدها وصف ذاته بالنور الله نور السموات والارض وثانيها الرسول قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها الكتاب واتبعوا النور الذى أنزل معه ورابعها الايمان يريدون أن يطفؤا نور الله وخامسها عدل الله وأشرقت الارض بنور ربها وسادسها ضياء القمر وجعل القمر نورا وسابعها النهار وجعل الظلمات والنور وثامنها البينات انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وتاسعها الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فكان موسى عليه السلام قال أولا رب اشرح لى صدرى بمعرفة أنوار جلال كبريائك وثانيا رب اشرح صدرى بالتخلق باخلاق رسلك وأنبيائك وثالثا رب اشرح لى صدرى باتباع وحيك وامتثال أمرك ونهيك ورابعا رب اشرح لى صدرى بنور الايمان والايقان بالهيتك وخامسا رب اشرح لى صدرى بالاطلاع على أسرار عدلك فى قضائك وحكمك وسادسا رب اشرح لى صدرى بالانتقال من نور شمسك وقمرك الى أنوار جلالك وعزتك كما فعله ابراهيم صلوات الرحمن عليه وسابعا رب اشرح لى صدرى عن مطالعة نهارك وليلك الى مطالعة نهار فضلك وليل عدلك وثامنا رب اشرح لى صدرى بالاطلاع على مجامع آياتك ومعاقد بيناتك فى أرضك وسمائك وتاسعا رب اشرح لى صدرى فى ان أكون خلف صدق أنبيائك المتقدمين متشبها بهم فى الانقياد لحكم رب العالمين وعاشرا رب اشرح لى صدرى بان تجعل سراج الايمان كالمشكاة التى فيها المصباح الرابعة شرح الصدر عبارة عن ايقاد النور فى القلب حتى يصير القلب كالسراج ومستوقد السراج محتاج الى سبعة أشياء زند وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالزند زند المجاهدة والذين جاهدوا فينا والحجر حجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا وخفية والحراق منع الهوى ونهى النفس عن الهوى والكبريت الانابة وأنيبوا الى ربكم والمسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلاة والفتيلة الشكر لئن شكرتم لازيدنكم والدهن الرضا واصبر لحكم ربك ثم اذا اصلحت هذه الادوات فلا تعول عليها بل ينبغى ان تطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعاء قائلا رب اشرح لى صدرى فهنالك تسمع قد أوتيت سؤلك ياموسى الخامسة هذا النور الروحانى المسمى بشرح الصدر أفضل من الشمس الجسمانية لوجوه أحدها الشمس يحجبها الغيم وشمس المعرفة لا تحجبها السموات السبع اليه يصعد الكلم الطيب

على عبادته وان يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مشركى قومه وغيرهم وفيما يزاول من الاجتهاد فى طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدوه ثم من قومه ومن بنى اسرائيل وما لقى فيه من البلاء والشدة طفلا صغيرا ثم يافعا مترعرعا ثم رجلا كاملا وهل أتاك يا محمد حديث موسى بن عمران اذ رأى نارا ذكر ان ذلك كان فى الشتاء ليلا وان موسى كان أضل الطريق فلما رأى ضوء النار قال لاهله ما قال ذكر من قال ذلك **حدثنا** موسى بن هرون **قال** ثنا عمرو **قال** ثنا أسباط عن السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس قال لما قضى موسى الاجل سار باهله فضل الطريق قال عبدالله بن عباس كان فى الشتاء ورفعت لهم نار فلما رآها ظن انها نار وكانت من نور الله قال لاهله امكثوا انى آنست نارا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه اليمانى قال لما قضى موسى الاجل خرج ومعه غنم له ومعه زند له وعصاه فى يده يهش بها على غنمه نهارا فاذا أمسى اقتدح بزنده نارا فبات عليها هو وأهله وغنمه فاذا أصبح غدا باهله وبغنمه فتوكأ على عصاه فلما كانت الليلة التى أراد الله بموسى كرامته وابتدأه فيها بنبوته وكلامه أخطأ فيها الطريق حتى لا يدرى أين يتوجه فاخرج زنده ليقتدح نارا لاهله ليبيتوا عليها حتى يصبح ويعلم وجه سبيله فاصلد زنده فلا يورى له نارا فقدح حتى أعياه لاحت النار فرآها فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى وعنى بقوله آنست نارا وجدت ومن أمثال العرب بعد اطلاع ايناس ويقال بعد طلوع ايناس وهو مأخوذ من الانس وقوله لعلى آتيكم منها بقبس يقول لعلى أجيئكم من النار التى آنست بشعلة والقبس هو النار فى طرف العود أو القصبة يقول القائل لصاحبه اقبسنى نارا فيعطيه اياها فى طرف عود أو قصبة وانما أراد موسى بقوله لاهله لعلى آتيكم منها بقبس لعلى آتيكم بذلك لتصطلوا به كما **حدثنا** ابن حميد **قال** ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه لعلى آتيكم منها بقبس **قال** بقبس تصطلون وقوله أو أجد على النار هدى دلالة تدل على الطريق الذى أضللناه اما من خبر هاد يهدينا اليه واما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبدالله **قال** ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو أجد على النار هدى يقول من يدل على الطريق **حدثنى** محمد بن عمرو **قال** ثنا أبو عاصم **قال** ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث **قال** ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أو أجد على النار هدى قال هاديا يهديه الطريق **حدثنا** القاسم **قال** ثنا الحسين **قال** ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر **قال** ثنا يزيد **قال** ثنا سعيد عن قتادة قوله أو أجد على النار هدى أى هداة يهدونه الطريق **حدثنى** أحمد بن المقدام **قال** ثنا المعتمر **قال** سمعت أبى يحدث عن قتادة عن صاحب له عن حديث ابن عباس انه زعم انها أيلة أو أجد على النار هدى وقال أبى وزعم قتادة انه هدى الطريق **حدثنا** الحسن **قال** أخبرنا عبد الرزاق **قال** أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أو أجد

على النارهدى قال من يهدينى الى الطريق **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه أو أجد على النار هدى قال هدى عن علم الطريق الذى أضللنا بنعت من خبر **حدثنى** يونس قال أخبرنا سفيان عن أبى سعيد عن عكرمة قال قال ابن عباس لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى قال كانوا أضلوا عن الطريق فقال لعلى أجد من يدلنى على الطريق أو آتيكم بقبس لعلكم تصطلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلما أتاها نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى) يقول تعالى ذكره فلما أتى النار موسى ناداه ربه ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه قال خرج موسى نحوها يعنى نحو النار فاذا هى فى شجر من العليق وبعض أهل الكتاب يقول فى عوسجة فلما دنا استأخرت عنه فلما رأى استئخارها رجع عنها وأوجس فى نفسه منها خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم من الشجرة فلما سمع الصوت استأنس وقال الله تبارك وتعالى له ياموسى اخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى فخلعهما فألقاهما واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه فقال بعضهم أمره بذلك لانهما كانتا من جلد حمار ميت فكره ان يطأ بهما الوادى المقدس وأراد ان يمسه من بركة الوادى ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى قلابة عن كعب انه رآهم يخلعون نعالهم فى الصلاة فقال أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقرئ عليه اخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى فقال كانت من جلد حمار ميت فاراد الله أن يمسه القدس **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا ان نعليه كانتا من جلد حمار فخلعهما ثم أتاه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار فقيل له اخلعهما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال وأخبرنى عمر بن عطاء عن عكرمة وأبو سفيان عن معمر عن جابر الجعفى عن على بن أبى طالب فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار فقيل له اخلعهما قال وقال قتادة مثل ذلك * وقال آخرون كانتا من جلد بقر ولكن انه أراد ان يطأ موسى الارض بقدميه ليصل اليه بركتها ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال الحسن كانتا يعنى نعلى موسى من بقر ولكن انما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الارض وكان قد قدس مرتين قال ابن جريج وقيل لمجاهد زعموا ان نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة قال لا ولكنه أمر ان يباشر بقدميه بركة الارض **حدثنى** يعقوب قال قال أبو بشر يعنى ابن علية سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى قال يقول أفض بقدميك الى بركة الوادى * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر

وثانيها الشمس تغيب ليلا وشمس المعرفة لا تغيب ليلا ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا والمستغفرين بالاسحار سبحان الذى أسرى بعبده ليلا الليل للعاشقين ستير ياليت أوقاته تدوم وعند الصباح يحمد القوم السرى وثالثها الشمس تفنى اذا الشمس كورت والمعرفة لا تفنى أصلها ثابت وفرعها فى السماء سلام قولا من رب رحيم ورابعها الشمس اذا قارنها القمر انكسفت وشمس توحيد المعرفة وهى أشهد أن لا اله الا الله اذا لم تقرن بقمر النبوة وهى أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل نوره الى عالم الجوارح وخامسها الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض الوجوه يوم تبيض وجوه وسادسها الشمس تحرق والمعرفة تنجى من الاحراق جزيامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى وسابعها الشمس تصدع والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب وثامنها الشمس منفعتها فى الدنيا والمعرفة منفعتها فى الدارين فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وبوجه آخر الشمس زينة لاهل الارض والمعرفة زينة لاهل السماء وتاسعها الشمس فوقانى الصورة تحتانى المعنى والمعارف الالهية تحتانية الصورة فوقانية المعنى وفيه ان الجنة مع الترفع والشرف مع التواضع وعاشرها الشمس تعرف أحوال الخلق والمعرفة تصل القلب الى الخالق والشمس تقع على الولى والعدو والمعرفة لا تحصل الا للولى ولما كان شرح الصدر الذى هو أول مراتب الروحانيات أشرف من أعلى مراتب الجسمانيات بدأ موسى بطلبه قائلا رب اشرح لى صدرى السادسة الشمس سراج أوقدها الله تعالى للفناء كل من عليها فان والمعرفة سراج استوقده للبقاء يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت والذى خلقه للفناء اذا قرب منه الشيطان احترق يجد له شهابا رصدا والذى خلقه للبقاء كيف يقرب منه الشيطان رب اشرح لى صدرى وأيضا الشمس فى السماء ثم انها مع بعدها تزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها انها فى قلبك أولى أن تزيل ظلمة المعصية والكفر عن قلبك وأيضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده ويمده والله تعالى هو الموقد لسراج المعرفة ولكن الله حبب اليكم الايمان أفلا يمده وهو معنى قوله رب اشرح لى صدرى وأيضا اذا كان فى البيت سراج فان اللص لا يقرب منه وانه سبحانه قد أوقد سراج المعرفة فى قلبك فكيف يقرب الشيطان منه رب اشرح لى صدرى وأيضا المجوس اذا أوقدوا نارا لا يجوزون اطفاءها فالملك القدوس اذا أوقد سراج المعرفة فى قلبك كيف يرضى باطفائها رب اشرح لى صدرى السابعة انه سبحانه أعطى قلب المؤمن تسع كرامات أحدها أو من كان ميتا فأحييناه وقال صلى الله عليه

وسلم من أحيا أرضا ميتة فهي له فيعلم انه لما خلق أرض القلب فاحياها بنور الايمان لا يكون لغيره فيها نصيب وثانيها الشفاء ويشف صدور قوم مؤمنين وفيه انه اذا وضع الشفاء في العسل بقيت تلك الخاصية فيه أبدا فاذا وضع الشفاء في الصدر فكيف لا يبقى أبدا وثالثها الطهارة أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وفيه ان الصائغ اذا امتحن الذهب فبعد ذلك لا يدخله في النار فالله تعالى لما امتحن قلب المؤمن كيف يدخله النار بعده ورابعها الهداية ومن يؤمن بالله يهد قلبه وفيه ان الرسول صلى الله عليه وسلم يهدي نفسك والقرآن يهدي روحك والمولى يهدي قلبك والاول قد يحصل وقد لا يحصل انك لا تهدي من أحببت وكذا الثاني يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وأما هداية القلب فلا تزول البتة لان الهادي لا يزول ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وخامسها الكتابة أولئك كتب في قلوبهم الايمان وفيه ان القرطاس اذا كتب فيه القرآن لم يجز احراقه فقلب المؤمن الذي فيه القرآن وجميع أحكام ذات الله وصفاته كيف يليق بالكريم احراقه وأيضا ان بشر الحافي أكرم قرطاسا فيه اسم الله تعالى فنال سعادة الدارين فاكرام قلب فيه معرفة الله أولى بذلك وأيضا ان القرطاس اذا كتب فيه اسم الله الاعظم عظم قدره حتى أنه لا يجوز للجنب والحائض مسه فالقلب الذي فيه أكرم الموجودات كيف يجوز للشيطان الخبيث أن يمسه وسادسها هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين وفيه ان أبا بكر لما نزلت عليه السكينة في الغار قيل له لا تحزن ان الله معنا فالمؤمن اذا نزلت السكينة في قلبه لا بد أن يقال له عند قبض الروح لا تخف ولا تحزن كما قال تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وسابعها المحبة والزينة كما قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وفيه ان الدهقان اذا ألقى في الارض حبة فهو لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه حين ألقى حبة المحبة في أرض القلب كيف يحرقها وثامنها وألف بين قلوبكم وفيه ان محمدا حين ألف بين قلوب أصحابه ما تركهم غيبة ولا حضورا سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فأكرم الاكرمين وأرحم الراحمين كيف يتركهم سلام قولا من رب رحيم وتاسعها الطمأنينة ألا بذكر الله تطمئن القلوب وفيه ان الحاجات غير متناهية وما سوى الله فهو متناه والمتناهي لا يقابل غير المتناهي فالكافي المهمات لا يكون الا من له كمالات غير متناهيات فلا يزيل قلق الحوائج واضطراب الاماني الا الله سبحانه وبازاء هذه الكرامات ورد في حق الكفار اضداد لها فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم في قلوبهم مرض قلوبهم قاسية انا جعلنا على

بقدميه بركة الوادي اذ كان واديا مقدسا وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لانه لا دلالة في ظاهر التنزيل على انه أمر بخلعهما من أجل انهما من جلد حمار ولا لنجاستهما ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة وان في قوله انك بالوادي المقدس بعقبه دليلا واضحا على انه انما أمره بخلعهما لما ذكرنا ولو كان الخبر الذي حدثنا به بشر قال ثنا خلف بن خليفة عن حميد بن عبد الله بن الحرث عن ابن مسعود عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كلم الله موسى كانت عليه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف ونعلان من جلد حمار غير مذكى صحيحا لم نعده الى غيره ولكن في اسناده نظر يجب التثبت فيه * واختلفت القراء في قراءة قوله اني أنا ربك فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة نودي يا موسى اني بفتح الالف من اني فان على قراءتهم في موضع رفع بقوله نودي فان معناه كان عندهم نودي هذا القول وقرأه بعض عامة قراء المدينة والكوفة بالكسر نودي يا موسى اني على الابتداء وان معنى ذلك قيل يا موسى اني * قال أبو جعفر والكسر أولى القراءتين عندنا بالصواب وذلك ان النداء قد حال بينه وبين العمل في ان قوله يا موسى وحظ قوله نودي ان يعمل في ان لو كانت قبل قوله يا موسى وذلك أن يقال نودي أن يا موسى اني أنا ربك ولا حظ لها في ان التي بعد يا موسى وأما قوله انك بالوادي المقدس فانه يقول انك بالوادي المطهر المبارك كما حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انك بالوادي المقدس يقول المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله انك بالوادي المقدس طوى قال قدس بورك مرتين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انك بالوادي المقدس طوى قال بالوادي المبارك واختلف أهل التأويل في تأويل قوله طوى فقال بعضهم معناه انك بالوادي المقدس طويته فعلى هذا القول من قولهم طوى مصدر خرج من غير لفظه كأنه قال طويت الوادي المقدس طوى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انك بالوادي المقدس طوى يعني الارض المقدسة وذلك انه مر بواديها ليلا فطواه يقال طويت وادي كذا وكذا طوى من الليل وارتفع الى أعلى الوادي وذلك نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل معنى ذلك مرتين وقال ناداه ربه مرتين فعلى قول هؤلاء طوى مصدر أيضا من غير لفظه وذلك ان معناه عندهم نودي يا موسى مرتين نداءين وكان بعضهم ينشد شاهدا لقوله طوى انه بمعنى مرتين قول عدي بن زيد العبادي

أعاذل ان اللوم في غير كنهه * على طوى من غيك المتردد

وروى ذلك آخرون على ثنى أي مرة بعد أخرى وقالوا طوى وثنى بمعنى واحد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى كنا نحدث انه نادى قدس مرتين لان اسمه طوى * وقال آخرون بل معنى ذلك انه قدس

طوى

طوى مرتين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال الحسن كان قد قدس مرتين * وقال آخرون بل طوى اسم الوادى ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله طوى اسم الوادى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد طوى قال اسم الوادى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بالوادى المقدس طوى قال ذاك الوادى هو طوى حيث كان موسى وحيث كان اليه من الله ما كان قال وهو نحو الطور * وقال آخرون بل هو أمر من الله لموسى أن يطأ الوادى بقدميه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن منصور الطوسى قال ثنا صالح بن اسحق عن جعفر بن برقان عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله تبارك وتعالى اخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى قال طأ الوادى حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى قال ثنا الحسن عن يزيد عن عكرمة فى قوله طوى قال طأ الوادى حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن سعيد بن جبير فى قول الله طوى قال طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا يقول من بركة الوادى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد طوى طأ الارض حافيا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته بعض قراء المدينة طوى بضم الطاء وترك التنوين كأنهم جعلوه اسم الارض التى بها الوادى كما قال الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الابطال

فلم يجر حنين لانه جعله اسما للبلدة لا للوادى ولو كان جعله اسما للوادى لاجراه كما قرأت القراء ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم وكما قال الآخر

ألسنا أكرم الثقلين رحلا * وأعظمه ببطن حراء نارا

فلم يجر حراء وهو جبل لانه جعله اسما للبلدة فكذلك طوى فى قراءة من لم يجره جعله اسما للارض وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة طوى بضم الطاء والتنوين وقارئو ذلك كذلك مختلفون فى معناه على ما قد ذكرت من اختلاف أهل التأويل فأما من أراد به المصدر من طويت فلا مؤنة فى تنوينه وأما من أراد أن يجعله اسما للوادى فانه انما ينونه لانه اسم ذكر لا مؤنث وان لام الفعل منه بافراده ذلك معه ياء فأجراه كما قال الله ويوم حنين اذ كان حنين اسم واد والوادى مذكر * وأولى القولين عندى بالصواب قراءة من قرأه بضم الطاء والتنوين لانه ان يكن اسما للوادى فحظه التنوين لما ذكرت قبل من العلة لمن قال ذلك وان كان مصدرا أو مفسرا فكذلك أيضا حكمه التنوين وهو عندى اسم الوادى واذ كان ذلك كذلك فهو فى موضع خفض ردا على الوادى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) اختلفت القراء

قلوبهم أكنة أن يفقهوه ختم الله على قلوبهم أم على قلوب أقفالها بل ران على قلوبهم طبع الله على قلوبهم فلاجل تلك الكرامات والهرب من اضدادها قال موسى رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى الثامنة فى حقيقة شرح الصدر وذلك ان لا يبقى للقلب التفات الى الدنيا لا رغبة بان يكون متعلق القلب الاهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ولا رهبة بان يكون خائفا من الاعداء والمنازعين فان القوة البشرية لضعفها كينبوع صغير فاذا وزعت على جداول كثيرة ضعف الكل وضاعت واذا انصب الكل فى موضع واحد ظهر أثرها وقويت فائدتها فسأل موسى ربه أن يوقفه على معايب الدنيا وقبح صفاتها ليكون متوجها بالكلية الى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا معنى قوله رب اشرح لى صدرى أو نقول انه لما كلف بضبط الوحى فى قوله فاستمع لما يوحى وبالمواظبة على خدمة الخالق فى قوله فاعبدنى فكأنه صار مكلفا بتدبير العالمين والالتفات الى أحدهما يمنع من الاشتغال بالآخر فسأل موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح لى صدرى أو نقول معدن النور هو القلب والاشتغال بما سوى الله من الزوجة والولد والصديق والعدو بل الجنة والنار هو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب الى فضاء الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة فائدتهم فى الدارين صغروا فى عينه كالذباب والبق والبعوضة فلا يدعوه رغبة الى شئ مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شئ من ذلك فيصير الكل عنده كالعدم فعند ذلك يزول الحجاب وينفسح القلب بل الصدر النور رب اشرح لى صدرى التاسعة لنضرب مثلا لذلك فنقول البدن بالكلية كالمملكة والصدر كالقلعة والفؤاد كالصفة والقلب كالسرير والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذى يجلب النعم الى البلدة والغضب كالاسفهيد الذى يشتغل بالضرب والتأديب والحواس كالجواسيس وسائر القوى كالمحترفين والعملة والصناع ثم ان الشيطان كملك مطاع وانه يخاصم هذه البلدة والقلعة والهوى والحرص وسائر الاخلاق الذميمة جنوده فاذا أخرج الروح وزيره وهو العقل أخرج الشيطان فى مقابلته الهوى فجعل العقل يدعو الى الله تعالى والهوى الى الشيطان ثم ان الروح أخرج الفطنة اعانة للعقل فأخرج الخصم فى مقابلته الشهوة فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحسن لذات الدنيا ثم ان الروح أمد الفطنة بالفكرة لتوقف على الحاضر والغائب من المعايب على ما قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة فأخرج الشيطان فى مقابلة الفكرة الغفلة ثم أخرج

الروح الحلم والثبات فان العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا فاخرج الشيطان بازالة العجلة والسرعة فلهذا قال صلى الله عليه وسلم مادخل الرفق فى شئ الا زانه ومادخل الخرق فى شئ الا شانه وخلق السموات والارض فى ستة أيام ليتعلم منه الرفق والثبات فهذه هى الخصومة الواقعة بين الصفين وقلبك وصدرك هو المعركة ثم ان لهذا الصدر الذى هو القلعة خندقا وهو الزهد فى الدنيا وله سور وهو الرغبة فى الآخرة فان كان الخندق عظيما والسور قويا عجز عسكر الشيطان وجنوده فانهزموا وان كان بالضد دخل الشيطان وجنوده من الكبر والهوى والعجب والبخل وسوء الظن بالله ومن النميمة والغيبة وسائر الخصال الذميمة و يحصر الملك فى القصر و يضيق

الامر عليه ثم اذا جاء مدد التوفيق وأخرج هذا العسكر من القلعة انفسح وانشرح رب اشرح لى صدرى * النكتة العاشرة فى الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب الصدر مقر الاسلام أفمن شرح الله صدره للاسلام والقلب مقر الايمان حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما رأى واللب مقام التوحيد انما يتذكر أولو الالباب أى الذين خرجوا من قشر الوجود المجازى وبقوا باب الوجود الحقيقى ثم ان القلب كاللوح المحفوظ فى العالم الصغير فاذا ركب العقل سفينة التوفيق وألقاها فى بحار أمواج المعقولات من عالم الروحانيات هبت من مهاب العظمة والكبرياء رياح السعادة تارة ودبور الادبار أخرى فحينئذ يضطرب الراكب الى التماس أنوار الهدايات وطلب انفتاح أبواب السعادات فيقول رب اشرح لى صدرى وانما سأل موسى شرح الصدر دون القلب لان انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون العكس وأيضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والجواد يكفيه الاشارة فاذا علم انه طالب للمقدمة فلا يليق بكرمه أن يمنعه النتيجة وأيضا انه راعى الادب فى الطلب فاقتصر على طلب الادنى فلا جرم أعطى المقصود فقال قد أوتيت سؤلك ياموسى وحين اجترأ فى طلب الرؤية بقوله أرنى أنظر اليك أجيب بقوله لن ترانى واعلم أن جميع المهيآت الممكنة كالبلور الصافى الموضوع فى مقابلة شمس القدس ونور العظمة ومشرق الجلال فاذا وقع للقلب التفات اليها حصلت له نسبة اليها بأسرها فينعكس شعاع كبرياء الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحرق القلب ومعلوم ان الحرق كلما كان أكثر كان الاحتراق أتم فلهذا قال موسى رب اشرح لى صدرى حتى أقوى على ادراك درجات الممكنات وأصل الى مقام الاحتراق بأنوار الجلال كما قال

فى قراءة ذلك فقرأته عامة القراء الذين قرؤا وانا بتشديد النون وانا بفتح الالف من أنا ودا على نودى ياموسى كأن معنى الكلام عندهم نودى ياموسى انى أنا ربك وأنا اخترتك وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قراء الكوفة وأما عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فقرؤه وأنا اخترتك بتخفيف النون على وجه الخبر من الله عن نفسه انه اختاره * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى ان يقال انهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما قراء أهل العلم بالقرآن مع اتفاق معنييهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه وتاويل الكلام نودى أنا اخترناك فاجتبيناك فاستمع وحينا الذى نوحيه اليك وعه واعمل به اننى أنا الله يقول تعالى ذكره اننى أنا المعبود الذى لا تصلح العبادة الا له لا اله الا أنا فلا تعبدوا غيرى فانه لا معبود تجوز وتصلح له العبادة سواى فاعبدنى يقول فاخلص العبادة لى دون كل ما عبد من دونى وأقم الصلاة لذكرى * واختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أقم الصلاة لى فانك اذا أقمتها ذكرتنى ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أقم الصلاة لذكرى قال اذا صلى ذكر ربه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وأقم الصلاة لذكرى قال اذا عبد ذكر ربه * وقال آخرون بل معنى ذلك وأقم الصلاة حين تذكرها ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله وأقم الصلاة لذكرى قال يصليها حين يذكرها **حدثنى** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال ثنى يونس ومالك بن شهاب قال أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها قال الله أقم الصلاة لذكرى وكان الزهرى يقرؤها أقم الصلاة لذكرى بمنزلة فعلى * قال أبو جعفر وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تاويل من قال معناه أقم الصلاة لتذكرنى فيها لان ذلك أظهر معنييه ولو كان معناه حين يذكرها لكان التنزيل أقم الصلاة لذكرها وفى قوله لذكرى دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد فى تاويل ذلك ولو كانت القراءة التى ذكرناها عن الزهرى قراءة مستفيضة فى قراءة الامصار كان صحيحا تاويل من تاوله يعنى أقم الصلاة حين تذكرها وذلك ان الزهرى وجه بقراءته أقم الصلاة لذكرى بالالف لا بالاضافة اذ أقم لذكراها الا ان الهاء والالف حذفتا وهما مرادتان فى الكلام ليوفق بينها و بين سائر رؤس الآيات اذ كانت بالالف والفتح ولو قال قائل فى قراءة الزهرى هذه التى ذكرناعنه انما قصد الزهرى بفتحها تصييره الاضافة ألفا للتوفيق بينه و بين رؤس الآيات قبله و بعده لانه خالف بقراءته ذلك كذلك من قرأه بالاضافة وقال انما ذلك كقول الشاعر

أطوف ما أطوف ثم آوى * الى أماو يروينى النقيع

وهو يريد الى أمى وكقول العرب ياأباوأماوهى تريد ياأبى وأمى كان له بذلك مقال **فى** القول

في تاويل قوله تعالى (ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) يقول تعالى ذكره ان الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية أكاد أخفيها فعلى ضم الالف من أخفيها قراءة جميع قراء أمصار الاسلام بمعنى أكاد أخفيها من نفسي لئلا يطلع عليها أحد وبذلك جاء تاويل أكثر أهل العلم ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أكاد أخفيها يقول لا أظهر عليها أحدا غيري **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الساعة آتية أكاد أخفيها قال لا تأتيكم الا بغتة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد ان الساعة آتية أكاد أخفيها قال من نفسي **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أكاد أخفيها قال من نفسي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أكاد أخفيها قال من نفسي **حدثني** عبد الاعلى بن واصل قال ثنا محمد بن عبيد الطنافسي قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله أكاد أخفيها قال يخفيها من نفسه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أكاد أخفيها وهي في بعض القراءة أخفيها من نفسي ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الانبياء المرسلين **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال في بعض الحروف ان الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسي * وقال آخرون انما هو أكاد أخفيها بفتح الالف من أخفيها بمعنى أظهرها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا محمد بن سهل قال سألني رجل في المسجد عن هذا البيت

ذاب شهر بن ثم شهرا دميكا * باريكين يخفيان غميرا

فقلت يظهران فقال ورقاء بن اياس وهو خلفي اقرأنيها سعيد بن جبير أكاد أخفيها بنصب الالف وقد روى عن سعيد بن جبير وفاق لقول الآخرين الذين قالوا معناه أكاد أخفيها من نفسي ذكر الرواية عنه بذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء عن سعيد ابن جبير ومنصور عن مجاهد قالا ان الساعة آتية أكاد أخفيها قالا من نفسي **حدثني** عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير أكاد أخفيها قال من نفسي * قال أبو جعفر والذي هو أولى بتأويل الآية من القول قول من قال معناه أكاد أخفيها من نفسي لان تاويل أهل التأويل بذلك جاء والذي ذكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الالف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا

نبينا صلى الله عليه وسلم أرني الاشياء كما هي وههنا دقيقة وهي أن موسى لما زاد لفظة لي في قوله رب اشرح لي دون أن يقول رب اشرح صدري علم انه أراد أن يعود منفعة الشرح اليه فلا جرم يقول يوم القيامة نفسي نفسي وان نبينا صلى الله عليه وسلم لما لم ينس أمته في مقام القرب اذ قيل له السلام عليك أيها النبي فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فلا جرم يقول يوم القيامة أمتي أمتي وشتان ما بين نبي يتضرع الى الله و يقول رب اشرح لي صدري و بين نبي يخاطب أولا بقوله ألم نشرح لك صدرك ولا يخفى أن المراد بالشرح هو التيسير عند أهل السنة هو خلقهما وعند المعتزلة تحريك الدواعي والبواعث بفعل الالطاف المسهلة فانه يحتمل أن يكون هناك من الالطاف ما لا يحسن فعلها الا بعد هذا السؤال أما قوله سبحانه واحلل عقدة من لساني فاعلم ان النطق فضيلة عظيمة وموهبة جسيمة ولهذا قال خلق الانسان علمه البيان بغير توسيط العاطف كأنه انما يكون خالقا للانسان اذا علمه البيان وفي لسان الشاعر وهو زهير

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وعن علي كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان الا صورة مصورة أو بهيمة مهملة وقالت العقلاء المرء باصغريه المرء مخبوء تحت لسانه وفي مناظرة آدم والملائكة لم تظهر الفضيلة الا بالنطق ومن التعريفات المشهورة ان الانسان هو الحيوان الناطق وهذا النطق وان كان في التحقيق هو ادراك المعاني الكلية لكن النطق اللساني لا ريب انه أظهر خواص الآدمي وقد نيط به أمر تمدنه والتعبير عما في ضميره فقول موسى رب اشرح لي صدري اشارة الى طلب النور الواقع في القلب وقوله و يسر لي أمري رمز الى تسهيل ذلك التحصيل وقوله واحلل طلب لسهولة أسباب التكميل لان اللسان آلة الافاضة والافادة و به يتيسر ذلك الخطب الجسيم والمنصب العظيم

وحسبك يا فتى شرفا وفخرا * سكوت الحاضرين وأنت قائل

ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم الصمت حكم وقليل فاعله وقولهم مقتل الرجل بين فكيه وفي نوابغ الكلم يا بني ق فاك لا تقرع قفاك ومنها ان الكلام خمسة أقسام فالذي ضرره خالص أو غالب أو مساو للنفع واجب الترك احترازا من السفه والعبث والذي نفعه خالص أو غالب عسر المراعاة فالاولى تركه ومنها انه ما من موجود أو معدوم معلوم أو موهوم الا واللسان يتناوله باثبات أو نفي بحق أو بباطل بخلاف سائر الاعضاء فالعين لا تصل الا الى الالوان والسطوح والاذن لا تصل الا الى الاصوات والحروف واليد لا تصل الا الى الاجسام وكذا باقي الجوارح أما اللسان فانه رحب الميدان واسع

المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج الى آلات وأدوات المعصية به فكان الاولى ترك الكلام وامساك اللسان والانصات ان الصمت فى نفسه ليس بفضيلة لانه أمر عدمى والنطق فى نفسه فضيلة وانما يصير رذيلة لاسباب عرضية مما عدده هذا القائل فيرجع الحق الى ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ قال خيرا فغنم أو سكت فسلم قالوا ترك الكلام له أربعة أسماء الصمت وهو أعمها حتى انه يستعمل فيما ليس يقوى على النطق كقولهم مال ناطق أو صامت والسكوت وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات هو السكوت مع استماع قال تعالى فاستمعوا له وأنصتوا (١٠٠) والاصاخة وهو ما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد أما العقدة فقيل انها كانت فى أصل خلقته وعن ابن عباس انه فى حال صباه أخذ بلحية فرعون ونتفها فهم فرعون بقتله وقال هذا هو الذى يزول ملكى على يده فقالت آسية انه صبى لا يعقل وان شئت فامتحنه بالتمر والجمر وقيل بالياقوت والجمر فاحضرا بين يديه فاراد مد اليد الى الياقوت فحول جبرائيل يده الى الجمر فاخذها ووضعها فى فيه فظهر به تعقد وتحبس عند بعض الحروف فان صحت هذه الرواية فالنار انما أحرقته وأثرت فيه اطفاء لثائرة غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن طبع النار كما فى حق ابراهيم صلوات الرحمن عليه وكما فى حق موسى حين ألقى فى التنور وروى ان يده احترقت أيضا وان فرعون اجتهد فى علاجها فلم يبرأ ولما دعاه قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها وعن بعض العلماء انه لم تبرأ يده لئلا ينعقد بينه وبين فرعون حرمة المؤاكلة من قصعة واحدة وقيل لم تحترق يده لان الصولة ظهرت باليد وانما احترق اللسان لانه خاطبه بقوله يا أبت * وما الحكمة فى طلب حل العقدة الاظهر كيلا يقع فى أداء الرسالة خلل فلهذا قال يفقهوا قولى

فان قال قائل ولم وجهت تأويل قوله أكاد أخفيها بضم الالف الى معنى أكاد أخفيها من نفسى دون توجيهه الى معنى أكاد أظهرها وقد علمت ان للاخفاء فى كلام العرب وجهين أحدهما الاظهار والآخر الكتمان وان الاظهار فى هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام اذ كان الاخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه اذ كان محالا ان يخفى أحد عن نفسه شيأ هو به عالم والله تعالى ذكره لا يخفى عليه خافية قيل الامر فى ذلك بخلاف ما ظننت وانما وجهنا معنى أخفيها بضم الالف الى معنى استرها من نفسى لان المعروف من معنى الاخفاء فى كلام العرب الستر يقال قد أخفيت الشئ اذا سترته وان الذين وجهوا معناه الى الاظهار اعتمدوا على بيت لامرئ القيس بن عابس الكندى حدثت عن معمر بن المثنى انه قال أنشدنيه أبو الخطاب عن أهله فى بلده

فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد

بضم النون من لا نخفه ومعناه لا نظهره فكان اعتمادهم فى توجيه الاخفاء فى هذا الموضع الى الاظهار على ما ذكروا من سماعهم هذا البيت على ما وصفت من ضم النون من نخفه وقد أنشدنى الثقة عن الفراء فان تدفنوا الداء لا نخفه بفتح النون من نخفه من خفيته أخفيه وهو أولى بالصواب لانه المعروف من كلام العرب فاذ كان ذلك كذلك وكان الفتح فى الالف من أخفيها غير جائز عندنا لما ذكرنا ثبت وصح الوجه الآخر وهو ان معنى ذلك أكاد أسترها من نفسى وأما وجه صحة القول فى ذلك فهو ان الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به خطابهم بينهم فلما كان معروفا فى كلامهم ان يقول أحدهم اذا أراد المبالغة فى الخبر عن اخفائه شيأ هو له مسر قد كدت ان أخفى هذا الامر عن نفسى من شدة استسرارى به ولو قدرت أخفيه عن نفسى أخفيته خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم فى ذلك من الكلام بينهم وما قد عرفوه فى منطقهم وقد قيل فى ذلك أقوال غير ما قلنا وانما اخترنا هذا القول على غيره من الاقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين اذ كنا لا نستجيز الخلاف عليهم فيما استفاض القول به منهم وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر فاما الذين قالوا فى ذلك غير قولنا ممن قال فيه على وجه الانتزاع من كلام العرب من غير أن يعزوه الى امام من الصحابة أو التابعين وعلى وجه يحتمل الكلام غير وجهه المعروف فانهم اختلفوا فى معناه بينهم فقال بعضهم يحتمل معناه أريد أخفيها قال وذلك معروف فى اللغة وذكر انه حكى عن العرب انهم يقولون أولئك أصحابى الذين أكاد أنزل عليهم وقال معناه لا أنزل الا عليهم قال وحكى أكاد أبرح منزلى أى ما أبرح منزلى واحتج ببيت أنشده لبعض الشعراء

كادت وكدت وتلك خير ارادة * لو عاد من لهو الصبابة ما مضى

وقال يريد بكادت أرادت قال فيكون المعنى أريد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى قال ومما يشبه ذلك قول زيد الخيل

سريع الى الهيجاء شاك سلاحه * فما ان يكاد قرنه يتنفس

وقال وقيل لان العقدة فى اللسان قد تقتضى الاستخفاف بالقائل وعدم الالتفات اليه وقيل اظهار المعجزة فكما أن حبس لسان زكريا عن الكلام كان معجزا له فكذا الاطلاق لسان موسى كان معجزا فى حقه وهل زالت تلك العقدة بالكلية نعم عن الحسن نعم لقوله قد أوتيت سؤلك يا موسى والاصح انه بقى بعضها لقوله تعالى حكاية عن فرعون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين أى يقارب أن لا يبين وكان فى لسان الحسين بن على رضى الله عنه رتة أى عجمة فى الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وفى تنكير عقدة أى عقدة من عقد دلالة على أنه طلب حل بعضها بحيث يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة وقال أهل

الشفيق وذلك لان حل العقدة بالكلية نصيب محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفصح العرب والعجم وقد قال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
هي أحسن فلما كان ذلك حقا لليتيم أبي طالب لاجرم مادار حوله ومن مطالب موسى قوله واجعل لي وزيرا من أهلي هرون قال أهل الاشتقاق
الوزير من الوزر بالكسر فالسكون لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر بفتحتين وهو الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه
أموره أو من الموازرة وهي المعاونة فيكون من الازر والقوة ومنه قوله تعالى اشدد به أزري أي ظهري لانه محل القوة قال الجوهري أزرت
فلانا أي عاونته والعامة تقول وازرته وعلى هذا فيكون القياس أزيرا بالهمز على ماحكى عن الاصمعي ووجه القلب حمل

وقال كانه قال فما يتنفس قرنه والاضعف المعنى قال وقال ذو الرمة

اذا غير النأي المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال وليس المعنى لم يكد يبرح أي بعد يسر يبرح وبعد عسر وانما المعنى لم يبرح أو لم يرد يبرح والا ضعف المعنى قال وكذلك قول أبي النجم

وان أتاك نعي فاندبن أبا * قد كاد يضطلع الاعداء والخطبا

وقال يكون المعنى قد اضطلع الاعداء والا لم يكن مدحا اذا أراد كاد ولم يرد يفعل * وقال آخرون بل معنى ذلك ان الساعة آتية أكاد قال وانتهى الخبر عند قوله أكاد لان معناه أكاد ان آتي بها قال ثم ابتدأ فقال ولكني أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى قال وذلك نظير قول ابن ضابئ

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي أقاربه

فقال كدت ومعناه كدت أفعل * وقال آخرون معنى أخفيها أظهرها وقالوا الاخفاء والاسرار قد توجههما العرب الى معنى الاظهار واستشهد بعضهم لقيله ذلك ببيت الفرزدق

فلما رأى الحجاج جرد سيفه * أسر الحروري الذي كان أضمرا

وقال عنى بقوله أسر أظهر قال وقد يجوز أن يكون معنى قوله وأسروا الندامة وأظهروها قال وذلك انهم قالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا وقال جميع هؤلاء الذين حكينا قولهم جائز أن يكون قول من قال معنى ذلك أكاد أخفيها من نفسي أن يكون أراد أخفيها من قبلي ومن عندي وكل هذه الاقوال التي ذكرنا عمن ذكرنا توجيه منهم للكلام الى غير وجهه المعروف وغير جائز توجيه معاني كلام الله الى غير الاغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به ففي ذلك مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه شاهد عدل على خطأ ماذهبوا اليه فيه وقوله لتجزى كل نفس يقول لتثاب كل نفس امتحنها ربها بالعبادة في الدنيا بما تسعى يقول بما تعمل من خير وشر وطاعة ومعصية وقوله فلا يصدنك عنها يقول تعالى ذكره فلا يردنك ياموسى عن التأهب للساعة من لايؤمن بها يعني من لا يقر بقيام الساعة ولا يصدق بالبعث بعد الممات ولا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا وقوله واتبع هواه يقول اتبع هوى نفسه وخالف أمر الله ونهيه فتردى يقول فتهلك ان أنت انصددت عن التأهب للساعة وعن الايمان بها وبان الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصد من كفر بها وكان بعضهم يزعم ان الهاء والالف من قوله فلا يصدنك عنها كناية عن ذكر الايمان قال وانما قيل عنها وهي كناية عن الايمان كما قيل ان ربك من بعدها لغفور رحيم يذهب الى الفعلة ولم يجر للايمان ذكر في هذا الموضع فيجعل ذلك من ذكره وانما جرى ذكر الساعة فهو بان يكون من ذكرها أولى ❁ القول في تأويل قوله تعالى (وما تلك بيمينك ياموسى) يقول تعالى ذكره وما هذه التي في يمينك ياموسى فالباء في قوله بيمينك من صلة تلك والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذي ومنه قول يزيد بن مفرغ

فعيل على مفاعل لاتحاد معنييهما في نحو عشير وجليس وصديق وغيرها وحمله على أخواته من نحو الموازرة وتوازروا والاستعانة بالوزير وتحسين رأيه دأب الملوك العقلاء وقد استحسنه نبينا صلى الله عليه وسلم فقال اذا أراد الله بالملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا أعانه عليه وان أراد شرا كفه وكان أنوشروان يقول لايستغني أجود السيوف عن الصيقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم الملوك عن الوزير وكفى بمرتبة الوزارة منقبة وفخرا أو شرفا وذكرا أن النبي صلى الله عليه وسلم المؤيد بالمعجزات الباهرة ابتهل الى الله سبحانه في مقام القرب والمكالمة يطلبه منه فيجب على من أوتي هذه الرتبة ان يؤدي الى الله حقها ولا يغتر بالدنيا وما فيها ويزرع في أرض الوزارة مالم يندم عليه وقت حصاده وقيل ان موسى خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الامر العظيم والخطب الجسيم فطلب المعين والاظهر انه رأى ان التعاون على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفاء الطوية أبعد عن التهمة وأعون على الغرض ولهذا حكى عن عيسى انه قال من أنصاري
الى الله وخوطب نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ان لي في
السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان في السماء جبرائيل وميكائيل واللذان في الارض أبو بكر وعمر ثم ان موسى طلب أن يكون ذلك
الوزير من أهله أي من أقاربه لتكون الثقة به أكثر وليكون الشرف في بيته أوفر وانه كان واثقا بأخيه هرون فاراد ان يخصه بهذا المنصب
الشريف قضاء لحقوق الاخاء فمن منع المستوجبين فقد ظلم وكان أفصح منه لسانا وأكبر سنا وألين جانبا قال جار الله وزيرا وهرون مفعولا
اجعل قدم ثانيهما عناية بأمر الوزارة أولى ووزيرا مفعولان وهرون عطف بيان للوزير وأخي في الوجهين بدل من هرون أو عطف بيان

عدس مالعباد عليك امارة * أمنت وهذا تحملين طليق

كأنه قال والذى تحملين طليق واعل قائلا أن يقول وماوجه استخبار الله موسى عما فى يده ألم يكن عالما ان الذى فى يده عصا قيل له ان ذلك على غير الذى ذهبت اليه وانما قال ذلك عز ذكره له اذا أراد أن يحولها حية تسعى وهى خشبة فنبهه عليها وقرره بانها خشبة يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ليعرفه قدرته على مايشاء وعظم سلطانه ونفاذ أمره فيما أحب بتحويله اياها حية تسعى اذا أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته الى فرعون وقومه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى) يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى قال موسى مجيبا لربه هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى يقول أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها فترعاه غنمى يقال منه هش فلان الشجر يهش هشا اذا اختبط ورق أغصانها فسقط ورقها كما قال الراجز

أهش بالعصا على أغنامى * من ناعم الاراك والبشام

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأهش بها على غنمى قال أخبط بها الشجر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأهش بها على غنمى قال كان نبى الله موسى صلى الله عليه وسلم يهش على غنمه ورق الشجر حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى وأهش بها على غنمى يقول أضرب بها الشجر للغنم فيقع الورق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى قال يتوكأ عليها حين يمشى مع الغنم ويهش بها يحرك الشجر حتى يسقط الورق الحبلة وغيرها حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسن عن عكرمة وأهش بها على غنمى قال أضرب بها الشجر فيسقط من ورقها على حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ثنا على بن الحسن قال ثنا حسين قال سمعت عكرمة يقول وأهش بها على غنمى قال أضرب بها الشجر فيتساقط الورق على غنمى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأهش بها على غنمى يقول أضرب بها الشجر حتى يسقط منه ما تأكل غنمى وقوله ولى فيها مآرب أخرى يقول ولى فى عصاى هذه حوائج أخرى وهى جمع مأربة وفيها للعرب لغات ثلاث مأربة بضم الراء ومأربة بفتحها ومأربة بكسرها وهى مفعلة من قولهم لا أرب لى فى هذا الامر أى لا حاجة لى فيه وقيل أخرى وهن مآرب جمع ولم يقل أخر كما قيل له الاسماء الحسنى وقد بينت العلة فى توجيه ذلك هنالك * وبنحو الذى قلنا فى معنى المآرب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا حفص بن جميع قال ثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله ولى فيها مآرب أخرى قال حوائج أخرى قد علمتها حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية

عن

أخى وقيل يجوز فيمن قرأ أشدد على الامر ان يجعل أخى مرفوعا على الابتداء واشدد خبره فيوقف على هرون وشد الازر به عبارة عن تقويته به وان يجعله ناصرا له فيما عسى يرد عليه من الشدائد والخطوب بل يجعله وسيلة له فى أمر النبوة وطريق الرسالة لانه صرح بذلك فى قوله واشركه فى أمرى ثم ذكر غاية الادعية فان المقصد الاسنى هو الاستغراق فى بحر التوحيد ونفى الاشراك فان التعاون مهيج الرغبات ومسهل سلوك سبل الخيرات فقال كى نسبحك كثيرا أى تسبيحا كثيرا ونذكرك ذكرا كثيرا وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفى مقدم على الاثبات فبالاول تزول العقائد الفاسدة وبالثانى ترتسم النقوش الحسنة المفيدة ثم ختم الادعية بقوله انك كنت بنا بصيرا وفيه فوائد منها انه فوض استجابة الدعوات الى علمه باحوالهما وانهما بصدد أهلية الاجابة أم لا وفيه من حسن الادب ما لا يخفى ومنها انه عرض فقره واحتياجه على علمه وانه مفتقر الى التعاون والتعاضد ولهذا سأل ما سأل ومنها انه أعلم باحوال أخيه هل يصلح لوزارته أم لا وان وزارته هل تصير سببا لكثرة التسبيح والذكر وحين راعى من دقائق الادب وأنواع حسن الطلب ما يجب رعايته فلا جرم أجاب الله تعالى مطالبه وانجح مآربه قائلا قد أوتيت سؤلك والسؤل بمعنى المسؤل كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى المأكول وزيادة قوله ياموسى بعد رعاية الفاصلة لاجل كمال التمييز والتعيين والله أعلم بمصالح عبيده * التأويل يامن طاب بطهارته بساط النبوة ما أنزلنا عليك القرآن الا لتسعد بتخلقك بخلقه ويسعد بسببك الاولون والآخرون من أهل السموات وأهل الارضين تنزيلا ممن خلق أرض بشريتك وسموات روحانيتك التى هى أعلى الموجودات الممكنات كما قال أول ما خلق الله روحى استوى بصفة الرحمانية على عرش قلبك لكون معه وقت لا يسعك فيه ملائكة مقرب ولا نبى مرسل له ما فى السموات الروحانية من الصفات الحميدة وما فى الارض البشرية من الصفات الذميمة وما بينهما أى بين سماء الروح وأرض النفس وهو القلب بما فيه من الايمان والايقان والصدق والاخلاص وما تحت الثرى أى ما هو مركوز فى جبلة الانسانية وان تجهر بالقول ان تظهر شيئا من صفاتك بالقول فانه يعلم السر وهو ما يظهر من سيرتك وأخفى هو ما أخفى الله من خفيتك والسر فى اصطلاح الصوفية لطيفة بين القلب والروح وهو معدن الاسرار الروحانية والخفى لطيفة بين الروح والحضرة الالهية وهو مهبط أنوار الربوبية وأسرارها وجلتها المعقولات وقد يحصل لكل انسان عند نشأته الاولى وان كان كافرا والاخفى

عن علي عن ا ... ـ قوله ولي فيها مآرب أخرى يقول حاجة أخرى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولي فيها مآرب أخرى قال حاجات حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولي فيها مآرب أخرى قال حاجات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولي فيها مآرب أخرى قال حاجات حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ولي فيها مآرب أخرى يقول حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولي فيها مآرب أخرى قال حوائج أخرى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله مآرب أخرى قال حاجات منافع أخرى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه ولي فيها مآرب أخرى أي منافع أخرى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولي فيها مآرب أخرى قال حوائج أخرى سوى ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله مآرب أخرى قال حاجات أخرى ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى) يقول تعالى ذكره قال الله لموسى ألق عصاك التي بيمينك يا موسى يقول الله جل جلاله فألقاها موسى فجعلها الله حية تسعى وكانت قبل ذلك خشبة يابسة وعصا يتوكأ عليها موسى ويهش بها على غنمه فصارت حية بأمر الله كما حدثنا أحمد بن عبدة الضبي قال ثنا حفص بن جميع قال ثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قيل لموسى ألقها يا موسى ألقاها فاذا هي حية تسعى ولم تكن قبل ذلك حية قال فمرت بشجرة فأكلتها ومرت بصخرة فابتلعتها قال فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها قال فولى مدبرا فنودي أن يا موسى خذها فلم يأخذها ثم نودي الثانية أن خذها ولا تخف فلم يأخذها فقيل له في الثالثة انك من الآمنين فأخذها حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال قال له يعني لموسى ربه ألقها يا موسى يعني فألقاها فاذا هي حية تسعى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب فنودي يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى تهتز لها أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون فرأى أمرا فظيعا فولى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه يا موسى أقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى وقوله قال خذها ولا تخف يقول تعالى ذكره قال الله لموسى خذ الحية والهاء والالف من ذكر الحية ولا تخف يقول ولا تخف من هذه الحية سنعيدها سيرتها الاولى يقول فانا سنعيدها لهيئتها الاولى التي كانت عليها قبل أن نصيرها حية ونردها عصا كما كانت يقال لكل من كان على أمر فتركه وتحول عنه ثم راجعه عاد فلان سيرته الاولى وعاد بسيرته الاولى وعاد الى سيرته الاولى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني

لطيفة بين الروح والحضرة الالهية ويكون عند نشأته الاخرى ولا يحصل الا للمؤمن موحد صار مهبط الانوار الربانية ومجلى المشاهدات والمكاشفات وحقائق العلوم اللدنية ولهذا قال عقيبه الله لا اله الا هو لان مظهر الالوهية وصفاته العليا وأسماءه الحسنى هو الخفي الذي لا شئ أقرب الى الحضرة منه الا هو وسر وعلم آدم الاسماء كلها وحقيقة قوله ان الله خلق آدم فتجلى فيه وهل أتاك حديث موسى القلب اذ رأى نارا هو نور في الحقيقة مأنوس به من جانب طور الروح فقال لاهله وهم النفس وصفاتها امكثوا في ظلمة الطبيعة الحيوانية اني آنست نار المحبة التي لا تبقي ولا تذر من حطب الوجود المجازي شيأ لعلي آتيكم منها بقبس يخرجكم من ظلمات الطبيعة الى أنوار الشريعة أو أجد على النار هدى بآداب الطريقة الى الحقيقة فلما أتاها نودي من شجرة القدس بخطاب الانس فاخلع نعليك أي اترك الالتفات الى الزوجة والولد فان النعل يعبر في الرؤيا بهما أو اترك الالتفات الى الكونين انك واصل الى جناب القدس أوهما المقدمتان في نحو قولنا العالم محدث وكل محدث فله محدث وموجد وذلك انه اذا غرق في لجة العرفان بقيت المقدمات على ساحل الوسائل وأنا اخترتك يا موسى القلب من سائر خلق وجودك من البدن والنفس والسر والروح فاستمع بسمع الطاعة والقبول انني لما تجليت بأنانية الوهية لانانية وجودي المجازي لا يبقى الا أنا فاعبدني بافناء وجودك وأدم المناجاة معي الذي لذكري أتاك بالتجلي ان قيامة العشق آتية أكاد أخفيها لعظم شأنها الا ان مقتضى الكرم اقتضى اظهارها لاخص عبيدي لتجزى كل نفس بما تسعى في العبودية من الروح والسر والقلب والنفس والقالب فلما كان سعي الروح بحب الوطن الاصلي للرجوع الى أمكن اضافة ونفخت فيه من روحي فجزاؤه من تجلي صفات الجلال باعدام الناسوتية في اللاهوتية وكان سعي السعي بالخلو عن الاكوان لقبول فيض المكون فجزاؤه بافاضة الفيض الالهي عليه وسعي القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلي صفات الجمال والجلال فجزاؤه بدوام التجلي وان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه من الشراب الطهور الذي يزيل لوث الحدوث عن لوح القلوب لكشف حقائق القلوب وسعي النفس بتبديل الاخلاق وانتفاء الاوصاف الحيوانية فجزاؤه باشراق نور ربها لازالة ظلمة صفاتها واطمئنانها الى ذكر ربها لتصير قابلة لجذبة ارجعي الى ربك وسعي القالب باستعمال أركان الشريعة وآداب الطريقة فجزاؤه رفعة الدرجات ونيل الكرامات في الدارين فلا يصدنك عن هذه السعادات النفس الامارة بالسوء التي لا تؤمن بها أو يحتمل ان يقال أكاد أخفي الساعة ودخول الجنة والنار لئلا تكون عبادتي مشوبة

يطمع الجنة وخوف النار قالوا أخطأ موسى في قوله هي عصاي وكان عليه ان يقول أنت أعلم بها الهامني وفي قوله أتوكأ عليها وكان عليه ان يتكئ على لطف الله وكرمه فلهذا قيل له ألقها يا موسى وفي قوله وأهش بها على غنمي اذ نسي ان العصا لا تكون واسطة لرزق أغنامه وانما الرزاق هو الله خذها ولا تخف فان الضار والنافع هو الله وحده فلا يكن خوفك الا منه ولا رجاؤك الا به واضمم يدهمتك الى جناح قنوعك تخرج بيضاء نقية عن درن السؤال وعن الطمع وباقي الحقائق مذكور في التفسير وفي قوله قد أوتيت بلفظ الماضي اشارة الى انه أعطى ذلك بالتقدير الازلي لا بالتدبير العملي والله أعلم بالصواب (104) (ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم) لها

علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله سيرتها الاولى يقول حالتها الاولى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سيرتها الاولى قال هيئتها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه سنعيدها سيرتها الاولى أي سنردها عصا كما كانت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سنعيدها سيرتها الاولى قال الى هيئتها الاولى ۞ القول في تاويل قوله تعالى (واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى) يقول تعالى ذكره واضمم يا موسى يدك فضعها تحت عضدك والجناحان هما اليدان كذلك روي الخبر عن أبي هريرة وكعب الاحبار وأما أهل العربية فانهم يقولون هما الجنبان وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز * أضمه للصدر والجناح * وبنحو الذي قلنا في تاويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الى جناحك قال كفه تحت عضده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله تخرج بيضاء من غير سوء ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم فادخل يده في جيبه ثم أخرجها بيضاء من غير سوء من غير برص مثل الثلج ثم ردها فخرجت كما كانت على لونه حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه حدثنا اسمعيل بن موسى الفزاري قال ثنا شريك عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس في قوله تخرج بيضاء من غير سوء قال من غير برص حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من غير سوء قال من غير برص حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله بيضاء من غير سوء قال من غير برص حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من غير سوء قال من غير برص حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله بيضاء من غير سوء قال من غير برص حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي تخرج بيضاء من غير سوء قال من غير برص حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله من غير سوء قال من غير برص حدثنا ابن بشار قال سمعت حماد بن مسعدة قال ثنا قرة عن الحسن في قول الله بيضاء من غير سوء قال أخرجها الله من غير سوء من غير برص فعلم موسى انه لقي ربه وقوله آية أخرى يقول وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التي أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك اليه ونصب آية على اتصالها بالفعل اذ لم يظهر

يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى (١٠٥)

لها ما يرفعها من هذه أوهي وقوله لنريك من آياتنا الكبرى يقول تعالى ذكره واضمم يدك يا موسى الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء كي نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا وقال الكبرى فوحد وقد قال من آياتنا كما قال له الاسماء الحسنى وقد بينا ذلك هنالك وكان بعض أهل البصرة يقول انما قيل الكبرى لانه أريد بها التقديم كان معناها عنده لنريك الكبرى من آياتنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي) يقول تعالى ذكره لنبيه موسى صلوات الله عليه اذهب يا موسى الى فرعون انه طغى يقول انه تجاوز قدره وتمرد على ربه وقد بينا معنى الطغيان فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وفي الكلام محذوف استغنى بفهم السامع بما ذكر منه وهو قوله اذهب الى فرعون انه طغى فادعه الى توحيد الله وطاعته وارسال بني اسرائيل معك قال رب اشرح لي صدري يقول رب اشرح لي صدري لاعي عنك ما أودعه من وحيك واجترئ به على خطاب فرعون ويسر لي أمري يقول وسهل علي القيام بما تكلفني من الرسالة وتحملني من الطاعة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله رب اشرح لي صدري قال جرأة لي وقوله واحلل عقدة من لساني يقول وأطلق لساني بالمنطق وكانت فيه فيما ذكر عجمة عن الكلام للذي كان من القائه الجمرة الى فيه يوم هم فرعون بقتله ذكر الرواية بذلك عمن قاله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن سعيد بن جبير في قوله عقدة من لساني قال عجمة لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تردبه عنه عقوبة فرعون حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل فقال هذا عدو فقالت له انه لا يعقل **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح واحلل عقدة من لساني لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل فقال هذا عدولي فقالت له انه لا يعقل هذا قول سعيد بن جبير **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واحلل عقدة من لساني قال عجمة لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تردبه عقوبة فرعون حين أخذ بلحيته **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال لما تحرك الغلام يعني موسى أورته أمه آسية صبيا فبينما هي ترقصه وتلعب به اذ ناولته فرعون وقالت خذه فلما أخذه اليه أخذ موسى بلحيته فنتفها فقال فرعون على الذباحين قالت آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وقد علمت انه ليس في أهل مصر أحلى مني أنا أضع له حليا من الياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمر فانما هو صبي فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستا من جمر فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم فطرح في يده جمرة فطرحها موسى في فيه فأحرقت لسانه فهو الذي يقول الله

القرا آت ولتصنع بسكون اللام والعين على الامر يزيد الآخرون بكسر اللام ونصب العين لنفسي اذهب في ذكري اذهبا بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وخلقه بفتح اللام على انه فعل نصير الباقون بالسكون مهدا وكذلك في الزخرف عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الآخرون مهادا سوى بكسر السين أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وعلى الآخرون بالضم لا نخلفه بالجزم جوابا للامر يزيد يوم الزينة على الظرف هبيرة وقد خاب حيث كان بالامالة حمزة فيسحتكم من الاسحات حمزة وعلي وخلف ورويس وحفص الباقون بفتح الياء والحاء ان مخففة ابن كثير وحفص والمفضل الباقون مشددة هذين أبو عمرو وهذان بالتشديد ابن كثير الباقون بالتخفيف فاجمعوا بهمزة الوصل وفتح الميم أمرا من الجمع أبو عمرو والآخرون على لفظ الامر من الاجماع وقد أفلح بنقل الحركة الى الدال حيث كان ورش وعباس وحمزة في الوقف تخيل بالتاء الفوقانية ابن ذكوان وروح والمعدل عن زيد الباقون وابن مجاهد عن ابن ذكوان بالتحتانية تلقف بالتشديد والرفع على الاستئناف ابن ذكوان تلقف بالتخفيف والجزم حفص والمفضل وقرأ البزي وابن فليح مشددة التاء كيد سحر على المصدر حمزة وعلي وخلف الباقون كيد ساحر على الوصف قال آمنتم بالمد أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وأبو جعفر ونافع وابن كثير عن ابن مجاهد وأبي عون عن قنبل قال آمنتم على الخبر بغير مد حفص وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون آمنتم بزيادة همزة الاستفهام ومن يأته مختلسة الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو عن طريق الهاشمي عن اليزيدي ومن يأته بسكون الهاء خلاد ورجاء والعجلي وشجاع واليزيدي غير أبي شعيب ويحيى

عزوجل واحلل عقدة من لساني يفقهوقولي فتزول التعن موسى من أجل ذلك وقوله يفقهوا قولى يقول يفقهوا عني ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام واجعل لى وزيرا من أهلى يقول واجعل لى عونا من أهل بيتي هرون أخي وفي نصب هرون وجهان أحدهما أن يكون هرون منصوبا بقوله اجعل و يكون الوزير اذا نصب على هذا الوجه فعلا لهرون والآخر أن يكون هرون منصوبا على الترجمة عن الوزير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ابن عباس كان هرون أكبر من موسى ❁ القول في تاويل قوله تعالى (أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا) يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى انه سأل ربه أن يشدد أزره باخيه هرون وانما يعني بقوله أشدد به أزري قو ظهري وأعني به يقال منه قد أزر فلان فلانا اذا أعانه وشد ظهره . و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أشدد به أزري يقول أشدد به ظهري حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أشدد به أزري يقول أشدد به أمري وقوني به فان لي به قوة وقوله وأشركه في أمري يقول واجعله نبيا مثل ما جعلتني نبيا وأرسله معي الى فرعون كي نسبحك كثيرا يقول كي نعظمك بالتسبيح لك كثيرا ونذكرك كثيرا فنحمدك انك كنت بنا بصيرا يقول انك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شئ وذكر عن عبد الله بن أبي اسحق انه كان يقرأ أشدد به أزري بفتح الالف من أشدد وأشركه في أمري بضم الالف من أشركه بمعنى الخبر من موسى عن نفسه انه يفعل ذلك لا على وجه الدعاء واذا قرئ ذلك كذلك جزم اشدد واشرك على الجزاء أو جواب الدعاء وذلك قراءة لا أرى القراءة بها وان كان لها وجه مفهوم لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها ❁ القول في تاويل قوله تعالى (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى) يقول تعالى ذكره قال الله لموسى صلى الله عليه وسلم قد أعطيت ما سألت ياموسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك وحل عقدة لسانك وتصيير أخيك هرون وزيرك وشد أزرك به واشراكه في الرسالة معك ولقد مننا عليك مرة أخرى يقول تعالى ذكره ولقد تطولنا عليك ياموسى قبل هذه المرة مرة أخرى وذلك حين أوحينا الى أمك اذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ما أوحينا اليها ثم فسر تعالى ذكره ما أوحى الى أمه فقال هو أن اقذفيه في التابوت فان في موضع نصب ردا على ما التي في قوله ما يوحى ترجمة عنها ❁ القول في تاويل قوله تعالى (أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدوله وألقيت عليك محبة مني) يقول تعالى ذكره ولقد مننا عليك ياموسى مرة أخرى حين أوحينا الى أمك أن اقذفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت فاقذفيه في اليم يعني باليم النيل فليلقه اليم بالساحل يقول فاقذفيه في اليم يلقه اليم بالساحل وهو جزاء أخرج مخرج الامر كان اليم هو

وحاد الباقون يأتهي بالاشباع * الوقوف أخرى ه لا لان اذ تفسير المرة ما يوحى ة لا لان ما بعده تفسير ما يوحى وعدوله ط مني ج لان الواو قد تكون مقحمة وتعلق اللام بالقيت وقد تكون عاطفة على محذوف أي لتحب ولتصنع ومن جزم اللام وقف على مني لا محالة على عيني م لئلا يوهم ان اذ ظرف لتصنع من يكفله ط لانقطاع النظم وانتهاء الاستفهام على ان فاء التعقيب مع اتحاد القصة يجيز الوصل ولا تحزن ط لابتداء منة أخرى فتونا ه ط ياموسى ه لنفسى ه لاتساق الكلام مع حق الفاء مضمرة ذكرى ه ج لمثل ما قلنا والمضمر واو طغى ه للآية مع الفاء يخشى ه يطغى ه وأرى ه ولا تعذبهم ط لان قد لتوكيد الابتداء وقد انقطع النظم على ان اتحاد المقول يجيز الوصل من ربك ط لذلك فان الواو للابتداء في كتاب ج لاحتمال ما بعده الصفة والاستئناف ولا ينسى ه بناء على ان الذى صفة الرب والاحسن تقديره هو الذى أو أعنى الذى ماء ط للالتفات شتى ه أنعامكم ط النهى ه أخرى ه وأبى ه ياموسى ه سوى ه ضحى ه أتى ه بعذاب ج لاختلاف الجملتين افترى ه النجوى ه المثلى ه صفا ه استعلى ه ألقى ه ألقوا ج لان التقدير فالقوا اما ألقوا فاذا حبالهم مع فاء التعقيب واذا المفاجأة المنافيان للوقف تسعى ه موسى ه الاعلى ه ما صنعوا ط كيد ساحر ط أتى ه وموسى ه لكم ط السحر ق للقسم المحذوف ولانقطاع النظم مع فاء التعقيب واتمام مقصود الكلام النخل لا لابتداء معنى القسم ولفظ استفهام يعقبه مع اتفاق الجملة واتحاد الكلام وأبقى ه قاض ط الحيوة الدنيا ط من السحر ط وأبقى ه جهنم ط ولا يحيي ه العلى ه لا لان ما بعده بدل فيها ط تزكى ه * التفسير من عليه منا أنعم ومن عليه منة أي امتن عليه كان الله سبحانه قال لموسى انى راعيت صلاحك قبل سؤالك فكيف لا أعطيك مرادك بعد السؤال أو كنت ربيتك من غير سابقة حق فلو منعتك الحال مطلوبك لكان ذلك ردا بعد القبول وحرمانا بعد الاحسان وذلك ينافي الكرم الذاتي قالوا المنة تهدم الصنيعة فهي نوع من الاذى فقوله ولقد مننا عليك يكون من المن لا من المنة قلت يحتمل أن لا تكون المنة من المنعم المطلق أذية وانما تكون تنبيها على النعم وايقاظا من سنة الغفلة حتى يتلقى المكلف النعمة بالشكر والطاعة وانما قال مرة أخرى لان الجملة قصة واحدة وان كانت مشتملة على منن كثيرة والوحي الى أم موسى اما أن يكون على لسان نبي في عصرها كشعيب مثلا أو عن لسان ملك لا على طريق النبوة كالوحي الى مريم في قوله واذ

المأمور

قالت الملائكة يا مريم أو أراها في المنام انه وضع ولدها في التابوت وقذفه في البحر ثم رده الله اليها أو ألهمها بذلك أو لعل الانبياء المتقدمين كابراهيم واسحق ويعقوب أخبروا بذلك وانتهى خبرهم اليها ومعنى ما يوحى ما يجب ان يوحى لما فيه من المصلحة الدينية ولانه أمر عظيم ولانه مما لا يعلم الا بطريق الوحي وان هي المفسرة لان الايحاء في معنى القول والقذف يستعمل بمعنى الوضع أي ضعيه في التابوت وقد مر معناه في البقرة في قصة طالوت قال جار الله الضميران الباقيان في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه عائدان الى موسى ايضا لئلا يؤدي الى تنافر النظم فان المقذوف والملقى اذا كان موسى وهو في جوف التابوت لزم أن يكون التابوت أيضا مقذوفا وملقى ويؤيده ان الضمير في قوله

المأمور كما قال جل ثناؤه اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يعني اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم ففعلت ذلك أمه به فالقاه اليم بشرعة آل فرعون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما ولدت موسى أمه أرضعته حتى اذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك عمدت اليه فصنعت به ما أمرها الله تعالى جعلته في تابوت صغير ومهدت له فيه ثم عمدت الى النيل فقذفته فيه وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة فبينا هو جالس اذ مر النيل بالتابوت فقذف به وآسية ابنة مزاحم امرأته جالسة الى جنبه فقال ان هذا الشيء في البحر فأتوني به فخرج اليه أعوانه حتى جاؤا به ففتح التابوت فاذا فيه صبي في مهده فالقى الله عليه محبته وعطف عليه نفسه وعنى جل ثناؤه بقوله يأخذه عدو لي وعدو له فرعون وهو العدو كان لله ولموسى حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي في قوله في اليم وهو البحر وهو النيل * واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي قال الله جل ثناؤه وألقيت عليك محبة مني فقال بعضهم عنى بذلك انه حببه الى عباده ذكر من قال ذلك حدثني الحسين بن علي الصدائي والعباس بن محمد الدوري قالا ثنا حسين الجعفي عن موسى بن قيس الحضرمي عن سلمة بن كهيل في قول الله وألقيت عليك محبة مني قال عباس حببتك الى عبادي وقال الصدائي حببتك الى خلقي * وقال آخرون بل معنى ذلك أي حسنت خلقك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني ابراهيم بن مهدي عن رجل عن الحكم بن أبان عن عكرمة قوله وألقيت عليك محبة مني قال حسنا وملاحة * قال أبو جعفر والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله ألقى محبته على موسى كما قال جل ثناؤه وألقيت عليك محبة مني فحببه الى آسية امرأة فرعون حتى تبنته وغذته وربته والى فرعون حتى كف عنه عاديته وشره وقد قيل انما قيل وألقيت عليك محبة مني لانه حببه الى كل من رآه ومعنى ألقيت عليك محبة مني حببتك اليهم يقول الرجل لآخر اذا أحبه ألقيت عليك رحمتي أي محبتي ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولتصنع على عيني اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ولتصنع على عيني فقال بعضهم معناه ولتغذى وتربى على محبتي وارادتي ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولتصنع على عيني قال هو غذاؤه ولتغذى على عيني حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولتصنع على عيني قال جعله في بيت الملك ينعم عليه ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة * وقال آخرون بل معنى ذلك وأنت بعيني في أحوالك كلها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولتصنع على عيني قال أنت بعيني اذ جعلتك أمك في التابوت ثم في البحر واذ تمشي أختك وقرأ ابن نهيك ولتصنع بفتح التاء وتأوله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال

عدوله لموسى بالضرورة لان عداوة التابوت غير معقولة واذا كان الضمير الاول والضمير الاخير لموسى فالانسب باعجاز القرآن أن يكون الضمير المتوسط أيضا له لان المعنى صحيح واللفظ متناسب فلا حاجة الى العدول اعتمادا على القرينة واليم هو البحر والمراد ههنا نيل مصر والساحل شاطئ البحر وأصل السحل القشر ولهذا قال ابن دريد هو مقلوب لان الماء سحله فهو مسحول قال أهل الاشارة من خصوصية انشراح الصدر بنور الوحي ان يقذف في قلبه قذف الولد الذي هو أعز الاشياء في تابوت التوكل وبحر التسليم حتى يلقيه اليم بساحل ارادة الله ومشيئته روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبيناهو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي أصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ يدل على ان التابوت التقط من الساحل فلعل اليم ألقاه بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون فاداه النهر الى البركة أما كون فرعون عدوا لله من جهة كفره وعتوه فظاهر وأما كونه عدوا لموسى وهو صغير فباعتبار المآل أو لانه لو ظهر له حاله لقتله فسبحان من ربى حبيبه في حجر عدوه قالوا كان بحضرة فرعون حينئذ أربعمائة غلام وجارية فحين أشار باخذ التابوت وعد من يسبق الى ذلك الاعتاق تسابقوا جميعا ولم يظفر باخذه الا واحد منهم فاعتق الكل والنكتة فيه ان عدو الله لم يجوز من كرمه حرمان البعض اذ عزم الكل على الاخذ فاكرم الاكرمين كيف لا يعتبر عزائم المؤمنين على الطاعة والخير فالمرجو منه اعتاق الكل من النار وان وقع لبعضهم تقصير في العمل قوله مني اما أن يتعلق بالقيت أو يكون صفة للمحبة أي محبة حاصلة مني وعلى الوجهين فالمحبة اما محبة الله ومن أحبه الله أحبته القلوب واما محبة

ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقرأ أو لتصنع على عيني فسألته عن ذلك فقال ولتعمل على عيني

* قال أبو جعفر والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها ولتصنع بضم التاء لاجماع الحجة من القراء عليها واذا كان ذلك كذلك فأولى التأويل به التأويل الذي تأوله قتادة وهو وألقيت عليك محبة مني ولتغذى على عيني ألقيت عليك المحبة مني وعني بقوله على عيني بمرأى مني ومحبة وارادة وقوله اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله يقول تعالى ذكره حين تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك ثم تأتي من يطلب المراضع لك فتقول هل أدلكم على من يكفله وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله اذ تمشي أختك استغناء بدلالة الكلام عليه وانما قالت أخت موسى ذلك لهم لما حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال لما ألقته أمه في اليم قالت لأخته قصيه فلما التقطه آل فرعون وأرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع فأبى أن يأخذ فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا بل قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله قالت ما أعرفه ولكن انما قلت هم للملك ناصحون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالت يعني أم موسى لأخته قصيه فانظري ما يفعلون به فخرجت في ذلك فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وقد احتاج الى الرضاع والتمس الثدي وجمعوا له المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرمضهم ذلك فيؤتى بمرضع بعد مرضع فلا يقبل شيأ منهم فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون أي لمنزلته عندكم وحرصكم على مسرة الملك وعني بقوله هل أدلكم على من يكفله هل أدلكم على من يضمه اليه فيحفظه ويرضعه ويربيه وقيل معني وكفلها زكريا ضمها وقوله فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن يقول تعالى ذكره فرددناك الى أمك بعد ما صرت في أيدي آل فرعون كيما تقر عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قالت أخت موسى لهم ما قالت قالوا هاتي فأتت أمه فأخبرتها فانطلقت معها حتى أتتهم فناولوها اياه فلما وضعته في حجرها أخذ ثديها وسروا بذلك منه ورده الله الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن فبلغ لطف الله لها وله ان رد عليها ولدها وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته مع الامنة من القتل الذي يتخوف على غيره فكأنهم كانوا من أهل بيت فرعون في الامان والسعة فكان على فرش فرعون وسرره وقوله وقتلت نفسا يعني جل ثناؤه بذلك قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الاسرائيلي فوكزه موسى وقوله فنجيناك من الغم يقول تعالى ذكره فنجيناك من غمك بقتلك النفس التي قتلت اذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم حتى هربت الى أهل مدين فلم يصلوا الى قتلك وقودك به وكان قتله اياه فيما ذكر خطأ كما حدثني واصل بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن سالم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما

الناس التي زرعها الله في قلوبهم فقد روي انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه قال القاضي هذا الوجه أقرب لانه في الصغر لا يوصف بمحبة الله التي يرجع معناها الى ايصال الثواب ورد بأن محبة الله عبارة عن ارادة الخير والنفع وهو أعم من أن يكون جزاء على العمل أولا يكون ولهذا بين المحبة بقوله ولتصنع على عيني أي لتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعى الشيء بالعينين اذا عني بحفظه ولما كان العالم بالشيء حارساله عن الآفات كأن الناظر اليه يحرسه أطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه وأيضا العين سبب الحراسة فأطلق السبب وأريد المسبب ويقال عين الله عليك اذا دعي له بالحفظ والحياطة فالجار والمجرور في موضع الحال من ضمير المبني للمفعول في لتصنع وجوز في الكشاف أن يكون اذ تمشي ظرفا لتصنع وليس بذلك وانما هو ظرف لألقيت أو بدل من اذ أوحينا على ان الوقتين من زمان واحد واسع يقول الرجل لقيت فلانا سنة كذا ثم تقول وأنا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها روي انه لما فشا الخبر ان آل فرعون أخذوا غلاما في اليم وانه لا يرتضع من ثدي امرأة كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت أخت موسى عليه السلام واسمها مريم متفكرة فقالت هل أدلكم على من يكفله فجاءت بالام فقبل ثديها وذلك قوله فرجعناك الى أمك وقال في القصص فرددناه الى أمه تصديقا لقوله انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن بسبب وصول لبن غيرها الى معدتك وقتلت وأنت ابن اثنتي عشرة سنة نفسا هو القبطي الذي يجيء ذكره في القصص فنجيناك من الغم وهو اقتصاص فرعون منك وقيل الغم هو القتل بلغة قريش أو أراد بالغم خوف عقاب الله وذلك قوله فاغفر لي فغفر له وفتناك فتونا مصدر على فعول في المتعدي كالشكور والكفور أو جمع فتن كالظنون للظن أو جمع فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث قتل كبدور في بدرة وحجور في حجرة والفتنة المحنة والابتلاء بخير أو شر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وفيها معنى التخليص من قولهم فتنت الذهب اذا أردت تخليصه عن سعيد بن جبير انه سأل ابن عباس عن الفتون فقال أي خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير قال العلماء لا يجوز اطلاق اسم الفتان على الله تعالى وان جاء وفتناك لانه صفة ذم في العرف وسيجيء تمة

قتل موسى الذى قتل من آل فرعون خطأ فقال الله له وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ومحمد بن عمرو قالا ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فنجيناك من الغم قال من قتل النفس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنجيناك من الغم النفس التى قتل * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وفتناك فتونا فقال بعضهم ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وفتناك فتونا يقول اختبرناك اختبارا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وفتناك فتونا قال ابتليت بلاء حدثنى العباس بن الوليد الآملى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا أصبغ بن زيد الجهنى قال أخبرنا القاسم بن أيوب قال ثنى سعيد بن جبير قال سألت عبد الله بن عباس عن قول الله لموسى وفتناك فتونا فسألته عن الفتون ما هى فقال لى استأنف النهار يا ابن جبير فان لها حديثا طويلا قال فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ما وعدنى قال فقال ابن عباس تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله ابراهيم أن يجعل فى ذريته أنبياء وملوكا فقال بعضهم ان بنى اسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون ولقد كانوا يظنون انه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان الله وعد ابراهيم فقال فرعون فكيف ترون قال فائتمروا بينهم وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون فى بنى اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما رأوا ان الكبار من بنى اسرائيل يموتون بآجالهم وان الصغار يذبحون قالوا يوشك ان تفنوا بنى اسرائيل فتصيرون الى أن تباشروا من الاعمال والخدمة التى كانوا يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فيقل أبناؤهم ودعوا عاما لا تقتلوا منهم أحدا فتشب الصغار مكان من يموت من الكبار فانهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافون مكاثرتهم اياكم ولن يقلوا بمن تقتلون فاجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهرون فى العام المقبل الذى لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة حتى اذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع فى قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير مما دخل عليه فى بطن أمه مما يراد به فاوحى الله اليها ألا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وأمرها اذا ولدته ان تجعله فى تابوت ثم تلقيه فى اليم فلما ولدته فعلت ما أمرت به حتى اذا توارى عنها ابنها أتاها ابليس فقالت فى نفسها ما صنعت بابنى لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحب الى من أن ألقيه بيدى الى حيتان البحر ودوابه فانطلق به الماء حتى أرمى به عند فرضة مستقى جوارى آل فرعون فرأينه فاخذنه فهممن أن يفتحن الباب فقال بعضهن لبعض ان فى هذا مالا وانا ان فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه فحملنه كهيئته لم يحركن منه شيأ حتى دفعنه اليها فلما فتحته رأت فيه الغلام فالقى عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من كل

لبثه فى أهل مدين وانه على ثمان مراحل من مصر فى سورة القصص ان شاء العزيز قوله على قدر أى فى وقت سبق فى قضائى وقدرى ان أكلمك واستنبئك فيه أو على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو رأس أربعين سنة أو على موعد قد عرفته باخبار شعيب أو غيره والصنع بالضم مصدر صنع اليه معروفا أو قبيحا أى فعل والاصطناع افتعال منه واستعماله فى الخير أكثر واصطنع فلان فلانا اذا اتخذه صنيعة واصطنعت فلانا لنفسى اذا اصطنعته وخرجته ومعناه أحسنت اليه حتى انه يضاف الى وقوله لنفسى أى لاصرفن جوامع همتك فى أوامرى حتى لا تشتغل بغير ما أمرتك به من تبليغ الرسالة واقامة الحجة وقال جار الله مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك أهلا للتقريب والتكريم لخصائص فيه فيصطنعه بالكرامة ويستخلصه لنفسه فلا يبصر الا بعينه ولا يسمع الا باذنه ولا يأتمن على مكنون سره سواه وقال غيره من المعتزلة انه سبحانه اذا كلف عباده وجب عليه أن يلطف بهم ومن جملة الالطاف ما لا يعلم الا سمعا فلو لم يصطنعه للرسالة لبقى فى عهدة الواجب فهذا أمر فعله الله لاجل نفسه حتى يخرج عن عهدة ما يجب عليه ولما عد عليه المنن السابقة بازاء الادعية المذكورة رتب على ذكر ذلك أمرا ونهيا أما الامر فقوله اذهب أنت وأخوك وفيه بيان ما لاجله اصطنعه وهو الابلاغ وأداء الرسالة بآياتى أى مع آياتى لانهما لو ذهبا بدونها لم يلزمه الايمان وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد وما هذه الآيات غير العصا واليد لانه لم يجز الا ذكرهما فاطلق الجمع على الاثنين أو لان كلا منهما مشتملة على آيات أخر أو لانه يستدل بكل منهما على وجود اله قادر على الكل عالم بالكل وعلى نبوة موسى وعلى جواز الحشر حيث انقلب الجماد حيوانا والمظلم مستنيرا ومثله قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم وقيل هما مع حل العقدة وقيل أراد اذهبا انى أمدكما بآياتى وأظهرها على أيديكما منى وقع الاحتياج اليها وأما النهى فقوله ولا تنيا بكسر النون مثل تعدا وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة أيضا للاتباع والونى بفتحتين الضعف والفتور والكلال والاعياء والمعنى لا تنسيانى بل اتخذا ذكرى وسيلة فى تحصيل المقاصد واعتقدا ان أمرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكرى فان المداومة على ذكر الله توجب عدم الخوف من غيره وان يستحقر فى نظره ما سواه لقوة نفسه واستنارة باطنه وقيل أراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على كل العبادات فضلا عن أعظمها فائدة وأتمها عائدة وقيل اذكرانى عند فرعون وقومه بانى لا أرضى بالكفر وأعاقب عليه وأثيب على الايمان وارتضيه وبالجملة كل ما يتعلق بالترهيب والترغيب الفائدة فى تكرير قوله اذهبا الى

فرعون والجواب بعد التقرير والتأكيد أمرهما أن يشتغلا باداء الرسالة معا لا أن ينفرد به موسى أو الاول أمر بالذهاب الى كل بنى اسرائيل والقبط والثانى مخصوص بفرعون الطاغى ثم انه خوطب كلاهما وموسى حاضر فقط لانه أصل أو هو كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد منهم ويحتمل ان هرون قد حضر وقتئذ فقد روى ان الله عز وجل أوحى الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى وقيل ألهم بذلك وقيل سمع بخبره فتلقاه سؤال لم أمر بتليين القول للعدو المعاند جوابه لان من عادة الجبابرة اذا أغلظ لهم فى الكلام أن يزدادوا عتوا وعلوا وقيل لما له من حق تربية موسى شبه حق الابوة وكيف ذلك القول اللين الاصح انه نحو قوله تعالى هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه صلاح الدارين وقيل أراد عده شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته حكى عمرو ابن دينار قال بلغنى ان فرعون عمر أربعمائة وتسعا وستين سنة فقال له موسى ان أطعتنى فلك مثل ما عمرت فاذا مت فلك الجنة وقيل أراد كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة ويحتمل أن يكون أمر بالقول اللين لانه كان فى موسى حدة وخشونة بحيث اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا فعالج حدته باللين ليكون حليما فى أداء الرسالة ومعنى الترجى لعله يعود الى موسى وأخيه أى اذهبا على رجائكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ان يثمر سعيه فعساه يتذكر بان يرجع من الانكار الى الحق رجوعا كليا اذا تأمل فانصف أو يخشى فيقل انكاره واصراره قالت المعتزلة جدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن قطع المعذرة والزامه الحجة وقالت الاشاعرة العقول قاصرة عن معرفة سر القدر ولا سبيل الا التسليم وترك الاعتراض والسكوت بالقلب واللسان قالوا انه كمن يدفع سكينا الى من علم قطعا انه عزق بطن نفسه ثم يقول انى ما أردت بدفع السكين اليه الا الاحسان وروى عن كعب انه قال والذى يحلف به كعب انه مكتوب فى التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسى قلبه فلا يؤمن قالا ربنا فيه دليل على أن هرون أيضا كان حاضرا وقتئذ كما روينا وسئل انه انشرح صدره وتيسر أمره فكيف قالا اننا نخاف فان حصول الخوف ينافى شرح الصدر وأجيب بان المراد من شرح الصدر ضبط الاوامر والنواهى وحفظ الشرائع والاحكام بحيث لا يتطرق اليها خلل وتحريف وهذا شئ آخر مغاير لزوال الخوف قلت لعلهما خافا أن لا يتمكنا من أداء الرسالة بدليل قوله أن يفرط علينا أى يسبق بسالتنا ويبادرنا بالعقوبة أو أن يطغى أى يجاوز الحد

شئ الا من ذكر موسى فلما سمع الذباحون بامره أقبلوا الى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت للذباحين انصرفوا عنى فان هذا الواحد لا يزيد فى بنى اسرائيل فآتى فرعون فاستوهبه اياه فان وهبه لى كنتم قد أحسنتم وأجملتم وان أمر بذبحه لم ألمكم فلما أتت به فرعون قالت قرة عين لى ولك قال فرعون يكون لك وأما أنا فلا حاجة لى فيه فقال والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به لهداه الله به كما هدى به امرأته ولكن الله حرمه ذلك فارسلت الى من حولها من كل أنثى لها لبن لتختار له ظئرا فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فحزنها ذلك فامرت به فاخرج الى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يأخذ منها فلم يقبل من أحد وأصبحت أم موسى فقالت لاخته قصيه واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى ابنى أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه ونسيت الذى كان الله وعدها فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون فقالت من الفرح حين أعياهم الظئورات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فاخذوها وقالوا وما يدريك ما نصحهم له هل يعرفونه حتى شكوا فى ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم فى ظئورة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى أمها فاخبرتها الخبر فجاءت فلما وضعته فى حجرها نزا الى ثديها حتى امتلأ جنباه فانطلق البشراء الى امرأة فرعون يبشرونها ان قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فاوتيت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت امكثى عندى حتى ترضعى ابنى هذا فانى لم أحب حبه شيأ قط قال فقالت لا أستطيع ان أدع بيتى وولدى فيضيع فان طابت نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتى فيكون معى لا آلوه خيرا فعلت والا فانى غير تاركة بيتى وولدى وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت ان الله تبارك وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من يومها فانبته الله نباتا حسنا وحفظه لما قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وهم مجتمعون فى ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخرة التى كانت فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لام موسى أن أزيرينى ابنى فوعدتها يوما تزيرها اياه فيه فقالت لخواصها وظئورتها وقهارمتها لا يبقين أحد منكم الا استقبل ابنى بهدية وكرامة ليرى ذلك وانا باعثة أمينة تحصى ما يصنع كل انسان منكم فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه الى ان دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها نحلته وأكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه وقالت انطلقن به الى فرعون فلينحله وليكرمه فلما ادخلوا به عليه جعلته فى حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى مدها فقال عدو من أعداء الله ألا ترى ما وعد الله ابراهيم انه سيصرعك ويعلوك فارسل الى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلى به وأريد به فجاءت امرأة فرعون تسعى الى فرعون فقالت ما بدا لك فى هذا الصبى الذى قد وهبته لى قال ألا ترين يزعم انه سيصرعنى ويعلونى فقالت اجعل بينى وبينك أمرا تعرف فيه الحق ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن اليه فان بطش باللؤلؤتين

بان يقول فيك مالا ينبغي أو يجاوز حد الاعتدال في معاقبتنا ان لم يعاجل بنا فلا نتمكن من اقامة وظائف الاداء وأيضا الدليل النقلي السمعي
اذا انضاف الى الدليل العقلي زاده ايقانا وطمأنينة ولهذا قال لا تخافا انني معكما أي بالنصرة والتأييد أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه من قول
وفعل فأفعل بكما ما يوجب عنايتي وحراستي فلا يذهب وهمكما الى أن مواد كرامتي انقطعت عنكما اذا فارقتما مقام المكالمة فصار هذا الوهم
سبب خوفكما ويجوز أن يكون الفعلان منزلين منزلة اللازم ومتروكي المفعول كأنه قيل أنا سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وكملت
النصرة قال بعض الاصوليين في الآية دلالة على ان الامر لا يقتضي الفور والا كان تعللهما بالخوف معصية وانها غير جائزة
على الرسل في الاصح وقال بعض
المتكلمين فيها دليل على أن السمع
والبصر صفتان زائدتان على العلم
والالزم التكرار فان معناهما هي
بالعلم ولقائل أن يقول الخاص
يغاير العام ولكن لا يباينه ثم كرر
الامر قائلا فأتياه فقولا فسئل
انهما أمرا بان يقولا له قولا لينا
فكيف غلظاه أولا بقوله انا رسولا
ربك ففيه ايجاب انقياده لهما
واكراهه على طاعتهما وهذا مما
يعظم على الجبار وثانيا بقوله فارسل
معنا بني اسرائيل وفيه ادخال
النقص في ملكه لانه كان
يستخدمهم في الاعمال الشاقة
وثالثا بقوله ولا تعذبهم وفيه منعه
عما يريده بهم واجيب بان هذا
القدر من التغليظ ضروري في
أداء الرسالة قيل أليس الاولى أن
يقولا انا رسولا ربك قد جئناك
بآية من ربك فارسل معنا بني
اسرائيل فيكون ذكر المعجز مقرونا
بادعاء الرسالة والجواب أن قوله
فارسل من تتمة الدعوى وانما وحد
قوله بآية ومعه آيتان بل آيات
لقوله اذهب أنت وأخوك بآياتي
لانه أراد الجنس كأنه قيل قد
جئناك ببيان من عند الله وبرهان
قال في الكشاف قلت وفيه أيضا
نوع من الادب كما لو قلت أنا رجل
قد حصلت شيأ من العلم ولعل عندك علوما جمة على أن تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد عليه وأيضا الاصل في معجزات موسى كان
هي العصا ولهذا وقعت في معرض المعارضة كما أن الاصل في معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم كان هو القرآن فوقع لذلك في حيز التحدي والسلام
أي جنس السلامة أو سلام خزنة الجنة على من اتبع الهدى يحتمل أن يكون هذا أيضا مما أمرا بان يقولاه لفرعون ويحتمل أن تكون الرسالة
قد تمت عند قوله بآية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن آمن وصدق قالت الاشاعرة في قوله أن العذاب أي
جنسه أو كل فرد منه على من كذب وتولى دليل على أنه لا يعاقب أحدا من المؤمنين ترك العمل به في بعض الاوقات فوجب أن يبقى على أصله في

باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت انه يعقل وان تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم ان أحدا
لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقرب ذلك اليه فتناول الجمرتين فنزعوهما منه مخافة أن
يحرق يده فقالت المرأة ألا ترى فصرفه الله عنه بعد ما قد هم به وكان الله بالغا فيه أمره فلما بلغ أشده
وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بني اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى
امتنعوا كل امتناع فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من
بني اسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى واشتد
غضبه لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انما ذلك من
قبل الرضاعة غير أم موسى الا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكز
موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد الا الله والاسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا من
عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم
فأصبح في المدينة خائفا يترقب الاخبار فأتي فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل
فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك فقال أبغوني قاتله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم ان
يقضي بغير بينة ولا ثبت فطلبوا له ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبتا اذ مر موسى من الغد فرأى
ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى وقد ندم على
ما كان منه بالامس وكره الذي رأى فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني فقال
للاسرائيلي لما فعل بالامس واليوم انك لغوي مبين فنظر الاسرائيلي موسى بعد ما قال فاذا هو
غضبان كغضبه بالامس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف أن يكون بعد ما قال له انك لغوي مبين أن
يكون اياه أراد ولم يكن أراده وانما أراد الفرعوني فخاف الاسرائيلي فحاجز الفرعوني فقال
يا موسى أتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وانما قال ذلك مخافة ان يكون اياه أراد موسى ليقتله
فتتاركا فانطلق الفرعوني الى قومه فأخبرهم بما سمع من الاسرائيلي من الخبر حين يقول أتريد ان
تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فارسل فرعون الذباحين فسلك موسى الطريق الاعظم فطلبوه وهم
لا يخافون ان يفوتهم وكان رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقا قريبا حتى
سبقهم الى موسى فاخبره الخبر وذلك من الفتون يا ابن جبير **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو
عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد قوله فتونا قال بلاء القاؤه في التابوت ثم في البحر ثم التقاط آل فرعون اياه ثم خروجه
خائفا قال محمد بن عمرو وقال أبو عاصم خائفا أو جائعا شك أبو عاصم وقال الحارث خائفا يترقب ولم
يشك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال
خائفا يترقب ولم يشك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفتناك فتونا
يقول ابتليناك بلاء **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت

الضحاك يقول فى قوله وفتناك فتونا هو البلاء على أثر البلاء * وقال آخرون معنى ذلك أخلصناك ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفتناك فتونا أخلصناك اخلاصا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يعلى بن مسلم قال سمعت سعيد بن جبير يفسر هذا الحرف وفتناك فتونا قال أخلصناك اخلاصا * قال أبو جعفر وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا معنى الفتنة وانها الابتلاء والاختبار بالادلة المغنية عن الاعادة فى هذا الموضع وقوله فلبثت سنين فى أهل مدين وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حذف ومعنى الكلام وفتناك فتونا فخرجت خائفا الى أهل مدين فلبثت سنين فيهم وقوله ثم جئت على قدر ياموسى يقول جل ثناؤه ثم جئت للوقت الذى أردنا ارسالك الى فرعون رسولا ولمقداره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم جئت على قدر ياموسى يقول لقد جئت لميقات ياموسى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال على قدر ياموسى قال موعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال على ذى موعد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله على قدر ياموسى قال قدر الرسالة والنبوة والعرب تقول جاء فلان على قدر اذا جاء لميقات الحاجة اليه ومنه قول الشاعر

نال الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

القول فى تأويل قوله تعالى (واصطنعتك لنفسى اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى اذهبا الى فرعون انه طغى) يقول تعالى ذكره واصطنعتك لنفسى أنعمت عليك ياموسى هذه النعم ومننت عليك هذه المنن اجتباء منى لك واختيارا لرسالتى والبلاغ عنى والقيام بأمرى ونهيى اذهب أنت وأخوك هرون بآياتى يقول بأدلتى وحججى اذهبا الى فرعون بها انه تمرد فى ضلاله وغيه فأبلغاه رسالاتى ولا تنيا فى ذكرى يقول ولا تضعفا فى ان تذكرانى فيما أمرتكما ونهيتكما فان ذكركما اياى يقوى عزائمكما ويثبت أقدامكما لانكما اذا ذكرتمانى ذكرتما منى عليكما نعما جمة ومننا لا تحصى كثرة يقال منه ونى فلان فى هذا الامر وعن هذا الامر اذا ضعف وهو ينى ونيا كما قال العجاج

فما ونى محمد مذ أن غفر * له الاله ما مضى وما غبر

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تنيا يقول لا تبطئا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تنيا فى ذكرى يقول

فى الدوام على أن العقاب المتناهى لا نسبة له الى النعيم المقيم الذى لا نهاية له فكأنه لم يعاقب أصلا وأيضا العارف بالله قد اتبع الهدى فوجب أن يكون من أهل السلامة قال فمن ربكما ياموسى خاطب الاثنين ووجه النداء الى موسى لانه الاصل فى ادعاء الرسالة وهرون وزيره ويجوز انه خص موسى عليه السلام بالنداء لما عرف من فصاحة هرون والرتة التى كانت فى لسان موسى فاراد أن يعجز عن الجواب قال أهل الادب ان فرعون كان شديد البطش جبارا ومع ذلك لم يبدأ بالسفاهة والشغب بل شرع فى المناظرة وطلب الحجة فدل على أن الشغب من غير حجة شئ ما كان يرتضيه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعى الاسلام والعلم وفى اشتغال موسى باقامة الدلالة على المطلوب دليل على فساد التقليد وفساد قول القائل بان معرفة الله تستفاد من قول الرسول وفيه جواز حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب لئلا يبقى الشك وفيه ان المحق يجب عليه استماع شبهة المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها واعلم أن العلماء اختلفوا فى كفر فرعون فقيل كان عارفا بالله الا أنه كان معاندا بدليل قوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض وقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله فى سورة القصص وظنوا انهم الينا لا يرجعون وليس فيه الا انكار المعاد دون انكار المبدأ وقوله فى الشعراء وما رب العالمين الى قوله ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون يعنى أنا أطلب منه الماهية وهو يشرح الوجود فدل على أنه اعترف بأصل الوجود وأيضا ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام لان موسى لما هرب الى مدين قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين فكيف يعتقد مثل هذا الشخص انه اله العالم بل كل عاقل مكلف يعلم بالضرورة انه وجد بعد العدم فلا يكون واجب الوجود وأيضا انه سأل ههنا عن طالبا للكيفية وفى الشعراء بما طالبا للماهية فكان موسى لما أقام الدلالة على الوجود ترك المناظرة والمنازعة معه فى هذا المقام ولا لظهوره وشرع فى مقام أصعب لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر وأيضا انه قال فى الجواب ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه وصلة الذى لا بد أن تكون جملة معلومة الانتساب ومن الناس من قال انه كان جاهلا بالله بعد اتفاقهم على أن العاقل لا يجوز أن يعتقد فى نفسه انه خالق السموات والارض وما فيهما فمنهم من قال انه كان دهريا نافيا للمؤثر أصلا ومنهم من قال انه فلسفى قائل بالعلة الموجبة أو هو من عبدة الكواكب أو من الحلولية والمجسمة وأما ادعاء الالهية والربوبية فبمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد لحكمه قال بعض العلماء انما قال

ولا تضعفا فى ذكرى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تنيا فى ذكرى قال لا تضعفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تنيا تضعفا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تنيا فى ذكرى يقول لا تضعفا فى ذكرى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا تنيا فى ذكرى قال لا تضعفا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تنيا فى ذكرى يقول لا تضعفا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تنيا فى ذكرى قال الوانى هو الغافل المفرط ذلك الوانى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) يقول تعالى ذكره لموسى وهرون فقولا لفرعون قولا لينا ذكر أن القول اللين الذى أمرهما الله أن يقولاه له هو أن يكنياه حدثنى جعفر ابن ابنة اسحق بن يوسف الازرق قال ثنا سعيد ابن محمد الثقفى قال ثنا على بن صالح عن السدى فقولا له قولا لينا قال كنياه وقوله لعله يتذكر أو يخشى اختلف فى معنى قوله لعله فى هذا الموضع فقال بعضهم معناها ههنا الاستفهام كأنهم وجهوا معنى الكلام الى فقولا له قولا لينا فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لعله يتذكر أو يخشى يقول هل يتذكر أو يخشى * وقال آخرون معنى لعل ههنا كى ووجهوا معنى الكلام الى اذهبا الى فرعون انه طغى فادعواه وعظاه ليتذكر أو يخشى كما يقول القائل اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك بمعنى لتأخذ أجرك وافرغ من عملك لعلنا نتغدى بمعنى لنتغدى أو حتى نتغدى ولكلا هذين القولين وجه حسن ومذهب صحيح وقوله قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا يقول تعالى ذكره قال موسى وهرون ربنا اننا نخاف فرعون ان نحن دعوناه الى ما أمرتنا ان ندعوه اليه أن يعجل علينا بالعقوبة وهو من قولهم فرط منى الى فلان أمر اذا سبق منه ذلك اليه ومنه فارط القوم وهو المتعجل المتقدم امامهم الى الماء أو المنزل كما قال الراجز * قد فرط العلج علينا وعجل * وأما الافراط فهو الاسراف والاشطاط والتعدى يقال منه أفرطت فى قولك اذا أسرف فيه وتعدى وأما التفريط فانه التوانى يقال منه فرطت فى هذا الامر حتى فات اذا توانى فيه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن يفرط علينا قال عقوبة منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال نخاف أن يعجل علينا اذ نبلغه كلامك أو أمرك يفرط ويعجل وقرأ لا تخافا اننى

فمن ربكما ولم يقل فمن الهكما تعريضا بانه ربه موسى كما قال ألم نربك فينا وليدا فلهذا يحتمل أن يكون تخصيص موسى بالنداء تنبيها على هذا المعنى ولم يعلم الكافر ان الربوبية التى ادعاها موسى لله فى قوله انا رسولا ربك غير هذه فى الحقيقة ولا مشاركة بينهما الا فى اللفظ وهذا عارض نمرود ابراهيم صلوات الرحمن عليه فى قوله انا أحيي وأميت ولم يعلم ان احياءه واماتته ليس من الاحياء والاماتة فى شئ ثم شرع موسى فى الدلالة على اثبات الصانع باحوال المخلوقات وفيه دلالة على ان موسى كان أصلا فى النبوة وان هرون راعى الادب فلم يتعجل بالجواب قبله لا الاصل فى النبوة هو موسى ولان فرعون خصص موسى بالنداء من قرأ خلقه بسكون اللام فاما بمعنى الخليقة والضمير المجرور لله وقدم المفعول الثانى لينتصـ قوله ثم هدى والخليقة أى أعطى الخلائق ما به قوامهم من المطعو والمشروب والملبوس والمنكوح هداهم الى كيفية الانتفاع فيستخرجون الحديد من الجبا واللآلئ من البحار وركبوا الاغذية والادوية والاسلحـ والامتعة ونظير هذا الكلام قو الذى خلق فسوى والذى قـ فهدى وقوله حكاية عن ابراه الذى خلقنى فهو يهدين واما يكون الخلق بمعنى الصور والشكل أى أعطى كل شئ صور وشكله الذى يطابق المنفعة المنوط به فاعطى العين هيئتها التى تطاب الابصار والاذن ما يوافق الاستما والانف للشم واليد للبطش والرجل للمشى بل أعطى رجـ الآدمى شكلا يوافق سعيه ورجـ الحيوانات الاخر شكلا يطا مشيها بل أعطى ذوات القرو رجلا توافق حاجتهن وكذا الخف والحافر وذوات المخالب وقيل أر أعطى كل حيوان نظيره فى الخل والصورة فجعل الحطاف والحـ زوجين وكذا البعير والناقة والرجل والمرأة ومن قرأ خلقه بفتح اللام صفة للمضاف أو المضاف اليه والمفعول الثانى متروك أ كل شئ خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه واعلم ان عجائب حكم الله تعالى فى مخلوقاته بحر لا ساحل له وقد دون العلماء طرفا منها فى كتب التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوان ولنذكر ههنا واحدا منها هى ان الطبيعى يقول الثقيل هابط والخفيف صاعد فالماء لذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الكل ثم انه سبحانه جعل العظم والشعر أصلب الاعضاء على طبيعة الارض وجعل مكانهما فوق البدن وجعل تحته الدماغ الذى هو بمنزلة الماء وجعل تحته النفس الذى هو الهواء وجعل تحته الحرارة الغريزية فى القلب كالنار ليكون دليلا على وجود الفاعل المختار خلاف ما يقوله الدهرى والطبيـ

وسائر الكفار وأيضا اختصاص كل جسم بقوة وتركيب وبداية اما أن يكون واجبا وجائزا والاول محال والالم يقع فيها تغيير والثانى يستدعى مرجحا فان كان ذلك المرجح واجب الوجود لذاته فهو المطلوب وان كان جائز الوجود افتقر فى اتصافه بالوجود الى موجد ولابد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته ثم انه يستغنى عن سمات النقص وشوائب الافتقار وليس الا الله الواحد القهار قال أهل النظم ان موسى عليه السلام لما قرر عليه أمر المبدأ قال فرعون ان كان وجود الواجب فى هذا الحد من الظهور فما بال القرون الاولى لم يؤمنوا وجحدوا فعارض الحجة بالتقليد والبال الحال

أو انه لما هدده بالعذاب فى قوله ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بالهم كذبوا فما عذبوا فاجاب بان هذا مما استأثر الله بعلمه وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما يخبرنى به علام الغيوب أو انه سأله عن أحوال القرون الخالية وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد ليصرف موسى عن المقصود ويشغله بالحكايات خوفا من أن يميل قلوب ملائه الى حجته الباهرة ودلائله الظاهرة فلم يلتفت موسى الى حديثه بل قال علمها عند ربى ولا يتعلق غرضى باحوالهم ويجوز أن يكون الكلام قد انجر ضمنا أو صريحا الى احاطة الله سبحانه بكل شئ فنازعه الكافر قائلا ما بال سوالف القرون فى تمادى كثرتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل وقوله علمها عند ربى مع قوله فى كتاب لا يتنافيان بل المراد انه تعالى عالم بجميع المغيبات مطلع على الكليات والجزئيات من أحوال الموجودات والمعدومات ومع ذلك فان جميع الاحوال ثابتة فى اللوح المحفوظ ثم كان لقائل ان يقول لعلها أثبتت فى اللوح لاحتمال الخطأ والنسيان فتدارك ذلك بقوله لا يضل ربى ولا ينسى قال مجاهد هما واحد المراد انه لا يذهب عنه شئ ولا يخفى عليه والاكثرون على الفرق فقال القفال الاول اشارة الى كونه عالما بالكل والثانى اشارة الى بقاء ذلك العلم أى لا يضل عن معرفة الاشياء وما علم من ذلك لا ينساه ولا يتغير علمه يقال ضللت الشئ اذا أخطأته فى مكانه فلم تهتد له وقال مقاتل لا يخطئ ذلك الكتاب ربى ولا ينسى ما فيه وقال الحسن لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه وقال أبو عمرو لا يغيب عن شئ ولا يعزب عنه شئ وقال جرير لا يخطئ فى التدبير فيعتقد غير الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قاله القفال وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده

القول فى تأويل قوله تعالى (قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى وهرون لا تخافا فرعون اننى معكما أعينكما عليه وأبصركما أسمع ما يجرى بينكما وبينه فأفهمكما ما تحاورانه به وأرى ما تفعلان ويفعل لا يخفى على من ذلك شئ فأتياه فقولا له انا رسولا ربك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى ما يحاوركما فأوحى اليكما فتجاوبانه وقوله فأتياه فقولا انا رسولا ربك أرسلنا اليك يأمرك أن ترسل معنا بنى اسرائيل فأرسلهم معنا ولا تعذبهم بما تكلفهم من الاعمال الرديئة قد جئناك بآية معجزة من ربك على انه أرسلنا اليك بذلك ان أنت لم تصدقنا فيما نقول لك أريناكها والسلام على من اتبع الهدى يقول والسلامة لمن اتبع هدى الله وهو بيانه يقال السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع بمعنى واحد القول فى تأويل قوله تعالى (انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهرون قولا لفرعون انا قد أوحى الينا ربك ان عذابه الذى لا نفاد له ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه اليه من توحيد الله وطاعته واجابة رسله وتولى يقول وأدبر معرضا عما جئناه به من الحق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان العذاب على من كذب وتولى كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله وقوله قال فمن ربكما يا موسى فى هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه وهو قوله فأتياه فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته فقال فرعون لهما فمن ربكما يا موسى فخاطب موسى وحده بقوله يا موسى وقد وجه الكلام قبل ذلك الى موسى وأخيه وانما فعل ذلك كذلك لان المجاوبة انما تكون من الواحد وان كان الخطاب بجماعة لا من الجميع وذلك نظير قوله نسيا حوتهما وكان الذى يحمل الحوت واحدا وهو فتى موسى يدل على ذلك قوله انى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره وقوله قال ربنا الذى أعطاه كل شئ خلقه ثم هدى يقول تعالى ذكره قال موسى له مجيبا ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه يعنى نظير خلقه فى الصورة والهيئة كالذكور من بنى آدم أعطاهم نظير خلقهم من الاناث أزواجا وكالذكور من البهائم أعطاها نظير خلقها وفى صورتها وهيئتها من الاناث أزواجا فلم يعط الانسان خلاف خلقه فيزوجه بالاناث من البهائم ولا البهائم بالاناث من الانس ثم هداهم للمأتى الذى منه النسل والنماء كيف يأتيه ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب وغير ذلك * وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى يقول خلق لكل شئ زوجة ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده حدثنا موسى قال ثنا

حتى يجازيه ولما ذكر الدليل العام المتناول لجميع المخلوقات السمويات والارضيات من الانسان وسائر الحيوانات وأنواع النبات وأنواع الجمادات ذكر الدلائل الخاصة فقال الذي جعل لكم الارض مهدا أي كالمهد وهو ما يمهد للصبي قال أبو عبيدة الذي اختاره مهادا لانه اسم لما يمهد والمهد مصدر وقال غيره المهد اسم والمهاد جمع وقال المفضل هما مصدران وسلك أي حصل لكم فيها سبلا وسطها بين الجبال والاودية والبراري يقال سلكت الشيء في الشيء سلكا بالفتح أي أدخلته فيه فاخرجنا به أي بواسطة انزال الماء ومن المتكلمين الاقدمين من أنكر تأثير الوسائط أزواجا أي أصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترن بعضها ببعض وشتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى

ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال ربنا الذي أعطى كل دابة خلقها زوجا ثم هدى للنكاح وقال آخرون معنى قوله ثم هدى انه هداهم الى الالفة والاجتماع والمناكحة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى يعني هدى بعضهم الى بعض ألف بين قلوبهم وهداهم للتزويج أن يزوج بعضهم بعضا * وقال آخرون معنى ذلك أعطى كل شيء صورته وهي خلقه الذي خلقه به ثم هداه لما يصلحه من الاحتيال للغذاء والمعاش ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد في قوله أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال أعطى كل شيء صورته ثم هدى كل شيء الى معيشته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال سوى خلق كل دابة ثم هداها لما يصلحها فعلمها اياه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هداها لما يصلحها وعلمها اياه ولم يجعل الناس في خلق البهائم ولا خلق البهائم في خلق الناس ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حميد عن مجاهد أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال هداه الى حيلته ومعيشته * وقال آخرون بل معنى ذلك أعطى كل شيء ما يصلحه ثم هداه له ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله أعطى كل شيء خلقه قال أعطى كل شيء ما يصلحه ثم هداه له * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك لانه جل ثناؤه أخبر انه أعطى كل شيء خلقه ولا يعطي المعطي نفسه بل انما يعطي ما هو غيره لان العطية تقتضي المعطي والمعطى والعطية ولا تكون العطية هي المعطى واذا لم تكن هي هو وكانت غيره وكانت صورة كل خلق بعض أجزائه كان معلوما انه اذا قيل أعطى الانسان صورته انما يعني انه أعطى بعض المعاني التي به مع غيره دعي انسانا فكان قائله قال أعطى كل خلق نفسه وليس ذلك اذا وجه اليه الكلام بالمعروف من معاني العطية وان كان قد يحتمله الكلام فاذ كان ذلك كذلك فالاصوب من معانيه أن يكون موجها الى أن كل شيء أعطاه ربه مثل خلقه فزوجه به ثم هداه لما بينا ثم ترك ذكر مثل وقيل أعطى كل شيء خلقه كما يقال عبد الله مثل الاسد ثم يحذف مثل فيقول عبد الله الاسد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) يقول تعالى ذكره قال فرعون لموسى اذ وصف موسى ربه جل جلاله بما وصفه به من عظيم السلطان وكثرة الانعام على خلقه والافضال فما شأن الامم الخالية من قبلنا لم تقر بما تقول ولم تصدق بما تدعو اليه ولم تخلص له العبادة ولكنها عبدت الآلهة والاوثان من دونه ان كان الامر على ما تصف من أن الاشياء كلها خلقه وانها في نعمه تتقلب وفي منته تتصرف فاجابه موسى فقال علم هذه الامم التي مضت من قبلنا

أو صفة للنبات لانه مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها مختلفة النفع والطبع والطعم واللون والرائحة والشكل ثم ههنا اضمار والتقدير وقلنا أو قائلين كلوا وارعوا أنعامكم وذلك ان بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم واباحة الاكل تتضمن اباحة سائر وجوه الانتفاع كقوله ولا تأكلوا أموالكم ومن نعم الله تعالى ان أرزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله قال الجوهري النهية بالضم واحدة النهى وهي العقول لانها تنهى عن القبيح وجوز أبو على الفارسي ان يكون مصدرا كالهدى وخص أرباب العقول بذلك لانهم هم المنتفعون بالنظر فيها والاستدلال بها على وجود صانعها منها خلقنا كم لان آدم مخلوق من الارض أولان بني آدم خلقوا من النطفة ودم الطمث المتولدين من الاغذية المنتهية الى العناصر الغالبة عليها الارضية أو لما ورد في الخبر ان الملك يأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه الآدمي فيبددها على النطفة وفيها نعيدكم لان الجسد يصير ترابا فيختلط

بالارض الا من رفعه الله الى السماء وهو أيضا يحتمل ان يعاد اليها بعد ذلك ومنها نخرجكم تارة أخرى بالحشر والبعث أو بأن نخرجكم ترابا وطينا ثم يحييكم بعد الاخراج أو المراد الاحياء في القبر وههنا بحث وهو أن يكون قوله الذي جعل لكم الارض الى ههنا من تتمة كلام موسى أو هو ابتداء كلام من الله تعالى وعلى الاول يمكن أن يوجه قوله فاخرجنا بان المراد فاخرجنا نحن معاشر عباده بذلك الماء بالحراثة والزرع أزواجا من نبات شتى الا ان قوله كلوا وارعوا الى قوله ومنها نخرجكم لا يطابقه وان قيل ان كلام موسى يتم عند قوله وأنزلنا من السماء ماء لم يصلح قوله فاخرجنا ابتداء كلام من الله لمكان فاء التعقيب فالصواب ان يتم كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم انه تعالى ابتدأ فقال الذي أي هو

فيما فعلت من ذلك عند ربي في كتاب يعني في أم الكتاب لا علم لي بامرها وما كان سبب ضلال من ضل منهم فذهب عن دين الله لا يضل ربي يقول لا يخطئ ربي في تدبيره وأفعاله فان كان عذب تلك القرون في عاجل وعجل هلاكها فالصواب ما فعل وان كان أخر عقابها الى القيامة فالحق ما فعل يقول عليم بما يفعل لا يخطئ في فعله ولا ينسى فيترك فعل ما فعله حكمة وصواب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى يقول لا يخطئ ربي ولا ينسى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما بال القرون الاولى يقول فما أعمى القرون الاولى فوكلها نبي الله موكلا فقال علمها عند ربي الآية يقول أي أعمارها وآجالها * وقال آخرون معنى قوله لا يضل ربي ولا ينسى واحد ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا يضل ربي ولا ينسى قال هما شيء واحد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والعرب تقول ضل فلان منزله اذا أخطأه يضله بغير ألف وكذلك ذلك في كل ما كان من شيء ثابت لا يبرح فاخطأه مريده فانما تقول ضله ولا تقول أضله فاما اذا ضاع منه ما يزول بنفسه من دابة وناقة وما أشبه ذلك من الحيوان الذي ينفلت منه فيذهب فانها تقول أضل فلان بعيره أو شاته أو ناقته يضله بالالف وقد بينا معنى النسيان فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته

القول في تأويل قوله تعالى (الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) اختلف أهل التأويل في قراءة قوله مهدا فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة الذي جعل لكم الارض مهادا بكسر الميم من المهاد والحاق ألف فيه بعد الهاء وكذلك عملهم ذلك في كل القرآن وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك انه انما اختاره من أجل ان المهاد اسم الموضع وان المهد الفعل قال وهو مثل الفرش والفراش وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين مهدا بمعنى الذي مهد لكم الارض مهدا * والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الامصار مشهورتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيها وقوله وسلك لكم فيها سبلا يقول وأنهج لكم في الارض طرقا والهاء في قوله فيها من ذكر الارض كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسلك لكم فيها سبلا أي طرقا وقوله وأنزل من السماء ماء يقول وأنزل من السماء مطرا فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن انعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سمائه الى أرضه بعد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثنائه على ربه بما هو أهله يقول جل ثناؤه فأخرجنا نحن أيها الناس بما ننزل من السماء من ماء أزواجا يعني ألوانا من نبات شتى يعني مختلفة الطعوم والارايح والمنظر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله

الذي جعل الى آخره وعلى هذا يكون قوله فأخرجنا من قبيل الالتفات افتنانا في الكلام وايذانا بأنه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره تخصيصا بأن مثل هذا لا يدخل تحت قدرة أحد سواه والحاصل انه تعالى عدد عليهم ما علق بالارض من المنافع حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها عند الاقامة وسوى لهم فيها مسالك يتقلبون بها في أسفارهم وأنبت فيها أصناف النبات متاعا لهم ولانعامهم ثم ان الارض لهم كالام التي منها انشؤا وهي التي تجمعهم وتضمهم اذا ماتوا ثم يخرجون من الاجداث خروج الاجنة من الارحام ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض أي ارقدوا واسجدوا عليها من غير حائل أو تيمموا بها فانها بكم برة أي انها لكم كالام ومنها خلقناكم وفيها معايشكم وهي بعد الموت كفاتكم قوله عز وعلا ولقد أريناه آياتنا أي عرفناه صحتها ثم ان كان التعريف يستلزم حصول المعرفة فيكون كفره كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والا كان كفر جهالة وضلالة سؤال الجمع المضاف يفيد العموم ولا سيما اذا أكد بالكل لكنه تعالى ما أراه جميع الآيات لان من جملتها ما أظهرها على الانبياء الاقدمين ولم يتفق لموسى مثلها الجواب هذا التعريف الاضافي محذوبه حذو التعريف العهدي لو قيل الآيات كلها وهي التي ذكرت في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ولو سلم العموم فالمراد انه أراه الآيات الدالة على التوحيد في قوله ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه وعلى النبوة باظهار المعجزات القاهرة وعلى المعاد لان تسليم القدرة على الانشاء يستلزم تسليم القدرة على الاعادة بالطريق الاولى أو أراد انه أراه آياته المختصة به وعدد عليه سائر آيات الانبياء واخبار النبي الصادق جار مجرى العيان أو اراءة بعض الآيات كاراءة الكل كما ان تكذيب بعض الآيات يستلزم تكذيب الكل كما قال فكذب أي الآيات كلها وأبى قول الحق قال القاضي الاباء الامتناع وانه لا يوصف به الا من يمكن من الفعل والترك والالم يتوجه الذم وجواب الاشاعرة انه لا يسئل عما يفعل ثم ان فرعون خاف أن يميل قلوب ملئه الى قول موسى فذكر ما يوجب نفار القوم عنه مع القدح في نبوته لادعاء امكان معارضته قائلا أجئتنا لتخرجنا فان الاخراج من الديار قرينة القتل بدليل قوله أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ثم طالب للمعارضة موعدا فان جعلته زمان الوعد بدليل قوله موعدكم يوم الزينة بالرفع كان الضمير في لا نخلفه عائد الى الوعد المعلوم من الموعد أو الى زمان الوعد مجازا وانتصب مكانا على انه ظرف للوعد المقدر وان جعلته مكان الوعد ليكون

قال

قوله مكانا بدلا منه فوجه عود الضمير فى لانخلفه مثل ماقلنا ويكون قوله موعدكم يوم الزينة مطابقا له معنى لانه لابدلهم من أن يجتمعوا يوم الزينة فى مكان مشتهر عندهم وكأنه قيل موعدكم مكان الاجتماع فى يوم الزينة وان جعلته مصدرا مع وصفه بعدم الاخلاف من غير ارتكاب اضمار او تجوز انتصب مكانا على انه ظرفه ثم من قرأ يوم الزينة بالنصب فظاهر أى وعدكم او انجاز وعدكم فى يوم الزينة أو وقت وعدكم فى يوم الزينة وفى يوم يحشر الناس هو ضحى أى ضحى ذلك اليوم ومن قرأ بالرفع فبتقدير مضاف محذوف أى وعدكم وعد يوم الزينة ومعنى سوى بالكسر والضم عدلا ووسطا بين الفريقين وهو معنى قول مجاهد (١١٧) فوصف المكان بالاستواء باعتبار المسافة وقال

قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من نبات شتى يقول مختلف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) يقول تعالى ذكره كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذى أنزلناه من السماء الى الارض من ثمار ذلك وطعامه وما هو من أقواتكم وغذائكم وارعوا فيما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم ان فى ذلك لآيات يقول ان فيما وصفت فى هذه الآية من قدرة ربكم وعظيم سلطانه لآيات يعنى لدلالات وعلامات تدل على وحدانية ربكم ولا اله لكم غيره لأولى النهى يعنى أهل الحجى والعقول والنهى جمع نهية كما الكشى جمع كشية * قال أبو جعفر والكشى شحمة تكون فى جوف الضب شبيهة بالسرة وخص تعالى ذكره بان ذلك آيات لاولى النهى لانهم أهل التفكر والاعتبار وأهل التدبر والاتعاظ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) يقول تعالى ذكره من الارض خلقناكم أيها الناس فانشأناكم أجساما ناطقة وفيها نعيدكم يقول وفى الارض نعيدكم بعد مماتكم فنصيركم ترابا كما كنتم قبل انشائناكم بشرا سويا ومنها نخرجكم يقول ومن الارض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم احياء فننشئكم منها كما أنشأناكم أول مرة وقوله تارة أخرى يقول مرة أخرى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنها نخرجكم تارة أخرى يقول مرة أخرى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تارة أخرى قال مرة أخرى الخلق الآخر فتأويل الكلام اذا من الارض أخرجناكم ولم تكونوا شيأ خلقا سويا وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرة أخرى كما أخرجناكم أول مرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) يقول تعالى ذكره ولقد أرينا فرعون آياتنا يعنى أدلتنا وحججنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا موسى وهرون اليه كلها فكذب وأبى ان يقبل من موسى وهرون ما جاآه به من عند ربهما من الحق استكبارا وعتوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لانخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى) يقول تعالى ذكره قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى أجئتنا ياموسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذى جئتنا به فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لانتعداه لنجئ بسحر مثل الذى جئت به فننظر أينا يغلب صاحبه لانخلف ذلك الموعد نحن ولا أنت مكانا سوى يقول بمكان عدل بيننا وبينك ونصف وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين مكانا سوى بكسر السين وقرأته عامة قراء الكوفة مكانا سوى بضمها * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما لغتان أعنى الكسر والضم فى السين من سوى مشهورتان فى العرب وقد قرأت بكل واحدة منهما علماء من القراء مع اتفاق معنييهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وللعرب فى ذلك اذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هى أشهر من الكسر والضم وهو الفتح كما قال جل ثناؤه تعالوا الى كلمة

ابن زيد أى مستويا لايحجب شيأ بارتفاعه وانخفاضه ليسهل على كل الحاضرين مايجرى بين الفريقين وقال الكلبى مكانا سوى هذا المكان الذى نحن فيه الآن قال القاضى الاظهر ان قوله موعدكم يوم الزينة من قول فرعون لانه الطالب للاجتماع وقال الامام فخر الدين الرازى الاقرب انه من كلام موسى ليكون الكلام مبنيا على السؤال والجواب ولان تعيين يوم الزينة يقتضى اطلاع الكل على ماسيقع وهذا انما يليق بالمحق الواثق بالغلبة لا بالمبطل المزور على أن موعدكم خطاب الجمع وليس هناك الا موسى وهرون فاما أن يرتكب ان أقل الجمع اثنان وهو مذهب مرجوح واما أن يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون ليعظمهما ويوم الزينة يوم عيد لهم يتزينون فيه وعن مقاتل يوم النيروز وعن سعيد بن جبير يوم سوق لهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وانما قال وان يحشر من غير تسمية الفاعل لانهم يجتمعون ذلك اليوم بانفسهم من غير حاشر لهم ومحل أن يحشر رفع أو جر عطفا على اليوم أو الزينة عين اليوم ثم الساعة وهى ضحى ذلك اليوم واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله

وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وليشيع أمره العجيب فى الاقطار والاعصار والاطراف والاكناف ففى ذلك تقوية دين الحق وتكثير راغبيه وقلة شوكة المخالف وتوهين عزائمهم فتولى فرعون انصرف الى مقام تهيئة الاسباب المعارضة فان صاحب السحر يحتاج فى تدبير السحر الى طول الزمان ولهذا طلب الموعد وقال مقاتل أعرض وثبت على اعراضه عن الحق فجمع كيده أى أسباب الكيد وأدوات الحيلة والتمويه من مهرة السحرة وغير ذلك ثم أتى الموعد عن ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقيل أربعمائة وقيل أكثر من ذلك فضرب لفرعون قبة طولها سبعون ذراعا فجلس فيها ينظر اليهم فبين الله

تعالى ان موسى قدم قبل كل شئ الوعيد والتحذير على عادة الصالحين من أهل النصح والاشفاق ولاسيما الأنبياء المبعوثين رحمة للامم و يلكم نصب على المصدر الذى لا فعل له أو على النداء لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم السحت لغة أهل الحجاز والاسحات لغة أهل نجد و بنى تميم ومعناه الاستئصال حذرهم أمرين أحدهما عذاب الدارين والتنوين للتعظيم والآخر الخيبة والحرمان عن المقصود فان المفترى به لا بقاء له فتنازعوا أمرهم بينهم كقوله فى الكهف اذ يتنازعون بينهم أمرهم أى وقع التنازع بينهم وأسروا النجوى الضمير لفرعون وقومه وقيل للسحرة ويؤيده (١١٨) ماروى عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر وعن وهب لما قال و يلكم الآية قالوا ماهذا بقول ساحر والاكثرون على الاول وذلك انهم تفاوضوا وتشاوروا حتى استقروا على شئ واحد وهو انهم قالوا ان هذان لساحران الى آخر الآية لا اشكال فى قراءة أبى عمرو وكذا فى قراءة ابن كثير وحفص لانه كقولك ان زيد لمنطلق واللام فارقة بين المخففة والنافية وأما من قرأ ان بالتشديد وهذان بالالف فاورد عليه ان لم يعمل فى المثنى وأجيب بانه على لغة بلحرث بن كعب فى خثعم و بعض بنى عذرة ونسبها الزجاج الى كنانة وابن جنى الى بعض بنى ربيعة جعلوا التثنية كعصا وسعدى مما آخره ألف فلم يقلبوها ياء فى الجر والنصب وقيل ان بمعنى نعم واعترض ان ما بعده حينئذ يصير كقوله

* أم الحليس لعجوز شهربه *

ولا يجوز مثله الا فى ضرورة الشعر وانما موضع لام الابتداء فى السعة هو المبتدأ والجواب أن القرآن حجة على غيره وذكر الزجاج فى جوابه ان التقدير لهما ساحران فاللام داخلة على صدر الجملة الصغرى قال وقد عرضت هذا القول على محمد بن يزيد وعلى واسمعيل بن اسحق فارتضاه كل منهم وذكروا انه أجود ما سمعناه فى هذا الباب وضعفه ابن جنى بان المبتدأ انما يجوز حذفه لو كان أمرا معلوما جليا والا كان تكليفا بعلم الغيب للمخاطب واذا كان معروفا فقد استغنى عن معرفته من تأكيده باللام وأيضا ان الحذف من باب الاختصار والتأكيد من باب الاطناب فالجمع بينهما محال مع أن ذكر المؤكد وحذف التأكيد أحسن فى العقول من العكس وأيضا امتنع البصريون من جعل النفس فى قولك زيد ضرب نفسه تأكيدا للمستكن فدل ذلك على ان تأكيد المنوى غير جائز وأيضا لو كان ماذهب اليه الزجاج جائزا لحمل النحويون قول الشاعر على ذلك ولم يحملوه على الاضطرار ولم تبصر قول الزجاج أن

سواء بيننا و بينكم واذا فتحت السين منه مد واذا كسرت أو ضمت قصر كما قال الشاعر

فان أبانا كان حل ببلدة سوى * بين قيس غيلان والفزر

ونظير ذلك من الاسماء طوى وصوى وثنى وثنى وعدى وعدى * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله مكانا سوى قال منصفا بينهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مكانا سوى أى عادلا بيننا و بينك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله مكانا سوى قال نصفا بيننا و بينك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاجعل بيننا و بينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال يقول عدلا وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مكانا سوى قال مكانا مستويا يتبين للناس ما فيه لا يكون صوب ولا شئ فيغيب بعض ذلك عن بعض مستو حين يرى * القول فى تأويل قوله تعالى (قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى) يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون حين سأله ان يجعل بينه و بينه موعدا للاجتماع موعدكم للاجتماع يوم الزينة يعنى يوم عيد كان لهم أو سوق كانوا يتزينون فيه وأن يحشر الناس يقول وان يساق الناس من كل فج عميق وناحية ضحى فذلك موعد ما بينى و بينك * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فانه يوم زينة يجتمع الناس اليه و يحشر الناس له حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال موعدكم يوم الزينة قال يوم زينة لهم و يوم عيد لهم وأن يحشر الناس ضحى الى عيد لهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد يوم الزينة قال يوم السوق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم الزينة موعدهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى وذلك يوم عيد لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال موعدكم يوم الزينة يوم عيد كان لهم وقوله وأن يحشر الناس ضحى يجتمعون لذلك الميعاد الذى وعدوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قال موعدكم يوم الزينة قال يوم العيد يتفرغ الناس من الاعمال و يشهدون و يحضرون و يرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال موعدكم يوم الزينة يوم عيد

عيد كان فرعون يخرج له وان يحشر الناس ضحى حتى يحضروا أمرى وأمرك وان من قوله وأن يحشر الناس ضحى رفع بالعطف على قوله يوم الزينة وذكر عن أبي نهيك فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقول وأن يحشر الناس ضحى يعنى فرعون يحشر قومه وقوله فتولى فرعون يقول تعالى ذكره فادبر فرعون معرضا عما أتاه به من الحق فجمع كيده يقول فجمع مكره وذلك جمعه سحرته بعد أخذه اياهم بتعلمه ثم أتى يقول ثم جاء للموعد الذى وعده موسى وجاء سحرته ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى) يقول تعالى ذكره قال موسى للسحرة لما جاء بهم فرعون ويلكم لا تفتروا على الله كذبا يقول لا تختلقوا على الله كذبا ولا تتقولوه فيسحتكم بعذاب فيستأصلكم بهلاك فيبيدكم والعرب فيه لغتان سحت وأسحت وسحت أكثر من أسحت يقال منه سحت الدهر وسحت مال فلان اذا أهلكه فهو يسحته سحتا وأسحته يسحته اسحاتا ومن الاسحات قول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال الا مسحتا أو مجلف

ويروى الا مسحت أو مجلف * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فيسحتكم بعذاب يقول فيهلككم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيسحتكم بعذاب يقول يستأصلكم بعذاب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فيسحتكم بعذاب قال فيستأصلكم بعذاب فيهلككم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فيسحتكم بعذاب قال يهلككم هلاكا ليس فيه بقية قال والذى يسحت ليس فيه بقية حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فيسحتكم بعذاب يقول يهلككم بعذاب * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فيسحتكم بفتح الياء من سحت يسحت وقرأته عامة قراء الكوفة فيسحتكم بضم الياء من أسحت يسحت * قال أبو جعفر والقول فى ذلك عندنا انهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير ان الفتح فيها أعجب الى لانها لغة أهل العالية وهى أفصح والاخرى وهى الضم فى نجد وقوله وقد خاب من افترى يقول ولم يظفر من يخلق كذبا ويقوله بكذبه ذلك بحاجته التى طلبها به ورجا ادراكها ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) يقول تعالى ذكره فتنازع السحرة أمرهم بينهم وكان تنازعهم امرهم بينهم فيما ذكر ان قال بعضهم لبعض ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قال السحرة بينهم ان كان هذا ساحرا فانا

يجيب عن الاول بان التأكيد انما هو لنسبة الخبر الى المبتدأ لم يجز لانه سبب المبتدأ وحده ولو سلم فذكر اللام يدل على المبتدأ المنوى وذكر المبتدأ لا يدل على التأكيد فكان حذف المبتدأ أولى وعن الثانى بان الكلام قد يكون موجزا من وجه مطنبا من وجه آخر فلا منافاة وانما المنافاة اذا كانت الجهتان واحدة وعن الثالث بانهم امتنعوا من حمل النفس على التأكيد فى المثال المذكور لانهم رأوا اسناد الفعل الى المظهر أولى من اسناده الى المضمر لا لان تأكيد المنوى ممتنع على انا بينا ان المؤكد ليس بمحذوف فى الآية مطلقا فان أحد طرفى الكلام مذكور وعن الرابع بان ذهول المتقدمين عن هذا الوجه لا يقتضى كونه باطلا فكم ترك الاول للآخر ولنرجع الى التفسير قال الفراء الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم وهو طريقة قومه قبح أمر موسى فى أعين الحاضرين ونفرهم عنه بانه ساحر والطباع نفور من السحر وبانه يقصد اخراجكم من دياركم وهذا أيضا مما يبغض القاصد اليهم وبانه يريد أن يذهب باشراف قومكم وأكابركم قالوا وهم بنو اسرائيل لقول موسى أرسل معنا بنى اسرائيل وجعلها الزجاج من باب حذف المضاف أى باهل طريقتكم المثلى وسموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى لان كل حزب بما لديهم فرحون والمثلى تانيث الامثل أى الاشبه بالحق ومنهم من فسر الطريقة ههنا بالجاه والمنصب والرياسة وكان الامر على ما يقال به من قرأ فاجمعوا من الجمع فظاهر ومن قرأ من الاجماع فمعناه اجعلوا كيدكم مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ونظيره ما مر فى سورة يونس فاجمعوا أمركم وشركاءكم سماه كيدا لانه علم ان السحر لا أصل له وقال الزجاج معناه ليكن عزمكم كلكم كالكيد مجمعا عليه ثم أمرهم بان يأتوا صفا أى مصطفين مجتمعين ليكون أهيب فى الصدور وأوقع فى النفوس وعن أبى عبيدة انه فسر الصف بالمصلى أى مصلى من المصليات أو هو علم لمصلى بعينه لان الناس يصطفون فيه لعيدهم وصلاتهم وقد أفلح اليوم من استعلى أى فاز من غلب وهو اعتراض واعلم ان قصة السحرة أكثرها تشبه ما مر فى الاعراف وقد فسرناها هنالك فنحن الآن على أن نقتصر ونذكر ما هو المختص بهذه السورة اما أن تلقى أى اختر أحد الامرين الالقاء أو القاؤنا فاذا حبالهم هى اذا المفاجاة وأصلها الوقت أى فاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم قال وهب سحروا عين موسى عليه السلام حتى تخيل ذلك وقيل أراد انه شاهد شيأ لولا علمه بانه لا حقيقة لذلك الشئ لظن فيها انها تسعى فيكون تمثيلا فاوجس أضمر فى نفسه خيفة هو مفعول أوجس وموسى فاعله أخر للفاصلة

وذلك الخوف اما من جبلة البشرية حين ذهل عن الدليل وهو قول الحسن واما لانه خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه قاله مقاتل أو خاف ان يتأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت أو خاف بان يتفرق بعض القوم قبل ان يشاهدوا غلبته أو خاف تمادي الامر عليه وتكرره فأزال الله تعالى خوفه مجملا بقوله انك أنت الاعلى وفيه من أنواع التأكيد مالا يخفى وهي الاستئناف والتصدير بان والتوسيط بالفصل وكون الخبر معرفا ولفظ العلو ومعناه الغلبة وصورة التفضيل ولا فضل لهم ومفصلا بقوله وألق ما في يمينك لم يقل عصاك لما علم من الاعراف ولما في هذه السورة وما تلك بيمينك وقال جار الله هو تصغير لشأن العصا وتهوين لامر السحرة أي ألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقف ما صنعوا أي زوروا وافتعلوا على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها أو هو تعظيم لشأنها أي لا تحفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة لان في يمينك شيأ أعظم شأنا من كلها انما صنعوا ان الذي افتعلوه كيد سحر أو ذوي سحر أو هم في توغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه أو الاضافة للبيان أي كيد هو سحر كقولك علم فقه واما وحد ساحر فمن قرأ على الوصف ليعلم أن المقصود هو الجنس كما قال ولا يفلح الساحر أي هذا الجنس ولو جمع لاوهم ان المراد هو العدد واما نكر أولا لان المراد تنكير الكيد كأنه قال هذا الذي أتوا به قسم واحد من أقسام السحر أو من أفعال السحرة وجميع أقسام السحر وافراد السحرة لا فلاح فيها ومن نظائره اني لاكره ان أرى أحدكم سبهللا لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة ومعنى سبهللا انه يجيء ويذهب في غير شيء ومعنى حيث أتى أينما كان وأية سلك فالقي السحرة سجدا قال جار الله سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين وروى انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة واستبعده القاضي لانه كالالجاء الى الايمان وانه ينافي التكليف قلت اذا كان الايمان مقدما على هذا الكشف فلا منافاة ولا الجاء ثم ان فرعون لعب لعب الجل وأنكر عليهم ايمانهم وألقى شبهته في البين انه كبيرهم أي أسحرهم وأعلاهم درجة في الصناعة أو معلمهم واستاذهم من قول أهل مكة للمعلم أمرني كبيري أي استاذي في العلم أو غيره وأوعدهم بقطع الايدي والارجل من خلاف قال في الكشاف من لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناش من مخالفة العضو لا من وفاقه اياه قلت الاولى الجمع

سنغلبه وان كان من السماء فله أمر * وقال آخرون بل هو ان بعضهم قال لبعض ماهذا القول بقول ساحر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال جمع كل ساحر حباله وعصيه وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه معه أشراف أهل مملكته قد استكف له الناس فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتراد السحرة بينهم وقال بعضهم لبعض ماهذا بقول ساحر وقوله وأسروا النجوى يقول تعالى ذكره وأسروا السحرة المناجاة بينهم ثم اختلف أهل العلم في السرار الذي أسروه فقال بعضهم هو قول بعضهم لبعض ان كان هذا ساحرا فانا سنغلبه وان كان من أمر السماء فانه سيغلبنا * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال أشار بعضهم الى بعض بتناج ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من أرضكم بسحرهما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى من دون موسى وهرون قالوا في نجواهم ان هذين لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قالوا ان هذان لساحران يعنون بقولهم ان هذان موسى وهرون لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما موسى وهرون صلى الله عليهما * وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ان هذان لساحران فقرأته عامة قراء الامصار ان هذان بتشديد ان وبالالف في هذان وقالوا قرأنا ذلك كذلك وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول ان خفيفة في معنى ثقيلة وهي لغة لقوم يرفعون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما وقال بعض نحويي الكوفة ذلك على وجهين أحدهما على لغة بني الحرث بن كعب ومن جاورهم يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالالف وقد أنشدني رجل من الاسد عن بعض بني الحرث بن كعب

فاطرق أطراق الشجاع ولو يرى * مساغا لناباه الشجاع لصمما

قال وحكى عنه أيضا هذا خط يدا أخي أعرفه قال وذلك وان كان قليلا أقيس لان العرب قالوا مسلمون فجعلوا الواو تابعة للضمة لانها لا تعرب ثم قالوا رأيت المسلمين فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم قالوا فلما رأوا الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها وثبت مفتوحا تركوا الالف تتبعه فقالوا رجلان في كل حال قال وقد اجتمعت العرب على اثبات الالف في كلا الرجلين في الرفع والنصب والخفض وهما اثنان الا بني كنانة فانهم يقولون رأيت كلي الرجلين ومررت بكلي الرجلين وهي قبيحة قليلة مضوا على القياس قال والوجه الآخر ان تقول وجدت الالف من هذا دعامة وليست بلام فعل فلما بنيت زدت عليها نونا ثم تركت الالف ثابتة على حالها لا تزول بكل حال كما قالت العرب الذي ثم زادوا نونا تدل على

أن يقال الخلاف ههنا بمعنى الجهة المخالفة حتى يصح معنى الابتداء أي لاقطعن أيديكم وأرجلكم مبتدأ من الجهتين المتخالفتين يمينا وشمالا فيكون الجار والمجرور في موضع الحال أي لاقطعنها مختلفات الجهات قيل في جذوع النخل أي عليها والاصوب أن يقال هي على أصلها شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف أينا أشد أراد نفسه وموسى وفيه صلف باقتداره وقهره وما ألفه من تعذيب الناس واستخفاف بموسى مع الهزء لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شئ قاله في الكشاف قلت يحتمل أن يريد بقوله أينا الله تعالى ونفسه لتقدم ذكر رب هرون وموسى وقد سبق عذاب الله في قوله ان العذاب على من كذب وتولى وفي قوله فيسحتكم بعذاب ويؤيده

الجمع فقالوا الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم كما تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه قال وكان القياس أن يقولوا اللذون وقال آخرون منهم ذلك من الجزم المرسل ولو نصب لخرج الى الانبساط وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال قال أبو عمرو وعيسى بن عمر ويونس ان هذين لساحران في اللفظ وكتب هذان كأنه سمع قوما من بني كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب قال وقال بشر بن هلال ان بمعنى الابتداء والايجاب ألا ترى انها تعمل فيما يليها ولا تعمل فيما بعد الذي بعدها فترفع الخبر ولا تنصبه كما نصبت الاسم فكان مجاز ان هذان لساحران مجاز كلامين مخرجه انه أي نعم ثم قلت هذان ساحران ألا ترى انهم يرفعون المشترك كقول ضابئ

فمن يك أمسى بالمدينة رحله * فاني وقيار بها لغريب

وقوله

ان السيوف غدوها ورواحها * تركت هوازن مثل قرن الاعضب

قال ويقول بعضهم ان الله وملائكته يصلون على النبي فيرفعون على شركة الابتداء ولا يعملون فيه ان قال وقد سمعت الفصحاء من المحرمين يقولون ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال وقرأها قوم على تخفيف نون ان واسكانها قال ويجوز لانهم قد أدخلوا اللام في الابتداء وهي فصل قال

أم الحليس لعجوز شهربه *

قال وزعم قوم انه لا يجوز لانه اذا خفف نون ان فلا بد له من ان يدخل الا فيقول ان هذان الا ساحران * والصواب من القراءة في ذلك عندنا ان تشديد نونها وهذان بالالف لاجماع الحجة من القراء عليه وانه كذلك هو في خط المصحف ووجهه اذا قرئ كذلك مشابهته الذين اذ زادوا على الذي النون وأقر في جميع الاحوال الاعراب على حالة واحدة فكذلك ان هذان زيدت على هذا نون وأقر في جميع أحوال الاعراب على حال واحدة وهي لغة بالحرث وخثعم وزبيد ومن وليهم من قبائل اليمن وقوله ويذهبا بطريقتكم المثلى يقول ويغلبا على ساداتكم واشرافكم يقال هو طريقة قومه ونظورة قومه ونظيرتهم اذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور اليه يقال ذلك للواحد والجمع وربما جمعوا فقالوا هؤلاء طرائق قومهم ومنه قول الله تبارك وتعالى كنا طرائق قددا وهؤلاء نظائر قومهم وأما قوله المثلى فانها تأنيث الامثل يقال للمؤنث خذ المثلى منهما وفي المذكر خذ الامثل منهما ووحدت المثلى وهي صفة ونعت للجماعة كما قيل له الاسماء الحسنى وقد يحتمل أن يكون المثلى أنثت لتأنيث الطريقة * وبنحو ما قلنا في معنى قوله بطريقتكم المثلى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى يقول أمثلكم وهم بنو اسرائيل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال أولي العقل والشرف والانساب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال أولي العقول والاشراف والانساب حدثنا أبو كريب وأبو السائب

قول السحرة في جوابه والله خير وأبقى لن نؤثرك لن نختارك على ماجاءنا من البينات المعجزات الظاهرات على الذي فطرنا أو الواو للقسم وعلى هذا يجوز أن يكون على ماجاءنا بمعنى فيما جاءنا أي لن نميل اليك والحالة هذه وعلى الوجه الاول فمعنى الكلام لن نترك طاعة خالقنا والتصديق بمعجزات نبيه لاجل هواك فاقض ماأنت قاض بماشئت من العذاب انما تقتضي هذه الحياة الدنيا أي في مدة الحياة العاجلة وقرئ تقضي مبنيا للمفعول هذه الحياة بالرفع اجراء للظرف مجرى المفعول به اتساعا مثل صيم يوم الجمعة والحاصل ان قضاءك وحكمك منحصر في مدة حياتنا الفانية والايمان وثمرته باق لا يزول والعقل يقتضي تحمل الضرر الفاني للفوز بالسعادة الباقية والخلاص من العقاب الابدي وذلك قولهم انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا قال الحسن سبحان الله قوم كفار ثبت في قلوبهم الايمان طرفة عين فلم يتعاظم عندهم ان قالوا في ذات الله تعالى فاقض ماأنت قاض والله ان أحدهم ليصحب القرآن ستين عاما ثم ليبيع دينه بثمن غبن ولما كان أقرب خطاياهم عهدا

ما أظهروه من السحر قالوا وما أكرهتنا عليه من السحر وفي هذا الاكراه وجوه عن ابن عباس ان الفراعنة كانوا يكرهون فتيانهم على تعلم السحر ليوم الحاجة فكانوا من ذلك القبيل وروي انهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فأبوا أن يعارضوه وعن الحسن انهم حشروا من المدائن مكرهين وزعم عمرو بن عبيد ان دعوة السلطان اكراه وليس بقوي فلا اكراه الا مع الخوف فحيثما وجد حكم بالاكراه والا فلا وباقي الآيات ابتداء اخبار من الله أو هي من تتمة كلامهم فيه قولان ولعل الاول أولى انه أي الشأن من يأت ربه أي

حيث لاحكم الاهو فيسقط استدلال المجسمة حال كون الآتي مجرما فان له جهنم لايموت فيها موتة مريحة ولا يحيى حياة ممتعة قالت المعتزلة صاحب الكبيرة مجرم وكل مجرم فان له جهنم بالآية لعموم من الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحصل القطع بوعيد أصحاب الكبائر أجابت الاشاعرة بان المجرم كثيرا مايجيء في القرآن بمعنى الكافر كقوله يتساءلون عن المجرمين ماسلككم في سقر الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين ولا ريب ان التكذيب بالبعث والجزاء كفر وكقوله ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى آخر السورة فلم قلتم ان المجرم ههنا ليس بمعنى الكافر فتبطل المقدمة الاولى سلمنا لكن المقدمة الثانية كلها ممنوعة على الاطلاق وانما هي كلية بشرط عدم العفو وحينئذ لايحصل القطع بالوعيد على الاطلاق سلمنا المقدمتين والنتيجة لكنه معارض بعموم الوعد في قوله ومن يأته مؤمنا فان قيل صاحب الكبيرة لم يأته مؤمنا عندنا قلنا يصدق عليه المؤمن لان الايمان صدر عنه في الزمان الماضي كالضارب على من قد ضرب أمس وليس بين الحال والزمان الماضي منافاة كلية ولهذا صح جاء في زيد قد قام بل صح قوله قد عمل الصالحات وانه حال آخر كأنه قيل ومن يأته قد آمن قد عمل ولئن قيل ان عقاب المعصية يحبط ثواب الطاعة قلنا ممنوع بل العكس أولى لان الدفع أسهل من الرفع واقامة الحد على التائب في بعض الصور لاجل المحنة لا لاجل التنكيل وقوله نكالا من الله في حق من لم يتب بعد من السرقة سلمنا ان قوله ومن يأته مؤمنا لايعم صاحب الكبيرة الا ان قوله فاولئك لهم الدرجات العلى من الجنة ان أتى بالايمان والاعمال الصالحات أي الواجبات لان الزائد عليها غير محصور فسائر الدرجات التي غير عالية لابد أن تكون لغيرهم وماهم الا العصاة من أهل الايمان ثم عظم شأن المذكور بقوله وذلك جزاء من تزكى أي قال لا اله الا الله قال ابن عباس وفيه دليل على أن قوله ومن يأته مؤمنا يشمل صاحب الكبيرة وقال آخرون تزكى أي تطهر من دنس الذنوب وعلى هذا يقع صاحب الكبيرة خارجا

موضع

(ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لاتخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم وأضل فرعون قومه وماهدى يابني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا

قالا ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى يومئذ كانت بنو اسرائيل وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا وأولادا قال عدو الله انما يريدان أن يذهبا بهم لانفسهما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله بطريقتكم المثلى قال بني اسرائيل حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ويذهبا بطريقتكم المثلى يقول يذهبا باشراف قومكم * وقال آخرون معنى ذلك ويغيرا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه من قولهم فلان حسن الطريقة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال يذهبا بالذي أنتم عليه يغيرا ما أنتم عليه وقرأ ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد قال هذا قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى وقال يقول طريقتكم اليوم طريقة حسنة فاذا غيرت ذهبت هذه الطريقة ورروي عن علي في معنى قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى ما حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الرحمن بن اسحق عن القاسم عن علي بن أبي طالب قال يصرفان وجوه الناس اليهما * قال أبو جعفر وهذا القول الذي قاله ابن زيد في قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى وان كان قولا له وجه يحتمله الكلام فان تأويل أهل التأويل خلافه فلا أستجيز لذلك القول به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى) اختلفت القراء في قراءة قوله فأجمعوا كيدكم فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة فأجمعوا كيدكم بهمز الالف من فأجمعوا ووجهوا معنى ذلك الى فأحكموا كيدكم واعزموا عليه من قولهم أجمع فلان الخروج وأجمع على الخروج كما يقال أزمع عليه ومنه قول الشاعر

يا ليت شعري والمنى لا تنفع * هل أغدون يوما وأمري مجمع

يعني بقوله مجمع قد أحكم وعزم عليه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من لم يجمع على الصوم من الليل فلا صوم له وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة فاجمعوا كيدكم بوصل الالف وترك همزها من جمعت الشيء كأنه وجهه الى معنى فلا تدعوا من كيدكم شيأ الا جئتم به وكان بعض قارئي هذه القراءة يعتل فيما ذكر لي لقراءته ذلك كذلك بقوله فتولى فرعون فجمع كيده * قال أبو جعفر والصواب في قراءة ذلك عندنا همز الالف من أجمع لاجماع الحجة من القراء عليه وان السحرة هم الذين كانوا قيل لهم ذلك ولم يحضروا ذلك المشهد الا لما كان عندهم من السحر الذي به معروفين فلا وجه لان يقال لهم اجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عاملون لان المرء انما يجمع مالم يكن عنده الى ما عنده ولم يكن ذلك يوما يزيد في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر بل كان يوم اظهاره أو كان متفرقا مما هو عنده بعضه الى بعض ولم يكن السحر متفرقا عندهم فيجمعونه وأما قوله فجمع كيده فغير شبيه المعنى بقوله فاجمعوا كيدكم وذلك ان فرعون كان هو الذي يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعا حاضرا فقيل فتولى فرعون فجمع كيده وقوله ثم ائتوا صفا يقول أحضروا وجيئوا صفا والصف ههنا مصدر ولذلك وحد ومعناه ثم ائتوا صفوفا والصف في كلام العرب

قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم
أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا ماأخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى
السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد
قال لهم هرون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى
قال ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول

موضع آخر وهو قول العرب أتيت الصف اليوم يعني به المصلى الذي يصلى فيه وقوله وقد أفلح
اليوم من استعلى يقول قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره كما حدثنا ابن حميد قال
ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال جمع فرعون الناس لذلك الجمع ثم أمر
السحرة فقال ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى أي قد أفلح من أفلح اليوم على صاحبه ۞ القول في
تأويل قوله تعالى (قالوا ياموسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) يقول تعالى ذكره فأجمعت السحرة كيدهم ثم أتوا صفا
فقالوا لموسى ياموسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاء
بدلالة الكلام عليه واختلف في مبلغ عدد السحرة الذين أتوا يومئذ صفا فقال بعضهم كانوا سبعين
ألف ساحر مع كل ساحر منهم حبل وعصا ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا
ابن علية عن هشام الدستوائي قال ثنا القاسم بن أبي بزة قال جمع فرعون سبعين ألف ساحر
فألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا فألقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فاغر به فاه فابتلع
حبالهم وعصيهم فألقي السحرة عند ذلك سجدا فما رفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب
أهلهما فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات * وقال آخرون بل كانوا بضعا وثلاثين
ألف رجل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال
قالوا ياموسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم
وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل الا ومعه حبل وعصا * وقال آخرون بل كانوا
خمسة عشر ألفا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت
عن وهب بن منبه قال صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه * وقال آخرون
كانوا تسعمائة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن
جريج قال كان السحرة ثلثمائة من العريش وثلثمائة من فيوم ويشكون في ثلثمائة من
الاسكندرية فقالوا لموسى اما أن تلقي ما معك قبلنا واما أن نلقي ما معنا قبلك وذلك قوله واما أن
نكون أول من ألقى وان في قوله اما أن في موضع نصب وذلك أن معنى الكلام اختر ياموسى أحد
هذين الامرين اما أن تلقي قبلنا واما أن نكون أول من ألقى ولو قال قائل هو رفع كان مذهبا كأنه
وجهه الى أنه خبر كقول القائل فسيروا فاما حاجة تقضيانها * واما مقيل صالح وصديق
وقوله قال بل ألقوا يقول تعالى ذكره قال موسى للسحرة بل ألقوا أنتم ما معكم قبلي وقوله فاذا
حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى وفي هذا الكلام متروك وهو فألقوا ما معهم من
الحبال والعصي فاذا حبالهم ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذي ذكر عليه وذكر أن السحرة
سحروا أعين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم فخيل حينئذ الى موسى أنها تسعى كما
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال قالوا ياموسى اما

فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب
قولي قال فما خطبك ياسامري
قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت
قبضة من أثر الرسول فنبذتها
وكذلك سولت لي نفسي قال
فاذهب فان لك في الحياة أن تقول
لامساس وان لك موعدا لن تخلفه
وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم
نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا
هو وسع كل شئ علما كذلك نقص
عليك من أنباء ما قد سبق وقد
آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض
عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا
خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا
يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان
لبثتم الا عشرا نحن أعلم بما يقولون
اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم
الا يوما ويسئلونك عن الجبال فقل
ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا
يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له
وخشعت الاصوات للرحمن فلا
تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من أذن له الرحمن
ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت
الوجوه للحي القيوم وقد خاب من
حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا

هضما وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من
قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما) القراآت لا تخف دركا بالجزم حمزة الباقون لا تخاف بالرفع أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم
على التوحيد حمزة وعلي وخلف وواعدنا كم من الوعد أبو عمرو وسهل ويعقوب فيحل ومن يحلل بالضم فيهما علي الآخرون بالكسر بملكنا
بفتح الميم أبو جعفر ونافع وعاصم غير المفضل بضمها حمزة وعلي وخلف بكسرها الباقون والمفضل حملنا بفتح الحاء والميم مخففة أبو عمرو وسهل
ويعقوب وحمزة وعلي وخلف سوى حفص الآخرون بضم الحاء وكسر الميم مشددة تتبعني بالياء الساكنة في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب

وافق أبو عمرو ونافع غير اسمعيل فى الوصل وقرأ يزيد واسمعيل بفتح الياء الباقون بفتحها يا ابن أم بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلى وخلف
وعاصم غير حفص لم تبصروا بتاء الخطاب حمزة وعلى وخلف الباقون على الغيبة فنبذتها مدغما أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف ويزيد وهشام
وسهل لن تخلفه بكسر اللام ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الآخرون بفتحها لنحرقنه بفتح النون وضم الراء يزيد الآخرون من التحريق فلا
يخف بالجزم على النهى ابن كثير ان نقضى بالنون مبنيا للفاعل وحيه بالنصب يعقوب الباقون بالياء مضمومة وبفتح الضاد وحيه بالرفع
* الوقوف يبسا ج لان قوله لاتخاف يصلح صفة للطريق مع حذف الضمير العائد أى لاتخاف فيه ويصلح مستأنفا ومن قرأ
لاتخف فوقفه أجوز لعدم العاطف
ووقوع الحائل مع تعقب النهى
الامر الا أن يكون جوابا للامر
فلا يوقف ولاتخشى ه ماغشيهم
ط لان التقدير وقد أضل من قبل
على الحال الماضية دون العطف
لانه عندما غشيه لم يتفرغ للاضلال
وماهدى ه والسلوى ه غضبى
ج هوى ه اهتدى ه ياموسى
ه لترضى ه السامرى ه أسفا
ج لانسياق الماضى على الماضى
بلا ناسق حسنا ط موعدى ه
السامرى ه لا فنسى ه ط قولا
لاللعطف ولانفعا ه ط فتنتم به ج
للابتداء بان مع اتصال العطف
أمرى ج موسى ه ألا تتبعن ط
أمرى ه رأسى ج للابتداء
بان مع اتصال المعنى واتحاد القائل
قولى ه ياسامرى ه نفسى ه
لامساس ص لن تخلفه ج لاختلاف
الجملتين عاكفا ط للقسم المحذوف
نسفا ه الا هو ط علما ه سبق
للاستئناف والحال ذكرا ج ه
لان الشرطية تصلح صفة للذكر
وتصلح مبتدأ بها وزرا ه لالان
قوله خالدين حال من الضمير فى
عمل وهو عائد الى من ومن للجمع
معنى فيه ط حملا ه لالان يوم
ينفخ بدل من يوم القيامة زرقا ه ج
لان ما بعده يصلح للصفة وللاستئناف
عشرا ه يوما ه نسفا ه لاصفصفا ه لاأمتا ه لاعوج له ج لاختلاف الجملتين همسا ه قولا ه علما ه ولتعلن
القيوم ط ظلما ه هضما ه ذكرا ه الحق ج وحيه ز لعطف الجملتين المتفقتين مع اعتراض الظرف وما أضيف اليه علما ه * التفسير
هذا شروع فى قصة انجاء بنى اسرائيل واهلاك عدوهم وقد تقدم فى البقرة وفى الاعراف وفى يونس ومعنى فاضرب لهم طريقا اجعل لهم من
قولهم ضرب له فى ماله سهما وضرب اللبن عمله أو أراد بين لهم طريقا فى البحر بالضرب بالعصا حتى ينفلق فعدى الضرب الى الطريق ثم بين ان
جميع الامن حاصلة فى ذلك الطريق واليبس مصدر وصف به ومثله اليبس ونحوهما العدم والعدم ويوصف به المؤنث اذلك فيقال ناقتنا يبس

أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى
و بصر فرعون ثم أبصار الناس بعد ثم ألقى كل رجل منهم ما فى يده من العصى والحبال فاذا هى حيات
كامثال الحبال قد ملأت الوادى تركب بعضها بعضا * واختلفت القراء فى قراءة قوله يخيل
اليه فقرأ ذلك عامة قراء الامصار يخيل اليه بالياء بمعنى يخيل اليهم سعيها واذا قرئ ذلك كذلك كانت
ان فى موضع رفع وروى عن الحسن البصرى انه كان يقرأه تخيل بالتاء بمعنى تخيل حبالهم وعصيهم
بانها تسعى ومن قرأ ذلك كذلك كانت ان فى موضع نصب لتعلق تخيل بها وقد ذكر عن بعضهم انه
كان يقرؤه تخيل اليه بمعنى تتخيل اليه واذا قرئ ذلك كذلك أيضا فان فى موضع نصب بمعنى تتخيل
بالسعى لهم والقراءة التى لا يجوز عندى فى ذلك غيرها يخيل بالياء لاجماع الحجة من القراء عليه
۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فاوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لاتخف انك أنت الاعلى
وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) يعنى تعالى
ذكره بقوله فاوجس فى نفسه خوفا موسى فوجده وقوله قلنا لاتخف انك أنت الاعلى يقول تعالى
ذكره قلنا لموسى اذ أوجس فى نفسه خيفة لاتخف انك أنت الاعلى على هؤلاء السحرة وعلى فرعون
وجنده والقاهر لهم وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا يقول وألق عصاك تبتلع حبالهم وعصيهم
التى سحروها حتى خيل اليك أنها تسعى وقوله انما صنعوا كيد ساحر * اختلفت القراء فى قراءة
ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة انما صنعوا كيد ساحر برفع كيد
وبالالف فى ساحر بمعنى ان الذى صنعه هؤلاء السحرة كيد من سحر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة
انما صنعوا كيد سحر برفع الكيد وبغير الالف فى السحر بمعنى ان الذى صنعوه كيد سحر والقول
فى ذلك عندى انهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى وذلك ان الكيد هو المكر والخدعة
فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحره ومكر السحر وخدعته تخيله الى المسحور على خلاف ما هو
به فى حقيقته فالساحر كائد بالسحر والسحر كائد بالتخييل فالى أيهما أضفت الكيد فهو صواب وقد
ذكر عن بعضهم انه قرأ كيد سحر بنصب كيد ومن قرأ ذلك كذلك جعل انما حرفا واحدا وأعمل
صنعوا فى كيد وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من القراء على خلافها وقوله ولا يفلح
الساحر حيث أتى يقول ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان وقد ذكر عن بعضهم انه كان
يقول معنى ذلك ان الساحر يقتل حيث وجد وذكر بعض نحوى البصرة ان ذلك فى حرف ابن
مسعود ولا يفلح الساحر أين أتى وقال العرب تقول جئتك من حيث لاتعلم ومن أين لاتعلم وقال غيره
من أهل العربية الاول جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال أما قول العرب جئتك من حيث
لاتعلم ومن أين لاتعلم فانما هو جواب لم يفهم فاستفهم كما قالوا أين الماء والعشب ۞ القول فى تاويل
قوله تعالى (فالقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه
لكبيركم الذى علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل

اذا جف لبنها والدرك والدرك اسمان من الادراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك وفي لا تخشى اذا قرئ لا تخف الوجه أهو الاستئناف أي وأنت لا تخشى وجوز في الكشاف أن يكون الالف للاطلاق من أجل الفاصلة كقوله وتظنون بالله الظنونا وان يكون كقول الشاعر كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا أراد لم تر لان ما قبله وتضحك مني شيخة عبشمية قلت لعل هذا انما يجوز في الضرورة ولا ضرورة في الآية فاتبعهم فرعون الحق بهم جنوده أو تبعهم ومعه جنوده كما مر في يونس فغشيهم أي علاهم وغمرهم من اليم ما غشيهم وهذا من جملة ما علم في باب الايجاز لدلالته على انه غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقد سلف منه في السور المذكورة ما حكى في

ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) وفي هذا الكلام متروك قد استغنى بدلالة ما ترك عليه وهو فألقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى وذكر ان موسى لما ألقى ما في يده تحول ثعبانا فالتقم كل ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصى ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال لما اجتمعوا وألقوا ما في أيديهم من السحر خيل الله من سحرهم انها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قال فتحت فما لها مثل الرجل ثم وضعت مشفرها على الارض ورفعت الآخر ثم استوعبت كل شيء ألقوه من السحر ثم جاء اليها فقبض عليها فاذا هي عصا فخر السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف قال فكان أول من قطع الايدي والارجل من خلاف فرعون ولاصلبنكم في جذوع النخل قال فكان أول من صلب في جذوع النخل فرعون حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي فأوجس في نفسه خيفة موسى فأوحى الله اليه لا تخف وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون فألقى عصاه فأكلت كل حية لهم فلما رأوا ذلك سجدوا قالوا آمنا برب العالمين رب هرون وموسى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه فأوجس في نفسه خيفة موسى لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصى خيل اليه انها تسعى وقال والله ان كانت لعصيا في أيديهم ولقد عادت حيات وما تعدو عصاي هذه أو كما حدث نفسه فأوحى الله ان ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى وفرح موسى فألقى عصاه من يده فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى فجعلت تلقفها تبتلعها حية حية حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه ثم أخذها موسى فاذا هي عصا في يده كما كانت ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى لو كان هذا سحرا ما غلبنا وقوله قال آمنتم له قبل أن آذن لكم يقول جل ثناؤه وقال فرعون للسحرة أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم اليه من قبل ان أطلق ذلك لكم انه لكبيركم يقول ان موسى لعظيمكم الذي علمكم السحر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال لما قالت السحرة آمنا برب هرون وموسى قال لهم فرعون وأسف ورأى الغلبة البينة آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر أي لعظيم السحار الذي علمكم وقوله فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف يقول فلاقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين أو يسرى اليدين ويمنى الرجلين فيكون ذلك قطعا من خلاف وكان فيما ذكر أول من فعل ذلك فرعون وقد ذكرنا الرواية بذلك وقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل يقول ولاصلبنكم على جذوع النخل كما قال الشاعر

الاخبار وروى في الآثار ونسبة الاضلال الى فرعون لا تنافي انتهاء الكل الى ارادة الله ومشيئته وقوله وما هدى تأكيد للاضلال وفيه تهكم به في قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد ثم عدد ما أنعم به على بني اسرائيل ويجوز أن يكون خطابا لليهود المعاصرين لان النعمة على الآباء نعمة في حق الابناء ومثله قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن أي الواقع على يمين من انطلق من مصر الى الشام لان منفعة المواعدة عادت اليهم وان كانت المواعدة لنبيهم فيكتب التوراة في ألواح فأم شرعهم واستقام أمر معاشهم ومعادهم كلوا من تتمة القول وطغيانهم في الرزق وهو شغلهم باللهو والتنعم عن القيام بشكرها وتعدي حدود الله فيها بالاسراف والتقتير والغصب ومن قرأ فيحل بالكسر فبمعنى الوجوب من قولهم حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومن قرأ بالضم فبمعنى النزول ونزول الغضب نزول نتائجه من العقوبات والمثلات ومعنى هوى هلك وأصله السقوط من مكان عال كالجبل وقيل هوى أي وقع في الهاوية سؤال كيف أثبت المغفرة في حق من استجمع التوبة والايمان والعمل

الصالح والمغفرة انما تتصور في حق من أذنب وأيضا ما معنى قوله ثم اهتدى بعد الامور المذكورة والاهتداء انما يكون قبلها لا أقل من أن يكون معها الجواب أراد واني لغفار لمن تاب من الكفر وآمن وعمل صالحا وفيه دليل لمن ذهب الى وجوب تقديم التوبة من الكفر على الايمان والحاصل ان الغفران يعود الى الذنوب السابقة على هذه الامور ويجوز أن يراد انه اذا تاب من الكفر وأقبل على الايمان والعمل الصالح فان الله يغفر الصغائر التي تصدر عنه في خلال ذلك كقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وأما الاهتداء فالمراد به الاستقامة والثبات على الامور المذكورة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ومعنى ثم الدلالة على تباين المرتبتين فان المداومة

على الخدمة أصعب من الشروع فيها كما قيل إن الكل الى شأو العلى حركات * ولكن عزيز في الرجال ثبات ونظير هذا العطف قوله أهلكناها فجاءها بأسنا وقدم البحث فيه ويروى ان موسى قد مضى مع النقباء السبعين الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك أقرب الى رضا الله فأنكر الله تعالى تقدمه قائلا وما أعجلك عن قومك أي شيء عجل بك عنهم فالمراد بالقوم النقباء لا جميع قومه على ما توهم بعضهم يؤكده قوله هم أولاء على أثري ولم يكن جميع قومه على أثره قال جار الله قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب التقدم فكان أهم الأمرين الى موسى تمهيد العذر من العجلة نفسها فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير وليس بيني وبينهم الا مسافة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى أي طلبت دوام رضاك عني أو مزيد رضاك بناء على اجتهادي ان التعجيل الى مقام المكالمة والحرص على ذلك يوجب مزيد الثواب والكرامة وقيل لما أنكر عليه الاستعجال دهش خوفا من العقاب فتحير في الجواب قال فانا قد فتنا قومك يعني جميع قومه الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر ألفا يروى انهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فسئل انه تعالى كيف قال لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك وأجيب بانه على عادة الله تعالى في اخباره عن الامور المترقبة بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع أو أراد بدء الفتنة لان السامري افترص غيبة موسى فعزم على اضلال قومه غب انطلاقه ولقائل أن يمنع كون هذه الاخبار عند مقدم موسى عليه السلام بل لعله عند رجوعه بدليل فاء التعقيب في قوله فرجع موسى قال جار الله انه رجع بعد ما استوفى الار بعين ذي القعدة وعشر ذي الحجة وأوتي التوراة وسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن طفر وكان منافقا وكان من قوم يعبدون البقر قالت المعتزلة الفتنة بمعنى الاضلال لا يجوز أن ينسب الى الله تعالى لانه يناقض قوله وأضلهم السامري وانما الفتنة بمعنى الامتحان بتشديد التكليف ومنه فتنت الذهب بالنار وبيان ذلك ان السامري لما أخرج لهم العجل صاروا مكلفين بان يستدلوا بحدوث جملة الاجسام على ان العجل

عليه

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة * فلا عطست شيبان الا باجذعا

يعني على جذع نخلة وانما قيل في جذوع لان المصلوب على الخشبة يرفع في طولها ثم يصير عليها فيقال صلب عليها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولاصلبنكم في جذوع النخل لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخروا سجدا وآمنوا عند ذلك قال عدو الله فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف الآية حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال فرعون لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل فقتلهم وقطعهم كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء وقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى ولتعلمن أيها السحرة أينا أشد عذابا لكم وأدوم أنا أو موسى

القول في تأويل قوله تعالى (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) يقول تعالى ذكره قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به لن نؤثرك فنتبعك ونكذب من أجلك موسى على ما جاءنا من البينات يعني من الحجج والادلة على حقيقة ما دعاهم اليه موسى والذي فطرنا يقول قالوا لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات وعلى الذي فطرنا ويعني بقوله فطرنا خلقنا فالذي من قوله والذي فطرنا خفض على قوله ما جاءنا وقد يحتمل أن يكون قوله والذي فطرنا خفضا على القسم فيكون معنى الكلام لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والله وقوله فاقض ما أنت قاض يقول فاصنع ما أنت صانع واعمل بنا ما بدا لك انما تقضي هذه الحياة الدنيا يقول انما تقدر ان تعذبنا في هذه الحياة الدنيا التي تفنى ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت انما حرفا واحدا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا أي على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة فاقض ما أنت قاض أي اصنع ما بدا لك انما تقضي هذه الحياة الدنيا أي ليس لك سلطان الا فيها ثم لا سلطان لك بعده وقوله انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا يقول تعالى ذكره انا أقررنا بتوحيد ربنا وصدقنا بوعده ووعيده وان ما جاء به موسى حق ليغفر لنا خطايانا يقول ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا وما أكرهتنا عليه من السحر يقول ليغفر لنا ذنوبنا وتعلمنا ما تعلمناه من السحر وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلمه والعمل به وذكر ان فرعون كان أخذهم بتعليم السحر ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن سهل قال ثنا نعيم بن حماد قال ثنا سفيان بن عيينة عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تبارك وتعالى وما أكرهتنا عليه من السحر قال غلمان دفعهم فرعون الى السحرة تعلمهم السحر بالفرماء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أكرهتنا عليه من السحر قال أمرهم بتعلم السحر قال تركوا كتاب الله وأمروا قومهم بتعليم السحر وما أكرهتنا

عليه من السحر قال أمرتنا ان نتعلمه وقوله والله خير وأبقى يقول والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه وأبقى عذابا لمن عصاه وخالف أمره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله خير وأبقى خير منك ثوابا وأبقى عذابا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس في قول الله خير وأبقى قالا خيرا منك ان أطيع وأبقى منك عذابا ان عصي ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة لفرعون انه من يأت ربه من خلقه مجرما يقول مكتسبا الكفر به فان له جهنم يقول فان له جهنم مأوى ومسكنا جزاء له على كفره لا يموت فيها فتخرج نفسه ولا يحيا فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن ولكنها تتعلق بالحناجر منهم ومن يأته مؤمنا موحدا لا يشرك به قد عمل الصالحات يقول قد عمل ما أمره به ربه وانتهى عما نهاه عنه فأولئك لهم الدرجات العلى يقول فأولئك الذين لهم درجات الجنة العلى ۞ القول في تأويل قوله تعالى (جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) يقول تعالى ذكره ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ثم بين تلك الدرجات العلى ما هي فقال هن جنات عدن يعني جنات اقامة لا ظعن عنها ولا نفاد لها ولا فناء تجري من تحتها الانهار يقول تجري من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول ماكثين فيها الى غير غاية محدودة فالجنات من قوله جنات عدن مرفوعة بالرد على الدرجات كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى قال عدن وقوله وذلك جزاء من تزكى يقول وهذه الدرجات العلى التي هي جنات عدن على ما وصف جل جلاله ثواب من تزكى يعني من تطهر من الذنوب فأطاع الله فيما أمره ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) يقول تعالى ذكره ولقد أوحينا الى نبينا موسى اذ تابعنا له الحجج على فرعون فأبى أن يستجيب لامر ربه وطغى وتمادى في طغيانه أن أسر ليلا بعبادي يعني بعبادي من بني اسرائيل فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا يقول فاتخذ لهم في البحر طريقا يابسا واليبس واليبس يجمع أيباس يقول وقفوا في ايباس من الارض واليبس المخفف يجمع يبوس * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يبسا قال يابسا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وأما قوله لا تخاف دركا ولا تخشى فانه يعني لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ولا تخشى غرقا من بين يديك ووحلا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا

لا يصلح للالهية وقالت الاشاعرة الشبهة في كون الشمس والقمر الها أعظم من العجل الذي له خوار وهو جسد من الذهب وحينئذ لا يكون حدوث ذلك العجل تشديدا في التكليف فلا يكون فتنة من هذا الوجه فوجب حمله على خلق الضلال فيهم وأجابوا عن اضافة الضلال الى السامري بان جميع المسببات العادية تضاف الى أسبابها في الظاهر وان كان الموجد لها في الحقيقة هو الله تعالى قال بعضهم الآسف المغتاظ وفرق بين الاغتياظ والغضب لان الغيظ تغير يلحق المغتاظ فلا يصح الا على الاجسام والغضب قد يراد به الاضرار بالمغضوب عليه فلهذا صح اطلاقه على الله سبحانه ثم عاتب موسى عليه السلام قومه بامور منها (١٢٧) قوله ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا كأنهم كانوا معترفين بالرب الاكبر لكنهم عبدوا العجل على التأويل الذي تذكر عبدة الاصنام أو على تأويل الحلول والوعد الحسن هو انزال التوراة التي فيها هدى ونور وقيل هو الثواب على الطاعات ومثله ما روي عن مجاهد ان العهد المذكور من قوله ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى وقيل وعدهم اهلاك فرعون ووعدهم أرضهم وديارهم وقد فعل ومنها قوله أفطال عليكم العهد أي الزمان يريد مدة مفارقته لهم وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الايمان فاختلفوا في موعده بعبادتهم العجل وقيل أراد عهدهم بنعم الله تعالى من الانجاء وغيره والاكثرون على الاول لما روي انه وعدهم ثلاثين كما أمر الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة فجاء بعد الاربعين لقوله تعالى وأتممناها بعشر ولما روي أنهم حسبوا العشرين أربعين ومنها قوله أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم قالوا هذا لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان أحدا لا يريد هلاك نفسه ولكن المعصية وهو خلاف الموعد لما كانت توجب ذلك صح هذا الكلام لان مريد السبب مريد المسبب بالعرض احتج العلماء بالآية وبما هو من قوله فيحل عليكم غضبي ان الغضب من صفات الافعال لا من صفات الذات لان صفة ذات الله تعالى لا تنزل في شيء من الاجسام وموعد موسى هو ما ذكرنا من أنهم وعدوه الاقامة على دينه الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدوه اللحاق به والمجيء على أثره قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا بالحركات الثلاث أي بان ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده والظاهر ان القائلين هم عبدة العجل وقيل انهم الذين لم يعبدوا العجل وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى نفسه مكانهم قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم يقدروا على منعهم ولم يقدروا أيضا على مخالفتهم حذرا من التفرقة وزيادة الفتنة ثم

ان القوم ينوا ذلك العذر المجمل فقالوا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم أى أثقالا من حلى القبط كامر فى الاعراف وقيل الاوزار الآثام وانما فى الحقيقة أثقال مخصوصة معنوية سموا بذلك لان المغانم لم تحل حينئذ أو لانهم كانوا مستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى وقيل ان تلك الحلى كان القبط يتزينون بها فى مجامع الكفر ومجالس المعاصى فلذلك وصفت بانها أوزار كما يقال فى آلات المناهى فقذفناها أى فى الحفرة كان هرون أمرهم بجمع الحلى انتظار العود موسى أو فى موضع أمرهم السامرى بذلك بعد ان أوقد النار وكذلك ألقى السامرى مثل فعلنا أراهم انه يلقى حليا فى يده مثل ما ألقوا وانما ألقى التربة التى أخذها من موطئ حافر فرس جبريل كما يجىء فى قوله فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار قدمر فى الاعراف فقالوا أى السامرى ومن تبعه هذا الهكم واله موسى فنسى موسى أن يطلبه ههنا فذهب يطلبه عند الطور أو فنسى السامرى وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر أو نسى الاستدلال على ان العجل لا يجوز ان يكون الها بقوله أفلا يرون الا يرجع ان مخففة من الثقيلة ولهذا لم تعمل وقرئ بالنصب على انها الناصبة قال العلماء ظهور الخوارق على يد مدعى الالهية جائز لانه لا يحصل الالتباس وههنا كذلك فوجب ان لا يمتنع خلق الحياة فى صورة العجل وروى عكرمة عن ابن عباس ان هرون مر بالسامرى وهو يصنع العجل فقال ما تصنع فقال أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لى فقال اللهم أعطه ما سألك فلما مضى هرون قال السامرى اللهم انى أسألك أن يخور نخار وعلى هذا التقدير يكون معجزا للنبى لا السامرى ثم انه سبحانه أخبر ان هرون لم يال نصحا واشفاقا فى شأن نفسه وفى شأن القوم قبل أن يقول لهم السامرى ما قال أما شفقته على نفسه فهى انه أدخلها فى زمرة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر أما الامتثال فانه امتثل فى نفسه وفى شأن القوم أمر أخيه حين قال لهم ياقوم انما فتنتم به قول جار الله كانهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة فتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطلق السامرى بادره هرون فزجرهم عن الباطل أولا بان هذا من جملة الفتن ثم دعاهم الى الحق بقوله وان ربكم الرحمن ومن فوائد تخصيص هذا الاسم بالمقام انهم ان تابوا عما عزموا عليه فان الله يرحمهم ويقبل توبتهم ثم بين ان الوسيلة الى معرفة كيفية عبادة الله هو اتباع النبى وطاعته

أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله لاتخاف دركا ولا تخشى يقول لاتخاف من آل فرعون دركا ولا تخشى من البحر غرقا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لاتخاف دركا ولا تخشى يقول لاتخاف ان يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال أصحاب موسى هذا فرعون قد أدركنا وهذا البحر قد غشينا فانزل الله لاتخاف دركا أصحاب فرعون ولا تخشى من البحر وحلا **حدثنى** أحمد بن الوليد الرملى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن بعض أصحابه فى قوله لاتخاف دركا ولا تخشى قال الوحل * واختلفت القراء فى قراءة قوله لاتخاف دركا فقرأته عامة قراء الامصار غير الاعمش وحمزة لاتخاف دركا على الاستئناف بلا كما قال واصطبر عليها لانسألك رزقا فرفع وأكثر ما جاء فى الامر الجواب مع لا بالرفع وقرأ ذلك الاعمش وحمزة لاتخف دركا جزما لاتخاف على الجزاء ورفعا ولا تخشى على الاستئناف كما قال جل ثناؤه يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فاستأنف بثم ولو نوى بقوله ولا تخشى الجزم وفيه الياء كان جائزا كما قال الراجز

* هزى اليك الجذع يجنيك الجنا *

وأعجب القراءتين الى أن أقرأ بها لاتخاف على وجه الرفع لان ذلك أفصح اللغتين وان كانت الاخرى جائزة وكان بعض نحويى البصرة يقول معنى قوله لاتخاف دركا اضرب لهم طريقا لاتخاف فيه دركا قال وحذف فيه كما تقول زيدا أكرمت وأنت تريد أكرمته وكما تقول واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ أى لا تجزى فيه وأما نحويو الكوفة فانهم ينكرون حذف فيه الا فى المواقيت لانه يصلح فيها أن يقال قمت اليوم وفى اليوم ولا يجيزون ذلك فى الاسماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى) يقول تعالى ذكره فسرى موسى ببنى اسرائيل اذ أوحينا اليه أن أسر بهم فاتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر فغشى فرعون وجنده من اليم ما غشيهم فغرقوا جميعا فاضل فرعون قومه وما هدى يقول جل ثناؤه وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل وأخذ بهم على غير استقامة وذلك انه سلك بهم طريق أهل النار بامرهم بالكفر بالله وتكذيب رسله وما هدى يقول وما سلك بهم الطريق المستقيم وذلك انه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى والتصديق به فاطاعوه فلم يهدهم بامره اياهم بذلك ولم يهتدوا باتباعهم اياه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يابنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى) يقول تعالى ذكره فلما نجا موسى بقومه من البحر وغشى فرعون وقومه من اليم ما غشيهم قلنا لقوم موسى يابنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم فرعون وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الايمن وقد بينا المن والسلوى باختلاف المختلفين فيهما وذكرنا الشواهد على الصواب من القول فى ذلك فيما مضى قبل بما أغنى

باختلاف

فقال فاتبعوني وأطيعوا أمري وهذا ترتيب في غاية الحسن واعلم ان الشفقة على خلق الله أصل عظيم في الدين وقاعدة متينة روى النعمان
ابن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر
اليه فسمع الشاب ذلك فولى وقال الهي وسيدي هذا رسولك يشهد على باني من أهل النار وانا أعلم انه صادق فاذا كان الامر كذلك فاسألك
أن تجعلني فداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتشعل النار بي حتى تبر يمينه ولا تسعر النار أحدا فهبط جبريل وقال يا محمد بشر
الشاب باني قد أنقذته من النار بتصديقه لك وفداء أمتك بنفسه وشفقته على الخلق قال أهل السنة ههنا ان الشيعة تمسكوا بقوله صلى الله عليه وسلم أنت مني بمنزلة هرون من موسى ثم ان هرون مامنعته التقية في مثل ذلك الجمع بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس الى متابعته فلو كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم على الخطأ لكان يجب على علي كرم الله وجهه أن يفعل مافعل هرون من غير تقية وخوف وللشيعة أن يقولوا ان هرون صرح بالحق وخاف فسكت ولهذا عاتبه موسى بما عاتب فاعتذر بان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني وهكذا علي رضي الله عنه امتنع أولا من البيعة فلما آل الامر الى ما آل أعطاهم ماسألوا وانما قلت هذا على سبيل البحث لا لاجل التعصب ثم ان القوم قابلوا أحسن موعظة هرون بالتقليد والجحود قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ولا يخفى مافي هذا الكلام من أنواع التأكيد من جهة النفي بلن ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل ومن تقديم الخبر ثم حكى ماجرى بين موسى وهرون بعد الرجوع وقوله
مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن كقوله مامنعك ان لا تسجد في ان
لا هذه مزيدة أم لا وقد مر في الاعراف وفي هذا الاتباع قولان فعن ابن عباس مامنعك من اتباعي بمن أطاعك واللحوق بي وترك المقام بين
أظهرهم وقال مقاتل أراد الاتباع في وصيته كانه قال هلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لا تباشر الامر كما كنت أباشره قال الاصوليون في
قوله أفعصيت أمري دلالة على ان تارك المأمور به عاص والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فيعلم منه ان
الامر للوجوب واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بان موسى عليه السلام هل أمر هرون باتباعه أم لا وعلى التقديرين فهرون اتبعه أم لا

من اعادته في هذا الموضع * واختلفت القراء في قراءة قوله قد أنجيناكم فكانت عامة قراء المدينة
والبصرة يقرؤنه قد أنجيناكم بالنون والالف وسائر الحروف الاخر معه كذلك وقرأ ذلك عامة
قراء الكوفة قد أنجيتكم بالتاء وكذلك سائر الحروف الاخر الا قوله ونزلنا عليكم المن والسلوى
فانهم وافقوا الآخرين في ذلك وقرؤه بالنون والالف والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان
معروفتان باتفاق المعنى فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب وقوله كلوا من طيبات مارزقناكم يقول
تعالى ذكره لهم كلوا يابني اسرائيل من شهيات رزقنا الذي رزقناكم وحلاله الذي طيبناه لكم
ولا تطغوا فيه يقول ولا تعتدوا فيه ولا يظلم فيه بعضكم بعضا كما حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال
ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تطغوا فيه يقول ولا تظلموا وقوله فيحل عليكم غضبي
يقول فينزل عليكم عقوبتي كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فيحل
عليكم غضبي يقول فينزل عليكم غضبي * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة
والبصرة والكوفة فيحل عليكم بكسر الحاء ومن يحلل بكسر اللام ووجهوا معناه الى فيجب عليكم
غضبي وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة فيحل عليكم بضم الحاء ووجهوا تأويله الى ماذكرنا عن
قتادة من انه فيقع وينزل عليكم غضبي والصواب من القول في ذلك انهما قراءتان مشهورتان قد
قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء وقد حذر الله الذين قيل لهم هذا القول من بني اسرائيل وقوع
بأسه بهم ونزوله بمعصيتهم اياه ان هم عصوه وخوفهم وجوبه لهم فسواء قرئ ذلك بالوقوع أو
بالوجوب لانهم كانوا قد خوفوا المعنيين كليهما ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يحلل
عليه غضبي فقد هوى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) يقول تعالى ذكره ومن
يجب عليه غضبي فينزل به فقد هوى يقول فقد تردى فشقي كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال
ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فقد هوى يقول فقد شقي وقوله واني لغفار لمن تاب يقول
واني لذو عفو لمن تاب من شركه فرجع منه الى الايمان بي وآمن يقول وأخلص لي الالوهة ولم يشرك
في عبادته اياي غيري وعمل صالحا يقول وأدى فرائضي التي افترضتها عليه واجتنب معاصي ثم
اهتدى يقول ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع شيأ منه * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله واني لغفار لمن
تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا
أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واني لغفار لمن تاب من الشرك وآمن يقول
وحد الله وعمل صالحا يقول أدى فرائضي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله واني لغفار لمن تاب من ذنبه وآمن به وعمل صالحا فيما بينه وبين الله حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن الربيع واني لغفار لمن تاب من الشرك وآمن
يقول وأخلص لله وعمل في اخلاصه واختلفوا في معنى قوله ثم اهتدى فقال بعضهم معناه لم يشكك
في ايمانه ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن

فان لم يأمره أو أمره ولكن اتبعه فلامته لهرون من غير جرم تكون ذنبا وان أمره ولم يتبعه كان هرون عاصيا وأيضا قوله أفعصيت استفهام بمعنى الانكار فاما أن يكون موسى كاذبا فى نسبة العصيان الى هرون واما أن يكون هرون عاصيا وأيضا أخذه بلحية هرون و برأسه ان كان بعد البحث والتفتيش فهرون عاص والا فموسى وأجيب بان كل ذلك أمور اجتهادية جائزة الخطأ أو هى من باب ترك الاولى وقد مر فى أوائل البقرة فى قصة آدم ما يتعلق بهذه المسئلة قوله ولم ترقب قولى أى وصيتى لك بحفظ الدهماء واجتماع الشمل يؤيده قوله انى خشيت أن تقول فرقت قال الامام أبو القاسم الانصارى الهداية (١٣٠) أنفع من الدلالة فان السحرة ما رأوا الا آية واحدة فآمنوا وتحملوا فى الدين ما تحملوا وأما قوم موسى فقد رأوا ذلك مع زيادة سائر الآيات التسع ومع ذلك اغتروا بصوت العجل وعكفوا على عبادته فعرفنا ان الغرض لا يحصل الا بهداية الله تعالى ولما فرغ موسى من عتاب هرون أقبل على السامرى ويمكن أن يكون بعيدا ثم حضر أو ذهب اليه موسى ليخاطبه قال جار الله الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيأ ما خطبك فمعناه ما طلبك له والغرض منه الانكار عليه وتعظيم صنيعه قال أى السامرى بصرت بما لم يبصروا به قال ابن عباس ورواه أبو عبيدة علمت بما لم يعلموا به من البصارة يعنى العلم وقال الآخرون رأيت بما لم تروه فالباء للتعدية رجح العلماء قراءة الغيبة على الخطاب احترازا من نسبة عدم البصارة الى النبى صلى الله عليه وسلم والقبضة بالفتح مصدر بمعنى المفعول وهو المقبوض بجميع الكف عامة المفسرين على ان المراد بالرسول جبريل عليه السلام وأثره التراب الذى أخذه من موقع حافر دابته واسمها حيزوم فرس الحياة ومتى رآه الاكثرون على انه رآه يوم فلق البحر كان جبريل على الرمكة وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبريل فتبعه فرس فرعون وعن على رضى الله عنه ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور أبصره السامرى من بين الناس وكان راكب حيزوم فقال ان لهذا شأنا فقبض من تربة موطئه فمعنى الآية فقبضت من أثر المرسل اليك يوم حلول الميعاد ثم من المفسرين من جوزان السامرى لم يعرف انه جبريل ومنهم من قال انه عرفه عن ابن عباس انما عرفه لانه رباه فى صغره وحفظه من القتل حين أمر فرعون بقتل أولاد بنى اسرائيل فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون فتأخذ الملائكة الولدان فيربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامرى أخذه فرجع

عباس قوله ثم اهتدى يقول لم يشكك * وقال آخرون معنى ذلك ثم لزم الايمان والعمل الصالح ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم اهتدى يقول ثم لزم الاسلام حتى يموت عليه * وقال آخرون بل معنى ذلك ثم استقام ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى حزم الرازى عن الربيع بن أنس ثم اهتدى قال أخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل معناه أصاب العمل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعمل صالحا ثم اهتدى قال أصاب العمل * وقال آخرون معنى ذلك عرف أمر مثيبه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الكلبى وانى لغفار لمن تاب من الذنب وآمن من الشرك وعمل صالحا أدى ما افترضت عليه ثم اهتدى عرف مثيبه ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا * وقال آخرون بما **حدثنا** اسمعيل بن موسى الفزارى قال أخبرنا عمر بن شاكر قال سمعت ثابتا البنانى يقول فى قوله وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال الى ولاية أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذى اخترنا فى ذلك من أجل ان الاهتداء هو الاستقامة على هدى ولا معنى للاستقامة عليه الا وقد جمعه الايمان والعمل الصالح والتوبة فمن فعل ذلك وثبت عليه فلا شك فى اهتدائه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى) يقول تعالى ذكره وما أعجلك وأى شئ أعجلك عن قومك يا موسى فتقدمتهم وخلفتهم وراءك ولم تكن معهم قال هم أولاء على أثرى يقول قومى على أثرى يلحقون بى وعجلت اليك رب لترضى يقول وعجلت أنا فسبقتهم رب كيما ترضى عنى وانما قال الله تعالى ذكره لموسى ما أعجلك عن قومك لانه جل ثناؤه فيما بلغنا حين نجاه و بنى اسرائيل من فرعون وقومه وقطع بهم البحر وعدهم جانب الطور الايمن فتعجل موسى الى ربه وأقام هرون فى بنى اسرائيل يسير بهم على أثر موسى كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة تلقاه فيها بما شاء فاستخلف موسى هرون فى بنى اسرائيل ومعه السامرى يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به فلما كلم الله موسى قال له ما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعجلت اليك رب لترضى قال لارضيك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى) يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى فانا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل وذلك كان فتنتهم من بعد موسى ويعنى بقوله من بعدك من بعد فراقك اياهم يقول الله تبارك وتعالى وأضلهم السامرى وكان اضلال السامرى اياهم دعاءه اياهم الى عبادة العجل وقوله

فرجع موسى الى قومه يقول فانصرف موسى الى قومه من بني اسرائيل بعد انقضاء الاربعين ليلة غضبان أسفا متغيظا على قومه حزينا لما أحدثوا بعده من الكفر بالله كما حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله غضبان أسفا يقول حزينا وقال في الزخرف فلما آسفونا يقول أغضبونا والاسف على وجهين الغضب والحزن حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي غضبان أسفا يقول حزينا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا أي حزينا على ما صنع قومه من بعده حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أسفا قال حزينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا يقول ألم يعدكم ربكم انه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ويعدكم جانب الطور الايمن وينزل عليكم المن والسلوى فذلك وعد الله الحسن بني اسرائيل الذي قال لهم موسى ألم يعدكموه ربكم وقوله أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم يقول أفطال عليكم العهد بي وبجميل نعم الله عندكم وأياديه لديكم أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم يقول أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل وكفركم بالله فاخلفتم موعدي وكان اخلافهم موعده عكوفهم على العجل وتركهم السير على أثر موسى للموعد الذي كان الله وعدهم وقولهم لهرون اذ نهاهم عن عبادة العجل ودعاهم الى السير معه في أثر موسى لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ❁ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى) يقول تعالى ذكره قال قوم موسى لموسى ما أخلفنا موعدك يعنون بموعده عهده الذي كان عهده اليهم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله موعدي قال عهدي وذلك العهد والموعد هو ما بيناه قبل وقوله بملكنا يخبر جل ذكره عنهم انهم أقروا على أنفسهم بالخطأ وقالوا انا لم نطق حمل أنفسنا على الصواب ولم نملك أمرنا حتى وقعنا في الذي وقعنا فيه من الفتنة * وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة بملكنا بفتح الميم وقرأته عامة قراء الكوفة بملكنا بضم الميم وقرأه بعض أهل البصرة بملكنا بالكسر فأما الفتح والضم فهما بمعنى واحد وهما بقدرتنا وطاقتنا غير ان أحدهما مصدر والآخر اسم وأما الكسر فهو بمعنى ملك الشيء وكونه للمالك * واختلف أيضا أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه ما أخلفنا موعدك بأمرنا ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا يقول بأمرنا حدثني محمد بن عمرو

جبريل وجعل كف نفسه في فيه وارتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه وقال أبو مسلم اطلاق الرسول على جبريل في هذا المقام من غير قرينة تكليف بعلم الغيب وأيضا تخصيص السامري من بين الناس برؤية جبريل وبمعرفة خاصية تراب حافر دابته لا يخلو عن تعسف ولو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه فلقائل أن يقول لعل موسى اطلع على شيء آخر لاجله قدر على الخوارق فالاولى أن يراد بالرسول موسى فقصد مواجهة الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ما قول الامير في كذا ويكون اطلاق الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لانه كان كافرا به مكذبا وأراد بأثره سنته ورسمه من قولهم فلان

يقفو أثر فلان أي عرفت ان الذي عليه ليس بحق وقد كنت قبضت شيأ من سنتك فطرحتها فعلى قول العامة يكون قوله وكذلك سولت لي نفسي اشارة الى ما أوحى اليه وليه الشيطان ان تلك التربة اذا نبذت على الجماد صار حيوانا وعلى قول أبي مسلم يشير الى ان اتباع أثرك كان من تسويلات النفس الامارة فلذلك تركته ثم بين موسى ان له عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة روى انه أراد أن يقتله فمنعه الله من ذلك وقال لا تقتله فانه سخي وفي قوله لا مساس وجوه الاول انه حرم عليه مماسة الناس لانه اذا اتفق ان هناك مماسة فأحدهم الماس والثاني الممسوس فلذلك اذا رأى أحدا صاح لا مساس ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى الآن الثاني ان المراد منع الناس من مخالطته قال مقاتل ان موسى أخرجه من محلة بني اسرائيل وقال له اخرج أنت وأهلك طريدا الى البراري اعترض الواحدي عليه بان الرجل اذا صار مهجورا فلا يقول هو لا مساس وانما يقال له ذلك وأجيب بان هذا على الحكاية أي أجعلك يا سامري بحيث اذا أخبرت عن حالك لم تقل الا لا مساس والثالث قول أبي مسلم ان المراد انقطاع نسله وان يخبر بانه لا يمكن له مساسة المرأة أي مجامعتها وأما حاله في الآخرة فذلك قوله وان لك موعدا لن تخلفه قال جار الله من قرأ بكسر اللام فهو من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا ثم بين مآل حال الهه فقال وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا أي ظللت فحذف احدى اللامين تخفيفا لنحرقنه من الاحراق ففيه دليل على انه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن احراقه بالنار ونسفه في اليم قال السدي أمر موسى بذبحه فسال منه الدم ثم أحرق ثم نسف والنسف النفض ومن جعله من الحرق أي لنبردنه بالمبرد ففيه دلالة على انه لم ينقلب حيوانا الا اذا أريد برد عظامه ومن جعله من التحريق فانه يحتمل الوجهين والمراد اهدار السامري وابطال كيده ومحق صنيعه والتخسير الماكرين ثم ختم الكلام ببيان الدين الحق فقال انما الهكم أي

قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بملكنا قال بأمرنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معناه بطاقتنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا أى بطاقتنا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا يقول بطاقتنا * وقال آخرون معناه ما أخلفنا موعدك بهوانا ولكنا لم نملك أنفسنا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا قال يقول بهوانا قال ولكنه جاءت بينة ٧ قال ومعهم حلى استعاروه من آل فرعون وثياب * قال أبو جعفر وكل هذه الاقوال الثلاثة فى ذلك متقارب المعنى لان من لم يملك نفسه لغلبة هواه على ما أمر فانه لا يمتنع فى اللغة أن يقول فعل فلان هذا الامر وهو لا يملك نفسه وفعله وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه فاذا كان ذلك كذلك فسواء بأى القراآت الثلاث قرأ ذلك القارئ وذلك ان من كسر الميم من الملك فانما يوجه معنى الكلام الى ما أخلفنا موعدك ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا ايانا على خلافه وجعله من قول القائل هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات وان من فتحها فانه يوجه معنى الكلام الى نحو ذلك غير انه يجعله مصدرا من قول القائل ملكت الشئ أملكه ملكا وملكة كما يقال غلبت فلانا أغلبه غلبا وغلبة وان من ضمها فانه وجه معناه الى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا وقدرتنا أى ونحن نقدر ان نمتنع منه لان كل من قهر شيأ فقد صار له السلطان عليه وقد أنكر بعض الناس قراءة من قرأه بالضم فقال أى ملك كان يومئذ لبنى اسرائيل وانما كانوا بمصر مستضعفين فاغفل معنى القوم وذهب غير مرادهم ذهابا بعيدا وقارئو ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذى ظنه هذا المنكر عليهم ذلك وانما قصدوا الى أن معناه ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردها عما أتت لان هواها غلبنا على اخلافك الموعد وقوله ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم يقول ولكنا حملنا أثقالا وأحمالا من زينة القوم يعنون من حلى آل فرعون وذلك ان بنى اسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر بأمر الله اياه بذلك أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم وقال ان الله مغنمكم ذلك ففعلوا واستعاروا من حلى نسائهم وأمتعتهم فذلك قولهم لموسى حين قال لهم أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فهو ما كان مع بنى اسرائيل من حلى آل فرعون يقول خطؤنا بما أصبنا من حلى عدونا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أوزارا من زينة القوم قال أثقالا وقوله من زينة القوم قال هى الحلى التى استعاروا من آل فرعون فهى الاثقال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولكنا حملنا أوزارا قال أثقالا من زينة القوم قال حليهم حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم يقول من حلى القبط حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم قال الحلى الذى استعاروه والثياب ليست من الذنوب فى شئ لو كانت الذنوب كانت

المستحق للعبادة والتعظيم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما تقدم مثله فى الانعام قال مقاتل أى يعلم من يعبده وحين فرغ من قصة موسى شرع فى تثبيت رسولنا صلى الله عليه وسلم فقال (١٣٢) كذلك أى نحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون والسامرى نقص عليك من سائر أخبار الرسل مع أممهم تكثيرا لمعجزاتك ثم عظم شأن القرآن بقوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا أى ما ذكر فيه كل ما يحتاج اليه المكلف فى دينه وفى دنياه والوزر العقوبة الثقيلة التى تنقض ظهر صاحبها أو المراد جزاء الوزر وهو الاثم خالدين فيه أى فى ذلك الوزر أو فى احتماله وساء فيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف للقرينة أى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ويجوز أن يكون ساء بمعنى قبح ويكون فيه ضمير الوزر وانتصب حملا على التمييز ولهم حال من حملا ولا أدرى لم أنكره صاحب الكشاف اللهم الا أن يمنع وقوع الحال من التمييز وفيه نظر قال ابن السكيت الحمل بالفتح ما كان فى بطن أو على رأس شجرة وبالكسر ما كان على ظهر أو رأس وفى الصور قولان أشهرهما انه القرن يؤيده قوله فاذا نقر فى الناقور وانه تعالى يعرف أمور الآخرة بأمثال ما شوهد فى الدنيا ومن عادة الناس النفخ فى البوقات عند الاسفار وفى العساكر فجعل الله تعالى النفخ فى تلك الآلة علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات وأقربهما من المعقول ان الصور جمع صورة يؤكده قراءة من قرأ بفتح الواو يقال صورة وصور كدرة ودرر والنفخ نفخ الروح فيها ولكنه يرد عليه ان النفخ يتكرر لقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى والاحياء لا يتكرر بعد الموت الاماثبت من سؤال القبر وليس هو بمراد من النفخة الاولى بالاتفاق ونحشر المجرمين عن ابن عباس هم الذين اتخذوا مع الله الها آخر وقالت المعتزلة هم الكفار والعصاة وفى الزرق وجوه قال الضحاك ومقاتل ان الزرقة أبغض شئ من ألوان

حملناها

العيوب الى العرب لان الروم أعداؤهم وانهم زرق العيون ومن كلامهم في صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين وقال الكلبي زرقا أي عميا قال الزجاج يخرجون بصراء في أول أمرهم لقوله ليوم تشخص فيه الابصار ولقوله اقرأ كتابك ثم يؤول

حملناها تحملها فليست من الذنوب في شيء * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض المكيين حملنا بضم الحاء وتشديد الميم بمعنى ان موسى يحملهم ذلك وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكيين حملنا بتخفيف الحاء والميم وفتحها بمعنى انهم حملوا ذلك من غير ان يكلفهم حمله أحد * قال أبو جعفر والقول عندي في ذلك انهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى لان القوم حملوا وان موسى قد أمرهم بحمله فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب وقوله فقذفناها يقول فالقيناها تلك الاوزار من زينة القوم في الحفرة فكذلك ألقى السامري فكما قذفنا نحن تلك الاثقال فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فقذفناها قال فالقيناها فكذلك ألقى السامري كذلك صنع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقذفناها قال فالقيناها فكذلك ألقى السامري فكذلك صنع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقذفناها أي فنبذناها وقوله فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار يقول فأخرج لهم السامري مما قذفوه ومما ألقاه عجلا جسدا له خوار ويعني بالخوار الصوت وهو صوت البقر ثم اختلف أهل العلم في كيفية اخراج السامري العجل فقال بعضهم صاغه صياغة ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرئيل في فمه فخار ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فكذلك ألقى السامري قال كان الله وقت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فلما مضت الثلاثون قال عدو الله السامري انما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم فهلموا وكانت حليا تعيروها من آل فرعون فساروا وهي معهم فقذفوها اليه فصورها صورة بقرة وكان قد صر في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرئيل فقذفها مع الحلي والصورة فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فجعل يخور خوار البقر فقال هذا الهكم واله موسى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامري انما احتبس عليكم لاجل ما عندكم من الحلي وكانوا استعاروا حليا من آل فرعون فجمعوه فأعطوه السامري فصاغ منه عجلا ثم أخذ القبضة التي قبض من أثر الفرس فرس الملك فنبذها في جوفه فاذا هو عجل جسد له خوار قالوا هذا الهكم واله موسى ولكن موسى نسي ربه عندكم * وقال آخرون في ذلك بما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أخذ السامري من تربة الحافر حافر فرس جبرئيل فانطلق موسى واستخلف هرون على بني اسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة فأتمها الله بعشر قال لهم هرون يا بني اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم وان حلي القبط انما هو غنيمة فاجمعوها جميعا فاحفروا لها حفرة فادفنوها فان جاء موسى فأحلها أخذتموها والا كان شيأ لم تأكلوه فجمعوا ذلك الحلي في تلك الحفرة فجاء السامري بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحلي عجلا جسدا له خوار وعدت بنو اسرائيل موعد موسى فعدوا الليلة يوما واليوم يوما فلما كان لعشرين خرج لهم العجل فلما رأوه قال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فنسي فعكفوا عليه يعبدونه وكان يخور ويمشي فكذلك ألقى السامري ذلك حين قال لهم هرون احفروا لهذا الحلي حفرة واطرحوه فيها فطرحوه فقذف السامري تربته وقوله فقال هذا الهكم واله موسى يقول فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل هذا معبودكم ومعبود موسى وقوله فنسي يقول فضل وترك ثم اختلف أهل التأويل في قوله فنسي من

حالهم الى العمى وان حدقة من يذهب نور بصره تزرق وقيل زرقا أي عطاشا كقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فكأنهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حكاه ثعلب عن ابن الاعرابي يتخافتون يتسارون بينهم من شدة خوفهم أولان صدورهم امتلأت رعبا وهؤلاء يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لانها أيام سرورهم وهن قصار واما لانها قد انقضت والذاهب قليل وان طال ولا سيما بالنسبة الى الابد السرمدي كان ظنيهم يقول قدر لبثنا في الدنيا بالقياس الى لبثنا في الآخرة كعشرة أيام فقال أعقلهم بل كاليوم الواحد وانما قال عشرا لان المراد عشر ليال وقال مقاتل أراد عشر ساعات أي بعض يوم وعلى هذا فافضلهم ردعليهم استقصارهم وتقالهم وقيل المراد لبثهم في القبور قال أهل النظم كأن سائلا سأل كيف يصح التخافت بين المجرمين والجبال حاملة مانعة فلذلك قال ويسألونك عن الجبال وقال الضحاك ان مشركي مكة قالوا على سبيل الاستهزاء يا محمد كيف يكون حال الجبال يوم القيامة فنزلت ويحتمل أن يكون هذا جواب شبهة تمسك بها منكرو البعث منهم جالينوس زعم ان الافلاك لا تفنى لانها لو فنيت لابتدأت بالنقصان حتى تنتهي الى البطلان وكذا الجبال وغيرها من الاجرام الكلية فامر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يبين لهم هذه المسألة الاصولية من غير تأخير ولهذا أدخل فاء التعقيب في الجواب والنسف القلع وقال الخليل التطيير والاذهاب كأنه يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها وحاصل الجواب ان كل بطلان لا يلزم أن يكون ذبوليا بل قد يكون دفعيا والضمير في فيذرها للمضاف المحذوف أي فيدع مقارها ومراكزها

قائله ومن الذى وصف به وما معناه فقال بعضهم هذا من الله خبر عن السامرى والسامرى هو الموصوف به وقالوا معناه انه ترك الدين الذى بعث الله به موسى وهو الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقول الله فنسى أى ترك ما كان عليه من الاسلام يعنى السامرى * وقال آخرون بل هذا خبر من الله عن السامرى انه قال لبنى اسرائيل وانه وصف موسى بانه ذهب يطلب ربه فاضل موضعه وهو هذا العجل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فقذفناها يعنى زينة القوم حين أمرنا السامرى لما قبض قبضة من أثر جبرائيل عليه السلام فالقى القبضة على حليهم فصار عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى الذى انطلق يطلبه فنسى يعنى نسى موسى ضل عنه فلم يهتد له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنسى يقول طلب هذا موسى فخالفه الطريق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فنسى يقول قال السامرى موسى نسى ربه عندكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فنسى موسى قال هم يقولونه أخطأ الرب العجل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال نسى موسى أخطأ الرب العجل قوم موسى يقولونه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فنسى يقول ترك موسى الهه ههنا وذهب يطلبه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذا الهكم واله موسى فنسى قال يقول فنسى حيث وعده ربه ههنا ولكنه نسى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله هذا الهكم واله موسى فنسى يقول نسى موسى ربه فاخطأه وهذا العجل اله موسى * قال أبو جعفر والذى هو أولى بتأويل ذلك القول الذى ذكرناه عن هؤلاء وهو ان ذلك خبر من الله عز ذكره عن السامرى انه وصف موسى بانه نسى ربه وان ربه الذى ذهب يريده هو العجل الذى أخرجه السامرى لاجماع الحجة من أهل التأويل عليه وانه عقيب ذكر موسى وهو أن يكون خبرا من السامرى عنه بذلك أشبه من غيره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) يقول تعالى ذكره موبخا عبدة العجل والقائلين له هذا الهكم واله موسى فنسى وعابهم بذلك وسفه أحلامهم بما فعلوا وقالوا منه أفلا يرون ان العجل الذى زعموا انه الههم واله موسى لا يكلمهم وان كلموه لم يرد عليهم جوابا ولا يقدر على ضر ولا نفع فكيف يكون ما كانت هذه صفته الها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا يرجع اليهم قولا العجل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا قال العجل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله أفلا يرون ألا يرجع اليهم ذلك العجل الذى اتخذوه قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقوله قال لهم هرون من قبل رجوع موسى اليهم وقيله لهم ما قال مما أخبر الله عنه انما فتنتم به يقول انما اختبر الله ايمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل الذى أحدث فيه الخوار ليعلم به الصحيح الايمان منكم من المريض القلب الشاك فى دينه كما

حدثنى

وهو الارض العلم بها كقوله ما ترك على ظهرها والقاع المستوى من الارض وقيل المكان المطمئن وقيل مستنقع الماء والصفصف الارض الملساء المستوية وقيل التى لا نبات فيها والامت الشىء اليسير وقيل التلال الصغار قالوا العوج بالكسر فى المعانى وكأنه سبحانه نفى العوج الذى يدق عن الاحساس ولا يدرك الا بالقياس الهندسى واذا كان هذا النوع من العوج الاعتبارى منتفيا فكيف بالعوج الحسى وقد يستدل بالآية على أن الارض يومئذ تكون كرة حقيقية اذ لو كانت مضلعة وقعت بين الاضلاع فصول مشتركة فيعوج الامتداد القائم عليها هنالك ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بان الخلائق فيه يتبعون الداعى قيل هو النفخ فى الصور وقوله لا عوج له أى لا يعدل عن أحد بدعائه بل يحشر الكل وقيل ان اسرافيل أو ملكا آخر يقوم على صخرة بيت المقدس ينادى أيها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومى الى ربك للحساب والجزاء فلا يعوج له مدعو بل يتبعون صوته من غير انحراف وخشعت الاصوات للرحمن خفضت من شدة الفزع فلا تسمع أيها السامع الا همسا وهو الصوت الخفى وذلك ان الجن والانس علموا ان لا مالك لهم سواه وحق لمن كان الله محاسبه أن يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمه وعن ابن عباس والحسن وعكرمة وابن زيد الهمس وطء الاقدام الى المحشر قوله الا من أذن له الرحمن يصلح أن يكون من منتصبا على المفعولية وأن يكون مرفوعا على البدلية بتقدير حذف المضاف أى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن ورضى له أى لاجله قولا قال الامام فخر الدين الرازى الاحتمال الاول أولى لعدم التزام الاضمار ولان درجة الشافع درجة عظيمة فلا تصلح ولا تحصل الا لمن أذن فيها وكان عند الله مرضيا فلو حملنا الآية على ذلك كان من ايضاح الواضحات بخلاف ما لو حملت على المشفوع وأقول الاحتمالان متقاربان متلازمان

لان المشفوع لا تقبل الشفاعة في حقه الا اذا أذن الرحمن لاجله فيعود الى الثاني قالت المعتزلة الفاسق غير مرضي عند الله تعالى فوجب أن لا ينتفع بشفاعة الرسول وأجيب بانه قد رضي لاجله قولا واحدا من أقواله وهو كلمة الشهادة قالوا هب ان الفاسق قد رضي

حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لهم هرون انما فتنتم به يقول انما ابتليتم به يقول بالعجل وقوله وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري يقول وان ربكم الرحمن الذي يعم جميع الخلق نعمه فاتبعوني على ما آمركم به من عبادة الله وترك عبادة العجل وأطيعوا أمري فيما آمركم به من طاعة الله واخلاص العبادة له وقوله قالوا لن نبرح عليه عاكفين يقول قال عبدة العجل من قوم موسى لن نزال على العجل مقيمين نعبده حتى يرجع الينا موسى ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي) يقول تعالى ذكره قال موسى لاخيه هرون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعته اياهم على ما كان من خطأ فعلهم ياهرون أي شيء منعك اذ رأيتهم ضلوا عن دينهم فكفروا بالله وعبدوا العجل ألا تتبعني * واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عذل موسى عليه أخاه من تركه اتباعه فقال بعضهم عذله على تركه السير بمن أطاعه في أثره على ما كان عهد اليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن حكيم بن جبير عن ابن عباس قال لما قال القوم لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى أقام هرون فيمن تبعه من المسلمين ممن لم يفتتن وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي وكان له هائبا مطيعا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن قال تدعهم * وقال آخرون بل عذله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني قال أمر موسى هرون أن يصلح ولا يتبع سبيل المفسدين فذلك قوله ألا تتبعني أفعصيت أمري بذلك وقوله قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وفي هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه وهو ثم أخذ موسى بلحية أخيه هرون ورأسه يجره اليه فقال هرون يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقوله اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم الذي خشيه هرون فقال بعضهم كان هرون خاف أن يسير بمن أطاعه وأقام على دينه في أثر موسى ويخلف عبدة العجل وقد قالوا له لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فيقول له موسى فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي بسيرك بطائفة وتركك منهم طائفة وراءك ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله تعالى ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال خشيت أن يتبعني بعضهم ويتخلف بعضهم * وقال آخرون بل معنى ذلك خشيت أن نقتتل فيقتل بعضنا بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال كنا نكون فرقتين فيقتل بعضنا بعضا حتى نتفانا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب القول الذي قاله ابن عباس من ان موسى عذل أخاه هرون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الايمان فقال له هرون اني خشيت أن تقول فرقت بين جماعتهم فتركت بعضهم وراءك وجئت ببعضهم وذلك بين في قول هرون للقوم يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري وفي جواب القوم له وقيلهم لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وقوله ولم ترقب قولي يقول ولم تنظر قولي وتحفظه من مراقبة الرجل الشيء وهي

الله قولا لاجله فلم قلتم ان الاذن حاصل للشافع في حقه والجواب أنا أيضا نمنع من أن الاذن غير حاصل في حقه على انه قال في موضع آخر ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلم يعتبر الا أحد القيدين ثم أخبر عن نهاية علمه بقوله يعلم ما بين أيديهم الضمير للذين يتبعون الداعي أي يعلم ما يقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلومه علما وقال الكلبي ومقاتل الضمير للشافعين من الملائكة والانبياء كما مر في آية الكرسي وفيه تقريع لمن يعبد الملائكة ليشفعوا له أي يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان منهم بعد خلقهم من أمر الآخرة والثواب والعقاب وانهم لا يعلمون شيأ من ذلك فكيف يصلحون للمعبودية ثم ذكر غاية قدرته وعنت الوجوه أي ذلت رقاب الممكنات منقادة لامره كالاسارى عنا يعنو عنوا اذا صار أسيرا وقيل أراد وجوه العصاة في القيامة كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ولعله خص الوجوه بالذكر لان أثر الذل والانكسار فيها أبين وأظهر قال جار الله وقد خاب وما بعده اعتراض أي كل من ظلم فهو خائب خاسر ولاهل السنة أن يخصوا الظلم ههنا بالشرك أو يعارضوا هذا العموم بعمومات الوعد ومن قرأ فلا يخاف بالرفع فعلى الاستئناف أي فهو لا يخاف كقوله فينتقم الله منه ومن قرأ فلا يخف فمعناه فليأمن لان النهي عن الخوف أمر بالامن ومن فسر الظلم بانه الاخذ فوق حقه والهضم النقص من حقه كصفة المطففين فيقدر مضافا محذوفا أي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم ومن فسر الظلم بانه العقاب لا على جريمة والهضم بانه النقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف قال أبو مسلم الظلم أن ينقص من

الثواب والهضم أن لا يوفى حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه التعظيم قال جار الله وكذلك عطف على
قوله كذلك نقص أي ومثل ذلك الانزال وعلى نهجه وكما أنزلنا عليك هؤلاء المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله عربيا لان

مناظرته بحفظه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن
عباس ولم ترقب قولي قال لم تحفظ قولي ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال فما خطبك
يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي)
يعني تعالى ذكره بقوله فما خطبك يا سامري قال موسى للسامري فما شأنك يا سامري وما الذي
دعاك الى ما فعلت كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فما خطبك
يا سامري قال ما أمرك ما شأنك ما هذا الذي أدخلك فيما دخلت فيه حدثنا موسى قال ثنا
عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال ما خطبك يا سامري قال مالك يا سامري وقوله قال بصرت
بما لم يبصروا به يقول قال السامري علمت ما لم يعلموه وهو فعلت من البصيرة أي صرت بما علمت بصيرا
عالما ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال
لما قتل فرعون الولدان قالت أم السامري لو نحيته عني حتى لا أراه ولا أدري قتله فجعلته في غار فأتى
جبرئيل فجعل كف نفسه في فيه فجعل يرضعه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه فمن ثم
معرفته اياه حين قال فقبضت قبضة من أثر الرسول * وقال آخرون هي بمعنى أبصرت ما لم يبصروه
وقالوا يقال بصرت بالشيء وأبصرته كما يقال أسرعت وسرعت ما شئت * ذكر من قال هو بمعنى
أبصرت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال بصرت بما لم يبصروا به يعني
فرس جبرئيل صلى الله عليه وسلم وقوله فقبضت قبضة من أثر الرسول يقول قبضت قبضة من أثر
حافر فرس جبرئيل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال لما قذفت بنو اسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار وتكسرت ورأى
السامري أثر فرس جبرئيل صلى الله عليه وسلم فأخذ ترابا من أثر حافره ثم أقبل الى النار فقذفه فيها
وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان للبلاء والفتنة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال
ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال قبض قبضة من أثر جبرئيل فألقى القبضة على
حليهم فصار عجلا جسدا له خوار فقال هذا الهكم واله موسى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو
عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد في قول الله فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها قال من تحت حافر فرس جبرئيل
نبذه السامري على حلية بني اسرائيل فانسبك عجلا جسدا له خوار حفيف الريح فيه فهو خواره
والعجل ولد البقرة * واختلف القراء في قراءة هذين الحرفين فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة
بصرت بما لم يبصروا به بالياء بمعنى قال السامري بصرت بما لم يبصر به بنو اسرائيل وقرأ ذلك عامة
قراء الكوفة بصرت بما لم تبصروا به بالتاء على وجه المخاطبة لموسى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمعنى
قال السامري لموسى بصرت بما لم تبصر به أنت وأصحابك والقول في ذلك عندي انهما قراءتان
معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع صحة معنى كل واحدة منهما وذلك انه جائز
أن يكون السامري رأى جبرئيل فكان عنده ما كان حدث نفسه بذلك أو بغير ذلك من الاسباب
ان تراب حافر فرسه الذي كان عليه يصلح لما حدث عنه حين نبذه في جوف العجل ولم يكن علم ذلك
عند موسى ولا عند أصحابه من بني اسرائيل فلذلك قال يبصروا به بالياء فلا مؤنة فيه لانه معلوم ان
بني اسرائيل لم يعلموا ما الذي يصلح له ذلك التراب وأما قوله فقبضت قبضة من أثر الرسول فان قراء
الامصار على قراءته بالضاد بمعنى فأخذت بكفي كلها ترابا من تراب أثر فرس الرسول وروى عن

الحسن

العرب أصل وغيرهم تبع لان النبي عربي وصرفنا فيه من الوعيد كررناه وفصلناه ويدخل في ضمنه الفرائض والمحارم لان الوعيد يتعلق بترك أحدهما وبفعل الآخر لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا جعل جار الله الاول على ارادة ترك المعاصي والثاني على فعل الخير والطاعة لان الذكر قد يطلق على الطاعة والعبادة قلت لا ريب ان القرآن ينفر عن السيئات ويبعث على الطاعات من حيث ان فهم معانيه تؤدي الى ذلك وانما قدم الاول على الثاني لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل أن تكون التقوى عبارة عن فعل الخيرات وترك المنكرات جميعا والذكر يكون محمولا على ضد النسيان أي ان نسوا شيئا من التروك والافعال أحدث لهم ذكرا اذا تأملوا معانيه وكلمة أو على الاول للتخيير والاباحة لا للتنافي وعلى الثاني يجوز أن تكون للتنافي وقيل أراد أنزلنا القرآن ليتقوا فان لم يحصل ذلك فلا أقل من أن يوجب القرآن لهم ذكرا أي شرفا ومنصبا كقوله وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقدير يكون في انزال القرآن نفع ثم عظم شأن القرآن من وجه آخر وهو عظمة شأن منزله قائلا فتعالى الله الملك الحق ارتفع صفاته عن صفات المخلوقين انزل القرآن ليحترزوا عما لا ينبغي وانه منزه عن الانتفاع والتضرر بطاعاتهم ومعاصيهم ومعنى الحق قد مر في
البسملة قال جار الله فيه استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه
وعقابه وغير ذلك كما يجري عليه أمر ملكوته قال أبو مسلم ان من قوله ويسألونك عن الجبال الى ههنا كلام تام وقوله ولا تعجل خطاب

الحسن البصري وقتادة ما حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن عباد ابن عوف عن الحسن انه قرأها فقبصت قبصة بالصاد يعني أخذت باصابعي من تراب أثر فرس الرسول والقبضة عند العرب الاخذ بالكف كلها والقبصة الاخذ باطراف الاصابع وقوله فنبذتها يقول فالقيتها وكذلك سولت لي نفسي يقول وكما فعلت من القائي القبضة التي قبضت من أثر الفرس على الحلية التي أوقد عليها حتى انسبك فصار عجلا جسدا له خوار سولت لي نفسي يقول زينت لي نفسي انه يكون ذلك كذلك كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وكذلك سولت لي نفسي قال كذلك حدثتني نفسي ﴿ القول في تاويل قوله تعالى ﴿قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لامساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شئ علما﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى للسامري فاذهب فان لك في أيام حياتك ان تقول لامساس أي لا أمس ولا أمس وذكر ان موسى أمر بني اسرائيل أن لا يوا كلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه فلذلك قال له ان لك في الحياة ان تقول لامساس فبقي ذلك فيما ذكر في قبيلته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان والله السامري عظيما من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع بني اسرائيل ٧ قوله فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لامساس فبقاياهم اليوم يقولون لامساس وقوله وان لك موعدا لن تخلفه * اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة لن تخلفه بضم التاء وفتح اللام بمعنى وان لك موعدا لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من اضلالك قومي حتى عبدوا العجل من دون الله لن يخلفكه الله ولكن يذيقكه وقرأ ذلك الحسن وقتادة وأبو نهيك وان لك موعدا لن تخلفه بضم التاء وكسر اللام بمعنى وان لك موعدا لن تخلفه أنت يا سامري وتأولوه بمعنى لن تغيب عنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقرأ لن تخلفه أنت يقول لن تغيب عنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان لك موعدا لن تخلفه يقول لن تغيب عنه * قال أبو جعفر والقول في ذلك عندي انهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى لانه لا شك ان الله موف وعده خلقه بحشرهم لموقف الحساب وان الخلق موافون ذلك اليوم فلا الله مخلفهم ذلك ولا هم مخلفوه بالتخلف عنه فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك وقوله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا يقول وانظر الى معبودك الذي ظلت عليه مقيما تعبده كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ظلت عليه عاكفا الذي أقمت عليه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال فقال له موسى انظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا يقول الذي أقمت عليه والعرب في ظلت لغتان الفتح في الظاء وبها قرأ قراء الامصار والكسر فيها وكأن الذين كسروا نقلوا حركة اللام التي هي عين الفعل من ظللت اليها ومن فتحها أقر حركتها التي كانت لها قبل أن يحذف منها شئ والعرب تفعل في الحروف التي فيها التضعيف ذاك فيقولون في مسست مست ومست وفي هممت بذلك همت به وهل أحست فلانا وأحسته كما قال الشاعر

خلا ان العتاق من المطايا * أحسن به فهن اليه شوس

وقوله لنحرقنه * اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق لنحرقنه بضم النون وتشديد الراء بمعنى لنحرقنه بالنار قطعة قطعة وروى عن الحسن البصري انه كان يقرأ ذلك

وجب أن يصون رسوله عن السهو والنسيان في أمر الوحي وما يتعلق بصلاح العباد في المعاش والمعاد قال ولا تعجل بالقرآن لانه حصل لك الامان من السهو والنسيان من قبل أن يقضى اليك وحيه أي من قبل أن تتم قراءة جبريل ونحوه قوله ولا تحرك به لسانك لتعجل به قاله مقاتل والسدي وابن عباس في رواية عطاء وقال مجاهد وقتادة أراد ولا تعجل بالقرآن فتقرأ على أصحابك من قبل أن يوحى اليك بيان معانيه أي لا تبلغ ما كان مجملا حتى يأتيك البيان وقال الضحاك ان أهل مكة وأسقف نجران قالوا يا محمد أخبرنا عن كذا وكذا وقد ضربنا لك أجلا ثلاثة أيام فابطأ الوحي عليه وفشت المقالة ان اليهود قد غلبوا فنزلت هذه الآية أي لا تعجل بنزول القرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبرائيل ومنه اليك وعن الحسن ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت زوجي لطم وجهي فقال بينكما القصاص فنزلت الآية فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القصاص وانما نشأت هذه الاقوال لان قوله ولا تعجل بالقرآن يحتمل التعجيل بقراءته في نفسه أو في تأديته الى غيره أو في اعتقاد ظاهره أو في تعريف الغير ما يقتضيه الظاهر وقوله من قبل أن يقضى اليك وحيه احتمل أن يراد من قبل أن يقضى اليك بتمامه أو من قبل أن يقضى اليك بيانه فقد يجوز أن

(١) يحصل عقيبه استثناء أو شرط أو غيرهما من المخصصات والمبينات ويؤكد هذه المعاني قوله وقل رب زدني علما لان معرفة البيان علم زائد على

لنحرقنه بضم النون وتخفيف الراء بمعنى لنحرقنه بالنار احراقة واحدة وقرأه أبو جعفر القارئ لنحرقنه بفتح النون وضم الراء بمعنى لنبردنه بالمبارد من حرقته أحرقه وأحرقه كما قال الشاعر

بذى فرفير يوم بنو حبيب * بيوتهم علينا يحرقونا

* والصواب فى ذلك عندنا من القراءة لنحرقنه بضم النون وتشديد الراء من الاحراق بالنار كما **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لنحرقنه يقول بالنار **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لنحرقنه فحرقه ثم ذراه فى اليم وانما اخترت هذه القراءة لاجماع الحجة من القراء عليها وأما أبو جعفر فانى أحسبه ذهب الى ما **حدثنا** به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ثم أخذه فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه فى اليم فلم يبق بحر يجرى يومئذ الا وقع فيه شئ منه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا قال وفى بعض القراءة لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى حرف ابن مسعود وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا وقوله ثم لننسفنه فى اليم نسفا يقول ثم لنذرينه فى البحر تذرية يقال منه نسف فلان الطعام بالمنسف اذا ذراه فطير عنه قشوره وترابه باليد أو الريح * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم لننسفنه فى اليم نسفا يقول لنذرينه فى البحر **حدثنى** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال ذراه فى اليم واليم البحر **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال ذراه فى اليم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى اليم قال فى البحر وقوله انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما يقول ما لكم أيها القوم معبود الا الذى له عبادة جميع الخلق لا تصلح العبادة لغيره ولا تنبغى أن تكون الا له وسع كل شئ علما يقول أحاط بكل شئ علما فعلمه فلا يخفى عليه منه شئ ولا يضيق عليه علم جميع ذلك يقال منه فلان يسع لهذا الامر اذا أطاقه وقوى عليه ولا يسع له اذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه وكان قتادة يقول فى ذلك ما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسع كل شئ علما يقول ملأ كل شئ علما تبارك وتعالى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بنى اسرائيل مع موسى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق يقول كذلك نخبرك بأنباء الاشياء التى قد سبقت من قبلك فلم تشاهدها ولم تعاينها وقوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يتذكر به ويتعظ به أهل العقل والفهم وهو هذا القرآن الذى أنزله الله عليه فجعله ذكرى للعالمين وقوله من أعرض عنه يقول تعالى ذكره من ولى عنه فادبر فلم يصدق به ولم يقر فانه يحمل يوم القيامة وزرا يقول فانه يأتى ربه يوم القيامة يحمل حملا ثقيلا وذلك الاثم العظيم كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يوم القيامة وزرا قال اثما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال

معرفة الاجمال والظاهر أن هذا الاستعجال كان أمر اجتهاديا وكان الاولى تركه فلذلك نهى عنه قال جار الله هذا الامر متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم أى علمتنى يارب لطيفة فى باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندى فزدنى علما الى علم ومن فضائل العلم ان النبى صلى الله عليه وسلم ما أمر بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم وفيه اشارة الى أن أسرار القرآن غير متناهية اللهم ان هذا العبد الضعيف معترف بقصوره ونقصانه فاسألك بما سألك به نبيك ان ترزقنى بتبعيته علما ينفعنى فى الدارين * التأويل ولقد أوحينا الى موسى القلب أن أسر بعبادى وهم صفات القلب من الاخلاق الحميدة سر بهم من مصر البشرية الى بحر الروحانية فاضرب لهم بعصا الذكر طريقا يبسا من ماء الهوى وطين الصفات الحيوانية وباقى التأويل كما مر فى يونس ونزلنا عليكم من صفاتنا وسلوى أخلاقنا فاتصفوا بطيبات أخلاقنا ولا تطغوا فيه بافشاء أسرار الربوبية الى غيرنا كمن قال أنا الحق وسبحانى فان الحالات لا تصلح للمقالات وانى لغفار لمن رجع عن الطغيان وآمن بالربوبية وعمل صالحا فى مقام العبودية ثم اهتدى فتحقق ان حضرة الربوبية منزهة عن دنس الوهم والخيال ومقام الوصال مباين للقيل والقال وعلمت اليك فيه ان الشوق اذا غلب انقطع العلائق وان مطلوب السائل لا ينبغى أن يكون الا رضا الله قد فتنا قومك من بعدك فيه ان فتنة الامة والمريد مقرونة بالنبى والشيخ بملكنا أى بارادتنا ومشيئتنا ولكن بارادة الله ومشيئته فكذلك ألقى السامرى من غير اختيار منه ولكن باضطرار من القدر يا ابن أم قيل خاطبه بذلك ليذكره قول الملائكة يا ابن النساء الحيض ما للتراب ورب الارباب فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها فيه ان الكرامة لاهل الكرامة كرامة ولاهل الغرامة استدراج وفتنة فيصرفونها فى الباطل

قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا) يقول تعالى ذكره خالدين في وزرهم فأخرج الخبر جل ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره في الدنيا انهم خالدون في أوزارهم والمعنى انهم خالدون في النار بأوزارهم ولكن لما كان معلوما المراد من الكلام اكتفى بما ذكر عما لم يذكر وقوله وساء لهم يوم القيامة حملا يقول تعالى ذكره وساء ذلك الحمل والثقل من الاثم يوم القيامة حملا وحق لهم أن يسوءهم ذلك وقد أوردهم مهلكة لا منجى منها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وساء لهم يوم القيامة حملا يقول بئسما حملوا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وساء لهم يوم القيامة حملا يعني بذلك ذنوبهم وقوله يوم ينفخ في الصور يقول تعالى ذكره وساء لهم يوم القيامة يوم ينفخ في الصور فقوله يوم ينفخ في الصور رد على يوم القيامة وقد بينا معنى النفخ في الصور وذكرنا اختلاف المختلفين في معنى الصور والصحيح في ذلك من القول عندنا بشواهده المغنية عن اعادته في هذا الموضع قبل * وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار يوم ينفخ في الصور بالياء وضمها على ما لم يسم فاعله بمعنى يوم يأمر الله اسرافيل فينفخ في الصور وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ ذلك يوم ننفخ في الصور بالنون بمعنى يوم ننفخ نحن في الصور وكأن الذي دعاه الى قراءة ذلك كذلك طلبه التوفيق بينه وبين قوله ونحشر المجرمين اذ كان لا خلاف بين القراء في نحشر انها بالنون * قال أبو جعفر والذي أختار في ذلك من القراءة يوم ينفخ بالياء على وجه ما لم يسم فاعله لان ذلك هو القراءة التي عليها قراء الامصار وان كان للذي قرأ أبو عمرو وجه غير فاسد وقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يقول تعالى ذكره ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ الى موقف القيامة زرقا فقيل عني بالزرق في هذا الموضع ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأي العين من الزرق وقيل أريد بذلك انهم يحشرون عميا كالذي قال الله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وقوله يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا يقول تعالى ذكره يتهامسون بينهم ويسر بعضهم الى بعض ان لبثتم في الدنيا يعني انهم يقول بعضهم لبعض ما لبثتم في الدنيا الا عشرا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يتخافتون بينهم يقول يتسارون بينهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يتخافتون بينهم أي يتسارون بينهم ان لبثتم الا عشرا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما) يقول تعالى ذكره نحن أعلم منهم عند اسرارهم وتخافتهم بينهم بقيلهم ان لبثتم الا عشرا بما يقولون لا يخفى علينا مما يتسارونه بينهم شيء اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما يقول تعالى ذكره حين يقول أوفاهم عقلا وأعلمهم فيهم ان لبثتم في الدنيا الا يوما * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن شعبة في قوله اذ يقول أمثلهم طريقة يقول أعلمهم في أنفسهم ان لبثتم الا يوما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله أمثلهم طريقة أوفاهم عقلا وانما عنى جل ثناؤه بالخبر عن قيلهم هذا القول يومئذ اعلام عباده ان أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة وشدة جزعهم

والطبيعة لا الى الحق والحقيقة قوله لا مساس فيه معارضة بنقيض مقصود من أراد الجفية والغلبة واتباع الناس اياه فعذب بأن عرد والتوحش والنفار عن الخلق زرقا ان الوجه أشرف أعضاء الانسان والعين أشرف أعضاء الوجه وزرق العين دلالة على خروجها عن الاعتدال واذا كان أشرف الاعضاء خارجا عن الاعتدال فما ظنك بغيرها وكذا بالاخلاق التابعة للامزجة وعنت الوجوه أي كل جهة بها يستند الممكن الى الواجب يتبعون الداعي لان كل ناس تدعى بامامهم فيتبعونه البتة وأهل الله لا يفرون الا الى الله في قوله والله يدعوا الى دار السلام وعلى الله المستعان (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمؤ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لأولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة

من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه في الدنيا من النعيم واللذات ومبلغ ما عاشوا فيها من الازمان حتى يخيل الى أعقلهم فيهم وأذكرهم وأفهمهم انهم لم يعيشوا فيها الا يوما القول في تأويل قوله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) يقول تعالى ذكره ويسألك يا محمد قومك عن الجبال فقل لهم ينذريها ربي تذرية ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها ودك بعضها على بعض وتصييره اياها هباء منبثا فيذرها قاعا صفصفا يقول تعالى ذكره فيدع أماكنها من الارض اذا نسفها نسفا قاعا يعني أرضا ملساء صفصفا يعني مستويا لا نبات فيه ولا نشز ولا ارتفاع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قاعا صفصفا يقول مستويا لا نبات فيه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فيذرها قاعا صفصفا قال مستويا الصفصف المستوي حدثني يونس قال أخبرنا عبد الله بن يوسف قال ثنا عبد الله بن لهيعة قال ثنا أبو الاسود عن عروة قال كنا قعودا عند عبد الملك حين قال كعب ان الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة فقال كذب كعب انما الصخرة جبل من الجبال ان الله يقول ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فسكت عبد الملك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله صفصفا قال مستويا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول القاع مستنقع الماء والصفصف الذي لا نبات فيه وقوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يقول لا ترى في الارض عوجا ولا أمتا * واختلف أهل التأويل في معنى العوج والامت فقال بعضهم عني بالعوج في هذا الموضع الاودية وبالامت الروابي والنشوز ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يقول واديا ولا أمتا يقول رابية حدثني محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا أبو عامر العقدي عن عبد الواحد بن صفوان مولى عثمان قال سمعت عكرمة قال سئل ابن عباس عن قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال هي الارض البيضاء أو قال الملساء التي ليس فيها لبنة مرتفعة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عوجا انخفاض وأمتا قال ارتفاعا ولا انخفاضا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال لا تعادي الامت التعادي * وقال آخرون بل عني بالعوج في هذا الموضع الصدوع وبالامت الارتفاع من الآكام وأشباهها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا ترى فيها عوجا قال صدعا ولا أمتا يقول ولا أكمة * وقال آخرون عني بالعوج الميل وبالامت الاثر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يقول لا ترى فيها ميلا والامت الاثر مثل الشراك * وقال آخرون الامت المحاني والاحداب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الامت الحدب * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بالعوج الميل وذلك ان ذلك هو المعروف في كلام العرب فان قال قائل وهل في الارض اليوم من عوج فيقال لا ترى فيها يومئذ عوجا قيل ان معنى ذلك ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن

الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى) القراآت وانك بالكسر أبو بكر وحماد والخراز ونافع الباقون بالفتح عطفا على أن لا تجوع ولا يلزم منه دخول ان المكسورة على المفتوحة للفصل بالخبر ولانه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه أعمى بالامالة حمزة وعلي وخلف حشرتني بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير ترضى مبنيا للمفعول علي وأبو بكر وحماد والمفضل زهرة بفتح الهاء قتيبة وسهل ويعقوب الآخرون بسكونها وقرأ حمزة وعلي وخلف هذه السورة وكل سورة آياتك على البناء بالامالة المفرطة وان شاء بين الفتح والكسر * الوقوف عزما • الا ابليس ط أبى • فتشقى ة ولا تعرى • لمن قرأ وانك بالكسر ولا تضحى • لا تبلى • الجنة ز لنوع عدول عن ذكر حال اثنين الى بيان فعل من هو المقصود فغوى ص وهدى • عدوج لابتداء الشرط مع الفاء ولا يشقى • يوم القيامة أعمى • بصيرا • فنسيتها ج لعطف المختلفتين تنسى • بآيات ربه ط وأبقى • مساكنهم ط النهى • مسمى • ط غروبها ج لعطف الجملتين مع اختلاف النظم ترضى • لنفتنهم فيه ط وأبقى • عليها ط رزقا ط نرزقك ط للتقوى • من ربه الاولى • ونخزى • فتربصوا ج لسين التهديد مع الفاء اهتدى • * التفسير في تعلق قصة آدم بما قبلها وجوه منها الاخذ

انه لما قال كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ثم عظم شأن القرآن وبالغ فيه ذكر هذه القصة انجازا للوعد ومنها انه لما قال وصرفنا

الاخذ على الاستقامة كما يحتاج اليوم من أخذ فى بعض سبلها الى الاخذ أحيانا يمينا وأحيانا شمالا لما فيها من الجبال والاودية والبحار وأما الامت فانه عند العرب الانثناء والضعف مسموع منهم مد حبله حتى ما ترك فيه أمتا أى انثناء وملاسقاه حتى ما ترك فيه أمتا ومنه قول الراجز

* ما فى انجذاب سيره من أمت * يعنى من وهن وضعف فالواجب اذا كان ذلك معنى الامت عندهم أن يكون أصوب الاقوال فى تأويله ولا ارتفاع ولا انخفاض لان الانخفاض لم يكن الا عن ارتفاع فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام لا ترى فيها ميلا عن الاستواء ولا ارتفاعا ولا انخفاضا ولكنها مستوية ملساء كما قال جل ثناؤه قاعا صفصفا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا) يقول تعالى ذكره يومئذ يتبع الناس صوت داعى الله الذى يدعوهم الى موقف القيامة فيحشرهم اليه لا عوج له يقول لا عوج لهم عنه ولا انحراف ولكنهم سراعا اليه يحشرون وقيل لا عوج له والمعنى لا عوج لهم عنه لان معنى الكلام ما ذكرنا من أنه لا يعوجون له ولا عنه ولكنهم يؤمونه ويأتونه كما يقال فى الكلام دعانى فلان دعوة لا عوج لى عنها أى لا أعوج عنها وقوله وخشعت الاصوات للرحمن يقول تعالى ذكره وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الاصوات بالخشوع والمعنى لاهلها انهم خضع جميعهم لربهم فلا تسمع لناطق منهم منطقا الا من أذن له الرحمن كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وخشعت الاصوات للرحمن يقول سكنت وقوله فلا تسمع الا همسا يقول انه وطء الاقدام الى المحشر وأصله الصوت الخفى يقال همس فلان الى فلان بحديثه اذا أسره اليه وأخفاه ومنه قول الراجز

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

يعنى بالهمس صوت اخفاف الابل فى سيرها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا على بن عابس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فلا تسمع الا همسا قال وطء الاقدام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يعنى همس الاقدام وهو الوطء حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فلا تسمع الا همسا يقول الصوت الخفى حدثنا اسمعيل بن موسى السدى قال أخبرنا شريك عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن عكرمة فلا تسمع الا همسا قال وطء الاقدام حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا حماد عن حميد عن الحسن فلا تسمع الا همسا قال همس الاقدام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا تسمع الا همسا قال قتادة كان الحسن يقول وقع أقدام القوم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فلا تسمع الا همسا قال تهافتا وقال تخافت الكلام حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله همسا قال خفض الصوت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال خفض الصوت قال وأخبرنى عبد الله بن كثير عن مجاهد قال كلام الانسان لا تسمع تحرك شفتيه ولسانه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلا تسمع الا همسا يقول لا تسمع الا مشيا قال المشى الهمس وطء الاقدام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم ما بين أيديهم وما

فيه من الوعيد أردفه بهذه القصة ليعلم ان طاعة بنى آدم الشيطان أمر قديم وخلة موروثة وذلك انه عهد الى آدم من قبل هؤلاء الذين صرف لاجلهم الوعيد فنسى وترك العهد ومنها ان قوله ولا تعجل بالقرآن دليل على انه صلى الله عليه وسلم زاد على قدر الواجب فى رعاية أمر الدين وكان مفرطا فى أداء الرسالة وحفظ ما أمر به فناسب أن يعطف عليه قصة آدم لانه كان موسوما بالتفريط والافراط والتفريط كلاهما من باب ترك الاولى واذا كان أول الانبياء وخاتمهم موصوفين بما فيه نوع تقصير فما ظنك بغيرهما ومن هنا يعرف أفضلية الخاتم فانه سعى فى طلب الكمال الى ان عوتب بالخروج عن حد الاعتدال وآدم توسط فى حيز النقصان فلا جرم وسم بالظلم والعصيان ومنها ان محمدا صلى الله عليه وآله أمر بان يقول رب زدنى علما ثم ذكر عقيبه قصة آدم تنبيها على ان بنى آدم مفتقرون فى جميع أحوالهم الى التضرع والالتجاء الى الله حتى ينفتح عليهم أبواب التيسير فى العلم والعمل ومعنى عهدنا الى آدم أمرناه ووصينا من قبل أى من قبل محمد والقرآن وفى النسيان قولان أحدهما انه نقيض الذكر عن الحسن والله ما عصى قط الا بنسيان والثانى ان معناه الترك وعلى هذا يحتمل أن يقال أقدم على الاكل من غير تأويل وان يقال أقدم عليه بتأويل قدمر فى البقرة قال أهل الاشارة عهد اليه ان لا يتعلق نوره فانقاد للشيطان وهو النسيان والعزم أيضا فيه أقوال أحدها عزما على الذنب لانه أخطأ ولم يتعمد وثانيها عزما فى العود الى الذنب ثانيا وثالثها أيا وصبرا أى لم يكن من أهل العزيمة والثبات اذ كان من حقه أن يتصلب فى المأمور به تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل قال جار الله قوله ولم نجد له يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه عزما وأن يكون بمعنى نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما قوله واذ قلنا للملائكة سلف فى البقرة مستقصى قوله ان هذا عدو لك ذكروا فى سبب عداوته اياه انه كان حاسدا طالبا

لقوله وعلم آدم الاسماء كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه أثبت فضله بفضيلة أصله والشيخ الجاهل أبدا يكون عدوا الشاب العالم وأيضا الماء والتراب مضاد للنار فلا يخرجنكما فلا يكون

سببا لاخراجكما لان الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه فتشقى فتتعب في طلب القوت

خلفهم ولايحيطون به علما) يقول تعالى ذكره يومئذ لاتنفع الشفاعة الاشفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع ورضي له قولا وأدخل في الكلام له دليلا على اضافة القول الى كناية من وذلك كقول القائل لآخر رضيت لك عملك ورضيته منك وموضع من من قوله الا من أذن له نصب لانه خلاف الشفاعة وقوله يعلم مابين أيديهم وماخلفهم يقول تعالى ذكره يعلم ربك يامحمد مابين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة وما الذي يصيرون اليه من الثواب والعقاب وما خلفهم يقول ويعلم ماخلفوه وراءهم من أمر الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يعلم مابين أيديهم من أمر الساعة وماخلفهم من أمر الدنيا وقوله ولايحيطون به علما يقول تعالى ذكره ولايحيط خلقه به علما ومعنى الكلام انه محيط بعباده علما ولايحيط عباده به علما وقد زعم بعضهم ان معنى ذلك ان الله يعلم مابين أيدي ملائكته وماخلفهم وان ملائكته لايحيطون علما بما بين أيدي أنفسها وماخلفها وقال انما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة ان الملائكة كذلك لاتعلم مابين أيديها وماخلفها موبخهم بذلك ومقرعهم بأن من كان كذلك فكيف يعبد وان العبادة انما تصلح لمن لاتخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما) يقول تعالى ذكره استأسرت وجوه الخلق واستسلمت للحي الذي لايموت القيوم على خلقه بتدبيره اياهم وتصريفهم لما شاء وأصل العنو الذل يقال منه عنا وجهه لربه يعنو عنوا يعني خضع له وذل وكذلك قيل للاسير عان لذلة الاسر فاما قولهم أخذت الشيء عنوة فانه يكون وان كان معناه يؤل الى هذا أن يكون أخذه غلبة ويكون أخذه عن تسليم وطاعة كما قال الشاعر

هل أنت مطيعي أيها القلب عنوة * ولم تلح نفس لم تلم في اختيالها

(وقال آخر)

فما أخذوها عنوة عن مودة * ولكن بضرب المشرفي استقالها

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وعنت الوجوه للحي القيوم يقول ذلت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعنت الوجوه للحي القيوم يعني بعنت استسلموا الى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعنت الوجوه قال خشعت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعنت الوجوه للحي القيوم أي ذلت الوجوه للحي القيوم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال ذلت الوجوه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال قال طلق اذا سجد الرجل فقد عنى وجهه أو قال عنى حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد قال ثنا عبثر قال ثني حصين عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب في هذه الآية وعنت الوجوه للحي القيوم قال هو وضع الرجل رأسه ويديه وأطراف قدميه حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال هو وضعك جبهتك وكفيك وركبتيك وأطراف قدميك في السجود حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب في قوله وعنت الوجوه

وسائر ما يتعيش به الانسان أسند الشقاء اليه وحده مع اشتراكهما في الخروج لان الرجل أصل في باب الانفاق والكسب والمرأة تابعة له ثم بين ذلك الشقاء بقوله ان لك أن لاتجوع فيها الى آخره والظمأ العطش وتقول ضحيت للشمس بالكسر أضحى ضحاء ممدودا اذا برزت لها والمراد به الكن مع أن الجنة ليس فيها شمس حتى يتصور فيها الضحاء نفي كون هذه الامور في الجنة ليثبت حصولها في غيرها ولاريب ان أصول المتاعب في الدنيا هي الشبع والري والكسوة والكن وأما المنكوح فمشترك الا ان مؤن النكاح تختص بالدنيا وانها أيضا ترجع الى المذكورات روي انه كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الاصابع فوسوس اليه الشيطان أنهى اليه وسوسة كما مر في الاعراف بيان الوسوسة انه قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد أضافها الى الخلد وهو الخلود لان من أكل منها خلد بزعمه كما قيل حيزوم فرس الحياة لان من باشر أثره حيي وملك لايبلى أي لاينقطع ولايزول قال القاضي ليس في الظاهر انه قبل ذلك منه لانه لابد أن يحصل بين حال التكليف وحال المجازاة فصل بالموت والنبي يمتنع ان لايعلم هذا القدر وأجيب بالمنع ولو سلم فلم لايكفي الفصل بغشي أو نوم خفيف ولو سلم انه لايكفي فلم استحال أن يجهل النبي ذلك كما جهل عدم جواز الرؤية على زعمكم حين قال أرني انظر اليك ومما يدل على ان آدم قبل وسوسته قوله تعالى فأكلا بالفاء والفاء مشعر بالعلية كقول الصحابي زنى ماعز فرجم وما في الآية قد مر تفسيره في الاعراف الا قوله وعصى آدم ربه

الوجوه للحي القيوم قال وضع الجبهة والانف على الارض حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال هو السجود على الجبهة والراحتين والركبتين والقدمين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال استأسرت الوجوه للحي القيوم صاروا أسارى كلهم له قال والعاني الاسير وقد بينا معنى الحي القيوم فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله وقد خاب من حمل ظلما يقول تعالى ذكره ولم يظفر بحاجته وطلبته من حمل الى موقف القيامة شركا بالله وكفرا به وعملا بمعصيته وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وقد خاب من حمل ظلما قال من حمل شركا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقد خاب من حمل ظلما قال من حمل شركا الظلم ههنا الشرك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) يقول تعالى ذكره وتقدست أسماؤه ومن يعمل من صالحات الاعمال وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده وهو مؤمن يقول وهو مصدق بالله وانه مجاز أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم فلا يخاف ظلما يقول فلا يخاف من الله أن يظلمه فيحمل عليه سيئات غيره فيعاقبه عليها ولا هضما يقول ولا يخاف أن يهضمه حسناته فينقصه ثوابها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن وانما يقبل الله من العمل ما كان في ايمان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن قال زعموا انها الفرائض ذكر من قال ما قلنا في معنى قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما حدثنا أبو كريب وسليمان بن عبد الجبار قالا ثنا ابن عطية عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس لا يخاف ظلما ولا هضما قال هضما غصبا حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال لا يخاف ظلما ولا هضما قال لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم فيزاد عليه في سيئاته ولا يظلم فيهضم من حسناته حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما يقول أنا قاهر لكم اليوم آخذكم بقوتي وشدتي وأنا قادر على قهركم وهضمكم فانما بيني وبينكم العدل وذلك يوم القيامة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما أما هضما فهو أن يقهر الرجل الرجل بقوته يقول الله يوم القيامة لا آخذكم بقوتي وشدتي ولكن العدل بيني وبينكم ولا ظلم عليكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هضما قال انتقاص شئ من حق عمله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا أبو اسامة عن مسعر قال سمعت حبيب بن أبي ثابت يقول في قوله ولا هضما قال الهضم الانتقاص حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما قال ظلما أن يزاد في سيئاته ولا يهضم من حسناته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما قال لا يخاف أن يظلم فلا يجزى بعمله ولا يخاف ان ينتقص

فغوى قال بعض الناس ان آدم ذنبه كبيرة والا لم يوصف بالعصيان والغواية فان العاصي والغاوي اسمان مذمومان عرفا وشرعا وقد ترتب الوعيد عليهما وأجيب بان المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون مندوبا وزيف بالمنع من أن المندوب غير مأمور به ثم من ان مخالفه عاص والا كان الانبياء كلهم عصاة لانهم لا ينفكون عن ترك المندوب قالوا يقال أشرت اليه في أمر كذا فعصاني وأمرته بشرب الدواء فعصاني وأجيب بالمنع من ان هذا من مستعملات العرب العاربة ولو سلم فلعله انما يقال ذلك اذا عرف أن المستشير لابد له أن يفعل ذلك وحينئذ يكون معنى الايجاب حاصلا وان لم يكن وجوب شرعي لان ذلك الايجاب لم يصدر عن الشارع ومنهم من زعم انه ذنب صغير وهم عامة المعتزلة ورد بان العاصي اسم من يستحق العقاب وهذا لا يليق بالصغير وأجاب أبو مسلم الاصفهاني بانه عصى في مصالح الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف ولهذا قال سبحانه فغوى أي خاب من نعيم الجنة لان الرشد هو أن يتوصل بشئ الى شئ فيصل الى المقصود والغي ضده وانه سعى في طلب الخلود فنال ضد المقصود وعن بعضهم فغوى أي بشم من كثرة الاكل وزيفه جار الله ورد قول أبي مسلم بان مصالح الدنيا تكون مباحة فلا يوصف تاركها بالعصيان قلت في هذا نظر والاحوط في هذا الباب أن يعتقد كون هذه الواقعة قبل النبوة بدليل قوله ثم اجتباه ربه أي اختاره للرسالة وهدى لحفظ أسباب العصمة أصل الاجتباء هو الجمع كما مر في آخر الاعراف روى عن أبي امامة لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قال العلماء ففيه دليل على انه لاراد لقضائه وما قدره كائن لامحالة واذا جاء القضاء عمي البصر والدليل قد يكون في غاية الظهور ومع ذلك يخفى على أعقل الناس كما خفي على آدم عداوة ابليس

من حقه فلا يوفى عمله حدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا سلام بن مسكين عن ميمون بن سياه عن الحسن في قول الله تعالى فلا يخاف ظلما ولا هضما قال لا ينتقص الله من حسناته شيأ ولا يحمل عليه ذنب مسيء وأصل الهضم النقص يقال هضمني فلان حقي ومنه امرأة هضيم أي ضامرة البطن ومنه قولهم قد هضم الطعام اذا ذهب وهضمت لك من حقك أي حططته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا) يقول تعالى ذكره كما رغبنا أهل الايمان في صالحات الاعمال بوعدنا اياهم ما وعدناهم كذلك حذرنا بالوعيد أهل الكفر بالمقام على معاصينا وكفرهم بآياتنا فأنزلنا هذا القرآن عربيا اذ كانوا عربا وصرفنا فيه من الوعيد فبيناه يقول وخوفناهم فيه بضروب من الوعيد لعلهم يتقون يقول كي يتقونا بتصريفنا ما صرفنا فيه من الوعيد أو يحدث لهم ذكرا يقول أو يحدث لهم هذا القرآن تذكرة فيعتبرون ويتعظون بفعلنا بالامم التي كذبت الرسل قبلها وينزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون ما حذروا به من أمر الله وعقابه ووقائعه بالامم قبلهم أو يحدث لهم القرآن ذكرا أي جدا وورعا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أو يحدث لهم ذكرا قال جدا وورعا وقد قال بعضهم في أو يحدث لهم ذكرا ان معناه أو يحدث لهم شرفا بايمانهم به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما) يقول تعالى ذكره فارتفع الذي له العبادة من جميع خلقه الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار الحق عما وصفه به المشركون من خلقه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعجل يا محمد بالقرآن فتقرئه أصحابك أو تقرئه عليهم من قبل أن يوحى اليك بيان معانيه فعوتب على اكتابه واملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه من كان يكتبه ذلك من قبل أن يبين له معانيه وقيل لا تتله على أحد ولا تمله عليه حتى نبينه لك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه قال لا تتله على أحد حتى نبينه لك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال يقول لا تتله على أحد حتى نتمه لك هكذا قال القاسم حتى نتمه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه يعني لا تعجل حتى نبينه لك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه أي بيانه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه قال تبيانه حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة من قبل أن يقضى اليك وحيه من قبل أن يبين لك بيانه وقوله وقل رب زدني علما يقول تعالى ذكره وقل يا محمد رب زدني علما الى ما علمتني أمره بمسئلته من فوائد العلم ما لا يعلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) يقول تعالى ذكره وان يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرف لهم في هذا القرآن من الوعيد عهدي ويخالفوا أمري ويتركوا طاعتي ويتبعوا أمر عدوهم ابليس ويطيعوه في خلاف أمري فقديما ما فعل ذلك أبوهم آدم ولقد عهدنا اليه يقول ولقد وصينا آدم وقلنا له ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فوسوس

الاولى أن لا يطلق لفظ العاصي والغاوي على آدم عليه السلام وان ورد في القرآن وعصى آدم ربه فغوى لانه لم تصدر عنه الزلة الامرة واحدة وصيغة اسم الفاعل تنبئ عن المزاولة ولان المسلم اذا تاب عن الشرب أو الزنا وحسنت توبته لا يقال له شارب وزان ولان السيد يجوز له أن يشتم عبده بما شاء وليس لغيره ذلك قال اهبطا قدم تفسير مثله في البقرة خاطبهما بالهبوط لانهما أصلا البشر ثم عم الخطاب لهما ولذريتهما في قوله فاما يأتينكم اما قوله بعضكم لبعض عدو فقد قال القاضي يكفي في توفية هذا الظاهر حقه أن يكون ابليس والشياطين أعداء الناس والناس أعداء لهم فاذا انضاف الى ذلك عداوة بعض الفريقين لبعض لم يمتنع دخوله في الكلام عن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والسبب فيه ان العقاب في الآخرة لاجل انه قد ضل عن الدين في مدة التكليف واتباع كتاب الله يستلزم عدم الضلال عن الدين المستتبع للنجاة من العقاب في الآخرة وأما الشقاء الذي قد يلحق المؤمن في الدنيا فلا اعتداد به لقصر مدته على ان الرضا بالقضاء يهون عليه مصائب

اليه الشيطان فاطاعه وخالف أمرى فحل به من عقوبتى ماحل وعنى جل ثناؤه بقوله من قبل هؤلاء الذين أخبر انه صرف لهم الوعيد فى هذا القرآن وقوله فنسى يقول فترك عهدى كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى يقول فترك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فنسى قال ترك أمرى به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما فقال له يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فقرأ حتى بلغ لا تظمأ فيها ولا تضحى وقرأ حتى بلغ وملكا لا يبلى قال فنسى ما عهد اليه فى ذلك قال وهذا عهد الله اليه قال ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذى حسده وأبى أن يسجد له مع من سجد له ابليس وعصى الله الذى كرمه وشرفه وأمر ملائكته فسجدوا له حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالا ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ومؤمل قالوا ثنا سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انما سمى الانسان لانه عهد اليه فنسى وقوله ولم نجد له عزما * اختلف أهل التأويل فى معنى العزم ههنا فقال بعضهم معناه الصبر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولم نجد له عزما أى صبرا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة ولم نجد له عزما قال صبرا حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى قال ثنا أبو النضر قال ثنا شعبة عن قتادة مثله * وقال آخرون بل معناه الحفظ قالوا ومعناه ولم نجد له حفظا لما عهدنا اليه ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية ولم نجد له عزما قال حفظا لما أمرته حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هاشم بن القاسم الاشجعى عن سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية فى قوله ولم نجد له عزما قال حفظا حدثنا عباد بن محمد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية فى قوله ولم نجد له عزما قال حفظا لما أمرته به حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولم نجد له عزما يقول لم نجد له حفظا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولم نجد له عزما قال العزم المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه والتمسك به حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ولم نجد له عزما يقول لم نجعل له عزما حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا الحجاج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبى امامة قال لو أن أحلام بنى آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم الى يوم الساعة ووضعت فى كفة ميزان ووضع حلم آدم فى الكفة الاخرى لرجح حلمه باحلامهم وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وأصل العزم اعتقاد القلب على الشئ يقال منه عزم فلان على كذا اذا اعتقد عليه ونواه ومن اعتقاد القلب حفظ الشئ ومنه الصبر على الشئ لانه لا يجزع جازع الا من خور قلبه وضعفه فاذا كان ذلك كذلك فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى وهو قوله ولم نجد له عزما فيكون تأويله ولم نجد له عزم قلب على الوفاء لله بعهده ولا على حفظ ما عهد اليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) يقول تعالى ذكره معلما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان من تضييع آدم عهده ومعرفه بذلك ان ولده لن يعدوا أن يكونوا فى ذلك على منهاجه الا من عصمه الله منهم واذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى أن يسجد له فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك ولذلك من شأنه لم يسجد لك وخالف أمرى فى ذلك وعصانى فلا تطيعاه فيما يأمركما به فيخرجكما بمعصيتكما ربكما وطاعتكما له من الجنة فتشقى

ذ كور لان قوله ومن أعرض عن ذكرى فى مقابلة قوله فمن اتبع هداى وقد مر فى أول البقرة ان المراد به الشريعة والبيان وقال كثير من المفسرين ان الذكر هو القرآن وسائر كتب الله وفيه نوع تخصيص والضنك الضيق مصدر وصف به ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث يقال منزل ضنك ومعيشة ضنك كانه قيل ذات ضنك قالت الحكماء عيش الدنيا ضنك ضيق لانقضائه وقصر مدته وكثرة شوائبه وانما العيش الواسع عيش الآخرة وهذا الضيق المتوعد به اما فى الدنيا أو فى القبر أو فى الآخرة مال الى كل طائفة اما الاول فلان المسلم الراضى بقضاء ربه معه من التسليم والتوكل والقناعة ما يعيش به عيشا رافعا والمعرض عن الدين متول عليه الحرص والشح فلا ينفك عن الانقباض ولطموح ما ليس يناله من الفراغ والدفاع الكلى فلا هم له الا هم الدنيا عن ابن عباس المعيشة الضنك هى أن يضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدى لشئ منها ومن الكفرة من ضربت عليه الذلة والمسكنة وسئل الشبلى عن قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية فقال أهل البلاء هم أهل الغفلات عن الله تعالى فعقوبتهم أن يردهم الله تعالى الى أنفسهم وأى معيشة أضيق وأشد من أن يرد الانسان الى نفسه قلت التحقيق ان بعض البليات من العقوبات فطلب العافية منها لازم وبعضها المزيد الدرجات ولكن الانسان خلق ضعيفا فكثيرا ما يؤول أمر المبتلى

يقول فيكون عيشك من كديك فذلك شقاؤه الذى حذره ربه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال اهبط الى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه فهو الذى قال الله تعالى ذكره فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فكان ذلك شقاءه وقال تعالى ذكره فتشقى ولم يقل فتشقيا وقد قال فلا يخرجنكما لان ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام فكان فى اعلامه العقوبة على معصيته اياه فيما نهاه عنه من أكل الشجرة الكفاية من ذكر المرأة اذ كان معلوما ان حكمها فى ذلك حكمه كما قال عن اليمين وعن الشمال قعيد اجتزئ بمعرفة السامعين معناه من ذكر فعل صاحبه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لآدم حين أسكنه الجنة ان لك يا آدم أن لا تجوع فيها ولا تعرى وان فى قوله أن لا تجوع فيها فى موضع نصب بان التى فى قوله ان لك وقوله وانك لا تظمأ فيها * اختلفت القراء فى قراءته فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة بالكسر وانك على العطف على قوله ان لك وقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة والبصرة وانك بفتح ألفها عطفا بها على أن التى فى قوله أن لا تجوع فيها ووجهوا تأويل ذلك الى أن لك هذا وهذا فهذه القراءة أعجب القراءتين الى لان الله تبارك وتعالى ذكره وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة فكون ذلك بان يكون عطفا على أن لا تجوع أولى من أن يكون خبرا مبتدأ وان كان الآخر غير بعيد من الصواب وعنى بقوله لا تظمأ فيها لا تعطش فى الجنة ما دمت فيها ولا تضحى يقول لا تظهر للشمس فيؤذيك حرها كما قال ابن أبى ربيعة

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشى فيخصر

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى يقول لا يصيبك فيها عطش ولا حر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى يقول لا يصيبك حر ولا أذى حدثنى أحمد بن عثمان بن حكيم الاودى قال ثنا عبد الرحمن بن شريك قال ثنى أبى عن خصيف عن سعيد بن جبير لا تظمأ فيها ولا تضحى قال لا تصيبك الشمس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تضحى قال لا تصيبك شمس وقوله فوسوس اليه الشيطان يقول فالقى الى آدم الشيطان وحدثه فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد يقول قال له هل أدلك على شجرة ان أكلت منها خلدت فلم تمت وملكت ملكا لا ينقضى فيبلى كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ان أكلت منها كنت ملكا مثل الله أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبدا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى وتقدس (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) يقول تعالى ذكره فأكل آدم وحواء من الشجرة التى نهيا عن الاكل منها وأطاعا أمر ابليس وخالفا أمر ربهما فبدت لهما سوآتهما يقول فانكشفت لهما عوراتهما وكانت مستورة عن أعينهما كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال انما أراد يعنى ابليس بقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ليبدى لهما ما توارى عنهما من سوآتهما بهتك لباسهما وكان قد علم ان لهما سوأة لما كان يقرأ من كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك وكان لباسهما الظفر فابى آدم أن يأكل منها فتقدمت حواء فأكلت ثم قالت يا آدم كل فانى قد أكلت فلم يضرنى فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما وقوله وطفقا

مسعود وأبى سعيد الخدرى ورفعه أبو هريرة الى النبى صلى الله عليه وسلم انه عذاب القبر للكافر وعن ابن عباس ان الآية نزلت فى الاسود بن عبد الله المخزومى والمراد ضغطة القبر تختلف فيه أضلاعه وأما الثالث فعن الحسن وقتادة والكلبى انه ضيق فى الآخرة وفى جهنم وان طعامهم فيها الضريع والزقوم والحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون أما قوله ونحشره يوم القيامة أعمى كقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فمن فسر الزرق بالعمى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى قال الجبائى أراد انه لا يهتدى يوم القيامة الى طريق ينال منه خيرا كالاعمى وعن مجاهد والضحاك ومقاتل انه أراد أعمى عن الحجة وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القاضى هذا القول ضعيف لانه لابد فى القيامة أن يعلمهم الله تعالى بطلان ما كانوا عليه بتمييزه لهم الحق من الباطل ومن هذه حاله لا يوصف بذلك الاعجاز باعتبار ما كان لكن قوله وقد كنت بصيرا ينافيه قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله ومما يؤكد هذا الاعتراض انه تعالى علل ذلك العمى بأن المكلف نسى الدلائل فى الدنيا فلو كان العمى الحاصل فى الآخرة عين ذلك النسيان لم يكن للمكلف بسبب ذلك ضرر كما فى الدنيا قال والتحقيق فى الجواب عن الاعتراض هو ان

وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول أقبلا يشدان عليهما من ورق الجنة كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول أقبلا يغطيان عليهما بورق التين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول يوصلان عليهما من ورق الجنة وقوله وعصى آدم ربه فغوى يقول وخالف أمر ربه فتعدى الى مالم يكن له أن يتعدى اليه من الاكل من الشجرة التى نهاه عن الاكل منها وقوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى يقول اصطفاه ربه من بعد معصيته اياه فرزقه الرجوع الى ما يرضى عنه والعمل بطاعته وذلك هو كانت توبته التى تابها عليه وقوله وهدى يقول وهداه للتوبة فوفقه لها ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) يقول تعالى ذكره قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا جميعا الى الارض بعضكم لبعض عدو يقول أنتما عدوا ابليس وذريته وابليس عدوكما وعدو ذريتكما وقوله فاما يأتينكم منى هدى يقول فان يأتكم يا آدم وحواء وابليس منى هدى يقول بيان لسبيلى وما أختاره لخلقى من دين فمن اتبع هداى يقول فمن اتبع بيانى ذلك وعمل به ولم يزغ عنه فلا يضل يقول فلا يزول عن محجة الحق ولكنه يرشد فى الدنيا ويهتدى ولا يشقى فى الآخرة بعقاب الله لان الله يدخله الجنة وينجيه من عذابه وبنحو الذى قلنا فى تاويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا أبو خالد الاحمر عن عمرو بن قيس الملائى عن عكرمة عن ابن عباس قال تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا هذه الآية فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى حدثنى نصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا حكام الرازى عن أيوب ابن موسى عن عمرو الملائى عن ابن عباس انه قال ان الله قد ضمن فذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب بن يسار أبى عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن رجل عن ابن عباس بنحوه حدثنا على بن سهل الرملى قال ثنا أحمد بن محمد النسائى عن أبى سلمة عن عطاء عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة ووقاه أظنه أنا قال من هول يوم القيامة وذلك انه قال فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى فى الآخرة ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) يقول تعالى ذكره ومن أعرض عن ذكرى الذى أذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له ولم يتعظ به فينزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه فان له معيشة ضنكا يقول فان له معيشة ضيقة والضنك من المنازل والاماكن والمعايش الشديد يقال هذا منزل ضنك اذا كان ضيقا وعيش ضنك الذكر والانثى والواحد والاثنان والجمع بلفظ واحد ومنه قول عنترة * وان نزلوا بضنك فانزل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فان له معيشة ضنكا يقول الشقاء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ضنكا قال ضيقة حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله فان له معيشة ضنكا قال الضنك الضيق حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله فان له معيشة ضنكا يقول ضيقة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * واختلف أهل التأويل فى الموضع الذى جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك

النفوس الجاهلة فى الدنيا اذا فارقت أبدانها تبقى على جهالتها فى الآخرة فتصير تلك الجهالة سببا لاعظم الآلام الروحانية وأقول على القاضى يحتمل أن يكون مجازا باعتبار الغاية فقد ينفى الشئ باعتبار عدم غايته وثمرته فلا ينافى كونه أعمى فى الآخرة بهذا الاعتبار اعلام الله تعالى اياه الحجة ولا كونه بصيرا فى الدنيا كونه أعمى فى الآخرة بالاعتبار المذكور ولان المعرض عن الدليل يشبه أن يكون كافرا معاندا ويكون الغرض من الاعلام التوبيخ والالزام يؤيده قوله تعالى فى جوابه كذلك أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر ذلك بقوله أتتك آياتنا أى دلائلنا واضحة مستنيرة فنسيتها أى تركت العمل بها والقيام بموجبها وكذلك اليوم تنسى تترك بلا فائدة النظار والاعتبار وعلى الامام الرازى انه لا يلزم من كون المكلف غير متضرر بنسيان الدلائل فى الدنيا كونه غير متضرر به فى الآخرة وأما قوله فى الجواب المحقق بناء على قاعدة الحكيم ان جهل النفس يصير سببا لتعذيبها فان كان منعا لقول المعتزلة انه تعالى يعلم المكلف بطلان ما كان عليه فى الدنيا فذلك لا يفتقر الى العدول وان كان تسليما لقولهم فمن أين يتحمل الاعتراض هذا وقد رأيت فى بعض الآثار ان أشد الناس عمى يوم القيامة هم الذين حفظوا القرآن ثم نسوه دليله قوله تعالى أتتك آياتنا فنسيتها اللهم اجعلنى ممن واظب على تلاوة كتابك حتى لا أنساه يوم ألقاك وكذلك نجزى من أسرف قيل عصى ربه والاظهر انه أراد أشرك وكفر بدليل قوله ومن لم يؤمن بآيات ربه ولعذاب

والحال التي جعلها فيهم فقال بعضهم جعل ذلك في الآخرة في جهنم وذلك انهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو بن علي بن مقدم قال ثنا يحيى بن سعيد عن عوف عن الحسن في قوله فان له معيشة ضنكا قال في جهنم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا فقرأ حتى بلغ ولم يؤمن بآيات ربه قال هؤلاء أهل الكفر قال ومعيشة ضنكا في النار شوك من نار وزقوم وغسلين والضريع شوك من نار وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة ما المعيشة والحياة الا في الآخرة وقرأ قول الله عز وجل يا ليتني قدمت لحياتي قال لمعيشتي قال والغسلين والزقوم شيء لا يعرفه أهل الدنيا حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فان له معيشة ضنكا قال في النار * وقال آخرون بل عني بذلك فان له معيشة في الدنيا حراما قال ووصف الله جل وعز معيشتهم بالضنك لان الحرام وان اتسع فهو ضنك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة في قوله معيشة ضنكا قال هي المعيشة التي أوسع الله عليه من الحرام حدثني داود بن سليمان بن يزيد المكتب من أهل البصرة قال ثنا عمرو بن جرير البجلي عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم في قول الله معيشة ضنكا قال رزقا في معصيته حدثني عبد الاعلى بن واصل قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا أبو بسطام عن الضحاك فان له معيشة ضنكا قال الكسب الخبيث حدثني محمد بن اسمعيل الضراري قال ثنا محمد بن سوار قال ثنا أبو اليقظان عمار بن محمد عن هرون بن محمد التيمي عن الضحاك في قوله فان له معيشة ضنكا قال العمل الخبيث والرزق السيء * وقال آخرون ممن قال عني ان لهؤلاء القوم المعيشة الضنك في الدنيا انما قيل لها ضنك وان كانت واسعة لانهم ينفقون ما ينفقون من أموالهم على تكذيب منهم بالخلف من الله واياس من فضل الله وسوء ظن منهم بربهم فتشتد لذلك عليهم معيشتهم وتضيق ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا يقول كل مال أعطيته عبدا من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه لا خير فيه وهو الضنك في المعيشة ويقال ان قوما ضلالا أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم كانوا يرون ان الله عز وجل ليس بمخلف لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب به فاذا كان العبد يكذب بالله ويسيء الظن به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك * وقال آخرون بل عني بذلك ان ذلك لهم في البرزخ وهو عذاب القبر ذكر من قال ذلك حدثني يزيد بن مخلد الواسطي قال ثنا خالد بن عبد الله عن عبد الرحمن بن اسحق عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري قال في قول الله معيشة ضنكا قال عذاب القبر حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عبد الرحمن بن اسحق عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري قال ان المعيشة الضنك التي قال الله عذاب القبر حدثني حوثرة بن محمد المنقري قال ثنا سفيان عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري فان له معيشة ضنكا قال يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبي وشعيب بن الليث عن الليث قال ثنا خالد بن يزيد عن أبي هلال عن أبي حازم عن أبي سعيد انه كان يقول المعيشة الضنك عذاب القبر انه يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتخدش لحمه حتى يبعث وكان يقال لو أن تنينا منها نفخ الارض لم تنبت زرعا حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال يطبق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه وهي المعيشة الضنك التي قال الله معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى حدثنا أبو كريب

قال

أشد وأبقى من تركه لآياتنا ثم وبخ المعرضين عن الدلائل بعدم الاعتبار بأحوال القرون الخالية فقال أفلم يهد لهم بالفاء وفي السجدة بالواو لان الكلام ههنا كالمتصل بقوله ومن أعرض عن ذكري وهناك كالمنفصل عن الاعراض لانه قال ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها وبعد ذلك أورد قصة موسى فناسب الاستئناف بالواو وأما حذف من ههنا واثباته هنالك فلما مر من أن من تفيد الاستيعاب وهنالك قد زاد في القرون بشرح قصة بني اسرائيل وما فيهم من الملوك والانبياء قال في الكشاف فاعل لم يهد الجملة بعده وأنكر البصريون مثل هذا لان الجملة لا تقع فاعلا فاعله ما قال يريد أولم يهد لهم هذا المعنى أو مضمون هذا الكلام قال القفال جعل كثرة ما أهلكنا من القرون مبينا لهم وقال الزجاج أراد أولم نبين لهم ما يهتدون به لو تدبروا وتأملوا وقيل فيه ضمير الله أو الرسول والجملة بعده تفسيره ويدل ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود يمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم والنهى العقول وقد مر في السورة قال بعض أهل اللغة ان النهية مزية على العقل فلا يقال الا لمن له عقل ينتهي به عن القبائح فقوله أولي النهى كقوله أولي العزم والحزم ومن هذا فسره بعضهم بأهل الورع والتقوى ثم بين الوجه الذي لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كذب من هذه الامة فقال ولولا كلمة

قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح والسدى فى قوله معيشة ضنكا قالا عذاب
القبر حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا سفيان الثورى عن اسمعيل بن أبى
خالد عن أبى صالح فى قوله فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر حدثنى عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا
محمد بن ربيعة قال ثنا أبو عميس عن عبد الله بن مخارق عن أبيه عن عبد الله فى قوله معيشة ضنكا قال
عذاب القبر حدثنى عبد الرحيم البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا محمد بن جعفر وابن أبى حازم قالا ثنا
أبو حازم عن النعمان بن أبى عياش عن أبى سعيد الخدرى معيشة ضنكا قال عذاب القبر * قال أبو جعفر
وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال هو عذاب القبر الذى حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن
وهب قال ثنا عمى عبد الله بن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن دراج عن ابن حجيرة عن أبى هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون فيم أنزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيامة أعمى أتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر فى قبره والذى
نفسى بيده انه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية
سبعة أرؤس ينفخون فى جسمه ويلسعونه ويخدشونه الى يوم القيامة وان الله تبارك وتعالى اتبع
ذلك بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التى جعلها الله لهم قبل
عذاب الآخرة لان ذلك لو كان فى الآخرة لم يكن لقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى معنى مفهوم
لان ذلك ان لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة حتى يكون الذى فى الآخرة أشد منه بطل معنى
قوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فاذ كان ذلك كذلك فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التى جعلها الله
لهم من أن تكون لهم فى حياتهم الدنيا أو فى قبورهم قبل البعث اذ كان لا وجه لان تكون فى الآخرة
لما قد بينا فان كانت لهم فى حياتهم الدنيا فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار
فان معيشته فيها ضنك وفى وجودنا كثيرا منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك
وتعالى القائلين له المؤمنين فى ذلك ما يدل على أن ذلك ليس كذلك واذ خلا القول فى ذلك من هذين
الوجهين صح الوجه الثالث وهو أن ذلك فى البرزخ وقوله ونحشره يوم القيامة أعمى واختلف أهل
التأويل فى صفة العمى الذى ذكر الله فى هذه الآية انه يبعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به فقال
بعضهم ذلك عمى عن الحجة لا عمى البصر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن اسمعيل الأحمسى قال ثنا محمد
ابن عبيد قال ثنا سفيان الثورى عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله ونحشره يوم القيامة
أعمى قال ليس له حجة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ونحشره يوم القيامة أعمى قال عن الحجة
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقيل يحشر أعمى البصر
* قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك ما قال الله تعالى ذكره وهو انه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية
الشئ كما أخبر جل ثناؤه فعم ولم يخصص وقوله قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا اختلف أهل
التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم فى ذلك ما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرزاق عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد قال رب لم حشرتنى أعمى لا حجة لى وقوله وقد كنت بصيرا * اختلف أهل التأويل فى تأويل
ذلك فقال بعضهم معناه وقد كنت بصيرا بحجتى ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقد كنت بصيرا قال عالما بحجتى * وقال آخرون بل معناه وقد
كنت ذا بصر أبصر به الاشياء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقد كنت بصيرا فى
الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا
قال كان بعيد البصر قصير النظر أعمى عن الحق * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندنا أن

يؤمن أو لمصلحة أخرى خفية قال
أهل السنة انه يحكم المالكية
له أن يفعل ما يشاء من غير علة
واللزام مصدر لازم وصف
به وقيل فعال لما يفعل به
فهو بمعنى ملزم كأنه آلة اللزوم
أى لكان الاخذ العاجل لزاما
وأجل مسمى وهو عذاب الآخرة
وقيل يوم بدر معطوف على كلمة
وجوز فى الكشاف أن يكون
معطوفا على الضمير فى كان ولعله
انما جوز ذلك للفصل أى لكان
الاخذ العاجل وأجل مسمى
لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود
ولم ينفرد الاجل المسمى دون
الاخذ العاجل وحين بين انه
لا يهلكهم بعذاب الاستئصال
أمره بالصبر على ما يقولون من
التكذيب وسائر الاذيات زعم
الكلبى ومقاتل انها منسوخة
بآية القتال وليس بذاك فان
كلا منهما معمول بها فى موضعها
وسبح بحمد ربك أى متلبسا
بحمده على ان وفقك للتسبيح
وأعانك عليه والاكثرون انها
بمعنى الصلاة ليكون كقوله
واستعينوا بالصبر والصلاة ولانه
بين أوقاتها فقبل طلوع الشمس
هو صلاة الفجر وقبل غروبها صلاة
الظهر والعصر لانهما واقعتان
فى النصف الاخير من النهار
ومن آناء الليل فسبح المغرب
والعتمة وقوله وأطراف النهار
أى فى طرفيه لجمع للمبالغة
وأمن الالباس أو لان أقل
الجمع اثنان أو أراد طرفى كل
نهار تكرار لصلاتى الفجر
والعصر لا المغرب على ما ظن اعتناء بشأنهما كقوله والصلاة الوسطى وآناء جمع انى وهو الساعة وقد مر فى آل عمران وانما قدم آناءه

الله عز شأنه وجل ثناؤه عم بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر ولم يخصص منه معنى دون معنى فذلك على ماعمه فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية قال رب لم حشرتني أعمى عن حجتي ورؤية الاشياء وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كله فان قال قائل وكيف قال هذا رب لم حشرتني أعمى مع معاينته عظيم سلطانه أجهل في ذلك الموقف أن يكون لله أن يفعل به ماشاء أم ماوجه ذلك قيل ان ذلك مسئلة لرب يعرفه الجرم الذي استحق به ذلك اذ كان قد جهله وظن ان لا جرم له استحق ذلك به منه فقال رب لأي ذنب ولأي جرم حشرتني أعمى وقد كنت من قبل في الدنيا بصيرا وأنت لا تعاقب أحدا الا بدون ما يستحق منك من العقاب وقوله قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها يقول تعالى ذكره قال الله حينئذ للقائل له لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا فعلت ذلك بك فحشرتك أعمى كما أتتك آياتي وهي حججه وأدلته وبيانه الذي بينه في كتابه فنسيتها يقول فتركتها وأعرضت عنها ولم تؤمن بها ولم تعمل وعنى بقوله كذلك أتتك هكذا أتتك وقوله وكذلك اليوم تنسى فكما نسيت آياتنا في الدنيا فتركتها وأعرضت عنها فكذلك اليوم ننساك فنتركك في النار * وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله وكذلك اليوم تنسى فقال بعضهم بمثل الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا سفيان الثوري عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله وكذلك اليوم تنسى قال في النار حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كذلك أتتك آياتنا فنسيتها قال فتركتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك اليوم تترك في النار وروي عن قتادة في ذلك ما حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى قال نسي من الخير ولم ينس من الشر وهذا القول الذي قاله قتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد لأن تركه اياهم في النار أعظم الشر لهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) يقول تعالى ذكره وهكذا نجزي أي نثيب من أسرف فعصى ربه ولم يؤمن برسله وكتبه فنجعل له معيشة ضنكا في البرزخ كما قد بينا قبل ولعذاب الآخرة أشد وأبقى يقول جل ثناؤه ولعذاب في الآخرة أشد لهم مما وعدتهم في القبر من المعيشة الضنك وأبقى يقول وأدوم منها لانه الى غير أمد ولا نهاية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لأولي النهى) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفلم يهد لقومك المشركين بالله ومعنى يهد يبين يقول أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الامم التي سلفت قبلهم التي يمشون هم في مساكنهم ودورهم ويرون آثار عقوباتنا التي أحللناها بهم سوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا ويتعظوا بهم ويعتبروا وينيبوا الى الاذعان ويؤمنوا بالله ورسوله خوفا أن يصيبهم بكفرهم بالله مثل ما أصابهم * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم لأن قريشا كانت تتجر الى الشام فتمر بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم فترى آثار وقائع الله تعالى بهم فلذلك قال لهم أفلم يحذرهم ما يرون من فعلنا بهم بكفرهم بنا نزول مثله بهم وهم على مثل فعلهم مقيمون وكان الفراء يقول لا يجوز في كم في هذا الموضع أن يكون الا نصبا بأهلكنا وكان يقول وهو وان لم يكن الا نصبا فان جملة الكلام رفع بقوله يهد لهم ويقول ذلك مثل قول القائل قد تبين لي أقام عمرو أم زيد في الاستفهام وكقوله سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ويزعم ان فيه شيئا يرفع سواء لا يظهر مع الاستفهام قال ولو قلت سواء عليكم صمتكم ودعاؤكم تبين ذلك الرفع الذي في الجملة وليس الذي قال الفراء من ذلك كما قال لان كم وان كانت من حروف الاستفهام فانهم لم تجعل في هذا الموضع للاستفهام بل هي واقعة موقع الاسماء الموصوفة ومعنى الكلام ما قد ذكرنا قبل وهو أفلم يبين لهم كثرة اهلاكنا

وقت السكون والراحة وهدو الاصوات فالصلاة فيه أشق على النفس وأدخل في الاخلاص وأقرب من المحافظة على الخشوع والاخبات وبعضهم أخرج من الآية صلاة الظهر لانه خصص قبل الغروب بصلاة العصر ومنهم من زاد فيها النوافل لان الصلاة في الاوقات المذكورة تشملها والامر قد يكون للندب لا أقل من التغليب وقال أبو مسلم الاقرب حمل التسبيح على التنزيه والاجلال كانه لما أمره بالصبر على أذية القوم بعثه على الاشتغال بالتقديس والمواظبة عليه في كل الاوقات وقوله لعلك ترضى كقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا ريب ان الاطماع من الكريم واجب الوقوع اللهم ارزقنا شفاعته ولما حث رسوله على الامور الدينية نهاه عن الميل الى الزخارف الدنيوية فقال ولا تمدن عينيك أي نظر عينيك ومد النظر تطويله استحسانا للمنظور اليه وفيه ان النظر الغير الممدود معفو عنه كالو نظر نغض وقال أبو مسلم المنهي عنه في الآية ليس هو التطويل وانما هو الاسف أي لا تأسف على مافاتك مما نالوا من حظ الدنيا قالوا أبو رافع نزل ضيف بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني الى يهودي يستقرضه فقال لا أقرضه الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت والازواج الاصناف وقيل أي أشكالا

قبلهم القرون التى يمشون فى مساكنهم أو أفلم نهدهم القرون الهالكة وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله أفلم يهد لهم من أهلكنا فكم واقعة موقع من فى قراءة عبد الله وهى فى موضع رفع بقوله يهد لهم وهو أظهر وجوهه وأصح معانيه وان كان للذى قاله وجه ومذهب على بعد وقوله ان فى ذلك لآيات لاولى النهى يقول تعالى ذكره ان فيما يعاين هؤلاء ويرون من آثار وقائعنا بالامم المكذبة رسلها قبلهم وحلول مثلاتنا بهم لكفرهم بالله لآيات يقول لدلالات وعبرا وعظات لاولى النهى يعنى لاهل الحجى والعقول ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن مواقعة ما يضره وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لاولى النهى يقول التقى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان فى ذلك لآيات لاولى النهى أهل الورع القول فى تأويل قوله تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) يقول تعالى ذكره ولولا كلمة سبقت من ربك يا محمد ان كل من قضى له أجلا فانه لا يخترمه قبل بلوغه أجله وأجل مسمى يقول ووقت مسمى عند ربك سماه لهم فى أم الكتاب وخطه فيه هم بالغوه ومستوفوه لكان لزاما يقول للازمهم الهلاك عاجلا وهو مصدر من قول القائل لازم فلان فلانا يلازمه ملازمة ولزاما اذا لم يفارقه وقدم قوله لكان لزاما قبل قوله وأجل مسمى ومعنى الكلام ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما فاصبر على ما يقولون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى الاجل المسمى الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى وهذه من مقاديم الكلام يقول لولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لكان لزاما والاجل المسمى الساعة لان الله تعالى يقول بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى قال هذا مقدم ومؤخر ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما واختلف أهل التأويل فى معنى قوله لكان لزاما فقال بعضهم معناه لكان موتا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لكان لزاما يقول موتا وقال آخرون بل معناه لكان قتالا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لكان لزاما واللزام القتل وقوله فاصبر على ما يقولون يقول جل ثناؤه لنبيه فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذبون بآيات الله من قومك لك انك ساحر وانك مجنون وشاعر ونحو ذلك من القول وسبح بحمد ربك يقول وصل بثنائك على ربك وقال بحمد ربك والمعنى بحمدك ربك كما تقول أعجبنى ضرب زيد والمعنى ضربى زيدا وقوله قبل طلوع الشمس وذلك صلاة الصبح وقبل غروبها وهى العصر ومن آناء الليل وهى ساعات الليل واحدها انى على تقدير حمل ومنه قول المتخل السعدى

ثم فرغ قرآءه

حلو ومر كعطف القدح مربه * من كل انى قضاه الله ينتعل

ويعنى بقوله ومن آناء الليل فسبح صلاة العشاء الآخرة لانها تصلى بعد مضى آناء من الليل وقوله وأطراف النهار يعنى صلاة الظهر والمغرب وقيل أطراف النهار والمراد بذلك الصلاتان اللتان ذكرنا لان صلاة الظهر فى آخر طرف النهار الاول وفى أول طرف النهار الآخر فهى فى طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وعند ذلك تصلى المغرب فلذلك قيل أطراف وقد يحتمل أن يقال أريد به طرفا النهار وقيل أطراف كما قيل صغت قلوبكما فجمع والمراد قلبان فيكون ذلك أول طرف النهار

فى وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وملابسهم ومراكبهم لانهم اتخذوها لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم فيكون اغراء لهم على اتخاذها قال جار الله انتصب زهرة على الذم أو على تضمين متعنا معنى خولنا وأعطينا أو على ابداله من محل به أو على ابداله من أزواجا والتقدير ذوى زهرة وهى الزينة والبهجة ومن قرأ بفتح الهاء فمعناها أيضا أو هى جمع زاهر كأنهم لصفاء ألوانهم وظهور آثار النعومة عليهم زاهر وهذه الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون العلماء من شحوب الالوان والتقشف فى الثياب وقوله لنفتنهم أى لنبلوهم كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم كقوله ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم وقال الكلبى ومقاتل لنشدد عليهم فى التكليف لان الاجتناب عن المعاصى مع القدرة يكون أشق على النفس ورزق ربك هو ثواب الآخرة أو ما رزقت من الاسلام والنبوة خير وأبقى وقيل أراد به الحلال الطيب الذى يحق أن ينسب الى ربك خير من أموالهم التى غلب عليها الغصب والسرقة وسائر وجوه الخيانة وأبقى بركة ونماء وحسن عاقبة وأمر أهلك فى سورة مريم وكان يأمر أهله بالصلوة أى أقبل أنت مع أهلك على عبادة الله ومن السلف من كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية ومن عروة بن الزبير

الآخر وآخر طرفه الآخر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن ابن أبى رزين عن ابن عباس فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قال الصلاة المكتوبة حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم راؤن ربكم كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم تلا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قال ابن جريج العصر وأطراف النهار قال المكتوبة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس قال هى صلاة الفجر وقبل غروبها قال صلاة العصر ومن آناء الليل قال صلاة المغرب والعشاء وأطراف النهار صلاة الظهر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار قال من آناء الليل العتمة وأطراف النهار المغرب والصبح ونصب قوله وأطراف النهار عطفا على قوله قبل طلوع الشمس لان معنى ذلك فسبح بحمد ربك آخر الليل وأطراف النهار وبنحو الذى قلنا فى معنى آناء الليل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومن آناء الليل قال المصلى من الليل كله حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سمعت الحسن قرأ ومن آناء الليل قال من أوله وأوسطه وآخره حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ومن آناء الليل فسبح قال آناء الليل جوف الليل وقوله لعلك ترضى يقول كى ترضى * وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والعراق لعلك ترضى بفتح التاء وكان عاصم والكسائى يقرآن ذلك لعلك ترضى بضم التاء وروى ذلك عن أبى عبد الرحمن السلمى وكان الذين قرؤا ذلك بالفتح ذهبوا الى معنى ان الله يعطيك حتى ترضى عطيته وثوابه اياك وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لعلك ترضى قال الثواب ترضى بما يثيبك الله على ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج لعلك ترضى قال بما تعطى وكان الذين قرؤا ذلك بالضم وجهوا معنى الكلام الى لعل الله يرضيك من عبادتك اياه وطاعتك له والصواب من القول فى ذلك عندى انهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء وهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الامصار متفقتا المعنى غير مختلفتيه وذلك ان الله تعالى ذكره اذا أرضاه فلا شك انه يرضى وانه اذا رضى فقد أرضاه الله فكل واحدة منهما تدل على معنى الاخرى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تنظر الى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم متع[...] الدنيا يتمتعون بها من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها لنفتنهم فيه يقول لنختبرهم فيما [...]منو[...] نبتليهم فان ذلك فان زائل وغرور وخدع تضمحل ورزق ربك الذى وعدك ا[...]ب[...]رزقكه فى الآخرة حتى ترضى وهو ثوابه اياه خير لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا وأبقى يقول وأدوم لانه لا انقطاع له ولا نفاد وذكر ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى يهودى يستسلف منه طعاما فأبى أن يسلفه الا برهن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى رافع قال أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودى يستسلفه فأبى أن

صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يذهب الى فاطمة وعلى كل صباح ويقول الصلاة وكان يفعل ذلك شهرا وقوله واصطبر عليها أراد انك كما تأمرهم بها فحافظ عليها فان الوعظ بلسان الفعل أتم منه بلسان القول لانسألك رزقا كما يريد الملوك خراجا من رعيتهم والسادة خراجا من عبيدهم بل نحن نرزقك كقوله وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين والحاصل انا انما أمرناك بالصلوة فذلك لاجل انتفاعك بثوابها لالانا ننتفع بها وقيل لانسألك رزقا لنفسك ولا لاهلك بل نحن نرزقك واياهم فلا تهتم بامر الرزق والمعيشة وفرغ بالك لامر الآخرة وفى معناه قولهم من كان فى عمل الله كان الله فى عمله وقال أهل الاشارة ورزق ربك رمز الى قوله أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى قال عبد الله بن سلام كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله ضيق أو شدة أمرهم بالصلاة والعاقبة أى الجميلة للتقوى ثم عاد الى قوله فاصبر على ما يقولون فحكى واحدة من شبهاتهم هى قولهم لولا يأتينا بآية من ربه كأنهم لم يعتدوا بالقرآن الذى أخرس شقاشقهم فرد الله عليهم بقوله أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى لان القرآن برهان سائر الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو شاهد لها بالصحة وانها من عند الله وقيل أراد بالبينة ما فيهما من بشارة مقدم محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن جرير انه ما رأوا ما فيهما من قصص الامم المكذبة وبيان اهلاكهم بعد اقتراح الآيات وانما

بعطيه الا برهن فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن يعقوب بن يزيد عن أبى رافع قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فارسلنى الى يهودى بالمدينة يستسلفه فاتيته فقال لا أسلفه الا برهن فاخبرته بذلك فقال انى لامين فى أهل السماء وفى أهل الارض فاحمل درعى اليه فنزلت ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم وقوله ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الى قوله والعاقبة للتقوى ويعنى بقوله أزواجا منهم رجالا منهم اشكالا وبزهرة الحياة الدنيا زينة الحياة الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله زهرة الحياة الدنيا أى زينة الحياة الدنيا ونصب زهرة الحياة الدنيا على الخروج من الهاء التى فى قوله به من متعنا به كما يقال مررت به الشريف الكريم فنصب الشريف الكريم على فعل مررت وكذلك قوله الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا تنصب على الفعل بمعنى متعناهم به زهرة فى الحياة الدنيا وزينة لهم فيها وذكر الفراء أن بعض بنى فقعس أنشد

أبعد الذى بالسفح سفح كراكب * رهينة رمس من تراب وجندل

فنصب رهينة على الفعل من قوله أبعد الذى بالسفح وهذا لاشك أنه أضعف فى العمل نصبا من قوله متعنا به أزواجا منهم لان العامل فى الاسم وهو رهينة حرف خافض لاناصب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لنفتنهم فيه قال لنبتليهم فيه ورزق ربك خير وأبقى مما متعنا به هؤلاء من هذه الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمر يا محمد أهلك بالصلاة واصطبر عليها يقول واصطبر على القيام بها وأدائها بحدودها أنت لانسألك رزقا يقول لانسألك مالا بل نكلفك عملا ببدنك نؤتيك عليه أجرا عظيما وثوابا جزيلا نحن نرزقك يقول نحن نعطيك المال ونكسبكه ولا نسألكه وقوله والعاقبة للتقوى يقول والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لاهل التقوى والخشية من الله دون من لايخاف له عقابا ولا يرجو له ثوابا * وبنحو الذى قلنا فى قوله وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث عن هشام بن عروة قال كان عروة اذا رأى ما عند السلاطين دخل داره فقال لاتمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن هشام بن عروة عن أبيه انه كان اذا رأى شيأ من الدنيا جاء الى أهله فقال الصلاة وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا حدثنا العباس بن عبد العظيم قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا هشام ابن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال كان يبيت عند عمر بن الخطاب من غلمانه أنا ويرفا وكانت له من الليل ساعة يصليها فاذا قلنا لا يقوم من الليل كان قياما وكان اذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى) يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم فى الآيات قبل هلا يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص يقول الله جل ثناؤه أولم يأتهم بيان مافى الكتب التى قبل هذا الكتاب من أنباء الامم من قبلهم التى أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجلنا لهم العذاب وأنزلنا بهم بأسنا بكفرهم بها يقول فماذا يؤمنهم ان أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك * وبنحو الذى قلنا فى

أنا أهلكناهم بعذاب من قبله أى من قبل البرهان المذكور الدال عليه البينة لقالوا أى فى القيامة لان الهالك لاقول له فى الدنيا وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة الهالك فى الفترة يقول لم يأتنى رسول والا كنت أطوع خلقك وتلا قوله لولا أرسلت الينا رسولا والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لى عقلا انتفع به ويقول الصبى كنت صغيرا لاأعقل فيرفع لهم نار ويقال لهم ادخلوها فيدخلها من كان فى علم الله انه سعيد ويتلكأ من كان فى علمه انه شقى فيقول الله تعالى عصيتم اليوم فكيف برسولى لو أتاكم وطعن المعتزلة فى هذا الخبر قالوا لايحسن العقاب على مالم يفعل وقال الجبائى فى الآية دلالة على وجوب فعل اللطف والمراد انه يجب أن يفعل بالمكلفين مايؤمنون عنده والا كان لهم أن يقولوا هلا فعلت ذلك بنا لنؤمن وقال الكعبى فيها أوضح دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج من عباده وليس معنى قوله لايسئل عما يفعل ان الجور منه يكون عدلا بل تأويله انه لايقع منه الا العدل واذا ثبت انه تعالى يقبل الحجة فلولم يكونوا قادرين على ما أمروا به لكان لهم فيه أعظم حجة واستدل أهل السنة بها على ان الوجوب لايتحقق الا بالشرع والا لكان العقاب حاصلا قبل مجيئه ثم ختم السورة بوعيد اجمالى فقال قل كل أى كل منا ومنكم متربص عاقبة أمره وهذا الانتظار اما قبل الموت بسبب

ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى قال التوراة والانجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى الكتب التي خلت من الامم التي يمشون في مساكنهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) يقول تعالى ذكره ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركون الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم الى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزله بكفرهم بالله لقالوا يوم القيامة اذ وردوا علينا فأردنا عقابهم ربنا هلا أرسلت الينا رسولا يدعونا الى طاعتك فنتبع آياتك يقول فنتبع حججك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذل بتعذيبك ايانا ونخزى به كما حدثني الفضل بن اسحق قال ثنا أبو قتيبة سالم بن قتيبة عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة والمغلوب على عقله والصبي الصغير فيقول المغلوب على عقله لم تجعل لي عقلا انتفع به ويقول الهالك في الفترة لم يأتني رسول ولا نبي ولو أتاني لك رسول أو نبي لكنت أطوع خلقك لك وقرأ لولا أرسلت الينا رسولا ويقول الصبي الصغير كنت صغيرا لا أعقل قال فترفع لهم نار ويقال لهم ردوها قال فيردها من كان في علم الله انه سعيد وتلكأ عنها من كان في علم الله انه شقي فيقول اياي عصيتم فكيف برسلي لو أتتكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد كلكم أيها المشركون بالله متربص يقول منتظر لمن يكون الفلاح والى ما يؤول أمري وأمركم متوقف ينتظر دوائر الزمان فتربصوا يقول فترقبوا وانتظروا فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه اذا جاء أمر الله وقامت القيامة أنحن أم أنتم ومن اهتدى يقول وستعلمون حينئذ من المهتدي الذي هو على سنن الطريق القاصد غير الجائر عن قصده منا ومنكم وفي من من قوله فستعلمون من أصحاب الصراط السوى والثانية من قوله ومن اهتدى وجهان الرفع وترك اعمال يعلمون فيهما كما قال جل ثناؤه لنعلم أي الحزبين أحصى والنصب على اعمال يعلمون فيهما كما قال جل ثناؤه والله يعلم المفسد من المصلح

الامر بالجهاد أو ظهور الدولة والغلبة أو بالموت فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه واما بعد الموت وهو ظهور أثر الثواب والعقاب وتمييز الحق والمبطل ويؤيده قوله فستعلمون الى آخره وهذا من كلام المنصف وبالله المستعان

(تم الجزء السادس عشر من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء السابع عشر أوله (سورة الانبياء)

(الجزء السابع عشر)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المسمى

جامع البيان فى تفسير القرآن

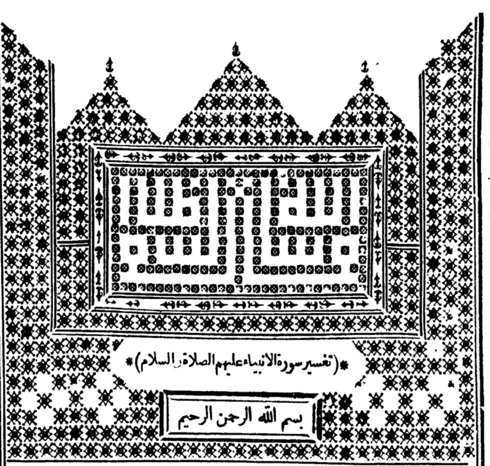
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء السابع عشر من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد) آل الرشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولابرح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة ما يحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)



(تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام)

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تاويل قوله تعالى ذكره (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) يقول تعالى ذكره دنا حساب الناس على أعمالهم التى عملوها فى دنياهم ونعمه التى أنعمها عليهم فيها فى أبدانهم وأجسامهم ومطاعمهم ومشاربهم وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم ومسئلته اياهم ماذا عملوا فيها وهل أطاعوه فيها فانتهوا الى أمره ونهيه فى جميعها أم عصوه فخالفوا أمره فيها وهم فى غفلة معرضون يقول وهم فى الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة وعن دنو محاسبته اياهم منهم واقترابه لهم فى سهو وغفلة وقد أعرضوا عن ذلك فتركوا الفكر فيه والاستعداد له والتأهب جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء وشديد الاهوال * وبنحو الذى قلنا فى تاويل قوله وهم فى غفلة معرضون قال أهل التأويل وجاء الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنى أبو معاوية قال أخبرنا الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم فى غفلة معرضون قال فى الدنيا القول فى تاويل قوله تعالى ذكره (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) يقول تعالى ذكره ما يحدث الله من تنزيل شئ من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم * وبنحو الذى قلنا فى تاويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الآية يقول ما ينزل عليهم من شئ من القرآن الا استمعوه وهم يلعبون القول فى تاويل قوله تعالى (لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) يقول تعالى ذكره لاهية قلوبهم غافلة يقول ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن الا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لاهية قلوبهم يقول غافلة قلوبهم وقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا يقول وأسر هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة

(سورة الانبياء عليهم السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من فى السموات والارض ومن

منهم وهم فى غفلة معرضون لاهية قلوبهم النجوى بينهم يقول وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا هل هذا الذى يزعم انه رسول من الله أرسله اليكم الا بشر مثلكم يقولون هل هو الا انسان مثلكم فى صوركم وخلقكم يعنون بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعلهم وقيلهم الذى أخبر به عنهم فى هذه الآيات انهم يفعلون و يقولون من الاعراض عن ذكر الله والتكذيب برسوله وللذين من قوله وأسروا النجوى الذين ظلموا فى الاعراب وجهان الخفض على انه تابع للناس فى قوله اقترب للناس حسابهم والرفع على الرد على الاسماء الذين فى قوله وأسروا النجوى من ذكر الناس كما قيل ثم عموا وصموا كثير منهم وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء و يكون معناه وأسروا النجوى ثم قال هم الذين ظلموا وقوله أفتأتون السحر وأنتم تبصرون يقول وأظهروا هذا القول بينهم وهى النجوى التى أسروها بينهم فقال بعضهم لبعض أتقبلون السحر وتصدقون به وأنتم تعلمون انه سحر يعنون بذلك القرآن كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال قاله أهل الكفر لنبيهم لما جاء به من عند الله زعموا انه ساحر وان ما جاء به سحر قالوا أتأتون السحر وأنتم تبصرون ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قل ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو السميع العليم) * اختلفت القراء فى قراءة قوله قل ربى فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة و بعض الكوفيين قل ربى على وجه الامر وقرأه بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة قال ربى على وجه الخبر وكان الذين قرؤه على وجه الامر أرادوا من تاويله قل يا محمد للقائلين أتأتون السحر وأنتم تبصرون ربى يعلم قول كل قائل فى السماء والارض لا يخفى عليه منه شى وهو السميع لذلك كله ولما يقولون من الكذب العليم بصدق وحقيقة ما أدعوكم اليه و باطل ما تقولون وغير ذلك من الاشياء كلها وكان الذى قرؤا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا قال محمد ربى يعلم القول خبرا من الله عن جواب نبيه اياهم والقول فى ذلك انهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الامصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء وجاءت بهما مصاحف المسلمين متفقتا المعنى وذلك ان الله اذا أمر محمدا بقيل ذلك قاله واذ قاله فعن أمر الله قاله فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته

۞ القول فى تاويل قوله تعالى (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون) يقول تعالى ذكره ما صدقوا بحكمة هذا القرآن ولا انه من عند الله ولا أقروا بانه وحى أوحاه الله الى محمد صلى الله عليه وسلم بل قال بعضهم هو أهاويل رؤيا رآها فى النوم وقال بعضهم هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه وقال بعضهم بل محمد شاعر وهذا الذى جاءكم به شعر فليأتنا بآية يقول قالوا فليجئنا محمد ان كان صادقا فى قوله ان الله بعثه رسولا الينا وان هذا الذى يتلوه علينا وحى من الله أوحاه الينا بآية يقول بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول و يدعى كما أرسل الاولون يقول كما جاءت به الرسل الاولون من قبله من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وكناقة صالح وما أشبه ذلك من المعجزات التى لا يقدر عليها الا الله ولا يأتى بها الا الانبياء والرسل * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أضغاث أحلام أى فعل حالم انما هى رؤيا رآها بل افتراه بل هو شاعر كل هذا قد كان منهم وقوله فليأتنا بآية كما أرسل الاولون يقول كما جاء عيسى بالبينات وموسى بالبينات والرسل **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أضغاث أحلام قال مشتبهة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أضغاث أحلام قال أهاويلها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال تعالى ذكره بل قالوا ولا جحد فى الكلام ظاهر فيحقق ببل لان الخبر عن أهل الجحود والتكذيب فاجتزى بمعرفة السامعين

عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) القراآت قال ربى بالالف حمزة وعلى وحفص الباقون قل على الامر نوحى بالنون مبنيا للفاعل حفص غير الخراز الباقون بالياء مجهولا * الوقوف الجزء السابع عشر معرضون ج للآية مع احتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا يلعبون لا لان لاهية حال أخرى مترادفة أو متداخلة من ضمير يلعبون وهى لقلوبهم فى المعنى قلوبهم ط مثلكم ج لابتداء الاستفهام مع اتحاد المقول تبصرون ٥ والارض ز لاتفاق الجملتين مع استغناء الثانية عن الاولى العليم ٥ شاعر ج لاختلاف النظم مع اتحاد المقول الاولون ٥ أهلكناها ج لابتداء الاستفهام مع اتحاد المقول يؤمنون ٥ لا تعلمون ٥ خالدين ٥ المسرفين ٥ ذكركم ٥ تعقلون ٥ آخرين ٥ يركضون ٥ ط لتقدير القول تسألون ٥ ظالمين ٥ خامدين ٥ لاعبين ٥ من لدنا ٥ على جعل ان نافية والاصح انها للشرط فاعلين ٥ زاهق لا تصفون ٥ والارض ط لان ما بعده مبتدأ يستحسرون ٥ لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا لا يفترون ٥ * التفسير قال جار الله اللام فى قوله للناس اما صلة لاقترب أو تاكيد لاضافة الحساب اليهم كقولك فى أزف الرحيل الحى أزف للحى الرحيل فيه تاكيدان من جهة تقديم الحى ومن جهة اظهار اللام ثم تزيد تاكيدا آخر من جهة وضع ضمير الحى مضافا اليه الرحيل موضع لام التعريف فيه فتقول أزف للحى رحيلهم والمراد اقترب للناس وقت

حسابهم وهو القيامة كقوله اقتربت الساعة فاذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب وغيره كأنه لما هدد في خاتمة السورة المتقدمة بقوله فستعلمون بين في أول هذه السورة ان وقت ذلك العلم قريب فان قيل كيف وصف بالاقتراب وقد مضى دون هذا القول أكثر من سبعمائة عام فالجواب ان كل ما هو آت قريب وانما البعيد الذي دخل في خبر كان قال القائل شعر فلا زال ما تهواه أقرب من غد * ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس على انه لم يعض (٤) بعد يوم من أيام الله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ومما يدل على أن

بما دل عليه قوله بل من ذكر الخبر عنهم على ما قد بينا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون) يقول تعالى ذكره ما آمن قبل هؤلاء المكذبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا فليأتنا محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله من أهل قرية عذبناهم بالهلاك في الدنيا اذ جاءهم رسولنا اليهم بآية معجزة أفهم يؤمنون يقول أفهؤلاء المكذبون محمدا السائلوه الآية يؤمنون به ان جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهم أسلافهم من الامم الخالية التي أهلكناها برسلها مع مجيئها * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أهلكناها أفهم يؤمنون يصدقون بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون أي الرسل كانوا اذا جاؤا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يناظروا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا الى أمة من الامم التي خلت قبل أمتك الا رجالا مثلهم نوحي اليهم ما نريد أن نوحيه اليهم من أمرنا ونهينا لا ملائكة فماذا أنكروا من ارسالنا اليهم وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك الى أممهم وقوله فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون يقول للقائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم في تناجيهم بينهم هل هذا الا بشر مثلكم فان أنكرتم وجهلتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد فلم تعلموا أيها القوم أمرهم انسا كانوا أم ملائكة فاسئلوا أهل الكتب من التوراة والانجيل ما كانوا يخبروكم عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون يقول فاسئلوا أهل التوراة والانجيل * قال أبو جعفر أراه انا قال يخبروكم ان الرسل كانوا رجالا يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقيل أهل الذكر أهل القرآن ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثني عبد الرحمن بن صالح قال ثني موسى بن عثمان عن جابر الجعفي قال لما نزلت فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال علي نحن أهل الذكر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال أهل القرآن والذكر القرآن وقرأ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين) يقول تعالى ذكره وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد الى الامم الماضية قبل أمتك جسدا لا يأكلون الطعام ولكن جعلناهم أجسادا مثلك يأكلون الطعام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام يقول ما جعلناهم جسدا الا ليأكلوا الطعام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام يقول لم أجعلهم جسدا ليس فيهم أرواح لا يأكلون الطعام ولكن جعلناهم جسدا فيها أرواح يأكلون الطعام

الباقي من مدة التكليف أقل من الماضي قوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وقد وعد بعث خاتم النبيين في آخر الزمان وفي ذكر هذا الاقتراب تنبيه للغافلين وزجر للمذنبين فالمراد بالناس كل من له مدخل في الحساب وهو جميع المكلفين وما روي عن ابن عباس أن المراد بالناس المشركون فمن باب اطلاق اسم الجنس على بعضه بالدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين من الغفلة والاعراض وغيرهما والذكر الطائفة النازلة من القرآن وقرئ محدث بالرفع صفة على المحل واحتجت المعتزلة بالآية على أن القرآن محدث وأجاب الاشاعرة بانه لا نزاع في حدوث المركب من الاصوات والحروف لانه متجدد في النزول وانما النزاع في الكلام النفسي الذي لا يصح عليه الاتيان والنزول وزعم الامام فخر الدين الرازي رضي الله عنه ان حاصل قول المعتزلة في هذا المقام يؤل الى قولنا القرآن ذكر وبعض الذكر محدث لان قوله من ذكر ربهم محدث لا يدل على أن ذكرا ما محدث كما ان قول القائل لا يدخل هذا البلد رجل فاضل لا ينقصونه لا يدل على أن كل رجل يجب أن يكون فاضلا واذا كان كذلك فيصير صورة القياس كقولنا الانسان حيوان وبعض الحيوان فرس وانه لا ينتج شيأ لان الكلية الكبرى شرط في انتاج الشكل الاول كما عرف في علم الميزان قلت ان المعتزلة لا يحتاجون في اثبات دعواهم الى تركيب مثل هذا القياس لان مدعاهم يثبت بتسليم احدى مقدمتي القياس الذي ركبه وهي قوله بعض الذكر محدث لانه نقيض ما يدعيه الاشاعرة وهو لا شيء من القرآن بمحدث واذا صدق أحد النقيضين كذب الآخر بالضرورة فظهر ان الامام غلطهم في هذا القياس الذي ركبه ثم لقائل أن يقول تتميما لقول المعتزلة اذا ثبت أن بعض القرآن محدث لزم أن يكون كله محدثا *قال

لان القائل قائلان أحدهما ذهب الى قدم كله والثانى الى حدوث كله ولم يذهب أحد الى قدم بعضه وحدوث بعضه قال أهل البرهان انما قال في هذه السورة من ربهم محدث لموافقة قوله بعد هذا قل ربي يعلم وقال في الشعراء من ذكر من الرحمن محدث لكثرة ذكر الرحيم فيها فكان الرحمن بالرحيم أنسب قوله تعالى يلعبون اللعب الاشتغال بما لا يعنى قوله لاهية هي من لهى عنه بالكسر اذا ذهل وغفل وفيه انهم الا كالانعام بل هم لا يحصلون من الاستماع والتذكير الا على مثل ما تحصل هي عليه (٥) آذانهم تسمع وقلوبهم لا تعي ولا تفقه ومعنى

* قال أبو جعفر وقال وما جعلناهم جسدا فوحد الجسد وجعله موحدا وهو من صفة الجماعة وانما جاز ذلك لان الجسد بمعنى المصدر كما يقال في الكلام وما جعلناهم خلقا لا يأكلون وقوله وما كانوا خالدين يقول ولا كانوا اربابا لا يموتون ولا يفنون ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فماتوا وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قد أخبر الله عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله أو تأتى بالله والملائكة قبيلا قال الله تبارك وتعالى لهم ما فعلنا ذلك باحد قبلكم فنفعل بكم وانما كنا نرسل اليهم رجالا نوحى اليهم كما أرسلنا اليكم رسولا نوحى اليه أمرنا ونهينا * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كانوا خالدين أى لابد لهم من الموت ان يموتوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين) يقول تعالى ذكره ثم صدقنا رسلنا الذين كذبتهم أممهم وسألتهم الآيات فآتيناهم ما سألوه من ذلك ثم أقاموا على تكذيبهم اياها وأصروا على جحودهم نبوتها بعد الذى أتتهم به من آيات ربها وعدنا الذى وعدناهم من الهلاك على اقامتهم على الكفر بربهم بعد مجىء الآية التى سألوا وذلك كقوله جل ثناؤه فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وكقوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ونحو ذلك من المواعيد التى وعد الامم مع مجىء الآيات وقوله فأنجيناهم يقول تعالى ذكره فأنجينا الرسل عند اصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات ومن نشاء وهم اتباعها الذين صدقوها وآمنوا بها وقوله وأهلكنا المسرفين يقول تعالى ذكره وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأهلكنا المسرفين والمسرفون هم المشركون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) * اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم فيه حديثكم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فيه ذكركم قال حديثكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم قال حديثكم أفلا تعقلون قال في قد أفلح بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان نزل القرآن بمكارم الاخلاق ألم تسمعه يقول لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون * وقال آخرون بل عنى بالذكر في هذا الموضع الشرف وقالوا معنى الكلام لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه شرفكم * قال أبو جعفر وهذا القول الثانى أشبه بمعنى الكلمة وهو نحو مما قال سفيان الذى حكينا عنه وذلك انه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون) يقول تعالى ذكره وكم قصمنا من قرية والقصم أصله الكسر يقال منه قصمت ظهر فلان اذا كسرته وانقصمت سنه اذا انكسرت وهو ههنا معنى به أهلكنا وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال

وأسروا النجوى بالغوا في اخفائها وجعلوها بحيث لا يفطن أحد لها ولا يعلم انهم متناجون وفي واو أسروا وجهان أحدهما انه على لغة من يجوز الحاق علامة التثنية والجمع بالفعل اذا كان مقدما على فاعله وثانيهما وهو الاقوى ان الواو ضمير راجع الى الناس المقدم ذكرهم والذين ظلموا بدل منهم أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى مقدما عليه وعلى التقادير أراد وأسروا النجوى هؤلاء فوضع المظهر موضع المضمر تفصيلا على فعلهم بانه ظلم ثم أبدل من النجوى قوله هل هذا الا بشر الى قوله وأنتم تبصرون أى أتقبلون سحره تعجيلا ٧ تحضرون هناك وأنتم ترون انه رجل مثلكم أو تعلمون انه سحر وأنتم من أهل البصر والعقل وجوز بعضهم أن يكون قوله هل هذا الى آخره مفعولا لقالوا مضمرا وانما أسروا نجوى هذا الحديث لانهم أرادوا شبه التشاور فيما بينهم تحريا لهدم أمر النبى كما جاء في كلام الحكماء ويرفع أيضا الى النبى صلى الله عليه وسلم استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويجوز أن يسروا بذلك ثم يقولوا للرسول والمؤمنين ان كان ما تدعون حقا فاخبرونا بما أسررنا من قرأ قال ربي فعلى حكاية الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه قال انكم وان أخفيتم قولكم وطعنكم فان ربي عالم بذلك وانه من وراء عقابه يصف نفسه في بعض المواضع بانه يعلم السر وذلك حين يريد تخصيصه بعلم الغيب ووصف نفسه ههنا بانه يعلم القول قال جار الله هذا آكد لانه عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة وأقول هذا اذا كان اللام في القول للاستغراق أما اذا كان للجنس فلا يلزم زيادة العلم اذ لا دلالة للعام على الخاص بل نقول العلم بالسر يستلزم العلم بالجهر بالطريق الاولى فلا مزية لاحدى العبارتين على الاخرى وهو السميع العليم خصص علمه بالمسموعات أولا ثم عمم

وقال الامام قدم السميع على العليم لانه لابد من استماع الكلام أولاثم من حصول العلم بمعناه قلت هذا قياس للغائب على الحاضر قوله بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر معنى هذه الاضرابات مع ملاحظة ماقبلها انهم أنكروا أولا كون الرسول من جنس البشر ثم كأنهم قالوا سلمنا ذلك ولكن الذى ادعيت انه معجز ليس بمعجز غايته انه خارق للعادة وليس كل ماهو خارق للعادة معجزا فقد يكون سحرا هذا اذا ساعدنا على أن فصاحة القرآن خارجة عن العادة لكنا عن تسليم هذه المقدمة بمراحل فانا ندعى انه فى غاية الركاكة وسوء النظم كأضغاث أحلام وهى الاحلام المختلطة التى لا أصل لها وقدمر فى سورة يوسف سلمنا ولكنه من جنس كلام الاوساط افتراه من عنده سلمنا انه كلام فصيح ولكنه لايتجاوز فصاحة الشعراء واذا كان حال هذا المعجز هكذا فليأتنا بآية لايتطرق اليها شئ من هذه الاحتمالات كما أرسل الاولون أى كما أتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن لاتيانهم بالآيات ومن تامل فى هذه الاقوال المحكية عن أولئك الكفرة علم انها كلام مبطل متحير هائم فى أودية الضلال والا يكفى فى اعجاز القرآن انهم عدلوا حين تحدوا به عن المعارضة بالحروف الى المقارعة بالسيوف ثم بين ان الآيات التى يقترحونها لافائدة لهم فيها لانهم أعتى من الامم السالفة وانهم ما آمنوا عند مجىء الآيات المقترحة فاهلكوا لاجل ذلك أفهم يؤمنون مع شدة شكيمتهم فيه معنى الانكار أى لايؤمنون البتة وحينئذ يجب اهلاكهم ولكن قدسبق القول من الله ان هذه الامة أمنوا من عذاب الاستئصال ثم أجاب عن شبهتهم الاولى وهى قولهم هل هذا الابشر مثلكم بقوله وما أرسلنا من قبلك الارجالا وقدمر مثله فى آخر سورة يوسف وفى النحل وانما جاز الامر بالرجوع الى أهل الكتاب وان كانوا من الكفرة لان هذا الخبر قد تواتر عندهم وبلغ حد الضرورة على ان أهل الكتاب كانوا يتابعون المشركين فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قولهم عندهم حجة وقيل أهل الذكر أهل القرآن وضعف بانهم كانوا طاعنين فى القرآن وفى محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يؤمرون بالرجوع الى قولهم واستدل كثير من الفقهاء بالآية فى أن العامى أن يرجع الى فتيا العلماء والمجتهد أن يأخذ بقول مجتهد آخر وأجيب بانها خطاب مشافهة وارد فى الواقعة المخصوصة وفى السؤال عن أهل الكتاب فلا يتعدى

ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة قال أهلكناها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وكم قصمنا من قرية قال أهلكناها قال ابن جريج قصمنا من قرية قال باليمن قصمنا بالسيف أهلكوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله قصمنا من قرية قال قصمها أهلكها وقوله من قرية كانت ظالمة أجرى الكلام على القرية والمراد بها أهلها لمعرفة السامعين بمعناه وكان ظلمها كفرها بالله وتكذيبها رسله وقوله وأنشأنا بعدها قوما آخرين يقول تعالى ذكره وأحدثنا بعد ما أهلكنا هؤلاء الظلمة من أهل هذه القرية التى قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم وقوله فلما أحسوا بأسنا يقول فلما عاينوا عذابنا قد حل بهم ورأوه وجدوا مسه يقال منه قد أحسست من فلان ضعفا وأحسسته منه اذاهم منها يركضون يقول اذاهم لما أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عجلى يعدون منهزمين يقال منه ركض فلان فرسه اذا كده بسياقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لاتركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون) يقول تعالى ذكره لاتهربوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه يقول الى ما أنعمتم فيه من عيشتكم ومساكنكم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لاتركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون يعنى من نزل به العذاب فى الدنيا ممن كان يعصى الله من الامم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لاتركضوا لاتفروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وارجعوا الى ما أترفتم فيه يقول ارجعوا الى دنياكم التى أترفتم فيها حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وارجعوا الى ما أترفتم فيه قال الى ما أترفتم فيه من دنياكم * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله لعلكم تسئلون فقال بعضهم معناه لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسئلة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لعلكم تسئلون قال تفقهون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لعلكم تسئلون قال تفقهون * وقال آخرون بل معناه لعلكم تسئلون من دنياكم شيأ على وجه السخرية والاستهزاء ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلكم تسئلون استهزاء بهم حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لعلكم تسئلون من دنياكم شيأ استهزاء بهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين) يقول تعالى ذكره قال هؤلاء الذين أحل الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله ياويلنا انا كنا ظالمين بكفرنا بربنا فمازالت تلك دعواهم يقول فلم تزل دعواهم حين أتاهم بأس الله بظلمهم أنفسهم ياويلنا انا كنا ظالمين

ظالمين حتى قتلهم الله فحصدهم بالسيف كما يحصد الزرع ويستأصل قطعا بالمناجل وقوله خامدين يقول هالكين قد انطفأت شرارتهم وسكنت حركتهم فصاروا هموداً كما تخمد النار فتطفأ * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما زالت تلك دعواهم الآية فلما رأوا العذاب وعاينوه لم يكن لهم هجير الا قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين حتى دمر الله عليهم وأهلكهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين يقول حتى هلكوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس حصيدا الحصاد خامدين خمود النار اذا طفئت حدثنا سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال انهم كانوا أهل حصون وأن الله بعث عليهم بختنصر فبعث عليهم جيشا فقتلهم بالسيف وقتلوا نبيا لهم فحصدوا بالسيف وذلك قوله فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين بالسيف ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) يقول تعالى ذكره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا حجة عليكم أيها الناس ولتعتبروا بذلك كله فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شيء وانه لا تكون الالوهة الا له ولا تصلح العبادة لشيء غيره ولم يخلق ذلك عبثا ولعبا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين يقول ما خلقناهما عبثا ولا باطلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين) يقول تعالى ذكره لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا لاتخذنا ذلك عندنا ولكنا لا نفعل ذلك ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغي لانه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سليمان بن عبيد الله الغيلاني قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا سلام بن مسكين قال ثنا عقبة بن أبي حمزة قال شهدت الحسن بمكة قال وجاءه طاوس وعطاء ومجاهد فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه قال الحسن اللهو المرأة حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية بن الوليد عن علي بن هرون عن محمد عن ليث عن مجاهد في قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا قال الزوجة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا الآية أي ان ذلك لا يكون ولا ينبغي واللهو بلغة أهل اليمن المرأة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لو أردنا أن نتخذ لهوا قال اللهو في بعض لغة أهل اليمن المرأة لاتخذناه من لدنا وقوله ان كنا فاعلين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة قوله ان كنا فاعلين يقول ما كنا فاعلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قالوا مريم صاحبته وعيسى ولده فقال تبارك وتعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا نساء وولدا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين قال من عندنا ولا خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لاتخذناه من لدنا

عن مورد النص وقد مر في آخر سورة يوسف الفرق بين قوله وما أرسلنا من قبلك وقوله وما أرسلنا قبلك بغير من وليس الا ههنا وفي أوائل الفرقان وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ثم أكد كون الرسل من جنس البشر بقوله وما جعلناهم جسدا الآية كأنهم قالوا انه بشر يأكل كما نأكل ويموت كما نموت فلعلهم اعتقدوا وأخلوا الملائكة لا أقل من العمر الطويل ولا بد من تقدير مضاف محذوف أي وما جعلنا الانبياء قبلك ذوي جسد غير طاعمين والاقيل وما جعلناهم جسدا أو وحد الجسد لارادة الجنس (٧) أي ذوي ضرب من الاجساد أو أراد كل واحد منهم قوله صدقناهم الوعد أصله في الوعد فنصب بنزع الخافض ثم فسر الوعد بقوله فأنجيناهم ومن نشاء وهم المؤمنون ثم نبههم على عظيم نعمه عليهم بقوله لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أي شرفكم وصيتكم أو فيه بيان مكارم الاخلاق التي بها يبقى الذكر الجميل مع الثواب الجزيل ثم أوعدهم وحذرهم ما جرى على الامم المكذبة فقال وكم قصمنا والقصم القطع الكبير وهو الذي يبين تلاؤم الاجزاء واذا لم يبين فهو الفصم بالفاء وذلك ان القاف حرف شديد والفاء رخو ولوحظ جانب المعنى في اللفظ ومعنى من قرية من أهل قرية لقوله وأنشأنا بعدها قوما آخرين والضمائر في قوله فلما أحسوا الى آخر القصة والمراد بالاحساس الادراك بحاسة اللمس أو علم لا شك فيه كالمحسوس المشاهد والركض ضرب الدابة بالرجل كأنهم ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم حين أدركتهم مقدمة العذاب قال الجوهري الركض تحريك الرجل على الدابة استحثاثا لها ثم كثر حتى قيل ركض الفرس اذا عدا فعلى هذا يجوز ان القوم كانوا يعدون على أرجلهم فقيل لهم لا تركضوا والقائل اما من الملائكة أو من المؤمنين أو يجعلون أحقاء بأن يقال لهم ذلك أو أسمع رب العزة ملائكته هذا القول لينفعهم في دينهم أو ألهم الله الكفار ذلك فحدثوا به أنفسهم وارجعوا الى ما أترفتم فيه من العيش الهنيء والاتراف ابطار النعمة لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم وعلى أموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو اجلسوا في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم بما تأمرون وماذا ترسمون فينفذ فيهم أمركم ونهيكم أو يسألكم الناس مستعينين بتدابيركم وآرائكم أو يسألكم الوافدون وأرباب الطمع مستمطرين سحائب أكفكم اما لانهم كانوا أسخياء ولكن سمعة ورياء

من عندنا وماخلقنا جنة ولانارا ولاموتا ولابعثا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذاهو زاهق ولكم الويل مما تصفون) يقول تعالى ذكره ولكن ننزل الحق من عندنا وهو كتاب الله وتنزيله على الكفر به وأهله فيدمغه يقول فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بان يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ واذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة وقوله فاذاهو زاهق يقول فاذاهو هالك مضمحل كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاذاهو زاهق قال هالك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذاهو زاهق قال ذاهب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذاهو زاهق والحق كتاب الله القرآن والباطل ابليس فيدمغه فاذاهو زاهق أى ذاهب وقوله ولكم الويل مما تصفون يقول ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته وقيلكم انه اتخذ زوجة وولدا وفريتكم عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل الا أن بعضهم قال معنى تصفون تكذبون * وقال آخرون معنى ذلك تشركون وذلك وان اختلفت به الالفاظ فمتفقة معانيه لان من وصف الله بان له صاحبة فقد كذب فى وصفه اياه بذلك وأشرك به ووصفه بغير صفته غير ان أولى العبارات أن يعبر بها عن معانى القرآن أقربها الى فهم سامعيه ذكر من قال ماقلنا فى ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكم الويل مما تصفون أى تكذبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولكم الويل مما تصفون قال تشركون قال وقال مجاهد سيجزيهم وصفهم قال قولهم الكذب فى ذلك ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وله من فى السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون) يقول تعالى ذكره وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوا وله ملك جميع من فى السموات والارض والذين عنده من خلقه لا يستنكفون عن عبادتهم اياه ولا يعيون من طول خدمتهم له وقد علمتم انه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبته وكل من فى السموات والارض عبيده فانى يكون له صاحبة وولد يقول أولا تتفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا يستحسرون لا يرجعون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا يستحسرون لا يحسرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يستحسرون قال لا يعيون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ولا يستحسرون قال لا يعيون حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون قال لا يستحسرون لا يملون ذلك الاستحسار قال ولا يفترون ولا يسأمون هذا كله معناه واحد والكلام مختلف وهو من

واما الانهم ضلال وفى كل هذه الوجوه تهكم بهم وتوبيخ لهم فمازالت تلك الدعوى وهى قولهم ياويلنا الان المولول كانه يدعو الويل دعواهم الاول اسم مازال والثانى خبره أو بالعكس والدعوى بمعنى الدعوة وقدمر فى قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والحصيد المحصودة كقوله منها قائم وحصيد شبهوا بالزرع المستأصل والنار التى تخمد فتصير رمادا أى جعلناهم مشبهين بالمحصود والخامد وحد حصيدا لان المراد زرعا حصيدا أو لان فعيلا قد يستوى فيه (٨) الواحد والجمع عن ابن عباس ان الآية نزلت فى حضور وسحول قريتين باليمن تنسب اليهما الثياب وفى الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين سحوليين وروى حضور يين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم فكان القوم حصدوا بالسيف وروى انه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء ياثارات الانبياء قال أهل النظم لما بين اهلاك كثير من القرى لاجل ظلمهم وتكذيبهم منهما اللتان رواهما ابن عباس اتبعه مايدل على انه فعل ذلك عدلا ومجازاة لاعبثا ولا مجازفة فقال وما خلقنا السماء والارض الآية أى وماسوينا هذا السقف المرفوع والمهاد الموضوع ومابينهما من الاركان والمواليد كما تسوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو أو اللعب وانما سويناهما لغايات صحيحة ومنافع للخلق دينية ودنيوية كما مر طرف منها فى أول البقرة ويمكن أن يقال المقصود من سياق الآية تقرير نبوة محمد والرد على منكريه لانه ظهر المعجز عليه فان كان صادقا فهو المطلوب وان كان كاذبا كان اظهار المعجز عليه من باب اللعب وهو منفى عنه سبحانه قال القاضى عبد الجبار فيه دليل على أنه لا يخلق اللعب وكل قبيح والا كان لاعبا وعورض بمسالتى العلم والداعى ثم بين ان السبب فى ترك اتخاذ اللهو واللعب ليس هو العجز والضعف ولكن لان الحكمة قولهم تنافيه معنى من لدنا من جهة قدر تنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن أو المرأة وقيل من لدنا أى من الملائكة لامن الانس ردا على من قال عزير ابن الله والمسيح ابن الله ويحتمل أن يقال من لدنا أى من عندنا على سبيل الخفية فلا تعرفونه ولا تسمعون اسمه فيكون الرد شاملا لكل من ادعى لله ولدا ولو من الملائكة ثم اضرب عن اتخاذ اللهو واللعب فوصف نفسه بما يضاد فعل العبث قائلا بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا

قولهم بعير حسير اذا أعيا وقام ومنه قول علقمة بن عبدة

بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب

﴿ القول في تأويل قوله تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) يقول تعالى ذكره يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكته ربهم الليل والنهار لا يفترون من تسبيحهم اياه كما حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا حميد عن اسحق بن عبد الله بن الحرث عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويسبحون الليل والنهار لا يسأمون فقال هل يؤذك طرفك هل يؤذك نفسك قال لا قال فانهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطرف والنفس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو معاوية عن أبي اسحق الشيباني عن حسان بن مخارق عن عبد الله بن الحرث قال قلت لكعب الاحبار يسبحون الليل والنهار لا يفترون أما يشغلهم رسالة أو عمل قال يا ابن أخي انهم جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس ألست تأكل وتشرب وتقوم وتقعد وتجيء وتذهب وأنت تنفس قلت بلى قال فكذلك جعل لهم التسبيح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن وأبو داود قالا ثنا عمران القطان عن قتادة عن سالم أبي الجعد عن ابن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمرو قال ان الله خلق عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء الملائكة وجزأ سائر الخلق وجزأ الملائكة عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون وجزأ لرسالته وجزأ الخلق عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء الجن وجزأ سائر بني آدم وجزأ بني آدم عشرة أجزاء فجعل يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء وجزأ سائر بني آدم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون يقول الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون فيها وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه اذ قال تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شيء يا نبي الله قال اني لاسمع أطيط السماء وما تلام ان تئط وليس فيها موضع راحة الا وفيه ملك ساجد أو قائم وقوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون يعني بقوله هم الآلهة يقول أهل هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الاموات يقول يحيون الاموات وينشرون الخلق فان الله هو الذي يحيي ويميت كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثني عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ينشرون يقول يحيون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون يقول أفي آلهتهم أحد يحيي ذلك ينشرون وقرأ قول الله قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله ما لكم كيف تحكمون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) يقول تعالى ذكره لو كان في السموات والارض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الاشياء وله العبادة والالوهة التي لا تصلح الا له لفسدتا يقول لفسد أهل السموات والارض فسبحان الله رب العرش عما يصفون يقول جل ثناؤه فتنزيه لله وتبرئة له مما يفتري به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

للرسالة فقال ولكم الويل مما تصفون أي تصفونه به ثم بين كمال قدرته ونهاية حلمه وحكمته فقال وله من في السموات والارض والمراد بمن عنده الملائكة المقربون والمقصود عندية الشرف والرتبة فأما عندية المكان ففيها بحث طويل قال الزجاج لا يستحسرون أي لا يتعبون ولا يعيهم الاعياء قال جار الله كان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم أدنى الحسور ولكنه ذكر بلفظ المبالغة وهو استفعل لبيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور وانهم احقاء بتلك العبادات الشاقة بان يستحسروا ومع ذلك لا يعدونها تعبا عليهم ثم أكد ذلك بقوله يسبحون الليل والنهار منصوبان على الظرفية لا يفترون لا يلحقهم الفتور والكلال وحاصل الآية ان الملائكة مع غاية شرفهم ونهاية قربهم لا يستنكفون عن طاعة الله فكيف يليق بالبشر مع ضعفهم ونقصهم أن يتمردوا عن طاعته وقد مر في أول سورة البقرة استدلال مفضل الملائكة على الانبياء بهذه الآية وبغيرها فلا حاجة الى اعادته عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب الاحبار أرأيت قول الله عز وجل يسبحون

الليل والنهار لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا أولئك عليهم لعنة الله والملائكة أليس الرسالة واللعن مانعين لهم عن التسبيح أجاب كعب بان التسبيح لهم كالنفس لنا لا يمنعهم عن الاشتغال بشيء آخر واعترض بان آلة التنفس فينا مغايرة للسان فلهذا صح اجتماع التنفس والتكلم وأجيب بانه لا استبعاد في أن يكون لهم ألسن كثيرة أو يكون المراد بعدم الفتور انهم لا يتركون التسبيح في أوقاته

الاثقة به * التأويل اقترب لاهل النسيان أن يحاسبوا أنفسهم كقوله ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ما يأتيهم من ذكر وعظ وتذكير من عالم رباني محدث الهامه الا أنكروه عليه ونسبوه الى التخابط ونحوه وما جعلناهم جسدا فيه ان الله قادر على أن لا يجعل النبي والولي ذا جسد ولكن اقتضت حكمته كونهم ذوي أجسادا آكلين للطعام فان الطعام للروح الحيواني الذي هو مركب الروح الانساني كالدهن للسراج و بالقوى الحيوانية تتم الكمالات النفسانية وتدرك المحسوسات وتستفاد العلوم المستندة الى الاحساس

سعيد عن قتادة قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون يسبح نفسه اذا قيل عليه البهتان ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) يقول تعالى ذكره لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت واعزاز واذلال وغير ذلك من حكمه فيهم لانهم خلقه وعبيده وجميعهم في ملكه وسلطانه والحكم حكمه والقضاء قضاؤه لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول له لم فعلت ولم لم تفعل وهم يسئلون يقول جل ثناؤه وجميع من في السموات والارض من عباده مسؤلون عن أفعالهم ومحاسبون على أعمالهم وهو الذي يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه لانه فوقهم ومالكهم وهم في سلطانه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون يقول لا يسئل عما يفعل بعباده وهم يسئلون عن أعمالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال لا يسئل الخالق عن قضائه في خلقه وهو يسأل الخلق عن عملهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال لا يسئل الخالق عما يقضي في خلقه والخلق مسؤلون عن أعمالهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) يقول تعالى ذكره اتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضر وتخلق وتحيي وتميت قل يا محمد لهم هاتوا برهانكم يعني حجتكم يقول هاتوا ان كنتم تزعمون انكم محقون في قيلكم ذلك حجة ودليلا على صدقكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل هاتوا برهانكم يقول هاتوا بينتكم على ما تقولون وقوله هذا ذكر من معي يقول خبر من معي عما لهم من ثواب الله على ايمانهم به وطاعتهم اياه وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم اياه وكفرهم به وذكر من قبلي يقول وخبر من قبلي من الامم التي سلفت قبلي وما فعل الله بهم في الدنيا وهو فاعل بهم في الآخرة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا ذكر من معي يقول هذا القرآن فيه ذكر الحلال والحرام وذكر من قبلي يقول ذكر أعمال الامم السالفة وما صنع الله بهم والى ما صاروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج هذا ذكر من معي قال حديث من معي وحديث من قبلي وقوله بل أكثرهم لا يعلمون الحق يقول بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون فهم معرضون عن الحق جهلا منهم به وقلة فهم وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون عن كتاب الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) يقول تعالى ذكره وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول الى أمة من الامم الا نوحي اليه انه لا معبود في السموات والارض تصلح العبادة له سواي فاعبدون يقول فاخلصوا لي العبادة وافردوا

والتجربة وتفصيله أكثر من أن يحصى قال بعض المشايخ لولا الهوى ما سلك أحد طريقا الى الله وما كانوا خالدين والسر فيه ان يعلموا من الموت حقيقة اسم المميت كما علموا من الحيوة اسم حقيقة المحيي ثم صدقناهم الوعد الذي وعدناهم حين اهبطوا الى الارض فانجيناهم ومن نشاء من متابعيهم من هاوية الهوان وعالم الطبيعة وأهلكنا المسرفين الذين أسرفوا على أنفسهم بالركون الى أسفل سافلين الطبائع وكم قصمنا من أهل قرية قالب فلما أحسوا بأسنا وهي شدة قطع التعلق عن الكونين فان الفطام عن المألوف شديد لا تركضوا منا بل فروا الينا وارجعوا الى التنعمات الروحانية ومساكنكم الاصلية لعلكم تسألون عزة وكرامة وما خلقنا سموات الارواح وأرض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار من غير غاية وانما خلقناها لتكون لطفنا وقهرنا بل نقذف بالحق على الباطل للحق ثلاث مراتب مرتبة أفعال الحق ومرتبة صفات الحق ومرتبة ذات الحق ففي كل مرتبة يتجلى الحق فيها للعبد زاهق باطل تلك المرتبة عن العبد حتى اذا تجلى له بافعاله ذهب عنه باطل الافعال واذا تجلى له بصفاته ذهب باطل صفاته واذا تجلى له بذاته في ذاته فيقول أنا الحق وسبحاني والويل لمن لم يذهب باطله باحدى هذه المراتب فيبقى متصفا بالوجود المجازي (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون

لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك (11) يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد

وأفردوا الى الالوهة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون به أرسلت الرسل بالاخلاص والتوحيد لا يقبل منهم قال أبو جعفر أظنه انا قال عمل حتى يقولوه ويقروا به والشرائع مختلفة فى التوراة شريعة وفى الانجيل شريعة وفى القرآن شريعة حلال وحرام وهذا كله فى الاخلاص لله والتوحيد له ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بربهم اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته فقال جل ثناؤه استعظاما مما قالوا وتبريا مما وصفوه به سبحانه يقول تنزيها له عن ذلك ما ذلك من صفته بل عباد مكرمون يقول ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بنى آدم ولكنهم عباد مكرمون يقول أكرمهم الله كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون قال قالت اليهود ان الله تبارك وتعالى صاهر الجن فكانت منهم الملائكة قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم وردا عليهم بل عباد مكرمون وان الملائكة ليس كما قالوا انما هم عباد أكرمهم الله بعبادته **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة و **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قالت اليهود وطوائف من الناس ان الله تبارك وتعالى خاتن الى الجن والملائكة من الجن قال الله تبارك وتعالى سبحانه بل عباد مكرمون وقوله لا يسبقونه بالقول يقول جل ثناؤه لا يتكلمون الا بما يأمرهم به ربهم ولا يعملون عملا الا به **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله لا يسبقونه بالقول يثنى عليهم وهم بأمره يعملون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) يقول تعالى ذكره يعلم ما بين أيدى ملائكته ما لم يبلغوه ما هو وما هم فيه قائلون وعاملون وما خلفهم يقول وما مضى من قبل اليوم مما خلفوه وراءهم من الازمان والدهور وما عملوا فيه قالوا ذلك كله محصى لهم وعليهم لا يخفى عليه من ذلك شئ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم يقول يعلم ما قدموا وما أضاعوا من أعمالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى يقول ولا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى يقول الذين ارتضى لهم شهادة أن لا اله الا الله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا لمن ارتضى قال لمن رضى عنه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله

أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون)

القراآت الا نوحى اليه بالنون حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد انى اله بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن مجاهد عن ابن ذكوان ألم ير بغير واو ابن كثير الآخرون بواو متوسطة بين همزة الاستفهام والفعل ونظائرها كثيرة ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان ولا تسمع من الاسماع خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم الصم بالنصب ابن عامر الآخرون على الغيبة من السماع

الصم بالرفع مثقال الحبة بالرفع على كان التامة وكذلك في سورة لقمان أبو جعفر ونافع الباقون بالنصب * الوقوف ينشرون ه لفسدتا ج للابتداء بسبحان للتعظيم مع فاء التعقيب تعجيلا للتنزيه يصفون ه يسئلون ه آلهة ط برهانكم ج لاتحاد المقول من غير عاطف قبلي ط لايعلمون ه لا لان مابعده مفعول معرضون ه فاعبدون ه سبحانه ط مكرمون ه ط لان مابعده صفة بعد صفة يعملون ه ولا يشفعون ه لا للاستثناء مشفقون ه (١٢) جهنم ط بالظالمين ه ففتقناهما ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار حي ط لايؤمنون ه يهتدون ه محفوظا ج لاحتمال الواو الاستئناف والحال معرضون ه والقمر ط يسبحون ه الخلد ط الخالدون ه الموت ط فتنة ط ترجعون ه هزوا ط آلهتكم ج لاحتمال الواو الاستئناف والحال كافرون ه من عجل ط فلا تستعجلون ه صادقين ه ينصرون ه ينظرون ه يستهزؤن ه ط من الرحمن ط معرضون ه من دوننا ط فصلا بين الاستفهام والاخبار يصحبون ه العمر ط من أطرافها ط الغالبون ه صادقين ه ينصرون ه بالوحي ه لاستئناف ولا يسمع بالياء التحتانية والوصل أجوز لتتميم المقول ومن قرأ على الخطاب وقف لانه خرج عن المقول ينذرون ه ظالمين ه شيأ ط أتينا بها ط حاسبين ه للمتقين ه لا لاتصاف الصفة ولا يخفى انه يحتمل النصب أو الرفع على المدح فيجوزان لا يوصل مشفقون ه أنزلناه ط منكرون * التفسير انه سبحانه بدأ في أول السورة بذكر المعاد ثم انجر الكلام الى النبوات ومايتصل بها من الاوجه وابالختم الكلام بالالهيات لانها المقصود بالذات فقال على سبيل الاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها بواسطة

ولا يشفعون الا لمن ارتضى يوم القيامة وهم من خشيته مشفقون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة يقول ولا يشفعون يوم القيامة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله وقوله وهم من خشيته مشفقون يقول وهم من خوف الله وحذار عقابه أن يحل بهم مشفقون يقول حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) يقول تعالى ذكره ومن يقل من الملائكة انى اله من دون الله فذلك الذى يقول ذلك منهم نجزيه جهنم يقول نثيبه على قيله ذلك جهنم كذلك نجزى الظالمين يقول كما نجزى من قال من الملائكة انى اله من دون الله جهنم كذلك نجزى ذلك كل من ظلم نفسه فكفر بالله وعبد غيره وقيل عنى بهذه الآية ابليس وقال قائلوا ذلك انما قلنا ذلك لانه لا أحد من الملائكة قال انى اله من دون الله سواه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ومن يقل منهم قال قال ابن جريج من يقل من الملائكة انى اله من دونه فلم يقله الا ابليس دعا الى عبادة نفسه فنزلت هذه فى ابليس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين وانما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله ابليس لما قال ما قال لعنه الله وجعله رجيما فقال فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم قال هى خاصة لابليس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون) يقول تعالى ذكره أولم ينظر هؤلاء الذين كفروا بالله بأبصار قلوبهم فيروا بها ويعلموا ان السموات والارض كانتا رتقا يقول ليس فيهما ثقب بل كانتا ملتصقتين يقال منه رتق فلان الفتق اذا شده فهو يرتقه رتقا ورتوقا ومن ذلك قيل للمرأة التى فرجها ملتحم رتقاء ووحد الرتق وهو من صفة السماء والارض وقد جاء بعد قوله كانتا لانه مصدر مثل قول الزور والصوم والفطر وقوله ففتقناهما يقول فصدعناهما وفرجناهما ثم اختلف أهل التأويل فى معنى وصف الله السموات والارض بالرتق وكيف كان الرتق وبأى معنى فتق فقال بعضهم عنى بذلك ان السموات والارض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا يقول ملتصقتين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الآية يقول كانتا رتقا فرفع السماء ووضع الارض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما كان ابن عباس يقول كانتا ملتزقتين ففتقهما الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كان الحسن وقتادة يقولان كانتا جميعا ففصل الله بينهما بهذا الهواء

أم المنقطعة أم اتخذوا آلهة من الارض نسبت الى الارض كما يقال فلان من مكة لانها أصنام تعبد فى الارض لان الآلهة على ضربين أرضية وسماوية أو أرادانها من جنس الارض لانها تنحت من حجر أو تعمل من جوهر آخر أرضى ويقال أنشر الله الموتى ونشرها أى أحياها ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات كانهم بادعائهم لها الالهية ادعوا لها الانشار وان كانوا منكرين البعث فضلا عن قدرة الاصنام عليه لانه لا يستحق هذا الاسم الاعلى القادر كل مقدور والانشار من جملة المقدورات بالدلائل

الباهر وفيه بيان من التهكم والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الاقتدار على الابداء والاعادة من لوازم الالهية ومعنى هم أفادت الخصوصية كانه قيل أم اتخذوا آلهة لا تقدر على الانشار الا هم وحدهم وفيه رمز الى أن الامر المختص بالاقتدار هو وحده ولما قدم الانكار شرع فى دليل التوحيد فقال لو كان فيهما أى فى السموات والارض وقد مر ذكرهما آلهة الا الله أى غير الله قال النحويون الا ههنا بمعنى غير لتعذر حمل الا على الاستثناء لانها تابعة لجمع منكور غير محصور والاستثناء لا يصح الا اذا كان المستثنى داخلا فى المستثنى منه لولا الاستثناء وقد يقال ان الا فى هذه المادة لا يمكن أن تكون للاستثناء لانا لو حملناها على الاستثناء لصار المعنى لو كان فيهما آلهة ليس معهم الله وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان فيهما آلهة معهم الله لم يحصل الفساد وللمفسرين فى تفسير الآية طريقان أحدهما حمل الغائب على الشاهد والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة غير الواحد الذى هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين الاول وجوب أن لا يكون مدبرهما الا واحدا والثانى أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه لقوله غير الله وانما وجب الامران لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وثانيهما طريق التمانع بان يقال لو فرضنا الهين وأراد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه فان وقع مرادهما لزم اجتماع الضدين فى محل واحد وان لم يقع مرادهما لزم عجزهما وان وقع مراد أحدهما دون الآخر فذلك الآخر عاجز لا يصلح للالهية والاعتراض على هذا التقدير من وجهين الاول أن اختلافهما فى الارادة أمر ممكن والممكن لا يجب أن يقع * والثانى ان الفساد فى السموات والارض كيف يترتب على اختلافهما وفى الجواب طريقان أحدهما الرجوع الى التفسير الاول وهو احالة الامر على ما هو الغالب المعتاد من أن الملك عقيم ولا يجتمع فحلان على شول والشول جماعة النوق التى جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية فلا بد من وقوع التنازع والاختلاف وحدوث الهرج والمرج عند ذلك الطريق الثانى العدول الى ضرب آخر من البيان وهو ان اتفاق الالهين على مقدور واحد محال لان كلا منهما مستقل بالتأثير كامل فى القدرة فاذا وقع المقدور باحدهما استحال أن يقع بالآخر مرة أخرى على أنه لو

الهواء * وقال آخرون بل معنى ذلك ان السموات كانت مرتتقة طبقة ففتقها الله فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت كذلك مرتتقة ففتقها فجعلها سبع أرضين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى رتقا ففتقناهما من الارض ست أرضين معها فتلك سبع أرضين معها ومن السماء ست سموات معها فتلك سبع سموات معها قال ولم تكن الارض والسماء متماستين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد رتقا ففتقناهما قال فتقهن سبع سموات بعضهن فوق بعض وسبع أرضين بعضهن تحت بعض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث محمد بن عمرو عن أبى عاصم حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل قال سألت أبا صالح عن قوله كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت الارض رتقا والسموات رتقا ففتق من السماء سبع سموات ومن الارض سبع أرضين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال كانت سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين فى الخميس والجمعة وانما سمى يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض فذلك حين يقول خلق السموات والارض فى ستة أيام يقول كانتا رتقا ففتقناهما * وقال آخرون بل عنى بذلك ان السموات كانت رتقا لا تمطر والارض كذلك رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانتا رتقا لا يخرج منهما شئ ففتق السماء بالمطر وفتق الارض بالنبات قال وهو قوله والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبى عن الفضيل بن مرزوق عن عطية فى قوله أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر وفتق الارض بالنبات وجعل من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السموات رتقا لا ينزل منها مطر وكانت الارض رتقا لا يخرج منها نبات ففتقهما الله فانزل مطر السماء وشق الارض فاخرج نباتها وقرأ ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون وقال آخرون انما قيل ففتقناهما لان الليل كان قبل النهار ففتق النهار ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال خلق الليل قبل النهار ثم قال كانتا رتقا ففتقناهما * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا من المطر والنبات ففتقنا السماء بالغيث والارض بالنبات وانما قلنا ذلك أولى بالصواب فى ذلك لدلالة قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى على ذلك وانه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة الا والذى تقدمه من ذكر أسبابه فان قال قائل فان كان ذلك كذلك فكيف قيل أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا والغيث

انما ينزل من السماء الدنيا قيل ان ذلك مختلف فيه قد قال قوم انه انما ينزل من السماء السابعة وقال آخرون من السماء الرابعة ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت من أنه ينزل من السماء الدنيا لم يكن في قوله ان السموات والارض دليل على خلاف ما قلنا لانه لا يمتنع أن يقال السموات والمراد منها واحدة فتجمع لان كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب أخلاق وقميص أسمال فان قال قائل وكيف قيل ان السموات والارض كانتا فالسموات جمع وحكم جمع الاناث أن يقال في قليله كن وفي كثيره كانت قيل انما قيل ذلك كذلك لانهما صنفان فالسموات نوع والارض آخر وذلك نظير قول الاسود بن يعفر

ان المنية والحتوف كلاهما * توفي المخارم يرقبان سوادي

فقال كلاهما وقد ذكر المنية والحتوف لما وصفت من أنه عنى النوعين وقد أخبرت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال أنشدني غالب النفيلي للقطامي

ألم يحزنك ان حبال قيس * وتغلب قد تباينت انقطاعا

فجعل حبال قيس وهي جمع وحبال تغلب وهي جمع اثنين وقوله وجعلنا من الماء كل شئ حي يقول تعالى ذكره وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شئ كما حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجعلنا من الماء كل شئ حي قال كل شئ حي خلق من الماء فان قال قائل وكيف خص كل شئ حي فانه جعل من الماء دون سائر الاشياء غيره فقد علمت انه يحيا بالماء الزروع والنبات والاشجار وغير ذلك مما لا حياة له ولا يقال له حي ولا ميت قيل لانه لا شئ من ذلك الا وله حياة وموت وأن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الارواح في انه لا أرواح فيهن وان في ذوات الارواح أرواحا فلذلك قيل وجعلنا من الماء كل شئ حي وقوله أفلا يؤمنون يقول أفلا يصدقون بذلك ويقرون بالوهة من فعل ذلك ويفردونه بالعبادة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون) يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء الكفار أيضا من حججنا عليهم وعلى جميع خلقنا انا جعلنا في الارض جبالا راسية والرواسي جمع راسية وهي الثابتة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا في الارض رواسي أي جبالا وقوله أن تميد بهم يقول أن لا تتكفأ بهم يقول جل ثناؤه فجعلنا في هذه الارض هذه الرواسي من الجبال فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس وليقدروا بالثبات على ظهرها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانوا على الارض تمور بهم لا تستقر فأصبحوا وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتادا للارض وجعلنا فيها فجاجا سبلا يعني مسالك واحدها فج كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا فيها فجاجا أي أعلاما وقوله سبلا أي طرقا وهي جمع السبيل وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول انما عنى بقوله وجعلنا فيها فجاجا وجعلنا في الرواسي فالهاء والالف في قوله وجعلنا فيها من ذكر الرواسي حدثنا بذلك القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وجعلنا فيها فجاجا سبلا قال بين الجبال وانما اخترنا القول الآخر في ذلك وجعلنا الهاء والالف من

أراد كل واحد منهما أن يوجده هو فهذا أيضا اختلاف ولو قيل انه يريد كل واحد منهما أن يكون الموجد له أحدهما لا بعينه فهذه ارادة مبهمة لا تصلح للتأثير فلا بد من الاختلاف وقد عرفت حاله ولزوم الفساد حينئذ ظاهر لان كل ما يصدر عن الهين عاجزين أو اله عاجز لم يكن على الوجه الاصلح والنمط الاصوب بل العاجز لا يصلح للايجاد أصلا فلا يوجد على ذلك التقدير شئ من الممكنات وهو الفساد الكلي ومنهم من يقول دليل التمانع على وجوه أخر منها انا لو قدرنا (١٤) الهين فهل يقدر كل واحد منهما على أن يمنع صاحبه عن مراده أم لا فان قلت يقدر كان كل منهما مقهورا والالآخر وان قلت لا يقدر فقد ثبت عجز كل واحد منهما ومنها ان أحدهما هل يقدر على أن يستر شيأ من أفعاله عن الآخر أولا فان قدر فالمستور عنه جاهل عاجز والا فالاول عاجز ولا يخفى ما في أمثال هذين الوجهين من الضعف لان عدم القدرة على المحال لا يسمى عجزا ولهذا لا يمكن أن يقال انه تعالى عاجز عن خلق مثله أو انه اذا أوجد شيأ أنفدت قدرته عن خلق ذلك الشئ وحصل له عجز ومن الطاعنين في دلالة التمانع من فسر الآية بان المراد لو كان في السماء والارض آلهة غير الله كما تزعم عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على وجوه التدبير والتصرف لانفسها فضلا عن غيرها ولقائل أن يقول ان الآلهة لو كانت منفردة بالتدبير يلزم الفساد أما انها لو كانت وسائط أو معاونة للاله الاعظم كما تزعم عبدة الاوثان فمن أين يلزم الفساد واعلم انا قد بينا دلائل التوحيد في مواضع من هذا الكتاب ولاسيما في سورة البقرة في تفسير قوله والهكم اله واحد ولنا في هذا المقام طريقة أخرى ما أظنها وطئت قبلي فاقول وبالله التوفيق ان الوحدة من صفات الكمال وقد ركز ذلك في العقول حتى ان كل عامل مهما تم له أمر واحد لم يتعد فيه الى اثنين واذا اضطر الى الشركة والتعاون راعى فيه الابسط فالابسط لا يزيد العدد الا بقدر ذكر الافتقار وعلى هذا مدار الامور السياسة والمنزلية هذا في المؤثر وأما في الاثر فلا ريب انه اذا استند الى ما هو بسيط حقيقي لم يكن فيه الا جهة واحدة افتقارية واذا استند الى ما فوق ذلك كانت فيه من الجهات الافتقارية بحسب ذلك فيكون النقص تابعا لقلة جهات الافتقار وكثرتها وكل مرتبة للممكنات تفرض من العقول والنفوس والافلاك والعناصر والمواليد فان كان مبدأ تلك السلسلة الطويلة واحدا كانت

الجهات الاعتبارية الافتقارية فيها أقل مما لو كان المبدأ أزيد من واحد وهذه قضية يقينية اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه سبحانه أراد أن يدفع هذا النقص من الممكنات ولو هذه بمعنى ان والمراد أن هذا النقص والفساد لازم لوجود آلهة غير الله سواء كان الله من جملتهم أم لا ولن يرضى العاقل بما فيه نقصه وفساده فوجب أن لا يعتقد الها غير الله وهذه النتيجة هي المراد بقوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون من الانداد والشركاء فتكون هذه الآية نظيرة قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا وفيه قول زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير ثم أكد تفرده بالالهية بقوله لا يسئل عما يفعل وفيه رد على الثنوية والمجوس الذين أثبتوا لله شريكا فاعلا للشرور والآلام وذلك انهم طلبوا الحكمة في أفعال الله تعالى فقالوا لو كان مدبر العالم واحدا لم يخص هذا بانواع الخيرات من الصحة والغنى وذلك باصناف الشرور من المرض والفقر فذكر سبحانه ان الاعتراض على أفعاله ينافي الديانة وان له أن يفعل ما شاء كما يشاء ولا مجال للسؤال عن أفعاله فكل من الاشاعرة والمعتزلة سلموا انه لا يجوز أن يقال لله لم فعلت ولكنهم جعلوا عدم جواز السؤال على مأخذ آخر أما الاشاعرة فذهبوا الى أن أفعاله لا تعلل بالمصالح والاغراض وله بحكم المالكية أن يفعل في مخلوقاته ما شاء فان من تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت وكيف يتصور في حقه استحقاق الذم واستحقاق المدح له قديم وما يثبت للشئ لذاته يستحيل أن يتبدل لاجل تبدل الصفات وكان ذاته غير معللة بشئ فكذلك صفاته وأفعاله وانه غير محتاج الى الاسباب والوسائط والاغراض والمقاصد وأما المعتزلة فقد قالوا انه تعالى عالم بقبح القبائح وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه يستحيل أن يفعل القبيح واذا عرف المكلف اجمالا ان كل ما يفعله الله فهو حكمة وصواب وجب أن يسكت عن لم واذا كان الملوك الجبابرة لا يسألهم من في مملكتهم عما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا له مع جواز الخطأ والزلل عليهم فملك الملوك ورب الارباب أولى بان لا يسئل عن أفعاله مع ما ذكر في العقول من أن كل ما يفعله فهو حسن مشتمل على الغايات الصحيحة ثم زاد الالهية تأكيدا بقوله وهم يسئلون وفيه رد على منكري التكليف الذاهبين الى

ذكر الارض لانها اذا كانت من ذكرها دخل في ذلك السهل والجبل وذلك ان ذلك كله من الارض وقد جعل الله لخلقه في ذلك كله فجاجا سبلا ولا دلالة تدل على انه عنى بذلك فجاج بعض الارض التي جعلها لهم سبلا دون بعض فالعموم بها أولى وقوله لعلهم يهتدون يقول تعالى ذكره جعلنا هذه الفجاج في الارض ليهتدوا الى السير فيها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) يقول تعالى ذكره وجعلنا السماء سقفا للارض مسموكا وقوله محفوظا يقول حفظناها من كل شيطان رجيم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سقفا محفوظا قال مرفوعا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا الآية سقفا مرفوعا وموجا مكفوفا وقوله وهم عن آياتها معرضون يقول وهؤلاء المشركون عن آيات السماء ويعني بآياتها شمسها وقمرها ونجومها معرضون يقول يعرضون عن التفكر فيها وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم ودلالتها على وحدانية خالقها وانه لا ينبغي أن تكون العبادة الا لمن دبرها وسواها ولا تصلح الا له وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهم عن آياتها معرضون قال الشمس والقمر والنجوم آيات السماء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون يقول تعالى ذكره والله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار نعمة منه عليكم وحجة ودلالة على عظيم سلطانه وان الالوهة له دون كل ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معايشكم وأمور دنياكم وآخرتكم وخلق الشمس والقمر أيضا كل في فلك يسبحون يقول كل ذلك في فلك يسبحون * واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية فقال بعضهم هو كهيئة حديدة الرحى ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كل في فلك يسبحون قال فلك كهيئة حديدة الرحى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج كل في فلك قال فلك كهيئة حديدة الرحى **حدثنا** ابن حميد قال ثني جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس كل في فلك يسبحون قال فلك السماء * وقال آخرون بل الفلك الذي ذكره الله في هذا الموضع سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها ذكر من قال ذلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله كل في فلك يسبحون الفلك الجري والسرعة * وقال آخرون الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه * وقال آخرون بل هو القطب التي تدور به النجوم واستشهد قائل هذا القول لقوله هذا بقول الراجز

باتت تناجي الفلك الدوارا * حتى الصباح تعمل الاقتارا

*وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كل في فلك يسبحون أي في فلك السماء حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كل في فلك يسبحون قال يجري في فلك السماء كما رأيت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كل في فلك يسبحون قال الفلك الذي بين السماء والارض من مجاري النجوم والشمس والقمر وقرأ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وقال تلك البروج بين السماء والارض وليست في الارض كل في فلك يسبحون قال فيما بين السماء والارض النجوم والشمس والقمر وذكر عن الحسن انه كان يقول الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل *والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل كل في فلك يسبحون وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحى وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحى وجائز أن يكون موجا مكفوفا وأن يكون قطب السماء وذلك ان الفلك في كلام العرب هو كل شئ دائر فجمعه أفلاك وقد ذكرت قول الراجز * باتت تناجي الفلك الدوارا * واذ كان كل ما دار في كلام العرب فلكا ولم يكن في كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمن يقطع بقوله العذر دليل يدل على أي ذلك هو من أي كان الواجب أن نقول فيه ما قال ونسكت عما لا علم لنا فيه فاذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا فتأويل الكلام والشمس والقمر كل ذلك في دائر يسبحون وأما قوله يسبحون فان معناه يجرون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كل في فلك يسبحون قال يجرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يسبحون قال يجرون وقيل كل في فلك يسبحون فأخرج الخبر عن الشمس والقمر مخرج الخبر عن بني آدم بالواو والنون ولم يقل يسبحن أو يسبح كما قيل والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين لان السجود من أفعال بني آدم فلما وصفت الشمس والقمر بمثل أفعالهم أجرى الخبر عنهما مجرى الخبر عنهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما خلدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا أفإن مت فهم الخالدون يقول فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون في الدنيا بعدك لا ما ذلك كذلك بل هم ميتون بكل حال عشت أو مت فادخلت الفاء في ان وهي جزاء وفي جوابه لان الجزاء متصل بكلام قبله ودخلت أيضا في قوله فهم لانه جواب للجزاء ولو لم يكن في قوله فهم الفاء جاز على وجهين أحدهما أن تكون محذوفة وهي مرادة والآخر أن يكون مرادا تقديمها الى الجزاء فكأنه قال أفهم الخالدون ان مت وقوله كل نفس ذائقة الموت يقول تعالى ذكره كل نفس منفوسة من خلقه معالجة غصص الموت ومتجرعة كأسها وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة يقول تعالى ذكره

أن العباد لا يسألون عما فعلوا في دار الدنيا قالوا ان التكليف أمر غير معقول لانه اما أن يتوجه على العبد حال استواء داعيته الى الفعل والترك وهو محال لان صدور الفعل عن المكلف يستدعي الترجح فالتكليف بالترجح في حال عدم الترجح تكليف بالمحال واما أن يتوجه حال الرجحان ويكون الفعل حينئذ واجب الوقوع فيكون التكليف عبثا وأيضا التكليف بما هو معلوم الوقوع لله عبث لانه واجب الوقوع وبما هو غير معلوم الوقوع تكليف بما لا يطاق (١٦) وأيضا سؤال العبد لعبد ان لم يكن فيه فائدة فعبث وان كان فيه فائدة فان عادت الى الله تعالى كان محتاجا مستكملا وان عادت الى العبد فالله تعالى قادر على ايصالها اليه من غير واسطة التكليف على أن السؤال ان كان لاجل ايصال الضرر فذلك لا يليق بالكريم الرحيم وجوابهم ان الاسباب والوسائط معتبرة في كل شئ من عالم الاسباب حتى الثواب والعقاب على أن حاصل الشبهات يرجع الى أن المنكر كأنه قال انه تعالى لم كلف عباده ولم كلفهم ما لا يطيقون وهو يناقض القاعدة الممهدة انه لا يسئل عما يفعل ثم كرر أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لكفرهم وليرتب عليه قوله قل هاتوا برهانكم على ذلك عقلا أو نقلا أما العقل فقد مر انه يقضي بعدم الشريك حذرا من الفساد وأما النقل فقوله هذا ذكر من معي هو من اضافة المصدر الى المفعول أي عظة لامتي عن ابن عباس واختاره القفال والزجاج انه أراد هذا هو الكتاب المنزل على من معي من الامة وهذا هو الكتاب المنزل على من تقدمني من الانبياء وأممهم يعني التوراة والانجيل والزبور والصحف والكل وارد في معنى التوحيد ونفي الشركاء وعن سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل والسدي أن قوله وذكر من قبلي صفة للقرآن أيضا لانه اشتمل على أحوال الامم الماضية كما اشتمل على أحوال هذه الامة ثم ختم الآية بقوله بل أكثرهم تنبيها على أن وقوعهم في هذا المذهب الباطل ليس لاجل دليل ساقهم اليه بل لان عندهم ما هو أصل الشر والفساد وهو عدم العلم وفقد التمييز بين الحق والباطل فلذلك أعرضوا عن استماع الحق وطلبه وفي لفظ الاكثر اشارة الى أن فيهم من يعلم ولكنه يعاند وأجرى لفظ الاكثر على الكل على عادة الفصحاء كيلا يكون الكلام بصدد المنع ثم قرر آي التوحيد خصوصا قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي على أحد التفسيرين بقوله وما أرسلنا الآية ثم رد على

خزاعة وأمثالهم القائلين بأن الملائكة بنات الله بقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ثم نزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه ثم أخبر عما هم عليه في الواقع وهو أن الملائكة عباد الله مكرمون مقربون لا يسبقونه بالقول أي بقولهم أي يتبعون قوله ولا يقولون شيأ حتى يقوله وهم بأمره يعملون فهم التابعون لأمر الله في أقوالهم وأفعالهم يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم قد مر تفسيره في طه وفي آية الكرسي ولا يشفعون الا لمن ارتضى كقوله في طه لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا (١٧) وقد مر البحث فيه قال في الكشاف وهم من خشيته مشفقون أي متوقعون من امارة ضعيفة قلت لعله أراد انهم يتوقعون ما هو سبب لخشيته وهو العقاب من أدنى أمارة بخلاف البشر فانهم لا يتوقعون ذلك الا من أمارة قوية ويحتمل أن يقال انهم يخشون الله ومع ذلك يحذرون من أن تلك الخشية يقع فيها تقصير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله عز وجل ثم نبه على غاية عظمته ونهاية جبروته بقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فيحتمل أن يدعي الالهية لنفسه دون الله أو يدعي انه اله مع الله أي بعد مجاوزة الهيته وهذا على سبيل الفرض والتقدير كقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وفي قوله ذلك دون أن يقول فهو تبعيد لأمر الشرك الجاحد عن ساحة عزته وفيه تفظيع لأمر الشرك وتهديد عظيم لمن أشرك أو أراد بالظلم ههنا الشرك والمعتزلة عمموه والأول أظهر ثم عدل في أدلة التوحيد الى منهج آخر من البيان وهو الاستدلال بالآفاق والانفس قائلا أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض أي جماعة السموات وجماعة الارض كانتا رتقا ففتقناهما الرتق بالسكون السد رتقت الشيء فارتتق أي التأم ومنه امرأة رتقاء ومصدرها الرتق بالتحريك والفتق ضدها أي كانتا مرتوقتين فجعلناهما مفتوقتين عن ابن عباس في رواية عكرمة وهو قول الحسن وقتادة ان المراد كانتا شيأ واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء الى حيث هي وأقر الارض ومثله قول كعب خلق الله السموات والارض كانتا ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطهما ففصل الفتق وقال أبو صالح ومجاهد كانت السموات متلاصقات لا فرج بينهما ففتقها الله بأن جعلها سبعا وكذلك

ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة نبتليكم بها وبالخير وهو الرخاء والسعة والعافية فنفتنكم به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة قال بالرخاء والشدة وكلاهما بلاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونبلوكم بالشر والخير فتنة يقول نبلوكم بالشر بلاء والخير فتنة والينا ترجعون حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون قال نبلوهم بما يحبون وبما يكرهون نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون وكيف صبرهم فيما يكرهون حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ونبلوكم بالشر والخير يقول نبتليكم بالشدة والرخاء والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال وقوله والينا ترجعون يقول والينا يردون فيجازون بأعمالهم حسنها وسيئها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا رآك يا محمد الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا سخريا يقول بعضهم لبعض أهذا الذي يذكر آلهتكم يعني بقوله يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها تعجبا منهم من ذلك يقول الله تعالى ذكره فيعجبون من ذكرك يا محمد آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بسوء وهم بذكر الرحمن الذي خلقهم وأنعم عليهم ومنه نفعهم وبيده ضرهم واليه مرجعهم بما هو أهله منهم أن يذكروه به كافرون والعرب تضع الذكر موضع المدح والذم فيقولون سمعنا فلانا يذكر فلانا وهم يريدون سمعناه يذكره بقبيح ويعيبه ومن ذلك قول عنترة

لا تذكري مهري وما أطعمته * فيكون جلدك مثل جلد الاجرب

يعني بذلك لا تعيبي مهري وسمعناه يذكره بخير ۞ القول في تأويل قوله تعالى (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يقول تعالى ذكره خلق الانسان يعني آدم من عجل * واختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه من عجل في بنيته وخلقته كان من العجلة وعلى العجلة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله خلق الانسان من عجل قال لما نفخ فيه الروح في ركبتيه ذهب لينهض فقال الله خلق الانسان من عجل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال لما نفخ فيه يعني في آدم الروح فدخل في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله له رحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول خلق الانسان من عجل يقول خلق الانسان عجولا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة خلق الانسان من عجل قال خلق عجولا * وقال آخرون معناه خلق الانسان من عجل أي من تعجيل في خلق الله اياه ومن سرعة فيه وعلى عجل وقالوا خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل

الارضون وعن ابن عباس في رواية أخرى وعليه كثير من المفسرين ان السموات والارض كانتا رتقا بالاستواء والصلابة ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات والشجر ويشبه أن يراد بالسموات على هذا التفسير السحب نظيره قوله والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ويؤيده قوله عقيبه وجعلنا من الماء كل شئ حي وقيل انما جمع السموات وان كان نزول المطر من السماء الدنيا فقط باعتبار الجهة لان جهتها هي جهة من أو باعتبار أن كل قطعة منها سماء فيكون كقولهم ثوب أخلاق وبرمة أعشار وقريب من هذا قول من قال المعنى ان السموات والارض كانتا مظلمة ففتقهما الله تعالى باظهار النور فيهما كقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال أبو مسلم الاصفهاني الرتق حالة العدم اذ ليس فيها ذوات متميزة فكأنها أمر واحد متصل متشابه والفتق الايجاد لحصول التمييز وانفصال بعض الحقائق عن البعض فيكون كقوله فاطر السموات والارض والفطر الشق وعن بعض علماء الاسلام ان الرتق انطباق منطقتي الحركتين الاولى والثانية الموجب لبطلان العمارات وفصول السنة والفتق افتراقهما المقتضي لامكان العمارة ولتغير الفصول وفيه بعد وههنا سؤال وهو ان الكفار متى رأوهما رتقا حتى صح هذا الاستفهام للتقرير كيف وقد قال الله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض والجواب على الاقوال الاخيرة ظاهر فان فتق السماء بالمطر والارض بالنبات أو فتقهما بتنفيذ النور فيهما واظهاره عليهما أمور محسوسة وكذا ادخالهما من العدم الى الوجود مما يشهد به الحس السليم والعقل المستقيم وأما على القولين الاولين فلعلهم علموا ذلك من أهل الكتاب وكانوا يتقبلون قولهم لما بينهما من التوافق في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقال صاحب الكشاف في الجواب انه وارد في القرآن الذي هو معجز في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد أو ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه قوله وجعلنا من الماء كل شئ حي قال السكاكي صاحب المفتاح أي جعلنا مبدأ كل حي هذا الجنس الذي هو جنس الماء واعترض عليه بانه كيف يصح ذلك وآدم من تراب والجن من نار والمشهور ان الملائكة ليست أجساما مائية وأجاب بانه يأتي في الروايات انه جل وعز خلق الملائكة

غروب الشمس على عجل في خلقه اياه قبل مغيبها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله خلق الانسان من عجل قال قول آدم حين خلق بعد كل شئ آخر النهار من يوم خلق الخلق فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم تبلغ أسفله قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال مجاهد خلق الانسان من عجل قال آدم حين خلق بعد كل شئ ثم ذكر نحوه غير انه قال في حديثه استعجل بخلقي فقد غربت الشمس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خلق الانسان من عجل قال على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذلك اليومين يريد يوم الجمعة وخلقه على عجل وجعله عجولا * وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ممن قال نحو هذه المقالة انما قال خلق الانسان من عجل وهو يعني انه خلقه من تعجيل من الامر لانه قال انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون قال فهذا العجل وقوله فلا تستعجلون اني سأريكم آياتي وعلى قول صاحب هذه المقالة يجب أن يكون كل خلق الله على عجل لان كل ذلك خلق بان قيل له كن فكان فاذا كان ذلك كذلك فما وجه خصوص الانسان اذا ذكر انه خلق من عجل دون الاشياء كلها وكلها مخلوق من عجل وفي خصوص الله تعالى ذكره الانسان بذلك الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله صاحب هذه المقالة * وقال آخرون منهم هذا من المقلوب وانما خلق العجل من الانسان وخلقت العجلة من الانسان وقالوا ذلك مثل قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة انما هو لتنوء العصبة بها متثاقلة وقالوا هذا وما أشبهه في كلام العرب كثير مشهور وقالوا انما كلم القوم بما يعقلون قالوا وذلك مثل قولهم عرضت الناقة وكقولهم اذا طلعت الشعرى واستوت العود على الحرباء أي استوت الحرباء على العود كقول الشاعر

وتركت خيلا لا هوادة بينها * وسقى الرماح السباطرة الحمر

(وكقول ابن مقبل)

حسرت كفي عن السربال آخذه * فردا يجر على أيدي المفدينا

يريد حسرت السربال عن كفي ونحو ذلك من المقلوب وفي اجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره * قال أبو جعفر والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا الذي ذكرناه عن قال معناه خلق الانسان من عجل في خلقه أي على عجل وسرعة في ذلك وانما قيل ذلك كذلك لانه بودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح وانما قلنا أولى الاقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب لدلالة قوله تعالى سأريكم آياتي فلا تستعجلون على ذلك وان أبا كريب حدثنا قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجمعة لساعة يقللها قال لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا آتاه الله اياه فقال عبد الله بن سلام قد

من ريح خلقهما من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه وقال صاحب الكشاف انما قال خلقنا كل شيء حي من الماء لفرط
احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وجوز أن لا يكون الجعل بمعنى الخلق بل يكون بمعنى التصيير متعديا الى
مفعولين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لابد له منه وقال في التفسير الكبير اللفظ وان كان عاما الا ان القرينة قائمة بان الدليل لابد
أن يكون مشاهدا محسوسا ليكون أقرب الى المقصود فبهذا الطريق تخرج الملائكة والجن وآدم لان الكفار لم يروا شيأ من
ذلك قلت فعلى هذا يكون قوله وجعلنا داخلا في حيز الاستفهام كأنه قيل ألم يروا انا فتقنا السموات والارض بعد رتقهما وجعلنا من الماء كل حيوان ومن المفسرين من جعل الحي شاملا النبات أيضا كقوله فأحيا به الارض بعد موتها قوله وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم قدمر تفسيره في أول النحل وباقي الآية كقوله في طه وسلك لكم فيها سبلا والفجاج جمع الفج وهو الطريق الواسع وهي صفة سبلا قدمت عليه فصارت حالا عنه أراد انه حين خلقها على تلك الصفة فهذا كالبيان لما أبهم في قوله لتسلكوا منها سبلا فجاجا والاهتداء اما حسي أي تهتدون الى البلاد واما عقلي وهو الاهتداء الى وحدانية الله تعالى ومنهم من زعم ان الضمير في قوله وجعل فيها عائد الى الجبال وهذا قول مقاتل والضحاك ورواية عطاء عن ابن عباس وروي عن ابن عمر انه قال كانت الجبال منضمة فلما أغرق قوم نوح خرقها فجاجا وجعل فيها طرقا قال علماء الاسلام ليس في قوله وجعلنا السماء سقفا ان السماء للارض كالسقف للبيت لانها فوق لا يقابله مثله ولكنه أطلق عليها اسم السقف لانها كذلك في النظر بالنسبة الى سكان كل بقعة وفي
المحفوظ وجهان أي محفوظا بقدرته من أن يقع على الارض أو محفوظا بالشهب عن الشياطين وهم عن آياتها معرضون فلا
يتدبرون في ترتيبها ومسيراتها وطلوع اجرامها وغروبها واتصالاتها وانصرافاتها وتأثيراتها فيما دونها باذن خالقها ومبدعها قوله
كل في فلك من مقلوب الكل والفلك في اللغة كل شيء دائر وجمعه أفلاك وزعم الضحاك انه ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم
والأكثرون على ان الفلك جسم تدور النجوم عليه ثم اختلفوا في حقيقته فقال الكلبي ماء مكفوف أي مجموع تجري فيه الكواكب

علمت أي ساعة هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة قال الله خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي
فلا تستعجلون حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربي وعبدة بن سليمان وأسيد بن عمرو عن محمد
ابن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وذكر كلام عبد الله
ابن سلام بنحوه فتأويل الكلام اذا اذا كان الصواب في تأويل ذلك ما قلنا بما به استشهدنا خلق
الانسان من عجل ولذلك يستعجل ربه بالعذاب سأريكم آياتي فلا تستعجلون أيها المستعجلون ربهم
بالآيات القائلون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون آياتي كما
أريتها من قبلكم من الامم التي أهلكناها بتكذيبها الرسل اذا أتتها الآيات فلا تستعجلون يقول
فلا تستعجلوا ربكم فانا سنأتيكم بها ونريكموها * واختلفت القراء في قراءة قوله خلق الانسان من
عجل فقرأته عامة قراء الامصار خلق الانسان من عجل بضم الخاء على مذهب ما لم يسم فاعله وقرأه حميد
الاعرج خلق بفتحها بمعنى خلق الله الانسان والقراءة التي عليها قراء الامصار هي القراءة التي
لا أستجيز خلافها وقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء
المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد صلى الله عليه وسلم متى هذا الوعد الذي تعدنا من
العذاب ان كنتم صادقين فيما تعدوننا به من ذلك وقيل هذا الوعد والمعنى الموعود لمعرفة السامعين
معناه وقيل ان كنتم صادقين كأنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ومتى في
موضع نصب لان معناه أي وقت هذا الوعد وأي يوم هو فهو نصب على الظرف لانه وقت ۞ القول
في تأويل قوله تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون) يقول تعالى ذكره لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من
البلاء حين تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون فلا يكفون عن وجوههم النار التي تلفحها ولا
عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم ولا هم ينصرون يقول ولا لهم ناصر ينصرهم فيستنقذهم
حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله ولسارعوا الى التوبة
منه والايمان بالله ولما استعجلوا لانفسهم البلاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (بل
تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) يقول تعالى ذكره لا تأتي هذه
النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم
منهم بوقتها ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبهتهم يقول فتغشاهم فجأة وتلفح وجوههم
معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء حتى يبقى المبهوت كالحيران منه فلا يستطيعون ردها
يقول فلا يطيقون حين تبغتهم فتبهتهم دفعها عن أنفسهم ولا هم ينظرون يقول ولا هم وان لم يطيقوا
دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها او انابة ينيبون لانها ليست حين عمل وساعة
توبة وانابة بل هي ساعة مجازاة واثابة ۞ القول في تأويل قوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يتخذك
يا محمد هؤلاء القائلون لك هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون اذا رأوك هزوا
ويقولون هذا الذي يذكر آلهتكم كفرا منهم بالله واجتراء عليه ولقد استهزئ برسل من رسلنا

بدليل قوله يسبحون والسباحة لاتكون الا فى الماء ورد بأنه يقال فرس سابح اذا امتد فى الجرى وقالت الحكماء هو جسم كروى لاثقيل ولا
خفيف غير قابل للخرق والالتئام والنمو والذبول ولذلك منعوا من كون الفلك ساكنا والكواكب متحركة فيه كالسمك فى الماء واعتذروا
عن السباحة بأنها فى النظر كذلك قال صاحب الكشاف التنوين فى كل عوض من المضاف اليه أى كلهم فورد عليه اشكالان أحدهما
انه لم يسبق الا ذكر الشمس والقمر فكيف (٢٠) يعود ضمير الجمع اليهما وأجاب بأن ذلك باعتبار كثرة مطالعهما كما يجمع بالشموس
والاقمار لذلك ويمكن أن يقال أقل الجمع اثنان أو أنه جعل النجوم تبعا لذكرهما الثانى ان كلهم ليسوا فى فلك ولكن كل منهم فى فلك آخر على مايشهد به علم الهيئة وأجاب بأنه أراد جنس الفلك كقولك كسانا الامير حلة أو أراد كل واحد قلت لو صح هذا التقدير الثانى لم يرد الاشكال الاول ولكنه ينافى قوله يسبحون مجموعا قال بعض الحكماء فى هذا الجمع دلالة على ان الكواكب احياء ناطقة وأجيب بأنه انما جمع جمع العقلاء لان السباحة من فعلهم قلت قد يسبح كثير من الحيوانات فلعل المختص بالعقلاء هو السباحة الصناعية المكتسبة وههنا بحث وهو ان الامام فخر الدين الرازى استحسن قول بعض الاوائل ان الحركة السماوية صنف واحد وهى الآخذة من المشرق الى المغرب الا ان بعضها أبطأ من البعض كالحركات الغربية وكذا اختلافات تلك الحركات المختلفات قال وهذا أقرب ليكون غاية سرعة الحركة للفلك الاعظم وغاية السكون للجرم الذى هو أبعد عن المحيط وهو الارض ولئلا يلزم بسبب حركة مادون الفلك الاعظم بحركته وبحركاتها الخاصة تحرك الجرم الواحد فى زمان واحد بحركتين مختلفتين الى جهتين فانه
يستلزم كون الجسم دفعة واحدة فى مكانين قلت أما حديث كون ماهو أبعد عن المركز أسرع حركة فاقناعى عن
وأما لزوم كون الجسم دفعة واحدة فى مكانين فممنوع لان التى تظهر فى المتحرك هى الحركة المركبة الحاصلة من فضل الاسرع على الابطأ
لا كل من الحركتين وهذا مشاهد من حركة النملة الى خلاف جهة حركة الرحى ومن حركة راكب السفينة فيها الى خلاف جهة حركتها
وأما الذى استحسنه من كلام الاوائل فباطل لانه لو كان كذلك لحصلت الاضلال اللائقة بكل جزء من أجزاء فلك البروج فى يوم بليلة وكذا

الذين أرسلناهم من قبلك الى أممهم يقول فوجب ونزل بالذين استهزؤا بهم وسخروا منهم من أممهم
ما كانوا به يستهزؤن يقول جل ثناؤه حل بهم الذى كانوا به يستهزؤن من البلاء والعذاب الذى كانت
رسلهم تخوفهم نزوله بهم يستهزؤن يقول جل ثناؤه فلن يعدو هؤلاء المستهزؤن من هؤلاء الكفرة
أن يكونوا كاسلافهم من الامم المكذبة رسلها فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير
الذى نزل بهم ۞ القول فى تأويل قوله (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر
ربهم معرضون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المستعجليك
بالعذاب القائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين من يكلؤكم أيها القوم يقول من يحفظكم ويحرسكم
بالليل اذا نمتم وبالنهار اذا تصرفتم من الرحمن يقول من أمر الرحمن ان نزل بكم من عذابه ان حل بكم
وترك ذكر الامر وقيل من الرحمن اجتزاء بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره وبنحو الذى قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن
ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن قال يحرسكم حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن قل من
يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن يقال منه كلأت القوم اذا حرستهم أكلؤهم كما قال ابن هرمة
ان سليمى والله يكلؤها * ضنت بشئ ما كان يرزؤها
قوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون وقوله بل تحقيق لجحد قد عرفه المخاطبون بهذا الكلام وان
لم يكن مذكورا فى هذا الموضع ظاهرا ومعنى الكلام ومالهم ان لا يعلموا انه لا كالئ لهم من أمر الله
اذا هو حل بهم ليلا أو نهارا بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التى احتج بها عليهم معرضون
لا يتدبرون فلا يعتبرون به جهلا منهم وسفها ۞ القول فى تأويل قوله (أم لهم آلهة تمنعهم من
دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) يقول تعالى ذكره أ لهؤلاء المستعجلى ربهم
بالعذاب آلهة تمنعهم ان نحن أحللنا بهم عذابنا وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا ومعناه أم لهم آلهة من
دوننا تمنعهم منا ثم وصف جل ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة وماهى به من صفتها فقال وكيف
تستطيع آلهتهم التى يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهى لا تستطيع نصر أنفسها وقوله ولا هم
منا يصحبون اختلف أهل التأويل فى المعنى بذلك وفى معنى يصحبون فقال بعضهم عنى بذلك الآلهة
وانها لا تصحب من الله بخير ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة قوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون يقول
لا يصحبون من الله بخير وقال آخرون بل معنى ذلك ولا هم منا ينصرون ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا هم منا يصحبون قال
لا ينصرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس
قوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا الى قوله يصحبون قال ينصرون قال قال مجاهد ولا هم يحفظون
حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا هم منا يصحبون
يجارون ٭ ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى

الارتفاعات المناسبة لها فى البلاد المتفقة العرض وليس كذلك وقد ذكرنا هذا المعنى فى كتبنا النجومية أيضا وحين فرغ من بيان طرف من هيئة الاجرام السماوية ومنافعها الدنيوية نبه بقوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد على أن هذه الآثار لا تدوم ولا تخلق للبقاء وانما خلقت للابتلاء والامتحان ولكن يتوصل بها المكلفون الى السعادات المدخرة لهم فى الآخرة وهى دار الخلود وبوجه آخر لما فرغ من دلائل الآفاق شرع فى دلائل الانفس فقال وما جعلنا الآية عن مقاتل ان ناسا (٢١) كانوا يقولون ان محمدا لا يموت فنزلت وقيل لعلهم ظنوا انه لو مات لتغير الشرع وهذا ينافى كونه خاتم الانبياء فبين الله سبحانه ان حاله كحال من تقدمه من الانبياء فى المفارقة من دار الدنيا والاكثرون على أن سبب النزول هو انهم كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة لهذه وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

قوله كل نفس ذائقة الموت قد تقدم فى آخر آل عمران تفسيره قوله ونبلوكم أى نعاملكم معاملة المختبر بما نسوق اليكم من الشرور والخيرات فيظهر عندهما صبركم وشكركم وقدم الشر لان الموت من باب الشرور فى نظر أهل الظاهر وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وحين أثبت الموت الذى هو الفراق عن دار التكليف بين بقوله والينا ترجعون ان الجزاء على الاعمال ثابت مرتين البتة بعد المفارقة استدلت المجسمة بقوله والينا انه تعالى جسم ليمكن الرجوع الى حيث هو والتناسخية بان الرجوع مسبوق بالكون فى المكان المرجوع اليه وجواب الاولين انه أراد الرجوع الى حيث لا حكم الا له وجواب الآخرين التسليم لكنه لا يفيد مطلوبهم لان الرجوع الى المبدأ غير الرجوع الى دار الدنيا واعلم أن مثل هذه الآية سيجىء فى سورة العنكبوت الا أنه قال هناك ثم الينا ولم يذكر قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة فكان هذه الفاصلة قامت مقام التراخى فى ثم قال السدى ومقاتل مر النبى صلى الله عليه وسلم بابى جهل وأبى سفيان فقال أبو جهل لابى سفيان هذا نبى بنى عبد مناف فقال أبو سفيان وما تنكر أن يكون نبيا فى بنى عبد مناف فسمع النبى صلى الله عليه وسلم قولهما فقال لابى جهل ما أراك تنتهى حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة وأما أنت يا أبا سفيان فانما قلت ما قلت حمية فانزل الله تعالى واذا رآك الذين كفروا ان

عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا هم منا يصحبون يقول ولا هم منا يجارون وهو قوله وهو يجير ولا يجار عليه يعنى الصاحب وهو الانسان يكون له خفير مما يخاف فهو قوله يصحبون * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال هذا القول الذى حكيناه عن ابن عباس وان هم من قوله ولا هم من ذكر الكفار وان قوله يصحبون بمعنى يجارون يصحبون بالجوار لان العرب محكى عنها أنا لك جار من فلان وصاحب بمعنى أجيرك وأمنعك وهم اذا لم يصحبوا بالجوار ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون) يقول تعالى ذكره ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا ولا جار يجيرهم من عذابنا اذا نحن أردنا عذابهم فاتكلوا على ذلك وعصوا رسلنا اتكالا منهم على ذلك ولكنا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر وهم على كفرهم مقيمون لا تأتيهم منا واعظة من عذاب ولا زاجرة من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا وعبادتهم الاوثان والاصنام فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم ولم يعرفوا موضع الشكر وقوله أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يقول تعالى ذكره أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد صلى الله عليه وسلم الآيات المستعجلوه بالعذاب أنا نأتى الارض نخربها من نواحيها بقهرنا أهلها وغلبتناهم واجلائهم عنها وقتلهم بالسيوف فيعتبروا بذلك ويتعظوا به ويحذروا منا أن ننزل من باسنا بهم نحو الذى قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الاطراف وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه بالروايات عنهم فى سورة الرعد بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله أفهم الغالبون يقول تبارك وتعالى أفهؤلاء المشركون المستعجلوا محمدا بالعذاب الغالبونا وقد رأوا قهرنا من أحللنا بساحته باسنا فى أطراف الارضين ليس ذلك كذلك بل نحن الغالبونا وانما هذا تقريع من الله تعالى لهؤلاء المشركين به بجهلهم يقول أفيظنون انهم يغلبون محمدا ويقهرونه وقد قهر من ناواه من أهل أطراف الارض غيرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفهم الغالبون يقول ليسوا بغالبين ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الغالب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الاولون انما أنذركم أيها القوم بتنزيل الله الذى يوحيه الى من عنده وأخوفكم به باسه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل انما أنذركم بالوحى أى بهذا القرآن وقوله ولا يسمع الصم الدعاء اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار ولا يسمع بفتح الياء من يسمع بمعنى انه فعل الصم والصم حينئذ مرفوعون وروى عن أبى عبد الرحمن السلمى انه كان يقرأ ولا تسمع بالتاء وضمها فالصم على هذه القراءة مرفوعة لان قوله ولا تسمع لم يسم فاعله ومعناه على هذه القراءة ولا يسمع الله الصم الدعاء * قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندنا فى ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه ومعنى ذلك ولا يصغى الكافر بالله بسمع قلبه الى تذكر ما فى وحى الله من المواعظ والذكر فيتذكر

يتخذونك أي ما يتخذونك الا هزوا ثم فسر ذلك بقوله أهذا الذي يذكر آلهتكم والذكر أعم من أن يكون بالخير أو بالشر الا أنه اذا كان من العدو يفهم منه الذم لا الثناء والمعنى انه يبطل معبوديتها وينكر عبادتها ويقبح أمرهم بين غاية جهالتهم وتعكيس قضيتهم بقوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون قدم الجار والمجرور وكرر الضمير ليفيد انهم عاكفون هممهم على ذكر آلهتهم من كونها شفعاء وشهداء ولو ذكرها ذاكر بخلاف ذلك ساءهم وأما (٢٢) ذكر الرحمن الذي منه جلائل النعم ودقائقها وأصولها وفروعها فلا يخطر منهم ببال ولو ذكره ذاكر استهزؤا به حتى أن بعضهم يقولون ما نعرف الرحمن الا مسيلمة فهم أحق أن يتخذوا هزوا ويحتمل أن تكون الباء السببية أي هم كافرون بسبب ذكرهم الرحمن لا على ما ينبغي فيكون الذكر في الموضعين بمعنى واحد وقيل بذكر الرحمن أي بما أنزل اليك من القرآن وكانوا يستعجلون بعذاب الله كما يجيء من قوله ويقولون متى هذا الوعد فقدم لذلك أولا مقدمة هي قوله خلق الانسان أي هذا الجنس من عجل أراد أنه مجبول على افراط العجلة كما في قوله وكان الانسان عجولا وعن ابن عباس انه آدم أراد أن يقوم حين بلغ الروح صدره وعن مجاهد ان آدم لما دخل الروح رأسه وعينيه رأى الشمس قارب الغروب فقال يارب عجل خلقي قبل أن تغيب الشمس وعن ابن عباس أيضا انه النضر بن الحرث والاول أظهر وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال الاخفش أي من تعجل في الامر وهو قوله كن وقيل هو على القلب أي خلق العجل من الانسان سأريكم آياتي وهي الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب في الآخرة فلا تستعجلون فانها كائنة لا محالة في وقتها وقيل هي أدلة التوحيد وصدق الرسول وقيل آثار القرون الخالية بالشام واليمن * سؤال قوله خلق الانسان من عجل فيه ان الآدمي معذور على الاستعجال لانه له كالامر الطبيعي الذي لا بد منه فلم رتب عليه النهي بقوله بها فلا تستعجلون وأجيب بان فيه تنبيها على ان ترك العجلة حالة شريفة وخصلة عزيزة وقال جار الله هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها آخر القوم استعجلوا الوعد على جهة التكذيب ومن هذا حاله لا يكون مستعجلا في الحقيقة أجيب بان الاستعجال على هذا الوجه أدخل في الذم لانه استعجال على أمر موهوم عندهم لا معلوم لو يعلم جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم والمعنى لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه وهو

به ويعتبر فينزجر عما هو عليه مقيم من ضلاله اذا تلى عليه وأريد به ولكنه يعرض عن الاعتبار به والتفكر فيه فعل الاصم الذي لا يسمع ما يقال له فيعمل به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون يقول ان الكافر قد صم عن كتاب الله لا يسمعه ولا ينتفع به ولا يعقله كما يسمعه المؤمن وأهل الايمان ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) يقول تعالى ذكره ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك يعني بالنفحة النصيب والحظ من قولهم نفح فلان لفلان من عطائه اذا أعطاه قسما أو نصيبا من المال كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك الآية يقول لئن أصابتهم عقوبة وقوله ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين يقول لئن أصابتهم هذه النفحة من عقوبة ربك يا محمد بتكذيبهم بك وكفرهم ليعلمن حينئذ غب تكذيبهم بك وليعترفن على أنفسهم بنعمة الله واحسانه اليهم وكفرانهم أياديه عندهم وليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين في عبادتنا الآلهة والانداد وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا ووضعنا العبادة غير موضعها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) يقول تعالى ذكره ونضع الموازين العدل وهو القسط وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين وهو جمع لانه في مذهب عدل ورضا ونظر وقوله ليوم القيامة يقول لاهل يوم القيامة ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك الى في كان معناه عنده ونضع الموازين القسط في يوم القيامة وقوله فلا تظلم نفس شيأ يقول فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيأ بان يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله وطاعة أطاعه بها ولكن يجازي المحسن باحسانه ولا يعاقب مسيئا الا باساءته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الى آخر الآية وهو كقوله والوزن يومئذ الحق يعني بالوزن القسط بينهم بالحق في الاعمال الحسنات والسيئات فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه يقول أذهبت حسناته سيئاته ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه وأمه هاوية يقول أذهبت سيئاته حسناته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة قال انما هو مثل كما يجوز الوزن كذلك يجوز الحق قال الثوري قال ليث عن مجاهد ونضع الموازين القسط قال العدل وقوله وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها يقول وان كان الذي له من عمل الحسنات أو عليه من السيئات وزن حبة من خردل أتينا بها يقول جئنا بها فأحضرناها اياه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها قال كتبناها وأحصيناها له وعليه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها قال يوني

وقت احاطة النار بهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ويجوز أن يكون بعلم متروك المفعول أى لو كانوا من أهل العلم لما كانوا مستعجلين وعلى هذا يكون حين منصوبا بمضمر أى حين لا يكفون يعلمون انهم كانوا على الباطل وخص الوجوه والظهور بالذكر لان نكاية النار فى هذين العضوين أشد مع أن الاحاطة التامة تفهم منهما ثم بين ان وقت مجىء العذاب غير معلوم لهم فان مجىء الساعة مخفى عن المكلفين ليكونوا أقرب الى تلافى الذنوب فقال بل تأتيهم بغتة فتبهتهم قال جار الله (٢٣) أى لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم قلت فائدة بل فى هذه المقامات الانتقال من جملة الى أخرى أهم من الاولى ويحتمل أن تكون لو لظاهر التمنى والضمير للنار وقيل للساعة وفى قوله ولاهم ينظرون تذكير بامهالهم فى دار الدنيا أى ثم لا يكونون بعد طول الامهال ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ولقد استهزئ الآية وقد مرت فى أول الانعام ولما بين أن الكفار فى الآخرة لا يكفون عن وجوههم النار ذكر انهم فى الدنيا أيضا مفتقرون الى حراسة الله وكلاءته فقال قل من يكلؤكم بالليل اذا نمتم والنهار اذا تقلبتم فى وجوه المصالح من الرحمن أى من بأسه وعذابه كالقتل والسبى ونحوهما قيل انما خص الرحمن بالذكر تلقينا للجواب حتى يقول العاقل أنت الكالئ يا آلهنا لكل الخلائق برحمتك ونظيره ما غرك بربك الكريم ثم أضرب عن الامر بالاستفهام قائلا بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه كأنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤكم أما قوله أم لهم آلهة تمنعهم فذكر فى الكشاف أنه اضراب عن الكلام السابق بما فى أم من معنى بل وقال غيره الميم زائدة وأنه استفهام مستأنف والتقدير ألهم آلهة تمنعهم من دوننا من العذاب ومعنى من دوننا ان تلك الآلهة لا تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فقال لا يستطيعون ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى تلك الآلهة ليست تقدر على نصر أنفسها فكيف تحفظ غيرها وتنصرها وقوله ولاهم منا يصحبون قال المازنى هو من أصحب الرجل اذا منعته والاكثرون على انه من الصحبة بمعنى النصرة والمعونة ومنه قولهم صحبك الله والحاصل أن من لا يكون قادرا على دفع الآفات ولا يكون مصحوبا من الله بالاعانة والنصرة كيف يتوقع منه دفع ضر أو جلب نفع ولما أبطل كون الاصنام

بما لك وعليك ثم يعفو ان شاء أو يأخذ ويجزى بما عمل له من طاعة وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها قال جازينا بها حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد انه كان يقول وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها قال جازينا بها وقال أتينا بها فاخرج قوله بها مخرج كناية المؤنث وان كان الذى تقدم ذلك قوله مثقال حبة لانه عنى بقوله بها الحبة دون المثقال ولو عنى به المثقال لقيل به وقد ذكر ان مجاهدا انما تأول قوله أتينا بها على ما ذكرنا عنه لانه كان يقرأ ذلك آتينا بها بمد الالف وقوله وكفى بنا حاسبين يقول وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين لانه لا أحد أعلم بأعمالهم وما سلف فى الدنيا من صالح أو سيئ منا

﴿القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين) يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هرون الفرقان يعنى به الكتاب الذى يفرق بين الحق والباطل وذلك هو التوراة فى قول بعضهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الفرقان قال الكتاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان الفرقان التوراة حلالها وحرامها فرق الله بين الحق والباطل وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان قال الفرقان الحق آتاه الله موسى وهرون فرق بينهما وبين فرعون قضى بينهم بالحق وقرأ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان قال يوم بدر * قال أبو جعفر وهذا القول الذى قاله ابن زيد فى ذلك أشبه بظاهر التنزيل وذلك لدخول الواو فى الضياء ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك لكان التنزيل ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ضياء لان الضياء الذى أتى الله موسى وهرون هو التوراة التى أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصرهم الحلال والحرام ولم يقصد بذلك فى هذا الموضع ضياء الابصار وفى دخول الواو فى ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التى هى ضياء فان قال قائل وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان وان كانت فيه واو فيكون معناه وضياء آتيناه ذلك كما قال بزينة الكواكب وحفظا قيل له ان ذلك وان كان الكلام يحتمله فان الاغلب من معانيه ما قلنا والواجب أن يوجه معانى كلام الله الى الاغلب الاشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل وقوله وذكرى للمتقين يقول وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه ذكرهم بما آتى موسى وهرون من التوراة

﴿القول فى تأويل قوله تعالى (الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) يقول تعالى ذكره آتينا موسى وهرون الفرقان الذكر الذى آتيناهما للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب يعنى فى الدنيا أن يعاقبهم فى الآخرة اذا قدموا عليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه فهم من خشيته يحافظون على حدوده وفرائضه وهم من الساعة التى تقوم فيها القيامة مشفقون حذرون أن تقوم

عليهم فيردوا على ربهم قد فرطوا فى الواجب عليهم لله فيعاقبهم من العقوبة بما لا قبل لهم به

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) يقول جل ثناؤه وهذا القرآن الذى أنزلناه الى محمد صلى الله عليه وسلم لذكر لمن تذكر به وموعظة لمن اتعظ به مبارك أنزلناه كما أنزلنا التوراة الى موسى وهرون وذكرى للمتقين أفأنتم له منكرون يقول تعالى ذكره أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذى أنزلناه الى محمد منكرون وتقولون هو أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون وانما الذى آتيناه من ذلك ذكرى للمتقين كالذى آتينا موسى وهرون ذكرى للمتقين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهذا ذكر مبارك الى قوله أفأنتم له منكرون أى هذا القرآن

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) يقول تعالى ذكره ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل موسى وهرون ووفقناه للحق وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الاوثان كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم فانقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الاوثان وهديناه الى سبيل الرشاد توفيقا منا له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل قال هديناه صغيرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل قال هداه صغيرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد آتينا ابراهيم رشده من قبل قال هداه صغيرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل يقول آتيناه هداه وقوله وكنا به عالمين يقول وكنا عالمين به انه ذو يقين وايمان بالله وتوحيد له لا يشرك به شيأ اذ قال لابيه وقومه يعنى فى وقت قيله وحين قيله لهم ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون يقول قال لهم أى شئ هذه الصور التى أنتم عليها مقيمون وكانت تلك التماثيل أصنامهم التى كانوا يعبدونها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قال الاصنام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ان العاكف على الشئ المقيم عليه بشواهد ذلك وذكرنا الرواية عن أهل التأويل

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) يقول تعالى ذكره قالوا أبو ابراهيم وقومه لابراهيم وجدنا آباءنا لهذه الاوثان عابدين فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون قال ابراهيم لقد كنتم أيها القوم أنتم وآباؤكم بعبادتكم اياها فى ضلال مبين يقول فى ذهاب عن سبيل الحق وجور عن قصد السبيل مبين يقول بين

نافعة أضرب عن ذلك منتقلا الى بيان ان ماهم فيه من الحفظ والكلاءة والتمتع بالحياة العاجلة هو من الله لا من مانع يمنعهم من الاهلاك ولا من ناصر يعينهم على أسباب التمتع سوى الله وفى قوله حتى طال عليهم العمر اشارة الى انه لما امتدت أيام الروح والطمأنينة حسبوا أن ذلك لن يزول عنهم فاغتروا به ونسوا المنعم فاستأهلوا العقاب كما أشار اليه بقوله أفلا يرون انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها وفى لفظ الارض تصوير ما كان الله يجريه على أيدى المسلمين (٢٤) الذين هم حزب الله من نقص ديار الكفر وتخريبها وعمارة حوزة الاسلام وتشييد مبانيه وقد مر مثله فى آخر سورة الرعد والاستفهام فى قوله أفهم الغالبون للتقرير أى لنحن الغالبون وهم المغلوبون ثم بين أن هذه الانذارات ليست من قبل الرسول ولكنه بالوحى ثم مهد عذر الرسول ان لم تنجع فيهم رسالته بان الصم لا يسمعون دعاء المنذر واللام فى الصم للعهد أى لا يسمع هؤلاء الانذار فوضع الصم فى موضع اسم الاشارة ايذانا بانهم هم الموسومون بالصمم عن استماع الحق ولو كان اللام للجنس لكان الانسب اطلاق الدعاء لان الصم لا يسمع الدعاء بشروا أو انذروا ثم ذكر انهم لا يعترفون بالتقصير والظلم الا عند معاينة العذاب فقال ولئن مستهم نفحة وفى ذكر المس وبناء المرة من النفح الذى هو بمعنى القلة والنزارة منه قولهم نفحه بعطية أى رضخه ونفحته الدابة وهو رمح يسير دليل على انهم فى غاية الضعف يجزعون من أدنى أثر من عذاب الله قوله ونضع الموازين القسط المراد من الوضع الاحضار والقسط أى العدل صفة الموازين وان كان موحدا كقولهم للقوم انهم عدل قاله الفراء وعن الزجاج أراد ذوات القسط واللام فى ليوم القيامة بمعنى الوقت كما يقال جئت لتاريخ كذا وقيل أراد لاجل الحساب يوم القيامة وقد مر تحقيق الوزن وما يتعلق به من الابحاث فى أول سورة الاعراف روى ان داود عليه السلام سأل ربه أن يريه لمن الميزان فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال يا الهى من الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة وفى قوله فلا تظلم نفس شيأ بحث بين المعتزلة والاشاعرة وقد مر مرارا وان كان أى الوزن أو العمل مثقال حبة من خردل أتينا بها أنث ضمير المثقال باعتبار اضافته الى الحبة قيل الحبة أعظم من الخردلة فكيف قال حبة من خردل وأجيب بان الوجه فيه أن تفرض الخردلة كالدنانير

ثم يعتبر الحبة من ذلك الدينار والظاهر انه أراد الحبة من حيث اللغة وقوله من خردل بيان لها لان الحبة أعم من أن تكون من الخردل أو من الحنطة أو من غيرهما ولكن المبالغة في الاول أكثر وذلك ان الخردلة سدس شعيرة وهي نصف سدس ثمن الدينار عند الحساب ونصف سدس سدسه في الشرع والحبة ثمن تسع الدينار في عرف حساب فارس والعراق فثقال الحبة من خردل يكون على الوجه الاول ثمن تسع خردلة وعلى ماقلنا يكون هو الخردل بعينه والحاصل ان شيأ من الاعمال صغيرا كان أو كبيرا غير ضائع من علم الله وانه يجازى عليه

لمن تأمله بعقل انكم كذلك في جور عن الحق قالوا أجئتنا بالحق يقول قال أبوه وقومه له أجئتنا بالحق فيما تقول أم أنت هازل لاعب من اللاعبين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لهم بل جئتكم بالحق لا اللعب بكم ربكم رب السموات والارض الذي خلقهن وأنا على ذلكم من أن ربكم هو رب السموات والارض الذي فطرهن دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون ودون كل أحد سواه شاهد من الشاهدين يقول فاياه فاعبدوا لا هذه التماثيل التي هي خلقه التي لا تضر ولا تنفع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون) ذكر ان ابراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سر من قومه وخفاء وانه لم يسمع ذلك منه الا الذي أفشاه عليه حين قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فقال سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وتالله لأكيدن أصنامكم قال قول ابراهيم حين استتبعه قومه الى عيد لهم فأبى وقال اني سقيم فسمع منه وعيد أصنامهم رجل منهم استأخر وهو الذي يقول سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتالله لأكيدن أصنامكم قال نرى انه قال ذلك حيث لم يسمعوه بعد أن تولوا مدبرين وقوله فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم * اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار سوى يحيى بن وثاب والاعمش والكسائي فجعلهم جذاذا بمعنى جمع جذيذ كأنهم أرادوا به جمع جذيذ وجذاذ كما يجمع الخفيف خفاف والكريم كرام * وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه جذاذا بضم الجيم لاجماع قراء الامصار عليه وان ما أجمعت عليه فهو الصواب وهو اذا قرئ كذلك مصدر مثل الرفات والفتات والدقاق لا واحد له وأما من كسر الجيم فانه جمع للجذيذ والجذيذ هو فعيل صرف من مجذوذ اليه مثل كسير وهشيم والمجذوذة المكسورة قطعا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم يقول حطاما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد جذاذا كالصريم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم أي قطعا وكان سبب فعل ابراهيم صلوات الله عليه بآلهة قومه ذلك كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ان ابراهيم قال له أبوه يا ابراهيم ان لنا عيدا لو قد خرجت معنا اليه قد أعجبك ديننا فلما كان يوم العيد فخرجوا اليه خرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم يقول اشتكى رجلي فتوطؤا رجليه وهو صريع فلما مضوا نادى في آخرهم

روى الشبلي في المنام فقيل له مافعل الله بك فقال حاسبوني فدققوا * ثم منوا فاعتقوا قال في التفسير الكبير زعم الجبائي ان من استحق مائة جزء من العقاب فاتى بطاعة يستحق بها خمسين جزأ من الثواب فهذا الاقل منحبط بالاكثر ويبقى الاكثر كما كان والآية تبطل قوله لان الله تعالى تمدح بان اليسير من الطاعة لا يسقط ولو كان الامر كما قاله الجبائي لسقطت الطاعة من غير فائدة قلت للجبائي أن يقول الاتيان بالطاعة مشروط عندي بعدم الاحباط كما أن العقاب على المعصية مشروط عندكم بعدم العفو وكفى بنا حاسبين كقوله وكفى بالله حسيبا وحين فرغ من دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الانبياء تسلية لنبيه وتثبيتا وعظة لامته وتذكيرا وقدم قصة موسى لأنه أوجز فيها ههنا والموجز تقدمه الفصحاء غالبا ولان موسى أقوى حالا ومعجزة ولان ذكر التوراة يناسب ماتقدم من قوله قل انما أنذركم بالوحي ووصف التوراة بانها جامعة لكونها فرقانا يفرق به بين الحق والباطل وقد مر سائر تفاسير الفرقان في أول البقرة وضياء كقوله فيها هدى ونور وذكرا للمتقين أي شرفا وموعظة أو ذكرا يحتاجون اليه

في دينهم ودنياهم وقوله بالغيب اما حال من الرب أي حال كونه غائبا عن حسهم والله لا يغيب عنه شئ فيكون كقوله صلى الله عليه وسلم فان لم تكن تراه فانه يراك واما حال عنهم أي حال كونهم غائبين عن عذاب الآخرة وأهوالها أو غائبين عن الناس أي يخشون ربهم في الخلوات ثم عظم شأن القرآن بقوله وهذا ذكر مبارك أي كثير البركة أنزلناه أفأنتم له منكرون أي أنتم دون سائر الناس مع علمكم بفصاحته واعجازه تخصونه بالانكار ولا يخفى ما فيه من التوبيخ للعرب ومن اتاهم

وقد بقي ضعفى الناس تالله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فسمعه وهامنه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة فاذا هن في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه أصغر منه بعضها الى بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين أيدى الآلهة قالوا اذا كان حين نرجع رجعنا وقد بركت الآلهة في طعامنا فأكلنا فلما نظر اليهم ابراهيم والى ما بين أيديهم من الطعام قال ألا تأكلون فلما لم تجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فأخذ فأس حديد فنقر كل صنم في حافتيه ثم علق الفأس في عنق الصنم الاكبر ثم خرج فلما جاء القوم الى طعامهم نظروا الى آلهتهم قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله الا كبيرا لهم يقول الا عظيم الآلهة فان ابراهيم لم يكسره ولكنه فيما ذكر علق الفأس في عنقه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج الا كبيرا لهم قال قال ابن عباس الا عظيما لهم عظيم آلهتهم قال ابن جريج وقال مجاهد وجعل ابراهيم الفأس الذي أهلك أصنامهم مسندا الى ظهر كبيرهم الذي ترك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال جعل ابراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم مسندة الى ظهر كبيرهم الذي ترك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أقبل عليهن كما قال الله تبارك وتعالى ضربا باليمين ثم جعل يكسرهن بفأس في يده حتى اذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ثم تركهن فلما رجع قومه رأوا ما صنع باصنامهم فراعهم ذلك وأعظموه وقالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين وقوله لعلهم اليه يرجعون يقول فعل ذلك ابراهيم بآلهتهم ليعتبروا ويعلموا انها اذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها ابراهيم فهي من أن تدفع عن غيرها من أراده بسوء أبعد فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها الى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله والبراءة من الاوثان * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلهم اليه يرجعون قال كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون) يقول تعالى ذكره قال قوم ابراهيم لما رأوا آلهتهم قد جذت الا التي ربط بها الفأس ابراهيم من فعل هذا بآلهتنا ان الذي فعل هذا بآلهتنا لمن الظالمين أي لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعلها قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم يقول قال الذين سمعوه يقول تالله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين سمعنا فتى يذكرهم بعيب يقال له ابراهيم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قالوا سمعنا فتى يذكرهم قال ابن جريج يذكرهم يعيبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم سمعناه يسبها ويعيبها ويستهزئ بها لم نسمع أحدا يقول ذلك غيره وهو الذي نظن صنع هذا بها وقوله فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون يقول تعالى ذكره قال قوم ابراهيم بعضهم لبعض فأتوا بالذي فعل

التأويل أم اتخذوا آلهة من ارض البشرية ثم هم يحيون القلوب الميتة بل الله يحييها بنور ذكره وطاعته لو كان فيهما سماء الروحانية وأرض البشرية آلهة الا الله كالعقل والهوى لفسدتا كما فسد سماء أرواح الفلاسفة حين أثبتت عقولهم للواجب صفات لا تليق به وفسد أرض بشرية الطبائعية حين زلت قدمهم عن استعمال قوانين الشريعة بمقتضى هوى الطبيعة لا يسئل عما يفعل لان أفعاله تعالى صادرة عن الحكمة والقدرة وهم يسئلون لان (٢٦) أفعالهم منشؤها الظلومية والجهولية لا يسبقونه بالقول لانه ليس فيهم ما يخالف داعية العقل وهو الطبع الذي يجذب صاحبه الى السفل ولهذا وصفهم بالاكرام ووصف بني آدم بالتكريم في قوله ولقد كرمنا بني آدم ففي التكريم تكثير ليس في الاكرام والسبسان أمر بني آدم أشكل وحالهم أصعب يعلم ما بين أيديهم من جهالة قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما خلفهم من الامر بسجود آدم والاستغفار لمن في الارض أولم ير الذين كفروا يعني انهم رأوها في عالم الارواح لانها خلقت قبل الاجساد بالفي عام وفي رواية باربعة آلاف سنة كانتا رتقا أي كانت سموات الارواح متعلقة بارض القوالب ففتقناهما بالمفارقة وقطع التعلق وجعلنا من ماء حياة العلم كل شيء حي بالحياة الابدية وجعلنا في الارض أرض القالب رواسي هي هموم العلائق البدنية أن تميد بهم فلولاها لمالت كل نفس الى عالمها وبطل الغرض من التكليف ويمكن أن يكون الرواسي اشارة الى الابدال الذين هم أوتاد الارض بهم يرزق ويمطر الناس فجاجا سبلا هي طرق الارشاد والتسليك وجعلنا سماء القلب سقفا محفوظا من وساوس شياطين الانس والجن وهو الذي خلق الليل البشرية ونهار الروحانية وشمس المعرفة وقمر الاسلام كل في فلك يسبحون فأهل الاسلام في ذلك الشريعة وأهل الايمان في ذلك الطريقة وأهل الولاية في فلك أطوار الحقيقة كل نفس ذائقة الموت أما النفس هذا الحيوانية فلان من خواصها أن يصير الغذاء من جنسها فلا جرم اذا عجز الغذاء عن التشبيه بها لعجز القوة الغاذية حل أجلها وأما النفس الناطقة فلان من خواصها انها تصير من جنس غذائها وهو الكمالات العلمية والعملية التي هي فيوض ربانية يتجوهر الروح بجوهرها فيحصل له الغناء عن وجوده والبقاء بشهود ربه ونبلوكم بالمكروهات التي تسمونها شرا وبالمحبوبات التي تحسبونها خيرا فتنة فربما كان

هذا بآلهتنا الذى سمعتموه يذكرها بعيب ويسبها ويذمها على أعين الناس فقيل معنى ذلك على رؤس الناس وقال بعضهم معناه بأعين الناس ومرأى منهم وقالوا انما أريد بذلك أظهروا الذى فعل ذلك للناس كما تقول العرب اذا أظهر الامر وشهر كان ذلك على أعين الناس يراد به كان بأيدى الناس * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لعلهم يشهدون فقال بعضهم معناه لعل الناس يشهدون أنه الذى فعل ذلك فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه وقالوا انما فعلوا ذلك لانهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه انه فعل ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قال كرهوا أن يأخذوه بغير بينة * وقال آخرون بل معنى ذلك لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به فيعاينونه ويرونه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال بلغ ما فعل ابراهيم بآلهة قومه نمرود وأشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون أى ما يصنع به وأظهر معنى ذلك انهم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عقوبتنا اياه لانه لو أريد بذلك ليشهدوا عليه بفعله كان يقال انظروا من شهده يفعل ذلك ولم يقل أحضروه بمجمع من الناس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون) يقول تعالى ذكره فأتوا بابراهيم فلما أتوا به قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا ابراهيم فأجابهم ابراهيم فقال بل فعله كبيرهم هذا وأعظمهم فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها ان كانت تنطق أو تعبر عن نفسها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر فكسرهن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل فعله كبيرهم هذه الآية وهى هذه الخصلة التى كادهم بها وقد زعم بعض من لا يصدق بالآثار ولا يقبل من الاخبار الا ما استفاض به النقل من العوام ان معنى قوله بل فعله كبيرهم هذا انما هو بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم أى ان كانت الآلهة المكسورة تنطق فان كبيرهم هو الذى كسرهم وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات كلها فى الله قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله انى سقيم وقوله لسارة هى أختى وغير مستحيل أن يكون الله تعالى ذكره أذن لخليله فى ذلك ليقرع قومه به ويحتج به عليهم ويعرفهم موضع خطئهم وسوء نظرهم لانفسهم كما قال مؤذن يوسف لاخوته أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا شيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) يقول تعالى ذكره ذكره واحين قال لهم ابراهيم صلوات الله عليه بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فى

الامر عكس ما تصور ثم والينا ترجعون اختيارا أو قهرا واذا رآك الذين كفروا فيه أن الاغيار لا ينظرون الى الاخيار الا بعين الانكار خلق الانسان من عجل بالنسبة الى خلق السموات والارض وما بينهما فانها خلقت فى ستة أيام وخمرت طينة آدم أربعين صباحا مع ان فيها أنموذجا من الكل واستعداد القبول الخلافة وقابلية تجلى الذات والصفات ومظهرية الكنز الخفى وأشار الى هذه المعانى بقوله سأريكم آياتى أى فى مظاهر الآفاق ومرايا أنفسكم بالتدريج وبالتربية فى كل طور فلا تستعجلون فان (٢٧) حد الاستكمال من المهد الى اللحد بل من الازل الى الابد وهذا منطق الطير لا يفهمه الا سليمان الوقت ويمكن أيضا أن يقال ان الروح الانسانى أول شئ تعلقت به القدرة وهذا معنى العجلة قل من يكلؤكم فيه أن ملوك الارض لو حرسوهم بالليل والنهار من الخصوم والاعداء فمن لهم حتى يحفظوهم من ليل البشرية ونهار الروحانية من سطوات قهر الجلال الذى الرحمانية من صفاته كما أن الرحيمية من صفات الجمال فلو وكلهم بالخذلان الى ظلمة البشرية بقوا فى الجهل ولو وكلهم بالاضلال فى نور المعقولات تاهوا فى أودية الحيرة والحجب النورية والمنع من الحجب الظلمانية والجهل البسيط أسرع من ازالة الجهل المركب بل متعنا هؤلاء الجهال وآباءهم الذين علوهم تلك المعقولات التى صارت حجبا نورية لهم حتى اغتروا بظاهر الحال وأنكروا المعاد والشريعة ثم ان بين الحق يغلب على الباطل ألبتة فقال أولم يروا انا نأتى الارض البشرية ونضع الموازين ميزان الفضل قد نصب فى الازل نحن قسمنا تلك الرسل فضلنا وميزان العدل ينصب فى الابد ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فالاول كالبذرة والثانى كالثمرة (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم

فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم
ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يانار كوني برداوسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا
فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبناله اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة
يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات (٢٨) واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من
القرية التي كانت تعمل الخبائث
انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه
في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ
نادى من قبل فاستجبناله ونجيناه
وأهله من الكرب العظيم ونصرناه
من القوم الذين كذبوا بآياتنا
انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم
أجمعين وداود وسليمان اذ يحكمان
في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم
وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة
لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم
فهل أنتم شاكرون ولسليمان
الريح عاصفة تجري بأمره الى
الارض التي باركنا فيها وكنا بكل
شئ عالمين ومن الشياطين من
يغوصون له ويعملون عملا دون
ذلك وكنا لهم حافظين وأيوب اذ
نادى ربه اني مسني الضر وأنت
أرحم الراحمين فاستجبناله فكشفنا
مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم
معهم رحمة من عندنا وذكرى
للعابدين واسمعيل وادريس وذا
الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم
في رحمتنا انهم من الصالحين وذا
النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن
نقدر عليه فنادى في الظلمات أن
لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من
الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من
الغم وكذلك نجي المؤمنين
وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبناله ووهبناله يحيى وأصلحناله زوجه انهم كانوا لكم
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)
القراآت جذاذا بكسر الجيم علي الآخرون بضمها أف بفتح الفاء ابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب أف بالكسر والتنوين أبو جعفر
ونافع وحفص الباقون بالكسر من غير تنوين لتحصنكم بالنون أبو بكر وحماد ورويس وبالتاء الفوقانية والضمير للصنعة أو للدرع لانها.

أنفسهم ورجعوا الى عقولهم ونظر بعضهم الى بعض فقالوا انكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل
في مسئلتكم اياه وقيلكم له من فعل هذا بآلهتنا يا ابراهيم وهذه آلهتكم التي فعل بها مافعل
حاضرتكم فاسألوها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا**
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون قال ارعووا
ورجعوا عنه يعني عن ابراهيم فيما ادعوا عليه من كسرهن الى أنفسهم فيما بينهم فقالوا لقد ظلمناه
وما نراه الا كما قال **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فرجعوا الى
أنفسهم قال ينظر بعضهم الى بعض فقالوا انكم أنتم الظالمون وقوله ثم نكسوا على رؤسهم يقول
جل ثناؤه ثم غلبوا في الحجة فاحتجوا على ابراهيم بما هو حجة لابراهيم عليهم فقالوا لقد علمت ماهؤلاء
الاصنام ينطقون كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم قالوا يعني قوم ابراهيم
وعرفوا انها يعني آلهتهم لاتضر ولا تنفع ولا تبطش لقد علمت ماهؤلاء ينطقون أي لا تتكلم فتخبرنا
من صنع هذا بها وما تبطش بالايدي فنصدقك يقول الله ثم نكسوا على رؤسهم في الحجة عليهم
لابراهيم حين جادلهم فقال عند ذلك ابراهيم حين ظهرت الحجة عليهم بقولهم لقد علمت ماهؤلاء
ينطقون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله ثم نكسوا على رؤسهم
أدركت الناس حيرة سوء * وقال آخرون معنى ذلك ثم نكسوا في الفتنة ذكر من قال
ذلك **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ثم نكسوا على رؤسهم قال نكسوا
في الفتنة على رؤسهم فقالوا لقد علمت ماهؤلاء ينطقون وقال بعض أهل العربية معنى ذلك ثم رجعوا
عما عرفوا من حجة ابراهيم فقالوا لقد علمت ماهؤلاء ينطقون وانما اخترنا القول الذي قلنا في معنى
ذلك لان نكس الشئ على رأسه قلبه على رأسه وتصيير أعلاه أسفله ومعلوم ان القوم لم يقلبوا على
رؤس أنفسهم وانهم انما نكست حجتهم فاقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم وان كان ذلك كذلك
فنكس الحجة لاشك انما هو احتجاج المحتج على خصمه بما هو حجة لخصمه وأما قول السدي ثم نكسوا
في الفتنة فانهم لم يكونوا خرجوا من الفتنة قبل ذلك فنكسوا فيها وأما قول من قال من أهل العربية
ماذكرنا عنه فقول بعيد من الفهوم لانهم لو كانوا رجعوا عما عرفوا من حجة ابراهيم ما احتجوا عليه
بما هو حجة له بل كانوا يقولون له لا نسألهم ولكن نسألك فاخبرنا من فعل ذلك بها وقد سمعنا انك
فعلت ذلك ولكن صدقوا القول فقالوا لقد علمت ماهؤلاء ينطقون وليس ذلك رجوعا عما كانوا
عرفوا بل هو اقرار به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ
ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لقومه
أفتعبدون أيها القوم مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم وأنتم قد علمتم انها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء
ولا هي تقدر ان تنطق ان سألت عمن يأتيها بسوء فتخبر به أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا
كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ
ولا يضركم الآية يقول يرحمه الله ألا ترون انهم لم يدفعوا عن أنفسهم الضر الذي أصابهم وانهم
لا ينطقون فيخبرونكم من صنع ذلك بهم فكيف ينفعونكم أو يضرون وقوله أف لكم يقول قبحا

لكم ولا لهة التى تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع فتتركوا عبادته وتعبدوا الله الذى فطر السموات والارض والذى بيده النفع والضر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين) يقول تعالى ذكره قال بعض قوم ابراهيم لبعض حرقوا ابراهيم بالنار وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين يقول ان كنتم ناصريها ولم تريدوا ترك عبادتها وقيل ان الذى قال ذلك رجل من أكراد فارس ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد فى قوله حرقوه وانصروا آلهتكم قال قالها رجل من أعراب فارس يعنى الاكراد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمان عن شعيب الجبائى قال ان الذى قال حرقوه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أجمع نمرود وقومه فى ابراهيم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين أى لا تنصروها منه الا بالتحريق بالنار ان كنتم ناصريها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن الحسن بن دينار عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد قال تلوت هذه الآية على عبدالله بن عمر فقال أتدرى يا مجاهد من الذى أشار بتحريق ابراهيم بالنار قال قلت لا قال رجل من اعراب فارس قلت يا أبا عبدالرحمن أوهل للفرس اعراب قال نعم الكرد هم اعراب فارس فرجل منهم هو الذى أشار بتحريق ابراهيم بالنار وقوله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وفى الكلام متروك اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه منه وهو فأوقدوا له نارا ليحرقوه ثم ألقوه فيها فقلنا للنار يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وذكر انهم لما أرادوا احراقه بنوا له بنيانا كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم قال فحبسوه فى بيت وجمعوا له حطبا حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافانى الله لاجمعن حطبا لابراهيم فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب حتى ان كان الطير لتمر بها فتحترق من شدة وهجها فعمدوا اليه فرفعوه على رأس البنيان فرفع ابراهيم صلى الله عليه وسلم رأسه الى السماء فقالت السماء والارض والجبال والملائكة ربنا ابراهيم يحرق فيك فقال أنا أعلم به وان دعاكم فأغيثوه وقال ابراهيم حين رفع رأسه الى السماء اللهم أنت الواحد فى السماء وأنا الواحد فى الارض ليس فى الارض أحد يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل فقذفوه فى النار فناداها فقال يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فكان جبريل عليه السلام هو الذى ناداها وقال ابن عباس لو لم يتبع بردها سلاما لمات ابراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار فى الارض الا طفئت ظنت انها هى تعنى فلما طفئت النار نظروا الى ابراهيم فاذا هو ورجل آخر معه واذا رأس ابراهيم فى حجره يمسح عن وجهه العرق وذكر ان ذلك الرجل هو ملك الظل وأنزل الله نارا فانتفع بها بنو آدم وأخرجوا ابراهيم فأدخلوه على الملك ولم يكن قبل ذلك دخل عليه حدثنى ابراهيم بن المقدام أبو الاشعث قال ثنا المعتمر قال سمعت أبى قال ثنا قتادة عن أبى سليمان عن كعب قال ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قلنا يا نار

مؤنثة سماعا ابن عامر ويزيد وحفص والمفضل ورويس وزيد الباقون بالياء التحتانية والضمير لداود عليه السلام أو اللبوس والكل بتخفيف الصاد والرياح على الجمع يزيد بطريق المفضل الآخرون على التوحيد مسنى الضر وعبادى الصالحون فى آخر السورة مرسلة الياء حمزة الباقون بفتحها ابن عامر وعباس وأن لن يقدر بالياء مجهولا يعقوب نجى بضم النون الواحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء ابن عامر وعباس وأبو بكر وحماد الآخرون من الانجاء مخففا * الوقوف عالمين ج ه لا لان ان يصلح (٢٩) ظرفا لآتينا أو لرشده أو للعلم به ومفعولا لاذكر محذوفا عاكفون ه عابدين ه مبين ه اللاعبين ه فطرهن ز وصل لواو الابتداء والحال أولى الشاهدين ه ترجعون ه الظالمين ه ابراهيم ه تشهدون ه بابراهيم ه ط فعله ز وفيه بعد ويجىء فى التفسير ينطقون ه الظالمون ه لا للعطف على رؤسهم ج لاتحاد المقصود مع اضمار القول ينطقون ه ولا يضركم ط لاستئناف الدعاء عليهم من دون الله ط تعقلون ه فاعلين ه على ابراهيم ه لابناء على أن التقدير وقد أرادوا الاخسرين ج ه للعطف والآية للعالمين ه اسحق ط بناء على أن المراد ووهبنا له يعقوب حال كونه نافلة ط صالحين ه الزكاة ج لاحتمال الاستئناف والحال عابدين ه وكان ينبغى أن لا وقف للعطف ولكنهم حكموا بالوقف لتمام القصة وكذلك أمثالها الخبائث ط فاسقين ه لابناء على أن التقدير وقد أدخلناه رحمتنا ط الصالحين ه العظيم ج للعطف مع الآية بآياتنا ط أجمعين ه غنم القوم ج لاحتمال الواو بعده الاستئناف والحال شاهدين ه لا للعطف بالفاء سليمان ج لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتحاد الكلام وعلما للعطف المتفقين مع نوع عدول والطير ط فاعلين ه من بأسكم ج للاستفهام مع الفاء شاكرون ه فيها ط عالمين ه دون ذلك ج لاحتمال الاستئناف والحال حافظين ه الراحمين ه للفاء وللآية للعابدين ه وذا الكفل ط والصابرين ه وقد يوصل لعطف وأدخلناهم على نجينا القدرة فى رحمتنا ط الصالحين ه سبحانك قد يوقف لاجل أن ولكنه داخل فى حكم النداء الظالمين ج ه على ما ذكر فى الوجهين فاستجبنا له لاتفاق الجملتين واتصال النجاة بالاستجابة من الغم ط المؤمنين ه الوارثين ه فاستجبنا له لامكان

الفصل بين الاستجابة المعجلة وحصول الولد الموهوب على المهلة زوجة ط ووهبنا ط خاشعين ه العالمين ه * التفسير الرشد الاهتداء لوجوه المصالح فى الدين والدنيا وقد يخص ههنا بالنبوة لقوله رشده ومعنى الاضافة ان لهذا الرشد شأنا ولقوله وكنا به عالمين وفيه انه علم منه أسرارا عجيبة وأحوالا بديعة حتى اتخذه خليلا واصطفاه نبيا نظيره الله أعلم حيث يجعل رسالته وعلى هذا فمعنى قوله من قبل أى من قبل موسى وهرون قاله ابن عباس وعلى الاول (٣٠) يحتمل هذا وأن يراد من قبل البلوغ حين استدل بالكواكب قاله مقاتل وعن ابن عباس فى رواية الضحاك حين أخذ الله ميثاق النبيين فى صلب آدم قالت الاشاعرة أراد بايتاء الرشد خلق ذلك فيه اذ لو حمل على أسباب ذلك تناول الكفار أجاب الكعبى بان هذا انما يقال فيمن قبل لا فيمن رد نظيره بان يعطى الاب كل واحد من ولديه ألفا فقبله أحدهما وثمره ورده الآخر أو أخذه ثم ضيعه فيقال أغنى فلان ابنه فيمن ثمر المال ولا يقال مثله فيمن ضيع واعترض بان قبوله على هذا التقدير يكون جزأ من مسمى الرشد وحينئذ لا يصح استناد ايتاء الرشد الى الله وحده وهذا بخلاف نص القرآن والتمثيل اسم للشئ المصنوع متشبها بخلق من خلق الله تعالى من مثلت الشئ بالشئ شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال جعل ابراهيم عليه السلام هذا التجاهل والتغابى ابتداء كلامه لينظر فيما عساهم يوردونه من شبهة فيحلها لهم مع ما فى هذا السؤال من تحقيرآ لهتهم وتسفيه أخلاقهم وفى قوله أنتم لها عاكفون دون أن يقول عليها كقوله يعكفون على أصنام لهم نوع آخر من التجهيل والتوبيخ لانه ادعى عليهم انهم جعلوا العكوف مختصا بها دون خالقها وخالق كل شئ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين لا يمكن لهم أن يتمسكوا بشئ آخر سوى التقليد فزيف طريقتهم بالتنبيه على خطئهم وخطأ أسلافهم فقال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين لان كل مذهب لا يستند الى دليل كان صاحبه ضالا أو فى حكم ذلك ثم ان القوم تعجبوا من تضليلهم مع كثرتهم ووحدته ومنعهم عما ألفوه وصيروا به فقالوا أجئتنا بالحق أى بما ليس بهزل ودعابة أم أنت من اللاعبين فحينئذ عدل ابراهيم عن مجرد التنبيه الى اثبات الدعوى بالبينة والدليل وجاهدهم أولا باللسان قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن الظاهر أن الضمير للسموات والارض

كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال ذكر لنا ان كعبا كان يقول ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس وكان كعب يقول ما أحرقت النار يومئذ الا وثاقه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن شيخ عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال بردت عليه حتى كادت تقتله حتى قيل وسلاما قال لا تضربه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا اسمعيل عن المنهال بن عمرو قال قال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنعم منى من الايام التى كنت فيها فى النار **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال لما ألقى ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم فى النار قال الملك خازن المطر رب خليلك ابراهيم رجا ان يؤذن له فيرسل المطر قال فكان أمر الله أسرع من ذلك فقال يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلم تبق فى الارض نار الا طفئت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الحارث عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال ان أحسن شئ قاله أبو ابراهيم لما رفع عنه الطبق وهو فى النار وجده ترشح جبينه فقال عند ذلك نعم الرب ربك يا ابراهيم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمان عن شعيب الجبائى قال ألقى ابراهيم فى النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة وهى ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت ايلياء على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحق بطنت يومين وماتت اليوم الثالث قال ابن جريج قال كعب الاحبار ما أحرقت النار من ابراهيم شيأ غير وثاقه الذى أوثقوه به **حدثنا** الحسن قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان التيمى عن بعض أصحابه قال جاء جبريل الى ابراهيم عليهما السلام وهو يوثق أو يقمط ليلقى فى النار قال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا قال **حدثنا** معتمر قال ثنا ابن كعب عن أرقم ان ابراهيم قال حين جعلوا يوثقونه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال السلام لا يؤذيه بردها ولولا انه قال وسلاما لكان البرد أشد عليه من الحر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله بردا قال بردت عليه وسلاما لا تؤذيه **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال قال كعب ما انتفع أحد من أهل الارض يومئذ بنار ولا أحرقت النار يومئذ شيأ الا وثاق ابراهيم وقال قتادة لم تأت يومئذ دابة الا اطفأت عنه النار الا الوزغ وقال الزهرى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا وقوله وأرادوا به كيدا يقول تعالى ذكره وأرادوا بابراهيم كيدا فجعلناهم الاخسرين يعنى الهالكين وقد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين قالوا ألقوا شيخا منهم فى النار لان يصيبوا نجاته كما نجى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) يقول تعالى ذكره ونجينا ابراهيم ولوطا من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق الى الارض التى باركنا فيها للعالمين وهى أرض الشام فارق صلوات الله

عليه

الا أنه قبل كونه التماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وقوله وأنا على ذلكم من الشاهدين فيه تأكيد وتحقيق لما قاله كقول الرجل اذا بالغ في مدح أحد أو ذمه أشهد انه كريم أو لئيم لان الشهادة خبر قاطع وفيه انه قادر على اثبات ما ادعاه بالحجج والبينات كما شاؤا ثم أخبر انه سيجاهدهم جهادا بالفعل من غير تقية وخوف فقال وتالله لا كيدن أصنامكم قال جار الله في تاء القسم مع انه عوض عن الباء زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من سهولة الكيد على يده لان ذلك لصعوبته كان كالمقنوط منه خصوصا في زمن نمرود مع شدة شكيمته وقوة سلطانه قلت لاريب ان هذا مستبعد عادة ولكنه سهل لمن أيده الله ونصره كما قال على رضي الله عنه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة رحمانية سؤال الكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به فكيف يتصور ذلك في حق الاصنام وجوابه انه قال ذلك بناء على زعمهم انه يجوز ذلك عليها أو أراد لا كيدنكم في أصنامكم لانه بذلك الفعل أهمهم وأحزنهم قال السدي كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابراهيم لو خرجت معنا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلي فلما بقي هو وضعفاء الناس نادى وقال تالله لا كيدن أصنامكم وروى الكلبي ان ابراهيم كان من أهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابراهيم بالذي هم به من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء فقال لاصحابه انى أرانى أشتكى غدا فذلك قوله في الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم وأصبح من الغد معصوبا رأسه فخرج القوم لعيدهم ولم يتخلف أحد غيره فقال سرا أما والله لا كيدن أصنامكم فسمعه رجل واحد فأخبر به غيره وانتشر الخبر وعلى الوجهين يصح قوله فيما بعد قالوا سمعنا فتى يذكرهم وروى ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى اذا لم يبق الا الكبير علق الفأس في عنقه فجعلهم جذاذا قال الجوهري جذذت

عليه قومه ودينهم وهاجر الى الشام وهذه القصة التي قص الله من نبأ ابراهيم وقومه تذكير منه بها قوم محمد صلى الله عليه وسلم من قريش انهم قد سلكوا في عبادتهم الاوثان وأذاهم محمدا على نهيه عن عبادتها ودعائهم الى عبادة الله مخلصين له الدين مسلك أعداء أبيهم ابراهيم ومخالفتهم دينه وان محمدا في براءته من عبادتها واخلاصه العبادة لله وفي دعائهم الى البراءة من الاصنام وفي الصبر على ما يلقى منهم في ذلك سالك منهاج أبيه ابراهيم وانه مخرجه من بين أظهرهم كما أخرج ابراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم الى مهاجره من أرض الشام ومسل بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه من المكروه والاذى ومعلمه انه منجيه منهم كما نجى أباه ابراهيم من كفرة قومه وقد اختلف أهل التأويل في الارض التي ذكر الله انه نجى ابراهيم ولوطا اليها ووصفها انه بارك فيها للعالمين فقال بعضهم * بنحو الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن حريث المروزي أبو عمار قال ثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال الشام وما من ماء عذب الا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن فرات القزاز عن الحسن في قوله الى الارض التي باركنا فيها قال الشام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين كانا بأرض العراق فانجيا الى أرض الشام وكان يقال للشام أعقار دار الهجرة وما نقص من الارض زيد في الشام وما نقص من الشام زيد في فلسطين وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر وبها مجمع الناس وبها ينزل عيسى بن مريم وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجال وحدثنا أبو قلابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت فيما يرى النائم كأن الملائكة حملت عمود الكتاب فوضعته بالشام فأولته ان الفتن اذا وقعت فان الايمان بالشام وذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته انه كائن بالشام جند وبالعراق جند وباليمن جند فقال رجل يا رسول الله خر لي فقال عليك بالشام فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق بقدره وذكر لنا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا كعب ألا تحول الى المدينة فانها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره فقال له كعب يا أمير المؤمنين انى أجد في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال هاجرا جميعا من كوثى الى الشام حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي بنت ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها على أن لا يغيرها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال خرج ابراهيم مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط مهاجرا وتزوج سارة ابنة عمه فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة أو أقرب

الشئ جذا قطعته وكسرته والجذاذ والجذاذ انما كسر منه وضمه افصح من كسره قلت فعلى هذا هو اسم جمع لا جمع الا كبيرا لهم أى فى الخلقة كما روينا وقيل فى التعظيم ويحتمل أن يكون جامعا للامرين أما الضمير الواحد فى قوله لعلهم اليه يرجعون فيحتمل عوده الى ابراهيم أى جعلهم جذاذا واستبقى الكبير رجاء انهم يرجعون الى دينه أو الى السؤال عنه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ويحتمل عوده الى الكبير كما ذهب اليه الكلبى والمعنى لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى

من ذلك فبعثه الله نبيا صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين قال نجاه من أرض العراق الى أرض الشام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية انه قال فى هذه الآية باركنا فيها للعالمين قال ليس ماء عذب الا يهبط الى الصخرة التى ببيت المقدس قال ثم يتفرق فى الارض **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين قال الى الشام * وقال آخرون بل يعنى مكة وهى الارض التى قال الله تعالى التى باركنا فيها للعالمين ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين يعنى مكة ونزول اسمعيل البيت ألا ترى انه يقول ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين * قال أبو جعفر وانما اخترنا ما اخترنا من القول فى ذلك لانه لا خلاف بين جميع أهل العلم ان هجرة ابراهيم من العراق كانت الى الشام وبها كان مقامه أيام حياته وان كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها اسمعيل ابنه مع أمه هاجر غير انه لم يقم بها ولم يتخذها وطنا لنفسه ولا لوط والله انما أخبر عن ابراهيم ولوط انهما أنجاهما الى الارض التى بارك فيها للعالمين

القول فى تأويل قوله تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) يقول تعالى ذكره ووهبنا لابراهيم اسحق ولدا ويعقوب ولد ولده نافلة له * واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله نافلة فقال بعضهم عنى به يعقوب خاصة ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة يقول ووهبنا له اسحق ولدا ويعقوب ابن ابن نافلة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة والنافلة ابن ابنه يعقوب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قال سأل واحدا فقال رب هب لى من الصالحين فأعطاه واحدا وزاده يعقوب ويعقوب ولد ولده * وقال آخرون بل عنى بذلك اسحق ويعقوب قالوا وانما معنى النافلة العطية وهما جميعا من عطاء الله أعطاهما اياه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء فى قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قال عطية **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اسحق ويعقوب نافلة قال عطاء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر وقد بينا فيما مضى قبل ان النافلة الفضل من الشئ يصير الى الرجل من أى شئ كان ذلك وكلا ولديه اسحق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على ابراهيم وهبة منه له وجائز أن يكون عنى به انه أعطاهما اياه جميعا نافلة منه له وأن يكون عنى انه أعطاه نافلة يعقوب ولا برهان يدل على أى ذلك المراد من الكلام فلا شئ أولى أن يقال فى ذلك مما قال الله

العالم فى حل المشكلات فيقولون ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفأس على عاتقك وهذا بناء على ظنهم ان الاصنام قد تتكلم وتجيب على أن نفس ذلك الكبير كان دليلا على فساد مذهبهم لان الاله يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ لانهم كانوا يعظمونها ويقولون ان المستخف بها يلحقه ضرر عظيم فحين كسرها ابراهيم ولم ينله ضرر من تلك الجهة بطل ما اعتقدوه فلما انكشفت لهم جلية الحال وقالوا من فعل هذا الكسر والحطم والاستخفاف بآلهتنا انه لمن الظالمين المتعدين فى جملة من يضع الشئ فى غير موضعه لانه وضع الاهانة مكان التعظيم قالوا سمعنا احتمل أن يكون القائل واحدا ونسب القول الى الجماعة لانه منهم واحتمل أن يكون جمعا على الوجهين اللذين رويناهما أولا انهم سمعوا منه قوله على وجه الاستهزاء ما هذه التماثيل والفعلان بعد فتى صفتان له الا أن الاول ضرورى ذكره لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع والثانى ليس كذلك والاصح ان قوله ابراهيم فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى وقيل هو خبر مبتدأ محذوف أو منادى قالوا أى فيما بينهم فأتوا به على أعين الناس الجار والمجرور فى محل الحال أى

بمرأى منهم ومنظر او معاينا ومشاهدا قال فى الكشاف معنى الاستعلاء فى على انه يثبت اتيانه فى الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله فيكون حجة عليه قاله الحسن وقتادة والسدى وعطاء عن ابن عباس وقال محمد بن اسحق معناه لعلهم يحضرون عقوبتنا له ليكون ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله وههنا اضمار أى فأتوا به ثم قالوا أأنت فعلت هذا الظلم والاستخفاف بآلهتنا يا ابراهيم طلبوا منه الاعتراف ليقدموا على ايذائه فقال بل فعله كبيرهم وقوله هذا

ووهب الله لابراهيم اسحق و يعقوب نافلة وقوله وكلا جعلنا صالحين يعنى عاملين بطاعة الله مجتنبين محارمه وعنى بقوله كلا ابراهيم واسحق و يعقوب وقوله وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا يقول تعالى ذكره وجعلنا ابراهيم واسحق و يعقوب أئمة يؤتم بهم فى الخير فى طاعة الله فى اتباع أمره ونهيه و يقتدى بهم و يتبعون عليه كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا جعلهم الله أئمة يقتدى بهم فى أمر الله وقوله يهدون بامرنا يقول يهدون الناس بامر الله اياهم بذلك ويدعونهم الى الله والى عبادته وقوله وأوحينا اليهم فعل الخيرات يقول تعالى ذكره وأوحينا فيما أوحينا ان أفعلوا الخيرات وأقيموا الصلاة بامرنا بذلك وكانوا لنا عابدين يقول كانوا لنا خاشعين لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين) يقول تعالى ذكره وآتينا لوطا حكما وهو فصل القضاء بين الخصوم وعلما يقول وآتيناه أيضا علما بامر دينه وما يجب عليه لله فى فرائضه وفى نصب لوط وجهان أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا وآتينا لوطا والآخر بمضمر بمعنى واذكر لوطا وقوله ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث يقول ونجيناه من عذابنا الذى أحللناه باهل القرية التى كانت تعمل الخبائث وهى قرية سدوم التى كان لوط بعث الى أهلها وكانت الخبائث التى كانوا يعملونها اتيان الذكران فى أدبارهم وحذفهم الناس وتضارطهم فى أنديتهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكر فاخرجه الله حين أراد اهلاكهم الى الشام كما **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أخرجهم الله يعنى لوطا وابنتيه زيثا وزعرثا الى الشام حين أراد اهلاك قومه وقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين مخالفين أمر الله خارجين عن طاعته وما يرضى من العمل ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وأدخلناه فى رحمتنا انه من الصالحين) يقول ان لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا و ينتهون الى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا وكان ابن زيد يقول فى معنى قوله وأدخلناه فى رحمتنا ما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأدخلناه فى رحمتنا قال فى الاسلام ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد نوحا اذ نادى ربه من قبلك ومن قبل ابراهيم ولوط وسألنا أن نهلك قومه الذين كذبوا الله فيما توعدهم به من وعيده وكذبوا نوحا فيما أتاهم به من الحق من عند ربه وقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاستجبنا له دعاءه ونجيناه وأهله يعنى باهله أهل الايمان به من ولده وحلائلهم من الكرب العظيم يعنى بالكرب العظيم العذاب الذى أحل بالمكذبين من الطوفان والغرق والكرب شدة الغم يقال منه قد كربنى هذا الامر فهو يكربنى كربا وقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا يقول ونصرنا نوحا على القوم الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فانجيناه منهم فاغرقناهم أجمعين انهم كانوا قوم سوء يقول تعالى ذكره ان قوم نوح الذين كذبوا بآياتنا كانوا قوم سوء يسيئون الاعمال فيعصون الله ويخالفون أمره ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وداود

صفة كبيرهم زعم الطاعنون فى عصمة الانبياء ان هذا القول من ابراهيم كذب وأكدوا قولهم بما جاء فى الحديث ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات وللعلماء فى جوابهم طريقان أحدهما تسليم انه كذب ولكنهم قالوا الكذب ليس قبيحا لذاته وانما يقبح لاشتماله على مفسدة وقد يحسن الكذب اذا اشتمل على مصلحة كتخليص نبى ونحوه وزيف هذا الطريق بانا لو جوزنا أن يكذب النبى لمصلحة لبطل الوثوق بالشرائع فلعل الانبياء أخبروا عما أخبروا والمصلحة المكلفين فى باب المعاش مع انه ليس للمخبر عنه وجود كما فى الواقع الطريق الثانى وعليه جمهور المحققين المنع من انه كذب وبيانه من وجوه الاول انه من المعاريض التى يقصد بها الحق وهو الزام الخصم وتبكيته كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط فى غاية الحسن أنت كتبت هذا وصاحبك أمى لا يحسن الخط فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع استهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامى الثانى ان ابراهيم عليه السلام غاظته تلك الاصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذى تسبب لاستهانته بها الثالث أن يكون ذلك حكاية لما يؤول اليه مذهبهم كأنه قال ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد و يدعى الها أن يقدر على أمثال هذه الافعال ويؤيد هذا الوجه ما يحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار الرابع ما روى عن الكسائى انه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يبتدئ كبيرهم هذا أى فعله من فعله الخامس عن بعضهم انه يقف عند قوله كبيرهم هذا فاسئلوهم وأراد بالكبير نفسه لان الانسان أكبر من كل صنم السادس أن فى الكلام تقديما وتأخيرا والتقدير بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم فيكون اضافة الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع أن يكونوا فاعلين السابع قراءة محمد بن السميفع فعله كبيرهم بالتشديد أى فلعل الفاعل كبيرهم وفيه تعسف وأما قول ابراهيم عليه السلام انى سقيم فلعله كان به سقم قليل وسوف يجىء تمام البحث فيه وأما قوله لسارة انها أختى فالمراد انها أخته فى الدين فلم يكن وقتئذ على وجه الارض مسلم سواهما فرجعوا الى أنفسهم حين نبههم على قبح طريقتهم فقالوا انكم أنتم الظالمون لانكم تعبدون من لا يستحق العبادة وقال

وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان
وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) يقول تعالى ذكره
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر داود وسليمان يا محمد اذ يحكمان فى الحرث * واختلف أهل
التأويل فى ذلك الحرث ما كان فقال بعضهم كان نبتا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال
ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن اسحق عن مرة فى قوله اذ يحكمان فى الحرث قال كان
الحرث نبتا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان غنم القوم
وقعت فى زرع ليلا * وقال آخرون بل كان ذلك الحرث كرما ذكر من قال ذلك حدثنا
أبو كريب قال ثنا المحاربى عن أشعث عن أبى اسحق عن مرة عن ابن مسعود فى قوله وداود
وسليمان اذ يحكمان فى الحرث قال كرم قد أنبتت عناقيده حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق
عن شريك عن أبى اسحق عن مسروق عن شريح قال كان الحرث كرما * قال أبو جعفر وأولى
الاقوال فى ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى اذ يحكمان فى الحرث والحرث انما هو حرث الارض
وجائز أن يكون ذلك كان زرعا وجائز أن يكون غرسا وغير ضائر الجهل بأى ذلك كان وقوله اذ
نفشت فيه غنم القوم يقول حين دخلت فى هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلا
فرعته أو أفسدته وكنا لحكمهم شاهدين يقول وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم
فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث شاهدين لا يخفى علينا منه شئ ولا يغيب عنا علمه
وقوله ففهمناها يقول ففهمنا القضية فى ذلك سليمان دون داود وكلا آتينا حكما وعلما يقول
وكلهم من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم فى أول هذه السورة آتينا حكما وهو النبوة وعلما
يعنى وعلما بأحكام الله وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
أبو كريب وهرون بن ادريس الاصم قالا ثنا المحاربى عن أشعث عن أبى اسحق عن مرة عن ابن
مسعود فى قوله وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم قال كرم قد أنبتت
عناقيده فأفسدته قال فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبى الله قال وما ذاك
قال يدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم
فيصيب منها حتى اذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبها فذلك
قوله ففهمناها سليمان حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه
عن ابن عباس قوله وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث الى قوله وكنا لحكمهم شاهدين يقول كنا
لما حكما شاهدين وذلك ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال
صاحب الحرث ان هذا أرسل غنمه فى حرثى فلم يبق من حرثى شيأ فقال له داود اذهب فان الغنم كلها
لك فقضى بذلك داود ومر صاحب الغنم بسليمان فأخبره بالذى قضى به داود فدخل سليمان على
داود فقال يا نبى الله القضاء سوى الذى قضيت فقال كيف قال سليمان ان الحرث لا يخفى على صاحبه
ما يخرج منه فى كل عام فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفى
ثمن الحرث فان الغنم لها نسل فى كل عام فقال داود وقد أصبت القضاء كما قضيت ففهمها الله سليمان

مقاتل معناه فلاموا أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون لابراهيم حيث تزعمون انه كسرها مع أن الفأس بين يدى الصنم الكبير وقيل أنتم
الظالمون لانفسكم اذ سألتم منه ذلك حتى أخذ يستهزئ بكم فى الجواب يقال نكسته أى قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب ونكاس وانتكاس
الانسان هو أن يكون رأسه ممن تحت فلهذا قال ثم نكسوا على رؤسهم والمراد انهم استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة أو
ثم انقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا فى المجادلة (٣٤) قائلين لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وفيه انهم رضوا بالهتها مع تقاصر حالها عن حال
الحيوان الناطق وقال ابن جرير
المعنى نكست حجتهم فأقيم الخبر
عنهم مقام الخبر عن حجتهم وبيان
انتكاس الحجة قولهم لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون فان هذه حجة
عليهم لا لهم وقيل المراد بانتكاس
رؤسهم اطراقهم خجلا وانكسارا
ثم زاد ابراهيم فى توبيخهم قائلا
أفتعبدون الآية وقد مر فى سورة
سبحان ان أف صوت يدل على
التضجر واللام لبيان المتأفف به
أى لكم ولآلهتكم هذا التأفف
وذلك انه أضجره ما رأى من ثباتهم
على عبادتها بعد انقطاع عذرهم
قالوا احرقوه المشهور ان الذى أشار
بتحريقه هو نمرود بن كنعان بن
سنجاريب بن نمرود بن كوش بن
حام من نوح وقال مجاهد سمعت ابن
عمر يقول انه رجل من أعراب
العجم يريد الاكراد وعن ابن جريج
عن وهب ان الذى قال هذا القول
قد خسف الله به الارض فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيامة روى
مقاتل ان نمرود وقومه أجمعوا على
احراقه فحبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة
بكوثى وهى من قرى الانباط وذلك
قوله ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم
ثم جمعوا له الحطب الكثير أربعين
يوما حتى ان كانت المرأة لتمرض
فتقول ان عافانى الله لاجمعن
حطبا لابراهيم فلما اشتعلت النار
اشتدت وصار الهواء بحيث لو مر
الطير فى أقصى الهواء لاحترق ثم أخذوا ابراهيم ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فضجت السماء والارض
ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين ضجة واحدة أى رب ابراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غير ابراهيم وانه يحرق فيك فأذن لنا فى نصرته فقال
سبحانه ان استعان بأحد منكم فأعينوه وان لم يدع غيرى فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا القاءه فى النار أتاه خازن الرياح
وقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليك ثم رفع رأسه الى السماء فقال أنت الواحد فى السماء وأنا الواحد فى الارض

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن علي بن زيد قال ثني خليفة عن ابن عباس قال قضى داود بالغنم لاصحاب الحرث فخرج الرعاء معهم الكلاب فقال سليمان كيف قضى بينهم فاخبروه فقال لو وليت أمرهم لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي بينهم قال أدفع الغنم العام الى أصحاب الحرث فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاها ومنافعها ويبذر أصحاب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذ أصحاب الحرث الحرث وردوا الغنم الى أصحابها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله اذ نفشت فيه غنم القوم قال أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث وحكم سليمان بجزة الغنم وألبانها لاهل الحرث وعليهم رعايتها على أهل الحرث ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون لهم الحرث كهيئته يوم أكل ثم يدفعونه الى أهله ويأخذون غنمهم حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثني ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج بنحوه الا أنه قال وعليهم رعيها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن مرة في قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال كان الحرث نبتا فنفشت فيه ليلا فاختصموا فيه الى داود فقضى بالغنم لاصحاب الحرث فمروا على سليمان فذكروا ذلك له فقال لا تدفع الغنم فيصيبون منها يعني أصحاب الحرث ويقوم هؤلاء على حرثهم فاذا كان كما كان ردوا عليهم فنزلت ففهمناها سليمان حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أبي اسحق عن مسروق عن شريح في قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال كان النفش ليلا وكان الحرث كرما قال فجعل داود الغنم لصاحب الكرم قال فقال سليمان ان صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه وأصل كرمه فاجعل له أصوافها وألبانها قال فهو قول الله ففهمناها سليمان حدثنا ابن أبي زياد قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا اسمعيل عن عامر قال جاء رجلان الى شريح فقال أحدهما ان شاة هذا قطعت غزلا لي فقال شريح نهارا أم ليلا قال ان كان نهارا فقد برئ صاحب الشاة وان كان ليلا فقد ضمن ثم قرأ وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم قال كان النفش ليلا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن عامر عن شريح بنحوه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن شريح مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الآية النفش بالليل والهمل بالنهار ذكر لنا ان غنم القوم وقعت في زرع ليلا فرفع ذلك الى داود فقضى بالغنم لاصحاب الزرع فقال سليمان ليس كذلك ولكن له نسلها ورسلها وعوارضها وجزازها حتى اذا كان من العام المقبل كهيئته يوم أكل دفعت الغنم الى ربها وقبض صاحب الزرع زرعه فقال الله ففهمناها سليمان حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والزهري اذ نفشت فيه غنم القوم قال نفشت غنم في حرث قوم قال الزهري والنفش لا يكون الا ليلا فقضى داود أن يأخذ الغنم ففهمناها سليمان قال فلما أخبر بقضاء داود قال لا ولكن خذوا الغنم ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها الى الحول حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله

ليس في الأرض أحد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وروي انه قال لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم أتاه جبرائيل في الهواء فقال يا ابراهيم هل لك من حاجة قال أما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فأرسل الله ملائكة أخذوا بضبعه وأقعدوه في الأرض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وأتاه جبرائيل بقميص من حرير الجنة وقال يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت ان النار لا تضر أحبابي قال المنهال بن عمرو (٣٥) أخبرت ان ابراهيم مكث في النار أربعين يوما أو خمسين وقال ما كنت أياما أطيب عيشا مني اذ كنت فيها قلت وذلك لاستغراقه في بحر الفيوض والآثار الربانية ولو لم يكن فيه الا القرب من لطف خليله والبعد من قهر عدوه لكفى ثم نظر نمرود من صرح له مشرف على ابراهيم فرآه جالسا في روضة ومعه جليس له من الملائكة والحطب يحترق حواليه فناداه يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم فقام يمشي حتى خرج فقال نمرود اني مقرب الى ربك قربانا فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم عليه السلام اذ ذاك ابن ست عشرة سنة قال العلماء اختاروا العقاب بالنار لانها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولهذا جاء في الحديث لا يعذب في النار الا خالقها ومن ثم قالوا وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين أي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا قويا فاختاروا له أشد العقاب وهو الاحراق والا كنتم مقصرين في نصرتها قلنا عن السدي ان القائل هو جبرائيل عليه السلام والاكثرون على انه سبحانه وذهب أبو مسلم الاصفهاني الى أنه لا قول هنالك بل أراد به الجعل لان النار جماد فلا فائدة في خطابه ويمكن أن يجاب بان الله قادر على أن يخلق لها فهما يصح به التخاطب ولو سلم فلعل في ذلك الخطاب مصلحة للملائكة والظاهر أن قوله يا نار خطاب لتلك النار المخصوصة فان الغرض يتعلق ببردها فقط وفي النار منافع للخلائق فلا يحسن من الكريم ابطالها وقيل المذكور اسم الماهية فلا بد من حصول البرد في تلك الماهية أينما وجدت ويناسبه رواية مجاهد عن ابن عباس انه لم يبق يومئذ في الدنيا نار الا طفئت واختلفوا في أن النار كيف بردت فقيل ان الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والاحراق وأبقى ما فيها من الاضاءة والاشراق والله على كل شئ قدير وقيل خلق في جسد ابراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار كما يفعل بخزنة جهنم وكذلك في النعامة لا يضرها

اذنفشت فيه غنم القوم قال فى حرث قوم قال معمر قال الزهرى النفش لايكون الا بالليل والهمل بالنهار قال قتادة فقضى أن يأخذوا الغنم ففهمها الله سليمان ثم ذكر باقى الحديث نحو حديث ابن عبد الاعلى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم الآيتين قال انفلتت غنم رجل على حرث رجل فاكلته فجاء الى داود فقضى فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت وكأنه رأى أنه وجه ذلك فمروا بسليمان فقال ماقضى بينكم نبى الله فأخبروه فقال الا أقضى بينكما عسى أن ترضيا به فقالا نعم فقال أما أنت ياصاحب الحرث فخذ غنم هذا الرجل فكن فيها كما كان صاحبها أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب واحرث أنت ياصاحب الغنم حرث هذا الرجل حتى اذا كان حرثه مثله ليلة نفشت فيه غنمك فاعطه حرثه وخذ غنمك فذلك قول الله تبارك وتعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وقرأ حتى بلغ قوله وكلا آتينا حكما وعلما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال رعت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال النفش الرعية تحت الليل قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن حرام عن محيصة بن مسعود قال دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الانصار فافسدته فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذ نفشت فيه غنم القوم فقضى على البراء بما أفسدت الناقة وقال على أصحاب الماشية حفظ الماشية بالليل وعلى أصحاب الحوائط حفظ حيطانهم بالنهار قال الزهرى وكان قضاء داود وسليمان فى ذلك أن رجلا دخلت ماشيته زرع الرجل فافسدته ولا يكون النفوش الا بالليل فارتفعا الى داود فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع فانصرفا فمرا بسليمان فقال بماذا قضى بينكما نبى الله فقالا قضى بالغنم لصاحب الزرع فقال ان الحكم لعلى غير هذا انصرفا معى فأتى أباه داود فقال يانبى الله قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع قال نعم قال يانبى الله ان الحكم لعلى غير هذا قال وكيف يابنى قال تدفع الغنم الى صاحب الزرع فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها وتدفع الزرع الى صاحب الغنم يقوم عليه فاذا عاد الزرع الى حاله التى أصابته الغنم عليها ردت الغنم على صاحب الغنم ورد الزرع الى صاحب الزرع فقال داود لا يقطع الله فمك فقضى بما قضى سليمان قال الزهرى فذلك قوله وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث الى قوله حكما وعلما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة وعلى بن مجاهد عن محمد بن اسحق قال فحدثنى من سمع الحسن يقول كان الحكم بما قضى به سليمان ولم يعنف الله داود فى حكمه وقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير يقول تعالى ذكره وسخرنا مع داود الجبال والطير يسبحن معه اذا سبح وكان قتادة يقول فى معنى قوله يسبحن فى هذا الموضع ما **حدثنا** به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير أى يصلين مع داود اذا صلى وقوله وكنا فاعلين يقول وكنا قد قضينا انا فاعلوا ذلك ومسخروا الجبال والطير فى أم الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) يقول تعالى ذكره وعلمنا داود صنعة لبوس لكم واللبوس عند العرب السلاح

ابتلاع الحديدة المحماة والنفخ ولا يؤذيه المقام فى النار وقيل جعل بينه وبين النار حائلا منع من وصول أثر النار اليه والمحققون على القول الاول لان النص دل ظاهره على أن نفس النار صارت باردة وليست الحرارة جزأ من مسمى النار حتى يمتنع كونها نارا وهى باردة وأما على القولين الآخرين فيلزم أن لا يحصل البرد فيها وهو خلاف النص قوله وسلاما أى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك حتى كان ذاتها برد وسلام والمعنى ابردى ختى يسلم منك ابراهيم أو ابردى بردا غير ضار ويناسبه ماروى عن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها وقوله على ابراهيم حال من فاعل الكون أو متعلق بالبرد والسلام ولولا هذا القيد لكانت النار بردا على كافة الخلق قوله فجعلناهم الاخسرين وفى الصافات فجعلناهم الاسفلين لان فى هذه السورة كادهم ابراهيم لقوله لاكيدن أصنامكم وكادوه لقوله وأرادوا به كيدا ففعلهم ابراهيم لانه كسر أصنامهم وسلم من نارهم فكانوا هم الاخسرين وفى الصافات قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم فاججوا نارا عظيمة وبنوا بناء عاليا ورفعوه اليه ورموا به الى أسفل فرفعه الله وجعلهم فى الدنيا من السافلين وفى العقبى فى السافلين ويروى انهم بنوا لابراهيم بنيانا وألقوه فيه ثم أوقد عليه النار سبعة أيام ثم أطبقوا عليه ثم فتحوا عنه فاذا هو غير محترق يعرق عرقا فقال لهم هارث أبو لوط ان النار لاتحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه على شئ وأوقدوا تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق بئر وأوقدوا تحته فطارت شرارة فوقعت فى لحية أبى لوط فاحرقته فآمن له لوط كما يجىء فى العنكبوت وهاجر الى أرض الشام فذلك قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها أى بالخصب وسعة الارزاق أو بالمنافع الدينية لان أكثر الانبياء بعثوا فيها وقيل مامن ماء أرض عذب الا و يتبع أصله من تحت صخرة بيت المقدس يروى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة كله
وقيل الارض مكة ووهبنا له أى لابراهيم اسحق ويعقوب نافلة هى ولد الولد وهى حال من يعقوب فقط وقيل النافلة العطية الزائدة ومنه الصلاة النافلة ونوفل للرجل الكثير العطاء وعلى هذا احتمل أن يكون حالا من يعقوب فقط أى سأل اسحق فاعطيه وأعطى يعقوب زيادة وفضلا من غير سؤال واحتمل أن يكون حالا من كليهما أى وهبناهما له عطية منا والاول قول مجاهد وعطاء والثانى وهو أن النافلة العطية قول ابن

كله درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا يدل على ذلك قول الهذلى

ومعى لبوس للبيس كأنه * روق بجبهة ذى نعاج مجفل

وانما يصف بذلك رمحا وأما فى هذا الموضع فان أهل التأويل قالوا عنى الدروع ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلمناه صنعة لبوس لكم الآية قال كانت قبل داود صفائح قال وكان أول من صنع هذا الحلق وسرد داود **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وعلمناه صنعة لبوس لكم قال كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود عليه السلام * واختلفت القراء فى قراءة قوله لتحصنكم فقرأ ذلك أكثر قراء الامصار ليحصنكم بالياء بمعنى ليحصنكم اللبوس من بأسكم ذكروه لتذكير اللبوس وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع لتحصنكم بالتاء بمعنى لتحصنكم الصنعة فأنث لتأنيث الصنعة وقرأ شيبة بن نصاح وعاصم بن أبى النجود لنحصنكم بالنون بمعنى لنحصنكم نحن من بأسكم * قال أبو جعفر وأولى القراآت فى ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأه بالياء لانها القراءة التى عليها الحجة من قراء الامصار وان كانت القراآت الثلاث التى ذكرناها متقاربات المعانى وذلك ان الصنعة هى اللبوس واللبوس هى الصنعة والله هو المحصن به من الباس وهو المحصن بتصيير الله اياه كذلك ومعنى قوله ليحصنكم ليحرزكم وهو من قوله قد أحصن فلان جاريته وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل والبأس القتال وعلمنا داود صنعة سلاح لكم ليحرزكم اذا لبستموه ولقيتم فيه أعداءكم من القتل وقوله فهل أنتم شاكرون يقول فهل أنتم أيها الناس شاكرو الله على نعمته عليكم بما علمكم من صنعة اللبوس المحصن فى الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم يقول فاشكرونى على ذلك

القول فى تأويل قوله تعالى (ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين) يقول تعالى ذكره وسخرنا لسليمان بن داود الريح عاصفة وعصوفها شدة هبوبها تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها يقول تجرى الريح بأمر سليمان الى الارض التى باركنا فيها يعنى الى الشام وذلك انها كانت تجرى بسليمان وأصحابه الى حيث شاء سليمان ثم تعود به الى منزله بالشام فلذلك قيل الى الارض التى باركنا فيها كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كان سليمان اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس الى سريره وكان امرأ غزاء قلما يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت أمر الرخاء فمدته شهرا فى روحته وشهرا فى غدوته الى حيث أراد يقول الله عز وجل فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب قال ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر قال فذكر لى ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان اما من الجن واما من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن راحلون منه ان شاء الله فائلون الشام **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

عباس وأبى بن كعب وقتادة والفراء والزجاج وكلا من ابراهيم واسحق ويعقوب جعلنا صالحين قال الضحاك أى مرسلين وقال غيره عالمين عاملين وفى قوله جعلنا صالحين وكذا فى قوله وجعلناهم أئمة دلالة الاشاعرة على أن الصلاح بجعل الله وكذا الامامة وغيرهما من الافعال أجاب الجبائى بانه أراد تسميتهم بذلك ومدحهم وانه حكم به لهم كما يقال ان الحاكم عدل فلانا وجرحه اذا حكم بالعدالة والجرح وضعف بانه خلاف الظاهر وقوله يهدون بأمرنا أى يدعون الناس الى دين الله بأمرنا واراد تنا قال أهل السنة فيه ان الدعوة الى الحق والمنع من الباطل لا يجوز الا بأمر الله تعالى وقالت المعتزلة فيه ان من صلح لان يقتدى به فى الدين فالهداية واجبة عليه ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها ولا اختلاف فى أن الهادى اذا كان مهتديا بنفسه كان الانتفاع بهداه أعم والنفوس الى الاقتداء به أميل فلذلك قال وأوحينا اليهم فعل الخيرات أى ان يفعلوها لان المراد هو ايحاء أن يحدثوا الخيرات من أنفسهم ونفس الفعل الخير لا يمكن ايحاؤه فرد الى فعل الخيرات تخفيفا فان المقصود معلوم ثم أضيف المصدر الى المفعول لافادة تخفيف آخر فى اللفظ وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة أى أوحينا اليهم أن يقيموا ويؤتوا قال الزجاج حذف الهاء من اقامة لان المضاف اليه عوض منها وقال غيره الاقام والاقامة مصدران ولا ريب ان تخصيص هاتين الخصلتين بالذكر دليل على شرفهما والاولى أصل التعظيم لامر الله والثانية أصل الشفقة على خلق الله وكانوا لنا عابدين فيه انه سبحانه لما وفى بعهد الربوبية فآتاهم النبوة والدرجات العالية فهم أيضا وفوا بعهد العبودية فلم يغفلوا عنها طرفة عين قوله ولوطا عن الزجاج انه معطوف على أوحينا وعن أبى مسلم انه معطوف على قوله ولقد آتينا ابراهيم والحكم الحكمة وقيل الفصل بين الخصوم وقيل النبوة والقرية سدوم والمراد أهلها وخبائثهم مشهورة قد عددت فى الاعراف وفى هود وقوم سوء نقيض رجل صدق وأدخلناه فى رحمتنا أى أهل رحمتنا أو فى الجنة والثواب عن ابن عباس والضحاك وقال مقاتل هى النبوة أى انه لما كان من الصالحين آتيناه النبوة كى يقوم بحقها وقال أهل التحقيق حين آتاه الحكم والعلم وتخلص من جلساء السوء فتحت عليه أبواب المكاشفات وتجلت له أنوار الذات والصفات وانها هى الرحمة والحقيقة قوله ونوحا وكذا نظائره معطوف على قوله ولقد آتينا والمراد واذكر نوحا واذ

نادى بدل منه أى اذكر وقت ندائه من قبل هؤلاء المذكورين والنداء هو دعاؤه على قومه بنحو قوله رب انى مغلوب فانتصر وقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا بدليل قوله فاستجبنا له فنجيناه وأهله أى أهل دينه وهم من معه فى الفلك من الكرب العظيم وهو الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه وايذائهم وفى لفظ الكرب وهو الغم الذى يأخذ بالنفس ثم وصفه بالعظم اشعار بانه عليه السلام لقى من قومه أذى شديدا لا يكتنه كنهه ثم (٣٨) زاده بيانا بقوله ونصرناه الآية تقول نصرته منه فانتصر اذا جعلته منتصرا منه أى منتقما وداود وسليمان اذ يحكمان فى شأن الحرث اذ نفشت طرف لحكمان وهو حكاية حال ماضية قال ابن السكيت النفش بالتحريك ان ينتشر الغنم بالليل من غير راع وعليه جمهور المفسرين وعن الحسن انه يكون ليلا ونهارا وليس فى قوله وكنا لحكمهم دلالة على ان أقل الجمع اثنان لاحتمال انه أرادهما والمتحاكمين اليهما والضمير فى ففهمناها للحكومة أو الفتوى ويروى انه دخل رجلان على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث أى زرع وقيل كرم والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان غنم هذا دخلت حرثى وأكلت منه شيأ فقال داود اذهب فان الغنم لك فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال لو كنت أنا القاضى لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك أبوه فدعاه وقال كيف كنت تقضى بينهما قال أدفع الغنم الى صاحب الحرث فتكون له منافعها من الدر والنسل والوبر حتى اذا عاد الحرث من العام القابل كهيئته يوم أكل دفعت الغنم الى أهلها وقبض صاحب الحرث حرثه قال أبو بكر الاصم الحكمان واحد لان الثانى بيان للاول والمشهور عن الصحابة ومن بعدهم انهما متغايران لقوله وكنا لحكمهم ولقوله ففهمناها والفاء للتعقيب فدل على انه فهم حكما خلاف الاول وعلى تقدير الاختلاف فهما با
بالوحى أو بالاجتهاد فيه خلاف بين العلماء فمنهم من لم يجوز الاجتهاد على الانبياء أصلا كالجبائى لقوله وما ينطق عن الهوى ان أتبع الا ما يوحى الى ولان النبى قادر على تحصيل حكم الواقعة بالنص ولان مقتضى الاجتهاد مظنون وخلاف المظنون لا يوجب الكفر وخلاف الرسول يوجب الكفر ولما ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتوقف فى بعض الاحكام انتظارا للوحى ولو جاز له الاجتهاد لم يتوقف ولانه لو جاز

سعيد عن قتادة قوله ولسليمان الريح عاصفة الى قوله وكنا لهم حافظين قال ورث الله سليمان داود فورثه نبوته وملكه وزاده على ذلك ان سخر له الريح والشياطين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولسليمان الريح عاصفة تجرى بامره قال عاصفة شديدة تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها قال الشام واختلفت القراء فى قراءة قوله ولسليمان الريح فقرأته عامة قراء الامصار بالنصب على المعنى الذى ذكرناه وقرأ ذلك عبد الرحمن الاعرج الريح رفعا باللام فى سليمان على ابتداء الخبر عن ان لسليمان الريح * قال أبو جعفر والقراءة التى لا أستجيز القراءة بغيرها فى ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله وكنا بكل شئ عالمين يقول وكنا عالمين بان فعلنا ما فعلنا لسليمان من تسخيرناه له واعطائنا ما أعطيناه من الملك وصلاح الخلق فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا ونحن عالمون بكل شئ لا يخفى علينا منه شئ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين) يقول تعالى ذكره وسخرنا أيضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له فى البحر ويعملون عملا دون ذلك من البنيان والتماثيل والمحاريب وكنا لهم حافظين يقول وكنا لاعمالهم ولاعدادهم حافظين لا يؤدنا حفظ ذلك كله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيوب يا محمد اذ نادى ربه وقد مسه الضر والبلاء رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له يقول تعالى ذكره فاستجبنا لايوب دعاءه اذ نادانا فكشفنا ما كان به من ضر وبلاء وجهد وكان الضر الذى أصابه والبلاء الذى نزل به امتحانا من الله له واختبارا وكان سبب ذلك كما حدثنى محمد بن سهل بن عسكر البخارى قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم بن هشام قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه انه كان صابرا نعم العبد قال وهب ان لجبريل بين يدى الله مقاما ليس لاحد من الملائكة فى القربة من الله والفضيلة عنده وان جبريل هو الذى يتلقى الكلام فاذا ذكر الله عبدا بخير تلقاه جبرائيل منه ثم تلقاه ميكائيل وحوله الملائكة المقربون حافين من حول العرش وشاع ذلك فى الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبطت عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب بشئ من السموات وكان يقف فيهن حيث شاء ما أراد ومن هنالك وصل الى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد فى السموات حتى رفع الله عيسى ابن مريم فحجب من أربع وكان يصعد فى ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث الباقية فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فاتبعه شهاب ثاقب ولذلك أنكرت الجن ما كانت تعرف حين قالت وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا الى قوله شهابا رصدا قال وهب فلم يرع ابليس الا تجاوب ملائكتها بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فلما سمع ابليس صلاة الملائكة أدركه البغى والحسد وصعد سريعا حتى وقف من الله مكانا كان يقفه فقال

على النبي لجاز على جبرائيل أيضا وحينئذ يرتفع الامان عن الوحى فلعل هذه الشرائع من مجتهدات جبرائيل وأجيب بانه اذا أوحى اليه جواز الاجتهاد له صح قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى و بان الحكم الحاصل عن الاجتهاد مقطوع لا مظنون لانه تعالى اذا قال له مهما غلب على ظنك كون الحكم فى الاصل معللا بكذا ثم غلب على ظنك قيام ذلك المعنى فى صورة أخرى فاحكم بذلك فهذا الحكم مقطوع به والظن واقع فى طريقه سلمنا جواز المخالفة لكنه مشروط بصدوره عن غير معصوم ولهذا لو اجتمعت الامة على مسئلة اجتهادية امتنع خلافهم وكان الرسول أوكد و بان التوقف لعله وجد منه حين لم يظهر له وجه الاجتهاد و بان الامة أجمعوا على عدم جواز اجتهاد جبرائيل ومما يدل على جواز الاجتهاد لنا انه اذا غلب على ظن المجتهد أحد الطرفين فان عمل بهما كان جمعا بين النقيضين وان أهملهما لزم ارتفاع النقيضين وان عمل بالمرجوح دون الراجح فذلك باطل بالاتفاق فلم يبق الا العمل بالراجح قال الجبائى ولئن سلمنا ان الاجتهاد على الانبياء جائز لكن هذه المسئلة غير اجتهادية لان الذى أتلفه صاحب الماشية مجهول المقدار فكيف يجعل الغنم فى مقابلة ذلك وأيضا ان اجتهاد داود ان كان صوابا فالاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد وان كان خطأ فكيف لم يذكر الله توبته بل مدحه بقوله وكلا آتينا حكما وعلما وأيضا لو حكم بالاجتهاد لم يسم ذلك علما وأيضا قوله ففهمناها يدل على أنه من الله لا من سليمان وأجيب بان الجهالة بعد تسليمها قد تكون معفوا عنها كما فى حكم المصراة ولعل الخطأ فى اجتهاده كان من الصغائر فلهذا أهمل ذكره والاجتهاد من باب العلوم والظن فى الطريق كما مر والذى يحصل فى نظر المجتهد مستند الى الله أما الذين منعوا من الاجتهاد مطلقا أو فى هذه المسئلة فذهبوا الى أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان ولا استبعاد فى أن يوحى الناسخ الى غير من أوحى اليه المنسوخ قال الفقهاء مثال حكومة داود فى شرعنا قول أبى حنيفة فى العبد اذا جنى على النفس خطأ يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعى يبيعه فى ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان فى الحرث ومثال حكومة سليمان قول الشافعى فيمن غصب عبدا فابق من يده فانه يضمن القيمة فينتفع به المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد يرده ويقال له ضمان الحيلولة هذا ولو وقعت هذه القضية فى شرعنا فلا ضمان عند أبى حنيفة

يا الهى نظرت فى أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة ولم تجربه ببلاء وأنا لك زعيم لئن ضربته بالبلاء ليكفرن بك ولينسينك وليعبدن غيرك قال الله تبارك وتعالى له انطلق فقد سلطتك على ماله فانه الامر الذى تزعم انه من أجله يشكرنى ليس لك سلطان على جسده ولا على عقله فانقض عدو الله حتى وقع الارض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم وكان لايوب البثنية من الشام كلها بما فيها من شرقها وغربها وكان له ألف شاة برعاتها وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وعمل آلة كل فدان أتان لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك فلما جمع ابليس الشياطين قال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فانى قد سلطت على مال أيوب فهى المصيبة الفادحة والفتنة التى لا يصبر عليها الرجال قال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرقت كل شئ آتى عليه فقال له ابليس فأت الابل ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت فى مراعيها فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار تنفخ منها أرواح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها راعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلى فقال يا أيوب قال لبيك قال هل تدرى ما الذى صنع بك الذى اخترت وعبدت ووحدت بابلك ورعاتها قال أيوب انها ماله أعارنيه وهو أولى به اذا شاء نزعه وقد يما وطنت نفسى ومالى على الفناء قال ابليس وان ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاتها حتى أتى على آخر شئ منها ومن رعاتها فتركت الناس مبهوتين وهم وقوف عليها يتعجبون منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع من ذلك شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو فعل الذى فعل ليشمت به عدوه وليفجع به صديقه قال أيوب الحمد لله حين أعطانى وحين نزع منى عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود فى التراب وعريانا أحشر الى الله ليس ينبغى لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع ملك الارواح فآجرنى فيك وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فأخرك من أجله فعراك الله من المصيبة وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخلاص ثم رجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلبه قال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما اذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة نفسه قال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا وسطها صاح صوتا جثمت أمواتا من عند آخرها ورعاؤها ثم خرج ابليس متمثلا بقهرمان الرعاء حتى اذا جاء أيوب وجده وهو يصلى فقال له القول الاول ورد عليه أيوب الرد الاول ثم ان ابليس رجع الى أصحابه فقال لهم ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شئ تأتى عليه حتى لا أبقى شيأ قال له ابليس فأت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم وذلك حين قربوا الفدادين وأنشؤا فى الحرث والاتن وأولادها رتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شئ من ذلك

وأصحابه لا بالليل ولا بالنهار لان جرح العجماء جبار الا أن يكون معها راع والشافعى يوجب الضمان بالليل دون النهار لان الليل وقت المهد وجمع الماشية فتسريحها تقصير من صاحبها بخلاف النهار وعن البراء بن عازب انه كانت له ناقة ضارية فافتقهار به فدخلت حائطا فافسدت فذكر واذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى أن حفظ الحوائط بالنهار على أهلها وان حفظ الماشية بالليل على أهلها الا ان على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل قال بعض الاصوليين كل مجتهد مصيب لقوله وكلا آتينا حكما وعلما وقال بعضهم المصيب (٤٠) واحد لقوله ففهمناها سليمان ولو كان كلاهما مصيبا لم يكن لتخصيص سليمان بالفهم فائدة وضعف بعضهم كلا الاستدلالين من بعد تسليمهما بان ما ثبت فى شرعهم لا يلزم أن يكون ثابتا فى شرعنا ولما مدح داود على سبيل الاشتراك ذكر ما يختص به كل منهما فبدأ بداود قائلا وسخرنا مع داود الجبال يسبحن أى حال كونهن مسبحات أو هو استئناف كأنه قيل كيف سخرهن فقال يسبحن والطير وهو معطوف على الجبال أو مفعول معه وتسبيح الجبال اما حقيقة أو مجاز وعلى الاول قال مقاتل كان اذا سبح داود سبح الجبال والطير معه وقال الكلبى اذا سبح داود أجابته الجبال وقال سليمان بن حيان كان داود اذا وجد فترة أمر الله تعالى الجبال فسبحت فيزداد نشاطا واشتياقا وعلى الثانى قيل كانت الجبال تسير معه حيث سار فكل من رآها كان يسبح الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به وهذا القول اختيار كثير من أصحاب المعانى والمعتزلة لان الجماد غير قابل للحياة والفهم عندهم ولان المتكلم هو الذى يفعل الكلام لا الذى يكون محلا للكلام ولهذا قال ان المتكلم هو الله حين كلم موسى لا الشجرة وانما قدم تسبيح الجبال على الطير لان ذلك أدل على القدرة وأدخل فى الاعجاز فان الطير أقرب الى الحيوان الناطق من الجماد ولا يلزم من نطق الطير اعرف أو الجبل أن يكونا مكلفين فليس كل ناطق مكلفا كالاطفال والمجانين وكنا فاعلين أى قادرين على أن نفعل أمثال هذه الخوارق على أيدى الانبياء لاجلهم وان كانت عجيبة عندكم واللبوس اللباس يقال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع عن قتادة انها كانت صفائح فسردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين وتوارث الناس منه وعمت النعمة بها لكل المحاربين فلذلك قال فهل أنتم شاكرون قال علماء المعانى

حتى كانه لم يكن ثم خرج ابليس متمثلا بقهرمان الحرث حتى جاء أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول ورد عليه أيوب مثل رده الاول فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينجح صعد سريعا حتى وقف من الله الموقف الذى كان يقفه فقال يا الهى ان أيوب يرى انك ما متعته بنفسه وولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطى على ولده فانها الفتنة المضلة والمصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده ولا على عقله فانقض عدو الله جوادا حتى جاء بنى أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده ثم جعل يناطح الجدر بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل حتى اذا مثل بهم كل مثلة رفع بهم القصر حتى اذا أقله بهم فصاروا فيه منكسين وانطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه متغيرا لا يكاد يعرف من شدة التغير والمثلة التى جاء متمثلا فيها فلما نظر اليه أيوب هاله وحزن ودمعت عيناه وقال له يا أيوب قد رأيت كيف أفلت من حيث أفلت والذى رمانا به من فوقنا ومن تحتنا ولو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف مثل بهم وكيف قلبوا فكانوا منكسين على رؤسهم تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأجوافهم ويقطر من أشفارهم ولو رأيت كيف عفنت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم ولو رأيت كيف قذفوا بالخشب والجندل يشدخ دماغهم وكيف دق بالخشب عظامهم وخرق جلودهم وقطع عصبهم ولو رأيت العصب عريانا ولو رأيت العظام متهشمة فى الاجواف ولو رأيت الوجوه مشدوخة ولو رأيت الجدر تناطح عليهم ولو رأيت ما رأيت قطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه ولم يزل يرققه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس عند ذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب ان فاء وأبصر فاستغفر وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته منه فبدروا ابليس الى الله فوجدوه قد علم بالذى رفع اليه من توبة أيوب فوقف ابليس خازيا ذليلا فقال يا الهى انما هون على أيوب خطر المال والولد انه يرى انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على جسده فانا لك زعيم لئن ابتليته فى جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدنك نعمتك قال الله انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وعلى قلبه ولا على عقله فانقض عدو الله جوادا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فاتاه من قبل الارض فى موضع وجهه فنفخ فى منخره نفخة اشتعل منها جسده فترهل ونبتت ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حك بالعظام وحك بالحجارة الخشنة وبقطع المسوح الخشنة فلم يزل يحكه حتى نفد لحمه وتقطع ولما فعل جلد أيوب وتغير وأنتن أخرجه أهل القرية فجعلوه على تل وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله غير امرأته فكانت تختلف اليه بما يصلحه ويلزمه وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه من غير أن يتركوا دينه واتهموه يقال لاحدهم بلدد واليفر وظافر قال فانطلق اليه الثلاثة وهو فى بلائه فبكتوه فلما سمع منهم أقبل على ربه فقال أيوب صلى الله عليه وسلم رب لاى شئ خلقتنى لو كنت اذ كرهتنى فى الخير تركتنى فلم تخلقنى يا ليتنى كنت حيضة ألقتنى أمى ويا ليتنى مت فى بطنها فلم

أعرف شيأ ولم تعرف في ما الذنب الذي أذنبت لم يذنبه أحد غيري وما العمل الذي عملت صرفت وجهك
الكريم عني لو كنت أمتني فالحقتني بآبائي فالموت كان أجمل بي فاسوة لي بالسلاطين الذين صفت
من دونهم الجيوش يضربون عنهم بالسيوف بخلا بهم عن الموت وحرصا على بقائهم أصبحوا في
القبور جاثمين حتى ظنوا أنهم سيخلدون وأسوة لي بالملوك الذين كنزوا الكنوز وطمروا المطامير
وجمعوا الجموع وظنوا أنهم سيخلدون وأسوة لي بالجبارين الذين بنوا المدائن والحصون وعاشوا فيها
المئين من السنين ثم أصبحت خرابا مأوى للوحوش ومثنى للشياطين قال اليفز اليماني قد أعيانا
أمرك يا أيوب ان كلمناك فما نرى الحديث منك موضعا وان نسكت عنك مع الذي نرى فيك من
البلاء فذلك علينا قد كنا نرى من أعمالك أعمالا كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا فانما
يحصد امرؤ ما زرع ويجزى بما عمل أشهد على الله الذي لا يقدر قدر عظمته ولا يحصى عدد نعمه
الذي ينزل الماء من السماء فيحيي به الميت ويرفع به الخافض ويقوى به الضعيف الذي تضل حكمة
الحكماء عند حكمته وعلم العلماء عند علمه حتى تراهم من العي في ظلمة يموجون ان من رجا معونة
الله هو القوي وان من توكل عليه هو المكفي هو الذي يكسر ويجبر ويجرح ويداوي قال أيوب
لذلك سكت فعضضت على لساني ووضعت لسوء الخدمة رأسي لاني علمت ان عقوبته غيرت نور
وجهي وان قوته نزعت قوة جسدي فانا عبده ما قضى علي أصابني ولا قوة لي الا ما حمل علي لو كانت
عظامي من حديد وجسدي من نحاس وقلبي من حجارة لم أطق هذا الامر ولكن هو ابتلاني وهو
يحمله عني أتيتموني غضابا رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم من قبل ان تضربوا كيف بي لو قلت لكم
تصدقوا عني باموالكم لعل الله أن يخلصني أو قربوا عني قربانا لعل الله ان يتقبله مني ويرضى عني
اذا استيقظت تمنيت النوم رجاء ان أستريح فاذا نمت كادت تجود نفسي تقطعت أصابعي فاني لارفع
اللقمة من الطعام بيدي جميعا فما يبلغان فمي الا على الجهد مني تساقطت لهواتي ونخر رأسي فما بين
اذني من سداد حتى ان احداهما لترى من الاخرى وان دماغي ليسيل به من فمي تساقط شعري عني
فكانما حرق بالنار وجهي وحدقتاي هما متدليتان على خدي وورم لساني حتى يملأ فمي فما أدخل
فيه طعاما الا غصني ودمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني تقطعت أمعائي في بطني فاني
لادخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعني ذهبت قوة رجلي فكانما قربتا ماء ملئتا
لا أطيق حملهما أحمل لحافي بيدي وأسناني فما أطيق حمله حتى يحمله معي غيري ذهب المال فصرت
أسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها علي ويعيرني هلك بني وبناتي ولو بقي منهم
أحد أعانني على بلائي ونفعني وليس العذاب بعذاب الدنيا انه يزول عن أهلها ويموتون عنه ولكن
طوبى لمن كانت له راحة في الدار التي لا يموت أهلها ولا يتحولون عن منازلهم السعيد من سعد هنالك
والشقي من شقي فيها قال بلدد كيف يقوم لسانك بهذا القول وكيف تفصح به أتقول ان العدل
يجور أم تقول ان القوي يضعف ابك على خطيئتك وتضرع الى ربك عسى أن يرحمك ويتجاوز عن
ذنبك وعسى ان كنت بريا أن يجعل هذا لك ذخرا في آخرتك وان كان قلبك قد قسا فان قولنا لن
ينفعك ولكن يأخذ فيك هيهات ان تنبت الآجام في المفاوز وهيهات ان تنبت البردي في الفلاة من

هذا التركيب أدخل في الانباء عن طلب الشكر من قولنا فهل أنتم تشكرون اذ المختار فيه أن يقدر مفسر محذوف أي هل تشكرون تشكرون
ومن قولنا أفأنتم شاكرون لانه وان كان ينبئ عن عدم التجدد لكان الجملة الاسمية الا أنه دون المذكور في القرآن فان هل ادعى للفعل من
الهمزة فترك الفعل معه يكون أدخل في الانباء عن استدعاء المقام عدم التجدد لان تخلف المعلول عن العلة القوية يدل على وجود مانع أقوى
منه اذا تخلف عن العلة الضعيفة ثم حكى ما أنعم به على سليمان فقال ولسليمان أي وسخرنا له (٤١) الريح حال كونها عاصفة ولا ينافي هذا
قوله في ص فسخرنا له الريح
تجري بامره رخاء حيث اصاب
لان المراد انها مع كونها في نفسها
رخية طيبة كالنسيم كانت في عملها
عاصفة تحمل كرسيه من اصطخر
الى الشام أو انها كانت في وقت رخاء
وفي وقت عاصفا لهبوبها على
حسب ارادته وأمره وكنا بكل شئ
عالمين اشارة انه فعل كل ما فعل
بالانبياء المذكورين عن حكمة
بالغة وتدبير محكم واحاطة باحوالهم
وعلم باستئهالهم قوله ومن الشياطين
أي سخرنا من الشياطين من
يغوصون له ويجوز أن يكون
الكلام خبرا ومبتدأ ومن موصولة
أو موصوفة كانوا يغوصون لاجله
في البحار فيستخرجون الجواهر
ويعملون عملا دون ذلك أي
متجاوزا ما ذكر من بناء المدائن
والقصور وسائر الصنائع العجيبة
قالت العلماء الظاهر ان التسخير
لكفارهم دون المؤمنين منهم
لاطلاق الشياطين ولقوله وكنا لهم
حافظين أي من أن يزيغوا عن
أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم
فساد في الجملة اذ كان من دأبهم
أن يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار
والحفظ اما بسبب الملائكة أو
مؤمن الجن الموكلين بهم أو بان
حبب اليهم طاعته وخوفهم
مخالفته قال ابن عباس في تفسيره
يريدان سلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشاء قال الجبائي كيف تتهيأ
منهم هذه الاعمال وأجسامهم رقيقة وانما تمكنهم الوسوسة فقط فلعل الله تعالى كثف أجسامهم خاصة وقواهم على تلك الاعمال الشاقة
وزاد في عظمهم معجزة لسليمان فلما مات سليمان ردهم الى الخلقة الاولى اذ لو أبقاهم على الخلقة الثانية لكان شبهة على الناس فلعل بعض
الناس يدعي النبوة ويجعله دلالة عليها واعترض عليه الامام فخر الدين الرازي رضي الله عنه بانك لم قلت ان الجن أجسام فلعلهم من الموجودات

التي ليست معجزة ولا احالة في التحيز ولا يلزم منه الاشتراك مع الباري فان الاشتراك في اللوازم الثبوتية لا يدل على الاشتراك في الملزومات فضلا عن اللوازم السلبية سلمنا أن الجن أجسام لكن لم قلت ان البنية شرط للقدرة وليس في يدكم الا الاستقراء الضعيف سلمنا انه لابد من تكثيف أجسامهم فمن أين يلزم ردهم الى الخلقة الاولى قوله يفضي الى التلبيس قلنا اذا ثبت ان ذلك كان معجزة لنبي قبله لم يتمكن المتنبي من الاستدلال ومن عجيب قدرة الله سبحانه ان أصلب الاجسام في هذا العالم الحجارة والحديد وقد سخرهما الله تعالى لداود فانطق الحجر ولين الحديد وفي ذلك دلالة باهرة على انه تعالى قادر على احياء العظام الرميمة ومن الغرائب ان الشياطين مخلوقة من النار وكان يامرهم بالغوص في الماء وفيه اظهار الضد بالضد فتبارك الله رب العالمين ومن عجائب القصص والاخبار حكاية أيوب عليه السلام وصبره على بلائه حتى صار مثلا عن وهب بن منبه انه كان من الروم من ولد عيص بن اسحق وكانت أمه من ولد لوط اصطفاه الله وجعله نبيا ومع ذلك بسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله وكان له سبع بنين وسبع بنات وله أصناف المواشي وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل وكان ابليس لا يحجب عن السموات حين أخرجه الله من الجنة حتى رفع عيسى عليه السلام فحجب عن أربع حتى اذا ولد نبينا صلى الله عليه وسلم حجب عن جميع السموات الا من استرق السمع قال فسمع ابليس تجاور الملائكة في شأن أيوب فادركه الحسد فقال يارب انك أنعمت على عبدك أيوب فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة ولا بلاء وأنا زعيم ان ضربته بالبلاء ليكفرن ربك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فجمع ابليس عفاريت الجن وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني سلطت على مال أيوب فقال عفريت أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت عصارا من النار فاحرقت تفسد كل شئ فقال ابليس فات الابل ورعاتها فذهب ولم يشعر الناس حتى ظهر من تحت الارض اعصار لا يدنو منها شئ الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فذهب ابليس على شكل أولئك الرعاة الى أيوب فوجده قائما يصلي فلما فرغ من الصلاة قال يا أيوب هل تدرى بما الذي صنع ربك وأخبره بحال الابل ورعاتها فقال أيوب انها ماله اذا شاء نزعه فقال ابليس ان الناس منهم من يقول كان أيوب يعبد

توكل على الضعيف كيف يرجو أن يمنعه ومن جحد الحق كيف يرجو ان يوفى حقه قال أيوب اني لاعلم ان هذا هو الحق لن يفلج العبد على ربه ولا يطيق ان يخاصمه فاي كلام لي معه وان كان الي القوة هو الذي سمك السماء فاقامها وحده وهو الذي يكشطها اذا شاء فتنطوي له وهو الذي سطح الارض فدحاها وحده ونصب فيها الجبال الراسيات ثم هو الذي يزلزلها من أصولها حتى تعود أسافلها أعاليها وان كان في الكلام فاي كلام لي معه من خلق العرش العظيم بكلمة واحدة فحشاه السموات والارض وما فيهما من الخلق فوسعه وهو في سعة واسعة وهو الذي كلم البحار ففهمت قوله وأمرها فلم تعد أمره وهو الذي يفقه الحيتان والطير وكل دابة وهو الذي يكلم الموتى فيحييهم قوله ويكلم الحجارة فتفهمه ويامرها فتطيعه قال اليفر عظيم ما تقول يا أيوب ان الجلود لتقشعر من ذكر ما تقول انما أصابك ما أصابك بغير ذنب أذنبته مثل هذه الحرة وهذا القول أنزلك هذه المنزلة عظمت خطيئتك وكثر طلابك وغصبت أهل الاموال على أموالهم فلبست وهم عراة وأكلت وهم جياع وحبست عن الضعيف بابك وعن الجائع طعامك وعن المحتاج معروفك وأسررت ذلك وأخفيته في بيتك وأظهرت أعمالا كنا نراك تعملها فظننت ان الله لا يجزيك الا على ما ظهر منك وظننت ان الله لا يطلع على ما غيبت في بيتك وكيف لا يطلع على ذلك وهو يعلم ما غيبت الارضون وما تحت الظلمات والهواء قال أيوب صلى الله عليه وسلم ان تكلمت لم ينفعني الكلام وان سكت لم تعذرونى قد وقع على كبدي وأسخطت ربي بخطيئتي وأشمت أعدائي وأمكنتهم من عنقي وجعلتني للبلاء غرضا وجعلتني للفتنة نصبا لم تنفسني مع ذلك ولكن العبتني ببلاء على أثر بلاء ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما ما رأيت غريبا الا كنت له دارا مكان داره وقرارا مكان قراره ولا رأيت مسكينا الا كنت له مالا مكان ماله وأهلا مكان أهله وما رأيت يتيما الا كنت له أبا مكان أبيه وما رأيت أيما الا كنت لها قيما ترضى قيامه وانا عبد ذليل ان أحسنت لم يكن لي كلام باحسان لان المن لربي وليس لي وان أسأت فبيده عقوبتي وقد وقع على بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي قال اليفر أتحاج الله يا أيوب في أمره أم تريد ان تناصفه وأنت خاطئ أو تبرئها وأنت غير برئ خلق السموات والارض بالحق وأحصى ما فيهما من الخلق فكيف لا يعلم ما أسررت وكيف لا يعلم ما عملت فيجزيك به وضع الله ملائكة صفوفا حول عرشه وعلى ارجائها وانه ثم احتجب بالنور فابصارهم عنه كليلة وقوتهم عنه ضعيفة وعزيزهم عنه ذليل وأنت تزعم ان لو خاصمك وأدلى الى الحكم معك وهل تراه فتناصفه أم هل تسمعه فتحاوره قد عرفنا فيك قضاءه انه من أراد أن يرتفع وضعه ومن اتضع له رفعه قال أيوب صلى الله عليه وسلم ان أهلكني فمن ذا الذي يعرض له في عبده ويسأله عن أمره لا يرد غضبه شئ الا رحمته ولا ينفع عبده الا التضرع له رب أقبل على برحمتك وأعلمني ما ذنبي الذي أذنبت أو لاى شئ صرفت وجهك الكريم عني وجعلتني للتمثل العدو وقد كنت تكرمني ليس يغيب عنك شئ تحصي قطر الامطار وورق الاشجار وذر التراب أصبح جلدي كالثوب العفن بايه أمسكت سقط في يدي فهب لي قربانا من عندك وفرجا من بلائي بالقدرة التي تبعث موتى العباد وتنشر بها ميت البلاد ولا تهلكني بغير ان تعلمني ما ذنبي ظهمادا

شيأ وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان الهه يقدر على شيء لمنع منه من دوابه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به أعداءه ويفجع به اصدقاءه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني خرجت من بطن أمي عريانا وأضجع في التراب عريانا وأحشر الى الله عريانا ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لقبض روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا وأوجرفيك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا فقال عفريت آخر عندي من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعه ذو روح الا خرجت روحه فقال ابليس فأت الغنم ورعاءها

تفسد عمل يديك وان كنت غنيا عني ليس ينبغي في حكمك ظلم ولا في نقمتك عجل وانما يحتاج الى الظلم الضعيف وانما يعجل من يخاف الفوت ولا تذكرني خطئي وذنوبي اذكر كيف خلقتني من طين فجعلت مضغة ثم خلقت المضغة عظاما وكسوت العظام لحما وجلدا وجعلت العصب والعروق لذلك قواما وشدة وربيتني صغيرا ورزقتني كبيرا ثم حفظت عهدك وفعلت أمرك فان أخطأت فبين لي ولا تم لكني غما وأعلمني ذنبي فان لم أرضك فأنا أهل ان تعذبني وان كنت من بين خلقك تحصي على عملي واستغفرك فلا تغفر لي ان أحسنت لم أرفع رأسي وان أسأت لم تبلغني ريقي ولم تقلني عثرتي وقد ترى ضعفي تحتك وتضرعي لك فلم خلقتني أولم أخرجتني من بطن أمي لو كنت كمن لم يكن لكان خيرا لي فليست الدنيا عندي تخطر لغضبك وليس جسدي يقوم بعذابك فارحمني وأذقني طعم العافية من قبل ان أصير الى ضيق القبر وظلمة الارض وغم الموت قال ظافر قد تكلمت يا أيوب وما يطيق أحد ان يحبس فمك تزعم انك بريء فهل ينفعك ان كنت بريئا وعليك من يحصي عملك وتزعم انك تعلم ان الله يغفر لك ذنوبك هل تعلم سمك السماء كم بعده أم هل تعلم عمق الهواء كم بعده أم هل تعلم أي الارض أعرضها أم هل عندك من مقدار تقدرها به أم هل تعلم أي البحر أعمقه أم هل تعلم بأي شيء تحبسه فان كنت تعلم هذا العلم وان كنت لا تعلمه فان الله خلقه وهو يحصيه لو تركت كثرة الحديث وطلبت الى ربك رجوت أن يرحمك فبذلك تستخرج رحمته وان كنت تقيم على خطيئتك وترفع الى الله يديك عند الحاجة وأنت مصر على ذنبك اصرار الماء الجاري في صبب لا يستطاع احتباسه فعند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوه الاشرار وتظلم عيونهم وعند ذلك يسر بنجاح حوائجهم الذين تركوا الشهوات تزينا بذلك عند ربهم وتقدموا في التضرع ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون اليها وهم الذين كابدوا الليل واعتزلوا الفرش وانتظروا الاسحار قال أيوب أنتم قوم قد أعجبتكم أنفسكم وقد كنت فيما خلا والرجال يوقرونني وأنا معروف حقي منتصف من خصمي قاهر ان هو اليوم يقهرني يسألني عن علم غيب الله لا أعلمه ويسئلني فلعمري ما نصح الاخ لاخيه حين نزل به البلاء كذلك ولكنه يبكي معه وان كنت جادا فان عقلي يقصر عن الذي يسألني عنه فسل طير السماء هل تخبرك وسل وحوش الارض هل ترجع اليك وسل سباع البرية هل تجيبك وسل حيتان البحر هل تصف لك كلما عددت تعلم ان الله صنع هذا بحكمته وهيأه بلطفه اما يعلم ابن آدم من الكلام ما سمع باذنيه وما طعم بفيه وما شم بأنفه وان العلم الذي سألت عنه لا يعلمه الا الله الذي خلقه له الحكمة والجبروت وله العظمة واللطف وله الجلال والقدرة ان أفسد فمن ذا الذي يصلح وان أعجم فمن ذا الذي يفصح ان نظر الى البحار يبست من خوفه وان أذن لها ابتلعت الارض فانما يحملها بقدرته هو الذي تبهت الملوك عند ملكه وتطيش العلماء عند علمه وتعيى الحكماء عند حكمته ويخسأ المبطلون عند سلطانه هو الذي يذكر المنسي وينسي المذكور ويجري الظلمات والنور هذا علمي وخلقه أعظم من أن يحصيه عقلي وعظمته أعظم من أن يقدرها مثلي قال بلدد ان المنافق يجزى بما أسر من نفاقه وتضل عنه العلانية التي خادع بها وتوكل على الجزاء بها على الذي عملها ويهلك ذكره من الدنيا ويظلم نوره في الآخرة ويوحش سبيله وتوقعه في الاحبولة سريرته وينقطع اسمه من الارض

فانطلق فصاح بها فماتت وماتت رعاؤها فخرج ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب فقال له القول الاول ورد عليه أيوب الرد الاول فرجع ابليس صاغرا فقال له عفريت آخر عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفة أقلع كل شيء أتيت عليه قال فاذهب الى الحرث والثيران فأتاهم فاهلكهم وأخبر ابليس به أيوب فرد عليه مثل الرد الاول فجعل ابليس يصيب أمواله شيأ فشيأ حتى أتى على جميعها فلما رأى ابليس صبره على ذلك صعد الى السماء وقال يا الهي هل أنت مسلطي على ولده فانها الفتنة الكاملة فقال الله انطلق فقد سلطتك فأتى أولاد أيوب في قصره فقلب القصر عليهم ثم جاء الى أيوب متمثلا بالمعلم وهو جريح مشدوخ الرأس يسيل دمه ودماغه فقال لو رأيت بنيك كيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل جميع أدمغتهم من أنوفهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويرققه حتى رق أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فحثاها على رأسه فاغتنم ذلك ابليس ثم لم يلبث أيوب حتى استغفر واسترجع فصعد ابليس ووقف موقفه وقال الهي انما هون أيوب خطب المال والولد لعلمه انك تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده واني لك زعيم لو ابتليته في جسده ليكفرن بك فقال تعالى انطلق فقد سلطتك على جسده وليس لك سلطان على عقله وقلبه ولسانه فأتاه أيوب فنفخ في منخره حين هو ساجد فاشتعل منه جسده وخرج من فرقه الى قدمه ثآليل وقد وقعت فيه حكة لا يملكها فكان يحك بأظفاره حتى كشطت أظفاره ثم حكها بالمسوح الخشنة ثم حكها بالفخار والحجارة ولم يزل يحكها حتى تقطع لحمه وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا ورفضه الناس كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف عليه السلام فكانت تصلح أموره ثم ان وهبا طول في

الحكاية الى أن قال ان أيوب عليه السلام اقبل على الله تعالى مستغيثا متضرعا اليه قائلا يارب لاى شئ خلقتني ياليتني كنت حيضة ألقتني أمي ياليتني كنت عرفت الذي أذنبته والعمل الذي عملت حتى صرفت وجهك الكريم عني ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي أنا عبد ذليل فان أحسنت فالمن لك وان أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وسلطت علي ما لو سلطته على جبل لضعف من حمله الهي تقطعت أصابعي (٤٤) وسقطت لهواتي وتناثر شعري وذهب المال وصرت أسأل اللقمة فيطعمني من يمن بها علي ويعيرني بفقري وهلاك أولادي قال الامام أبو القاسم الانصاري في جملة هذا الكلام ليتك لو كرهتني لم تخلقني ثم قال ولو كان ذلك صحيحا لاغتنمه ابليس فان قصده أن يحمله على الشكوى وأن يخرجه من زمرة الصابرين قلت ان غرض ابليس لا يحصل بمجرد الشكوى وانما كان غرضه أن يرتد أيوب عليه السلام ولهذا قال سفيان بن عيينة من شكا الى الله تعالى فانه لا يعد ذلك جزعا اذا كان في شكواه راضيا بقضاء الله تعالى اذ ليس من شرط الصبر استحلاء البلاء ألم تسمع قول يعقوب عليه السلام انما أشكو بثي وحزني الى الله ومما حكاه الله سبحانه من شكوى أيوب قوله اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين الضر بالفتح الضرر في كل شئ وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال قال جار الله ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة عليه وذكر ربه بما يجب أن يصدر دعاء الرحمة عنه ولم يصرح بالمطلوب وحسن الطلب * باب من أبواب الادب * يحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصا فقال لها ألطفت في السؤال لاجرم لاردنها تثب وثبة الفهود وملأ بيتها حبا وفي قوله وأنت أرحم الراحمين رمز الى أنه جواد مطلق لا يرحم لمنفعة تعود اليه ولا لمضرة يدفعها عنه ولا يطلب شيأ ولا يجلب مدحا وكل رحيم سواه فامارحمته لغرض من الاغراض أو لرقة طبع ونحو ذلك على ان تلك الرحمة أيضا تتوقف على داعية يخلقها الله فيه والآفات والآلام التي تراها في هذا العالم كلها مستندة الى صفة قهره التي لابد لكل ملك منه أو مستتبعة لمصالح وغايات لا يعلمها الا هو وانها ضرورية في الوجود لاشتمالها على خيرات أكثر من الشرور واختلف العلماء في السبب الذي لاجله دعا أيوب فعن أنس

فلاذكر له فيها ولا عمران لا يرثه ولد مصلحون من بعده ولا يبقى له أصل يعرف به ويبهت من يراه وتقف الاشعار عند ذكره قال أيوب ان أكن غويا فعلى غواي وان أكن بريا فاي منعة عندي ان صرخت فمن ذا الذي يصرخني وان سكت فمن ذا الذي يعذرني ذهب رجائي وأنقضت أحلامي وتنكرت لي معارفي دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لامتي فلم ترحمني وقع علي البلاء فرفضوني أنتم كنتم أشد علي من مصيبتي انظروا وابهتوا من العجائب التي في جسدي اما سمعتم بما أصابني وما شغلكم عني ما رأيتم بي لو كان عبد يخاصم ربه رجوت أن اتقاب عند الحكم ولكن لي ربا جبارا تعالى فوق سمواته وألقاني ههنا وهنت عليه لا هو عذرني بعذري ولا هو أدناني فاخاصم عن نفسي يسمعني ولا أسمعه ويراني ولا أراه وهو محيط بي ولو تجلى لي لذابت كليتاي وصعق روحي ولو نفسني فاتكلم بملء فمي وفرغ الهيبة مني علمت بأي ذنب عذبني نودي فقيل يا أيوب قال لبيك قال أما هذا قد دنوت منك فقم فاشدد ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي لي ان يخاصمني الا جبار مثلي ولا ينبغي ان يخاصمني الا من يجعل الزنار في فم الاسد والسخال في فم العنقاء واللجام في فم التنين ويكيل مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس لغد لقد منتك نفسك أمرا ما تبلغ بمثل قوتك ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت اي مرام رامت بك أردت ان تخاصمني بغيك أم أردت ان تحاجني بخطابك أم أردت ان تكاثرني بضعفك أين أنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل علمت باي مقدار قدرتها أم كنت معي تمد باطرافها أم تعلم ما بعد زوايها أم على أي شئ وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض للماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ثبتت من فوقها ولا يحملها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بامرك ليلها ونهارها أين أنت مني يوم سجرت البحار ونبعت الانهار أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها أم قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل لك من ذراع يطيق حملها أم هل تدري كم من مثقال فيها أم أين الماء الذي أنزل من السماء هل تدري أم تلده أو أب يولده أحكمتك أحصت القطر وقسمت الارزاق أم قدرتك تثير السحاب وتغشيه الماء هل تدري ما أصوات الرعود أم من أي شئ لهب البروق هل رأيت عمق البحور أم هل تدري ما بعد الهواء أم هل خزنت أرواح الاموات أم هل تدري أين خزانة الثلج أو أين خزائن البرد أم أين جبال البرد أم تدري أين خزانة الليل بالنهار وأين خزانة النهار بالليل وأين طريق النور وباي لغة تتكلم الاشجار وأين خزانة الريح وكيف تحبسه الاغلاق ومن جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم أرزاق الدواب بحكمته ومن قسم للاسد أرزاقها وعرف الطير معايشها وعطفها على أفراخها من أعتق الوحش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تستأنس بالاصوات ولا تهاب المسلطين أمن حكمتك تفرعت أفراخ الطير وأولاد الدواب لامهاتها أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها حتى أخرجت لها الطعام من بطونها وآثرتها بالعيش على نفوسها أم من حكمتك يبصر العقاب الصيد فاصبح في أماكن

الخ
نعم مثلي

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أيوب عليه السلام بقي في البلاء ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فدخلا عليه ذات يوم فوجدا ريحا فقالا لو كان لايوب عند الله خير ما بلغ الى هذه الحالة قال فما شق على أيوب شيء مما ابتلي به مثل ما سمع منهما فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت شبعان وأنا أعلم بمكان جائع فصدقني وهما يسمعان ثم خر أيوب ساجدا وقال اللهم اني لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي فكشف الله ما به وقال الحسن مكث أيوب (٤٥) بعدما ألقي على الكناسة سبع سنين وأشهرا ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امرأته صبرت معه وكانت تأتيه بالطعام وكان أيوب مواظبا على حمد الله والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه فصرخ ابليس صرخة جزعا من ضر أيوب فاجتمع جنوده من أقطار الارض وقالوا له ما خبرك قال أعياني هذا العبد الذي سألت ربه أن يسلطني عليه وعلى ماله وولده فانه لا يزيد بالبلاء الا صبرا وحمدا لله تعالى فقالوا له أين مكرك أين عملك الذي أهلكت به من مضى من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها لانه لا يقربه أحد غيرها قال أصبتم فانطلق حتى اذا أتى امرأته فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله قالت هو هذا يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فظن ابليس انها جزعت فطمع فيها ووسوس اليها وذكرها ما كان بها من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم ان قد جزعت فأتاها بسخلة وقال لتذبح هذه باسم أيوب ويبرأ قال فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال وأين الماشية أين الولد أين الصديق أين اللون أين الحسن أين جسمك الذي قد بلي وقد صار مثل الرماد وتتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واسترح فقال أيوب أتاك عدو الله ونفخ فيك ويلك من أعطانا الذي تذكرين من المال والولد والصحة قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما أنصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة أمرتني أن أذبح لغير الله وحرام علي ان أذوق بعد هذا شيأ من طعامك وشرابك الذي تأتيني به فطردها فلما نظر أيوب في شأنه وليس عنده لا طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خر ساجدا وقال اني

القتلى أين أنت مني يوم خلقت بهموت مكانه في منقطع التراب والوتينان يحملان الجبال والقرى والعمران آذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال رؤسهما كأنها آكام الجبال وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد وكأن جلودهما فلق الصخور وعظامهما كأنها عمد النحاس هما رأسا خلقي الذين خلقت للقتال أأنت ملأت جلودهما لحما أم أنت ملأت رؤسهما دماغا أم هل لك في خلقهما من شرك أم لك بالقوة التي عملتهما يدا وهل تبلغ من قوتك أن تخطم على أنوفهما أو تضع يدك على رؤسهما أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما أو تصدهما من قوتهما أين أنت يوم خلقت التنين رزقه في البحر ومسكنه في السحاب عيناه توقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا أذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لهب كأنه اعصار العجاج جوفه يحترق ونفسه تلتهب وزنده كأمثال الصخور وكأن صريف أسنانه صوت الصواعق وكأن نظر عينيه لهب البرق أسراره لا تدخله الهموم تمر به الجيوش وهو متكئ لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يحس وقع الصخور على جسده ويضحك من النيازك ويسير في الهواء كأنه عصفور ويهلك كل شيء يمر به ملك الوحوش واياه آثرت بالقوة على خلقي هل أنت آخذه بأحبولتك فرابطه بلسانه أو واضع اللجام في شدقه أتظنه يوفي بعهدك أو يسبح من خوفك هل تحصي عمره أم هل تدري أجله أو تفوت رزقه أم هل تدري ماذا خرب من الارض أم ماذا يخرب فيما بقي من عمره أتطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك تبارك الله وتعالى قال أيوب صلى الله عليه وسلم قصرت عن هذا الامر الذي تعرض لي ليت الارض انشقت بي فذهبت في بلائي ولم أتكلم بشيء يسخط ربي اجتمع علي البلاء الهي جعلتني لك مثل العدو وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي وقد علمت ان الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من هذا ما شئت عملت لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذي يظن ان يسر عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف انما كنت أسمع بسطوتك سمعا فأما الآن فهو بصر العين انما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي ودسست وجهي لصغاري وسكت كما أسكتتني خطيئتي فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني قال الله تبارك وتعالى يا أيوب نفذ فيك علمي وبحلمي صرفت عنك غضبي اذ خطئت فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فان فيه شفاءك وقرب عن صحابتك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني وغيره من أهل الكتب الاول انه كان من حديث أيوب انه كان رجلا من الروم وكان الله قد اصطفاه ونبأه وابتلاه في الغنى بكثرة الولد والمال وبسط عليه من الدنيا فوسع عليه في الرزق وكانت له البثنية من أرض الشام أعلاها واسفلها وسهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون للرجل افضل منه في العدة والكثرة وكان الله قد أعطاه اهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعم

مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فقال ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ثم ضرب برجله مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار أحسن مما كان حتى ذكر أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هب انه طردني أفأتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأته في تلك الكناسة ولا تلك الحالة فجعلت تطوف وتبكي فدعاها أيوب وقال ما تريدين يا أمة الله فقالت أردت ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة فقال تعرفينه اذا رأيتيه قالت وهل يخفى على أحد يراه فتبسم قائلا أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال انك أمرتني ان أذبح لابليس واني أطعت الله وعصيت الشيطان فعافاني الله ببركة ذلك الرواية الثالثة قال الضحاك ومقاتل بقي في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات فلما غلب أيوب ابليس ذهب ابليس الى امرأته على غير هيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس كمراكب الناس وقال لها أنت صاحبة أيوب قالت نعم قال فهل تعرفينني قالت لا قال أنا اله الارض أنا صنعت بأيوب ما صنعت وذلك انه عبد اله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك جميع ما لكما من مال وولد فان ذلك عندي قال وهب وسمعت انه قال لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم الله تعالى لعوفي عما فيه من البلاء وأيضا قال لها لو شئت فاسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد وأعافي زوجك فرجعت الى أيوب فاخبرته فقال أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم أقسم لئن عافني الله لاجلدنك مائة

من

جلدة وقال عند ذلك مسني الضر يعني من طمع ابليس في سجودي وسجود زوجتي له الرواية الرابعة قال اسمعيل السدي ان ابليس تمثل للقوم في صورة بشر وقال لئن تركتم أيوب في قريتكم أعدى اليكم ما به من العلة فاخرجوه الى باب البلد ثم قال لهم ان امرأته تدخل عليكم وتعمل وتمس زوجها أما تخافون أن يعدي اليكم علته فحينئذ لم يستعملها أحد فتحيرت وكان لها ثلاث ذوائب فعمدت الى احداها وقطعتها وباعتها

المساكين ويحمل الارامل ويكفل الايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكر الانعم الله عليه مؤديا لحق الله في الغنى قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما اصاب من اهل الغنى من العزة والغفلة والسهو والتشاغل عن امر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا افضل ما اعطاه الله على من سواه منهم رجل من اهل اليمن يقال له اليفر ورجلان من اهل بلاده يقال لاحدهما صوفر وللآخر بلدد وكانوا من بلاده كهولا وكان لابليس عدو الله منزل من السماء السابعة يقع به كل سنة موقعا يسأل فيه فصعد الى السماء في ذلك اليوم الذي كان يصعد فيه فقال الله له أو قيل له عن الله هل قدرت من ايوب عبدي على شئ قال اي رب وكيف أقدر منه على شئ وانما ابتليته بالرخاء والنعمة والسعة والعافية واعطيته الاهل والمال والولد والغنى والعافية في جسده واهله وماله فماله لا يشكرك ويعبدك ويطيعك وقد صنعت ذلك به لو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما كان عليه من شكرك ولترك عبادتك ولخرج من طاعتك الى غيرها او كما قال عدو الله فقال قد سلطتك على اهله وماله وكان الله هو اعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب بالذي يصيبه من البلاء وليجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به وليرجوا من عاقبة الصبر في عرض من الدنيا ثواب الآخرة وما صنع الله بايوب فانحط عدو الله سريعا فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين من جنوده فقال اني قد سلطت على اهل ايوب وماله فماذا عليكم فقال قائل منهم اكون اعصارا فيه نار فلا امر بشئ من ماله الا اهلكته قال انت وذاك فخرج حتى اتى ابله فاحرقها ورعاتها جميعا ثم جاء عدو الله الى ايوب في صورة قيمه عليها وهو في مصلى فقال يا ايوب اقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فجئتك اخبرك بذلك فعرفه ايوب فقال الحمد لله الذي هو اعطاها وهو اخذها الذي اخرجك منها كما يخرج الزؤان من الحب النقي ثم انصرف عنه فجعل يصيب ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى اليه هلاك مال من ماله حمد الله واحسن عليه الثناء ورضي بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى اذا لم يبق له مال أتى أهله وولده وهم في قصر لهم معهم حظياتهم وخدامهم فتمثل ريحا عاصفا فاحتمل القصر من نواحيه فالقاه على أهله وولده فشدخهم تحته ثم أتاه في صورة قهرمانه عليهم قد شدخ وجهه فقال يا أيوب قد أتت ريح عاصف فاحتمل القصر من نواحيه ثم ألقته على أهلك وولدك فشدخهم غيري فجئتك أخبرك ذلك فلم يجزع على شئ أصابه جزعه على أهله وولده وأخذ ترابا فوضعه على رأسه ثم قال ليت أمي لم تلدني ولم أك شيأ وسر بها عدو الله منه فاصعد الى السماء جذلا وراجع أيوب التوبة مما قال فحمد الله فسبقت توبته عدو الله فلما جاء وذكر ما صنع قيل له قد سبقتك توبته الى الله ومراجعته قال أي رب فسلطني على جسده قال قد سلطتك على جسده الا على لسانه وقلبه ونفسه وسمعه وبصره فاقبل اليه عدو الله وهو ساجد فنفخ في جسده نفخة أشعل ما بين قرنه الى قدمه كحريق النار ثم خرج في جسده ثآليل كاليا الغنم فحك باظفاره حتى ذهبت ثم بالفخار والحجارة حتى تساقط لحمه فلم يبق منه الا العروق والعصب والعظام عيناه يجولان في رأسه للنظر وقلبه للعقل ولم يخلص الى شئ من حشو البطن لانه لا بقاء للنفس الا بها فهو يأكل ويشرب على التواء

فأعطوها بذلك خبزا ولحما فقال أيوب من أين هذا قالت كل فانه حلال فلما كان من الغد لم تجد شيأ فباعت الثانيـــة وكذلك فعلت في اليوم الثالث وقالت كل فانه حلال فقال لا آكل أو تخبريني فأخبرته فبلغ ذلك من أيوب ما الله به عليم فقال رب اني مسني الضر والرواية الخامســة قيـــل سقطت دودة من فخذه فرفعها وردها الى موضعها وقال قد جعلني الله طعمة لك فعضته عضة شديدة فقال مسني الضر فأوحى الله اليه لولا أني جعلت في كل شعرة منك صبرا لما صبرت واعلم ان مس الضر ههنا مطلق الا انه ورد (٤٧) في صاد مقيدا وذلك قوله أني مســني الشيطان بنصب وعذاب فصح أن يكون سندا لهذه الروايات الا أن الجبائي طعن فيها بان الشيطان كيف يقدر على احداث الامراض والاسقام والقادر عـــلى ذلك قادر على خلق الاجسام وحينئذ يكون الها وأيضا ان هـــذه التأثيرات تنافي قوله سبحانه حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم والجواب انه كان باذن من الله كما حكينا فلا محـــذور ولا تنافي قال ومن البعيـــد انه لم يسأل الله الا عند أمور مخصوصة والجواب ان الامـــور مرهونة باوقاتها قال انتهاء أمراض الانبياء الى حـــد التنفـــير من القبول غـــير جائز والجـــواب المنع ولاسيما بشرط العافيـــة في العاقبـــة قوله سبحانه فكشفنا ما به من ضر مجمل يقتضي اعادته الى ما كان في بدنه وأحواله وقوله وآتيناه أهله ومثلهم معهم تفصيل لذلك المجمل وفيـــه قولان الاول قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومقاتل والكلبي ان الله تعالى أحيا له أهله يعـــني أولاده باعيانهم والثاني قال الليث أرسل مجاهد الى عكرمة وسئل عن الآية فقال أراد أهلك في الآخرة وآتينا لك مثلهم في الدنيا فقد روي ان زوجته ولدت بعد ذلك ســـتة وعشرين ابنا له ثم بين الحكمة في ذلك الابتـــلاء ثم الاستجابة بقوله رحمة من عندنا لايوب وذكرى لغيره من العابدين للرحمن أو الرحمة والذكرى كلاهما للعابدين لكي يتفكروا فيصبروا كما صبر حتى يثابوا في الدارين كما أثيب وانما خص الرحمة والتذكرة بالعابدين لانهم هم المنتفعون بذلك لا الذين يعبدون الهوى والشيطان قال أهل البرهان انما قال في هذه السورة رحمة من عندنا وقال في ص رحمة منا لانه بالغ ههنا في الدعاء بزيادة قوله وأنت أرحم الراحـــين فبالغ في الاستجابة لان لفظ عند يدل على مزيد التخصيص وانه سبحانه تولى ذلك من غير واسطة وحين ذكر صبر أيوب وانقطاعه اليه ذكر غـــيره من الانبياء

من حشوته فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن ابن دينار عن الحســـن أنه كان يقول مكث أيوب في ذلك البلاء سبع سنين وستة أشهر ملقى على رماد مكنسة في جانب القرية قال وهب بن منبـــه ولم يبق من أهله الا امرأة واحدة تقوم عليه وتكسب له ولا يقـــدر عـــدو الله منه على قليل ولا كثير مما يريد فلما طال البلاء عليه وعليها وسئمها الناس وكانت تكسب عليـــه ما تطعمه وتسقيه قال وهب بن منبه فحدثت انها التمست له يوما من الايام ما تطعمه فما وجدت شيأ حتى جزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به فعشته اياه فلبث في ذلك البلاء تلك السنين حتى ان كان المار ليمر فيقول لو كان لهذا عند الله خير لأراحه مما هو فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني محمد بن اسحق قال وكان وهب بن منبه يقول لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلبه أيوب فلم يستطع منه شيأ اعترض لامرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والطول على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال ليس لها فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال فأنا اله الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك انه عبد اله السماء وتركني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندي ثم أراها اياهم فيما ترى ببطن الوادي الذي لقيها فيه قال وقد سمعت انه انما قال لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم عليه لعوفي مما به من البلاء والله أعلم وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال أوقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم أقسم ان الله عافاه ليضربنها مائة ضربة فلما طال عليه البلاء جاءه أولئك النفر الذين كانوا معه قد آمنوا به وصدقوه معهم فتى حديث السن قد كان آمن به وصدقه فجلسوا ونظروا الى ما به من البلاء فأعظموا ذلك وفظعوا به وبلغ من أيوب صلوات الله عليه مجهوده وذلك حين أراد الله أن يفرج عنـــه ما به فلما رأى أيوب ما أعظموا مما أصابه قال أي رب لاي شيء خلقتني ولو كنت اذ قضيت علي البلاء تركتني فلم تخلقني ليتني كنت دما ألقتني أمي ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر عن اسمعيل بن عبـــد الكريم الى وكابدوا الليـــل واعتزلوا الفرش وانتظروا الاسحار ثم زاد فيـــه أولئك الآمنون الذين لا يخافون ولا يهتمون ولا يحزنون فان عاقبـــة أمرك يا أيوب من عواقبهم قال فتى حضرهم وسمع قولهم ولم يفطنوا له ولم يأبهوا لمجلسه وانما قيضه الله لهم لما كان من جورهم في المنطق وشططهم فأراد الله أن يصغر به اليهم أنفسهم وان يسفه بصغره لهم أحلامهم فلما تكلم تمادى في الـــكلام فلم يزدد الا حكما وكان القوم من شأنهم الاستماع والخشوع اذا وعظوا أو ذكروا فقال انكم تكلمتم قبلي أيها الكهول وكنتم أحق بالـــكلام وأولى به مني لحق أسنانكم ولانكم جربتم قبلي ورأيتم وعلمتم ما لم أعلم وعرفتم ما لم أعرف ومع ذلك قد تركتم من القول أحســـن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجمـــل من الذي أتيتم ومن الموعظة أحكم من الذي وصفتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضـــل من الذي وصفتم هل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ولم تعلموا أيها الـــكهول ان أيوب نبي الله وخـــيرته وصفوته من أهـــل الارض يومكم هـــذا اختاره الله لوحيه

المشهورين بالصبر منهم اسمعيل عليه السلام صبر على الانقياد للذبح وعلى الاقامة بواد لا زرع فيه ولا ضرع وصبر على بناء البيت ورفع قواعده فلاجرم أخرج الله ببركته ذلك من صلبه خاتم النبيين ومنهم ادريس وقد مر ذكره في سورة مريم قال ابن عمر بعث الى قومه داعيا لهم الى الله فأبوا فأهلكهم الله ورفع ادريس الى السماء ومنهم ذو الكفل قيل هو زكريا وعلى هذا فقد تقدمت قصته أيضا وفي هذا القول نظر لان قصة زكريا تجيء عن عقيب فيلزم التكرار (٤٨) وقيل هو الياس وكان خمسة من الانبياء ذوي اسمين اسرائيل ويعقوب والياس وذو الكفل وعيسى والمسيح ويونس وذو النون محمد وأحمد وقيل يوشع ابن نون سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله دينا ودنيا أو لانه كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقال أبو موسى الاشعري ومجاهد انه لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا وقال الحسن والاكثرون انه من الانبياء وهذا أقرب لانه معطوف عليهم معدود فيما بينهم روي عن ابن عباس ان اليسع أو نبيا آخر في بني اسرائيل قربت وفاته فاراد أن يستخلف رجلا على الناس فقال من يقبل مني خلافتي على أن يصلي بالليل ويصوم بالنهار ويقضي بين الناس فلا يغضب فقام رجل وقال أنا أتكفل لك هذه الثلاثة فدفع اليه ملكه ووفى بما ضمن فحسده ابليس فأتاه وقت القيلولة فقال ان لي غريما قد ظلمني حقي وقد دعوته اليك فأبى فارسل معي من يأتيك به فارسل معه وقعد حتى فاتته القيلولة وعاد الى صلاته وصلى ليله الى الصباح ثم أتاه من الغد وقال مثل ذلك حتى شغله عن القيلولة وهكذا في اليوم الثالث وقيل انه في اليوم الثالث قال للبواب قد غلب علي النعاس فجاء ابليس فلم يأذن له البواب فدخل من كوة البيت ودق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وعاتب البواب فقال أما من قبلي فلم يؤت فقام الى الباب فاذا هو مغلق وابليس على صورة شيخ في البيت فقال له أتنام والخصوم على الباب فعرفه وقال ابليس قال نعم أعييتني في كل شيء ففعلت هذه الافعال لاغضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه قد وفى بالكفالة ولا خلاف ان ذا النون هو يونس لان النون هو السمكة والاسم اذا دار بين أن يكون لقبا محضا وبين أن يكون مقيدا فحمله على المقيد أولى واختلفوا في أن وقوعه في بطن الحوت كان قبل اشتغاله باداء الرسالة أو بعده أما القول الاول فعن ابن عباس أن يونس وقومه كانوا من فلسطين فغزاهم ملك فسبي منهم

واصطفاه لنفسه وأتمنه على نبوته ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه سخط شيئا من أمره مذ أتاه ما أتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه بها مذ أتاه ما أتاه الى يومكم هذا ولا ان أيوب غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم ان الله يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ليس بلاؤه لاولئك بدليل سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة ولا في النبوة ولا في الاثرة ولا في الفضيلة ولا في الكرامة الا انه أخ أحببتموه على وجه الصحابة لكان لا يجمل بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكن يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحليم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول في أنفسكم قال ثم أقبل على أيوب صلى الله عليه وسلم فقال وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع لسانك ويكسر قلبك وينسيك حججك ألم تعلم يا أيوب ان لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء الالباء العالمون بالله وبآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله واعزازا واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين وانهم لانزاه برآء ومع المقصرين والمفرطين وانهم لاكياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون لله بالقليل ولا يدلون عليه بالاعمال فهم مروعون مفزعون مغتمون خاشعون وجلون مستكينون معترفون متى ما رأيتهم يا أيوب قال أيوب ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فمتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا الشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حليما في الصبا لم يسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون عليه من الله نور الكرامة ولكنكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم انكم عوفيتم باحسانكم فهنالك بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم أنفسكم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية التي ألبسكم ولكن قد أصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم قد كنت فيما خلا مسموعا كلامي معروفا حقي منتصفا من خصمي قاهرا لمن هو اليوم يقهرني مهيبا مكاني والرجال مع ذلك ينصتون الي ويوقرونني فأصبحت اليوم قد انقطع رجائي ورفع حذري وملني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وكفرني أهل بيتي وجحدت حقوقي ونسيت صنائعي أصرخ فلا يصرخونني وأعتذر فلا يعذرونني وان قضاءه هو الذي أذلني وأقماني وأخسأني وان سلطانه هو الذي أسقمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي ثم كان ينبغي للعبد أن يحاج لنفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه لا نظر الي فرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي لما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه انه عذاب ثم نودي منه ثم قيل له يا أيوب ان الله يقول ها أنا ذا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا فقم فادل بعذرك الذي زعمت وتكلم ببراءتك وخاصم

وخاصم عن نفسك واشدد ازارك ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر عن اسمعيل الى آخره وزاد فيه ورجع وقد سبقت عيني فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقد وهبت لك أهلك ومثلهم معهم ومالك ومثله معه وزعم ومثله معه لتكون لمن خلفك آية ولتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء ثم خرج فجلس وأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالواهة متلددة ثم قالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا قال لا ثم تبسم فعرفته بضحكه فاعتنقته **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال فحدثت عبد الله بن عباس حديثه واعتناقها اياه فقال عبد الله والذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وقد سمعت بعض من يذكر الحديث عنه انه دعاها حين سألت عنه فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيته قالت نعم ومالي لا أعرفه فتبسم ثم قال ها أنا هو وقد فرج الله عني ما كنت فيه فعند ذلك اعتنقته قال وهب فأوحى الله اليه في قسمه ليضربنها في الذي كلمته ان خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث أي قد برت يمينك يقول الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب يقول الله ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب **حدثنا** يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن هشام عن الحسن قال لقد مكث أيوب مطروحا على كناسة سبع سنين وأشهرا ما يسأل الله أن يكشف ما به قال وما على وجه الارض خلق أكرم على الله من أيوب فيزعمون ان بعض الناس قال لو كان لرب هذا فيه حاجة ما صنع به هذا فعند ذلك دعا **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال بقي أيوب على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف عليه الدواب **حدثني** محمد بن اسحق قال ثنا يحيى بن معين قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن وهب بن منبه قال لم يكن بأيوب الأكلة انما كان يخرج به مثل ثدي النساء ثم ينفقه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا مخلد بن حسين عن هشام عن الحسن وحجاج عن مبارك عن الحسن زاد أحدهما على الآخر قال ان أيوب آتاه الله مالا وأوسع عليه وله من النساء والبقر والغنم والابل وان عدو الله ابليس قيل له هل تقدر أن تفتن أيوب قال رب ان أيوب أصبح في دنيا من مال وولد ولا يستطيع أن لا يشكرك ولكن سلطني على ماله وولده فسترى كيف يطيعني ويعصيك قال فسلطه على ماله وولده قال فكان يأتي بالماشية من ماله من الغنم فيحرقها بالنيران ثم يأتي أيوب وهو يصلي متشبها براعي الغنم فيقول يا أيوب تصلي لربك ما ترك الله لك من ماشيتك شيئا من الغنم الا أحرقها بالنيران وكنت ناحية فجئت لاخبرك قال فيقول أيوب اللهم أنت أعطيت وأنت أخذت مهما تبقي نفسي أحمدك على حسن بلائك فلا يقدر منه على شيء مما يريد ثم يأتي ماشيته من البقر فيحرقها بالنيران ثم يأتي أيوب فيقول له ذلك ويرد عليه أيوب مثل ذلك قال وكذلك فعل بالابل حتى ما ترك له من ماشية حتى هدم البيت على ولده فقال يا أيوب أرسل الله على ولدك من هدم عليهم البيوت حتى هلكوا فيقول أيوب مثل ذلك قال رب هذا حين أحسنت الي الاحسان كله قد كنت قبل اليوم يشغلني حب المال بالنهار ويشغلني

تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فأوحى الله تعالى الى شعيب عليه السلام أن اذهب الى حزقيل الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا فاني ألقي في قلوب أولئك أن يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك من ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس بن متى فانه قوي أمين فدعاه الملك وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجي قال لا قال فههنا أنبياء غيري فألحوا عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه فأتى بحر الروم فوجد قوما هيأوا سفينة فركب معهم فاضطربت السفينة

حتى كادوا أن يغرقوا فقال الملاحون ههنا رجل عاص أو عبد آبق لان السفينة لا تفعل هذا من غير ريح الا وفيها رجل عاص ومن عادتنا في مثل هذا البلاء أن يقرع فمن خرجت له القرعة ألقيناه في البحر حتى تسلم السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة كلها على يونس فقال أنا الرجل العاصي والعبد الآبق وألقى نفسه في البحر فابتلعه حوت فأوحى الله تعالى الى الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنا له ولم أجعله طعاما لك ثم نجاه الله من بطن الحوت فنبذه بالعراء كالفرخ المنتوف ليس عليه شعر ولا جلد فأنبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد فلما يبست الشجرة حزن عليها يونس فقال له أتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة ألف أو يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب سلامتهم فتوجه يونس نحوهم حتى دخل أرضهم وهم منه غير بعيد فقال لملكهم ان الله أرسلني اليك لترسل معي بني اسرائيل فقالوا ما نعرف ما تقول ولو علمنا أنك صادق لفعلنا ولقد أتيناكم في دياركم وسبيناكم فلو كان كما تقول لمنعنا الله منكم فطاف فيهم ثلاثة أيام يدعوهم الى ذلك فأبوا عليه فأوحى الله اليه قل لهم ان لم تؤمنوا جاءكم العذاب فأبلغهم فأبوا فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه فقال علماؤهم اطلبوا فان كان في المدينة فليس مما ذكره بشيء وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فلم يجدوه فلما أيسوا أغلقوا أبواب مدينتهم فلم يدخلها بقرهم وغنمهم وعزلوا الوالدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات فلما طلع الصبح رأوا العذاب ينزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل ما في بطونها وصاح الصبيان وثغت المواشي فرفع الله عنهم فبعثوا الى يونس وآمنوا به وبعثوا معه بني اسرائيل القول

الثاني وعليه أكثر المفسرين ان قصة الحوت كانت بعد دعائه أهل نينوى وتبليغه رسالة الله اليهم كما مر في سورة يونس واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه القصة من وجوه الاول انه ذهب مغاضبا لربه هكذا فسره ابن عباس وابن مسعود والحسن والشعبي وسعيد بن جبير ووهب واختاره ابن قتيبة ومحمد بن جرير ومن المعلوم ان مغاضبة الله من أعظم الذنوب ولئن سلم انه كان مغاضبا لقومه فذلك أيضا محظور لانه كان يجب أن يصبر معهم الثاني قوله فظن أن (٥٠) لن نقدر عليه وهو شك في قدرة الله الثالث اعترافه بانه من الظالمين والظلم من صفات الذم الرابع اخبار الله تعالى في موضع آخر بقوله فالتقمه الحوت وهو مليم والمليم ذو الملامة الخامس قوله للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال في موضع آخر فاصبر كما صبر أولو العزم والجواب انه عليه السلام غضب لاجل ربه الغضب لدينه وبغضا للكفر وأهله وغاضب قومه بمفارقته كي يخوفهم حلول العقاب عليهم عندها فغاية ما في الباب ان تلك المغاضبة ترك الاولى وهو الصبر على مشاق الرسالة بعد أدائها الى أن يأذن الله له في المهاجرة وعن الثاني ان معنى لن نقدر عليه لن نضيق كقوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ومن قدر عليه رزقه فهو من القدر لا من القدرة ويجوز أن يكون من القدر بمعنى القضاء قال الزجاج يقال قدر الله الشئ قدرا وقدره تقديرا والمعنى فظن أن لن نقضي عليه بشدة وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي وابن عباس في رواية واختاره الفراء والزجاج يقال قدر الله عليه الامر وقدر له الامر كما يقال قدر القاضي على فلان أوله ولئن سلمنا انه من القدرة فالمراد القدرة بالفعل أي فظن أن لن نعمل فيه قدرتنا فالقدرة غير وأعمالها غير فظن انتفاء الاول الكفر دون الثاني أو هو وارد على سبيل التمثيل والاستعارة أي كانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله أو هو استفهام بمعنى التوبيخ معناه أفظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله عن ابن زيد سلمنا الكل لكن هذه الواقعة لعلها قبل رسالته كما حكينا ومثل هذا الظن في حق غير الانبياء لا يبعد بوسوسة الشيطان ولكن المؤمن يرده بعد ذلك بالبرهان ومن البواقي ان الكل راجع الى ترك الاولى ونحن لا ننكر ذلك وكفى بذكر

حب الولد بالليل شفقة عليهم فالآن أفرغ سمعي لك وبصري وليلي ونهاري بالذكر والحمد والتقديس والتهليل فينصرف عدو الله من عنده لم يصب منه شيئا مما يريد قال ثم ان الله تبارك وتعالى قال كيف رأيت أيوب قال ابليس أيوب قد علم انك سترد عليه ماله وولده ولكن سلطني على جسده فان أصابه الضر فيه أطاعني وعصاك قال فسلط على جسده فأتاه فنفخ فيه نفخة قرح من لدن قرنه الى قدمه قال فأصابه البلاء بعد البلاء حتى حمل فوضع على مزبلة كناسة لبني اسرائيل فلم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير زوجته صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمد وأيوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله والتحميد والثناء على الله والصبر على ما ابتلاه الله قال الحسن فصرخ ابليس عدو الله صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الارض جزعا من صبر أيوب فاجتمعوا اليه وقالوا له جمعتنا ما خبرك ما أعياك قال أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزدد بذلك الا صبرا وثناء على الله وتحميدا له ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة بني اسرائيل لا يقربه الا امرأته فقد افتضحت بربي فاستعنت بكم فأعينوني عليه قال فقالوا له أين مكرك أين علمك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا علي قالوا نشير عليك أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوقع في صدرها فوسوس اليها فذكرها ما كانت فيه من النعم والمال والدواب وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أن قد صرخت وجزعت أتاها بسخلة فقال ليذبح هذا الى أيوب ويبرأ قال فجاءت تصرخ يا أيوب يا أيوب حتى متى يعذبك ربك ألا يرحمك أين الماشية أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد أين جسمك الحسن الذي قد بلي وتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واسترح قال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقا وأجبته ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب من أعطانيه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا الله به قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك والله ما عدلت ولا انصفت ربك ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة هيه أمرتيني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي تأتيني به علي حرام وان أذوق ما تأتيني به بعد اذ قلت لي هذا فاعزبي عني فلا أراك فطردها فذهبت فقال الشيطان هذا قد وطن نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذي هو فيه فباء بالغلبة ورفضه ونظر أيوب الى امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق قال الحسن ومر به رجلان وهو على تلك الحال ولا والله ما على ظهر الارض يومئذ أكرم على الله من أيوب فقال أحد الرجلين لصاحبه لو كان لله في هذا حاجة ما بلغ به هذا فلم يسمع أيوب شيئا كان أشد عليه من هذه الكلمة **حدثنا** القاسم قال ثنا

الحسين

يونس في عدد الانبياء الصالحين من الصالحين دليلا على أنه لم يصدر عنه شئ ينافي عصمته والله تعالى أعلم أما قوله فنادى في الظلمات فعنى الجمع راجع الى شدة الظلمة وتكاثفها أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطن الحوتين وظلمة البحر وقيل ان الحوت اذا عظم غوصه في البحر كان مافوقه من البحر ظلمة في ظلمة ومعنى أن لا اله الا أنت أي لا اله الا أنت أو بأنه لا اله (٥١) الا أنت سبحانك تنزيه له عن كل النقائص

الحسين قال ثني حجاج عن جرير بن حازم عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب اخوان فأتياه فقاما من بعيد لا يقدران أن يدنوا منه من ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما أرى قال فما جزع أيوب من شئ أصابه جزعه من كلمة الرجل فقال أيوب اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة شبعان قط وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم أتخذ قميصين قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق وهما يسمعان قال ثم خر ساجدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني مخلد بن الحسين عن هشام عن الحسن قال فقال رب اني مسني الضر ثم رد ذلك الى ربه فقال وأنت أرحم الراحمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن جرير عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن ومخلد بن هشام عن الحسن دخل حديث أحدهما في الآخر قالا فقيل له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شئ ظاهر الا سقط فاذهب الله كل ألم وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يتلفت ولا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال الا وقد أضعفه الله له حتى والله ذكر لنا ان الماء الذي اغتسل به تطاير على صدره جرادا من ذهب قال فجعل يضمه بيده فأوحى الله اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان طردني الى من أكله أدعه يموت جوعا أو يضيع فتأكله السباع لأرجعن اليه فرجعت فلا كناسة ترى ولا من تلك الحال التي كانت واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين أيوب قالت وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأل عنه فأرسل اليها أيوب فدعاها فقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل قال لها أيوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي فهل رأيته وهي تبكي انه قد كان ههنا قال وهل تعرفينه اذا رأيتيه قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهي تهابه ثم قالت أما انه كان أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فانا أيوب الذي أمرتيني ان أذبح للشيطان واني أطعت الله وعصيت الشيطان فدعوت الله فرد علي ما ترين قال الحسن ثم ان الله رحمها بصبرها معه على البلاء أمره تخفيفا عنها ان يأخذ جماعة من الشجر فيضربها ضربة واحدة تخفيفا عنها بصبرها معه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأيوب اذ نادى ربه اني مسني الضر الى آخر الآيتين فانه لما مسه الشيطان بنصب وعذاب أنساه الله الدعاء ان يدعوه فيكشف ما به من ضر غير انه كان يذكر الله كثيرا ولا يزيده البلاء في الله الا رغبة وحسن ايمان فلما انتهى الاجل وقضى الله انه كاشف ما به من ضر اذن له في الدعاء ويسره له وكان قبل ذلك يقول تبارك وتعالى لا ينبغي لعبدي أيوب ان يدعوني ثم لا أستجيب له فلما دعا استجاب له وأبدله بكل شئ ذهب له ضعفين ورد اليه أهله ومثلهم معهم وأثنى عليه فقال انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب * واختلف أهل التأويل في

منها الظلم المذكور على أي وجه فرض ومنها العجز عن تخلصه ومنها خلو ذلك الفعل عن حكمة كاملة اني كنت من الظالمين بالفرار من غير اذن وأنا الآن من التائبين وفيه من حسن الطلب ما فيه فلذلك قال فاستجبنا له ثم بين الاستجابة بقوله ونجيناه من الغم أي من غمه بسبب كونه في بطن الحوت وبسبب خطيئته وكما أنجينا يونس عن كرب الحبس اذ دعانا كذلك ننجي المؤمنين من كل كرب اذا استغاثوا بنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم وقد بقي في الآية بحث لفظي وهو ان بعض أهل العربية غلطوا عاصما في قراءته نجي بالتشديد والنون لا تدغم في الجيم واستخرج بعضهم له وجها وهو أن يكون نجي فعلا ماضيا مجهولا من التنجية لكنه أرسل الياء وأسند الفعل الى المصدر المضمر ونصب المؤمنين بذلك المصدر أي نجي نجاة المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيدا ثم ضرب زيدا على اضمار المصدر وأنشد ابن قتيبة حجة لهذه القراءة

ولو ولدت قفيرة جرو كلب
لسب بذلك الجرو الكلابا

وقال أبو علي الفارسي وغيره من الأئمة المحققين ان مثل هذا لا يجوز الا في ضرورة الشعر والوجه الصحيح في قراءة عاصم أن يحمل ذلك على الاخفاء فلعل الراوي التبس عليه فظنه ادغاما ثم بين انقطاع زكريا وتبتله اليه رغبة في من يؤنسه ويعينه في أمر دينه ودنياه وان انتهى الحال به وبزوجته في الكبر الى حد اليأس من ذلك عادة وفي قوله وأنت خير الوارثين وجهان أحدهما انه ثناء على الرب بان قال كل الامور اليه فيكون موكدا لما فوض اليه من أمر الولد والثاني انه أراد ان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فانك خير وارث وفي اصلاح زوجه وجوه منها جعلت صالحة للولادة بعد

عقرها ومنها انها جعلت معنة الخلق وكاشفة الحلق ولاشك ان حسن خلق الزوج نعمة عظيمة ومنها ان الاصلاح يتعلق بامر الدين كانه
سأل ربه المعونة على الدين والدنيا بالولد والاهل جميعا ورد على الوجه الاول ان اصلاح الزوج مقدم على هبة الولد والجواب ان الواو لا تفيد
الترتيب أو أراد بالهبة ارادة الهبة أما الضمير في قوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات فقد قيل انه عائد الى زكرياء وولده وأهله وقال جار الله
انه للمذكورين من الانبياء عليهم السلام يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمسارعتهم في تحصيل الخيرات وهذا من

الاهل الذي ذكر الله في قوله وآتيناه أهله ومثلهم معهم أهم أهله الذين أوتيهم في الدنيا أم ذلك
وعد وعده الله أيوب ان يفعل به في الآخرة فقال بعضهم انما آتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين
هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وانما وعد الله أيوب ان يؤتيه اياهم في الآخرة **حدثني** أبو
السائب سالم بن جنادة قال ثنا ابن ادريس عن ليث قال أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم الى
عكرمة يسأله عن قول الله لايوب وآتيناه أهله ومثلهم معهم فقال قيل له ان أهلك لك في الآخرة
فان شئت عجلناهم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال يكونون
لي في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا قال فرجع الى مجاهد فقال أصاب * وقال آخرون بل ردهم
اليه باعيانهم وأعطاه مثلهم معهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام بن سالم
عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك عن ابن مسعود وآتيناه أهله ومثلهم معهم قال أهله باعيانهم
حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما
دعا أيوب استجاب الله له وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين رد اليه أهله ومثلهم معهم **حدثنا** القاسم
قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ووهبنا له أهله ومثلهم معهم قال
أحياهم باعيانهم ورد اليه مثلهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد في قوله
وآتيناه أهله ومثلهم معهم قال قيل له ان شئت أحييناهم لك وان شئت كانوا لك في الآخرة وتعطى
مثلهم في الدنيا فاختار ان يكونوا في الآخرة ومثلهم في الدنيا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة وآتيناه أهله ومثلهم معهم قال الحسن وقتادة أحيا الله أهله باعيانهم وزاده
اليهم مثلهم * وقال آخرون بل آتاه المثل من نسل ماله الذي رده عليه وأهله فأما الاهل والمال
فانه ردهما عليه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن رجل
عن الحسن ومثلهم معهم قال من نسلهم وقوله رحمة نصبت بمعنى فعلنا بهم ذلك رحمة منا له وقوله
وذكرى للعابدين يقول وتذكرة للعابدين ربهم فعلنا ذلك به ليعتبروا به ويعلموا ان الله قد يبتلى
أولياءه ومن أحب من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في نفسه وأهله وماله من غير هوان به عليه
ولكن اختبارا منه له ليبلغ بصبره عليه واحتسابه اياه وحسن يقينه منزلته التي أعدها له تبارك
وتعالى من الكرامة عنده وقد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر
عن محمد بن كعب القرظي في قوله رحمة من عندنا وذكرى للعابدين قال أيما مؤمن أصابه بلاء
فذكر ما أصاب أيوب فليقل قد أصاب من هو خير منا نبيا من الانبياء ۞ القول في تأويل قوله
تعالى (واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين)
يعني تعالى ذكره باسمعيل اسمعيل بن ابراهيم صادق الوعد وبادريس أخنوخ وبذي الكفل رجلا
تكفل من بعض الناس اما من نبي واما من ملك من صالحي الملوك بعمل من الاعمال فقام به فأثنى
الله عليه حسن وفائه بما تكفل به وجعله من المعدودين في عباده مع من حمد صبره على طاعة الله
وبالذي قلنا في أمره جاءت الاخبار عن سلف العلماء ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال
ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث ان نبيا من

أجل ما يمدح به المؤمن لانه يدل على الجد والرغبة في الطاعة ويدعوننا رغبا في ثوابنا ورهبا عن عقابنا ومعنى خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وقيل متواضعين وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وفي تقديم الجار والمجرور على خاشعين اشارة الى انهم لا يخشون أحدا الا الله وروى الاعمش عن ابراهيم النخعي انه الذي اذا أرخى ستره وأغلق بابه رأى الله منه خيرا ليس هو الذي يأكل خشنا أي علقا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه ولما فرغ من ذكر الرجال الكاملين ذكر من هي سيدة نساء العالمين فمدحها باحصان فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا حتى انها منعت جبرائيل جيب درعها قبل ان عرفته والنفخ فيها عبارة عن احياء عيسى في بطنها أي نفخنا الروح في عيسى فيها كقول الزامر نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته أو المراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبرائيل لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها وهذا البيان هو المراد في سورة التحريم فلذلك فنفخنا فيه أراد فرج الجيب أو غيره وانما قال وجعلناها وابنها آية للعالمين لانه أراد ان مجموعهما آية واحدة

وهي ولادتها اياه من غير أب * التأويل الاشارات المفهومة من قصص الانبياء أكثرها مر فلنذكر ما يختص بالمقام الانبياء
منها قوله بل فعله كبيرهم أي الله الكبير لان كسر الاصنام ليس من طبيعة الانسانية بل من طبيعتها أن تنحتها فان صدر من أحدهم كسرها
فانما ذلك بتوفيق الله وتأييده فقوله هذا بدل الكل من الضمير في فعله قالوا احرقوه اذا أراد الله أن يكمل عبدا من عباده المخلصين فداه خلقا
عظيما كما لو أراد استكمال حوت في البحر فداه كثيرا من الحيتان الصغار فلما أراد تخليص جسد الخلة من غش البشرية جعل نمرود وقومه

فداءه حتى أجمعوا على تحريقه ولم يعلموا ان تلك النار له نور وذلك العذاب له روح وريحان لان نار العشق قد أحرقت أنانيته حتى لم يرغير الله بل لم يبق الا هو فلم يمكن للنار أن تتصرف فيه فوقع قوله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم تمثيلا لهذا المعنى بالنار خوفنى قومى فقلت لهم النار ترحم من قلبه نار ونجيناه ابراهيم الروح ولوط القلب من أرض البشرية الى أرض الروحانية المتبركة من غير داعى العقل فافسدت الحرث بالافراط والاسراف المشرقة المشرقة بتجلى الذات والصفات ونجيناه من قرية القالب التى كانت تعمل الخبائث

الانبياء قال من تكفل لى ان يصوم النهار و يقوم الليل ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال اجلس ثم عاد فقال من تكفل لى ان يقوم الليل و يصوم النهار ولا يغضب فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال اجلس ثم عاد فقال من تكفل لى ان يقوم الليل و يصوم النهار ولا يغضب فقام ذلك الشاب فقال انا فقال تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب فمات ذلك النبى فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان فى صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيل فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فارسل معه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فارسل معه آخر فقال لا أرضى بهذا فخرج اليه فاخذ بيده فانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب فسمى ذا الكفل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا وهيب قال ثنا داود عن مجاهد قال لما كبر اليسع قال لو أنى استخلفت على الناس رجلا يعمل عليهم فى حياتى حتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يتقبل لى بثلاث استخلفه يصوم النهار و يقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزدريه العين فقال أنا فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب قال نعم قال فردهم ذلك اليوم قال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل ابليس يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم فقال دعونى واياه فاتاه فى صورة شيخ كبير فقير فاتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال ان بينى و بين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا بى وفعلوا فجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة وقال اذا رحت فاتنى آخذ لك بحقك فانطلق و راح فكان فى مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فجعل يبتغيه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس و ينتظره فلا يراه فلما رجع الى القائلة فاخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قعدت فاتنى فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا رحت فاتنى قال ففاتته القائلة فراح فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانى قد شق على النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل وراءك فقال انى قد أتيته أمس فذكرت له أمرى قال والله لقد أمرنا ان لا ندع أحدا يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو فى البيت واذا هو يدق الباب قال واستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم آمرك قال اما من قبلى والله فلم تؤت فانظر من أين أتيت قال فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا هو معه فى البيت فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعييتنى فى كل شئ ففعلت ما ترى لاغضبك فسماه ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله وذا الكفل قال رجل صالح غير نبى تكفل لنبى قومه ان يكفيه أمر قومه و يقيمه لهم و يقضى بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمى ذا الكفل **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه الا انه قال و يقضى بينهم بالحق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

بالاوصاف البهيمية والسبعية وداود الروح وسليمان القلب اذ يحكمان فى شأن حرث الدنيا اذ نفشت أى دخلت فيه فى ظلمة ليل البشرية غنم القوم أى الصفات البشرية من غير راعى العقل فافسدت الحرث بالافراط والاسراف فحكم الروح بانجذابه الى عالمه بالكلية أن يمنع الاوصاف عن التصرف فيها مطلقا ففهمناها سليمان القلب لكونه متقلبا فى طورى الروح والجسد أن يحكم بمنع التصرف فيها الى أن يعود الحرث من حالة الاسراف فيه المؤدى الى الفساد الى حالة التوسط والاعتدال الذى هو المعتبر فى باب الكمال والاكمال جمعا بين المصلحتين ورعاية للجانبين وسخرنا مع داود الجبال وهى الاعضاء والجوارح التى فيها ثقل وكثافة يسبحن بتسبيحه والطير وهن القوى الحيوانية السيارة بل الطيارة بين فضاء القلب والقالب هذا فى الباطن وأما فى الظاهر فاذا استولى سلطان الذكر على أجزاء البدن انعكس نوره فى مرآة القلب الى ما يحاذيها من الجمادات والحيوانات فيذكر ما يذكره كالحصاة سبحت فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة انه قال كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه وعلمناه صنعة لبوس لكم ان الله تعالى ألهم داود الروح كيفية الانة القلب الذى هو فى القساوة بمنزلة الحديد حتى يتولد من ذلك القلب أوصاف حميدة تحصن الانسان من بأس الاعداء التى هى النفس والهوى والشيطان وسخرنا لسليمان القلب ريح الروح الحيوانى فانه مركب الروح الانسانى به يتهيأ له السير الى مقام بوركت له فيه ومن الشياطين وهم الاوصاف النفسية من يغوصون له فى بحر الجسد فيستخرجون درر الفضائل الانسية و يعملون عملا دون ذلك من الوسائط والوسائل الى تلك الفضائل وكنا لهم حافظين من أن يزيغوا عن سواء السبيل و يعدلوا عن جادة الشريعة وقانون الطريقة

قال أهل التحقيق اذا بلغ الانسان مبلغ الرجال البالغين سخر الله له بحسب مقامه السفليات والعلويات كما سخرنا لسليمان الريح والجن والشياطين والطير ومن العلويات الشمس حين ردت لاجل صلاته وسخر لداود عليه السلام الجبال والطير والحديد والاحجار التي قتل بها جالوت وسخر لنبينا جميع السفليات والعلويات حتى قال زويت لي الارض وقال أوتيت مفاتيح خزائن الارض وكان الماء ينبع من بين أصابعه وقال نصرت بالصبا وكانت الاشجار تسلم عليه وتسجد له وتنقلع باشارته من مكانها وترجع الحيوانات تتكلم معه وتشهد بنبوته وقال أسلم شيطاني على يدي وأما من العلويات فقد انشق القمر باشارته وسخر له البراق وجبرائيل وعبر السموات والجنة والنار والعرش والكرسي الى مقام قاب قوسين أو أدنى وأيوب القلب المبتلى بديوان الهواجس والوساوس الذي فارقه أوصافه الحميدة وأخلاقه الشريفة لشدة تألمه بالعلائق البدنية وعوائق الامور الدنيوية فكشفنا ما به من ضر بان قلنا اركض برجلك تفابره وألق ما في عينك لينبع ماء حياة العلم والمعرفة فتسلم من تعلقات الكونين المؤذية للقلب والروح وذا النون الروح اذ ذهب من عالمه مغاضبا لغيره من المجردات فالقي في بحر الدنيا فالتقمه حوت النفس الامارة بالسوء وابتلع حوت النفس حوت القالب فنادى في ظلمات حجب النفس والقالب والدنيا وزكريا الروح وهبنا له يحيى القلب وأصلحنا له زوج القالب ويدعوننا رغبا في الفناء فينا ورهبا من البقاء بانانيتهم وكانوا لنا خاشعين أما القالب فبأعمال الشريعة وأما النفس فبتهذيب الاخلاق وأما القلب فبالاطمئنان بذكر الله وأما السر فباجتهاده في كشف الاسرار وأما الروح فببذل الوجود في طلب المعبود وأما الخفي فبافنائه في الله وبقائه بالله ومريم النفس التي أحصنت قلبها عن تصرفات الكونين فاحييناها بالحياة الابدية (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون

عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال كان في بني اسرائيل ملك صالح فكبر فجمع قومه فقال أيكم يتكفل لي بملكي هذا على أن يصوم النهار ويقوم الليل ويحكم بين بني اسرائيل بما أنزل الله ولا يغضب قال فلم يقم أحد الا فتى شاب فازدراه لحداثة سنه فقال أيكم يتكفل لي بملكي هذا على ان يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب ويحكم بين بني اسرائيل بما أنزل الله فلم يقم الا ذلك الفتى قال فازدراه فلما كانت الثالثة قال مثل ذلك فلم يقم الا ذلك الفتى فقال تعال فخلى بينه وبين ملكه فقام الفتى ليلة فلما أصبح جعل يحكم بين بني اسرائيل فلما انتصف النهار دخل ليقيل فأتاه الشيطان في صورة رجل من بني آدم فجذب ثوبه فقال أتنام والخصوم ببابك قال اذا كان العشية فائتني قال فانتظره بالعشي فلم يأته فلما انتصف النهار ودخل ليقيل جذب ثوبه وقال أتنام والخصوم على بابك قال قلت لك ائتني العشي فلم تأتني ائتني بالعشية فلما كان بالعشي انتظره فلم يأت فلما دخل ليقيل جذب ثوبه فقال أتنام والخصوم ببابك قال أخبرني من أنت لو كنت من الانس سمعت ما قلت قال هو الشيطان جئت لافتنك فعصمك الله مني فقضى بين بني اسرائيل بما أنزل الله زمانا طويلا وهو ذو الكفل سمي ذا الكفل لانه تكفل بالملك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبي موسى الاشعري قال وهو يخطب الناس ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح عند موته كان يصلي لله كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء في كفالته اياه حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو قال أما ذو الكفل فانه كان على بني اسرائيل ملك فلما حضره الموت قال من يكفل لي ان يكفيني بني اسرائيل ولا يغضب ويصلي كل يوم مائة صلاة فقال ذو الكفل أنا فجعل ذو الكفل يقضي بين الناس فاذا فرغ صلى مائة صلاة فكاده الشيطان فأمهله حتى اذا قضى بين الناس وفرغ من صلاته وأخذ مضجعه فنام أتى الشيطان بابه فجعل يدقه فخرج اليه فقال ظلمت وصنع بي وصنع فأعطاه خاتمه وقال اذهب فأتني بصاحبك وانتظره فأبطأ عليه الآخر حتى اذا عرف انه قد نام وأخذ مضجعه أتى الباب أيضا كي يغضبه فجعل يدقه وخدش وجه نفسه فسالت الدماء فخرج اليه فقال مالك فقال لم يتبعني وضربت وفعل فأخذه ذو الكفل وأنكر أمره فقال أخبرني من أنت وأخذه أخذا شديدا قال فأخبره من هو حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وذا الكفل قال قال أبو موسى الاشعري لم يكن ذو الكفل نبيا ولكنه كفل لصلاة رجل كان يصلي كل يوم مائة صلاة فوفى فكفل بصلاته فلذلك سمي ذا الكفل ونصب اسمعيل وادريس وذا الكفل عطفا على أيوب ثم استؤنف بقوله كل من الصابرين ومعنى الكلام كلهم من أهل الصبر فيما نابهم في الله وقوله وأدخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين يقول تعالى ذكره وأدخلنا اسمعيل وادريس وذا الكفل والهاء والميم عائدتان عليهم في رحمتنا انهم من الصالحين يقول انهم ممن صلح فأطاع الله وعمل بما أمره ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد ذا النون يعني صاحب النون والنون الحوت وانما عني بذي النون يونس بن متى وقد ذكرنا قصته في سورة يونس بما أغنى عن ذكره في هذا الموضع وقوله اذ ذهب مغاضبا يقول

حين

واقترب الوعد الحق فاذاهى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وماتعبدون من دون الله حصب
جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لايسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
أولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى
كنتم توعدون يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا (٥٥) علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا فى الزبور
من بعد الذكر أن الارض يرثها
عبادى الصالحون ان فى هذا البلاغا
لقوم عابدين وما أرسلناك الارحمة
للعالمين قل انما يوحى الى أنما الهكم
اله واحد فهل أنتم مسلمون فان
تولوا فقل آذنتكم على سواء وان
أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون
انه يعلم الجهر من القول ويعلم
ماتكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم
ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق
وربنا الرحمن المستعان على
ماتصفون) القراآت وحرم بكسر
الراء حمزة وعلى وعاصم غير حفص
وأبى زيد عن المفضل فتحت
بالتشديد ابن عامر ويزيد ويعقوب
لايحزنهم بضم الياء وكسر الزاء
يزيد تطوى بضم التاء الفوقانية
وفتح الواو والسماء بالرفع يزيد
للكتب على الجمع حمزة وعلى
وخلف وحفص بدأنا مثل أنشأنا
قال بالالف على حكاية قول الرسول
رب بحذف الياء اكتفاء بالكسرة
حفص غير الخراز رب بضم الباء
على انه مبتدأ أحكم على صيغة
التفضيل يزيد عن يعقوب الباقون
رب احكم يصفون على الغيبة
المفضل وابن ذكوان فى رواية
*الوقوف واحدة ز لان المقصود
من قوله وأنا ربكم قوله فاعبدون
وكان الكلام متصلا فاعبدون
ه بينهم ط راجعون ه لسعيه
ج لاختلاف الجملتين كاتبون ه
لايرجعون ه ينسلون ه كفروا ط لاضمار القول ظالمين ه جهنم ط واردون ه ماوردوها ط خالدون ه فيها ط
لايسمعون ه الحسنى لا لان مابعده خبران مبعدون ه لا لان مابعده خبر بعد خبر حسيسها ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف
خالدون ه لا لاحتمال الجملة بعده أن تكون صفة أو استئنافا الملائكة ط لان التقدير قائلين هذا يومكم توعدون ه للكتاب ط لان الجار
يتعلق بما بعده نعيده ط لحق المصدر أى وعدنا وعدا علينا ط فاعلين ه الصالحون ه عابدين ه ط لاختلاف الجملتين العالمين ه

حين ذهب مغاضبا * واختلف أهل التأويل فى معنى ذهابه مغاضبا وعمن كان ذهابه وعلى من
كان غضبه فقال بعضهم كان ذهابه عن قومه واياهم غاضب ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن
سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وذا النون اذ ذهب
مغاضبا يقول غضب على قومه **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال
سمعت الضحاك يقول فى قوله اذ ذهب مغاضبا ما غضبه فكان على قومه * وقال آخرون ذهب
عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما وعدهموه ذكر من قال ذلك وذكر سبب
مغاضبته ربه فى قولهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد
الله بن أبى سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعثه الله يعنى يونس الى أهل قريته فردوا عليه
ماجاءهم به وامتنعوا منه فلما فعلوا ذلك أوحى الله اليه انى مرسل عليهم العذاب فى يوم كذا وكذا
فاخرج من بين أظهرهم فاعلم قومه الذى وعده الله من عذابه اياهم فقالوا ارمقوه فان خرج من بين
أظهركم فهو والله كائن ماوعدكم فلما كانت الليلة التى وعدوا بالعذاب فى صبحها أدلج ورآه القوم
فخرجوا من القرية الى براز من أرضهم وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله فاستقالوه فأقالهم
وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مربه مار فقال مافعل أهل القرية فقال فعلوا ان نبيهم
خرج من بين أظهرهم عرفوا انه صدقهم ماوعدهم من العذاب فخرجوا من قريتهم الى براز من
الارض ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها وعجوا الى الله وتابوا اليه فقبل منهم وأخر عنهم العذاب قال
فقال يونس عند ذلك وغضب والله لا أرجع اليهم كذابا أبدا وعدتهم العذاب فى يوم ثم رد عنهم ومضى
على وجهه مغاضبا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن سعيد بن أبى
الحسن قال بلغنى ان يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان **حدثنا** القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن مجالد بن سعيد عن الشعبى فى قوله
اذ ذهب مغاضبا قال مغاضبا لربه **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن
اسمعيل بن عبد الملك عن سعيد بن جبير فذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة وزاد فيه قال فخرج
يونس ينظر العذاب فلم ير شيأ قال جربوا على كذبا فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر **حدثنا** ابن
حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن وهب بن منبه اليمانى
قال سمعته يقول ان يونس بن متى كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حملت عليه أثقال
النبوة ولها أثقال لايحملها الا قليل تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل فقذفها بين يديه وخرج
هاربا منها يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واصبر لحكم ربك ولا
تكن كصاحب الحوت أى لاتلق أمرى كما ألقاه وهذا القول أعنى قول من قال ذهب عن قومه
مغاضبا لربه أشبه بتأويل الآية وذلك لدلالة قوله فظن أن لن نقدر عليه على ذلك على ان الذين
وجهوا تأويل ذلك الى انه ذهب مغاضبا لقومه انما زعموا انهم فعلوا ذلك استنكارا منهم ان يغاضب
نبى من الانبياء ربه واستعظاما له وهم بقيلهم انه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا فى أمر أعظم مما
أنكروا وذلك ان الذين قالوا ذهب مغاضبا لربه اختلفوا فى سبب ذهابه كذلك فقال بعضهم انما فعل

مافعل من ذلك كراهة ان يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيي منهم ولم يعلم السبب الذى دفع به عنهم البلاء وقال بعض من قال هذا القول كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جربوا عليه الكذب عسى ان يقتلوه من أجل انه وعدهم العذاب فلم ينزل بهم ماوعدهم من ذلك وقد ذكرنا الرواية بذلك فى سورة يونس فكرهنا اعادته فى هذا الموضع * وقال آخرون بل انما غاضب ربه من أجل انه أمر بالمصير الى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه ان ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقيل له الامر أسرع من ذلك ولم ينظر حتى شاء ان ينظر الى أن يأخذ نعلا ليلبسها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا فى خلقه ضيق فقال أعجلنى ربى ان آخذ نعلا فذهب مغاضبا وممن ذكر هذا القول عنه الحسن البصرى **حدثني** بذلك الحرث قال ثنا الحسن بن موسى عن أبى هلال عن شهر بن حوشب عنه * قال أبو جعفر وليس فى واحد من هذين القولين من وصف نبى الله يونس صلوات الله عليه شئ الا وهو دون ماوصفه بما وصفه الذين قالوا ذهب مغاضبا لقومه لان ذهابه عن قومه مغاضبا لهم وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم ليبلغهم رسالته ويحذرهم بأسه وعقوبته على تركهم الايمان به والعمل بطاعته لاشك ان فيه مافيه ولولا انه قد كان صلى الله عليه وسلم أتى ماقاله الذين وصفوه باتيان الخطيئة لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التى ذكرها فى كتابه ويصفه بالصفة التى وصفه بها فيقول لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ويقول فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وقوله فظن أن لن نقدر عليه * اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه فظن أن لن نعاقبه بالتضييق عليه من قولهم قدرت على فلان اذا ضيقت عليه كما قال الله جل ثناؤه ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله * ذكر من قال ذلك **حدثني** على قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فظن أن لن نقدر عليه يقول ظن أن لن يأخذه العذاب الذى أصابه **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فظن أن لن نقدر عليه يقول ظن أن لن نقضى عليه عقوبة ولا بلاء فيما صنع بقومه فى غضبه اذ غضب عليهم وفراره وعقوبته أخذ النون اياه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد انه قال فى هذه الآية فظن أن لن نقدر عليه قال فظن أن لن نعاقبه بذنبه **حدثني** موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن حباب قال ثنى شعبة عن مجاهد ولم يذكر فيه الحكم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فظن أن لن نقدر عليه قال يقول ظن أن لن نعاقبه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والكلبى فظن أن لن نقدر عليه قالا ظن أن لن نقضى عليه العقوبة **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فظن أن لن نقدر عليه يقول ظن ان الله لن يقضى عليه عقوبة ولا بلاء فى غضبه الذى غضب على قومه وفراقه اياهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابن عباس فى قوله فظن أن لن نقدر عليه قال البلاء الذى أصابه * وقال آخرون بل معنى ذلك

واحد ج للاستفهام مع الفاء مسلمون ه على سواء ط لابتداء النفى توعدون ه تكتمون ه حين ه بالحق ط لان مابعده مبتدأ خارج عن المقول ومن قرأ رب احكم توقفه ير وزلنو ع عدول من الواحد يصفون نصف الجزء * التفسير لما فرغ من قصص الانبياء أراد أن يذكر ما استقر عليه أمر الشرائع فى آخر الزمان فقال ان هذه أمتكم وسيرتكم فالامة الدين والطريقة لانه أصل وقانون يرجع اليه وللتركيب دلالة على ذلك وهذا اشارة الى ملة الاسلام أى ان هذه الملة هى طريقتكم وسيرتكم التى يجب أن تكونوا عليها حال (٥٦) كونها طريقة واحدة غير مختلفة وأنا ربكم لا غيرى فاعبدون والخطاب للناس كافة وكان الظاهر أن يقال بعده وتقطعتم أمركم بينكم أى جعلتم أمر دينكم بينكم قطعا كما يقسم الشئ بين الجماعة فيطير لهذا نصيب فصرتم فرقا مختلفة وأحزابا شتى الا انه عدل من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى أمرهم الى غيرهم فيقول ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفرقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت فرقة وان أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة وتخلص فرقة واحدة قالوا يارسول الله ومن الفرقة الناجية قال الجماعة الجماعة فهذا الحديث معسر لا يتمم من حيث ان هذه الامة يجب أن يكونوا على كلمة واحدة فطعن بعضهم فى الحديث انه ان أراد بالاثنين والسبعين فرقة أصول الاديان فلم يبلغ هذا العدد وان أراد الفروع فانها أضعاف هذا العدد وأجيب بانه أراد ستفترق أمتى هذا العدد فى حال وهذا لا ينافى كون العدد فى بعض الاحوال أنقص أو أزيد قال أهل البرهان انما قال فى هذه السورة فاعبدون وتقطعوا بالواو وفى المؤمنين فاتقون فتقطعوا بالفاء لان الخطاب ههنا أعم والعبادة أعم من التقوى وأيضا الخطاب يتناول الكفار وقد وجد منهم التقطع قبل هذا القول وفى سورة المؤمنين الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بدليل قوله ياأيها الرسل كلوا من الطيبات ثم قال فتقطعوا أى ظهر منهم أى من أممهم التقطع بعد هذا القول ولان التقطع منهم أغرب أكده هنالك بقوله زبرا وفى قوله كل الينا راجعون وعيد عظيم للفرق المختلفة ثم فصل مآل حالهم بقوله فمن يعمل الآية والكفران مثل فى حرمان الثواب كما أن الشكر مثل فى

فظن

فظن انه يعجزربه فلايقدرعليه ذكرمن قال ذلك حدثنا ابن بشارقال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن سعيد بن أبى الحسن قال بلغنى ان يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدرعليه قال وكان له سلف وعبادة وتسبيح فابى الله أن يدعه للشيطان فاخذه فقذفه فى بطن الحوت فمكث فى بطن الحوت أربعين من بين ليلة و يوم فامسك الله نفسه فلم يقتله هنالك فتاب الى ربه فى بطن الحوت وراجع نفسه قال فقال سبحانك انى كنت من الظالمين قال فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته بما كان سلف من العبادة والتسبيح فجعله من الصالحين قال عوف و بلغنى انه قال فى دعائه و بنيت لك مسجدا فى مكان لم يبنه أحد قبلى حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فظن أن لن نقدرعليه وكان له سلف من عبادة وتسبيح فتداركه الله بها فلم يدعه للشيطان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الرحمن بن الحرث عن اياس بن معاوية المدنى انه كان اذا ذكر عنده يونس وقوله فظن أن لن نقدرعليه يقول اياس فلم فر * وقال آخرون بل ذلك بمعنى الاستفهام وانما تأويله أفظن أن لن نقدرعليه ذكرمن قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فظن أن لن نقدرعليه قال هذا استفهام وفى قوله فما تغنى النذر قال استفهام أيضا * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى به فظن يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه عقوبة له على مغاضبته ربه وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة لانه لا يجوز ان ينسب الى الكفر وقد اختاره لنبوته ووصفه بأن ظن ان ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه وصف له بانه جهل قدرة الله وذلك وصف له بالكفر وغير جائز لاحد وصفه بذلك وأما ما قاله ابن زيد فانه قول لو كان فى الكلام دليل على أنه استفهام حسن ولكنه لا دلالة فيه على ان ذلك كذلك والعرب لا تحذف من الكلام شيأ لهم اليه حاجة الا وقد أبقت دليلا على أنه مراد فى الكلام فاذا لم يكن فى قوله فظن أن لن نقدر عليه دلالة على ان المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد كان معلوما انه ليس به واذ فسد هذان الوجهان صح الثالث وهو ما قلنا وقوله فنادى فى الظلمات فاختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الظلمات فقال بعضهم عنى بها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون فنادى فى الظلمات قال ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذلك قال أيضا ابن جريج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن أبى سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نادى فى الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين حدثنى محمد بن ابراهيم السلمى قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا محمد بن رفاعة قال سمعت محمد بن كعب يقول فى هذه الآية فنادى فى الظلمات قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فنادى فى الظلمات قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فنادى فى الظلمات قال ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل

اصلا فقال قوله تعالى لا كفران لسعيه مشكورا ثم قال فلا كفران لسعيه لان نفى الجنس أبلغ فان نفى الماهية يستلزم نفى جميع أفرادها قوله وانا له أى لذلك السعى كاتبون مبالغة أخرى فان المثبت فى الصحيفة أبعد من النسيان والغلط كما قيل قيدوا العلم بالكتابة ولا سيما اذا كان الكاتب ممن لا يجوز عليه السهو والنسيان قال المفسرون معناه مافعلون لنجازى عليه وقيل مثبتون فى أم الكتاب أو فى صحف الاعمال هذا حال السعداء وأما أحوال اضدادهم فذلك قوله وحرام ومن قرأ حرم فانه فعل بمعنى مفعول والتركيب يدور على المنع أى ممتنع أو ممنوع وهذا خبر لا بد له من مبتدأ وذلك قوله انهم لا يرجعون أو غير ذلك والرجوع اما الرجوع عن الشرك الى الاسلام أو الرجوع الى الدنيا أو الى الآخرة وعلى الاول اما أن تكون لا زائدة أقحمت للتأكيد ومعنى الآية ممتنع على أهل قرية عزمنا على اهلاكها أو قدرنا اهلاكها أن رجعوا أو يتوبوا الى أن تقوم الساعة والمراد تصميمهم على الكفر واما أن تكون مفيدة ولكن الحرام بمعنى الواجب تسمية لاحد الضدين باسم الآخر باشتراكهما فى المنع الا أن الوجوب منع عن الترك والحرمة منع عن الفعل وقد ورد فى الاستعمال مثل ذلك قال سبحانه قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا وترك الشرك واجب وليس بمحرم وقالت الخنساء

وان حراما لا أرى الدهر باكيا
على شجوه الا بكيت على عمرو

وعلى الثانى فالاهلاك على أصله والمعنى ان رجوعهم الى الدنيا ممتنع أو عدم رجوعهم واجب الى قيام الساعة نظيره قوله فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون وعلى الثالث فقوله حتى غاية لقوله لا يرجعون أى ممتنع عدم رجوع المهلكين الى عذاب الآخرة حتى الساعة وذلك ان رجوعهم الى عذاب النار قبل الساعة واجب بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال أبو مسلم أراد ان رجوعهم الى الآخرة واجب الى هذه الغاية أى انهم يكونون أول الناس حضورا فى محفل القيامة وعلى الرابع فالمعنى وحرام عليهم ذلك وهو المذكور من السعى المشكور وغير المكفور لانهم لا يرجعون عن الكفر الى أن تقوم الساعة قوله تعالى حتى اذا فتحت هى حتى التى يحكى بعدها الجملة وهى ههنا مجموع الشرط والجزاء واذا الفجائية سد مسد فاء الجزاء وقد يجمع بينهما

التفاوت على وصل الجزاء بالشرط فيما كذوا انما احتيج الى هذا التأكيد لان الشرط يحصل فى آخر أيام الدنيا والجزاء انما يحصل يوم القيامة ولعل بينهما فاصلة بالزمان الا أن التفاوت القليل كالمعدوم والمضاف محذوف أى سد يأجوج ومأجوج وتأنيث الفعل لانهما قبيلتان وهما من جنس الانس كما مر فى آخر الكهف يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وفى الحديث ان منكم واحدا ومن يأجوج ومأجوج ألف وهم من كل حدب ينسلون قال أكثر المفسرين الضمير ليأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد وعن مجاهد انه لجميع المكلفين الذين يساقون الى المحشر والحدب ما ارتفع من الارض والنسل الاسراع واقترب عطف على فتحت وهو داخل فى الشرط والوعد الحق القيامة وقوله فاذا هى شاخصة كقوله فى سورة ابراهيم ليوم تشخص فيه الابصار وقال فى الكشاف هى ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره قلت فعلى هذا هى مبتدأ وشاخصة خبره وأبصار بدل هى ولو قيل هى ضمير القصة مبتدأ والجملة التى هى أبصار الذين كفروا شاخصة خبره جاز وهو قول سيبويه ثم ههنا اضمار أى يقولون ياويلنا وهو فى موضع الحال من الذين كفروا والعامل شاخصة قد كنا فى غفلة من هذا الوعد أو الامر بل كنا ظالمين أنفسنا بتلك الغفلة وبتكذيب الرسل وعبادة الاوثان ثم بين حال معبوديهم يوم القيامة فقال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أى تحصبون بها بمعنى تحصبون فيها والحصب الرمى ومنه الحصباء لانه يرمى بها الشئ وقرئ حطب واللام فى قوله أنتم لها واردون كاللام فى قوله هو لزيد ضارب وذلك لضعف عمل اسم الفاعل فيما تقدم عليه والمعنى لابد لكم أن تردوها ولا معدل لكم عن دخولها ثم ألزمهم الحجة بقوله لو كان اسم
هؤلاء المعبودون آلهة فى الحقيقة ما وردوها لكنهم واردوها لخبر الصادق الذى يثبته له صدقه من يتأمل فى اعجازه فينتج ان هؤلاء ليسوا بآلهة وانهم لا يستحق تعظيما أصلا ثم أخبر انهم بعد ورودهم النار لا يخلصون منها أبدا فقال وكل أى من العابدين والمعبودين فيها خالدون لهم فيها زفير قد سبق معانيه فى آخر سورة هود وهم فيها لا يسمعون شيئا مما لانهم يجعلون فى توابيت من نار عن ابن مسعود واما لانه

* وقال آخرون انما عنى بذلك انه نادى فى ظلمة جوف حوت فى جوف حوت آخر فى البحر قالوا فذلك هو الظلمات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبى الجعد فنادى فى الظلمات قال أوحى الله الى الحوت أن لا تضر له لحما ولا عظما ثم ابتلع الحوت حوت آخر قال فنادى فى الظلمات قال ظلمة حوت ثم حوت ثم ظلمة البحر * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن يونس انه ناداه فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ولا شك انه قد عنى باحدى الظلمات بطن الحوت وبالاخرى ظلمة البحر وفى الثالثة اختلاف وجائز أن تكون تلك الثالثة ظلمة الليل وجائز أن تكون كون الحوت فى جوف حوت آخر ولا دليل يدل على أى ذلك من أى فلا قول فى ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل وقوله لا اله الا أنت سبحانك يقول نادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه تائبا من خطيئته انى كنت من الظالمين فى معصيتى اياك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن أبى سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نادى فى الظلمات لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين معترفا بذنبه من خطيئته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال أبو معشر قال محمد بن قيس قوله لا اله الا أنت سبحانك ما صنعت من شئ فلم أعبد غيرك انى كنت من الظالمين حين عصيتك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جعفر بن سليمان عن عوف الاعرابى قال لما صار يونس فى بطن الحوت ظن انه قد مات ثم حرك رجليه فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يارب اتخذت لك مسجدا فى موضع ما اتخذه أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عمن حدثه عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله الى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر عظما فأخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا قال فأوحى الله اليه وهو فى بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ياربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة قال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر قالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه فى الساحل كما قال الله تبارك وتعالى وهو سقيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) يقول تعالى ذكره فاستجبنا ليونس دعاءه ايانا اذ دعانا فى بطن الحوت ونجيناه من الغم الذى كان فيه بحبسناه فى بطن الحوت وغمه بخطيئته وذنبه وكذلك ننجى المؤمنين يقول جل ثناؤه وكما أنجينا يونس من كرب الحبس فى بطن الحوت فى البحر اذ دعانا كذلك ننجى المؤمنين من كربهم اذا استغاثوا بنا ودعونا ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الاثر ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن قال ثنى بشر بن منصور عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

تعالى يقمهم كما يميتهم والصمم فى بعض الاوقات لا ينافى كونهم سامعين أقوال أهل الجنة فى غير ذلك الوقت أو المراد انهم لا يسمعون ما يسرهم أو الضمير للمعبودين والسماع سماع اجابة وعلى هذا فالضمير فى لهم فيها زفير للعابدين وجاز اعتمادا على فهم السامع حيث يرد كلا من الضميرين الى ما يناسبه ما كانه قيل العابد يدعو والمعبود لا يجيب و يجوز أن يكون المعبودين أيضا لان فيهم من يتأتى منه الزفير كالشياطين نغلب أولان الجماد ينطقه الله وتتنفس الزفير يعنى اللبث والله أعلم يروى (٥٩) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد

اسم الله الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال فقلت يارسول الله هى ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين قال هى ليونس بن متى خاصة وللمؤمنين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبناله ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين فهو شرط لمن دعاه بها * واختلفت القراء فى قراءة قوله ننجى المؤمنين فقرأت ذلك قراء الامصار سوى عاصم بنونين الثانية منهما ساكنة من أنجيناه فنحن ننجيه وانما قرؤا ذلك كذلك وكتابته فى المصاحف بنون واحدة لانه لو قرئ بنون واحدة وتشديد الجيم بمعنى مالم يسم فاعله كان المؤمنون رفعا وهم فى المصاحف منصوبون ولو قرئ بنون واحدة وتخفيف الجيم كان الفعل للمؤمنين وكانوا رفعا ووجب مع ذلك أن يكون قوله نجى مكتوبا بالالف لانه من ذوات الواو وهو فى المصاحف بالياء فان قال قائل فكيف كتب ذلك بنون واحدة وقد علمت ان حكم ذلك اذا قرئ ننجى ان يكتب بنونين قيل لان النون الثانية لما سكنت وكان الساكن غير ظاهر على اللسان حذفت كما فعلوا ذلك بالا فحذفوا النون من ان لخفائها اذ كانت مندغمة فى اللام من لا وقرأ ذلك عاصم نجى المؤمنين بنون واحدة وتثقيل الجيم وتسكين الياء فان يكن عاصم وجه قراءته ذلك الى قول العرب ضرب الضرب زيدا فكنى عن المصدر الذى هو النجاء وجعل الخبر اعنى خبر مالم يسم فاعله المؤمنين كانه أراد وكذلك نجى النجاء المؤمنين مكنى عن النجاء فهو وجه وان كان غيره أصوب والا فان الذى قرأ من ذلك على ما قرأه لحن لان المؤمنين اسم على القراءة التى قرأها مالم يسم فاعله والعرب ترفع ما كان من الاسماء كذلك وانما حمل عاصما على هذه القراءة انه وجد المصاحف بنون واحدة وكان فى قراءته اياه على ما عليه قراءة القراء الحاق نون أخرى ليست فى المصحف فظن ان ذلك زيادة ماليس فى المصحف ولم يعرف لحذفها وجها يصرفه اليه * قال أبو جعفر والصواب من القراءة التى لا أستجيز غيرها فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار من قراءته بنونين وتخفيف الجيم لاجماع الحجة من القراء عليه وتخطئتها خلافه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فاستجبناله ووهبناله يحيى وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه رب لا تذرنى وحيدا فردا لا ولد لى ولا عقب وأنت خير الوارثين يقول فارزقنى وارثا من آل يعقوب يرثنى ثم رد الامر الى الله فقال وأنت خير الوارثين يقول الله جل ثناؤه فاستجبنا لزكريا دعاءه ووهبناله يحيى ولدا ووارثا يرثه وأصلحنا له زوجه * واختلف أهل التأويل فى معنى الصلاح الذى عناه الله جل ثناؤه بقوله وأصلحناله زوجه فقال بعضهم كانت عقيما فأصلحها بان جعلها ولودا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا حاتم بن اسمعيل عن حميد بن صخر عن عمار عن سعيد فى قوله وأصلحنا له زوجه قال كانت لا تلد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله وأصلحنا له زوجه قال وهبنا له ولدها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأصلحنا له زوجه كانت عاقرا فجعلها الله ولودا ووهب له منها يحيى * وقال

قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فاخبره الوليد ابن المغيرة بما جرى فقال معترضا أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك وأنزل الله تعالى ان الذين سبقت الآية فخرج من الحديث والآية جواب ابن الزبعرى على أتم وجه وأكمله كانه قيل أولا ان الآية باقية على عمومها لان الذين عبدوا عزيرا والمسيح والملائكة لم يعبدوهم فى الحقيقة وانما عبدوا الشياطين التى دعتهم الى ذلك ولئن سلم انهم عبدوهم فى الحقيقة لكنهم مخصوصون بما سبقت لهم منا الخصلة الحسنى وهى السعادة أو البشرى بالثواب أو بتوفيق الطاعة وكل ميسر لما خلق له ومن المفسرين من أجاب عن اعتراض ابن الزبعرى بوجوه أخر منها ان قوله انكم خطاب لمشركى قريش وانهم لم يعبدوا سوى الاصنام ولقائل أن يقول حمل الآية على العموم أتم فائدة ومنها ان قوله وما تعبدون لا يتناول العقلاء

فيسقط الاعتراض ولقائل أن يقول ما أعم لامبان فيشمل ذوى العقول وغيرهم ولهذا جاء والسماء ومابناها سبحان ما سخركن لنا ومنها انه تعالى يصورلهم فى النار ملكا على صورة من عبدوه وضعف بان القوم لم يعبدوا تلك الصورة وبان الملك لا يتعذب بالنار كخزنة جهنم واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقوله ان الذين لا يبعد أن يكون عاما لكل المؤمنين و يؤيده ماروى أن عليا قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وزعم مثبتو العفو ان الحسنى فى الآية هى الوعد بالعفو

لانه قال أولئك عنها مبعدون بإزاء قوله أنتم لها واردون والورود الدخول فالابعاد الاخراج من النار بعد ان كانوا فيها وأيضا ابعاد
البعيد محال وقوله لايسمعون حسيسها اذ الصوت الذى يحس به مخصوص بما بعد الاخراج وأيضا قوله لايحزنهم الفزع الاكبر
يفهم منه انه يحزنهم الفزع الاصغر فالاكبر عذاب الكفار والاصغر عذاب صاحب الكبيرة والاكثرون على أن المراد من قوله مبعدون
انهم لايدخلون النار ولايقربونها البتة لان ما جعل بعيدا عن شئ ابتداء يحسن أن يقال انه أبعد عنه
وهؤلاء لم يفسروا الورود فى قوله وان منكم الاواردها بالدخول كما مر فى سورة مريم وفى قوله لايسمعون حسيسها تأكيد للابعاد فقد لايدخل النار ويسمع حسيسها ثم بين انهم مع البعد عن المنافى منتفعون بالقرب من الملائم ملتذون به على سبيل التابيد فقال وهم فيما اشتهت به أنفسهم أى فيما تطلبه للالتذاذ به خالدون هذا نصيب أهل الجنة وأما أهل الله فهم فيما اشتهت قلوبهم وأرواحهم وأسرارهم خالدون والفزع الاكبر قبل النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض وعن الحسن هو الانصراف الى النار فانه لافزع أكبر مما اذا شاهدوا النار وهذا أمر يشترك فيه أهل النار جميعا مع مراتب التعذيب بعد ذلك متفاوتة وعن الضحاك وسعيد بن جبير هو حين تطبق النار على أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح فعند ذلك يستقر أهل النار فى النار وأهل الجنة فى الجنة وتستقبلهم الملائكة مهنئين قائلين هذا يومكم أى وقت ثوابكم الذى كنتم توعدون
ذلك قال الضحاك هم الحفظة الذين كتبوا أعمالهم والعامل فى يوم نطوى السماء لايحزنهم أو تتلقاهم معنى
والسجل اسم للطومار الذى يكتب فيه وعن ابن عباس انه ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وهو مروى أيضا عن على رضى الله
عنه وروى أيضا أبو الجوزاء عن ابن عباس انه كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمعروف قال الزجاج هو الرجل بلغة الحبش
فعلى هذه الوجوه فالطى وهو المصدر مضاف الى الفاعل وعلى الوجه الاول هو مضاف الى المفعول والفاعل محذوف كطى الطاوى السجل

آخرون كانت سيئة الخلق فاصلحها الله له بان رزقها حسن الخلق * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أصلح لزكريا زوجه كما أخبر تعالى ذكره بان جعلها ولودا حسنة الخلق لان كل ذلك من معانى اصلاحه اياها ولم يخصص الله جل ثناؤه بذلك بعضا دون بعض فى كتابه ولا على لسان رسوله ولا وضع على خصوص ذلك دلالة فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بان ذلك مراد به بعض دون بعض وقوله انهم كانوا يسارعون فى الخيرات يقول الله ان الذين سميناهم يعنى زكريا وزوجه ويحيى كانوا يسارعون فى الخيرات فى طاعتنا والعمل بما يقربهم الينا وقوله ويدعوننا رغبا ورهبا يقول تعالى ذكره وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا وعنى بالدعاء فى هذا الموضع العبادة كما قال واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا ويعنى بقوله رغبا انهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ورهبا يعنى رهبة منهم من عذابه وعقابه بتركهم عبادته وركوبهم معصيته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا قال رغبا فى رحمة الله ورهبا من عذاب الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويدعوننا رغبا ورهبا قال خوفا وطمعا قال وليس ينبغى لاحدهما ان يفارق الآخر * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار رغبا ورهبا بفتح الغين والهاء من الرغب والرهب واختلف عن الاعمش فى ذلك فرويت عنه الموافقة فى ذلك للقراء وروى عنه انه قرأ رغبا ورهبا بضم الراء فى الحرفين وتسكين الغين والهاء والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار وذلك الفتح فى الحرفين كليهما وقوله وكانوا لنا خاشعين يقول وكانوا لنا متواضعين متذللين ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر التى أحصنت فرجها يعنى مريم بنت عمران ويعنى بقوله أحصنت حفظت ومنعت فرجها مما حرم الله عليها اباحته فيه واختلف فى الفرج الذى عنى الله جل ثناؤه انها أحصنته فقال بعضهم عنى بذلك فرج نفسها انها حفظته من الفاحشة * وقال آخرون عنى بذلك جيب درعها انها منعت جبرئيل منه قبل ان تعلم انه رسول ربها وقبل ان تثبته معرفة قالوا والذى يدل على ذلك قوله فنفخنا فيها ويعقب ذلك قوله والتى أحصنت فرجها قالوا وكان معلوما بذلك ان معنى الكلام والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا * قال أبو جعفر والذى هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال أحصنت فرجها من الفاحشة لان ذلك هو الاغلب من معنييه عليه والاظهر فى ظاهر الكلام فنفخنا فيها من روحنا يقول فنفخنا فى جيب درعها من روحنا وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى معنى قوله فنفخنا فيها فى غير هذا الموضع والاولى بالصواب من القول فى ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله وجعلناها وابنها آية للعالمين يقول وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمى زمانهما يعتبرون بهما ويتفكرون فى أمرهما فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء وقيل آية ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين لان

وهو قول الاكثرون واشتقاقه من السجل الدلو العظيم وقد قرئ به والتركيب يدل على الامتلاء والاجتماع ولهذا لا يسمى الدلو سجلا الا اذا
كان فيه ماء ومنه أسجلت الحوض ملأته وقوله للكتاب أى للكتابة ومعناه ليكتب فيه أو لما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء
ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه المكتوبات أى ما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وكيفية هذا الطى لا يعلمها الا من أخبر عن ذلك أما
قوله كما بدأنا فمن المفسرين من قال انه ابتداء كلام ومنهم من قال انه وصف قوله هذا يومكم الذى كنتم توعدون بقوله يوم نطوى

معنى الكلام جعلناهما علما للناوحجة فكل واحدة منهما فى معنى الدلالة على الله وعلى عظيم قدرته يقوم مقام الآخر اذ كان أمرهما فى الدلالة على الله واحدا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) يقول تعالى ذكره ان هذه ملتكم ملة واحدة وأنا ربكم أيها الناس فاعبدون دون الآلهة والاوثان وسائر ما تعبدون من دونى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أمتكم أمة واحدة يقول دينكم دين واحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد فى قوله ان هذه أمتكم أمة واحدة قال دينكم دين واحد ونصبت الامة الثانية على القطع وبالنصب قرأه جماعة قراء الامصار وهو الصواب عندنا لان الامة الثانية نكرة والاولى معرفة واذا كان ذلك كذلك وكان الخبر قبل مجىء النكرة مستغنيا عنها كان وجه الكلام النصب هذا مع اجماع الحجة من القراء عليه وقد ذكر عن عبد الله بن أبى اسحق رفع ذلك انه قرأه أمة واحدة بنية تكرير الكلام كأنه أراد ان هذه أمتكم أمة واحدة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون) يقول تعالى ذكره وتفرق الناس فى دينهم الذى أمرهم الله به ودعاهم اليه فصار وافيه أحزابا فتهودت اليهود وتنصرت النصارى وعبدت الاوثان ثم أخبر جل ثناؤه عما هم اليه صائرون وان مرجع جميع أهل الاديان اليه متوعدا بذلك أهل الزيغ منهم والضلال ومعلمهم انه لهم بالمرصاد وانه مجاز جميعهم جزاء المحسن باحسانه والمسىء باساءته وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله وتقطعوا أمرهم بينهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتقطعوا أمرهم بينهم قال تقطعوا اختلفوا فى الدين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون) يقول تعالى ذكره فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا فى دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح وأطاعه فى أمره ونهيه وهو مقر بوحدانية الله مصدق بوعده ووعيده متبرئ من الانداد والآلهة فلا كفران لسعيه يقول فان الله يشكر عمله الذى عمل له مطيعا له وهو به مؤمن فيثيبه فى الآخرة ثوابه الذى وعد أهل طاعته ان يثيبهموه ولا يكفر ذلك له فيجحده ويحرمه ثوابه على عمله الصالح وانا له كاتبون يقول ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها فلا نترك منها شيأ لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره * قال أبو جعفر والكفران مصدر من قول القائل كفرت فلانا نعمته فأنا أكفره كفرا وكفرانا ومنه قول الشاعر

من الناس ما تنام خدودهم * وخدى ولا كفران لله نائم

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون) * اختلفت القراء فى قراءة قوله وحرام فقرأته عامة قراء أهل الكوفة وحرم بكسر الحاء وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وحرام بفتح الحاء والالف والصواب من القول فى ذلك انهما قراءتان مشهورتان متفقتا المعنى غير مختلفتيه وذلك ان الحرم هو الحرام والحرام هو الحرم كما الحل هو الحلال والحلال هو الحل فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وكان ابن عباس يقرأه وحرم بتأويل وعزم حدثنى

ثم عقبه بوصف آخر فقال كما بدأنا أول خلق وهو مفعول نعيد الذى يفسره نعيده وما كافة أى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابتداء فى تناول القدرة لهما على السواء فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم ومنهم من قال الاعادة انما تتعلق بالضم والتركيب بعد تفريق الاجزاء الاصلية والآية لا تطابقه كل المطابقة وأول خلق كقولك هو أول رجل أى اذا فضلت رجلا رجلا فهو أولهم وانما خص أول الخلائق بالذكر تصويرا للايجاد عن العدم ودفعا للاعتراض وجوز جار الله أن تنتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أى نعيد مثل الذى بدأنا نعيده وأول خلق ظرف لبدأنا أى أول ما نخلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ وقوله وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيد عدة للاعادة وقيل أراد حتما علينا لسبب الاخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه فان وقوع ما علم الله وقوعه واجب ثم حقق ذلك بقوله انا كنا فاعلين أى سنفعل ذلك لا محالة فانا قادرون عليه عن سعيد بن جبير ومجاهد والكلبى ومقاتل وابن زيد ان الزبور جنس للكتب المنزلة كلها والذكر أم الكتاب يعنى اللوح ففيه كتابة كل ما سيكون
اعتبارا للملائكة وكتب الانبياء كلهم منتسخة منه وعن قتادة ان الزبور هو القرآن والذكر هو التوراة وعن الشعبى ان الزبور هو كتاب داود عليه السلام والذكر التوراة وجوز الامام فخر الدين أن يراد بالذكر العلم أى كتبنا فيه بعد ان كنا عالمين غير ساهين والمراد تحقيق وقوع المكتوب فيه والارض أرض الجنة والعباد الصالحون هم المؤمنون العاملون بما يجب عليهم نظيره قوله وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والسدى وأبو العالية انما ذهبوا الى هذا القول لان أرض الدنيا

ثم الصالح وغير الصالح ولان الآية وردت بعد ذكر الاعادة وعن ابن عباس أيضا فى رواية الكلبى انها أرض الدنيا يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار نظيره وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض وقيل الارض المقدسة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم عند نزول عيسى بن مريم ان فى هذا الذى ذكر فى السورة من الاخبار والوعد والوعيد وغير ذلك لبلاغا لكفاية لقوم عابدين عاملين بما ينبغى عمله من الخيرات بعد ما علموا من كيفية

أدائها والبلاغ ما يبلغ به المرء مطلوبه من الوسائط والوسائل ولا مطلوب أجل من سعادة الدارين فكل من كان وسيلة الى نيل هذا المطلوب على الوجه الاتم الاكمل كان وجوده رحمة من الله للطالب المتحير وما ذاك الا خاتم النبيين فلهذا قال وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وكونه رحمة للكل لا ينافى قتله بعض الكفرة والتعرض لاموالهم وأولادهم كما ان كى بعض أعضاء المريض بل قطعه لا ينافى حذق الطبيب واشفاقه على المريض ومن هنا قيل آخر الدواء الكى والعاقل لا ينسب التقصير الى الفاعل المقصور فى القابل قالت المعتزلة لو كان كفر الكافر بخلق الله لم يكن ارسال الرسول رحمة له لانه لا يحصل له حينئذ الا لزوم الحجة عليه وأجيب بان كونه رحمة للفجار هو انهم أمنوا بسببه عذاب الاستئصال ولا يلزم أن يكون الرسول رحمة للمؤمنين من جهة كونه رحمة للكافرين والجواب المحقق ان كونه رحمة عامة بالنسبة الى أمة الدعوة لا ينافى كونه رحمة خاصة بالنسبة الى أمة الاجابة وهو قريب مما ذكرناه أولا وان الحجة وتبعتها لازمة على الكافر وان لم يبعث النبى آيته انها بعد البعثة ألزم وفى الآية دلالة على ان النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة لانه رحمة لهم فانهم من العالمين وعورض بقوله ويستغفرون لمن فى الارض والاستغفار رحمة والجواب ان الرحمة بمعنى كونه فى نفسه مكملا كاملا فى الغاية غير الرحمة بمعنى الدعاء فلا يلزم ان من كون الاول سببا للافضلية كون الثانى كذلك ثم بين ان أصل تلك الرحمة وأمها هو دعاؤه الى التوحيد والبراءة عن الشرك فقال قل انما يوحى الى ان كانت ما موصولة فمعناه ان الذى يوحى الى هو أن وصفه تعالى مقصور على استئثار الله بالوحدة وذلك ان القصر يكون ابدا لما يلى انما وفى قوله فهل أنتم مسلمون بعث لهم على قبول هذا الوحى الذى هو أصل التكاليف كلها وفيه نوع من التهديد فلذلك صرح به

يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى المعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كان يقرؤها وحرم على قرية قال فقلت لسعيد أى شئ حرم قال عزم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى المعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كان يقرؤها وحرم على قرية قلت لابى المعلى ما الحرم قال عزم عليها حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يقرأ هذه الآية وحرم على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون فلا يرجع منهم راجع ولا يتوب منهم تائب حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة قال وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون قال لم يكن ليرجع منهم راجع حرام عليهم ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا عيسى بن فرقد ثنا جابر الجعفى قال سألت أبا جعفر عن الرجعة فقرأ هذه الآية وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون فكان أبا جعفر وجه تأويل ذلك الى أنه وحرام على أهل قرية أمتناهم ان يرجعوا الى الدنيا والقول الذى قاله عكرمة فى ذلك أولى عندى بالصواب وذلك ان الله تعالى ذكره أخبر عن تفريق الناس دينهم الذى بعث به اليهم الرسل ثم أخبر عن صنيعه بمن عمل بما دعته اليه رسله من الايمان به والعمل بطاعته ثم اتبع ذلك قوله وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون فلان يكون ذلك خبرا عن صنيعه بمن أبى اجابة رسله وعمل بمعصيته وكفر به أحرى ليكون بيانا عن حال القرية الاخرى التى لم تعمل الصالحات وكفرت به فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام حرام على قرية أهلكناهم بطبعنا على قلوبهم وختمنا على أسماعهم وأبصارهم اذ صدوا عن سبيلنا وكفروا بآياتنا ان يتوبوا ويراجعوا الايمان بنا واتباع أمرنا والعمل بطاعتنا واذ كان ذلك تأويل قول الله وحرم وعزم على ما قال سعيد لم يكن لا فى قوله انهم لا يرجعون صلة بل تكون بمعنى النفى ويكون معنى الكلام وعزمنا على قرية أهلكناها أن لا يرجعوا عن كفرهم وكذلك اذا كان معنى قوله وحرم نوجبه وقد زعم بعضهم انها فى هذا الموضع صلة فان معنى الكلام وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا وأهل التأويل الذين ذكرناهم كانوا أعلم بمعنى ذلك منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) يقول تعالى ذكره حتى اذا فتح عن يأجوج ومأجوج وهما أمتان من الامم ردمهما كما حدثنى عصام بن داود بن الجراح قال ثنى أبى قال ثنا سفيان بن سعيد الثورى قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدجال ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا والدخان والدابة ثم يأجوج ومأجوج قلت يا رسول الله وما يأجوج ومأجوج قال أمم كل أمة أربعمائة ألف لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه وهم ولد آدم فيسيرون الى خراب الدنيا يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق فيمرون بأنهار الدنيا فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة الطبرية حتى يأتوا بيت المقدس فيقولون قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من فى السماء فيرمون بالنشاب الى السماء فيرجع نشابهم مخضبة بالدم فيقولون قد قتلنا من فى السماء وعيسى والمسلمون بجبل طور سينين فيوحى الله جل جلاله الى عيسى

تا ثلافان تولوا فقل آ ذنتكم أى أعلمتكم والمراد ههنا أخص من ذلك وهو الانذار على سواء هو الدعاء الى الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم
على سواء الى وقت أى حال كونكم مستوين فى ذلك لا فرق بين القريب والاجنبي والقاصى والدانى والشريف والوضيع ولهذا قال أبو مسلم
الايذان على سواء هو الدعاء الى الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سواء وقيل أراد أعلمتكم ما هو الواجب عليكم من أصول التكاليف ولا
سيما التوحيد على السوية من غير فرق فى الابلاغ بين مكاف ومكاف وان أدرى (٦٣) أقريب ما توعدون أم بعيد والموعود قيل
هو عذاب الآخرة واعترض بانه
ينافى قوله واقترب الوعد الحق
وقيل هو الامر بالقتال لان السورة
مكية وكان الامر بالجهاد بعد
الهجرة وقيل هو اعلاء شأن
الاسلام وغلبة ذويه فانه لابد أن
يلحق الكفار حينئذ ذلة وصغار
ولما أمره أن ينفى عن نفسه علم
الغيب أمره أن يقول لهم ان الله
سبحانه هو العالم بالسر والعلن
فيعلم ما تجاهرون به من المطاعن
فى الاسلام وما تكتمونه فى
صدوركم من الاحن والضغائن
فيجازيكم على القبيلين وان أدرى
لعله أى ما أدرى لعل تأخير هذا
الموعد أو ابهام وقته أو تأخير
الامر بالجهاد امتحان لكم لننظر
كيف تعملون وتمتيع لكم الى حين
حضور وقت الموعد وقال الحسن
لعل ما أنتم عليه من الدنيا ونعيمها
بلية لكم وقيل أراد لعل ما بينت
عليه وأعلمت وأوعدت ابتلاء لكم
لان المعرض عن الايمان مع
البيان حالا بعد حال يكون عذابه
أشد ومعنى رب احكم بالحق اقض
بينى وبين من يكذبنى بالعذاب
قال قتادة أمره الله تعالى أن
يقتدى بالانبياء فى هذه الدعوة
وكانوا يقولون ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق فاستجيب له فعذبوا
ببدر وقال جار الله معنى با
لاتعجلهم وشدد عليهم كما
كما قال اشدد وطأتك على مضر وقيل معناه وافعل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع تنصرنى عليهم كأنه سبحانه قال له قل داعيا
بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان الذى يستعان به على ما تصفون من الشرك والكفر وما تعارض
الاباطيل وكانوا يطمعون أن يكون لهم الغلبة والدولة فقلب الله الامر عليهم وفى هذا الامر تسلية للنبى صلى الله عليه و
حيث أمر بالانقطاع الى الرب فى دفع أذية القوم ليحصل له مع الخلاص من أذيتهم شرف الاستجابة وهذه غاية ال

ان أجوز عبادى بالطور وما يلى ايلة ثم ان عيسى يرفع رأسه الى السماء ويؤمن المسلمون فيبعث الله
عليهم دابة يقال لها النغف تدخل من مناخرهم فيصبحون موتى من حاق الشام الى حاق العراق حتى
تنتن الارض من جيفهم ويأمر الله السماء فتمطر كأفواه القرب فتغسل الارض من جيفهم
ونتنهم فعند ذلك طلوع الشمس من مغربها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن
الربيع عن أبى العالية قال ان يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الانس الضعف وان الجن
يزيدون على الانس الضعف وان يأجوج ومأجوج رجلان اسمهما يأجوج ومأجوج **حدثنا**
ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت وهب بن جابر يحدث
عن عبد الله بن عمرو أنه قال ان يأجوج ومأجوج يمر أولهم بنهر مثل دجلة ويمر آخرهم فيقول
قد كان فى هذا مرة ماء لا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وقال من بعدهم ثلاث
أمم لا يعلم عددهم الا الله تاويل وتاريس وناسك أو منسك شك شعبة **حدثنا** ابن بشار
قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن وهب بن جابر الخيوانى قال سألت عبد الله بن عمرو عن
يأجوج ومأجوج أمن بنى آدم هم قال نعم ومن بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تارس وتاويل
ومنسك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا سهل بن حاتم أبو عتاب قال ثنا سعبة عن النعمان بن سالم قال
سمعت نافع بن جبير بن مطعم يقول قال عبد الله بن عمرو يأجوج ومأجوج لهم أنهار يلقون ما شاؤا
ونساء يجامعون ما شاؤا وشجر يلقمون ما شاؤا ولا يموت رجل الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا **حدثنى**
محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا زكريا عن عامر عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن
سلام قال ما مات أحد من يأجوج ومأجوج الا ترك ألف ذرى فصاعدا **حدثنى** يحيى بن ابراهيم
المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عطية قال قال أبو سعيد يخرج يأجوج
ومأجوج فلا يتركون أحدا الا قتلوه الا أهل الحصون فيمرون على البحيرة فيشربونها فيمر المار
فيقول كأنه كان ههنا ماء قال فيبعث الله عليهم النغف حتى يكسر أعناقهم فيصير واخبالا فتقول
أهل الحصون لقد هلك أعداء الله فيدلون رجلا لينظر ويشترط عليهم ان وجدهم أحياء أن يرفعوه
فيجدهم قد هلكوا قال فينزل الله ماء من السماء فيقذفهم فى البحر فتطهر الارض منهم ويغرس
الناس بعدهم الشجر والنخل وتخرج الارض ثمرتها كما كانت تخرج فى زمن يأجوج ومأجوج
حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبيد الله عن أبى يزيد قال رأى
ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس هكذا يخرج يأجوج ومأجوج
حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو بن قيس قال بلغنا ان ملكا دون الردم يبعث
خيلا كل يوم يحرسون الردم لا يأمن يأجوج ومأجوج ان تخرج عليهم قال فيسمعون جلبة وأمرا
شديدا **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن أبى اسحق ان عبد الله بن عمرو قال
ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له من صلبه ألف وان من ورائهم لثلاث أمم ما يعلم
عددهم الا الله منسك وتاويل وتاريس **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن
قتادة عن عمرو البكالى قال ان الله جزأ الملائكة والانس والجن عشرة أجزاء فتسعة منهم الكروبيون

أمتكم فيه اشارة الى أن السالك اذا عبر المقامات التى ذكرناتصير متفرقات شمله مجتمعة فى الفناء بالله والبقاء به فيكون أمة واحدة فى ذاته كما ان ابراهيم كان أمة فيعرفه الله نفسه ويقول أنا ربكم الذى بلغتكم هذه الرتبة فاعبدون أى فاعرفون وتقطعوا أمرهم فنهم من سكن الى الدنيا ومنهم من سكن الى الجنة ومنهم من فر الى الله كل الينا راجعون أما طالب الدنيا فيرجع الى صورة قهرنا وهى جهنم وأما طالب الآخرة فيرجع الى صورة رحمتنا وهى الجنة وأما الذى يطلبنا فانه يرجع الينا بالحقيقة وانا له كاتبون فى الازل من أهل السعادة حتى اذا فتح سد ياجوج النفس وماجوج الهوى والسد أحكام الشريعة وفتحها بمخالفتها وموافقات الطبع وهم أعنى دواعى النفس من كل معدن شهوة من الحواس الظاهرة والباطنة ينسلون فيفسدون ماعرون عليه من القلب والسر والروح واقترب الوعد اهلاك القلوب الغافلة فاذا هى شاخصة أبصار بصائرها بالانهماك فى الاهواء ان الذين سبقت لهم منا الحسنى العناية الازلية لايسمعون حسيسها أعنى مقالات أهل البدع والاهواء وهم فيما اشتهت أنفسهم المطمئنة المجذوبة بجذبة ارجعى فى مقامات السير فى الله خالدون الفزع الاكبر قوله فى الازل هؤلاء فى النار ولا أبالى يوم نطوى سماء وجود الانسان بتجلى صفات الجلال فى افناء مراتب الوجود من الانتهاء الى الابتداء وذلك قوله كما بدأنا أول خلق نعيده يعنى ان الرجوع يكون بالتدريج كما ان البدء كان بالتدريج خلق النطفة علقة ثم خلق العلقة مضغة ثم خلق المضغة عظاما ثم كسا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ففى الاعادة يجب أن يعبر السالك من الاحساس على الحيوانية ثم النباتية ثم نية ثم البسائط العنصرية نة ثم الروحانية ثم الى بية بجذبة ارجعى الى ربك ولقد كتبنا فى الزبور أى فى أم الكتاب من بعد الذكر أى بعد ان اختلفوا نظيره كن فيكون ان أرض جنة الوجود الحقيقى يرثها عبادى الصالحون وهم الذين طويت سماء وجودهم المجازى نه غير ثابت ولا مستقر كالسماء والوجود الحقيقى لكونه ثابتا ومستقرا على حالة واحدة كالارض لقوم عابدين عارفين م الارحمة للعالمين فلولاك لما خلقت الافلاك أول ماخلق الله روحى ولولا الازل لم تنته الهوية الى الآخر والله أعلم

وهم الملائكة الذين يحملون العرش ثم هم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون قال ومن بقى من الملائكة لامر الله ووحيه ورسالته ثم جزأ الانس والجن عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن لا يولد من الانس ولد الا ولد من الجن تسعة ثم جزأ الانس عشرة أجزاء فتسعة منهم ياجوج وماجوج وسائر الانس جزء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج قال أمتان من وراء ردم ذى القرنين **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن غير واحد عن حميد بن هلال عن أبى الصيف قال سمعت اذا كان عند خروج ياجوج وماجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فؤسهم فاذا كان الليل قالوا نجىء غدا فنخرج فيعيدها الله كما كانت فيجيئون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فؤسهم فاذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجىء غدا فنخرج ان شاء الله فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه فيحفرون ثم يخرجون فتمر الزمرة الاولى بالبحيرة فيشربون ماءها ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا مرة ماء وتفر الناس منهم فلا يقوم لهم شئ يرمون بسهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون غلبنا أهل الارض وأهل السماء فيدعو عليهم عيسى ابن مريم فيقول اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم فاكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف فتفرس رقابهم ويبعث الله عليهم طيرا فتأخذهم بمناقرها فتلقيهم فى البحر ويبعث الله عينا يقال لها الحياة تطهر الارض منهم وتنبتها حتى ان الرمانة ليشبع منها السكن قيل وما السكن يا كعب قال أهل البيت قال فبينا الناس كذلك اذ أتاهم الصريخ ان ذا السويقتين يريده فيبعث عيسى طليعة سبعمائة أو بين السبعمائة والثمانمائة حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة فيقبض الله فيها روح كل مؤمن ثم يبقى عجاج من الناس يتسافدون كما تتسافد البهائم فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه ينتظرها متى تضع فمن تكلف بعد قولى هذا شيأ أو على هذا شيأ فهو المتكلف **حدثنا** العباس بن الوليد البيروتى قال أخبرنى أبى قال سمعت ابن جابر قال ثنى محمد بن جابر الطائى ثم الحمصى ثنى عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمى قال ثنى أبى انه سمع النواس بن سمعان الكلابى يقول ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال وذكر أمره وان عيسى ابن مريم يقتله ثم قال فبيناهو كذلك أوحى الله اليه يا عيسى انى قد أخرجت عبادا لى لا يدى لاحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور فيبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أحدهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ثم ينزل آخرهم ثم يقول لقد كان بهذه ماء مرة فيحاصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى تكون رأس الثور يومئذ خيرا لاحدهم من مائة دينار لاحدكم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى موت نفس واحدة فيهبط نبى الله عيسى وأصحابه فلا يجدون موضعا الا قد ملأه زهمهم ونتنهم ودماؤهم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة وأما قوله وهم من كل حدب ينسلون فان أهل التأويل

(سورة الحج مكية الا قوله هذان خصمان الى صراط الحميد وهى خمسة آلاف ومائة وخمسة وسبعون كلمها ألف ومائتان واحدى وتسعون آياتها ثمان وسبعون) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* *(يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء هذان خصمان اختصموا فى ربهم

اختلفوا فى المعنى به فقال بعضهم عنى بذلك بنو آدم انهم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الارض وانما عنى بذلك الحشر الى موقف الناس يوم القيامة * ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من كل حدب ينسلون قال جمع الناس من كل مكان جاؤا منه يوم القيامة فهو حدب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وهم من كل حدب ينسلون قال ابن جريج قال مجاهد جمع الناس من كل حدب من مكان جاؤا منه يوم القيامة فهو حدب وقال آخرون بل عنى بذلك يأجوج ومأجوج وقوله وهم كناية أسمائهم * ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله انه قال يخرج يأجوج ومأجوج فيمرحون فى الارض فيفسدون فيها ثم قرأ عبد الله وهم من كل حدب ينسلون قال ثم يبعث الله عليهم دابة مثل النغف فتلج فى أسماعهم ومناخرهم فيموتون منها فتنتن الارض منهم فيرسل الله عز وجل ماء فتطهر الارض منهم * والصواب من القول فى ذلك ما قاله الذين قالوا عنى بذلك يأجوج ومأجوج وان قوله وهم كناية عن أسمائهم للخبر الذى حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر عن قتادة الانصارى ثم الظفرى عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الاشهل عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس كما قال الله من كل حدب ينسلون فيغشون الارض حدثنى أحمد بن ابراهيم قال ثنا هشيم بن بشير قال أخبرنا العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر وهو ابن عفان العبدى عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث ذكر عن عيسى ابن مريم قال قال عيسى عهد الى ربى ان الدجال خارج وانه مهبطى اليه فذكر ان معه قضيبين فاذا رآنى أهلكه الله قال فيذوب كما يذوب الرصاص حتى ان الشجر والحجر ليقول يا مسلم هذا كافر فاقتله فيهلكهم الله تبارك وتعالى ويرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون لا يأتون على شئ الا أهلكوه ولا يمرون على ماء الا شربوه حدثنى عبيد بن اسمعيل الهبارى قال ثنا المحاربى عن أصبغ بن زيد عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفان عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وأما قوله من كل حدب فانه يعنى من كل شرف ونشز وأكمة * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل * ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من كل حدب ينسلون يقول من كل شرف يقبلون حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة من كل حدب ينسلون قال من كل أكمة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهم من كل حدب ينسلون قال الحدب الشئ المشرف وقال الشاعر * على الحداب تمور * حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون قال هذا مبتدأ يوم القيامة وأما قوله ينسلون فانه يعنى انهم يخرجون مشاة مسرعين فى مشيهم كنسلان الذئب

فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) القراآت سكرى في الحرفين على تأويل الجماعة حمزة وعلي وخلف ونقرئم نخرجكم بالنصب فيهما المفضل وربأت بالهمزة حيث كان يزيد ليضل بفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب خاسر الدنيا اسم فاعل منصوبا على الحال يعقوب وزيد ثم ليقطع ثم ليقضوا (١٦) بكسر اللام فيهما أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وورش وافق القواس في
ليقضوا و زاد ابن عامر وليوفوا وليطوفوا وقرأ الاعشى وليوفوا بالتشديد وقرأ أبو بكر وحماد وليوفوا بالتشديد وسكون اللام الباقون بالتخفيف والسكون هذان بتشديد النون ابن كثير

* الوقوف ربكم ج على تقدير فات عظيم ◦ شديد ◦ مريد ◦ لالان ما بعده صفة السعير ◦ لنبين لكم ط لان التقدير ونحن نقر ومن قرأ بالنصب لم يقف أشدكم ج لانقطاع النظم في اتحاد المعنى شيأ ط بهيج ◦ قدير ◦ لا للعطف فيها لا القبور ◦ منير ◦ لالان ما بعده حال عن سبيل الله ط الحريق ◦ للعبيد ◦ حرف ج للشرط مع الفاء به لا للعطف مع الفاء مع الاستقلال على وجهه ق الالمن قرأ خاسر الدنيا والآخرة ط المبين ◦ ينفعه ط البعيد ◦ من نفعه ط العشير ◦ الانهار ط ما يريد ◦ ما يغيظ ◦ جنات ط من يريد ◦ يوم القيامة ط شهيد ◦ من الناس ط وقيل يوصل ويوقف على العذاب ط مكرم ط ما يشاء ◦ سجدة في ربهم ز لعطف الجملتين المتفقتين مع أن ما بعده ابتداء بيان حال الفريقين أحدهما فالذين كفروا والثاني ان الله يدخل من نار ج ط الحميم ج ◦ لان ما بعده يصلح استئنافا وحالا أو

كما قال الشاعر عسلان الذئب أمسى قاربا * برد الليل عليه فنسل

القول في تأويل قوله تعالى (واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) يقول تعالى ذكره حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون اقترب الوعد الحق وذلك وعد الله الذي وعد عباده انه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب وهو لا شك حق كما قال جل ثناؤه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو يعني ابن قيس قال ثنا حذيفة لو أن رجلا افتلى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم القيامة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واقترب الوعد الحق قال اقترب يوم القيامة منهم والواو في قوله واقترب الوعد الحق مقحمة ومعنى الكلام حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق وذلك نظير قوله فلما أسلما وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه بغير واو كما قال امرؤ القيس

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى * بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل

يريد فلما أجزنا ساحة الحي انتحى بنا وقوله فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ففي هي التي في قوله فاذا هي وجهان أحدهما أن تكون كناية عن الابصار وتكون الابصار الظاهرة بيانا عنها كما قال الشاعر

لعمر أبيها لا تقول ظعينتي * الا فر عني مالك بن أبي كعب

فكنى عن الظعينة في لعمر أبيها ثم أظهرها فيكون تأويل الكلام حينئذ فاذا الابصار شاخصة أبصار الذين كفروا والثاني أن تكون عمادا كما قال جل ثناؤه فانها لا تعمى الابصار وكقول الشاعر

* فهل هو مرفوع بما ههنا رأس * وقوله ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا يقول تعالى ذكره فاذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحق بأهواله وقيام الساعة بحقائقها وهم يقولون ياويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاين ونزل بنا من عظيم البلاء وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه وذلك يقولون من قوله فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يقولون ياويلنا وقوله بل كنا ظالمين يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجينا من شدائده بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا وطاعتنا ابليس وجنده في عبادة غير الله عز وجل

القول في تأويل قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) يقول تعالى ذكره انكم أيها المشركون بالله العابدون من دونه الاوثان والاصنام وما تعبدون من دون الله من الآلهة كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله انكم وما تعبدون من دون الله يعني الآلهة ومن يعبدها حصب جهنم فقال بعضهم معناه وقود جهنم وشجرها ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله حصب جهنم شجر جهنم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن

وصفا على ان اللام للجنس كما في قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * والجلود ◦ ط حديد ◦ الحريق ◦ [illegible]

* التفسير انه قد انجر الكلام من خاتمة السورة المتقدمة الى حديث الاعادة وما قبلها أو بعدها كوراثة المؤمنين الارض وما معها كطي السماء فلاجرم بدأ الله سبحانه في هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها حثا على التقوى التي هي خير زاد الى المعاد ويدخل في التقوى فعل الواجبات وترك المنكرات ولا يكاد يدخل فيها النوافل لان المكلف لا يخاف بتركها العذاب وانما يرجو بفعلها الثواب ويمكن أن يقال ان

أبيه عن ابن عباس قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يقول وقودها * وقال آخرون بل معناه حطب جهنم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله حصب جهنم قال حطبها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وزاد فيه وفي بعض القراءة حطب جهنم يعني في قراءة عائشة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حصب جهنم قال حطب جهنم يقذفون فيها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن الحر عن عكرمة قوله حصب جهنم قال حطب جهنم * وقال آخرون بل معنى ذلك انهم يرمى بهم في جهنم ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حصب جهنم يقول ان جهنم انما تحصب بهم وهو الرمى يقول يرمى بهم فيها * واختلف في قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار حصب جهنم بالصاد وكذلك القراءة عندنا لاجماع الحجة عليه وروى عن على وعائشة انهما كانا يقرآن ذلك حطب جهنم بالطاء وروى عن ابن عباس انه قرأه حضب بالضاد حدثنا بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا ابراهيم بن محمد عن عثمان بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأها كذلك وكأن ابن عباس ان كان قرأ ذلك كذلك أراد انهم الذين تسجر بهم جهنم ويوقد بهم فيها النار وذلك ان كل ما هيجت به النار وأوقدت به فهو عند العرب حضب لها فاذ كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا وكان المعروف من معنى الحصب عند العرب الرمى من قولهم حصبت الرجل اذا رميته كما قال جل ثناؤه انا أرسلنا عليهم حاصبا كان الاولى بتأويل ذلك قول من قال معناه انهم تقذف جهنم بهم ويرمى بهم فيها وقد ذكر ان الحصب في لغة أهل اليمن الحطب فان يكن ذلك كذلك فهو أيضا وجه صحيح وأما ما قلنا من أن معناه الرمى فانه في لغة أهل نجد وأما قوله أنتم لها واردون فان معناه أنتم عليها أيها الناس أو اليها واردون يقول داخلون وقد بينت معنى الورود فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون وهم مشركو قريش أنتم أيها المشركون وما تعبدون من دون الله واردو جهنم ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها اذ كنتم لها في الدنيا عابدين ولكنها اذ كانت لا نفع عندها لانفسها ولا عندها دفع ضر عنها فهي من أن يكون ذلك عندها أبعد ومن كان كذلك كان بينا بعده من الالوهة وان الاله هو الذي يقدر على ما يشاء ولا يقدر عليه شئ فأما من كان مقدورا عليه فغير جائز أن يكون الها وقوله وكل فيها خالدون يعني الآلهة ومن عبدها انهم ماكثون في النار أبدا بغير نهاية وانما معنى الكلام كلكم فيها خالدون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون قال الآلهة التي عبد القوم قال العابد والمعبود ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون

ترك النوافل قد يفضي الى الاخلال بالواجب فلهذا لا يكاد المتقي يتركها يروى ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع الناس حوله فقرأهما عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومتفكر وهذه الزلزلة هي المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها ومعناها شدة التحريك وتضعيف الحروف دليل على تضعيف المعنى كأنه ضوعف زلزلة الاشياء عن مقارها ومراكزها والاضافة اضافة المصدر الى الفاعل على المجاز الحكمي العائد الى الاسناد في قولك زلزلت الساعة الارض أو الى المفعول فيه على الاتساع فلا مجاز في الحكم لان المراد حينئذ هو ان فاعلها الله في القيامة قاله الحسن وعن الشعبي هي طلوع الشمس عن مغربها فتكون الاضافة بمعنى اللام كقولك اشراط الساعة قالت المعتزلة في الآية دلالة على أن المعدوم شئ لان الله تعالى سمى زلزلة الساعة شيأ مع انها معدومة أجابت الاشاعرة بان المراد هو انها اذا وجدت كانت شيأ عظيما وانتصب يوم ترونها أي الزلزلة بقوله تذهل أي تغفل عن دهشة كل مرضعة وهي التي ترضع بالفعل مباشرة للارضاع وانما يقال لها المرضع من غيرها اذا أريد معنى الاعم وهو انه من شأنها الارضاع بالقوة أو بالفعل كحائض وطالق وفي هذا تصوير لهول الزلزلة كأنه بلغ مبلغا لو ألقمت المرضعة الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الخوف وما في عما أرضعت مصدرية أو موصولة أي عن ارضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وانما قال كل ذات حمل دون كل حامل ليكون نصا في موضع الجنين فان الحمل بالفتح هو ما كان في بطن أو على رأس شجرة والثاني خارج بدليل العقل فبقي الاول قال القفال ذهول المرضعة ووضع ذات الحمل حمله يحتمل أن يكون على جهة التمثيل كقوله يوما يجعل الولدان شيبا وترى الناس أفرد بعد ان جمع لان الزلزلة يراها الناس جميعا وأما السكر الشامل للناس فانه يراه من له أهلية الخطاب بالرؤية وقتئذ ولعله ليس الا النبي صلى الله عليه وسلم قوله سكارى وما هم بسكارى أثبت السكر أولا على وجه التشبيه فان الخوف مدهش كالمسكر ونفاه ثانيا على التحقيق اذ لم يشربوا خمرا وهذه امارة كل مجاز روى أبو سعيد

الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يامرك أن
تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من (٦٨) ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد أنتم فى الناس كالشعرة
السوداء فى جنب الثور الابيض
أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور
الاسود واختلفوا فى أن شدة ذلك
اليوم تحصل لكل واحد أو لاهل
النار خاصة فقيل ان الفزع الاكبر
وغيره يختص باهل النار وان أهل
الجنة يحشرون وهم آمنون وقيل
تحصل للكل ولا اعتراض لاحد على
الله ثم أراد أن يحتج على منكرى
البعث فقدم لذلك مقدمة تشمل
أهل الجدال كلهم فقال ومن
الناس من يجادل نظيره ومن
الناس من يقول وقد مر اعرابه فى
أول البقرة ومعنى فى الله فى شان
الله وفيما يجوز عليه وما لا يجوز من
الصفات والافعال ويفهم من
قوله بغير علم ان المعارف كلها
ليست ضرورية وان المذموم من
الجدال هو هذا القسم وأما الجدال
الصادر عن العلم والتحقيق فمحمود
مامور به فى قوله وجادلهم بالتى
هى أحسن والشيطان المريد
العاتى سمى بذلك لخلوه عن كل خير
وقد مر فى قوله مردوا على النفاق
والمراد ابليس وجنوده أو رؤساء
الكفار الذين يدعون أشياعهم
الى الكفر عن ابن عباس نزلت فى
النضر بن الحرث وكان مجادلا
يقول الملائكة بنات الله والقرآن
أساطير الاولين والله غير قادر على
احياء من بلى وصار ترابا ومعنى
كتب عليه قضى على ذلك الشيطان
أو علم من حاله وظهر وتبين والاول يليق باصول الاشاعرة والثانى باصول الاعتزال وقيل المراد كتب على من يتبع الشيطان الله
ولا يخلو عن تعسف انه من تولى الشيطان أى جعله وليا له أضله عن طريق الجنة وهداه الى النار قال صاحب الكشاف ان الاول فاعل
كتب والثانى عطف عليه وفيه نظر لان من يبقى بلا جواب ان جعلت شرطية وبلا خبر ان جعلت موصولة والصحيح ان قوله فانه مبتدأ أو خبر
محذوف صاحبه والتقدير من تولاه فشأنه انه يضله أو انه يضله ثابت اللهم الا اذا جعلت من موصوفة تقديره كتب على من يتبع الشيطان

ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) يعنى تعالى ذكره بقوله لهم المشركين
وآلهتهم والهاء والميم فى قوله لهم من ذكر كل التى فى قوله وكل فيها خالدون يقول تعالى ذكره لكلهم
فى جهنم زفير وهم فيها لا يسمعون يقول وهم فى النار لا يسمعون وكان ابن مسعود يتأول فى قوله وهم
فيها لا يسمعون ما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن المسعودى عن يونس بن
حباب قال قرأ ابن مسعود هذه الآية لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون قال اذا ألقى فى النار من يخلد
فيها جعلوا فى توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت أخرى ثم جعلت التوابيت فى توابيت
أخرى فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم ان فى النار أحدا يعذب غيره ثم قرأ لهم فيها زفير وهم
فيها لا يسمعون وأما قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فان أهل التأويل
اختلفوا فى المعنى به فقال بعضهم عنى به كل من سبقت له من الله السعادة من خلقه انه عن النار مبعد
ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن
يوسف بن سعد وليس بابن ماهك عن محمد بن حاطب قال سمعت عليا يخطب فقرأ هذه الآية ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون قال عثمان رضى الله عنه منهم * وقال آخرون بل
عنى من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن
عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أولئك عنها مبعدون قال عيسى وعزير والملائكة **حدثنا**
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج قوله انكم
وما تعبدون من دون الله ثم استثنى فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى **حدثنا** ابن حميد قال
ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا قال فى سورة الانبياء انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون
لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ثم استثنى فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها
مبعدون فقد عبدت الملائكة من دون الله وعزير وعيسى من دون الله **حدثنا** أبو كريب قال
ثنا ابن عيان عن أشعث عن جعفر عن سعيد أولئك عنها مبعدون قال عيسى **حدثنى** اسمعيل بن
سيف قال ثنا على بن مسهر قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى قال عيسى وأمه وعزير والملائكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن
اسحق قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يوما مع الوليد بن المغيرة فجاء النضر بن
الحرث حتى جلس معهم وفى المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون
الى قوله وهم فيها لا يسمعون ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبعرى بن قيس
ابن عدى السهمى حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى والله ما قام النضر بن
الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد وقد زعم انا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد

خصص تولى الشيطان فانه كذا أى كتب عليه ذلك وحين نبه فهو ماطى فساد طريقة المجادلين بغير علم خصص المقصود من ذلك والمعنى ان ارتبتم فى البعث فعكم ما يزيل ريبكم وهو ان تنظروا فى بدء خلقكم فبين التراب والنطفة والماء الصافى كماء الفحل لانه ينطف نطفانا أى يسيل سيلا تاما مباينة وكذا بين النطفة والعلقة وهى قطعة الدم الجامد لانه اذذاك تعلق بالرحم وكذا بين العلقة والمضغة وهى قدر ما يمضغ من اللحم ولاريب أن القادر على تقليب الانسان فى هذه الاطوار المتباينة ابتداء (٦٩) قادر على اعادته الى أحد هذه الاطوار بل هذه أدخل فى القدرة وأهون فى القياس قال الجوهرى المخلقة التامة الخلق وقال قتادة والضحاك أراد انه يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فلذلك يتفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصهم وقال مجاهد المخلقة الولد يخرج حيا وغير المخلقة السقط لانه لم يتوارد عليها خلق بعد خلق وقيل المخلقة المصورة وغير المخلقة ضدها وهو الذى يبقى لحما من غير تخطيط وشكل ويناسبه ما روى علقمة عن عبد الله قال اذا وقعت النطفة فى الرحم بعث الله ملكا فقال يارب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة مجتها الارحام دما وان قال مخلقة قال يارب فما صفتها أذكر أم أنثى ما رزقها وأجلها أشقى أم سعيد فيقول سبحانه انطلق الى الكتاب فاستنسخ منه هذه النطفة فينطلق الملك فينسخها فلا يزال معه حتى يأتى آخر صفتها وقوله لنبين لكم غاية لقوله خلقناكم أى انما نقلناكم من حال الى حال ومن طور الى طور لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وفى ورود الفعل غير معدى الى المبين اشعار بان ذلك المبين مما لا يكتنه كنهه ولا يحيط به الوصف وقيل أراد ان كنتم فى ريب من البعث فانا نخبركم انا خلقناكم من كذا وكذا لنبين لكم ما يزيل ريبكم فى أمر بعثكم فان القادر على هذه الاشياء كيف يعجز عن الاعادة ولما بين كيفية خلق الانسان بالتدريج الى أن تتكامل أعضاؤه أراد أن يبين ان من الابدان ما تمجه الارحام ومنها ما تنطوى هى عليه الى كمال النضج والتربية فاسقط القسم الاول اكتفاء بالثانى فاستأنف قائلا ونقر فى الارحام ما نشاء ان نقره من ذلك الى أجل مسمى هو كمال ستة أشهر الى أربع سنين غايتها عرفت بالاستقراء ثم نخرجكم أى كل واحد منكم طفلا أو الغرض الدلالة على الجنس فاكتفى بالواحد ثم لتبلغوا

الله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا أكل من عبد من دون الله فى جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم فعجب الوليد ابن المغيرة ومن كان فى المسجد من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا انه قد خاصم واحتج فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده انما يعبدون الشياطين ومن أمرهم بعبادته فانزل الله عليه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون الى خالدون أى عيسى ابن مريم وعزير ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله فانزل الله فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة وانها بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الى قوله نجزى الظالمين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا أبو عبيد قال سمعت الضحاك يقول ناس من الناس ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون يعنى من الناس أجمعين فليس كذلك انما يعنى من يعبد من الآلهة وهو لله مطيع مثل عيسى وأمه وعزير والملائكة واستثنى الله هؤلاء من الآلهة المعبودة التى هى ومن يعبدها فى النار حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا الحسن بن الحسين الاشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال المشركون فان عيسى يعبد وعزير والشمس والقمر يعبدان فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لعيسى وغيره * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال عنى بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ما كان من معبود كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع وعابدوه بعبادتهم اياه بالله كفار لان قوله تعالى ذكره ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ابتداء كلام محقق لامر كان ينكره قوم على نحو الذى ذكرنا الخبر عن ابن عباس فكأن المشركين قالوا لنبى الله صلى الله عليه وسلم اذ قال لهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ما الامر كما تقول لانا نعبد الملائكة ويعبد آخرون المسيح وعزيرا فقال عز وجل ردا عليهم قولهم بل ذلك كذلك وليس الذين سبقت لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون لانهم غير معنيين بقولنا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فاما قول الذين قالوا ذلك استثناء من قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فقول لا معنى له لان الاستثناء انما هو اخراج المستثنى من المستثنى منه ولا شك ان الذين سبقت لهم منا الحسنى انما هم اما ملائكة واما انس أو جان وكل هؤلاء اذا ذكرتها العرب فان أكثر ما تذكرها بمن لا بما والله تعالى ذكره انما ذكر المعبودين الذين أخبر انهم حصب جهنم بما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انما أريد به ما كانوا يعبدونه من الاصنام والآلهة من الحجارة والخشب لا من كان من الملائكة والانس فاذا كان ذلك كذلك لما وصفنا فقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى جواب من الله للقائلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ وأما الحسنى فانها الفعلى من الحسن وانما عنى بها السعادة السابقة من الله لهم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الذين

شيأ بعد شيء لتبلغوا أشدكم ومن قرأ ونقر بالنصب فمعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغايتين احداهما أن نبين قدرتنا والثانية ان نقر في
الارحام من نقر حتى تولدوا وتنسلوا وتبلغوا حد التكليف والاشد كمال القوة والتمييز كانه شدة في غير شيء واحد فلذلك بني على لفظ الجمع قوله
ومنكم من يرد الى أرذل العمر وقد مر في النحل شبهه فليرجع اليه ثم أكد أمر البعث بالاستدلال من حال النبات أيضا فقال وترى أي
تشاهد أيها المستحق للخطاب الارض حال كونها هامدة ميتة يابسة لانباتها والتركيب يدل على ذهاب ما به قوام الشيء
ور واؤه من ذلك همدت النار
همودا طفئت وذهبت بكليتها
وهمد الثوب همودا بلي فاذا
أنزلنا عليها الماء اهتزت تحركت ولا
يكاد يستعمل الاهتزاز الا في حركة
تصدر عن سرور ونشاط وربت
انتفخت وزادت كما مر في قوله
زبدا رابيا وذلك في الرعد والمراد
كمال تهيئ الارض لظهور النبات
منها ومن قرأ بالهمزة فمعناه ارتفعت
من قولهم ربأ القوم اذا كان لهم
طليعة فوق شرف ثم أشار الى كمال
حاله في الظهور بقوله وأنبتت من
كل زوج أي بعض من كل صنف
بهيج والبهيج النضارة وحسن
الحال ولهذا قال المبرد هو الشيء
المشرق الجميل واسناد الانبات الى
الارض مجاز لان المنبت بالحقيقة
هو الله ذلك الذي ذكرنا من خلق
بني آدم واحياء الارض مع ما في
تضاعيف ذلك من عجائب الصنع
وغرائب الابداع حاصل بأمور
خمسة الاول ان الله هو الحق الثابت
الذي لا يزول ملكه وملكه لا حق
في الحقيقة الا هو فما سواه يكون
مستندا الى خلقه وتكوينه
لا محالة الثاني انه من شأنه احياء
الموتى الثالث انه على كل شيء قدير
وهذا كالبيان لما تقدمه فان
القادر على كل شيء ممكن قادر
لا محالة على احياء الموتى لانه من
جملة الممكنات وبيان امكانه ظاهر
فان كل ما جاز على شيء في وقت ما جاز عليه في سائر الاوقات اذ لو امتنع فاما لغيره فالاصل عدمه واما لذاته وهذا يقتضي
أن لا يتصف به أولا فان مما بالذات لا يزول بالغير الرابع والخامس قوله وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وقال في
الكشاف معناه انه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد قلت ان هذا التفسير غير واف فلقائل أن يقول
تفاصيل الآيات يرجع الى قولنا ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم بالتدريج وأحيينا الارض بسبب انا وعدنا الساعة وعدنا صادق

سبقت لهم منا الحسنى قال الحسنى السعادة وقال سبقت السعادة لاهلها من الله وسبق الشقاء
لاهله من الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم
خالدون) يقول تعالى ذكره لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حسيس النار ويعني
بالحسيس الصوت والحس فان قال قائل فكيف لا يسمعون حسيسها وقد علمت ما روي من أن جهنم
يؤتى بها يوم القيامة فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه خوفا منها قيل
ان الحال التي لا يسمعون فيها حسيسها هي غير تلك الحال بل هي الحال التي **حدثني** محمد بن سعد
قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يسمعون حسيسها
وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون يقول لا يسمع أهل الجنة حسيس النار اذا نزلوا منازلهم من الجنة
وقوله وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون يقول وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ماكثون
فيها لا يخافون زوالا عنها ولا انتقالا عنها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لا يحزنهم الفزع
الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) * اختلف أهل التأويل في الفزع
الاكبر أي الفزع هو فقال بعضهم ذلك النار اذا أطبقت على أهلها ذكر من قال ذلك **حدثنا**
أبو هشام قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير
لا يحزنهم الفزع الاكبر قال النار اذا أطبقت على أهلها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال
ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر قال حين تطبق جهنم وقال حين ذبح الموت
* وقال آخرون بل ذلك النفخة الآخرة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني
أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر يعني النفخة
الآخرة * وقال آخرون بل ذلك حين يؤمر بالعبد الى النار ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن
حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن رجل عن الحسن لا يحزنهم الفزع الاكبر قال انصراف العبد حين
يؤمر به الى النار * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال ذلك عند النفخة الآخرة وذلك
ان من لم يحزنه ذلك الفزع الاكبر وأمن منه فهو مما بعده أحرى ان لا يفزع وان من أفزعه ذلك
فغير مأمون عليه الفزع مما بعده وقوله وتتلقاهم الملائكة يقول وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم
يقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون فيه الكرامة من الله والحباء الجزيل من الثواب على ما كنتم
تنصبون في الدنيا لله في طاعته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن زيد **حدثني** يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هذا يومكم الذي كنتم توعدون قال هذا قبل ان يدخلوا الجنة
۞ القول في تأويل قوله تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده
وعدا علينا انا كنا فاعلين) يقول تعالى ذكره لا يحزنهم الفزع الاكبر يوم نطوي السماء فيوم
من صلة يحزنهم * واختلف أهل التأويل في معنى السجل الذي ذكره الله في هذا الموضع فقال
بعضهم هو اسم ملك من الملائكة ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان
قال ثنا أبو الوفاء الاشجعي عن أبيه عن ابن عمر في قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب قال
السجل ملك فاذا صعد بالاستغفار قال اكتبها نورا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا
سفيان

سفيان قال سمعت السدى يقول فى قوله يوم نطوى السماء كطى السجل قال السجل ملك * وقال آخرون السجل رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا نصر ابن على قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى هذه الآية يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب قال كان ابن عباس يقول هو الرجل قال ثنا نوح ابن قيس قال ثنا يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال السجل كاتب كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل هو الصحيفة التى يكتب فيها ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كطى السجل للكتاب يقول كطى الصحيفة على الكتاب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب يقول كطى الصحف حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال السجل الصحيفة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب قال السجل الصحيفة * وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصواب قول من قال السجل فى هذا الموضع الصحيفة لان ذلك هو المعروف فى كلام العرب ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل ولا فى الملائكة ملك ذلك اسمه فان قال قائل وكيف تطوى الصحيفة بالكتاب ان كان السجل صحيفة قيل ليس المعنى كذلك وانما معناه يوم نطوى السماء كطى السجل على ما فيه من الكتاب ثم جعل نطوى مصدرا فقيل كطى السجل للكتاب واللام فى قوله للكتاب بمعنى على * واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار سوى أبى جعفر القارئ يوم نطوى السماء بالنون وقرأ ذلك أبو جعفر يوم يطوى السماء بالياء وضمها على وجه ما لم يسم فاعله * والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار بالنون لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وأما السجل فانه فى قراءة جميعهم بتشديد اللام وأما الكتاب فان قراء أهل المدينة و بعض أهل الكوفة والبصرة قرؤا بالتوحيد كطى السجل للكتاب وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة للكتب على الجماع * وأولى القراءتين عندنا فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه على التوحيد للكتاب لما ذكرنا من معناه فان المراد منه كطى السجل على ما فيه مكتوب فلا وجه اذ كان ذلك معناه لجمع الكتب الا وجه نتبعه من معروف كلام العرب وعند قوله كطى السجل انقضاء الخبر عن صلة قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر ثم ابتدأ الخبر عما الله فاعل بخلقه يومئذ فقال تعالى ذكره كما بدأنا أول خلق نعيده فالكاف التى فى قوله كما من صلة نعيد تقدمت قبلها ومعنى الكلام نعيد الخلق عراة حفاة غرلا يوم القيامة كما بدأناهم أول مرة فى حال خلقناهم فى بطون أمهاتهم على اختلاف من أهل التأويل فى تأويل ذلك * و بالذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل و به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك اخترت القول به على غيره ذكر من قال ذلك والاثر الذى جاء فيه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن

هذا كلام غير منتظم فى الظاهر كما ترى ولو صح هذا لاستغنى عن التطويل بان يقال مثلا لا تشكوا فى أمر البعث فانه كائن لا محالة والذى يسنح لى فى تفسيره انه سبحانه أزال الشك فى أمر البعث بقوله ان كنتم فى ريب من البعث فزيل ريبكم هذان الاستدلالان ثم كان السائل أن يسال لم خلق الانسان وما يترتب عليه معاشه فاجيب بان لهذا الشان وهو خلق الانسان أسبابا فاعلية وأسبابا غائية أما الاولى فهى انه تعالى واجب الوجود الحق وانه قادر على كل مقدور لاسيما احياء الموتى الذى استدللنا عليه لانه أهون وان قدرته لا تظهر الا اذا تعلقت بالمقدور فكمال القدرة بالفعل هو أن يتعلق بكل مقدور يصح فى القسمة العقلية وهذا النوع من المقدور كان ثابتا فى القسمة لانه واسطة بين العالم العلوى والعالم السفلى وله تعلق بالطرفين وانجذاب الى القبيلين فوجب فى الحكمة والقدرة ايجاده ثم ايجاد ما يتوقف عليه بقاؤه واستكماله وأما علته الغائية فهى ان داره الاولى كانت دار تكليف وقد هيأ له دارا أخرى لاجل الجزاء وذلك لا يحصل الا بالبعث والنشور ولعل هذا الموضع مما لم يفسره على هذا الوجه غيرى أرجو أن يكون صوابا والله تعالى أعلم بمراده قوله ومن الناس من يجادل عن ابن عباس انه أبو جهل وقيل هو النضر أيضا وكرر للتأكيد كما كرر سائر الاقاصيص وقال أبو مسلم الاول فى المقلدين فانهم قد يجادلون تصويبا لتقليدهم وهذا فى المقلدين المتبوعين بدليل قوله ليضل عن سبيل الله قال العلماء أراد بالعلم العلم الضرورى و بالهدى النظرى من العلم لانه يهدى الى المعرفة و بالكتاب المنير العلم السمعى المتعلق بالوحى قال بعض أهل اللغة العطف المنكب وقال الجوهرى عطفا الرجل جانباه من لدن رأسه الى وركه و يقال فلان ثنى عطفه عنى أى أعرض وقيل هو عبارة عن الكبر والخيلاء كلى الجيد قال جار الله لما أدى جداله الى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه بالباطل جعل كالخارج بالجدال وفسر الخزى ههنا بما أصابه يوم بدر ذلك الذى منى به شئ من خزى الدنيا وعذاب الآخرة هو بما قدمت يداه و باقى مباحث الآية قد سلف فى آخر آل عمران ثم أخبر عن شقاق أهل النفاق بقوله ومن الناس من يعبد الله

على حرف أى على طرف من الدين لافى وسطه فهذا مثل لكونه مضطربا فى أمر الدين غير ثابت القدم كالذى يكون على طرف العسكر ينهزم بادنى سبب وباقى الآية تفصيل لهذا الاجمال قال الكلبى نزلت فى أعاريب قدموا المدينة فكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن به وقروان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب عن دينه الذى أظهره بلسانه وكفر وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة وقيل نزلت فى المؤلفة قلوبهم منهم الاقرع بن حابس والعباس بن مرداس وعن أبى سعيد الخدرى ان رجلا من اليهود أسلم فاصابته مصائب كذهاب البصر والمال والولد فتشاءم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أقلنى فقال ان الاسلام يسبك كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة والاسلام لا يقال ونزلت الآية والفتنة ههنا مخصوصة بالابتلاء بالشرور والآلام لوقوعها فى مقابلة الخير وهذا على الاستعمال الغالب والا فالخير أيضا قد يكون سببا للابتلاء كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة ثم حكى حاله فى الدارين بقوله خسر الدنيا والآخرة أما خسران الدنيا بعد ان أصابه ما أصاب ففقدان العزة والكرامة والغنيمة وأهلية الشهادة والامامة والقضاء وكون عرضه وماله ودمه مصونة وأما الآخرة فحرمان الثواب وحصول العقاب أبد الآباد ولا خسران أبين من هذا نعوذ بالله منه وفى قوله يدعو من دون الله الآية فيه بحث لفظى وبحث معنوى أما الاول فهو أن يدعو بمعنى يقول والجملة بعده محكية ومن موصولة أو موصوفة وعلى التقديرين هو مع تمامه مبتدأ ما بعده وهو لبئس المولى خبره واللام الثانية فى الخبر لتأكيد اللام الاولى وهذا حسن بخلاف قوله أم الحليس لعجوز فانه أدخل لام الابتداء فى الخبر على سبيل الاستقلال ويجوز أن يكون يدعو تكرارا للاول وما بعده جملة مستأنفة على الوجه المذكور وفى حرف عبد الله من ضره بغير لام ووجهه ظاهر وعلى هذا يكون قوله لبئس المولى جملة مستقلة والمولى الناصر والعشير المعاشر أى الصاحب وأما البحث المعنوى فهو انه نفى الضر والنفع عن الاصنام أولا ثم أثبتهما لها ثانيا حين قال ضره أقرب من نفعه فما وجه ذلك والجواب ان المقصود فى الآية الثانية

قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أول خلق نعيده قال حفاة عراة غرلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أول خلق نعيده قال حفاة غلفا قال ابن جريج أخبرنى ابراهيم بن ميسرة انه سمع مجاهدا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحدى نسائه يأتونه حفاة عراة غلفا فاستترت بكم درعها وقالت واسوأتاه قال ابن جريج أخبرت انها عائشة قالت يا نبى الله والله لا يحتشم الناس بعضهم بعضا قال لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنى المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة غرلا فاول من يكسى ابراهيم ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين حدثنا ابن بشار قال ثنا اسحق بن يوسف قال ثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فذكر نحوه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان النخعى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن شعبة قال ثنا المغيرة بن النعمان النخعى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه حدثنا عيسى بن يوسف بن الطباع أبو يحيى قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يخطب فقال انكم ملاقوا الله مشاة غرلا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى عجوز من بنى عامر فقال من هذه العجوز يا عائشة فقلت احدى خالاتى فقالت ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال ان الجنة لا يدخلها العجز قالت فاخذ العجوز ما أخذها فقال ان الله ينشئهن خلقا غير خلقهن ثم قال يحشرون حفاة عراة غلفا فقالت حاش لله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ان الله قال كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا الى آخر الآية فاول من يكسى ابراهيم خليل الله حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عطاء عن عقبة بن عامر الجهنى قال يجمع الناس فى صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى حفاة عراة كما خلقوا أول يوم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة مشاة غرلا قلت يا أبا عبد الله ما الغرل قال الغلف فقال بعض أزواجه يا رسول الله أينظر بعضنا الى بعض الى عورته فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ما يشغله عن النظر الى عورة أخيه قال هلال قال سعيد بن جبير ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة قال كيوم ولدته أمه يرد عليه كل شئ انتقص منه مثل يوم ولد * وقال آخرون بل معنى ذلك كما كنا ولا شئ غيرنا قبل أن نخلق شيأ كذلك نهلك الاشياء فنعيدها فانية حتى لا يكون شئ سوانا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس كما بدأنا أول خلق نعيده الآية قال نهلك كل شئ كما كان أول مرة وقوله وعدا علينا يقول وعدناكم ذلك وعدا حقا علينا ان نوفى بما وعدنا انا

كنا

رؤساؤهم الذين كانوا يفزعون اليهم فى الشدائد مستصوبين آراءهم لان وصف المولى والعشير لا يليق الا بالرؤساء سلمنا انه أراد فى الموضعين الاصنام الا أنه أثبت الضر لها بمجاز الانها سبب الضلال الذى هو سبب عذاب النار نظيره رب انهن أضللن كثيرا من الناس وأثبت لها النفع بناء على معتقدهم انها شفعاؤهم عند الله والمراد يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى أثر الشفاعة لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ذلك أو أراد يدعو من دون الله ما لا يضره (٧٣) وما لا ينفعه ثم قال ضره بكونه معبودا أقرب

كنا فاعلين ما وعدنا كم من ذلك أيها الناس لانه قد سبق فى حكمنا وقضائنا ان نفعله على يقين بان ذلك كائن واستعدوا وتأهبوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون) * اختلف أهل التأويل فى المعنى بالزبور والذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بالزبور كتب الانبياء كلها التى أنزلها الله عليهم وعنى بالذكر أم الكتاب التى عنده فى السماء ذكر من قال ذلك حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش قال سألت سعيدا عن قول الله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال الذكر الذى فى السماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن الاعمش عن سعيد بن جبير فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال قرأها الاعمش الزبر قال الزبور والتوراة والانجيل والقرآن من بعد الذكر قال الذكر الذى فى السماء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الزبور قال الكتاب من بعد الذكر قال أم الكتاب عند الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الزبور قال الكتاب بعد الذكر قال أم الكتاب عند الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور قال الزبور الكتب التى أنزلت على الانبياء والذكر أم الكتاب الذى تكتب فيه الاشياء قبل ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال كتبنا فى القرآن من بعد التوراة * وقال آخرون بل عنى بالزبور الكتب التى أنزلها الله على من بعد موسى من الانبياء وبالذكر التوراة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر الآية قال الذكر التوراة والزبور الكتب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر الآية قال الذكر التوراة ويعنى بالزبور من بعد التوراة الكتب * وقال آخرون بل عنى بالزبور زبور داود وبالذكر توراة موسى صلى الله عليهما ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر انه قال فى هذه الآية ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال زبور داود من بعد الذكر ذكر موسى التوراة حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن الشعبى انه قال فى هذه الآية ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال فى زبور داود من بعد ذكر موسى * وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب فى ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما فى ذلك من أن معناه ولقد كتبنا فى الكتب من بعد أم الكتاب الذى كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السموات والارض وذلك ان الزبور هو الكتاب يقال منه زبرت الكتاب وزبرته اذا كتبته وان كل كتاب أنزله الله الى نبى من أنبيائه فهو ذكر فاذ كان ذلك كذلك فان فى ادخاله الالف واللام فى الذكر الدلالة البينة انه يعنى به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية ولو كان ذلك غير أم الكتاب التى ذكرنا لم تكن التوراة باولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف ابراهيم فقد كان قبل زبور داود فتأويل

من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى ثم لما بين حال المنافقين والمشركين اتبعها حال المؤمنين الذين معبودهم قادر على ايصال كل المنافع فقال ان الله يدخل الآية قالت الاشاعرة فى قوله ان الله يفعل ما يريد دليل على انه خالق الايمان وفاعله لانه يريد الايمان من العبد بالاتفاق أجاب الكعبى بانه يفعل ما يريده لا ما يريد ان يفعله غيره ورد بان ما يريد أعم من قولنا ما يريده من فعله وما يريد من فعل غيره قوله سبحانه من كان يظن ان لن ينصره الله فى هذا الضمير وجهان الاول وهو قول ابن عباس والكلبى ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدى واختيار الفراء والزجاج انه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم للعلم به لان ذكر الايمان يدل على الايمان بالله ورسوله وعلى هذا فالظان من هو قيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطؤن النصر فنزلت وعندى فى هذا القول بعد وعن مقاتل نزلت فى نفر من أسد وغطفان قالوا نخاف ان الله لا ينصر محمدا فينقطع الذى بيننا وبين حلفائنا من اليهود والاولى العموم وكان حساده وأعداؤه يتوقعون أن لا ينصره الله وان الله لا يغلبه على أعدائه فحين شاهدوا ان الله ينصره غاظهم

ذلك والسبب الحبل والسماء سماء البيت والقطع الاختناق لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه والمراد من كان يظن من حاسديه ان الله تعالى يفعل خلاف النصر والظفر وكان يغيظه نصرة الله اياه فليستفرغ جهده فى ازالة ما يغيظه وليس ذلك الا بان يمد حبلا الى سماء بيته ثم يشده فى عنقه ويختنق فى عنقه وليصور فى نفسه انه ان يفعل ذلك هل يذهبن كيده ما يغيظه سمى فعله كيدا حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده وانما كاد به نفسه والحاصل ليس فى يده

الاماليس بذهب لما يغيظ ومنهم من قال السماء هي المظلة لان الاختناق حينئذ أبعد عن الامكان فيكون أصعب فيصرف الحاسد عن الغيظ
الى طاعة الله ورسوله ومنهم من قال مع ذلك ان القطع هو قطع المسافة أي فليصعد على الحبل الى السماء والغرض تصوير مشقة من غير
فائدة أو القطع قطع الوحي أو النصر أي فليصعدوا ليقطع الوحي أن ينزل عليه أو النصر أن يأتيه الوجه الثاني أن الضمير عائد الى من والنصر
الرزق قال أبو عبيدة وقف علينا سائل من بني بكر فقال من ينصرني ينصره الله أي من يعطيني مما أعطاه الله ووجه النظم من
كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا
والآخرة فلهذا الظن يعدل عن
التمسك بدين محمد وينقلب على
وجهه كما مر فليبلغ غاية الجزع
وهو الاختناق أو غير ذلك مما
عددنا فان الله لا يغلبه مرزوق وحين
بين الاحوال وضرب الامثال أشار
الى هذا المذكور بلفظ البعيد
اما للتعظيم واما لان كل ما دخل في
حيز الذكر وحصل في حيز كان
فهو في حكم البعيد فقال وكذلك
أنزلناه أي ومثل ذلك الانزال أنزلنا
القرآن كله آيات بينات وان الله
حرف التعليل وكذا معلله محذوف
للعلم به أي ولان الله يهدي من يريد
أنزله كذلك مبينا قالت الاشاعرة
المراد بالهداية اما وضع الادلة أو
خلق المعرفة والاول غير جائز لان
الله تعالى فعل ذلك في حق كل
المكلفين ولان قوله يهدي من
يريد يدل على ان الهداية غير
واجبة عليه بل هي معلقة بمشيئته
ووضع الادلة واجب فتعين ان المراد
خلق المعرفة أجاب القاضي عبد
الجبار بانه أراد تكليف من يريد
لان التكليف لا يخلوا من وصف
ما كلف به ومن بيانه أو أراد يهدي
الى الجنة والاثابة من يريد ممن آمن
وعمل صالحا أو يهدي به الذين يعلم
منهم الايمان أو يثبت الذين آمنوا
ويزيدهم هدى والى هذين
الوجهين أشار الحسن بقوله ان
الله يهدي من قبل لا من لم يقبل واعترض بان الله سبحانه وتعالى ذكر هذا الكلام بعد بيان الادلة والجواب عن
الشبهات فلا يجوز حمله على محض التكليف وأما الوجوه الاخر فخلاف الظاهر مع ان ما ذكرتموه واجب عندكم على الله وقوله من يريد ينافي
الوجوب ثم أراد أن يميز بين المهدي من الفرق وبين الضال منهم فقال ان الذين آمنوا الآية قال مقاتل الاديان ستة واحد لله تعالى وهو
الاسلام وخمسة للشيطان قلت فالمؤمنون واليهود والنصارى تشترك في القول بالله والنبي وتفترق بالاعتراف بعموم نبوة محمد صلى الله عليه

الكلام اذ اذا كان ذلك كما وصفنا ولقد قضينا فاثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أم الكتاب ان الارض
يرثها عبادي الصالحون يعني بذلك ان أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته المنتهون الى أمره
ونهيه دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته ذكر من قال ذلك **حدثنا**
محمد بن عبد الله الهلالي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا اسرائيل عن أبي يحيى القتات عن
مجاهد عن ابن عباس قوله ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال أرض الجنة **حدثني** علي قال
ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال أخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون
السموات والارض ان يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الارض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون
حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير في قوله ولقد كتبنا في الزبور من
بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال كتبنا في القرآن بعد التوراة والارض أرض
الجنة **حدثني** علي بن سهل قال ثنا حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية
ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال الارض الجنة **حدثني** عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي
قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش قال سألت سعيدا عن قول الله ان الارض يرثها عبادي
الصالحون قال أرض الجنة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني**
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان الارض
قال الجنة يرثها عبادي الصالحون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن
جريج عن مجاهد مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الارض
يرثها عبادي الصالحون قال الجنة وقرأ قول الله جل ثناؤه وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال فالجنة مبتدؤها في الارض ثم تذهب
درجات علوا والنار مبتدؤها في الارض وبينهما حجاب سور ما يدري أحد ما ذاك السور وقرأ باب باطنه
فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال ودرجها تذهب سفلا في الارض ودرج الجنة يذهب علوا في
السموات **حدثنا** محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان سألت عامر بن عبد الله
أبا اليمان هل لانفس المؤمنين مجتمع قال فقال ان الارض التي يقول الله ولقد كتبنا في الزبور من
بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال هي الارض التي تجتمع اليها أرواح المؤمنين
حتى يكون البعث * وقال آخرون هي الارض يورثها الله المؤمنين في الدنيا * وقال آخرون
عني بذلك بنو اسرائيل وذلك ان الله وعدهم ذلك فوفى لهم به واستشهد لقوله ذلك بقول الله وأورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وقد ذكرنا قول من قال ان
الارض يرثها عبادي الصالحون انها أرض الامم الكافرة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو
قول ابن عباس الذي رواه عنه علي بن طلحة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان في هذا لبلاغا
لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) يقول تعالى ذكره ان في هذا القرآن الذي أنزلناه على
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لبلاغا لمن عبد الله بما فيه من الفرائض التي فرضها الله اليه وانه

وسلم و بعدم الاعتراف به والصابئون قد تجعل من جنس النصارى وقد تجعل من غيرهم والمجوس قولهم في البابين مضطرب لان الاله عندهم اثنان ونبيهم ليس بنبي في الحقيقة وانما هو متنبئ والمشركون لا نبي لهم ولا كتاب قال أهل البرهان قدم النصارى على الصابئين في أوائل البقرة لانهم أهل كتاب وعكس ههنا لان الصابئين مقدمة عليهم بالزمان وفي المائدة يحتمل الامران أي والصابئون كذلك أو هم والنصارى ان الله يفصل بينهم أي يقضي بين المؤمنين وغيرهم وتكرير ان في الخبر (٧٥) لزيادة التأكيد والفصل مطلق يحتمل الفصل في الاحوال وفي المواطن أيضا ان الله على كل شئ شهيد فلا يجري في قضائه ظلم ولا حيف ألم تر أي تعلم باخبار الله والمرادان هذه الاجسام غير ممتنعة عما يريد الله احداثه فيها من أنواع تصرفاته وتدبيراته قال العلماء قوله وكثير من الناس ليس بمعطوف على ما قبله من المفردات لان السجود بالمعنى المذكور يتناول كل الناس ولا يختص ببعضهم لدليل العقل ولان قوله ومن في الارض يتناول الثقلين جميعا والعطف يوهم التخصيص بالبعض ولا يمكن أن يكون السجود بالنسبة الى كثير من الناس بمعنى وضع الجبهة وبالنسبة الى غيرهم بمعنى نفوذ مشيئة الله فيها لان اللفظ المشترك لا يعم استعماله في مفهوميه معا فهو اذن مرفوع بفعل مضمر يدل عليه المذكور أي ويسجد له كثير من الناس بمعنى وضع الجبهة أيضا وهو مبتدأ محذوف الخبر وهو مثاب لان الخبر دليل عليه وهو قوله حق عليه العذاب أو هو مبتدأ وخبر أي وكثير من المكلفين من الناس الذين هم الناس على الحقيقة فكأنه أخرج الذين وجب عليهم العذاب من جملة الناس لانهم أشبه بالنسناس أولئك كالانعام بل هم أضل أو قوله ثانيا وكثير تكرار للاول لاجل المبالغة كأنه قيل وكثير من الناس حق عليهم العذاب وباقي الآية دليل على أن الكل بقضائه وقدره والاكرام والاهانة من عنده وبسابق علمه وسابق مشيئته فمن أهانه في الازل لم يكرمه أحد الى الابد عن ابن عباس ان قوله هذان خصمان راجع الى أهل الاديان الستة أي هما فوجان أو فريقان خصمان والخصم صفة وصف بها المحذوف وانما قيل اختصموا نظرا الى المعنى وقيل ان أقل الجمع اثنان ومعنى في ربهم أي في دينه وصفاته فقال المؤمنون في شأنه قولا وقال الكافرون قولا وروي ان أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله

وادراك الطلبة عنده * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريري عن أبي الورد بن ثمامة عن أبي محمد الحضرمي قال ثنا كعب في هذا المسجد قال والذي نفس كعب بيده ان في هذا البلاغ القوم عابدين انهم لاهل أو أصحاب الصلوات الخمس سماهم الله عابدين **حدثنا** الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا ابن علية عن سعيد بن اياس الجريري عن أبي الورد عن كعب في قوله ان في هذا البلاغ القوم عابدين قال صوم شهر رمضان وصلاة الخمس قال هي ملء اليدين والبحر عبادة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن الحسين عن الجريري قال قال كعب الاحبار ان في هذا البلاغ القوم عابدين لامة محمد **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان في هذا البلاغ القوم عابدين يقول عاملين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ان في هذا البلاغ القوم عابدين قال يقولون في هذه السورة بلاغا ويقول آخرون في القرآن تنزيل الفرائض الصلوات الخمس من أداها كان بلاغا القوم عابدين قال عاملين **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان في هذا البلاغ القوم عابدين قال ان في هذا المنفعة وعلما لقوم عابدين ذلك البلاغ وقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك يا محمد الى خلقنا الا رحمة للعالمين ان أرسلناك اليه من خلقي * ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية أجميع العالم الذين أرسل اليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم أم أريد بها أهل الايمان خاصة دون أهل الكفر فقال بعضهم عني بها جميع العالم المؤمن والكافر ذكر من قال ذلك **حدثني** اسحق بن شاهين قال ثنا اسحق بن يوسف الازرق عن المسعودي عن رجل يقال له سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله في كتابه وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الامم من الخسف والقذف **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى ابن يونس عن المسعودي عن أبي سعد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال تمت الرحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب الامم قبل * وقال آخرون بل أريد بها أهل الايمان دون أهل الكفر ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال العالمون من آمن به وصدقه قال وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال فهو لهؤلاء فتنة ولهؤلاء رحمة وقد جاء الامر مجملا رحمة للعالمين والعالمون ههنا من آمن به وصدقه وأطاعه * وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي روي عن ابن عباس وهو ان الله أرسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم فأما مؤمنهم فان الله هداه به وأدخله الايمان به وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة وأما كافرهم فانه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالامم المكذبة رسلها من قبله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل انما يوحى الي أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد ما يوحى الي ربي الا أنه لا اله لكم يجوز أن يعبد الا اله واحد

لا أصلح العبادة الا له ولا ينبغى ذلك لغيره فهل أنتم مسلمون يقول فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون العابدون الاوثان والاصنام بالخضوع بذلك ومتبرؤن من عبادة مادونه من دون آلهتكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون) يقول تعالى ذكره فان أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الاقرار بالايمان بان لا اله لهم الا اله واحد فاعرضوا عنه وأبوا الاجابة اليه فقل لهم قد آذنتكم على سواء يقول أعلمتهم انك وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب لا صلح بينكم ولا سلم وانما عنى بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله فان تولوا فقل آذنتكم على سواء فان تولوا يعنى قريشا وقوله وان أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون يقول تعالى ذكره لنبيه قل وما أدرى متى الوقت الذى يحل بكم عقاب الله الذى وعدكم فينتقم به منكم أقريب نزوله بكم أم بعيد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وان أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون قال الاجل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين ان الله يعلم الجهر الذى تجهرون به من القول ويعلم ما تخفونه فلا تجهرون به سواء عنده خفيه وظاهره وسره وعلانيته انه لا يخفى عليه منه شئ فان أخر عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به أو تجهرون به فما أدرى ما السبب الذى من أجله يؤخر ذلك عنكم لعل تأخيره ذلك عنكم مع وعده اياكم الفتنة يريدها بكم ولتتمتعوا بحياتكم الى أجل قد جعله لكم تبلغونه ثم ينزل بكم حينئذ نقمته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين يقول لعل ما أقرب لكم من العذاب والساعة أن يؤخر عنكم لمدتكم ومتاع الى حين فيصير قولى ذلك لكم فتنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) يقول تعالى ذكره قل يا محمد يا رب افصل بينى وبين من كذبنى من مشركى قومى وكفر بك وعبد غيرك باحلال عذابك ونقمتك لهم وذلك هو الحق الذى أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به وهو نظير قوله جل ثناؤه ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قال رب احكم بالحق قال لا يحكم بالحق الا الله ولكن انما استعجل بذلك فى الدنيا يسئل به على قومه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار قل رب احكم بكسر الباء ووصل الالف ألف أحكم على وجه الدعاء والمسألة سوى أبى جعفر فانه ضم الباء من الرب على وجه نداء المفرد وغير الضحاك بن مزاحم فانه روى عنه انه كان يقرأ ذلك ربى احكم على وجه الخبر بان الله احكم بالحق

وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبنبيكم وبجميع الكتب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه حسدا فنزلت وعن قيس بن عبادة عن أبى ذر الغفارى انه كان يحلف بالله انها نزلت فى ستة نفر من المسلمين على وحمزة وعبيدة بن الحرث ومن المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة فقال على رضى الله عنه أنا أول من يجثو للخصومة بين يدى الله تعالى يوم القيامة وعن عكرمة هما الجنة (٧٦) والنار قالت النار خلقنى الله لعقوبته وقالت الجنة خلقنى الله لرحمته فقص الله من خبرهما على محمد صلى الله عليه وسلم والاقرب هو الاول وقوله فالذين كفروا فصل الخصومة المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم وقوله قطعت لهم ثياب فيه انه تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما يقطع الثياب الملبوسة أو المراد ان تلك النيران متظاهرة عليهم كالثياب المتظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض وعن سعيد بن جبير ان قوله من نار أى من نحاس أذيب بالنار كقوله سرابيلهم من قطران والحميم الماء الحار عن ابن عباس لو نقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ومعنى يصهر يذاب صهرت الشئ فانصهر أى أذبته فذاب فهو صهير أى مذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم لان تأثير الشئ من الظاهر فى الباطن أبلغ من تأثيره فى الباطن قال فى الكشاف المقامع السياط وقال الجوهرى المقمعة واحدة المقامع من حديد كالمحجن يضرب على رأس الفيل وفى الحديث ولو وضعت مقمعة منها فى الارض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها والاعادة لا تكون الا بعد الخروج ففى الآية اضمار أى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم فخرجوا أعيدوا فيها أو المراد بالارادة المداناة والمشارفة كقوله يريد أن ينقض وهذا أقرب كقوله لا يخفف عنهم العذاب ويؤيده ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم من بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وانما اختصت هذه السورة بقوله من غم وهو الاخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه مخلصا لانه بولغ ههنا فى أهوال النار بخلاف ما فى السجدة وانما أضمر القول ههنا قبل قوله وذوقوا بخلاف السجدة وقيل لهم ذوقوا لانه وقع الاختصار ههنا على عذاب الحريق وهنالك أطنب فقيل ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون وأيضا

من كل حاكم فثبت الياء فى الرب وبهمز الالف من أحكم وبرفع أحكم على انه خبر للرب تبارك وتعالى * والصواب من القراءة عندنا فى ذلك وصل الباء من الرب وكسرها باحكم وترك قطع الالف من أحكم على ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وأما الضحاك فان فى القراءة التى ذكرت عنه زيادة حرف على خط المصاحف ولا ينبغى أن يزاد ذلك فيها مع صحة معنى الكلام بترك زيادته وقد زعم بعضهم ان معنى قوله رب احكم بالحق بحكمك الحق ثم حذف الحكم الذى الحق نعت له وأقيم الحق مقامه ولذلك وجه غير ان الذى قلنا أوضح وأشبه بما قاله أهل التأويل فلذلك اخترناه وقوله وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون يقول جل ثناؤه وقل يا محمد وربنا الذى يرحم عباده ويعمهم بنعمته الذى استعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لى فيما أتيتكم به من عند الله ان هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وقوله بل افتراه بل هو شاعر وفى كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم اتخذ الرحمن ولدا فانه هين عليه تغيير ذلك وفصل ما بينى وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك *(آخر سورة الانبياء عليهم السلام)*

(تفسير سورة الحج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) * قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بطاعته فأطيعوه ولا تعصوه فان عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد ثم وصف جل ثناؤه هول أشراط ذلك اليوم وبدوه فقال ان زلزلة الساعة شئ عظيم * واختلف أهل العلم فى وقت كون الزلزلة التى وصفها جل ثناؤه بالشدة فقال بعضهم هى كائنة فى الدنيا قبل يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة فى قوله ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال قبل الساعة حدثنى سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن عامر يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال هذا فى الدنيا قبل يوم القيامة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج فى قوله ان زلزلة الساعة فقال زلزلتها أشراطها الآيات يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال هذا فى الدنيا من آيات الساعة وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال هؤلاء خبر فى اسناده نظر وذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن رافع المدنى عن يزيد بن أبى زياد عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى السماء ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال وكيف

قد تقدم ذكر القول فى تلك السورة كثيرا فلا نعيده هنا والله تعالى أعلم * التأويل ان زلزلة الساعة هلاك الاستعداد الفطرى شئ عظيم تذهل كل مرضعة هى مواد الاشياء فان لكل شئ مادة ملكوتية ترضع رضيعها من اللبن تربيه وتضع كل ذات حمل وهى الهيوليات حملها وهو الصور الكمالية التى خلقت الهيوليات لاجلها وترى الناس سكارى الغفلة والعصيان وحب الدنيا والجاه والرياسة وغيرها وما هم بسكارى العشق والمحبة والمعرفة فانا خلقناكم من تراب اى كنتم ترابا ميتا فبعثنا

التراب بان خلقنا منه آدم ثم أمتنا منه النطفة ثم بعثناها بان جعلناها علقة ثم مضغة ثم خلقنا آخر لنبين لكم أمر البعث والنشور ونقر فى الارحام أمهات العدم ما نشاء الى أجل مسمى وهو وقت ايجاده بحسب تعلق الارادة به وفيه دليل على انه لا يبعد أن يكون الفاعل كاملا فى فاعليته ولكن لا تتعلق ارادته بالمقدور فيبقى فى حيز العدم الى حين تعلق الارادة به ومنه يظهر حدوث العالم ثم نخرجكم طفلا من أطفال المكونات خارجا من رحم العدم مستعد التربية والكمال ومنكم من يتوفى عن الشهوات فيحيى بحصول الكمالات ومنكم من يرد الى أسفل سافلين الطبيعة وترى أرض القلب هامدة فاذا أنزلنا عليها ماء حياة المعرفة والعلم اهتزت ذلك بان الله هو الحق فى الالهية وانه يحيى القلوب الميتة وأن الساعة قيامة العشق والخدمة للطالبين الصادقين آتية وأن الله يبعث القلوب المحبوسة فى قبور الصدور وعذاب الحريق بنار الشهوات لكنه لا يحس بها فى الدنيا لانه نائم بنوم الغفلة فاذا مات انتبه من كان يظن فيه ان العبد يجب أن يكون حسن الظن بالله ثم ليقطع مادة تقديرى فى الازل ونزول أحكامى فى القدر فلينظر هل ينقطع ثم لا هذان خصمان يعنى النفس الكافرة والروح المؤمن قطعت لهم ثياب بتقطيع خياط القضاء على قدرهم وهى ثياب نسجت من سدى مخالفات الشرع ولحمة موافقات الطبع يصب من فوق رؤسهم حميم الشهوات النفسانية وفى لفظ الفوق دلالة على انهم مغلوبون تحتها وفيه ان الخيالات الفاسدة تنصب من الدماغ الى القلب يصهر به ما فى بطونهم من الاخلاق الحميدة الروحانية والجلود أى يفسد أحوالهم الباطنة والظاهرة بفساد تخيلاتهم وهى المقامع ايضا ولا تخلص لهم عن دركات تلك الملكات لغاية رسوخها والله أعلم بالصواب (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى

من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ان الذين
كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم واذ
بوّأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل
ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع (٧٨) لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها

وأطعموا البائس الفقير ثم
ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم
وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك
ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند
ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى
عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان
واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير
مشركين به ومن يشرك بالله
فكأنما خر من السماء
فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى
مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر
الله فانها من تقوى القلوب لكم
فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها
الى البيت العتيق ولكل أمة
جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله
على ما رزقهم من بهيمة الانعام
فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر
المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم والصابرين على ما أصابهم
والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون والبدن جعلناها لكم من
شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا
اسم الله عليها صواف فاذا وجبت
جنوبها فكلوا منها وأطعموا
القانع والمعتر كذلك سخرناها
لكم لعلكم تشكرون لن ينال
الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم كذلك سخرها
لكم لتكبروا الله على ما هداكم
وبشر المحسنين ان الله يدافع عن
الذين آمنوا ان الله لا يحب كل
خوان كفور أذن للذين يقاتلون
بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم

لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع
و بيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) القراآت ولؤلؤا بهمزتين منصوبا نافع وعاصم وحفص مثله ولكن بتخفيف
الاولى واوا ساكنة أبو بكر وحماد ويزيد كذلك فى سورة فاطر وقرأ سهل ويعقوب والمفضل ههنا بالهمز والنصب وفى فاطر بالهمز

هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة
القيامة لرب العالمين يأمر الله عز وجل اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فتفزع أهل
السموات والارض الا من شاء الله ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر وهى التى يقول الله ما ينظر
هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا
وهى التى يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون الارض
كالسفينة الموبقة فى البحر تضربها الامواج تكفأ باهلها أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه
الارواح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين
هاربة حتى تأتى الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى
بعضهم بعضا وهو الذى يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله
فما له من هاد فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما وأخذهم
لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا الى السماء فاذا هى كالمهل ثم خسف شمسها وخسف قمرها
وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاموات لا يعلمون بشئ من ذلك
فقال أبو هريرة فمن استثنى الله حين يقول ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال
أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع
ذلك اليوم وأمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذى يقول يا أيها الناس اتقوا ربكم ان
زلزلة الساعة شئ عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد وهذا القول الذى ذكرناه عن علقمة
والشعبى ومن ذكرنا ذلك عنه قول لولا مجئ الصحاح من الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخلافه ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بمعانى وحى الله وتنزيله * والصواب من القول فى ذلك
ما صح به الخبر عنه ذكر الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا حدثنى أحمد بن
المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبى يحدث عن قتادة عن صاحب له حدثه عن
عمران بن حصين قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه وقد فاوت السير باصحابه
اذ نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم
قال فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون أى يوم ذلك قالوا الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم أعلم قال ذلك يوم ينادى آدم يناديه ربه ابعث بعث النار من كل ألف
تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار قال فأبلس القوم فما وضح منهم ضاحك فقال النبى صلى الله عليه
وسلم الا اعملوا وابشروا فان معكم خليقتين ما كانتا فى قوم الا كثرتاه فمن هلك من بنى آدم ومن هلك
من بنى ابليس ويأجوج ومأجوج قال أبشروا ما أنتم فى الناس الا كالشامة فى جنب البعير أو
كالرقمة فى جناح الدابة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا هشام بن أبى عبد
الله عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن بشار قال
ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى وحدثنا ابن أبى عدى عن هشام جميعا عن قتادة عن الحسن
عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن بشر
عن

عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن العلاء بن زياد عن عمران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة العسرة ومعه أصحابه بعدما شارف المدينة قرأ يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أي يوم ذلكم قيل الله ورسوله أعلم فذكر نحوه الا أنه زاد وانه لم يكن رسولان الا كان بينهما فترة من الجاهلية فهم أهل النار وانكم بين ظهراني خليقتين لا يعادلهما أحد من أهل الارض الا كثروهم وهم ياجوج وماجوج وهم أهل النار وتكمل العدة من المنافقين حدثني يحيى بن أبي ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال لآدم أخرج بعث النار قال فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك يشيب الصغير وتضع الحامل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال قلنا فأين الناجي يارسول الله قال أبشروا فان واحدا منكم وألفا من ياجوج وماجوج ثم قال اني لاطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا وحمدنا الله ثم قال اني لاطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا وحمدنا الله ثم قال اني لاطمع أن تكونوا نصف أهل الجنة انما مثلكم في الناس كمثل الشعرة البيضاء في الثور الاسود أو كمثل الشعرة السوداء في الثور الابيض حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله لآدم يوم القيامة ثم ذكر نحوه حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحشر قال يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير بيديك فيقول ابعث بعثا الى النار ثم ذكر نحوه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن أنس قال نزلت يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم حتى الى عذاب الله شديد الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير فرجع بها صوته حتى ثاب اليه أصحابه فقال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقول الله لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وأبشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وان معكم لخليقتين ما كانتا في شئ قط الا كثرتاه ياجوج وماجوج ومن هلك من كفرة الجن والانس حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن اسحق عن عمرو بن ميمون قال دخلت على ابن مسعود بيت المال فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال فوالذي نفسي بيده اني لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال فوالذي نفسي بيده اني لارجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان قلة المسلمين في الكفار يوم القيامة كالشعرة السوداء في الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الاسود حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان زلزلة

والخفض الباقون بالهمز والخفض في السورتين سواء بالنصب حفص ر و روح و زيد الآخرون بالرفع والبادي بالياء في الحالين سهل و يعقوب و ابن كثير وافق أبو عمرو و أبو جعفر و نافع غير قالون في الوصل و أنا مثل أنشأنا بيتي بفتح الياء أبو جعفر ونافع وحفص وهشام فتخطفه بتشديد الطاء أبو جعفر ونافع الرياح يزيد طريق المفضل والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون عباس منسكا ونحوه بكسر السين حمزة وعلي وخلف لن تنال الله بتاء التأنيث يعقوب ولكن تناله بالتأنيث (٧٦) أيضا يزيد يدفع من الدفع ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون يدافع من المدافعة أذن مبنيا للمفعول أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم يقاتلون مبنيا للمفعول أيضا أبو جعفر ونافع وابن عامر وحفص الآخرون مبنيا للفاعل فيهما دفاع بالالف أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب لهدمت مخففا ابن كثير وأبو جعفر ونافع وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وسهل وحمزة وعلي وخلف مشددا مدغما الباقون مشددا * الوقوف ولؤلؤا ط من القول ج للعطف مع تكرار وهدوا الحميد ه والباد ه ط أليم ه السجود ه عميق ه لا لتعلق اللام الانعام ج للابتداء بالامر مع الفاء الفقير ه للعطف مع العدول والعتيق ه ذلك ق قد قيل لان المراد ذلك على ما ذكر أو الامر أو الشأن ذلك ثم يبتدأ بالشرط عند ربه ط الزور ه لا مشركين به ط سحيق ه ذلك ق القلوب ه العتيق ه الانعام ط أسلموا ط المخبتين ه لا للاتصال الوصف الصلاة ه ينفقون ج ه خير ق والوصل أحسن للفاء صواف ج للشرط مع الفاء والمعتر ط تشكرون ه منكم ط هداكم ط المحسنين ه آمنوا ط كفور ه ظلموا ط لقدير ه لابناء على ان الذين بدل من الضمير في نصرهم ربنا الله ط كثيرا ه ينصره ط عزيز ه المنكر ط الامور ه * التفسير لما ذكر حال أحد الخصمين في الآخرة أراد أن يذكر حال الآخر وهو المؤمن ولهذا ألزم التكرار الا أنه يفطن بهذه الآية فائدة أخرى هي بيان ان أهل الجنة يحلون فيها وقد مر مثله في أوائل الكهف من قرأ لؤلؤا بالنصب فعلى تقدير ويؤتون لؤلؤا لان السوار من اللؤلؤ غريب الا أن يكون شيأ منظوما منه وهدوا الى الطيب من القول عن ابن عباس هو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده يلهمهم الله ذلك وهدوا الى صراط الحميد أي الى طريق المقام المحمود وهو الجنة

الساعة شئ عظيم قال هذا يوم القيامة والزلزلة مصدر من قول القائل زلزلت بفلان الارض أزلزله زلزلة وزلزالا بكسر الزاى من الزلزال كما قال الله اذا زلزلت الارض زلزالها وكذلك المصدر من كل سليم من الافعال اذا جاءت على فعلان فبكسر أوله مثل وسوس وسوسة ووسواسا فاذا كان اسما كان بفتح أوله الزلزال والوسواس وهو ما وسوس الى الانسان كما قال الشاعر

يعرف الجاهل المضلل ان * الدهر فيه النكير والزلزال

وقوله تعالى ذكره يوم ترونها يقول جل ثناؤه يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من عظمها كل مرضعة مولود عما أرضعت ويعنى بقوله تذهل تنسى وتترك من شدة كربها يقال ذهلت عن كذا أذهل عنه ذهولا وذهلت أيضا وهى قليلة والفصيح الفتح فى الهاء فاما فى المستقبل فالهاء مفتوحة فى اللغتين لم يسمع غير ذلك ومنه قول الشاعر

* صحا قلبه يا عز أو كان يذهل * فاما اذا أريد ان الهول أنساه وسلاه قلت أذهله هذا الامر عن كذا يذهله اذهالا وفى اثبات الهاء فى قوله كل مرضعة اختلاف بين أهل العربية وكان بعض نحوى الكوفيين يقول اذا أثبتت الهاء فى المرضعة فانما يراد أم الصبي المرضع واذا أسقطت فانه يراد المرأة التى معها صبي ترضعه لانه أريد الفعل بها قالوا ولو أريد بها الصفة فيما يرى لقال مرضع قال وكذلك كل مفعل أو فاعل يكون للانثى ولا يكون للذكر فهو بغير هاء نحو مقرب وموقر ومشدن وحامل وحائض * قال أبو جعفر وهذا القول عندى أولى بالصواب فى ذلك لان العرب من شأنها اسقاط هاء التأنيث من كل فاعل ومفعل اذا وصفوا المؤنث به ولو لم يكن للمذكر فيه حظ فاذا أرادوا الخبر عنها انها ستفعله ولم تفعله أثبتوا هاء التأنيث ليفرقوا بين الصفة والفعل منه قول الاعشى فيما هو واقع ولم يكن وقع قبل

أيا جارتا بينى فانك طالقه * كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وأما فيما هو صفة نحو قول امرئ القيس

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فالهيتها عن ذى تمائم محول

وربما أثبتوا الهاء فى الحالتين وربما أسقطوها فيهما غير ان الفصيح من كلامهم ما وصفت فتأويل الكلام اذا يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تنسى وتترك كل والدة مولود ترضع ولدها عما أرضعت كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت قال تترك ولدها للكرب الذى نزل بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن الحسن تذهل كل مرضعة عما أرضعت قال ذهلت عن أولادها بغير فطام وتضع كل ذات حمل حملها قال ألقت الحوامل ما فى بطونها لغير تمام وتضع كل ذات حمل حملها يقول وتسقط كل حامل من شدة كرب ذلك حملها وقوله وترى الناس سكارى قرأت قراء الامصار وترى الناس سكارى على وجه الخطاب للواحد كانه قال وترى يا محمد الناس حينئذ سكارى وما هم بسكارى وقد روى عن أبى زرعة عن عمرو بن جرير وترى الناس بضم التاء ونصب الناس من قول القائل رؤيت ترى التى تطلب الاسم والفعل كظن وأخواتها * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه * واختلف القراء فى قراءة قوله سكارى فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة سكارى وما هم بسكارى وقرأته عامة قراء أهل الكوفة وترى الناس سكرى وما هم بسكرى * والصواب من القول فى ذلك عندنا انهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ومعنى الكلام

أو الى صراط الله كقوله الى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وقال السدى الطيب من القول هو القرآن وقيل شهادة أن لا اله الا الله وقال حكماء الاسلام هو كشف الغطاء عن الحقائق الروحانية والمعارف الربانية ثم كرر وعيد أهل الكفر ومن دان دينهم فقال ان الذين كفروا ويصدون انما حسن عطف المستقبل على الماضى لانه أراد به الاستمرار وانه من شأنهم الصد وكأنه قيل كفروا واستمروا على الصد وقال أبو على الفارسى كفروا فى الماضى وهم الآن يصدون عن ابن عباس انها نزلت فى أبى سفيان ابن حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه عام الحديبية عن أن يحجوا ويعتمروا وينحروا الهدى ومن قرأ سواء بالنصب فعلى أنه مفعول ثان لجعلنا أى جعلناه مستويا العاكف فيه والباد ومن قرأ بالرفع فعلى ان العاكف مبتدأ وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان ويجوز أن يكون للناس مفعولا ثانيا أى جعلناه مستعبدا لكل من وقع عليه اسم الناس وقوله سواء الى آخره الجملة بيان لذلك الجعل أى لا فرق بين الحاضر المقيم به وبين الطارئ من البدو واختلفوا فى أن المكى والآفاقى يستويان فى أى شئ فعن ابن عباس فى بعض الروايات انهما يستويان فى سكنى مكة والنزول بها الآية بناء على أن المراد بالمسجد الحرام مكة ولما روى انه صلى الله عليه وسلم قال مكة مباحة لمن سبق اليها والى هذا ذهب أبو حنيفة وهو قول قتادة وسعيد بن جبير أيضا ولاجل ذلك زعموا ان كراء دور مكة حرام والاكثرون على انهما يستويان فى العبادة فى المسجد ليس للمقيم أن يمنع البادى وبالعكس ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا بنى عبد مناف من ولى منكم من أمور الناس شيئا فلا يمنعن أحدا طاف بهذا البيت أو صلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار وعلى هذا فلا منع من بيع دور مكة

وترى

وترى الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدته سكارى من الفزع وما هم بسكارى من شرب الخمر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب قال حدثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وما هم بسكارى قال ما هم بسكارى من الشراب ولكن عذاب الله شديد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وترى الناس سكارى وما هم بسكارى قال ما شربوا خمرا ولكن عذاب الله شديد وقوله ولكن عذاب الله شديد يقول تعالى ذكره ولكنهم صاروا سكارى من خوف عذاب الله عند معاينتهم ما عاينوا من كرب ذلك وعظيم هوله مع علمهم بشدة عذاب الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) ذكر ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ومن الناس من يجادل في الله بغير علم قال النضر بن الحرث ويعني بقوله من يجادل في الله بغير علم من يخاصم في الله فيزعم ان الله غير قادر على احياء من قد بلي وصار ترابا بغير علم يعلمه بل بجهل منه بما يقول ويتبع في قيله ذلك وجداله في الله بغير علم كل شيطان مريد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير) يقول تعالى ذكره قضي على الشيطان فمعنى كتب ههنا قضي والهاء التي في قوله عليه من ذكر الشيطان كما حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كتب عليه أنه من تولاه قال كتب على الشيطان أنه من اتبع الشيطان من خلق الله كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كتب عليه أنه من تولاه قال اتبعه وقوله فانه يضله يقول فان الشيطان يضله يعني يضل من تولاه والهاء التي في يضله عائدة على من التي في قوله من تولاه وتأويل الكلام قضي على الشيطان انه يضل اتباعه ولا يهديهم الى الحق وقوله ويهديه الى عذاب السعير يقول ويسوق من اتبعه الى عذاب جهنم الموقدة وسياقه اياه اليه بدعائه اياه الى طاعته ومعصية الرحمن فذلك هدايته من تبعه الى عذاب جهنم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم) وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم اتباعا منه للشيطان المريد وتنبيها له على موضع خطأ قيله وانكاره ما أنكر من قدرة ربه قال يا أيها الناس ان كنتم في شك من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلائكم استعظاما منكم لذلك فان في ابتدائنا خلق أبيكم آدم صلى الله عليه وسلم من تراب ثم انشائناكم من نطفة آدم ثم تصريفناكم أحوالا حالا بعد حال من نطفة الى علقة ثم من علقة الى مضغة لكم معتبرا ومتعظا تعتبرون به فتعلمون ان من قدر على ذلك فغير متعذر عليه اعادتكم بعد فنائكم كما كنتم احياء قبل الفناء * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله مخلقة وغير مخلقة فقال بعضهم هي من صفة النطفة قال ومعنى ذلك فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة مخلقة وغير مخلقة قالوا فاما المخلقة فما كان خلقا سويا وأما غير مخلقة فما دفعته الارحام من النطف وألقته قبل أن يكون خلقا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن داود بن أبي هند عن عامر عن علقمة عن عبد الله قال اذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكا فقال يا رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة مجتها الارحام دما وان قال مخلقة

واجارتها وهو مذهب الشافعي وقد جرت المناظرة بينه وبين اسحق الحنظلي وكان اسحق لا يرخص في كراء دور مكة فاحتج الشافعي بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وبأن عمر اشترى دار السجن فسكت اسحق وانما ذهب الاولون الى أن المراد بالمسجد الحرام ههنا مكة كلها لانه جعل العاكف فيه بازاء البادي أجاب الاكثرون بأنه أراد بالعاكف المجاور للمسجد المتمكن في كل وقت من التعبد فيه والالحاد العدول عن القصد كما مر في قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه وقوله بالحاد بظلم حالان ومفعول يرد متروك ليفيد العموم أي ومن يرد فيه مرادا ما جائرا ظالما وفائدة الحال الثانية ان العدول عن القصد قد يكون بالحق كقوله وجزاء سيئة سيئة واختلفوا في الالحاد في الحرم فعن قتادة وسعيد بن جبير وابن عباس في رواية عطاء انه الشرك يعني من لجأ الى حرم الله ليشرك به عذبه الله وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن حنظلة حيث قتل الانصاري وهرب الى مكة كافرا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح وهو العذاب الاليم وعن مجاهد انه الاحتكار وقيل المنع من عمارته وعن عطاء هو قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله ومثله ما روي عن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقيل له في ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله والاولى التعميم وفيه ان الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في مهامه ومقاصده وهذا وان كان واجبا في كل مكان الا أن وجه ابي يوسف أوكد فللمكان خاصية كالزمان ولهذا قال مجاهد تضاعف السيئات فيه كما تضاعف الحسنات عن ابن مسعود ان القصد الى الذنب ثاني ومعنى

ذنبا وان لم يخرج الى الفعل وعنه لو ان رجلا بهم بان يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله تعالى عذابا أليما واعلم ان خبر ان محذوف لدلالة
جواب الشرط عليه كأنه قيل ان الذين كفروا ويصدون نذيقهم من عذاب أليم ومن يرد في الحرم بالحاد فهو كذلك وحين انجر

قال يا رب فما صفة هذه النطفة أذكر أم أنثى ما رزقها ما أجلها أشقي أو سعيد قال فيقال له انطلق الى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة قال فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها وقال آخرون معنى ذلك تامة وغير تامة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال عن قتادة في قول الله مخلقة وغير مخلقة قال تامة وغير تامة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مخلقة وغير مخلقة فذكر مثله * وقال آخرون معنى ذلك المضغة مصورة انسانا وغير مصورة فاذا صورت فهي مخلقة واذا لم تصور فهي غير مخلقة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله مخلقة قال السقط مخلقة وغير مخلقة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله مخلقة وغير مخلقة قال السقط مخلوق وغير مخلوق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر انه قال في النطفة والمضغة اذا نكست في الخلق الرابع كانت نسمة مخلقة واذا قذفتها قبل ذلك فهي غير مخلقة قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن أبي سلمة عن داود بن أبي هند عن أبي العالية مخلقة وغير مخلقة قال السقط * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال المخلقة المصورة خلقا تاما وغير مخلقة السقط قبل تمام خلقه لان المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة لم يبق لها حتى تصير خلقا سويا الا التصوير وذلك هو المراد بقوله مخلقة وغير مخلقة خلقا سويا وغير مخلقة بان تلقيه الام مضغة ولا تصور ولا ينفخ فيها الروح وقوله لنبين لكم يقول تعالى ذكره جعلنا المضغة منها المخلقة التامة ومنها السقط غير التام لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم ابتداءنا خلقكم وقوله ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى يقول تعالى ذكره من كنا كتبنا له بقاء وحياة الى أمد وغاية فانا نقره في رحم أمه الى وقته الذي جعلنا له أن يمكث في رحمها فلا تسقطه ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله فاذا بلغ وقت خروجه من رحمها أذنا له بالخروج منها فيخرج * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى قال التمام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى قال الاجل المسمى اقامته في الرحم حتى يخرج وقوله ثم نخرجكم طفلا يقول تعالى ذكره ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم اذا بلغتم الاجل الذي قدرته لخروجكم منها طفلا صغارا ووحد الطفل وهو صفة للجميع لانه مصدر مثل عدل وزور وقوله ثم لتبلغوا أشدكم يقول ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم بعمركم وقد ذكرت اختلاف المختلفين في الاشد والصواب من القول فيه عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع * القول في تأويل قوله تعالى (ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) يقول تعالى ذكره ومنكم أيها الناس من يتوفى من قبل أن يبلغ أشده فيموت ومنكم من ينسأ في أجله فيعمر حتى يهرم فيرد من بعد انتهاء شبابه وبلوغه غاية أشده الى أرذل عمره وذلك الهرم حتى يعود كهيئته في حال صباه لا يعقل من بعد عقله الاول شيأ

الكلام الى ذكر المسجد الحرام اتبعه ذكر الكعبة وبعض ما يتعلق به من المناسك فقال واذ بوأنا أي واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وروي ان موضع البيت كان مطموسا فبعث الله تعالى ريحا كنست ما حوله حتى ظهر اسه القديم فبنى ابراهيم عليه وقد مر قصة ذلك في البقرة وقيل بعث غمامة على قدر البيت الحرام في العرض والطول وفيها رأس يتكلم وله لسان وعينان فقال يا ابراهيم ابن على قدري فاخذ في البناء وذهبت السحابة وان في أن لا تشرك هي المفسرة وذلك ان المقصود من التبوئة هو العبادة فكأنه قيل تعبدنا لابراهيم قلنا له لا تشرك وطهر وقد مر مثله في البقرة وانما قال ههنا والقائمين لان العاكف ذكر مرة في قوله سواء العاكف والقائم اما بمعنى القيام في الصلاة بدليل قوله والركع السجود أو بمعنى المقيم المتوطن والظاهر ان الخطاب في وأذن لابراهيم أيضا أي ناد في الناس وهو أن يقول حجوا أو عليكم بالحج روي انه صعد أبا قبيس فقال أيها الناس حجوا بيت ربكم قال مجاهد فما حج انسان ولا يحج الى القيامة الا وقد سمع ذلك النداء من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فمن أجاب مرة حج مرة ومن أجاب أكثر فأكثر والفائدة في قوله يأتوك هي

في العباد الاتيان الى مكة بسبب ندائه اتيان اليه وأيضا هو أول من حج وغيره يقتدي به وكأنه يأتيه وعن الحسن ومعنى
منكم من أو أكثر العلماء المعتزلة ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وانه معطوف على اذكر مقدرا ثم انه عام لجميع الناس أو خاص بمن حج

ومعنى الكلام ومنكم من يرد الى أرذل العمر بعد بلوغه أشده لكيلا يعلم من بعد علم كان يعلمه شيأ وقوله وترى الارض يا محمد يابسة دارسة الآثار من النبات والزرع وأصل الهمود الدروس والدثور و يقال منه همدت الارض تهمد همودا ومنه قول الاعشى ميمون بن قيس

قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا * وأرى ثيابك باليات همدا

والهمد جمع هامد كالركع جمع راكع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله وترى الارض هامدة قال لا نبات فيها وقوله فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت يقول تعالى ذكره فاذا نحن أنزلنا على هذه الارض الهامدة التى لا نبات فيها المطر من السماء اهتزت يقول تحركت بالنبات وربت يقول وأضعفت النبات بمجىء الغيث * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اهتزت وربت قال عرف الغيث فى ربوها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة اهتزت وربت قال حسنت وعرف الغيث فى ربوها وكان بعضهم يقول معنى ذلك فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ويوجه المعنى الى الزرع وان كان الكلام مخرجه على الخبر عن الارض وقرأت قراء الامصار وربت بمعنى الربو الذى هو النماء والزيادة وكان أبو جعفر القارئ يقرأ ذلك وربأت بالهمز حدثت عن الفراء عن أبى عبد الله التميمى عنه وذلك غلط لانه لا وجه للربء ههنا وانما يقال ربأ بالهمز بمعنى حرس من الربيئة ولا معنى للحراسة فى هذا الموضع والصحيح من القراءة ما عليه قراء الامصار وقوله وأنبتت من كل زوج بهيج يقول جل ثناؤه وأنبتت هذه الارض الهامدة بذلك الغيث من كل نوع بهيج يعنى بالبهيج البهج وهو الحسن * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنبتت من كل زوج بهيج قال حسن حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ذلك بان الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هو الذى ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم فى بطون أمهاتكم ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده طفلا وكهلا وشيخا هرما وتنبيهنا كم على فعلنا بالارض الهامدة بما ننزل عليها من الغيث لتؤمنوا وتصدقوا بان ذلك الذى فعل ذلك الله الذى هو الحق لا شك فيه وان من سواه مما تعبدون من الاوثان والاصنام باطل لانها لا تقدر على فعل شئ من ذلك وتعلموا أن القدرة التى جعل بها هذه الاشياء العجيبة لا تتعذر عليها أن يحيى بها الموتى بعد فنائها ودروسها فى التراب وان فاعل ذلك على كل ما أراد وشاء من شئ قادر لا يمتنع عليه شئ أراده ولتوقنوا بذلك ان الساعة التى وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جائية لا محالة لا ريب فيها يقول لا شك فى مجيئها وحدوثها وأن الله يبعث من فى القبور حينئذ من فيها من الاموات أحياء الى موقف الحساب فلا تشكوا فى ذلك ولا تمتروا فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) يقول تعالى ذكره ومن الناس من يخاصم فى توحيد الله وافراده بالالوهة بغير علم منه بما يخاصم به ولا هدى يقول وبغير بيان معه بما يقول ولا برهان ولا كتاب منير يقول وبغير كتاب من الله أتاه لصحة ما يقول منير يقول ينير عن حجته وانما يقول ما يقول من الجهل ظنا منه وحسبانا وذكر أنه عنى بهذه الآية والتى بعدها النضر بن الحارث من بنى عبد الدار ۞ القول فى تأويل

معه فى حجة الوداع قولان وقيل انه ابتدأ فرض الحج والرجال المشاة واحده راجل وقوله وعلى كل ضامر حال آخر كأنه قيل رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول لطول السفر ويأتين صفة لكل ضامر لانه فى معنى الجمع والفج الطريق الواسع وقدمر فى السورة المتقدمة والعميق البعيد ومثله معيق وبه قرأ ابن مسعود وفى تقديم المشاة تشريف لهم روى سعيد بن جبير باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحاج الراكب له بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللماشى سبعمائة من حسنات الحرم قيل يارسول الله وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف حسنة قال جار الله نكر المنافع لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد فى غيرها من العبادات وقد كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله تعالى لان المسلمين لا ينفكون عن التسمية اذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على ان التسمية من الاغراض الاصلية المعتبرة خلاف ما كان يفعله المشركون من الذبح للنصب وفى قوله على ما رزقهم اشارة الى أن نفس القربان وتيسير ذلك العمل من نعم الله تعالى ولو قيل لينحروا فى أيام معلومات بهيمة الانعام لم يكن شئ من هذه الفوائد والايام المعلومات عند أكثر العلماء عشر ذى الحجة الاول آخرها يوم النحر لانها معلومة عند الناس لحرصهم على أعمال الحج فيها ثم للمنافع أوقات من العشر معروفة كيوم عرفة والمشعر الحرام وكذلك للذبح وقت بعينه وهو يوم النحر وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والحسن ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس واختيار الشافعى وأبى حنيفة وعن ابن عباس فى رواية أخرى انها يوم النحر وثلاثة أيام بعدها وهو اختيار أبى مسلم وقول أبى يوسف ومحمد وعلى الاول يكون قوله فى أيام متعلقا بكلا الفعلين أعنى ليشهدوا ويذكروا وعلى الثانى يختص تعلقه بالثانى ومعنى

بهيمة الانعام بهيمة من الانعام لان البهيمة تشمل كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز وقد
مر في أول المائدة قال مقاتل اذا ذبحت فقل بسم الله والله أكبر اللهم منك واليك وتستقبل القبلة

قوله تعالى (ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) يقول تعالى ذكره يجادل هذا الذي يجادل في الله بغير علم ثاني عطفه * واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله وصف بانه يثني عطفه وما المراد من وصفه اياه بذلك فقال بعضهم وصفه بذلك لتكبره وتبختره وذكر عن العرب انها تقول جاءني فلان ثاني عطفه اذا جاء متبخترا من الكبر ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ثاني عطفه يقول مستكبرا في نفسه * وقال آخرون بل معنى ذلك لاو رقبته ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ثاني عطفه قال رقبته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ثاني عطفه قال لاو عنقه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون معنى ذلك أنه يعرض عما يدعى اليه فلا يسمع له ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثاني عطفه يقول يعرض عن ذكري حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله قال لاو يا رأسه معرضا موليا لا يريد أن يسمع ما قيل له وقرأ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ثاني عطفه قال يعرض عن الحق * قال أبو جعفر وهذه الاقوال الثلاثة متقاربات المعنى وذلك ان من كان ذا استكبار فمن شأنه الاعراض عما هو مستكبر عنه ولي عنقه والاعراض * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم انه من كبره اذا دعي الى الله أعرض عن داعيه ولوى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكبارا وقوله ليضل عن سبيل الله يقول تعالى ذكره يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضا عن الحق استكبارا ليصد المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ويستزلهم عنه له في الدنيا خزي يقول جل ثناؤه لهذا المجادل في الله بغير علم في الدنيا خزي وهو القتل والذل والمهانة بايدي المؤمنين فقتله الله بايديهم يوم بدر كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج له في الدنيا خزي قال قتل يوم بدر وقوله ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق يقول تعالى ذكره ونحرقه يوم القيامة بالنار وقوله ذلك بما قدمت يداك يقول جل ثناؤه ويقال له اذا أذيق عذاب النار يوم القيامة هذا العذاب الذي نذيقكه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام واكتسبته فيها من الاجرام وأن الله ليس بظلام للعبيد يقول وفعلنا ذلك لان الله ليس بظلام للعبيد فيعاقب بعض عبيده على جرم وهو يعفو عن مثله من آخر غيره أو يحمل ذنب مذنب على غير مذنب فيعاقبه ويعفو عن صاحب الذنب ولكنه لا يعاقب أحدا الا على جرمه ولا يعذب أحدا على ذنب يغفر مثله لآخر الا بسبب استحق به منه مغفرته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) يعني جل ذكره بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرين من باديتهم فان نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الاسلام أقاموا على الاسلام والا ارتدوا على أعقابهم فقال الله

وزاد الكلبي ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين قال القفال كان المتقرب بها وباراقة دمائها متصورا بصورة من يفدي نفسه بما يعادلها فكانه يبذل تلك الشاة بذل مهجته طلبا لمرضاة الله تعالى واعترافا بان تقصيره كاد يستحق مهجته أما قوله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير فالبائس الذي أصابه بؤس أي شدة والفقير قد مر في آية الصدقات في التوبة وفي غيرها من الناس من قال الامران للوجوب لان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون منها فامر المسلمون بمخالفتهم والاكثرون على ان الاكل ليس بواجب ثم منهم من قال يحسن ان يأكل النصف ويتصدق بالنصف رعاية للامرين ومنهم من قال يأكل الثلث ويتصدق بالثلثين لما يجيء من قوله وكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر فجعلها على ثلاثة أقسام ومنهم من قال يأكل الثلث ويدخر الثلث ويتصدق بالثلث لما جاء في الحديث من الامر بالادخار والاولى وهو مذهب الشافعي انه ان أطعم جميعها أجزأه وان أكل جميعها لم يجزئه واذا تصدق باقل شيء من لحمها يكفي هذا اذا كان متطوعا وأما الواجبات كالنذور والكفارات وجبران النقصانات مثل دم القران ودم التمتع ودم الاساءة فلا يأكل منها لاهو ولا أغنياء الرفقة ولا فقراؤها لما روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن ناجية الخزاعي قال قلت يا رسول الله كيف أصنع بما عطب من البدن ومن
قال انحرها ثم اغمس نعلها في دمها ثم خل بين الناس وبينها يأكلونها وقال أيضا صلى الله عليه وسلم في مثله لا تأكل منها أنت ولا أحد من أهل

ومن الناس من يعبد الله على شك فان أصابه خيرا اطمان به وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به يقول استقر بالاسلام وثبت عليه وان أصابته فتنة وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا انقلب على وجهه يقول ارتد فانقلب على وجهه الذى كان عليه من الكفر بالله * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الى قوله انقلب على وجهه قال الفتنة البلاء كان أحدهم اذا قدم المدينة وهى أرض و بيئة فان صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا و ولدت امرأته غلاما رضى به واطمأن اليه وقال ما أصبت منذ كنت على دينى هذا الا خيرا وان أصابه وجع المدينة و ولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا الا شرا وذلك الفتنة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبى بكر عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قول الله ومن الناس من يعبد الله على حرف قال على شك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على حرف قال على شك فان أصابه خير رخاء وعافية اطمأن به استقر وان أصابته فتنة عذاب ومصيبة انقلب ارتد على وجهه كافرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج كان ناس من قبائل العرب وممن حولهم من أهل القرى يقولون نأتى محمدا صلى الله عليه وسلم فان صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه والا لحقنا بأهلنا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من يعبد الله على حرف قال شك فان أصابه خير يقول كثر ماله وكثرت ماشيته اطمأن وقال لم يصبنى فى دينى هذا منذ دخلته الا خير وان أصابته فتنة يقول وان ذهب ماله وذهبت ماشيته انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة نحوه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية كان ناس من قبائل العرب وممن حول المدينة من القرى كانوا يقولون نأتى محمدا صلى الله عليه وسلم فننظر فى شأنه فان صادفنا خيرا ثبتنا معه والا لحقنا بمنازلنا وأهلينا وكانوا يأتونه فيقولون نحن على دينك فان أصابوا معيشة ونتجوا خيلهم و ولدت نساؤهم الغلمان اطمأنوا وقالوا هذا دين صدق وان تأخر عنهم الرزق وأزلقت خيولهم و ولدت نساؤهم البنات قالوا هذا دين سوء فانقلبوا على وجوههم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمان به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة قال هذا المنافق ان صلحت له دنياه أقام على العبادة وان فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب ولا يقيم على العبادة الا لما صلح من دنياه واذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق ترك دينه و رجع الى الكفر وقوله خسر الدنيا والآخرة يقول غبن هذا الذى وصف جل ثناؤه صفته دنياه لانه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك و وضع فى تجارته فلم يربح والآخرة يقول وخسر الآخرة لانه معذب فيها بنار الله الموقدة وقوله ذلك هو الخسران المبين يقول وخسارته الدنيا والآخرة هى الخسران يعنى الهلاك المبين يقول يبين لمن فكر فيه وتدبره انه قد خسر الدنيا والآخرة * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار جميعا غير حميد الاعرج خسر الدنيا والآخرة على وجه المضى وقرأه حميد الاعرج خاسرا نصبا على الحال على مثال فاعل ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال

رفقتك قوله ثم ليقضوا تفثهم لا يبعد أن يكون معطوفا على ليشهدوا فان هذه الاعمال كلها غايات الاتيان الا أن اسكان هذه اللامات فى بعض القرا آت يدل على انها لام الامر وعلى هذا تكون هذه الاوامر الغائبة معطوفة على الامرين الحاضرين قبلها والله أعلم قال أبو عبيدة لم يجئ فى الشعر ما يحتج به فى معنى التفث وقال الزجاج ان أهل اللغة لا يعرفون التفث الا من التفسير وقال القفال قال نفطويه سألت اعرابيا فصيحا ما معنى قوله ثم ليقضوا تفثهم فقال ما أفسر القرآن ولكنا نقول للرجل ما أتفثك وما أدرنك ثم زعم القفال ان هذا أولى من قول الزجاج لان المثبت أولى من النافى وقال المبرد أصل التفث فى كلام العرب كل قاذورة تلحق الانسان فيجب عليه نقضها وأجمع أهل التفسير على أن المراد ههنا ازالة الاوساخ والزوائد كقص الشارب والاظفار ونتف الابط وحلق العانة فتقدير الآية ثم ليقضوا ازالة تفثهم وليوفوا نذورهم أى الاعمال التى أوجبها الحج بالشروع فيه أو أعمال البر التى أوجبوها على أنفسهم بالنذر فان الرجل اذا حج أو اعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدى وغيره ما لولا ايجابه لم يكن الحج يقتضيه وليطوفوا هو طواف الافاضة والزيارة التى هى ركن وقد شرحت حاله فى البقرة فى قوله فاذا أفضتم من عرفات وقيل هو طواف الوداع والصدر سمى بالبيت العتيق لانه أول بيت وضع للناس عن الحسن وقال قتادة لانه أعتق من تسلط الجبابرة عليه وهو قول ابن عباس وابن الزبير ورووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عيينة لانه لم يملك قط وعن مجاهد لانه أعتق من الغرق أيام الطوفان وقيل معناه البيت الكريم من قولهم عتاق الخيل والطير والحرمة ما لا يحل هتكه و جميع التكاليف بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها و يحتمل أن يراد ههنا ما يتعلق بالحج عن زيد بن أسلم ان الحرمات

البعيد) يقول تعالى ذكره وان أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة ارتد عن دين الله يدعو من دون الله آلهة لا تضره ان لم يعبدها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة ان عبدها ذلك هو الضلال البعيد يقول ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الاخذ على غير استقامة والذهاب عن دين الله ذهابا بعيدا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يكفر بعد ايمانه ذلك هو الضلال البعيد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) يقول تعالى ذكره يدعو هذا المنقلب على وجهه من ان أصابته فتنة آلهة ضرها في الآخرة له أقرب وأسرع اليه من نفعها وذكر ان ابن مسعود كان يقرأه يدعو من ضره أقرب من نفعه * واختلف أهل العربية في موضع من فكان بعض نحوي البصرة يقول موضعه نصب بيدعو ويقول معناه يدعو لآلهة ضرها أقرب من نفعها ويقول هو شاذ لانه لم يوجد في الكلام يدعو لزيدا وكان بعض نحوي الكوفة يقول اللام من صلة ما بعد من كأن معنى الكلام عنده يدعو من لضره أقرب من نفعه وحكي عن العرب سماعا منها عندي لما غيره خير منه بمعنى عندي ما لغيره خير منه وأعطيتك لما غيره خير منه بمعنى ما لغيره خير منه وقال جائز في كل ما لم يتبين فيه الاعراب الاعتراض باللام دون الاسم * وقال آخرون منهم جائز أن يكون معنى ذلك هو الضلال البعيد يدعو فيكون يدعو صلة الضلال البعيد وتضمر في يدعو الهاء ثم تستأنف الكلام باللام فتقول لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى كقولك في الكلام في مذهب الجزاء لما فعلت لهو خير لك فعلى هذا القول من في موضع رفع بالهاء في قوله ضره لان من اذا كانت جزاء فانما يعربها ما بعدها واللام الثانية في لبئس المولى جواب اللام الاولى وهذا القول الآخر على مذهب العربية أصح والاول الى مذهب أهل التأويل أقرب وقوله لبئس المولى يقول لبئس ابن العم هذا الذي يعبد الله على حرف ولبئس العشير يقول ولبئس الخليط المعاشر والصاحب هو كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولبئس العشير قال العشير هو المعاشر الصاحب وقد قيل عني بالمولى في هذا الموضع الولي الناصر وكان مجاهد يقول عني بقوله لبئس المولى ولبئس العشير الوثن **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولبئس العشير قال الوثن ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) يقول تعالى ذكره ان الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله في الدنيا وانتهوا عما نهاهم عنه فيها جنات يعني بساتين تجري من تحتها الانهار يقول تجري الانهار من تحت أشجارها ان الله يفعل ما يريد فيعطي ما شاء من كرامته أهل طاعته وما شاء من الهوان أهل معصيته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) * اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء التي في قوله أن لن ينصره الله فقال بعضهم عني بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فتأويله على قول بعض قائلي ذلك من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمدا في الدنيا والآخرة فليمدد بحبل وهو السبب الى السماء يعني سماء البيت وهو سقفه ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ يقول هل يذهبن ذلك ما يجد في صدره من الغيظ ذكر من قال ذلك **حدثنا** نصر بن علي قال ثني أبي قال ثني خالد بن قيس عن قتادة من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ولا دينه ولا كتابه فليمدد بسبب يقول بحبل الى سماء البيت فليختنق به فلينظر هل يذهبن

كيده

عليكم قد مر في أول المائدة مثله أي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وهي حرمت عليكم الميتة أو قوله غير محلي الصيد وأنتم حرم أو قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وحين حث على تعظيم الحرمات اتبعه الامر بما هو أعظم أنواعها وأقدم أصنافها قائلا فاجتنبوا الرجس وبينه بقوله من الاوثان أي الرجس الذي هو الاوثان كقولك عندي عشرون من الدراهم والرجس العمل القبيح في الغاية وقد مر في آخر المائدة في تفسير قوله رجس من عمل الشيطان والزور من الزور الميل والاضافة كقولهم رجل صدق جمع بين قول الزور وبين الشرك لان عبادة الاوثان هي رأس الزور وملاكه قال الاصم وصف الاوثان بانها رجس لان عادتهم في القرابين أن يتعمدوا سقوط الدماء عليها والاقرب انها وصفت بذلك لان عبادتها أفعلة متمادية في القبح والسماجة وللمفسرين في قول الزور وجوه منها انه قولهم هذا حلال وهذا حرام ومنها انه شهادة الزور رفعوا هذا التفسير الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها انه الكذب والبهتان ومنها انه قول أهل الجاهلية في الطواف لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقوله حنفاء لله غير مشركين به حالان مؤكدان والمراد الاخلاص في التوحيد كقوله حنيفا ولم يك من المشركين وفائدة الحالين هي فائدة التولي والتبري وانما أخر نفي الاشراك وان كان مقدما في الرتبة اذ التخلية والتبرئة مقدم على التحلية والتولية ليرتب عليه قوله ومن يشرك بالله الآية قال جار الله

كيده مايغيظ **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة قال من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فليمدد بسبب يقول بحبل الى سماء البيت ثم ليقطع يقول ثم ليختنق ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه * وقال آخرون ممن قال الهاء فى ينصره من ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السماء التى ذكرت فى هذا الموضع هى السماء المعروفة قالوا معنى الكلام ما **حدثنى** به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فقرأ حتى بلغ هل يذهبن كيده مايغيظ قال من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم و يكايد هذا الامر ليقطعه عنه ومنه فليقطع ذلك من أجله من حيث يأتيه فان أصله فى السماء فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع عن النبى صلى الله عليه وسلم الوحى الذى يأتيه من الله فانه لا يكايده حتى يقطع أصله عنه فكايد ذلك حتى قطع أصله عنه فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ مادخلهم من ذلك وغاظهم الله به من نصرة النبى صلى الله عليه وسلم وماينزل عليه * وقال آخرون ممن قال الهاء التى فى قوله ينصره من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم معنى النصر ههنا الرزق فعلى قول هؤلاء تأويل الكلام من كان يظن أن لن يرزق الله محمدا فى الدنيا ولن يعطيه وذكروا سماعا من العرب من ينصرنى نصره بمعنى من يعطنى أعطاه الله وحكوا أيضا سماعا منهم نصر المطر أرض كذا اذا جادها وأحياها واستشهدوا لذلك ببيت الفقعى

وانك لاتعطى امرأ فوق حظه * ولاتملك الشق الذى الغيث ناصره

ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التميمى قال قلت لابن عباس أرأيت قوله من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ قال من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا فليربط حبلا فى سقف ثم ليختنق به حتى يموت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق الهمدانى عن التميمى قال سألت ابن عباس عن قوله من كان يظن أن لن ينصره الله قال أن لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء والسبب الحبل والسماء سقف البيت فليعلق حبلا فى سماء البيت ثم ليختنق هل يذهبن كيده هذا الذى صنع مايجد من الغيظ **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن مطرف عن أبى اسحق عن رجل من بنى تميم عن ابن عباس مثله **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء قال سماء البيت **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت التميمى يقول سألت ابن عباس فذكر مثله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة الى قوله مايغيظ قال السماء التى أمر الله أن يمد اليها بسبب سقف البيت أمر أن يمد اليه بحبل فيختنق به قال فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ اذا اختنق ان خشى أن لا ينصره الله * وقال آخرون الهاء فى ينصره من ذكر من وقالوا معنى الكلام من كان يظن أن لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى سماء البيت ثم ليختنق فلينظر هل يذهبن فعله ذلك مايغيظ انه لا يرزق ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أن لن ينصره الله قال يرزقه الله فليمدد بسبب قال بحبل الى

ان كان تشبيها مركبا فمعناه من أشرك بالله فقد أهلك نفسه غاية الاهلاك وذلك بان صور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته أى استلبته الطير فتفرق مزعا أى قطعا من اللحم فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطاوح السحيقة البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى تركه فاشرك فقد سقط منها والاهواء التى توزع أفكاره بالطير المختطفة وفى المثل الآخر شبه الشيطان الذى يطرح به فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بالاشياء فى المهاوى المتلفة وتعظيم شعائر الله وهى الهدايا كما مر فى أول المائدة هى أن يختارها عظام الاجرام غالية الأثمان وقد مر وصفها الشرعى فى البقرة فى قوله فما استيسر من الهدى وقد أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى أنفه برة من ذهب قال فى الكشاف فانها من تقوى القلوب أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وأقول فى هذا الوجوب نظر لانه ليس بشرعى ولا بعقلى على ما تزعم المعتزلة أما المضاف الاول فلانه يحتمل أن يعود الضمير الى التعظيم بمعنى الخصلة وأما الآخران فلان من للعموم فلا يلزم أن يقدر لفظة منه أو فاعل التعظيم موحدين حتى لا يطابقها لفظ القلوب بل يحتمل أن يقدر لفظة منهم أو يقدر فان تعظيمهم اياها فيرجع الكلام الى قولنا ومن يعظم شعائر الله فان تلك الخلة منهم من تقوى القلوب أى ناشئة من تقوى قلوبهم فان القلوب مراكز التقوى التى منها عيارها وعليها مدارها ولا عبرة بما يظهر من آثارها على سائر الجوارح دونها ثم كان لسائل أن يسأل ما بال هذه الحيوانات تذبح فيتقرب بها الى الله تعالى فلهذا قال لكم فيها منافع يعنى الدنيوية من الدر وركوب الظهر ويشير الى الدينية بقوله

لكم فيها خير ولهذا أطلق ذلك وقيده هذه بقوله الى أجل مسمى وهو أوان النحر ثم بين ان وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها أو مكان نحرها منته الى البيت أو الى ما يجاوره و يقرب منه وهو الحرم كما في قوله هديا بالغ الكعبة ومثله قوله بلغنا البلد اذا شارفوه واتصل مسيرهم بحدوده قال القفال هذا انما يختص بالهدايا التي لغت منى فاما اذا أعطبت قبل بلوغ مكة فان محلها هو موضعها روى أبو هريرة انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يسوق بدنة وهو في جهاد فقال صلى الله عليه وسلم اركبها فقال يارسول الله انها هدى فقال اركبها و يلك وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال اركبوا الهدى بالمعروف حتى تجدوا ظهرا وهذا هو الذي اختاره الشافعي وعن أبي حنيفة انه لا يجوز الانتفاع بها لانه لا يجوز اجارتها ولو كان مالكا لمنافعها لملك عقد الاجارة عليها وضعف بان أم الولد لا يمكنه بيعها و يمكنه الانتفاع بها ومن ذهب الى هذا القول من فسر الاجل المسمى بوقت تسميتها هديا والمراد ان لكم أن تنتفعوا بهذه الانعام الى أن تسموها أضحية وهديا فاذا فعلتم ذلك فليس لكم أن تنتفعوا بها وقد ينسب هذا القول الى ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والضحاك أجاب الاولون بان الضمير في قوله لكم فيها منافع عائد الى الشعائر وتسمية ما سيجعل شعيرة مجاز والاصل عدمه قال في الكشاف ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وأعظم هذه المنافع وأبعدها موطنا في النفع محلها منتهية الى البيت ومنهم من فسر الشعائر بالمناسك كلها وفسر الاجل المسمى باوان انقطاع التكليف و زيفه جار الله بان محلها الى البيت يأباه ثم بين ان القرابين في الشرائع القديمة وان اختلفت أمكنتها وأوقاتها فقال ولكل أمة جعلنا منسكا موضعا أو وقتا يذبح فيه

به

السماء سماء ما فوقك ثم ليقطع ليختنق هل يذهبن كيده ذلك خنقه أن لا يرزق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله من كان يظن أن لن ينصره الله يرزقه الله فليمدد بسبب الى السماء قال بحبل الى السماء قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال الى السماء الى سماء البيت قال ابن جريج وقال مجاهد ثم ليقطع قال ليختنق وذلك كيده ما يغيظ قال ذلك خنقه أن لا يرزقه الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فليمدد بسبب يعني بحبل الى السماء يعني سماء البيت حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أبو رجاء قال سئل عكرمة عن قوله فليمدد بسبب الى السماء قال سماء البيت ثم ليقطع قال يختنق * وأولى ذلك بالصواب عندي في تاويل ذلك قول من قال الهاء من ذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم ودينه وذلك ان الله تعالى ذكره ذكر قوما يعبدونه على حرف وأنهم يطمئنون بالدين ان أصابوا خيرا في عبادتهم اياه وانهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها ثم اتبع ذلك هذه الآية فمعلوم انه انما اتبعه اياها توبيخا لهم على ارتدادهم عن الدين أو على شكهم فيه ونفاقهم استبطاء منهم السعة في العيش أو السبوغ في الرزق واذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم فمعنى الكلام اذا اذ كان ذلك كذلك من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته في الدين فيوسع عليهم من فضله فيها و يرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته استبطاء منه فعل الله ذلك به و بهم فليمدد بحبل الى سماء فوقه اما سقف بيت أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه ثم يختنق اذا اغتاظ من بعض ما قضى الله فاستعجل انكشاف ذلك عنه فلينظر هل يذهبن كيده اختناقه كذلك ما يغيظ فان لم يذهب ذلك غيظه حتى ياتي الله بالفرج من عنده فيذهبه فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه ان يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته ولا يعجله قبل حينه وقد ذكر ان هذه الآية نزلت في أسد وغطفان تباطؤا عن الاسلام وقالوا نخاف ان لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم فينقطع الذي بيننا و بين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا ولا يروونا فقال الله تبارك وتعالى لهم من استعجل من الله نصر محمد فليمدد بسبب الى السماء فليختنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه هل هو مذهب غيظه فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدم نصره قبل حينه * واختلف أهل العربية في ما التي في قوله ما يغيظ فقال بعض نحوى البصرة هي بمعنى الذي وقال معنى الكلام هل يذهبن كيده الذي يغيظه قال وحذفت الهاء لانها صلة الذي لانه اذا صارا جميعا اسما واحدا كان الحذف أخف وقال غيره بل هو مصدر لا حاجة به الى الهاء هل يذهبن كيده غيظه وقوله وكذلك أنزلناه آيات بينات يقول تعالى ذكره وكما بينت لكم حججي على من جحد قدرتي على احياء من مات من الخلق بعد فنائه فأوضحتها أيها الناس كذلك أنزلنا الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن آيات بينات يعني دلالات واضحات يهدين من أراد الله هدايته الى الحق وأن الله يهدي من يريد يقول جل ثناؤه ولان الله يوفق للصواب ولسبيل الحق من أراد أنزل هذا القرآن آيات بينات فان في موضع نصب ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد) يقول تعالى ذكره ان الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف والذين أشركوا بالله فعبدوا الاوثان والاصنام والذين هادوا وهم اليهود والصابئين والنصارى والمجوس الذين عظموا النيران وخدموها و بين الذين آمنوا بالله و رسله الى الله وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء وفصله بينهم ادخاله النار الاحزاب كلهم والجنة المؤمنين

النسائك الذبائح كسر السين سماع وفتحها قياس ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى النسك والمراد شرعنا لكل أمة من الامم السالفة من زمن
ابراهيم الى من قبله و بعده أن ينسكوا له أي يذبحوا لوجهه على جهة التقرب وجعل الغاية في ذلك هي أن يذكر اسمه على

به و برسله فذلك هو الفصل من الله بينهم وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا قال الصابئون قوم يعبدون الشمس والقمر والنيران والذين أشركوا يعبدون الاوثان والاديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن وأدخلت ان في خبر ان الاولى لما ذكرت من المعنى وان الكلام بمعنى الجزاء كأنه قيل من كان على دين من هذه الاديان ففصل ما بينه و بين من خالفه على الله والعرب تدخل أحيانا في خبر ان ان اذا كان خبر الاسم الاول في اسم مضاف الى ذكره فتقول ان عبد الله ان الخير عنده لكثير كما قال الشاعر

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

وكان الفراء يقول من قال هذا لم يقل انك انك قائم ولا ان أباك انه قائم لان الاسمين قد اختلفا فحسن رفض الاول وجعل الثاني كأنه هو المبتدأ فحسن للاختلاف وقبح بالاتفاق وقوله ان الله على كل شئ شهيد يقول ان الله على كل شئ من أعمال هؤلاء الاصناف الذين ذكرهم الله جل ثناؤه وغير ذلك من الاشياء كلها شهيد لا يخفى عنه شئ من ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر بقلبك فتعلم أن الله يسجد له من في السموات من الملائكة ومن في الارض من الخلق من الجن وغيرهم والشمس والقمر والنجوم في السماء والجبال والشجر والدواب في الارض وسجود ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس وحين تزول اذا تحول ظل كل شئ فهو سجوده كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قال ظلال هذا كله وأما سجود الشمس والقمر والنجوم فانه كما حدثنا به ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر قالا ثنا عوف قال سمعت أبا العالية الرياحي يقول ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع لله ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين وزاد محمد حتى يرجع الى مطلعه وقوله وكثير من الناس يقول ويسجد كثير من بني آدم وهم المؤمنون بالله منهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وكثير من الناس قال المؤمنون وقوله وكثير حق عليه العذاب يقول تعالى ذكره وكثير من بني آدم حق عليه عذاب الله فوجب عليه بكفره به وهو مع ذلك يسجد لله ظله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وكثير حق عليه العذاب وهو يسجد مع ظله فعلى هذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد وقع قوله وكثير حق عليه العذاب بالعطف على قوله وكثير من الناس ويكون داخلا في عداد من وصفه الله بالسجود له ويكون قوله حق عليه العذاب من صلة كثير ولو كان الكثير الثاني ممن لم يدخل في عداد من وصف بالسجود كان مرفوعا بالعائد من ذكره في قوله حق عليه العذاب وكان معنى الكلام حينئذ وكثير أبى السجود لان قوله حق عليه العذاب يدل على معصية الله وإبائه السجود فاستحق بذلك العذاب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء) يقول تعالى ذكره ومن يهنه الله من خلقه فيشقه فما له من مكرم بالسعادة يسعده بها لان الامور كلها بيد الله يوفق من يشاء لطاعته و يخذل من يشاء و يشقي من أراد و يسعد من أحب وقوله ان الله يفعل ما يشاء يقول تعالى ذكره ان الله يفعل في خلقه ما يشاء من اهانة من أراد اهانته

نحرها ثم بين العلة في تخصيص اسمه بذلك قائلا فالهكم اله واحد لان تفرده بالالهية يقتضي أن لا يذكر على الذبائح الا اسمه ويجوز أن يتعلق هذا الكلام بأول الآية والمعنى انما اختلفت التكاليف باختلاف الازمنة والاشخاص لاختلاف المصالح لا لتعدد الاله ثم ذكر ان تفرده بالالهية يقتضي اختصاصه بالطاعة قائلا فله أسلموا أي خصوه بالانقياد الكلي والامتثال لاوامره ونواهيه خالصا لوجهه من غير شائبة اشراك ثم أمر نبيه عليه السلام بتبشير المخبتين وفسرهم بقوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والتركيب يدور على التواضع والخشوع ومنه الخبت للمطمئن من الارض وعن عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقال الكلبي هم المجتهدون في العبادة ثم عطف على المخبتين قوله والصابرين على ما أصابهم أي من المكاره في ذات الله كالامراض والمحن فأما الذي يصيبهم من قبل الظلمة فقد قال العلماء انه لا يجب الصبر عليه ولكن لو أمكنه الدفع وجب دفعه ولو بالقتال ثم خص من أنواع التكاليف التي تشق على النفس وتكرهها نوعين هما أشرف العبادات البدنية والمالية أعني الصلاة والزكاة وقوله ومما رزقناهم عطف على المقيمي الصلاة من حيث المعنى كأنه قيل والذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ثم عاد الى تعظيم منال الضحايا مرة

أخرى وخص منها العظام الجسام بقوله والبدن جعلناها هي بضم الدال وسكونها جمع بدنة وهي الابل خاصة لعظم بدنها الا أن الشارع ألحق

واكرام من أراد كرامته لان الخلق خلقه والامر أمره لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقد ذكر عن بعضهم انه قرأه فماله من مكرم بمعنى فماله من اكرام وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها الاجماع الحجة من القراء على خلافه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) * اختلف أهل التأويل في المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله فقال بعضهم أحد الفريقين أهل الايمان والفريق الآخر عبدة الاوثان من مشركي قريش الذين تبارزوا يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت أباذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين بارزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة قال وقال على انى لاول أو من أول من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدى الله تبارك وتعالى حدثنا على بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت أباذر يقسم بالله قسما لنزلت هذه الآية في ستة من قريش حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب وعبيدة بن الحرث رضى الله عنهم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة هذان خصمان اختصموا في ربهم الى آخر الآية ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر الآية حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت أباذر يقسم ثم ذكر نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن محبب قال ثنا سفيان عن منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف قال نزلت هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر هذان خصمان اختصموا في ربهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنى محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت هؤلاء الآيات هذان خصمان اختصموا في ربهم في الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة الى قوله وهدوا الى صراط الحميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال والله لانزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم في الذين خرج بعضهم الى بعض يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة رحمة الله عليهم وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة *وقال آخرون ممن قال أحد الفريقين فريق الايمان بل الفريق الآخر أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب فانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا وكان ذلك خصومتهم في ربهم وقال آخرون منهم بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أى ملة كانوا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن مجاهد وعطاء بن أبي رباح وأبي قزعة عن الحسين قال هم الكافرون والمؤمنون اختصموا في ربهم قال حدثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثل الكافر والمؤمن قال ابن جريج خصومتهم التى اختصموا في ربهم خصومتهم في الدنيا من اهل كل دين يرون انهم أولى بالله من غيرهم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال كان عاصم والكلبي يقولان جميعا في هذان خصمان اختصموا في

البقرة بها حكما قال أبو حنيفة ومحمد لو قال على بدنة يجوز له نحرها في غير مكة وقال أبو يوسف لا يجوز الا بمكة بناء على ان البدنة مختصة بناقة أو بقرة تذبح هناك واتفقوا فيما اذا نذر هديا انه يجب ذبحه بمكة وفيما اذا نذر جزورا انه يذبحه حيث شاء وانتصب قوله والبدن بفعل يفسره ما بعده ومعنى جعلها من شعائر الله انها من أعلام الشريعة التى شرعها الله عن بعض السلف انه لم تملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير أى ثواب في الآخرة كما ذكرنا وبعضهم لم يفرق بين الاثنين فحمل كلا منهما على خير الدنيا والآخرة والانسب ما فسرناه حذرا من التكرار ما أمكن ومعنى صواف قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ولعل السر فيه تكثير سوادها للناظرين وتقوية قلوب المحتاجين فاذا وجبت جنوبها أى سقطت على الارض من وجبت الحائط وجبة سقطت ووجبت الشمس وجبة غربت والمعنى اذا زهق روحها حل لكم الاكل منها واطعام القانع والمعتر فالقانع السائل والمعتر الذى لا يسأل تعففا وقيل بالعكس فهما من الاضداد كان القانع قنع بالسؤال أو قنع بما قسم له فلا يسأل والمعتر رضى بعره أى عيبه فلا يسأل أو يسئل ثم من على عباده بان سخر لهم البدن أن يحبسوها صافة قوائمها مطعونا في لباتها مثل التسخير الذى شاهدوا وعلموا يأخذ بخطامها صبي فيقودها الى حيث يشاء وايست باعجز من بعض الوحوش التى هى أصغر جرما وأقل قوة لولا انه سبحانه سخرها روى ان أهل الجاهلية كانوا يلطخون الاوثان وحيطان الكعبة بلحوم القرابين ودمائها فبين الله تعالى ماهو المقصود منها فقال الله تعالى لن ينال الله أى لن يصيب رضا الله اللحوم والدماء المهراقة بمجرد الذبح والتصدق ولكن يناله التقوى منكم بان يكون القربان حلالا ويرعى فيها جهات الاجزاء ثم

ربهم قال أهل الشرك والاسلام حين اختصموا أيهم أفضل قال جعلا الشرك ملة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هذان خصمان اختصموا في ربهم قال مثل المؤمن والكافر اختصامهما في البعث * وقال آخرون الخصمان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية الجنة والنار ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عكرمة في هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هما الجنة والنار اختصمتا فقالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته فقد قص الله عليك من خبرهما ما تسمع * وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال عني بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين وانما قلت ذلك أولى بالصواب لانه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه أحدهما أهل طاعة له بالسجود له والآخر أهل معصية له قد حق عليه العذاب فقال ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر ثم قال وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ثم اتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما فقال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار وقال الله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار فكان بينا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما فان قال قائل فما أنت قائل فيما روي عن أبي ذر في قوله ان ذلك نزل في الذين بارزوا يوم بدر قيل ذلك ان شاء الله كما روي عنه ولكن الآية قد تنزل بسبب من الاسباب ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب وهذه من تلك وذلك ان الذين تبارزوا انما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله والآخر أهل ايمان بالله وطاعة له فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لاهل الايمان خصم وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الايمان منهما في أنه لاهل الشرك خصم فتأويل الكلام هذان خصمان اختصموا في ربهم واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته اياه على دينه وقوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يقول تعالى ذكره فاما الكافر بالله منهما فانه يقطع له قميص من نحاس من نار كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال الكافر قطعت له ثياب من نار والمؤمن يدخله الله جنات تجري من تحتها الانهار حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد في قوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال ثياب من نحاس وليس شيء من الآنية أحمى وأشد حرا منه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الكفار قطعت لهم ثياب من نار والمؤمن يدخل جنات تجري من تحتها الانهار وقوله يصب من فوق رؤسهم الحميم يقول يصب على رؤسهم ماء مغلي كما حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابراهيم بن اسحق الطالقاني قال ثنا ابن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهي الصهر ثم يعاد كما كان حدثني محمد بن المثنى قال ثنا يعمر بن بشر قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا سعيد ابن يزيد عن أبي السمح عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله الا أنه قال فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جنبه فيسلت ما في جوفه وكان بعضهم يزعم ان قوله ولهم مقامع من حديد من المؤخر الذي معناه التقديم ويقول وجه الكلام فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ولهم

يصرف فيما أمر ثم كرر منه التسخير وان الغاية تكبير الله على الهداية لاعلام دينه ومناسك حجه وصورة التكبير وما يتعلق بها قد سبق في البقرة في آية الصيام قالت المعتزلة لما لم ينتفع المكلف بالاجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه وجب أن تكون التقوى فعلا له والا كان بمنزلة الاجسام وأيضا انه قد شرط التقوى في قبول العمل وصاحب الكبيرة غير متق فوجب أن لا يقبل عمله والجواب انه لا يلزم من عدم انتفاعه ببعض ما ليس من أفعاله أن لا ينتفع بكل ما ليس من أفعاله وأيضا ان صاحب الكبائر اتقى الشرك فيصدق عليه انه متق وبشر المحسنين الى أنفسهم بتوفير الثواب عليها والاحسان بالحقيقة أن تعبد الله كأنك تراه وفيه ترغيب لما شرط من رعاية الاخلاص في القرابين وغيرها وحين فرغ من تعداد بعض مناسك الحج ومنافعها وكان الكلام قد انجر الى ذكر الكفار وصدهم عن المسجد الحرام اتبعه بيان ما يزيل ذلك الصد ويمكن من الحج وزيارة البيت فقال ان الله يدفع ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عن الذين آمنوا فعل الغالب والمدفوع وهو بأس المشركين وما كانوا يخونون الله ورسوله فيه يدل عليه تعليله بقوله ان الله لا يحب كل خوان كفور أي انه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته قال مقاتل أقروا بالصانع وعبدوا غيره فأي خيانة أعظم من هذا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقون من المشركين أذى شديدا وكانوا يلقونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر فنزل أذن وفاعله الله سبحانه أم لم يسم والمأذون فيه القتال بدليل قوله للذين يقاتلون ان فتح التاء فظاهر لان المشركين كانوا يقاتلون المؤمنين وانهم يؤمرون بالصبر وان كسرت فمعناه أذن للذين يحرصون على قتال المشركين في المستقبل نزل حرصهم على القتال منزلة نفس القتال بانهم ظلموا أي بسبب كونهم مظلومين وهي أول

آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم
وفي قوله ان الله يدافع ثم في قوله وان الله على نصرهم لقدير عدة كاملة باعلاء هذا الدين واظهار ذويه على أهل الاديان كلهم كا

مقامع من حديد يصب من فوق رؤسهم الحميم ويقول انما وجب أن يكون ذلك كذلك لان الملك يضربه بالمقمع من الحديد حتى تثقب رأسه ثم يصب فيها الحميم الذي انتهى حره فيقطع بطنه والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا يدل على خلاف ما قال هذا القائل وذلك انه صلى الله عليه وسلم أخبر ان الحميم اذا صب على رؤسهم نفذ الجمجمة حتى يخلص الى أجوافهم وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ولو كانت المقامع قد تثقب رؤسهم قبل صب الحميم عليها لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم ان الحميم ينفذ الجمجمة معنى ولكن الامر في ذلك بخلاف ما قال هذا القائل وقوله يصهر به ما في بطونهم والجلود يقول يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤسهم ما في بطونهم من الشحوم وتشوى جلودهم منه فتتساقط والصهر هو الاذابة يقال منه صهرت الالية بالنار اذا أذبتها أصهرها صهرا ومنه قول الشاعر

تروي لقى ألقي في صفصف * تصهره الشمس ولا ينصهر

ومنه قول الآخر * شك السفافيد سوء المصطهر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يصهر به قال يذاب اذابة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج يصهر به قال ما قطع لهم من العذاب حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة يصهر به ما في بطونهم قال يذاب به ما في بطونهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار الى قوله يصهر به ما في بطونهم والجلود يقول يسقون ماء اذا دخل بطونهم أذابها والجلود مع البطون حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر وهرون بن عنترة عن سعيد بن جبير قال هرون اذا جاع أهل النار وقال جعفر اذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن مارا مار بهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثوا فيغاثوا بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حره فاذا أدنوه من أفواههم انشوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ويصهر به ما في بطونهم يعني أمعاءهم وتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حاله يدعون بالويل والثبور وقوله ولهم مقامع من حديد تضرب رؤسهم بها الخزنة اذا أرادوا الخروج من النار حتى ترجعهم اليها وقوله كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها يقول كلما أراد هؤلاء الكفار الذين وصف الله صفتهم الخروج من النار مما نالهم من الغم والكرب ردوا اليها كما حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا الاعمش عن أبي ظبيان قال النار سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها ثم قرأ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وقد ذكر أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش جهنم فتلقي من فيها الى أعلى أبوابها فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان فيها بالمقامع ويقولون لهم اذا ضربوهم بالمقامع ذوقوا عذاب الحريق وعني بقوله ذوقوا عذاب الحريق ويقال لهم ذوقوا عذاب النار وقيل عذاب الحريق والمعنى المحرقة كما قيل العذاب الاليم بمعنى المؤلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) يقول تعالى

تقول لغيرك ان أطعتني فأنا قادر على مجازاتك لا تريد مجرد اثبات القدرة بل تريد انك ستفعل ذلك ثم وصف ذلك الظلم بان الموعودين بالنصر بقوله الذين أخرجوا من ديارهم ومحل أن يقولوا جر على الابدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي يوجب الاقرار والتمكين لا الاخراج والازعاج نظيره هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله ولولا دفع الله الناس قد مر في أواخر البقرة وللمفسرين فيه عبارات قال الكلبي يدفع بالنبيين عن المؤمنين وبالمجاهدين عن القاعدين وعن ابن عباس يدفع بالمحسن عن المسيء وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه ثم تلا هذه الآية وقال الضحاك يدفع بدين الاسلام وأهله عن أهل الذمة وقال مجاهد يدفع عن الحقوق بالشهود وعن النفوس بالقصاص أما الصوامع والبيع والصلوات فعن الحسن انها كلها أسماء المساجد فقد يتخذ المسلم لنفسه صومعة لاجل العبادة قال الجوهري الاصمع الصغير الاذن ويقال أتانا بثريدة مصمعة اذا دققت وحدد رأسها وصومعة النصارى فوعلة من هذا لانها رقيقة الرأس وقد تطلق البيعة على المسجد للتشبيه وكذا الصلوات وسميت كنيسة اليهود صلاة لانها يصلى فيها ويحتمل أن يراد مكان الصلوات أو يراد الصلاة الشرعية نفسها وصح ايقاع الهدم عليها نظرا الى قرائنها كقوله * متقلدا سيفا ورمحا * وان كان الرمح لا يتقلد هذا كله توجيه
تفسير الحسن والاكثرون على انها متعبدات مختلفة فعن أبي العالية ان الصوامع للنصارى والبيع لليهود والصلوات للصابئين والمساجد

تعالى ذكره وأما الذين آمنوا بالله ورسوله فاطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الاعمال فان الله يدخلهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار فحليهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا * واختلفت القراء فى قراءة قوله ولؤلؤا فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة نصبا مع التى فى الملائكة بمعنى يحلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤا عطفا باللؤلؤ على موضع الاساور ولان الاساور وان كانت مخفوضة من أجل من فيها فانها بمعنى النصب قالوا وهى تعد فى خط المصحف بالالف فذلك دليل على صحة القراءة بالنصب فيه وقرأت ذلك عامة قراء العراق والمصرين ولؤلؤ خفضا عطفا على اعراب الاساور الظاهر * واختلف الذين قرؤا ذلك كذلك فى وجه اثبات الالف فيه فكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لى عنه يقول أثبتت فيه كما أثبتت فى قالوا وكالوا وكان الكسائى يقول أثبتوها منه للهمزة لان الهمزة حرف من الحروف والقول فى ذلك عندى انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متفقتا المعنى صحيحتا المخرج فى العربية فبأيتهما قرأ القارئ فصيب وقوله ولباسهم فيها حرير يقول ولبوسهم التى تلى أبشارهم فيها ثياب حرير وقوله وهدوا الى الطيب من القول يقول تعالى ذكره وهداهم ربهم فى الدنيا الى شهادة أن لا اله الا الله كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهدوا الى الطيب من القول قال هدوا الى الكلام الطيب لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله قال الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه حدثنا على قال ألهموا وقوله وهدوا الى صراط الحميد يقول جل ثناؤه وهداهم ربهم فى الدنيا الى طريق الرب الحميد وطريقه دينه دين الاسلام الذى شرعه لخلقه وأمرهم أن يسلكوه والحميد فعيل صرف من مفعول اليه ومعناه انه محمود عند أوليائه من خلقه ثم صرف من محمود الى حميد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) يقول تعالى ذكره ان الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه وعن المسجد الحرام الذى جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخصص منها بعضا دون بعض سواء العاكف فيه والباد يقول معتدل فى الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام وقضاء نسكه به والنزول فيه حيث شاء العاكف فيه وهو المقيم به والباد وهو المنتاب اليه من غيره * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه سواء العاكف فيه وهو المقيم فيه والبادى فى أنه ليس أحدهما أحق بالمنزل فيه من الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن يزيد بن أبى زياد عن ابن سابط قال كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم وكان الرجل اذا وجد سعة نزل ففشا فيهم السرق وكل انسان يسرق من ناحيته فاصطنع رجل بابا فارسل اليه عمر اتخذت بابا من حجاج بيت الله فقال لا انما جعلته ليحرز متاعهم وهو قوله سواء العاكف فيه والباد قال البادى فيه كالمقيم ليس أحد أحق بمنزله من أحد الا أن يكون أحد سبق الى منزل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين قال قلت لسعيد بن جبير اعتكف بمكة قال أنت عاكف وقرأ سواء العاكف فيه والباد حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن ذكره عن أبى صالح سواء العاكف فيه والباد العاكف أهله والباد المنتاب فى المنزل سواء حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سواء العاكف فيه والبادى يقول ينزل أهل مكة وغيرهم فى المسجد الحرام حدثنى

المسلمين وفى تخصيصها بقوله يذكر فيها اسم الله كثيرا تشريف لها وتفضيل على غيرها الا ان الظاهر عود الضمير اليها فقط وعن قتادة ان الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود قال الزجاج وهى بالعبرانية صلوتا وقيل الصوامع والبيع كلتاهما للنصارى ولكن الاولى فى الصحراء والاخرى فى البلد وانما أخر متعبد أهل الاسلام لتأخر زمانهم ولا ضير فان أول الفكر آخر العمل وقال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وتفسير الآية على قول الاكثرين لولا دفع الله لهدم فى شرع كل نبى المكان المعهود لهم فى العبادة فهدم فى زمن موسى الكنائس وفى زمن عيسى الصوامع والبيع وفى زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد وعلى هذا الوجه انما رفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ ويحتمل أن يراد لولا ذلك لاستولى أهل الشرك على أهل الاديان فى زمن أمة محمد صلى الله عليه وسلم من المسلمين وأهل الكتاب الذين فى زمنهم وهدموا المتعبدات باسرها وعلى هذا الوجه انما دفع عن سائر أهل الاديان لان متعبداتهم يجرى فيها ذكر الله فى الجملة ليست بمنزلة بيوت الاصنام ثم عزم على نفسه نصرة من ينصر دينه وأولياءه وأكد ذلك بقوله ان الله لقوى عزيز ومعنى القوة والعزة انه لا يمتنع شئ من نفاذ أمره فيه مع انه لا يتأثر عن شئ أصلا ونصرة الله العبد تقويته على أعدائه ووضع الدلائل على ما يفيده فى الدارين ونفث روح القدس بامره داعية الخير والصلاح فى روعه ثم اتبع قوله الذين أخرجوا قوله الذين ان مكناهم وقيل هو بدل من قوله من ينصره وهو اخبار منه عز وجل عما ستكون عليه سيرة المهاجرين اذا مكنهم فى الارض وبسط لهم الدنيا وعن عثمان هذا والله ثناء قبل بلاء أراد ان الله تعالى قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا فى شأن الدين واعلائه ما أحدثوا وقيل انه مخصوص بالخلفاء

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله سواء العاكف فيه والباد قال العاكف المقيم بمكة والباد الذي يأتيه هم فيه سواء في البيوت حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سواء العاكف فيه والباد سواء فيه أهله وغير أهله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله سواء العاكف فيه والباد قال أهل مكة وغيرهم في المنازل سواء * وقال آخرون في ذلك نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سواء العاكف فيه قال الساكن والباد الجانب سواء حق الله عليهما فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله سواء العاكف فيه قال الساكن والباد الجانب قال حدثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن مجاهد وعطاء سواء العاكف فيه قالا من أهله والباد الذين يأتونه من غير أهله هما في حرمته سواء وانما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك لان الله تعالى ذكره ذكر في أول الآية صد من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم عن المسجد الحرام فقال ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ثم ذكر جل ثناؤه صفة المسجد الحرام فقال الذي جعلناه للناس فأخبر جل ثناؤه انه جعله للناس كلهم فالكافرون به يمنعون من أراده من المؤمنين به عنه ثم قال سواء العاكف فيه والباد فكان معلوما ان خبره عن استواء العاكف فيه والباد انما هو في المعنى الذي ابتدأ الله الخبر عن الكفار به أنهم صدوا عنه المؤمنين به وذلك لا شك طوافهم وقضاء مناسكهم به والمقام لا الخبر عن ملكهم اياه وغير ملكهم وقيل ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فعطف بيصدون وهو مستقبل على كفروا وهو ماض لان الصد بمعنى الصفة لهم والدوام واذا كان ذلك معنى الكلام لم يكن الا بلفظ الاسم أو الاستقبال ولا يكون بلفظ الماضي واذا كان ذلك كذلك فمعنى الكلام ان الذين كفروا ومن صفتهم الصد عن سبيل الله وذلك نظير قول الله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وأما قوله سواء العاكف فيه فان قراء الامصار على رفع سواء بالعاكف والعاكف به واعمال جعلناه في الهاء المتصلة به واللام التي في قوله للناس ثم استأنف الكلام بسواء وكذلك تفعل العرب بسواء اذا جاءت بعد حرف قد تم الكلام به فتقول مررت برجل سواء عنده الخير والشر وقد يجوز في ذلك الخفض وانما يختار الرفع في ذلك لان سواء في مذهب واحد عندهم فكأنهم قالوا مررت برجل واحد عنده الخير والشر وأما من خفضه فانه يوجهه الى معتدل عنده الخير والشر ومن قال ذلك في سواء فاستأنف به ورفع ولم يعمله في معتدل لان معتدل فعل مصرح وسواء مصدر فاخراجهم اياه الى الفعل كاخراجهم حسب في قولهم مررت برجل حسبك من رجل الى الفعل وقد ذكر عن بعض القراء انه قرأه سواء نصبا على اعمال جعلناه فيه وذلك وان كان له وجه في العربية فقراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من القراء على خلافه وقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم يقول تعالى ذكره ومن يرد فيه بالحاد نذقه من عذاب أليم وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم وأدخلت الباء في قوله بالحاد والمعنى فيه ما قلت كما أدخلت في قوله تنبت بالدهن والمعنى تنبت الدهن كما قال الشاعر

بواد يمان ينبت الشث صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان

والمعنى وأسفله ينبت المرخ والشبهان وكما قال أعشى بني ثعلبة

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا * ملء المراجل والصريح الاجردا

كانوا عاملين ثم ختم الآية بقوله ولله عاقبة الامور أي مرجعها ومصيرها الى حكمه وتقديره وقد أراد تمكين أهل هذا الدين في كل حين فيقع لا محالة * التأويل ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام القلب سواء فيه من سبق اليه مدة طويلة والذي يصل اليه في الحال لافضل الاسبق مقامات القلب ومنازله واذ بوأنا لابراهيم الروح مكان بيت القلب وطهر بيتي عن غيري وهو كل ما فيه حظ النفس دون الواردات المطيفة والاخلاق الثابتة والاحوال المتوالية كالرغبة والرهبة والقبض والبسط والانس والهيبة رجالا هي النفس وصفاتها وعلى كل ضامر هي البدن وجوارحه فان الاعمال الشرعية قد ركبت الجوارح المرضية فأعمال البدن مركبة من حركات الجوارح ونيات الضمير كأن أعمال النفس بسيطة لانها نيات الضمير فقط من كل فج عميق هو مصالح الدنيا لان مصالحها بعيدة عن مصالح الآخرة ليشهدوا منافع لهم فمنافع النفس وصفاتها بتبديل الاخلاق ومنافع القالب والجوارح بظهور أثر الطاعة عليها ويذكروا أي القلب والنفس والقالب شكرا على ما رزقهم من تبديل الصفات البهيمية بالصفات الروحانية فانتفعوا بها وأفيضوا منها على الطالبين فهو خير لان العبد يصل بالطاعة الى الجنة ويصل بحرمة الطاعة الى الله وترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة وأحلت لكم استعمال الصفات البهيمية بقدر الضرورة الا ما يتلى عليكم في قولنا ولا تسرفوا وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام

المرء تركه مالا يغنيه فاجتنبوا مقتضيات الهوى وكونوا صادقين فى الطلب لا مزورين مائلين الى الحق غير طالبين منه غيره ومن سماء

القلب فاستلبه طير الشياطين أو تهوى به ريح الهوى والخذلان الى أسفل سافلين البعد والحرمان لكم فى شواهد آثار صنع

يعنى ضمنت رزق عيالنا أرماحنا فى قول بعض نحوى البصريين وأما بعض نحوى الكوفيين فانه كان يقول أدخلت الباء فيه لان تأويله ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم وكان يقول دخول الباء فى ان أسهل منه فى الحاد وما أشبهه لان أن تضمر الخوافض معها كثيرا وتكون كالشرط فاحتملت دخول الخافض وخروجه لان الاعراب لا يتبين فيها وقال فى المصادر يتبين الرفع والخفض فيها قال وأنشدنى أبو الجراح

فلما دعت بالشرب هز لها العصا * شحيح له عند الاداء نهيم

وقال امرؤ القيس

ألا هل أتاها والحوادث جمة * بأن امرأ القيس بن مالك بيقرا

قال فادخل الباء على أن وهى فى موضع رفع كما أدخلها على الحاد وهو فى موضع نصب قال وقد أدخلوا الباء على ما اذا أرادوا بها المصدر كما قال الشاعر

ألم يأتيك والانباء تنمى * بما لاقت لبون بنى زياد

وقال وهو فى ما أقل منه فى أن لان أن أقل شبها بالاسماء من ما قال وسمعت أعرابيا من ربيعة وسألته عن شئ فقال أرجو بذاك يريد أرجو ذاك * واختلف أهل التأويل فى معنى الظلم الذى من أراد الالحاد به فى المسجد الحرام أذاقه الله من العذاب الاليم فقال بعضهم ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به أى بالبيت ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم يقول بشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم هو أن يعبد فيه غير الله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال هو الشرك من أشرك فى بيت الله عذبه الله حدثنا الحسين بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم يعنى أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من لسان أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فاذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال يعمل فيه عملا سيئا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن الاودى قالا ثنا المحاربى عن سفيان عن السدى عن مرة عن عبد الله قال ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ولو أن رجلا بعدن أبين هم أن يقتل رجلا بهذا البيت لاذاقه الله من العذاب الاليم حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا شعبة عن السدى عن مرة عن عبد الله قال مجاهد قال يزيد قال لنا شعبة رفعه وأنا لا أرفعه لك فى قول الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال لو أن رجلا هم بسيئة وهو بعدن أبين لاذاقه الله عذابا أليما حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن الضحاك ابن مزاحم فى قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال ان الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو فى بلد آخر ولم يعملها فتكتب عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال الالحاد الظلم فى الحرم * وقال آخرون بل معنى ذلك الظلم استحلال الحرم متعمدا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس بالحاد بظلم قال الذى يريد استحلاله متعمدا ويقال الشرك * وقال آخرون بل ذلك احتكار الطعام بمكة ذكر من قال ذلك حدثنى هرون

الارشاد منافع وهى لذة العبور على المقامات ولذة البسط ولذة الانس الى أجل مسمى وهو حد الكمال ثم انتهاء السلوك الى حضرة القديم ولكل سالك جعلنا مقصدا وطريقا منهم من يطلب الله من طريق المعاملات ومنهم من يطلبه من طريق المجاهدات ومنهم من يطلبه بطريق المعارف ومنهم من يطلبه به فله أسلموا أى أخلصوا والاخلاص تصفية الاعمال من الآفات ثم الاخلاق من الكدورات ثم الاحوال من الالتفات ثم الانفاس من الاغيار وبشر المخبتين من المستقيمين على هذه الطريقة وجلت قلوبهم الوجل عند الذكر على حسب تجلى الحق للقلب والصابرين على ما أصابهم من غير تمنى ترحة ولا روم فرحة والمقيمى الصلاة الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون اطلاع الخلق على أحوالهم ومما رزقناهم ينفقون يبذلون الموجود فى طلب المقصود والوجود بشهود المعبود والبدن يعنى بدن الابدان الجسام جعلناها قربانها عند كعبة القلب بذبحها عن شهواتها من شعائر أهل الصدق فى الطلب فاذا ماتت عن طبيعتها فانتفعوا بها أنتم وغيركم من الطالبين والقانعين بما أفضتم عليه والمعترين المتعطشين الذين لا يروون ريا من ماء حياة المعرفة

شعر

شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت

كذلك سخرناها لكم فيه ان ذبح النفس بسكين الرياضة لا يتيسر الا بتسخير خالقها وتيسير موجدها يؤكده قوله ان الله يدافع خيانة النفس وهواها عن الذين آمنوا أذن للذين يقاتلون فيه ان قتال النفس يجب أن يكون باذن من الله تعالى وهو أن يكون على وفق الشرع

ابن ادريس الاصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن أشعث عن حبيب بن أبي ثابت في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال هم المحتكرون الطعام بمكة * وقال آخرون بل ذلك كل ما كان منهيا عنه من الفعل حتى قول القائل لا والله وبلى والله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الآخر فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن أبي ربعي عن الاعمش قال كان عبد الله بن عمرو يقول لا والله وبلى والله من الالحاد فيه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من انه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك ان الله عم بقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم ولم يخصص به ظلما دون ظلم في خبر ولا عقل فهو على عمومه فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ومن يرد في المسجد الحرام بان يميل بظلم فيعصي الله فيه نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له وقد ذكر عن بعض القراء انه كان يقرأ ذلك ومن يرد فيه بفتح الياء بمعنى ومن يرده بالحاد من وردت المكان أرده وذلك قراءة لا تجوز القراءة عندي بها لخلافها ما عليه الحجة من القراء مجمعة مع بعدها من فصيح من العرب وذلك ان يرد فعل واقع يقال منه هو يرد مكان كذا أو بلدة كذا غدا ولا يقال يرد في مكان كذا وقد زعم بعض أهل المعرفة بكلام العرب ان طيأ تقول رغبت فيك تريد رغبت بك وذكر ان بعضهم أنشده بيتا

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه * ولكنني عن سنبس لست أرغب

بمعنى وأرغب بها فان كان ذلك صحيحا كما ذكرنا فانه يجوز في الكلام فاما القراءة به فغير جائزة لما وصفت ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيأ وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معلمه عظيم ما ركب قومه من قريش خاصة دون غيرهم من سائر خلقه بعبادتهم في حرمه والبيت الذي أمر ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم ببنائه وتطهيره من الآفات والريب والشرك واذكر يا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذي تعبده قومك فيه غيري اذ بوأنا لخليلنا ابراهيم يعني بقوله بوأنا وطأنا له مكان البيت كما حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت قال وضع الله البيت مع آدم صلى الله عليه وسلم حين اهبط آدم الى الارض وكان مهبطه بارض الهند وكان رأسه في السماء ورجلاه في الارض فكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا وان آدم لما فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم شكا ذلك الى الله فقال الله يا آدم اني قد أهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى حول عرشي فانطلق اليه فخرج اليه ومد له في خطوه فكان بين كل خطوتين مفازة فلم تزل تلك المفاوز على ذلك حتى أتى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الانبياء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال لما عهد الله الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتي للطائفين انطلق ابراهيم حتى أتى مكة فقام هو واسمعيل وأخذا المعاول لا يدريان أين البيت فبعث الله ريحا يقال لها ريح الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الاول واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الاساس فذلك حين يقول واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ويعني بالبيت الكعبة ألا تشرك بي شيأ في عبادتك اياي وطهر بيتي الذي بنيته من عبادة الاوثان كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ليث عن مجاهد في قوله وطهر بيتي قال من الشرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير قال من الآفات والريب حدثنا ابن

بالقلوب لضيعت صوامع أركان الشريعة وبيع آداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد القلوب التي يذكر فيها اسم الله كثيرا لاتساعها باشراق نور الله عليها ان مكناهم في الارض البشرية أداموا صلاة المواصلة وآتوا زكاة الاحوال وهي ايثار ربع عشر الاوقات على مصالح الخلق وأمروا بحفظ الحواس عن مخالفات الامر وبمراعاة الانفاس مع الله ونهوا عن مناكير الرياء والاعجاب والى الله عاقبة الامور (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والي المصير قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان

عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة طهرا بيتي قال من الشرك وعبادة الاوثان وقوله للطائفين يعني للطائفين به والقائمين يعني المصلين الذين هم قيام في صلاتهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عطاء في قوله وطهر بيتي للطائفين والقائمين قال القائمون في الصلاة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والقائمين قال القائمون المصلون حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والقائمين والركع السجود قال القائم والراكع والساجد هو المصلي والطائف هو الذي يطوف به وقوله والركع السجود في صلاتهم حول البيت

القول في تأويل قوله تعالى (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) يقول تعالى ذكره عهدنا اليه أيضا ان أذن في الناس بالحج يعني بقوله وأذن أعلم وناد في الناس أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام يأتوك رجالا يقول فان الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجه مشاة على ارجلهم وعلى كل ضامر يقول وركبانا على كل ضامر وهي الابل المهازيل يأتين من كل فج عميق يقول يأتي هذه الضوامر من كل فج عميق يقول من كل طريق ومكان ومسلك بعيد وقيل يأتين فجمع لانه أريد بكل ضامر النوق ومعنى الكل الجمع فلذلك قيل يأتين وقد زعم الفراء انه قليل في كلام العرب مررت على كل رجل قائمين قال وهو صواب وقول الله وعلى كل ضامر يأتين ينبئ عن صحة جوازه وذكر ان ابراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحج قام على مقامه فنادى يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فحجوا بيته العتيق * وقد اختلف في صفة تأذين ابراهيم بذلك فقال بعضهم نادى بذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قيل له أذن في الناس بالحج قال رب وما يبلغ صوتي قال أذن وعلي البلاغ فنادى ابراهيم أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فحجوا قال فسمعه ما بين السماء والارض أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الارض يلبون حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما بنى ابراهيم البيت أوحى الله اليه أن أذن في الناس بالحج قال فقال ابراهيم ألا ان ربكم قد اتخذ بيتا وأمركم أن تحجوه فاستجاب له ما سمعه من شئ من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شئ لبيك اللهم لبيك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا ابن واقد عن أبي الزبير عن مجاهد عن ابن عباس قوله وأذن في الناس بالحج قال قام ابراهيم خليل الله على الحجر فنادى يا أيها الناس كتب عليكم الحج فاسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فاجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا قال وقرت في قلب كل ذكر وأنثى حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير قال لما فرغ ابراهيم من بناء البيت أوحى الله اليه أن أذن في الناس بالحج قال فخرج فنادى في الناس يا أيها الناس ان ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه فلم يسمعه يومئذ من انس ولا جن ولا شجر ولا أكمة ولا تراب ولا جبل ولا ماء ولا شئ الا قال لبيك اللهم لبيك قال حدثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قام ابراهيم على المقام حين أمر أن يؤذن في الناس بالحج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله وأذن في الناس بالحج قال قام ابراهيم على مقامه فقال حجاج يا أيها الناس أجيبوا ربكم فقالوا لبيك اللهم لبيك فمن حج اليوم فهو ممن أجاب ابراهيم يومئذ حدثنا ابن المثنى

صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات والارض وان الله لهو الغني الحميد) القراآت نكيري باثبات الياء حيث كان في الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل أهلكناها على التوحيد أبو عمرو وسهل ويعقوب والآخرون أهلكناها وبير بالياء أبو عمرو غير شجاع وأوقيه ويزيد والاعشى وورش وربيعة وابن فليح وحمزة في الوقف يعدون على الغيبة ابن كثير وحمزة وعلي وخلف معجزين بالتشديد حيث كان ابن كثير وأبو عمرو وقتلوا بالتشديد ابن عامر وان ما يدعون بياء الغيبة وكذلك في سورة لقمان أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وحفص * الوقوف وثمود ه لا ولوط ه لا مدين ج لانقطاع

قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة بن خالد المخزومي قال لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت قام على المقام فنادى نداء سمعه أهل الارض ان ربكم قد بنى لكم بيتا فحجوه قال داود فارجو من حج اليوم من اجابة ابراهيم عليه السلام حدثني محمد بن سنان القزاز قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيل قال قال ابن عباس هل تدرى كيف كانت التلبية قلت وكيف كانت التلبية قال ان ابراهيم لما أمر أن يؤذن في الناس بالحج خفضت له الجبال رؤسها ورفعت القرى فاذن في الناس حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله وأذن في الناس بالحج قال ابراهيم كيف أقول يارب قال قل يا أيها الناس استجيبوا ربكم قال وقرت في قلب كل مؤمن * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن مجاهد قال قيل لابراهيم أذن في الناس بالحج قال يارب كيف أقول قال قل لبيك اللهم لبيك قال فكانت أول التلبية وكان ابن عباس يقول عنى بالناس في هذا الموضع أهل القبلة ذكر الرواية بذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأذن في الناس بالحج يعني بالناس أهل القبلة ألم تسمع انه قال ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله ومن دخله كان آمنا يقول ومن دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم وكتب عليهم الحج فانه آمن فعظموا حرمات الله تعالى فانها من تقوى القلوب وأما قوله يأتوك رجالا وعلى كل ضامر فان أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يأتوك رجالا قال مشاة قال حدثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج بن ارطاة قال قال ابن عباس ما آسى على شئ فاتني الا أن لا أكون حججت ماشيا سمعت الله يقول يأتون رجالا قال حدثنا الحسين قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال حج ابراهيم واسمعيل ماشيين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس يأتوك رجالا قال على أرجلهم حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعلى كل ضامر قال الابل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وعلى كل ضامر قال الابل حدثني نصر بن عبد الرحمن الاودي قال ثنا المحاربي عن عمر بن ذر قال قال مجاهد كانوا لا يركبون فانزل الله يأتوك رجالا وعلى كل ضامر قال فامرهم بالزاد ورخص لهم في الركوب والمتجر وقوله من كل فج عميق حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس من كل فج عميق يعني مكان بعيد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس من كل فج عميق قال بعيد حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فج عميق قال مكان بعيد حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله ليشهدوا منافع لهم * اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال بعضهم هي التجارة ومنافع الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس ليشهدوا منافع لهم قال هي الاسواق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر بن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قال تجارة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عاصم بن بهدلة عن أبي رزين في قوله ليشهدوا منافع لهم قال أسواقهم قال حدثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير ليشهدوا منافع لهم قال التجارة حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن واقد عن سعيد مثله حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا سنان عن عاصم بن أبي النجود عن أبي رزين ليشهدوا منافع لهم قال الاسواق * وقال

الصدور ه وعده ط بعدون ه أخذتها ط المصير ه المبين ج ه للابتداء مع الفاء كريم ه الجحيم ه أمنيته ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى آياته ط حكيم ه لالتعلق اللام قلوبهم ط بعيد ه لاقلوبهم ط مستقيم ه عقيم ه لله ط بينهم ط النعيم ه مهين ه حسنا ط الرازقين ه يرضونه ط حليم ه ذلك ج لينصرنه الله ط غفور ه بصير ه الكبير ه ماء ز لنوع عدول مع العطف مخضرة ط خبير ه وما في الارض ط الحميد ه

* التفسير انه سبحانه بعد ضمان النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم والدفع عن أمته ذكر ما فيه تسليته وهو انه ليس باوحدى في التكذيب له والقصص معلومة مما سلف قال جار الله انما لم يقل وقوم موسى لان موسى كذبه غير بني اسرائيل وهم القبط أو المراد وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره والنكير بمعنى الانكار عبر به عن الهلاك المعجل لانه يستلزمه أو لان الهلاك رادع لغيرهم فكأنه أنكر به عليهم حتى ارتدعوا أو هو بمعنى التغيير لانه أبدلهم بالنعمة محنة و بالحياة هلاكا و بالعمارة خرابا قوله وهي ظالمة فهي خاوية الاولى في محل النصب على انها حال والثانية لامحل لها لانها معطوفة على أهلكناها وهذه ليس لها محل قال أبو مسلم أراد وهي كانت ظالمة فهي الآن خاوية على عروشها وقد مر تفسيرها في البقرة في قوله أو كالذي مر على قرية وهي خاوية قوله وبئر

آخرون هي الاجر في الآخرة والتجارة في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وسوار بن عبد الله قالا ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليشهدوا منافع لهم قال التجارة وما يرضى الله من أمر الدنيا والآخرة حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ثنا اسحق عن سفيان عن ابن ابي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ثنا سفيان قال أخبرنا اسحق عن أبي بشر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ليشهدوا منافع لهم قال الاجر في الآخرة والتجارة في الدنيا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل هي العفو والمغفرة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن أبي جعفر ليشهدوا منافع لهم قال العفو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر قال قال محمد بن علي مغفرة * وأولى الاقوال بالصواب قول من قال عنى بذلك ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة وذلك ان الله عم منافع لهم جميع ما يشهد له الموسم ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة ولم يخصص من ذلك شيأ من منافعهم بخبر ولا عقل فذلك على العموم في المنافع التي وصفت وقوله ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام يقول تعالى ذكره وكي يذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبدن التي أهدوها من الابل والبقر والغنم في أيام معلومات وهن أيام التشريق في قول بعض أهل التأويل وفي قول بعضهم أيام العشر وفي قول بعضهم يوم النحر وأيام التشريق وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في ذلك بالروايات وبينا الاولى بالصواب منها في سورة البقرة فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع غير اني أذكر بعض ذلك أيضا في هذا الموضع حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله ويذكروا اسم الله في أيام معلومات يعني أيام التشريق حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله أيام معلومات يعني أيام التشريق على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعني البدن حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في أيام معلومات قال أيام العشر والمعدودات أيام التشريق وقوله فكلوا منها يقول كلوا من بهائم الانعام التي ذكرتم الله عليها أيها الناس هنالك وهذا الامر من الله جل ثناؤه أمر اباحة لا أمر ايجاب وذلك انه لا خلاف بين جميع الحجة ان ذابح هديه أو بدنته هنالك ان لم يأكل من هديه أو بدنته انه لم يضيع له فرضا كان واجبا عليه فكان معلوما بذلك انه غير واجب ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك من أهل العلم حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج عن عطاء قوله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير قال كان لا يرى الاكل منها واجبا حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن مجاهد انه قال هي رخصة ان شاء أكل وان شاء لم يأكل وهي كقوله واذا حللتم فاصطادوا فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض يعني قوله فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله فكلوا منها قال هي رخصة فان شاء أكل وان شاء لم يأكل قال حدثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء في قوله فكلوا منها قال هي رخصة فان شاء أكلها وان شاء لم يأكل حدثني علي بن سهل قال ثنا زيد قال ثنا سفيان عن حصين عن مجاهد في قوله فكلوا منها قال انما هي رخصة وقوله وأطعموا البائس الفقير يقول وأطعموا مما تذبحون أو تنحرون هنالك من بهيمة الانعام من هديكم وبدنكم البائس وهو الذي به ضر الجوع والزمانة والحاجة والفقير الذي لا شئ له * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير يعني الزمن الفقير حدثنا

معطلة عطف على قرية أي وكم بئر معطلة أهلها عن سقائها مع أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء وكم قصر مشيد مجصص

أو مرتفع أخليناه عن ساكنيه فحذف هذه الجملة لدلالة معطلة عليها وقد يغلب على الظن من هاتين القرينتين ان على في قوله على عروشها بمعنى مع كأنه قيل هي خاوية أي ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها قاله في الكشاف وأقول اذا كانت القرى المهلكة غير البئر والقصر فهذا الظن مرجوح أو مساو لا غالب يروى انها بئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وسميت بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم يحكى ان الامام أبا القاسم الانصاري قال هذا عجيب لاني زرت قبر صالح بالشام ببلدة يقال لها عكة فكيف قيل انه بحضرموت قلت لا غرو ان يتفق الموت بأرض والدفن بأرض أخرى ثم أنكر على أهل مكة عدم اعتبارهم بهذه الآثار قائلا أفلم يسيروا وحثهم على السفر ليروا مصارع تلك الامم فيعتبروا ويحتمل أن يكونوا قد سافروا ولم يعتبروا فلهذا جاء الانكار كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون والمراد بالسماع سماع تدبر وانتفاع والا كان كلا سماع كان المراد بالابصار أبصار الاعتبار ولهذا قال فانها أي ان القصة

لا تعمى الابصار أي أبصارهم ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وفي هذا التصوير زيادة التمكين والتقرير لغرابة نسبة العمى الى

ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن رجل عن مجاهد البائس الفقير الذى عد اليك يديه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله البائس الفقير قال هو القانع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن عطاء عن عكرمة قال البائس الفقير المضطر الذى عليه البؤس والفقير المتعفف قال حدثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله البائس الفقير الذى يبسط يديه وقوله ثم ليقضوا تفثهم يقول تعالى ذكره ثم ليقضوا ما عليهم من مناسك حجهم من حلق شعر وأخذ شارب ورمى جمرة وطواف بالبيت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنى يزيد قال أخبرنا الاشعث بن سوار عن نافع عن ابن عمر انه قال ثم ليقضوا تفثهم قال ما هم عليه فى الحج حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد قال ثنى الاشعث عن نافع عن ابن عمر قال التفث المناسك كلها قال حدثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس انه قال فى قوله ثم ليقضوا تفثهم قال التفث حلق الرأس وأخذ من الشاربين ونتف الابط وحلق العانة وقص الاظفار والاخذ من العارضين ورمى الجمار والموقف بعرفة والمزدلفة حدثنا حميد قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا خالد عن عكرمة قال التفث الشعر والظفر حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى انه كان يقول فى هذه الآية ثم ليقضوا تفثهم رمى الجمار وذبح الذبيحة وأخذ من الشاربين واللحية والاظفار والطواف بالبيت وبالصفا والمروة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد انه قال فى هذه الآية ثم ليقضوا تفثهم قال هو حلق الرأس وذكر أشياء من الحج قال شعبة لا أحفظها قال حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم ليقضوا تفثهم قال حلق الرأس وحلق العانة وقص الاظفار وقص الشارب ورمى الجمار وقص اللحية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه لم يقل فى حديثه وقص اللحية حدثنى نصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا المحاربى قال سمعت رجلا يسأل ابن جريج عن قوله ثم ليقضوا تفثهم قال الاخذ من اللحية ومن الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة ورمى الجمار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن الحسن وأخبرنا جويبر عن الضحاك انهما قالا حلق الرأس حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم ليقضوا تفثهم يعنى حلق الرأس حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال التفث حلق الرأس وتقليم الظفر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم ليقضوا تفثهم يقول نسكهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم ليقضوا تفثهم قال التفث حرمهم حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم ليقضوا تفثهم قال يعنى بالتفث وضع احرامهم من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الاظفار ونحو ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب قال التفث حلق الشعر وقص الاظفار والاخذ من الشارب وحلق العانة وأمر الحج كله وقوله وليوفوا نذورهم يقول وليوفوا الله بما نذروا من هدى وبدنة وغير ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وليوفوا نذورهم نحر ما نذروا من البدن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وليوفوا نذورهم نذر الحج والهدى وما

المبهم والمعنى على الوجهين ان أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم أو لا تعتدوا بعمى الابصار وان فرض لانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب وزعم بعضهم ان فى الآية ابطالا لقول من جعل محل الكفر الدماغ وليس بقوى فقد يتشاركان فى ذلك أو يكون سلطانه فى القلب والدماغ كالآلة ثم حكى من عظيم ما هم عليه من التكذيب انهم يستهزؤن باستعجال العذاب العاجل والآجل كأنهم جوزوا الفوت فلهذا قال ولن يخلف الله وعده أولعلهم طلبوا عذاب الآخرة فذكر ان استعجاله فى الدنيا كالخلف لان موعده الآخرة وان يوما عند ربك كألف سنة قال أبو مسلم أراد ان العاقل لا ينبغى أن يستعجل عذاب الآخرة لان يوما واحدا من أيام عذاب الله فى الشدة كألف سنة من سنينكم لان أيام الشدائد مستطالة أو كألف سنة من سنى العذاب اذا عدها العاد وذلك لشدة العذاب أيضا وقيل أراد ان اليوم الواحد وألف سنة بالنسبة اليه على السواء لانه القادر الذى لا يعجزه شئ فاذا لم يستبعدوا امهال يوم فلا يستبعدوا أيضا امهال ألف سنة وقد يدور فى الخلدان هذا اشارة الى لاتناهى طرف الابد المستتبع لازدياد امتداد الآحاد الاعتبارية لاجل سهولة الضبط والغرض ان من كانت أيامه فى الطول الى هذا الحد لا يفيد الاستعجال بالنسبة اليه شيأ فالاولى بل الواجب تفويض الامور الى أوقاتها المقدرة لها من غير تقدم ولا تأخر ثم كرر قوله وكأين من

نذر الانسان من شئ يكون فى الحج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وليوفوا نذورهم قال نذر الحج والهدى وما نذر الانسان على نفسه من شئ يكون فى الحج وقوله وليطوفوا بالبيت العتيق يقول وليطوفوا ببيت الله الحرام * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله العتيق فى هذا الموضع فقال بعضهم قيل ذلك لبيت الله الحرام لان الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه وهدمه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى ان ابن الزبير قال انما سمى البيت العتيق لان الله أعتقه من الجبابرة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن ابن الزبير مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال انما سمى العتيق لانه أعتق من الجبابرة قال حدثنا سفيان قال ثنا أبو هلال عن قتادة وليطوفوا بالبيت العتيق قال عتق من الجبابرة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله البيت العتيق قال أعتقه الله من الجبابرة يعنى الكعبة * وقال آخرون قيل له عتيق لانه لم يملكه أحد من الناس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عبيد عن مجاهد قال انما سمى البيت العتيق لانه ليس لاحد فيه شئ * وقال آخرون سمى بذلك لقدمه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله البيت العتيق قال العتيق القديم لانه قديم كما يقال السيف العتيق لانه أول بيت وضع للناس بناه آدم وهو أول من بناه ثم بوأ الله موضعه لابراهيم بعد الغرق فبناه ابراهيم واسمعيل * قال أبو جعفر ولكل هذه الاقوال التى ذكرناها عمن ذكرناها عنه فى قوله البيت العتيق وجه صحيح غير ان الذى قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه فى الظاهر غير ان الذى روى عن ابن الزبير أولى بالصحة ان كان ما حدثنى به محمد بن سهل البخارى قال ثنا عبد الله بن صالح قال أخبرنى الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن الزهرى عن محمد بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى البيت العتيق لان الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه قط صحيحا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الزهرى بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما سمى البيت العتيق لان الله أعتقه ثم ذكر مثله وعنى بالطواف الذى أمر جل ثناؤه حاج بيته العتيق به فى هذه الآية طواف الافاضة الذى يطاف به بعد التعريف اما يوم النحر واما بعده لا خلاف بين أهل التاويل فى ذلك ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك حدثنا عمرو بن سعيد القرشى قال ثنا الانصارى عن أشعث عن الحسن وليطوفوا بالبيت العتيق قال طواف الزيارة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا خالد قال ثنا الاشعث أن الحسن قال فى قوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال الطواف الواجب حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وليطوفوا بالبيت العتيق يعنى زيارة البيت حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن حجاج وعبد الملك عن عطاء فى قوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال طواف يوم النحر حدثنى أبو عبد الرحمن البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال سألت زهيرا عن قول الله وليطوفوا بالبيت العتيق قال طواف الوداع * واختلفت القراء فى قراءة هذه الحروف فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بتسكين اللام فى كل ذلك طلب التخفيف كما فعلوا فى هو اذا كانت قبلها واو فقالوا وهو عليم بذات الصدور فسكنوا الهاء وكذلك يفعلون فى لام الامر اذا كان قبلها حرف من حروف النسق كالواو والفاء وثم وكذلك قرأت عامة قراء أهل البصرة غير ان أبا عمرو بن العلاء كان يكسر اللام من قوله ثم ليقضوا خاصة من أجل ان الوقوف على ثم دون ليقضوا حسن وغير جائز الوقوف على الواو والفاء وهذا الذى اعتل به أبو عمرو لقراءته علة حسنة من جهة القياس غير ان أكثر القراء على تسكينها * وأولى الاقوال بالصواب فى ذلك عندى ان التسكين فى لام ليقضوا

قريته وليس بتكرار فى الحقيقة لان الاول سيق لبيان الاهلاك مناسبا لقوله فكيف كان نكير ولهذا عطف بالفاء بدلا عن ذلك والثانى سيق لبيان الاملاء مناسبا لقوله لن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة فكأنه قيل وكم من أهل قرية وكانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع للكل الى حكمى ثم أمر رسوله بان يتلو عليهم جملة حاله فى الرسالة وهى انه نذير مبين وجملة حالهم فى باب التكاليف مآلا وانما اقتصر على النذارة لانها تتضمن البشارة فان كلام الحكيم لا يخلو عن ترغيب وان كان مبنيا على الترهيب بدليل يا أيها الناس وهو نداء للكفرة فى قول ابن عباس قال فى الكشاف هم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا قالت الاشاعرة المغفرة اما للصغائر أو للكبائر بعد التوبة أو قبلها والاولان واجبان عند الخصم وأداء الواجب لا يسمى غفرانا فبقى الثالث ويلزم منه عفو صاحب الكبيرة من أهل القبلة أما الرزق فلا شك انه الثواب وأما الكريم فاما أن يكون أمرا سلبيا وهو أن يكون الانسان معه بحيث يستغنى عن المكاسب وتحمل المتاعب والذل والدناءة وما يجر الى المآثم والمظالم واما أن يكون ثبوتيا وهو أن يكون رزقا كثيرا دائما خالصا عن شوائب الضرر مقرونا بالتعظيم والاجلال والذين سعوا فى آياتنا أى بذلوا جهدهم فى تكذيبها وارادة ابطالها كمن يسعى سعيا أى يمشى مشيا سريعا قال أهل اللغة عاجزه سابقه لان كل واحد منهما فى طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمراد معاجزين الله ورسوله أي

والكسر قراءتان مشهورتان ولغتان سائرتان فبايتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب غير ان الكسر
فيها خاصة أقيس لما ذكرنا لابي عمرو من العلة لان من قرأ وهو عليم بذات الصدور فهو بتسكين الهاء
مع الواو والفاء ويحركها فى قوله ثم هو يوم القيامة من المحضرين فذلك الواجب عليه أن يفعل فى
قوله ثم ليقضوا تفثهم فيحرك اللام الى الكسر مع ثم وان سكنها فى قوله وليوفوا نذورهم وقد ذكر
عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري تحريكهما مع ثم والواو وهي لغة مشهورة غير ان أكثر
القراء مع الواو والفاء على تسكينها وهي أشهر اللغتين فى العرب وأفصحها فالقراءة بها أعجب الي من
كسرها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت
لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) يعني تعالى ذكره
بقوله ذلك هذا الذي أمر به من قضاء التفث والوفاء بالنذور والطواف بالبيت العتيق هو الفرض
الواجب عليكم يا أيها الناس فى حجكم ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه يقول ومن يجتنب
ما أمره الله باجتنابه فى حال احرامه تعظيما منه لحدود الله أن يواقعها وحرمه أن يستحلها فهو خير له
عند ربه فى الآخرة كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد فى
قوله ذلك ومن يعظم حرمات الله قال الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله
ومن يعظم حرمات الله قال الحرمات المشعر الحرام والبيت الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام
هؤلاء الحرمات وقوله وأحلت لكم الانعام يقول جل ثناؤه وأحل الله لكم أيها الناس الانعام أن
تأكلوها اذا ذكيتموها فلم يحرم عليكم منها بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولا ما جعلتموه منها
لآلهتكم الا ما يتلى عليكم يقول الا ما يتلى عليكم فى كتاب الله وذلك الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل
لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على النصب فان ذلك كله
رجس كما حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة الا ما يتلى عليكم قال الا الميتة وما
لم يذكر اسم الله عليه حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله
فاجتنبوا الرجس من الاوثان يقول فاتقوا عبادة الاوثان وطاعة الشيطان فى عبادتها فانها رجس
* وبنحو الذي قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال
ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا
قول الزور يقول تعالى ذكره واجتنبوا طاعة الشيطان فى عبادة الاوثان حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فى قوله الرجس من الاوثان قال عبادة الاوثان وقوله
واجتنبوا قول الزور يقول تعالى ذكره واتقوا قول الكذب والفرية على الله بقولكم فى الآلهة
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولكم للملائكة هي بنات الله ونحو ذلك من القول فان ذلك
كذب وزور وشرك بالله * وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله قول الزور قال الكذب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال
ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به يعني الافتراء على الله
والتكذيب حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن وائل بن ربيعة
عن عبد الله قال تعدل شهادة الزور بالشرك وقرأ فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور
حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن عاصم عن وائل بن ربيعة قال عدلت شهادة الزور بالشرك ثم
قرأ

مقدر من ذلك ظنا منهم ان كيدهم للاسلام يتم لهم وان طعنهم فى القرآن وتثبيطهم الناس عن التصديق يبلغ بهم غرضهم ثم
انه أسوة الانبياء السالفة والرسل السابقة فى كل ما يأتي ويذر فقال وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي خصص أولا ثم عمم فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا فقد لا يكون معه كتاب بل يؤمر بأن يدعو الى شريعة من قبله وقد لا ينزل عليه الملك ظاهرا وانما يرى الوحي فى المنام أو يخبره بذلك رسول فى عصره ولا بد للكل من المعجزة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا قال عامة المفسرين فى سبب نزول الآية انه صلى الله عليه وسلم لما شق عليه اعراض قومه عنه تمنى فى نفسه ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه لحرصه على ايمانهم وكان ذات يوم جالسا فى ناد من أنديتهم وقد نزل عليه سورة والنجم اذا هوى فأخذ يقرؤها عليهم حتى بلغ قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وكان ذلك التمني فى نفسه فجرى على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءته حتى ختم السورة فلما سجد فى آخرها سجد معه جميع من فى النادي من المسلمين والمشركين فتفرق قريش مسرورين وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر فأتاه جبرائيل وقال ما صنعت تلوت على الناس ما لم آتك به
عن الله فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف خوفا شديدا فأنزل الله تعالى هذه الآية واعترض

قرأ هذه الآية فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حدثني أبو السائب قال ثنا أبو أسامة قال ثنا سفيان العصفري عن أبيه عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حدثنا أبو كريب قال ثنا مروان بن معاوية عن سفيان العصفري عن فاتك بن فضالة عن أيمن بن خريم أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله مرتين ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور ويجوز أن يكون مراده به اجتنبوا أن ترجسوا أنتم أيها الناس من الاوثان بعبادتكم اياها فان قال قائل وهل من الاوثان ما ليس برجس حتى قيل فاجتنبوا الرجس منها قيل كلها رجس وليس المعنى ما ذهبت اليه في ذلك وانما معنى الكلام فاجتنبوا الرجس الذي يكون من الاوثان أي عبادتها فالذي أمر جل ثناؤه بقوله فاجتنبوا الرجس منها اتقاء عبادتها وتلك العبادة هي الرجس على ما قاله ابن عباس ومن ذكرنا قوله قبل ❁ القول في تأويل قوله تعالى (حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) يقول تعالى ذكره اجتنبوا أيها الناس عبادة الاوثان وقول الشرك مستقيمين لله على اخلاص التوحيد له وافراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الاوثان والاصنام غير مشركين به شيأ من دونه فانه من يشرك بالله شيأ من دونه فمثله في بعده من الهدى واصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه مثل من خر من السماء فتخطفه الطير فهلك أو هوت به الريح في مكان سحيق يعني بعيد من قولهم أبعده الله وأسحقه وفيه لغتان أسحقته الريح وسحقته ومنه قيل للنخلة الطويلة نخلة سحوق ومنه قول الشاعر

كانت لنا جارة فأزعجها * قاذورة تسحق النوى قدما

ويروى تسحق يقول فهكذا مثل المشرك بالله في بعده من ربه ومن اصابة الحق كبعد هذا الواقع من السماء الى الارض أو بهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فكأنما خر من السماء قال هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله في مكان سحيق قال بعيد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقيل فتخطفه الطير وقد قيل قبله فكأنما خر من السماء وخر فعل ماض وتخطفه مستقبل فعطف بالمستقبل على الماضي كما فعل ذلك في قوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام وقد بينت ذلك هنالك ❁ القول في تأويل قوله تعالى (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) يقول تعالى ذكره هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس وأمرتكم به من اجتناب الرجس من الاوثان واجتناب قول الزور حنفاء لله وتعظيم شعائر الله وهو استحسان البدن واستسمانها وأداء مناسك الحج على ما أمر الله جل ثناؤه من تقوى قلوبكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا محمد بن زياد عن محمد بن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال استعظامها واستحسانها واستسمانها حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله ومن يعظم شعائر الله قال الاستسمان والاستعظام وبه عن عنبسة عن ليث عن مجاهد مثله الا أنه قال والاستحسان حدثنا عبد الحميد بن بيان الواسطي قال أخبرنا اسحق عن أبي بشر وحدثني محمد بن

باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله وما ينطق عن الهوى وقوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن الى القريب من الركون فكيف به وأما السنة فهي ما روى عن ابن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا وضع من الزنادقة وقد صنف فيه كتابا وقال الامام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم ان رواة هذه القصة مطعون فيهم وقد روى البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون الانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وأما المعقول فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث لنفي الاوثان فكيف يثبتها وأيضا انه بمكة لم يتمكن من القراءة والصلاة عند الكعبة ولا سيما في محفل غاص وأيضا ان معاداتهم اياه كانت أكثر من أن يغتروا بهذا القدر فيخروا سجدا قبل ان يقفوا على حقيقة الامر وأيضا منع الشيطان من أصله أولى من تمكنه من الالقاء ثم نسخه وأيضا لو جوزنا ذلك لارتفع الامان من الشرع ولناقض قوله بلغ ما أنزل اليك وحال الزيادة في الوحي كحال النقصان منه اذا عرفت هذا فللائمة في تأويل الآية قولان الاول ان التمني بمعنى القراءة كما سلف في البقرة في قوله ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وما المراد بهذه القراءة فيه وجهان أحدهما انه ما يجوز أن يسهو النبي فيه ويشتبه على القارئ دون ما رووه من قوله تلك الغرانيق العلى وثانيهما انه قراءة هذه الكلمة وانما وقعت بعينها

عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ومن يعظم شعائر الله قال استعظام البدن واستسمانها واستحسانها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى قال الوقوف بعرفة من شعائر الله والجمع من شعائر الله ورمي الجمار من شعائر الله والبدن من شعائر الله ومن يعظمها فانها من شعائر الله في قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن يعظم شعائر الله قال الشعائر الجمار والصفا والمروة من شعائر الله والمشعر الحرام والمزدلفة قال والشعائر تدخل في الحرم هي شعائر وهي حرم * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر ان تعظيم شعائره وهي ما جعله أعلاما لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم من الاماكن التي أمرهم باداء ما افترض عليهم منها عندها والاعمال التي ألزمهم عملها في حجهم من تقوى قلوبهم لم يخصص من ذلك شيأ فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب كما قال جل ثناؤه وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك وقال فانها من تقوى القلوب وأنث ولم يقل فانه لانه أريد بذلك فان تلك التعظيمة مع اجتناب الرجس من الاوثان من تقوى القلوب كما قال جل ثناؤه ان ربك من بعدها لغفور رحيم وعنى بقوله فانها من تقوى القلوب فانها من وجل القلوب من خشية الله وحقيقة معرفتها بعظمته واخلاص توحيده

القول في تأويل قوله تعالى (لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) * اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية وأخبر عباده انها الى أجل مسمى على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جل ثناؤه في قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فقال الذين قالوا عنى بالشعائر البدن معنى ذلك لكم أيها الناس في البدن منافع ثم اختلف أيضا الذين قالوا هذه المقالة في الحال التي لهم فيها منافع وفي الاجل الذي قال عز ذكره الى أجل مسمى فقال بعضهم الحال التي أخبر الله جل ثناؤه ان لهم فيها منافع هي الحال التي لم يوجبها صاحبها ولم يسمها بدنة ولم يقلدها قالوا ومنافعها في هذه الحال شرب ألبانها وركوب ظهورها وما يرزقهم الله من نتاجها وأولادها قالوا والاجل المسمى الذي أخبر جل ثناؤه ان ذلك لعباده المؤمنين منها اليه هو الى ايجابهم اياها فاذا أوجبوها بطل ذلك ولم يكن لهم من ذلك شئ

ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال ما لم يسم بدنا حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال الركوب واللبن والولد فاذا سميت بدنة أو هديا ذهب ذلك كله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في هذه الآية لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال لكم في ظهورها وألبانها وأوبارها حتى تصير بدنا قال حدثنا ابن أبي عدي قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد بمثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال في أشعارها وأوبارها وألبانها قبل ان تسميها بدنة قال حدثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال في البدن لحومها وألبانها وأشعارها وأوبارها وأصوافها قبل ان تسمى هديا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وزاد فيه وهي الاجل المسمى حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء انه قال في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق قال منافع

في

وكيف وقعت ذهبت جماعة الى انه لما قرأ سورة والنجم اشتبه على الكفار فتوهموا بعض الفاظه ذلك وزيف بان هذا التوهم من الجم الغفير بعيد وقيل ان شيطان الجن ألقاها في البين فظنها الحاضرون من قول الرسول وضعف بان هذا يفضي الى ارتفاع الوثوق عن كل ما يتكلم به النبي قلت الانصاف انه غير ضعيف ولا يفضي الى ارتفاع الوثوق لقوله سبحانه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وقيل ان المتكلم به شيطان الانس وهم الكفرة كانوا يقربون منه في حال صلاته ويسمعون قراءته ويلقون فيها في أثناء وقفاته وقيل ان المتكلم به الرسول قاله سهوا كما روي عن قتادة ومقاتل انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند المقام فنعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان ولا ريب انه يكون بالقاء الشيطان وضعف باستلزامه زوال الامان عن الشرع وقد عرفت جوابه وبان مثل هذا الكلام المطابق لفواصل السورة يستبعد وقوعها في النعاس وزعم قوم ان الشيطان أجبره على ذلك ورد بنحو قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وذهب جماعة الى انه قال ذلك اختيارا ثم انها باطلة أم لا فيه وجهان أما الاول ففيه طريقان أحدهما قول ابن عباس في رواية ان شيطانا يقال له الابيض أتاه على صورة جبريل وألقاها اليه فقرأها فلما سمع المشركون ذلك أعجبهم فجاء جبريل واستعرضه فقرأها فلما بلغ الى تلك الكلمة أنكر عليه جبريل فقال انه أتاني آت على صورتك فالقاه على لساني وثانيهما انه لشدة حرصه على ايمان القوم أدخل هذه الكلمة من تلقاء نفسه ثم رجع عنها والطريقان منحرفان

فى ألبانها وظهورها أو بارها الى أجل مسمى الى أن تقلد حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثل ذلك حدثنى يعقوب قال قال ابن علية سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى يقول فى ظهورها وألبانها فاذا قلدت فمحلها الى البيت العتيق * وقال آخرون من قال الشعائر البدن فى قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب والهاء فى قوله لكم فيها من ذكر الشعائر ومعنى قوله لكم فيها منافع لكم فى الشعائر التى تعظمونها لله منافع بعد اتخاذكموها لله بدنا أو هديا بان تركبوا ظهورها اذا احتجتم الى ذلك وتشربوا ألبانها ان اضطررتم اليها قالوا والاجل المسمى الذى قال جل ثناؤه الى أجل مسمى الى ان تنحر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبى نجيح عن عطاء لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال هو ركوب البدن وشرب لبنها ان احتاج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبى رباح فى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال الى ان تنحر قال له ان يحمل عليها المعيى والمنقطع به من الضرورة كان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر بالبدنة اذا احتاج اليها سيدها ان يحمل عليها ويركب غير منهوكة قلت لعطاء ما قال الرجل الراجل والمنقطع به والمتبع وان نتجت ان يحمل عليها ولدها ولا يشرب من لبنها الا فضلا عن ولدها فان كان فى لبنها فضل فليشرب من أهداها ومن لم يهدها وأما الذين قالوا معنى الشعائر فى قوله ومن يعظم شعائر الله شعائر الحج وهى الاماكن التى ينسك عندها لله فانهم اختلفوا أيضا فى معنى المنافع التى قال الله لكم فيها منافع فقال بعضهم معنى ذلك لكم فى هذه الشعائر التى تعظمونها منافع بتجارتكم عندها وبيعكم وشرائكم بحضرتها وتسوقكم والاجل المسمى الخروج من الشعائر الى غيرها ومن المواضع التى ينسك عندها الى ماسواها فى قول بعضهم حدثنى الحسن بن على الصدائى قال ثنا أبو أسامة عن سليمان الضبى عن عاصم بن أبى النجود عن أبى رزين عن ابن عباس فى قوله لكم فيها منافع قال أسواقهم فانه لم يذكر منافع الا للدنيا حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال والاجل المسمى الخروج منه الى غيره * وقال آخرون منهم المنافع التى ذكرها الله فى هذا الموضع العمل لله بما أمر من مناسك الحج قالوا والاجل المسمى هو انقضاء أيام الحج التى ينسك لله فيهن ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق فقرأ قول الله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فى تلك الشعائر منافع الى أجل مسمى اذا ذهبت تلك الايام لم تر أحدا يأتى عرفة يقف فيها يبتغى الاجر ولا المزدلفة ولا رمى الجمار وقد ضربوا من البلدان لهذه الايام التى فيها المنافع وانما منافعها الى تلك الايام وهى الاجل المسمى ثم محلها حين تنقضى تلك الايام الى البيت العتيق * قال أبو جعفر وقد دللنا قبل على ان قول الله تعالى ذكره ومن يعظم شعائر الله معنى به كل ما كان من عمل أو مكان جعله الله علما لمناسك حج خلقه اذ لم يخصص من ذلك جل ثناؤه شيأ فى خبر ولا عقل واذ كان ذلك كذلك فمعلوم ان معنى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى فى هذه الشعائر منافع الى أجل مسمى فما كان من هذه الشعائر بدنا وهديا فمنافعها لكم من حين تملكون الى ان أوجبتموها هدايا وبدنا وما كان منها أماكن ينسك لله عندها فمنافعها التجارة لله عندها والعمل لله بما أمر به الى الشخوص عنها وما كان منها أوقاتا بان يطاع الله فيها بعمل أعمال الحج وبطلب المعاش فيها بالتجارة الى ان يطاف بالبيت فى بعض أو يوافى الحرم فى بعض ويخرج عن الحرم فى بعض واختلف الذين ذكرنا اختلافهم فى تأويل قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى فى تأويل قوله ثم محلها الى البيت العتيق فقال الذين قالوا عنى بالشعائر فى هذا الموضع البدن معنى ذلك ثم محل البدن الى ان تبلغ مكة وهى التى بها البيت العتيق ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء ثم محلها الى البيت العتيق الى مكة حدثنى محمد بن عمرو قال

عند المحققين لان الاول يقتضى ان النبى لا يفرق بين الملك المعصوم والشيطان الخبيث والثانى انه يؤدى الى كونه خائنا فى الوحى وأما الوجه الثانى فتصحيحه انه أراد بالغرانيق الملائكة وقد كان قرآنا منزلا فى وصف الملائكة فلما توهم المشركون انه يريد آلهتهم نسخ الله تلاوته أو هو فى تقدير الاستفهام بمعنى الانكار أو المراد بالاثبات ههنا النفى كقوله يبين الله لكم أن تضلوا قال الجوهرى الغرنيق بضم الغين وفتح النون من طير الماء طويل العنق واذا وصف به الرجال فواحدهم غرنيق وغرنوق بكسر الغين وفتح النون وغرنوق وغرانق بالضم وهو الشاب السيد والجمع غرانق بالفتح والغرانيق القول الثانى ان التمنى هو تمنى القلب ومعنى الآية ما من نبى الا وهو بحيث اذا تمنى أمرا من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل ويدعوه الى ما لا ينبغى ثم ان الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه الى ما هو الحق وما تلك الوسوسة قيل هى أن يتمنى ما يتقرب به الى المشركين من ذكر آلهتهم بالخير وقد مر فساده وقال مجاهد انه كان يتمنى انزال الوحى بسرعة دون تأخير فعرفه الله تعالى ان ذلك خاطر غير رحمانى وانما المصلحة هى انزال الوحى على وفق الحوادث وقيل كان يتفكر فى تأويل المجمل فيلقى الشيطان الى جملته ما هو غير مراد وكان رده الله سبحانه الى المعنى المراد بانزال المحكمات وقيل معناه اذا أراد فعلا يتقرب به الى الله حال الشيطان بينه وبين مقصوده والله تعالى يثبته على ذلك نظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من

ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ثم محلها حين تسمى هديا الى البيت العتيق قال الكعبة أعتقها من الجبابرة فوجه هؤلاء تأويل ذلك الى ثم منحر البدن والهدايا التي أوجبتموها الى أرض الحرم وقالوا عنى بالبيت العتيق أرض الحرم كلها وقالوا وذلك نظير قوله فلا يقربوا المسجد الحرام والمراد الحرم كله * وقال آخرون معنى ذلك ثم محلكم أيها الناس من مناسك حجكم الى البيت العتيق ان تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى ثم محلها الى البيت العتيق قال محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت * وقال آخرون معنى ذلك ثم محل منافع أيام الحج الى البيت العتيق بانقضائها ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم محلها الى البيت العتيق حين تنقضي تلك الايام أيام الحج الى البيت العتيق * وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال معنى ذلك ثم محل الشعائر التي لكم فيها منافع الى أجل مسمى الى البيت العتيق فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبموافاته الحرم في الحرم وما كان من نسك فالطواف بالبيت وقد بينا الصواب من ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) يقول تعالى ذكره ولكل أمة ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الايمان بالله أيها الناس جعلنا ذبحا يهريقون دمه ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام بذلك لان من البهائم ما ليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير وقيل انما قيل للبهائم بهائم لانها لا تتكلم * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله جعلنا منسكا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولكل أمة جعلنا منسكا قال اهراق الدماء ليذكروا اسم الله عليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فالهكم اله واحد يقول تعالى ذكره فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور فالهكم اله واحد لا شريك له فاياه فاعبدوا وله أخلصوا الالوهة وقوله فله أسلموا يقول فلالهكم فاخضعوا بالطاعة وله فذلوا بالاقرار بالعبودية وقوله وبشر المخبتين يقول تعالى ذكره وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة المذعنين له بالعبودية المنيبين اليه بالتوبة وقد بينا معنى الاخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا * وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع فقال بعضهم أريد به وبشر المطمئنين الى الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وبشر المخبتين قال المطمئنين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابن جريج عن مجاهد قوله وبشر المخبتين المطمئنين الى الله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وبشر المخبتين قال المطمئنين حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وبشر المخبتين قال المتواضعين * وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن مسلم عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن عمرو بن أوس قال المخبتون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا حدثني محمد بن عثمان الواسطي قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا محمد بن مسلم الطائفي قال ثني عثمان بن عبد الله بن أوس عن عمرو بن أوس مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) فهذا من نعت المخبتين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبشر يا محمد المخبتين الذين تخضع قلوبهم لذكر الله وتخشع من خشيته وجلا من عقابه وخوفا من سخطه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال لا تقسو

الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله واعترض على هذا القول بأن تمنى القلب كيف يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وللقاسية قلوبهم وهم المشركون وأجيب بأنه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر به فحصل السهو في الافعال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنة لمن ضعفت عقيدته في النبي والحاصل ان الرسل لا ينفكون عن السهو وانهم كانوا معصومين عن العمد فعلهم ان لا يتبعوا الا ما يقطعون به لصدوره عن علم وذلك هو المحكم وذهب أبو مسلم الى أن حاصل الآية هو ان كل نبي من جنس البشر الذين هم بصدد الخطأ والنسيان من قبل وساوس الشيطان ووجه النظم بين هذه الآية والتي قبلها انه أمر بان يقول اني لكم نذير لكني من البشر لا من الملائكة ولم يرسل الله قبلي ملكا بل أرسل رجالا يوسوس الشيطان اليهم وعلى هذا فالملائكة لعدم امكان استيلاء الشيطان عليهم أعظم درجة من الانبياء وأقوى حالا منهم وقال صاحب الكشاف المعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت وهو أن لا ينزل عليه ما ينفر أمته ولا يوافق هواهم مكن الله الشيطان ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في أمنيتك حتى سبق لسانك فقلت تلك الغرانيق الى آخره وسبب التمكين ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب التائبين ويزيد في عقاب المذنبين فهذه جملة أقوال المفسرين في الآية وأما قوله

قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من شدة في أمر الله ونالهم من مكروه في جنبه والمقيمي الصلاة المفروضة ومما رزقناهم من الأموال ينفقون في الواجب عليهم إنفاقها فيه في زكاة ونفقة عيال ومن وجبت عليه نفقته وفي سبيل الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) يقول تعالى ذكره والبدن وهي جمع بدنة وقد يقال للواحد منها بدن وإذا قيل بدن احتمل أن يكون جمعا وواحدا يدل على أنه قد يقال ذلك للواحد قول الراجز

على حين تملك الأمورا * صوم شهور وجبت نذورا
وحلق رأسي وافيا مضفورا * وبدنا مدرعا موفورا

والبدن هو الضخم من كل شيء ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسدير البدن لضخمه واسترخاء لحمه فإنه يقال قد بدن تبدن بدنا فمعنى الكلام والإبل العظام الأجسام الضخام جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله يقول من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجكم إذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها علم بذلك وشعر أنكم فعلتم ذلك من الإبل والبقر كما حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن ابن جريج قال قال عطاء والبدن جعلناها لكم من شعائر الله قال البقرة والبعير وقوله لكم فيها خير يقول لكم في البدن خير وذلك الخير هو الأجر في الآخرة بنحرها والصدقة بها وفي الدنيا الركوب إذا احتاج إلى ركوبها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لكم فيها خير قال أجر ومنافع في البدن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم لكم فيها خير قال اللبن والركوب إذا احتاج حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا إسحق عن شريك عن منصور عن إبراهيم لكم فيها خير قال إذا اضطررت إلى بدنتك ركبتها وشربت من لبنها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن إبراهيم لكم فيها خير من احتاج إلى ظهر البدنة ركب ومن احتاج إلى لبنها شرب وقوله فاذكروا اسم الله عليها صواف يقول تعالى ذكره فاذكروا اسم الله على البدن عند نحركم إياها صواف * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار فاذكروا اسم الله عليها صواف بمعنى مصطفة واحدها صافة وقد صفت بين أيديها وروي عن الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وجماعة أخر معهم أنهم قرؤا ذلك صوافي بالياء منصوبة بمعنى خالصة لله لا شريك له فيها صافية له وقرأ بعضهم ذلك صواف بإسقاط الياء وتنوين الحرف على مثال عوار وعواد وروي عن ابن مسعود أنه قرأه صوافن بمعنى معقلة * والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بتشديد الفاء ونصبها لإجماع الحجة من القراء عليه بالمعنى الذي ذكرناه لمن قرأه كذلك ذكر من تأوله بتأويل من قرأه بتشديد الفاء ونصبها حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف قال الله أكبر الله أكبر اللهم منك ولك قياما على ثلاث أرجل فقيل لابن عباس ما نصنع بجلودها قال تصدقوا بها واستمتعوا بها حدثني محمد بن عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله صواف قال قائمة قال يقول الله أكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن أبي ظبيان عن ابن عباس فاذكروا اسم الله عليها صواف قال قياما على ثلاث قوائم معقولة باسم الله والله أكبر اللهم منك ولك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس في قوله صواف قال معقولة إحدى يديها قال قائمة على ثلاث قوائم حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله

فينسخ الله فالمراد إزالة تأثير ما يلقي الشيطان وهو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الأحكام وقوله ثم يحكم الله آياته فالمراد بالآيات هي آيات القرآن أي يجعلها بحيث لا يختلط بها شيء من كلام غيره فتكون ثابتة في مكانها أو يجعلها بحيث لا يتطرق إليها تأويل فاسد معمول به عند الأمة ويحتمل أن يكون المراد بإحكام الآيات الإرشاد إلى أدلة الأحكام الشرعية وقوله وإن الظالمين أراد المنافقين والمشركين المذكورين إلا أنه وضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم والشقاق البعيد والمعاداة الكاملة واعلم أنه سبحانه ذكر لتمكين الشيطان من الإلقاء في الأمنية أثرين أحدهما في حق غير أهل الإيمان وهم أهل النفاق والشرك وذلك قوله ليجعل الآية وثانيهما في حق المؤمنين العارفين بالله وصفاته وهو قوله وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق قال مقاتل يعني القرآن وعن الكلبي أي النسخ قال جار الله أي تمكين الشيطان من الإلقاء قلت أما عند الأشاعرة فلأن المالك له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء وأما عند المعتزلة فلأن أفعاله جارية على وفق الحكمة والتدبير فتخبت تخضع وتطمئن له قلوبهم بناء على أصلي الفريقين والصراط المستقيم ههنا فسروه بالتأويلات الصحيحة والبيانات المطابقة للأصول قلت وتفسيره بمعنى أعم من ذلك غير ضائر ثم بين أن الأعصار إلى قيام الساعة لا تخلو ممن يكون في شك من القرآن والرسول واليوم العقيم قيل يوم بدر لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه أو لأنه لا خير فيه للكفار من قولهم ريح عقيم إذا لم تنش مطرا ولم تلقح

فاذ كراسم الله عليها صواف يقول قياما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذ كروا اسم الله عليها صواف والصواف ان تعقل قائمة واحدة وتصفها على ثلاث فتنحرها كذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يعلى بن عطاء قال أخبرني بجير بن سالم قال رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنته قال فقال صواف كما قال الله قال فنحرها وهي قائمة معقولة احدى يديها حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا ليث عن مجاهد قال الصواف اذا عقلت رجلها وقامت على ثلاث قال حدثنا ليث عن مجاهد في قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف قال صواف بين أوظافها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد صواف قال قيام صواف على ثلاث قوائم حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاذ كروا اسم الله عليها صواف قال بين وظفانها قياما حدثنا ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال عن نافع عن عبد الله انه كان ينحر البدن وهي قائمة مستقبلة البيت تصف أيديها بالقيود قال هي التي ذكر الله فاذ كروا اسم الله عليها صواف حدثنا ابن حميد قال ثني جرير عن منصور عن رجل عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال قلت له قول الله فاذ كروا اسم الله عليها صواف قال اذا أردت ان تنحر البدنة فانحرها وقل الله أكبر لا اله الا الله اللهم منك ولك ثم سم ثم انحرها قلت فاقول ذلك للاضحية قال وللاضحية ذكر من تاوله بتأويل من قرأه صوافي بالياء حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه عن الحسن انه قال فاذ كروا اسم الله عليها صوافي قال مخلصين قال حدثنا ابن ثور عن معمر قال قال الحسن صوافي خالصة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن صوافي خالصة لله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن شقيق الضبي فاذ كروا اسم الله عليها صوافي قال خالصة قال حدثنا عبد الرحمن قال ثنا أيمن بن نائل قال سألت طاوسا عن قوله فاذ كروا اسم الله عليها صوافي قال خالصا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذ كروا اسم الله عليها صوافي قال خالصة ليس فيها شريك كما كان المشركون يفعلون يجعلون لله ولآلهتهم صوافي صافية لله تعالى * ذكر من تاوله بتأويل من قرأه صوافن حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في حرف ابن مسعود فاذ كروا اسم الله عليها صوافن أي معقلة قياما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في حرف ابن مسعود فاذ كروا اسم الله عليها صوافن قال أي معقلة قياما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال من قرأها صوافن قال معقولة قال ومن قرأها صواف قال تصف بين يديها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاذ كروا اسم الله عليها صواف يعني صوافن والبدنة اذا نحرت عقلت يد واحدة فكانت على ثلاث وكذلك تنحر * قال أبو جعفر وقد تقدم بيان أولى هذه الاقوال بتأويل قوله صواف وهي المصطفة بين أيديها المعقولة احدى قوائمها وقوله فاذا وجبت جنوبها يقول فاذا سقطت فوقعت جنوبها الى الارض بعد النحر فكلوا منها وهو من قولهم قد وجبت الشمس اذا غابت فسقطت للتغيب ومنه قول أوس بن حجر

ألم تكسف الشمس والبدر * والكواكب للجبل الواجب

يعني بالواجب الواقع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثني عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فاذا وجبت جنوبها سقطت الى الارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله فاذا وجبت جنوبها قال اذا فرغت ونحرت حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا

شجرا أولان يوم الحرب يقال له العقيم من حيث ان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو من حيث ان المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فاذا قتلوا بقي الحرب بلا أبناء وعن الضحاك انه يوم القيامة لانهم لا يرون فيه خيرا أولان كل ذات حمل تضع فيه حملها أو لانه لا ليل فيه فيستمر كاستمرار المرأة على عدم الولادة ولا تكرار على هذا القول لان المراد بالساعة مقدماته أو المراد حتى تاتيهم الساعة أو ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم مقام الضمير واستحسن بعض الأئمة قول الضحاك ورجحه لان الاول يلزم منه ان الكفار ينتهي شكهم في يوم بدر وليس كذلك فانهم في مرية بعد يوم بدر أيضا ويمكن أن يقال أو للعطف على أول الآية فيكون المراد بالذين كفروا في الاول الجنس وفي الثاني العهد سلمنا انه للعطف على تاتيهم الا ان اللام في الذين كفروا للجنس فيقع على الذين ما انتهى شكهم الى يوم القيامة ويحتمل أن يراد بالساعة وقت موت كل واحد وبعذاب يوم عقيم القيامة ثم بين انه لا مالك يوم تاتي الساعة الا الله وانه يحكم بين الناس فيميز من أهل الجنة وأهل النار ثم أفرد المهاجرين بالذكر تخصيصا لهم بمزيد التشريف يروى ان طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله عز وجل والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا قال بعض المفسرين هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة وقال بعضهم هم الذين خرجوا

اسرائيل

اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد فاذا وجبت نحرت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا وجبت جنوبها قال اذا نحرت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذا وجبت جنوبها قال فاذا ماتت وقوله فكلوا منها وهذا مخرجه مخرج الامر ومعناه الاباحة والاطلاق يقول الله فاذا نحرت فسقطت ميتة بعد النحر فقد حل لكم أكلها وليس بامر ايجاب وكان ابراهيم النخعي يقول في ذلك ما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين فأكلوا منها فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن حصين عن مجاهد قال ان شاء أكل وان شاء لم يأكل فهي بمنزلة فاذا حللتم فاصطادوا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر يقول يأكل منها ويطعم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن الحسن وأخبرناه مغيرة عن ابراهيم وأخبرنا حجاج عن عطاء وأخبرنا حصين عن مجاهد في قوله فكلوا منها قال ان شاء أكل وان شاء لم يأكل قال مجاهد هي رخصة هي كقوله فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض ومثل قوله واذا حللتم فاصطادوا وقوله وأطعموا القانع والمعتر يقول فأطعموا منها القانع * واختلف أهل التأويل في المعني بالقانع والمعتر فقال بعضهم القانع الذي يقنع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يتعرض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع المستغني بما أعطيته وهو في بيته والمعتر الذي يتعرض لك ولم يكره أن تطعمه من اللحم ولا يسأل وهؤلاء الذين امر أن يطعموا من البدن حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد قال القانع جارك الذي يقنع بما أعطيته والمعتر الذي يتعرض لك ولا يسألك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر عن القرظي انه كان يقول في هذه الآية وأطعموا القانع والمعتر القانع الذي يقنع بالشيء اليسير يرضى به والمعتر الذي يمر بجانبك لا يسأل شيئا فذلك المعتر * وقال آخرون القانع الذي يقنع بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يعتريك فيسألك ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله القانع والمعتر يقول القانع المتعفف والمعتر يقول السائل حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا خصيف قال سمعت مجاهدا يقول القانع أهل مكة والمعتر الذي يعتريك فيسألك حدثني أبو السائب قال ثنا عطاء عن خصيف عن مجاهد فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثني كعب بن فروخ قال سمعت قتادة يحدث عن عكرمة في قوله القانع والمعتر قال القانع الذي يقعد في بيته والمعتر الذي يسأل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال القانع المتعفف الجالس في بيته والمعتر الذي يعتريك فيسألك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال القانع والمعتر قال القانع الطامع بما قبلك ولا يسألك والمعتر الذي يعتريك ويسألك حدثني نصر بن عبد الرحمن قال ثنا المحاربي عن سفيان عن منصور عن مجاهد وابراهيم قالا القانع الجالس في بيته والمعتر الذي يسألك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في القانع والمعتر قال القانع الذي يقنع بما في يديه والمعتر الذي يعتريك ولكليهما عليك حق يا ابن آدم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذي يجلس في بيته والمعتر الذي يعتريك * وقال آخرون القانع هو السائل والمعتر هو الذي يعتريك ولا يسأل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا يونس عن الحسن قال القانع الذي يقنع اليك ويسألك والمعتر الذي يتعرض لك ولا يسألك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن في هذه

لانها حلال وقال الاصم العلم والفهم كقول شعيب ورزقني منه رزقا حسنا وضعف الوجهان بانهما ممتنعان بعد القتل أو الموت قال العلماء وانما تظهر هذه الفضيلة للمهاجرين في مزيد الدرجات والا فلا بد من شرط اجتناب الكبائر كما في حق غيرهم وان الله لهو خير الرازقين لان رزق غيره ينتهي اليه وغيره لا يقدر على مثل رزقه ولان رزقه لا يختلط بالمن والاذى ولا بغرض من الاغراض الفاسدة ولانه يرزق ويعطي ما به يتم الانتفاع بالرزق من القوى والحواس وغير ذلك من الشرائط الوجودية والعدمية قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان غير الله لا يقدر على الفعل وهو الرزق ويمكن أن يجاب بانه مجاز أو على سبيل الفرض والتقدير وليس في الآية دليل ظاهر على ان المهاجر المقتول والمهاجر الميت على فراشه هل يستويان في الاجر ام لا بل المعلوم منها هو الجمع بينهما في الوعد وقد يستدل على التسوية بما روى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقتول في سبيل الله والمتوفى في سبيل الله بغير قتل هما في الاجر شريكان فان لفظ الشركة مشعر بالتسوية وحين بين رزقهم شرع في ذكر مسكنهم قيل في المدخل الذي يرضونه خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم لها سبعون ألف مصراع وقال أبو القاسم القشيري هو أن يدخلهم الجنة من غير مكروه تقدم وقال ابن عباس يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

حتى يتوب فيدخل الجنة ثم بين انه مع اكرامه لهم فى الآخرة لايدع نصرهم فى الدنيا فقيل ان يقتلوا أو يموتوا فقال ذلك قال الزجاج أى الامر ماقصصنا عليكم من انجاز الوعد للمهاجرين خاصة اذا قتلوا أو ماتوا وقيل من مقاتل ان قوما من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يكرهون القتال فى الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فأبوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت لهم المسلمون فنصروا فوقع فى أنفس المسلمين شئ من القتال فى الشهر الحرام فنزل ومن عاقب أى قاتل بمثل ماعوقب به أى كما ابتدئ بقتاله سمى الابتداء باسم الجزاء للطباق والملابسة من حيث ان ذلك سبب وهذا مسبب عنه ثم بغى عليه أى ثم كان المجازى مبغيا عليه أى مظلوما ومعنى ثم تفاوت الرتبة لان كونه مبدوأ بالقتال معه نوع ظلم كما قيل البادى أظلم وهو موجب لنصرته ظاهرا الا ان كونه فى نفس الامر مظلوما هو السبب الاصلى فى النصرة وعن الضحاك ان الآية مدنية وهى فى القصاص والجراحات واستدل الشافعى بها فى وجوب رعاية المماثلة فى القصاص فقال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه وفى ختم الآية بذكر العفو والمغفرة

الآية وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذى يقنع والمعتر الذى يعتر بك قال وقال الكلبى القانع الذى يسألك والمعتر الذى يعتر بك يتعرض ولا يسألك حدثنى نصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا المحاربى عن سفيان عن يونس عن الحسن فى قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذى يسألك والمعتر الذى يتعرض لك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه قال قال سعيد بن جبير القانع السائل حدثنى محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنى غالب قال ثنى شريك عن فرات القزاز عن سعيد بن جبير فى قوله القانع قال هو السائل ثم قال اما سمعت قول الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغنى * مفاقره أعف من القنوع

قال من السؤال حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن انه قال فى قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذى يقنع اليك يسألك والمعتر الذى يريك نفسه ويتعرض لك ولا يسألك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشام قال أخبرنا منصور ويونس عن الحسن قال القانع السائل والمعتر الذى يتعرض ولا يسأل حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عباس قال قال ابن زيد بن أسلم القانع الذى يسأل الناس * وقال آخرون القانع الجار والمعتر الذى يعتريك من الناس ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال القانع جارك وان كان غنيا والمعتر الذى يعتريك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبى نجيح قال قال مجاهد فى قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع جارك الغنى والمعتر من اعتراك من الناس حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله وأطعموا القانع والمعتر انه قال أحدهما السائل والآخر الجار * وقال آخرون القانع الطواف والمعتر الصديق الزائر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنى أبى وشعيب ابن الليث عن الليث عن خالد بن يزيد عن ابن أبى هلال قال قال زيد بن أسلم فى قول الله تعالى القانع والمعتر فالقانع المسكين الذى يطوف والمعتر الصديق والضعيف الذى يزور * وقال آخرون القانع الطامع والمعتر الذى يعتر بالبدن ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله القانع قال الطامع والمعتر من يعتر بالبدن من غنى أو فقير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عمر بن عطاء عن عكرمة قال القانع الطامع * وقال آخرون القانع هو المسكين والمعتر الذى يتعرض اللحم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع المسكين والمعتر الذى يعتر القوم للحمهم وليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجىء الى القوم من أجل لحمهم والبائس الفقير هو القانع * وقال آخرون بما حدثنا به ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن فرات عن سعيد بن جبير قال القانع الذى يقنع والمعتر الذى يعتريك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن يونس عن الحسن مثله قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ومجاهد القانع والمعتر القانع الجالس فى بيته والمعتر الذى يتعرض لك * وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال عنى بالقانع السائل لانه لو كان المعنى بالقانع فى هذا الموضع المكتفى بما عنده والمستغنى به لقيل وأطعموا القانع والسائل ولم يقل وأطعموا القانع والمعتر وفى اتباع ذلك قوله والمعتر الدليل الواضح على ان القانع معنى به السائل من قولهم قنع فلان الى فلان بمعنى سال وخضع اليه فهو يقنع قنوعا ومنه قول لبيد

وأعطانى المولى على حين فقره * اذا قال أبصر خلتى وقنوعى

وأما القانع الذى هو بمعنى المكتفى فانه من قنعت به بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا وقوله كذلك سخرناها لكم يقول هكذا سخرنا البدن لكم أيها الناس لعلكم تشكرون على تسخيرها لكم القول فى تأويل قوله تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك

وجوه منها ان المندوب للمجنى عليه هو ان يعفو عن الجانى كقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله

سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين) يقول تعالى ذكره لم يصل الى الله لحوم بدنكم
ولادماؤها ولكن يناله اتقاؤكم اياه ان اتقيتموه فيها فاردتم بها وجهه وعملتم فيها بما ندبكم اليه
وأمركم به فى أمرها وعظمتم بها حرماته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قول الله لن ينال الله لحومها
ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال ماأريد به وجه الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد فى قوله لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال ان اتقيت
الله فى هذه البدن وعملت فيها لله وطلبت ماقال الله تعظيما لشعائر الله ولحرمات الله فانه قال ومن
يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه قال وجعلته
طيبا فذلك الذى يتقبل الله فاما اللحوم والدماء فمن أين ينال الله وقوله كذلك سخرها لكم يقول
هكذا سخر لكم البدن لتكبروا الله على ماهداكم يقول كى تعظموا الله على ماهداكم يعنى على توفيقه
اياكم لدينه وللنسك فى حجكم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لتكبروا الله
على ماهداكم قال على ذبحها فى تلك الايام وبشر المحسنين يقول وبشر يامحمد الذين أطاعوا الله
فاحسنوا فى طاعتهم اياه فى الدنيا بالجنة فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الله يدافع عن
الذين آمنوا ان الله لايحب كل خوان كفور) يقول تعالى ذكره ان الله يدفع غائلة المشركين عن
الذين آمنوا بالله وبرسوله ان الله لايحب كل خوان يخون الله فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ويطيع
الشيطان كفور يقول جحود لنعمه عنده لايعرف لمنعمها حقه فيشكره عليها وقيل انه عنى بذلك
دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
(أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) يقول تعالى ذكره أذن الله للمؤمنين
الذين يقاتلون المشركين فى سبيله بان المشركين ظلموهم بقتالهم * واختلفت القراء فى قراءة ذلك
فقرأته عامة قراء المدينة أذن بضم الالف يقاتلون بفتح التاء بترك تسمية الفاعل فى أذن ويقاتلون
جميعا وقرأ ذلك بعض الكوفيين وعامة قراء البصرة أذن بترك تسمية الفاعل ويقاتلون بكسر التاء
بمعنى يقاتل المأذون لهم فى القتال المشركين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض المكيين أذن
بفتح الالف بمعنى أذن الله ويقاتلون بكسر التاء بمعنى ان الذين أذن الله لهم بالقتال يقاتلون
المشركين وهذه القراآت الثلاث متقاربات المعنى لان الذين قرؤا أذن على وجه مالم يسم فاعله
يرجع معناه فى التأويل الى معنى قراءة من قرأه على وجه ماسمى فاعله فان من قرأ يقاتلون
ويقاتلون بالكسر أو الفتح فقريب معنى أحدهما من معنى الآخر وذلك ان من قاتل انسانا فالذى
قاتله له مقاتل وكل واحد منهما مقاتل فاذ كان ذلك كذلك فباية هذه القراآت قرأ القارئ فمصيب
الصواب غير ان أحب ذلك الى ان أقرأ به أذن بفتح الالف بمعنى أذن الله لقرب ذلك من قوله ان الله
لايحب كل خوان كفور أذن الله فى الذين لايحبهم للذين يقاتلونهم بقتالهم فيرد أذن على قوله ان الله
لايحب وكذلك أحب القراآت الى فى يقاتلون كسر التاء بمعنى الذين يقاتلون من قد أخبر الله عنهم
انه لايحبهم فيكون الكلام متصلا معنى بعضه ببعض وقد اختلف فى الذين عنوا بالاذن لهم بهذه
الآية فى القتال فقال بعضهم عنى به نبى الله وأصحابه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال
ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان
الله على نصرهم لقدير يعنى محمدا وأصحابه اذا أخرجوا من مكة الى المدينة يقول الله فان الله على نصرهم
لقدير وقد فعل حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن
سعيد بن جبير قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة قال رجل أخرجوا نبيهم فنزلت أذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا الآية الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق النبى صلى الله عليه وسلم
وأصحابه حدثنا يحيى بن داود الواسطى قال ثنا اسحق بن يوسف عن سفيان عن الاعمش عن مسلم عن

قال أنا ضامن لنصرته ان ترك الانتقام وطلب اكثار ما هو أولى به فانى عفو غفور ومنها انه ضمن النصر على الباغى
ولوح بذكرها بين الصفتين
بما هو أولى بالمجنى عليه وهو
العفو والصفح ومنها انه دل
بذكرهما على انه قادر على
العقوبة لان العفو عند
المقدرة ثم بين ان ذلك النصر
بسبب انه قادر ومن كمال قدرته
ايلاج الليل فى النهار والنهار فى
الليل وذلك ان زيادة أحدهما
تستلزم نقصان الآخر وأراد
تحصيل أحد العرضين الظلام
والضياء فى مكان الآخر وقد
مر فى أوائل آل عمران وفيه
ان خالق الليل والنهار ومصرف
الادوار والاكوار لايخفى
عليه شئ من الزمانيات خيرا
أو شرا انصافا أو بغيا وأكد
هذا المعنى بقوله ان الله سميع
بصير يسمع أقوال الخلائق
ويبصر أفعالهم ثم بين ان كمال
القدرة والعلم هو يقتضى
وجوب الوجود فقال ذلك أى
الوصف بخلق الملوين وبالاحاطة
بما يجرى فيهما بسبب ان
الحقيقة منحصرة فى ذاته وان
وجود غيره ولاسيما الاوثان
موسوم بالبطلان فلا نقص
كالامكان ويعلم مما ذكر انه
لاشئ أعلى منه شأنا وأكبر
سلطانا وانما قال ههنا من دونه
هو الباطل بزيادة هو وفى لقمان
من دونه الباطل لان هذا وقع
بين عشر آيات كل آية مؤكدة
مرة أو مرتين ولهذا أيضا زيدت
اللام فى قوله وان الله لهو الغنى
الحميد بخلاف ما فى لقمان
وأيضا يمكن أن يقال تقدم فى
هذه السورة ذكر الشيطان
فلهذا ذكرت هذه المؤكدات بخلاف لقمان فانه لم يتقدم ذكر الشيطان هناك نحو ما ذكر ههنا ثم ذكر أنواعا أخر من دلائل قدرته

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم انا لله وانا اليه راجعون ليهلكن قال ابن عباس فأنزل الله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال أبو بكر فعرفت انه سيكون قتال وهي أول آية نزلت قال ابن داود قال ابن اسحق كانوا يقرؤن أذن ونحن نقرأ أذن حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق عن سفيان عن الاعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه الا انه قال فقال أبو بكر قد علمت انه يكون قتال والى هذا الموضع انتهى حديثه ولم يزد عليه حدثني محمد ابن خلف العسقلاني قال ثنا محمد بن يوسف قال ثنا قيس بن الربيع عن الاعمش عن مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر انا لله وانا اليه راجعون أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ليهلكن جميعا فلما نزلت أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الى قوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق عرف أبو بكر انه سيكون قتال حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشر سنين وقرأ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وقال هؤلاء المؤمنون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق * وقال آخرون بل عنى بهذه الآية قوم بأعيانهم كانوا خرجوا من دار الحرب يريدون الهجرة فمنعوا من ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال اناس مؤمنون خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فكانوا يمنعون فاذن الله للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال ناس من المؤمنين خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة وكانوا يمنعون فأدركهم الكفار فأذن للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم قال ابن جريج يقول أول قتال أذن الله به للمؤمنين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في حرف ابن مسعود أذن للذين يقاتلون في سبيل الله قال قتادة وهي أول آية أنزلت في القتال فأذن لهم ان يقاتلوا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قال هي أول آية أنزلت في القتال فأذن لهم ان يقاتلوا وقد كان بعضهم يزعم ان الله انما قال أذن للذين يقاتلون بالقتال من أجل ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل الكفار اذ آذوهم واشتدوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة سرا فأنزل الله في ذلك ان الله لا يحب كل خوان كفور فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة اطلق لهم قتلهم وقتالهم فقال اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وهذا قول ذكر عن الضحاك بن مزاحم من وجه غير ثبت وقوله وان الله على نصرهم لقدير يقول جل ثناؤه وان الله على نصر المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله لقادر وقد نصرهم فأعزهم ورفعهم وأهلك عدوهم وأذلهم بأيديهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) يقول تعالى ذكره أذن للذين يقاتلون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق فالذين الثانية رد على الذين الاولى وعنى بالمخرجين من دورهم المؤمنين الذين أخرجهم كفار قريش من مكة وكان اخراجهم اياهم من دورهم وتعذيبهم بعضهم على الايمان بالله وبرسوله وسبهم بعضهم بألسنتهم ووعيدهم اياهم حتى اضطروهم الى الخروج عنهم وكان فعلهم ذلك بهم بغير حق لانهم كانوا على باطل والمؤمنون على الحق فلذلك قال جل ثناؤه الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وقوله الا أن يقولوا ربنا الله يقول تعالى ذكره

الرؤية اذا لم يقترن بها العلم لم يعتد بها وفي قوله فتصبح دون ان يقول فاصبحت مناسبا لانزل اشارة الى بقاء أثر المطر زمانا طويلا وان كان ابتداء الاصباح عقيب النزول نظيره قول القائل أنعم فلان علي عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قال فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما لم ينصب فتصبح جوابا للاستفهام لايهام عكس ما هو المقصود لانه توهم نفي الاخضرار كما لو قلت لصاحبك ألم ترأني أنعمت عليك فتشكر ان نصبته أوهمت انك نافٍ لشكره شاكٍ تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت لشكره بطريق الاستمرار ولا يبعد أن تكون هذه الآية اشارة الى دليل الاعادة كما في أول السورة وهذا قول أبي مسلم ان الله لطيف خبير قال الكلبي لطيف في أفعاله خبير بأعمال خلقه وقال مقاتل لطيف باستخراج النبت خبير بكيفية خلقها وقال ابن عباس لطيف بارزاق عباده خبير بما في قلوبهم من القنوط وقد مر مثل هذه في أواسط الانعام ثم بين ان كل ما في السموات والارض ملكه وملكه لا يمتنع شيء منها من تصرفاته وهو غني عن كل ذلك وانما خلقها لحاجة المكلفين اليها ومن جملتها المطر والنبات لمقهارجة للحيوانات وانعاما عليها واذا كان انعامه خاصا عن غرض عائد اليه كان مستحقا للحمد بل هو حميد في ذاته وان لم يحمده الحامدون * التأويل وكأين من قرية قالب أهلكناها بضيق الصدر وسوء الخلق واستيلاء الغفلة

لم يخرجوا من ديارهم الا بقولهم ربنا الله وحده لاشريك له فان في موضع خفض رداعلى الباء في قوله بغير حق وقد يجوز أن تكون في موضع نصب على وجه الاستثناء وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض * اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض دفع المشركين بالمسلمين * وقال آخرون معنى ذلك ولولا القتال والجهاد في سبيل الله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال لولا القتال والجهاد * وقال آخرون بل معنى ذلك ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن بعدهم من التابعين ذكر من قال ذلك حدثنا ابراهيم بن سعيد قال ثنا يعقوب بن ابراهيم عن سيف بن عمر عن أبي روق عن ثابت بن عوسجة الحضرمي قال ثني سبعة وعشرون من أصحاب علي وعبد الله منهم لاحق بن الاقمر والعيزار بن جرول وعطية القرظي ان عليا رضي الله عنه قال انما أنزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لولا دفاع الله بأصحاب محمد عن التابعين لهدمت صوامع وبيع * وقال آخرون بل معنى ذلك لولا ان الله يدفع بمن أوجب قبول شهادته في الحقوق تكون لبعض الناس على بعض عن لا يجوز قبول شهادته وغيره فأحيا بذلك مال هذا ويوقي بسبب هذا اراقة دم هذا وتركوا المظالم من أجله لتظالم الناس فهدمت صوامع ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يقول دفع بعضهم بعضا في الشهادة وفي الحق وفيما يكون من قبل هذا يقول لولاهم لاهلكت هذه الصوامع وماذكر معها * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ان يقال ان الله تعالى ذكره أخبر انه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض لهدم ماذكر من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض كفه المشركين بالمسلمين عن ذلك ومنه كفه ببعضهم التظالم كالسلطان الذي كف به رعيته عن التظالم بينهم ومنه كفه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق ونحو ذلك وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض لولا ذلك لتظالموا فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيعهم وما سمى جل ثناؤه ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل انه عنى من ذلك بعضا دون بعض ولا جاء بان ذلك كذلك خبر يجب التسليم له فذلك على الظاهر والعموم على ماقد بينته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ماذكرنا وقوله لهدمت صوامع * اختلف أهل التأويل في المعنى بالصوامع فقال بعضهم عني بها صوامع الرهبان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع في هذه الآية لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لهدمت صوامع الصغار يبنونها * وقال آخرون بل هي صوامع الصابئين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة صوامع قال هي للصابئين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * واختلفت القراء في قراءة قوله لهدمت فقرأ ذلك عامة قراء المدينة لهدمت خفيفة وقرأته عامة قراء أهل الكوفة والبصرة لهدمت بالتشديد بمعنى تكرير الهدم فيها مرة بعد مرة والتشديد في ذلك أعجب القراءتين الي لان ذلك من أفعال أهل الكفر بذلك وأما قوله وبيع فانه يعني بها بيع النصارى * وقد اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم مثل الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى

عن نتائج الفكر الصافي والحواس السليمة أفلم يسيروا في أرض البشرية عابرين على منازل السالكين الى أن يصلوا الى مقام القلب فتكون لهم قلوب يعقلون بها الرحمن بذاته أو آذان قلوب يسمعون بها أقواله أو أبصار بصائر يبصرون بها أفعاله واذا صح وصف القلوب بالسمع والبصر صح وصفه بسائر وجوه الادراكات فقد يدرك نسيم الاقبال بمشام السر كقوله * اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن وكقول يعقوب اني لاجد ريح يوسف ولن يخلف الله وعده ليس خلفه في وعيد المؤمنين بخلاف في الحقيقة لانه تصديق قوله سبقت رحمتي غضبي وان يوما عند ربك كألف سنة قيل لانه موجد الزمان وليس عنده صباح ولامساء فوجود الزمان وعدمه وكثرته وقلته سواء عنده والاستعجال وضده انما يتصور في المتزمنات قلت فقيه ان الكل بارادته وان ما أراد الله فأسبابه متهيئة يحصل في يوم بارادته مالايحصل في ألف سنة بحسب فرضنا وتقديرنا ومن هنا قيل جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين أمليت لها فيه انه تعالى عهل ولكنه لايهمل لهم مغفرة أي ستر فمنهم من يستر زلته ومنهم من يستر عليه أعماله الصالحة صيانة له عن الملاحظة ومنهم من يستر عليه حاله لئلا يصيبه من الشهوة

فتنة كما قيل شعر * لا تنكرن جحدي هواك فانما * ذاك الجحود

قال ثنا داود عن رفيع و بيع قال بيع النصارى حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة و بيع للنصارى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول البيع بيع النصارى * وقال آخرون عنى بالبيع فى هذا الموضع كنائس اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال و بيع قال وكنائس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله و بيع قال البيع الكنائس قوله وصلوات * اختلف أهل التأويل فى معناه فقال بعضهم عنى بالصلوات الكنائس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وصلوات قال يعنى بالصلوات الكنائس حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وصلوات كنائس اليهود ويسمون الكنيسة صلوتا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وصلوات كنائس اليهود حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون عنى بالصلوات مساجد الصابئين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود قال سألت أبا العالية عن الصلوات قال هى مساجد الصابئين قال حدثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع نحوه * وقال آخرون هى مساجد للمسلمين ولاهل الكتاب بالطرق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وصلوات قال مساجد لاهل الكتاب ولاهل الاسلام بالطرق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وصلوات قال الصلوات صلوات أهل الاسلام تنقطع اذا دخل العدو عليهم انقطعت العبادة والمساجد تهدم كما صنع بختنصر وقوله ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا اختلف فى المساجد التى أريدت بهذا القول فقال بعضهم أريد بذلك مساجد المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع قوله ومساجد قال مساجد المسلمين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا قال المساجد مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة نحوه * وقال آخرون عنى بقوله ومساجد الصوامع والبيع والصلوات ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومساجد يقول فى كل هذا يذكر اسم الله ولم يخص المساجد وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول الصلوات لا تهدم ولكن حمله على فعل آخر كأنه قال وتركت صلوات وقال بعضهم انما يعنى مواضع الصلوات وقال بعضهم انما هى صلوات وهى كنائس اليهود تدعى بالعبرانية صلوتا * وأولى هذه الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك لهدمت صوامع الرهبان و بيع النصارى وصلوات اليهود وهى كنائسهم ومساجد المسلمين التى يذكر فيها اسم الله كثيرا وانما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك لان ذلك هو المعروف فى كلام العرب المستفيض فيهم وما خالفه من القول وان كان له وجه فغير مستعمل فيما وجهه اليه من وجهه اليه وقوله ولينصرن الله من ينصره يقول تعالى ذكره وليعينن الله من يقاتل فى سبيله لتكون كلمته العليا على عدوه فنصر الله عبده معونته اياه ونصر العبد ربه جهاده فى سبيله لتكون كلمته العليا وقوله ان الله لقوى عزيز يقول تعالى ذكره ان الله لقوى على نصر من جاهد فى سبيله من أهل ولايته وطاعته عزيز فى ملكه يقول منيع فى سلطانه لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب

القول فى تأويل قوله تعالى (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا

عليك فتوصل * ومنهم من يستره بين أوليائه فى باب العزة كما قال أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى ومنهم من يستر أنانيته بهويته فيقول انا الحق وسبحانى والرزق الكريم هو الخالى عن شوائب الحدوث لانه من القديم الكريم الا اذا تمنى فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم بل الولى لا يليق به التمنى بل ما على الرسول الا البلاغ ولا على الولى الا الرضا والتسليم فلو بقى فى أحدهم أدنى ملاحظة لغير الله كالحرص على ايمان القوم فوق ما أمر به ابتلاه الله ببلاء مجال الشيطان فى أمنيته بقول أو بعمل فتدركه العناية الازلية و يزيل الخاطر الشيطانى ويثبته على الخاطر الرحمانى ولا يكون لدخان الفتنة تأثير فى نور يقينه كما لا تأثير للضباب فى شعاع الشمس بخلاف من فى قلبه ظلم الشبهات فان ذلك الدخان يزيدها كدورة وريبا حتى تأتيهم ساعة سلب الاستعداد بالكلية أو يأتيهم عذاب يوم عقيم هو الابد لانه لا ليل له وهو عذاب قطيعة لا وصلة بعدها والذين هاجروا عن أوطان الطبيعة فى طلب الحقيقة ثم قتلوا بسيف الصدق والرياضة حتى تزكوا أنفسهم أو ماتوا عن أوصاف البشرية ليرزقنهم الله رزقا حسنا فرزق القلوب حلاوة العرفان ورزق الاسرار مشاهدات الجمال ورزق الارواح مكاشفات الجلال وان الله لهو خير الرازقين لانه يرزق من أوصاف ربوبيته كما قال صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربى يطعمنى و يسقينى ومن عاقب بالمجاهدة نفسه بمثل ما عاقبت النفس بالمخالفة قلبه ثم بغى

المعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) يقول تعالى ذكره أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة والذين ههنا رد على الذين يقاتلون و يعنى بقوله ان مكناهم فى الارض ان وطنا لهم فى البلاد فقهروا المشركين وغلبوهم عليها وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان نصرناهم على أعدائهم وقهروا مشركى مكة أطاعوا الله فاقاموا الصلاة بحدودها وآتوا الزكاة يقول واعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له وأمروا بالمعروف يقول ودعوا الناس الى توحيد الله والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الايمان بالله ونهوا عن المنكر يقول ونهوا عن الشرك بالله والعمل بمعاصيه الذى ينكره أهل الحق والايمان بالله ولله عاقبة الامور يقول ولله آخر أمور الخلق يعنى ان اليه مصيرها فى الثواب عليها والعقاب فى الدار الآخرة * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا الحسين الاشيب قال ثنا أبو جعفر عيسى بن ماهان الذى يقال له الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال كان أمرهم بالمعروف انهم دعوا الى الاخلاص لله وحده لا شريك له ونهيهم عن المنكر انهم نهوا عن عبادة الاوثان وعبادة الشيطان فقد نهى عن المنكر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير) يقول تعالى ذكره مسليا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما ينا له من أذى المشركين بالله وحاضا له على الصبر على ما يلحقه منهم من السب والتكذيب وان يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما أتيتهم به من الحق والبرهان وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله فذلك سنة اخوانهم من الامم الخالية المكذبة رسل الله المشركة بالله ومنهاجهم من قبلهم فلا يصدنك ذلك فان العذاب المهين من ورائهم ونصرى اياك واتباعك عليهم آتيهم من وراء ذلك كما أتى عذابى على أسلافهم من الامم الذين من قبلهم بعد الامهال الى بلوغ الآجال فقد كذبت قبلهم يعنى مشركى قريش قوم نوح وقوم عاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وهم قوم شعيب يقول كذب كل هؤلاء رسلهم وكذب موسى فقيل وكذبه موسى ولم يقل وقوم موسى لان قوم موسى بنو اسرائيل وكانت قد استجابت له ولم تكذبه وانما كذبه فرعون وقومه من القبط وقد قيل انما قيل ذلك كذلك لانه ولد فيهم كما ولد فى أهل مكة وقوله فامليت للكافرين يقول فامهلت لاهل الكفر بالله من هذه الامم فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب ثم أخذتهم يقول ثم أحللت بهم العقاب بعد الاملاء فكيف كان نكير يقول فانظر يا محمد كيف كان تغييرى ما كان بهم من نعمة وتنكرى لهم عما كنت عليه من الاحسان اليهم ألم أبدلهم بالكثرة قلة و بالحياة موتا وهلاكا و بالعمارة خرابا يقول فكذلك فعلى بمكذبيك من قريش وان أمليت لهم الى آجالهم فانى منجزك وعدى فيهم كما أنجزت غيرك من رسلى وعدى فى أممهم فاهلكناهم وأنجيتهم من بين أظهرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد) يقول تعالى ذكره وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظالمون يقول وهم يعبدون غير من ينبغى أن يعبدوا يعصون من لا ينبغى لهم أن يعصوه وقوله فهى خاوية على عروشها يقول فباد أهلها وخلت وخوت من سكانها فخربت وتداعت وتساقطت على عروشها يعنى على بنائها وسقوفها كما حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك فهى خاوية على عروشها قال خواؤها خرابها وعروشها سقوفها حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة خاوية قال خربة ليس فيها أحد حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله وبئر معطلة يقول تعالى وكأين من قرية أهلكناها ومن بئر عطلناها بافناء أهلها وهلاك واردها فاندفنت وتعطلت فلا واردة لها ولا شاربة منها ومن قصر مشيد رفيع بالصخور والجص قد خلا من

سلف غفور لما بقى فى نفوس الطالبين من الانانية يولج ليل السرفى نهار التجلى و بالعكس أو يولج ليل القبض فى نهار البسط أو ليل الهيبة فى نهار الانس أنزل من سماء القلب ماء الحكمة فتصبح أرض البشرية مخضرة بالشريعة وأرض القلوب والارواح والاسرار بالعلوم والكشوف والانوار والله أعلم بالصواب (ألم تر أن الله سخر لكم مافى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره و يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ألم تعلم أن الله يعلم مافى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير و يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله

سكانه بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعالهم فبادوا وبقي قصورهم المشيدة خالية منهم والبئر والقصر مخفوضان بالعطف على القرية وكان بعض نحوى الكوفة يقول هما معطوفان على العروش بالعطف عليها خفضا وان لم يحسن فيهما على لان العروش أعالى البيوت والبئر فى الارض وكذلك القصر لان القرية لم تخو على القصر ولكنه اتبع بعضه بعضا كما قال وحور عين كأمثال اللؤلؤ فمعنى الكلام على ما قال هذا الذى ذكرنا قوله فى ذلك وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها ولها بئر معطلة وقصر مشيد ولكن لما لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها اتبعها فى الاعراب العروش والمعنى ما وصفت * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله وبئر معطلة قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وبئر معطلة قال التى قد تركت وقال غيره لا أهل لها حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وبئر معطلة قال عطلها أهلها تركوها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وبئر معطلة قال لا أهل لها * واختلف أهل التاويل فى معنى قوله وقصر مشيد فقال بعضهم معناه وقصر مجصص ذكر من قال ذلك حدثنى مطر بن محمد الضبي قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن هلال بن خباب عن عكرمة فى قوله وقصر مشيد قال مجصص حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن هلال بن خباب عن عكرمة مثله حدثنى محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنى غالب بن فائد قال ثنا سفيان عن هلال بن خباب عن عكرمة مثله حدثنى الحسين بن محمد العنقرى قال ثنى أبى عن اسباط عن السدى عن عكرمة فى قوله وقصر مشيد قال مجصص حدثنى مطر بن محمد قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر بن برقان قال كنت أمشى مع عكرمة فرأى حائطا أحمر مصهرجا فوضع يده عليه وقال هذا المشيد الذى قال الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة وقصر مشيد قال المجصص قال عكرمة والجص بالمدينة يسمى الشيد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقصر مشيد قال بالقصة أو الفضة حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقصر مشيد قال بالقصة يعنى بالجص حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير فى قوله وقصر مشيد قال مجصص هكذا هو فى كتابى عن سعيد بن جبير * وقال آخرون بل معنى ذلك وقصر رفيع طويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وقصر مشيد قال كان أهله شيدوه وحصنوه فهلكوا وتركوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وقصر مشيد يقول طويل * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بالمشيد المجصص وذلك ان الشيد فى كلام العرب هو الجص بعينه ومنه قول الراجز

* كحبة الماء بين الطى والشيد *

فالمشيد انما هو مفعول من الشيد ومنه قول امرئ القيس

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة * ولا أجما الامشيدا بجندل

يعنى بذلك الا البناء بالشيد والجندل وقد يجوز أن يكون معنيا بالمشيد المرفوع بناؤه بالشيد فيكون الذين قالوا عنى بالمشيد الطويل نحوا بذلك الى هذا التاويل ومنه قول عدى بن زيد

شاده مرمرا وجلله كلسا * فللطير فى ذراه وكور

وقد تاوله بعض أهل العلم بلغات العرب بمعنى المزين بالشيد من شدته أشيده اذا زينته به وذلك شبيه بمعنى من قال مجصص * القول فى تاويل قوله تعالى (أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب

يعقلون

لقوى عزيز الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير)

القراآت ألم ينزل من الانزال ابن كثير وأبو عمرو وسهل والآخرون بالتشديد يصطون بالصاد مثل بصطة فى البقرة الذين يدعون بياء الغيبة سهل ويعقوب * الوقوف بامره ط باذنه ط رحيم ه أحياكم ز لان ثم لترتيب الاخبار يحييكم ه ط لكفور ه ربك ط مستقيم ه يعملون ه يختلفون ه والارض ط كتاب ط يسير ه علم ط بصير ه المنكر ط آياتنا ط ذلكم ط النار ط كفروا ط المصير ه فاستمعوا له ط اجتمعوا له ط منه ط والمطلوب ه قدره ط عزيز ه ومن الناس ط بصير ه خلفهم ط الامور ه تفلحون ه ج للآية مع العطف سجدة جهاده ط حرج ط ابراهيم ط الناس ج للعطف مع الفاء بالله ط مولاكم ط النصير ه

* التفسير ان من جملة نعم الله تعالى على عباده تسخير الارضيات وتذليلها لهم فلا أصلب من الحديد والحجر ولا أشد نكاية من النار وقد سخرها للانسان وسخر لهم الانعام أيضا

يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) يقول تعالى ذكره أفلم يسير واهؤلاء المكذبون بآيات الله والجاحدون قدرته فى البلاد فينظروا الى مصارع ضربائهم من مكذبى رسل الله الذين خلوا من قبلهم كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب وأوطانهم ومساكنهم فيتفكروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها سنة الله فين كفر وعبد غيره وكذب رسله فينيبوا من عتوهم وكفرهم ويكون لهم اذا تدبروا ذلك واعتبروا به وأنابوا الى الحق قلوب يعقلون بها حجج الله على خلقه وقدرته على ما بينا أو آذان يسمعون بها يقول أو آذان تصغى لسماع الحق فتعى ذلك وتميز بينه وبين الباطل وقوله فانها لا تعمى الابصار يقول فانها لا تعمى أبصارهم أن يبصروا بها الاشخاص ويروها بل يبصرون ذلك بأبصارهم ولكن تعمى قلوبهم التى فى صدورهم عن ابصار الحق ومعرفته والهاء فى قوله فانها لا تعمى هاء عماد كقول القائل انه عبد الله قائم وقد ذكر ان ذلك فى قراءة عبد الله فانه لا تعمى الابصار وقيل ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور والقلوب لا تكون الا فى الصدور توكيدا للكلام كما قيل يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) يقول تعالى ذكره ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بما تعدهم من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم اياك فيما أتيتهم به من عند الله فى الدنيا ولن يخلف الله وعده الذى وعدك فيهم من احلال عذابه ونقمته بهم فى عاجل الدنيا ففعل ذلك ووفى لهم بما وعدهم فقتلهم يوم بدر * واختلف أهل التأويل فى اليوم الذى قال جل ثناؤه وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أى يوم هو فقال بعضهم هو من الايام التى خلق الله فيها السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال من الايام التى خلق الله فيها السموات والارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله وان يوما عند ربك الآية قال هى مثل قوله فى الم تنزيل سواء هو هو الآية * وقال آخرون بل هو من أيام الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن سمير بن نهار قال قال أبو هريرة يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بمقدار نصف يوم قلت وما نصف يوم قال أوما تقرأ القرآن قلت بلى قال وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون حدثنا ابن بشار قال ثنى عبد الرحمن قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن مجاهد وان يوما عند ربك كألف سنة قال من أيام الآخرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة انه قال فى هذه الآية وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال هذه أيام الآخرة فى قوله ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال يوم القيامة وقرأ انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقد اختلف فى وجه صرف الكلام من الخبر عن استعجال الذين استعجلوا العذاب الى الخبر عن طول اليوم عند الله فقال بعضهم ان القوم استعجلوا العذاب فى الدنيا فأنزل الله ولن يخلف الله وعده فى أن ينزل ما وعدهم من العذاب فى الدنيا وان يوما عند ربك من عذابهم فى الدنيا والآخرة كألف سنة مما تعدون فى الدنيا * وقال آخرون قيل ذلك كذلك اعلاما من الله مستعجليه العذاب انه لا يعجل ولكنه يمهل الى أجل أجله وان البطىء عندهم قريب عنده فقال لهم مقدار اليوم عندى ألف سنة مما تعدونه أنتم أيها القوم من أيامكم وهو عندكم بطىء وهو عندى قريب * وقال آخرون معنى ذلك وان يوما من الثقل وما يخاف كألف سنة * والقول الثانى عندى أشبه بالحق فى ذلك وذلك ان الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده ثم اتبع ذلك قوله وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة فأخبر عن املائه أهل القرية الظالمة

ينتفعون بها بالاكل والركوب والحمل عليها والانتفاع بالنظر اليها أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وسخر لهم الدواب وغيرها وسخر لهم الفلك حال كونها جارية بأمره وهو تهيئة الاسباب المعاونة ودفع الاشياء المضادة لسهولة جريها ولا ريب ان الانتفاع بالارضيات لا يتأتى الا بعد الامن من وقوع السماء على الارض فمن الله تعالى على المكلفين بان حفظها كيلا تقع أو كراهة ان تقع على الارض وذلك بمحض الاقتدار عند أهل الظاهر أو بان جعل طبعها هو الاحاطة بما فى ضمنها اذ لا خفة فيها ولا ثقل ولهذا خصت بالحركة على المركز وفى قوله الا باذنه اشارة الى ان الافلاك ستخرق وتنشق فتقع على الارض ويحتمل ان يقال توقيف الوقوع على الاذن لا يوجب حصول الاذن فالانخراق والانشقاق لا يستفاد من هذه الآية ثم ذكر الانسان مبدأه ومعاده فقال وهو الذى أحياكم نظيره قوله فى أول البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم وقد سبق هنالك وفى قوله ان الانسان لكفور زجر لهم عن الكفران بطريق التوبيخ وعن ابن عباس انه الكافر وبعضهم جعله أخص فقال هو أبو جهل واضرابه والاولى ارادة الجنس ثم عاد الى بيان ان أمر التكاليف مستقر على ما فى هذه الشريعة فقال لكل أمة الآية قال فى الكشاف انما فقد العاطف ههنا بخلاف نظرائها فى السورة لان تلك مناسبة لما تقدمها وهذه مباينة لها قلت وذلك لان من ههنا الى آخر السورة عودا بعد ذكر المعاد الى الوسط

وتركه معاجلتهم بالعذاب فبين بذلك انه عنى بقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون نفى العجلة عن نفسه ووصفها بالاناءة والانتظار واذ كان ذلك كذلك كان تاويل الكلام وان يوما من الايام التى عند الله يوم القيامة يوم واحد كالف سنة من عددكم وليس ذلك عنده ببعيد وهو عندكم بعيد فلذلك لا يعجل بعقوبته من أراد عقوبته حتى يبلغ غاية مدته ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والى المصير) يقول تعالى ذكره وكأين من قرية أمليت لها يقول أمهلتهم وأخرت عذابهم وهم بالله مشركون ولامره مخالفون وذلك كان ظلمهم الذى وصفهم الله به جل ثناؤه فلم أعجل بعذابهم ثم أخذتها يقول ثم أخذتها بالعذاب فعذبتها فى الدنيا باحلال عقوبتنا بهم والى المصير يقول والى مصيرهم أيضا بعد هلاكهم فيلقون من العذاب حينئذ ما لا انقطاع له يقول تعالى ذكره فكذلك حال مستعجليك بالعذاب من مشركى قومك وان أمليت لهم الى آجالهم التى أجلتها لهم فانى آخذهم بالعذاب فقاتلهم بالسيف ثم الى مصيرهم بعد ذلك مرجعهم اذا عقوبته على ما قدموا من آثامهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك الذين يجادلونك فى الله بغير علم اتباعا منهم لكل شيطان مريد يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم فى الدنيا وعذابه فى الآخرة ان تصلوه مبين يقول أبين لكم انذارى ذلك وأظهره لتنيبوا من شرككم وتحذروا ما أنذركم من ذلك لا أملك لكم غير ذلك فاما تعجيل العقاب وتأخيره الذى تستعجلوننى به فالى الله ليس ذلك الى ولا أقدر عليه ثم وصف نذارته وبشارته ولم يجر للبشارة ذكر ولما ذكرت النذارة على عمل علم ان البشارة على خلافه فقال والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات منكم أيها الناس ومن غيركم لهم مغفرة يقول لهم من الله ستر ذنوبهم التى سلفت منهم فى الدنيا عليهم فى الآخرة ورزق كريم يقول ورزق حسن فى الجنة كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم قال الجنة وقوله والذين سعوا فى آياتنا معاجزين يقول والذين عملوا فى حججنا فصدوا عن اتباع رسولنا والاقرار بكتابنا الذى أنزلناه وقال فى آياتنا فادخلت فيه فى كما يقال سعى فلان فى أمر فلان ＊ واختلف أهل التأويل فى تاويل قوله معاجزين فقال بعضهم معناه مشاقين ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس انه قرأها معاجزين فى كل القرآن يعنى بالف وقال مشاقين ＊ وقال آخرون بل معنى ذلك انهم ظنوا انهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى آياتنا معاجزين قال كذبوا بآيات الله فظنوا انهم يعجزون الله ولن يعجزوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وهذان الوجهان من التأويل فى ذلك على قراءة من قرأه فى آياتنا معاجزين بالالف وهى قراءة عامة قراء المدينة والكوفة وأما بعض قراء أهل مكة والبصرة فانه قرأه معجزين بتشديد الجيم بغير ألف بمعنى انهم عجزوا الناس وثبطوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان بالقرآن ذكر من قال ذلك كذلك من قراءته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله معجزين قال مبطئين يبطئون الناس عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى وذلك ان من عجز عن آيات الله فقد عاجز الله ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله والعمل بمعاصيه وخلاف أمره وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم انهم كانوا يبطئون الناس عن الايمان

بالله

الذى هو حالة التكليف والاقرب ان المنسك فى هذه الآية هو الشريعة كقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهو قول ابن عباس فى رواية عطاء وقيل أراد مكانا معينا لاداء الطاعات وقال مجاهد هو الذبائح ولا وجه للتخصيص ههنا والامة أعم من أن تكون قد بقيت آثارهم أو لم تبق اما الضمير فى قوله فلا ينازعنك فلابد من رجوعه الى الامم الباقية آثارهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزجاج انه نهى له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان أى لا تضاربه وذلك ان المفاعلة تقتضى العكس ضمنا وقال فى الكشاف هو نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة فى أمر الدين وكانوا يقولون فى الميتة ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله ومنه يعلم استقرار أمر الديانة على هذه الشريعة وان على كل أمة من الامم التى بقيت منها بقية ان يتبعوه ويتركوا مخالفته فلذلك قال وادع الى ربك أى لا تخص بالدعوة أمة دون أمة فان كلهم أمتك انك لعلى هدى مستقيم أى على دين وسط ودليل ظاهر وان أبوا الا الجدال فكل أمرهم الى الله قائلا الله أعلم بما تعملون وفيه وعيد وانذار مخلوط برفق والله يحكم بينكم أى يفصل بين المؤمنين والكافرين منكم ويحتمل ان يكون من تتمة المقول وان يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه للامم

بالله واتباع رسوله ويغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون انهم يعجزونه ويغلبونه وقد ضمن
الله له نصره عليهم فكان ذلك معاجزتهم الله فاذ كان ذلك كذلك فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب
الصواب في ذلك وأما المعاجزة فانها المفاعلة من العجز ومعناه مغالبة اثنين أحدهما صاحبه أيهما
يعجزه فيغلبه الآخر ويقهره وأما التعجيز فانه التضعيف وهو التفعيل من العجز وقوله أولئك
أصحاب الجحيم يقول هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان جهنم يوم القيامة وأهلها الذين هم أهلها

❁ القول في تأويل قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في
أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) قيل ان السبب الذي من أجله
نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه
مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم واغتم به
فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج
عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد
من أندية قريش كثير أهله فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه فأنزل الله عليه والنجم اذا
هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا بلغ أفرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى عليه الشيطان كلمتين تلك الغرانقة العلى وان شفاعتهن لترجى
فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها فسجد في آخر السورة وسجد القوم جميعا معه ورفع الوليد بن
المغيرة ترابا الى جبهته فسجد عليه وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود فرضوا بما تكلم به وقالوا
قد عرفنا ان الله يحيي ويميت وهو الذي يخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده اذ جعلت لها
نصيبا فنحن معك قالا فلما أمسى أتاه جبرائيل عليهما السلام فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين
اللتين ألقى الشيطان عليه قال ما جئتك بهاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتريت على الله
وقلت على الله ما لم يقل فأوحى الله اليه وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا
غيره الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه وما أرسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم
حكيم قال فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم فرجعوا الى
عشائرهم وقالوا هم أحب الينا فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد المدني عن محمد بن كعب القرظي قال لما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من عند الله
تمنى في نفسه ان يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه وكان يسره مع حبه وحرصه عليهم ان يلين له
بعض ما غلظ عليه من أمرهم حين حدث بذلك نفسه وتمنى وأحبه فأنزل الله والنجم اذا هوى ما ضل
صاحبكم وما غوى فلما انتهى الى قول الله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى
الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمنى ان يأتي به قومه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
ترتضى فلما سمع ذلك قريش فرحوا وسرهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم فأصاخوا له والمؤمنون
مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ولا يتهمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل فلما انتهى الى السجدة
منها وختم السورة سجد فيها فسجد المسلمون بسجود نبيهم تصديقا لما جاء به واتباعا لامره وسجد من
في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر آلهتهم فلم يبق في المسجد مؤمن ولا
كافر الا سجد الا الوليد بن المغيرة فانه كان شيخا كبيرا فلم يستطع فأخذ بيده حفنة من البطحاء
فسجد عليها ثم تفرق الناس من المسجد وخرجت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم
يقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقد زعم فيما يتلو انها الغرانيق العلى وان شفاعتهن
ترتضى وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أسلمت

ألم تعلم خطاب لكل عالم أو للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد تقوية قلبه والا فالرسالة لا تكون الا بعد العلم بكونه
تعالى عالما بكل المعلومات
والا اشتبه عليه الصادق
بالكاذب ان ذلك الذي ذكر
وهو كل ما في السماء والارض
في كتاب قال أبو مسلم أراد
به الحفظ والضبط كالشيء
المكتوب والجمهور على انه
حقيقة وقد كتبه في اللوح
قبل حدوثه ولعل في تلك
الكتابة لطفا للملائكة لان
مطابقة تلك الاشياء المكتوبة
لما يحدث الى الابد من أدل
دليل على كونه عالم الذات
ولذلك قال ان ذلك الكتب
على الله يسير وهذا تصوير
لضده وهو صعوبة مثل ذلك
على غيره والا فلا مدخل
لليسر والصعوبة في كمال قدرته
وحين بين كمال ألوهيته قطع
شأن أهل الشرك بقوله
ويعبدون الآية والمراد
انهم لم يتمسكوا في صحة عبادته
بدليل سمعي ولا علم ضروري
وقوله وما للظالمين من نصير
الظلم الشرك والنصرة اما
بالشفاعة أو بالحجة ولا حجة الا
للحق وهو كقوله في آخر
آل عمران وما للظالمين من
أنصار وقدم والمنكر دلائل
الغيظ والحنق وقال جار الله
هو الفظيع من التجهم
والبسور ٧ وهو الانكار كالمكرم
بمعنى الانكار وقال الكلبي
أراد انهم كرهوا القرآن مع
وضوح دلائله وقال ابن عباس
هو التجبر والترفع وقال
مقاتل أنكروا ان يكون
من الله تعالى السطو والوثب
والبطش أي يهمون بالبطش والوثوب لعظم انكار ما تلي عليهم وقوله من ذلكم اشارة الى غيظهم على التالين أو الى همهم ثم انه كان سائلا

قريش فنهضت منهم رجال وتخلف آخرون وأتى جبرائيل صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس مالم آتك به عن الله وقلت مالم يقل لك فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وخاف من الله خوفا كبيرا فانزل الله تبارك وتعالى عليه وكان به رحيما يعزيه ويخفض عليه الامر ويخبره انه لم يكن قبله رسول ولا نبي تمنى كما تمنى ولا أحب كما أحب الا والشيطان قد ألقى في أمنيته كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته أي فانت كبعض الانبياء والرسل فانزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية فاذهب الله عن نبيه الحزن وأمنه من الذي كان يخاف ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكرا لهتهم انها الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتضى يقول الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الى قوله وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى أي فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده فلما جاءه من الله مانسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه قالت قريش ندم محمد على ما كان من منزلة آلهتكم عند الله فغير ذلك وجاء بغيره وكان ذلك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعت في فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود عن أبي العالية قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما جلساؤك عبد بني فلان ومولى بني فلان فلو ذكرت آلهتنا بشئ جالسناك فانه يأتيك أشراف العرب فاذا رأوا جلساءك أشراف قومك كان أرغب لهم فيك قال فالقى الشيطان في أمنيته فنزلت هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال فاجرى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترجى مثلهن لا ينسى قال فسجد النبي صلى الله عليه وسلم حين قرأها وسجد معه المسلمون والمشركون فلما علم الذي أجرى على لسانه كبر ذلك عليه فانزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الى قوله والله عليم حكيم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند عن أبي العالية قال قالت قريش يا محمد انما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فان الناس يأتونك من الآفاق فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم فلما انتهى على هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فالقى الشيطان على لسانه وهي الغرانقة العلى وشفاعتهن ترتجى فلما فرغ منها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون والمشركون الا أبا أحيحة سعيد بن العاص أخذ كفا من تراب وسجد عليه وقال قد آن لابن أبي كبشة أن يذكرآلهتنا بخير حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ان قريشا قد أسلمت فاشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ألقى الشيطان على لسانه فانزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الى آخر الآية **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون انه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير فسجد المشركون معه فانزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الى قوله عذاب يوم عقيم **حدثنا** ابن المثنى قال ثني عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال لما نزلت أفرأيتم اللات والعزى ثم ذكر نحوه **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الى قوله والله عليم حكيم وذلك ان نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يصلي اذ نزلت عليه قصة آلهة العرب فجعل يتلوها فسمعه المشركون فقالوا انا نسمعه يذكر آلهتنا بخير فدنوا منه فبينما هو يتلوها وهو يقول أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان ان تلك الغرانيق العلى

ولا سيما نار جهنم ثم استانف للنار حكما فقال وعدها الآية ويحتمل ان تكون النار مبتدأ وعدها خبرا ثم ضرب للاصنام مثلا فقال يا أيها الناس ضرب مثل انما قال بلفظ الماضي لانه معلوم من قبل لكل ذي عقل والمثل يعني المثل استعاره وجملة من الكلام مستغربة مستفصحة متلقاة بالرضى والقبول أهل للتيسير والارسال وذلك انهم جعلوا مضربها مثلا لموردها ثم استعاروا هذا المستعار للقصة أو الحالة والصفة المستغربة لتماثلها في الغرابة وهذا هو الذي قصد في الآية فاستمعوا له أي تدبروه وحق له ذلك فان الشئ المجرد لانفع له قال جار الله محل ولو اجتمعوا له نصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا فكيف لو انفردوا وأقول الظاهر ان لو هذه للمبالغة وجوابه محذوف لدلالة ما تقدم عليه تقديره ولو اجتمعوا لخلق الذباب لن يخلقوا أيضا وليس من شرط كل جملة ان يكون لها محل ثم زاد لعجزهم وضعفهم تأكيدا بقوله وان يسلبهم الذباب الآية يعني اترك أمر الخلق والايجاد وتكلم فيما هو اسهل من ذلك ان هذا الحيوان الضعيف الذي لا قدرة لهم على خلقه لو سلبهم شيأ لم يقدروا على استخلاص

ذلك الشئ منه عن ابن عباس انهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون

منها الشفاعة ترتجى فجعل يتلوها فنزل جبرائيل صلى الله عليهما فنسخها ثم قال له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الى قوله والله عليم حكيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فان نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة أنزل الله عليه فى آلهة العرب فجعل يتلو اللات والعزى ويكثر ترديدها فسمع أهل مكة نبي الله يذكر آلهتهم ففرحوا بذلك ودنوا يستمعون فألقى الشيطان فى تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فانزل الله عليه وما أرسلنا من قبلك من رسول الى والله عليم حكيم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب انه سئل عن قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية قال ابن شهاب حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قرأ عليهم والنجم اذا هوى فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال ان شفاعتهن ترتجى وسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه المشركون الذين فى قلوبهم مرض فسلموا عليه وفرحوا بذلك فقال لهم انما ذلك من الشيطان فانزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي حتى بلغ فينسخ الله ما يلقى الشيطان فتأويل الكلام ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول الى أمة من الامم ولا نبي محدث ليس بمرسل الا اذا تمنى * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله تمنى فى هذا الموضع وقد ذكرت قول جماعة ممن قال ذلك التمنى من النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثته نفسه من محبته مقاربة قومه فى ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون ومن قال ذلك محبة منه فى بعض الاحوال أن لا تذكر بسوء * وقال آخرون بل معنى ذلك اذا قرأ أو تلا أو حدث ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته يقول اذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اذا تمنى قال اذا قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الا اذا تمنى يعني بالتمنى التلاوة والقراءة وهذا القول أشبه بتأويل الكلام بدلالة قوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته على ذلك لان الآيات التى أخبر الله جل ثناؤه انه يحكمها لا شك انها آيات تنزيله فمعلوم بذلك ان الذى ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره انه نسخ ذلك منه وأبطله ثم أحكمه بنسخه ذلك منه فتأويل الكلام اذا وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تلا كتاب الله وقرأ أو حدث وتكلم ألقى الشيطان فى كتاب الله الذى تلاه وقرأه أو فى حديثه الذى حدث وتكلم فينسخ الله ما يلقى الشيطان يقول تعالى فيذهب الله ما يلقى الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله كما حدثني على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فينسخ الله ما يلقى الشيطان فيبطل الله ما ألقى الشيطان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وأحكم الله آياته وقوله ثم يحكم الله آياته يقول ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل الذى ألقى الشيطان على لسان نبيه والله عليم بما يحدث فى خلقه من حدث لا يخفى عليه منه شئ حكيم فى تدبيره اياهم وصرفه لهم فيما شاء وأحب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وأن الظالمين لفى شقاق بعيد) يقول تعالى ذكره فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ليجعل ما يلقى الشيطان فى أمنية نبيه من الباطل كقول النبي صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فتنة يقول اختبارا يختبر به الذين فى قلوبهم مرض من النفاق وذلك الشك فى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقيقة

عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله وقيل سمي الذباب ذبابا لانه كلما ذب آب ثم عجب من ضعف الاصنام والذباب بقوله ضعف الطالب والمطلوب فالصنم كالطالب من حيث انه يطلب خلق الذباب أو يطلب استنقاذ ما سلبه منه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم أو عبادته ويجوز ان يكون الطالب هو السالب والمطلوب المسلوب منه ثم بين ان المشركين الذين عبدوا من دون الله آلهة بهذه المثابة ما قدروا الله حق قدره أى ما عرفوه حق معرفته وقدم مثله فى الانعام ان الله لقوى عزيز قادر غالب فكيف يسوى بينه وبين العاجز المغلوب فى العبادة وهى نهاية التعظيم وذلك انهم لو اعتقدوا كون تلك الاصنام طلسمات موضوعة على الكواكب فاذا لم تنفع نفسها فى المقدار المذكور فلان لا تنفع غيرها أولى وان اعتقدوا انها تماثيل الملائكة أو الانبياء فلا يليق بها غاية الخضوع التى يستحقها خالق الكل وحين رد على أهل الشرك معتقدهم فى الالهيات أراد ان يرد عليهم عقيدتهم فى النبوات وهى ان الرسول لا يكون بشرا فقال الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس فالملك رسول الى النبي والنبي رسول الى سائر البشر قاله مقاتل ههنا سؤالان الاول ان من للتبعيض فتفيد الآية ان بعض الملائكة رسل فيكون مناقضا لقوله جاعل الملائكة رسلا والجواب ان الموجبة الجزئية لا تناقض الموجبة الكلية أو أراد بهذا البعض من هو رسول الى بني آدم وهم أكابر الملائكة ولا يبعد ان يكون بعض الملائكة رسلا الى بعض

ما يخبرهم به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لا يعيب الله آلهة
المشركين فألقى الشيطان فى أمنيته فقال ان الآلهة التى تدعى ان شفاعتها لترتجى وانها للغرانيق
العلى فنسخ الله ذلك وأحكم الله آياته أفرأيتم اللات والعزى حتى بلغ من سلطان قال قتادة لما ألقى
الشيطان ما ألقى قال المشركون قد ذكر الله آلهتهم بخير ففرحوا بذلك فذكر قوله ليجعل ما يلقى
الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن
قتادة بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ليجعل ما يلقى
الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض يقول والذين قست قلوبهم عن الايمان بالله فلا تلين ولا
ترعوى وهم المشركون بالله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج والقاسية قلوبهم قال المشركون وقوله وان
الظالمين لفى شقاق بعيد يقول تعالى ذكره وان مشركى قومك يا محمد لفى خلاف لله فى أمره بعيد
من الحق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره وكى يعلم أهل
العلم بالله ان الذى أنزله الله من آياته التى أحكمها لرسوله ونسخ ما ألقى الشيطان فيه انه الحق من
عند ربك يا محمد فيؤمنوا به يقول فيصدقوا به فتخبت له قلوبهم يقول فتخضع للقرآن قلوبهم وتذعن
بالتصديق به والاقرار بما فيه وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم وان الله لمرشد الذين
آمنوا بالله ورسوله الى الحق القاصد والحق الواضح بنسخ ما ألقى الشيطان فى أمنية رسوله فلا يضرهم
كيد الشيطان والقاء الباطل على لسان نبيهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق
من ربك قال يعنى القرآن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى
تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يقول تعالى ذكره ولا يزال الذين كفروا بالله فى شك
ثم اختلف أهل التأويل فى الهاء التى فى قوله منه من ذكر ما هى فقال بعضهم هى من ذكر قول النبى
صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال
ثنا محمد قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه من قوله تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتجى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا
يزال الذين كفروا فى مرية منه قال مما جاء به ابليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة * وقال
آخرون بل هى من ذكر سجود النبى صلى الله عليه وسلم فى النجم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى
قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه
قال فى مرية من سجودك * وقال آخرون بل هى من ذكر القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه قال من القرآن * وأولى
هذه الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال هى كناية من ذكر القرآن الذى أحكم الله آياته وذلك ان
ذلك من ذكر قوله وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك أقرب منه من ذكر قوله فينسخ الله
ما يلقى الشيطان والهاء من قوله انه من ذكر القرآن فالحاق الهاء فى قوله فى مرية منه بالهاء من قوله
انه الحق من ربك أولى من الحاقها بما التى فى قوله ما يلقى الشيطان مع بعد ما بينهما وقوله حتى تأتيهم
الساعة يقول لا يزال هؤلاء الكفار فى شك من أمر هذا القرآن الى أن تأتيهم الساعة بغتة وهى
ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة يقول فجأة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم * واختلف أهل
التأويل فى هذا اليوم أى يوم هو فقال بعضهم هو يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال
ثنا هشيم قال ثنا شيخ من أهل خراسان من الازد يكنى أبا ساسان قال سألت الضحاك عن قوله عذاب يوم

آخر منهم وثانيهما انه قال فى
موضع آخر لو أراد الله ان يتخذ
ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء
وقد نص فى هذه الآية ان بعض
الناس مصطفى فيلزم من مجموع
الآيتين انه قد اصطفى ولدا
والجواب ان تلك الآية دالة
على ان كل ولد مصطفى ولكن
لا يلزم من هذه الآية ان كل
مصطفى ولد فلا يلزم أن يحصل
ما ادعيت والتحقيق ان الموجبتين
فى الشكل الثانى لا ينتجان هذا
ويحتمل ان تكون هذه الآية
مسوقة للرد على عبدة الملائكة
كما كانت الآية المتقدمة مسوقة
للرد على عبدة الاصنام اذ يعلم من
هذا ان علو درجة الملائكة
ليس لكونهم آلهة بل لان الله
اصطفاهم للرسالة حين كانوا أمناء
على وحيه لا يعصون الله ما أمرهم
ويفعلون ما يؤمرون ثم بين
علو شأنه وكمال علمه واحاطته
باحوال المكلفين ما مضى منها
وما غبر وان مرجع الامور كلها
اليه وفى كل ذلك زجر عن
الاقدام على المعصية وبعث على
الجد فى الطاعة فلا جرم صرح
بالمقصود قائلا يا أيها الذين آمنوا
والظاهر انه خطاب مختص
بالمؤمنين ويؤكده قوله بعد
ذلك هو اجتباكم هو سماكم
المسلمين وقيل عام لكل المكلفين
لان المأمورات بعده لا تختص
ببعض الناس دون بعض
والتخصيص بالذكر للتشريف

عقيم قال عذاب يوم لا ليلة بعده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن
عكرمة ان يوم القيامة لا ليلة له * وقال آخرون بل عنى به يوم بدر وقالوا انما قيل له يوم عقيم انهم لم
ينظروا الى الليل فكان لهم عقيما ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ليث عن
مجاهد قال عذاب يوم عقيم يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أو يأتيهم
عذاب يوم عقيم قال ابن جريج يوم ليس فيه ليلة لم يناظروا الى الليل قال مجاهد عذاب يوم عقيم قال
حدثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر قال قال مجاهد يوم بدر حدثني أبو السائب قال ثنا
أبو ادريس قال أخبرنا الاعمش عن رجل عن سعيد بن جبير في قوله عذاب يوم عقيم قال هو يوم بدر ذكره
عن أبي بن كعب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله عذاب
يوم عقيم قال هو يوم بدر عن أبي بن كعب وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية لانه لا وجه لان يقال
لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو تأتيهم الساعة وذلك ان الساعة هي يوم القيامة فان
كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فانما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الالفاظ
وذلك ما لا معنى له فاذ كان ذلك كذلك فاولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب
وهو ما ذكرناه من معناه فتأويل الكلام اذا ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة
بغتة فيصيروا الى العذاب الدائم أو يأتيهم عذاب يوم عقيم لهم فلا ينظروا فيه الى الليل ولا يؤخروا
فيه الى المساء لكنهم يقتلون قبل المساء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الملك يومئذ لله يحكم بينهم
فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب
مهين) يقول تعالى ذكره السلطان والملك اذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ولا ينازعه يومئذ
منازع وقد كان في الدنيا ملوك يدعون بهذا الاسم ولا أحد يومئذ يدعي ملكا سواه يحكم بينهم يقول
يفصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين فالذين آمنوا بهذا القرآن وبمن أنزله ومن جاء به وعملوا بما فيه
من حلاله وحرامه وحدوده وفرائضه في جنات النعيم يومئذ والذين كفروا بالله ورسوله وكذبوا
بآيات كتابه وتنزيله وقالوا ليس ذلك من عند الله انما هو افك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون
فأولئك لهم عذاب مهين يقول فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين يعني عذاب
مذل في جهنم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم
الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين) يقول تعالى ذكره والذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم
فتركوا ذلك في رضى الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك ليرزقنهم يوم القيامة في
جناته رزقا حسنا يعني بالحسن الكريم وانما يعني بالرزق الحسن الثواب الجزيل وان الله لهو خير
الرازقين يقول وان الله لهو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم وذكر ان هذه الآية
نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله فقال
بعضهم سواء المقتول منهم والميت وقال آخرون المقتول أفضل فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى
الله عليه وسلم يعلمهم استواء أمر الميت في سبيله والمقتول فيها في الثواب عنده وقد حدثني يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الرحمن بن شريح عن سلامان بن عامر قال كان فضالة بن دوس أميرا
على الارباع فخرج بجنازتي رجلين أحدهما قتيل والآخر متوفى فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل
الى حفرته فقال أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه على أخيه المتوفى فوالذي نفسي بيده
ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت اقرؤا قول الله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا الى
قوله وان الله لعليم حليم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم
حليم) يقول تعالى ذكره ليدخلن الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم مدخلا يرضونه
وذلك المدخل هو الجنة وان الله لعليم بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة أو عرض من
عروض الدنيا حليم عن عصاة خلقه بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب ۞ القول في تأويل قوله

فانهم الذين قبلوا الخطاب ودل
بالركوع والسجود على الصلاة
لانهما ركنان معتبران وقيل
كان الناس أول ما أسلموا
يسجدون بلا ركوع و يركعون
بلا سجود فامروا ان تكون
صلاتهم بركوع وسجود ذكره
ابن عباس قال جار الله عن عقبة
ابن عامر قال قلت يا رسول الله
في سورة الحج سجدتان قال نعم
ان لم تسجدهما فلا تقرأهما
وعن عبد الله بن عمر فضلت
سورة الحج بسجدتين وهو
مذهب الشافعي وأما أبو حنيفة
فلا يرى هذه سجدة لانه قرن
الركوع بالسجود قال فدل
ذلك على أنها سجدة صلاة
لا سجدة تلاوة قدم الصلاة
لانها أشرف العبادات ثم عمم
فامر بالعبادة مطلقا ثم جعل
الامر أعم وهو فعل الخيرات
الشامل للنوعين التعظيم لامر
الله والشفقة على خلق الله
كأنه قال كلفتكم الصلاة
بل كلفتكم ما هو أعم منها وهو
العبادة بل كلفتكم أعم وهو
فعل الخيرات على الاطلاق وقيل
معناه واعبدوا ربكم اقصدوا
بركوعكم وسجودكم وجه الله
عز وجل وعن ابن عباس
ان فعل الخير صلة الارحام
ومكارم الاخلاق ومعنى لعلكم
تفلحون افعلوا كل ذلك راجين

تعالى (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور) يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك لهذا لهؤلاء الذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ولهم مع ذلك أيضا ان انه يعدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به قال هم المشركون بغوا على النبى صلى الله عليه وسلم فوعده الله أن ينصره وقال فى القصاص أيضا وكان بعضهم يزعم ان هذه الآية نزلت فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم وكان المسلمون يكرهون القتال يومئذ فى الاشهر الحرم فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر فأبى المشركون ذلك وقاتلوهم فبغوا عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فأنزل الله هذه الآية ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه بان بدئ بالقتال وهو له كاره لينصرنه الله وقوله ان الله لعفو غفور يقول تعالى ذكره ان الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحق غفور لما فعل ببادئه بالظلم مثل الذى فعل به غير معاقبه عليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ذلك بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وان الله سميع بصير) يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا النصر الذى أنصره من بغى عليه على الباغى لانى القادر على ما أشاء فمن قدرته ان الله يولج الليل فى النهار يقول يدخل ما ينقص من ساعات الليل فى ساعات النهار فما نقص من هذا زاد فى هذا ويولج النهار فى الليل ويدخل ما انتقص من ساعات النهار فى ساعات الليل فما نقص من طول هذا زاد فى طول هذا وبالقدرة التى تفعل ذلك ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وأن الله سميع بصير يقول وفعل ذلك أيضا بانه ذو سمع لما يقولون من قول لا يخفى عليه منه شئ بصير بما يعملون لا يغيب عنه منه شئ كل ذلك منه بمرأى ومسمع وهو الحافظ لكل ذلك حتى يجازى جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير) يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الفعل الذى فعلت من ايلاجى الليل فى النهار وايلاجى النهار فى الليل لانى أنا الحق الذى لا مثل لى ولا شريك ولا ند وان الذى يدعوه هؤلاء المشركون الها من دونه هو الباطل الذى لا يقدر على صنعة شئ بل هو المصنوع يقول لهم تعالى ذكره أفتتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شئ وكل شئ دونه وتعبدون الباطل الذى لا تنفعكم عبادته وقوله وأن الله هو العلى الكبير يعنى بقوله العلى ذو العلو على كل شئ هو فوق كل شئ وكل شئ دونه الكبير يعنى العظيم الذى كل شئ دونه ولا شئ أعظم منه وكان ابن جريج يقول فى قوله وان ما يدعون من دونه هو الباطل ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله وان ما يدعون من دونه هو الباطل قال الشيطان * واختلفت القراء فى قراءة قوله وان ما تدعون من دونه فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز تدعون بالتاء على وجه الخطاب وقرأته عامة قراء العراق غير عاصم بالياء على وجه الخبر والياء أعجب القراءتين الى لان ابتداء الخبر على وجه الخطاب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير) يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء ماء يعنى مطرا فتصبح الارض مخضرة بما ينبت فيها من النبات ان الله لطيف باستخراج النبات من الارض بذلك الماء وغير ذلك من ابتداع ما شاء أن يبتدعه خبير بما يحدث عن ذلك النبت من الحب وقال فتصبح الارض فرفع وقد تقدمه قوله ألم تر وانما قيل ذلك كذلك لان معنى الكلام الخبر كأنه قيل اعلم يا محمد ان الله ينزل من السماء ماء فتصبح الارض ونظير ذلك قول الشاعر

ألم تسأل الربع القديم فينطق * وهل يخبرنك اليوم بيداء سملق

لان معناه قد سألته فنطق ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وان الله

الفلاح وهو الظفر بنعيم الآخرة لا متيقنين ذلك فان الانسان قلما يخلو فى أداء فرائضه من تقصير والعواقب أيضا مستورة ثم أمر بخلاف النفس والهوى فى جميع ما ذكر وهو الجهاد الاكبر فقال وجاهدوا فى الله أى فى ذاته من أجله حق جهاده أى حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه فاضافة الجهاد الى الله من قبيل التوسعة ولادنى ملابسة من حيث ان الجهاد فعل لوجهه وقيل هو أمر بالغزو وأمروا ان يجاهدوا آخرا كما جاهدوا أولا فقد كان جهادهم فى الاول أقوى وكانوا فيه أثبت نحو صنيعهم يوم بدر وعن عمر انه قال لعبد الرحمن بن عوف أما علمت انا كنا نقرأ وجاهدوا فى الله حق جهاده فى آخر الزمان كما جاهدتم فى أوله فقال عبد الرحمن ومتى ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا كانت أمية الامراء وبنو المغيرة الوزراء قال العلماء لو صحت هذه الرواية فلعل هذه الزيادة من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ليست من نفس القرآن والا لتواترت وأما عبارات المفسرين فعن ابن عباس حق جهاده أى لا تخافوا فى الله لومة لائم وقال الضحاك اعملوا لله حق عمله * وقال آخرون استفرغوا ما فى وسعكم فى احياء دين الله واقامة حدوده باليد واللسان

لهو الغني الحميد) يقول تعالى ذكره له ملك ما في السموات وما في الارض من شيء هم عبيده ومماليكه وخلقه لا شريك له في ذلك ولا في شيء منه وان الله هو الغني عن كل ما في السموات وما في الارض من خلقه وهم المحتاجون اليه الحميد عند عباده في افضاله عليهم وأياديه عندهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم) يقول تعالى ذكره ألم تر أن الله سخر لكم أيها الناس ما في الارض من الدواب والبهائم فذلك كله لكم تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم والفلك تجري في البحر بأمره يقول وسخر لكم السفن تجري في البحر بامره يعني بقدرته وتذليله اياها لكم كذلك واختلفت القراء في قراءة قوله والفلك تجري فقرأته عامة قراء الامصار والفلك نصبا بمعنى سخر لكم ما في الارض والفلك عطفا على ما وعلى تكرير ان وان الفلك تجري وروي عن الاعرج انه قرأ ذلك رفعا على الابتداء والنصب هو القراءة عندنا في ذلك لاجماع الحجة من القراء عليه ويمسك السماء أن تقع على الارض يقول ويمسك السماء بقدرته كي لا تقع على الارض الا باذنه ومعنى قوله أن تقع أن لا تقع ان الله بالناس لرؤف يعني انه بهم لذو رأفة ورحمة فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه وسخر لكم ما وصف في هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم) يقول تعالى ذكره والله الذي أنعم عليكم هذه النعم هو الذي جعل لكم أجساما احياء بحياة أحدثها فيكم ولم تكونوا شيأ ثم هو يميتكم من بعد حياتكم فيفنيكم عند مجيء آجالكم ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة ان الانسان لكفور يقول ان ابن آدم لجحود لنعم الله التي أنعم بها عليه من حسن خلقه اياه وتسخيره له ما سخر مما في الارض والبر والبحر وتركه اهلاكه بامساكه السماء أن تقع على الارض بعبادة غيره من الآلهة والانداد وتركه افراده بالعبادة واخلاص التوحيد له وقوله لكل أمة جعلنا منسكا يقول لكل جماعة قوم هي خلت من قبلك جعلنا مألفا يألفونه ومكانا يعتادونه لعبادته فيه وقضاء فرائضه وعملا يلزمونه وأصل المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه لخير أو شر يقال ان لفلان منسكا يعتاده يراد مكانا يغشاه ويألفه لخير أو شر وانما سميت مناسك الحج بذلك لتردد الناس الى الاماكن التي تعمل فيها أعمال الحج والعمرة وفيه لغتان منسك بكسر السين وفتح الميم وذلك من لغة أهل الحجاز ومنسك بفتح الميم والسين جميعا فذلك من لغة أسد وقد قرئ باللغتين جميعا وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ولكل أمة جعلنا منسكا أي المناسك عنى به فقال بعضهم عنى به عيدهم الذي يعتادونه ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه يقول عيدا وقال آخرون عنى به ذبح يذبحونه ودم يهريقونه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا ابن جريج عن مجاهد في قوله ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه قال اراقة الدم بمكة حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هم ناسكوه قال اهراق دماء الهدى حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة منسكا قال ذبحا وحجا والصواب من القول في ذلك أن يقال عنى بذلك اراقة الدم أيام النحر بمنى لان المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت اراقة الدم في هذه الايام على انهم قد كانوا جادلوه في اراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الانعام بما قد أخبر الله عنهم في سورة الانعام غير ان تلك لم تكن مناسك فاما التي هي مناسك فانما هي هدايا أو ضحايا ولذلك قلنا عنى بالمنسك في هذا الموضع الذبح الذي هو بالصفة التي وصفنا وقوله فلا ينازعنك في الامر يقول تعالى ذكره فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومنسكك بقولهم

وجميع ما يمكن وردوا أنفسكم عن الهوى والميل وعن مقاتل والكلبي ان الآية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم كما ان قوله اتقوا الله حق تقاته منسوخ بذلك وضعف بان التكليف مشروط بالقدرة فلا حاجة الى التزام النسخ ثم عظم شان المكلفين بقوله هو اجتباكم أي اختاركم لدينه ونصرته وفيه تشريف كقوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا ثم كان لقائل ان يقول التكليف وان كان تشريفا الا ان فيه مشقة على النفس فقال وما جعل عليكم في الدين من حرج أي ضيق وشدة وذلك بانه فتح باب التوبة ووسع على المكلفين بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش يروى ان أبا هريرة قال كيف قال سبحانه وما جعل عليكم في الدين من حرج مع انا منعنا عن الزنا والسرقة فقال ابن عباس بلى ولكن الاصر الذي كان على بني اسرائيل وضع عنكم قالت المعتزلة لو خلق الله فيه الكفر ثم نهاه عنه كان ذلك من أعظم الحرج وعورض بانه نهاه عن الكفر مع انه علم ذلك منه وكانه أمره بقلب علم الله جهلا وهو أعظم الحرج ثم أثنى على هذه الامة بقوله ملة أبيكم أي أعني الدين ملة أبيكم ويجوز ان ينتصب بمضمون ما تقدم كانه قيل

أنا كلون ما قتلتم ولانا كلون الميتة التى قتلها الله فانك أولى بالحق منهم لانك محق وهم مبطلون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلا ينازعنك فى الامر قال الذبح حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فلا ينازعنك فى الامر فلا تحاجهم لحلك وقوله وادع الى ربك يقول تعالى ذكره وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله فى نسكك وذبحك الى اتباع أمر ربك فى ذلك بان لا يأكلوا الا ما ذبحوه بعد اتباعك وبعد التصديق بما جئتهم به من عند الله وتجنبوا الذبح للآلهة والاوثان وتبرؤا منها انك لعلى طريق مستقيم غير زائل عن محجة الحق والصواب فى نسكك الذى جعله لك ولامتك ربك وهم الضلال عن قصد السبيل لمخالفتهم أمر الله فى ذبائحهم ومطاعمهم وعبادتهم الآلهة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جادلك يا محمد هؤلاء المشركون بالله فى نسكك فقل الله أعلم بما تعملون ونعمل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وان جادلوك قال قول أهل الشرك اما ما ذبح الله للميتة فقل الله أعلم بما تعملون لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وقوله الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون يقول تعالى ذكره والله يقضى بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحق من المبطل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير) يقول تعالى ذكره ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما فى السموات السبع والارضين السبع لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة على علم منه بجميع ما عملوه فى الدنيا فمجازى المحسن منهم باحسانه والمسىء باساءته ان ذلك فى كتاب يقول تعالى ذكره ان علمه بذلك فى كتاب وهو أم الكتاب الذى كتب فيه ربنا جل ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن الى يوم القيامة ان ذلك على الله يسير كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن اسمعيل الحلبى عن الاوزاعى عن عبدة بن أبى لبابة قال علم الله ما هو خالق وما الخلق عاملون ثم كتبه ثم قال لنبيه ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى ميسر عن أرطاة بن المنذر قال سمعت ضمرة ابن حبيب يقول ان الله كان على عرشه على الماء وخلق السموات والارض بالحق وخلق القلم فكتب به ما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل ان يبدأ شيأ من الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى معتمر بن سليمان عن أبيه عن سيار عن ابن عباس انه سأل كعب الاحبار عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا وكان ابن جريج يقول فى قوله ان ذلك فى كتاب ما حدثنا به القاسم قال ثنى حجاج عن ابن جريج ان ذلك فى كتاب قال قوله الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون وانما اخترنا القول الذى قلنا فى ذلك لان قوله ان ذلك الى قوله ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض أقرب منه الى قوله الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون فكان الحاق ذلك بما هو أقرب اليه أولى منه بما بعد وقوله ان ذلك على الله يسير اختلف فى ذلك فقال بعضهم معناه ان الحكم بين المختلفين فى الدنيا يوم القيامة على الله يسير ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ان ذلك على الله يسير قال حكمه يوم القيامة ثم قال بين ذلك ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب * وقال آخرون بل معنى ذلك ان كتاب القلم الذى أمره الله أن يكتب فى اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير يعنى هين وهذا القول الثانى أولى بتأويل ذلك وذلك ان قوله ان ذلك على الله يسير الى قوله ان ذلك فى كتاب أقرب وهو له مجاور ومن قوله الله يحكم بينكم يوم القيامة متباعد مع دخول قوله ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض بينهما فالحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام وهو

وسع دينكم توسعة ملة أبيكم فأقام المضاف اليه مقام المضاف وانما كان ابراهيم أبا هذه الامة لانه أبو الرسول صلى الله عليه وسلم وكل نبى أبو أمته والمراد التوحيد والحنيفية هى مما شرعه ابراهيم هو أى الله أو ابراهيم سماكم المسلمين من قبل أى فى سائر الكتب أو فى قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وفى هذا القرآن اما ان كان المسمى هو الله فظاهر واما ان كان هو ابراهيم فلعله أراد ان حكاية دعائه مذكورة فى القرآن وقوله ليكون الرسول متعلق بقوله هو اجتباكم أى فضلكم على الامم لهذا الغرض نظيره قوله فى البقرة وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا والاصل تقديم الامة كما فى البقرة لان الخطاب معهم وليقع الختم على شهادة الرسول كما هو الواقع الا انه عكس الترتيب فى هذه السورة ليناط به قوله فأقيموا الصلاة والمراد اذ خصكم بهذه الكرامة فاعبدوه واعتصموا بدلائله العقلية والسمعية أو بألطافه وعنايته قال ابن عباس سلوا الله العصمة عن كل المحرمات * وقال آخرون اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون فهو خير مولى وناصر استدلت المعتزلة بالآية فى قولهم انه يريد الايمان من الكل من وجوه الاول

كذلك مخرج فى التأويل صحيح ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وماليس لهم به علم وما للظالمين من نصير) يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه مالم ينزل به جل ثناؤه لهم حجة من السماء فى كتاب من كتبه التى أنزلها الى رسله بانها آلهة تصلح عبادتها فيعبدوها بان الله أذن لهم فى عبادتها وماليس لهم به علم انها آلهة وما للظالمين من نصير يقول وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الاوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه اذا أراد عقابهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) يقول تعالى ذكره واذا تتلى على مشركى قريش العابدين من دون الله مالم ينزل به سلطانا آياتنا يعنى آيات القرآن بينات يقول واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يقول يتبين فى وجوههم ما ينكره أهل الايمان بالله من تغيرها لسماعهم القرآن وقوله يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يقول يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لشدة تكرههم ان يسمعوا القرآن ويتلى عليهم * وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله يسطون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يكادون يسطون يقول يبطشون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يكادون يسطون يقول يقعون بمن ذكرهم حدثنا محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قال يكادون يقعون بهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يكادون يسطون قال يبطشون كفار قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يكادون يأخذونهم بايديهم أخذا وقوله قل أفأنبئكم بشر من ذلكم يقول أفأنبئكم أيها المشركون بأكره اليكم من هؤلاء الذين تتكرهون قراءتهم القرآن عليكم هى النار وعدها الله الذين كفروا وقد ذكر عن بعضهم انه كان يقول ان المشركين قالوا والله ان محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه لشر خلق الله فقال الله لهم قل أفأنبئكم أيها القائلون هذا القول بشر من محمد صلى الله عليه وسلم أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار ورفعت النار على الابتداء ولانها معرفة لا تصلح ان ينعت بها الشر وهو نكرة وهو كما يقال مررت برجلين أخوك وأبوك ولو كانت مخفوضة كان جائزا وكذلك لو كان نصبا للعائد من ذكرها فى وعدها وأنت تنوى بها الاتصال بما قبلها يقول تعالى ذكره فهؤلاء هم أشرار الخلق لا محمد وأصحابه وقوله وبئس المصير يقول وبئس المكان الذى يصير اليه هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة * القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) يقول تعالى ذكره يا أيها الناس جعل لله مثل وذكر ومعنى ضرب فى هذا الموضع جعل من قولهم ضرب السلطان على الناس البعث بمعنى جعل عليهم وضرب الجزية على النصارى بمعنى جعل ذلك عليهم والمثل الشبه يقول جل ثناؤه جعل لى شبه أيها الناس يعنى بالشبه والمثل الآلهة يقول جعل لى المشركون الاصنام شبها فعبدوها معى واشركوها فى عبادتى فاستمعوا له يقول فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه لى فى عبادتهم اياه شبها وصفته ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا يقول ان جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والاصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا فى صغره وقلته لانها لا تقدر على

انه أراد ان يكونوا شهداء ولن يكونوا كذلك الا اذا آمنوا الثانى انه لا يمكن الاعتصام به الا اذا لم يوجد منه الشر البتة الثالث انه لو خلق فى عباده الكفر والمعاصى لم يكن نعم المولى وأجيب بعد تسليم ارادة الايمان من الكل ان ارادة الشئ ان كانت مستلزمة لارادة لوازمه فارادة الايمان من الكفار تستلزم ان يكون الله تعالى مريدا الجهل نفسه وان لم تستلزم فقد سقط السؤال وأيضا الاعتصام به انما يكون منه كقوله أعوذ بك منك وأيضا انه خلق الشهوة فى قلب الفاسق وخلق المشتهى وقربه منه ودفع المانع وسلط عليه شياطين الانس والجن فلو لم تكن كل هذه مقتضية لكونه بئس المولى لم يكن خلق الكفر أيضا مقتضيا لذلك * التأويل سخر لكم ما فى أرض البشرية من الصفات الحيوانية والشيطانية وسخر فلك الواردات المغيبة تجرى فى بحر القلب ويمسك سماء القلب ان تقع على أرض النفس بان تتصف بصفاتها الا باذنه بقدر ما أباحه الشرع من ضروريات المأكول والملبوس وغيرهما وهو الذى أحياكم بازدواج الروح الى القالب ثم يميتكم عن صفات البشرية ثم يحييكم بنور الصفات الربانية فلا ينازعنك فى أمرك

ذلك ولا تطيقه ولو اجتمع بخلقه جميعها والذباب واحد وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذبان نظير غراب يجمع في القلة أغربة وفي الكثرة غربان وقوله وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه يقول وان يسلب الآلهة والاوثان الذباب شيأ مما عليها من طيب وما أشبهه من شئ لا يستنقذوه منه يقول لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه * واختلف في معنى قوله ضعف الطالب والمطلوب فقال بعضهم عنى بالطالب الآلهة وبالمطلوب الذباب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس في ضعف الطالب قال آلهتهم والمطلوب الذباب وكان بعضهم يقول معنى ذلك ضعف الطالب من بني آدم الى الصنم حاجته والمطلوب اليه الصنم ان يعطي سائله من بني ادم ماسأله يقول ضعف عن ذلك وعجز * والصواب من القول في ذلك عندنا ماذكرته عن ابن عباس من أن معناه وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ماسلبها اياه وهو الطيب وما أشبهه والمطلوب الذباب وانما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك لان ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب فان يكون ذلك خبرا عما هو به متصل أشبه من أن يكون خبرا عما هو عنه منقطع وانما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها تقريعا منه بذلك عبدتها من مشركي قريش يقول تعالى ذكره كيف يجعل لي مثل في العبادة ويشرك فيها معي مالا قدرة له على خلق ذباب وان أخذ له الذباب فسلبه شيأ عليه لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر وأنا الخالق ما في السموات والارض ومالك جميع ذلك والمحيي من أردت والمميت ما أردت ومن أردت ان فاعل ذلك لا شك انه في غاية الجهل وقوله ماقدروا الله حق قدره يقول ماعظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا في العبادة حق عظمته حين أشركوا به غيره فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حق معرفته من قولهم ماعرفت لفلان قدره اذا خاطبوا بذلك من قصر بحقه وهم يريدون تعظيمه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان يسلبهم الذباب شيأ الى آخر الآية قال هذا مثل ضربه الله لآلهتهم وقرأ ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره حين يعبدون مع الله مالا ينتصف من الذباب ولا يمتنع منه وقوله ان الله لقوي يقول ان الله لقوي على خلق مايشاء من صغير ماشاء من خلقه وكبيره عزيز يقول لمنيع في ملكه لا يقدر شئ دونه ان يسلبه من ملكه شيأ وليس كآلهتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه الذين لا يقدرون على خلق ذباب ولا على الامتناع من الذباب اذا استلبها شيأ ضعفا ومهانة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير) يقول تعالى ذكره الله يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل الذين كانا يرسلهما الى أنبيائه ومن شاء من عباده ومن الناس كأنبيائه الذين أرسلهم الى عباده من بني آدم ومعنى الكلام انه يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس أيضا رسلا وقد قيل انما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فقال الله لهم ذلك الي وبيدي دون خلقي اختار من شئت منهم للرسالة وقوله ان الله سميع بصير يقول ان الله سميع لما يقول المشركون في محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به من عند ربه بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم والى الله ترجع الامور) يقول تعالى ذكره الله يعلم ما كان بين أيدي ملائكته ورسله من قبل أن يخلقهم وماخلفهم يقول ويعلم ماهو كائن بعد فنائهم والى الله ترجع الامور يقول الى الله في الآخرة تصير اليه أمور الدنيا واليه تعود كما كان منه البدء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) يقول تعالى ذكره ياأيها الذين صدقوا الله ورسوله اركعوا لله في صلاتكم واسجدوا له فيها واعبدوا ربكم يقول وذلوا لربكم واخضعوا له بالطاعة وافعلوا الخير الذي أمركم ربكم بفعله لعلكم تفلحون يقول لتفلحوا بذلك فتدركوا به طلباتكم عند ربكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله وجاهدوا في الله حق جهاده فقال بعضهم معناه وجاهدوا المشركين في سبيل الله حق جهاده ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن عبد الله بن عباس في قوله وجاهدوا في الله حق جهاده كما جاهدتم أول

فان لك مع الله وقتا لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولكل قوم رتبة لا يتجاوزونها ان الذين يدعون من دون الله كالاصنام الظاهرة والباطنة لن يطلعوا على كيفية خلق الذباب وان يسلبهم ذباب هواجس النفس شيأ من صفاء القلب وجمعية الوقت ضعف الطالب وهو القلب غير المؤيد بنور الايمان والمطلوب وهو النفس والشيطان اركعوا بالنزول عن مرتبة الانسانية الى خضوع الحيوانية ومنهم من يمشي على أربع واسجدوا بالنزول الى مرتبة الحيوانية والنجم والشجر يسجدان واعبدوا ربكم بجعل الطاعة خالصة لله وافعلوا الخير بمراقبة الله في جميع أحوالكم لعلكم تفلحون بالوصال وجاهدوا في الله حق جهاده فجهاد النفس بتركها باداء الحقوق وترك الحظوظ

مرة فقال عمر من أمر بالجهاد قال قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس فقال عمر صدقت * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تخافوا في الله لومة لائم قالوا وذلك هو حق الجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله وجاهدوا في الله حق جهاده لا تخافوا في الله لومة لائم * وقال آخرون معنى ذلك اعملوا بالحق حق عمله وهذا قول ذكره عن الضحاك بعض من في روايته نظر * والصواب من القول في ذلك قول من قال عني به الجهاد في سبيل الله لأن المعروف من الجهاد ذلك وهو الأغلب على قول القائل جاهدت في الله وحق الجهاد هو استفراغ الطاقة فيه وقوله هو اجتباكم يقول هو اختاركم لدينه واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هو اجتباكم قال هو هداكم وقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج يقول تعالى ذكره وما جعل عليكم ربكم في الدين الذي تعبدكم به من ضيق لا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه بل وسع عليكم فجعل التوبة من بعض مخرجا والكفارة من بعض والقصاص من بعض فلا ذنب يذنب المؤمن الا وله منه في دين الاسلام مخرج * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن زيد عن ابن شهاب قال سأل عبد الملك بن مروان علي بن عبد الله بن عباس عن هذه الآية وما جعل عليكم في الدين من حرج فقال علي بن عبد الله الحرج الضيق فجعل الله الكفارات مخرجا من ذلك سمعت ابن عباس يقول ذلك قال أخبرنا ابن وهب قال ثني سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس يسأل عن ما جعل عليكم في الدين من حرج قال ماههنا من هذيل أحد فقال رجل نعم قال ما تعدون الحرجة فيكم قال الشيء الضيق قال ابن عباس فهو كذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس وذكر نحوه الا أنه قال فقال ابن عباس أههنا أحد من هذيل فقال رجل أنا فقال أيضا ما تعدون الحرج وسائر الحديث مثله حدثني عمران بن بكار الكلاعي قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا يحيى بن حمزة عن الحكم بن عبد الله قال سمعت القاسم بن محمد يحدث عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وما جعل عليكم في الدين من حرج قال هو الضيق حدثنا عبيد ابن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا أبو خلدة قال قال لي أبو العالية أتدري ما الحرج قلت لا أدري قال الضيق وقرأ هذه الآية وما جعل عليكم في الدين من حرج حدثنا محمد بن بشار قال ثنا حماد بن مسعدة عن عوف عن الحسن في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج قال من ضيق حدثنا عمرو بن بندق قال ثنا مروان بن معاوية عن أبي خلدة قال قال لي أبو العالية هل تدري ما الحرج قلت لا قال الضيق ان الله لم يضيق عليكم لم يجعل عليكم في الدين من حرج حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن القاسم انه تلا هذه الآية وما جعل عليكم في الدين من حرج قال تدرون ما الحرج قال الضيق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن يونس بن أبي اسحق عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فان الشعر عربي ثم دعا ابن عباس اعرابيا فقال ما الحرج قال الضيق قال صدقت حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في الدين من حرج قال من ضيق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون معنى ذلك ما جعل عليكم في الدين من حرج من ضيق في أوقات فروضكم اذا التبست عليكم ولكنه قد وسع عليكم حتى تتيقنوا محلها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عثمان ابن بشار عن ابن عباس في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج قال هذا في هلال شهر رمضان اذا شك فيه الناس وفي الحج اذا شكوا في الهلال وفي الفطر والأضحى اذا التبس عليهم وأشباهه * وقال آخرون بل معنى ذلك ما جعل في الاسلام من ضيق بل وسعه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما جعل عليكم في الدين من حرج يقول ما جعل عليكم في الاسلام من ضيق هو واسع وهو مثل قوله في الأنعام فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يقول من أراد أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل عليه الاسلام ضيقا والاسلام واسع حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج يقول من ضيق يقول جعل الدين واسعا ولم يجعله ضيقا وقوله ملة أبيكم ابراهيم نصب ملة بمعنى وما جعل عليكم في الدين من حرج بل وسعه كملة أبيكم فلما لم يجعل فيها

وجهاد القلب بتصفيته وقطع تعلقه عن الكونين وجهاد الروح بتخليته بافناء الوجود في وجوده هو اجتباكم لهذه الكرامات من بين سائر البريات ولولا انه اجتباكم ما اهتديتم اليه كما قيل فلولا كم ما عرفنا الهوى وما جعل عليكم في دين العشاق وهو السير الى الله من ضيق من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا والسير الى الله من سنة ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين هو سماكم المسلمين في الازل وهو في هذا الطور وانما قدم الرسول لان روحه في طرف الازل متقدم أول ما خلق الله روحي فهو مشرف وشاهد على أرواح أمته وبعد ذلك خلقت أرواح أمته مشرفين على أرواح غيرهم وفي سورة البقرة اعتبر طرف الابد فوقع الختم على الرسول وعلى شهادته فاقيموا

الكاف اتصلت بالفعل الذى قبلها فانصبت وقد يحتمل نصبها ان تكون على وجه الامر بها لان الكلام قبله أمر فكأنه قيل اركعوا واسجدوا والزموا ملة أبيكم ابراهيم وقوله هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا يقول تعالى ذكره سماكم يا معشر من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم المسلمين من قبل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هو سماكم المسلمين يقول الله سماكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عطاء بن أبى رباح انه سمع ابن عباس يقول الله سماكم المسلمين من قبل حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وحدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر عن قتادة هو سماكم المسلمين قال الله سماكم المسلمين من قبل حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هو سماكم المسلمين قال الله سماكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله هو سماكم المسلمين من قبل يقول الله سماكم المسلمين * وقال آخرون بل معناه ابراهيم سماكم المسلمين وقالوا هو كناية من ذكر ابراهيم صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هو سماكم المسلمين قال ألا ترى قول ابراهيم واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال هذا قول ابراهيم هو سماكم المسلمين ولم يذكر الله بالاسلام والايمان غير هذه الامة ذكرت بالايمان والاسلام جميعا ولم نسمع بامة ذكرت الا بالايمان ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك لانه معلوم ان ابراهيم لم يسم أمة محمد مسلمين فى القرآن لان القرآن أنزل من بعده بدهر طويل وقد قال الله تعالى ذكره هو سماكم المسلمين من قبل نزول القرآن وفى القرآن الله الذى لم يزل ولا يزال وأما قوله من قبل فان معناه من قبل نزول هذا القرآن فى الكتب التى نزلت قبله وفى هذا يقول وفى هذا الكتاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد من قبل قال فى الكتب كلها والذكر وفى هذا يعنى القرآن وقوله ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس يقول تعالى ذكره اجتباكم الله وسماكم أيها المؤمنون بالله وآياته من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمين ليكون محمد رسول الله شهيدا عليكم يوم القيامة بانه قد بلغكم ما أرسل به اليكم وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين انهم قد بلغوا أممهم ما أرسلوا به اليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة هو سماكم المسلمين من قبل قال الله سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم بانه بلغكم وتكونوا شهداء على الناس ان رسلهم قد بلغتهم وبه عن قتادة قال أعطيت هذه الامة ما لم يعطه الا نبى كان يقال للنبى اذهب فليس عليك حرج وقال الله وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم أنت شهيد على قومك وقال الله لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم سل تعطه وقال الله ادعونى أستجب لكم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبى كان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم اذهب فليس عليك حرج فقال الله وما جعل عليكم فى الدين من حرج قال وكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم أنت شهيد على قومك وقال الله لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم سل تعطه وقال الله ادعونى أستجب لكم

القول فى تأويل قوله تعالى (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) يعنى تعالى ذكره بقوله فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يقول فادوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها وآتوا الزكاة الواجبة عليكم فى أموالكم واعتصموا بالله يقول وثقوا بالله وتوكلوا عليه فى أموركم فنعم المولى يقول فنعم الولى الله لمن فعل ذلك منكم فاقام الصلاة وآتى الزكاة وجاهد فى سبيل الله حق جهاده واعتصم به ونعم النصير يقول ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء

(تم الجزء السابع عشر من تفسير ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثامن عشر أوله (سورة المؤمنون))

الصلاة بدوام السير والعروج الى الله والتعظيم لامره وآتوا الزكاة بدعوة الخلق الى الله والشفقة عليهم واعتصموا بحبل الله حتى تصلوه اليه هو متولى افنائكم عنكم فنعم المولى فى افناء وجودكم ونعم النصير فى ابقائكم بربكم

(الجزء الثامن عشر)

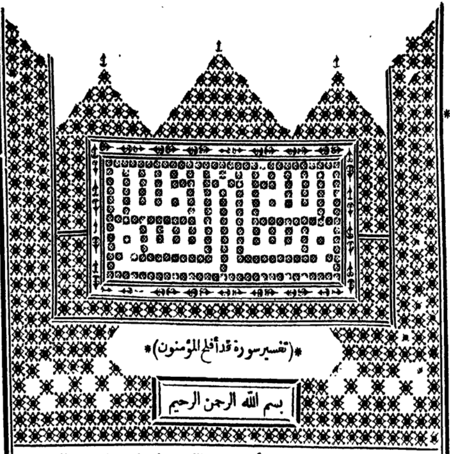
من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا
وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المسمى
جامع البيان فى تفسير
القرآن رحمه الله
وأثابه رضاه
آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء الثامن عشر
من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام
الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى
قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد)
آل الرشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولابرح
الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة
على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع
بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة
مايحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع
من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)



(تفسير سورة قد أفلح المؤمنون)

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون) * قال أبو جعفر يعنى جل ثناؤه بقوله قد أفلح المؤمنون قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأقروا بما جاءهم به من عند الله وعملوا بما دعاهم اليه مما سمى فى هذه الآيات الخلود فى جنات ربهم وفازوا بطلبتهم اليه كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله قد أفلح المؤمنون قال قال كعب لم يخلق الله بيده الا ثلاثة خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده ثم قال تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون لما علمت فيها من الكرامة حدثنا سهل بن موسى الرازى قال حدثنا يحيى بن الضريس عن عمرو بن أبى قيس عن عبد العزيز بن رفيع عن مجاهد قال لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة نظر اليها فقال قد أفلح المؤمنون قال حدثنا حفص بن عمر عن أبى خلدة عن أبى العالية قال لما خلق الله الجنة قال قد أفلح المؤمنون فأنزل الله به قرآنا حدثنا ابن حميد قال ثنا جبير عن عطاء عن ميسرة قال لم يخلق الله شيأ بيده غير أربعة أشياء خلق آدم بيده وكتب الالواح بيده والتوراة بيده وغرس عدنا بيده ثم قال قد أفلح المؤمنون وقوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون يقول تعالى ذكره الذين هم فى صلاتهم اذا قاموا فيها خاشعون وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام فيها وقيل انها نزلت من أجل ان القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها الى السماء قبل نزولها فنهوا بهذه الآية عن ذلك ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت خالدا عن محمد بن سيرين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى نظر الى السماء فأنزلت هذه الآية الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن أبى جعفر عن الحجاج الصواف عن ابن سيرين قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم فى الصلاة الى السماء حتى نزلت قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فقالوا بعد ذلك برؤسهم هكذا حدثنى يعقوب

(سورة المؤمنين مكية وحروفها ٤٨٤٠ كلمها ١٨٤٠ آياتها ١١٨)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد

ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن محمد قال نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت آية ان لم تكن الذين هم فى صلاتهم خاشعون فلا أدرى أية آية هى قال فطأطأ قال وقال محمد وكانوا يقولون لا يجاوز بصره مصلاه فان كان قد استعاد النظر فليغمض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن ابن عون نحوه واختلف أهل التأويل فى الذى عنى به فى هذا الموضع من الخشوع فقال بعضهم عنى به سكون الاطراف فى الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال السكون فيها حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال سكون المرء فى صلاته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن أبى سفيان الشيبانى عن رجل عن على قال سئل عن قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال لا تلتفت فى صلاتك حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملى قال قال ضمرة بن ربيعة عن أبى شوذب عن الحسن فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال كان خشوعهم فى قلوبهم فغضوا بذلك البصر وخفضوا به الجناح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله خاشعون قال الخشوع فى القلب وقال ساكنون قال حدثنا الحسن قال ثنى خالد بن عبد الله عن المسعودى عن أبى سنان عن رجل من قومه عن على رضى الله عنه قال الخشوع فى القلب وان تلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت قال حدثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبى رباح فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال التخشع فى الصلاة وقال لى غير عطاء كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام فى الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووجاهه حتى نزلت قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فما رؤى بعد ذلك ينظر الا الى الارض وقال آخرون عنى به الخوف فى هذا الموضع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال خائفون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال الحسن خائفون وقال قتادة الخشوع فى القلب حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون يقول خائفون ساكنون وقد بينا قبل من كتابنا ان الخشوع التذلل والخضوع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع واذا كان ذلك كذلك ولم يكن الله تعالى ذكره دل على أن مراده من ذلك معنى دون معنى فى عقل ولا خبر كان معلوما ان معنى مراده من ذلك العموم واذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ما وصفت قبل من انه والذين هم فى صلاتهم متذللون لله بادامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته واذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه فى سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها وقوله والذين هم عن اللغو معرضون يقول تعالى ذكره والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذين هم عن اللغو معرضون يقول الباطل حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن عن اللغو معرضون قال عن المعاصى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الحسن مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين هم عن اللغو معرضون قال النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته ممن آمن به واتبعه وصدقه كانوا عن اللغو معرضين ❁ القول فى تأويل قوله (والذين

أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين) القرا آت لاماناتهم على التوحيد ابن كثير على صلاتهم موحدة حمزة وعلى وخلف وعظاما العظم موحدين على ارادة الجنس وعلى وضع الواحد مكان الجمع لعدم اللبس ابن عامر وأبو بكر وحماد وجبلة الاول موحدا والثانى مجموعا زيد عن يعقوب وروى القطعى عن أبى زيد بالعكس فيهما الباقون مجموعين سيناء بكسر السين أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون بفتحها تنبت من الانبات ابن كثير ويعقوب غير رويس الآخرون بفتح التاء وضم الباء من النبات نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد بالتاء الفوقانية يزيد الباقون بضم النون منزلا بفتح الميم وكسر الزاء أبو بكر وحماد الآخرون بضم الميم وفتح الزاء * الوقوف الجزء

الثامن عشر المؤمنون ٥ لا خاشعون ٥ لا معرضون ٥ لا فاعلون ٥ لا حافظون ٥ ملومين ٥ لاعتراض الاسم
الاوصاف ولاستحقاق الشرط الابتداء ولطول الكلام والافالآتيان من أوصاف المؤمنين أيضا العادون ٥ ج راعون
يحافظون ٥ م والالاوهم تخصيص الارث بالمذكورين فى الآيتين فقط الوارثون ٥ لا الفردوس ط خالدون ٥ طين ج
العدول عن المظهر الى كناية عن غير مذكور فان المراد من الانسان آدم ومن الهاء فى جعلناه جنس ولده مع عطف ظاهر مكين ٥ ج
العطف لحما وصلى قد قيل للابتداء بانشاء (٤) نفخ الروح تعظيما آخر ط الخالقين ٥ ط لان ثم لترتيب الاخبار فان بين

هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) يقول تعالى ذكره والذين هم لزكاة أموالهم التى فرضها الله عليهم فيها مؤدون وفعلهم الذى وصفوا به هو اداؤهموها وقوله والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى أزواجهم يقول والذين هم لفروج أنفسهم وعنى بالفروج فى هذا الموضع فروج الرجال وذلك أقبالهم حافظون يحفظونها من اعمالها فى شئ من الفروج الاعلى أزواجهم يقول الامن أزواجهم اللاتى أحلهن الله للرجال بالنكاح أوماملكت أيمانهم يعنى بذلك اماءهم وما التى فى قوله أوماملكت أيمانهم فى محل خفض عطفا على الازواج فانهم غير ملومين يقول فان من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه وحفظه عن غيره من الخلق فانه غير موبخ على ذلك ولا مذموم ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن سعد **قال** ثنى أبى **قال** ثنى عمى **قال** ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين يقول رضى الله لهم اتيانهم أزواجهم وماملكت أيمانهم وقوله فمن ابتغى وراء ذلك يقول فمن التمس لفرجه منكحا سوى زوجته وملك يمينه فاولئك هم العادون يقول فهم العادون حدود الله المجاوزون ما أحل الله لهم الى ما حرم عليهم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد **قال** ثنى أبى **قال** ثنى عمى **قال** ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال نهاهم الله نهيا شديدا فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون فسمى الزانى من العادين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال **قال** ابن زيد فى قوله فاولئك هم العادون قال الذين يتعدون الحلال الى الحرام **حدثنا** ابن حميد **قال** ثنا جرير عن عطاء عن أبى عبد الرحمن فى قوله فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون قال من زنى فهو عاد ۞ القول فى تأويل قوله (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون) يقول تعالى ذكره والذين هم لاماناتهم التى ائتمنوا عليها وعهدهم وهو عقودهم التى عاقدوا الناس راعون يقول حافظون لا يضيعون ولكنهم يوفون بذلك كله واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار الا ابن كثير والذين هم لاماناتهم على الجمع وقرأ ذلك ابن كثير لامانتهم على الواحدة والصواب من القراءة فى ذلك عندنا لاماناتهم لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله والذين هم على صلواتهم يحافظون يقول والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار **قال** ثنا عبد الرحمن **قال** ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق والذين هم على صلواتهم يحافظون قال على وقتها **حدثنى** ابو السائب **قال** ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق والذين هم على صلواتهم يحافظون قال على ميقاتها

الاحياء والافناء مهلة لميتون ٥ ط لذلك لقادرون ٥ للآية مع اتصال المعنى بلفظ الفاء وأعناب م لئلا توهم ان الجار والمجرور وصف أعناب تأكلون ٥ لا لان شجرة مفعول أنشأنا للآكلين ٥ لعبرة ط لان الجملة بعدها ليست بصفة لها تأكلون ٥ لا تحملون ٥ ط غيره ط تتقون ٥ مثلكم لا لان قوله يريد صفة بشر عليكم ط ملائكة ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول الاولين ج ٥ للآية مع اجتناب الابتداء بقول الكفار مع اتحاد مقصود الكلام حين ٥ كذبون ٥ التنور ٥ لا لان ما بعده جواب فاذا منهم ج لعطف المتفقتين مع اعتراض الاستثناء ظلموا ج للابتداء بان مع احتمال اضمار اللام والفاء للتعليل مغرقون ٥ الظالمين ٥ المنزلين ٥ لمبتلين ٥ * التفسير لما انجر الكلام فى السورة المتقدمة الى الختم بالصلاة والزكاة بدأ فى هذه السورة بذكر فضائلهما وفضائل ما ينخرط فى سلكهما من مكارم الاخلاق ومحاسن العادات وقد نقيضة لما لانها تثبت المتوقع ولما تنفيه ولاشك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهى اخبار بثبوت الفلاح لهم وقدم معنى الايمان والاختلاف فيه بين الاقوام فى أول البقرة وأما الخشوع فمنهم من جعله من أفعال القلب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والنظر الى موضع السجود والتوقى عن كف الثوب أى جمعه والعبث بجسده وثيابه والتمطى والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل بأن يضع وسط الثوب على رأسه أو على عاتقه ويرسل طرفيه والاحتراز عن الفرقعة والتشبيك وتقليب الحصى والاختصار وهو ان يمسك بيده عصا أو سوطا ونحوهما **قال** الحسن وابن سيرين كان المسلمون يرفعون أبصارهم الى السماء فى صلاتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فلما نزلت هذه

حدثنا

حدثنا ابن عبدالرحمن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال أخبرنا ابن زحر عن الاعمش عن مسلم بن مصبح قال الذين هم على صلواتهم يحافظون قال أقام الصلاة لوقتها وقال آخرون بل معنى ذلك على صلواتهم دائمون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم على صلواتهم يحافظون قال دائمون قال يعنى بها المكتوبة وقوله أولئك هم الوارثون يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه صفتهم فى الدنيا هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاوله أهل التأويل ذكر الرواية بذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة فى قوله أولئك هم الوارثون قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم التى أعدت لهم لو أطاعوا الله حدثنى ابن عبدالاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الاعمش عن أبى هريرة أولئك هم الوارثون قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم الذين أعدت لهم لو أطاعوا الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الوارثون الجنة أورثتموها والجنة التى نورث من عبادنا هن سواء قال ابن جريج قال مجاهد يرث الذى من أهل الجنة أهله وأهل غيره ومنزل الذين من أهل النار هم يرثون أهل النار فلهم منزلان فى الجنة وأهلان وذلك انه منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاما المؤمن فيبنى منزله الذى فى الجنة ويهدم منزله الذى فى النار وأما الكافر فيهدم منزله الذى فى الجنة ويبنى منزله الذى فى النار قال ابن جريج عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد انه قال مثل ذلك ۞ القول فى تاويل قوله (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) يقول تعالى ذكره الذين يرثون البستان ذا الكرم وهو الفردوس عند العرب وكان مجاهد يقول هو بالرومية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله الذين يرثون الفردوس قال الفردوس بستان بالرومية قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال عدن حديقة فى الجنة قصرها فيها عدنها خلقها بيده تفتح كل فجر فينظر فيها ثم يقول قد أفلح المؤمنون قال هى الفردوس أيضا تلك الحديقة قال مجاهد غرسها الله بيده فلما بلغت قال قد أفلح المؤمنون ثم أمر بها تغلق فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرب ثم تفتح كل سحر فينظر فيها فيقول قد أفلح المؤمنون ثم تغلق الى مثلها حدثنا ابن عبدالاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قتل حارثة بن سراقة يوم بدر فقالت أمه يا رسول الله ان كان ابنى من أهل الجنة لم أبك عليه وان كان من أهل النار بالغت فى البكاء قال يا أم حارثة انها جنتان فى عدن وان ابنك قد أصاب الفردوس الاعلى من الجنة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا القاسم

الآية فبطأ طأ وكان لا يجاوز بصره مصلاه وهذا الخشوع واجب عند المحققين نقل الامام الغزالى عن أبى طالب المكى عن بشر الحافى من لم يخشع فسدت صلاته وعن الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له وروى عنه مرفوعا ان العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها وعشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وادعى عبدالواحد بن زيد اجماع العلماء على انه ليس للعبد الا ما عقل من صلاته ومما يدل على صحة هذا القول قوله سبحانه أفلا يتدبرون القرآن والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وكذا قوله وأقم الصلاة (٥) لذكرى والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال ولا تكن من الغافلين وقوله حتى تعلموا ما تقولون نهى للسكران الان المستغرق فى هموم الدنيا بمنزلته وقوله صلى الله عليه وسلم المصلى يناجى ربه ولا مناجاة مع الغفلة أصلا بخلاف سائر أركان الاسلام فان المقصود منها يحصل مع الغفلة فان الغرض من الزكاة كسر الحرص واغناء الفقير وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة النفس التى هى عدو الله وكذا الحج فان أفعاله شاقة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلاء وان لم يكن القلب حاضرا والمتكلمون أيضا اتفقوا على انه لا بد من الحضور والخشوع قالوا لان السجود لله تعالى طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما مماثل الآخر فى ذاته ولوازمه فلا بد من مميز وما ذاك الا القصد والارادة ولا بد فيهما من الحضور وأما الفقهاء فالاكثرون منهم لا يوجبون ذلك فيقال لهم هو انه ليس من شرط الاجزاء وهو عدم وجوب القضاء أليس هو من شرط القبول الذى يترتب عليه الثواب فمن استعار ثوبا ثم رده على أحسن الوجوه فقد خرج عن العهدة وكذا ان رده على وجه الاهانة والاستخفاف الا أنه يستحق المدح فى الصورة الاولى والذم فى الصورة الثانية وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه أبصر رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجنى الحور العين فقال بئس الخاطب أنت * قلت لا ريب ان الاحتياط انما هو فى رعاية جانب الخشوع كما حكى عن بعض العلماء انه اختار الامامة فقيل له فى ذلك فقال أخاف ان تركت الفاتحة ان يعاتبنى الشافعى وان قرأت مع الامام ان يعاتبنى أبو حنيفة فاخترت الامامة طلبا للخلاص عن هذا الخلاف قال علماء المعانى سبب اضافة الصلاة اليهم هو ان الصلاة دائرة بين المصلى والمصلى لاجله فالمصلى هو المنتفع بها وحده وهى عدته وذخيرته واما المصلى

لاستعمال عن ذلك ولما كان اللغو هو الساقط من القول أو الفعل احتمل ان يقع في الصلاة وأيضا كان الاعراض عنه من باب الترك كان
الخشوع وهو استعمال الآداب وما لا يصح ولا تكمل الصلاة الا به كان من باب الافعال وعلى الفعل والترك بناء قاعدة التكليف فلاجرم
جعلهما قرينين فقال والذين هم عن اللغو معرضون واللغو على ما قلنا يشمل كل ما كان حراما أو مكروها أو مباحا لا ضرورة اليه ولا حاجة
قولا أو فعلا فمن الحرام قوله تعالى حكاية عن الكفار لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فان ذلك اللغو كفر والكفر حرام ومن المباح قوله
لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولو لم يكن مباحا لم يناسبه عدم المؤاخذة والاعراض عن اللغو هو بان لا يفعله ولا يرضى به

قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة عن كعب قال خلق الله بيده جنة
الفردوس غرسها بيده ثم قال تكلمي قالت قد أفلح المؤمنون قال حدثنا الحسين قال ثني حجاج
عن حسام بن مصك عن قتادة أيضا مثله غير انه قال تكلمي قالت طوبى للمتقين قال حدثنا
الحسين قال ثنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي داود بن نفيع قال لما خلقها الله
قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها تكلمي فقالت طوبى لمن رضيت عنه وقوله هم فيها خالدون يعني
ماكثون فيها يقول هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون يعني ماكثون فيها أبدا لا يتحولون عنها
القول في تأويل قوله (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) يقول تعالى ذكره ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين أسللناه منه فالسلالة هي المستلة من كل تربة ولذلك كان آدم خلق
من تربة أخذت من أديم الارض وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في
المعنى بالانسان في هذا الموضع فقال بعضهم عني به آدم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد
الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة من طين قال استل آدم من الطين حدثنا الحسن
قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله من سلالة من طين قال استل آدم من طين وخلقت
ذريته من ماء مهين وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد خلقنا ولد آدم وهو الانسان الذي ذكر في
هذا الموضع من سلالة وهي النطفة التي استلت من ظهر الفحل من طين وهو آدم الذي خلق من طين
ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن
المنهال عن عمرو عن أبي يحيى عن ابن عباس من سلالة من طين قال صفوة الماء حدثني محمد بن
عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله من سلالة من مني آدم حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال
معناه ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم وهي صفوة مائه وآدم هو الطين لانه خلق منه وانما قلنا
ذلك أولى التأويلين بالآية لقوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين على أن ذلك كذلك لانه معلوم
انه لم يصر في قرار مكين الا بعد خلقه في صلب الفحل ومن بعد تحوله من صلبه صار في قرار مكين والعرب
تسمي ولد الرجل ونطفته سليله وسلالته لانهما مسلولان منه ومن السلالة قول بعضهم

حملت به عضب الاديم غضنفرا * سلالة فرج كان غير حصين

وقول الآخر

وهل كنت الا مهرة عربية * سلالة أفراس تجللها بغل

فمن قال سلالة جمعها سلالات وربما جمعوها سلائل وليس بالكثير لان السلائل جمع السليل ومنه
قول بعضهم

اذا أنتجت منها المهاري تشابهت * على القود الا بالانوف سلائله

وقول الراجز * يقذفن في أسلابها بالسلائل * القول في تأويل قوله تعالى (ثم جعلناه نطفة
في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما

ولا يخالط من يأتيه كما قال عز من
قائل واذا مروا باللغو مروا كراما ثم
وصفهم بفعل الزكاة وهو مناسب
للصلاة وليس المراد بالزكاة ههنا عين
القدر المخرج من النصاب لان
الخلق لا قدرة لهم على فعلها فلا يصح
المعنى الا بتقدير مضاف أي لاداء
الزكاة فاعلون بل المراد فعل المزكي
الذي هو التزكية فقوله للمزكي
فاعل الزكاة كقولك للضارب
فاعل الضرب وعن أبي مسلم أنه
حمل الزكاة ههنا على كل فعل محمود
مرضي كقوله قد أفلح من تزكى
والاول أقرب لانه مناسب لعرف
الشرع الصفة الرابعة قوله والذين
هم لفروجهم حافظون الا على
أزواجهم قال الفراء على بمعنى عن
وقال غيره هو في موضع الحال
أي الا والين أو قوامين على
أزواجهم نظيره قولهم كان زياد
على البصرة أي واليا عليها
والمعنى انهم مستمرون على حفظ
الفروج في كافة الاحوال الا في
حال تزوجهم أو تسريهم أو
تعلق الجار بمحذوف يدل عليه
غير ملومين كأنه قيل يلامون على
كل من يباشرونه الا على أزواجهم
فانهم غير ملومين عليهن وجوز في
الكشاف أن يكون صلة لحافظين
من قولهم احفظ على عنان فرسي
على تضمينه معنى النفي أي لا تسلط على فرسي واعلم انه لم يقل أو من ملكت لانه اجتمع في السرية وصفان الانوثة انشاماه
التي هي سبب نقصان العقل وكونها بحيث تباع وتشترى كسائر السلع فمن ابتغى حدا وراء ذلك الحد الذي شرع وهو اباحة أربع من الحرائر
وما شاء من الاماء وكفى به حدا فسيحا فأولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه قيل لا دليل فيه على تحريم نكاح المتعة لانها من جملة
الازواج لو صح النكاح ومنع من انها من الازواج ولو كانت زوجة لورثها الزوج لقوله ولكم نصف ما ترك أزواجكم ولورثت منه
لقوله ولهن الربع ثم الآية من العمومات التي دخلها التخصيص بدلائل أخر فيخرج منها الغلام بل الوطء في الدبر على الاطلاق لانه ليس

موضع حرث وكذا الزوجة والامة فى أحوال الحيض والعدة والاحرام ونحوها وقال أبو حنيفة الاستثناء من النفى ليس باثبات فقوله لا صلاة الا بطهور ولا نكاح الا بولى فانه لا يقتضى حصول الصلاة والنكاح بمجرد حصول الطهور والولى ولا تخصيص عنده فى الآية والمعنى انه يجب حفظ الفروج عن الكل الا فى هاتين الصورتين فانى ماذكرت حكمهما لا بالنفى ولا بالاثبات هكذا نقله الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الصفة الخامسة رعاية الامانة والعهد والمراد بهما الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه لتمكن رعايتهما والراعى القائم على الشئ بحفظ واصلاح كراعى الغنم وراعى الرعية وتحتمل العموم فى كل ما ائتمنوا عليه (٧) وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الناس كالعبادات والمعاملات والودائع والقصود والنيات والعقود والنذور والطلاق والعتاق وغيرها وقدمر فى تفسير قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها وقوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ويحتمل الخصوص فيما تحملوه من أمانات الناس وعهودهم الصفة السادسة محافظة الصلاة كما فى قوله حافظوا على الصلوات وذلك فى البقرة وصفوا أولا بالخشوع فى صلاتهم وآخرا بالمداومة عليها وبمراقبة أعدادها وأوقاتها فرائض كانت أو سننا رواتب أو غيرها فالمحافظة أعم من الخشوع وأشمل ومن هنا يعرف فضيلة الصلاة اذ وقع الافتتاح بها والاختتام عليها وان اختلف الاعتباران والعبارتان أولئك هم الوارثون الاحقاء بان تسمى وراثا دون من عداهم ممن يرث مالا فانيا أو متاعا قليلا أو ممن يدخل الجنة سواهم كالاطفال والمجانين والفساق بعد العفو وكالولدان والحور ثم بين الموروث بقوله الذين يرثون الفردوس وقد سبقت هذه الوراثة فى الاعراف فى قوله ونودوا ان تلكموا الجنة أورثتموها قال الفقهاء لا فرق فى الميراث بين ما ملكه الميت وبين ما يقدر ملكه فيه ولذلك قالوا الدية انها ميراث المقتول وكل من فى الجنة فله مسكن مفروض فى النار على تقدير كفره وكل من فى النار فله مسكن مفروض فى الجنة على تقدير ايمانه كما ورد فى الحديث فاذا تبادل المسكنان كان جميع أهل الجنة وارثين ولكن كل الفردوس لا يكون ميراثا بل بعضه ميراث وبعضه بالاستحقاق الا انه يصدق بالجملة أنهم ورثوا الفردوس أى الجنة ولهذا أنث الضمير فى قوله هم فيها خالدون وقيل ان الجنة كانت مسكن أبينا آدم عليه السلام فاذا انتقلت الى أولاده كان شبيها بالميراث والفردوس بلسان الحبشة أو الروم هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روى ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر

أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين يعنى تعالى ذكره بقوله ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم جعلنا الانسان الذى جعلناه من سلالة من طين نطفة فى قرار مكين وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ووصفه بانه مكين لانه مكن لذلك وهيئ له ليستقر فيه الى بلوغ أمره الذى جعله له قرارا وقوله ثم خلقنا النطفة علقة يقول ثم صيرنا النطفة التى جعلناها فى قرار مكين علقة وهى القطعة من الدم فخلقنا العلقة مضغة يقول فجعلنا ذلك الدم مضغة وهى القطعة من اللحم وقوله فخلقنا المضغة عظاما يقول فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم فخلقنا المضغة عظاما على الجماع وكان عاصم وعبد الله بن عامر يقرآن ذلك عظما فى الحرفين جميعا على التوحيد والقراءة التى نختار فى ذلك الجماع لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله فكسونا العظام لحما يقول فالبسنا العظام لحما وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ثم خلقنا النطفة عظاما وعصبا فكسوناه لحما وقوله ثم أنشأناه خلقا آخر يقول ثم أنشأنا هذا الانسان خلقا آخر وهذه الهاء التى فى أنشأناه عائدة على الانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان وقد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة جعل ذلك كله كالشئ الواحد فقيل ثم أنشأناه ذلك خلقا آخر واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ثم أنشأناه خلقا آخر فقال بعضهم انشاؤه اياه خلقا آخر نفخه الروح فيه فيصير حينئذ انسانا وكان قبل ذلك صورة ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ الروح فيه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ثم أنشأناه خلقا آخر قال الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن عكرمة فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ الروح فيه حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سلمة عن داود بن أبى هند عن الشعبى ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ فيه الروح قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ فيه الروح فهو الخلق الآخر الذى ذكر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم أنشأناه خلقا يعنى الروح تنفخ فيه بعد الخلق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال الروح الذى جعله فيه وقال آخرون انشاؤه خلقا آخر تصريفه اياه فى الاحوال بعد الولادة فى الطفولة والكهولة والاغتذاء ونبات الشعر والسن ونحو ذلك من أحوال الاحياء فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنا أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين يقول

وروى أبو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الفردوس مقصورة الرحمن فيها الانهار والاشجار وعن أبي امامة مرفوعا سلوا الله الفردوس فانها أعلى الجنان وان أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحسن العبد الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حافظت علي وتشفع لصاحبها فاذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتني وتلف كما يلف الثوب ويضرب بها على وجه صاحبها قالت العلماء أما كلام الجنة فالمراد به انها أعدت للمتقين كقوله قالتا أتينا طائعين وكذا الكلام في كلام طوبى وأما انه تعالى خلق الجنة بيده فالمراد تولى خلقها وايجادها من غير واسطة وأما حديث الصلاة فلا ريب انها حركات وسكنات ولا يصح عليها التكلم فالمراد به ضرب المثل كقولك للمنعم عليك ان احسانك ينطق بالشكر ولما حث عباده على العبادات ووعدهم الفردوس على مواظبتها عاد الى تقرير المبدأ والمعاد ليتمكن ذلك في نفوس المكلفين وهو ثلاثة أنواع الاول الاستدلال باطوار خلق الانسان والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وهذا البناء للقلة ولما يسقط عن الشئ كالقلامة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد آدم لانه استل من الطين والكناية في جعلناه راجعة الى الانسان الذي هو ولد آدم أي جعلنا جوهره نطفة وقال آخرون الانسان ههنا ولد آدم والطين اسم آدم والسلالة هي الاجزاء الكلية المبثوثة في أعضائه التي تجتمع منيا في أوعيته ويحتمل ان يقال ان كل نسل آدم حاله كذلك لان غذاءه ينتهي الى النبات المتولد من صفو الارض والماء المسمى بالسلالة ثم ان تلك السلالة تصير منيا وعلى هذا فكلتا لفظتي من للابتداء قال في الكشاف الاولى للابتداء والثانية للبيان وهو موجه على التفسير الاول فقط والقرار المستقر أراد به الرحم وانما وصفت بالمكين لمكانها في نفسها فانها مكنت حيث هي وأحرزت أو على الاسناد المجازي باعتبار المستقر فيها كقولك طريق سائر وترتيب الاطوار كما مر في أول الحج ومعنى ثم في بعض هذه المعطوفات تراخي الرتبة ولا سيما في قوله ثم أنشأناه خلقا آخر أي خلقا مباينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا الى غير ذلك من دقائق اللطف وغرائب الصنع وذلك بعد استكماله ثلاثة أو بضعا وبين

خروج من بطن أمه بعد ما خلق فكان من بدء خلقه الآخر ان استهل ثم كان من خلقه ان دل على ثدي أمه ثم كان من خلقه ان علم كيف يبسط رجليه الى أن قعد الى ان حبا الى ان قام على رجليه الى أن مشى الى أن فطم فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام الى أن بلغ الحلم الى أن بلغ أن يتقلب في البلاد **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم أنشأناه خلقا آخر قال يقول بعضهم هو نبات الشعر وبعضهم يقول هو نفخ الروح **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك ثم أنشأناه خلقا آخر يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره وقال آخرون بل عني بانشائه خلقا آخر سوى شبابه ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال حين استوى شبابه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد حين استوى به الشباب * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك نفخ الروح فيه وذلك انه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر انسانا وكان قبل ذلك بالاحوال التي وصفه الله انه كان بها من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه يتحول عن تلك المعاني كلها الى معنى الانسانية كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها انسانا وخلقا آخر غير الطين الذي خلق منه وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فتبارك الله أحسن الصانعين ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد فتبارك الله أحسن الخالقين قال يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين وقال آخرون انما قيل فتبارك الله أحسن الخالقين لان عيسى بن مريم كان يخلق فاخبر جل ثناؤه عن نفسه انه يخلق أحسن مما كان يخلق ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله فتبارك الله أحسن الخالقين قال عيسى بن مريم يخلق وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد لان العرب تسمي كل صانع خالقا ومنه قول زهير

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفري

ويروى

ولأنت تخلق ما فريت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفري

القول في تأويل قوله تعالى (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) يقول تعالى ذكره ثم انكم أيها الناس من بعد انشائكم خلقا آخر وتصييرنا كم انسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم ثم انكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا مبعوثون من التراب خلقا جديدا كما بدأنا كم أول مرة وانما قيل ثم انكم بعد ذلك لميتون لانه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن وكذلك تقول العرب لمن لم يمت هو مائت وميت عن قليل ولا يقولون لمن قد مات مائت وكذلك هو طمع فيما عندك اذا

وصف بالطمع فاذا أخبر عنه انه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غدا وكذلك ذلك فى كل ما كان نظير الماذ كرناه ﴿القول فى تاويل قوله تعالى (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات بعضهن فوق بعض والعرب تسمى كل شئ فوق شئ طريقة وانما قيل للسموات السبع سبع طرائق لان بعضهن فوق بعض فكل سماء منهن طريقة وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال الطرائق السموات وقوله وما كنا عن الخلق غافلين يقول وما كنا فى خلقنا السموات السبع فوقكم عن خلقنا الذى تحتها غافلين بل كنا لهم حافظين من ان تسقط عليهم فتهلكهم ﴿القول فى تاويل قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون) يقول تعالى ذكره وأنزلنا من السماء ما فى الارض من ماء فاسكناه فيها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض ماهو من السماء وقوله وانا على ذهاب به لقادرون يقول جل ثناؤه وانا على الماء الذى أسكناه فى الارض لقادرون ان نذهب به فتهلكوا أيها الناس عطشا وتخرب أراضيكم فلا تنبت زرعا ولا غرسا وتهلك مواشيكم يقول فمن نعمتى تركى ذلك لكم فى الارض جاريا ﴿القول فى تاويل قوله تعالى (فانشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون) يقول تعالى ذكره فاحدثنا لكم بالماء الذى أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعناب لكم فيها يقول لكم فى الجنات فواكه كثيرة ومنها تاكلون يقول ومن الفواكه تاكلون وقد يجوز أن تكون الهاء والالف من ذكر الجنات ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والاعناب وخص جل ثناؤه الجنات التى ذكرها فى هذا الموضع فوصفها بانها من نخيل وأعناب دون وصفها بسائر ثمار الارض لان هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها فكانت النخيل لاهل المدينة والاعناب لاهل الطائف فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من ثمارها ﴿القول فى تاويل قوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) يقول تعالى ذكره وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء وشجرة منصوبة عطفا على الجنات ويعنى بها شجرة الزيتون وقوله تخرج من طور سيناء يقول تخرج من جبل ينبت الاشجار وقد بينت معنى الطور فيما مضى بشواهده واختلاف المختلفين بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله سيناء فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة سيناء بكسر السين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة سيناء بفتح السين وهما جميعا مجمعون على مدها والصواب من القول فى ذلك انهما قراءتان معروفتان فى قراءة الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب واختلف أهل التأويل فى تاويله فقال بعضهم معناه المبارك كان معنى الكلام عنده وشجرة تخرج من جبل

لهذا ذهب أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فافرخت عنده الى أنه يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة وروى العوفى عن ابن عباس ان ذلك تصريف الله فى أطواره بعد الولادة من الطفولية وما بعدها الى استواء الشباب وخلق الفهم والعقل فيه يؤيده قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون ويروى هذا القول أيضا عن مجاهد وابن عمر فتبارك الله كثر خيره وبركته أو هو وصف له بالدوام والبقاء أو بالتعالى لان البركة يرجع معناها الى الامتداد وكل ما زاد على الشئ فقد علاه ومعنى أحسن الخالقين أحسن المقدرين تقديرا فحذف المميز للعلم به قالت المعتزلة فى الآية دلالة على ان كل ما يفعله الله فهو حسن وحكمة فلا يكون خالقا للكفر (٩) والمعاصى وأجيب بان الحسن ههنا بمعنى الاحكام والاتقان فى التركيب والتأليف وبانه لا يقبح منه شئ لانه تعالى يتصرف فى ملكه قالوا لولا ان غيره تعالى خالق لم تحسن هذه الاضافة فيعلم منه ان العبد خالق أفعاله وعورض بقوله ان الله خالق كل شئ وأجيب بان المراد انه أحسن الخالقين فى زعمكم واعتقادكم وبعضهم أجاب بان وجه حسن الاضافة هو انه تعالى وصف عيسى بانه يخلق من الطين كهيئة الطير ولا يخفى ضعف هذا الجواب من انه يلزم اطلاق الجمع على الواحد ومن حيث انه يلزم اطلاق الخالق على المصورين والحق ان الخلق لو كان بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد لا يلزم شئ من هذه الاشكالات روى ان عبد الله بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يوحى اليه فانا نبى يوحى الى فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح وروى عن عمر أيضا سبق لسانه بقوله فتبارك الله أحسن الخالقين قبل ان ينزل واعلم ان هذا غير مستبعد ولا قادح فى أعجاز القرآن لانه ليس بمقدار سورة الكوثر التى وقع قل التحدى به * سؤال ما الحكمة فى الموت وهلا وصل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة ليكون فى الانعام أبلغ * جواب لو كان كذلك لكان الآتى بالطاعة آتيا بها لمحض الجنة والثواب فلا جرم أوقع الله تعالى الاماتة والاعادة فى البين لتكون الطاعات أدخل فى الاخلاص وأبعد عن صورة المبايعة وليس فى ذكر الحياتين نفى الثالثة وهى حياة القبر فتعرف تلك بدليل آخر ويمكن ان يقال بل الآية تتضمنها فانها أيضا من جنس الاعادة النوع الثانى الاستدلال بخلق السموات قال الخليل والفراء والزجاج سميت السموات طرائق فانها طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وقال على بن عيسى لانه

طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق أى عن السموات وحفظها أن لا تقع على
الارض قاله سفيان بن عيينة وعن الحسن أراد بالخلق الناس أى ما كنا غافلين عن مصالحهم فخلقنا الطرائق فوقهم لينزل منها عليهم البركات
والارزاق ولينتفعوا بغير ذلك من منافعها ويحتمل ان يريد بالاول كمال قدرته و بالثانى كمال علمه باحوال مخلوقاته وفيه نوع من الزجر و يمكن
ان يراد خلقنا السموات وما كنا عن خلقها ذاهلين فلهذا لم تخرج عن التقدير الذى أردنا كونها عليه نظيره ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت

النوع الثالث الاستدلال بنزول الامطار واخراج النبات وانشاء الحيوانات ونزول المطر عند الظاهريين من أهل الشرع
لا يبعد ان يكون من نفس السماء
وعند أرباب المعقول منهم يراد به
انزاله من جهة السماء قالوا انه
سبحانه يصعد الاجزاء المائية من
البحر بواسطة التبخير فتصير فى الجو
صافية عذبة زائلة عنها ملوحة
البحر ثم ينزلها بواسطة السحب وقد
سلف فى أول البقرة تفصيل
ذلك ومعنى بقدر يسلمون معه من
المضار و يصلون الى المنافع أو
بمقدار يوافق حاجاتهم ومعنى
اسكان ماء المطر فى الارض جعله
مددا للينابيع والآبار وقيل
أراد اثباتها فى الارض على ما روى
عن ابن عباس ان الانهار خمسة
سيحون وجيحون ودجلة والفرات
والنيل أنزلها الله من عين واحدة
من عيون الجنة واستودعها
الجبال وأجراها فى الارض وانا
على ذهاب به لقادرون أى كما قدرنا
على انزاله فنحن قادرون على ان
نذهب به بوجه من الوجوه ولهذا
التنكير حسن موقع لا يخفى اذ فيه
ايذان على ان الذاهب به قادر على
أى وجه أراد وفيه تحذير من
كفران نعمة الماء وتخويف من
نفاذه اذا لم يشكر ثم لما نبه على
عظم نعمته بخلق الماء بين المنافع
الحاصلة بسببه وخص منها النخيل
والاعناب وشجرة الزيتون لانها
أكرم الشجر وأعمها نفعا ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع لامرين التفكه والتطعم وجوز فى
الكشاف أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة كذا كأنه قال ومن هذه الجنان وجوه أرزاقكم ومعايشكم
ووصف الزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا قال جار الله طور سيناء وطور سينين اما أن يكون الطور فيه مضافا الى بقعة
اسمها سيناء وسينون واما أن يكون المجموع اسما للجبل وهو جبل فلسطين على قول والطور الذى منه نودى موسى من قرأ سيناء بفتح
السين فهو كصحراء ومن قرأ بكسرها فمنع صرفه للعلمية والعجمية أو التأنيث بتأويل البقعة ولا يكون ألفه حينئذ للتأنيث كعلباء وحرباء قال فى

مبارك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله طور سيناء قال المبارك ثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وشجرة تخرج من طور سيناء قال هو جبل حسن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله من طور سيناء الطور الجبل بالنبطية وسيناء حسنه بالنبطية وقال آخرون هو اسم جبل معروف ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله من طور سيناء قال الجبل الذى نودى منه موسى صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله طور سيناء قال هو جبل الطور الذى بالشام جبل ببيت المقدس قال ممدود هو بين مصر و بين أيلة وقال آخرون معناه انه جبل ذو شجر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عمن قاله * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان سيناء اسم أضيف اليه الطور يعرف به كما قيل جبلا طيء فاضيفا الى طيء ولو كان القول فى ذلك كما قال من قال معناه جبل مبارك أو كما قال من قال معناه حسن لكان الطور منونا وكان قوله سيناء من نعته على أن سيناء بمعنى مبارك وحسن غير معروف فى كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجبل ولكن القول فى ذلك ان شاء الله كما قال ابن عباس من انه جبل عرف بذلك وانه الجبل الذى نودى منه صلى الله عليه وسلم وهو مع ذلك مبارك لا أن معنى سيناء معنى مبارك وقوله تنبت بالدهن اختلفت القراء فى قراءة قوله تنبت فقرأته عامة قراء الامصار تنبت بفتح التاء بمعنى تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن وقرأه بعض قراء البصرة تنبت بضم التاء بمعنى تنبت الدهن تخرجه وذكر انها فى قراءة عبد الله تخرج الدهن وقالوا الباء فى هذا الموضع زائدة كما قيل أخذت ثوبه وأخذت بثوبه وكما قال الراجز

نحن بنو جعدة أرباب الفلج * نضرب بالبيض ونرجو بالفرج

بمعنى ونرجو الفرج والقول عندى فى ذلك انهما لغتان نبت وانبت ومن أنبت قول زهير

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم * وطينا الهم حتى اذا أنبت البقل

و يروى نبت وهو كقوله فأسر باهلك وفاسر غير ان ذلك وان كان كذلك فان القراءة التى لا اختار غيرها فى ذلك قراءة من قرأ تنبت بفتح التاء لاجماع الحجة من القراء عليها ومعنى ذلك تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تنبت بالدهن قال بثمره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والدهن الذى هو من ثمره الزيت كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله

تنبت

الكشاف بالدهن فى موضع الحال والباء للمصاحبة دون التعدية لان نبات الدهن أو انباته لا يكاد يستعمل فالمعنى تنبت الشجرة وفيها الدهن أو تنبت الشجرة زيتونها وفيه الزيت ويجوز ان يكون أنبت بمعنى نبت أيضا والصبغ الادام لانه يصبغ الخبز قلت لا يبعد ان يريد بالصبغ نفس ثمر الزيتون لا الزيت وكذا يحتمل ان تكون الباء فى بالدهن للتعدية الا ان يكون الانبات متعديا قال المفسرون انما أضافها الله تعالى الى هذا الجبل لانها منه تشعبت فى البلاد وتفرقت أو لان معظمها هنالك قوله وان لكم فى الانعام لعبرة قدمر فى النحل ولعل القصد بالانعام ههنا الابل خاصة لانها هى المحمول عليها فى العادة ولانه قرنها بالفلك وهى سفائن البر كما ان الفلك سفائن البحر

وانما قال فى هذه السورة فواكه كثيرة بالجمع بخلاف ما فى الزخرف لتناسب قوله هنا منافع كثيرة ولتناسب قوله جنات كما قال هنالك فاكهة على التوحيد لتناسب قوله وتلك الجنة وانما قال هنا فى الموضعين ومنها تأكلون بزيادة الواو خلاف الزخرف لان تقدير الآية منها تدخرون ومنها تأكلون ومنها تبيعون ومنها ومنها ولبس كذلك فاكهة الجنة فانها للاكل فحسب فافهم واعلم انه لما انجر الكلام الى ذكر الفلك اتبعه قصة نوح لانه أول من ألهم صنعتها وفيه أيضا تمزيج القصص بدلائل التوحيد على عادة القرآن لاجل الاعتبار والتنشيط وقوله مالكم من اله غيره جملة مستانفة تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة ومعنى أفلا تتقون أفلا تخافون ان تتركوا عبادة من هو لوجوب وجوده مستحق العبادة ثم تذهبوا فتعبدوا ما ليس بهذه الصفة بل هو فى أخس مراتب الامكان وهى الجمادية ثم حكى الله سبحانه عنهم شبها الاولى قولهم ما هذا الا بشر مثلكم ومعناه انكار كون الرسول من جنس البشر أو انكار كونه مثلهم فى الاسباب الدنيوية من المال والجاه والجمال كأنهم ظنوا ان القرب من الله يوجب المزية فى هذه الامور ويتأكد هذا الاحتمال بالشبهة الثانية وهى قوله يريد ان يتفضل عليكم أى يتكلف طلب الفضل والرياسة عليكم نظيره ويكون لكما الكبرياء فى الارض ويتأكد الاحتمال الاول بالشبهة الثالثة وهى ولو شاء الله لانزل ملائكة لعلو شأنهم ووفور علمهم وكمال قوتهم وقد حكى هذه الشبهة عن أقوام فى حم السجدة قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة خص هذه السورة باسم الله على الاصل ولتقدم ذكر الله وخص تلك السورة باسم الرب لتقدم ذكر الرب فى قوله ذلك رب العالمين وهم من جملة العالمين قالوه اما اعتقادا واما استهزاء الشبهة الرابعة الاعتصام بحبل التقليد ما سمعنا بهذا أى بمثل هذا الكلام أو بمثل هذا المدعى فيجوز ان يكونوا صادقين فى ذلك

تنبت بالدهن يقول هو الزيت يؤكل ويدهن به وقوله وصبغ للآكلين يقول تنبت بالدهن وبصبغ للآكلين يصطبغ بالزيت الذين يأكلونه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وصبغ للآكلين قال هذه الزيتون صبغ للآكلين يأتدمون به ويصطبغون به قال أبو جعفر فالصبغ عطف على الدهن ۞ القول فى تأويل قوله (وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون) يقول تعالى ذكره وان لكم أيها الناس فى الانعام لعبرة تعتبرون بها فتعرفون بها أيادى الله عندكم وقدرته على ما يشاء وانه الذى لا يمتنع عليه شئ أراده ولا يعجزه شئ شاءه نسقيكم مما فى بطونها من اللبن الخارج من بين الفرث والدم ولكم مع ذلك فيها يعنى فى الانعام منافع كثيرة وذلك كالابل التى يحمل عليها ويركب ظهرها ويشرب درها ومنها تأكلون يعنى من لحومها تأكلون وقوله وعليها وعلى الفلك تحملون يقول وعلى الانعام وعلى السفن تحملون على هذه فى البر وعلى هذه فى البحر ۞ القول فى تأويل قوله (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا نوحا الى قومه داعيهم الى طاعتنا وتوحيدنا والبراءة من كل معبود سوانا فقال لهم نوح يا قوم اعبدوا الله يقول قال لهم ذلوا يا قوم لله بالطاعة مالكم من اله غيره يقول مالكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره أفلا تتقون يقول أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه ان يحل بكم ۞ القول فى تأويل قوله (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) يقول تعالى ذكره فقالت جماعة أشراف قوم نوح الذين جحدوا توحيد الله وكذبوه لقومهم ما نوح أيها القوم الا بشر مثلكم انما هو انسان مثلكم وكبعضكم يريد أن يتفضل عليكم يقول يريد أن يصير له الفضل عليكم فيكون متبوعا وأنتم له تبع ولو شاء الله لانزل ملائكة يقول ولو شاء الله أن لا نعبد شيأ سواه لانزل ملائكة يقول لارسل بالدعاء الى ما يدعوكم اليه نوح ملائكة تؤدى اليكم رسالته وقوله ما سمعنا بهذا الذى يدعونا اليه نوح من أنه لا اله لنا غير الله فى القرون الماضية وهى آباؤهم الاولون ۞ القول فى تأويل قوله (ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) يعنى تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملأ الذين كفروا من قوم نوح ان هو الا رجل به جنة ما نوح الا رجل به جنون وقد يقال أيضا للجن جنة فيتفق الاسم والمصدر وهو من قوله ان هو كناية اسم نوح وقوله فتربصوا به حتى حين يقول فتلبثوا به وتنظروا به حتى حين يقول الى وقت ما ولم يعنوا بذلك وقتا معلوما انما هو كقول القائل دعه الى يوم ما والى وقت ما وقوله قال رب انصرنى بما كذبون يقول قال نوح داعيا ربه مستنصرا به على قومه لما طال أمره وأمرهم وتمادوا فى غيهم رب انصرنى

على قومي بما كذبون يعني بتكذيبهم إياي فيما بلغتهم من رسالتك ودعوتهم إليه من توحيدك
وقوله فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا يقول فقلنا له حين استنصرنا على كفرة قومه
اصنع الفلك وهي السفينة بأعيننا يقول بمرأى منا ومنظر ووحينا يقول وبتعليمنا إياك صنعتها فإذا
جاء أمرنا يقول فإذا جاء قضاؤنا في قومك بعذابهم وهلاكهم وفار التنور وقد ذكرنا فيما مضى
اختلاف المختلفين في صفة فور التنور والصواب عندنا من القول فيه بشواهده بما أغنى عن
إعادته في هذا الموضع فاسلك فيها من كل زوجين اثنين يقول فأدخل في الفلك واحمل والهاء والألف
في قوله فيها من ذكر الفلك من كل زوجين اثنين يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه ومن
سلكته قول الشاعر

وكنت لزاز خصمك لم أعرد * وقد سلكوك في يوم عصيب

وبعضهم يقول أسلكت بالألف ومنه قول الهذلي

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني
أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاسلك فيها من كل زوجين اثنين
يقول لنوح احمل في السفينة من كل زوجين اثنين وأهلك وهم ولده ونساؤهم إلا من سبق عليه
القول من الله بأنه هالك فيمن يهلك من قومك فلا تحمله معك وهو يام الذي غرق ويعني بقوله منهم
من أهلك والهاء والميم في قوله منهم من ذكر الأهل وقوله ولا تخاطبني الآية يقول ولا تسألني في
الذين كفروا بالله أن أنجيهم إنهم مغرقون يقول فإني قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم ۞ القول
في تأويل قوله تعالى (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين) يعني تعالى ذكره بقوله فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فإذا اعتدلت في السفينة
أنت ومن معك ممن حملته معك من أهلك راكبا فيها عاليا فوقها فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين يعني من المشركين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت
خير المنزلين إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين) يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام وقل إذا
سلمك الله وأخرجك من الفلك فنزلت عنها رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير من أنزل عباده المنازل
* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن
ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله منزلا مباركا قال لنوح حين نزل من السفينة حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * واختلفت القراء في قراءة ذلك
فقرأته عامة قراء الأمصار رب أنزلني منزلا مباركا بضم الميم وفتح الزاي بمعنى أنزلني إنزالا مباركا وقرأه
عاصم منزلا بفتح الميم وكسر الزاي بمعنى أنزلني مكانا مباركا وموضعا وقوله إن في ذلك لآيات يقول

للفطرة المتداولة ويجوز أن يكونوا تجاهلوا أو تكذبوا لانهماكهم في الغي وتشمرهم لدفع الحق وإخمال النبي صلى الله عليه وسلم بأي وجه
يمكنهم يؤيده الشبهة الخامسة وهي نسبتهم إياه إلى الجنون مع علمهم ظاهرا بأنه أرجح الناس عقلا ورزانة قال جار الله الجنة الجنون أو الجن
أي به جن يخبلونه وهذا بناء على زعم العوام أن المجنون ضربه الجن ثم رتبوا على هذه الشبهة قولهم فتربصوا به حتى حين أي اصبروا عليه
إلى أن ينكشف جنونه ويفيق أو إلى أن يموت أو يقتل وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام فإنه عليه السلام كان يفعل أفعالا على
خلاف عاداتهم وكان رؤساؤهم يقولون للعوام إنه مجنون لينفروهم عنه وليلبسوا عليهم أمره ويحتمل أن يكون هذا كلاما
مستأنفا وهو أن يقولوا لقومهم اصبروا فإنه إن كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوي أمره فنحن حينئذ نتبعه وإن كان كاذبا فالله يخذله ويبطل أمره فحينئذ نستريح منه واعلم أنه سبحانه لم يذكر جواب شبههم لركاكتها ولأنه قد علم في هذا الكتاب الكريم أجوبتها غير مرة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وإذا بطل طريقة التقليد صار حديث التربص ضائعا بل يجب قبول قول من يدعي النبوة بعد ظهور المعجزة من غير توقف ثم حكى أن نوحا عليه السلام لما علم إصرارهم على الكفر قال رب انصرني أي أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي ففي نصرته إهلاكهم أو انصرني بدل تكذيبهم إياي كقولك هذا بذاك والمراد بدلني من غم التكذيب سلوة النصرة أو انصرني بإنجاز ما كذبوني فيه وهو وعد العذاب في قوله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وباقي
القصة إلى قوله إنهم مغرقون قد مر تفسير مثلها في سورة هود ومعنى فاسلك أدخل فيها وقد مر في أول
الحجر في قوله كذلك نسلكه وسبق عليه القول نقيض سبقت لهم منا الحسنى لأن على تستعمل في الضار كما أن اللام تستعمل في النافع وقد
جاء زيادة منهم ههنا على الأصل وحذفت في هود لحسن عطف ومن آمن من غير التباس وبشاعة قيل في قوله بأعيننا على الجمع فساد قول
المشبهة إن الله خلق آدم على صورته أما قوله فإذا استويت أي ركبت واستوليت أنت ومن معك على الفلك فقل لم يقل فقولوا لأن أول
الكلام مبني على خطاب نوح ولأن قول النبي قول الأمة مع ما فيه من الإشعار بفضله ومن إظهار الكبرياء وأن كل أحد لا يليق لخطاب رب

تعالى

تعالى ذكره ان فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد من اهلاكناهم اذ كذبوا رسلنا وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والاصنام لعبرا لقومك من مشركي قريش وعظات وحججا لنا عليهم يستدلون بها على سنتنا في أمثالهم فينزجروا عن كفرهم ويرتدعوا عن تكذيبك حذرا أن يصيبهم مثل الذي أصابهم من العذاب وقوله وان كنا لمبتلين يقول تعالى ذكره وكنا مختبريهم بتذكيرنا اياهم بآياتنا لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره ثم أحدثنا من بعد مهلك قوم نوح قرنا آخرين فأوجدناهم فأرسلنا فيهم رسولا منهم داعيا لهم أن اعبدوا الله يا قوم وأطيعوه دون الآلهة والاصنام فان العبادة لا تنبغي الا له ما لكم من اله غيره يقول ما لكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه أفلا تتقون أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيأ دونه وهو الاله الذي لا اله لكم سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) يقول تعالى ذكره وقالت الاشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح وعنى بالرسول في هذا الموضع صالحا وبقومه ثمود الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة يقول الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا بلقاء الآخرة يعني كذبوا بلقاء الله في الآخرة وقوله وأترفناهم في الحياة الدنيا يقول ونعمناهم في حياتهم الدنيا بما وسعنا عليهم من المعاش وبسطنا لهم من الرزق حتى بطروا وعتوا على ربهم وكفروا ومنه قول الراجز وقد أراني بالديار مترفا * وقوله ما هذا الا بشر مثلكم يقول قالوا ابعث الله صالحا الينا رسولا من بيننا وخصه بالرسالة دوننا وهو انسان مثلنا يأكل مما نأكل منه من الطعام ويشرب مما نشرب وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته قال ويشرب مما تشربون معناه مما تشربون منه فحذف من الكلام منه لان معنى الكلام ويشرب من شرابكم وذلك ان العرب تقول شربت من شرابك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملأ من قوم صالح لقومهم ولئن أطعتم بشرا مثلكم فاتبعتموه وقبلتم ما يقول وصدقتموه انكم أيها القوم اذا لخاسرون يقول قالوا انكم اذا لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا باتباعكم اياه وقوله أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما الآية يقول تعالى ذكره قالوا لهم أيعدكم صالح أنكم اذا متم وكنتم ترابا في قبوركم وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم وبقيت عظامها أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم قبل مماتكم وأعيدت انكم مرتين والمعنى أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون مرة واحدة لما فرق بين انكم الاولى وبين خبرها باذا وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظن وأخواته ثم اعترضت بالجزاء دون خبره فتكرر اسمه مرة وتحذفه أخرى فتقول أظن انك ان جالستنا انك محسن فان حذفت انك الاولى أو الثانية

العزة وفي الامر بالحمد على هلاكهم تقبيح صورة الظلمة كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وانما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة من الغرق جزاء لانه كان عرفه ان ذلك سبب نجاتهم من الاشتراك مع الظلمة في حكم الاهلاك ثم أمره أن يسأل ما هو أهم وأنفع أن ينزله في السفينة بدليل عطف وقل على جزاء فاذا استويت أو ينزله في الارض عند خروجه من السفينة لانه لا يبعد ان يدعوا عند ركوب السفينة بما يتعلق بالخروج منها منزلا أو انزالا أو موضع انزال يبارك له فيه بزيادة اعطاء خير الدارين وقد أمره ان يشفع بالدعاء الثناء المطابق للمسئلة وهو قوله وأنت خير المنزلين أي انزالا وذلك أنه أقدر على (١٣) الحفظ وأعلم بحال النازل بل كل منزل فانه لا يقدر على ايصال الخير الى النازل الا باقداره وتمكينه والقاء تلك الداعية في قلبه ان في ذلك الذي ذكر من القصة لآيات لعبرا ودلالات لمن اعتبر واذكر فان اظهار تلك المياه العظيمة والذهاب بها الى مقارها لا يقدر عليها الا القدير الخبير وان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام في لمبتلين هي الفارقة والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين أي مصيبين قوم نوح ببلاء الغرق كله على وجه واحد او مختبرين بهذه الآيات من يخلفهم لننظر من يعتبر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر وقيل المراد كما يعاقب بالغرق من كفر فقد يمتحن به من لم يكفر على وجه المصلحة لا التعذيب فليس الغرق كله على وجه واحد * التأويل الفلاح الظفر والفوز والبقاء أي ظفر المؤمنون بالايمان الحقيقي المقيد بجميع الشرائط بنفوسهم ببذلها في الله وفازوا بالوصول الى الله وبقوا به بعد ان فنوا فيه الخشوع في الظاهر انتكاس الرأس وغض العين واستماع الاذن وقراءة اللسان ووضع اليمين على الشمال كالعبيد واعتدال الظهر في القيام وانحناؤه في الركوع وثبات القدمين والخشوع في الباطن سكون النفس عن الخواطر والهواجس وحضور القلب لمعاني القراءة والاذكار ومراقبة السر بترك الالتفات الى المكونات واستغراق الروح في بحر المحبة وذوبانه عند تجلي صفات الجمال والجلال واللغو كل ما يشغلك عن الله والزكاة تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة بل عن حب الدنيا لانه رأس كل خطيئة الا على أزواجهم في كلمة على دلالة على انهم يجب ان يستولوا على الازواج لا بالعكس والا كن عدوا لهم كقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وعلامة الاستيلاء على الازواج ان يبتغي بالنكاح النسل ورعاية السنة في أوانها لا حظ النفس والا كان متجاوزا طريق الكمال لاماناتهم يعني التي حملها الانسان وعهدهم هو عهد الميثاق في

الازل يحافظون الفرق بين المحافظة والخشوع ان الخشوع معتبر فى نفس الصلاة والمحافظة معتبرة فيها وفيما قبلها من الشرائط وفيما بعدها وهو ان لا يفعل ما يحبطها ويضيعها الوارثون لانهم احياء القلوب وقد نالوا من المراتب ما خلفتها أموات القلوب من سلالة لانه سل من جميع أجزاء الارض فجاء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف أجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين ففيه حرص الفارة والنملة وشهوة الحمار والعصفور وغضب الفهد والاسد وكبر النمر وبخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من الصفات الذميمة وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء الكلب وبكور الغراب وهمة

(١٤)

البازى ونحوها من الاخلاق الحميدة فتبارك الله أحسن الخالقين لانه خلق أحسن المخلوقين اما من حيث الصورة فلانه تعالى خلق من نطفة متشابهة الاجزاء بدنا مختلف الابعاض والاعضاء كاللحم والشحم والعظم والشعر والظفر والعصب والعروق والعظام والمخ والانف والفم واليد والرجل وغيرها مما يشهد لبعضها علم التشريح وأما من حيث المعنى فلانه خلق الانسان مستعدا لحمل الامانة التى أبى حملها السموات والارض والجبال وسيجىء تحقيق ذلك فى موضعه ثم انكم بعد ذلك لميتون الى قوله تبعثون فيه ان الانسان قابل لموت القلب ولموت النفس ولحشرهما وفى موت واحد حياة الآخر وحشره وموت القلب عبارة عن انغماسه وتستره فى حجب الغواشى الآتية عليه من طرق الحواس الظاهرة وحواسى الوهم والخيال فلذلك قال ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق هى الاغشية والحجب من الجهات المذكورة وما كنا عن مصالح الخلق غافلين فلا نترك العبد فى تلك الحجب بدليل قوله وأنزلنا من السماء سماء العناية ماء الرحمة بقدر واستعداد السالك فاسكناه فى أرض وجوده فانشأنا لكم به جنات من نخيل المعارف وأعناب الكشوف وشجرة الخفى الذى يخرج من طور سيناء الروح بتأثير تجلى أنوار الصفات تنبت بدهن حسن الاستعداد لقبول الفيض الالهى بلا واسطة لانه سر بين الله وبين الروح وصبغ لاكل الكونين بقوة الهمة ثم أخبر عن نعم الغالب ان فيها منافع لانها آلة تحصيل الكمال وعليها وعلى فلك الشريعة فى سفر السير الى الله تحملون وتأويل قصة نوح تقدم فى سورة هود والله أعلم (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأ كل

آخرون

صلح وان أثبتهما صلح وان لم تعترض بينهما بشئ لم يجز خطأ أن يقال أظن انك انك جالس وذكر ان ذلك فى قراءة عبد الله أيعدكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (هيهات هيهات لما توعدون ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول الملأ من ثمود انهم قالوا هيهات هيهات أى بعيد ما توعدون أيها القوم من انكم بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون احياء من قبوركم يقولون ذلك غير كائن * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله هيهات هيهات يقول بعيد بعيد حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله هيهات هيهات لما توعدون قال يعنى البعث والعرب تدخل اللام مع هيهات فى الاسم الذى يصحبها وتنزعها منه تقول هيهات لك هيهات وهيهات ما تبتغى هيهات واذا أسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيهات كانه قال بعيد ما ينبغى لك كما قال جرير

فهيهات هيهات العقيق ومن به * وهيهات خل بالعقيق نواصله

كانه قال العقيق وأهله وانما أدخلت اللام مع هيهات فى الاسم لانهم قالوا هيهات أداة غير ماخوذ من فعل فادخلوا معها فى الاسم اللام كما أدخلوها مع هلم لك اذ لم تكن ماخوذة من فعل فاذا قالوا أقبل لم يقولوا لك لاحتمال الفعل ضمير الاسم * واختلف أهل العربية فى كيفية الوقف على هيهات فكان الكسائى يختار الوقوف فيها بالهاء لانها منصوبة وكان الفراء يختار الوقوف عليها بالتاء ويقول من العرب من يخفض التاء فدل على انها ليست بهاء التأنيث فصارت بمنزلة دراك ونظار وأما نصب التاء فيهما فلانهما أداتان فصارتا بمنزلة خمسة عشر وكان الفراء يقول ان قيل ان كل واحدة مستغنية بنفسها يجوز الوقوف عليها وان نصبها بمنزلة قوله ثمت جلست وبمنزلة قول الشاعر

يا ربتما غارة شعواء * كاللذعة بالميسم

قال فنصب هيهات بمنزلة هذه الهاء التى فى ربت لانها دخلت على حرف على رب وعلى ثم وكانا أداتين فلم تغيرهما عن أداتهما فنصبا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار غير أبى جعفر هيهات هيهات بفتح التاء فيهما وقرأ ذلك أبو جعفر هيهات هيهات بكسر التاء فيهما والفتح فيهما هو القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان هى الا حياتنا الدنيا يقول ما حياة الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها نموت ونحيا يقول نموت الاحياء منا فلا نحيا ويحدث آخرون منا فيولدون احياء وما نحن بمبعوثين يقول قالوا وما نحن بمبعوثين بعد الممات كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين قال يقول ليس آخرة ولا بعث يكفرون بالبعث يقولون انما هى حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء يقولون انما الناس كالزرع يحصد هذا وينبت هذا يقولون يموت هؤلاء ويأتى

أكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم انكم اذامتم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى (١٥) فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين

فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) القراآت هيهات هيهات بكسر التاء فيهما يزيد والوقف بالتاء لا غير وهو الصحيح عنه وروى ابن وردان عنه بالكسر والتنوين فيهما الباقون بفتح التاء فيهما في الحالين الا الكسائي فانه يقف بالهاء تترا بالتنوين ابن كثير وأبو عمرو ويزيد والوقف بالالف لا غير الباقون بالياء في الحالين وان هذه بفتح الهمزة وسكون النون ابن عامر وان بالكسر والتشديد عاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون وأن بالفتح والتشديد زبرا بفتح الباء عباس الآخرون بضمها * الوقوف آخرين ه ج للآية مع الفاء

واتصال المعنى غيره ط يتقون ه الدنيا لا لان ما بعده مقول القول مثلكم لا لان ما بعده صفة بشر تشربون ه لخاسرون ه مخرجون ه لما توعدون ه بمبعوثين ه لان الكل مقول الكفار وباب رخصة الضرورة وجواز اتيان الآية مفتوح بمؤمنين ه ط بما كذبون ه نادمين ج ه للآية مع حسن الوصل تصديقا لقوله عما غثاء ط تفخيما للكلمة التبعيدية بالابتداء مع فاء التعقيب الظالمين ه آخرين ه ط لان الجملة ليست بصفة لها لان العجز عن سبق الاجل لا يختص بهم يستأخرون ه ط لان ثم لترتيب الاخبار تترى ط منونا قرئ أولا للابتداء بكلما أحاديث ج لما ذكر في غثاء لا يؤمنون ه مبين ه لا لتعلق الجار عالين ه ج للآية مع

آخرون وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد وقرأ ألا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتبعثن ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين) يقول تعالى ذكره قالوا ما صالح الا رجل اختلق على الله كذبا في قوله ما لكم من اله غير الله وفي وعده اياكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون وقوله هو من ذكر الرسول وهو صالح وما نحن له بمؤمنين يقول وما نحن له بمصدقين فيما يقول انه لا اله لنا غير الله وفيما يعدنا من البعث بعد الممات وقوله قال رب انصرني بما كذبون يقول قال صالح لما أيس من ايمان قومه بالله ومن تصديقهم اياه بقولهم وما نحن له بمؤمنين رب انصرني على هؤلاء بما كذبون يقول بتكذيبهم اياي فيما دعوتهم اليه من الحق فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم اياه وتكذيبهم له فقال الله مجيبا في مسئلته اياه ما سأل عن قليل يا صالح ليصبحن مكذبوك من قومك على تكذيبهم اياك نادمين وذلك حين تنزل بهم نقمتنا فلا ينفعهم الندم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين) يقول تعالى ذكره فانتقمنا منهم فأرسلنا عليهم الصيحة فأخذتهم بالحق وذلك ان الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به وتكذيبهم رسوله فجعلناهم غثاء يقول فصيرناهم بمنزلة الغثاء وهو ما ارتفع على السيل ونحوه كما لا ينتفع به في شئ فانما هذا مثل والمعنى فأهلكناهم فجعلناهم كالشئ الذي لا منفعة فيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين يقول جعلوا كالشئ الميت البالي من الشجر **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد غثاء كالرميم الهامد الذي يحتمل السيل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فجعلناهم غثاء قال كالرميم الهامد الذي يحتمل السيل **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فجعلناهم غثاء هو الشئ البالي **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فجعلناهم غثاء قال هذا مثل ضربه الله وقوله فبعدا للقوم الظالمين يقول فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم اذ كفروا بربهم وعصوا رسله وظلموا أنفسهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أولئك ثمود يعني قوله فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) يقول تعالى ذكره ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين وقوله ما تسبق من أمة أجلها يقول ما يتقدم هلاك أمة من تلك الامم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الاجل الذي أجلنا لهلاكها ولا يستأخر هلاكها عن الاجل

الفلاح عابدون ه ج لذلك المهلكين ه يهتدون ه ومعين ه صالحا ط عليم ه ط لمن قرأ وان بالكسر فاتقون ه زبرا ط فرحون ه حين ه وبنين ه لا لان نسارع مفعول ثان لحسبان الخيرات ط لا يشعرون ه السبع الخامس * التفسير عن ابن عباس وأكثر المفسرين ان هذه القرون هم عاد قوم هود لمجيء قصتهم على أثر قصة نوح في غير هذا الموضع ولقوله تعالى في الاعراف واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل انهم ثمود لانهم أهلكوا بالصيحة وقد قال الله تعالى في هذه القصة فاخذتهم الصيحة ومعنى فارسلنا فيهم جعلناهم موضع ارسال والا فلفظة أرسل لا تعدى الا بالى وضمن الارسال معنى القول ولهذا جيء بان المفسرة أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله قال بعضهم قوله أفلا تتقون غير موصول بما قبله وانما قاله لهم بعد ان كذبوه وردوا عليه الحجة والجمهور على انه موصول لانه دعاهم الى الله وحذرهم عقابه ان لم يقبلوا قوله ولم يتركوا عبادة الاوثان قال جار الله انما قال في هذه السورة وقال الملأ بالواو وفي الاعراف قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة بغير واو ومثله في سورة هود قالوا يا هود ما جئتنا ببينة لانه بنى الامر في ذينك الموضعين على تقدير سؤال سائل وفي هذه السورة أراد انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل فعطف قولهم على قوله وقال السكاكي صاحب المفتاح انما قدم الجار والمجرور أعني قوله من قومه على وصف الملأ وهم الذين كفروا لطول الصلة بالمعطوفات ولانه لو أخر لاوهم ان قوله من قومه متعلق بالدنيا ومعنى لقاء الآخرة لقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب ومعنى أترفناهم أنعمناهم بحيث شغلوا بالدنيا عن الاخرى وقوله مما تشربون أى من الذي تشربونه فحذف الضمير أو حذف منه لدلالة ما قبله عليه ثم أكدوا شبهتهم ان الرسول لا يكون من جنس البشر بقولهم ولئن أطعتم واذن واقع في جزاء الشرط وجواب لقومهم يصدقون أى انكم اذا قبلتم قول مثلكم وأطعتموه خسرتم عقولكم وأبطلتم آراءكم اذ لا ترجح لبعض البشر على بعض في معنى الدعوة الى طريق مخصوص هذا بيان كفرهم ثم بين تكذيبهم بلقاء الآخرة وطعنهم في الحشر بقوله أيعدكم الآية قال جار الله بنى انكم للتوكيد وحسن الفصل بالظرف ومخرجون خبر الاول أو انكم مخرجون مبتدأ معناه اخراجكم وخبره اذا متم والجملة خبر الاول وانكم مخرجون في تقدير وقع اخراجكم وهذه الجملة الفعلية جواب اذا والجملة الشرطية خبر الاول وفي حرف ابن مسعود أيعدكم اذا متم ثم أكدوا الاستفهام الانكاري

الذى أجلنا لهلاكها والوقت الذى وقتنا لفنائها ولكنها تهلك لمجيئه وهذا وعيد من الله لمشركى قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعلام منه لهم ان تأخيره فى آجالهم مع كفرهم وتكذيبهم رسوله ليبلغوا الاجل الذى أجل لهم فيحل بهم نقمته كسنته فيمن قبلهم من الامم السالفة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا للقوم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا الى الامم التى أنشأنا بعد ثمود رسلنا تترى يعنى يتبع بعضها بعضا و بعضها فى أثر بعض وهى من المواترة وهى اسم لجمع مثل شئ لا يقال جاءنى فلان تترى كما لا يقال جاءنى فلان مواترة وهى تنون ولا تنون وفيها الياء فمن لم ينونها فهى فعلى من وترت ومن قال تترى توهم ان الياء أصلية كما قيل معزى بالياء ومعرى ومهمى ومهما ونحو ذلك فاجريت أحيانا وترك اجراؤها أحيانا فمن جعلها فعلى وقف عليها أشار الى الكسر ومن جعلها ألف اعراب لم يشر لان ألف الاعراب لا تكسر لا يقال رأيت زيدا فيشار فيه الى الكسر * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى يقول يتبع بعضها بعضا **حدثنا** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ثم أرسلنا رسلنا تترى يقول بعضها على أثر بعض **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تترى قال اتباع بعضها بعضا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ثم أرسلنا رسلنا تترى قال يتبع بعضها بعضا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى قال بعضهم على أثر بعض يتبع بعضهم بعضا * واختلفت قراء الامصار فى قراءة ذلك فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة و بعض أهل المدينة و بعض أهل البصرة تترى بالتنوين وكان بعض أهل مكة و بعض أهل المدينة وعامة قراء الكوفة يقرؤنه تترى بارسال التاء على مثال فعلى والقول فى ذلك انهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان فى كلام العرب بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أنى مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين لانها أفصح اللغتين وأشهرهما وقوله كلما جاء أمة رسولها كذبوه يقول كلما جاء أمة من تلك الامم التى أنشأناها بعد ثمود رسولها الذى نرسله اليهم كذبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا وقوله فاتبعنا بعضهم بعضا يقول فاتبعنا بعض تلك الامم بعضا بالهلاك فاهلكنا بعضهم فى أثر بعض وقوله وجعلناهم أحاديث للناس ومثلا يتحدث بهم فى الناس والاحاديث فى هذا الموضع جمع أحدوثة لان المعنى ما وصفت من انهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم وقد يجوز أن يكون جمع حديث وانما قيل وجعلناهم أحاديث لانهم جعلوا حديثا ومثلا يتمثل بهم فى الشر ولا يقال فى الخير جعلته حديثا ولا أحدوثة وقوله فبعدا للقوم لا يؤمنون يقول فابعد الله قوما لا يؤمنون بالله ولا

بقولهم هيهات ومعناه بعد وهو اسم هذا الفعل وفي التكرير تأكيد آخر وكذا في اضمار الفاعل وتبيينه بقوله لما توعدون قال جار الله
اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويب بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج هو في تقدير المصدر أي
البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون ثم بين اعترافهم بانهم قالوا ان هي الا حياتنا أي الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي
العائدة الى الحقيقة الذهنية فنفت ما بعدها نفي الجنس وقد مر في الانعام والمماز يد في هذه السورة قوله نموت ونحيا لان هذه الزيادة
لعلها وقعت في كلام هؤلاء دون كلام أولئك ولم يريدوا بهذا الكلام أنفس المتكلمين وحدهم بل أرادوا انه يموت بعض

يصدقون برسوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين) يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية موسى وأخاه هرون الى فرعون واشراف قومه من القبط بآياتنا يقول بحججنا فاستكبروا عن اتباعها والايمان بما جاءهم به من عند الله وكانوا قوما عالين يقول وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ومن في بلادهم من بني اسرائيل وغيرهم بالظلم قاهرين لهم وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكانوا قوما عالين قال علوا على رسلهم وعصوا ربهم ذلك علوهم وقرأ تلك الدار الآخرة الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين) يقول تعالى ذكره فقال فرعون وملؤه أنؤمن لبشرين مثلنا فنتبعهما وقومهما من بني اسرائيل لنا عابدون يعنون انهم لهم مطيعون متذللون يأتمرون لامرهم ويدينون لهم والعرب تسمي كل من دان للملك عابدا له ومن ذلك قيل لاهل الحيرة العباد لانهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال فرعون أنؤمن لبشرين مثلنا الآية نذهب نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا كيف نصنع ذلك وذلك حين أتوهم بالرسالة وقرأ وتكون لكما الكبرياء في الارض قال العلو في الارض وقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين يقول فكذب فرعون وملؤه موسى وهرون فكانوا ممن أهلكهم الله كما أهلك من قبلهم من الامم بتكذيبها رسلها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى التوراة ليهتدي بها قومه من بني اسرائيل ويعملوا بما فيها وجعلنا ابن مريم وأمه آية يقول وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم وعلى قدرتنا على انشاء الاجسام من غير أصل كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه قال ولدته من غير أب هو له ولذلك وحدت الآية وقد ذكر مريم وابنها وقوله وآويناهما الى ربوة يقول وضممناهما وصيرناهما الى ربوة يقال آوى فلان الى موضع كذا فهو يأوي اليه اذا صار اليه على مثال أفعلته فهو يؤويه وقوله الى ربوة يعني الى مكان مرتفع من الارض على ما حوله ولذلك قيل للرجل يكون في رفعة من قومه وعز وشرف وعدد هو في ربوة من قومه وفيها لغتان ضم الراء وكسرها اذا أريد بها الاسم واذا أريد بها الفعلة من المصدر قيل ربا ربوة * واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة وآوى اليه مريم وابنها فقال بعضهم هو الرملة من فلسطين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا بشر بن رافع قال ثني ابن عم لابي هريرة يقال له أبو عبد الله قال قال

ويولد بعض وينقرض قرن ويأتي قرن آخر ولو أنهم اعتقدوا انهم يحيون بعد الموت لم يكن يتوجه عليهم ذم ولناقضه قولهم وما نحن بمبعوثين ثم حكى انهم زعموا ان كل ما يدعيه هود من الاستنباء وحديث البعث وغيره افتراء على الله وانهم لا يصدقونه البتة فلا جرم قال هود داعيا عليهم كما دعا نوح على قومه رب انصرني بما كذبون قال الله مجيبا له عما قليل أي عن زمان قليل قصير ليصبحن جعل صيرورتهم نادمين دليلا على اهلاكهم لانه علم انهم لا يندمون الا عند ظهور سلطان العذاب ووقوع أماراته وذلك وقت ايمان البأس وزيادة ما للتوكيد قصر المدة والصيحة صيحة جبريل كما سلف في الاعراف وفي هود ومعنى بالحق بالعدل كقولك فلان يقضي بالحق وعلى أصول الاعتزال بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك والغثاء حميل السيل مما بلي واسود من الاوراق والعيدان وغير هاشبههم بذلك في دمارهم أو في احتقارهم أو في قلة الاعتناء بهم وفي ضمن ذلك تشبيه استيلاء العذاب باستيلاء السيل على الغثاء يقلبه كيف يشاء ثم دعا عليهم بالهلاك في الدارين بقوله فبعدا للقوم الظالمين كما مر في

سورة هود وفيه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم وعرف الظالمين لكونهم مذكورين صريحا بخلاف ما يجيء من قوله فبعدا القوم لا يؤمنون لانهم غير مذكورين بل بطريق الاجمال وذلك قوله ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين والظاهر انهم قوم صالح ولوط وشعيب كما وردت قصصهم على هذا الترتيب في الاعراف وفي هود وغيرهما وعن ابن عباس انهم بنو اسرائيل والمعنى انا بعد ما أخلينا الديار من المكلفين أنشأناهم وبلغناهم حد التكليف حتى قاموا مقام من كانوا قبلهم ثم بين كمال علمه وقدرته في شأن المكلفين بقوله ما تسبق من أمة أي كل طائفة مجتمعة في قرن لها آجال مكتوبة في الحياة وفي الموت

بالهلاك أو الاهلاك لا يتقدمها ولا يتأخرعنها وفيه ان المقتول ميت باجله وقال الكعبي معنى الآية انهم لا يتقدمون وقت عذابهم ان لم يؤمنوا ولا يتأخرون عنه ولا يستأصلهم الا اذا علم منهم انهم لا يزدادون الا عنادا وانهم لا يلدون مؤمنا وانه لا نفع في بقائهم لغيرهم ولا ضرر على أحد في هلاكهم ثم بين ان رسل الله كانوا بعد هذه القرون متواترين وان شأنهم في التكذيب كان واحدا وكانت سنة الله فيهم باتباع بعضهم بعضا في الاهلاك والتاء في تترى بدل من الواو في الوتر وهو الفرد أي أرسلناهم واحدا بعد واحد والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فلذلك جاء في القرآن رسلنا ورسلهم (١٨) ورسولها وأحاديث يكون اسم جمع للحديث أو جمعا له من غير لفظه ومنه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا للاحدوثة من لفظها كالاضحوكة والاعجوبة وهو المراد من الآية أي جعلناهم أخبارا يسمعونها ويتعجب منها لانهم استؤصلوا فلم يبق منهم عين ولا أثر سوى الحكاية ثم ذكر طرفا من قصة موسى عليه السلام عن الحسن بآياتنا أي بديننا كيلا يلزم منه تكرار لان السلطان المبين هو المعجز والاقرب قول ابن عباس انها الآيات التسع لان الآيات عند ذكر الرسل يراد بها المعجزات في عرف القرآن والسلطان هو العصا لانها كانت أم آياته وأقدمها فخصت بالذكر لشرفها وقوة دلالتها ويجوز أن يراد بها آيات في أنفسها وحجة بينة بالنسبة الى المتحدين بها أو يراد به تسلط موسى عليه السلام في الاستدلال على الصانع وانه ما كان يقيم لهم وزنا ثم حكى عن فرعون وقومه صفتهم وشبهتهم أما الصفة فهي الاستكبار والعلو أي طلبوا الكبر وتكلفوه واستنكفوا عن قبول الحق وكانوا مع ذلك رفيعي الحال في أمور الدنيا غالبين قاهرين مستظهرين بالعدد والعدد وأما الشبهة فهي انكار كون الرسول من جنس البشر ولا سيما اذا كان قومهما وهم بنو اسرائيل خدما وعبيدا لهم قال أبو عبيدة العرب تسمي كل من دان للملك عابدا له ويحتمل ان يقال انه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم عبادة على الحقيقة والبشر يقع على الواحد وعلى الجمع والمثل يوصف به الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ويقال أيضا هم أمثاله وهم أمثاله ثم بين انه لما خطرت هذه الشبهة ببالهم صرحوا بالتكذيب فأهلكوا لذلك وكانوا في حكم الله وعلمه كذلك ثم حكى ما جرى على قوم موسى بعد اهلاك عدوهم ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة لعلهم يهتدون من الناس من ظن ان هم في لعلهم راجع الى فرعون وملائه والمعنى انه خص موسى بالكتاب لا بالتكذيب ولكن

لنا أبو هريرة الزموا هذه الرملة من فلسطين فانها الربوة التي قال الله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين **حدثني** عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا عباد أبو عتبة الخواص قال ثنا يحيى بن عمرو الشيباني عن أبي وعلة عن كريب قال ما أدري ما حدثنا مرة البهزي انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ان الربوة هي الرملة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبد الله ابن عم أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول في قول الله الى ربوة ذات قرار ومعين قال هي الرملة من فلسطين **حدثنا** ابن بشار قال ثنا صفوان قال ثنا بشر ابن رافع قال ثني أبو عبد الله ابن عم أبي هريرة قال قال لنا أبو هريرة الزموا هذه الرملة التي بفلسطين فانها الربوة التي قال الله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وقال آخرون هي دمشق ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن الوليد القرشي قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال في هذه الآية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال زعموا أنها دمشق **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال بلغني عن ابن المسيب انه قال دمشق **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب مثله **حدثني** يحيى بن عثمان بن صالح السهمي قال ثنا ابن بكير قال ثنا الليث بن سعد قال ثني عبد الله بن لهيعة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال الى ربوة من ربى مصر قال وليس الربى الا في مصر والماء حين يرسل تكون الربى عليها القرى ولولا الربى غرقت تلك القرى وقال آخرون هي بيت المقدس ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال هو بيت المقدس قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كان كعب يقول بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن كعب مثله *وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك انها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر وليس كذلك صفة الرملة لان الرملة لا ماء بها معين والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بانها ذات قرار ومعين وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وآويناهما الى ربوة قال الربوة المستوية **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الى ربوة قال مستوية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ذات قرار ومعين يقول تعالى ذكره من صفة الربوة التي أوينا اليها مريم وابنها عيسى انها أرض منبسطة وساحة وذات ماء ظاهر لغير الباطن جار وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومعين قال المعين الماء الجاري

وهو النهر الذى قال الله قد جعل ربك تحتك سريا حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد فى قوله ذات قرار ومعين قال المعين الماء حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد معين قال ماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد فى قوله ذات قرار ومعين قال المكان المستوى والمعين الماء الظاهر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومعين هو الماء الظاهر وقال آخرون عنى بالقرار الثمار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ذات قرار ومعين هى ذات ثمار وهى بيت المقدس حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * قال أبو جعفر وهذا القول الذى قاله قتادة فى معنى ذات قرار وان لم يكن أراد بقوله انها انما وصفت بانها ذات قرار لما فيها من الثمار ومن أجل ذلك يستقر فيها ساكنوها فلا وجه له نعرفه وأما معين فانه مفعول من عنته فانا أعنيه وهو معين وقد يجوز أن يكون فعيلا من معن يمعن فهو معين من الماعون ومنه قول عبيد بن الابرص

واهية أو معين ممعن * أو هضبة دونها الهوب

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم) يقول تعالى ذكره وقلنا لعيسى يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذى طيبه الله لكم دون الحرام واعملوا صالحا تقول فى الكلام للرجل الواحد أيها القوم كفوا عنا اذاكم وكما قال الذين قال لهم الناس وهو رجل واحد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى ابن عبد الاعلى بن واصل قال ثنى عبيد بن اسحق الضبى العطار عن حفص بن عمر الفزارى عن أبى اسحق السبيعى عن عمرو بن شرحبيل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال كان عيسى ابن مريم يأكل من غزل أمه وقوله انى بما تعملون عليم يقول انى بأعمالكم ذو علم لا يخفى على منها شئ وأنا مجازيكم بجميعها وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها فخذوا فى صالحات الاعمال واجتهدوا

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) اختلفت القراء فى قراءة قوله وان هذه أمتكم أمة واحدة فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وان بالفتح بمعنى انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة فعلى هذا التأويل ان فى موضع خفض عطف بها على ما من قوله بما تعملون وقد يحتمل أن يكون فى موضع نصب اذا قرئ ذلك كذلك و يكون معنى الكلام حينئذ واعلموا أن هذه و يكون نصبها بفعل مضمر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بالكسر وان هذه على الاستئناف والكسر فى ذلك عندى على الابتداء هو الصواب لان الخبر من الله عن قيله لعيسى

لبهتدوا به فلما أصروا على الكفر مع البيان العظيم استحقوا الاهلاك وهو وهم لان موسى لم يؤت التوراة الا بعد اهلاك القبط بدليل قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى وفى قوله فى أول البقرة واذ نجيناكم من آل فرعون الى قوله واذ واعدنا موسى أربعين ليلة والقصة مشهورة فالصحيح انه ذكر موسى وأراد قومه كما يقال هاشم وثقيف ويراد قومهم نظيره على خوف من فرعون وملئهم وقد مر فى آخر يونس ثم أجمل قصة عيسى بقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية وقد مر بيانه فى آخر الانبياء فى قوله وجعلناها وابنها آية للعالمين قال جار الله لو قيل آيتين لجاز لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله (١٩) ألقى اليها وقد تكلم فى المهد وكان يحيى الموتى مع معجزات أخر واللفظ يحتمل التثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والاقرب حمل اللفظ على الوجه الذى لا يتم الا بمجموعهما وهو الولادة على الوجه العجيب الناقض للعادة والربوة بحركات الراء هى الارض المرتفعة عن كعب وقتادة وأبى العالية هى ايليا أرض بيت المقدس وانها كبد الارض وأقرب الى السماء بثمانية عشر ميلا وعن الحسن فلسطين والرملة ومثله عن أبى هريرة قال الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التى ذكرها الله وقال الكلبى وابن زيد هى مصر والاكثرون على انها دمشق وغوطتها والقرار المستقر من أرض منبسطة مستوية وعن قتادة أراد ذات ثمار وماء يعنى لاجل الثمار مستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الطاهر الجارى على وجه الارض من عانه اذا أدركه بعينه فوزنه معيون على مفعول وقال الفراء والزجاج ان شئت جعلته فعيلا من الماعون وهو ما سهل على معطيه من أثاث البيت ومثله قول ابن على المعين السهل الذى ينقاد ولا يعتاص وقال جار الله وجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة قال المفسرون سبب الايواء انها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت بها اثنتى عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى أهلها بعد ما مات ملكهم قوله سبحانه يا أيها الرسل ليس على ظاهره لانهم أرسلوا فى أزمنة مختلفة وفى تأويله وجوه أحدها الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع ان أمرا نودى له جميع الرسل حقيق ان يؤخذ به و يعمل عليه و يؤيد هذا التأويل ما روى عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس انها بعثت الى رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح من لبن فى شدة الحر عند فطره صلى الله عليه وسلم وهو صائم فرده الرسول اليها وقال من أين لك هذا فقالت

من شاة ثم رده وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فأخذه ثم انها جاءته وقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم رددته فقال صلى الله عليه وسلم بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا وثانيها وهو قول محمد بن جرير ان المراد به عيسى وقد خاطب الواحد خطاب الجمع لشرفه كقوله الذين قال لهم الناس المراد نعيم بن مسعود ووقع هذا الاعلام عندايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي أو يناهما وقلنا لهما هذا أي أعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقنا كما واعملا صالحا اقتداء بالرسل وثالثها وهو الاظهر عندي ان المراد نبينا صلى الله عليه وسلم لانه ذكر ذلك بعد انقضاء أخبار الرسل ووجه اتصال الكلام بما بعده ظاهر (٢٠)

كما قرره ووجه اتصاله بما قبله هو انتهاء الكلام الى ذكر المستلذ وبالحقيقة المراد به الامة كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء والطيب ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه أو هو الحلال وقيل طيبات الرزق حلال لا يعصي الله فيه وصاف لا ينسى الله فيه وقوام يمسك النفس ويحفظ العقل وفي تقديم الاكل من الطيبات على الامر بالعمل الصالح دليل على ان العمل الصالح لابد أن يكون مسبوقا باكل الحلال وفي قوله اني بما تعملون عليم تحذير من مخالفة هذا الامر وقال في سورة سبا اني بما تعملون بصير وكلاهما من أسمائه تعالى الا انه ورد ههنا على الاصل لان العلم أعم وهنالك راعى الفاصلة أو خصص لان الخطاب مخصوص بآل داود ومن قرأ وان بالكسر فعلى الاستئناف ومن قرأ بالفتح مخففا ومشددا فعلى حذف لام التعليل والمعلل فاتقون ثم من قال الخطاب لجميع الرسل فالمشار اليه بهذه هو أصول الاديان والشرائع التي لا خلاف فيها بين الرسل وجملتها تقوى الله كما ختم به الآية والضمير في تقطعوا راجع الى أممهم قال الكلبي ومقاتل والضحاك يعني

يا أيها الرسل مبتدأ فقوله وان هذه مردود عليه عطفا به عليه فكان معنى الكلام وقلنا لعيسى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقلنا وان هذه أمتكم أمة واحدة وقيل ان الامة في هذا الموضع الدين والملة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله وان هذه أمتكم أمة واحدة قال الملة والدين وقوله وأنا ربكم فاتقون يقول وأنا مولاكم فاتقون بطاعتي تأمنوا عقابي ونصبت أمة واحدة على الحال وذكر عن بعضهم انه قرأ ذلك رفعا وكان بعض نحوي البصرة يقول رفع ذلك اذا رفع على الخبر ويجعل أمتكم نصبا على البدل من هذه وأما نحوي الكوفة فيأبون ذلك الا في ضرورة شعر وقالوا لا يقال مررت بهذا غلامكم لان هذا لا تتبعه الا الالف واللام والاجناس لان هذا اشارة الى عدد فالحاجة في ذلك الى تبين المراد من المشار اليه أي الاجناس هو وقالوا واذا قيل هذه أمتكم أمة واحدة والامة غائبة وهذه حاضرة قالوا فغير جائز أن يتبين عن الحاضر بالغائب قالوا فلذلك لم يجز أن هذا زيد قائم من أجل أن هذا يحتاج الى الجنس لا الى المعرفة

القول في تأويل قوله تعالى (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) اختلفت القراء في قراءة قوله زبرا فقرأته عامة قراء المدينة والعراق زبرا بمعنى جمع الزبور فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء فتفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة دينهم الذي أمرهم الله بلزومه زبرا كتبا فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذي دان به الفريق الآخر كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة وكذبوا بحكم الانجيل والقرآن وكالنصارى الذين دانوا بالانجيل بزعمهم وكذبوا بحكم الفرقان ذكر من تأول ذلك كذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة زبرا قال كتبا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بينهم زبرا قال كتب الله فرقوها قطعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا قال مجاهد كتبهم فرقوها قطعا وقال آخرون من أهل هذه القراءة انما معنى الكلام فتفرقوا دينهم بينهم كتبا أحدثوها يحتجون فيها لمذاهبهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون قال هذا ما اختلفوا فيه من الاديان والكتب كل معجبون برأيهم ليس أهل هواء الا وهم معجبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم وقرأ ذلك عامة قراء الشام فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا بضم الزاي وفتح الباء بمعنى فتفرقوا أمرهم بينهم قطعا كزبر الحديد وذلك القطع منها واحدتها زبرة من قول الله آتوني زبر الحديد فصار بعضهم يهودا وبعضهم نصارى * والقراءة التي نختار في ذلك قراءة من قرأه بضم الزاي والباء لاجماع أهل التأويل في تأويل ذلك على انه مراد به الكتب فذلك يبين عن صحة ما اخترنا في ذلك لان الزبر هي الكتب يقال

مشركي مكة والمجوس واليهود والنصارى ومن قال الخطاب لعيسى فهذه اشارة الى ملته في وقتها وعلى القول منه الاظهر بل على جميع الاقوال المشار اليه ملة الاسلام كما مر مثله في آخر سورة الانبياء كأنه أمر هنالك بالعبادة التي هي أعم ثم أمر بالتقوى التي هي أخص ولهذا قال فتقطعوا بالفاء ليتوجه الذم أتم فان المأتي به كلما كان أبعد من المأمور به كان سبب الذم أقوى فلا يكون ترتب التقطع على التقوى كترتبه على العبادة ولهذا أكد التقطع بقوله زبرا بضم الباء جمع زبور أي حال كونه كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم أديانا ومذاهب شتى ومن قرأ بفتح الباء فمعناه قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد ثم أكد الذم بقوله كل حزب بما أي كل فريق منهم

مغتبط بما اتخذه دينا لنفسه معجب به يرى انه المحق الرابح وغيره المبطل الخاسر ثم بالغ في الذم والتهديد بقوله فذرهم في غمرتهم وهذا الامر مما يدل على ان المخاطب بقوله يا أيها الرسل هو نبينا صلى الله عليه وسلم وقد يطلق لفظ الجماعة على الواحد تعظيما وتفخيما كقوله ان ابراهيم كان أمة والغمرة الماء الذي يغمر القامة قال جار الله ضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وغوايتهم أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قلت وأنت اذا تاملت فيما أسلفنا لك في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب عرفت الفرق بين الوجهين قال في الكشاف الى حين أي الى ان يقتلوا أو يموتوا والتحقيق انه الحالة التي يظهر

عندها الحسرة والندامة وذلك اذا عرفهم الله ببطلان ما كانوا عليه وعرفهم سوء منقلبهم فيشمل الموت والقبر والمحاسبة والنار وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي عن الجزع من تاخير عقابهم ثم ان القوم كانوا أصحاب نعمة ورفاهية فبين الله تعالى ان ذلك الذي جعله مددا لهم وهو المال والبنون سبب لاستدراجهم الى زيادة الاثم نظيره في آل عمران انما نملي لهم ليزدادوا اثما وما في انما موصولة والرابط محذوف أي نسارع لهم فيه وفي قوله بل لا يشعرون انهم أشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا فهو استدراج أم مسارعة في الخير وفيه أنه سبحانه أعطاهم هذه النعم ليكونوا متمكنين بها من الاشتغال بطلب الحق وحين أعرضوا عن الحق كان لزوم الحجة عليهم أقوى *التاويل يأكل مما تأكلون لم يعلموا أنهم يأكلون مما تأكلون ولكنهم لا يأكلون كما تأكلون المؤمن يأكل في معا واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام وأهل الله يأكلون ويشربون من مقام أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني وقومهما الناعابدون أي في حال الطفولية كانت صفات الروح والقلب عون النفس

منه زبرت الكتب اذا كتبته فتأويل الكلام فتفرق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الامم دينهم بينهم كتبا كما بينا قبل وقوله كل حزب بما لديهم فرحون يقول كل فريق من تلك الامم بما اختاروه لانفسهم من الدين والكتب فرحون معجبون به لا يرون أن الحق سواه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كل حزب بما لديهم فرحون قطعة هؤلاء أهل الكتاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كل حزب قطعة أهل الكتاب ۞ القول في تاويل قوله تعالى (فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) *قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا في غمرتهم في ضلالتهم وغيهم حتى حين يعني الى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذرهم في غمرتهم حتى حين قال في ضلالهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فذرهم في غمرتهم حتى حين قال الغمرة الغمر وقوله أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين يقول تعالى ذكره أيحسب هؤلاء الاحزاب الذين فرقوا دينهم زبرا ان الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين نسارع لهم يقول نسابق لهم في خيرات الآخرة ونبادر لهم فيها وما من قوله انما نمدهم به نصب لانها بمعنى الذي بل لا يشعرون يقول تعالى ذكره تكذيبا لهم ما ذلك كذلك بل لا يعلمون أن امدادي اياهم بما أمدهم به من ذلك انما هو املاء واستدراج لهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما نمدهم قال نعطيهم نسارع لهم قال نزيدهم في الخير نملي لهم قال هذا القريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمر بن علي قال ثني أشعث بن عبد الله قال ثنا شعبة عن خالد الحذاء قال قلت لعبد الرحمن بن أبي بكرة قول الله نسارع لهم في الخيرات قال يسارع لهم في الخيرات وكأن عبد الرحمن بن أبي بكرة وجه بقراءته ذلك كذا الى أن تأويله نسارع لهم امدادنا اياهم بالمال والبنين في الخيرات ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون) يعني تعالى ذكره بقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ان الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته جادون في طلب مرضاته والذين هم بآيات ربهم يؤمنون يقول والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدقون والذين هم بربهم لا يشركون يقول والذين يخلصون لربهم عبادتهم فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثن ولا لصنم ولا يراؤن بها أحدا من خلقه ولكنهم يجعلون

وتربيتها وتربية صفاتها لاستكمال القالب الى حد البلوغ والاستعداد لتحمل اعباء تكاليف الشرع وآويناهما يعني مريم النفس وعيسى القلب الى ربوة القالب الذي فيه قرارهما ويجري فيه ماء معين الحكمة من القلب على اللسان يا أيها الرسل أي القوى المرسلة الى القالب (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت

آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم (٢٢) وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون)

القراآت تهجرون بضم التاء وكسر الجيم نافع الآخرون بفتح التاء وضم الجيم خرجا فخراج بغير الالف فيهما ابن عامر كلاهما بالالف حمزة وعلي وخلف الباقون بحذف الالف من الاول واثباتها في الثاني فتحنا بالتشديد يزيد سيقولون الله الثانية والثالثة أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون باللام فيهما كالاول حملا على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا في معنى واحد * الوقوف مشفقون ٥ لا يؤمنون ٥ لا يشركون ٥ لا راجعون ٥ لا لان الكل معطوفات على اسم ان وجلة والخبر أولئك الجملة سابقون ٥ لا يظلمون ٥ عاملون ٥ تجأرون ٥ لا لحق القول لا يبصرون ٥ تنكصون ٥ لا لان ما بعده حال مستكبرين ٥ قد قيل على جعل الجار والمجرور مفعول سامرا أو مفعول تهجرون ٥ الاولين ٥ منكرون ٥ لصورة الاستفهام وهو العطف جنة ط كارهون ٥ فيهن معرضون ٥ ط لان الاستفهام انكار خبرز وقد قيل بناء على ان الواو للابتداء والحال أوجه الرازقين ٥ مستقيم ٥ لناكبون ٥ يعمهون ٥ يتضرعون ٥ مبلسون ٥ والافئدة ط يشكرون ٥ يحشرون ٥

أعمالهم لوجهه خالصا واياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شئ سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) يعني تعالى ذكره بقوله والذين يؤتون ما آتوا والذين يعطون أهل سهمان الصدقة ما فرض الله لهم في أموالهم ما آتوا يعني ما أعطوهم اياه من صدقة ويؤدون حقوق الله عليهم في أموالهم الى أهلها وقلوبهم وجلة يقول خائفة من أنهم الى ربهم راجعون فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله فهم خائفون من المرجع الى الله لذلك كما قال الحسن ان المؤمن من جمع احسانا وشفقة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبجر عن رجل عن ابن عمر يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الزكاة **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد وقلوبهم وجلة قال المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي الاشهب عن الحسن قال يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعملون ما عملوا من أعمال البر وهم يخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال المؤمن ينفق ماله ويتصدق وقلبه وجل انه الى ربه راجع **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن انه كان يقول ان المؤمن جمع احسانا وشفقة وان المنافق جمع اساءة وأمنا ثم تلا الحسن ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الى وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون وقال المنافق انما أوتيته على علم عندي **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة يؤتون ما آتوا قال يعطون ما أعطوا وقلوبهم وجلة يقول خائفة **حدثنا** خلاد بن أسلم قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنا سالم الافطس عن سعيد بن جبير في قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون الى الموت وهي من المبشرات **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا ويعملون ما عملوا من خير وقلوبهم وجلة خائفة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثنا** علي قال ثني معاوية عن ابن عباس قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة يقول يعملون خائفين قال **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا فرقا من الله ووجلا من الله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يؤتون ما آتوا ينفقون ما أنفقوا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا وينفقون ما أنفقوا ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم

والنهار ط يعقلون ° الاولون ° لمبعوثون ° الاولين ° يعلمون ° لله ط تذكرون ° العظيم ة لله ط تتقون ° يعلمون ° لله ط تسحرون ° لكاذبون ° * التفسير انه سبحانه لما نفى الخيرات الحقيقية عن الكفرة المتنعمين اتبعه ذكر من هو أهل الخيرات عاجلا وآجلا فوصفهم بصفات أربع الاولى الاشفاق من خشية ربهم وظاهره ينبئ عن تكرار لان الاشفاق يتضمن الخشية فمنهم من قال جمع بينهما للتأكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب أي من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبي ومقاتل ومنهم من حمل الاشفاق على أثره وهو الدوام في الطاعة والمعنى الذين هم من خشيته دائمون على طاعته

جادون في طلب مرضاته ومنهم من قال الاشفاق كمال الخوف أي هم من سخط الله عاجلا ومن عقابه آجلا في نهاية الخوف ويلزم ذلك ان يكونوا في غاية الاحتراز عن المعاصي وفيه انهم اذا كانوا خائفين من الخشية فلان يخافوا من عدم الخشية أولى الثانية قوله والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والظاهر انها القرآن وقيل هي المخلوقات الدالة على وجود الصانع وليس المراد التصديق بوجودها فقط فان ذلك معلوم بالضرورة فلا يوجب المدح بل التصديق بكونها دلائل موصلة الى العرفان ويتبعه الاقرار اللساني ظاهرا الثالثة التبري عما سوى الله ظاهرا وباطنا بان لا يشرك به طرفة عين الرابعة قوله والذين يؤتون ما آتوا أي يعطون ما أعطوا وقلوبهم وجلة خائفة في شأن ذلك الاعطاء ثم علل ذلك الوجل بقوله انهم أي لانهم الى ربهم راجعون فان من اعتقد الرجوع الى الجزاء والمساءلة ونشر الصحف وتتبع الاعمال وعلم ان المجازي هو الذي لا يخفى عليه الضمائر والسرائر لم يخل عمله من حسن النية وخلوص الطوية بحيث يكون أبعد عن الرياء وأدخل في الاخلاص والظاهر ان هذا الايتاء يختص بالزكاة والتصدق ويحتمل ان يراد اعطاء كل فعل أو خصلة أي اتيانها ويؤيده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ويأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوا وعن عائشة أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا بنت الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه وفي قوله يسارعون في الخيرات معنيان أحدهما يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا وجوه المنافع والاكرام لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها قال جار الله وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقال في قوله وهم لها

وجلة اتقاء لسخط الله والنار وعلى هذه القراءة أعني على والذين يؤتون ما آتوا قراءة الامصار وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرأ لاجماع الحجة من القراء عليه ووفاقه خط مصاحف المسلمين وروي عن عائشة رضي الله عنها في ذلك ما حدثناه أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا علي بن ثابت عن طلحة بن عمرو عن أبي خلف قال دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة فسألها عبيد كيف نقرأ هذا الحرف والذين يؤتون ما آتوا فقالت يأتون ما أتوا وكأنها تأولت إني ذلك يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قالت عائشة يا رسول الله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه فقال لا ولكن من يصوم ويصلي ويتصدق وهو وجل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب ان عائشة قالت قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يذنبون وهم مشفقون ويصومون وهم مشفقون حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن مغيث عن رجل من أهل مكة عن عائشة قالت قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة قال فذكر مثل هذا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد عن عائشة أنها قالت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر قال لا يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني جرير عن ليث بن أبي سليم وهشيم عن العوام بن حوشب جميعا عن عائشة انها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق هم الذين يصلون ويفرقون أن لا يتقبل منهم وان من قوله أنهم الى ربهم راجعون في موضع نصب لان معنى الكلام وقلوبهم وجلة من أنهم فلما حذفت من اتصال الكلام قبلها فنصبت وكان بعضهم يقول هي في موضع خفض وان لم يكن الخافض ظاهرا وقوله أولئك يسارعون في الخيرات يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم يبادرون في الاعمال الصالحة ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولئك يسارعون في الخيرات قال والخيرات المخافة والوجل والايمان والكف عن الشرك بالله فذلك المسابقة الى هذه الخيرات وقوله وهم لها سابقون كان بعضهم يقول معناه سبقت لهم من الله السعادة فذلك سبوقهم الخيرات التي يعملونها ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وهم لها سابقون يقول سبقت لهم السعادة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهم لها سابقون فتلك الخيرات وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى وهم اليها سابقون وتأوله آخرون وهم من أجلها سابقون * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن

سابقون انه منزل منزلة المفعول أو منوي به أي فاعلون السبق لاجلها أوسابقون الناس لاجلها والمراد اياها سابقون كقولك هو لزيد ضارب بمعنى هو زيدا ضارب جئت باللام لضعف عمل اسم الفاعل ولاسيما فيما قبله والمعنى انهم ينالون الخيرات قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وجوز ان يكون لها سابقون خبرين أحدهما بعد الآخر كقولك هذا هو لهذا الامر أي صالح له وحين انجر الكلام الى ذكر أعمال المكلفين ذكر حكمين لها الاول قوله ولا نكلف نفسا الا وسعها وفي الوسع قولان أحدهما انه الطاقة والآخر انه دون الطاقة وهو قول المعتزلة ومقاتل والضحاك والكلبي لانه

اتسع فيه على المكلف ولم يضيق مثاله ان لم يستطع ان يصلي قائما فليصل قاعدا والا فليوم ايماء وفيه ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من وسعهم الثاني قوله ولدينا كتاب ينطق والمراد بنطقه اثبات كل عمل فيه وهو اللوح أو صحيفة الاعمال لا يقرؤن منها يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل والبحث بين الاشاعرة والمعتزلة في مثل هذا المقام معلوم أما قوله بل قلوبهم في غمرة من هذا ففيه طريقان أحدهما راجع الى الكفار والمعنى بل قلوب الكفار في غفلة غامرة لها من هذا الذي بيناه في القرآن أو من هذا الذي ينطق بالحق أو الذي عليه هؤلاء المؤمنون ولهم أعمال متجاوزة لذلك الذي وصف به المؤمنون كمتابعة الهوى وطلب الدنيا والاعراض عن المولى هم لها عاملون في الحال على سبيل الاعتياد لا يفطمون عنها حتى يأخذهم العذاب أو في الاستقبال لانها مبينة في علم الله مكتوبة في اللوح عليهم ان يعملوا بها بحكم الشقاء الازلي وثانيهما وهو اختيار أبي مسلم ان هذه الآيات من صفات المشفقين كأنه سبحانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ونهاية ما أتى به هؤلاء ولدينا كتاب يحفظ أعمالهم بل قلوبهم في غمرة من هذا الذي وصفناهم به أهو مقبول عند الله أم مردود ولهم أعمال من دون ذلك الذي وصف هم لها عاملون وهي النوافل السرية والاعمال القلبية ثم انه رجع الى وصف الكفار بقوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب وهو عذاب الآخرة أو قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد والجؤار الصراخ باستغاثة ثم أخبر أنه يقال لهم حينئذ على جهة التبكيت لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون لا تغاثون من جهتنا أو لا تمنعون منا ثم عدد عليهم التوبيخ بقبائحهم ومعنى النكوص على العقبين التباعد عن الحق

عباس من انه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها وانما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام لان ذلك أظهر معنييه وانه لا حاجة بنا اذا وجهنا تأويل الكلام الى ذلك الى تحويل معنى اللام التي في قوله وهم لها الى غير معناها الاغلب عليها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون) يقول تعالى ذكره ولا نكلف نفسا الا ما يسعها ويصلح لها من العبادة ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع ولدينا كتاب ينطق بالحق يقول وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من عمل في الدنيا لا زيادة عليه ولا نقصان ونحن موفو جميعهم أجورهم المحسن منهم باحسانه والمسيء باساءته وهم لا يظلمون بان يزاد على سيآت المسيء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جرمه وينقص المحسن عما عمل من احسانه فينقص عما له من الثواب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) يقول تعالى ذكره ما الامر كما يحسب هؤلاء المشركون من أن امدادناهم بما نمدهم به من مال وبنين بخير نسوقه بذلك اليهم ولرضى منا عنهم ولكن قلوبهم في غمرة عن هذا القرآن وعنى بالغمرة ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج وعنى بقوله من هذا من القرآن وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله في غمرة من هذا قال في عمى من هذا القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله في غمرة من هذا قال من القرآن وقوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون يقول تعالى ذكره ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصي من دون ذلك يقول من دون أعمال أهل الايمان بالله وأهل التقوى والخشية له وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال الخطايا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولهم أعمال من دون ذلك قال الحق قال حدثنا حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله ولهم أعمال من دون ذلك الآية قال أعمال دون الحق حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة ثم قال للكفار بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال من دون الاعمال التي منها قوله من خشية ربهم مشفقون والذين والذين حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها

حدثنا

حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد بن أبي الزرقاء عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن عن قول الله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال أعمال لم يعملوها سيعملوها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال لم يكن له بد من أن يستوفي بقية عمله ويصلى به حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد في قوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال أعمال لابد لهم من أن يعملوها حدثنا عمرو قال ثنا مروان بن معاوية عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى ولهم أعمال من دون ذلك قال أعمال لابد لهم من أن يعملوها

القول في تأويل قوله تعالى (حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون) يقول تعالى ذكره ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون الى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب كما حدثنا يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قال المترفون العظماء اذا هم يجأرون يقول فاذا أخذناهم به جأروا يقول ضجوا واستغاثوا مما حل بهم من عذابنا ولعل الجؤار رفع الصوت كما يجأر الثور ومنه قول الاعشى

يراوح من صلوات المليك ٭ طورا سجودا وطورا جؤارا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس اذا هم يجأرون يقول يستغيثون حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قال ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد في قوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون قال بالسيوف يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس في قوله اذا هم يجأرون قال يجزعون قال حدثني حجاج عن ابن جريج حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قال عذاب يوم بدر اذا هم يجأرون قال الذين بمكة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب يعني أهل بدر أخذهم الله بالعذاب يوم بدر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله اذا هم يجأرون قال يجزعون وقوله لا تجأروا اليوم يقول لا تضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم فان ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيأ مما قد نزل بكم من سخط الله انكم منا لا تنصرون يقول انكم من عذابنا الذي قد حل بكم لا تستنقذون ولا يخلصكم منه شيء وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس لا تجأروا اليوم لا تجزعوا اليوم حدثني يونس قال أخبرنا الربيع بن أنس لا تجأروا اليوم لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب انه لا ينفعكم فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم

القول في تأويل قوله تعالى (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش لا تضجوا اليوم وقد نزل بكم

والتجافي عنه كمن رجع على ورائه وقد مر في الانعام وفي مرجع الضمير في به أقوال أحدها انه البيت العتيق أو الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت والتفاخر بولايته والقيام به وكانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم وثانيها مستكبرين بهذا التراجع والتباعد وثالثها مستكبرين بالقرآن على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أو على ان الباء السببية لان سماع القرآن كان يحدث لهم استكبارا وعتوا ورابعها أنه يتعلق بسامرا أو بتهجرون والهجر بالضم الفحش وبالفتح الهذيان والهجر في منطقه اذا أفحش والضمير للقرآن أو للنبي أي لتسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه أو في النبي وكانت عامة سمرهم حول البيت ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع ثم بين ان سبب اقدامهم على الكفر أحد أمور أربعة الاول عدم التدبر في القرآن لانهم ان تدبروه وتأملوا مبانيه ومعانيه ظهر لهم صدقه واعجازه فيصدقوا به وبمن جاء به الثاني قوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين والمراد أمر الرسالة ثم المقصود تقرير انه لم يأت آباءهم الاقربين رسول كقوله لينذر قوما ما أنذر آباؤهم فلذلك أنكروه واستبعدوه أو تقرير انه أتى آباءهم الاقدمين رسل وذلك انهم عرفوا بالتواتر ان رسل الله فيهم كثيرة وكانت الامم بين مصدق ناج وبين مكذب هالك بعذاب الاستئصال فما دعاهم ذلك الى تصديق هذا الرسول وآباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وقيل أراد أفلم يدبروا القرآن فيخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الامر ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا تبعا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن

مرة فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما الثالث قوله أم لم يعرفوا نبيه بذلك على انهم عرفوه وعرفوا صحة نسبه وأمانته فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على انه أمين الرابع نسبتهم اياه الى الجنون وكانوا يعلمون انه أرجحهم عقلا ولكنه جاء بما يخالف هواهم فتشككوا في أمره أو شككوا العوام ابقاء على مناصبهم ورياستهم ثم اضرب عن أقوالهم منبها على مصدوقية أمر النبي فقال بل جاءهم متلبسا بالحق أو الباء للتعدية والحق الدين القويم والصراط المستقيم وأكثرهم للحق كارهون وأقلهم كانوا

سخط الله وعذابه بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم بآياته بكم قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني آيات كتاب الله يقول كانت آيات كتابي تقرأ عليكم فتكذبون بها وترجعون مولين عنها اذا سمعتموها كراهية منكم لسماعها وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء نكص فلان على عقبه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فكنتم على أعقابكم تنكصون قال تستأخرون **حدثنى** علي قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فكنتم على أعقابكم تنكصون يقول تدبرون **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم يعني أهل مكة **حدثنى** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تنكصون قال تستأخرون وقوله مستكبرين به يقول مستكبرين بحرم الله يقولون لا يظهر علينا فيه أحد لانا أهل الحرم وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله مستكبرين به يقول مستكبرين بحرم البيت انه لا يظهر علينا فيه أحد **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله مستكبرين به قال بمكة بالبلد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن مستكبرين به قال مستكبرين بحرمي **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير في قوله مستكبرين به بالحرم **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مستكبرين قال مستكبرين بالحرم **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله مستكبرين به قال بالحرم وقوله سامرا يقول تسمرون بالليل ووحد قوله سامرا وهو بمعنى السمار لانه وضع موضع الوقت ومعنى الكلام تهجرون ليلا فوضع السامر موضع الليل فوحد لذلك وقد كان بعض البصريين يقول وحد ومعناه الجمع كما قيل طفل في موضع أطفال ومما يبين عن صحة ما قلنا في انه وضع موضع الوقت فوحد لذلك قول الشاعر

من دونهم ان جئتهم سمرا * عزف القيان ومجلس غمر

فقال سمرا لان معناه ان جئتهم ليلا وهم يسمرون وكذلك قوله سامرا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله سامرا يقول يسمرون حول البيت **حدثنى** محمد بن عمرو قال

ثنا

لا يكرهونه وان لم يظهروا الايمان به خوفا من قالة الاعداء كما يحكى عن أبي طالب ولهذا جاء الخلاف في صحة اسلامه ثم بين ان الالهية تقتضى الاستقلال في الاوامر والنواهي وان الحق والصواب ينحصر فيما دبره اله العالمين وقدره فقال ولو اتبع الحق أهواءهم نظيره ما مر في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل الحق الاسلام والمراد لو انقلب الاسلام شركا كما تقتضيه أهواؤهم لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة الحق هو الله والمعنى لو كان الله آمرا بالشرك والمعاصي على وفق آرائهم لما كان الها ولكن شيطانا فلا يقدر على امساك السموات والارض وحينئذ يختل نظام العالم (٢٦) ثم ذكر ان نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال بل أتيناهم بذكرهم ان كانت الباء للتعدية فظاهر وان كانت للمصاحبة فعلى حذف مضاف أي أتاهم رسولنا متلبسا بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو صيتهم وفخرهم أو الاضافة بدل اللام العهدي أي بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ثم بين ان دعوته ليست مشوبة بالطمع الموجب للنفرة فقال أم تسألهم خرجا أي جعلا وكذا الخراج وقد مر في آخر الكهف وقيل الخرج أقل ولذا قرأ الاكثرون خرجا فخراج يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وحين أثبت لرسوله مواجب قبول قوله ونفى عنه اضدادها صرح بمضمون أمره ومكنون سره فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم هو دين الاسلام لا تدعوهم الى غيره من الطرق المنحرفة عن جادة الصواب وأشار الى هذه الطرق بقوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة هم المذكورون فيما تقدم أو كل من لا يؤمن بالآخرة عن الصراط المستقيم المذكور لناكبون والتركيب يدور على العدول عن القصد ومنه المنكب لمجمع عظم العضد والكتف والنكباء للريح التي تعدل عن مهاب الرياح للقوم ثم بين اصرارهم على الكفر بقوله ولو رحمناهم الآية يروى انه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله ان يكشف عنا الضر فانزل الله الآية والمعنى لو كشف الله برحمته هذا الهزال والجوع عنهم لاصروا على ما هم فيه من الطغيان ثم استشهد على ذلك بقوله ولقد أخذناهم أي قبل ذلك بالعذاب يعني ما جرى عليهم يوم بدر فما استكانوا لربهم أي ما خضعوا له وقدم

ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سامرا تهجرون قال مجلسا بالليل حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد سامرا قال مجالس حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير سامرا قال تسمرون بالليل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله سامرا قال كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله سامرا قال يعني سمر الليل وقال بعضهم في ذلك ما حدثنا به ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سامرا يقول سامرا من أهل الحرم آمنا لا يخاف كانوا يقولون نحن أهل الحرم لا يخافون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة سامرا يقول سامرا من أهل مكة آمنا لا يخاف قال كانوا يقولون نحن أهل الحرم لا نخاف وقوله تهجرون اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء الامصار تهجرون بفتح التاء وضم الجيم ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالاعراض عن القرآن أو البيت أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه والآخر أن يكون عنى انهم يقولون شيأ من القول كما يهجر الرجل في منامه وذلك اذا هذى فكأنه وصفهم بانهم يقولون في القرآن ما لا معنى له من القول وذلك أن يقولوا فيه باطلا من القول الذي لا يضره وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل ذكر من قال كانوا يعرضون عن ذكر الله والحق ويهجرونه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تهجرون قال يهجرون ذكر الله والحق حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن السدي عن أبي صالح في قوله سامرا تهجرون قال السب ذكر من قال كانوا يقولون الباطل والسيء من القول في القرآن حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير تهجرون قال يهجرون في الباطل قال حدثنا يحيى عن سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير سامرا تهجرون قال يسمرون بالليل يخوضون في الباطل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يهجرون قال بالقول السيء في القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تهجرون قال الهذيان الذي يتكلم بما لا يريد ولا يعقل كالمريض الذي يتكلم بما لا يدري قال وكان أبي يقرؤها سامرا تهجرون وقرأ ذلك آخرون سامرا تهجرون بضم التاء وكسر الجيم وممن قرأ ذلك كذلك من قراء الامصار نافع بن أبي نعيم بمعنى يفحشون في المنطق ويقولون الخنا من قولهم أهجر الرجل اذا أفحش في القول وذكر أنهم كانوا يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك

اشتقاقه في آل عمران وما يتضرعون عدل الى المضارع لانه أراد وما من عادة هؤلاء ان يتضرعوا حتى فتحنا عليهم باب العذاب الشديد وهو الجوع الذي هو أشد من الاسر والقتل فابلسوا الساعة أي خضعت رقابهم وجاء أعناقهم وأشدهم شكيمة وأخشنهم عريكة يستعطفك ويحتمل ان يراد محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما شوهد منهم انقياد للحق وهم كذلك اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون والابلاس السكوت مع تحير أو اليأس من كل خير ثم نبه بقوله وهو الذي أنشألكم على ان أسباب التأمل في الدلائل موجودة وأبواب الاعذار بالكلية مسدودة فما كفر من كفر ولا عند من عند الا للشقاء الازلي وفي قوله قليلا (٢٧) ماتشكرون أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتوكيد دليل على ان المقر أقل من الجاحد وعن أبي مسلم أنه قال أراد بالقلة العدم وفي الآية ثلاثة معان أحدها اظهار النعمة وثانيها مطالبة العباد بالشكر عليها فشكر السمع ان لا يسمع الا لله وبالله ومن الله وشكر البصر ان ينظر بنظر العبرة لله وبالله والى الله وشكر الفؤاد تصفيته عن رين الاخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين لشهوده بالله وثالثها الشكاية ان الشاكر قليل ثم بين دلائل أخرى على الوحدانية فقال وهو الذي ذرأكم أي خلقكم وبثكم في الارض للتناسل والى حيث لا مالك سواه تحشرون بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وفيه مع تذكر نعمة الحياة بيان أن المقصود منها الانتقال الى دار الثواب وله اختلاف الليل والنهار أي هو يختص بتصريفهما أو انهما يشبهان الموت والحياة وفي قوله أفلا تعقلون توبيخ وتهديد ثم نبه بقوله بل قالوا الآيات على انه لا شبهة لهم في انكار البعث الا التشبث بحبل التقليد والاستبعاد قال علماء المعاني قوله لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا وارد على الاصل لان التأكيد مذكور عقيب المؤكد وبعده المفعول الثاني وأما في سورة النمل فبسبب تقديم المفعول الثاني على الضمير وعلى المعطوف هو انه اقتصر هنالك على قوله ترابا والتراب أبعد في باب الاعادة من العظام فقدم ليدل على مزيد الاعتناء به في شان الاستنكار ثم رد على منكري الاعادة أو على عبدة الاوثان بقوله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون أي ان كان عندكم علم فاجيبوني وفيه استهانة بهم وتجهيل لهم بامر الديانات حتى جوز ان يشتبه عليهم مثل هذا المكشوف الجلي وفي قوله أفلا تذكرون ترغيب في التدبر وبعث على التامل في أمر التوحيد والبعث فان من قدر على اختراع الارض ومن فيها كان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه وكان قادرا على اعادة ما أفناه وفي قوله أفلا تتقون مثل هذا الترغيب مع التخويف وكان أولى بالآية الثانية

لاجل التدرج والتعظيم السموات والعرش ولان تذكر واجب الوجود مقدم على اتقاء مخالفته قال المبرد الله أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء من يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا ان كنتم تعلمون بهذه الصفة غيره فاجيبوني به ومعنى تسحرون تخدعون والخادع هو الشيطان والهوى ثم بين بقوله بل أتيناهم بالحق انه قد بالغ في الحجاج عليهم بهذه الآيات حتى استبان بما هو الحق والصدق وانهم مع ذلك لكاذبون حيث يدعون له الولد والشريك وينسبون اليه العجز عن الاعادة * التأويل من خشية ربهم مشفقون اشارة الى استيلاء سلطان الهيبة في الحضور (٢٨) والغيبة بآيات ربهم يؤمنون هي ما يكاشف لهم من شواهد الحق في السر والعلانية بربهم لا يشركون هو ترك الملاحظة في رد الناس وقبولهم ومدحهم وذمهم وانقطاع النظر في الضار والضار عن الوسائط والاسباب يسارعون في الخيرات يتوجهون الى الله وينقطعون عما سواه وهم لها سابقون على قدر سبق العناية ولا نكلف نفسا الا وسعها كلفهم ان يقولوا لا اله الا الله وهم قادرون على ذلك وأمرهم بقبول دعوة الانبياء وماهم بعد بعاجزين عنه وقد كتب في اللوح انهم يقدرون على هذه التكاليف وهم لا يظلمون فلا يكلفون ما ليس في وسعهم واستعدادهم حتى اذا أخذنا أكابر مجرميها مجرميهم بعذاب فساد الاستعداد لفسدت سموات أرواحهم وأرض نفوسهم ومن فيهن من القلب والسر وهو خير الرازقين فيه ان العلماء بالله عليهم ان لا يدنسوا وجوه قلوبهم الناضرة بدنس الاطماع الفارقة ولقد أخذناهم أولا بعذاب الغين حتى اذا فتحنا عليهم باب عذاب الرين يحيي بنوره قلوب بعض عباده ويميت نفوسهم عن صفاتها الذميمة أو يحيي بعض النفوس باتباع شهواتها ويميت بعض القلوب باستيلاء ظلمات الطبيعة عليها وله اختلاف ليل البشرية ونهار الروحانية أو طول ليل الفراق وقصر نهار الوصال قالوا أئذا متنا فيه ان اليأس من الوصول والوصال ليس من شيم أهل الكمال فقد تقوم قيامة العشق فيبعث القلب الميت أو من كان ميتا فأحييناه ملكوت كل شيء هي جهة روحانيته وهو يجير الاشياء بقيوميته عن الهلاك ولا مانع له ممن أراد به أن لا يجيره (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن ومن

حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس تهجرون قال تقولون هجرا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن أبي نهيك عن عكرمة أنه قرأ سامرا تهجرون أي تسبون حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله سامرا تهجرون رسولي حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قال الحسن تهجرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن تهجرون كتاب الله ورسوله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله تهجرون يقول يقولون المنكر والخناء من القول كذلك هجر القول * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا التي عليها قراء الامصار وهي فتح التاء وضم الجيم لاجماع الحجة من القراء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون) يقول تعالى ذكره أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه فيعلموا ما فيه من العبر ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين يقول أم جاءهم أمر مالم يأت من قبلهم من أسلافهم فاستكبروا ذلك وأعرضوا فقد جاءت الرسل من قبلهم وأنزلت معهم الكتب وقد يحتمل أن تكون أم في هذا الموضع بمعنى بل فيكون تأويل الكلام أفلم يدبروا القول بل جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه اذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك وقد ذكر عن ابن عباس في ذلك نحو هذا القول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة عن ابن عباس في قوله أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين قال لعمري لقد جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ولكن أولم يأتهم مالم يأت آباءهم الاولين ٧ وقوله أم لم يعرفوا رسولهم يقول تعالى ذكره أم لم يعرف هؤلاء المكذبون محمدا وانه من أهل الصدق والامانة فهم له منكرون يقول فينكروا قوله أو لم يعرفوه بالصدق ويحتجوا بانهم لا يعرفونه يقول جل ثناؤه فكيف يكذبون وهم يعرفونه فيهم بالصدق والامانة أم يقولون به جنة يقول أيقولون بمحمد جنون فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول بل جاءهم بالحق يقول تعالى ذكره فان يقولوا ذلك فكذبهم في قيلهم ذلك واضح بين وذلك أن المجنون يهذي فيأتي من الكلام بما لا معنى له ولا يعقل ولا يفهم والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحق الذي لا تخفى صحته على ذي فطرة صحيحة فكيف يجوز أن يقال هو كلام مجنون وقوله وأكثرهم للحق كارهون يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء الكفرة انهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول وفيما يدعوهم اليه ولكن أكثرهم للاذعان للحق كارهون ولاتباع محمد ساخطون حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الارض ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض

يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون (٢٦) انى جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

القراآت عالم بالرفع أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وعاصم غير حفص الا الخزاز وقرأ رويس بالخفض اذا وصل أو بالرفع اذا ابتدأ الآخرون بالخفض لعلى أعمل بسكون الياء عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان شقاوتنا حمزة وعلى وخلف والمفضل الباقون شقوتنا بكسر الشين وسكون القاف فى غير ألف سخريا بضم السين وكذلك فى صاد أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف والمفضل والخزاز عن هبيرة الآخرون بكسرها انهم بالكسر حمزة وعلى والخزاز عن هبيرة قل كم قل ان لبثتم على الامر فيهما حمزة وعلى وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل وافق ابن كثير فى الاول لا ترجعون على البناء للفاعل يعقوب وحمزة وعلى وخلف * الوقوف على بعض ط يصفون ه ط لمن قرأ بالرفع الى هو عالم ومن خفض لم يقف لانه بدل أو وصف يشركون ه ماتوعدون ه لا لان قوله فلا جواب الشرط وهو اما والنداء عارض الظالمين ه لا لقادرون ه السيئة ط يصفون ه الشياطين ه لا يحضرون ه ارجعون ه لا لتعلق لعل كلا ط لانها الردع عما قبلها أى لا يرجع وقيل مبتدأ بها بمعنى حقا والاول أحسن قائلها ط يبعثون ه ولا يتساءلون ه المفلحون ه خالدون ه كالحون ه مكذبون ه ضالين ه ظالمون ه ولا تكلمون ه الراحمين ج ه للآية والوصل أجوز لشدة اتصال المعنى والفاء يضحكون ه صبروا ط

ومن فيهن بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) يقول تعالى ذكره ولو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وارادتهم وترك الحق الذى هم له كارهون لفسدت السموات والارض ومن فيهن وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الامور والصحيح من التدبير والفاسد فلو كانت الامور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع ايثار أكثرهم الباطل على الحق لم تقر السموات والارض ومن فيهن من خلق الله لان ذلك قام بالحق وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا السدى عن أبى صالح ولو اتبع الحق أهواءهم قال الله قال حدثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح ولو اتبع الحق أهواءهم قال الحق هو الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولو اتبع الحق أهواءهم قال الحق الله وقوله بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون اختلف أهل التأويل فى تأويل الذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم هو بيان الحق لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بل أتيناهم بذكرهم يقول بينا لهم وقال آخرون بل معنى ذلك بل أتيناهم بشرفهم وذلك ان هذا القرآن كان شرفا لهم لانه نزل على رجل منهم فاعرضوا عنه وكفروا به وقالوا ذلك نظير قوله وانه لذكر لك ولقومك وهذان القولان متقاربا المعنى وذلك ان الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما لخلقه اليه الحاجة من أمر دينهم وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشرف لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أم تسئلهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خرجا يعنى أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحق فخراج ربك خير فاجر ربك على نفاذك لامره وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا قال لهم كما قال الله له وأمره بقيله لهم قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وانما معنى الكلام أم تسئلهم على ما جئتهم به أجرا فنكصوا على أعقابهم اذا تلوته عليهم مستكبرين بالحرم فخراج ربك خير وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير قال أجرا حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن مثله واصل الخراج والخرج مصدران لا يجتمعان وقوله وهو خير الرازقين يقول والله خير من أعطى عوضا على عمل ورزق رزقا وقوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم يقول تعالى ذكره وانك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك الى دين الاسلام وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذى لا اعوجاج فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم

لمن قرأ أنهم بالكسر لفائزون ٥ سنين ٥ العادين ٥ يعلمون ٥ لا يرجعون ٥ الحق ٥ لا لأن ما بعده يصلح مستأنفا وحالا أي تعالى متوحدا غير مشارك الا هو ٥ لا لأن قوله رب العرش يصلح بدلا من هو وخبر مبتدأ محذوف الكريم ط آخر لا لأن الجملة بعده صفة ربه لا لأن ما بعده جواب عند ربه ط الكافرون ٥ الراحمين ٥ * التفسير لما أثبت لنفسه الالهية بالدلائل الالزامية في الآيات المتقدمة نفى عن نفسه الانداد والاضداد بقوله ما اتخذ الله من ولد وبقوله وما كان معه من اله وفيه رد على القائلين بأن الملائكة بنات الله وابطال لأقوال اليهود والنصارى والثنوية ثم ذكر (٣٠) شبه دليل التمانع بقوله اذا لذهب وهو جواب لمن معه المحاجة من أهل الشرك وجواب الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق تقديره ولو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد منهم بالخلق الذي خلقه واستبد به لأن اجتماعهم على خلق واحد لا يتصور فان ذلك يكون مقتضى عجز الواحد عن ذلك الخلق وحينئذ يكون ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخرين ولعلا بعضهم على بعض أي لغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا من تمايز الممالك ومن التغالب وعدم اللازم يدل على عدم الملزوم فلذلك ختم الآية بقوله سبحان الله عما يصفون الى قوله عما يشركون ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق ومحاسن العادات قائلا قل رب اما تريني أي ان كان لابد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم وقد يجوز أن يستعيذ العبد بالله مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية واستكانة له ويؤيده تكرار رب مرتين وكانوا ينكرون العذاب ويسخرون منه فأكد وقوعه بقوله وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون قيل فيه دليل على ان القدرة تصح على المعدوم لانه أخبر أنه قادر على

يعمهون) يقول تعالى ذكره والذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات وقيام الساعة ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة عن الصراط لناكبون يقول عن محجة الطريق وقصد السبيل وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده لعادلون يقال منه قد نكب فلان عن كذا اذا عدل عنه ونكب عنه أي اعدل عنه وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله عن الصراط لناكبون قال لعادلون حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون يقول عن الحق عادلون وقوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يقول تعالى ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ودفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضر الجوع والهزال للجوا في طغيانهم يعني في عتوهم وجرأتهم على ربهم يعمهون يعني يترددون كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج في قوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قال الجوع ❁ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) يقول تعالى ذكره ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا وأنزلنا بهم بأسنا وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم وأجدبنا بلادهم وقتلنا سراتهم بالسيف فما استكانوا لربهم يقول فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه وينيبوا الى طاعته وما يتضرعون يقول وما يتذللون له وذكر ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسني الجدب اذ دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الخبر بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة عن الحسن عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز يعني الوبر والدم فانزل الله ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس ان ابن أثال الحنفي لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير فخلى سبيله فلحق باليمامة فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز فجاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أليس تزعم بأنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فانزل الله ولقد أخذناهم بالعذاب الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال أخبرنا عمرو قال قال الحسن اذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء فانما هي نقمة فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية ولكن استقبلوها بالاستغفار وتضرعوا الى الله وقرأ هذه الآية ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولقد أخذناهم بالعذاب قال الجوع والجدب فما استكانوا لربهم فصبروا وما استكانوا لربهم وما يتضرعون ❁ القول في تأويل قوله تعالى (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون)

تعجيل عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك ثم أمره بالصفح عن سيئاتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كان أحسن لأنها حسنة مضاعفة بازاء سيئة أو نقول المكافاة حسنة ولكن العفو أحسن عن ابن عباس هي شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد هي ان يسلم عليه اذا لقيه قيل هي منسوخة بآية السيف والاولى ان يقال هي محكمة لان المداراة مستحبة ما لم تؤد الى محذور نحن أعلم بما يصفون بما ليس فيك من المثالب والمراد انه أقدر على جزائهم فعليه ان يفوض أمرهم الى الله ويدفع أذاهم بالكلام الجميل والسلام وبيان الادلة على أحسن الوجوه ثم اتبع هذا التعليم ما يقوي به على ذلك وهو الاستعاذة

مبلسون) اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معناه حتى اذا فتحنا عليهم باب القتال فقتلوا يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود ابن أبى هند عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قد مضى كان يوم بدر حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الاعلى قال ثنا داود عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال يوم بدر وقال آخرون معناه حتى اذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر وهو الباب ذو العذاب الشديد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال لكفار قريش الجوع وما قبلها من القصة لهم أيضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا انه قال وما قبلها أيضا وهذا القول الذى قاله مجاهد أولى بتأويل الآية لصحة الخبر الذى ذكرناه قبل عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة المجاعة التى أصابت قريشا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وأمر ثمامة بن أثال وذلك لا شك انه كان بعد وقعة بدر وقوله اذا هم فيه مبلسون يقول اذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزنى نادمون على ما سلف منهم فى تكذيبهم بآيات الله فى حين لا ينفعهم الندم والحزن ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) يقول تعالى ذكره والله الذى أحدث لكم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات السمع الذى تسمعون به والابصار التى تبصرون بها والافئدة التى تفقهون بها فكيف يتعذر على من أنشأ ذلك ابتداء اعادته بعد عدمه وفقده وهو الذى يوجد ذلك كله اذا شاء ويفنيه اذا أراد قليلا ما تشكرون يقول تشكرون أيها المكذبون خبر الله من عطائكم السمع والابصار والافئدة قليلا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وهو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون) يقول تعالى ذكره وهو الذى خلقكم فى الارض واليه تحشرون من بعد مماتكم ثم تبعثون من قبوركم الى موقف الحساب ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون) يقول تعالى ذكره والله الذى يحيى خلقه يقول يجعلهم أحياء بعد ان كانوا نطفا أمواتا بنفخ الروح فيها بعد التارات التى تاتى عليها ويميت يقول ويميتهم بعد أن أحياهم وله اختلاف الليل والنهار يقول وهو الذى جعل الليل والنهار مختلفين كما يقال فى الكلام لك المن والفضل بمعنى لك تمن وتفضل وقوله أفلا تعقلون يقول أفلا تعقلون ايها الناس ان الذى فعل هذه الافعال ابتداء من غير أصل لا يمتنع عليه احياء الاموات بعد فنائهم وانشاء ما شاء اعدامه بعد انشائه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) يقول تعالى ذكره ما عتبر هؤلاء

بالله من همزات الشياطين والهمز النخس ومنه مهماز الرائض وذلك انهم يحثون الناس على المعاصى بانواع الوساوس كما يحث الرائض الدابة على المشى بالمهماز وهى حديدة تكون فى مؤخر خفه عن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد استفتاح الصلاة اللهم انى أعوذ بك من همزات الشياطين همزه ونفخه ونفثه فهمزه الجنون ونفثه الشعر ونفخه الكبر ثم أمره بالتعوذ من ان يحضروه أصلا كما يقال أعوذ بالله من خصومتك بل أعوذ بالله من لقائك وعن ابن عباس أراد الحضور عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع والاولى العموم عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد اشتكى اليه رجل أرقا به اذا أردت النوم فقل أعوذ (٣١) بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون قوله حتى اذا جاء قيل متعلق بقوله وانهم لكاذبون وقيل بصفون أى لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما اعتراض وتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم والمراد بمجىء الموت أماراته التى تحقق عندها الموت وصارت المعرفة ضرورية فحينئذ يسأل الرجعة ولا ينافى هذا السؤال الرجعة عند معاينة النار كقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد والاكثرون على انهم الكفار وروى الضحاك عن ابن عباس انها تشمل من لم يزك ولم يحج لقوله وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى وأما وجه الجمع فى قوله ارجعون مع وحدة المنادى فقيل ان الجمعية راجعة الى الفعل كأنه قال ارجع ارجع مرات ونظيره القيا فى جهنم أى الق الق وقيل رب للقسم والخطاب للملائكة القابضين للارواح أى بحق الله ارجعون والاقرب ان الجمع للتعظيم كقول الشاعر

ألا فارحمونى يا اله محمد ۞ وقوله

فان شئت حرمت النساء سواكم ۞

عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت فقال جار الله أى لعلى آتى بما تركته من الايمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلى أبنى على أس تريد أؤسس أسا وأبنى عليه وقيل أى فيما خلفت من المال والاولى العموم فيدخل فيه العبادات البدنية والمالية والحقوق كأنهم تمنوا الرجعة ليحلوا ما أفسدوه ويطيعوا فيما عصوا قيل كيف سألوا الرجعة وقد علموا صحة الدين بالضرورة ومن الدين ان لا رجعة والجواب بعد تسليم انهم عرفوا كل الدين ان الانسان قد يتمنى شيأ مع علمه بتعذره كقول القائل ليت الشباب يعود والاستغاثة بجنس هذه المسألة قد يحسن وقولهم لعلى ليس

المراد به الشك وانما هو كقول المقصر مكنونى لعلى أتدارك مع كونه جازما بانه سيتدارك و يحتمل انهم وان كانوا جازمين بذلك الآن أمر المستقبل مبنى على الظن والتخمين دون اليقين فلذلك أوردوا الكلام بصورة الترجى ثم ردعهم بقوله كلا أى ليس الامر على ما توهموه من امكان الرجعة انها كلمة والمراد بها طائفة من الكلام منتظم بعضها مع بعض وهى قوله ارجعون لعلى أعمل صالحا هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والحيرة عليه وهو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن و رائهم الضمير لكل المكلفين أى امامهم برزخ حائل بينهم و بين الجنة (٣٢) أو النار و بين الجزاء التام الى يوم يبعثون وذلك البرزخ هو مدة ما بين الموت الى البعث ولعل بعض الحجب من الاخلاق الذميمة يندفع فى هذه المدة وقال فى الكشاف حال بينهم و بين الرجعة ومعناه الاقناط الكلى لما علم انه لا رجعة يوم الاوم الآخرة ثم وصف يوم البعث بقوله فاذا نفخ فى الصور قد مر معناه فى أواخر طه وقوله فلا انساب بينهم ليس المراد به نفى النسب لان ذلك ثابت بالحقيقة فاذن المراد حكمه وما يتفرع عليه من التعاطف والتراحم والتواصل فقد يكون أحد القريبين فى الجنة والآخر فى النار و يكون بكل مكلف من اشتغال نفسه ما يمنعه من الالتفات الى أحوال نسبه عن قتادة لا شئ أبغض الى الانسان من ان يرى من يعرفه مخافة ان يثبت له عليه شئ وأما الجمع بين قوله ولا يتساءلون و بين قوله وأقبل بعضهم على البعض يتساءلون فظاهر لان هذا فى صفة أهل الموقف وذلك فى صفة أهل الجنة ولو سلم ان كليهما فى وصف أهل الموقف فلن نسلم اتحاد المواطن والازمنة وغيرها من الاعتبارات التى يقع فيها التساؤل كحقوق النسب ونحوها عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس حين يرمى الى كل انسان كتابه وعند الموازين وعلى جسر جهنم وقد مر مثل آية الموازين فى أول الاعراف فليرجع الى هنالك وقوله فى جهنم خالدون بدل من خسروا أنفسهم ولا محل له كالمبدل فان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لاولئك أو خبر مبتدأ محذوف ومعنى خسران أنفسهم امتناع انتفاعهم بها وقال ابن عباس خسروها بان صارت منازلهم للمؤمنين ومعنى تلفح تسفع أى تضرب وتأكل لحومهم وجلودهم النار قاله ابن عباس وعن الزجاج ان اللفح والنفح واحد الا ان اللفح أشد تأثيرا والكلوح ان يتقلص الشفتان عن الانسان كالرؤس المشوية يروى ان عتيبة الغلام مر فى السوق برأس أخرج من التنور فغشى عليه ثلاثة أيام ولياليهن وعن

المشركون بآيات الله ولا تدبر واما احتج عليهم من الحجج والدلالة على قدرته على فعل كل ما يشاء ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الامم المكذبة رسلها قبلهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما يقول أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا وبرأت عظامنا من لحومنا أئنا لمبعوثون يقول انا لمبعوثون من قبورنا أحياء كهيئتنا قبل الممات ان هذا لشئ غير كائن ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين) يقول تعالى ذكره قالوا لقد وعدنا هذا الوعد الذى تعدنا يا محمد و وعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك فلم نره حقيقة ان هذا يقول ما هذا الذى تعدنا من البعث بعد الممات الا أساطير الاولين يقول ما سطره الاولون فى كتبهم من الاحاديث والاخبار التى لا صحة لها ولا حقيقة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك لمن ملك الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون من مالكها ثم أعلمه أنهم سيقرون بانها لله ملكا دون سائر الاشياء غيره قل أفلا تذكرون يقول فقل لهم اذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على احيائهم بعد مماتهم واعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد من رب السموات السبع و رب العرش المحيط بذلك سيقولون ذلك كله لله وهو ربه فقل لهم أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله سيقولون لله فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام سيقولون الله سوى أبى عمرو فانه خالفهم فقرأه سيقولون لله فى هذا الموضع وفى الآخر الذى بعده اتباعا لخط المصحف فان ذلك كذلك فى مصاحف الامصار الا فى مصحف أهل البصرة فانه فى الموضعين بالالف فقرؤا بالالف كلها اتباعا لخط مصحفهم فاما الذين قرؤه بالالف فلا مؤنة فى قراءتهم ذلك كذلك لانهم أجروا الجواب على الابتداء وردوا مرفوعا على مرفوع وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون رب ذلك الله فلا مؤنة فى قراءة ذلك كذلك وأما الذين قرؤا ذلك فى هذا والذى يليه بغير ألف فانهم قالوا معنى قوله قل من رب السموات لمن السموات لمن ملك ذلك فجعل الجواب على المعنى فقيل لله لان المسئلة عن ملك ذلك لمن هو قالوا وذلك نظير قول قائل لرجل من مولاك فيجيب المجيب عن معنى ما سئل فيقول انا لفلان لانه مفهوم بذلك من الجواب ما هو مفهوم بقوله مولاى فلان وكان بعضهم يذكر أن بعض بنى عامر أنشده

وأعلم أننى سأكون رمسا * اذا سار النواعج لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم * فقال المخبرون لهم وزير

فاجاب المخفوض بمرفوع لان معنى الكلام فقال السائلون من الميت فقال المخبرون الميت وزير فاجابوا

فاجابوا عن المعنى دون اللفظ والصواب من القراءة فى ذلك انهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فصيب غير أنى مع ذلك اختار قراءة جميع ذلك بغير ألف لاجماع خطوط مصاحف الامصار على ذلك سوى خط مصحف أهل البصرة ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد من بيده خزائن كل شئ كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ملكوت كل شئ قال خزائن كل شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قول الله قل من بيده ملكوت كل شئ قال خزائن كل شئ وقوله وهو يجير من أراد ممن قصده بسوء ولا يجار عليه يقول ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء فيدفع عنه عذابه وعقابه ان كنتم تعلمون من ذلك صفته فانهم يقولون ان ملكوت كل شئ والقدرة على الاشياء كلها لله فقل لهم يا محمد فانى تسحرون يقول فمن أى وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله والاقرار باخباره واخبار رسوله والايمان بان الله القادر على كل ما يشاء وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول فى معنى قوله تسحرون ما حدثنى به على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فانى تسحرون يقول تكذبون وقد بينت فيما مضى السحر وانه تخييل الشئ الى الناظر انه على خلاف ما هو به من هيئته فذلك معنى قوله فانى تسحرون انما معناه فمن أى وجه يخيل اليكم الكذب حقا والفاسد صحيحا فتصرفون عن الاقرار بالحق الذى يدعوكم اليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) يقول ما الامر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله من ان الملائكة بنات الله وان الآلهة والاصنام لهم آلهة دون الله بل أتيناهم بالحق اليقين وهو الدين الذى ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وذلك الاسلام ولا يعبد شئ سوى الله لا اله غيره وانهم لكاذبون يقول وان المشركين لكاذبون فيما يضيفون الى الله وينحلونه من الولد والشريك وقوله ما اتخذ الله من ولد يقول تعالى ذكره ما لله من ولد ولا كان معه فى القديم ولا حين ابتدع الاشياء من تصلح عبادته ولو كان معه فى القديم أو عند خلقه الاشياء من تصلح عبادته من اله اذا لذهب يقول اذا لاعتزل كل اله منهم بما خلق من شئ فانفرد به ولتغالبوا فلعلا بعضهم على بعض وغلب القوى منهم الضعيف لان القوى لا يرضى أن يعلوه ضعيف والضعيف لا يصلح أن يكون الها فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها لمن عقل وتدبر وقوله اذا لذهب جواب لمحذوف وهو لو كان معه اله اذا لذهب كل اله بما خلق اجتزى بدلالة ما ذكر عليه عنه وقوله سبحان الله عما يصفون

النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقال الجوهرى الكلوح تكشر فى عبوسهم ثم بين سبحانه انه يقال لهم حينئذ تقريعا وتوبيخا ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالت المعتزلة لو كان فعل التكذيب بخلق الله تعالى لم يكن لهذا التقريع وجه وعورض بالعلم والداعى وفسرت المعتزلة الشقاوة بسوء العاقبة التى علم الله انهم يستحقونها لسوء أعمالهم وتفسرها الاشاعرة بما كتب الله عليهم فى الازل من الكفر وسائر المعاصى ان يعملوها حتى يؤل حالهم الى النار ومعنى غلبة الشقاوة على هذا التفسير ظاهر وأما على تفسير المعتزلة (٣٣) فقد قال جار الله معناه ملكتنا وأخرتنا وقال الجبائى أراد طلبتنا اللذات المحرمة وحرصنا على العمل القبيح ساقنا الى هذه الشقاوة فاطلق اسم المسبب على السبب وليس هذا باعتذار منهم لعلمهم بان لا عذر لهم فيه ولكنه اعتراف بقيام حجة الله تعالى عليهم فى سوء صنيعهم وأجيب بان طلب تلك اللذات لابد ان ينتهى الى داعية يخلقها الله فيه بدليل قوله وكنا قوما ضالين أى فى علم الله وسابق تقديره وحمله المعتزلة على الاعتراف بانهم اختاروا الضلال قالوا ولو كان الكفر بخلق الله لكانوا بان يجعلوا ذلك عذرا لهم أولى وأجيب بان فحوى الكلام يؤل الى هذا كما قررنا عن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فينادون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألفا ربنا أخرنا الى أجل قريب فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل فينادون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا ربنا أخرجنا منها فيجابون اخسؤا فيها وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء

الكلاب أى لا يفهمون ولا يفهمون ولهذا قال ولا تكلمون أى فى رفع العذاب وليس نهيا عن الكلام فانها ليست بدار تكليف ولكنه تنبيه على ان العذاب لا يرفع ولا يخفف ومعنى اخسؤا انزجروا صاغرين كما تنزجر الكلاب اذا طردت يقال خسأ الكلب وخسأ نفسه يتعدى ولا يتعدى وهو المراد فى الآية ثم عدد عليهم بعض قبائحهم فى الدنيا بقوله انه كان فريق من عبادى هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة عن الخليل وسيبويه ان السخرى بالضم والكسر مصدر سخر الا ان فى ياء النسب زيادة تأكيد وعن الكسائى والفراء ان المكسور

من الهزء والمفهوم من التسخير والاستبعاد والمعنى اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى أنسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكرى فلم تذكروني حتى تخافوني ثم ذكر من حال المؤمنين ما أوجب الحسرة والندامة للساخرين فمن قرأ انهم بالكسر على الاستئناف فمعناه ظاهر أي قد فازوا حيث صبروا ومن قرأ بالفتح فعلى انه مفعول جزيتهم أي جزيتهم فوزهم ومن قرأ قال فالضمير لله أو لمن أمر بسؤالهم من الملائكة ومن قرأ قل فالخطاب للملك أو لبعض رؤساء أهل النار والغرض من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت فقد كانوا لا يقدرون اللبث الا في الدنيا ويظنون ان (٣٤) الفناء يدوم بعد الموت ولا اعادة فلما حصلوا في النار وأيقنوا انهم فيها خالدون

يقول تعالى ذكره تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من ان له ولدا وعما قالوه من ان له شريكا وان معه في القدم الها يعبد تبارك وتعالى وقوله عالم الغيب والشهادة يقول تعالى ذكره هو عالم ما غاب عن خلقه من الاشياء فلم يروه ولم يشاهدوه وما رأوه وشاهدوه وانما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين اتخذ الله ولدا وعبدوا من دونه آلهة انهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون فانهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم بل عن جهل منهم به وان العالم بقديم الامور وبحديثها وشاهدها وغائبها عنهم الله الذي لا يخفى عليه شئ فخبره هو الحق دون خبرهم وقال عالم الغيب فرفع عالم على الابتداء بمعنى هو عالم الغيب ولذلك دخلت الفاء في قوله فتعالى كما يقال مررت باخيك المحسن فأحسنت اليه فترفع المحسن اذا جعلت فأحسنت اليه بالفاء لان معنى الكلام اذا كان كذلك مررت باخيك هو المحسن فاحسنت اليه ولو جعل الكلام بالواو فقيل وأحسنت اليه لم يكن وجه الكلام في المحسن الا الخفض على النعت للاخ ولذلك لو جاء فتعالى بالواو كان وجه الكلام في عالم الغيب الخفض على الاتباع لاعراب اسم الله وكان يكون معنى الكلام سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى فيكون قوله وتعالى حينئذ معطوفا على سبحان الله وقد يجوز الخفض مع الفاء لان العرب قد تبتدئ الكلام بالفاء كابتدائها بالواو وبالخفض كان يقرأ عالم الغيب في هذا الموضع أبو عمرو وعلى خلافه في ذلك قراءة الامصار والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع لمعنيين أحدهما اجماع الحجة من القراء عليه والثاني صحته في العربية وقوله فتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين ووصفهم اياه بما يصفون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد رب ان تريني في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك فلا تهلكني بما تهلكهم به ونجني من عذابك وسخطك فلا تجعلني في القوم المشركين ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك وقوله فلا تجعلني جواب لقوله اما تريني اعترض بينهما بالنداء ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك في الكلام لا يقال يا زيد فقم ولا يا رب فاغفر لان النداء مستأنف وكذلك الامر بعده مستأنف لا تدخله الفاء والواو الا أن يكون جوابا لكلام قبله وقوله وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون يقول تعالى ذكره وانا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم لقادرون فلا يحزننك تكذيبهم اياك بما نعدهم به وانما نؤخر ذلك ليبلغ الكتاب أجله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) يقول تعالى ذكره لنبيه ادفع يا محمد بالخلة التي هي أحسن وذلك الاغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على اذاهم وذلك أمره اياه قبل أمره بحربهم وعنى بالسيئة أذى المشركين اياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله يقول له تعالى ذكره اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله ونحو الذي قلنا

في

سئلوا كم لبثتم تنبيها لهم على ان ما ظنوه دائما طويلا فهو يسير بالاضافة الى ما أنكروه اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي ولاسيما اذا كان الاول أيام سرور والثاني أيام غم وحزن واختلفوا في الارض فقيل وجه الارض حينما كانوا احياء فانهم زعموا ان لا حياة سواها فلما أحياهم الله تعالى وعذبوا في النار سئلوا عن ذلك توبيخا وقال آخرون المراد جوف الارض وهو القبر لظاهر لفظة في ولقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وقوله عدد سنين بدل من مميز كم وقيل تمييز احتج بعض من انكر عذاب القبر بان قوله في الارض يتناول زمان كونهم احياء فوق الارض وزمان كونهم أمواتا في بطن الارض فلو كانوا معذبين في القبر لعلموا ان مدة مكثهم في الارض طويلة فما كانوا يقولون لبثنا يوما أو بعض يوم وأجيب بان الجواب لا بد ان يكون على حسب السؤال وانما سئلوا عن موت لا حياة بعده الا في الآخرة وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر ويحتمل ان يكونوا سئلوا عن قدر اللبث الذي اجتمعوا فيه فلا يدخل في ذلك تقدم موت بعضهم على البعض فصح ان يكون جوابهم لبثنا يوما أو بعض يوم عند أنفسنا وليس هذا من قبيل الكذب اذ لعلهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال فقالوا لا نعرف من عدد السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا فاسأل العادين أي ليس من شأننا ان نعدها لما نحن فيه من العذاب فاسأل من يقدر ان يلقي اليه فكره أو اسأل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وعن ابن عباس أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل أرادوا بقولهم لبثنا يوما أو بعض يوم تصغير لبثهم وتحقيره بالاضافة الى ما وقعوا فيه وعرفوه من دوام العذاب وقد صدقهم الله في ذلك حيث قال ان لبثتم الا قليلا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها بقوله لو انكم كنتم

تعلمون أيها لو علمتم البعث والحشر لما كنتم تعدونه طويلا ثم زاد في التوبيخ بقوله أفحسبتم انما خلقناكم عبثا أي عابثين أو لاجل العبث وهو الفعل الذي لا غاية له صحيحة ويجوز وان يكون قوله وانكم الينا لا ترجعون معطوفا على عبثا أي للعبث ولترككم غير مرجوعين وفيه دلالة على وجوب وقوع القيامة فلولاها لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء ثم نزه ذاته عن كل عيب وعبث قائلا فتعالى الآية ووصف العرش بالكريم لنزول الرحمة أو الخير منه أو باعتبار من استوى عليه كما يقال بيت كريم اذا كان سكانه كراما وقرئ الكريم بالرفع وهو ظاهر ثم زيف طريقة المقلدة من أهل الشرك وقوله لا برهان (٣٥) له به كقوله مالم ينزل به سلطانا وهو صفة جيء بها

في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ادفع بالتي هي أحسن السيئة قال اعرض عن اذاهم اياك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد ادفع بالتي هي أحسن السيئة قال هو السلام تسلم عليه اذا لقيته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله ادفع بالتي هي أحسن السيئة قال والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا ويصفح عما يكره وقوله نحن أعلم بما يصفون يقول تعالى ذكره نحن أعلم بما يصفون الله به وينحلونه من الاكاذيب والفرية عليه وبما يقولون فيك من السوء ونحن مجازوهم على جميع ذلك فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح القول وقوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد رب أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها والهمز هو الغمز ومن ذلك قيل للهمز في الكلام همزة والهمزات جمع همزة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين خنقهم الناس فذلك همزاتهم وقوله وأعوذ بك رب أن يحضرون يقول وقل أستجير بك رب أن يحضرون في شيء من أموري كالذي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأعوذ بك رب أن يحضرون في شيء من أمري ۞ القول في تأويل قوله تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) يقول تعالى ذكره حتى اذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت وعاين نزول أمر الله به قال لعظيم ما يعاين مما يقدم عليه من عذاب الله تندما على ما فات وتلهفا على ما فرط فيه قبل ذلك من طاعة الله ومسئلته للاقالة رب ارجعون الى الدنيا فردوني اليها لعلي أعمل صالحا يقول كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته وفرطت فيه وبنحو الذي قلنا فيه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر قال كان محمد بن كعب القرظي يقرأ علينا حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون قال محمد الى أي شيء يريد الى أي شيء يرغب أجمع المال أو غرس الغراس أو بني بنيان أو شق أنهار ثم يقول لعلي أعمل صالحا فيما تركت يقول الجبار كلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله رب ارجعون قال هذه في الحياة الدنيا ألا تراه يقول حتى اذا جاء أحدهم الموت قال حين تنقطع الدنيا ويعاين الآخرة قبل أن يذوق الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان فيقول بل قدماني الى الله وأما الكافر فيقال نرجعك فيقول ارجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت الآية حدثت عن الحسين قال سمعت

للتأكيد لا أن بعض الآلهة قد يقوم على وجوده برهان وجوز جار الله ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقول القائل من أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان اليه منه فالله مثيبه ومعنى حسابه عند ربه انه يبلغ عقابه الى حيث لا يقدر أحد على حسابه الا الله وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة أي حسابه عدم فلاحه فوضع الكافرون موضع الضمير جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد في خواتيمها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفريقين وحين أثنى على المؤمنين في اثناء الكلام بانهم يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين نبه في آخر السورة على انه قول ينبغي ان يواظب المكلف عليه ففيه الانقطاع الى الله والاعراض عمن سواه والله المستعان * التأويل فاذا نفخ في الصور فيه ان نفخة العناية الازلية اذا نفخت في صور القلب قامت القيامة وانقطعت الاسباب فلا يلتفت الى أحد من الانساب لا الى أهل ولا الى ولد لاشتغاله في طلب الحق واستغراقه في بحر المحبة فلا يقع بينهم التساؤل عما تركوا من أسباب الدنيا ولا عن

أحوال أهاليهم وأخدانهم وأوطانهم اذا فارقوها لكل امرئ منهم يومئذ في طلب الحق شان يغنيه عن طلب الغير فأولئك الذين خسروا أنفسهم لانهم اذا خفت موازينهم عن طلب الحق وانقطع عليه الطريق بنوع من التعلقات ورجوع القهقرى بطل استعداده في الطلب فان الانسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف دجاجة الولاية فيه وخروج الفرخ فيها فما لم تتصرف فيها الدجاجة يكون استعداده باقيا فاذا تصرف الدجاجة فيها وانقطع تصرفها عنها بافساد البيضة فلا ينفعها التصرف بعد ذلك لفساد الاستعداد ولهذا قالت المشايخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ولهذا قال في جهنم خالدون وأجيبوا بقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون لانه ليس من سنتنا اصلاح الاستعداد بعد افساده

انه كان فريق من عبادى هم العلماء بالله النصحاء لاجله فاتخذتموهم سخريا فصبرتم أنفسكم على سيوف هممهم العلية حتى أنسوكم بهممهم وبيد الرد ذكرى وكنتم منهم تضحكون لان قلوبكم قدماتت وكثرة الضحك تميت القلب جزيتهم اليوم بما صبروا فيه ان أهل السعادة كما ينتفعون لعاملاتهم الصالحة مع الله ينتفعون بانكار منكريهم ومثله حال أهل الشقاء فى الجانب الآخر وهو الاستضرار لا برهان له به أى لا يظهر عليه برهان العبادة وهو النور والضياء والبهاء والصفاء وان تقرب الى ذلك الذى عبده من دون الله بانواع القربات *(سورة النور مدنية حروفها ٥٣٣٠ كلامها ١٣١٦ (٣٦) آياتها ٦٤)* (بسم الله الرحمن الرحيم) (سورة أنزلناها وفرضناها

أبامعاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى ثم قيل ارجعون فصار الى خطاب الجماعة والله تعالى ذكره واحد وانما فعل ذلك كذلك لان مسألة القوم الرد الى الدنيا انما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحهم كماذكر ابن جريج أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله وانما ابتدئ الكلام بخطاب الله جل ثناؤه لانهم استغاثوا به ثم رجعوا الى مسئلة الملائكة الرجوع والرد الى الدنيا وكان بعض نحوى الكوفة يقول قيل ذلك كذلك لانه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ فى غير مكان من القرآن فجرى هذا على ذلك وقوله كلا يقول تعالى ذكره ليس الامر على ماقال هذا المشرك لن يرجع الى الدنيا ولن يعاد اليها انها كلمة هو قائلها يقول هذه الكلمة وهو قوله رب ارجعون كلمة هو قائلها يقول هذا المشرك هو قائلها كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كلا انها كلمة هو قائلها لابد له أن يقولها ومن ورائهم برزخ يقول ومن امامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع يعنى الى يوم يبعثون من قبورهم وذلك يوم القيامة والبرزخ الحاجز والمهلة متقاربات المعنى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون يقول أجل الى حين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله ومن ورائهم برزخ قال ما بعد الموت حدثنى أبو حميد الحمصى أحمد بن المغيرة قال ثنا أبو حيوة شريح بن يزيد قال ثنا أرطاة عن أبى يوسف قال خرجت مع أبى أمامة فى جنازة فلما وضعت فى لحدها قال أبو أمامة هذا برزخ الى يوم يبعثون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا مطر عن مجاهد قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال ما بين الموت الى البعث حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله برزخ الى يوم يبعثون قال حجاب بين الميت والرجوع الى الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال برزخ بقية الدنيا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال البرزخ ما بين الموت الى البعث حدثت عن الحسين قال سمعت أبامعاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله فاذا نفخ فى الصور من النفختين أيتهما عنى بها فقال بعضهم عنى بها النفخة الاولى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سالم قال ثنا عمرو بن مطرف عن المنهال

وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم)
* القراآت فرضناها بالتشديد ابن كثير وأبو عمرو ورأفة بفتح الهمزة ابن كثير عن ابن فليح ورفعه الباقون بالاسكان وكلاهما مصدر وكذلك روى الخزاعى عن أصحابه وروى ابن شنبوذ عن البزى ههنا وفى الحديد متحركة الهمزة وعن قنبل ههنا بالفتح وفى الحديد بالسكون ابن
وقرأ أبو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف بغير همز أربع شهادات بالرفع حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد الآخرون بالنصب على اعمال المصدر فيما فى حكم المصدر والتقدير فواجب شهادة أحدهم شهادات أربعا ان مخففة لعنة الله بالرفع نافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالتشديد والنصب والخامسة الثانية بالنصب حفص على معنى وتشهد الشهادة الخامسة ان مخففا غضب فعلا ماضيا الله بالرفع نافع والمفضل ان بالتخفيف غضب الله بالرفع سهل ويعقوب الباقون ان غضب الله بالتشديد والنصب

*الوقوف تذكرون ه جلدة ص الآخر ه لعدول واعتراض الشرط مع اتفاق الجلتين المؤمنين ه مشركة لتفصيل بين الحالتين
مع اتفاق الجلتين مشرك ج لاختلاف الجلتين المؤمنين ه أبدا ه الفاسقون ه لا وأصلحوا ج للفاء وان رحيم ه بالله ط
فى الموضعين لان مابعده جواب لما فى حكم القسم الصادقين ه الكاذبين ه الصادقين ه حكيم ه *التفسير لما أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى خاتم السورة المتقدمة بطلب المغفرة والرحمة وطلبه يستلزم مطلوبه لامحالة بدليل سل تعط أردفه بذكر ماهو أصل كل رحمة
ومنشأ كل خير فقال سورة أى هذه سورة أنزلناها وفرضناها (٣٧) أوفيما أوحينا اليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على
دونك سورة أوأتل سورة أو على شريطة التفسير وعلى هذا لايكون لقوله أنزلناها محل من الاعراب لانها ليست بصفة وانما هى مفسرة للمضمر فكانت فى حكمه ومعنى انزال الوحى قد سلف فى أول البقرة والفرض القطع والتقدير ولا بد من تقدير مضاف لان السورة قد دخلت فى الوجود فلا معنى لفرضها فالمراد فرضنا أحكامها التى فيها ومن شدد فللمبالغة أو للتكثير فى أحكام هذه السورة كثيرة ويجوز ان يرجع معنى الكثرة الى المفروض عليهم فانهم كل المكلفين من السلف والخلف وأما الآيات البينات فانها دلائل التوحيد التى يذكرها الله تعالى بعد الاحكام والحدود ويؤيده قوله لعلكم تذكرون فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها بخلاف دلائل التوحيد فانها كالمعلومة لظهورها فيكفى فيها التذكر وقال أبو مسلم هى الحدود والاحكام أيضا ولا بعد فى تسميتها آيات كقوله لزكريا رب اجعل لى آية سأل ربه ان يفرض عليه عملا وقال القاضى أراد بها الاشياء المباحة المذكورة فى السورة بينها الله تعالى لاجل
التذكر من جملة الاحكام حكم الزنا قال الخليل وسيبويه رفعهما على الابتداء والخبر محذوف ولا بد من تقدير مضاف فيما فرض عليكم جلد
الزانية والزانى أو فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزانى وقال آخرون الخبر فاجلدوا ان الفاء لتضمن معنى الشرط فان الالف واللام بمعنى الموصول
تقديره التى زنت والذى زنى فاجلدوا وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة أنزلناها لاجل الامر فان
الطلب من مظان الفعل والجلد ضرب الجلد كما يقال رأسه أى ضرب رأسه وكذلك فى سائر الاعضاء بعد ثبوت السماع وفيه اشارة ان اقامة
هذا الحد ينبغى ان يكون على الاعتدال بحيث لا يتجاوز الالم من الجلد الى اللحم فعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف

ابن عمرو عن سعيد بن جبير أن رجلا أتى ابن عباس فقال سمعت الله يقول فلا أنساب بينهم يومئذ
الآية وقال فى آية أخرى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال أما قوله فلا أنساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون فذلك فى النفخة الاولى فلا يبقى على الارض شئ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا
يتساءلون وأما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فانه لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض
يتساءلون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدى فى قوله فاذا نفخ فى
الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال فى النفخة الاولى حدثنى على قال ثنا أبو صالح
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فذلك حين ينفخ
فى الصور فلا حى يبقى الا الله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فذلك اذا بعثوا فى النفخة الثانية *
قال أبو جعفر فمعنى ذلك على هذا التأويل فاذا نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض
الا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها ولا يتساءلون ولا يتزاورون فيتساءلون عن
أحوالهم وأنسابهم وقال آخرون بل عنى بذلك النفخة الثانية ذكر من قال ذلك حدثنا
أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن هرون بن أبى وكيع قال سمعت زاذان يقول أتيت ابن مسعود
وقد اجتمع الناس اليه فى داره فلم أقدر على مجلس فقلت يا أبا عبد الرحمن من أجل أنى رجل من العجم
تحقرنى قال ادن ادن قال فدنوت فلم يكن بينى وبينه جليس فقال يؤخذ بيد العبد أو الامة يوم القيامة
على رؤس الاولين والآخرين قال وينادى مناد ألا ان هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قبله
فليأت الى حقه قال فتفرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها أو على أبيها أو على أخيها أو على
زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى
ابن يونس عن هرون بن عنترة عن زاذان قال سمعت ابن مسعود يقول يؤخذ العبد أو الامة يوم
القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد ثم ذكر نحوه وزاد فيه فيقول الرب
تبارك وتعالى للعبد أعط هؤلاء حقوقهم فيقول أى رب فنيت الدنيا فمن أين أعطيهم فيقول
للملائكة خذوا من أعماله الصالحة وأعطوا كل انسان بقدر طلبته فان كان له فضل مثقال حبة
من خردل ضاعفها الله حتى يدخله بها الجنة ثم تلا ابن مسعود ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة ربنا فنيت حسناته
وبقى طالبون كثير فيقول خذوا من أعمالهم السيئة فاضيفوها الى سيئاته وصكوا له صكا الى النار
قال حدثنا الحسين قال ثنى حجاج فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال
لا يسأل أحد يومئذ بنسب شيأ ولا يتساءلون ولا يمت اليه برحم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثنى محمد بن كثير عن حفص بن المغيرة عن قتادة قال ليس شئ أبغض الى الانسان يوم القيامة من
أن يرى من يعرفه مخافة أن يذوب له عليه شئ ثم قرأ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته
وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قال حدثنا الحسن قال ثنا الحكم بن سنان عن

يضرب فالرجل يجلد قائما على تجرده ليس عليه ازاره ضربا وسطا لامبرحا ولاهينا على الاعضاء كلها الا الوجه والفرج والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو والصحيح ان الزنا من الكبائر ولهذا قرنه الله تعالى بالشرك وقتل النفس فى قوله ولا يزنون وقد وفى فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم الذى هو أشنع أنواع القتل ونهى المؤمنين عن الرأفة بهما وأمر بشهود طائفة للتشهير وعن النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فاما اللاتى فى الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر (٣٨) وأما اللاتى فى الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود فى النار

واعلم ان البحث فى هذه الآية يقع عن أمور أحدها عن ماهية الزنا وثانيها عن احكام الزنا وثالثها فى الشرائط المعتبرة فى كون الزنا موجبا لتلك الاحكام ورابعها فى الطريق الذى به يعرف حصول الزنا وخامسها عن كيفية اقامة هذا الحد الاول قد حده علماء الشافعية بانه عبارة عن ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم شرعا قالوا فيدخل فيه اللواط لانها مثل الزنا صورة وذلك ظاهر لحصول معنى الانفراج فى الدبر أيضا ومعنى لانه مايشترك فى المعانى المتعلقة بالشهوة من الحرارة واللين وضيق المدخل ولذلك لايفرق أهل الطبائع بين المحلين والاكثرون على ان اللواط لايدخل تحت الزنا للعرف ولهذا لوحلف لا يزنى فلاط أو بالعكس لم يحنث ولان الصحابة اختلفوا فى حكم اللواط مع كونهم عالمين باللغة وما روى عن أبى موسى الاشعرى انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان محمول على اشتراكهما فى الاثم بدليل قوله أيضا اذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان وقوله اليدان تزنيان والعينان تزنيان والقياس المذكور بعيد لانه لايلزم من تسمية القبل فرجا لانفراجه ان يسمى كل منفرج كالفم والعين فرجا واعلم ان للشافعى فى اللائط قولين أصحهما ان عليه حد الزنا ان كان محصنا فيرجم وان لم يكن محصنا فيجلد ويغرب والثانى قتل الفاعل والمفعول والقتل اما بجز الرقبة كالمرتد أو بالرجم وهو قول مالك وأحمد واسحق أو بالهدم عليه وبروى عن أبى أو بالرمى من شاهق وبروى عن على رضى الله عنه وذلك ان قوم لوط عذبوا بكل هذه الوجوه قال عز من قائل فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل وأما المفعول فان كان صغيرا أو مجنونا أو مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان بضع الرجل لايتقوم وان كان مكلفا طائعا فهو كالفاعل فى الاقوال وان أتى امرأة فى دبرها ولا ملك ولا نكاح فالاظهر انه لواط وحكمه ما مر وقيل زنا لانه ابى

سدوس صاحب السائرى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد من أهل العرش يا أهل التظالم تداركوا مظالمكم وادخلوا الجنة

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) يقول تعالى ذكره فمن ثقلت موازينه موازين حسناته وخفت موازين سيئاته فاولئك هم المفلحون يعنى الخالدون فى جنات النعيم ومن خفت موازينه يقول ومن خفت موازين حسناته فرجحت بها موازين سيئاته فاولئك الذين خسروا أنفسهم يقول غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله فى جهنم خالدون يقول هم فى نار جهنم وقوله تلفح وجوههم النار يقول تسفع وجوههم النار كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تلفح وجوههم النار فلا تنفع وهم فيها كالحون والكلوح أن تتقلص الشفتان عن الاسنان حتى تبدو الاسنان كما قال الاعشى

وله المقدم لامثل له * ساعة الشدق عن الناب كالح

فتأويل الكلام يسفع وجوههم لهب النار فتحرقها وهم فيها متقلصو الشفاه عن الاسنان من احراق النار وجوههم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وهم فيها كالحون يقول عابسون **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا **حدثنا** سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله فى قوله وهم فيها كالحون قال ألم تر الى الرأس المشيط قد بدت أسنانه وقلصت شفتاه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله قرأ هذه الآية تلفح وجوههم النار الآية قال ألم تر الى الرأس المشيط بالنار وقد قلصت شفتاه وبدت أسنانه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهم فيها كالحون قال ألم تر الى الغنم اذا مست النار وجوهها كيف هى

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) يقول تعالى ذكره يقال لهم ألم تكن آياتى تتلى عليكم يعنى آيات القرآن تتلى عليكم فى الدنيا فكنتم بها تكذبون وترك ذكر يقال لدلالة الكلام عليه قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة غلبت علينا شقوتنا بكسر الشين وبغير ألف وقرأته عامة قراء أهل الكوفة شقاوتنا بفتح الشين والالف والصواب من القول فى ذلك انهما قراءتان مشهورتان وقرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام قالوا ربنا غلبت علينا ما سبق لنا فى سابق علمك وخط لنا فى أم الكتاب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكم عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن

أبي بزة عن مجاهد قوله غلبت علينا شقوتنا قال التي كتبت علينا **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال قال ابن جريج بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فلم يجيبوهم ماشاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا ادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال ثم نادوا يا مالك ليقض علينا ربك فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة ثم أجابهم فقال انكم ماكثون ثم نادى الاشقياء ربهم فقالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون قال **حدثني** حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال ينادي أهل النار أهل الجنة فلا يجيبوهم ماشاء الله ثم يقال أجيبوهم وقد قطع الرحم والرحمة فيقول أهل الجنة يا أهل النار عليكم غضب الله يا أهل النار عليكم لعنة الله يا أهل النار لا لبيكم ولا سعديكم ماذا تقولون فيقولون ألم نك في الدنيا آباءكم وأبناءكم واخوانكم وعشيرتكم فيقولون بلى فيقولون أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين قال **حدثني** حجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال و **حدثني** عبدة المروزي عن عبد الله بن المبارك عن عمرو بن أبي ليلى قال سمعت محمد بن كعب زاد أحدهما على صاحبه قال محمد بن كعب بلغني أو ذكر لي أن أهل النار استغاثوا بالخزنة ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردوا عليهم ماقال الله فلما أيسوا نادوا يا مالك وهو عليهم وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها فقالوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوا الموت فمكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سني الآخرة أو كما قال ثم انحط اليهم فقال انكم ماكثون فلما سمعوا ذلك قالوا فاصبروا فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله قال فصبروا فطال صبرهم فنادوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص أي منجى فقام ابليس عند ذلك فخطبهم فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم قال فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا الآية قال فيجيبهم الله فيها ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير قال فيقولون ما أيسنا بعد قال ثم دعوا مرة أخرى فيقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون قال فيقول الرب تبارك وتعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها يقول الرب لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم أحد ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا يقول بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا انا نسيناكم أي تركناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون قال فيقولون ما أيسنا بعد قال فيدعون مرة أخرى

وطء أنثى فأشبه الوطء في القبل واذا لاط بعبده فهو كالاجنبي على الاصح ولو أتى امرأته وجاريته في الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانه محل استمتاعه وبالجملة جميع ذلك مما ذهب اليه الشافعي وقال أبو حنيفة ان اللائط لا يحد بل يعزر حجة الشافعي خبر أبي موسى الاشعري فانه يدل على اشتراك اللواط والزنا في الاسم والحقيقة لا أقل من اشتراكهما في اللوازم وأيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل منهما والمفعول وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق وليس اللواط من قبيل الثاني والثالث فهو من الاول وأيضا قاس اللواط على الزنا بجامع كون الطبع داعيا اليه فيناسب الزاجر وفرق بان الزنا أكثر وقوعا وكان الاحتياج فيه الى الزاجر أشد وبان الزنا يقتضي فساد الانساب دون اللواط والغى الفرق بوطء العجوز الشوهاء حجة أبي حنيفة انه وطء لا يتعلق به المهر فلا يتعلق به الحد وضعف بفقد الجامع قال انه لا يساوي الزنا في الحاجة الى شرع الحد لان اللواط لا يرغب فيه المفعول طبعا ولانه ليس فيه اضاعة النسب وأجيب بان الانسان حريص على مامنع فلو لم يشرع الحد شاع اللواط وأدى الى اضاعة النسب بل الى افناء الاشخاص وانقطاع طريق التوالد والتناسل وللشافعي في اتيان البهيمة أقوال أحدها انه كالزنا في أحكامه وثانيها القتل مطلقا لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه فقيل لابن عباس ما شأن البهيمة قال لانه كره ان يؤكل لحمها وأصحها وهو قول مالك وأبي حنيفة وأحمد والثوري ان عليه التعزير لانه غير مشتهى طبعا والحديث ضعيف الاسناد وبتقدير صحته معارض بما روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذبح الحيوان الا لأكله ولا خلاف في ان السحق واتيان الميتة والاستمناء باليد لا يشرع فيها الا التعزير البحث الثاني قد مر في أول سورة النساء ان حكم الزاني في أوائل الاسلام كان الحبس في البيوت في حق الثيب والايذاء بالقول في حق البكر ثم نسخ بآية الزنا وبقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والخوارج أنكروا الرجم لانه لا يتنصف وقد قال تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولانه تعالى أطنب في أحكام الزنا بما لم يطنب في غيره فلو كان الرجم مشروعا لكان أولى بالذكر ولان قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب الجلد على كل الزناة وايجاب الرجم على البعض يقتضي تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وجمهور المجتهدين خالفوهم في ذلك فاجابوا عن الاول ان الرجم حيث لم يتنصف لم يشرع

فى حق العبد فخص العذاب بغير الرجم للدليل العقلى وعن الثانى ان الاحكام الشرعية كانت تنزل بحسب تجدد المصالح فلعل المصلحة التى اقتضت وجوب الرجم حدثت بعد نزول هذه الآيات وعن الثالث ان تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد جائز عندنا لان القرآن وان كان قاطعا فى متنه الا ان العام غير قاطع الدلالة فامكن تخصيصه بالدليل المظنون سلمنا الا ان الرجم ثبت بالتواتر رواه أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم وجابر والخدرى وأبو هريرة وبريدة الاسلمى وزيد بن خالد فى آخرين من الصحابة وما نقل عن على انه جمع بين الجلد والرجم وهو اختيار أحمد واسحق وداود محمول على مثل ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا زنى بامرأة فامر به النبى صلى الله عليه وسلم فجلد ثم أخبر النبى أنه كان محصنا فامر به فرجم وقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة متروك العمل بما روى فى قصة العسيف انه قال يا أنيس أغد على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها ولو وجب الجلد اذ ذاك لذكره وان قصة ماعز رويت من جهات مختلفة وليس فيها ذكر الجلد مع الرجم وكذا قصة الغامدية وروى الزهرى باسناده عن ابن عباس أن عمر قال قد خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم فى كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى وقد قرأنا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما ألبتة فرجم النبى صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخبر ان الذى فرضه الله تعالى هذا الرجم ولو كان الجلد واجبا مع الرجم لذكره قال الشافعى يجمع بين الجلد والتغريب فى حد البكر وقال أبو حنيفة يجلد وأما التغريب فمفوض الى رأى الامام وقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وكذا ما يروى عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ أو محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وقال مالك يجلد الرجل ويغرب وتجلد المرأة بلا تغريب حجة الشافعى حديث عبادة البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وقد ورد مثله فى قصة العسيف حجة أبى حنيفة ان ايجاب التغريب يقتضى نسخ القرآن بخبر الواحد بيانه ان ايجاب الجلد مرتب على الزنا بالفاء التى هى للجزاء ومعنى الجزاء كونه كافيا فى ذلك الباب منه قوله صلى الله عليه وسلم يجزيك ولا يجزى أحدا بعدك وايجاب شئ آخر غير الجلد يقتضى نسخ كونه كافيا ولو كان النفى مشروعا لوجب على النبى صلى الله عليه وسلم توقيف الصحابة

ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل قال فيقال لهم أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم الآية قال فيقولون ما أيسنا بعد ثم قالوا مرة أخرى ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل قال فيقول أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير الى نصير ثم مكث عنهم ماشاء الله ثم ناداهم ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فلما سمعوا ذلك قالوا الآن يرحمنا فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا أى الكتاب الذى كتب علينا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها الآية فقال عند ذلك اخسؤا فيها ولا تكلمون قال ولا تكلمون فيها أبدا فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم وأقبل بعضهم ينبح فى وجه بعض فاطبقت عليهم قال عبد الله بن المبارك فى حديثه فحدثنى الأزهر بن أبى الازهر انه قال فذلك قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله انه قال فوالذى أنزل القرآن على محمد والتوراة على موسى والانجيل على عيسى ما تكلم أهل النار كلمة بعدها الا الشهيق والزعيق فى الخلد أبدا ليس له نفاد قال ثنى حجاج عن أبى معشر قال كنا فى جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ فجلسنا فتنحى أبو جعفر فبكى فقيل له ما يبكيك يا أبا جعفر قال أخبرنى زيد بن أسلم ان أهل النار لا يتنفسون وقوله وكنا قوما ضالين يقول كنا قوما ضللنا عن سبيل الرشاد وقصد الحق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين خفت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة فى جهنم ربنا أخرجنا من النار فان عدنا لما تكره منا من عمل فانا ظالمون وقوله قال اخسؤا فيها يقول تعالى ذكره قال الرب لهم جل ثناؤه مجيبا اخسؤا فيها أى اقعدوا فى النار يقال منه خسأت فلانا اخسؤه خسأ وخسأ هو يخسأ وما كان خاسئا ولقد خسأ ولا تكلمون فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ولقد كانوا طامعين فيه كما **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنى أبو الزهراء عن عبد الله فى قصة ذكرها فى الشفاعة قال فاذا أراد الله أن لا يخرج منها يعنى من النار أحدا غير وجوههم وألوانهم فيجئ الرجل من المؤمنين فيشفع فيه فيقول يارب فيقول من عرف أحدا فليخرجه قال فيجئ الرجل فينظر فلا يعرف أحدا فيقول يا فلان يا فلان فيقول ما أعرفك فعند ذلك يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيقول اخسؤا فيها ولا تكلمون فاذا قالوا ذلك انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر **حدثنا** تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن شهر بن حوشب عن معدى كرب عن أبى الدرداء قال يرسل أو يصب على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع فلا يغنى ذلك عنهم شيأ فيستغيثون فيغاثوا بطعام ذى غصة فاذا أكلوه نشب فى حلوقهم فيذكرون انهم كانوا فى الدنيا يحدرون الغصة بالماء فيستغيثون فيرفع اليهم

الحميم

الجيم فى كلاليب الحديد فاذا انتهى الى وجوههم شوى وجوههم فاذا شربوا قطع أمعاءهم قال فينادون مالكا ليقض علينا ربك قال فيتركهم ألف سنة ثم يجيبهم انكم ماكثون قال فينادون خزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال فيقولون ما نجد أحدا خيرا لنا من ربنا فينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيقول اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك ييأسوا من كل خير فيدعون بالويل والشهيق والثبور **حدثنى** محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عاصم ابن يوسف اليربوعى قال ثنا قطبة بن عبد العزيز السعدى عن الاعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع ثم ذكر نحوا منه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن هرون بن عنترة عن عمرو بن مرة قال يرى أهل النار فى كل سبعين عاما ساف مالك خازن النار فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم بكلمة ثم لا يرونه سبعين عاما فيستغيثون بالخزنة فيقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيجيبونهم ألم تك تاتيكم رسلكم بالبينات الآية فيقولون ادعوا ربكم فليس أحد أرحم من ربكم فيقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييأسون من كل خير ويأخذون فى الشهيق والويل والثبور **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة اخسؤا فيها ولا تكلمون قال بلغنى انهم ينادون مالكا فيقولون ليقض علينا ربك فسكت عنهم قدر أربعين سنة ثم يقول انكم ماكثون قال ثم ينادون ربهم فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يقول اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فييأس القوم فلا يتكلمون بعدها كلمة وكان انما هو الزفير والشهيق قال قتادة صوت الكافر فى النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثنا** الحسن قال ثنا عبد الله بن عيسى قال أخبرنى زياد الخراسانى قال أسنده الى بعض أهل العلم فنسيته فى قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فيسكتون قال فلا يسمع فيها حس الا كطنين الطست **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون هذا قول الرحمن عز وجل حين انقطع كلامهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) يقول تعالى ذكره انه وهذه الهاء فى قوله انه هى الهاء التى تسميها أهل العربية المجهولة وقد بينت معناها فيما مضى قبل ومعنى دخولها فى الكلام بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع كان فريق من عبادى يقول كانت جماعة من عبادى وهم أهل الايمان بالله يقولون فى الدنيا ربنا آمنا بك وبرسلك وما جاؤا به من عندك فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وأنت خير من رحم أهل البلاء فلا تعذبنا بعذابك ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم

عليه عند تلاوة هذه الآية ولو فعل لاشتهر وقد روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى الامة اذا زنت فاجلدها فان زنت فاجلدها فان زنت فبعها والاستدلال به انه لم يذكر النفى مع الجلد ونظيره ما روى ان شيخا وجد على بطن جارية فاتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اجلدوه مائة فقالوا انه أضعف من ذلك فقال خذوا عثقالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله لا يقال انه انما لم ينفه لانه كان عاجزا عن الحركة لانا نقول كان ينبغى ان يامر له بدابة يركبها ولا يقال لعله كان ضعيفا عن الركوب أيضا لانا نقول القادر على الجماع كيف لا يقدر على الاستمساك وأيضا الامر بالنفى لو كان مشروعا لزم فى حق العبد الاضرار بسيده فى مدة (٤١) غيبته وفى حق المرأة الاضرار بزوجها وكذا لمن يؤمر ان يكون معها من محارمها أو من النسوة الثقاة مع انفتاح باب الزنا عليها فى الغربة لهذا روى عن على رضى الله عنه أنه قال فى البكرين اذا زنيا يجلدان ولا ينفيان فان نفيهما من الفتنة وعن ابن عمر أن امرأة زنت فجلدها ولم ينفها وأيضا النفى نظير القتل لقوله تعالى اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم فاذا لم يشرع القتل فى حد البكر وجب أن لا يشرع نظيره وهو التغريب وأجيب بان ايجاب الجلد مفهوم مشترك بين ايجاب الجلد مع ايجاب التغريب وبين ايجابه مع نفى التغريب فلا اشعار فى الآية باحد القسمين الا ان عدم التغريب موافق للبراءة الاصلية فايجابه بخبر الواحد لا يزيل الا محض البراءة فلا يلزم نسخ القرآن به وهو قول الادباء ان الجزاء سمى جزاء لانه كاف فى الشرط لا يصلح حجة فى الاحكام ولا استبعاد فى عدم اشتهار بعض الاحكام كاكثر المخصصات والاخبار الواردة فى نفى التغريب معارضة بما روى أبو على فى جامعه أنه صلى الله عليه وسلم جلد وغرب ولا بعد فى أن يكون القادر على الزنا عاجزا عن الاستمساك على الدابة والاضرار بالسيد قد يجوز للضرورة كالعبد المرتد يقتل وعلى هذا يغرب نصف

سنة على الاصح لانه يقبل التنصيف وقيل سنة كاملة لان التغريب للايحاش وهذا معنى يرجع الى الطبع فيستوى فيه الحر والعبد كمدة الايلاء والعنة وأما المرأة فلا تغرب وحدها لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة ان تسافر الا ومعها ذو محرم فان تبرع المحرم أو نسوة ثقاة فذاك والا أعطى أجرتهم من مالها أو من بيت المال فيه قولان وتنتفى التهمة حينئذ مع ان أكثر الزنا انما يقع بالالف والمؤانسة وفراغ القلب وفى التغريب الاغلب هو الوحشة والتعب وأما أن النفى يشبه القتل فسلم من بعض الوجوه لا من كلها واعلم ان قولنا الزانية والزانى اما مطلق دال على الجنسين المنافيين لجنس العفيفة والعفيف أو عام يشمل

كل من اتصف بهذه الفعلة الشنعاء فلابد من تقييد أو تخصيص وهو البحث الثالث فنقول أجمعت الأمة على انه لابد فيه من العقل والبلوغ فلاحد على مجنون ولا على صبي لانهما ليسا من أهل التكليف هذا في غير الرجم وأما في الرجم فلابد من شروط أخر منها الحرية بالاجماع ولا فرق بين القن والمدبر والمكاتب والمستولدة وحر البعض والسبب ان الحرية توسع طريق الحلال لان الرقيق يحتاج في النكاح الى اذن السيد ولا يجوز له ان ينكح الا امرأتين وجناية من ارتكب الحرام مع اتساع طريق الحلال أغلظ ومنها الاصابة في نكاح صحيح وقد يعبر عن هذا الشرط بشرطين أحدهما التزويج بنكاح صحيح والآخر الدخول وكيفما كان فوجه الاعتبار انه قضى الشهوة واستوفى اللذة فحقه ان يمتنع من الحرام ويكفي في الاصابة تغييب الحشفة بلا انزال ولا يقدح وقوعها في حالة الحيض والاحرام وعدة الوطء بالشبهة ولا يحصل الاحصان بالاصابة في ملك اليمين كما لا يحصل التحليل وفي الاصابة بالشبهة وفي النكاح الفاسد قولان أحدهما انه يفيد الاحصان لان الفاسد كالصحيح في العدة والنسب وأصحهما المنع لان الفاسد لا أثر له في اكمال طريق الحلال وهل يشترط ان تكون الاصابة في النكاح بعد التكليف والحرية الاصح عند امام الحرمين لا لانه وطء يحصل به التحليل فكذا الاحصان والارجح عند معظم الاصحاب نعم لان شرط الاصابة ان تحصل باكمل الجهات وهو النكاح الصحيح فيعتبر حصولها من كامل وعلى هذا فهل يشترط كمال الواطئين جميعا قال أبو حنيفة نعم وهو أحد قولي الشافعي فلو كان أحدهما كاملا دون الآخر لم يصر الكامل محصنا أيضا وقال الشافعي في أصح قوليه لا بل لكل منهما حكم نفسه ومنها الاسلام عند أبي حنيفة لقوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن دون الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قبلوا الجزية فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ولحديث مالك عن نافع معناه عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا فلو حكم بشرعه فظاهر ولو حكم بشريعة من قبله فقد صار شرعا له ولان زنا الكافر مثل زنا المسلم في الحاجة الى الزاجر ولهذا قلنا اذا أقر الذمي بالزنا أقيم عليه الحد جبرا بخلاف الشرب فانه لا يعتقد تحريمه ومما احتج لابي حنيفة ان النعمة في حق المسلم أعظم فكانت جنايته أغلظ كقوله يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وعورض بان الاسلام من كسب العبد وزيادة الخدمة ان لم تكن سببا للعذر فلا أقل من أن لا تكون سببا لزيادة العقوبة قالوا الاحصان القذفي يعتبر

تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون) يقول تعالى ذكره فاتخذتم أيها القائلون لربهم ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين في الدنيا القائلين فيها ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين سخريا والهاء والميم في قوله فاتخذتموهم من ذكر الفريق واختلفت القراء في قراءة قوله سخريا فقرأه بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة فاتخذتموهم سخريا بكسر السين ويتأولون في كسرها ان معنى ذلك الهزء ويقولون انهم اذا ضمت فمعنى الكلمة السخرة والاستعباد فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء فاتخذتم أهل الايمان بي هزوا ولعبا تهزؤن بهم حتى أنسوكم ذكري وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة فاتخذتموهم سخريا بضم السين وقالوا معنى الكلمة في الضم والكسر واحد وحكى بعضهم عن العرب سماعا لجي ولجي ودري ودري منسوب الى الدر وكذلك كرسي وكرسي وقالوا ذلك من قيلهم كذلك نظير قولهم في جمع العصا العصي بكسر العين والعصي بضمها قالوا وانما اخترنا الضم في السخري لانه أفصح اللغتين والصواب من القول في ذلك انهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب وليس يعرف من فرق بين معنى ذلك اذا كسرت السين واذا ضمت لما ذكرت من الرواية عمن سمع من العرب بما حكيت عنه ذكر الرواية به عن بعض من فرق في ذلك بين معناه مكسورة سينه ومضمومة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فاتخذتموهم سخريا قال هما مختلفتان سخريا وسخريا يقول الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال هذا سخريا يسخرونهم والآخرون الذين يستهزؤن بهم هم سخريا فتلك سخريا يسخرونهم عندك فسخرك رفعك فوقه والآخرون استهزؤ بأهل الاسلام هي سخريا يسخرون منهم فهما مختلفان وقرأ قول الله كما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون وقال يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح اتخذوهم سخريا اتخذوهم هزؤا لم يزالوا يستهزؤن بهم وقوله حتى أنسوكم ذكري يقول لم يزل استهزاؤكم بهم أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري فألهاكم عنه وكنتم منهم تضحكون كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حتى أنسوكم ذكري قال أنسى هؤلاء الله استهزاؤهم بهم وضحكهم بهم وقرأ ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون حتى بلغ ان هؤلاء لضالون وقوله اني جزيتهم اليوم بما صبروا يقول تعالى ذكره اني أيها المشركون بالله المخلدون في النار جزيت الذين اتخذتموهم في الدنيا سخريا من أهل الايمان بي وكنتم منهم تضحكون اليوم بما صبروا على ما كانوا يلقون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا انهم هم الفائزون اختلفت القراء في قراءة انهم فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة انهم بفتح الالف من انهم بمعنى جزيتهم هذا فان في قراءة هؤلاء في موضع نصب بوقوع قوله جزيتهم عليها لان معنى الكلام عندهم اني جزيتهم اليوم الفوز بالجنة وقد يحتمل النصب من وجه آخر وهو أن يكون موجها

معناه اني جزيتهم اليوم بما صبروا لانهم هم الفائزون بما صبروا في الدنيا على ما لقوا في ذات الله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة اني بكسر الالف منها بمعنى الابتداء وقالوا ذلك ابتداء من الله مدحهم * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الالف لان قوله جزيتهم قد عمل في الهاء والميم والجزاء انما يعمل في منصوبين واذا عملت في الهاء والميم لم يكن له العمل في أن فيصير عاملا في ثلاثة الا أن ينوى به التكرير فيكون نصب ان حينئذ بفعل مضمر لا بقوله جزيتهم وان هي نصبت باضمار لام لم يكن له أيضا كبير معنى لان جزاء الله عباده المؤمنين بالجنة انما هو على ما سلف من صالح أعمالهم في الدنيا وجزاؤهم اياهم وذلك في الآخرة هو الفوز فلا معنى لان يشرط لهم الفوز بالاعمال ثم يخبر انهم انما فازوا لانهم هم الفائزون فتأويل الكلام اذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا اني جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذى كم به في انهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبدا بما عملوا من صالحات الاعمال في الدنيا ولقوا في طلب رضاي من المكاره فيها

القول في تأويل قوله تعالى (قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين) اختلفت القراء في قراءة قوله كم لبثتم في الارض عدد سنين وفي قوله لبثنا يوما أو بعض يوم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر قال كم لبثتم وكذلك قوله قال ان لبثتم ووجه هؤلاء تأويل الكلام الى ان الله قال لهؤلاء الاشقياء من أهل النار وهم في النار كم لبثتم في الارض عدد سنين وانهم أجابوا الله فقالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فنسي الاشقياء لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب مدة مكثهم التي كانت في الدنيا وقصر عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها لما حل بهم من نقمة الله حتى حسبوا انهم لم يكونوا مكثوا فيها الا يوما أو بعض يوم ولعل بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل والسنين الكثيرة وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة على وجه الامر لهم بالقول كأنه قال لهم قولوا كم لبثتم في الارض وأخرج الكلام مخرج الامر للواحد والمعنى به الجماعة اذ كان مفهوما معناه وانما اختار هذه القراءة من اختارها من أهل الكوفة لان ذلك في مصاحفهم قل بغير ألف وهو في مصاحفهم بالالف * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ذلك قال كم لبثتم على وجه الخبر لان وجه الكلام لو كان ذلك أمرا أن يكون قولوا على وجه الخطاب للجمع لان الخطاب فيما قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار فالذي هو أولى أن يكون كذلك قوله قولوا لو كان الكلام جاء على وجه الامر وان كان الآخر جائزا اعني التوحيد لما بينت من العلة لقارئ ذلك كذلك وجاء الكلام بالتوحيد في قراءة جميع القراء كان معلوما ان قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه اذ كان ذلك هو الفصيح المعروف من كلام العرب فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام قال الله كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين قالوا مجيبين له لبثنا فيها يوما أو بعض يوم فاسأل العادين لانا لا ندري قد نسينا ذلك واختلف أهل التأويل في المعنى بالعادين فقال بعضهم هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصون عليهم ساعاتهم

فيه الاسلام بالاجماع فكذا احصان الرجم والجامع كمال النعمة وأجيب بان حد القذف لرفع العار كرامة للمقذوف والكافر لا يكون محلا للكرامة وصيانة للعرض والجواب عن الحديث بانا لا نسلم أن الذمي مشرك سلمنا لكن الاحصان قد يراد به التزويج كقوله فاذا أحصن والذمي الثيب محصن بهذا التفسير فوجب رجمه لقوله صلى الله عليه وسلم و زنى بعد احصان ولقوله عليهم ما على المسلمين قال بعض أهل الظاهر عموم قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب المائة على العبد والامة الا أنه ورد النص بالتنصيف في حق الامة فلو قسنا العبد عليه لزم تخصيص عموم الكتاب بالقياس ومنهم من قال الامة اذا تزوجت فعليها خمسون لقوله فاذا أحصن (٤٣) أي تزوجن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات فاذا لم تتزوج فعليها المائة لعموم قوله الزانية واتفاق الجمهور على حذف هذين وقال الشافعي وأبو حنيفة الذمي يجلد للعموم ولانه صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين فالجلد أولى وقال مالك لا يجلد بناء على ان الكفار ليسوا مخاطبين بالفروع البحث الرابع في طريق معرفة الزنا وانه ثلاثة الاول ان رآه الامام بنفسه فيجيء الخلاف في ان القاضي هل له ان يقضي بعلمه أم لا رجح كلا مرجحون وجه القضاء انه يقضي بالظن وذلك عند شهادة شاهدين فلان يقضي بالعلم أولى ووجه عدم القضاء ان فيه تهمة والتهمة تمنع القضاء ولهذا لا يقضي القاضي لولده ووالده وهذا الوجه في حدود الله تعالى أرجح لان الحاكم فيه مأمور بالستر ولهذا قال في قضية اللعان لو كنت راجما بغير بينة لرجمتها ولا فرق على القولين أن يحصل العلم للقاضي في زمان ولايته ومكانها أو في غيرهما وعن أبي حنيفة انه ان حصل له العلم فيهما قضى بعلمه والا فلا الطريق الثاني الاقرار ويكفي عند الشافعي مرة واحدة وقال أبو حنيفة لا بد من أربع مرات في أربع مجالس وجوز أحمد ان يكون المجلس واحدا حجة الشافعي قصة العسيف فان اعترفت فارجمها والقياس على الاقرار بالقتل والردة مع ان الصارف عن الاقرار بالزنا أقوى وهو العار في الحال أو القتل أو الالم الشديد في المآل فلا اقدام على الاقرار مع هذا الصارف لا يكون الا عن صدق ويقين حجة أبي حنيفة قصة ماعز واعراضه صلى الله عليه وسلم مرات حتى قال أبو بكر له بعدما أقر ثلاث مرات لو أقررت الرابعة لرجمك رسول الله صلى الله عليه وسلم والقياس على الشهادة وأجيب بانه لا منافاة بين القضيتين فان الاولى محمولة على أقل المراتب والثانية على كمالها وبالفرق فان المقذوف لو أقر بالزنا مرة سقط الحد عن القاذف ولو شهد اثنان بزناه لم يسقط الطريق الثالث الشهادة وأجمعوا على انه لا بد من شهود أربعة من الرجال لقوله

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا ابن عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فاسأل العادين قال الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال آخرون بل هم الحساب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاسأل العادين قال فاسأل الحساب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فاسأل العادين قال فاسأل أهل الحساب * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فاسأل العادين وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك وجائز أن تكون الملائكة وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم ولا حجة بأي ذلك من أي ثبتت صحتها فغير جائز توجيه معنى ذلك الى بعض العادين دون بعض ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) اختلف القراء في قراءة قوله قال ان لبثتم الا قليلا لاختلافهم في قراءة قوله قال كم لبثتم والقول عندنا في ذلك في هذا الموضع نحو القول الذي بيناه قبل في قوله كم لبثتم وتأويل الكلام على قراءتنا قال الله لهم ما لبثتم في الارض الا قليلا يسيرا لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها وقوله أفحسبتم انما خلقناكم عبثا يقول تعالى ذكره أفحسبتم أيها الاشقياء انا انما خلقناكم اذ خلقناكم لعبا وباطلا وانكم الى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة لا ترجعون بضم التاء لا تردون وقالوا انما هو من مرجع الآخرة لا من رجوع الى الدنيا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة لا ترجعون وقالوا سواء في ذلك مرجع الآخرة والرجوع الى الدنيا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال انهما قراءتان متقاربتا المعنى لان من رده الله الى الآخرة من الدنيا بعد فنائه فقد رجع اليها وان من رجع اليها فبرد الله اياه اليها رجع وهما مع ذلك قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وبنحو الذي قلنا في معنى قوله أفحسبتم انما خلقناكم عبثا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أفحسبتم انما خلقناكم عبثا قال باطلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) يقول تعالى ذكره فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له شريكا وعما يضيفون اليه من اتخاذ البنات لا اله الا هو يقول لا معبود تنبغي له العبودة الا الله الملك الحق رب العرش الكريم والرب مرفوع بالرد على الحق ومعنى الكلام فتعالى الله الملك الحق رب العرش الكريم لا اله الا هو ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) يقول تعالى ذكره ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له معبودا آخر لا حجة له بما يقول ويعمل من ذلك ولا بينة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا

تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولقوله ثم لم يأتوا بأربعة شهداء والشهادة على الاقرار بالزنا كالشهادة على الزنا في انه لا بد من شهود أربعة وفي قول يكفي فيه اثنان لان الفعل مما يعسر الاطلاع عليه فلزم الاحتياط فيه باشتراط الاربعة والاقرار أمر ظاهر فيكفي فيه رجلان البحث الخامس أجمعت الامة على ان المخاطب بقوله فاجلدوا هو الامام حتى احتجوا به على وجوب نصب الامام فان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقال الشافعي السيد يملك اقامة الحد على مملوكه وهو قول ابن مسعود وابن عمر وفاطمة وعائشة وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يملك حجة الشافعي أنه صلى الله عليه وسلم قال أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها وحمل الاول على رفع القضية الى الامام حتى يقيم عليهم الحدود وحمل الثاني على التعزير خلاف الظاهر وأيضا ان ولاية السيد على العبد فوق الولاية بالبيعة فكان أولى وأيضا الاجماع على ان السيد يملك التعزير مع انه في محل الاجتهاد فلان يملك الحد مع التنصيص عليه أولى حجة أبي حنيفة في قوله فاجلدوا الخطاب للامة بالاتفاق ولم يذكر فرق بين الاحرار المحدودين وبين العبيد وأيضا لو جاز للمولى ان يسمع شهادة الشهود على عبده بالسرقة فيقطعه فلو رجعوا عن شهادتهم وجب ان يتمكن من تضمين الشهود وليس له ذلك بالاتفاق لانه ليس لاحد ان يحكم لنفسه وأيضا المالك في محل التهمة لانه قد يشفق على ملكه فلا يستوفي الحد أجابت الشافعية بان عدم ذكر الفرق لا يدل على عدم الفرق مع ان الكلام في جواز اقامة السيد الحد لا في وجوبه فالامام يملك حد العبد في الجملة وذلك كاف في بقاء الآية على عمومها وعن الثاني بان للشافعي في القطع والقتل قولين أحدهما يجوز لما روي ان ابن عمر قطع عبدا له سرق وثانيهما لا وهو قول مالك ان القطع للامام بخلاف الجلد لان المولى يملك جنس الجلد وهو التعزير وفي سماع المولى الشهادة أيضا وجهان فاذا فقد الامام فليس لآحاد الناس اقامة هذه الحدود بل ينبغي ان يعينوا واحدا من الصلحاء ليقوم بها وفي الخارجي المتغلب خلاف البحث السادس في كيفية اقامة الحد أنه سبحانه قد أشار الى أن هذا الحد يجب أن لا يكون في غاية العنف بلفظ الجلد كما مر والى أنه يجب أن لا يكون في غاية الرفق بقوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وذلك اما بان يترك الحد رأسا أو ينقص شيء منه أو يخفف بحيث لا يحس الزاني بالالم وفي معناه ان يفرق على الايام كأن يضرب كل يوم سوطا أو سوطين وان ضرب كل يوم عشرين مثلا كان يحسب بالحصول التكليف والاولى أن لا يفرق وأكد هذا المعنى بقوله ان كنتم

تؤمنون بالله و يوم الآخر قال الجبائي فيه دلالة على ان الاشتغال باداء الواجبات من الايمان لان التقدير ان كنتم مؤمنين فلا تتركوا اقامة الحدود وأجيب بان الرأفة لا تحصل الا اذا حكم الانسان بطبعه وان ذلك يوجب ترك اقامة الحدود وحينئذ يكون منكر الدين فلهذا يخرج من الايمان وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال له لم فعلت ذاك فيقول رحمة لعبادك فيقول له أنت أرحم بهم مني فيؤمر به الى النار وروى أبو عثمان النهدي قال أتى عمر برجل في حد فجيء بسوط فيه شدة فقال له أريد ألين من هذا فاتي بسوط فيه لين فقال أريد أشد من هذا فاتي بسوط بين السوطين وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أتي برجل في حد فذهب الرجل

ينزع قميصه وقال ما ينبغي لجسدي هذا المذنب ان يضرب وعليه قميص فقال أبو عبيدة لا تدعوه ينزع قميصه وضربه عليه ولا خلاف في أن المرأة لا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف ويلي ذلك منها امرأة ويجوز الشافعي الضرب على الرأس لما روي أن أبا بكر قال اضرب على الرأس فان الشيطان فيه وقال أبو حنيفة حكم الرأس حكم الوجه لان الموضحة وسائر الشجاج حكمها في الرأس وفي الوجه واحد وأما في سائر البدن فلا يجب الا الحكومة وأيضا ان ضرب الرأس يوجب في الاغلب ظلمة البصر ونزول الماء واختلاط العقل كالوجه فانه أيضا عرضة الآفات وفيه الاعضاء الشريفة اللطيفة وللشافعي ان يقول انما يحترم الوجه لما جاء في الحديث ان الله تعالى خلق آدم على صورته وهذا المعنى مفقود في الرأس ولتكن اقامة الحد في وقت اعتدال الهواء الا اذا كان رجما فان المقصود وهو قتله لا يتفاوت بذلك ولهذا يرجم المريض ايضا في مرضه وقيل ان كان مرضا يرجى برؤه يؤخر كما في الجلد لانه ربما يرجع عن اقراره في حال الرجم وقد أثر الرجم في بدنه فتعين شدة الحر والبرد مع المرض على اهلاكه وهذا بخلاف ما ثبت بالبينة لانه لا تسقط وفي الجلد ان كان المرض مما لا يرجى زواله كالسل والزمانة فلا يؤخر سواء زنى في حال الصحة أو في حال المرض ولكن لا يضرب بالسياط عند الشافعي لان المقصود ليس موته بل يضرب بعثكال عليه مائة شمراخ كما روي ان مقعدا أصاب امرأة فامر النبي صلى الله عليه وسلم فاخذوا مائة شمراخ فضربوه بها ضربة واحدة والاثكال والعثكال الغصن الذي عليه فروع خفيفة من النخل أو من غيره وعند أبي حنيفة يضرب بالسياط ثم ان ثبت الزنا باقراره فمتى رجع ترك وان وقع به بعض الحد أو لم يقع وبه قال أبو حنيفة والشافعي والثوري وأحمد واسحق لان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه وعن الحسن وابن أبي ليلى وداود أنه

أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا برهان له به قال بينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لا برهان له به قال حجة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن ابي بزة عن مجاهد في قوله لا برهان له به قال لا حجة وقوله فانما حسابه عند ربه يقول فانما حساب عمله السيء عند ربه وهو موفيه جزاءه اذا قدم عليه انه لا يفلح الكافرون يقول انه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد رب استر علي ذنوبي بعفوك عنها وارحمني بقبول توبتي وترك عقابي على ما اجترمت وأنت خير الراحمين يقول وقل وأنت يا رب خير من رحم ذا ذنب فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه آخر تفسير سورة المؤمنين

(تفسير سورة النور)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

۞ القول في تأويل قوله تعالى (سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون) قال أبو جعفر يعني بقوله تعالى ذكره سورة أنزلناها وهذه السورة أنزلناها وانما قلنا معنى ذلك كذلك لان العرب لا تكاد تبتدئ بالنكرات قبل أخبارها اذا لم تكن جوابا لانها توصل كما يوصل الذي ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة فيستقبح الابتداء بها قبل الخبر اذا لم تكن موصولة اذ كان يصير خبرها اذا ابتدئ بها كالصلة لها ويصير السامع خبرها كالمتوقع خبرها بعد اذ كان الخبر عنها بعدها كالصلة لها واذا ابتدئ بالخبر عنها قبلها لم يدخل الشك على سامع الكلام في مراد المتكلم وقد بينا فيما مضى قبل ان السورة وصف لما ارتفع بشواهده فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله وفرضناها فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته بعض قراء الحجاز والبصرة وفرضناها ويتأولونه وفصلناها وأنزلنا فيها فرائض مختلفة وكذلك كان مجاهد يقرؤه ويتأوله حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا ابن مهدي عن عبد الوارث بن سعيد عن حميد عن مجاهد انه كان يقرؤها وفرضناها يعني بالتشديد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وفرضناها قال الامر بالحلال والنهي عن الحرام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقد يحتمل ذلك اذا قرئ بالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مجاهد وهو ان يوجه الى ان معناه وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس الى قيام الساعة وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والشام وفرضناها بتخفيف الراء بمعنى أوجبنا ما فيها من الاحكام عليكم وألزمناكموه وبيناه ذلك لكم * والصواب من القول في ذلك انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل

لايقبل رجوعه ويحفر للمرأة الى صدرها حتى لا تنكشف و يرمى اليها ولا يحفر للرجل كما فى حق ماعز اذ لو كان فى الحفرة لم يمكنه الهرب ولما روى أبو سعيد الخدرى فى قصته فما أوثقناه ولا حفرنا له واذا مات الزانى فى الحد يغسل و يكفن و يصلى عليه و يدفن فى مقابر المسلمين ومن تغليظات حد الزنا قوله سبحانه وليشهد ظاهره أمر للوجوب الا أن الفقهاء أجمعوا على ان حضور الجمع مستحب والمقصود اعلان اقامة الحد لما فيه من مزيد الردع ولما فيه من دفع التهمة عمن يجلد وفى لفظ العذاب دليل على انه عقوبة لا استصلاح الا أن يراد بالعذاب ما يمنع من المعاودة كالنكال وقد مر فى أول البقرة فى قوله ولهم عذاب عظيم ومعنى الطائفة قد مر فى التوبة فقال النخعى ومجاهد (٤٦)

هى فى الآية واحد وعن عطاء وعكرمة اثنان وعن الزهرى وقتادة ثلاثة وقال ابن عباس والشافعى أربعة بعدد شهود الزنا وعن الحسن عشرة لانها أول عقد وجوز ابن عباس الى أربعين رجلا من المصدقين بالله وحضور الامام والشهود ليس بلازم عند الشافعى ومالك لانه صلى الله عليه وسلم لم يحضر رجم ماعز والغامدية وقال أبو حنيفة ان ثبت بالبينة وجب على الشهود ان يبدؤا بالرجم ثم الامام ثم الناس وان ثبت باقراره بدأ الامام ثم الناس ثم ذكر شيأ من خواص الزناة فقال الزانى لا ينكح وهو خبر فى معنى النهى كقراءة عمرو ابن عبيد لا ينكح بالجزم ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية بذلك وفى الآية اسئلة الاول كيف قدمت الزانية على الزانى فى الآية المتقدمة وعكس الترتيب فى هذه والجواب ان تلك الآية مسوقة لبيان عقوبتهما على جنايتهما وكانت المرأة أصلا فيها لانها هى التى أطمعت الرجل فى ذلك وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل هو الاصل فى الرغبة والخطبة والثانى ما الفرق بين الجملتين فى الآية والجواب معنى الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها الاعفاء ولكن الزناة وهما معنيان مختلفان لانه لا يلزم عقلا من كون الزانى كذلك أن يكون حال الزانية منحصرة فى ذلك فاخبره الله تعالى بالجملة الثانية عن هذا الانحصار الثالث انا نرى الزانى قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وأيضا المؤمن قد يحل له التزوج بالمرأة الزانية الجواب للمفسرين فيه وجوه أحدها وهو الاحسن قول القفال ان اللفظ وان كان عاما الا أن المراد منه الاعم الاغلب وذلك أن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب غالبا فى نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب فى فاسقة خبيثة من

المغيرة

واحدة منهما علماء من القراء فاي تهما قرأ القارئ فصيب وذلك ان الله قد فصلها وأنزل فيها ضروبا من الاحكام وأمر فيها ونهى وفرض على عباده فيها فرائض ففيها المعنيان كلاهما التفريض والفرض فلذلك قلنا باية القراءتين قرأ القارئ فصيب الصواب ذكر من تأول ذلك بمعنى الفرض والبيان من أهل التأويل **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وفرضناها يقول بيناها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سورة أنزلناها وفرضناها قال فرضناها لهذا الذى يتلوها مما فرض فيها وقرأ فيها آيات بينات لعلكم تذكرون وقوله وأنزلنا فيها آيات بينات يقول تعالى ذكره وأنزلنا فى هذه السورة علامات ودلالات على الحق بينات يعنى واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل انها من عند الله فانها الحق المبين وانها تهدى الى الصراط المستقيم كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وأنزلنا فيها آيات بينات قال ابن جريج الحلال والحرام والحدود لعلكم تذكرون يقول لتتذكروا بهذه الآيات البينات التى أنزلناها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) يقول تعالى ذكره من زنى من الرجال أو زنت من النساء وهو حر بكر غير محصن بزوج فاجلدوه ضربا مائة جلدة عقوبة لما صنع وأتى من معصية الله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله يقول تعالى ذكره لا تأخذكم بالزانى والزانية أيها المؤمنون رأفة وهى رقة الرحمة فى دين الله يعنى فى طاعة الله فيما أمركم به من اقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به واختلف أهل التأويل فى المنهى عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما فقال بعضهم هو ترك اقامة حد الله عليهما فاما اذا أقيم عليهما الحد فلم تأخذهم بهما رأفة فى دين الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو هاشم قال ثنا يحيى بن أبى زائدة عن نافع بن عمر عن ابن أبى مليكة عن عبد الله بن عبد الله قال جلد ابن عمر جارية له أحدثت فجلد رجليها قال نافع وحسبت أنه قال وظهرها فقلت ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فقال وأخذتنى بها رأفة ان الله لم يأمرنى أن أقتلها **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن أبى مليكة يقول ثنى عبد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عمر حد جارية له فقال للجالد وأشار الى رجلها والى أسفلها قلت فأين قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال أفاقتلها **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال ان تقيم الحد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج بهما رأفة فى دين الله قال لا تضيعوا حدود الله قال ابن جريج وقال مجاهد لا تأخذكم بهما رأفة لا تضيعوا الحدود فى أن تقيموها وقالها عطاء بن أبى رباح ثنا أبو هاشم قال ثنا عبد الملك وحجاج عن عطاء ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال يقام حد الله ولا يعطل وليس بالقتل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنى محمد بن فضيل عن داود عن سعيد بن جبير قال الجلد ثنى عبيد بن اسمعيل الهبارى قال ثنا محمد بن فضيل عن

المغيرة عن ابراهيم فى قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال الضرب حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قلت لابى مجلز الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما الى قوله واليوم الآخر انا لنرحمهم أن يجلد الرجل حدا أو تقطع يده قال انما ذاك انه ليس للسلطان اذا رفعوا اليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحد ثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال لا تقام الحدود حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فتدعوهما من حدود الله التى أمر بها وافترضها عليهما قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران انه سأل سليمان بن يسار عن قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله أى فى الحدود أو فى العقوبة قال ذلك فيهما جميعا حدثنا عمرو بن عبد الحميد الاملى قال ثنا يحيى بن زكريا عن عبد الملك ابن أبى سليمان عن عطاء فى قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال أن يقام حد الله ولا يعطل وليس بالقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر فى قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال الضرب الشديد وقال آخرون بل معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب عنهما ولكن أوجعوهما ضربا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن أبى بكر قال ثنا أبو جعفر عن قتادة عن الحسن وسعيد بن المسيب ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال الجلد الشديد قال حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن حماد قال يحد القاذف والشارب وعليهما ثيابهما وأما الزانى فتخلع ثيابه وتلا هذه الآية ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فقلت للحكم أهذا فى الحكم قال فى الحكم والحد حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى قال يجتهد فى حد الزانى والفرية ويخفف فى حد الشرب وقال قتادة يخفف فى الشراب ويجتهد فى الزانى *وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة فى اقامة حد الله عليهما الذى افترض عليكم اقامته عليهما وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لدلالة قول الله بعده فى دين الله يعنى فى طاعة الله التى أمركم بها ومعلوم أن دين الله الذى أمر به فى الزانيين اقامة الحد عليهما على ما أمر من جلد كل واحد منهما مائة جلدة مع أن الشدة فى الضرب لا حد لها يوقف عليه وكل ضرب أوجع فهو شديد وليس للذى يوجع فى الشدة حد لا زيادة فيه فيؤمر به وغير جائز وصفه جل ثناؤه بانه أمر بما لا سبيل للمأمور به الى معرفته واذا كان ذلك كذلك فالذى للمأمورين الى معرفته السبيل هو عدد الجلد على ما أمر به وذلك هو اقامة الحد على ما قلنا والعرب فى الرأفة لغتان الرأفة بتسكين الهمزة والرآفة بمدها كالسأمة والسآمة والكأبة والكآبة وكان الرأفة المرة الواحدة والرآفة المصدر كما قيل ضؤل ضآلة مثل فعل فعالة وقبح قباحة وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر يقول ان كنتم تصدقون بالله ربكم وباليوم الآخر وانكم فيه مبعوثون لحشر القيامة وللثواب والعقاب فان من كان بذلك مصدقا فانه لا يخالف الله فى أمره ونهيه خوف عقابه على معاصيه وقوله

شكله أوفى نحو كفؤ الفاسقة الخبيثة المسافحة لا يرغب فى نكاحها الصلحاء فى الاغلب وانما يرغب فيها أشكالها من الفسقة أو المشركين نظير هذا الكلام قول القائل لا يفعل الخير الا الرجل التقى وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقى وأما المحرم على المؤمنين فصرف الرغبة بالكلية الى الزوانى وترك الرغبة فى الصالحات لانخراطهم بسبب هذا الحصر فى سلك الفسقة المتسمين بالزنا الوجه الثانى أن الالف واللام فى قوله الزانى وفى قوله المؤمنين للعهد روى مجاهد وعطاء بن أبى رباح وقتادة أنه قدم المهاجرون المدينة وليست لهم أموال ولا عشائر وبها نساء يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة لكل واحدة منهن علامة على بابها لتعرف بها وكان لا يدخل عليها الا زان أو مشرك فرغب فيهن ناس من فقراء المسلمين وقالوا نتزوج بهن الى أن يغنينا الله عنهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية والتقدير أولئك الزوانى لا ينكحون الا تلك الزانيات وتلك الزانيات لا ينكحها الا أولئك الزوانى وحرم نكاحهن باعيانهن على المؤمنين الوجه الثالث ان هذا خبر فى معنى النهى كما مر وهكذا كان الحكم فى ابتداء الاسلام ثم قيل ان ذلك الحكم باق الى الآن حتى يحرم على الزانى والزانية التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس ويقال هذا مذهب أبى بكر وعمر وعلى وابن مسعود وعائشة ثم فى هؤلاء من يسوى بين الابتداء والدوام فيقول كما لا يحل للمؤمن ان يتزوج بالزانية فكذلك اذا زنت تحته لا يحل له ان يقيم عليها ومنهم من يفصل لان فى جملة ما منع من التزوج ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة وقيل انه صار منسوخا اما بالاجماع وهو قول سعيد بن المسيب وزيف بان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به واما بعموم قوله وأنكحوا الايامى فانكحوا ما طاب لكم وهو قول الجبائى وضعف بان ذلك العام مشروط بعدم الموانع السببية والنسبية وليكن هذا المانع أيضا من جملتها وسئل ابن عباس عن ذلك فاجازه وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال الوجه الرابع قول أبى مسلم ان النكاح محمول على الوطء وذلك اشارة الى الزنا أى وحرم الزنا على المؤمنين قال الزجاج هذا التأويل فاسد من جهة أن النكاح فى كتاب الله لم يرد الا بمعنى التزويج ومن جهة انه يخرج الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لقول القائل الزانى لا يطأ الا الزانية حتى يكون وطؤه زنى ولو أريد حين التزوج فالاشكال عائد لان الزانى قد يطأ العفيفة حين يتزوج بها الحكم الثانى من أحكام السورة حد القذف والرمى قد يكون بالزنا وبغيره كالكفر والسرقة

وشرب الخمر الا أن العلماء أجمعوا على أن المراد به فى الآية هو الرمى بالزنا بالقرائن منها تقدم ذكر الزنا ومنها ذكر المحصنات وهن العفائف ومنها قوله لم يأتوا بأربعة شهداء أى على صحة ما رموها به ومعلوم ان هذا العدد من الشهود غير مشروط الا فى الزنا والقذف بغير الزنا يكفى فيه شاهدان والفاظ القذف تنقسم الى صريح وكناية وتعريض فالصريح ان يقول يا زانية أو زنيت أو زنى قبلك أو دبرك والاصح ان قوله زنى بدنك صريح لان الفعل لكل البدن والفرج آلة والكناية ان يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا بنت الحرام أو امرأته لا ترد يد لامس فهذا لا يكون قذفا الا أن يريده وكذا لو قال لعربى يا نبطى الدار واللسان وادعت أم المقول له أنه أراد القذف فالقول قوله مع يمينه والتعريض ليس بقذف كقوله يا ابن الحلال وأما أنا فليست أمى بزانية وهذا قول الشافعى وأبى حنيفة وأصحابه وقال مالك يجب الحد فيه وقال أحمد واسحق هو قذف فى حال الغضب دون حال الرضا لنا ان الاصل براءة الذمة فلا يرجع عنه بالشك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات والايذاء الحاصل بالتصريح فوق الايذاء الحاصل بالتعريض حجة المخالف ما روى ان رجلين استبا فى زمن عمر بن الخطاب فقال أحدهما للآخر والله ما أبى بزان ولا أمى بزانية فاستشار عمر الناس فى ذلك فقال قائل مدح أباه وأمه وقال آخرون قد كان لابيه وأمه مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين واذا قذف شخصا واحدا مرارا فان أراد بالكل زنية واحدة كما لو قال مرارا زنيت بعمرو لم يجب الا حد واحد ولو انشأ الثانى بعد ما حد للاول عزر للثانى وان أراد زنيات مختلفة كأن قال زنيت بزيد وزنيت بعمرو فالاصح تداخل الحدود لانهما حدان من جنس واحد فصار كما لو قذف زوجته مرارا يكتفى بلعان واحد واذا قذف جماعة بكلمات أو بكلمة واحدة كأن قال يا ابن الزانيين فعليه حدان لانه قذف لكل واحد من أبويه هذا هو الجديد من قولى الشافعى وعند أبى حنيفة لا يجب الا حد واحد لان قوله والذين يرمون المحصنات معناه كل من رمى جماعة من المحصنات فاجلدوه ثمانين ولانه صلى الله عليه وسلم قال لهلال بن أمية أو حد فى ظهرك لم يوجب عليه الا حدا واحدا مع قذفه لامرأته ولشريك بن سحماء وللقياس على من زنى مرارا أو شرب أو سرق مرارا والجامع رفع مزيد الضرر وأجيب بان قوله والذين صيغة جمع وقوله المحصنات كذلك واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فيصير المعنى كل من رمى محصنة فاجلدوه وفيه ان رمى المحصنة علة الجلد فحيث وجدت وجد ولا شك ان هذه العلة موجودة عند رمى كل واحدة

وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين يقول تعالى ذكره وليحضر جلد الزانيين البكرين وحدهما اذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين والعرب تسمى الواحد فما زاد طائفة وقوله من المؤمنين يقول من أهل الايمان بالله ورسوله وقد اختلف أهل التأويل فى مبلغ عدد الطائفة الذى أمر الله بشهود عذاب الزانيين فقال بعضهم أقله واحد ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفين عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل **حدثنا** على بن سهل بن موسى بن اسحق الكنانى وابن القواس قالا ثنا يحيى بن عيسى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل قال على فما فوق ذلك وقال ابن القواس فأكثر من ذلك **حدثنا** على قال ثنا زيد عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل **حدثنا** يعقوب قال ثنا ابن علية قال قال ابن أبى نجيح وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال مجاهد أقله رجل **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة الواحد الى الالف **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد فى هذه الآية وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة واحد الى الالف وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما **حدثنا** ابن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد قال الطائفة الرجل الواحد الى الالف قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما انما كانا رجلين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت عيسى بن يونس يقول ثنا النعمان بن ثابت عن حماد وابراهيم قال الطائفة رجل ثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل واحد فما فوقه وقال آخرون أقله فى هذا الموضع رجلان ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال قال عطاء أقله رجلان **حدثنى** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عمر بن عطاء عن عكرمة قال ليحضر رجلان فصاعدا وقال آخرون أقل ذلك ثلاثة فصاعدا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن ابن أبى ذئب عن الزهرى قال الطائفة الثلاثة فصاعدا **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال نفر من المسلمين **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثنى** أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا أشعث عن أبيه قال أتيت أبا برزة الاسلمى فى حاجة وقد أخرج جارية الى باب الدار وقد زنت فدعا رجلا فقال اضربها خمسين فدعا جماعة ثم قرأ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين **حدثنا** أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى عن أشعث عن أبيه ان أبا برزة أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ضربا غير

من المحصنات فيترتب عليها الجلد لامحالة وأما السنة فالانصاف ان دلالتها على المطلوب قوية وأما القياس فالفرق ان هذا حق الآدمي وتلك
حقوق الله تعالى هذا كله هو البحث عن الرمي وأما البحث عن الرامي فنقول لاعبرة بقذف الصبي والمجنون الا في باب التعزير للتأديب ان كان
لهما تمييز ولو لم يتفق اقامة التعزير على الصبي حتى بلغ قال القفال يسقط التعزير لانه كان للزجر والعقل زاجر قوي واشارة الاخرس وكتابته
قذف ولعان عند الشافعي قياسا على سائر الاحكام ولانه كاف في لحوق العار وعند أبي حنيفة لايصح قذفه ولعانه لضعف تأثيرهما واذا
قذف العبد حرا فعليه أربعون جلدة قاله مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه على قانون قوله فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب وعند الشيعة ويروى
عن علي رضي الله عنه أنه يجلد
ثمانين أخذا بعموم الآية
ولهذا اتفقوا على دخول الكافر
فيه حتى لو قذف اليهودي مسلما
جلد ثمانين ويستثنى من الرماة
الاب أو الجد اذا قذف أولاده
أو احفاده فانه لايجب عليه الحد
كما لايجب عليه القصاص وأما
البحث عن المرمي فالمحصنات
العفائف لانهن منعن فروجهن
الا من زوجهن وهي عامة الأن
الفقهاء اعتبروا لكونها محصنة
شرائط خمسا الاسلام لقوله صلى
الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس
بمحصن والعقل والبلوغ لان
المجنون والصبي لااهتمام لهما
بدفع العار عن أنفسهما والحرية
لمثل ما قلنا والعفة لان الحد شرع
لتكذيب القاذف فاذا كان صادقا
فلا معنى للحد حتى لو زنى مرة في
عنفوان شبابه ثم تاب وحسنت
حاله لم يحد قاذفه بخلاف ما لو زنى
في حال صغره أو جنونه ثم بلغ أو
أفاق فقذفه قاذف فانه يحد لان فعل
الصبي والمجنون لايكون زنا ولو زنى
بعد القذف وقبل اقامة الحد على
القاذف سقط الحد عن قاذفه
قاله أبو حنيفة والشافعي لان ظهور
الزنا منه خدش ظن الاحصان
به وقت القذف ودل على انه كان متصفا به قبله كما روي ان رجلا زنى في عهد
عمر فقال والله مازنيت الا هذه فقال عمر كذبت ان الله لايفضح عبده في أول مرة وقال أحمد والمزني وأبو ثور الزنا الطارئ لايسقط الحد عن
القاذف ولفظ المحصنات لايتناول الرجال عند جمهور العلماء الا أنهم أجمعوا على انه لافرق في هذا الباب بين المحصنين والمحصنات والقذف بغير
الزنا كأن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق وكذا قذف غير المحصنين بالزنا لايوجب الا التعزير ولو كان المقذوف
معروفا بما ذكره فلا تعزير أيضا واعلم أنه سبحانه حكم على القاذف اذا لم يأت بأربعة شهداء ثلاثة أحكام جلد ثمانين وبطلان الشهادة

مبرح قال فالقي عليها ثوبا وعنده قوم وقرأ وليشهد عذابهما الآية وقال آخرون بل أقل ذلك
أربعة ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين قال فقال الطائفة التي يجب بها الحد أربعة * وأولى الاقوال في ذلك
بالصواب قول من قال أقل ماينبغي حضور ذلك من عدد من المسلمين الواحد فصاعدا وذلك ان الله عم
بقوله وليشهد عذابهما طائفة والطائفة قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا فاذ كان ذلك كذلك
ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد كان معلوما ان حضور ما
وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحد مما أمره الله به بقوله وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين غير اني وان كان الامر على ماوصفت استحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك
الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنى لان ذلك اذا كان كذلك فلا خلاف بين
الجميع انه قد أدى المقيم الحد ما عليه في ذلك وهم فيما دون ذلك مختلفون ۞ القول في تأويل قوله
تعالى (الزاني لاينكح الا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على
المؤمنين) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نزلت هذه الآية في بعض من استأذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح نسوة كن معروفات بالزنا من أهل الشرك وكن أصحاب رايات
يكرين أنفسهن فأنزل الله تحريمهن على المؤمنين فقال الزاني من المؤمنين لايتزوج والزانية من أولئك
البغايا الا زانية أو مشركة لانهن كذلك والزانية من أولئك البغايا لاينكحها الا زان من المؤمنين أو
المشركين أو مشرك مثلها لانهن كن مشركات وحرم ذلك على المؤمنين فحرم الله نكاحهن في قول
أهل هذه المقالة بهذه الآية ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن
أبيه قال ثني الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو ان رجلا من المسلمين استأذن نبي
الله في امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح وتشترط له أن تنفق عليه وانه استأذن فيها نبي الله
صلى الله عليه وسلم وذكر له أمرها قال فقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم الزانية لاينكحها الا زان أو
مشرك أو قال فأنزلت الزانية **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثني هشيم عن التيمي عن القاسم
ابن محمد عن عبد الله بن عمرو قوله الزاني لاينكح الا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها الا زان
أو مشرك قال كن نساء معلومات قال فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه
فنهاهم عن ذلك قال أخبرنا سليمان التيمي عن سعيد بن المسيب قال كن نساء موارد بالمدينة **حدثنا**
أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبي قال ثنا قتادة عن سعيد بن المسيب في هذه الآية الزانية
لاينكحها الا زان أو مشرك قال نزلت في نساء موارد كن بالمدينة **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عمرو بن عاصم
الكلابي قال ثنا معتمر عن أبيه عن قتادة عن سعيد بنحوه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال
ثنا داود عن رجل عن عمرو بن شعيب قال كان لمرثد صديقة في الجاهلية يقال لها عناق وكان رجلا

والحكم بفسقه الى أن يتوب فذهب جمع من الائمة كالشافعي والليث بن سعد الى أنه رتب على القذف مع عدم الاتيان بالشهداء الاربعة أمورا ثلاثة معطوفة بعضها على بعض بالواو وهو لا يفيد الترتيب فوجب أن لا يكون رد الشهادة مرتبا على اقامة الحد بل يجب ان يثبت رد الشهادة بالقذف مع عدم البينة سواء أقيم عليه الحد ام لا وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابه شهادته مقبولة مالم يحد فاذا استوفى لم تقبل شهادته وانما ذهب الى هذا نظرا الى ظاهر الترتيب مع موافقته للاصل وهو كونه مقبول الشهادة مالم يطرأ مانع ولقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا (٥٠) فى قذف أخبر ببقاء عدالته مالم يحد أما الاستثناء فى قوله الا الذين تابوا فانه لا يرجع الى الجملة الاولى اتفاقا لانه اذا عجز عن البينة وهو الاتيان باربعة شهداء وجب عليه الجلد ولم يكن للامام ولا للمقذوف ان يعفو عن القاذف لانه خالص حق الله عز وجل ولهذا لا يصح ان يصالح عنه بمال هذا قول أبى حنيفة وأصحابه وقال الشافعى اذا عجز عن البينة وجب على الامام وهو المخاطب بقوله فاجلدوهم ان يأمر بجلده وان تاب لان القذف حده حق الآدمى والمغلب فيه حقه فليس للامام ان يعفو عنه ولا خلاف فى رجوع الاستثناء الى الجملة الاخيرة وان المراد انهم محكوم عليهم بالفسق الا ان تابوا بقى الخلاف فى رجوع الاستثناء الى الجملة المتوسطة ومنشأ الخلاف مسئلة أصولية هى ان الاستثناء بعد جمل معطوف بعضها على بعض للجميع وهو مذهب الشافعية أو للاخيرة وهو مذهب الحنفية ويتفرع على مذهب الشافعى ان القاذف اذا تاب وحسنت حاله قبلت شهادته فيكون الابد مصروفا الى مدة كونه قاذفا وهى تنتهى بالتوبة والرجوع عن القذف ويتفرع على مذهب أبى حنيفة انه لم تقبل شهادته وان تاب والابد عنده مدة حياته وقوله وأولئك هم الفاسقون جملة مستأنفة عنده لا معطوفة لانها خبرية وما قبلها طلبية ولو سلم انها معطوفة فالاستثناء لا يرجع اليها فقط قال صاحب الكشاف حق المستثنى عند الشافعى ان يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم وحقه عند أبى حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب قلت حقه عند الامامين ان يكون منصوبا لان الاستثناء يعود عند الشافعى الى الجملتين ولا يمكن ان يكون الاسم الواحد معربا باعرابين مختلفين فى حالة واحدة لكنه يجب نصبه نظرا الى الاخيرة فتعين نصبه نظرا الى ما قبلها أيضا وان جاز البدل فى غير هذه المادة هذا وقد احتجت الشافعية أيضا فى قبول شهادة القاذف بعد التوبة بقوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا كانت التوبة

شديدا وكان يقال له ودلدوكان يأتى مكة فيحمل ضعفة المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقى صديقته فدعته الى نفسها فقال ان الله قد حرم الزنا فقالت أنى تبرز فخشى ان تشيع عليه فرجع الى المدينة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كانت لى صديقة فى الجاهلية فهل ترى لى نكاحها قال فأنزل الله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك فانهن كن نساء معلومات يدعون القليقيات حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن ابراهيم بن مهاجر قال سمعت مجاهدا يقول فى هذه الآية الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قال كن بغايا فى الجاهلية حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عبد الملك عمن أخبره عن مجاهد نحوا من حديث ابن المثنى الا انه قال كانت امرأة منهن يقال لها أم مهزول يعنى فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فكن نساء معلومات قال فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه فنهاهم الله عن ذلك هذا فى حديث التيمى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الزانى لا ينكح الا زانية قال رجال كانوا يريدون الزنى بنساء زوان بغايا متعالمات كن فى الجاهلية فقيل لهم هذا حرام فارادوا انكاحهن فحرم الله عليهم انكاحهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا انه قال بغايا معلنات كن كذلك فى الجاهلية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن هشام بن عروة عن أبيه واسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى وابن أبى ذئب عن شعبة عن ابن عباس قال كن بغايا فى الجاهلية على أبوابهن رايات مثل رايات البيطار يعرفن به حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن قيس بن سعد عن عطاء ابن أبى رباح عن ابن عباس قال نساء بغايا متعالمات حرم الله نكاحهن لا ينكحهن الا زان من المؤمنين أو مشرك من المشركين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال كانت بيوت تسمى المواجير فى الجاهلية وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهن وكانت بيوتا معلومة للزنا لا يدخل عليهن ولا يأتيهن الا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الاوثان فحرم الله ذلك على المؤمنين حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج عن عطاء فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال بغايا متعالمات كن فى الجاهلية بغى آل فلان وبغى آل فلان فأنزل الله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الاسلام فقال له سليمان بن موسى أبلغك ذلك عن ابن عباس فقال نعم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء بن أبى رباح يقول فى ذلك كن بغايا متعالمات بغى آل فلان وبغى آل فلان وكن زوانى مشركات فقال الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية

من الكفر والزنا والقتل مع غلظها مقبولة فلان تقبل من القذف أولى وأيضا ان أبا حنيفة يقبل شهادته قبل الحد فبعده وقد تاب وحسن حاله أولى وأيضا الكافر يقذف فيتوب من الكفر فتقبل شهادته بالاجماع فالقاذف المسلم اذا تاب من القذف كان أولى بان تقبل شهادته لان القذف مع الاسلام أهون حالا من القذف مع الكفر لا يقال المسلمون لا يعبؤن بسبب الكفار لاشتهارهم بعداوتهم والطعن فيهم فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر عار حادث بخلاف ما لو قذفه مسلم وأيضا الايمان يجب ما قبله وبهذا لا يلزم الحد بعد التوبة من الكفر ويلزم بعد التوبة من القذف لانا نقول هذا الفرق ملغى في أهل الذمة لقوله صلى الله عليه وسلم لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين

واحتجت الحنفية في عدم قبول شهادته بما روى ابن عباس في قصة هلال بن امية يجلد هلال وتبطل شهادته في المسلمين ولم يشترط التوبة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدود في قذف ولم يذكر التوبة وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود في الاسلام والشافعية عارضوا هذه الحجج بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد فاذا علم المحدود وجبت عليه الشهادة ولو لم يقبل كان عبثا ومنها قوله نحن نحكم بالظاهر وههنا قد ظهرت العفة والصلاح ومنها ان عمر بن الخطاب ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكرة ونافع ونفيع ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت شهادته فاكذب نافع ونفيع أنفسهما وتابا فكان يقبل شهادتهما وقد بقي في الآية مسائل الاولى قال الشافعي لا فرق بين ان يجيء الشهود متفرقين أو مجتمعين وقال أبو حنيفة اذا جاؤا متفرقين لم يثبت وعليهم حد القذف كما لو شهد على الزنا أقل من أربعة حجة الشافعي ان الآتي بالشهداء متفرقين آت بمقتضى النص واجتماعهم أمر زائد لا اشعار به في الآية وأيضا القياس على سائر الاحكام بل تفريقهم أولى لانه أبعد عن التهمة والتواطؤ وكذلك يفعل القاضي في كل حكم سواء عند الريبة وأيضا لا يجب ان يشهدوا معا في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا عند القاضي ويقوم واحد بعد آخر ويشهد جاز فكذا اذا اجتمعوا على بابه ويدخل واحد بعد آخر حجة أبي حنيفة الشاهد الواحد لما شهد قذفه ولم يات بأربعة شهداء فوجب عليه الحد فخرج عن كونه شاهدا ولا عبرة بتسميته شاهدا اذا فقد المسمى فلا خلاص عن هذا الاشكال الا باشتراط الاجتماع ونظيره ما روى ان المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا عند عمر بن الخطاب أربعة أبو بكرة ونافع

لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال أحكم الله من أمر الجاهلية بهذا قيل له أبلغك هذا عن ابن عباس قال نعم قال ابن جريج وقال عكرمة انه كان يسمى تسعا بعد صواحب الرايات وكن أكثر من ذلك ولكن هؤلاء أصحاب الرايات أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي وأم عليط جارية صفوان بن أمية وحنة القبطية جارية العاص بن وائل ومرية جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار وحلالة جارية سهيل بن عمرو وأم سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي وسريفة جارية زمعة بن الاسود وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لؤى وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الزهري وقتادة قالوا كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهن فاراد ناس من المسلمين نكاحهن فانزل الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك الآية **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الزهري وقتادة قالوا كانوا في الجاهلية بغايا ثم ذكر نحوه **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن القاسم بن أبي بزة كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها يتخذها مأكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فنهوا عن ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح قال قال القاسم بن أبي بزة فذكر نحوه **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا سليمان التيمي عن سعيد بن المسيب قال كن نساء موارد بالمدينة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير ان نساء في الجاهلية كن يؤاجرن أنفسهن وكان الرجل انما ينكح احداهن يريد أن يصيب منها عرضا فنهوا عن ذلك ونزل الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ومنهن امرأة يقال لها أم مهزول **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل عن الشعبي في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء يكرين أنفسهن في الجاهلية * وقال آخرون معنى ذلك الزاني لا يزني الا بزانية أو مشركة والزانية لا يزني بها الا زان أو مشرك قالوا وعني بالنكاح في هذا الموضع الجماع ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال لا يزني الا بزانية أو مشركة **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير انه قال في هذه الآية والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال لا يزني الزاني الا بزانية مثله أو مشركة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن شبرمة عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قالا هو الوطء **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال سعيد بن جبير ومجاهد الزاني

ونفيع وقال زياد وكان رابعهم رأيت رجليها على عاتقه كاذني حمار ولا أدري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف في الحد للاحتياط الثانية جوز أبو حنيفة أن يكون زوج المقذوفة واحدا من الشهداء الاربعة وأباه الشافعي الثالثة قال الشافعي في أحد قوليه اذا أتى باربعة فساق فهم قذفة يجب عليهم الحد كما يجب على القاذف الاول وقال أبو حنيفة لا حد عليهم ولا على القاذف لانه أتى باربعة من أهل الشهادة الا أن الشرع لم يعتبر شهادتهم فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك يجب اعتبارها في نفي الحد عنهم الرابعة لا يكفي في الشهادة اطلاق (٥٢) الزنا بل لابد ان يذكروا التي زنى بها وان يذكروا الزنا مفصلا مفسرا فيقولوا رأيناه أدخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة أو كالرشاء في البئر ولابد مع ذلك من الوصف بالتحريم ولو أقر على نفسه بالزنا فهل يشترط التفسير والبيان فيه وجهان نعم كالشهود لا كالقذف الخامسة قالوا أشد الحدود ضرب الزنا ثم شرب الخمر ثم القذف لان سبب عقوبته يحتمل الصدق والكذب الا أنه عوقب صيانة للاعراض السادسة حد القذف يورث عند مالك والشافعي بناء على أنه حق الآدمي وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك حقا فلورثته والاصح انه يرثه جميع الورثة وفي قول سوى الزوج والزوجة لان الزوجية ترتفع بالموت ولان لحوق العار بهما أقل وعلى هذا القول اعترض أبو حنيفة بانه لو كان موروثا لكان للزوج والزوجة فيه نصيب السابعة اذا قذف انسان انسانا بين يدي الحاكم أو قذف امرأة برجل والرجل غائب فعلى الحاكم أن يبعث الى المقذوف ويخبره بان فلانا قد قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له حق على آخر وهو لا يعلمه يلزمه اعلامه وبهذا المعنى بعث النبي صلى الله عليه وسلم أنيسا ليخبرها بان فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتفحص عن زناها قال الشافعي وليس للامام اذا رمي رجل بالزنا ان يبعث اليه فيسأله عن ذلك لان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأراد به اذا لم يكن القاذف معينا كان قال رجل بين يدي الحاكم الناس يقولون ان فلانا زنى فلا يبعث الحاكم اليه فيسأله الثامنة قال الشافعي توبة القاذف اكذابه نفسه وفسره الاصطخري بان يقول كذبت فيما قلت فلا أعود الى مثله وقال أبو اسحق لا يقول كذبت لانه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية والاتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية أخرى بل يقول القذف باطل وندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا أعود اليه ولابد من مضي مدة عليه في حسن الحال وهو المراد بقوله وأصلحوا وقدروا تلك المدة بسنة لان مرور

لا ينكح الا زانية أو مشركة قال الا هو الوطء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم وشعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال الا يزني الزاني حين يزني الا بزانية مثله أو مشركة ولا تزني مشركة الا بمثلها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال هؤلاء بغايا كن في الجاهلية والنكاح في كتاب الله الاصابة لا يصيبها الا زان أو مشرك لا يحرم الزنا ولا يصيب هو الا مثلها قال وكان ابن عباس يقول بغايا كن في الجاهلية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن قيس بن سعد عن سعيد بن جبير قال اذا زنى بها فهو زان حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال الزاني من أهل القبلة لا يزني الا بزانية مثله أو مشركة قال والزانية من أهل القبلة لا تزني الا بزان مثلها من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة ثم قال وحرم ذلك على المؤمنين وقال آخرون كان هذا حكم الله في كل زان وزانية حتى نسخه بقوله وأنكحوا الايامى منكم فاحل نكاح كل مسلمة وانكاح كل مسلم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال يرون الآية التي بعدها نسختها وأنكحوا الايامى منكم قال فهن من أيامى المسلمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال نسختها التي بعدها وانكحوا الايامى منكم وقال انهن من أيامى المسلمين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال وذكر عن يحيى عن ابن المسيب قال نسختها وانكحوا الايامى منكم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال نسختها قوله وانكحوا الايامى حدثني يونس قال أخبرنا أنيس بن عياض عن يحيى قال ذكر عند سعيد بن المسيب الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فسمعته يقول انها قد نسختها التي بعدها ثم قرأها سعيد قال يقول الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة ثم يقول الله وانكحوا الايامى منكم فهن من أيامى المسلمين * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى بالنكاح في هذا الموضع الوطء وان الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة على ان الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك وان الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الاوثان فمعلوم اذ كان ذلك كذلك انه لم يعن بالآية ان الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح الا بزانية أو مشركة واذ كان ذلك كذلك تبين أن معنى الآية الزاني لا يزني

الا

الا زانية تستحل الزنا أو بمشركة تستحله وقوله وحرم ذلك على المؤمنين يقول وحرم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله وذلك هو النكاح الذى قال جل ثناؤه الزانى لاينكح الا زانية ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) يقول تعالى ذكره والذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين فيرمونهن بالزنا ثم لم يأتوا على مارموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهن انهن رأوهن يفعلن ذلك فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الذين خالفوا امر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها وذكر ان هذه الآية انما نزلت فى الذين رموا عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الافك ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب وابراهيم بن سعيد قالا ثنا ابن فضيل عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير الزنا أشد أو قذف المحصنة قال لا بل الزنا قلت ان الله يقول والذين يرمون المحصنات قال انما هذا فى حديث عائشة خاصة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الآية فى نساء المسلمين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأولئك هم الفاسقون قال الكاذبون ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف أهل التأويل فى الذى استثنى منه قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فقال بعضهم استثنى من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون وقالوا اذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال عنه اسم الفسق حد فيه أو لم يحد ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن حماد الدولابى قال ثنى سفيان عن الزهرى عن سعيد ان شاء الله ان عمر قال لابى بكرة ان تبت قبلت شهادتك أورديت شهادتك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب ضرب أبا بكرة وشبل بن معبد ونافع بن الحرث بن كلدة حدهم وقال لهم من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل ومن لم يفعل لم أجز شهادته فاكذب شبل نفسه ونافع وأبى أبو بكرة أن يفعل قال الزهرى هو والله سنة فاحفظوه حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود عن الشعبى قال اذا تاب يعنى القاذف ولم يعلم منه الا خير جازت شهادته حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن الشعبى قال على الامام أن يستتيب القاذف بعد الجلد فان تاب وأونس منه خير جازت شهادته وان لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوارث عن داود عن عامر انه قال فى القاذف اذا تاب وعلم منه خير ان شهادته جائزة وان لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته وتوبته اكذابه نفسه قال حدثنا ابن أبى عدى عن داود عن الشعبى نحوه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا داود بن أبى هند عن الشعبى قال فى القاذف اذا تاب وأكذب نفسه قبلت شهادته والا كان خليعا لا شهادة له لان الله يقول لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء

الفصول الاربعة كلها له تاثير فى الطباع وان الشارع جعل السنة معتبرة فى الزكاة والجزية وغيرهما أما قوله وأولئك هم الفاسقون ففيه دليل على ان القذف من جملة الكبائر وان الفاسق اسم من يستحق العقاب لانه لو كان مشتقا من فعله لكانت التوبة لا تمنع من دوامه كما لا تمنع من وصفه بانه ضارب اللهم الا أن يقال انما لا يطلق عليه هذا الاسم بعد التوبة للتعظيم كما لا يقال لا كابر الصحابة كافر لكفر سبق قالت الاشاعرة فى قوله فان الله غفور رحيم دلالة على ان قبول التوبة لا يجب عليه والا لم يفد المدح الحكم الثالث اللعان وسببه قذف الزوجات خاصة القذف أمر محظور فى نفسه الا اذا عرض ما يباح أو يجب به وتفصيل ذلك انه ان رآها الزوج بعينه تزنى أو أقرت هى على نفسها ووقع فى قلبه صدقها أو سمع ممن يثق بقوله أو استفاض بين الناس ان فلانا يزنى بفلانة وقد رآه الزوج يخرج من بيتها أو رآه معها فى بيت أبيح له القذف لتأكد التهمة ويجوز ان يمسكها او يستر عليها لما روى ان رجلا قال يا رسول الله ان لى امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها قال انى أحبها قال فامسكها أما ان سمعه ممن لا يوثق بقوله أو استفاض ولكن لم يره الزوج معها أو بالعكس لم يحل له قذفها لانه ربما دخل لخوف أو سرقة أو طلب فجور وأبت المرأة هذا كله اذا لم يكن ثمة ولد يريد نفيه فان كان ثمة ولد فان تيقن انه ليس منه أن لم يكن وطئها أو وطئها لكنها أتت به لاقل من ستة أشهر من وقت الوطء أو لاكثر من أربع سنين يجب عليه نفيه باللعان لانه ممنوع من استلحاق نسب الغير كما هو ممنوع من نفى نسبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شئ ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤس الاشهاد من الاولين والآخرين وان احتمل ان يكون الولد منه بان أتت به لاكثر من ستة أشهر من وقت الوطء ولاقل من أربع سنين فان لم يكن استبرأها بحيضة أو استبرأها وأتت به لدون ستة أشهر من وقت الاستبراء لم يحل له القذف والنفى وان اتهمها بالزنا وان استبرأها وأتت به لاكثر من ستة أشهر من وقت الاستبراء يباح له القذف والنفى والاولى ان لا يفعل لانها قد ترى الدم على الحبل وان أتت امرأته بولد لا يشبهه كان كانا أبيضين وأتت به أسود فان لم يتهمها بالزنا فليس له نفيه لما روى أبو هريرة ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان امرأتى ولدت غلاما أسود فقال هل لك من ابل قال نعم قال ما ألوانها قال حمر قال فهل فيها أورق قال نعم قال فكيف ذلك قال نزعة عرق قال فلعل هذا نزعه عرق وان كان يتهمها بزنا أو برجل فاتت بولد

يشبهه فهل يباح له نفيه فيه وجهان أما سبب نزول الآية فقد قال ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة قال عاصم بن عدي الانصاري اذا دخل منا رجل بيته ووجد رجلا على بطن امرأته فان جاء باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتل قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس فاتى عويمر عاصما وقال لقد رأيت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الاخرى فقال يارسول الله ما أسرع ما ابتليت بهذا في أهل بيتي أخبرني عويمر أنه رأى شريكا على بطن امرأته وكان عويمر وخولة وشريك كلهم أبناء عم عاصم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يارسول الله صلى الله عليك وسلم اني رأيت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ أربعة أشهر وانها حبلى من غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقي الله ولا تخبري الا بما صنعت فقالت يارسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه رأى شريكا يطيل التردد والتحدث فحملته الغيرة على ما قال فانزل الله سبحانه هذه الآيات والذين يرمون أزواجهم الى آخرها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يؤذن بالصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل أشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية قل أشهد بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة قل اشهد بالله انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة قل أشهد بالله انها زانية واني ما قربتها منذ أربعة أشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة قل لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم قال اقعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وان زوجي عويمر لمن الكاذبين وقالت في الثانية أشهد بالله ما رأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين وقالت في الثالثة أشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين وفي الرابعة أشهد بالله انه ما رآني على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين وفي الخامسة غضب الله على خولة ان كان عويمر من الصادقين في قوله ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وعن ابن عباس أيضا في رواية الكلبي ان عاصما رجع الى أهله فوجد شريكا على بطن امرأته فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث كما تقدم وفي رواية عكرمة عن ابن عباس لما نزلت آية القذف قال سعد بن عبادة وهو سيد الانصار لو وجدت رجلا على بطنها قال ان جئت باربعة شهداء يكون

الى آخر الآية حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبي هند عن الشعبي انه كان يقول في شهادة القاذف اذا رجع عن قوله حين يضرب أو أكذب نفسه قبلت شهادته قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي انه كان يقول يقبل الله توبته وتردون شهادته وكان يقبل شهادته اذا تاب قال أخبرنا اسمعيل عن الشعبي انه كان يقول في القاذف اذا شهد قبل أن يضرب الحد قبلت شهادته قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبيدة عن ابراهيم واسمعيل بن سالم عن الشعبي انهما قالا في القاذف اذا شهد قبل أن يجلد فشهادته جائزة حدثني يعقوب قال قال ابو بشر يعني ابن علية سمعت ابن أبي نجيح يقول القاذف اذا تاب تجوز شهادته وقال كنا نقوله فقيل له من قال قال عطاء وطاوس ومجاهد حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن خلف بن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن عمر بن طلحة عن عبد الله قال اذا تاب القاذف جلد وجازت شهادته قال أبو موسى هكذا قال ابن أبي عثمة حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبي عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن سليمان بن يسار والشعبي قالا اذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلا في قذف فقال أكذب نفسك حتى تجوز شهادتك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم قال سمعت ابراهيم والشعبي يتذاكران شهادة القاذف فقال الشعبي لابراهيم لم لا تقبل شهادته فقال لاني لا أدري تاب أم لا قال حدثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال تقبل شهادته اذا تاب قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير مثله قال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عمران بن موسى قال شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال قال الشعبي اذا تاب جازت شهادته قال ابن المثنى قال عندي يعني في القذف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مسعر عن عمران بن عمير أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف اذا تاب حدثني يعقوب قال ثني هشيم عن جويبر عن الضحاك قال اذا تاب وأصلح قبلت شهادته يعني القاذف حدثنا ابن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن المسيب قال تقبل شهادة القاذف اذا تاب حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن المسيب مثله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال الزهري اذا حد القاذف فانه ينبغي للامام أن يستتيبه فان تاب قبلت شهادته والا لم تقبل قال كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة فتابوا الا أبا بكرة فكان لا تقبل شهادته ✽ وقال آخرون الاستثناء في ذلك من قوله وأولئك هم الفاسقون وأما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا فقد وصل بالابد ولا يجوز قبولها أبدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبي

قد قضى حاجته وذهب فقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لا تلمه فانه رجل
غيور فقال سعد يا رسول الله صلى الله عليك وسلم انى لاعرف انها من الله وانها حق ولكنى عجبت منه فقال صلى الله عليه وسلم فان الله أبى الا
ذلك فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال ابن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
انى وجدت مع امرأتى رجلا رأيت بعينى وسمعت باذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به فقال هلال والله يا رسول الله انى لارى
الكراهية فى وجهك مما أخبرتك به والله يعلم انى لصادق وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما البينة واما
اقامة الحد عليك فاجتمعت الانصار
فقالوا ابتلينا بما قال سعد فبيناهم
كذلك اذ نزل الوحى فقال يا هلال
ابشر فقد جعل لك فرجا وأمر
بالملاعنة وفرق بينهما وقال
ابصروها فان جاءت به أصهب خمش
الساقين أى دقيقهما فهو
لهلال وان جاءت به أورق
جعدا خدلج الساقين أى
ضخمهما فهو لصاحبه فجاءت
به خدلج الساقين فقال صلى الله
عليه وسلم لولا الايمان لكان لى
ولها شأن قال عكرمة لقد رأيته
بعد ذلك أمير مصر من الامصار
لا يدرى من أبوه واعلم ان الفرق بين
قذف غير الزوجة وبين قذف
الزوجة هو ان المخلص من الحد فى
الاول اقرار المقذوف بالزنا أو بينة
تقوم على زناه وفى الثانية المخلص
أحد الامرين أو اللعان وسبب
شرع اللعان وهو انه لا مضرة
على الزوج فى زنا الاجنبى والاولى
له ستره وأما فى زنا الزوجة فيلحقه
العار والشنار والنسب الفاسد
فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيفه على
البينة كالمتعذر وأيضا الغالب ان
الرجل لا يقصد زنا زوجته الا عن
حقيقة فنفس الرمى دليل على
صدقه الا ان الشرع أراد اكمال
شهادة الحال بقرينة الايمان كان
شهادة المرأة حين ضعفت أكدت بزيادة العدد فمن هنا قال كثير من العلماء ان حد قاذف الزوجة كان هو الجلد وان الله نسخه باللعان
ولنذكر ههنا مسائل الاولى قال الشافعى اذا نكل الزوج عن اللعان لزمه الحد للقذف فاذا لاعن ونكلت عن اللعان لزمها حد الزنا وقال أبو
حنيفة اذا نكل الزوج يحبس حتى يلاعن وكذا المرأة حجة الشافعى اذا لم يأت بالمخلص وهو الملاعنة وجب الرجوع الى مقتضى آية القذف
وهو الحد وأيضا قوله ويدرأ عنها العذاب ليست اللام فيه للجنس لانه لا يجب عليها جميع أنواع العذاب ولان الآية تصير اذ ذاك مجملة فهو
للعهد ولا معهود فى الآية الا حد القذف ولقوله صلى الله عليه وسلم لخولة الرجم أهون عليك من غضب الله وللمرأة ان تقول ان كان الرجل

الشعبى قال كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل اذا تاب الا القاذف قال توبته فيما بينه وبين ربه
ولا يجيز شهادته **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا
الشعبى عن شريح بنحوه غير انه قال صاحب كل حد اذا كان عدلا يوم شهد **حدثنى** أبو السائب
قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن شريح قال كان لا يجيز شهادة القاذف ويقول
توبته فيما بينه وبين ربه **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن مطرف
عن أبى عثمان عن شريح فى القاذف يقبل الله توبته ولا أقبل شهادته **حدثنا** أبو كريب قال ثنا
ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الشعبى قال أتاه خصمان فجاء أحدهما بشاهد أقطع فقال الخصم
ألا ترى ما به قال قد أراه قال فسأل القوم فأثنوا عليه خيرا فقال شريح نجيز شهادة كل صاحب حد
اذا كان يوم شهد عدلا الا القاذف فان توبته فيما بينه وبين ربه **حدثنا** أبو السائب قال ثنا ابن
ادريس قال أخبرنا أشعث عن الشعبى قال جاء خصمان الى شريح فجاء أحدهما ببينة فجاء بشاهد أقطع
فقال الخصم ألا ترى الى ما به فقال شريح قد رأيناه وقد سألنا القوم فأثنوا خيرا ثم ذكر سائر الحديث
نحو حديث أبى كريب **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الشيبانى عن الشعبى عن شريح
انه كان يقول لا تقبل له شهادة أبدا توبته فيما بينه وبين ربه يعنى القاذف قال ثنا هشيم قال أخبرنا
الاشعث عن الشعبى ان رجلا اقطع رجلا فى قطع الطريق قال فقطع يده ورجله قال ثم تاب وأصلح
فشهد عند شريح فأجاز شهادته قال فقال المشهود عليه أتجيز شهادته على وهو أقطع قال فقال شريح
كل صاحب حد اذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح فشهادته جائزة الا القاذف **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا
أبو الوليد قال ثنا شعبة قال المغيرة أخبرنى قال سمعت ابراهيم يحدث عن شريح قال قضاء من الله
لا تقبل شهادته أبدا توبته فيما بينه وبين ربه قال أبو موسى يعنى القاذف **حدثنى** يعقوب قال
ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال قال شريح لا يقبل الله شهادته أبدا **حدثنا** ابن المثنى
قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال لا تجوز شهادة القاذف توبته فيما
بينه وبين الله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن
انه قال القاذف توبته فيما بينه وبين الله وشهادته لا تقبل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال
ثنا حماد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال لا تجوز شهادة القاذف توبته فيما بينه وبين الله **حدثنا** ابن
بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة انه قال القاذف توبته فيما بينه وبين الله
وشهادته لا تقبل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن ابراهيم
انه قال فى الرجل يجلد الحد قال لا تجوز شهادته أبدا **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا
مغيرة عن ابراهيم انه كان لا يقبل له شهادة أبدا وتوبته فيما بينه وبين الله يعنى القاذف **حدثنا**
أبو كريب قال ثنا معتمر بن سليمان عن حجاج عن عمرو بن سعيد عن أبيه عن جده عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود فى الاسلام **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن

صادقا فحدونى وان كان كاذبا فخلونى فما بالى والحبس وليس حبسى فى كتاب الله ولا سنة رسوله حجة أبى حنيفة ان النكول ليس بصريح فى
الاقرار فلا يجوز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا وغيره الثانية الجمهور على انه اذا قال يا زانية وجب اللعان لعموم قوله والذين يرمون وقال
مالك لا يلاعن الا أن يقول رأيتك تزنى و ينفى حملها أو ولدا منها الثالثة قال الشافعى من صح رميه صح لعانه فلا يشترط الا التكليف
ويجرى اللعان بين الذميين والمحدودين (٥٦) والرقيقين وذهب أبو حنيفة الى ان الزوج ينبغى ان يكون مسلما حرا عاقلا بالغا غير
محدود فى القذف والمرأة ينبغى
ان تكون بهذه الصفة مع العفة
فاذا كان الزوج عبدا أو محدودا
فى قذف والمرأة محصنة حد كما فى
قذف الاجنبيات دليل الشافعى
عموم قوله والذين يرمون أزواجهم
والاجماع على انه يصح لعان
الفاسق والاعمى وان لم يكونا من
أهل الشهادة فكذا القول فى
غيرهما والجامع هو الحاجة الى
دفع العار دليل أبى حنيفة حديث
عبدالله بن عمرو بن العاص من
النساء من ليس بينهن وبين أزواجهن
ملاعنة اليهودية والنصرانية تحت
المسلم والحرة تحت المملوك
والمملوكة تحت الحر وأيضا
اللعان فى الزوجات قائم مقام الحد
فى الاجنبيات فلا يجب اللعان على
من لا يجب عليه الحد لو قذفها أجنبى
وأيضا اللعان شهادة لقوله تعالى
فشهادة أحدهم أربع شهادات
وقد جاء مثله فى أحاديث اللعان
واذا كان شهادة وجب ان لا يقبل
من المحدود فى القذف ولا من العبد
والكافر أجاب الشافعى بان اللعان
يمين مؤكدة بلفظ الشهادة
أو يمين فيها شائبة الشهادات فلا
يشترط فى الملاعن الا أهلية اليمين
ومما يدل على انه يمين قوله صلى الله
عليه وسلم لهلال بن امية احلف
بالله الذى لا اله الا هو انك لصادق
وقوله لولا الايمان لكان لى ولها
شأن وأيضا لو كانت شهادة لكان حظ المرأة ثمانى شهادات لانها على النصف من الرجل ولم يجز لعان
الفاسق والاعمى لانهما ليسا من اهل الشهادة لا يقال الفاسق والفاسقة قد يتوبان لانا نقول العبد ايضا قد يعتق بل العبد اذا عتق تقبل
شهادته فى الحال والفاسق اذا تاب لا تقبل شهادته الا بعد الاختبار ثم ألزم الشافعى ابا حنيفة بان شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض مقبولة
فينبغى ان يجوز اللعان بين الذمى والذمية ثم قال الشافعى بعد ذلك وتخالف الحدود لمن وقعت له ومعناه ان الزوج ان لم يلاعن ينصب الحد

معمر عن الحسن ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا قال كان يقول لا تقبل شهادة القاذف أبدا انما توبته
فيما بينه وبين الله وكان شريح يقول لا تقبل شهادته حدثنى على قال ثنا عبدالله عن على عن ابن
عباس قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ثم قال فمن تاب وأصلح فشهادته فى كتاب الله تقبل * والصواب
من القول فى ذلك عندنا ان الاستثناء من المعنيين جميعا أعنى قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ومن قوله
وأولئك هم الفاسقون وذلك انه لا خلاف بين الجميع ان ذلك كذلك اذا لم يحد فى القذف حتى تاب
اما بأن لم يرفع الى السلطان بعفو المقذوفة عنه واما بان ماتت قبل المطالبة بحدها ولم يكن لها طالب
يطلب بحدها فاذ كان ذلك كذلك وحدثت منه توبة صحت له بها العدالة فاذ كان من الجميع اجماعا
ولم يكن الله تعالى ذكره شرط فى كتابه أن لا تقبل شهادته أبدا بعد الحد فى رميه بل نهى عن قبول
شهادته فى الحال التى أوجب عليه فيها الحد وسماه فيها فاسقا كان معلوما بذلك ان اقامة الحد عليه
فى رميه لا تحدث فى شهادته مع التوبة من ذنبه ما لم يكن حادثا فيها قبل اقامته عليه بل توبته بعد اقامة
الحد عليه من ذنبه أحرى ان تكون شهادته معها أجوز منها قبل اقامته عليه لان الحد يزيد المحدود
عليه تطهيرا من جرمه الذى استحق عليه الحد فان قال قائل فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله
فاجلدوهم ثمانين جلدة فتكون التوبة مسقطة عنه الحد كما كانت لشهادته عندك قبل الحد
وبعده مجيزة ولاسم الفسق عنه مزيلة قيل ذلك غير جائز عندنا وذلك ان الحد حق عندنا للمقذوفة
كالقصاص الذى يجب لها من جناية يجنيها عليها مما فيه القصاص ولا خلاف بين الجميع ان توبته من
ذلك لا تضع عنه الواجب لها من القصاص منه فكذلك توبته من القذف لا تضع عنه الواجب لها من
الحد لان ذلك حق لها ان شاءت عفته وان شاءت طالبت به فتوبة العبد من ذنبه انما تضع عن العبد
الاسماء الذميمة والصفات القبيحة فاما حقوق الادميين التى أوجبها الله لبعضهم على بعض فى كل
الاحوال فلا تزول بها ولا تبطل واختلف أهل العلم فى صفة توبة القاذف التى تقبل معها الشهادة
فقال بعضهم هى اكذابه نفسه فيه وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى قبل ونحن نذكر بعض
ما حضرنا ذكره مما لم نذكره قبل حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص عن ليث عن طاوس
قال توبة القاذف أن يكذب نفسه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين
قال رأيت رجلا ضرب حدا فى قذف بالمدينة فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه ثم قال استغفر الله وأتوب
اليه من قذف المحصنات قال فلقيت أبا الزناد فذكرت ذلك له قال فقال ان الامر عندنا ههنا انه اذا قال
ذلك حين يفرغ من ضربه ولم نعلم منه الا خيرا قبلت شهادته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ
يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم
الفاسقون الا الذين تابوا الآية قال من اعترف وأقر على نفسه علانية انه قال البهتان وتاب الى الله
توبة نصوحا والنصوح أن لا يعودوا اقراره واعترافه عند الحد حين يؤخذ بالجلد فقد تاب والله غفور
رحيم وقال آخرون توبته من ذلك صلاح حاله وندمه على ما فرط منه من ذلك والاستغفار منه
وتركه العود فى مثل ذلك من الجرم وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم وقد ذكرنا بعض قائليه
فيما مضى وهو قول مالك بن أنس وهذا القول أولى القولين فى ذلك بالصواب لان الله تعالى ذكره
جعل

عليه برقه وان لاعن ولم تلاعن اختلف حدها باحصانها وخروجها ورقها الرابعة اختلف المجتهدون فى نتائج اللعان فعن عثمان البتى انه لا يحصل به الفرقة أصلا لان أكثر ما فيه ان يكون الزوج صادقا فى قذفه وهذا لا يوجب تحريما كالوقامت البينة عليها وأيضا ان تلاعنهما فى بينهما الا يوجب الافتراق فكذا عند الحاكم وأيضا انه قائم مقام الشهود فى الاجنبيات فلا يكون له تأثير الا فى اسقاط الحد وأيضا اذا أكذب الزوج نفسه ثم حد لا يوجب الفرقة فكذا اللعان وأما تفريق النبى صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين فى قصة العجلانى فذلك لان الزوج

جعل توبة كل ذى ذنب من أهل الايمان تركه العود منه والندم على ما سلف منه واستغفار ربه منه فيما كان من ذنب بين العبد وبينه دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم والقاذف اذا أقيم عليه فيه الحد أو عفى عنه فلم يبق عليه الا توبته من جرمه بينه وبين ربه فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجرامه فاذ كان الصحيح فى ذلك من القول ما وصفنا فتأويل الكلام وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من جرمهم الذى اجترموه بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه فان الله غفور يقول ساتر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها رحيم بهم بعد التوبة أن يعذبهم عليها فاقبلوا شهادتهم ولا تسموهم فسقة بل سموهم باسمائهم التى هى لهم فى حال توبتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) يقول تعالى ذكره والذين يرمون من الرجال أزواجهم بالفاحشة فيقذفونهن بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم بصحة ما رموهن به من الفاحشة فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة أربع شهادات نصبا ولنصبهم ذلك وجهان أحدهما أن تكون الشهادة فى قوله فشهادة أحدهم مرفوعة بمضمر قبلها وتكون الاربع منصوبا بمعنى الشهادة فيكون تأويل الكلام حينئذ فعلى أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله والوجه الثانى أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله انه لمن الصادقين والاربع منصوبة بوقوع الشهادة عليها كما يقال شهادتى ألف مرة انك لرجل سوء وذلك أن العرب ترفع الايمان بأجوبتها فتقول حلف صادق لاقومن وشهادة عمر وليقعدن وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين أربع شهادات برفع الاربع ويجعلونها للشهادة مرافعة وكأنهم وجهوا تأويل الكلام فالذى يلزم من الشهادة أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين* وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين بنصب أربع بوقوع الشهادة عليها والشهادة مرفوعة حينئذ على ما وصفت من الوجهين قبل وأحب وجهيهما أن تكون به مرفوعة الى بالجواب ٧ وذلك قوله انه لمن الصادقين وذلك أن معنى الكلام والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين تقوم مقام الشهداء الاربعة فى دفع الحد عنه فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الاربعة اكتفاء بمعرفة السامعين بما ذكر من الكلام فصار مرافع الشهادة ما وصفت ويعنى بقوله فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله فحلف أحدهم أربع أيمان بالله من قول القائل أشهد بالله انه لمن الصادقين فيما رمى زوجته به من الفاحشة والخامسة يقول والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه يقول أن لعنة الله له واجبة وعليه حالة ان كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت به جماعة من أهل التأويل

ذكر الرواية بذلك وذكر السبب الذى فيه أنزلت هذه الآية **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن عكرمة قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء

٧ لعل هنا سقطا أى مرفوعة بما بعدها الجواب كما يدل عليه باقى العبارة تأمل اه مصححه

كان طلقها ثلاثا قبل اللعان وعن أبى حنيفة وأصحابه الا زفر ان الحاكم يفرق بينهما لما روى سهل ابن سعد مضت السنة فى المتلاعنين ان يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا ولما فى قصة عويمر كذبت عليها ان أمسكتها هى طالق ثلاثا فلو وقعت الفرقة باللعان لم يمكن امساكها وقال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة بينهما وان لم يفرق الحاكم لانهما لو تراضيا على دوام النكاح لم يخليا فدل ذلك على وقوع الفرقة بينهما وقال الشافعى اذا فرغ الزوج وحده من اللعان حصل بذلك خمس نتائج درء الحد عنه ونفى الولد والفرقة والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها ولا تأثير للعان الزوجة الا فى دفع العذاب عن نفسها وما روى انه صلى الله عليه وسلم فرق بينهما محمول على انه أخبر عن وقوع الفرقة بينهما وزعم أبو بكر الرازى ان قول الشافعى خلاف الآية لانه لو وقعت الفرقة بلعان الزوج لاعنت المرأة وهى أجنبية ولكنه تعالى أوجب اللعان بين الزوجين وأيضا اللعان شهادة فلا يثبت حكمها الا عند الحاكم كسائر الشهادات وأيضا اللعان تستحق به المرأة نفسها كما يستحق المدعى ما ادعاه بالبينة فيتوقف على حكم الحاكم وأيضا

اللعان لا اشعار فيه بالتحريم فهو كالوقامت البينة على زناها فلا بد من احداث التفريق اما من قبل الزوج أو من قبل الحاكم ولقائل ان يقول مجاز وجين باعتبار ما كان كالعبد على من عتق ولا نسلم ان اللعان شهادة محضة ومما يؤكد قول الشافعى تنصيص الله سبحانه على ذلك بقوله ويدرأ عنها العذاب ان تشهد فيه دلالة على ان كل ما يجب باللعان من الاحكام فقد وقع بلعان الزوج الا درء العذاب وأيضا ان لعان الزوج مستقل بنفى الولد لان الاعتبار فى الالحاق بقوله لا بقولها ألا ترى انها

فى لعانها الحق الولد به ونحن ننفيه عنه واذا انتفى الولد عنه بمجرد لعانه وجب ان يكون الفراش زائلا لقوله الولد للفراش الخامسة مذهب مالك والشافعى وأبى يوسف والثورى واسحق ان المتلاعنين لا يجتمعان أبدا وهو قول على وابن مسعود ولما روى الزهرى من حديث سهل ابن سعد ولما روى انه صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى تكذب نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه الحرمة وانه اذا أكذب نفسه وحد زال (٥٨) تحريم العقد وحلت له بنكاح جديد لذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقد يحتج لابى حنيفة بعموم قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم السادسة اتفق أهل العلم على ان الولد ينتفى من الزوج باللعان وخالف بعضهم مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وزيف بان الاخبار الدالة على ان النسب ينتفى باللعان كالمتواتر فلا يعارضها هذا الواحد بل يجب تخصيصه بها السابعة لو أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق بها الحكم عند الشافعى وهو ظاهر وعن أبى حنيفة ان للاكثر حكم الكل اذا حكم به الحاكم الثامنة كيفية اللعان كالصريحة فى الآية وان الحديث قد زادها بيانا كاملا وقد عد الشافعى من سننها ان يقام الرجل حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة حتى تشهد والرجل قاعد ويأمر الامام من يضع يده على فيه عند الانتهاء الى اللعنة ويقول له القاضى أو صاحب المجلس اتق الله فانها موجبة وهكذا يقال للمرأة اذا انتهت الى الغضب ومما يستحب فى اللعان ولا يجب على الاصح التغليظ بالزمان وهو ما بعد صلاة العصر ولا سيما عصر يوم الجمعة وبالمكان وذلك بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة بين المنبر والمدفن وفى سائر البلاد عند المنبر فى المسجد الجامع أيضا وهو المقصورة وفى بيت المقدس فى المسجد الاقصى عند الصخرة ولليهود فى الكنيسة وللنصارى فى البيعة وللمجوس فى بيت نارهم واذا لم يكن له دين ففى مساجدنا الا فى المسجد الحرام ولا بد من حضور الحاكم سواء كان مدار اللعان على اليمين أو على الشهادة ولا بد من حضور جمع من الاعيان أقلهم أربعة التاسعة قال جار الله انما خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله تغليظا عليها لانها أصل الفجور ومنبعه بخلاعها واطماعها ولذلك كانت مقدمة فى آية الجلد العاشرة فى فوائد متعلقة بالآية منها

فاجلدوهم ثمانين جلدة قال سعد بن عبادة آلله ان أنا رأيت لكاع متفخذها رجل فقلت بما رأيت ان فى ظهرى لثمانين الى ما أجمع أربعة قد ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون الى ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه وذكروا من غيرته فما تزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأة قط فرجع فيها أحد منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يابى الا ذاك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا ان جاء ابن عم له فرمى امرأته فشق ذلك على المسلمين فقال لا والله لا يجعل الله فى ظهرى ثمانين أبدا لقد نظرت حتى أيقنت ولقد استسمعت حتى استشفيت قال فانزل الله القرآن باللعان فقيل له احلف فحلف قال قفوه عند الخامسة فانها موجبة فقال لا يدخله الله النار بهذا أبدا كما درأ عنه جلد ثمانين لقد نظرت حتى أيقنت ولقد استسمعت حتى استشفيت فحلف ثم قيل احلفى فحلفت قال قفوها عند الخامسة فانها موجبة فقيل لها انها موجبة فتلكأت ساعة ثم قالت الاخرى قومى فحلفت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذى قيل فيه ما قيل قال فجاءت به غلاما كانه جمل أورق فكان بعد أميرا بمصر لا يعرف نسبه أو لا يدرى من أبوه حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا عباد قال سمعت عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون قال سعد بن عبادة أهكذا أنزلت يا رسول الله لو أتيت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه ولا أحركه حتى آتى باربعة شهداء فوالله ما كنت لآتى باربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار أما تسمعون الى ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج فينا قط الا عذراء ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها قال سعد يا رسول الله بابى وأمى والله انى لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه ولا أحركه حتى آتى باربعة شهداء والله لا آتى باربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فوالله ما لبثوا الا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له فرأى بعينيه وسمع باذنيه فامسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله انى جئت أهلى عشاء فوجدت رجلا مع أهلى رأيت بعينى وسمعت باذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه جدا حتى عرف ذلك فى وجهه فقال هلال والله يا رسول الله انى لارى الكراهة فى وجهك مما أتيتك به والله يعلم انى صادق وما قلت الا حقا فانى لارجو أن يجعل الله فرجا قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال بن أمية وتبطل شهادته فى المسلمين فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه فانه لكذلك يريد أن يأمر بضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه اذ نزل عليه الوحى فامسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحى قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الى ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله قد جعل فرجا فقال قد كنت ارجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يارسول الله بابى وامى لقد صدقت وماقلت الاحقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما قيل لهلال ياهلال أشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقيل له عند الخامسة ياهلال اتق الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وانها الموجبة التى توجب عليك العذاب فقال هلال والله لايعذبنى الله عليها كما لم يجلدنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قيل لها اشهدى فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقيل لها عند الخامسة اتقى الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان هذه الموجبة التى توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة ثم قالت والله لا أفضح قومى فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها **حدثنى** أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا أبو أحمد الحسين ابن محمد قال ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قذف هلال بن امية امرأته قيل له والله ليجلدنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة قال الله اعدل من ذلك أن يضربنى ضربة وقد علم انى رأيت حتى استيقنت وسمعت حتى استثبت لا والله لا يضربنى أبدا فنزلت آية الملاعنة فدعا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية فقال الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال والله انى لصادق يقول ذلك أربع مرات فان كنت كاذبا فعلى لعنة الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوه عند الخامسة فانها موجبة فحلف ثم قالت أربعا والله الذى لااله الا هو انه لمن الكاذبين فان كان صادقا فعليها غضب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوها عند الخامسة فانها موجبة فترددت وهمت بالاعتراف ثم قالت لا أفضح قومى **حدثنا** أبو كريب وأبو هشام الرفاعى قالا ثنا عبدة عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا ليلة الجمعة فى المسجد فدخل رجل فقال لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه وان تكلم جلدتموه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله آية اللعان ثم جاء الرجل بعد فقذف امرأته فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال عسى أن تجىء به اسود جعدا فجاءت به أسود جعدا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير بن عبد الحميد عن عبد الملك بن أبى سليمان عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عمر فقلت يا أبا عبد الرحمن أيفرق بين المتلاعنين فقال نعم سبحان الله ان أول من سأل عن ذلك فلان اتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال ارأيت لو ان احدنا رأى صاحبته على فاحشة كيف يصنع فلم يجبه فى ذلك شيأ قال فأتاه بعد ذلك فقال ان الذى سألت عنه قد ابتليت به فانزل الله هذه الآية فى سورة النور فدعا الرجل فوعظه وذكره واخبره ان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة قال والذى بعثك بالحق لقد رأيت وما كذبت عليها قال ودعا المرأة فوعظها واخبرها ان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة فقالت والذى بعثك بالحق انه لكاذب وما رأى شيأ قال فبدأ الرجل فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم ان المرأة شهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من

ابطال الجمهور قول الخوارج ان الزنا والقذف كفر وذلك ان الرامى ان صدق فهى زانية وان كذب فهو قاذف فلا بد من كفر أحدهما والردة توجب الفرقة من غير لعان ومنها ابطال قول من زعم ان الزنا يوجب فساد النكاح لان رمى الزوج اياها اعتراف منه بزناها بل بفساد النكاح على قول هذا القائل فتحصل الفرقة بلا لعان ومنها ان المعتزلة قالوا المتلاعنان يستحقان اللعن أو الغضب الموجبين للعقاب الابدى المضاد للثواب وذلك يدل على خلود الفساق فى النار أجابت الاشاعرة بان كونه مغضوبا عليه بفسقه لا ينافى كونه مرضيا عنه بجهة ايمانه فلا بد ان يحصل له بعد العقاب ثواب ثم أخبر عن كمال رأفته بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته أى فيما بين من هذه الاحكام وفيما أمهل وأبقى ومكن من التوبة وجواب لولا محذوف أى لهلكتم أو فضحتم أو لكان ما كان من أنواع المفاسد وانما حسن حذفه ليذهب الوهم كل مذهب فيكون أبلغ فى البيان فرب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به *التأويل النفس الزانية المتسلمة لتصرفات الشيطان والدنيا فيها والروح الزانى بتصرفه فى الدنيا وشهواتها المنهية عنها فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة من الجوع وترك الشهوات والمرادات ومن حملهما على المخالفات ولعل السر فى تخصيص هذا العدد هو ان ساعات اليوم بليلته أربع وعشرون منها أربع ساعات لاجل النوم ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل والباقية يجب فيها مراقبة الحواس الخمس وتاديبهن بآداب الشرع والعقل فيكون المجموع مائة تاديبة يحصل نتائجها وكمالها للنفس والروح والله تعالى أعلم وليشهد عذابهما ولتكن هذه التزكية والتأديبات بحضر شيخ واصل كامل يحفظه من طرفى الافراط والتفريط الزانى لا ينكح فيه ان الطبع يسرق والجنس الى الجنس يميل فاهل الفساد لا ترغب الا فى صحبة أمثالهم من أهل الفساد كما ان أرباب السداد لا تطمع الا الى صحبة أمثالهم من أرباب السداد وحرم ذلك الذى قلنا من اختلاط الاشرار على المؤمنين والذين يرمون المحصنات أى الارواح الذين ينسبون الى نقصان النفوس المستعدات للكمالات ثم لم يأتوا باربعة شهداء أى لم يكن خواص العناصر الاربعة ظاهرة على صفحات أحوالهن كما مر تقريره فى أول النساء فى قوله فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولم تبلغ الملكات الذميمة منهن مرتبتها الرابعة كالكاتب يكتب بالفعل فاجلدوهم ثمانين جلدة وهم

الصادقين وفرق بينهما حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عامر قال عاصم بن عدي ان أنا رأيت فتكلمت جلدت ثمانين وان أنا سكت سكت على الغيظ قال فكأن ذلك شق على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فانزلت هذه الآية والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم قال فما لبثوا الا جمعة حتى كان بين رجل من قومه و بين امرأته فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الآية والخامسة ان يقال له ان عليك لعنة الله ان كنت من الكاذبين وان أقرت المرأة بقوله رجمت وان أنكرت شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن يقال لها غضب الله عليك ان كان من الصادقين فيدرأ عنها العذاب و يفرق بينهما فلا يجتمعان أبدا ويلحق الولد بأمه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله والذين يرمون أزواجهم قال هلال بن أمية والذي رميت به شريك بن سحماء والذي استفتى عدي بن عاصم قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني الزهري عن الملاعنة والسنة فيها عن حديث سهل بن سعد ان رجلا من الانصار جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فانزل الله في شأنه ما ذكر من أمر المتلاعنين فقال قد قضى الله فيك وفي امرأتك فتلاعنا وأنا شاهد ثم فارقها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت السنة بعدهما ان يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملا فانكره فكان ابنها يدعى الى أمه ثم جرت السنة ان ابنها يرثها وترث ما فرض الله لها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يرمون أزواجهم الى قوله ان كان من الكاذبين قال اذا شهد الرجل خمس شهادات فقد برئ كل واحد من الآخر وعدتها ان كانت حاملا أن تضع حملها ولا يجلد واحد منهما وان لم تحلف أقيم عليها الحد والرجم

القول في تأويل قوله تعالى (و يدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) يعني جل ذكره بقوله و يدرأ عنها العذاب و يدفع عنها الحد واختلف أهل العلم في العذاب الذي عناه الله في هذا الموضع انه يدرؤه عنها شهاداتها الاربع فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك من أنه الحد جلد مائة ان كانت بكرا أو الرجم ان كانت ثيبا قد أحصنت وقال آخرون بل ذلك الحبس وقالوا الذي يجب عليها ان هي لم تشهد الشهادات الاربع بعد شهادات الزوج الاربع والتعانه الحبس دون الحد وانما قلنا الواجب عليها اذا هي امتنعت من الالتعان بعد التعان الزوج الحد الذي وصفنا قياسا على اجماع الجميع على ان الحد اذا زال عن الزوج بالشهادات الاربع على تصديقه فيما رماها به ان الحد عليها واجب فجعل الله أيمانه الاربع والتعانه في الخامسة مخرجا له من الحد الذي يجب لها برميه اياها كما جعل الشهداء الاربعة مخرجا له منه في ذلك و زائلا به عنه الحد فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحد عنه بذلك واجبا عليها حدها كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها لا فرق بين ذلك وقد استقصينا العلل في ذلك في باب اللعان من كتابنا المسمى لطيف القول في شرائع الاسلام فاغنى عن اعادته في هذا الموضع

بالخلوة أو بعين برما و أو بعض آياته حتى يظهر لهم كمال حال النفوس في الموافقة لهم ولا تقبلوا لهم بعد ذلك شهادة عليهن وأولئك هم الذين يريدون ان يخرجوا عن طاعة الله بقدر نسبة النقصان الى النفوس المستعدة والذين يرمون أزواجهم وهن القوالب المزدوجة بالأرواح ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم لانه لا يطلع على أحوال القالب الا الروح فشهادة أحدهم أربع شهادات هي الاسنان الاربعة التي فيها تحصل التربية والاستكمال والخامسة وهي حالة حلول الاجل اللعنة والغضب والعذاب الابدي وما تولد منهما من الصفات الذميمة ينسبها الروح الى ثالث هو الشيطان و ينسبها القالب الى الروح الذي يدبره و يتصرف فيه والافتراق الذي يحصل بينهما ليس بالصورة بل بالمعنى لان الروح يميل الى العالم العلوي والقالب الى العالم السفلي لعدم الموافقة بينهما وهو سبحانه أعلم (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين و يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله

دينهم الحق و يعلمون أن الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم)* القراآت كبره بضم الكاف يعقوب اذ تلقونه وبابه مدغما أبو عمرو وعلي وهشام وحمزة غير خلف ورجاء والعجلي اذ تتلقونه بالاظهار وتشديد التاء البزي وابن فليح ولا يتأل من التالي يزيد ما زكى بالتشديد والامالة روح وقرأ قتيبة ممالة مخففة يوم يشهد على التذكير حمزة وعلي وخلف والباقون بتاء التأنيث (٦١) *الوقوف عصبة منكم ط شر لكم ط خير لكم ط من الاثم ج لنوع عدول من اجمال حكم الكل الى بيان حكم البعض مع اتفاق الجملتين عظيم ه خيرا لا للعطف مبين ه شهداء ج للشرط معنى مع الغاء الكاذبون ه عظيم ج لاحتمال ان يكون اذ ظرف قوله لمسكم أو أفضتم واحتمال كونه منصوبا باذكر وبهذا قد قيل الوصل الزم لان قوله سبحانك من جملة مفعول قلتم عظيم ه مؤمنين ه ج لاتفاق الجملتين مع تكرار اسم الله دون الاكتفاء بالضمير وانها آية الآيات ط حكيم ه أليم ه لا لتعلق الظرف والآخرة ط لا تعلمون ه رحيم ه نصف الجزء خطوات الشيطان ط والمنكر ط أبدا لا لتعلق لكن من يشاء ط عليم ه في سبيل الله ط والوصل أولى للعطف وليصفحوا ط لكم ط رحيم ه والآخرة ص عظيم ه لا لتعلق الظرف بعملون ه المبين ه للخبيثات ج للعطف مع التضاد للطيبات ه لاتحاد المعنى مع فقدان العاطف يقولون ط كريم ه *التفسير انه سبحانه لما ذكر من أحكام القذف ما ذكر اتبعها حديث افك عائشة الصديقة وما قذفوها به أهل النفاق روى الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن أبي وقاص وكلهم رووا عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج اسمها خرج بها معه فاقرع بيننا في غزوة قال الزهري هي غزوة المريسيع وذكره البخاري في غزوة بني المصطلق من خزاعة قال وهي غزوة المريسيع أيضا فخرج اسمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف وقرب من المدينة نزل منزلا ثم أذن بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني وأقبلت الى رحلي لمست صدري فاذا عقدي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي وحبسني طلبه

الموضع وقوله أن تشهد أربع شهادات بالله يقول ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع ايمان ان زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا وقوله والخامسة ان غضب الله عليها الآية يقول والشهادة الخامسة ان غضب الله عليها ان كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين ورفع قوله والخامسة في كلتا الآيتين بان التي تليها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم) ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم وانه عواد على خلقه بلطفه وطوله حكيم في تدبيره اياهم وسياسته لهم لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلا رحمة منه بكم وتفضلا عليكم فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه وترك الجواب في ذلك اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) يقول تعالى ذكره ان الذين جاؤا بالكذب والبهتان عصبة منكم يقول جماعة منكم أيها الناس لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم يقول لا تظنوا ما جاؤا به من الافك شرا لكم عند الله وعند الناس بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين وذلك ان الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به و يظهر براءته مما رمي به ويجعل له مخرجا وقيل ان الذي عني الله بقوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم جماعة منهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنا أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة انه كتب الى عبد الملك بن مروان كتبت الي تسألني في الذين جاؤا بالافك وهم كما قال الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وانه لم يسم منهم أحد الا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله جاؤا بالافك عصبة منكم هم أصحاب عائشة قال ابن جريج قال ابن عباس قوله جاؤا بالافك عصبة منكم الآية الذين افتروا على عائشة عبد الله بن أبي وهو الذي تولى كبره وحسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الذين قالوا لعائشة الافك والبهتان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم قال الشر لكم بالافك الذي قالوا الذي تكلموا به كان شرا لهم وكان فيهم من لم يقله انما سمعه فعاتبهم الله فقال أول شيء ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ثم قال والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم يقول لكل امرئ من الذين جاؤا بالافك جزاء ما اجترم من الاثم بمجيئه بما جاء به من الاولى عبد الله والذي تولى كبره منهم يقول والذي تحمل معظم ذلك الاثم والافك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذي تولى كبره منهم يقول الذي بدأ بذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم

وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون فحملوا هودجي وهم يحسبون اني فيه لخفتي فاني كنت جارية حديثة السن وذهبوا بالبعير فلما رجعت
الى مكاني وليس به أحد جلست وقلت يعودون في طلبي فنمت وقد كان صفوان بن المعطل يمكث في العسكر يتتبع أمتعة الناس فيحمله الى
المنزل الآخر لئلا يذهب منهم شيء فلما رآني عرفني وقال ما خلفك عن الناس فأخبرته الخبر فنزل وتنحى حتى ركبت ثم قاد البعير وافتقدني
الناس حين نزلوا وخاض الناس في ذكري (٦٢) فبينا هم في ذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم في وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة ومكثنا شهرا اشتكى ولا
يرقأ لي دمع أقول كما يقول العبد
الصالح أبو يوسف فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون الى أن نزل
في ان الذين جاؤا بالافك الى آخر
الآيات وفي الحديث طول هذا
حاصل سبب النزول وأما التفسير
فالافك أبلغ ما يكون من الكذب
والافتراء وقيل هو البهتان والعصبة
الجماعة من العشرة الى الاربعين
والتركيب يدل على الاجتماع
ومنه العصابة قال المفسرون هم
عبد الله بن أبي رأس النفاق وزيد
ابن رفاعة وحسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
ومن ساعدهم ومعنى منكم انهم
كانوا من جملة من حكم لهم بالايمان
ظاهرا أما الخطاب في قوله لا
تحسبوه شرا لكم فالصحيح انه لمن
ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبا بكر وعائشة وصفوان
ومعنى كونه خيرا لهم انهم
اكتسبوا فيه الثواب العظيم على
قدر عظم البلاء وانه نزلت فيه بضع
عشرة آية فيها تعظيم شان الرسول
صلى الله عليه وسلم وتسلية له
وتنزيه لام المؤمنين وتطهير لاهل
البيت وتهويل للطاعنين فيهم الى
غير ذلك من الاحكام الشرعية
والآداب العقلية وقيل الخطاب
لعائشة وحدها والجمع لتعظيمها
وقيل الخطاب للقاذفين وبيان الخيرية صرفهم عن الاستمرار على حديث الافك الى التوبة عن ذلك
ولعل في هذا الذكر عقوبة معجلة لهم فيكون في هذا القول الكفارة وضعف هذا القول بانه لا يناسب تسلية الرسول والمؤمنين ولا يطابق قوله
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم أي يصيب كل خائض في حديث الافك ما يعيبه من عقاب بما اكتسب من اثم الخوض والذي تولى
كبره أي معظم الافك وهو في قول الضحاك حسان ومسطح ولهذا جلدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امرأة من قريش والاشهر انه

قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد قوله عصبة منكم قال أصحاب عبد الله بن أبي ابن سلول ومسطح وحسان قال أبو جعفر له
من الله عذاب عظيم يوم القيامة وقد اختلف القراء في قراءة قوله كبره فقرأت ذلك عامة قراء
الامصار كبره بكسر الكاف سوى حميد الاعرج فانه كان يقرؤه كبره بمعنى والذي تحمل أكبره
* وأولى القراءتين في ذلك بالصواب القراءة التي عليها عوام القراء وهي كسر الكاف لاجماع الحجة
من القراء عليها وان الكبر بالكسر مصدر الكبير من الامور وان الكبر بضم الكاف انما هو من
الولاء والنسب من قولهم هو كبر قومه والكبر في هذا الموضع هو ما وصفناه من معظم الاثم والافك
فاذ كان ذلك كذلك فالكسر في كافه هو الكلام الفصيح دون ضمها وان كان لضمها وجه مفهوم
وقد اختلف أهل التأويل في المعني بقوله والذي تولى كبره منهم الآية فقال بعضهم هو حسان بن
ثابت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن قزعة قال ثنا مسلمة بن علقمة قال ثنا داود عن
عامر ان عائشة قالت ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان وما تمثلت به الا رجوت له الجنة قوله لابي
سفيان

هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء
فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكدره الدلاء

فقيل يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا قالت لا انما اللغو ما قيل عند النساء قيل أليس الله يقول والذي
تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت أليس قد أصابه عذاب عظيم أليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف
قال حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق
قال كنت عند عائشة فدخل حسان بن ثابت فامرت فالقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين
بهذا وقد قال الله ما قال فقالت قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد ذهب بصره ولعل الله
يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن أبي عدي عن شعبة عن
سليمان عن أبي الضحى عن مسروق قال دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبب بابيات له فقال
* وتصبح غرثى من لحوم الغوافل * فقالت عائشة أما انك لست كذلك فقلت تدعين هذا يدخل
عليك وقد أنزل الله فيه والذي تولى كبره الآية فقالت وأي عذاب أشد من العمى وقالت انه كان
يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن عثمان الواسطي قال ثنا جعفر بن عوف
عن المعلى بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت عائشة وزينب قال فقالت زينب أنا التي
نزل تزويجي قال وقالت عائشة أنا الذي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل على الراحلة
فقالت لها زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة
المؤمنين وقال آخرون هو عبد الله بن أبي ابن سلول ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال
ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان الذين تكلموا فيه المنافق عبد الله بن
أبي ابن سلول وكان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره ومسطحا وحسان بن ثابت حدثنا
سفيان

عبدالله رأس النفاق و يحكى ان صفوان مرّ بهودج عائشة وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها وروى ان عائشة ذكرت حسانا وقالت ارجو له الجنة فقيل أليس هو الذي تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم رجوت له الجنة وفي رواية أخرى قالت وأي عذاب أشد من العمى ثم علم أدبا حسنا في مثل هذه الواقعة فقال لولا اذ سمعتموه ظن فصل بين لولا التحضيضية وبين فعلها بالظرف لانه يتسع في الظرف مالا يتسع في غيره تنزيلا للظرف منزلة المظروف نفسه ولان الممكنات لا تنفك عن الظروف والفائدة فيه ان يعلم ان ظن الخير كان يجب عليهم أول ما سمعوه بالافك فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم ومثله ولولا اذ سمعتموه قلتم ثم لا يخفى ان أصل المعنى ان يقال لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم هذا افك ومعنى بانفسكم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات فعدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليبنه بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضي أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا عاتب بل يقول بل فيه بناء على ظن الخير مصرحا ببراءة ساحته هذا افك مبين وذلك ان المؤمن معه من العقل والدين ما يهديه الى الاصلح و يؤخره عن الاقبح ولم يوجد هذا الداعي والعارف معارض يتساويهما كما قيل كلام العدى ضرب من الهذيان فوجب ان لا يلتفت المؤمن الى قول الطاعن في حق أخيه و يبقى على حسن ظنه به وهذا أدب حسن قل العامل به وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يزيد فيه روى ان أبا أيوب الانصاري قال لام أيوب أما ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله سوأ قال لا قالت لو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك وفي الآية دلالة على قول أبي حنيفة ان المسلمين عدول بعضهم على بعض ما لم يظهر منهم ريبة لانا مأمورون بحسن الظن وذلك يوجب قبول الشهادة ومن هنا قال أيضا اذا باع درهما ودينارا بدرهمين ودينارين انا نخالف بينهما لانا قد أمرنا بظن الخير فوجب حمله على ما يجوز ومثله اذا باع سيفا محلى فيه مائة درهم بمائتي درهم يجعل المائة بالمائة والفضل بالسيف

سفيان قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا قالوا قالت عائشة كان الذي تولى كبره الذي يجمعهم في بيته عبد الله بن أبي ابن سلول **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن شهاب قال ثنى عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت كان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان الذين جاؤا الآية الذين افتروا على عائشة عبد الله بن أبي وهو الذي تولى كبره وحسان ومسطح وحمنة بنت جحش **حدثنا** عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنا أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة في الذين جاؤا بالافك يزعمون انه كان كبر ذلك عبد الله بن أبي بن سلول أحد بني عوف بن الخزرج وأخبرت أنه كان يحدث به عنهم فيقره و يسمعه و يستوشيه **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أما الذي تولى كبره فعبد الله بن أبي ابن سلول الخبيث هو الذي ابتدأ هذا الكلام وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي ابن سلول وهو بدأه * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال الذي تولى كبره من عصبة الافك كان عبد الله بن أبي وذلك انه لا خلاف بين أهل العلم بالسير ان الذي بدأ بذكر الافك وكان يجمع أهله و يحدثهم عبد الله بن أبي ابن سلول وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الامر وكان سبب مجيء أهل الافك ما **حدثنا** به ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن محمد ابن مسلم بن عبد الله بن عبيد بن شهاب قال ثنى عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا فبرأها الله وكلهم حدثني بطائفة من حديثها و بعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الذي حدثني و بعضهم حدثني يصدق بعضهم بعضا زعموا ان عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها قالت عائشة فاقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما أنزل الحجاب وأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل الى المدينة اذن ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى الرحل فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فترحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون اني فيه قالت وكانت النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه و رفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب

والاذيات وبعضهم حمل الفاحشة على الزنا وخصص من يحب شيوع الفاحشة بعبدالله بن أبي وخصص الذين آمنوا بعائشة وصفوان ولا يخفى ما فيه من ضيق العطن الا ان يساعده نقل صحيح وعذاب الدنيا الحد واللعن والذم وما على أهل النفاق من صنوف البلاء ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وعذاب الآخرة في القبر وفي القيامة هو النار عن

فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما رأيت الا خيرا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب فهلكت فيمن هلك قال الزهري ابن شهاب هذا الذى انتهى الينا من أمر هؤلاء الرهط حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهري عن علقمة بن وقاص الليثي عن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال الزهري كل قد حدثني بعض هذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض قال وقد جمعت لك كل الذى قد حدثني وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال وحدثني محمد بن اسحق قال ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قال وحدثني عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصاري عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت وكل قد اجتمع في حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها حين قال أهل الافك فيها ما قالوا وكله قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا ويحدث بعضهم مالم يحدث بعض وكل كان عنها ثقة وكل قد حدث عنها ما سمع قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كانت غزاة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمي عليهن فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت وكان النساء اذ ذاك انما يأكلن العلق لم يهيجهن اللحم فيثقلن قالت وكنت اذا رحل بعيري جلست في هودجي ثم يأتي القوم الذين يرحلون بي بعيري ويحملوني فيأخذون بأسفل الهودج يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فينطلقون به قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلا حتى اذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات بعض الليل ثم أذن في الناس بالرحيل فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي من جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقي فلم أجده وقد أخذ الناس في الرحيل قالت فرجعت عودي الى بدئي الى المكان الذى ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون بي البعير ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الاعلى عن ابن ثور ثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ثم ذكر من شأني الذى ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وما علمت فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أشيروا على في أناس أبنوا أهلي وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطيبا وما علمت والله على أهلي سوأ قط وأبنوهم بمن والله ما علمت عليه سوأ قط ولا دخل بيتي قط الا وأنا حاضر ولا أغيب في سفر الا غاب معي فقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله نرى ان نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال كذبت أما والله لو كانوا من الاوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الاوس والخزرج في المسجد شر وما علمت به فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت علام تسبين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح قلت علام تسبين ابنك فسكتت الثانية ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فانتهرتها وقلت علام تسبين ابنك قالت والله ما أسبه الا فيك قلت في أي شأني فبقرت الى الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم والله قالت فرجعت الى بيتي فكأن الذى خرجت له لم أخرج له

أهل النار وهم الهمازون اللمازون الذين يلتمسون عورات المسلمين ويهتكون ستورهم ويشيعون عليهم من الفواحش ما ليس فيهم وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن العبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه من الخير وأما قوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون ففي نهاية حسن الموقع لان الاعمال القلبية محبة الشر أو الخير لا يطلع عليه أحد كما هي الا الله سبحانه وانما نعرف نحن شأنها بالقرائن والامارات وفيه زجر عظيم لمن لا يجتهد في ان يكون قلبه سليما من النفاق والغل وحصول هذا الغل في القلب غير العزم على الذنب فان الاول ملكة والثاني حال ولا يلزم من ترتب العقاب على الملكات ترتبه على الاحوال فافهم قال أبو حنيفة الغيبة بالفجور لا تستنطق لان استنطاقها اشاعة الفاحشة وانها ممنوع عنها وقالت المعتزلة في الآية دليل على انه تعالى غير خالق للكفر ولا مريد والا كان ممن يحب ان تشيع الفاحشة ولقائل ان يقول قياس الغائب على الشاهد فاسد ثم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب والتمكين من التلافي وبالغ فيها بذكر الرؤف والرحيم وجواب لولا محذوف على نسق مامر وقيل جوابه ما يدل على ذلك في قوله

ما زكى منكم وهو بعيد عن ابن عباس ان الخطاب لحسان ومسطح وحمنة والاقرب العموم ثم نهى عن اتباع آثار الشيطان وسلوك مسالكه والاقتداء به في الاصغاء الى الافك واشاعة الفحشاء وارتكاب ما تنكره العقول وتأباه وقوله فانه يأمر بالفحشاء من وضع السبب مقام المسبب والمراد ضل قالت الاشاعرة في قوله ما زكى بالتشديد بدليل الضمير لله وكذا في قوله ولكن الله يزكي دلالة على ان الزكاء والطهارة من دنس الآثام لا يحصل الا بالله وهو دليل على انه خالق الافعال والآثار وحمله المعتزلة على منح الالطاف ولا

أو على الحكم بالطهارة وضعف بأنه خلاف الظاهر وبأنه يجب انتهاء الكل اليه وبأن قوله من يشاء ينافي قوله كان خلق الالطاف واجب عليه ثم علم أدبا آخر جميلا بقوله ولا يأتل وهو افتعل من الالية أي لا يحلف على عدم الاحسان وحرف النفي يحذف من جواب القسم كثيرا فهي كقراءة من قرأ ولا يتأل وقيل هو من قولهم ما ألوت جهدا اذا لم يدخر من الاجتهاد شيأ أي لا يقصر في الاحسان الى المستحقين قالوا نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق فقيرا من فقراء المهاجرين وكان (٦٧) أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر فلما وصل الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال أبو بكر بلى أحب ان يغفر الله لي فعفا عن مسطح ورجع الى الانفاق عليه قال والله لا انزعها أبدا قال الامام فخر الدين الرازي هذه الآية تدل على أفضلية أبي بكر الصديق من وجوه وذلك ان الفضل المذكور في الآية لا يراد به السعة في المال والا لزم التكرار فهو الفضل في الدين ولكنه مطلق غير مقيد فثبت له الفضل على الاطلاق تركنا العمل به في حق النبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق فيبقى في الغير معمولا به وأيضا ذكره الله تعالى في الآية بلفظ الجمع وانه مشعر بالتعظيم وأيضا فقد قيل

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند

فهذا الظلم من مسطح كان في غاية العظم وقد أمره الله تعالى بالصفح عنه وامتثل هو فكان فيه نهاية جهاد النفس فيكون ثوابه على حسب ذلك وأيضا في تسمية أولي الفضل والسعة شرف تام فكأنه قيل له أنت أفضل من ان تقابل انسانا بسوء وأنت أوسع قلبا من ان تقيم الدنيا وزنا فلا يليق بفضلك وسعة قلبك ان يقطع برك عمن أساء اليك وأيضا أمره الله تعالى بالعفو والصفح وقال لنبيه فاعف عنهم واصفح فهو من هذه الجهة ثاني اثنين له في الاخلاق وأيضا علق المغفرة بالعفو وقد حصل العفو فتحصل المغفرة البتة في الحال وفي الاستقبال لقوله ان يغفر فهو للاستقبال فيكون كما قال لنبيه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفيه دليل على حقية خلافته والا كان عاصيا والعاصي في النار وليس النهي في قوله ولا يأتل نهي زجر عن المعصية ولكنه ندب الى الاولى والافضل وهو العفو عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل اخلاق المسلمين العفو وعنه صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل

ولا أجد منه قليلا ولا كثيرا وعكت فقلت يا رسول الله أرسلني الى بيت أبي فأرسل معي الغلام فدخلت الدار فاذا انا بامي أم رومان قالت ما جاء بك يا بنية فأخبرتها فقالت خفضي عليك الشأن فانه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا حسدنها وقلن فيها قلت وقد علم بها أبي قالت نعم قلت ورسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال لامي ما شأنها قالت بلغها الذي ذكر من أمرها ففاضت عيناه فقال أقسمت عليك الا رجعت الى بيتك فرجعت فأصبح أبواي عندي فلم يزالا عندي حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بعد العصر وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد يا عائشة ان كنت قارفت سوأ أو ألممت فتوبي الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده وقد جاءت امرأة من الانصار وهي جالسة فقلت ألا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيأ فقلت لابي أجبه فقال أقول ماذا قلت لامي أجيبيه فقالت أقول ماذا فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت أما بعد فوالله لئن قلت لكم اني لم أفعل والله يعلم اني لصادقة ما ذاك بنافعي عندكم لقد تكلم به وأشربته قلوبكم وان قلت اني قد فعلت والله يعلم اني لم أفعل لتقولن قد باءت به على نفسها وأيم الله ما أجد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف وما أحفظ اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وأنزل الله على رسوله ساعتئذ فرفع عنه واني لاستبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه يقول ابشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك فكنت أشد ما كنت غضبا فقال لي أبواي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا أحمدكما لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ولكني أحمد الله الذي أنزل براءتي ولقد جاء رسول الله بيتي فسأل الجارية عني فقالت والله ما أعلم عليها عيبا الا انها تنام حتى كانت تدخل الشاة فتأكل حصيرها أو عجينها فانتهرها بعض أصحابه وقال لها اصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عروة فعتب على من قاله فقال لا والله ما أعلم عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر وبلغ ذلك الرجل الذي قيل له فقال سبحان الله ما كشفت كنف انثى قط فقتل شهيدا في سبيل الله قالت عائشة فأما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل الا خيرا وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك وكان الذين تكلموا فيه المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول وكان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره ومسطح وحسان بن ثابت فحلف أبو بكر ان لا ينفع مسطحا بنافعة فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة يعني أبا بكر أن يؤتوا أولي القربى والمساكين يعني مسطحا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم قال أبو بكر بلى والله انا لنحب ان يغفر الله لنا وعاد أبو بكر لمسطح بما كان يصنع به حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن علقمة ابن وقاص وغيره أيضا قال خرجت عائشة تريد المذهب ومعها أم مسطح وكان مسطح بن أثاثة ممن قال ما قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك فقال كيف ترون فيمن يؤذيني في أهلي ويجمع في بيته من يؤذيني فقال سعد بن معاذ أي رسول الله ان كان منا معشر الاوس جلدنا رأسه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعناك فقال سعد بن عبادة يا ابن معاذ والله ما بك

نصرة رسول الله ولكنها قد كانت ضغائن فى الجاهلية وإحن لم تحلل لنا من صدوركم بعد فقال ابن معاذ الله أعلم ما اردت فقام أسيد بن حضير فقال يا ابن عبادة ان سعدا ليس سديدا ولكنك تجادل عن المنافقين وتدفع عنهم وكثر اللغط فى الحيين فما زال النبى صلى الله عليه وسلم يومئ بيده الى الناس ههنا وههنا حتى هدأ الصوت وقالت عائشة كان الذى تولى كبره والذى يجمعهم فى بيته عبد الله بن أبى ابن سلول قالت فخرجت الى المذهب ومعى ام مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت غفر الله لك اتقولين هذا لابنك ولصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ذلك مرتين وما شعرت بالذى كان فحدثت فذهب عنى الذى خرجت له حتى ما أجد منه شيأ ورجعت على أبوى أبى بكر وأم رومان فقلت أما اتقيتما الله فى وما وصلتما رحمى قال النبى صلى الله عليه وسلم الذى قال وتحدث الناس بالذى تحدثوا به ولم تعلمانى به فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت اى بنية والله لقل ما أحب رجل قط امرأته الا قالوا لها نحو الذى قالوا لك اى بنية ارجعى الى بيتك حتى نأتيك فيه فرجعت وارتكبنى صالب من حمى فجاء أبواى فدخلا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سريرى وجاهى فقال اى بنية ان كنت صنعت ما قال الناس فاستغفرى الله وان لم تكونى صنعتيه فاخبرى رسول الله بعذرك قلت ما اجد لى ولكم الا كأبى يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت فالتمست اسم يعقوب فما قدرت او فلم اقدر عليه فشخص بصر رسول الله الى السقف وكان اذا نزل عليه وجد قال الله انا سنلقى عليك قولا ثقيلا فوالذى هو اكرمه وانزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى انى لانظر الى نواجذه سرورا ثم مسح عن وجهه فقال يا عائشة ابشرى قد انزل الله عذرك قلت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد اصحابك قال الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم حتى بلغ ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة وكان ابو بكر حلف ان لا ينفع مسطحا بنافعة وكان بينهما رحم فلما انزلت ولا يأتل اولوا الفضل منكم حتى بلغ والله غفور رحيم قال ابو بكر بلى اى رب فعاد الى الذى كان لمسطح ان الذين يرمون المحصنات حتى بلغ اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم قالت عائشة والله ما كنت ارجو ان ينزل فى كتاب ولا اطمع به ولكن ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تذهب ما فى نفسه قالت وسال الجارية الحبشية فقالت والله لعائشة اطيب من طيب الذهب وما بها عيب الا انها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله من فيهما ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين) وهذا عتاب من الله تعالى ذكره اهل الايمان به فيما وقع فى انفسهم من ارجاف من ارجف فى امر عائشة بما ارجف به يقول لهم تعالى ذكره هلا أيها الناس اذ سمعتم ما قال اهل الافك فى عائشة ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بانفسهم خيرا ولم يظنوا بها انها أتت الفاحشة وقال بانفسهم لان أهل التأويل كلهم بمنزلة نفس واحدة لانهم أهل ملة واحدة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن أبيه عن بعض رجال بنى النجار ان أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب أما تسمع ما يقول الناس فى عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب

قالت

حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه واعلم ان العلماء أجمعوا على ان مسطحا كان مذنبا لانه أتى بالقذف أو رضى به على الروايتين عن ابن عباس ولهذا حده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا أيضا على انه من البدريين وقد ورد فيهم الخبر الصحيح لعل الله نظر الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فكيف الجمع بين الامرين أجابوا بانه ليس المراد من قوله اعملوا ما شئتم انهم خارجون عن حد التكليف وانما المراد اعملوا من النوافل ما شئتم قليلا أو كثيرا فقد أعطيتكم الدرجات العاليات فى الجنة أو أراد حسن حالهم فى العاقبة انهم يوافون بالطاعة فكأنه قال قد غفرت لكم لعلمى بانكم تموتون على التوبة والانابة قالت الاشاعرة فى وصف مسطح ومدحه بكونه من المهاجرين دليل على ان ثواب كونه مهاجرا لم يحبط باقدامه على القذف فيكون القول بالمحابطة باطلا استدل جمهور الفقهاء بالآية فى قول من فسر الائتلاء بالحلف على ان اليمين على الامتناع من الخير غير جائزة وانما يجوز اذا جعلت داعية للخير لا صارفة عنه ثم قالوا من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فينبغى له ان يأتى بالذى هو خير ثم يكفر عن يمينه كما جاء فى الحديث ولقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو عام فى حديث جانب الخير وفى غيره ومثله ما ورد فى قصة أيوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولو كان الحنث كفارة لم يؤمر بضرب الضغث عليها وقال بعض العلماء انه يأتى بالذى هو خير وذلك كفارته لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذى هو خير وذلك كفارته ولانه تعالى أمر أبا بكر فى هذه الآية بالحنث ولم يوجب عليه كفارة وأجيب بان معنى الكفارة فى الحديث تكفير الذنب لا الكفارة الشرعية التى هى احدى الخصال وانما ذهبنا الى هذا ليكون مطابقا للحديث الآخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه وأما هذه الآية فانما لم يذكر فيها الكفارة لانها معلومة من آية المائدة قوله ان الذين يرمون المحصنات قد مر تفسير المحصنة وأما الغافلات فهن السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهاء ولا مكر بحسب الغريزة أو لقلة التجارب وقد يعين على ذلك صغر السن وغير ذلك من الاحوال قال الاصوليون خصوص السبب لا يمنع العموم فيدخل فى

الآية قذفة عائشة وقذفة غيرها وخصصه بعض المفسرين فنهم من قال المراد عائشة وحدها والجمع للتعظيم ومنهم من قال عائشة مع سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هي أم المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة المشاكلة لها في الاحصان والغفلة والايمان وذكروا في سبب التخصيص ان قاذف سائر المحصنات تقبل توبته لقوله الا الذين تابوا وأما القذف المذكور في هذه الآية فوعيده مطلق من غير استثناء وأجيب بأنه طوى ذكر التوبة في هذه الآية لكونها (٦٩) معلومة وقد يحتج للمخصص بما روي عن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة فسئل عن تفسير هذه الآية فقال من أذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة ومنهم من قال نزلت الآية في مشركي مكة حين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وكانت المرأة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا انما خرجت لتفجر أما شهادة الجوارح فلا اشكال فيها عند الاشاعرة لانهم يقولون البنية ليست شرطا في الحياة فيجوز ان يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما وقالت المعتزلة المتكلم هو فاعل الكلام فيكون الكلام المضاف الى الجوارح هو في الحقيقة من الله تعالى ويجوز ان يبني الله هذه الجوارح على خلاف ماعليها ويلجؤها الى ان تشهد على الانسان وتخبر عن أعماله ومعنى دينهم الحق الجزاء المستحق وقال في الكشاف معنى قوله هو الحق المبين العادل الظاهر العدل وقال غيره سمي حقا لانه يحق عبادته أو لانه الموجود بالحقيقة وماسواه فوجوده مستعار زائل والمبين ذو البيان الصحيح أو المظهر للموجودات فالحاصل انه واجب الوجود لذاته مفيد الوجود لغيره ثم ختم الآيات الواردة في أهل الافك بكلمة جامعة وهي قوله الخبيثات يعني الكلمات التي تخبث موادها ويستقذرها من يخاطب بها ويجمعها جمعه كلمات أهل الافك ويجوز أن يراد بالخبيثات مضمون الآيات الواردة في وعيد القذفة لان مضمونها ذم ولعن وهو يستكره طبعا وان كان نفس الكلمة التي هي من قبل الله سبحانه طيبا وعلى الوجهين يراد بالخبيثين الرجال والنساء جميعا الا انه غلب الرجال والحاصل ان الخبيثات من القول تقال أو تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الصنفين معرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون فاولئك الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون

قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعائشة والله خير منك قال فلما نزل القرآن ذكر الله من قال الفاحشة ماقال من أهل الافك ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ماقالوا ثم قال لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الآية كما قال أبو أيوب وصاحبته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا ماهذا الخير ظن المؤمن ان المؤمن لم يكن ليفجر بامه وان الام لم تكن لتفجر بابنها ان أراد أن يفجر فجر بغير أمه يقول انما كانت عائشة أما والمؤمنون بنون لها محرما عليها وقرأ لولا جاؤا عليه باربعة شهداء الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا قال لهم خيرا الا ترى انه يقول لاتقتلوا أنفسكم يقول بعضكم بعضا وسلموا على أنفسكم قال يسلم بعضكم على بعض حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات وقوله وقالوا هذا افك مبين يقول وقال المؤمنون والمؤمنات هذا الذي سمعناه من القول الذي رمى به عائشة من الفاحشة كذب واثم يبين لمن عقل وفكر فيه انه كذب واثم وبهتان كما حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال أخبرنا عوف عن الحسن وقالوا هذا افك مبين قالوا ان هذا لا ينبغي أن يتكلم به الا من أقام عليه أربعة من الشهود وأقيم عليه حد الزنا

❁ القول في تأويل قوله تعالى (لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذلم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون) يقول تعالى ذكره هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاؤا بالافك ورموا عائشة بالبهتان باربعة شهداء يشهدون على مقالتهم فيما رموها به فاذلم يأتوا بالشهداء الاربعة على حقيقة مارموها به فاولئك عند الله هم الكاذبون يقول فالعصبة الذين رموها بذلك عند الله هم الكاذبون فيما جاؤا به من الافك

❁ القول في تأويل قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الخائضون في أمر عائشة المشيعون فيها الكذب والاثم بتركه تعجيل عقوبتكم ورحمته اياكم لعفوه عنكم في الدنيا والآخرة بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك لمسكم فيما خضتم فيه من أمرها عاجلا في الدنيا عذاب عظيم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته هذا الذين تكلموا فانتشر ذلك الكلام لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم

❁ القول في تأويل قوله تعالى (اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) يقول تعالى ذكره لمسكم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم حين تلقونه بالسنتكم واذ من صلة قوله لمسكم ويعني بقوله تلقونه تتلقون الافك الذي جاءت به العصبة من أهل الافك فتقبلونه ويرويه بعضكم على بعض يقال تلقيت هذا الكلام عن فلان بمعنى أخذته منه وقيل ذلك لان الرجل منهم فيما ذكر يلقى آخر فيقول أوما بلغك كذا وكذا عن عائشة ليشيع عليها بذلك الفاحشة وذكر انها في قراءة أبي اذ تتلقونه بتاءين وعليها قراءة الامصار غير انهم قرؤها تلقونه بتاء واحدة لانها كذلك في مصاحفهم وقد روي عن

من خبيثات الكلام قال جار الله هو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها فى النزاهة والطيب ويجوز بقرينة الحال ان يكون أولئك اشارة الى أهل البيت عليهم السلام وانهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وفى الآية قول آخر وهو ان يراد بالخبيثات النساء الخبائث وبالخبيثين الرجال الذين هم اشكال لهن فيكون أول الآية نظير قوله الزانى لا ينكح الا زانية وكذلك الكلام فى أهل الطيب ولا أطيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون أزواجه مثله فلذلك أخبر عن حالهن بقوله لهم مغفرة ورزق كريم وقدمر

تفسير الرزق الكريم فى الحج ونظيره قوله فى الاحزاب واعتدنا لها رزقا كريما وفى الآية دلالة على ان عائشة من أهل الجنة وقال بعض الشيعة هذا الوعد مشروط باجتناب المعاصى وقد فعلت عائشة من البغى يوم الجمل ما فعلت والصحيح عند العلماء انها رجعت عن ذلك الاجتهاد وتابت * عن عائشة لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبرائيل عليه السلام بصورتى فى وقت راحة النبى فامره ان يتزوجنى ولقد تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ولقد توفى وان رأسه لفى حجرى ولقد قبر فى بيتى ولقد حفته الملائكة فى بيتى وان الوحى لينزل عليه فى أهله فيتفرقون عنه وان كان ينزل عليه وأنا معه فى لحافه وانى لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذرى من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما وعن بعضهم برأ الله أربعة باربعة برأ يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها انى عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام فى كتابه المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة سيد الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين * التأويل اذا حصل لاهل الله مسئلة الى غيره قيض الله له ما رده اليه وان النبى عليه السلام لما قيل له أى الناس أحب اليك قال عائشة فسا كنها وقال يا عائشة حبك فى قلبى كالعقدة وقالت عائشة انى أحبك وأحب قربك فالله تعالى حل عقدة الحب عن قلبه لحديث الافك ورد قلب عائشة الى حضرته حتى قالت حين ظهرت براءة ساحتها نحمد الله لا نحمدك وقيل الملامة مفتاح باب حبس الوجود بها ينوب الوجود ذوبان الثلج

عائشة فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن نزار عن نافع عن ابن أبى مليكة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها كانت تقرأ هذه الآية اذ تلقونه بالسنتكم يقول انما هو ولق الكذب ويقول انما كانوا يلقون الكذب قال ابن أبى مليكة وهى أعلم بما فيها أنزلت قال نافع وسمعت بعض العرب يقول الليق الكذب حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجمحى عن ابن أبى مليكة عن عائشة انها كانت تقرأ اذ تلقونه بالسنتكم وهى أعلم بذلك وفيها أنزلت قال ابن أبى مليكة هو من ولق الكذب قال أبو جعفر وكأن عائشة وجهت معنى ذلك بقراءتها تلقونه بكسر اللام وتخفيف القاف الى اذ تستمرون فى كذبكم عليها وافككم بالسنتكم كما يقال ولق فلان فى السير فهو يلق اذا استمر فيه وكما قال الراجز

ان الجليد زلق أو زملق * جاءت به عيس من الشام تلق * مجوع البطن كلابى الخلق

وقد روى عن العرب فى الولق الكذب الالق والالق بفتح الالف وكسرها ويقال فى فعلت منه ألقت فانا آلق وقال بعضهم

من لى بالمزرر اليلامق * صاحب ادهان والق آلق

والقراءة التى لا استجيز غيرها اذ تلقونه على ما ذكرت من قراءة الامصار لاجماع الحجة من القراء عليها وبنحو الذى قلنا من التأويل فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد اذ تلقونه بالسنتكم قال تروونه بعضكم عن بعض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ تلقونه قال تروونه بعضكم عن بعض قوله وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم من الامر الذى تروونه فتقولون سمعنا ان عائشة فعلت كذا وكذا ولا تعلمون حقيقة ذلك ولا صحته وتحسبونه هينا وتظنون ان قولكم ذلك وروايتكموه بالسنتكم وتلقيكموه بعضكم عن بعض هين سهل لا اثم عليكم فيه ولا حرج وهو عند الله عظيم يقول وتلقيكم ذلك كذلك وقولكموه بافواهكم عند الله عظيم من الامر لانكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) يقول تعالى ذكره فلولا أيها الخائضون فى الافك الذى جاءت به عصبة منكم اذ سمعتموه ممن جاء به قلتم ما يحل لنا أن نتكلم بهذا وما ينبغى لنا أن نتفوه به سبحانك هذا بهتان عظيم تنزيها لك يا رب وبراءة اليك مما جاء به هؤلاء هذا بهتان عظيم يقول هذا القول بهتان عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره يذكركم الله وينهاكم بآى كتابه لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذى فعلتموه فى أمر عائشة من تلقيكم الافك الذى رويتم عليها بالسنتكم وقولكم بافواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم تتعظون بعظات الله وتأتمرون لامره وتنتهون عما نهاكم عنه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر

من

من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم قال والذي هو خير لنا من هذا ان الله أعلمنا هذا الكيلا نقع فيه لولا أن الله أعلمناه لهلكنا كما هلك القوم ان يقول الرجل أنا سمعته ولم اخترقه ولم أتقوله فكان خيرا حين أعلمناه الله لئلا ندخل في مثله أبدا وهو عند الله عظيم وقوله ويبين الله لكم الآيات ويفصل الله لكم حججه عليكم بامره ونهيه ليتبين المطيع له منكم من العاصي والله عليم بكم وبافعالكم لا يخفى عليه شئ وهو مجاز المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته حكيم في تدبير خلقه وتكليفه ما كلفهم من الاعمال وفرضه ما فرض عليهم من الافعال ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) يقول تعالى ذكره ان الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم لهم عذاب أليم يقول لهم عذاب وجيع في الدنيا بالحد الذي جعله الله حد الرامي المحصنات والمحصنين اذا رموهم بذلك وفي الآخرة عذاب جهنم ان مات مصرا على ذلك غير تائب كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يحبون أن تشيع الفاحشة قال تظهر في شأن عائشة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم قال الخبيث عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية لهم عذاب أليم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أن تشيع الفاحشة قال تظهر يتحدث عن شأن عائشة وقوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون يقول تعالى ذكره والله يعلم كذب الذين جاؤا بالافك من صدقهم وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك لانكم لا تعلمون الغيب وانما يعلم ذلك علام الغيوب يقول فلا ترووا ما لا علم لكم به من الافك على أهل الايمان بالله ولا سيما على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتهلكوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم) يقول تعالى ذكره ولولا أن الله تفضل عليكم أيها الناس ورحمكم وأن الله ذو رأفة ذو رحمة بخلقه لهلكتم فيما أفضتم به وعاجلكم من الله العقوبة وترك ذكر الجواب لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده وهو قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره باشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا واذاعتكموها فيهم وروايتكم ذلك عمن جاء به فان الشيطان يأمر بالفحشاء وهي الزنا والمنكر من القول وقد بينا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم ما تطهر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه

بالشمس يوم تشهد عليهم شهادة الاعضاء في القيامة مؤجلة وبالحقيقة هي في الدنيا معجلة كقوله تعرفهم بسيماهم من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقال الشاعر عينالك قد حكتا مبيتك * كيف كنت وكيف كانا ولرب عين قد أرتك * مبيت صاحبها عيانا واذا كانت الامارة في الدنيا ظاهرة فهي في القيامة أولى فاللسان يشهد بالاقرار بقراءة القرآن واليد تشهد باخذ المصحف والرجل تشهد بالمشي الى المسجد والعين تشهد بالبكاء والاذن تشهد باستماع كلام الله وعند الحكماء تظهر أنوار الملكات الجيدة على النفس من البدن وبالعكس كما تتعاكس أنوار المرايا المتقابلة ويعاون أهل الوصول والوصال ان الله هو الحق المبين لا شئ في الوجود غيره لا في الدنيا ولا في الآخرة وحينئذ يحق ان يقال الخبيثات وهن الملوثات بلوث الوجود المجازي للخبيثين وهم أمثالهن والطيبات من لوث الحدوث للطيبين وهم اشكالهن ولا طيب الا الله وحده (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا يقول ما اهتدى منكم من الخلائق لشئ من الخير ينفع به نفسه ولم يتق شيأ من الشر يدفعه عن نفسه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا قال ما زكى ما أسلم وقال كل شئ فى القرآن من زكى أو تزكى فهو الاسلام وقوله والله سميع عليم يقول والله سميع لما تقولون بأفواهكم وتلقونه بألسنتكم وغير ذلك من كلامكم عليم بذلك كله وبغيره من أموركم محيط به محصيه عليكم ليجازيكم بكل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم يعنى ذوى التفضل والسعة يقول وذوو الجدة واختلف القراء فى قراءة قوله ولا يأتل فقرأه عامة قراء الامصار ولا يأتل بمعنى يفتعل من الألية وهى القسم بالله سوى أبى جعفر وزيد فانه ذكر عنهما انهما قرآ ذلك ولا يتأل بمعنى يتفعل من الألية *والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ ولا يأتل بمعنى يفتعل من الألية وذلك ان ذلك فى خط المصحف كذلك والقراءة الاخرى مخالفة خط المصحف كذلك فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء وصحة المقروء به أولى من خلاف ذلك كله وانما عنى بذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى حلفه بالله لا ينفق على مسطح فقال جل ثناؤه ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله ان لا يعطوا ذوى قرابتهم فيصلوا به أرحامهم كمسطح وهو ابن خالة أبى بكر والمساكين يقول وذوى خلة الحاجة وكان مسطح منهم لانه كان فقيرا محتاجا والمهاجرين فى سبيل الله وهم الذين هاجروا ديارهم وأموالهم فى جهاد أعداء الله وكان مسطح منهم لانه كان ممن هاجر من مكة الى المدينة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وليعفوا يقول وليعفوا عما كان منهم اليهم من جرم وذلك كجرم مسطح الى أبى بكر فى اشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الافك وليصفحوا يقول وليتركوا عقوبته على ذلك بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ولكن ليعودوا لهم الى مثل الذى كانوا لهم عليه من الافضال عليهم ألا تحبون ان يغفر الله لكم يقول ألا تحبون ان يستر الله عليكم ذنوبكم بافضالكم عليهم فيترك عقوبتكم عليها والله غفور لذنوب من أطاعه واتبع أمره رحيم بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره وطاعتهم اياه على ما كانت لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها وتابوا اليه من فعلها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن علقمة بن وقاص الليثى وعن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قال وحدثنى ابن اسحق قال ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قال وحدثنى ابن اسحق قال ثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن حزم الانصارى عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت لما نزل هذا يعنى قوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم فى عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته والله لا انفق

الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين) *القراآت وليضربن بكسر اللام على الاصل عياش جيوبهن بضم الجيم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وهشام وعاصم غير الاعشى والبزى والقواس من طريق الهاشمى وفى رواية بخلاف عن حمزة باشمام الجيم الضم ثم يشير الى الكسر وبضم الباء الآخرون بالكسر الخالص غير بالنصب على الاستثناء أو الحال ابن عامر ويزيد وأبو بكر وحماد الباقون بالكسر على الوصف أيه المؤمنون بضم الهاء فى الحالين ابن عامر وقرأ أبو عمرو وعلى وابن كثير بالف فى الوقف الباقون بفتح الهاء غير ألف فى الوقف وبالف فى الوصل *الوقوف أهلها ط تذكرون ○ يؤذن لكم ج للشرط مع العطف أزكى لكم ط عليم ○ متاع لكم ط يكتمون ○ فروجهم ط لهم ط يصنعون ○ جيوبهن صل عورات النساء ص زينتهن ط تفلحون ○ وامائكم ط فضله ط عليم ○ فضله ط خيرا ق قد قيل والوصل أوجه للعطف آتاكم ط للعدول الى حكم آخر الدنيا ط رحيم ○ المتقين ○ *التفسير الحكم الرابع الاستئذان لما كانت الخلوة طريقا الى التهمة ولذلك وجد أهل الافك سبيلا الى افكهم شرع أن لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستئذان وفى الآية أسئلة الاول الاستئناس هو الانس الحاصل بعد المجانسة قال الله تعالى ولا مستأنسين لحديث ولا يكون ذلك فى الاغلب الا بعد الدخول والسلام فلم عكس هذا الترتيب فى الآية جوابه بعد تسليم ان الواو للترتيب هو ان الاستئناس طلب الانس وانه مقدم على السلم وقال جار الله هو من باب الكناية والارداف لان الانس الذى هو خلاف الوحشة يردف الاذن فوضع موضع الاذن كأنه قيل حتى يؤذن لكم أو هو استفعال من أنس اذا أبصر فالمراد حتى تستكشفوا الحال ويبين هل يراد دخولكم أم لا أو هو من الانس بالكسر وهو ان يتعرف هل ثم انسان لانه لا معنى للسلام ما لم يعلم أفى البيت انسان أم لا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فاخطأ الكاتب ولا يخفى ضعف هذه الرواية لانها توجب الطعن فى المتواتر وتفتح باب القدح فى القرآن كله نعوذ بالله منه الثانى ما الحكمة فى شرع الاستئذان الجواب كيلا يطلع الداخل على عورات ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه ولئلا يوقف على

على مسطح شيأ ابدا ولا انفعه بنفع ابدا بعد الذى قال لعائشة ما قال وادخل عليها ما ادخل قالت فانزل الله فى ذلك ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة الآية قالت فقال ابو بكر والله انى لاحب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة يقول لا تقسموا أن لا تنفعوا احدا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى ابى قال ثنى عمى قال ثنى ابى عن ابيه عن ابن عباس قوله ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة الى آخر الآية قال كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رموا عائشة بالقبيح وافشوا ذلك وتكلموا به فاقسم ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ابو بكر ان لا يتصدق على رجل تكلم بشئ من هذا ولا يصله فقال لا يقسم أولو الفضل منكم والسعة ان يصلوا ارحامهم وان يعطوهم من اموالهم كالذى كانوا يفعلون قبل ذلك فامر الله ان يغفر لهم وان يعفى عنهم **حدثت** عن الحسين قال سمعت ابا معاذ يقول اخبرنا معاذ قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة لما انزل الله تعالى ذكره عذر عائشة من السماء قال أبو بكر وآخرون من المسلمين والله لا نصل رجلا منهم بشئ من شان عائشة ولا ننفعه فانزل الله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة يقول ولا يحلف **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى قال كان مسطح ذا قرابة والمساكين قال كان مسكينا والمهاجرين فى سبيل الله كان بدريا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة قال أبو بكر حلف ان لا ينفع يتيما فى حجره كان أشاع ذلك فلما نزلت هذه الآية قال بلى أنا أحب ان يغفر الله لى هلا أكونن ليتيمى خيرا ما كنت له قط ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) يقول تعالى ذكره ان الذين يرمون بالفاحشة المحصنات يعنى العفيفات الغافلات عن الفواحش المؤمنات بالله ورسوله وما جاء به من عند الله لعنوا فى الدنيا والآخرة يقول أبعدوا من رحمة الله فى الدنيا والآخرة ولهم فى الآخرة عذاب عظيم وذلك عذاب جهنم واختلف أهل التأويل فى المحصنات اللاتى هذا حكمهن فقال بعضهم انما ذلك لعائشة خاصة وحكم من الله فيها وفيمن رماها دون سائر نساء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال قلت لسعيد بن جبير الزنا أشد أم قذف المحصنة فقال الزنا فقلت أليس يقول الله ان الذين يرمون المحصنات الآية قال سعيد انما كان هذا لعائشة خاصة **حدثنا** أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه قال قالت عائشة رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغنى بعد ذلك قالت فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندى جالس اذ أوحى اليه وكان اذا أوحى اليه أخذه كهيئة السبات وانه أوحى اليه وهو جالس عندى ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه وقال يا عائشة ابشرى قالت فقلت بحمد الله لا بحمدك فقرأ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات حتى بلغ

الاحوال التى تخفيها الناس فى العادة ولانه تصرف فى ملك الغير فلابد ان يكون برضاه والا أشبه الغصب والتغلب ولذلك قال سبحانه ذلكم يعنى الاستئذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور أى الدخول من غير اذن قال صلى الله عليه وسلم من سبقت عينه استئذانه فقد دمر واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب لعلكم تذكرون أى أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة ان تتعظوا أو تعملوا به الثالث كيف يكون الاستئذان جوابه استأذن رجل على رسول الله فقال أألج فقال لامرأة يقال لها روضة قومى الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستأذن قولى له يقول السلام عليكم ادخل فسمع الرجل فقالها فقال ادخل ويؤيده قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكان أهل الجاهلية يقول اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد فنع الله تعالى من ذلك وعلم الادب الاحسن وعن مجاهد حتى تستأنسوا هو التنحنح ونحوه وقال عكرمة هو التسبيح والتكبير وقرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار منهى عنه وكذا كل ما يؤدى الى الكراهية ونهى عن الثقل الرابع كم عدد الاستئذان الجواب روى أبو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الاستئذان ثلاث فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون ومثله عن أبى موسى الاشعرى وقصته مع عمر مشهورة فى ذلك وعن قتادة الاستئذان ثلاثة الاول يسمع الحى الثانى ليتهيأوا الثالث ان شاؤا أذنوا وان شاؤا ردوا وينبغى ان يكون بين المرات فاصلة والا كان الكل فى حكم واحد الخامس كيف يقف على الباب جوابه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكنه يقف من ركنه الايمن أو الايسر فان كان للباب ستر كانت الكراهية أخف السادس قوله حتى تستأذنوا وتسلموا يدل على انه يجوز الدخول بعد الاستئذان والتسليم وان لم يكن ثمة اذن أو من يأذن لان حتى للغاية والحكم بعد الغاية يكون خلاف ما قبلها لكن لا نسلم المناقضة وذلك انه قبل الاستئذان لا يجوز الدخول مطلقا وبعده فيه تفصيل وهو انه ان لم يجد فيها أحدا من الآذنين مطلقا أو ممن يعتبر اذنه شرعا فليس له الدخول وذلك قوله فان لم تجدوا فيها أحدا أى على الاطلاق أو ممن له الاذن

فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم أي حتى تجدوا من يأذن لكم أو من يعتبر اذنه وان وجد فيها من له الاذن فان أذن دخل وان لم يأذن وقال ارجع رجع وهو قوله وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدر وأبعد من الريبة وفي قوله والله بما تعملون عليم نوع زجر لمه كاف فعليه ان يحتاط كيف يدخل ولاي غرض يدخل وكيف يخرج وهل يقوم غير الاذن مقام الاذن عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الرجل الى الرجل اذنه وفي رواية أخرى اذا دعي أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن وقيل ان من قد جرت العادة له بإباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستئذان والجمهور على ان اذن الصبي والعبد والمرأة معتبر وكذلك في الهدايا لاجل الضرورة وهل يعتبر الاستئذان على المحارم روي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أستاذن على أمي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت عليها قال أتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن قال العلماء ان كان المنع من الهجوم على الغير لاجل انه لا يراه منكشف الاعضاء فتستثنى منه الزوجة وملك اليمين وان كان لاجل انه لا يراه مشغولا بما يكره الاطلاع عليه فالمنع عام الا اذا عرض ما يبيح هتك الستر كحريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب انكاره التاسع ما حكم من اطلع على دار غيره بغير اذنه الجواب قال الشافعي لو فقأ أعينه فهي هدر وتمسك بما روى سهل ابن سعد انه اطلع رجل في حجرة من حجر النبي صلى الله عليه وسلم ومع النبي مدرى يحك بها رأسه فقال لو علمت انك تنظر الى لطعنت بها في عينيك انما الاستئذان من النظر وعن أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في دار قوم بغير اذنهم ففقأ عينه فقد هدرت عينه قال أبو بكر الرازي

(٧٤)

أولئك مبرؤن مما يقولون وقال آخرون بل ذلك لازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر النساء غيرهن ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا أبو عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقال آخرون نزلت هذه الآية في شان عائشة وعني بها كل من كان بالصفة التي وصف الله في هذه الآية قالوا فذلك حكم كل من رمى محصنة لم تقارف سوأ ذكر من قال ذلك **حدثنا** علي بن سهل قال ثنا زيد عن جعفر بن برقان قال سألت ميمونا قلت الذي ذكر الله الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم فجعل في هذه توبة وقال في الاخرى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات الى قوله لهم عذاب عظيم قال ميمون اما الاولى فعسى أن تكون قد قارفت وأما هذه فهي التي لم تقارف شيأ من ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية قال هذا في شان عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبهمة وليست لهم توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة قال فهم بعض القوم ان يقوم اليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر سورة النور **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم قال هذا في عائشة ومن صنع هذا اليوم في المسلمات فله ما قال الله ولكن عائشة كانت امام ذلك وقال آخرون نزلت هذه الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة فاوجب الجلد وقبل التوبة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الى عذاب عظيم يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رماهن أهل النفاق فاوجب الله لهم اللعنة والغضب وباؤا بسخط من الله وكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله فان الله غفور رحيم فانزل الله الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد * وأولى هذه الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال نزلت هذه الآية في شان عائشة والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها وانما قلنا ذلك أولى تاويلاته بالصواب لان الله عم بقوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات كل محصنة غافلة مؤمنة رماها رام بالفاحشة من غير ان يخص بذلك بعضا دون بعض فكل رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية فلعون في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم الا ان يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته فان الله دل باستثنائه بقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا على ان ذلك حكم رامي كل محصنة باي صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية وعلى ان قوله لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم معناه لهم ذلك ان هلكوا ولم يتوبوا ۞ القول في تاويل قوله تعالى (يوم تشهد عليهم السنتهم

هذا الخبر مردود لوروده على خلاف الاصول فلا خلاف انه لو دخل داره بغير اذنه ففقأ عينه كان ضامنا وعليه القصاص ان كان عامدا ومعلوم ان الداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع فمعنى الحديث لو صح انه من اطلع في دار قوم ونظر الى حرمهم ونسائهم ثم منع فلم يمتنع فذهبت عينه في حال الممانعة فهي هدر وأجيب بالفرق فانه اذا علم القوم دخوله عليهم احترزوا عنه وتستروا فاما اذا نظر على حين غفلة منهم اطلع على ما لا يراد الاطلاع عليه فلا يبعد في حكمة الشرع ان يبالغ ههنا في الزجر حسما لمادة هذه المفسدة بجميع هذه

الاحكام فيما اذا كانت الدار مسكونة فان لم تكن مسكونة فذلك قوله ليس عليكم جناح الآية وللمفسرين فيه أقوال الاول قول محمد بن الحنفية انها الخانات والرباطات وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرجال والسلع والبيع والشراء يروى ان أبا بكر قال يارسول الله ان الله قد أنزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات تتبرز فيها والمتاع التبرز وقيل الاسواق والاولى العموم واعلم يحتج الى الاذن دفعا للحرج ولانها ماذون

ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم فاليوم الذى في قوله يوم تشهد عليهم من صلة قوله ولهم عذاب عظيم وعنى بقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم يوم القيامة وذلك حين يجحد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب عند تقرير الله اياه بها فيختم الله على أفواههم وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فان قال قائل وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم قيل عنى بذلك ان ألسنة بعضهم تشهد على بعض لان ألسنتهم تنطق وقد ختم على الافواه وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول أتحلفون فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد ألسنتهم ثم يدخلهم النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين) يقول تعالى ذكره يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحق على أعمالهم والدين في هذا الموضع الحساب والجزاء كما حدثني على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس في قوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يقول حسابهم واختلفت القراء في قراءة قوله الحق فقرأته عامة قراء الامصار دينهم الحق نصبا على النعت للدين كانه قال يوفيهم الله ثواب أعمالهم حقا ثم أدخل في الحق الالف واللام فنصبه بما نصب به الدين وذكر عن مجاهد انه قرأ ذلك يوفيهم الله دينهم الحق برفع الحق على انه من نعت الله حدثنا بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن جرير بن حازم عن حميد عن مجاهد انه قرأها الحق بالرفع قال جرير وقرأتها في مصحف أبى بن كعب يوفيهم الله دينهم الحق والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وهو نصب الحق على اتباعه اعراب الدين لاجماع الحجة عليه وقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين يقول ويعلمون يومئذ ان الله هو الحق الذى يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات يقول الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول وقوله والطيبات للطيبين يقول الطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان ويقال الخبيثات للخبيثين الاعمال الخبيثة تكون للخبيثين والطيبون من الاعمال تكون للطيبين حدثنا ابن بشار

في دخولها من جهة العرف ثم ختم الآية بوعيد مثل ما تقدم الحكم الخامس غض البصر وحفظ الفرج عما لا يحل وتخصيص المؤمنين بهذا التكليف عند من لا يجعل الكفار مكلفين بفروع الاسلام ظاهر وأما عند من يجعلهم مكلفين بالفروع أيضا فالتخصيص للتشريف أو نزل فقدان مقدمة التكليف منزلة فقدان التكليف وان كان حالهم في الحقيقة كحال المؤمنين في استحقاق العقاب على تركها قال أكثر النحويين من للتبعيض والمراد غض شئ من البصر لان غض كله كالمتعذر بخلاف حفظ الفرج فانه ممكن على الاطلاق وجوز الاخفش ان تكون من مزيدة وقيل صلة للغض أى ينقصوا من نظرهم يقال غضضت من فلان اذا انقصت من قدره فالنظر اذا لم يكن من عمله فهو معفو موضوع عنه واعراب قوله يغضوا كما في سورة ابراهيم في قوله قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا قال الفقهاء العورات على أربعة أقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المرأة مع المرأة وعورة المرأة مع الرجل وبالعكس أما الرجل مع الرجل فيجوز ان ينظر الى جميع بدنه الا الى عورته وعورته ما بين السرة والركبة والسرة والركبة ليستا بعورة

وعند أبى حنيفة الركبة عورة قال مالك الفخذ ليست بعورة وهو خلاف ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حى وميت فان كان في نظره الى وجه الرجل أو سائر بدنه شهوة أو خوف فتنة بان كان أمرد لا يحل النظر اليه ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وان كان واحد منهما في جانب الفراش لرواية أبى سعيد الخدرى انه صلى الله عليه وسلم قال لا يفضى الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضى المرأة الى المرأة في الثوب الواحد ويكره المعانقة وتقبيل الوجه الا لولده شفقة وتستحب المصافحة والمرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل

قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والطيبات من الكلام للطيبين من الناس حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الطيبات القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن والخبيثات القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر أولئك مبرؤن مما يقولون وذلك انه برأ كلا منهما مما ليس بحق من الكلام حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات يقول الخبيثات والطيبات القول السيء والحسن للمؤمن الحسن وللكافر السيء أولئك مبرؤن مما يقولون وذلك بانه ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين كل بريء مما ليس بحق من الكلام حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الخبيثات للخبيثين قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الخبيثات للخبيثين الآية يقول الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول فهذا في الكلام وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا هم الخبيثون والطيبون هم المبرؤن مما قال الخبيثون حدثنا أبو زرعة قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة يعني ابن نبيط الاشجعي عن الضحاك الخبيثات للخبيثين قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والطيبات من الكلام للطيبين من الناس قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح وعثمان بن الاسود عن مجاهد الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول قال ثنا سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير قال الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الخبيثات من القول للخبيثين من الناس والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول قال حدثني محمد ابن بكر بن مقدم قال أخبرنا يحيى بن سعيد عن عبد الملك يعني ابن أبي سليمان عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن مجاهد والخبيثون للخبيثات قال الخبيثات من القول للخبيثين من الناس قال حدثنا ابن عباس بن الوليد الزيني قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات يقول الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن طلحة بن عمرو عن عطاء قال الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الطيبات من القول

الطيبين

فلها النظر الى جميع بدنها الا ما بين السرة والركبة ولا يجوز عند خوف الفتنة ولا تجوز المضاجعة أيضا للأمر في الحديث والاصح ان الذمية لا يجوز لها النظر الى بدن المسلمة لانها أجنبية في الدين والله تعالى يقول أو نسائهن أما عورة المرأة مع الرجل فان كانت أجنبية حرة فجميع بدنها عورة ولا يجوز له ان ينظر الى شئ منها الا الوجه والكفين لانها تحتاج الى ابراز الوجه للبيع والشراء والى اخراج الكف للأخذ والاعطاء ويعني بالكف ظهرها وبطنها الى الكوعين (٧٦) وقيل ظهر الكف عورة وفي هذا المقام تفصيل قال العلماء لا يجوز ان يعمد النظر الى وجه الاجنبية بغير غرض فان وقع بصره عليها بغتة غض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولقوله صلى الله عليه وسلم يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة فان كان هناك غرض ولا شهوة ولا فتنة فذاك والغرض أمور منها ان يريد نكاح امرأة فينظر الى وجهها وكفها روى أبو هريرة ان رجلا أراد ان يتزوج امرأة من الانصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر اليها فان في أعين الانصار شيأ ومنها اذا أراد شراء جارية فله ان ينظر اليها ما ليس بعورة منها ومنها انه عند المبايعة ينظر الى وجهها متأملا حتى يعرفها عند الحاجة ومنها انه ينظر اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه لان المعرفة تحصل به ومنها يجوز للطبيب الامين ان ينظر الى بدن الاجنبية للمعالجة كما يجوز للخاتن الى فرج المختون لانه محل ضرورة وكما يجوز ان ينظر الى فرج الزانيين لتحمل الشهادة والى فرجها لتحمل شهادة الولادة اذا لم تكن نسوة والى ثدي المرضعة لتحمل الشهادة على الرضاع فان كان هناك شهوة وفتنة فالنظر محظور قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان وقيل مكتوب في التوراة النظر يزرع الشهوة في القلب ورب شهوة أورثت حزنا طويلا ويستثنى منه ما لو وقعت في حرق أو غرق فله ان ينظر الى بدنها لخلاصها وان كانت الاجنبية أمة فالاصح ان عورتها ما بين السرة والركبة لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يشتري الامة لا بأس ان ينظر اليها الا الى العورة وعورتها ما بين معقد ازارها الى ركبتها وقيل الا ما تبدي المهنة فيخرج منه رأسها وعنقها وساعديها وساقيها ونحرها وصدرها ليس بعورة وفي ظهرها وبطنها وما فوق ساعديها الخلاف وحكم المكاتبة والمدبرة والمستولدة ومن بعضها رقيق

لطيبين من الناس والطيبون من الناس لطيبات من القول والخبيثات من القول للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول وقال آخرون بل معنى ذلك الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال نزلت فى عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك وكان عبد الله ابن أبي هو خبيث وكان هو أولى بان تكون له الخبيثة ويكون لها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا وكان أولى أن تكون له الطيبة وكانت عائشة الطيبة وكان أولى أن يكون لها الطيب أولئك مبرؤن مما يقولون قال ههنا برئت عائشة لهم مغفرة ورزق كريم * وأولى هذه الاقوال فى تأويل الآية قول من قال عنى بالخبيثات الخبيثات من القول وذلك قبيحه وسيئه للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الناس للخبيثات من القول هم بها أولى لانهم أهلها والطيبات من القول وذلك حسنه وجميله للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول لانهم أهلها وأحق بها وانما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية لان الآيات قبل ذلك بتوبيخ الله للقائلين فى عائشة الافك والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات واخبارهم ما خصهم به على افكهم فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالافك من الرامى والمرمى به أشبه من الخبر عن غيرهم وقوله أولئك مبرؤن يقول الطيبون من الناس مبرؤن من خبيثات القول ان قالوها فان الله يصفح لهم عنها ويغفرها لهم وان قيلت فيهم ضرت قائلها ولم تضرهم كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به لان الله لا يتقبله ولو قيلت له اضرته لانه يلحقه عارها فى الدنيا وذلها فى الآخرة كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أولئك مبرؤن مما يقولون فمن كان طيبا فهو مبرأ من كل قول خبيث يقول يغفره الله ومن كان خبيثا فهو مبرأ من كل قول صالح فانه يرده الله عليه لا يتقبله منه وقد قيل عنى بقوله أولئك مبرؤن مما يقولون عائشة وصفوان بن المعطل الذى رميت به فعلى هذا القول قيل أولئك فجمع والمراد ذانك كما قيل فان كان له أخوة والمراد اخوان وقوله لهم مغفرة يقول لهؤلاء الطيبين من الناس مغفرة من الله لذنوبهم والخبيث من القول ان كان منهم ورزق كريم يقول ولهم أيضا مع المغفرة عطية من الله كريمة وذلك الجنة وما أعد لهم فيها من الكرامة كما حدثنا أبو زرعة قال ثنا العباس بن الوليد الزينى قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة لهم مغفرة ورزق كريم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم فى الجنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يقرأ لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها قال وانما تستأنسوا وهم من الكتاب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه

حكم الامة ولا يجوز لمسها ولا لها مسه لان المس أقوى من النظر بدليل ان الانزال بالمس يفطر الصائم وبالنظر لا يفطر وقال أبو حنيفة يجوز ان يمس من الامة ما يحل النظر اليه وأما ان كانت المرأة ذات محرم بنسب أو رضاع او صهرية فعورتها ما بين السرة والركبة كعورة الرجل وعند أبي حنيفة عورتها ما لا يبدو عند المهنة فان كانت مستمتعا له كالزوجة والامة التى يحل له الاستمتاع بها جاز له ان ينظر الى جميع بدنها غير انه يكره ان ينظر الى الفرج وكذا الى فرج نفسه لما روى انه يورث الطمس وقيل لا يجوز النظر الى فرجها فان كانت الامة مجوسية أو مرتدة أو وثنية أو مشتركة بينه وبين غيره أو مزوجة أو مكاتبة فهى كالاجنبية روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا زوج أحدكم جاريته عبده أو أجيره فلا ينظر الى ما فوق السرة وفوق الركبة وأما عورة الرجل مع المرأة فان كان أجنبيا منها فعورته معها ما بين السرة والركبة وقيل جميع بدنه الا الوجه والكفين كهى معه والاصح هو الاول لان بدن المرأة فى نفسه عورة بدليل انه لا يصح صلاتها مكشوفة البدن وبدن الرجل بخلافه ولا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روى عن أم سلمة انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقالت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا فقال اعمياوان أنتما ألستما تبصرانه وان كان محرما لها فعورته معها ما بين السرة والركبة وان كان زوجها أو سيدها الذى يحل له وطؤها فلها ان تنظر الى جميع بدنه غير انه يكره النظر الى الفرج كهو معها ولا يجوز للرجل ان يجلس عاريا فى بيت خال وله ما يستر عورته لانه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال الله أحق ان يستحى منه وعنه اياكم والتعرى فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغائط وحين يفضى الرجل الى أهله ولما كان النظر بريد الزنا ورائد الفجور أمر بغض الابصار أولا ثم بحفظ الفروج عن الزنا الفجور ثانيا وعن أبي العالية ان كل ما فى القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه أراد الاستتار وان لا ينظر الى الفروج أحد وعلى هذا ففائدة التخصيص بعد التعميم ان يعلم ان أمر الفرج أضيق وحين خص الخطاب فى أول الآية بالمؤمنين ذكر ان ذلك الذى أمر به من غض البصر وحفظ الفرج أزكى لهم لانهم

يتطهرون بذلك من دنس الآثام و يستحقون الثناء والمدح وهذا لا يليق بالكافر وفي قوله ان الله خبير بما يصنعون ولا ثاني له في القرآن اشارة الى وجوب الحذر في كل حركة وسكون و تفسير قوله وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن يعلم من التفصيل المتقدم أما قوله ولا يبدين زينتهن فمن الاحكام التي تختص بالنساء في الاغلب وقد يحرم على الرجل ابداء زينته للنساء الاجنبيات اذا كان هنالك فتنة قال أكثر المفسرين الزينة (٧٨) ههنا أربعة أمور ثلاثة أحدها الاصباغ كالكحل والخضاب بالوشمة في حاجبيها والحمرة في خديها والحناء في كفيها وقدميها وثانيها الحلي كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والقلائد والاكليل والوشاح والقرط وثالثها الثياب وقال آخرون الزينة اسم يقع على محاسن الخلق التي خلقها الله تعالى وعلى ما يتزين به الانسان من فضل لباس أو حلي وغير ذلك وذلك ان كثيرا من النساء ينفردن بخلقهن عن سائر ما يعد زينة وفي قوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن اشارة الى ذلك وكأنه تعالى منعهن من اظهار محاسن خلقهن فاوجب سترها بالخمار قال القفال بناء على هذا القول معنى قوله الا ما ظهر منها الا ما يظهره الانسان على العادة الجارية وذلك في النساء الحرائر الوجه والكفان وفي الاماء كل ما يبدو عند المهنة وفي صوتها خلاف الاصح انه ليس بعورة لان نساء النبي صلى الله عليه وسلم كن يروين الاخبار للرجال وأما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة فذهبوا الى انه تعالى انما حرم النظر اليها حال اتصالها ببدن المرأة لاجل المبالغة في حرمة النظر الى أعضاء المرأة الا ما ظهر من هذه الزينة كالثياب مطلقا اذا لم تصف البدن لرقتها وكالحمرة والوشمة في الوجه وكالخضاب والخواتيم في اليدين وما سوى ذلك يحرم النظر اليه ولهذا قال وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع الخمار وهي كالمقنعة قال المفسرون ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وكانت جيوبهن من قدام واسعة فكان ينكشف نحورهن وقلائدهن فامرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب لتستتر بذلك أعناقهن ونحورهن وما حواليها من شعر و زينة وفي لفظ الضرب مبالغة في الالقاء شبيه الالصاق وعن عائشة ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها فصدعت منه صدعة

الآية لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وقال انما هي خطأ من الكاتب حتى تستأذنوا وتسلموا حدثنا ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير بمثله غير انه قال انما هي حتى تستأذنوا ولكنها سقط من الكاتب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا معاذ بن سليمان عن جعفر بن أياس عن سعيد عن ابن عباس حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال أخطأ الكاتب وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا وتسلموا وكان يقرؤها على قراءة أبي بن كعب حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن الاعمش انه كان يقرؤها حتى تستأذنوا وتسلموا قال سفيان و بلغني أن ابن عباس كان يقرؤها حتى تستأذنوا وتسلموا وقال انها خطأ من الكاتب حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال الاستئناس الاستئذان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال في مصحف ابن مسعود حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا قال حدثنا هشيم قال أخبرنا جعفر عن اياس عن سعيد عن ابن عباس انه كان يقرؤها يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا قال وانما تستأنسوا وهم من الكتاب قال حدثنا هشيم قال مغيرة قال مجاهد جاء ابن عمر من حاجة وقد آذاه الرمضاء فاتى فسطاس امرأة من قريش فقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل بسلام فاعاد فاعادت وهو يراوح بين قدميه قال قولي ادخل قالت ادخل فدخل قال حدثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن ابن سيرين وأخبرنا يوسف بن عبيد عن عمرو بن سعيد الثقفي ان رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألج أو أيلج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لامة له يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن يستأذن فقولي له يقول السلام عليكم أدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل حدثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله حتى تستأنسوا قال الاستئذان ثم نسخ واستثنى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن المغيرة عن ابراهيم قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم قال حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة حتى تستأنسوا قال حتى تستأذنوا وتسلموا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أشعث بن سوار عن كردوس عن ابن مسعود قال عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم قال أشعث عن عدي ابن ثابت أن امرأة من الانصار قالت يا رسول الله اني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها والد ولا ولد فانه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها الآية وقال آخرون معنى ذلك حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على

اهلها

أهلها قال حتى تنحنحوا وتنخموا حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله حتى تستأنسوا قال حتى تجسسوا وتسلموا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله حتى تستأنسوا قال تنحنحوا وتنخموا قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس قال آيات قد جحدهن الناس قال الله ان أكرمكم عند الله أتقاكم قال ويقولون ان أكرمهم عند الله أعظمهم شأنا قال والاذن كله قد جحده الناس فقلت له استأذن على أخواتي ايتام في حجري معي في بيت واحد قال نعم فرددت على من حضرني فأبى قال أتحب أن تراها عريانة قلت لا قال فاستأذن فراجعته أيضا قال أتحب أن تطيع الله قلت نعم قال فاستأذن فقال لي سعيد بن جبير انك لتردد عليه قلت أردت أن يرخص لي قال ابن جريج وأخبرني ابن طاوس عن ابيه قال ما من امرأة أكره الي أن أرى كأنه يقول عريتها أو عريانة من ذات محرم قال وكان يشدد في ذلك قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا فواجب على الناس أجمعين اذا احتلموا أن يستأذنوا على من كان من الناس قلت لعطاء أواجب على الرجل أن يستأذن على أمه ومن وراءها من ذات قرابته قال نعم قلت بأي وجب قال قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا قال ابن جريج وأخبرني ابن زياد ان صفوان مولى لبني زهرة أخبره عن عطاء ابن يسار أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أفأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن عليها قال ابن جريج عن الزهري قال سمعت هزيل بن شرحبيل الاودي الاعمى انه سمع ابن مسعود يقول عليكم الاذن على أمهاتكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء أيستأذن الرجل على امرأته قال لا حدثنا الحسين قال ثنا محمد بن حازم عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود عن زينب قالت كان عبد الله اذا جاء من حاجة فانتهى الى الباب تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا قال الاستئناس التنحنح والتجرس حتى يعرفوا ان قد جاءهم أحد قال والتجرس كلامه وتنحنحه * والصواب من القول في ذلك عندي ان يقال ان الاستئناس الاستفعال من الانس وهو ان يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم مخبرا بذلك من فيه وهل فيه أحد وليؤذنهم انه داخل عليهم فيأنس الى اذنهم له في ذلك ويأنسوا الى استئذانه اياهم وقد حكي عن العرب سماعا اذهب فاستأنس هل ترى أحدا في الدار يعني انظر هل ترى فيها أحدا فتأويل الكلام اذا اذ كان ذلك معناه يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا وذلك ان يقول أحدهم السلام عليكم أأدخل وهو من المقدم الذي معناه التأخير انما هو حتى تسلموا وتستأذنوا كما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس وقوله ذلكم خير لكم يقول استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذي تريدون دخوله فان

فاختمرن فاضعن كأن على رؤسهن الغربان ثم بين ان الزينة الخفية يحل ابداؤها لاثنتي عشرة فرقة الاولى بعولتهن أي أزواجهن والتاء لتأكيد الجمع كصقورة الثانية آباؤهن وان علوا من جهة الاب والام الثالثة آباء بعولتهن وان علوا الرابعة أبناؤهن وان سفلوا الخامسة أبناء بعولتهن وان سفلوا أيضا السادسة اخوانهن سواء كانوا من الاب أو من الام أو منهما السابعة بنو اخوانهن الثامنة بنو اخواتهن وحكم أولاد الاولاد حكم الاولاد فيهما وهؤلاء كلهم محارم وترك من المحارم العم والخال فعن الحسن البصري انهما كسائر المحارم في جواز النظر وقد يذكر البعض لينبه على الجملة ولهذا لم يذكر المحارم من الرضاع في هذه الآية وكذا في سورة الاحزاب قال لا جناح عليهن في آبائهن الى آخر الآية ولم يذكر البعولة ولا أبناءهم وقال الشعبي انما لم يذكرهما الله تعالى لئلا يصفها العم عند ابنه والخال عند ابنه وذلك ان العم والخال يفارق سائر المحارم في ان ابناءهما ليسوا من المحارم فاذا رآها الاب فربما وصفها الابنه وليس بمحرم ومعرفة الوصف قريب من النظر وهذا أيضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط في التستر وانما أبيح ابداء الزينة الخفية لهؤلاء المذكورين لاحتياجهن الى مداخلتهم ومخالطتهم ولا سيما في الاسفار للنزول والركوب وأيضا لقلة وقوع الفتنة من جهاتهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب الاقارب التاسعة قوله أو نسائهن فذهب أكثر السلف الى ان المراد أهل أديانهن ومن هنا قال ابن عباس ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدي للكافرة الا ما تبدي للاجانب الا ان تكون أمة لها وكتب عمر الى أبي عبيدة ان يمنع نساء أهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات وقال آخرون والعمل عليه ان المراد جميع النساء وقول السلف محمول على الاولى والاحب العاشرة قوله أو ما ملكت أيمانهن وظاهر الآية يشمل العبيد والاماء ويؤيده ما روى أنس انه صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو أبوك وغلامك وعن عائشة أنها قالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعنها انها كانت تمشط والعبد ينظر اليها وقال ابن مسعود ومجاهد والحسن وابن سيرين وسعيد بن مسيب ان العبد لا ينظر الى شعر مولاته

وهو قول أبي حنيفة اذ ليس ملك اليمين كالعبد كملكه الامة فلا خلاف انه لا تستبيح بملك العبد شيأ من التمتع منه كما يملك الرجل من الامة وتحريم تزوج العبد اولانه عارض غير مؤبد لكن عنده أربع نسوة لا يجوز له التزوج بغيرهن فلما لم تكن هذه الحرمة مؤبدة كان العبد بمنزلة سائر الاجانب خصيا كان العبد أو فحلا وأورد على هذا القول لزوم التكرار ضرورة ان الاماء من جملة نسائهن وأجيب بانه أراد بالنساء الحرائر كما أراد بالرجال الاحرار في قوله شهيدين من رجالكم الحادية عشر قوله أو التابعين غير أولي الاربة وهي الحاجة وهم البله وأهل العنة الذين لا يعرفون شيأ من أمور النساء انما يتبعون الناس ليصيبوا من فضل طعامهم أو شيوخ صلحاء لا حاجة بهم الى النساء لعفة أو عنانة عن زينب بنت أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فاقبل على أخي أم سلمة وقال يا عبد الله ان فتح الله لكم الطائف أدلك على بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان عنى عكن بطنها فقال صلى الله عليه وسلم لا يدخلن عليكم هذا فاباح النبي صلى الله عليه وسلم دخول المخنث عليهن حين ظن انه من غير أولي الاربة فلما علم انه يعرف أحوال النساء وأوصافهن علم انه من أولي الاربة فحجبه الثانية عشرة قوله أو الطفل وهو جنس يقع على الواحد والجمع وهو المراد ههنا قال ابن قتيبة معنى لم يظهروا لم يطلعوا على عورات النساء والعورة سوأة الانسان وكل ما يستحيي منه وقال الفراء والزجاج هو من قولهم ظهر على كذا اذا قوي عليه أي لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء فعلى الاول يجب الاحتجاب من ظهر فيه داعية الحكاية وعلى الثاني انما يجب الاحتجاب من المراهق الذي ظهرت فيه مبادي الشهوة قال الحسن هؤلاء الفرق وان اشتركوا في جواز رؤية الزينة الظاهرة فهم على أقسام ثلاثة فاولهم الزوج وله حرمة ليست لغيره يحل له كل شيء منها والثاني الاب والابن والاخ والجد وأبو الزوج وكل محرم من الرضاع أو النسب كل يحل لهم ان ينظروا الى الشعر والصدر والساقين والذراع وأشباه ذلك والثالث التابعون غير أولي الاربة وكذا المملوك لا بأس ان تقوم المرأة الشابة

دخولكموه خير لكم لانكم لا تدرون انكم اذا دخلتموه بغير اذن على ماذا تهجمون على ما يسوءكم أو يسركم وأنتم اذا دخلتم باذن لم تدخلوا على ما تكرهون وأديتم بذلك حق الله عليكم في الاستئذان والسلام وقوله لعلكم تذكرون يقول لتتذكروا بفعلكم ذلك أمر الله عليكم واللازم لكم من طاعته فتطيعوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم) يقول تعالى ذكره فان لم تجدوا في البيوت التي تستأذنون فيها أحدا يأذن لكم بالدخول اليها فلا تدخلوها لانها ليست لكم فلا يحل لكم دخولها الا باذن أربابها فان اذن لكم أربابها ان تدخلوها فادخلوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يقول وان قال لكم أهل البيوت التي تستأذنون فيها ارجعوا فلا تدخلوها فارجعوا عنها ولا تدخلوها هو أزكى لكم يقول رجوعكم عنها اذا قيل لكم ارجعوا ولم يؤذن لكم بالدخول فيها أطهر لكم عند الله وقوله هو كناية من اسم الفعل أعني من قوله فارجعوا وقوله والله بما تعملون عليم يقول جل ثناؤه والله بما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم في بيوت غيركم اذا قيل لكم ارجعوا وترك رجوعكم عنها وطاعتكم الله فيما أمركم ونهاكم في ذلك وغيره من أمره ونهيه ذو علم محيط بذلك كله محص جميعه عليكم حتى يجازيكم على جميع ذلك وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فان لم تجدوا فيها أحدا قال ان لم يكن لكم فيها متاع فلا تدخلوها الا باذن وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ثنا الحسن قال ثنا هاشم ابن القاسم المزني عن قتادة قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها ان أستأذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فأرجع وأنا مغتبط لقوله وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم وهذا القول الذي قاله مجاهد من تأويل قوله فان لم تجدوا فيها أحدا بمعنى ان لم يكن لكم فيها متاع قول بعيد من مفهوم كلام العرب لا تكاد تقول ليس بمكان كذا أحد الا وهي تعني ليس بها أحد من بني آدم وأما الامتعة وسائر الاشياء غير بني آدم ومن كان سبيله سبيلهم فلا تقول ذلك فيها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) يقول تعالى ذكره ليس عليكم أيها الناس اثم وحرج ان تدخلوا بيوتا لا ساكن بها بغير استئذان ثم اختلفوا في ذلك أي البيوت عنى فقال بعضهم عنى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون وانما بنيت لمارة الطريق والسابلة ليأووا اليها ويؤووا اليها أمتعتهم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن سالم المكي عن محمد بن الحنفية في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة قال هي الخانات التي تكون في الطرق حدثني عباس بن محمد قال ثنا مسلم قال ثنا عمر بن فروخ قال سمعت قتادة يقول بيوتا غير مسكونة قال هي الخانات تكون لاهل الاسفار حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال كانوا يضعون في بيوت في طرق المدينة متاعا وأقتابا فرخص لهم ان يدخلوها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بيوتا غير مسكونة قال هي

البيوت

البيوت التى ينزلها السفر لا يسكنها أحد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بيوتا غير مسكونة قال كانوا يصنعون أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة فى بيوت ليس فيها أحد فأحل لهم ان يدخلوها بغير اذن حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا انه قال كانوا يضعون بطريق المدينة بغير شك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله غير انه قال كانوا يضعون بطريق المدينة اقتابا وأمتعات حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة هى البيوت التى ليس لها أهل وهى البيوت التى تكون بالطرق والخربة فيها متاع منفعة للمسافر فى الشتاء والصيف يأوى اليها وقال آخرون هى بيوت مكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن سعيد بن سائق عن الحجاج بن ارطاة عن سالم بن محمد بن الحنفية فى بيوتا غير مسكونة قال هى بيوت مكة وقال آخرون هى البيوت الخربة والمتاع الذى قال الله فيها لكم قضاء الحاجة من الخلاء والبول فيها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال الخلاء والبول حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا حسن بن عيسى بن زيد عن أبيه فى هذه الآية ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال التخلى فى الخراب وقال آخرون بل عنى بذلك بيوت التجار التى فيها أمتعة الناس ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال بيوت التجار ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير اذن الحوانيت التى بالقيساريات والاسواق وقرأ فيها متاع لكم متاع للناس ولبنى آدم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله عم بقوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم كل بيت لا ساكن به لنا فيه متاع ندخله بغير اذن لان الاذن انما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول أو ليأذن للداخل اذ كان له مالكا أو كان فيه ساكنا فاما ان كان لا مالك له فيحتاج الى اذنه لدخوله ولا ساكن فيه فيحتاج الداخل الى ايناسه والتسليم عليه لئلا يهجم على ما لا يحب رؤيته منه ولا معنى للاستئذان فيه فاذا كان ذلك فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض فكل بيت لا مالك له ولا ساكن من بيت مبنى ببعض الطرق للمارة والسابلة ليأووا اليها أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه حيث كان ذلك فان لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان لمتاع له يؤويه اليه أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك وأما بيوت التجار فانه ليس لاحد دخولها الا باذن أربابها وسكانها فان ظن ظان أن التاجر اذا فتح دكانه وقعد للناس فقد أذن لمن أراد الدخول عليه فى دخوله فان الامر فى ذلك بخلاف ما ظن وذلك انه ليس لاحد دخول ملك غيره بغير ضرورة ألجأته اليه أو بغير سبب أباح له دخوله الا باذن ربه لاسيما اذا كان فيه متاع فان كان التاجر قد عرف منه ان فتحه حانوته اذن منه لمن أراد دخوله فى الدخول فذلك بعد راجع الى ما قلنا من انه لم يدخله من دخله الا باذنه واذا كان ذلك كذلك لم يكن من معنى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير

بين يدى هؤلاء فى درع وخمار صفيق بغير ملحفة ولا يحل لهؤلاء ان يروا منها شعرا ولا بشرا ولا يصلح للشابة ان تقوم بين يدى الغرباء حتى تلبس الجلباب فهذا ضبط هذه المراسم ثم علمهن أدبا آخر جميلا بقوله ولا يضربن بأرجلهن قال ابن عباس كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها (٨١) ذات خلخالين وفى النهى عن اظهار صوت الحلى بعد نهيهن عن اظهار الحلى مبالغة فوق مبالغة ليعلم ان كل ما يجر الى الفتنة يجب الاحتراز عنه فان الرجل الذى تغلب عليه الشهوة اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعيا له الى مشاهدتهن ومنه يعلم وجوب اخفاء صوتهن اذا لم يؤمن الفتنة ولهذا كرهوا أذان النساء ثم ختم الآية بالامر بالدوام على التوبة والاستغفار لان الانسان خلق ضعيفا لا يكاد يقدر على رعاية الاوامر والنواهى كما يجب قال العلماء ان من أذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه عز وجل وعن ابن عباس أراد توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة قال جار الله من قرأ أيه المؤمنون بضم الهاء فوجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها الحكم السادس النكاح وذلك انه حين أمر بغض الابصار وحفظ الفروج أرشد بعد ذلك الى طريق الحل فيما تدعو اليه الشهوة وأصل الايامى أيايم فقلب الواحد أيم بتشديد الياء ويشمل الرجل والمرأة قال النضر بن شميل الايم فى كلام العرب كل ذكر لا أنثى معه وكل أنثى لا ذكر معها وهو قول ابن عباس فى رواية الضحاك يقول زوجوا ايامى كم بعضهم من بعضهم وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم أتأيم وظاهر الامر الوجوب الا ان الجمهور حملوه على الندب لانه لو كان واجبا لشاع فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وانتشر ولو انتشر لنقل لعموم الحاجة اليه وقد ورد فى الاخبار التصريح بكونه سنة

كقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي وكقوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وقد أجمعوا على ان الايم الثيب لو أبت التزويج لم يكن للولي اجبارها عليه واتفقوا على ان السيد لا يجبر على تزويج عبده أو أمته نعم قد يجب في بعض الصور كما اذا التمست التزويج من الولي فعليه الاجابة (٨٢) اذا كان الخاطب كفوا استدل الشافعي بعموم الآية على جواز تزويج البكر البالغة بدون رضاها واعترض أبو بكر الرازي بأن الايامى شامل للرجال والنساء وحين لزم في الرجال تزويجهم باذنهم فكذا في النساء ويؤيده ماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال البكر تستأمر في نفسها واذنها صماتها وأجيب بان تخصيص النص لا يقدح في كونه حجة في الباقي والفرق ان الايم من الرجال يتولى أمر نفسه فلا يجب على الولي تعهده بخلاف المرأة فان احتياجها الى من يصلح أمرها أظهر على انا لا نسلم ان لفظ الايامى عند الاطلاق يتناول الرجال وفي تخصيص الآية بخبر الواحد أيضا نزاع واستدل أبو حنيفة بعموم الآية أيضا على ان العم والاخ يليان تزويج الثيب الصغيرة ونوقش فيه قال الشافعي من تاقت نفسه الى النكاح استحب له ان ينكح اذا وجد أهبة النكاح والا فليكسر شهوته بالصوم لما روى عبد الله ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء والذي لا تتوق نفسه الى النكاح لكبر أو مرض أو عجز أو كان غير قادر على النفقة يكره له ان ينكح لانه يلتزم مالا يمكنه القيام بحقه وان لم يكن به عجز وكان قادرا على القيام بحقه لم يكره له ان ينكح لكن الافضل ان يتخلى لعبادة الله تعالى وقال أبو حنيفة النكاح أفضل حجة الشافعي انه تعالى مدح يحيى بقوله وسيدا وحصورا من والحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليهن وقال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أعمالكم الصلاة وقال أفضل أعمال أمتي قراءة القرآن وقال أحب المباحات الى الله تعالى النكاح المباح ما استوى طرفاه والمندوب ما يرجح فعله ولو كان النكاح عبادة لم يصح من الكافر والنكاح

مسكونة فيها متاع لكم في شيء وذلك ان الذي وضع الله عنا الجناح في دخولها بغير اذن من البيوت هي مالم يكن مسكونا اذ حانوت التاجر لاسبيل الى دخوله الا باذنه وهو مع ذلك مسكون فتبين أنه مما عنى الله من هذه الآية بمعزل وقال جماعة من أهل التأويل هذه الآية مستثناة من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذكر من قال ذلك قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ثم نسخ واستثنى فقال ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة حتى تستأنسوا الآية فنسخ من ذلك واستثنى فقال ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وليس في قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم دلالة على انه استثناء من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الا ان قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها حكم من الله في البيوت التي لها سكان وأرباب وقوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم حكم منه في البيوت التي لا سكان لها ولا أرباب معروفون فكل واحد من الحكمين حكم في معنى غير معنى الآخر وانما يستثنى الشيء من الشيء اذا كان من جنسه أو نوعه في الفعل أو النفس فاما ذا لم يكن كذلك فلا معنى لاستثنائه منه وقوله والله يعلم ما تبدون يقول تعالى ذكره والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم من الاستئذان اذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة وما تكتمون يقول وما تضمرونه في صدوركم عند فعلكم ذلك ما الذي تقصدون به اطاعة الله والانتهاء الى أمره أم غير ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للمؤمنين بالله وبك يا محمد يغضوا من أبصارهم يقول يكفوا من نظرهم الى ما يشتهون النظر اليه مما قد نهاهم الله عن النظر اليه ويحفظوا فروجهم أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس ما يسترها عن أبصارهم ذلك أزكى لهم يقول فان غضها من البصر عما لا يحل النظر اليه وحفظ الفرج عن أن يظهر لابصار الناظرين أطهر لهم عند الله وأفضل ان الله خبير بما يصنعون يقول ان الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه وحفظ فروجكم عن اظهارها لمن نهاكم عن اظهارها له وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سهل الرملي قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم قال كل فرج ذكر حفظه في القرآن فهو من الزنى الا هذه وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن فانه يعني الستر حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن قال يغضوا أبصارهم عما يكره الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم قال يغض من بصره ان ينظر الى مالا يحل له اذا رأى مالا يحل له غض من بصره لا ينظر اليه ولا يستطيع أحد أن يغض بصره كله انما قال الله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن

من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد للمؤمنات من أمتك يغضضن من أبصارهن عما يكره الله النظر اليه مما نهاكم عن النظر اليه ويحفظن فروجهن يقول ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس ما يسترها عن أبصارهم وقوله ولا يبدين زينتهن يقول تعالى ذكره ولا يظهرن للناس الذين ليسوا لهن بمحرم زينتهن وهما زينتان احداهما ما خفي وذلك كالخلخال والسوارين والقرطين والقلائد والاخرى ما ظهر منها وذلك مختلف في المعني منه بهذه الآية فكان بعضهم يقول زينة الثياب الظاهرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن الحجاج عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن ابن مسعود قال الزينة زينتان فالظاهرة منها الثياب وما خفي الخلخالان والقرطان والسواران حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني الثوري عن أبي اسحق الهمداني عن أبي الاحوص عن عبد الله انه قال ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال هي الثياب حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله قال ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الثياب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله مثله قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن زيد عن عبد الله مثله قال ثنا سفيان عن علقمة عن ابراهيم في قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الثياب حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا بعض أصحابنا اما يونس واما غيره عن الحسن في قوله الا ما ظهر منها قال الثياب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله الا ما ظهر منها قال الثياب قال أبو اسحق ألا ترى انه قال خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال ثنا محمد بن الفضل عن الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن زيد عن ابن مسعود الا ما ظهر منها قال هو الرداء وقال آخرون الظاهر من الزينة التي أبيح لها أن تبديه الكحل والخاتم والسواران والوجه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا مروان قال ثنا مسلم الملائي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكحل والخاتم حدثنا عمرو بن عبد الحميد الاملي قال ثنا مروان عن مسلم الملائي عن سعيد بن جبير مثله ولم يذكر ابن عباس حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن أبي عبد الله نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال الظاهر منها الكحل والخدان حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن سعيد بن جبير في قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الوجه والكف حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي عن سعيد بن جبير مثله حدثني علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو عن عطاء في قول الله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكفان والوجه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة قال الكحل والسواران والخاتم حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال والزينة الظاهرة الوجه وكحل العين وخضاب الكف

فيه شهوة النفس والعبادة فيها مشقة النفس والاقبال على الله تعالى فأين أحدهما من الآخر ولو كان النكاح مساويا بالنوافل في الثواب لم تكن النوافل مشروعة لان الطريق المؤدي الى المطلوب مع بقاء اللذة وعدم التعب أولى بالسلوك وان كان الاشتغال بالنكاح أولى من النافلة لانه سبب لبقاء الاشخاص ونظام العالم فالاشتغال بالزراعة أيضا أولى من النافلة العلة المذكورة وقد وقع الاجماع على ان واجب العبادة مقدم على واجب النكاح فكذا مندوبها على مندوبه لاتحاد النسبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وعنه صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة وحجة أبي حنيفة ان النكاح يتضمن صون النفس من ضرر الزنا ودفع الضرر أهم من جلب النفع وأيضا النكاح يتضمن العدل وقد ورد في الحديث عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي وقال في الصلاة انها خير موضوع فمن شاء فليكثر ومن شاء فليستقل ثم ان الايامى جمع مد تفرق لكنهم أجمعوا على انه لابد من شروط ذكرنا بعضها في سورة النساء في قوله وأحل لكم ما وراء ذلكم ومعنى منكم أي من حرائركم قاله كثير من المفسرين لان حكم العبيد والاماء يعقب ذلك ومنهم من قال أراد من يكون تحت ولاية المأمور من الوالد والقريب ومنهم من قال الاضافة لا تفيد الحرية والاسلام ثم أمر السادة ان يزوجوا أرقاءهم الصالحين واتفقوا على انه للاباحة والترغيب لان في تزويج العبد التزام مؤنة زوجته وتعطل خدمته واستفادة المهر وسقوط النفقة في تزويج الامة ليس قبوله بلازم على السيد أيضا وتخصيص الصالحين بالذكر عناية من الله بحالهم ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم وأيضا الصالحون من الارقاء هم الذين يشفق عليهم مواليهم ويهتمون بشأنهم حتى ينزلوهم منزلة الاولاد ويجوز ان يراد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ومن جملة ذلك ان لا يكون في غاية الصغر بحيث لا يحتاج الى النكاح واذن السيد لهم ان يزوجوا أنفسهم

والخاتم فهذا تظهر فى بيتها لمن دخل من الناس عليها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال المسكتان والخاتم والكحل قال قتادة وبلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخرج يدها الا الى ههنا وقبض نصف الذراع حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن رجل عن المسور بن مخرمة فى قوله الا ما ظهر منها قال القلبين والخاتم والكحل يعنى السوار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الخاتم والمسكة قال ابن جريج وقالت عائشة القلب والفتخة قالت عائشة دخلت على ابنة أخى لأمى عبد الله بن الطفيل مزينة فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فأعرض فقالت عائشة يارسول الله انها ابنة أخى وجارية فقال اذا عركت المرأة لم يحل لها ان تظهر الا وجهها والا ما دون هذا وقبض على ذراع نفسه فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى وأشار به أبو على قال ابن جريج وقال مجاهد قوله الا ما ظهر منها قال الكحل والخضاب والخاتم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم عن عامر الا ما ظهر منها قال الكحل والخضاب والثياب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها من الزينة الكحل والخضاب والخاتم هكذا كانوا يقولون وهذا يراه الناس حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى قال ثنا ابن أبى سلمة قال سئل الاوزاعى عن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكفين والوجه حدثنا عمرو بن بندق قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قوله ولا يبدين زينتهن قال الكف والوجه وقال آخرون عنى به الوجه والثياب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال قال يونس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الحسن الوجه والثياب حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى وعبد الاعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن فى قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الوجه والثياب * واولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك الوجه والكفان يدخل فى ذلك اذا كان كذلك الكحل والخاتم والسوار والخضاب وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فى ذلك بالتأويل لاجماع الجميع على ان كل مصل ان يستر عورته فى صلاته وأن للمرأة ان تكشف وجهها وكفيها فى صلاتها وان عليها ان تستر ما عدا ذلك من بدنها الا ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اباح لها ان تبديه من ذراعها الى قدر النصف فاذ كان ذلك من جميعهم اجماعا كان معلوما بذلك ان لها ان تبدى من بدنها ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال لان ما لم يكن عورة فغير حرام اظهاره واذا كان لها اظهار ذلك كان معلوما انه مما استثناه الله تعالى ذكره بقوله الا ما ظهر منها لان كل ذلك ظاهر منها وقوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن يقول تعالى ذكره وليلقين خمرهن وهى جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن ابراهيم بن نافع قال ثنا الحسن بن مسلم بن يناق عن صفية بنت شيبة عن عائشة قالت لما نزلت هذه الآية وليضربن بخمرهن على جيوبهن قال شققن البرد مما يلى الحواشى فاختمرن به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب بن قرة بن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت يرحم الله النساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن أكثف مروطهن فاختمرن به وقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن يقول تعالى ذكره ولا

ينوب عن تزويج السيد أما قوله ان يكونوا فقراء فالاصح ان هذا ليس وعدا من الله تعالى باغناء من يتزوج حتى لا يجوز ان يقع فيه خلف فرب غنى يفقره النكاح ولكن المعنى لا تنظر والى فقر من يخطب اليكم ففى فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورائح على ان مثل هذا الوعد قد جاء مشروطا بالمشيئة فى قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فالمطلق محمول على المقيد وقيل أراد بالغنى نفس (٨٤) العفاف بملك البضع الذى يغنيه عن الوقوع فى الزنا وعن طائفة من الصحابة ان هذا وعد وعن أبى بكر قال أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن ابن عباس التمسوا الرزق بالنكاح وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة فقال عليك بالباءة وقد يستدل بالآية على ان العبد والامة يملكان والا لم يتصور فقرهما وغناهما والمفسرون قالوا الضمير عائد الى الاحرار خاصة وهم الايامى وان فسر الغناء بالعفاف فلا بعد فى رجوعه الى الكل والله واسع افضاله ولكنه عليم يبسط الرزق كما يريد وعلى ما ينبغى وفيه اشارة الى قيد المشيئة فى الوعد المذكور ثم ذكر حال العاجزين عن القيام بمؤن النكاح بقوله وليستعفف أى ليطلب العفة من نفسه والمضاف محذوف أى لا يجدون استطاعة نكاح ولا يقدرون عليه أو النكاح يراد به ما ينكح بوساطته وهو المال ولا محذوف وفى قوله حتى يغنيهم نوع تاميل للمستعففين وفيه ان فضله من أهل الصلاح والعفاف قريب الحكم السابع المكاتبة وحين رغب السادة فى تزويج الصالحين من العبيد والاماء أرشدهم الى الطريق الذى به ينخرط العبيد فى سلك الاحرار مع عدم الاضرار بالسادة فقال والذين يبتغون ومحله اما رفع والخبر فكاتبوهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط واما نصب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم والفاء للايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها كقوله وربك فكبر والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة والتركيب يدل على الضم والجمع لما فيه من ضم النجوم بعضها الى بعض وقال الازهرى هو من الكتابة ومعناه كتبت لك على نفسى ان تعتق منى اذا وفيت المال وكتبت لى

على نفسك ان تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق وقيل سمى ذلك لما يقع فيه من التأجيل واجبا عند الشافعي وندبا عند أبي حنيفة كما يجيء والاجل يستدعي الكتابة لقوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه قال محيي السنة الكتابة أن تقول لمملوكه كاتبتك على كذا و يسمي مالا يؤديه في نجمين أو أكثر و يعين عدد النجوم (٨٥) وما يؤدي في كل نجم و يقول اذا أديت ذلك المال فانت حر و ينوي ذلك بقلبه و يقول العبد قبلت وفي هذا الضبط ابحاث الاول قال الشافعي ان لم يقل بلسانه اذا أديت ذلك المال فانت حر ولم ينو بقلبه ذلك لم يعتق لان الكتابة ليست عقد معاوضة محضة فان ما في يد العبد فهو ملك السيد والانسان لا يمكنه بيع ملكه بعين ملكه فقوله كاتبتك كناية في العتق فلا بد فيه من لفظ العتق ونيته وقال أبو حنيفة ومالك وأبو يوسف ومحمد وزفر لا حاجة الى ذلك لاطلاق قوله فكاتبوهم واذا صحت الكتابة وجب ان يعتق بالاداء للاجماع الثاني لا تجوز الكتابة عند الشافعي الا مؤجلة لان العبد لا يتصور له ملك يؤديه في الحال وجوز أبو حنيفة الحلول لاطلاق الآية ولانه يجوز العتق على مال في الحال بالاتفاق فالكتابة أيضا مثله الثالث قال الشافعي لا تجوز الكتابة على أقل من نجمين روي ذلك عن علي عليه السلام وعمر وعثمان وابن عمر وذلك انه عقد ارفاق ومن تمام الارفاق التنجيم وجوز أبو حنيفة على نجم واحد لاطلاق الآية وللقياس على سائر العقود والرابع جوز أبو حنيفة كتابة الصبي قال ويقبل عنه المولى وذهب الشافعي الى انه يجب ان يكون عاقلا بالغا لانه تعالى قال والذين يبتغون والصبي لا يتصور منه الطلب الخامس

يبدين زينتهن التي هي غير ظاهرة بل الخفية منها وذلك الخلخال والقرط والدملج وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب وما وراء ما أبيح لها كشفه وابرازه في الصلاة وللاجنبيين من الناس والذراعين الى فوق ذلك الا لبعولتهن و بنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن طلحة بن مصرف عن ابراهيم ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن قال هذه ما فوق الذراع حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور قال سمعت رجلا يحدث عن طلحة عن ابراهيم قال في هذه الآية ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن قال ما فوق الجيب قال شعبة كتب به منصور الي وقرأته عليه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن قال تبدي لهؤلاء الرأس حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الى قوله عورات النساء قال الزينة التي يبدينها لهؤلاء قرطاها وقلادتها وسوارها فاما خلخالاها ومعضداها ونحرها وشعرها فانه لا تبديه الا لزوجها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن مسعود في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن قال الطوق والقرطين يقول الله تعالى ذكره قل للمؤمنات الحرائر لا يظهرن هذه الزينة الخفية التي ليست بالظاهرة الا لبعولتهن وهم أزواجهن وأحدهم بعل أو لآبائهن أو لآباء بعولتهن يقول أو لآباء أزواجهن أو لأبنائهن أو لابناء بعولتهن أو لاخوانهن أو لبني اخوانهن و يعني بقوله أو لاخوانهن أو لاخوتهن أو لبني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن قيل عني بذلك نساء المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أو نسائهن قال بلغني انهن نساء المسلمين لا يحل لمسلمة ان ترى مشركة عريتها الا أن تكون أمة لها فذلك قوله أو ما ملكت أيمانهن قال ثني الحسين قال ثني عيسى بن يونس عن هشام بن الغاز عن قتادة بن نسي انه كره أن تقبل النصرانية المسلمة أو ترى عورتها ويتأول أو نسائهن قال ثنا عيسى بن يونس عن هشام بن عبادة قال كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح أما بعد فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب فامنع ذلك وحل دونه قال ثم ان أبا عبيدة قام في ذلك المقام مبتهلا اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها فسود وجهها يوم تبيض الوجوه وقوله أو ما ملكت أيمانهن اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم أو مماليكهن فانه لا بأس عليها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره لهؤلاء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار عن مجاهد التيمي انه قال في قوله أو ما ملكت أيمانهن قال في القراءة الاولى أيمانكم وقال آخرون بل معنى ذلك أو ما ملكت أيمانهن من اماء المشركين كما قد ذكرنا عن ابن جريج قبل من انه لما قال أو نسائهن عني بهن النساء المسلمات دون المشركات ثم قال أو ما ملكت أيمانهن من الاماء المشركات ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) يقول تعالى ذكره والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم ممن لا أرب له في النساء من الرجال ولا حاجة به اليهن

جوز أبو حنيفة ان يكاتب الصبي باذن الولي وشرط الشافعي كونه مكلفا لان قوله فكاتبوهم خطاب فلا يتناول الا العاقل هذا وللمفسرين خلاف في ان قوله فكاتبوهم أمر ايجاب أو استحباب فقال قائلون ومنهم عمرو بن دينار وعطاء وداود بن علي ومحمد بن جرير انه للوجوب الكتابة اذا طلبها المملوك بقيمته أو بأكثر وعلم السيد فيه خيرا ولو كان بدون قيمته لم يلزمه وأكدوه بما روي في سبب النزول

انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فأبى فنزلت و يروى ان عمر أمر أنسا بان يكاتب سيرين أبا محمد بن سيرين فأبى فضربه بالدرة ولم ينكر أحد من الصحابة عليه وذهب أكثر العلماء منهم ابن عباس والحسن والشعبي ومالك وأبو حنيفة والشافعي والثوري الى أنه ندب لقوله صلى الله عليه (٨٦) وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب من قلبه ولان طلب الكتابة كطلب بيعه ممن يعتقه في الكفارة فلا تجب الاجابة وهذه طريقة المعاوضات أجمع قال العلماء اذا أدى مال الكتابة عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له ومن هنا يكسب مولاه الثواب أما قوله ان علمتم فيه خيرا قال عطاء الخير هو المال كقوله ان ترك خيرا قال بلغني ذلك عن ابن عباس وضعف بانه لا يقال في فلان مال وانما يقال له أو عنده مال و بان العبد لا مال له بل المال لسيده وعن ابن سيرين أراد اذا صلى وعن النخعي وفاء وصدقا وقال الحسن صلاحا في الدين والاقرب انه شئ يتعلق بالكتابة هكذا فسره الشافعي بالامانة والقوة على الكسب و يروى مثله مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان مقصود الكتابة لا يحصل الا بالكسب ثم بالامانة كيلا يضيع ما يكسبه واختلفوا أيضا في المخاطب بقوله وآتوهم فعن الحسن والنخعي وابن عباس في رواية عطاء وهو مذهب أبي حنيفة انهم المسلمون والمراد اعطوهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال ولا بعد في كون المخاطب في أحد المعطوفين غير الآخر ولا في كون أحد الامرين للاستحباب والآخر للايجاب والسهم الذي يأخذه المكاتب له صدقة ولسيده عوض كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعن كثير من الصحابة وهو مذهب الشافعي ان المخاطب هو الموالي والامر أمر ايجاب فيجب عليهم ان يبذلوا للمكاتبين شيأ من أموالهم أو يحطوا عنهم جزأ من مال الكتابة ثم اختلفوا في قدره فعن علي عليه السلام انه كان يحط الربع ومثله ما روى عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن انه كاتب غلاما له فترك ربع مكاتبته وعن ابن عمر أنه كاتب

ولا يريدهن و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال قال كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الاول لا يغار عليه ولا ترهب المرأة ان تضع خمارها عنده وهو الاحمق الذي لا حاجة له في النساء **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال فهذا الرجل يتبع القوم وهو مغفل في عقله لا يكترث للنساء ولا يشتهيهن فالزينة التي تبديها لهؤلاء قرطاها وقلادتها وسوارها وأما خلخالاها ومعضداها ونحرها وشعرها فانها لا تبديه الا لزوجها **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أو التابعين قال هو التابع يتبعك يصيب من طعامك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال قال الذي يريد الطعام ولا يريد النساء قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال الذين لا يهمهم الا بطونهم ولا يخافون على النساء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** اسمعيل ابن موسى السدي قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد في قوله غير أولي الاربة قال الابله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قوله غير أولي الاربة قال هو الابله الذي لا يعرف شيأ من النساء **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله غير أولي الاربة من الرجال الذي لا أرب له بالنساء مثل فلان **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عمن حدثه عن ابن عباس غير أولي الاربة قال هو الذي لا تستحي منه النساء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي غير أولي الاربة قال من تبع الرجل وحشمه الذي لم يبلغ اربه أن يطلع على عورة النساء **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي غير أولي الاربة قال الذي لا أرب له في النساء قال **حدثنا** عبد الرحمن قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال المعتوه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال قال هو الاحمق الذي لا همة له بالنساء ولا أرب وبه عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه في قوله غير أولي الاربة من الرجال يقول الاحمق الذي ليست له همة في النساء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الذي لا حاجة له في النساء **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال قال هو الذي يتبع القوم حتى كأنه كان منهم ونشأ فيهم وليس يتبعهم لاربة نسائهم وليس له في نسائهم اربة وانما يتبعهم لارفاقهم اياه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث فكانوا يعدونه من غير أولي الاربة فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال انها اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذ

يعلم

يعلم ما ههنا لا يدخلن هذا عليكم فحجبوه حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال ثنا حفص بن عمر العدني قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله أو التابعين غير أولي الاربة قال هو المخنث الذي لا يقوم زبه واختلف القراء في قوله غير أولي الاربة فقرأ ذلك بعض أهل الشام و بعض أهل المدينة والكوفة غير أولي الاربة بنصب غير ولنصب غير ههنا وجهان أحدهما على القطع من التابعين لان التابعين معرفة وغير نكرة والآخر على الاستثناء وتوجيه غير الى معنى الا كأنه قيل الا أولي الاربة وقرأ من ذكرت غير بخفض غير على انها نعت للتابعين وجاز نعت التابعين بغير والتابعون معرفة وغير نكرة لان التابعين معرفة غير مؤقتة فتأويل الكلام على هذه القراءة أو الذين هذه صفتهم والقول في ذلك عندي انهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضة القراءة بهما في الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير ان الخفض في غير أقوى في العربية فالقراءة به أعجب الي والاربة الفعلة من الارب مثل الجلسة من الجلوس والمشية من المشي وهي الحاجة يقال لا أرب لي فيك لا حاجة لي فيك وكذا أربت لكذا وكذا اذا احتجت اليه فأنا آرب له اربا فاما الاربة بضم الالف فالعقدة وقوله أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء يقول تعالى ذكره أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن فيظهروا عليهن لصغرهن و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على عورات النساء قال لم يدروا ما هن من الصغر قبل الحلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن يقول تعالى ذكره ولا يجعلن في أرجلهن من الحلي ما اذا مشين أو حركنهن علم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من ذلك و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمي ان امرأة اتخذت قرافش من فضة واتخذت جزعا فمرت على قوم فضربت برجلها فوقع الخلخال على الجزع فصوت فأنزل الله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال كان في أرجلهن خرز فكن اذا مررن بالمجالس حركن أرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ولا يضربن بأرجلهن فهو أن تقرع الخلخال بالآخر عند الرجال و يكون في رجليها خلاخل فتحركهن عند الرجال فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك لانه من عمل الشيطان حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال الاجراس من حليهن يجعلنها في أرجلهن في الخلاخل فنهاهن الله ان يضربن بأرجلهن لتسمع تلك الاجراس وقوله وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون يقول تعالى ذكره وارجعوا أيها المؤمنون الى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من غض البصر وحفظ الفرج وترك دخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم وغير ذلك من أمره ونهيه لعلكم تفلحون يقول لتفلحوا وتدركوا طلباتكم لديه اذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم

القول في تأويل قوله تعالى (وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) يقول تعالى ذكره وزوجوا أيها المؤمنون من لا زوج

عبد الله بخمسة وثلاثين ألفا ووضع عنه خمسة آلاف وهو السبع والاكثرون على انه غير مقدر و يحصل الامتثال باقل متمول عن ابن عباس يضع له من كتابته شيأ وعن عمر انه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب في الاسلام فأتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو أخرته الى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا الحط عند الاولين على وجه الندب فلا يجبر المولى عليه وأكدوه بما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال أيما عبد كاتب على مائة أوقية فأداها الا عشر أواق فهو عبد فلو كان الحط واجبا لاسقط عنه بقدره ومثله المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وأيضا لو كان الحط واجبا فان كان معلوما لزم عتقه اذا بقي ذلك القدر وليس ذلك بالاتفاق ولو كان مجهولا لكان ما بقي وهو مال الكتابة مجهولا فلا تصح الكتابة وأيضا أمر بالايتاء من مال الله الذي آتاهم ومال الكتابة ليس بدين صحيح لانه بصدد العجز عنه فلا يستحق ذلك المال هذا الوصف فصح ان هذا أمر من الله تعالى للناس أولهم وللسادة ان يعينوا المكاتب على كتابته بما يمكنهم قال صلى الله عليه وسلم من أعان مكاتبا في فك رقبته أظله الله في ظل عرشه الحكم الثامن المنع من اكراه الاماء على الزنا كان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء أي الزنا فشكت ثنتان منهن معاذة ومسيكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه الاكراه قد مر في سورة النحل في قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان والنص وان كان مختصا بالاماء الا انهم أجمعوا على ان حال الحرائر أيضا كذلك والسؤال المشهور في الآية هو ان المعلق بكلمة ان على الشيء يفهم منه عدمه عند عدم ذلك الشيء فتدل الآية على جواز الاكراه على الزنا عند عدم ارادة التحصن والجواب بعد تسليم ان مفهوم الخطاب حجة هو ان الاكراه مع عدم ارادة التحصن والتعفف مما لا يجتمعان فهذا المفهوم قد خرج عن كونه دليلا لامتناعه في ذاته وقد يقال ان غالب الحال ان الاكراه لا يحصل الا عند ارادة التحصن والكلام الوارد على سبيل الغالب لا يكون له مفهوم

له من أحرار رجالكم ونسائكم ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم واماءكم والايامى جمع أيم وانما جمع الأيم أيامى لانها فعيلة في المعنى فجمعت كذلك كما جمعت اليتيمة يتامى ومنه قول جميل

أحب الايامى اذ بثينة أيم * وأحبب لها اذ غنيت الغوانيا

ولو جمعت أيايم كان صوابا والايم يوصف به الذكر والانثى يقال رجل أيم وامرأة أيم وأيمة اذا لم يكن لها زوج ومنه قول الشاعر

فان تنكحي أنكح وان تتأيمي أيم * وان كنت أفتى منكم أتأيم

ان يكونوا فقراء يقول ان يكن هؤلاء الذين تنكحوهم من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وامائكم أهل فاقة وفقر فان الله يغنيهم من فضله فلا يمنعنكم فقرهم من انكاحهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم قال أمر الله سبحانه بالنكاح ورغبهم فيه وأمرهم ان يزوجوا أحرارهم وعبيدهم ووعدهم في ذلك الغنى فقال ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن أبو الحسن وكان اسمعيل بن صبيح مولى هذا قال سمعت القاسم بن الوليد عن عبد الله بن مسعود قال التمسوا الغنى في النكاح يقول الله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانكحوا الايامى منكم قال أيامى النساء اللاتي ليس لهن أزواج وقوله والله واسع عليم يقول جل ثناؤه والله واسع الفضل جواد بعطاياه فزوجوا اماءكم فان الله واسع يوسع عليهم من فضله ان كانوا فقراء عليم يقول هو ذو علم بالفقير منهم والغني لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتدبيرهم

القول في تأويل قوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) يقول تعالى ذكره وليستعفف الذين لا يجدون ما ينكحون به النساء عن اتيان ما حرم الله عليهم من الفواحش حتى يغنيهم الله من سعة فضله ويوسع عليهم من رزقه وقوله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم يقول جل ثناؤه والذين يلتمسون المكاتبة منكم من مماليككم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واختلف أهل العلم في وجه مكاتبة الرجل عبده الذي علم فيه خيرا وهل قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا على وجه الفرض أم هو على وجه الندب فقال بعضهم فرض على الرجل ان يكاتب عبده الذي قد علم فيه خيرا اذا سأله العبد ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء أواجب علي اذا علمت له مالا ان أكاتبه قال ما أراه الا واجبا وقالها عمرو بن دينار قال قلت لعطاء أتأثره عن أحد قال لا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك ان سيرين أراد ان يكاتبه فتلكأ عليه فقال له عمر لتكاتبنه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لا ينبغي لرجل اذا كان عنده المملوك الصالح الذي له المال يريد ان يكاتب ان لا يكاتبه وقال آخرون ذلك غير واجب على السيد وانما قوله فكاتبوهم ندب من الله سادة العبيد الى كتابة من علم فيه منهم خير لا ايجاب ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال مالك بن انس الامر عندنا أن ليس على سيد العبد ان يكاتبه اذا سأله ذلك ولم أسمع بأحد من الائمة أكره أحدا على أن

يكاتب

الخطاب كما مر في قوله ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم وقيل ان بمعنى اذ لان سبب النزول وارد على ذلك قال جار الله أوثرت كلمة ان على اذا ايذانا بان المباغيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من قبيل الشاذ والنادر وللآية مفهوم آخر وهو ان السادة اذا أكرهوهن على النكاح وليس لها ان تمتنع على السيد اذا زوجها وعرض الحياة الدنيا كسبهن وأولادهن ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهم على الاطلاق أو بشرط التوبة على أصل الاشاعرة والمعتزلة أو غفور لهن لان الاكراه قد لا يكون على حده المعتبر في الشرع من التخويف الشديد فتكون آثمة حينئذ وحين فرغ من الاحكام وصف القرآن بصفات ثلاث الاولى الآيات المبينات أي الموضحات أو الواضحات في معاني الحدود والاحكام وغيرها ولاسيما الآيات التي ثبتت في هذه السورة الثانية كونه مثلا من الذين خلوا أي قصة عجيبة من قصصهم فان العجب في قصة عائشة ليس بأقل من العجب في قصة يوسف ومريم وما اتهما به وعن الضحاك انه أراد بالمثل شبه ما ذكر في التوراة والانجيل من اقامة الحدود وعن مقاتل أراد شبه ما حل بهم من العقاب اذا عصوا الثالثة كونه موعظة ينتفع بها المتقون خاصة

*التأويل لا تدخلوا بيوت عالم القرار التي هي غير بيوتكم من دار القرار حتى تتعرفوا أحوالها وتسلموا على أهلها سلام توديع ومتاركة فان لم تجدوا فيها أحدا فان صرتم بحيث فنيتم عن حظوظ الدنيا وشهواتها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم بالتصرف فيها بالحق للحق وان قيل لكم ارجعوا بجذبة ارجعي الى ربك فارجعوا انه أشار الى أن التصرف في الدنيا لاجل البلاغ وبحسب الضرورة جائز اذا لم تكن النفس تطمئن اليها فقال ليس عليكم جناح الآية ثم أمر بغض بصر النفس عن مشتهيات الدنيا وبصر القلب عن رؤية الاعمال ونعيم الآخرة وبصر السر عن الدرجات والقربات وبصر الروح عن الالتفات الى ما سوى الله وبصر الهمة عن العلل بان لا يرى نفسه أهلا لشهود الحق تنزيها له واجلالا ولهذا أمر بحفظ فرج الباطن عن تصرفات

يكاتب عبده وقد سمعت بعض أهل العلم اذا سئل عن ذلك فقيل له ان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يتلو هاتين الآيتين فاذا حللتم فاصطادوا فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله قال مالك فانما ذلك أمر أذن الله فيه للناس وليس بواجب على الناس ولا يلزم أحدا وقال الثوري اذا أراد العبد من سيده ان يكاتبه فان شاء السيد ان يكاتبه كاتبه ولا يجبر السيد على ذلك حدثني بذلك على عن زيد عنه و حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال ليس بواجب عليه ان يكاتبه انما هذا أمر أذن الله فيه ودليل وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال واجب على سيد العبد ان يكاتبه اذا علم فيه خيرا وسأله العبد الكتابة وذلك ان ظاهر قوله فكاتبوهم ظاهر أمر وأمر الله فرض الانتهاء اليه ما لم يكن دليل من كتاب أو سنة على انه ندب لما قد بينا من العلة في كتابنا المسمى البيان عن أصول الاحكام وأما الخير الذي أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم اذا علموه فيهم فهو القدرة على الاحتراف والكسب لاداء ما كوتبوا عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الكريم الجزري عن نافع عن ابن عمر انه كره أن يكاتب مملوكه اذا لم تكن له حرفة قال تطعمني أوساخ الناس حدثني على قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يقول ان علمتم لهم حيلة ولا تلقون مؤنتهم على المسلمين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا أشهب قال سئل مالك بن أنس عن قوله فكاتبوهم ان علمتم فيه خيرا فقال انه ليقال الخير القوة على الاداء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني ابن زيد عن أبيه قول الله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال الخير القوة على ذلك وقال آخرون بل معنى ذلك ان علمتم فيهم صدقا ووفاء وأداء ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن في قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال صدقا ووفاء وأداء وأمانة قال حدثنا ابن علية قال ثنا عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد وطاوس انهما قالا في قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال مالا وأمانة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال أداء وأمانة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة قال كان ابراهيم يقول في هذه الآية فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال صدقا ووفاء أو أحدهما حدثنا أبو بكر قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء في قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال أداء ومالا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمرو بن دينار أحسبه كل ذلك المال والصلاح حدثني على بن سهل قال ثنا زيد قال ثنا سفيان ان علمتم فيهم خيرا يعني صدقا ووفاء وأمانة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمت فيه خيرا لنفسك يؤدي اليك ويصدقك ما حدثك فكاتبه وقال آخرون بل معنى ذلك ان علمتم لهم مالا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يقول ان علمتم لهم مالا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان علمتم فيهم خيرا قال مالا حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا

السكونين فيه ثم أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال تنبيها على ان النساء بالصورة قد يكن رجالا في المعنى ثم نهى عن اظهار ما زين الله به سرائرهم وأحوالهم الا ما ظهر على صفحات أحوالهم من غير تكلف منهم ثم أباح لهم اظهار بعض الاسرار الى شيوخهن أو اخوانهن في الدين والحال أو المريدين الذين هم تحت تربيتهم وتصرفهم بمنزلة النساء والمماليك ومن لا خبر عندهم من عالم المعنى كالبله والاطفال ففيه نفسه مصدور من غير ضرب وتوبوا الى الله جميعا فان حسنات الابرار سيئات المقربين فتوبة المبتدي من الحرام وتوبة المتوسط من الحلال وتوبة المنتهي مما سوى الله وأنكحوا الايامى فيه أمر بطلب شيخ كامل يودع في رحم القلب من صلب الولاية نطفة استعداد قبول الفيض الاعلى وهو الولادة الثانية المستدعية للولوج في ملكوت السماء والارض وقد أشار الى افاضة هذا الاستعداد بقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وليستعفف ليحفظ الذين لا يجدون شيخا في الحال أرحام قلوبهم عن تصرفات الدنيا والهوى والشيطان حتى يدلهم الله على شيخ كامل كما دل موسى على الخضر عليه السلام أو يخصهم بجذبة الله يجتبي والذين يبتغون فيه ان المريد اذا طلب الخلاص عن قيد الرياضة لزم اجابته ان علم فيه الصلاح ووجب ان يؤتى بعض ما خص الله الشيخ به من المواهب ولا تكرهوا فيه ان النفس اذا لم تكن مائلة الى التصرف في الدنيا وان كان بالحق لم نكره عليه فان أصحاب الخلوة غير أرباب الجلوة (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء

بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ألم تر أن الله (٩٠) يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شئ قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون) * القراآت نور السموات على الاصل يزيد من طريق ابن أبى عبلة وابن مشنيا كمشكاة بمالة أبو عمرو عن الكسائى درىء بكسرتين وبالهمز أبو عمرو وعلى والمفضل مثله بضم الدال حمزة وأبو بكر وحماد والخراز الباقون بضم الدال وتشديد الياء توقد بضم التاء وفتح القاف حمزة وعلى وخلف وأبو بكر وحماد مثله ولكن بياء الغيبة على ان الضمير للمصباح ابن عامر ونافع وحفص وأبو زيد عن المفضل الباقون وجبلة توقد بالفتحات وتشديد القاف يسبح بفتح الباء ابن عامر وأبو بكر وحماد سحاب ظلمات على الاضافة البزى سحاب بالتنوين ظلمات بالكسر على انه نصب على الحال القواس وابن فليح الباقون بالرفع والتنوين فيهما ينزل من الانزال ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب يذهب

شعبة عن الحكم عن مجاهد فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال مالا **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ان علمتم فيهم خيرا قال لهم مالا فكاتبوهم **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمتم لهم مالا كائنة أخلاقهم وأديانهم ما كان **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن زاذان عن عطاء بن أبى رباح فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال مالا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال ان علمتم عندهم مالا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى محمد بن عمرو اليافعى عن ابن جريج ان عطاء بن أبى رباح كان يقول ما نراه الا المال يعنى قوله ان علمتم فيهم خيرا قال ثم تلا كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا * وأولى هذه الاقوال فى معنى ذلك عندى قول من قال معناه فكاتبوهم ان علمتم فيهم قوة على الاحتراف والاكتساب ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها وصدق لهجة وذلك ان هذه المعانى هى الاسباب التى بمولى العبد الحاجة اليها اذا كاتب عبده مما يكون فى العبد فأما المال وان كان من الخير فانه لا يكون فى العبد وانما يكون عنده أوله لا فيه والله انما أوجب علينا مكاتبة العبد اذا علمنا فيه خيرا لا اذا علمنا عنده أوله فلذلك لم نقل الخير فى هذا الموضع معنى به المال وقوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم يقول تعالى ذكره فأعطوهم من مال الله الذى أعطاكم ثم اختلف أهل التأويل فى المأمور باعطائه من مال الله الذى أعطاه من هو وفى المال أى الاموال فقال بعضهم الذى أمر الله باعطاء المكاتب من مال الله هو مولى العبد المكاتب ومال الله الذى أمر باعطائه منه هو مال الكتابة والقدر أمر أن يعطيه منه الربع وقال آخرون بل ما شاء من ذلك المولى ذكر من قال ذلك **حدثنى** عمرو بن على قال ثنا عمران بن عنبسة قال ثنا عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال ربع المكاتبة **حدثنا** الحسن بن عرفة قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال ربع الكتابة يحطها عنه **حدثنى** يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن عبد الاعلى عن أبى عبد الرحمن عن على رضى الله عنه فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال الربع من أول نجومه قال أخبرنا ابن علية قال عطاء بن السائب عن ابى عبد الرحمن السلمى عن على فى قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال الربع من مكاتبته **حدثنا** محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنى عبد الملك بن أبى سليمان عن عبد الملك بن أعين قال كاتب أبو عبد الرحمن غلاما فى أربعة آلاف درهم ثم وضع له الربع ثم قال لولا أنى رأيت عليا رضوان الله عليه كاتب غلاما له ثم وضع له الربع ما وضعت لك شيأ **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الاعلى عن أبى عبد الرحمن السلمى انه كاتب غلاما له على ألف ومائتين فترك الربع وأشهدنى فقال لى كان صديقك يفعل هذا يعنى عليا رضوان الله عليه يقول وآتوهم من مال الله الذى آتاكم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الملك قال ثنى فضالة بن أبى أمية عن أبيه قال كاتبنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

من الأذهاب بزيد على ان الباء زائدة خالق كل شئ على الاضافة حمزة وعلى وخلف الآخرون خلق على لفظ الماضى كل منصوبا
*الوقوف والارض ط مصباح ط زجاجة ط غربية ط لان مابعدها صفة شجرة نار ط نور ط يشاء ط للناس ط عليم ه
لا بناء على ان الظرف يتعلق بما قبله وهو كمشكوة أى مثل مشكوة فى بعض بيوت الله عز وجل والاولى تعلقه بيسبح وفيها

عنه فاستقرض لى من حفصة مائتى درهم قلت ألا تجعلها فى مكاتبتى قال انى لا أدرى أدرك ذاك أم لا قال حدثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان بلغنى انه كاتبه على مائة أوقية قال حدثنا سفيان عن عبد الملك قال ذكرت ذلك لعكرمة فقال هو قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم يقول ضعوا عنهم من مكاتبتهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وآتوهم من مال الله الذى آتاكم يقول ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء فى قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال مما أخرج الله لكم منهم حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال آتهم مما فى يديك حدثنى الحسين ابن عمرو العنقزى قال ثنى أبى عن أسباط عن السدى عن أبيه قال كاتبتنى زينب بنت قيس بن مخرمة من بنى المطلب بن عبد مناف على عشرة آلاف فترك لى ألفا وكانت زينب قد صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا أبو مسعود الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد مولى أبى أسيد قال كاتبنى أبو أسيد على ثنتى عشرة مائة فجئته بها فأخذ منها ألفا ورد على مائتين حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع اليه صدقته ولكنه اذا كان فى آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى مخرمة عن أبيه عن نافع قال كاتب عبد الله بن عمر غلاما له يقال له شرف على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف ولم يذكر نافع انه أعطاه شيأ غير الذى وضع له قال أخبرنا ابن وهب قال قال مالك سمعت بعض أهل العلم يقول ان ذلك ان يكاتب الرجل غلامه ثم يضع عنه من آخر كتابته شيأ مسمى قال مالك وذلك أحسن ما سمعت وعلى ذلك أهل العلم وعمل الناس عندنا حدثنى على قال ثنا زيد قال ثنا سفيان أحب الى أن يعطيه الربع أو أقل منه شيأ وليس بواجب وان يفعل ذلك حسن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عبد الله بن حبيب أبى عبد الرحمن السلمى عن على رضى الله عنه وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال هو ربع المكاتبة وقال آخرون بل ذلك حض من الله أهل الاموال على أن يعطوهم سهمهم الذى جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم فى أموالهم بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب قال فالرقاب التى جعل فيها أحد سهمان الصدقة الثمانية هم المكاتبون قال واياه عنى جل ثناؤه بقوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم أى سهمهم من الصدقة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنى يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن ابن يزيد عن أبيه قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال حث الله عليه يعطونه حدثنى يعقوب قال ثنى ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال حث الناس عليه مولاه وغيره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم فى قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال يعطى مكاتبه وغيره حث الناس عليه حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أنه قال فى قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال أمر مولاه

تكرار كقولك زيد فى الدار جالس فيها أو بمحذوف وهو سبحوا اسمه لالان مابعده صفة بيوت أولان الظرف يتعلق بيسبح والآصال ط لمن قرأ يسبح بفتح الباء كأنه قيل من يسبح فقيل رجال أى يسبحه رجال ومن قرأ بالكسر لم يقف لانه فاعل الفعل الظاهر رجال لالان مابعده صفة الزكاة لالان مابعده أيضا صفة والابصار لا لتعلق اللام أبو حاتم يقف ويجعل اللام لام القسم على تقدير ليجزين قال فلما سقطت النون انكسرت اللام من فضله ط حساب ه ماء ط حسابه ط الحساب ه لا للعطف سحاب ط لمن قرأ ظلمات بالرفع ولم يجعلها بدلا فوق بعض ط يراها ط من نور ه صافات ط وتسبيحه ط يفعلون ه والارض ج فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين المصير ه من خلاله ج لما قلنا عمن يشاء ط بالابصار ه ط والنهار ط الابصار ج من ماء ج للفاء مع التفصيل بطنه ج رجلين ج لمثل ماقلنا أربع ط مايشاء ط قدير ه مبينات ط مستقيم ه ذلك ط بالمؤمنين ه معرضون ه مذعنين ه ط ورسوله ط الظالمون ه *التفسير انه سبحانه لما بين من الاحكام ما بين أردفها على عادة القرآن بالالهيات وقدم لذلك مثلين أحدهما فى ان دلائل

الايمان فى غاية الظهور والثانى ان أديان الكفر فى نهاية الظلمة أما الاول فهو قوله الله نور السموات والارض واعلم ان النور فى اللغة موضوع لهذه الكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على ما يحاذيها من الاجرام ولا شك انه لا يمكن ان يكون الهالانه ان كان عرضا فظاهر وان كان جسما فكذلك الدليل الدال على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسمانى ولا زائل ولا منتقل الى غير ذلك من امارات

والناس جميعا ان يعينوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال ذلك في الزكاة على الولاة يعطونهم من الزكاة يقول الله وفي الرقاب قال حدثني ابن زيد عن أبيه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال النبي والصدقات وقرأ قول الله انما الصدقات للفقراء والمساكين وقرأ حتى بلغ وفي الرقاب فأمر الله ان يؤتوهم منه فليس ذلك من الكتابة قال وكان أبي يقول ماله والكتابة هو من مال الله الذي فرض له فيه نصيبا * وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الثاني وهو قول من قال عني به ايتاؤهم سهمهم من الصدقة المفروضة وانما قلنا ذلك أولى القولين لان قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم أمر من الله فرض على عباده الانتهاء اليه ما لم يخبرهم ان مراده الندب لما قد بينا في غير موضع من كتابنا فاذ كان ذلك كذلك ولم يكن أخبرنا في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنه ندب ففرض واجب واذ كان ذلك كذلك وكانت الحجة قد قامت ان لا حق لاحد في مال أحد غيره من المسلمين الا ما أوجبه الله لاهل سهمان الصدقة في أموال الاغنياء منهم وكانت الكتابة التي يقضيها سيد المكاتب من مكاتبه مالا من مال سيد المكاتب فبين ان الحق الذي أوجب الله على المؤمنين ان يؤتوهم من أموالهم هو ما فرض على الاغنياء في أموالهم له من الصدقة المفروضة اذ كان لا حق في أموالهم لاحد سواها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) يقول تعالى ذكره زوجوا الصالحين من عبادكم وامائكم ولا تكرهوا اماءكم على البغاء وهو الزنا ان أردن تحصنا يقول ان أردن تعففا عن الزنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا يقول لتلتمسوا باكراهكم اياهن على الزنا عرض الحياة وذلك ما تعرض لهم اليه الحاجة من رياشها وزينتها وأموالها ومن يكرههن يقول ومن يكره فتياته على البغاء فان الله من بعد اكراهه اياهن على ذلك لهم غفور رحيم ووزر ما كان من ذلك عليهم دونهن وذكر ان هذه الآية أنزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول حين أكره أمته مسيكة على الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن الصباح قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول جاءت مسيكة لبعض الانصار فقالت ان سيدي يكرهني على الزنا فنزلت في ذلك ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال كانت جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها مسيكة فاجرها وأكرهها الطبري شك فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فشكت ذلك اليه فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يعني بهن حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن الشعبي في قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء قال رجل كانت له جارية تفجر فلما أسلمت نزلت هذه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير قال جاءت جارية لبعض الانصار فقالت ان سيدي أكرهني على البغاء فأنزل الله في ذلك ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء قال ابن جريج وأخبرني عمرو ابن دينار عن عكرمة قال أمة لعبد الله بن أبي أمرها فزنت فجاءت ببرد فقال لها ارجعي فازني قالت والله لا أفعل ان يك هذا خيرا فقد استكثرت منه وان يك شرا فقد آن لي أن أدعه قال ابن جريج

وقال

كما قال في آخر الآية يهدي الله لنوره من يشاء شبهه بالنور في ظهوره وبيانه وأضاف الى السموات والأرض للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والأرض أو على حذف المضاف أي نور أهل السموات والأرض وقيل نور السماء بالملائكة وبالاجرام النيرة والأرض بهما وبالأنبياء والعلماء وهو مروي عن أبي بن كعب والحسن وأبي العالية وقيل هو تدبيره اياهما بحكمة كاملة كما يوصف الرئيس المدبر بانه نور البلد اذا كان يدبر أمورهم تدبيرا حسنا فهو لهم كالنور الذي يهتدى به في المضايق والمزالق وهذا القول اختيار الاصم والزجاج وقيل هو ناظمه اياهما على النهج الاحسن والوجه الاصلح وقد يعبر بالنور عن النظام يقال ما أرى لهذا الامر نورا الثالث ما ذهب اليه الحكماء الاولون الاشراقيون واليه ميل الشيخ الامام حجة الاسلام محمد الغزالي على ما قرره في رسالته المسماة بمشكاة الانوار ان الله تعالى نور في الحقيقة بل لا نور الا هو بيانه ان للانسان بصرا يدرك به النور المحسوس الواقع من الاجرام النيرة على ظواهر الاجسام الكثيفة وبصيرة هي القوة العاقلة ولا شك ان البصيرة أقوى من البصر لان القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا تدرك ادراكها ولا تدرك آلتها وهي العين وأما القوة العاقلة فانها تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك آلتها في الادراك وهي القلب أو الدماغ والادراك الحسي غير منتج لانه لا يصير سببا لاحساس آخر والادراك العقلي يصير سببا لادراكات أخر حتى تجتمع علوم جمة والحس يضطرب بكثرة ورود المحسوسات عليه حتى انه لا يسمع الصوت

وقال مجاهد نحو ذلك وزاد قال البغاء الزنا والله غفور رحيم قال للمكرهات على الزنا وفيها نزلت هذه الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري أن رجلا من قريش أسر يوم بدر وكان عبد الله بن أبي أسره وكان لعبد الله جارية يقال لها معاذة فكان القرشي الاسير يريدها على نفسها وكانت مسلمة فكانت تمتنع منه لاسلامها وكان ابن أبي يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل للقرشي فيطلب فداء ولده فقال الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا قال الزهري ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يقول غفور لهن ما أكرهن عليه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا يقول ولا تكرهوا اماءكم على الزنا فان فعلتم فان الله سبحانه لهن غفور رحيم واثمهن على من أكرههن حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى آخر الآية قال كانوا في الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنا يأخذون أجورهن فقال الله لا تكرهوهن على الزنا من أجل المنالة في الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهن يعني اذا أكرهن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء على الزنا قال عبد الله بن أبي ابن سلول أمر أمة له بالزنا فجاءته بدينار أو ببرد شك أبو عاصم فأعطته فقال ارجعي فازني بآخر فقالت والله ما أنا براجعة فالله غفور رحيم للمكرهات على الزنا ففي هذا أنزلت هذه الآية حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال في حديثه أمر أمة له بالزنا فزنت فجاءته ببرد فأعطته فلم يشك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء يقول على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يقول غفور لهن للمكرهات على الزنا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور قال غفور رحيم لهن حين أكرهن وقسرن على ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كانوا يأمرون ولائدهم يباغين يفعلن ذلك فيصبن فيأتينهم بكسبهن فكانت لعبد الله بن أبي ابن سلول جارية فكانت تباغي فكرهت وحلفت ان لا تفعله فأكرهها أهلها فانطلقت فباغت ببرد أخضر فأتتهم به فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين) يقول تعالى ذكره ولقد أنزلنا اليكم أيها الناس دلالات وعلامات مبينات يقول مفصلات الحق من الباطل وموضحات ذلك واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين مبينات بفتح الياء بمعنى مفصلات وان الله فصلهن وبينهن لعباده فهن مفصلات مبينات وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة مبينات بكسر الياء بمعنى أن الآيات هن تبين الحق والصواب للناس وتهديهم الى الحق والصواب من القول في ذلك عندنا انهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى وذلك ان الله اذ فصلها وبينها صارت مبينة بنفسها الحق ان

الضعيف مثلا بعد سماع الصوت الشديد والعقل يزداد بهاؤه ونورانيته بكثرة توارد العلوم وتعاونها والقوة الحسية تضعف بضعف البدن والقوة العقلية تقوى بعد الاربعين حتى استدل بذلك على بقائها بعد خراب البدن والقوة الحسية لا تدرك من القرب القريب ولا من البعد البعيد والعقلية لا تختلف حالها في القرب والبعد فيدرك ما فوق العرش الى ما تحت الثرى في لحظة واحدة بل يدرك ذات الله وصفاته مع انه منزه عن القرب والبعد والجهة والحس لا يدرك من الاشياء الا ظواهرها والعقل يغوص في حقائق الاشياء وفي أجزائها وجزئياتها وفي ذاتياتها وعرضياتها فيوحد الكثير تارة بانتزاع صورة كلية من الجزئيات ويكثر الواحد أخرى بالتجنيس والتنويع والتصنيف وغير ذلك من التقسيمات التي لا تكاد تتناهى وادراك العقل قد يكون مقدما على وجود الشئ ويسمى العلم الفعلي وادراك الحس تابع لوجود الشئ واذا كان الروح الباصر نورا فالبصيرة التي هي أشرف منها أولى بان تكون نورا وكما ان نور المبصر يحتاج في ادراكه الى معين من الخارج هو الشمس أو السراج مثلا فنور البصيرة أيضا يحتاج في ادراكه الى مرشد هو النبي أو القرآن فلذلك سمى القرآن نورا والنور الذي أنزلنا والنبي نورا وسراجا منيرا فروح النبي في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام ثم ان الانوار النبوية القدسية مقتبسة من أنوار أخرى فوقها لقوله علمه شديد القوى قل نزله روح القدس من ربك فكل الانوار تنتهي الى ما لا نور أنور منه ولا أجل ولا أشرف وهو الله سبحانه والكلام المجمل في هذا المقام هو الذي قد سلف تحقيقه مرارا وهو ان الكمالات أنوار والملكات الذميمة ظلمات وأيضا الوجود نور والعدم ظلمة فان نظرنا الى الكمال فكل كمال ينتهي الى الله سبحانه ولا كمال فوق كماله فهو نور الانوار وان نظرنا الى الوجود نفسه فلا ريب ان الممكن وجوده مستفاد من غيره الى أن ينتهي الى واجب الوجود لذاته وهو نور الانوار فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم باشراق نوره ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره وفي بعض

التمسه من قبلها واذا بينت ذلك ان التمسه من قبلها فبين الله ذلك فيها فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب فى قراءته الصواب وقوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم من الامم وموعظة لمن اتقى الله فخاف عقابه وخشى عذابه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولولم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم) يعنى تعالى ذكره بقوله الله نور السموات والارض هادى من فى السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذى قلنا ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض يقول الله سبحانه هادى أهل السموات والارض **حدثنى** سليمان بن عمر بن خلدة البرقى قال ثنا وهب بن راشد عن فرقد عن أنس بن مالك قال ان الهى يقول نورى هداى وقال آخرون بل معنى ذلك الله مدبر السموات والارض ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس فى قوله الله نور السموات والارض يدبر فيهما نجومهما وشمسها وقمرها وقال آخرون بل عنى بذلك النور الضياء وقالوا معنى ذلك ضياء السموات والارض ذكر من قال ذلك **حدثنى** عبدالاعلى بن واصل قال ثنا عبيدالله بن موسى قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب فى قول الله الله نور السموات والارض قال فبدأ بنوره فذكره ثم ذكر نور المؤمن وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لانه عقيب قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين فكان ذلك بان يكون خبرا عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه أولى وأشبه مالم يأت مايدل على انقضاء الخبر عنه من غيره فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ولقد أنزلنا اليكم أيها الناس آيات مبينات الحق من الباطل ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين فهدينا كم بها وبينا لكم معالم دينكم بها لانى هادى أهل السموات وأهل الارض وترك وصل الكلام باللام وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداء وفيه المعنى الذى ذكرت استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره ثم ابتدأ فى الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبينات التى أنزلها اليهم فقال مثل نوره كمشكاة فيها مصباح يقول مثل ما أنار من الحق بهذا التنزيل فى بيانه كمشكاة وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بالهاء فى قوله مثل نوره على ماهى عائدة ومن ذكر ماهى فقال بعضهم هى من ذكر المؤمن وقالوا معنى الكلام مثل نور المؤمن الذى فى قلبه من الايمان والقرآن مثل مشكاة ذكر من قال ذلك **حدثنا** عبدالاعلى بن واصل قال ثنا عبيدالله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب فى قول الله مثل نوره قال ذكر نور المؤمن فقال مثل نوره يقول مثل نور المؤمن قال وكان أبى يقرؤها كذلك مثل المؤمن قال هو المؤمن قد جعل الايمان والقرآن فى صدره **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن أبى العالية عن أبى بن كعب الله نور السموات والارض مثل نوره قال بدأ بنور نفسه فذكره ثم قال مثل نوره يقول مثل نور من آمن به قال وكذلك كان يقرأ أبى قال هو عبد جعل الله القرآن والايمان

الروايات سبعمائة وفى بعضها سبعين ألفا قال العلماء الحجب ثلاثة أقسام حجب ظلمانية محضة وحجب ممزوجة من نور وظلمة وحجب نورانية صرفة أما المحجوبون بالاول فهم الذين بلغوا فى الاشتغال بالعلائق البدنية الى حيث لا يلتفت خاطرهم الى الاستدلال بالمصنوعات على الصانع وأما المحجوبون بالثانى فهم الذين اعتقدوا فى الممكنات انها غنية عن المؤثر فنفس تصور الاستغناء عن الغير نور لانه من صفات الله تعالى ولكن اعتقاد حصوله لمن لايليق به ظلمة فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة وأما المحجوبون بالثالث فهم الذين استغرقوا فى بحار صفات الله وأفعاله فاحتجبوا بالصفات عن الذات فعرف من هذا تقرر ان الحجب لاتكاد تتناهى حيث لانهاية للمكنات ولا انحصار للسلوب والاضافات ولكن الحديث ورد على ماهو المتعارف فى باب التكثير ولنرجع الى التفسير قال الفراء المشكاة الكوة فى الجدار غير النافذة وهذا القول أصح عند أئمة اللغة وهى من لغة العرب ومنه المشكاة للزق الصغير وقيل هى بلغة الحبشة وعن ابن عباس وأبى موسى الاشعرى ان المشكاة هى القائم الذى فى وسط القنديل الذى يدخل فيه الفتيلة وهو قول مجاهد والقرطبى ومثله قول الزجاج هى قصبة القنديل من الزجاجة التى توضع فيها الفتيلة وقال الضحاك هى الحلقة التى يتعلق بها القنديل والمصباح السراج الضخم الثاقب وأصله من الضوء ومنه الصبح والدرى فيمن قرأ بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر أى أبيض متلالئ ومن قرأ بالهمز مضموم الكريق أو مكسورها كسكيت فمعناه انه يدرأ الظلام بضوئه وقال أبو عبيد ان ضممت الدال وجب أن لاتهمز لانه ليس فى كلام العرب فعيل ومن همزه من القراء فانما أراد فعول على صبوح فاستثقل فرد بعضه الى الكسر والدرارى من الكواكب هى المشاهير كالمشترى والزهرة والمريخ وما يضاهيها من الثوابت التى هى فى العظم الاول ومعنى من شجرة مباركة ان ابتداء تقويه من شجرة مباركة كثيرة المنافع وهى الزيتون عن النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانها مصحة من الناسور وقيل سميت مباركة لانها تنبت فى الارض التى بارك الله فيها للعالمين

والايمان في صدره حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير مثل نوره قال مثل نور المؤمن حدثني علي بن الحسن الازدي قال ثنا يحيى عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك في قوله مثل نوره قال نور المؤمن وقال آخرون بل عني بالنور محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الهاء التي في قوله مثل نوره عائدة على اسم الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن حفص عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال له حدثني عن قول الله عز وجل الله نور السموات والارض الآية فقال كعب الله نور السموات والارض مثل نوره مثل محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة حدثني علي بن الحسن الازدي قال ثنا يحيى بن اليمان عن أشعث عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير في قوله مثل نوره قال محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون بل عني بذلك هدى الله وبيانه وهو القرآن قالوا والهاء من ذكر الله قالوا ومعنى الكلام الله هادي أهل السموات والارض بآياته المبينات وهي النور الذي استنار به السموات والارض مثل هداه وآياته التي هدى بها خلقه ووعظهم بها في قلوب المؤمنين كمشكاة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مثل نوره مثل هداه في قلب المؤمن حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله مثل نوره قال مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مثل نوره نور القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده هذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عباس قال قال زيد بن أسلم في قول الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض مثل نوره ونوره الذي ذكر القرآن ومثله الذي ضرب له وقال آخرون بل معنى ذلك مثل نور الله وقالوا يعني بالنور الطاعة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وذلك ان اليهود قالوا لمحمد كيف يخلص نور الله من نور السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا ثم سماها أنوارا شتى وقوله كمشكاة اختلف أهل التأويل في معنى المشكاة والمصباح وما المراد بذلك وبالزجاجة فقال بعضهم المشكاة كل كوة لا منفذ لها وقالوا هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال له حدثني عن قول الله مثل نوره كمشكاة قال المشكاة وهي الكوة ضربها الله مثلا لمحمد صلى الله عليه وسلم المشكاة فيها مصباح المصباح قلبه في زجاجة الزجاجة صدره الزجاجة كأنها كوكب دري شبه صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدري ثم رجع المصباح الى قلبه فقال توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية لم تمسها شمس المشرق ولا شمس المغرب يكاد زيتها يضيء يكاد محمد يبين للناس وان لم يتكلم انه نبي لما كان ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كمشكاة يقول موضع الفتيلة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثنا عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض الى كمشكاة قال المشكاة كوة البيت وقال آخرون

أو بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام فقوله زيتونة بدل من شجرة ومعنى لا شرقية ولا غربية ان منبتها في أكثر الشام وزيتونها أجود الزيتون والشام قريب من وسط العمارة ليس على الطرف الشرقي من الربع المسكون ولا على الطرف الغربي منه وعن الحسن أراد شجرة الزيت في الجنة اذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية أو غربية وضعف بان المثل انما يضرب بما يشاهدوا وانهم ما شاهدوا شجرة الجنة وقيل أراد انها شجرة مكفوفة بالاشجار أو بأوراقها فلا تصيبها الشمس في مشرق ولا مغرب وزيف بان الغرض هو صفاء الزيت ولا يحصل الا بكمال النضج وذلك يتوقف عادة على وصول أثر الشمس الى الشجرة وعن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهو اختيار الفراء والزجاج المراد أنها ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغدوة والعشي جميعا لانها في موضع مكشوف فيكون فيه دليل على كمال النضج الموجب لصفاء الزيت ومنهم من قال لا في مضحى ولا في مقناة وهي المكان الذي لا تطلع عليه الشمس ولكن الظل والشمس يتعاقبان عليها وذلك أجود لكمال الثمرة قال صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير في مضحى ثم وصف الزيت بالصفا والبريق وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوء فهذا ما يتعلق بحل الالفاظ على ظاهر التفسير أما ما يتعلق بالمعنى فنقول ان جمهور المتكلمين ذهبوا الى انه تعالى شبه الهداية وهي الآيات البينات في الظهور والجلاء بالمشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء وانما اختار هذا التشبيه دون ان يقول انها كالشمس في الظهور والوضوح لان الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل وهذا المقصود لا يحصل من ضرب المثل بالشمس لانها اذا طلعت لم تبق ظلمة أصلا والامور التي اعتبرها الله سبحانه في هذا المثال منها كون المصباح في المشكاة وذلك ليكون أجمع للنور وأعون لتكاثف الاشعة وأصون له عن تعرض الرياح زعم بعضهم ان في الكلام قلبا

والمراد كمشكاة فى مصباح والصحيح انه لاحاجة اليه لان هذا تشبيه مركب ولهذا قال جار الله أراد صفة نوره العجيبة الشأن فى الاضاءة كصفة مشكاة ومنها كون المصباح فى زجاجة صافية فان تعاكس الانوار من جوانب الزجاجة تزيد المصباح نورا ومنها كون المصباح متقدا بدهن الزيت فليس فى الادهان مايدانيه فى اللمعان

والتطويس ومنها كون الزيت من شجرة بارزة للشمس فان ذلك يدل على كمال نضج الثمرة ونهاية صفاء دهنها وأما الامام الغزالى رضى الله عنه فانه يقول المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت عبارة عن المراتب الخمس الانسانية فاولها القوة الحساسة التى هى أصل الروح الحيوانى ويوجد للصبى بل لكل حيوان وأوفق مثال لها من عالم الاجسام المشكاة لان تلك القوى تخرج من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وثانيتها القوة الخيالية التى تحفظ ما اوردته الحواس مخزونا عندها لتعرضه على القوة العقلية التى فوقها عند الحاجة اليه وأنت لاتجد شيأ فى عالم الاجسام يشبه الخيال سوى الزجاجة فانها فى الاصل جوهر كثيف ولكن صفى ورقق حتى صار بحيث لايحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة كذلك الخيال من طينة العالم السفلى الكثيف بدليل ان الشئ المتخيل ذو قدر وشكل وحدود لكنه اذا صفى وهذب صار موازيا للمعانى العقلية ومؤديا لانوارها ولذلك يستدل المعبر بالصور الخيالية على المعانى كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير وبمن يختم فروج الناس وأفواههم على انه مؤذن يؤذن فى رمضان قبل الصبح وثالثها القوة العقلية القوية على ادراك الماهيات الكلية والمعارف اليقينية ولا يخفى وجه تمثيله بالمصباح كما مر فى تسمية النبى سراجا وحين كان الحس كالمقدمة للخيال وهى كالمقدمة للعقل قيل ان المشكاة كالظرف للزجاجة التى هى كالظرف للمصباح ورابعها القوة الفكرية القوية على التقسيمات والاستنتاجات فمثالها مثال الشجرة المثمرة واذا كانت ثمرتها مادة ازدياد أنوار المعارف فبالحرى ان لاتشبه الا بشجرة الزيتون لان لب ثمرتها هو الزيت الذى هو

عنى بالمشكاة صدر المؤمن وبالمصباح القرآن والايمان وبالزجاجة قلبه ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الاعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع ابن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال مثل المؤمن قد جعل الايمان والقرآن فى صدره كمشكاة قال المشكاة صدره فيها مصباح قال والمصباح القرآن والايمان الذى جعل فى صدره المصباح فى زجاجة قال والزجاجة قلبه الزجاجة كأنها كوكب درى توقد قال فمثله مما استنار فيه القرآن والايمان كأنه كوكب درى يقول مضىء توقد من شجرة مباركة والشجرة المباركة أصله المباركة الاخلاص لله وحده وعبادته لاشريك له لاشرقية ولا غربية قال فمثله مثل شجرة التف بها الشجر فهى خضراء ناعمة لاتصيبها الشمس على أى حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شئ من الغير وقد ابتلى بها فيثبته الله فيها فهو بين أربع خلال ان أعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق فهو فى سائر الناس كالرجل الحى يمشى فى قبور الاموات قال نور على نور فهو يتقلب فى خمسة من النور فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة فى الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى يحيى بن اليمان عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال المشكاة صدر المؤمن فيها مصباح قال القرآن قال حدثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب نحو حديث عبد الاعلى عن عبيد الله ثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس مثل نوره كمشكاة قال مثل هداه فى قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافى يضىء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوء كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور كما قال ابراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة قال هذا ربى حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد ان له ربا فلما أخبره الله انه ربه ازداد هدى على هدى حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح والمشكاة كوة البيت فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى والمصباح السراج يكون فى الزجاجة وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا وسماها أنواعا شتى قوله توقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية قال هى شجرة لايفئ عليها ظل شرق ولا ظل غرب ضاحية ذلك أصفى الزيت يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار قال معمر وقال الحسن ليست من شجر الدنيا ليست شرقية ولا غربية وقال آخرون هو مثل للمؤمن غير أن المصباح ومافيه مثل لفؤاده والمشكاة مثل لجوفه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس جميعا المصباح ومافيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه المصباح مثل الفؤاد والكوة مثل الجوف قال ابن جريج كمشكاة كوة غير نافذة قال ابن جريج وقال ابن عباس قوله نور على نور يعنى ايمان المؤمن وعمله وقال آخرون بل ذلك مثل للقرآن فى قلب المؤمن ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن

الحسن في قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة قال كمكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله الله نور السموات والارض مثل نوره نور القرآن الذى أنزل على رسوله وعباده فهذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة فقرأ حتى بلغ مباركة فهذا مثل القرآن يستضاء به في نوره ويعلمونه ويأخذون به وهو كما هو لا ينقص فهذا مثل ضربه الله لنوره وفي قوله يكاد زيتها يضيء قال الضوء اشراق ذلك الزيت والمشكاة التي فيها الفتيلة التي في المصباح والقناديل تلك المصابيح حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن سعيد بن عياض في قوله كمشكاة قال الكوة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عطية في قوله كمشكاة قال قال ابن عمر المشكاة الكوة وقال آخرون المشكاة القنديل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كمشكاة قال القنديل ثم العمود الذى فيه القنديل حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كمشكاة الصفر الذى في جوف القنديل حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن رجل عن مجاهد قال المشكاة القنديل وقال آخرون المشكاة الحديد الذى يعلق به القنديل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن المفضل قال ثنا هشيم قال ثنا داود بن أبي هند عن مجاهد قال المشكاة الحديد التي يعلق بها القنديل * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الايمان به فقال مثل نور الله الذى أنار به لعباده سبيل الرشاد الذى أنزله اليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين مثل مشكاة وهي عمود القنديل الذى فيه الفتيلة وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها وانما جعل ذلك العمود مشكاة لانه هو نافذ وهو أجوف مفتوح الاعلى فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ ثم قال فيها مصباح وهو السراج وجعل السراج وهو المصباح مثلا لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات ثم قال المصباح في زجاجة يعني ان السراج الذى في المشكاة في القنديل وهو الزجاجة وذلك مثل للقرآن يقول القرآن الذى في قلب المؤمن الذى أنار الله قلبه في صدره ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه واستنارته بنور القرآن واستضاءته بآيات ربه المبينات ومواعظه فيها بالكوكب الدرى فقال الزجاجة وذلك صدر المؤمن الذى فيه قلبه كأنها كوكب درى واختلفت القراء في قراءة قوله درى فقرأته عامة قراء الحجاز درى بضم الدال وترك الهمز وقرأه بعض قراء البصرة والكوفة درىء بكسر الدال وهمزة وقرأ بعض قراء الكوفة درىء بضم الدال وهمزة وكأن الذين ضموا داله وتركوا الهمزة وجهوا معناه الى ما قاله أهل التفسير الذى ذكرنا عنهم من ان الزجاجة في صفائها وحسنها كالدر وانها منسوبة اليه لذلك من نعتها وصفتها ووجه الذين قرؤا ذلك بكسر داله وهمزه الى انه فعيل من درئ الكوكب أى دفع ورجم به الشيطان من قوله ويدرأ عنها العذاب أى دفع والعرب تسمى الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدرارى بغير همز وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول هي الدرارئ بالهمز من بدرأن وأما الذين قرؤه بضم داله وهمزه فان كانوا أرادوا به دروء مثل سبوح وقدوس من درأت ثم استثقلوا كثرة الضمات فيه فصرفوا بعضها الى

مادة المصباح وله من سائر الادهان خاصية زيادة الاشراق وقلة الدخان واذا كانت الماشية تسمى مباركة لكثرة درها ونسلها فالذى لا يتناهى ثمرته الى حد محدود أولى ان يسمى مباركا واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق الاجسام ناسب ان يقال لها لا شرقية ولا غربية وخامسها القوة القدسية النبوية التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه (٩٧) نار نور على نور وأما الشيخ الرئيس أبو على بن سينا فانه نزل الامثلة الخمسة على مراتب ادراكات النفس الانسانية المشهورة فالمشكاة هي العقل الهيولاني وهو الاستعداد المحض والزجاجة هي العقل بالملكة وهي قوة النفس حين حصل لها البديهيات وأمكن لها بواسطتها الترقي الى النظريات والانتقال الى الكسبيات ثم ان كان الانتقال ضعيفا فهي الشجرة وتسمى فكرا وان كان قويا فهي الزيت ويسمى حدسا وان كان في النهاية القصوى سميت قوة قدسية وهي التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور ثم اذا حصل لها المعارف والعلوم المكتسبة بالعقل بحيث تقدر على ملاحظتها متى شاءت من غير تجشم كسب جديد فهو المصباح ويسمى عقلا بالفعل وغايته ان تكون المعقولات حاضرة عندها متمثلة لها كأنها تشاهدها وهي نور على نور ويسمى عقلا مستفادا أما الاول فلان الملكة نور ومشاهدة تلك الملكة نور آخر وأما الثاني فلان ذلك غاية الاستفادة ونهاية التحصيل وزعم الشيخ ان المخرج من العقل الهيولاني الى الملكة ثم منها الى العقل التام هو العقل الفعال مدبر ما تحت كرة القمر عند الحكماء وعبر عنه في الآية بالنار وعن مقاتل أنه قال مثل نوره أى مثل نور الايمان في قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظير صلب عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد والشجرة النبوة والرسالة وقيل المشكاة نظير ابراهيم عليه السلام والزجاجة نظير اسمعيل والمصباح نظير جسد محمد وعن أبي بن كعب انه قرأ مثل نوره من آمن به ورأيت في كتب الشيعة عن على رضي الله عنه مرفوعا القمر وجهان يعني بهما أهل السموات والارضين وعلى الوجهين مكتوب أندرونما كتابته

الكسرة فقالوا درىء كما قيل وقد بلغت من الكبر عتيا وهو فعول من عتوت عتوا ثم حولت بعض ضماتها الى الكسر فقيل عتيا فهو مذهبوا الا فلا أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها وذلك أنه لا يعرف فى كلام العرب فعيل وقد كان بعض أهل العربية يقول هو لحن والذى هو أولى القرا آت عندى فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه درى بضم داله وترك همزه على النسبة الى الدر لان أهل التأويل بتأويل ذلك جاؤا وقد ذكرنا أقوالهم فى ذلك قبل ففى ذلك مكتفى عن الاستشهاد على صحتها بغيره فتأويل الكلام الزجاجة وهى صدر المؤمن كأنها يعنى كأن الزجاجة وذلك مثل لصدر المؤمن كوكب يقول فى صفائها وضيائها وحسنها وانما يصف صدره بالنقاء من كل ريب وشك فى أسباب الايمان بالله وبعده من دنس المعاصى كالكوكب الذى يشبه الدر فى الصفاء والضياء والحسن واختلفوا أيضا فى قراءة قوله توقد من شجرة مباركة فقرأ ذلك بعض المكيين والمدنيين وبعض البصريين توقد من شجرة بالتاء وفتحها وتشديد القاف وفتح الدال وكانهم وجهوا معنى ذلك الى توقد المصباح من شجرة مباركة وقرأه بعض عامة قراء المدنيين يوقد بالياء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى يوقد المصباح موقده من شجرة ثم لم يسم فاعله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة توقد بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى توقد الزجاجة موقدها من شجرة مباركة ثم لم يسم فاعله فقيل توقد وقرأه بعض أهل مكة توقد بفتح التاء وتشديد القاف وضم الدال بمعنى تتوقد الزجاجة من شجرة ثم أسقطت احدى التاءين اكتفاء بالباقية من الذاهبة وهذه القرا آت متقاربات المعانى وان اختلفت الالفاظ بها وذلك ان الزجاجة اذا وصفت بالتوقد أو بانها توقد فمعلوم معنى ذلك فان المراد به توقد فيها المصباح أو يوقد فيها المصباح ولكن وجهوا الخبر الى أن وصفها بذلك أقرب فى الكلام منها وفهم السامعين معناه والمراد منه فاذا كان ذلك كذلك فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القرا آت الى أن أقرأ بها فى ذلك توقد بفتح التاء وتشديد القاف وفتح الدال بمعنى وصف المصباح بالتوقد لان التوقد والاتقاد لاشك أنهما من صفته دون الزجاجة فمعنى الكلام اذن كمشكاة فيها مصباح المصباح من دهن شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية وقد ذكرنا بعض ما روى عن بعضهم من الاختلاف فى ذلك فيما قد مضى ونذكر باقى ما حضرنا مما لم نذكره قبل فقال بعضهم انما قيل لهذه الشجرة لا شرقية ولا غربية أى ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس اذا غربت وانما لها تصيبها من الشمس بالغداة مادامت بالجانب الذى يلى الشرق ثم لا يكون لها نصيب منها اذا مالت الى جانب الغرب ولا هى غربية وحدها فتصيبها الشمس بالعشى اذا مالت الى جانب الغرب ولا تصيبها بالغداة ولكنها شرقية غربية تطلع عليها الشمس بالغداة وتغرب عليها فيصيبها حر الشمس بالغداة والعشى قالوا واذا كانت كذلك كان أجود لزيتها ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال لا يسترها من الشمس جبل ولا واد اذا طلعت واذا غربت **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا حرمى بن عمارة قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن عكرمة فى قوله لا شرقية ولا غربية قال الشجرة تكون فى مكان لا يسترها من الشمس شئ تطلع عليها وتغرب عليها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس لا شرقية ولا غربية قال لا هى التى تشق الجبل التى يصيبها شروق الشمس وغروبها اذا طلعت اصابتها واذا غربت اصابتها وقال آخرون بل معنى ذلك ليست شرقية ولا غربية ذكر من قال ذلك **حدثنى**

فقالوا الله ورسوله أعلم فقال على وجه السموات الله نور السموات والارض وعلى وجه الارض محمد وعلى نور الارضين وقيل المشكاة جسد محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح ما فى قلبه من الدين والشجرة ابراهيم عليه السلام ويوقد من شجرة كقوله واتبعوا ملة ابراهيم ومعنى لا شرقية ولا غربية ان ابراهيم لم يكن يصلى قبل المشرق كالنصارى ولا قبل المغرب كاليهود بل كان يصلى قبل الكعبة وهى ما بين المشرق والمغرب ومعنى يكاد زيتها يضىء ان نور محمد يكاد يتبين للناس قبل ان يتكلم قاله كعب وقال الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحى ومن هنا قال عبد الله بن رواحة لو لم يكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر وقال يحيى بن سلام قلب المؤمن نورى يعرف الحق قبل ان يتبين له لموافقته له وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقيل يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان يأتيه العلم به ولهذا يزداد نورا على نور وقال أبى بن كعب المؤمن بين أربع خلال ان أعطى شكر وان ابتلى صبر وان قال صدق وان حكم عدل فهو فى سائر الناس كالرجل الحى الذى يمشى بين أموات يتقلب فى خمس من النور كلامه نور وعلمه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة قال الربيع سألت أبا العالية عن مدخله ومخرجه فقال سره وعلانيته قالت الاشاعرة فى قوله يهدى الله لنوره من يشاء اشارة الى ان هذه الدلائل مع وضوحها لا تكفى ولا تنفع ما لم يخلق الله الايمان فيه وقالت المعتزلة أراد يهدى الله لطريق الجنة أو أراد بقوله من يشاء الذين بلغهم حد التكليف والهدى محمول على زيادات الالطاف التى هى ضد الخذلان ولهذا قال فى الكشاف معناه يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين الانصاف وجانب المراء والاعتساف ولم يكن كالاعمى الذى يستوى عنده جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وأكدوا ذلك بقوله ويضرب الله الامثال للناس يعنى النبى والمكلفين من أمته قالوا وانما ذكره فى معرض الانعام ولو كان الكل بخلق الله تعالى لما تمكنوا من الانتفاع بالمثل فلا يكون نعمة ثم زاد فى التأكيد بقوله والله بكل شئ سليمان

سليمان بن عبد الجبار قال ثنى محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس لاشرقية ولاغربية قال هى شجرة وسط الشجر ليست من الشرق ولا من الغرب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله زيتونة لاشرقية ولاغربية متيامنة الشام لاشرقى ولا غربى وقال آخرون ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عوف عن الحسن فى قول الله لاشرقية ولاغربية قال والله لو كانت فى الارض لكانت شرقية أو غربية ولكنما هو مثل ضربه الله لنوره **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عثمان يعنى ابن الهيثم قال ثنا عوف عن الحسن فى قول الله زيتونة لاشرقية ولاغربية قال لو كانت فى الارض هذه الزيتونة كانت شرقية أو غربية ولكن والله ماهى فى الارض وانما هو مثل ضربه الله لنوره **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن فى قوله لاشرقية ولاغربية قال هذا مثل ضربه الله ولو كانت هذه الشجرة فى الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية * وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك قول من قال انها شرقية غربية وقال ومعنى الكلام ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشى دون الغداة ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب فهى شرقية غربية وانما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام لان الله انما وصف الزيت الذى توقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة فاذا كان شجره شرقيا غربيا كان زيته لاشك أجود وأصفى وأضوء وقوله يكاد زيتها يضىء يقول تعالى ذكره يكاد زيت هذه الزيتونة يضىء من صفائه وحسن ضيائه ولو لم تمسسه نار يقول فكيف اذا مسته النار وانما أريد بقوله توقد من شجرة مباركة ان هذا القرآن من عند الله وانه كلامه فجعل مثله ومثل كونه من عنده مثل المصباح الذى توقد من الشجرة المباركة التى وصفها جل ثناؤه فى هذه الآية وعنى بقوله يكاد زيتها يضىء ان حجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضىء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولهاولو لم تمسسه نار يقول ولو لم يزدها الله بيانا ووضوحا بانزاله هذا القرآن اليهم منبها لهم على توحيده فكيف اذا نبههم به وذكرهم بآياته فزادهم به حجة الى حججه عليهم قبل ذلك فذلك بيان من الله ونور على البيان والنور الذى كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله وقوله نور على نور يعنى النار على هذا الزيت الذى كاد يضىء ولو لم تمسسه النار كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نور على نور قال النار على الزيت قال أبو جعفر وهو عندى كما ذكرت مثل القرآن ويعنى بقوله نور على نور هذا القرآن نور من عند الله أنزله الى خلقه يستضيئون به على نور على الحجج والبيان الذى قد نصبه لهم قبل مجىء القرآن وانزاله اياه مما يدل على حقيقته وحدانيته فذلك بيان من الله ونور على البيان والنور الذى كان وصفه لهم ونصبه قبل نزوله وذكر عن زيد بن أسلم فى ذلك ما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عباس قال قال زيد بن أسلم فى قوله نور على نور يضىء بعضه بعضا يعنى القرآن وقوله يهدى الله لنوره من يشاء يقول تعالى ذكره يوفق الله لاتباع نوره وهو هذا القرآن من يشاء من عباده وقوله ويضرب الله الامثال للناس يقول ويمثل الله الامثال والاشباه للناس كما مثل لهم مثل هذا القرآن فى قلب المؤمن بالمصباح فى المشكاة وسائر ما فى هذه الآية من الامثال والله بكل شىء عليم يقول والله يضرب الامثال وغيرها من الاشياء كلها ذو علم ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (فى

عليم فقيه تنذير أن لايتفكر ولا يعتبر ولا يستدل ولا ينظر قوله فى بيوت اعترض أبو مسلم على قول من قال انه يتعلق بكمشكاة أو بتوقد لان كون المشكاة فى بعض بيوت الله لايزيد المصباح انارة واضاءة وأيضا الموصوف واحد فلا يكون الا فى مكان واحد وقوله فى بيوت أمكنة متعددة ولا يصح ان يكون شىء واحد فى أمكنة متعددة فى حالة واحدة وكذا لو جعل فى بيوت صفة مصباح أو زجاجة أو كوكب وأجيب بان هذه صفة موضحة لاممیزة وذلك ان المشكاة تكون غالبا فى بيوت العبادة أو المشكاة التى فيها مصباح اذا كانت فى مثل هذه البيوت الرفيعة كانت أعظم وأكثر ضخامة فيكون فى باب التمثيل أدخل وعن الثانى انه أريد بالمشكاة النوع لا الواحد كما قيل الذى يصلح لخدمتى رجل يرجع الى علم وكفاية وقناعة يلزم بيته فانه يراد به النوع لا الواحد وذهب أبو مسلم الى انه راجع الى قوله ومثلا من الذين خلوا أى الانبياء والمؤمنين الذين مضوا وكانوا ملازمين لبيوت العبادة واعترض عليه بتفكك النظم اذ ذاك وبان الذين خلوا هم المكذبون والاكثرون على ان البيوت هى المساجد والاذن الامر والرفع التعظيم أو البناء وعن عكرمة هى البيوت كلها ومعنى الرفع البناء وذكر اسم الله عام فى كل ذكر وعن ابن عباس ان يتلى فيها كتابه وقيل لا يتكلم فيها بما لا ينبغى والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق به وقيل الصلوات الخمس وقيل صلاتا الصبح والعصر وكانتا واجبتين فقط فى أول الاسلام فزيد فيهما وعن ابن عباس ان صلاة الضحى لفى كتاب الله وتلا هذه الآية والاولى العموم قيل خص الرجال بالذكر لانهم من أهل الجماعات دون النساء ويحتمل ان يقال لانهم أصل والنساء تبع واختلفوا فى لا تلهيهم تجارة فقيل نفى الالهاء لانه لاتجارة ولا بيع كقوله * ولا ترى الضب فيها ينجحر * وقيل أثبت التجارة والبيع وبين انهم مع ذلك لايشغلهم شىء عن ذكر الله وهذا قول الاكثرين عن الحسن أما والله ان كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرائض الله لم تلههم عنها شىء وما الفرق بين التجارة والبيع وقيل الاول عام لان صناعة التاجر قد يقع فيها البيع وقد يقع فيها الشراء وخص البيع لان الربح فيه يقين

بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله
أحسن ما عملوا و يزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) يعنى تعالى ذكره بقوله فى
بيوت أذن الله أن ترفع الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فى بيوت أذن الله
أن ترفع كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المشكاة التى فيها الفتيلة التى فيها
المصباح قال المصابيح فى بيوت أذن الله أن ترفع قال أبو جعفر قد يحتمل أن تكون فى من صلة توقد
فيكون المعنى توقد من شجرة مباركة ذلك المصباح فى بيوت أذن الله أن ترفع وعنى بالبيوت المساجد
وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم بالذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن
حميد ونصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا حكام عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قول الله
فى بيوت أذن الله أن ترفع قال المساجد حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن
على عن ابن عباس فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع وهى المساجد تكرم ونهى عن اللغو فيها حدثنى
محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فى بيوت
أذن الله أن ترفع يعنى كل مسجد يصلى فيه جامع أو غيره حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال مساجد تبنى حدثنى
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله فى بيوت أذن الله ان ترفع قال فى المساجد قال أخبرنا معمر عن أبى
اسحق عن عمرو بن ميمون قال أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون المساجد
بيوت الله وانه حق على الله ان يكرم من زاره فيها حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن سالم بن عمر
فى قوله فى بيوت أذن الله ان ترفع قال هى المساجد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن
زيد فى قوله فى بيوت أذن الله ان ترفع قال المساجد وقال آخرون عنى بذلك البيوت كلها ذكر من
قال ذلك حدثنا ابن حميد ونصر بن عبد الرحمن الاودى قالا حدثنا حكام بن سالم عن اسماعيل
ابن أبى خالد عن عكرمة فى بيوت أذن الله ان ترفع قال هى البيوت كلها وانما اخترنا القول الذى
اخترناه فى ذلك لدلالة قوله يسبح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
على انها بيوت بنيت للصلاة فلذلك قلنا هى المساجد واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أذن الله ان
ترفع فقال بعضهم معناه أذن الله ان تبنى ذكر من ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد أذن الله ان ترفع قال تبنى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج
عن مجاهد مثله وقال آخرون معناه أذن الله ان تعظم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى
قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله أذن الله ان ترفع يقول ان تعظم لذكره
وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب القول الذى قاله مجاهد وهو ان معناه أذن الله ان ترفع بناه كما
قال جل ثناؤه واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وذلك ان ذلك هو الاغلب من معنى الرفع فى البيوت
والابنية وقوله ويذكر فيها اسمه يقول وأذن لعباده ان يذكروا اسمه فيها وقد قيل عنى به انه أذن

وفى الشراء مظنون فالبيع أدخل فى الالهاء وقيل أراد بالتجارة الشراء اطلاقا لاسم الجنس على النوع وقال الفراء التجارة لاهل الجلب يقال
تجر فلان فى كذا اذا جلبه من غير بلده وذكر الله دعاؤه والثناء عليه بما هو أهله وقيل هو الصلاة ومن هنا قال ابن عباس أراد باقام الصلاة
اتمامها لمواقيتها وبايتاء الزكاة طاعة الله والاخلاص له والتاء فى اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال فلما أضيفت أقيمت
الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ثم حكى ان هؤلاء الرجال مع ما ذكر من الطاعة والاخلاص موصوفون بالوجل والخوف من أهوال يوم القيامة وتقلب القلوب اضطرابها من الهول والفزع وتقلب الابصار شخوصها أو المراد تقلب أحوالهما فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتدرك الابصار بعد ان كانت عمياء عن النظر والاعتبار وكأنهم انقلبوا من الشك والغفلة الى اليقين والمعاينة وقال الضحاك ان القلوب تزول عن أماكنها فتبلغ الحناجر والابصار تصير زرقا وقال الجبائى يحتمل ان يراد تقلبها على جمرجهنم أو تغيرها هيآتها بسبب ما ينالها من العذاب فتكون مرة بهيئة ما أنضج بالنار ومرة بهيئة ما أحرق وقيل ان القلوب تتقلب فى ذلك اليوم من طمع النجاة الى الخوف عن الهلاك والابصار تتقلب من أى ناحية يؤخذ بهم أمن ناحية اليمين أم من ناحية الشمال ومن أى جهة يعطون كتابهم أمن قبل الايمان أو من قبل الشمائل قوله ليجزيهم متعلق بما قبله لفظا أو معنى أى يسبحون ويخافون أو يفعلون هذه القربات ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم وهو الواحد بعشر الى سبعمائة وأكثر وقيل أراد بالاحسن الحسنات أجمع وهى الطاعات فرضها ونفلها قال مقاتل
انما ذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوى أعمالهم بل يغفرها لهم وقال القاضى أراد بذلك
ان تكون الطاعات منهم مكفرة لمعاصيهم فيصح ان الله تعالى يجزيهم باحسن الاعمال وهذا مبنى على مذهبه فى الاحباط والموازنة ومعنى
ويزيدهم من فضله كقوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب قد مر تفسيره فى البقرة وحسين بين

لهم بتلاوة القرآن فيها ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم قال ويذكر فيها اسمه يقول يتلى فيها كتابه وهذا القول قريب المعنى مما قلناه في ذلك لأن تلاوة كتاب الله من معاني ذكر الله غير أن الذي قلنا به أظهر معنييه فلذلك اخترنا القول به وقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اختلفت القراء في قراءة قوله يسبح له فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار يسبح له بضم الياء وكسر الباء بمعنى يصلي له فيها رجال ويجعل يسبح فعلا للرجال وخبرا عنهم وترفع به الرجال سوى عاصم وابن عامر فإنهما قرآ ذلك يسبح له بضم الياء وفتح الباء على ما لم يسم فاعله ثم يرفعان الرجال بخبر ثان مضمر كأنهما أرادا يسبح لله في البيوت التي أذن الله أن ترفع فسبح له رجال فرفعا الرجال بفعل مضمر والقراءة التي هي أولاهما بالصواب قراءة من كسر الباء وجعله خبرا للرجال وفعلا لهم وإنما كان الاختيار رفع الرجال بمضمر من الفعل لو كان الخبر عن البيوت لا يتم إلا بقوله يسبح له فيها فأما والخبر عنها دون ذلك تام فلا وجه لتوجيه قوله يسبح له إلى غيره فإلى غير الخبر عن الرجال وعني بقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يصلي له في هذه البيوت بالغدوات والعشيات رجال وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا المعافى بن عمران عن سفيان عن عمار الذهبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كل تسبيح في القرآن فهو صلاة حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال يسبح له فيها بالغدو والآصال يقول يصلي له فيها بالغداة والعشي يعني بالغدو صلاة الغداة ويعني بالآصال صلاة العصر وهما أول ما افترض الله من الصلاة فأحب أن يذكرهما ويذكر بهما عباده حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال أذن الله أن تبنى فيصلى فيها بالغدو والآصال حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول في قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يعني الصلاة المفروضة وقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول تعالى ذكره لا يشغل هؤلاء الرجال الذين يصلون في هذه المساجد التي أذن الله أن ترفع عن ذكر الله فيها وإقام الصلاة تجارة ولا بيع كما حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سعيد بن أبي الحسن عن رجل نسي اسمه في هذه الآية في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله إلى قوله والأبصار قال هم قوم في تجاراتهم وبيوعهم لا تلهيهم تجاراتهم ولا بيوعهم عن ذكر الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جعفر بن سليمان عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله أنه نظر إلى قوم من السوق قاموا وتركوا بياعاتهم إلى الصلاة فقال هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية قال حدثنا الحسين قال ثنا هشيم عن سيار عمن حدثه عن ابن مسعود نحو ذلك حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ثنا هشيم عن سيار قال حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودي بالصلاة تركوا أبياعاتهم ونهضوا إلى الصلاة فقال عبد الله هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال بعضهم معنى ذلك لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن صلاتهم المفروضة عليهم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم قال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول عن الصلاة

حال المؤمن أنه يكون في الدنيا في النور وبسببه يكون متمسكا بالعمل الصالح وفي الآخرة يفوز بالنعيم المقيم والثواب العظيم أتبعه ببيان أن الكافر يكون في الدنيا في أنواع الظلمات وفي الآخرة في أصناف الحسرات وضرب لكل من حاليه مثلا أما المثل الدال على خيبته في الآخرة فذلك قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب قال الأزهري هو ما يترآى

للعين وقت الضحى الأكبر في الفلوات شبيها بالماء الجاري كأنه يسرب على وجه الأرض أي يذهب وأما الآل فهو ما يترآى في أول النهار وظاهر كلام الخليل أنه لم يفرق بينهما والقيعة بمعنى القاع وهو المستوي من الأرض وقال الفراء هي جمع قاع كجيرة في جار والظمآن الشديد العطش ووجه التشبيه أن الكافر يأتي ببعض أعمال البر ويعتقد ثوابا عليه فإذا وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب عظمت حسرته وتناهى غمه وحيرته فيشبه حاله حال الظمآن الذي يشتد حاجته إلى ما يحييه ويبقيه فإذا شاهد السراب تعلق قلبه به رجاء للحياة فإذا جاءه ولم يجده شيئا عظم غمه وطال حزنه قال مجاهد السراب عمل الكافر وإتيانه إياه موته وفراقه الدنيا وههنا سؤال وهو أنه كيف قال جاءه فأثبت أنه شيء لأن العدم لا يتصور المجيء إليه ثم قال لم يجده شيئا فنفى كونه شيئا والجواب أراد شيئا نافعا كما يقال فلان ما عمل شيئا وإن كان قد اجتهد أو المراد جاء موضع السراب فلم يجد هناك شيئا أو أراد أنه تخيل أولا ضبابا وهباء شبه الماء وذلك بإعانة من شعاع الشمس فإذا قرب منه رق وانفش وصار هواء وهذا قول الحكماء وقوله ووجد الله أي وجد عقاب الله أو زبانية الله يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق خلاف ما يتمناه ور من الراحة والنعيم قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام وأما المثل الآخر فهو قوله أو كظلمات وقد يقال معنى أو أنه شبه أعمالهم الحسنة بالسراب والقبيحة بالظلمات أو الأول لأعمالهم الظاهرة والثاني لعقائدهم الفاسدة واللجي العميق الكثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر والظلمات ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة السحاب

كذا الكافر له ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل قاله الحسن وعن ابن عباس قلبه وبصره وسمعه وقيل قلب مظلم فى صدر مظلم فى جسد مظلم والظاهر ان الجمع للتكثير وان أنواع الضلالات والاباطيل اجتمعت فيه والضمير فى أخرج للواقع فى الظلمات يدل عليه قرينة الحال ومعنى لم يكد يراها لم يقرب ان يراها ونفى القرب من الرؤية أبلغ من نفى الرؤية نفسها وقد مر هذا البحث فى البقرة فى قوله وما كادوا يفعلون قالت الاشاعرة فى قوله ومن لم يجعل الله له نورا دلالة على ان الهداية بخلق الله تعالى وبجعله وحمله المعتزلة على منح الالطاف وقد مر أمثال ذلك مرارا ولما وصف أنوار المؤمنين وظلمات الكافرين صرح بدلائل التوحيد فقال مستفهما على سبيل التقرير ألم تر أن الله يسبح له وقد مر مثله فى سورة سبحان والخطاب لكل من له أهلية النظر أو للرسول وقد علمه من جهة الاستدلال ومعنى صافات انهن يصففن أجنحتهن فى الهواء والضمير فى علم لكل أو لله عز وجل وعلى الاول فالضمير فى صلاته وتسبيحه اما لكل أو لله والمعنى كل مسبح قد علم صلاته التى تليق بحاله أو صلاة الله التى كلفه اياها وعلى الثانى فالضمير فيهما لكل والصلاة بمعنى الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التى لا يكاد العقلاء يهتدون اليها والاستقصاء فى حكاياتهن مذكور فى خواص الحيوانات ولا سيما فى كتاب عجائب المخلوقات ثم بين ان المبدأ منه والمعاد اليه فقال ولله ملك السموات الآية ثم ذكر دليلا آخر من الآثار العلوية قائلا ألم تر أن الله يزجى سحابا أى يسوقه بالرياح ثم يؤلف بينه أى بين أجزائه أى يجمع قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا مترا كما سادا للافق فترى الودق المطر أو القطر يخرج من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال فى جبل قوله من السماء من جبال فيها من برد الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض على ان قوله من جبال مفعول ينزل والثالثة للبيان أو الاوليان للبيان والثالثة للتبعيض ومعناه انه ينزل بعض البرد من السماء من جبال فيها وقد مر فى أول البقرة فى قوله أو كصيب من السماء معنى البرد وانه بخار يجمد

المكتوبة وقوله واقام الصلاة يقول ولا يشغلهم ذلك أيضا عن اقام الصلاة بحدودها فى أوقاتها وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد قال ثنا عوف عن سعيد بن أبى الحسن عن رجل نسى عوف اسمه فى واقام الصلاة قال يقومون للصلاة عند مواقيت الصلاة فان قال قائل أوليس قوله واقام الصلاة مصدرا من قوله أقمت قيل بلى فان قال أوليس المصدر منه اقامة كالمصدر من أجرت اجارة قيل بلى فان قال وكيف قال واقام الصلاة أو تجيز أن يقول أقمت اقاما قيل ولكنى أجيز أعجبنى اقام الصلاة فان قيل وما وجه جواز ذلك قيل ان الحكم فى أقمت اذا جعل منه مصدر أن يقال اقواما كما يقال اقعدت فلانا اقعادا وأعطيته اعطاء ولكن العرب لما سكنت الواو من أقمت فسقطت لاجتماعها وهى ساكنة والميم وهى ساكنة بنوا المصدر على ذلك اذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الافعال وهى ساكنة فسقطت الاولى منهما فابدلوا منها هاء فى آخر الحرف كالتكثير للحرف كما فعلوا ذلك فى قولهم وعدته عدة ووزنته زنة اذ ذهبت الواو من أوله كثروه من آخره بالهاء فلما اضيفت الاقامة الى الصلاة حذفوا الزيادة التى كانوا زادوها للتكثير وهى الهاء فى آخرها لان الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد فاستغنوا بالمضاف اليه من الحرف الزائد وقد قال بعضهم فى نظير ذلك

ان الخليط أجدوا البين فانجردوا * وأخلفوك عدا الامر الذى وعدوا

يريد عدة الامر فاسقط الهاء من العدة لما أضافها فكذلك ذلك فى اقام الصلاة وقوله وايتاء الزكاة قيل معناه واخلاص الطاعة لله ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وقوله وأوصانى بالصلاة والزكاة وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا وقوله وحنانا من لدنا وزكاة ونحو هذا فى القرآن قال يعنى بالزكاة طاعة الله والاخلاص يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار من هوله بين طمع بالنجاة وحذر بالهلاك والابصار أى ناحية يؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل الايمان أم من قبل الشمائل وذلك يوم القيامة كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الله بن عباس قال زيد بن أسلم فى قول الله فى بيوت أذن الله أن ترفع الى قوله تتقلب فيه القلوب والابصار يوم القيامة وقوله ليجزيهم الله أحسن ما عملوا يقول فعلوا ذلك يعنى انه لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا ربهم مخافة عذابه يوم القيامة كى يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ويزيدهم على ثوابه اياهم على أحسن أعمالهم التى عملوها فى الدنيا من فضله فتفضل عليهم من عنده بما أحب من كرامته لهم وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب يقول تعالى ذكره يتفضل على من شاء وأراد من طوله وكرامته مما لم يستحقه بعمله ولم يبلغه بطاعته بغير حساب يقول بغير محاسبة على ما بذل له وأعطاه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) وهذا مثل ضربه الله لاعمال أهل الكفر به فقال والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن وبمن جاء به مثل أعمالهم التى عملوها كسراب يقول مثل سراب والسراب ما لصق بالارض وذلك يكون نصف النهار وحين يشتد الحر والال ما كان كالماء بين السماء والارض وذلك

بعد ما استحال قطرات ماء قال عامة المفسرين ان في السماء جبالا من برد خلقها الله فيها كما خلق في الارض جبالا من حجر وقال أهل المعاني السماء ههنا هو الغيم المرتفع على رؤس الناس والمراد بالجبال الكثرة كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب ثم بين بقوله فيصيب به الى آخر الآية انه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها كيف يشاء أو يهلك بالبرد من يشاء ان يعذبه به ويعصم منه من يشاء ان يعصمه

يكون أول النهار يرفع كل شئ ضحى وقوله بقيعة وهي جمع قاع كالجيرة جمع جار والقاع ما انبسط من الارض واتسع وفيه يكون السراب وقوله يحسبه الظمآن ماء يقول يظن العطشان من الناس السراب ماء حتى اذا جاءه والهاء من ذكر السراب والمعنى حتى اذا جاء الظمآن السراب ملتمسا ماء يستغيث به من عطشه لم يجده شيأ يقول لم يجد السراب شيأ فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه حتى اذا هلك وصار الى الحاجة الى عمله الذي كان يرى انه نافعه عند الله لم يجده ينفعه شيأ لانه كان عمله على كفر بالله ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليها منه فان قال قائل وكيف قيل حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فان لم يكن السراب شيأ فعلام أدخلت الهاء في قوله حتى اذا جاءه قيل انه شئ يرى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفا من بعيد والهباء فاذا قرب منه المرء رق وصار كالهواء وقد يحتمل أن يكون معناه حتى اذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيأ فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه والله سريع الحساب يقول والله سريع حسابه لانه تعالى ذكره لا يحتاج الى عقد أصابع ولا حفظ بقلب ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد عمله وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** عبد الاعلى بن واصل قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ثم ضرب مثلا آخر فقال والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة قال وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله خيرا فلا يجد فيدخله النار **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن أبي العالية عن أبي بن كعب بنحوه **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله أعمالهم كسراب بقيعة يقول الارض المستوية **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الى قوله والله سريع الحساب قال هو مثل ضربه الله لرجل عطش فاشتد عطشه فرأى سرابا فحسبه ماء فطلبه وظن انه قد قدر عليه حتى أتاه فلما أتاه لم يجده شيأ وقبض عند ذلك يقول الكافر كذلك يحسب أن عمله مغن عنه أو نافعه شيأ ولا يكون آتيا على شئ حتى يأتيه الموت فاذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيأ ولم ينفعه الا كما نفع العطشان المشتد الى السراب **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كسراب بقيعة قال بقاع من الارض والسراب عمله زاد الحرث في حديثه عن الحسن والسراب عمل الكافر اذا جاءه لم يجده شيأ اتيانه اياه موته وفراقه الدنيا ووجد الله عند فراقه الدنيا فوفاه حسابه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله كسراب بقيعة قال بقيعة من الارض يحسبه الظمآن ماء هو مثل ضربه الله لعمل الكافر يقول يحسب أنه في شئ كما يحسب هذا السراب ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ وكذلك الكافر اذا مات لم يجد عمله شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة قد رأى السراب ووثق بنفسه انه ماء فلما جاءه لم يجده شيأ قال وهؤلاء ظنوا ان أعمالهم صالحة وانهم

ويريهم ضياء البرق في السحاب بحيث يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما في الطول والقصر وفي كل ذلك معتبر لذوي الابصار والذين يترقون من المصنوع الى الصانع ويستدلون بالمحسوسات على الغائب منتقلين من ظلمة التقليد الى نور البرهان ثم ذكر دليلا ثامنا من عجائب خلق الحيوان فقال والله خلق كل دابة من ماء قال علماء المعاني التنكير في ماء للتنويع أي خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلق الكل من ماء مخصوص وهو النطفة وعلى التقديرين الوحدة نوعية الا ان شموله على التقدير الثاني أكثر وانما عرف في قوله وجعلنا من الماء كل شئ حي لانه قصد هنالك معنى آخر وهو ان أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وعن القفال ان قوله من ماء صفة دابة لا صلة خلق والمعنى ان كل دابة متولدة من ماء فهي مخلوقة لله تعالى واحترز بها عن الاعتراض الذي ذكرناه في سورة الانبياء وهو ان بعض الاحياء لم يخلقهم الله من الماء وقيل نزل الغالب منزلة الكل أو أراد بالدابة من يدب على وجه الارض ومسكنهم هنالك وكل منها اما متولد من النطفة واما بحيث لا يعيش الا بالماء ثم بين ان أصلهم وان كان واحدا الا ان

خلقتهم مختلفة فمنهم من يمشي على بطنه وقدم هذا القسم لغرابته ومنهم كذا وفي ضمير العقلاء واطلاق لفظة من تغليب العقلاء وسمى الزحف على البطن مشيا على سبيل المشاكلة أو الاستعارة نظيره قوله فلان لا يتمشى له أمر وقد يوجد من الدواب ذوات أرجل أزيد من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلاوات بل مثل الحيوان الذي له أربع وأربعون رجلا المسمى دخال الاذن وانما لم يذكرها

سيرجعون منها الى خير فلم يرجعوا منها الا كما رجع صاحب السراب فهذا مثل ضربه الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) وهذا مثل آخر ضربه الله لاعمال الكفار يقول تعالى ذكره ومثل أعمال هؤلاء الكفار في انها عملت على خطا وفساد وضلالة وحيرة من أعمالها فيها وعلى غير هدى مثل ظلمات في بحر لجي ونسب البحر الى اللجة وصفا له بأنه عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه يغشاه موج يقول يغشى البحر موج من فوقه موج يقول من فوق الموج موج آخر يغشاه من فوقه سحاب يقول من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الاول سحاب فجعل الظلمات مثلا لاعمالهم والبحر اللجي مثلا لقلب الكافر يقول عمل بنية قلب قد غمره الجهل وتغشته الضلالة والحيرة كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات يغشاه الجهل بالله بان الله ختم عليه فلا يعقل عن الله وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله فتلك ظلمات بعضها فوق بعض وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب الى قوله من نور قال يعني بالظلمات الاعمال وبالبحر اللجي قلب الانسان قال يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب قال ظلمات بعضها فوق بعض يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر وهو كقوله ختم الله على قلوبهم الآية وكقوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه الى قوله أفلا تذكرون **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أو كظلمات في بحر لجي عميق وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل في ضلالة وحيرة قال ظلمات بعضها فوق بعض وروي عن أبي بن كعب ما **حدثني** عبد الاعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج الآية قال ضرب مثلا آخر للكافر فقال أو كظلمات في بحر لجي الآية قال فهو يتقلب في خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة الى النار **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن أبي الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب بنحوه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج الى قوله ظلمات بعضها فوق بعض قال شر بعضه فوق بعض وقوله اذا أخرج يده لم يكد يراها يقول اذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات لم يكد يراها فان قال لنا قائل وكيف قيل لم يكد يراها مع شدة هذه الظلمة التي وصف وقد علمت أن قول القائل لم أكد أرى فلانا انما هو اثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدة ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية ما لا يرى الناظر يده اذا أخرجها فيه فكيف فيها قيل في ذلك أقوال نذكرها ثم نخبر بالصواب من ذلك أحدها أن يكون معنى الكلام اذا أخرج يده رائيا لها لم يكد يراها أي لم يعرف من أين يراها فيكون من المقدم الذي معناه التأخير ويكون تأويل الكلام على ذلك اذا أخرج يده لم يقرب أن يراها والثاني أن يكون معناه اذا أخرج يده لم يرها ويكون قوله لم يكد يراها

سبحانه لانها نادرة بالنسبة الى سائرهن ومن العقلاء من زعم ان أمثال هذه الدواب انما يعتمد وقت المشي على أربع فقط وقيل ان في قوله تعالى يخلق الله ما يشاء تنبيها على سائر الاقسام ولاريب ان اختلاف الحيوانات لايكاد ينحصر الا انا نذكر طرفا من ذلك تذكيرا لعجائب قدرة الله في خلقه فنقول الاختلاف بين الحيوانات (١٠٤) اما في جوهر العضو كالفرس له ذنب دون الانسان وان كان أجزاء الذنب من العظم والعصب واللحم والجلد والشعر حاصلة له في غير هذا العضو كالسلحفات فله صدف يحيط به ليس للانسان وكذا السمك فله فلوس والقنفذ له شوك واما في كيفية العضو كاختلاف الالوان والاشكال والصلابة واللين واما في الوضع كما ان يدي الفيل أقرب الى الصدر من يدي الفرس واما في الانفعال كما ان عين الخطاف لاتتحير في الضوء وعين الخفاش يتحير واما في سائر الاحوال وذلك ان من الحيوانات بريا وبحريا أو بريا فقط أو بحريا فقط ومن البحري ما يعتمد في السباحة على جناحه كالسمك ومنها ما يعتمد فيها على أرجله كالضفادع وكل من البري والبحري له أماكن مختلفة من البر والبحر فمنها ماله مأوى معلوم كالروابي أو الحفر أو الشقوق أو الجحرة في البر أو كالقعر أو الشط أو الصخر أو الطين في البحر ومنها ما مأواه كيف اتفق الا ان يلد فيقيم للحضانة ومن الحيوانات طيارة فمنها ما يسبح في الهواء فقط ومنها ما يسبح على وجه الماء أيضا وكل طائر فانه يمشي على رجلين وقد يصعب عليه المشي كالخطاف الكبير الاسود وكالخفاش ومنها ما جناحه جلد أو غشاء وقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات بالحبشة يطير ومنها ما يختار الاجتماع كالكراكي ومنها ما يؤثر التفرد كالعقاب وكثير من الجوارح التي تنازع على الطعم ومنها ما يتعايش زوجا كالقطا والانسان من الحيوان الذي لايمكنه ان يعيش وحده ويضاهيه النحل والنمل الا ان النمل لارئيس لها ومنها آكل لحم ومنها لاقط حب ومنها آكل عشب وزهر ومنه النحل ومن الحيوان ما هو انسي بالطبع كالانسان وما هو انسي بالولد كالهرة والغرانيق أو بالقهر كالفهد ومنه مالا يأنس كالغراب يبطيء استئناسه كالاسد ومن

الحيوان ماله صوت ومنها ماله صوت وكل مصوت فانه يصير عند الاقتتال وحركة شهوة الجماع أشد تصويتا خلا الانسان ومنه ماله شبق
يسفد كل وقت كالديك ومنه عفيف له وقت معين ومنه ولود ومنه بيوض وكل أذون وكل صموخ بيوض سوى الخفاش ومنه هادئ الطبع
قليل الغضب كالبقر ومنه شديد الجهل حال الغضب كالخنزير البرى ومنه حليم جمول كالابل ومنه محتال مكار كالثعلب ومنه

أى لم يعرف من أين يراها فيكون من المقدم الذى معناه التأخير ويكون قوله لم يكد فى دخوله فى الكلام نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام كقوله وظنوا ما لهم من محيص ونحو ذلك والثالث أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد كما يقول القائل لآخر ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه ولكن بعد اياس وشدة وهذا القول الثالث أظهر معانى الكلمة من جهة ما تستعمل العرب أكاد فى كلامها والقول الآخر الذى قلنا انه يتوجه الى أنه بمعنى لم يرها قول أوضح من جهة التفسير وهو أخفى معانيه وانما حسن ذلك فى هذا الموضع أعنى أن يقول لم يكد يراها مع شدة الظلمة التى ذكر لان ذلك مثل لا يخرجه عن كان ومن لم يجعل الله له نورا يقول من لم يرزقه الله ايمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه فما له من نور يقول فما له من ايمان وهدى ومعرفة بكتابه

القول فى تأويل قوله تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فتعلم ان الله يصلى له من فى السموات والارض من ملك وانس وجن والطير صافات فى الهواء أيضا تسبح له كل قد علم صلاته وتسبيحه والتسبيح عندك صلاة فيقال قيل ان الصلاة لبنى آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق ولذلك فصل فيما بين ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن مجاهد قوله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال والصلاة للانسان والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال صلاته للناس وتسبيحه عامة لكل شئ ويتوجه قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه لوجوه أحدها أن تكون الهاء التى فى قوله صلاته وتسبيحه من ذكر كل فيكون تأويل الكلام كل مصل ومسبح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه ويكون الكل حينئذ مرتفعا بالعائد من ذكره فى قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه وهو الهاء التى فى الصلاة والوجه الآخر أن تكون الهاء فى الصلاة والتسبيح أيضا للكل ويكون الكل مرتفعا بالعائد من ذكره عليه فى علم ويكون علم فعلا للكل فيكون تأويل الكلام حينئذ قد علم كل مصل ومسبح منهم صلاة نفسه وتسبيحه الذى كلفه وألزمه والوجه الآخر أن تكون الهاء فى الصلاة والتسبيح من ذكر الله والعلم للكل فيكون تأويل الكلام حينئذ قد علم كل مسبح ومصل صلاة الله التى كلفه اياها وتسبيحه وأظهر هذه المعانى الثلاثة على هذا الكلام المعنى الاول وهو أن يكون المعنى كل مصل منهم ومسبح قد علم الله صلاته وتسبيحه وقوله والله عليم بما يفعلون يقول تعالى ذكره والله ذو علم بما يفعل كل مصل ومسبح منهم لا يخفى عليه شئ من أفعالهم طاعتها ومعصيتها محيط بذلك كله وهو مجازيهم على ذلك كله وقوله ولله ملك السموات والارض يقول جل ثناؤه ولله سلطان السموات والارض وملكها دون كل من هو دونه من سلطان وملك فاياه فارهبوا أيها الناس واليه فارغبوا لا الى غيره فان بيده خزائن السموات والارض لا يخشى بعطاياكم منه فقرا والى الله المصير يقول والى الله مرجعكم بعد وفاتكم ومعادكم فيوفيكم أجور أعمالكم التى عملتموها فى الدنيا فأحسنوا عبادته واجتهدوا فى طاعته وقدموا لانفسكم الصالحات

غضوب سفيه الا أنه فلق متردد كالكلب ومنه شديد الكيس مستأنس كالقرد والفيل ومنه حسود تياه كالطاوس ومنه شديد الحفظ كالجمل والحمار لا ينسى الطريق الذى رآه وفى قوله ان الله على كل شئ قدير اشارة الى ان اختصاص كل حيوان بهذه الخواص وبامثالها لا يكون الا عن فاعل مختار قدرها ولما فرغ من اثبات هذه الدلائل أراد ان يبين أحوال المكلفين وان فيهم منافقين فقدم لذلك مقدمة وهى قوله لقد أنزلنا آيات مبينات وانما فقد العاطف ههنا بخلاف قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا لان المقصود هنالك هو ماسبق من التكاليف والمواعظ والغرض ههنا توطئة مقدمة لما يجىء عقيبه من حال أهل النفاق والوفاق وقوله وما أولئك اشارة الى الفريق المتولى وانما قال بالمؤمنين معرفا لانه أراد انهم ليسوا بالذين عرفت صحة ايمانهم لثباتهم واستقامتهم ويحتمل ان يكون أولئك اشارة الى جميع القائلين آمنا وأطعنا وحينئذ يكون قوله ثم يتولى فريق منهم حكما على البعض دفعا للالزام والنقض فان الحكم الكلى قلما يخلو عن منع ولمثل هذا قال فى الآية الثانية اذا فريق منهم معرضون والحاصل انه حكم أولا على بعضهم بالتولى ثم صرح آخرا بان الايمان منتف عن جميعهم

ويجوز ان يراد بالفريق المتولى رؤساء النفاق وقيل أراد بتولى هذا الفريق رجوعهم الى الباقين قال جار الله معنى الى الله ورسوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كقولك أعجبنى زيد وكرمه أما سبب نزول الآية فعن مقاتل انها فى بشر من المنافقين كما سبق فى سورة النساء فى قوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وعن الضحاك نزلت فى المغيرة

ابن وابل كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض فتقاسما فدفع الى علي منها ما لا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني أرضك فباعها منه وتقابضا فقيل للمغيرة أخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض أرضك فأبى ودعا المغيرة الى محاكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضني وأنا أخاف ان يحيف علي قوله يأتوا اليه الجار صلة أتى فانه قد تعدى بالى قال الجارالله والاحسن ان يتصل بمذعنين ليفيد الاختصاص أي لا يأتيا كون اذا عرفوا ان الحق لهم الا الى الرسول مسرعين في طاعته ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه وهذه الامور وان كانت متلازمة الا انها متغايرة في الاعتبار فصحت القسمة ثم بين بقوله بل أولئك هم الظالمون انهم لا يخافون حيفة لانهم عارفون أمانته ولكن الظلم مركوز في جبلتهم وانهم لا يستطيعون الظلم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك يأبون المحاكمة اليه اذا كان الحق عليهم * التأويل للآية تأويلان أحدهما من عالم الآفاق والآخر من عالم الانفس أما الاول فالمشكاة عالم الاجسام والزجاجة العرش والمصباح الكرسي والشجرة شجرة الملكوت وهي باطن عالم الاجسام وهي غير راقية الى شرق الازل والقدم ولا الى غرب الفناء والعدم بل هي مخلوقة للابد لا يعتريها الفناء يكاد زيتها وهو عالم الارواح يضيء أي يظهر من العدم الى عالم الصورة المتولدة بازدواج عالم الغيب والشهادة ولو لم تمسسه نار نور القدرة الالهية وذلك لقرب طبيعتها من الوجود نور على نور فالاول نور الصفة الرحمانية والثاني نور العرش فهو كقوله الرحمن على العرش استوى وفي قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى ان لا فيض نور الرحمانية ينقسم على كل من يريد الله تعالى ايجاده من العرش الى ما تحت الثرى وأما التأويل الثاني فالمشكاة الجسد والزجاجة القلب والمصباح السر والشجرة شجرة الروحانية التي خلقت للبقاء كما مر والزيت الروح الانساني القابل لنور العرفان قبولا في غاية القرب

من الاعمال ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد ان الله يزجي يعني يسوق سحابا حيث يريد ثم يؤلف بينه يقول ثم يؤلف بين السحاب وأضاف بين الى السحاب ولم يذكر معه غيره وبين لا تكون مضافة الا الى جماعة أو اثنين لان السحاب في معنى جمع واحده سحابة كما يجمع النخلة نخل والتمرة تمر فهو نظير قول قائل جلس فلان بين النخل وتأليف الله السحاب جمعه بين متفرقها وقوله ثم يجعله ركاما يقول ثم يجعل السحاب الذي يزجيه ويؤلف بعضه الى بعض ركاما يعني متراكما بعضه على بعض وقد حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا خالد قال ثنا مطر عن حبيب ابن أبي ثابت عن عبيد بن عمير الليثي قال الرياح أربع يبعث الله الريح الاولى فتقم الارض قما ثم يبعث الثانية فتنشىء سحابا ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركاما ثم يبعث الرابعة فتمطره وقوله فترى الودق يخرج من خلاله يقول فترى المطر يخرج من بين السحاب وهو الودق قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

والهاء في قوله من خلاله من ذكر السحاب والخلال جمع خلل وذكر عن ابن عباس وجماعة انهم كانوا يقرؤن ذلك من خلله حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة قال ثنا قتادة عن الضحاك بن مزاحم انه قرأ هذا الحرف فترى الودق يخرج من خلله قال حدثنا شعبة قال أخبرني عمار عن رجل عن ابن عباس انه قرأ هذا الحرف فترى الودق يخرج من خلاله من خلله حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال أخبرني عمارة بن أبي حفصة عن رجل عن ابن عباس انه قرأها من خلله بفتح الخاء من غير ألف قال هرون فذكرت ذلك لابي عمرو فقال انها لحسنة ولكن خلاله أعم وأما قراء الامصار فانهم على القراءة الاخرى من خلاله وهي التي نختار لاجماع الحجة من القراء عليها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فترى الودق يخرج من خلاله قال الودق القطر والخلال السحاب وقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل في ذلك قولان أحدهما ان معناه وان الله ينزل من السماء من جبال في السماء من برد مخلوقة هنالك خلقة كأن الجبال على هذا القول هي من برد كما يقال جبال من طين والقول الآخر ان الله ينزل من السماء قدر جبال وأمثال جبال من برد الى الارض كما يقال عندي بيتان تبنا والمعنى قدر بيتين من التبن والبيتان ليسا من التبن وقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يقول فيعذب بذلك الذي ينزل من السماء من جبال فيها من برد من يشاء فيهلكه أو يهلك به زروعه وماله ويصرفه عمن يشاء من خلقه يعني عن زروعهم وأموالهم وقوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقول يكاد شدة ضوء برق هذا السحاب يذهب بابصار من لاقى بصره والسنا مقصور وهو ضوء البرق كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله يكاد سنا برقه قال ضوء برقه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله يكاد سنا برقه يقول لمعان البرق ليذهب بالابصار يكاد سنا برقه يذهب بفتح الياء من يذهب سوى أبي جعفر القارى فانه قرأه بضم الياء يذهب بالابصار والقراءة التي

والنار نار التجلي والهداية في الازل فاذا انضم الى نور العقل صار نورا على نور واذا تنور مصباح سر من يشاء بنور القدم تنور زجاجة القلب
ومشكاة الجسد ويخرج أشعتهما من روزنة الحواس فيستضيء أرض البشرية كما قال وأشرقت الارض بنور ربها وهو مقام كنت له سمعا
وبصرا الحديث في بيوت هي القلوب أذن الله أمرا وأراد أن يرفع درجاتها من بين (١٠٧) سائر الارواح والنفوس الى أن تسع الله كما قال

لا اختار غيرها هي فصحها الاجماع الحجة من القراء عليها وان العرب اذا أدخلت الباء في مفعول ذهبت
لم يقولوا الا ذهبت به دون أذهبت به واذا أدخلوا الالف في أذهبت لم يكادوا أن يدخلوا الباء في
مفعوله فيقولون أذهبته وذهبت به وقوله يقلب الله الليل والنهار يقول يعقب الله بين الليل والنهار
ويصرفهما اذا أذهب هذا جاء هذا واذا أذهب هذا جاء هذا ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار يقول ان
في انشاء الله السحاب وانزاله منه الودق ومن السماء البرد وفي تقليبه الليل والنهار لعبرة لمن اعتبر به
وعظة لمن اتعظ به ممن له فهم وعقل لان ذلك ينبئ ويدل على ان له مدبرا ومصرفا ومقلبا لا يشبهه شيء
❁ القول في تأويل قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من
يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير) اختلفت
القراء في قراءة قوله والله خلق كل دابة من ماء فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم والله خالق كل
دابة وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وعاصم والله خلق كل دابة بنصب كل وخلق على مثال فعل
وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى وذلك أن الاضافة في قراءة من قرأ ذلك خالق يدل على أن
معنى ذلك المضي فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله خلق كل دابة من ماء يعني من نطفة فمنهم من
يمشي على بطنه كالحيات وما أشبهها وقيل انما قيل فمنهم من يمشي على بطنه والمشي لا يكون على
البطن لان المشي انما يكون لما له قوائم على التشبيه وانه لما خالط ماله قوائم ما لا قوائم له جاز كما قال
ومنهم من يمشي على رجلين كالطير ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم فان قال قائل فكيف قيل
فمنهم من يمشي ومن للناس وكل هذه الاجناس أو أكثرها لغيرهم قيل لانه تفريق ما هو داخل
في قوله والله خلق كل دابة وكان داخلا في ذلك الناس وغيرهم ثم قال فمنهم لاجتماع الناس والبهائم
وغيرهم في ذلك واختلاطهم فكنى عن جميعهم كنايته عن بني آدم ثم فسرهم بمن اذ كان قد كنى
عنهم كناية بني آدم خاصة يخلق الله ما يشاء يقول يحدث الله ما يشاء من الخلق ان الله على كل شيء
قدير يقول ان الله على احداث ذلك وخلقه وخلق ما يشاء من الاشياء غيره ذو قدرة لا يتعذر عليه شيء
أراد ❁ القول في تأويل قوله تعالى (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم) يقول تعالى ذكره لقد أنزلنا أيها الناس علامات واضحات دالات على طريق الحق
وسبيل الرشاد والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم يقول والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه
فيهديه الى دين الاسلام وهو الصراط المستقيم والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه ❁ القول
في تأويل قوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك
وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون) يقول تعالى
ذكره ويقول المنافقون صدقنا بالله وبالرسول وأطعنا الله وأطعنا الرسول ثم يتولى فريق منهم
يقول ثم تدبر كل طائفة منهم من بعد ما قالوا هذا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعو الى
المحاكمة الى غيره خصمها وما أولئك بالمؤمنين يقول وليس قائلو هذه المقالة يعني قوله آمنا بالله
وبالرسول وأطعنا بالمؤمنين لتركهم الاحتكام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعراضهم عنه اذا
دعوا اليه وقوله واذا دعوا الى الله ورسوله يقول واذا دعي هؤلاء المنافقون الى كتاب الله والى
رسوله ليحكم بينهم فيما اختصموا فيه بحكم الله اذا فريق منهم معرضون عن قبول الحق والرضا بحكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁ القول في تأويل قوله تعالى (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه

وانما يسعني قلب عبدي المؤمن
روي انه أوحى الى داود عليه
السلام فرغ لي بيتا أسكن فيه
فقال رب أنت منزه عن البيوت
فقال فرغ لي قلبك ولن يتأتى هذا
الرفع الا بوساطة ذكر الله فلهذا
قال ويذكر فيها اسمه لا تلهيهم
تجارة هي الفوز بدرجات الجنات
كما قال هل أدلكم على تجارة تنجيكم
ولا بيع هو بيع الدنيا بالجنة
كقوله ان الله اشترى الى قوله
فاستبشروا ببيعكم وفيه ان الرجولية
لا تتحقق الا اذا لم يلتفت الى الدنيا
ولا الى الآخرة فيكون بحيث
لا يتصرف فيه ما سوى الله
وحينئذ يصلي صلاة الوصال
ويفيض على المستعدين زكاة
حصول نصاب الكمال يخافون
يوما هو يوم الفراق تتقلب فيه
القلوب والابصار البصائر لانها
بيد الله يقلبها كيف يشاء أو كظلمات
في بحر لجي هو حب الدنيا يغشاه
موج الرياء من فوقه موج هو
حب الجاه وطلب الرياسة من
فوقه سحاب الشرك الخفي اذا أخرج
يد سعيه واجتهاده لم يكد يراها يرى
طريق خلاصه ومن لم يجعل الله
له نورا أي لم يصبه رشاش النور
الالهي في الازل يزجي سحب المعاصي
المتفرقة الى أن تتراكم فترى الودق
وهو مطر التوبة يخرج من
خلاله كما خرج من سحاب وعصى
آدم مطر ثم اجتباه ربه ينزل من
سماء القلب من جبال من قساوة

فيهما من برد هو برد القهر يقلب الله ليل المعصية لمن يشاء الى نهار الطاعة وبالعكس لاولي الابصار أصحاب البصائر الذين يشاهدون آثار
لطفه وقهره في مرآة التقليب والله خلق كل ذي روح من ماء هو روح محمد صلى الله عليه وسلم كما قال أول ما خلق الله روحي فمنهم من يمشي
ان يكون سيرته تحصيل مشتهيات بطنه ومنهم من يمشي على رجلين أي يضع عمره في مشتهيات الفرج لان الحيوان اذا قصد الوقاع يعتمد على

رجلين وان كان من ذوات الاربع ومنهم من يمشى على أربع هم أصحاب المناصب يركبون الدواب ألبتة أفى قلوبهم مرض انحراف فى الفطرة أم ارتابوا بتشكيك أهل البدع والاهواء أم يخافون الحيف حين أمروا بترك اللذات العاجلة لاجل الخيرات الباقية واليه المآب

(انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله (١٠٨)
ورسوله ويخش الله ويتقه
فاولئك هم الفائزون وأقسموا
بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم
ليخرجن قل لا تقسموا طاعة
معروفة ان الله خبير بما تعملون
قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم
ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على
الرسول الا البلاغ المبين وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف
الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من
بعد خوفهم أمنا يعبدوننى
لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد
ذلك فاولئك هم الفاسقون وأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا
الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن
الذين كفروا معجزين فى الارض
ومأواهم النار ولبئس المصير يا أيها
الذين آمنوا ليستأذنكم الذين
ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا
الحلم منكم ثلاث مرات من قبل
صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم
من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء
ثلاث عورات لكم ليس عليكم
ولا عليهم جناح بعدهن طوافون
عليكم بعضكم على بعض كذلك
يبين الله لكم الآيات والله عليم
حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
فليستأذنوا كما استأذن الذين من
قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته
والله عليم حكيم والقواعد من
النساء اللاتى لا يرجون نكاحا
فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على
الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو
بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو

مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون) يقول تعالى ذكره وان يكن الحق لهؤلاء الذين يدعون الى الله ورسوله ليحكم بينهم فيأبون ويعرضون عن الاجابة الى ذلك قبل الذين يدعونهم الى الله ورسوله يأتوا الى رسول الله مذعنين يقول مذعنين منقادين بحكمه مقرين به طائعين غير مكرهين يقال منه قد أذعن فلان بحقه اذا أقر به طائعا غير مستكره وانقاد له وسلم وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يأتوا اليه مذعنين قال سراعا وقوله أفى قلوبهم مرض يقول تعالى ذكره أفى قلوب هؤلاء الذين يعرضون اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم شك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لله رسول فهم يمتنعون من الاجابة الى حكمه والرضى به أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله اذا احتكموا الى حكم كتاب الله وحكم رسوله وقال أن يحيف الله عليهم ورسوله والمعنى أن يحيف رسول الله عليهم فبدأ بالله تعالى ذكره تعظيما لله كما يقال ما شاء الله ثم شئت ومما يدل على أن معنى ذلك كذلك قوله واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم فافرد الرسول بالحكم ولم يقل ليحكما وقوله بل أولئك هم الظالمون يقول ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله اذا أعرضوا عن الاجابة الى ذلك مما دعوا اليه أن يحيف عليهم رسول الله فيجور فى حكمه عليهم ولكنهم قوم أهل ظلم لانفسهم بخلافهم أمر ربهم ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضى بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحبوا وكرهوا والتسليم له ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) يقول تعالى ذكره انما كان ينبغى أن يكون قول المؤمنين اذا دعوا الى حكم الله والى حكم رسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا ما قيل لنا وأطعنا من دعانا الى ذلك ولم يعن بكان فى هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضى ولكنه تأنيب من الله الذين أنزلت هذه الآية بسببهم وتأديب منه آخرين غيرهم وقوله وأولئك هم المفلحون يقول تعالى ذكره والذين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا المفلحون هم المنجحون المدركون طلباتهم بفعلهم ذلك المخلدون فى جنات الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) يقول تعالى ذكره ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه ويسلم لحكمهما له وعليه ويخف عاقبة معصية الله ويحذره ويتق عذاب الله بطاعته اياه فى أمره ونهيه فاولئك يقول فالذين يفعلون ذلك هم الفائزون برضى الله عنهم يوم القيامة وأمنهم من عذابه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون) يقول تعالى ذكره وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله اذ دعوا اليه بالله جهد أيمانهم يقول أغلظ أيمانهم وأشدها لئن أمرتهم يا محمد بالخروج الى جهاد عدوك وعدو المؤمنين ليخرجن قل لا تقسموا لا تحلفوا فان هذه طاعة معروفة منكم فيها التكذيب كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قل لا تقسموا طاعة معروفة قال قد عرفت طاعتكم الى انكم تكذبون ان الله خبير بما تعملون يقول ان الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله أو خلافكم أمرهما أو غير ذلك من أموركم لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو مجازيكم بكل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل أطيعوا الله

وأطيعوا

صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم (١٠٩) فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم) * القراآت ويتقه بكسر القاف واختلاس الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو وطريق الهاشمى بكسر القاف وسكون الهاء على انها للسكت أبو عمرو وغير عباس وخلاد ورجاء ويحيى وحماد وهبيرة من طريق الخراز وابن مجاهد عن ابن ذكوان باسكان القاف وكسر الهاء حفص غير الخراز ووجهه انه شبه تقه بكتف فخفف وعلى هذا فالهاء ضمير فان تحريك هاء السكت ضعيف الباقون ويتقهى بالاشباع فان تولوا باظهار النون وتشديد التاء البزى وابن فليح كما استخلف مجهولا أبو بكر وعمار وليبدلنهم خفيفا ابن كثير وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد لا يحسبن على الغيبة ابن عامر وحمزة ثلاث عورات بالنصب حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الآخرون بالرفع لبعض شأنهم باسكان الضاد وتشديد الشين شجاع وأبو شعيب وحمله على الاخفاء أولى منه على الادغام يرجعون مبنيا للفاعل عباس ويعقوب * الوقوف وأطعنا ط المفلحون ه الفائزون ه ليخرجن ط لا تقسموا ج لحق المحذوف مع اتحاد المقول معروفة ط يعملون ه الرسول ج للشرط مع الفاء ما حملتم ط تهتدوا ط المبين ه من قبلهم ص أمنا ط بناء على ان ما بعده مستأنف شيأ ط الفاسقون ه يرحمون ط فى الارض ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول النار ط المصير ه مرات ط أى متى كذا وكذا العشاء قف عند

وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المقسمين بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن وغيرهم من أمتك أطيعوا الله أيها القوم فيما أمركم به ونهاكم عنه وأطيعوا الرسول فان طاعته لله طاعة فان تتولوا يقول فان تعرضوا وتدبروا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه وتأبوا أن تذعنوا لحكمه لكم وعليكم فانما عليه ما حمل يقول فانما عليه فعل ما أمر بفعله من تبليغ رسالة الله اليكم على ما كلفه من التبليغ وعليكم ما حملتم يقول وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم وأوجب عليكم من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء الى طاعته فيما أمركم ونهاكم وقلنا ان قوله فان تولوا بمعنى فان تتولوا فانه فى موضع جزم لانه خطاب للذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يدل على أن ذلك كذلك قوله وعليكم ما حملتم ولو كان قوله تولوا فعلا ماضيا على وجه الخبر عن غيب لكان فى موضع قوله وعليكم ما حملتم وعليهم ما حملوا وقوله وان تطيعوه تهتدوا يقول تعالى ذكره وان تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم ترشدوا وتصيبوا الحق فى أموركم وما على الرسول الا البلاغ المبين يقول وغير واجب على من أرسله الله الى قوم برسالة الا أن يبلغهم رسالته بلاغا يبين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به يقول فليس على محمد أيها الناس الا أداء رسالة الله اليكم وعليكم الطاعة وان أطعتموه لحظوظ أنفسكم تصيبون وان عصيتموه بانفسكم فتوبقون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) يقول تعالى ذكره وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله منكم أيها الناس وعملوا الصالحات يقول وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه ليستخلفنهم فى الارض يقول ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها كما استخلف الذين من قبلهم يقول كما فعل من قبلهم ذلك ببنى اسرائيل اذ أهلك الجبابرة بالشام وجعلهم ملوكها وسكانها وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم يقول وليوطئن لهم دينهم يعنى ملتهم التى ارتضاها لهم فأمرهم بها وقيل وعد الله الذين آمنوا ثم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله ليستخلفنهم لان الوعد قول يصلح فيه ان وجواب اليمين كقوله وعدتك أن أكرمك ووعدتك لأكرمنك واختلف القراء فى قراءة قوله كما استخلف فقرأته عامة القراء كما استخلف بفتح التاء واللام بمعنى كما استخلف الله الذين من قبلهم من الامم وقرأ ذلك عاصم كما استخلف بضم التاء وكسر اللام على مذهب ما لم يسم فاعله واختلفوا أيضا فى قراءة قوله وليبدلنهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار سوى عاصم وليبدلنهم بتشديد الدال بمعنى وليغيرن حالهم عما هى عليه من الخوف الى الامن والعرب تقول قد بدل فلان اذا غيرت حاله ولم يأت مكان فلان غيره وكذلك كل مغير عن حاله فهو عندهم مبدل بالتشديد وربما قيل بالتخفيف وليس بالفصيح فأما اذا جعل مكان الشئ المبدل غيره فذلك بالتخفيف أبدلته فهو مبدل وذلك كقولهم أبدل هذا الثوب أى جعل مكانه آخر غيره وقد يقال بالتشديد غير ان الفصيح من الكلام ما وصفت وكان عاصم يقرؤه وليبدلنهم بتخفيف الدال والصواب من القراءة فى ذلك التشديد على المعنى الذى وصفت قبل لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وان ذلك تغيير حال الخوف الى الامن وأرى عاصما ذهب الى ان الامن لما

كان خلاف الخوف وجه المعنى الى أنه ذهب بحال الخوف وجاء بحال الامن فخفف ذلك وهو من الدليل على ما قلنا من ان التخفيف انما هو ما كان في ابدال الشئ مكان آخر قول أبي النجم

* عزل الامير للامير المبدل *

وقوله يعبدونني يقول يخضعون لي بالطاعة ويتذللون لامري ونهيي لا يشركون بي شيأ يقول لا يشركون في عبادتهم اياي الاوثان والاصنام ولا شيأ غيره بل يخلصون لي العبادة فيفردونها الي دون كل ما عبد من شئ غيري وذكر ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه اليه في بعض الاوقات التي كانوا فيها من العدو في خوف شديد مما هم فيه من الرعب والخوف وما يلقون بسبب ذلك من الاذى والمكروه ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الآية قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين خائفا يدعو الى الله سرا وعلانية قال ثم أمر بالهجرة الى المدينة قال فمكث بها هو وأصحابه خائفون يصبحون في السلاح ويمسون فيه فقال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فأنزل الله هذه الآية وعد الله الذين آمنوا منكم الى قوله فمن كفر بعد ذلك قال يقول من كفر بهذه النعمة فأولئك هم الفاسقون وليس يعني الكفر بالله قال فأظهره الله على جزيرة العرب فآمنوا ثم تجبروا فغير الله ما بهم وكفروا بهذه النعمة فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم قال القاسم قال أبو علي بقتلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه واختلف أهل التأويل في معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله فمن كفر بعد ذلك فقال أبو العالية ما ذكرنا عنه من انه كفر بالنعمة لا كفر بالله وروي عن حذيفة في ذلك ما حدثنا به ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي الشعثاء قال كنت جالسا مع حذيفة وعبد الله بن مسعود فقال حذيفة ذهب النفاق وانما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو الكفر بعد الايمان قال فضحك عبد الله فقال لم تقول ذلك قال علمت ذلك قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض حتى بلغ آخرها حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي قال ثنا شعبة عن أبي الشعثاء قال قعدت الى ابن مسعود وحذيفة فقال حذيفة ذهب النفاق فلا نفاق وانما هو الكفر بعد الايمان فقال عبد الله تعلم ما تقول قال فتلا هذه الآية انما كان قول المؤمنين حتى بلغ فاولئك هم الفاسقون قال فضحك عبد الله قال فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بايام فقلت من أي شئ ضحك عبد الله قال لا أدري ان الرجل ربما ضحك من الشئ الذي يعجبه وربما ضحك من الشئ الذي لا يعجبه فمن أي شئ ضحك لا أدري والذي قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية وذلك أن الله وعد الانعام على هذه الامة بما أخبر في هذه الآية أنه منعم به عليهم ثم قال عقيب ذلك فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يعبدونني لا يشركون بي شيأ قال تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ قال لا يخافون غيري ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماواهم النار ولبئس

من قرأ ثلاث عورات بالرفع أي هو ثلاث لكم ط بعدهن ط أي هم طوافون على بعض ص الآيات ط حكيم ه قبلهم ط آياته ط حكيم ه ط بزينة ط لهن ط عليم ه صديقكم ط أشتاتا ط بناء على ان ما بعده استئناف حكم طيبة ط من المخاطبة الى الغيبة تعقلون ه يستأذنوه ط ورسوله ه الشرط مع الفاء اهم الله ط رحيم ه بعضا ط لواذا ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب عليم ه والارض ط عليه ط فصلا بين حال وحال مع العدول من المخاطبة الى الغيبة بما عملوا ه عليم ه

* التفسير لما حكى سيرة المنافقين وما قالوه وفعلوه اتبعه ذكر ما كان يجب ان يفعلوه وما يجب ان يسلكه المؤمنون من طريق الاخلاص وعن الحسن انه قرأ قول المؤمنين بالرفع والقراءة المشهورة وهي النصب أقوى قال جار الله لان أولى الاسمين بكونه اسما أوغلهما في التعريف وان يقولوا أوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين قلت وذلك لاحتمال كون الاضافة فيه لفظية وان يقولوا يشبه المضمر كما ينافي الانعام في قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا فلا سبيل الى تنكيره ومعنى كان صح واستقام أي لا ينبغي ان يكون قولهم الا السمع والطاعة عن ابن عباس ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل من عمره فاولئك هم الفائزون وهذه آية جامعة لاسباب الفوز وفقنا الله تعالى للعمل بها ثم حكى عن المنافقين انهم يريدون ان يؤكدوا أساس الايمان بالايمان الكاذبة قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين وكانوا يقولون والله ان أمرتنا ان نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا فنهوا عن هذه الاقسام لما علم من نفاقهم وشقاقهم واضمارهم الغدر والخديعة والا فمن حلف على فعل البر لا يجوز ان ينهى عنه وقوله طاعة معروفة مبتدأ محذوف الخبر أي طاعة معلومة لا شك فيها ولا نفاق أمثل وأولى بكم من هذه الايمان الكاذبة أو خبر محذوف المبتدأ أي أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة لا ارتياب فيها كطاعة الخلص من المؤمنين أو طاعتكم طاعة

ولبئس المصير) يقول تعالى ذكره وأقيموا أيها الناس الصلاة بحدودها فلا تضيعوها وآتوا الزكاة التى فرضها الله عليكم أهلها وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم لعلكم ترحمون يقول كى يرحمكم ربكم فينجيكم من عذابه وقوله لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض يقول تعالى ذكره لا تحسبن يا محمد الذين كفروا بالله معجزيه فى الارض اذ أراد اهلاكهم ومأواهم بعد هلاكهم النار ولبئس المصير الذى يصيرون اليه ذلك المأوى وقد كان بعضهم يقول لا يحسبن الذين كفروا بالياء وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية وذلك ان تحسب محتاج الى منصوبين واذا قرئ يحسبن لم يكن واقعا الا على منصوب واحد غير انى أحسب ان قارئه بالياء ظن انه قد عمل فى معجزين وان منصوبه الثانى فى الارض وذلك لا معنى له ان كان ذلك قصد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم فقال بعضهم عنى بذلك الرجال دون النساء ونهوا عن أن يدخلوا عليهم فى هذه الأوقات الثلاثة هؤلاء الذين سموا فى هذه الآية الا باذن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن نافع عن ابن عمر قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال هى على الذكور دون الاناث وقال آخرون بل عنى به الرجال والنساء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن أبى عبد الرحمن فى قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال هى فى الرجال والنساء يستأذنون على كل حال بالليل والنهار * وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى به الذكور والاناث لان الله عم بقوله الذين ملكت أيمانكم جميع أملاك ايمانكم ولم يخصص منهم ذكرا ولا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل فتأويل الكلام يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ليستأذنكم فى الدخول عليكم عبيدكم واماؤكم فلا يدخلوا عليكم الا باذن منكم لهم والذين لم يبلغوا الحلم منكم يقول والذين لم يحتلموا من أحراركم ثلاث مرات يعنى ثلاث مرات فى ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال عبيدكم المملوكون والذين لم يبلغوا الحلم منكم قال لم يحتلموا من احراركم قال ابن جريج قال لى عطاء ابن أبى رباح فذلك على كل صغير وصغيرة ان يستأذن كما قال ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء قال وهى العتمة قلت فاذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة استأذنوا عليهم حتى يصبحوا قال نعم قلت لعطاء هل استئذانهم الا عند وضع الناس ثيابهم قال لا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن صالح بن كيسان ويعقوب بن عتبة واسمعيل بن محمد قال لا استئذان على خدم الرجل عليه الا فى العورات الثلاث حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم يقول اذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء فلا يدخل عليه خادم ولا صبى الا باذن حتى يصلى الغداة فاذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال

معروفة بأنها بالقول دون الفعل ثم صرف الكلام من الغيبة الى الخطاب لمزيد التبكيت والعتاب ومعنى فان تولوا فان تتولوا فحذف احدى التاءين وما حمل الرسول هو أداء الرسالة وما حمل على الامة هو الطاعة والانقياد والبلاغ المبين كون التبليغ مقرونا بالآيات والمعجزات أو كونه واقعا على سبيل المجاهرة لا المداهنة وههنا شبه اضمار والتقدير بلغ أيها الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون فقد وعد الله الذين آمنوا منكم أى جمعوا بين الايمان والعمل الصالح وفى الوعد معنى القسم لان وعد الله محقق الوقوع ولذلك قال فى جوابه ليستخلفنهم أو القسم محذوف أى أقسم ليجعلنكم خلفاء فى الارض كما فعل ببنى اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وليمكنن لاجلهم الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكين الدين تثبيته واشادة قواعده كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه فسئموا وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل فى الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وأورثوا ملك الاكاسرة وخزائنهم وهذا أخبار بالغيب فيكون معجزا ومحل يعبدوننى نصب على الحال أى وعدهم ذلك فى حال عبادتهم واخلاصهم أو هو استئناف كان قائلا قال مالهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى وعلى الوجهين فقوله لا يشركون بدل من يعبدوننى أو بيان لها وفيه دليل على ان المقصود من الكل هو عبادة الله تعالى والاخلاص له ومن كفر بهذه النعم الجسام وهى الاستخلاف والتمكين والامن بعد الخوف بعد حصول ذلك أو بعد ما ذكر فأولئك هم الكاملون فى الفسق قال أهل السنة فى الآية دلالة على أمامة الخلفاء الراشدين لان قوله منكم للتبعيض وذلك البعض يجب ان يكون من الحاضرين فى وقت الخطاب ومعلوم ان الائمة الاربعة كانوا من أهل الايمان والعمل الصالح وكانوا حاضرين وقتئذ وقد حصل لهم الاستخلاف والفتوح فوجب ان يكونوا مرادا من الآية واعترض بان قوله منكم لا يجوز ان يكون للبيان ولم لا يجوز ان يراد بالاستخلاف فى الارض هو امكان التصرف والتوطن

أخبرني قرة بن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن ثعلبة عن أبي مالك القرظي انه سأل عبد الله بن سويد الحارثي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاذن في العورات الثلاث فقال اذا وضعت ثيابي من الظهيرة لم يلج على أحد من الخدم الذي بلغ الحلم ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الاحرار الا باذن حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول قال ابن عباس ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقال ان أكرمكم عند الله اتقاكم وقال الناس أكرمكم أعظمكم نسبا ونسيت الثالثة حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن في هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال كان الحسن يقول اذا أبات الرجل خادمه معه فهو اذنه وان لم يبته معه استأذن في هذه الساعات حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني موسى بن عائشة عن الشعبي في قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال لم تنسخ قلت ان الناس لا يعملون به قال الله المستعان قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن الشعبي وسألته عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قلت منسوخة هي قال لا والله ما نسخت قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله المستعان قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال ان ناسا يقولون نسخت ولكنها مما يتهاون الناس به قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الى آخر الآية قال لا يعمل بها اليوم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا حنظلة أنه سمع القاسم ابن محمد يسأل عن الاذن فقال يستأذن عند كل عورة ثم هو طواف يعني الرجل على أمه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا عبد العزيز بن أبي رواد قال أخبرني رجل من أهل الطائف عن غيلان بن شرحبيل عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يغلبنكم الاعراب على اسم صلاتكم قال الله ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم وانما العتمة عتمة الابل وقوله ثلاث عورات لكم اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ثلاث عورات لكم برفع الثلاث بمعنى الخبر عن هذه الاوقات التي ذكرت كأنه عندهم قيل هذه الاوقات الثلاثة التي أمرناكم بان لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا الا باذن ثلاث عورات لكم لانكم تضعون فيها ثيابكم وتخلون باهليكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ثلاث عورات بنصب الثلاث على الرد على الثلاث الاولى وكأن معنى الكلام عندهم ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ثلاث عورات لكم والصواب من القول في ذلك انهما قراءتان متقاربتا المعنى وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبايتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم يقول تعالى ذكره ليس عليكم معشر أرباب البيوت والمساكن ولا عليهم يعني ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار حرج ولا اثم بعدهن يعني بعد العورات الثلاث والهاء والنون في قوله بعدهن عائدتان على الثلاث من قوله ثلاث عورات لكم وانما يعني بذلك انه لا حرج ولا جناح على الناس ان يدخل عليهم مما ليكهم البالغون وصبيانهم الصغار بغير اذن بعد هذه الاوقات الثلاث اللاتي ذكرهن في قوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال

فيها كما في حق بني اسرائيل سلمنا لكن لم لا يجوز أن يراد به خلافة علي عليه السلام والجمع للتعظيم أو يراد هو وأولاده الاحد عشر بعده وقيل ان في قوله ومن كفر بعد ذلك اشارة الى الخلفاء المتغلبين بعد الراشدين يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا وأقيموا الصلاة معطوف على أطيعوا وليس ببدع ان يقع بين المعطوفين فاصلة وان طالت وكررت طاعة الرسول للتأكيد من قرأ لا يحسبن على الغيبة فمفعولاه معجزين في الارض أي لا يحسبن الكفرة أحدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوهم في مثل ذلك أو فاعله ضمير النبي أو المفعول الاول محذوف لانه هو الفاعل بعينه أي لا يحسبن الكفار أنفسهم معجزين والمراد بهم الذين أقسموا أو عام قوله ومأواهم قال جار الله هو معطوف على ما تقدم معنى كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله عز وجل ومأواهم النار وحين ذكر من دلائل التوحيد وأحوال المكلفين ما ذكر تنشيطا للاذهان وترغيبا فيما هو الغرض الاصلي من التكاليف وهو العرفان عاد الى ما انجر منه الكلام وهو الحكم العام في باب الاستئذان فذكره ههنا على وجه أخص فقال ليستأذنكم قال القاضي هذا الخطاب للرجال ظاهرا ولكنه من باب التغليب فيدخل فيه النساء وقال الامام فخر الدين الرازي يثبت للنساء بقياس جلي لانهن في باب حفظ العورة أشد حالا من الرجال وظاهر قوله الذين ملكت أيمانكم يشمل البالغين والصغار فالامر للبالغين على الحقيقة وللصغار على وجه البيان والتأديب كما يؤمرون بالصلاة لسبع أو هو تكليف لنا بما فيه من المصلحة لتناولهم بعد البلوغ كقولك للرجل ليخفك أهلك وولدك فظاهره الامر لهم وحقيقته الامر له بفعل ما يخافون عنده وعن ابن عباس ان المراد الصغار اهل وليس للكبار ان ينظر والى ما لكهم الا الى ما يجوز للحراث ينظر اليه ثم انه هل يشمل الاماء فعن ابن عمر ومجاهد لا وعن غيرهما نعم لان الانسان كما يكره اطلاع الذكور على أحواله فقد يكره أيضا اطلاع الاناث عليها عن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن

وانى لآمر جارتى ان تستأذن الى أراد ام أنه وكان ابن عباس ينام بين جاريتين ومن العلماء من قال هذا الامر للاستحباب ومنهم من قال للوجوب ومن هؤلاء من قال انه ناسخ لقوله لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الان ذلك يدل على ان الاستئذان واجب فى كل حال وهذا يدل على وجوبه فى الاوقات الثلاثة فقط ومنع لزوم النسخ بان الاولى فى (١١٣) المكلفين وهذه فى غير المكلفين قالوا الذين

أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ثم رخص لهم فى الدخول فيما بين ذلك بغير اذن يعنى فيما بين صلاة الغداة الى الظهر و بعد الظهر الى صلاة العشاء انه رخص لخادم الرجل والصبى ان يدخل عليه منزله بغير اذن قال وهو قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن فاما من بلغ الحلم فانه لايدخل على الرجل وأهله الا باذن على كل حال وقوله طوافون عليكم رفع الطوافون بمضمر وذلك هم يقول لهؤلاء المماليك والصبيان هم طوافون عليكم أيها الناس ويعنى بالطوافين انهم يدخلون و يخرجون على مواليهم وأقربائهم فى منازلهم غدوة وعشية بغير اذن يطوفون عليهم بعضكم على بعض فى غير الاوقات الثلاث التى أمرهم ان لايدخلوا على سادتهم وأقربائهم فيها الا باذن كذلك يبين الله لكم الآيات يقول جل ثناؤه كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان فى هذه الآية كذلك يبين الله لكم جميع أعلامه وأدلة شرائع دينه والله عليم حكيم يقول والله ذو علم بما يصلح عباده حكيم فى تدبيره اياهم وغير ذلك من أموره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره واذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم ويعنى بقوله منكم من أحراركم الحلم يعنى الاحتلام واحتلموا فليستأذنوا يقول فلا يدخلوا عليكم فى وقت من الاوقات الا باذن لافى أوقات العورات الثلاث ولافى غيرها وقوله كما استأذن الذين من قبلهم يقول كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الاحرار ورخص الله تعالى ذكره فى هذه الآية الاطفال بالذكر وتعريف حكمهم عباده فى الاستئذان دون ذكر ماملكت أيماننا وقد تقدمت الآية التى قبلها بتعريفهم حكم الاطفال الاحرار والمماليك لان حكم ماملكت أيماننا من ذلك حكم واحد سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم فى ان الاذن عليهم فى الساعات الثلاث التى ذكرها الله فى هذه الآية التى قبل و بنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال أما من بلغ الحلم فانه لايدخل على الرجل وأهله يعنى من الصبيان الاحرار الا باذن على كل حال وهو قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال عطاء واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا قال واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا اذا احتلموا على من كان من الناس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيب قال يستأذن الرجل على أمه قال انما أنزلت واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فى ذلك كذلك يبين الله لكم اياته يقول هكذا يبين الله لكم آياته أحكامه وشرائع دينه كما بين لكم أمر هؤلاء الاطفال فى الاستئذان بعد البلوغ والله عليم حكيم يقول والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الاشياء حكيم فى تدبيره خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم) يقول تعالى ذكره واللواتى قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء فلا يحضن ولا يلدن واحدتهن قاعد اللاتى لا يرجون نكاحا يقول اللاتى قد يئسن من البعولة فلا يطمعن فى الازواج فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن يقول فليس عليهن حرج ولا اثم ان يضعن ثيابهن يعنى جلابيبهن وهى القناع الذى يكون فوق الخمار والرداء الذى يكون فوق الثياب لاحرج عليهن ان

ملكت أيمانكم يشمل البالغين قلنا نعم فلا نسخ أيضا لان قوله غير بيوتكم لايشمل العبيد لان الاضافة توجب الاختصاص والملكية والعبد لايملك شيأ فلا يملك البيت أمر المماليك والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وهذا معنى قوله منكم ان يستأذنوا ثلاث مرات فى اليوم والليلة احداها قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع ووقت استبدال ثياب اليقظة بثياب النوم وثانيتها عند الظهيرة وهو نصف النهار عند اشتداد الحر وظهوره فحينئذ يضع الناس ثيابهم غالبا وثالثها بعد صلاة العشاء يعنى الآخرة لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثم بين حكمة الاستئذان فى هذه الاوقات فقال ثلاث عورات من قرأ ثلاث بالرفع فظاهر كما مر فى الوقوف ومن قرأ بالنصب فقد قال فى الكشاف انه بدل من ثلاث مرات أى أوقات ثلاث عورات قلت هذا بناء على ان قوله ثلاث مرات ظرف ويجوز ان يكون ثلاث مرات مصدرا بمعنى ثلاثة استئذانات و يكون ثلاث عورات تفسيرا و بيانا للاوقات الثلاثة لانها منصوبة تقديرا وأصل العورة الخلل ومنه الاعور والمختل العين واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب واعور المكان اذا خيف فيه القطع قال جارالله اذا رفعت ثلاث عورات فمحل هذه الجملة الرفع على الوصف أى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستئذان فى تلك الاحوال خاصة ثم بين وجه العذر بقوله طوافون عليكم وهم الذين يكثرون الدخول والخروج والتردد يعنى ان بكم وبهم حاجة الى المداخلة والمخالطة للاستخدام ونحوه وارتفع

بعضكم بالابتداء وخبره على بعض أو بالفاعلية أى بعضكم طائف أو يطوف بعضكم على بعض يدل على المحذوف طوافون وفى الآية
دلالة على وجوب اعتبار العلل فى الاحكام ما أمكن يروى ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت
الظهيرة الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا
وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه
الساعات الا باذن ثم انطلق معه
الى النبي صلى الله عليه وسلم
فوجده وقد أنزلت عليه هذه
الآية ثم بين حكم الاطفال الاحرار
بعد البلوغ وهو أن لا يكون لهم
الدخول الا باذن فى جميع الاوقات
ومعنى الذين من قبلهم الذين بلغوا
الحلم من قبلهم وهم الرجال الذين
ذكروا من قبلهم فى قوله يا أيها
الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا الآية
ومتى يحكم ببلوغ الطفل اتفقوا
على أنه اذا احتلم كان بالغا وأما اذا لم
يحتلم فعند عامة العلماء وعليه
الشافعى أنه اذا بلغ خمس عشرة
سنة فهو بالغ لما روى
ان ابن عمر عرض على النبى
صلى الله عليه وسلم يوم أحد فلم
يجزه وكان له أقل من خمس
عشرة سنة وعرض عليه يوم
الخندق وكان ابن خمس عشرة
سنة فاجازه وعن بعض السلف
ويروى عن على عليه السلام
أيضا انه كان يعتبر القامة ويقدر
بخمسة الاشبار وعليه يحمل قول
الفرزدق * ما زال مذ عقدت يداه ازاره
فسما فأدرك خمسة الاشبار
وانبات العانة غير معتبر الا فى حق
الاطفال الكفار وقدمر فى أول
سورة النساء وانما ختم هذه الآية
بقوله كذلك يبين الله لكم آياته
وقبلها وبعدها لكم الآيات
لانهما يشتملان على علامات يمكن
الوقوف عليها وهى فى الاولى الاوقات الثلاثة وفى الآخرة من بيوتكم أو بيوت آبائكم الى آخرها ومثلهما فى
قوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات يعنى حد الزانيين وحد القاذف وأما بلوغ الاطفال فلم يذكر لها
علامات يمكن الوقوف عليها بل تفرد سبحانه بعلم ذلك فخصها بالاضافة الى نفسه وانه عليم بمصالح العباد حكيم فى أوامره ونواهيه ثم بين حكم

يضعن ذلك عند المحارم من الرجال وغير المحارم من الغرباء غير متبرجات بزينة وبنحو الذى قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن
ابن عباس قوله والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا وهى المرأة لا جناح عليها ان تجلس فى
بيتها بدرع وخمار وتضع عنها الجلباب ما لم تتبرج لما يكره الله وهو قوله فليس عليهن جناح ان يضعن
ثيابهن غير متبرجات بزينة ثم قال وان يستعففن خير لهن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ
يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يضعن ثيابهن يعنى الجلباب وهو القناع وهذا
للكبيرة التى قد قعدت عن الولد فلا يضرها أن تجلبب فوق الخمار وأما كل امرأة مسلمة حرة فعليها اذا
بلغت المحيض ان تدنى الجلباب على الخمار وقال الله فى سورة الاحزاب يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك
أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان بالمدينة رجال من المنافقين اذا مرت بهم امرأة سيئة الهيئة والزى
حسب المنافقون انها مزنية وانها من بغيتهم فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ولا يعلمون الحرة من
الامة فانزل الله فى ذلك يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن
ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين يقول اذا كان زيهن حسنا لم يطمع فيهن المنافقون حدثنا القاسم
قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله والقواعد من النساء التى قعدن من
الولد وكبرت قال ابن جريج قال مجاهد اللاتى لا يرجون نكاحا قال لا يردنه فليس عليهن جناح أن
يضعن ثيابهن قال جلابيبهن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والقواعد
من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال وضع
الخمار قال التى لا ترجو نكاحا التى قد بلغت أن لا يكون لها فى الرجال حاجة ولا للرجال فيها حاجة
فاذا بلغن ذلك وضعن الخمار غير متبرجات بزينة ثم قال وان يستعففن خير لهن كان أبى يقول هذا
كله حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن
عن أبى وائل عن عبد الله فى قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الجلباب أو الرداء شك
سفيان قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن
ابن زيد عن عبد الله ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الرداء حدثنى يحيى بن ابراهيم
المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن
زيد قال قال عبد الله فى هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال هى الملحفة حدثنا
محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت أبا وائل قال سمعت عبد
الله يقول فى هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الجلباب حدثنا يحيى بن سعيد
عن شعبة قال أخبرنى الحكم عن أبى وائل عن عبد الله مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد
الرزاق عن الثورى عن الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود فى قوله
أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال هو الرداء قال الحسن قال عبد الرزاق قال الثورى وأخبرنى
أبو حصين وسالم الافطس عن سعيد بن جبير قال هو الرداء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن
مغيرة عن الشعبى أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال تضع الجلباب المرأة التى قد عجزت
ولم تزوج قال قال الشعبى قال أبى بن كعب يقرأ أن يضعن ثيابهن حدثنى يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا ابن علية قال قلت لابن أبى نجيح قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات
بزينة

النساء اللواتي خرجن عن حد الفتنة والتهمة فقال والقواعد وهي جمع قاعد بغير هاء كالحائض والطالق وقد زعم صاحب الكشاف أنها جمع قاعدة بالهاء وفيه نظر لأنه من أوصاف النساء الخاصة بهن سميت بذلك لقعودها عن الحيض والولد لكبرها ولذلك أكد بقوله اللاتي لا يرجون نكاحا أي لا يطمعن فيه لعدم من يرغب فيهن وليست من القعود بمعنى الجلوس حتى يحتاج الى الفرق بين المذكر والمؤنث ولا شبهة انه لا يحل لهن وضع كل ثيابهن لما فيه من كشف كل عورة فلذلك قال المفسرون المراد بالثياب ههنا الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار وعن ابن عباس أنه قرأ أن يضعن جلابيبهن وعن السدي عن شيوخه يضعن خمرهن عن رؤسهن خصهن الله تعالى بذلك لان التهمة مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ فلو غلب على ظنهن خلاف ذلك لم يحل لهن وضع شيء من الثياب الظاهرة وانما أبيح وضع الثياب حال كونهن غير متبرجات بزينة أي غير مظهرات شيأ من الزين الخفية المذكورة في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها لا يغيب منه شيء واختص التبرج في الاستعمال بتكشف المرأة للرجال وحين ذكر الجائز عقبه بالمستحب تنبيها على اختيار الافضل في كل باب فقال وان يستعففن خير لهن وذلك انهن في الجملة مظنة شهوة وفتنة وان عرض عارض الكبر والذبول فلكل ساقطة لاقطة وسئل بعض الظرفاء المذكورين عن حكمة تستر النساء فقال لانهن محل فتنة وشهوة فقيل فعلى هذا كان ينبغي أن لا يحسن تكليف العجائز بالتستر فأجاب بأنه كان يلزم اذ ذاك مصيبتان احداهما عدم رؤية الحسان والثانية لزوم رؤية القباح ثم ختم السورة بسائر الصور التي يعتبر فيها الاذن فقال ليس على الاعمى حرج نفي الحرج عن الاصناف الثلاثة ذوي العاهات ثم قال ولا على أنفسكم ان تأكلوا فذهب ابن زيد الى ان المراد نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد ثم عطف على ذلك انه لا حرج عليكم ان تأكلوا من البيوت

زينة قال الجلباب قال أبو يونس قلت عن مجاهد قال نعم في الدار والحجرة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال جلابيبهن وقوله غير متبرجات بزينة يقول ليس عليهن جناح في وضع أرديتهن اذا لم يردن بوضع ذلك عنهن أن يبدين ما عليهن من الزينة للرجال والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره وان يستعففن خير لهن يقول وان تعففن عن وضع جلابيبهن وأرديتهن فيلبسنها خير لهن من أن يضعنها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان يستعففن خير لهن قال ان يلبسن جلابيبهن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي وان يستعففن خير لهن قال ترك ذلك يعني ترك وضع الثياب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان يستعففن خير لهن قال والاستعفاف لبس الخمار على رأسها كان أبي يقول هذا كله والله سميع ما تنطقون بألسنتكم عليم بما تضمره صدوركم فاتقوه ان تنطقوا بألسنتكم ما قد نهاكم عن أن تنطقوا بها أو تضمروا في صدوركم ما قد كرهه لكم فتستوجبوا بذلك منه عقوبة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في هذه الآية في المعنى الذي أنزلت فيه فقال بعضهم أنزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين في الاكل مع العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة من طعامهم من أجل انهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيأ مما نهاهم الله عنه بقوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ليس عليكم جناح ان تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو أشتاتا وذلك لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقال المسلمون ان الله قد نهانا ان نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام من أفضل الاموال فلا يحل لاحد منا ان يأكل عند أحد فكف الناس عن ذلك فأنزل الله بعد ذلك ليس على الاعمى حرج الى قوله أو ما ملكتم مفاتحه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ليس على الاعمى حرج الآية كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض فقال بعضهم انما كان بهم التقذر والتعزز وقال بعضهم المريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح والاعرج المحبس لا يستطيع المزاحمة على الطعام والاعمى لا يبصر طيب الطعام فأنزل الله ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والاعمى والاعرج فمعنى الكلام على تأويل هؤلاء ليس عليكم أيها الناس في الاعمى حرج أن تأكلوا منه ومعه ولا في الاعرج حرج ولا في المريض

حرج ولا فى أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم فوجهوا معنى على فى هذا الموضع الى معنى فى وقال
آخرون بل نزلت هذه الآية ترخيصا لاهل الزمانة فى الاكل من بيوت من سمى الله فى هذه الآية
لان قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن عندهم فى بيوتهم ما يطعمونهم
ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله فى هذه الآية فكان أهل الزمانة
يتخوفون من أن يطعموا ذلك الطعام لانه أطعمهم غير مالكه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن
عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن
ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا جناح عليكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم قال كان رجال زمنى
قال ابن عمرو فى حديثه عميان وعرجان وقال الحرث عمى عرج أولو حاجة يستتبعهم رجال الى بيوتهم
فان لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم ومن عدد معهم من البيوت فكره ذلك المستتبعون
فأنزل الله فى ذلك ليس عليكم جناح وأحل لهم الطعام حيث وجدوه حدثنا الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كان الرجل يذهب بالاعمى والمريض
والاعرج الى بيت أبيه أو الى بيت أخيه أو عمه أو خاله أو خالته فكان الزمنى يتحرجون من ذلك
يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فنزلت هذه الآية رخصة لهم حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث أبى عمرو وعن عاصم وقال آخرون
بل نزلت ترخيصا لاهل الزمانة الذين وصفهم الله فى هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من خلفهم فى
بيوته من الغزاة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال
قلت للزهرى فى قوله ليس على الاعمى حرج ما بال الاعمى ذكرهنا والاعرج والمريض فقال
أخبرنى عبيد الله بن عبد الله ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم
مفاتيح أبوابهم يقولون قد احللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا وكانوا يتحرجون من ذلك يقولون
لا ندخلها وهم غيب فأنزلت هذه الآية رخصة لهم وقال آخرون بل عنى بقوله ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج فى التخلف عن الجهاد فى سبيل الله قالوا وقوله ولا
على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم كلام منقطع عما قبله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج قال هذا فى الجهاد فى سبيل الله وفى قوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو
صديقكم قال هذا شئ قد انقطع انما كان هذا فى الاول لم يكن لهم أبواب وكانت الستور مرخاة
فربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد فربما وجد الطعام وهو جائع فسوغه الله ان يأكله قال
وقد ذهب ذلك اليوم البيوت اليوم فيها أهلها واذا خرجوا أغلقوها فقد ذهب ذلك وقال آخرون
بل نزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة فى مؤاكلتهم اذا شاؤا
ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن
مسلم عن مقسم فى قوله ليس على الاعمى حرج قال كانوا يتقون ان يأكلوا مع الاعمى والاعرج فنزلت
ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو أشتاتا واختلفوا أيضا فى معنى قوله أو ما ملكتم مفاتحه فقال
بعضهم عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه انه لا بأس عليه ان يأكل من ثمر ضيعته ونحو ذلك ذكر من قال
ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله أو ما ملكتم
مفاتحه

المذكورة ووجه صحة العطف التقاء الطائفتين فى ان كل واحدة منهما منفى عنهما الحرج قال جار الله مثال هذا ان يستفتيك مسافر عن
الافطار فى رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر
وقال آخرون كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوى الآفات الى بيوت أزواجهم وأولادهم والى بيوت قراباتهم وأصدقائهم
فيطعمونهم منها فخالج قلوب الكل ريبة خوفا من أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على هؤلاء الضعفاء ولا على أنفسكم يعنى عليكم وعلى من فى مثل حالكم من المؤمنين حرج فى ذلك قال قتادة كانت الانصار فى أنفسها قزازة وكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا والقزازة احترازمع القزازة وهى مدح والكزازة ذم وروى الزهرى عن سعيد بن المسيب وغيره ان المسلمين يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء فى بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون كما يحكى عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد فى ماله وبيته فلما رجع رآه مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندى شئ ولم يحل لى أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تأكلوا من هذه البيوت قال الاكثرون كان هؤلاء الضعفاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم فيقول الاعمى انى لا أرى شيأ فربما آخذ الاجود وأترك الردىء والاعرج يفسح فى مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة أو غيرها من أسباب الكراهة وأيضا كان المؤمنون يقولون الاعمى
لا يبصر الطعام الجيد ولا يأكله والاعرج لا يتمكن من الجلوس فلا يقدر على الاكل مما ينبغى والمريض
لا يتأتى له ان يأكل كما يأكل الاصحاء فقيل ليس على هؤلاء ولا عليكم فى المؤاكلة حرج ثم انه تعالى عدد من مواضع الاكل احد عشر موضعا
الاول قوله من بيوتكم وفيه سؤال وهو انه أى فائدة فى اباحة أكل الانسان طعامه من بيته والجواب أراد من بيوت أزواجكم وعيالكم

مفاتحه هو الرجل يوكل بضيعته فرخص الله له ان يأكل من الطعام والتمر ويشرب اللبن وقال آخرون بل عني بذلك منزل الرجل نفسه انه لا بأس عليه أن يأكل ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو ما ملكتم مفاتحه يعني بيت أحدهم فانه يملكه والعبيد منهم مما ملكوا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله أو ما ملكتم مفاتحه مما تخبون يا ابن ادم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أو ما ملكتم مفاتحه قال خزائن لانفسهم ليست لغيرهم * وأشبه الاقوال التي ذكرنا في تأويل قوله ليس على الاعمى حرج الى قوله أو صديقكم القول الذي ذكرنا عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله وذلك ان أظهر معاني قوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج انه لا حرج على الذين سموا في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها على ما أباح لهم من الاكل منها فاذا كان ذلك أظهر معانيه فتوجيه معناه الى الاغلب الاعرف من معانيه أولى من توجيهه الى الانكر منها فاذا كان ذلك كذلك كان ما خالف من التأويل قول من قال معناه ليس في الاعمى والاعرج حرج أولى بالصواب وكذلك أيضا الاغلب من تأويل قوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم انه بمعنى ولا عليكم أيها الناس ثم جمع هؤلاء والزمنى الذين ذكرهم قبل في الخطاب فقال أن تأكلوا من بيوت أنفسكم وكذلك تفعل العرب اذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب غلبت المخاطب فقالت أنت وأخوك قمتما وأنت وزيد جلستما ولا تقول أنت وأخوك جلسا وكذلك قوله ولا على أنفسكم والخبر عن الاعمى والاعرج والمريض غلب المخاطب فقال أن تأكلوا ولم يقل أن يأكلوا فان قال قائل فهذا الاكل من بيوتهم قد علمناه كان لهم حلالا اذ كان ملكا لهم أو كان أيضا حلالا لهم الاكل من مال غيرهم قيل له ليس الامر في ذلك على ما توهمت ولكنه كما ذكرناه عن عبيد الله بن عبد الله انهم كانوا اذا غابوا في مغازيهم وتخلف أهل الزمانة منهم دفع الغازي مفتاح مسكنه الى المتخلف منهم فأطلق له في الاكل مما يخلف في منزله من الطعام فكان المتخلفون يتخوفون الاكل من ذلك وربه غائب فأعلمه الله انه لا حرج عليه في الاكل منه وأذن لهم في أكله فاذا كان ذلك كذلك تبين ان لا معنى لقول من قال انما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستتبع أكل طعام غير المستتبع لان ذلك لو كان كما قال من قال ذلك لقيل ليس عليكم حرج ان تأكلوا من طعام غير من اضافكم أو من طعام آباء من دعاكم ولم يقل ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم وكذلك لا وجه لقول من قال معنى ذلك ليس على الاعمى حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله لان قوله ان تأكلوا خبر ليس وان في موضع نصب على انها خبر لها فهي متعلقة بليس فمعلوم بذلك ان معنى الكلام ليس على الاعمى حرج ان يأكل من بيته لا ما قاله الذين ذكرنا من انه لا حرج عليه في التخلف عن الجهاد فاذ كان الامر في ذلك على ما وصفنا تبين ان معنى الكلام لا ضيق على الاعمى ولا على الاعرج ولا على المريض ولا عليكم أيها الناس ان تأكلوا من بيوت أنفسكم أو من بيوت آبائكم أو من بيوت أمهاتكم أو من بيوت اخوانكم أو من بيوت أخواتكم أو من بيوت أعمامكم أو من بيوت عماتكم أو من بيوت أخوالكم أو من بيوت خالاتكم أو من البيوت التي ملكتم مفاتحه أو من بيوت صديقكم اذا أذنوا لكم في ذلك عند مغيبهم ومشهدهم والمفاتح الخزائن واحدها مفتح اذا أريد به المصدر واذا كان من المفاتيح التي يفتح بها فهي مفتح ومفاتح وهي ههنا على التأويل الذي اخترناه جمع مفتح الذي

لان بيت المرأة بيت الزوج قاله الفراء وقال ابن قتيبة أراد بيوت أولادهم ولهذا لم يذكر الاولاد في جملة الاقارب وان الولد أقرب الاقربين لانه بعض الرجل وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه وباقي البيوت لا اشكال فيها الى البيت العاشر وهو قوله أو ما ملكتم مفاتحه وفيه وجوه أحدها قال ابن عباس وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه ان يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتيح كونها في يده وحفظه وثانيها قال الضحاك يريد الزمنى الذين يخلفون الغزاة وثالثها قيل أراد بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه الحادي عشر قوله أو صديقكم ومعناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا كالعدو وعن الحسن أنه دخل داره واذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الاطعمة وهم يكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبار الصحابة وعن جعفر الصادق بن محمد عليه السلام من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط بمنزلة النفس والاب والاخ والابن قال العلماء اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه في الاكل منه احتج أبو يوسف بالآية على انه لا قطع على من سرق من ذي رحم محرم وذلك انه تعالى أباح الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذن فلا يكون ماله محرزا منهم وأورد عليه انه لا يقطع اذا سرق من صديقه فأجاب بان السارق لا يكون صديقا للمسروق منه واعلم ان ظاهر الآية دل على ان اباحة الاكل من هذه المواضع لا يتوقف على الاستئذان فعن قتادة ان الاكل مباح ولكن لا يحمل وجمهور العلماء أنكروا ذلك فقيل كان ذلك مباحا في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه ومما يدل على هذا النسخ قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وقال أبو مسلم هذا في الاقارب الكفرة في هذه الآية ما حظره في قوله لا تجد قوما يؤمنون

بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وقيل ان هؤلاء القوم كانت تطيب أنفسهم بأكل من يدخل عليهم والعادة كالاذن فى ذلك فلا جرم خصهم الله بالذكر لان هذه العادة فى الاغلب توجد فيهم ولذلك ضم اليهم الصديق واذا علمنا ان الاباحة انما حصلت فى هذه الصورة لاجل حصول الرضا فلا حاجة الى القول بالنسخ (١١٨) وحين نفى الحرج عنهم فى نفس الاكل أراد أن ينفى الحرج عنهم فى كيفية الاكل فقال

ليس عليكم جناح ان تأكلوا وانتصب قوله جميعا أو أشتاتا على الحال أى مجتمعين أو متفرقين والاشتات جمع شت وهو نعت وقيل مصدر وصف به ثم أجمع أكثر المفسرين ومنهم ابن عباس على انها نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون عن الانفراد فى الطعام فربما قعد الرجل منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل وقال عكرمة وأبو صالح نزلت فى قوم من الانصار لا يأكلون الامع ضيفهم وقال الكلبى كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى طعاما على حدة وكذلك الزمن والمريض فبين الله لهم ان ذلك غير واجب وقال آخرون كانوا يأكلون فرادى خوفا من ان يحصل عند الجمعية ما ينفر أو يؤذى فرفع الله الحرج ثم علمهم أدبا جميلا قائلا فاذا دخلتم بيوتا أى من البيوت المذكورة لتأكلوا فسلموا على أنفسكم أى ابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وانتصب تحية بسلموا نحو قعدت جلوسا ومعنى من عند الله انها ثابتة من عنده مشروعة من لدنه أو أراد أن التحية طلب حياة للمخاطب من عند الله وكذا التسليم طلب السلامة له من عنده ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وتضعيف الثواب عن أنس قال كنت واقفا على رأس النبى صلى الله عليه وسلم أصب الماء على يديه فرفع رأسه قال فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بابى وأمى يا رسول الله قال متى لقيت من أمتى أحدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين قال العلماء ان لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا

يغم به وكان قتادة يتأول فى قوله أو صديقكم ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أو صديقكم فلو أكلت من بيت صديقك من غير أمره لم يكن بذلك بأس قال معمر قلت لقتادة أو لا أشرب من هذا الحب قال أنت لى صديق وأما قوله ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم كان الغنى من الناس يتخوف أن يأكل مع الفقير فرخص لهم فى الاكل معهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا قال كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصديقه فيدعوه الى طعامه ليأكل معه فيقول والله انى لاجنح أن آكل معك والجنح الحرج وأنا غنى وأنت فقير فامروا أن يأكلوا جميعا أو أشتاتا وقال آخرون بل عنى بذلك حى من أحياء العرب كانوا لا يأكل أحدهم وحده ولا يأكل الامع غيره فاذن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده ومن شاء منهم مع غيره ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال كانوا يأنفون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم فقال ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كانت بنو كنانة يستحى الرجل منهم أن يأكل وحده حتى نزلت هذه الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول كانوا لا يأكلون الا جميعا ولا يأكلون متفرقين وكان ذلك فيهم دينا فانزل الله ليس عليكم حرج فى مؤاكلة المريض والاعمى وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا قال كان من العرب من لا يأكل أبدا جميعا ومنهم من لا يأكل الا جميعا فقال الله ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال نزلت ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فى حى من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده كان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه قال وأحسب انه ذكر انهم من كنانة وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاؤا ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص عن عمران ابن سليمان عن أبى صالح وعكرمة قالا كانت الانصار اذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم فرخص لهم قال الله لا جناح عليكم أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعا معا اذا شاؤا أو أشتاتا متفرقين اذا أرادوا وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر انهم كانوا لا يطعمون وحدانا وبسبب غير ذلك ولا خبر بشئ من ذلك يقطع العذر ولا دلالة فى ظاهر التنزيل على حقيقة شئ منه والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل وقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معناه فاذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم فسلموا على أهليكم وعيالكم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى وقتادة فى قوله فسلموا على أنفسكم قالا بيتك اذا دخلته فقل سلام عليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم

قال سلم على أهلك قال ابن جريج وسئل عطاء بن أبي رباح أحق على الرجل اذا دخل على أهله ان يسلم عليهم قال نعم وقالها عمرو بن دينار وتلوا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة قال عطاء بن أبي رباح ذلك غير مرة قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير قال سمعت جابر بن عبد الله يقول اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته الا توجبه قال ابن جريج وأخبرني زياد عن ابن طاوس انه كان يقول اذا دخل أحدكم بيته فليسلم قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء اذا خرجت أواجب السلام هل أسلم عليهم فانما قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا قال ما أعلمه واجبا ولا أثر عن أحد وجوبه ولكن أحب الي وما أدعه الا ناسيا قال ابن جريج وقال عمرو بن دينار لا قال قلت لعطاء فان السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله قلت له قولك هذا اذا دخلت بيتا ليس فيه عمن تأثره قال سمعته ولم يؤثر لي عن أحد قال ابن جريج وأخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس قال السلام علينا من ربنا وقال عمرو بن دينار السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا أحمد بن عبد الرحيم قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال ثنا صدقة عن زهير عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته الا توجبه حدثنا محمد بن عباد الرازي قال ثنا حجاج بن محمد الاعور قال قال لي ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سمع جابر ابن عبد الله يقول فذكر مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا أبو عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم يقول سلموا على أهاليكم اذا دخلتم بيوتكم وعلى غير أهاليكم فسلموا اذا دخلتم بيوتهم وقال آخرون بل معناه فاذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال هي المساجد يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال حدثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم في قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت بيتك فقل السلام عليكم وقال آخرون بل معنى ذلك اذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم فليسلم بعضكم على بعض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله فسلموا على أنفسكم أي ليسلم بعضكم على بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخل المسلم سلم عليه كمثل قوله لا تقتلوا أنفسكم انما هو لا تقتل أخاك المسلم وقوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم قال يقتل بعضكم بعضا قريظة والنضير وقال آخرون معناه فاذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد فسلموا على أنفسكم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك قال اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين فقل مثل ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي سنان عن ماهان قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال تقول السلام علينا من ربنا حدثنا ابن

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن صور الاذن قوله سبحانه انما المؤمنون الآية والمقصود ان يبين عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على أمر جامع وهو الذي يجمع له الناس فلما كان الامر سبب الجمع وصف به مجازا قال مجاهد هو أمر الحرب ونحوه من الامور التي يعم ضرره ونفعه وقال الضحاك هو الجمعة والاعياد وكل شئ تكون فيه الخطبة وذلك انه لابد في الخطوب الجليلة من ذوي رأي وقوة يستعان بهم وبآرائهم وتجاربهم في كفايتها فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ويشعث عليه رأيه قال الجبائي في الآية دلالة على ان استئذانهم الرسول من ايمانهم ولولا ذلك لجاز ان يكونوا كاملي الايمان وان تركوا الاستئذان وأجيب بان ترك الاستئذان من أهل النفاق لا نزاع انه كفر لانهم تركوه استخفافا قال جار الله ومما يدل على عظم هذه الجناية انه جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه فيأذن لهم ثالث الايمان بالله والايمان برسوله ومع ذلك صدر الجملة بانما وأوقع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بمزيد توكيد وتشديد حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فجعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمان بالله والرسول وفيه تعريض بحال المنافقين وتسللهم لواذا وفي قوله لبعض شأنهم دليل على ان أمر الاستئذان مضيق لا يجوز ارتكابه في كل شأن وفي قوله فأذن لمن شئت منهم دلالة على انه تعالى فوض بعض أمر الدين الى اجتهاد الرسول برأيه وزعم قتادة انها منسوخة بقوله لم أذنت لهم وفي قوله واستغفر لهم الله وجهان أحدهما ان هذا الاستغفار لاجل انهم تركوا الاولى والافضل وهو أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه والآخر انه جبر لهم على تمسكهم باذن الله تعالى في الاستئذان ثم حثهم على طاعة رسوله بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول أي لا تقيسوا دعاءه اياكم لخطب جليل على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن الجمع بغير اذن الداعي وذلك ان أمره فرض لازم وأمر غيره ليس بفرض وانما هو

المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا شعبة عن منصور قال شعبة وسألته عن هذه الآية فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله قال قال ابراهيم اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن بكير بن الاشج عن نافع ان عبد الله كان اذا دخل بيتا ليس فيه أحد قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير قال ثنا منصور عن ابراهيم فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت بيتا فيه يهود فقل السلام عليكم وان لم يكن فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه فاذا دخلتم بيوتا ولم يخصص من ذلك بيتا دون بيت وقال فسلموا على أنفسكم يعني بعضكم على بعض فكان معلوما اذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض انه معني به جميعها مساجدها وغير مساجدها ومعنى قوله فسلموا على أنفسكم نظير قوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله تحية من عند الله ونصب تحية بمعنى تحيون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية فكأنه قال فليحي بعضكم بعضا من عند الله وقد كان بعض أهل العربية يقول انما نصبت بمعنى أمركم بها تفعلونه تحية منه ووصف جل ثناؤه هذه التحية بالمباركة الطيبة لما فيها من الاجر الجزيل والثواب العظيم وقوله كذلك يبين الله لكم الآيات يقول تعالى ذكره هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم فيبينها لكم كما فصل لكم في هذه الآية ما أحل لكم فيها وعرفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه لعلكم تعقلون يقول لكي تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره انما المؤمنون حق الايمان الذين صدقوا الله ورسوله واذا كانوا معه يقول واذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر جامع يقول على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت أو صلاة اجتمع لها أو تشاور في أمر نزل لم يذهبوا يقول لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الامر حتى يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه يقول اذا كان أمر طاعة لله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله واذا كانوا معه على أمر جامع قال أمر من طاعة الله عام حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال سأل مكحولا الشامي انسان وأنا أسمع ومكحول جالس مع عطاء عن قول الله في هذه الآية واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه فقال مكحول في يوم الجمعة وفي زحف وفي كل أمر جامع قد أمر ان لا يذهب أحد في يوم جمعة حتى يستأذن الامام وكذلك في كل جامع ألا ترى أنه يقول واذا كانوا معه على أمر جامع حدثني يعقوب قال ثني ابن علية قال أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن قال كان الرجل اذا كانت له حاجة والامام يخطب قام فأمسك بأنفه فأشار اليه الامام ان يخرج قال فكان رجل قد أراد الرجوع الى أهله فقام الى هرم بن حيان وهو يخطب فأخذ بأنفه فأشار اليه هرم ان يذهب فخرج الى أهله فأقام فيهم ثم قدم قال له هرم أين كنت

ذب مستحسن رعايته مع الائمة والمتقدمين هذا ما عليه الاكثرون منهم المبرد والقفال وعن سعيد بن جبير لا تنادوه باسمه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض وقيل أراد احذروا دعاء الرسول ربه عليكم اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره (١٢٠) والتسلل الانسلال والذهاب على سبيل التدرج واللواذ الملاوذة وهو أن يكون هذا بذاك وذاك بهذا وانتصابه على الحال والحاصل انهم يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة وهو استتار بعضهم ببعض وقيل كان يلوذ من لم يؤذن له بالذي أذن له فينطلق معه قال مقاتل هذا في الخطبة وقال مجاهد في صف القتال وقال ابن قتيبة نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن ومعنى قد يعلم يكثر العلم والمبالغة فيه كما مر في البقرة في قوله قد نرى تقلب وجهك يقال خالفته عن القتال أي جبنت عنه وأقدم هو وخالفته الى القتال أي أقدمت وجبن هو الفتنة المحنة في الدنيا كالقتل أو الزلازل وسائر الاهوال والعذاب الاليم هو عذاب النار وعن جعفر بن محمد عليه السلام الفتنة ان يسلط عليهم سلطان جائر وقال الاصوليون في الآية دلالة على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك المأمور به مخالف لذلك الامر فان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه والموافقة ضد المخالفة فاذا أخل بمقتضاه كان مخالفا والمخالف مستحق للعقاب بالآية ولا نعني بالوجوب الا هذا واعترض عليه بان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه على الوجه الذي يقتضيه الامر فان الامر لو اقتضاه على سبيل الندب وأنت تأتي على سبيل الوجوب كان ذلك مخالفة الامر ومنع من ان المندوب مأمور به فان هذا أول المسألة والظاهر ان الضمير في أمره للرسول ولو كان لله لم يضر لانه لافرق بين أمر الله وأمر رسوله قال وأمر الرسول متناول عند بعضهم القول والفعل والطريقة كما يقال أمر فلان مستقيم وعلى هذا فكل ما فعله الرسول فانه يكون واجبا علينا ثم بين كمال قدرته وعلمه بقوله ألا ان لله الخ تأكيدا لوجوب الحذر قال جار الله الخطاب والغيبة في قوله ما أنتم عليه ويوم يرجعون كلاهما

قال في أهلي قال أبا اذن ذهبت قال نعم تمت اليك وأنت تخطب فاحدث بأنفي فاشرت الى أن اذهب فذهبت فقال أفاتخذت هذا رغلا او كلمة نحوها ثم قال اللهم أخر رجال السوء الى زمان السوء حدثني الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله واذا كانوا معه على أمر جامع قال هو الجمعة اذا كانوا معه لم يذهبوا حتى يستأذنوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه قال الامر الجامع حين يكونون معه في جماعة الحرب أو جمعة قال والجمعة من الامر الجامع لا ينبغي لاحد ان يخرج اذا قعد الامام على المنبر يوم الجمعة الا باذن سلطان اذا كان حيث يراه أو يقدر عليه ولا يخرج الا باذن واذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه ولا يصل اليه فالله أولى بالعذر وقوله ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله يقول تعالى ذكره ان الذين لا ينصرفون يا محمد اذا كانوا معك في أمر جامع عنك الا باذنك لهم طاعة منهم لله ولك وتصديقا بما أتيتهم به من عندي أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقا لامن يخالف أمر الله وأمر رسوله فينصرف عنك بغير اذن منك له بعد تقدمك اليه ان لا ينصرف عنك الا باذنك وقوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم يقول تعالى ذكره فاذا استأذنك يا محمد الذين لا يذهبون عنك الا باذنك في هذه المواطن لبعض شأنهم يعني لبعض حاجاتهم التي تعرض لهم فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضائها واستغفر لهم يقول وادع الله لهم بان يتفضل عليهم بالعفو عن تبعات ما بينه وبينهم ان الله غفور لذنوب عباده التائبين رحيم بهم ان يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره لاصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا أيها المؤمنون دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا واختلف أهل التأويل في معنى ذلك قال بعضهم نهى الله بهذه الآية المؤمنين ان يتعرضوا لدعاء الرسول عليهم وقال لهم اتقوا دعاءه عليكم بأن تفعلوا ما يسخطه فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس فان دعاءه موجبة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا دعوة الرسول عليكم موجبة فاحذروها وقال آخرون بل ذلك نهي من الله ان يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء وأمر لهم ان يدعوه بلين وتواضع ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم ان يدعوا يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد في تجهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم ان يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم ان يفخموه ويشرفوه * وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي التأويل الذي قاله ابن عباس وذلك ان الذي قبل قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا نهي من الله المؤمنين ان يأتوا من الانصراف عنه في الامر الذي يجمع جميعهم

المنافقين على طريقة الالتفات اذ الاول عام والثاني لاهل النفاق وأقول يحتمل أن يكون كلاهما عاما للمنافقين والفاء في قوله فيثبتهم لتلازم ماقبلها وما بعدها كقوله وربك فكبر التأويل ومن يطع الله ورسوله فيما يدعونه الى الحضرة بترك ماسوى الله ويخشى الانقطاع عن الله ويتق به عما سواه فأولئك هم الفائزون بالوصول والوصال وصالا

بلا انفصال وزوال لئن أمرتهم بالخروج عن غير الله طاعة معروفة بالفعل دون القول ليستخلفنهم ليخرجن ما في استعدادهم من خلافة الله في أرض البشرية من القوة الى الفعل وليمكنن كل صنف حمل الامانة المودعة فيه على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم فمنهم حفاظ لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم وللقرآن ومنهم علماء الاصول ومنهم علماء الفروع ومنهم أهل المعرفة وأصحاب الحقائق وأرباب السلوك الكاملون المكملون وانهم خلفاء الله على الحقيقة وأقطاب العالم وأوتاد الارض وليبدلنهم من بعد خوفهم من الشرك الخفي أمنا يعبدونني بالاخلاص لا يشركون بي شيأ من مطالب الدنيا والآخرة ليستأذنكم المريدين الذين هم تحت تصرفكم والذين لم يبلغوا أوان الشيخوخة ثلاث مرات في المبادي وفي أوساط السلوك وفي نهاية أمرهم فاذا صلحت أحوالهم في هذه الاوقات صلح سائرها في الاغلب والله المستعان والقواعد فيه اشارة الى أن المريد اذا صار بحيث أمن منه افشاء الاسرار وما استودع فيه من متولدات الاحوال فلا ضير عليه أن لا يبالغ في التستر والاخفاء من الاغيار والكتمان خير له ليس على الاعمى حرج قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية رضي الله عنه فيه اشارة الى أن من لا يبصر الا بالله ولا يمشي الا بالله ولا يعلم الا بالله فانهم مخصوصون بالتكوين بكينونة الله كما قال كنت له سمعا الحديث فانهم مستعدون لقبول الفيض الالهي وهم السابقون المقربون فلا حرج في الشرع على من يكون مستعدا لهذا الكمال فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وفي قوله ولا على أنفسكم الخ اشارة الى أنه لا حرج على أرباب النفوس على أن يكون مأكلهم من بيوتهم أو بيوت أبناء جنسهم وهي

مايكرهه والذى بعده وعيد للمنصرفين عنه بغير اذنه فالذى بينهما بان يكون تحذيرا لهم سخطه ان يضطره الى الدعاء عليهم أشبه من أن يكون أمرا لهم بما لم يجر له ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا يقول تعالى ذكره انكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير اذنه تسترا وخفية منه وان خفى أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يعلم ذلك ولا يخفى عليه فليتق من يفعل ذلك منكم الذين يخالفون أمر الله فى الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا باذنه أن تصيبهم فتنة من الله أو يصيبهم عذاب أليم فيطبع على قلوبهم فيكفروا بالله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن جويبر عن الضحاك فى قول الله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال كانوا يستتر بعضهم ببعض فيقومون فقال فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة قال يطبع على قلبه فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال خلافا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللواذ يلوذ عنه ويروغ ويذهب بغير اذن النبى صلى الله عليه وسلم فليحذر الذين يخالفون عن أمره الذين يصنعون هذا أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم الفتنة ههنا الكفر واللواذ مصدر لاوذت بفلان ملاوذة ولواذا ولذلك ظهرت الواو ولو كان مصدر اللذت لقيل لياذا كما يقال قمت قياما واذا قيل قاومتك قيل قواما طويلا واللواذ هو ان يلوذ القوم بعضهم ببعض يستتر هذا بهذا وهذا بهذا كما قال الضحاك وقوله أو يصيبهم عذاب أليم يقول أو يصيبهم فى عاجل الدنيا عذاب من الله موجع على صنيعهم ذلك وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره وأدخلت عن لان معنى الكلام فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويدبرون عنه معرضين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ألا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم) يقول تعالى ذكره ألا ان لله ملك جميع السموات والارض يقول فلا ينبغى لمملوك أن يخالف أمر مالكه فيعصيه فيستوجب بذلك عقوبته يقول فكذلك أنتم أيها الناس لا يصلح لكم خلاف ربكم الذى هو مالككم فأطيعوه وائتمروا لامره ولا تنصرفوا عن رسوله اذا كنتم معه على أمر جامع الا باذنه وقوله قد يعلم ما أنتم عليه من طاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك كما حدثنى أيضا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قد يعلم ما أنتم عليه صنيعكم هذا أيضا ويوم يرجعون اليه يقول ويوم يرجع الى الله الذين يخالفون عن أمره فينبئهم يقول فيخبرهم حينئذ بما عملوا فى الدنيا ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها من خلافهم على ربهم والله بكل شئ عليم يقول والله ذو علم بكل شئ عملتموه أنتم وهم وغيركم وغير ذلك من الامور لا يخفى عليه شئ بل هو محيط بذلك كله وهو موف كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون اليه آخر تفسير سورة النور

(تفسير سورة الفرقان)

*(بسم

الجنان ومراتبها كما قال فيها ما تشتهى الانفس وفى قوله أو ما ملكتم مفاتحه اشارة الى ان درجات الجنة مساكن أهل المكاسب كما ان مقامات أهل القرب عند مليك مقتدر منازل أهل المواهب قوله أو صديقكم فيه ان درج الجنان ينالها المرء ببركة جليسه الصالح وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق فينال به مرتبة لم يكن يصل اليها بمجرد أعماله ليس عليكم جناح فيه انه لا حرج على أهل الجنة ان تكونوا متآكلهم من درجة واحدة أو من درجات شتى فاذا دخلتم بيوتا أى بلغتم منزلا من المنازل فسلموا أى استسلموا لاحكام الربوبية بمزيد العبودية حتى ترتقوا منها الى منازل أعلى وأطيب انما المؤمنون فيه ان المريد الصادق ينبغى أن لا يتنفس الا باذن شيخه فان الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته ان تصيبهم فتنة من المال أو الجاه أو قبول الخلق أو التزويج أو السفر باذن الشيخ أو التردد على أبواب الملوك ونحو ذلك وما العصمة الا من واهبها وهو المستعان

*(سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بطائف الم تر الى ربك حروفها ٣٧٣٣ كلمها ١٨٧٢ آياتها ٧٧) *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤ ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) قال أبو جعفر تبارك تفاعل من البركة كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال تبارك تفاعل من البركة وهو كقول القائل تقدس ربنا فقوله تبارك الذي نزل الفرقان يقول تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل فصلا بعد فصل وسورة بعد سورة على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون محمد لجميع الجن والانس الذين بعثه الله إليهم داعيا اليه نذيرا يعني منذرا ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه ان لم يوحدوه ولم يخلصوا له العبادة ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والاوثان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قال النبي النذير وقرأ وان من أمة إلا خلا فيها نذير وقرأ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون قال رسل قال المنذرون الرسل قال وكان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب ذو القرنين ثم بلغ السدين وكان نذيرا ولم أسمع أحدا يحق انه كان نبيا وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ قال من بلغه القرآن من الخلق فرسول الله نذيره وقرأ يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقال لم يرسل الله رسولا الى الناس عامة الا نوحا بدأ به فكان رسول أهل الارض كلهم ومحمد صلى الله عليه وسلم ختم به القول في تأويل قوله تعالى (الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا) يقول تعالى ذكره تبارك الذي نزل الفرقان الذي له ملك السموات والارض فالذي الثانية من نعت الذي الاولى وهما جميعا في موضع رفع الاولى بقوله تبارك والثانية نعت لها ويعني بقوله الذي له ملك السموات والارض الذي له سلطان السموات والارض ينفذ في جميعها أمره وقضاؤه ويمضي في كلها أحكامه يقول فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ومن في سلطانه ولا يعصوه يقول فلا تعصوا نذيري اليكم أيها الناس واتبعوه واعملوا بما جاءكم به من الحق ولم يتخذ ولدا يقول تكذيبا لمن أضاف اليه الولد وقال الملائكة بنات الله ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولدا فمن أضاف اليه ولدا فقد كذب وافترى على ربه ولم يكن له شريك في الملك يقول تكذيبا لمن كان يضيف الالوهة الى الاصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب ويقول في تلبيته لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك كذب قائلو هذا القول ما كان لله من شريك في ملكه وسلطانه فيصلح أن يعبد من دونه يقول تعالى ذكره فافردوا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه صلى الله عليه وسلم الالوهة وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة والاصنام والملائكة والجن والانس فان كل ذلك خلقه وفي ملكه فلا تصلح العبادة الا لله الذي هو مالك جميع ذلك وقوله وخلق كل شئ يقول تعالى ذكره وخلق الذي نزل على محمد الفرقان كل شئ فالاشياء كلها خلقه وملكه وعلى المماليك طاعة مالكهم وخدمة سيدهم دون غيره يقول وأنا خالقكم ومالككم فأخلصوا الي العبادة دون غيري وقوله فقدره تقديرا يقول فسوى كل ما خلق وهيأه لما يصلح له فلا خلل فيه ولا تفاوت القول في تأويل قوله تعالى (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا

ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا)* القراآت جنة نأكل بالنون حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء التحتانية ويجعل لك بالرفع ابن عامر وأبو بكر وحماد والمفضل وابن كثير الباقون بالجزم وذلك ان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم يحشرهم فيقول كلاهما بالياء ابن كثير ويزيد وسهل ويعقوب وعباس وحفص وقرأ ابن عامر بالنون فيهما الباقون بالنون في الاول وبالياء في الثاني ان نتخذ على البناء للمفعول يزيد بما تقولون بتاء الخطاب عباس وحفص والسرنديبي عن قنبل تستطيعون على الخطاب حفص غير الخراز *الوقوف نذيرا ه لا بناء على ان ما بعده بدل من الذي نزل والتعليل من تمام الصلة ولو قدر رفعه أو نصبه على المدح جاز الوقف تقديرا ه ولا نشورا ه آخرون ج لاجل الفاء مع اختلاف القائل أولا احتمال أن يكون فقد جاء من قول الكفار أي جاء محمد ومن أعانه بظلم وزور وزورا ه للاحتمال المذكور أو لعطف المتفقتين مع عوارض وطول الكلام وأصيلا ه والارض ط رحيما ه الاسواق ط نذيرا ه منها ط مسحورا ه سبيلا ه الانهار ط لمن جعل رفع يجعل على الاستئناف قصورا ه سعيرا ه لاحتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا وزفيرا ه ثبورا الاول ه ط كثيرا ه المتقون ط لانتهاء الاستفهام ومصيرا ه خالدين ط مسؤلا ه السبيل ه الذكر ج لجواز أن يكون المراد

نشورا) يقول تعالى ذكره مقرعا مشركي العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة ومعجبا أولي النهى منهم ومنبههم على موضع خطأ فعلهم وذهابهم عن منهج الحق وركوبهم من سبل الضلالة ما لا يركبه الا كل مدخول الرأي مسلوب العقل واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذي له ملك السموات والارض وحده من غير شريك الذي خلق كل شيء فقدره آلهة يعني أصناما بأيديهم يعبدونها لا تخلق شيأ وهي تخلق ولا تملك لانفسها نفعا تجره اليها ولا ضرا تدفعه عنها ممن أرادها بضر ولا تملك اماتة حي ولا احياء ميت ولا نشره من بعد مماته وتركوا عبادة خالق كل شيء وخالق آلهتهم ومالك الضر والنفع والذي بيده الموت والحياة والنشور والنشور مصدر نشر الميت نشورا وهو ان يبعث ويحيا بعد الموت ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا) يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بالله الذين اتخذوا من دونه آلهة ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد الا افك يعني الا كذب وبهتان افتراه اختلقه وتخرصه بقوله وأعانه عليه قوم آخرون ذكر انهم كانوا يقولون انما يعلم محمدا هذا الذي يجيئنا به اليهود فذلك قوله وأعانه عليه قوم آخرون يقول وأعان محمدا على هذا الافك الذي افتراه يهود ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وأعانه عليه قوم آخرون قال يهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فقد جاؤا ظلما وزورا يقول تعالى ذكره فقد أتى قائلو هذه المقالة يعني الذين قالوا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ظلما يعني بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله الى أنه افك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم وقد بينا فيما مضى ان معنى الظلم وضع الشيء في غير موضعه فكان ظلم قائلي هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا وصفهم اياه بغير صفته والزور أصله تحسين الباطل فتأويل الكلام فقد أتى هؤلاء القوم في قيلهم ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون كذبا محضا ونحو الذي قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وحدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد جاؤا ظلما وزورا قال كذبا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما) ذكر ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث وانه المعني بقوله وقالوا أساطير الاولين ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة تعلم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رستم واسفنديار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسا فذكر بالله وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله خلفه في مجلسه اذا قام ثم يقول أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ثم يقول ما محمد أحسن

حدثنا

وقد كانوا لجواز أن يراد وصاروا فيتصل بقوله بورا ○ يقولون ○ الا ابن كثير قرأ تستطيعون بتاء الخطاب نصيرا ج ○ الشرط مع العطف كبيرا ○ في الاسواق ط فتنة ط تصبرون ج لاحتمال كون الواو للحال بصيرا ○ * التفسير انه سبحانه تكلم في هذه السورة أولا في التوحيد لانه أقدم وأهم ثم في النبوة لانها الواسطة ثم في المعاد وسيختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين فما أشرف

هذه المطالب وما أحسن هذا الترتيب ومعنى تبارك كثر خيره وزاد أو تعالى عن أوصاف الممكنات وقد مر في قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين وفي وصفه نفسه بتنزيل الفرقان الفارق بين الحق والباطل أو المفرق في الانزال بعد قوله تبارك دليل على ان كل البركة والخير انما هو في القرآن وكانت هذه الصفة معلومة بدلائل الاعجاز فلذلك صح ايقاعها صلة للذي والضمير في ليكون لعبده أو للفرقان كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والعالمون يشمل الخلائق كلهم الا ان الاجماع دل على خروج الملائكة وما وعد الثقلين فبقي أن يكون مبعوثا الى الجن والانس الى آخر مدة التكليف والنذير المنذر أو الانذار كالنكير قالت المعتزلة لو لم يرد الايمان من الكل لم يكن الرسول نذيرا للكل وعورض بنحو قوله ولقد ذرأنا لجهنم والانذار الموجب للخوف لا ينافي وصفه تعالى بالبركة والخير لان النظر على السعادات الاخروية التي تحصل بالانذار لا على فوات بعض اللذات العاجلة ثم وصف ذاته بصفاته الاربع أولها الذي له ملك السموات والارض وفيه تنبيه على افتقار الكل اليه في الوجود وفي توابعه من البقاء وغيره الثانية ولم يتخذ ولدا وفيه رد على النصارى واليهود الثالثة ولم يكن له شريك في الملك وفيه رد على سائر المشركين من الثنوية والوثنية وارباب الشرك الخفي أيضا ولكنه صرح بهذا الاخير في الصفة الرابعة وهي قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا قال جار الله المعنى انه أحدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية والتهيئة لما يصلح له أو المراد بالخلق الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق وهو ما فيه من معنى التقدير لئلا يلزم التكرار فكأنه قيل أوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا أو

أحدثه فقدره للبقاء الى أمد معلوم وعندى ان الكلام محمول على القلب الذى يشجع عليه أمن الالباس أى قدره فى الازل تقديرا فخلقه فى وقته موافقا لذلك التقدير والبحث فيه بين المعتزلة والاشاعرة كما مر فى قوله الله خالق كل شئ ثم صرح بتزييف مذاهب عبدة الاوثان قائلا واتخذوا الآية وحاصله أن اله العالم يجب أن يكون أقدر الاشياء وأشرفها لا أعجزها وأخسها وهو الجماد بل الملائكة والمسيح لانه لا قدرة لهم على الايجاد والتصرف فى شئ الا باذن الله فتكون الآية ردا على الكل وانما قال فى هذه السورة من دونه لتقدم الذكر مفردا وفى مريم ويس من دون الله لان ما قبلهما بلفظ الجمع تعظيما فلم يكن بد من التصريح وحين فرغ من بيان التوحيد ونفى الانداد شرع فى شبهات منكرى النبوة والاجوبة عنها فالشبهة الاولى قولهم ان هذا الا افك افتراه أرادوا أنه كذب فى نفسه أو أرادوا أنه كذب فى اضافته الى الله تعالى وقوله وأعانه عليه قوم آخرون نظيره قوله تعالى انما يعلمه بشر لسان الذى وقد مر ما قيل فى سبب نزوله فى النحل فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله فقد جاؤا ظلما وزورا أى أتوهما فانتصب بوقوع المجىء عليه وعن الزجاج أنه انتصب بنزع الخافض أى أتوا بالظلم والزور فالظلم هو انهم نسبوا هذا الفعل الشنيع وهو الافتراء على الله الى من هو عندهم فى غاية الامانة والصدق والزور هو انحرافهم عن جادة العدل والانصاف فلو أنصفوا من أنفسهم لعلموا ان العربى لا يتلقن من العجمى كلاما عربيا أعجز بفصاحته دهماءهم ولو استعان محمد فى ذلك بغيره لامكنهم أيضا ان يستعينوا بغيرهم قال أبو مسلم الظلم تكذيبهم الرسول والزور كذبهم عليه الشبهة الثانية قولهم انه أساطير الاولين أى أحاديث سطرها المتقدمون كأخبار الاعاجم اكتتبها لنفسه كقولك استكب الماء أى سكبه لنفسه وأخذه وقد يظن ان فى الكلام قلبا لانه يقال أمليت عليه فهو يكتبها وأجيب بان المعنى أرادوا كتابتها فهى تقرأ عليه أو كتبت له وهو أمى فهى تملى أى تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب قال الضحاك ما يملى عليه بكرة يقرأ عليكم عشية وما يملى عليه عشية

حدثنا منى قال فأنزل الله تبارك وتعالى فى النضر ثمانى آيات من القرآن قوله واذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وكل ما ذكر فيه الاساطير فى القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس نحوه الا انه جعل قوله فأنزل الله فى النضر ثمانى آيات عن ابن اسحق عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أساطير الاولين أشعارهم وكهانتهم وقالها النضر بن الحرث فتأويل الكلام وقال هؤلاء المشركون بالله الذين قالوا لهذا القرآن ان هذا الا افك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم هذا الذى جاءنا به محمد أساطير الاولين يعنون أحاديثهم التى كانوا يسطرونها فى كتبهم اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود فهى تملى عليه يعنون بقوله فهى تملى عليه فهذه الاساطير تقرأ عليه من قولهم أمليت عليك الكتاب وأمللت بكرة وأصيلا يقول وتملى عليه غدوة وعشيا وقوله قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بآيات الله من مشركى قومك ما الامر كما تقولون من ان هذا القرآن أساطير الاولين وان محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه وأعانه عليه قوم آخرون بل هو الحق أنزله الرب الذى يعلم سر من فى السموات ومن فى الارض ولا يخفى عليه شئ ومحصى ذلك على خلقه ومجازيهم بما عزمت عليه قلوبهم واضمروه فى نفوسهم انه كان غفورا رحيما يقول انه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم فيتفضل عليهم بعفوه يقول فلأن ذلك من عادته فى خلقه يمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الافك والفاعلون ما فعلتم من الافك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض قال ما يسر أهل الارض وأهل السماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) ذكر ان هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة وعرضوا عليه أشياء وسألوه الآيات فكان فيما كلموه به حينئذ فيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس ان قالوا له فان لم تفعل لنا هذا يعنى ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم واحياء آبائهم والمجىء بالله والملائكة قبيلا وما ذكره الله فى سورة بنى اسرائيل فخذ لنفسك سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فيجعل لك قصورا وجنانا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفاعل فأنزل الله فى قولهم أن خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لها أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا أو يبعث معه ملكا يصدقه بما يقول ويرد عنه من خاصمه وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا فتأويل الكلام وقال المشركون مال هذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الذى يزعم أن الله بعثه الينا يأكل الطعام كما نأكل ويمشى فى أسواقنا كما نمشى لولا أنزل اليه يقول

هلا أنزل اليه ملك ان كان صادقا من السماء فيكون معه نذيرا للناس مصدقا له على مايقول أو يلقى اليه كنز من فضة أو ذهب فلا يحتاج معه الى التصرف فى طلب المعاش أو تكون له جنة يقول أو يكون له بستان يأكل منها واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة و بعض الكوفيين يأكل بالياء بمعنى يأكل منها الرسول وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين نأكل منها بالنون بمعنى نأكل من الجنة * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه بالياء وذلك للخبر الذى ذكرنا قبل بان مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه لا لهم فاذ كانت مسألتهم اياه ذلك كذلك فغير جائز أن يقولوا له سل لنفسك ذلك لنأكل نحن و بعد فان فى قوله تعالى ذكره تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار دليلا بينا على انهم انما قالوا له اطلب ذلك لنفسك لتأكل أنت منه لا نحن وقوله وقال الظالمون يقول وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله ان تتبعون أيها القوم باتباعكم محمدا الا رجلا به سحر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الاشباه بقولهم لك هو مسحور فضلوا بذلك عن قصد السبيل واخطؤا طريق الهدى والرشاد فلا يستطيعون يقول فلا يجدون سبيلا الى الحق الا فيما بعثتك به ومن الوجه الذى ضلوا عنه و بنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أى التمسوا الهدى فى غير ما بعثتك به اليهم فضلوا فلن يستطيعوا ان يصيبوا الهدى فى غيره وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلا يستطيعون سبيلا قال مخرجا يخرجهم من الامثال التى ضربوا لك وقوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار يقول تعالى ذكره وتقدس الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك واختلف أهل التأويل فى المعنى بذلك الشئ فى قوله جعل لك خيرا من ذلك فقال بعضهم معنى ذلك خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد هلا أوتيته وأنت لله رسول ثم بين تعالى ذكره عن ذلك الذى لو شاء جعل له من خير مما قالوا فقال جنات تجرى من تحتها الانهار ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك خيرا مما قالوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك قال مما قالوا وتمنوا لك فيجعل لك مكان ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار وقال آخرون عنى بذلك المشى فى الاسواق والتماس المعاش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن أبى محمد فيما يرى الطبرى عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال ثم قال تبارك الذى ان شاء جعل لك من أن تمشى فى الاسواق وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس جنات تجرى من تحتها الانهار

يقرأ عليكم بكرة وقال جار الله بكرة وأصيلا أى دائما أو فى الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم فاجاب عن هذه الشبهة بقوله قل أنزله الذى يعلم السر الآية والمعنى ان العالم بكل سر هو الذى يقدر على الاتيان بمثل هذا الكتاب لفصاحة مبانيه و بلاغة معانيه و براءته من التناقض والاختلاف واشتماله على الغيوب وعلى مصالح العباد فى المعاش والمعاد قال أبو مسلم أراد انه يعلم كل سر خفى ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد والنفاق فهو يجازيكم عليه ولاجل هذا الوعيد ختم الآية بذكر المغفرة والرحمة فانه لا يوصف بهما الا القادر على العقوبة وقيل هو تنبيه على انهم استحقوا بمكابرتهم العذاب العاجل ولكنه صرفه عنهم برحمته وغفرانه الشبهة الثالثة قولهم على سبيل الاستهانة وتصغير الشأن مال هذا الزاعم انه رسول أى ما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد فى الاسواق لطلب المعاش كما نتردد زعموا أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن هذا المقام فطلبوا أن يكون انسانا معه ملك يعضده و يساعده فى باب الانذار ثم نزلوا فاقترحوا أن يكون مستظهرا بكنز يلقى اليه من السماء حتى لا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فقالوا الا أقل من أن يكون كواحد من الدهاقين له بستان ينتفع هو أو ننتفع نحن بذلك على اختلاف القراءتين وانتصب فيكون لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام ومحل أنزل الرفع كما يقول لولا ينزل ولهذا عطف عليه يلقى و يكون مرفوعين وقال الظالمون من وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش النضر بن الحرث وأمثاله والمسحور المغلوب على عقله والامثال الاقوال النادرة الانهار
والاقتراحات الغريبة المذكورة فبقوا متحيرين لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق ولا يجدون طريقا اليه وقدمر مثل هذه الآية فى أواسط سورة بنى اسرائيل وحين حكى شبههم ومطاعنهم مدح نفسه بما يجمعهم ويخصمهم وهو قوله تبارك أى تكاثر خيرا الذى ان شاء

الانهار و يجعـل لك قصورا قال أبو جعفر والقول الذى ذكرناه عن مجاهد فى ذلك أشبه بتأويل الآية لان المشركين انما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها وان لا يلقى اليه كنز واستنكروا ان يمشى فى الاسواق وهو لله رسول فالذى هو أولى بوعد الله اياه هو خير مما كان عند المشركين عظيما مما كان منكرا عندهم وعنى بقوله جنات تجرى من تحتها الانهار بساتين تجرى فى أصول أشجارها الانهار كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جنات تجرى من تحتها الانهار قال حوائط وقوله ويجعـل لك قصورا يعنى بالقصور البيوت المبنية وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويجعل لك قصورا قال بيوتا مبنية مشيدة كان ذلك فى الدنيا قال كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصرا كائنا ما كان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويجعل لك قصورا مشيدة فى الدنيا كل هذا قالته قريش وكانت قريش ترى البيت من حجارة ما كان صغيرا قصرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ان شئت أن نعطيك خزائن الارض ومفاتيحها مالم يعط نبى قبلك ولا يعطى من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى فقال اجمعوها لى فى الآخرة فانزل الله فى ذلك تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعـل لك قصورا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) يقول تعالى ذكره ما كذب هؤلاء المشركون بالله وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحق من أجل انك تأكل الطعام وتمشى فى الاسواق ولكن من أجل انهم لا يوقنون بالمعاد ولا يصدقون بالثواب والعقاب تكذيبا منهم بالقيامة وبعث الله الاموات احياء لحشر القيامة وأعتدنا يقول وأعددنا لمن كذب ببعث الله الاموات احياء بعد فنائهم لقيام الساعة نارا تسعر عليهم وتتقد اذا رأتهم من مكان بعيد يقول اذا رأت هذه النار التى أعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد تغيظت عليهم وذلك ان تغلى وتفور يقال فلان تغيظ على فلان وذلك اذا غضب عليه فغلى صدره من الغضب عليه وتبين فى كلامه وزفيرا وهو صوتها فان قال قائل وكيف قيل سمعوا لها تغيظا والتغيظ لا يسمع قيل معنى ذلك سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد حدثنى محمود بن خداش قال ثنا محمد بن يزيد الواسطى قال ثنا أصبغ بن زيد الوراق عن خالد بن كثير عن فديك عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقول على مالم أقل فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا قالوا يا رسول الله وهل لها من عين قال ألم تسمعوا الى قول الله اذا رأتهم من مكان بعيد الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا قال أخبرنى منصور ابن المعتمر عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبى الا خر ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم ليجثو على ركبتيه فيقول يا رب لا أملك الا نفسى حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال ان الرجل ليجر الى النار فتنزوى وينقبض بعضها الى بعض فيقول لها الرحمن مالك فتقول انه ليستجير منى

وهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا ثم فسر ذلك الخير بقوله جنات عن ابن عباس خيرا من ذلك أى مما عيروك بفقده الجنة الواحدة وعنه فى رواية عكرمة خيرا من المشى فى الاسواق لابتغاء المعاش وفى قوله ان شاء دليل على انه لا حق لاحد من العباد عليه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وان حصول الخيرات معلق بمحض مشيئته وعنايته وقيل ان بمعنى اذا أى قد جعلنا لك فى الآخرة وبنينا لك قصورا والقصر المسكن الرفيع فيحتمل أن يكون لكل جنة قصر وأن تكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل لك فى الآخرة جنات وفى الدنيا قصورا عن طاوس عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبرائيل عنده قال جبرائيل هذا ملك قد نزل من السماء استاذن ربه فى زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم وقال ان الله يخيرك بين ان يعطيك مفاتيح كل شئ ولم يعطها أحدا قبلك ولا يعطيها أحدا بعدك من غير ان ينقصك مما ادخر لك شيأ فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها لى فى الآخرة فنزلت هذه الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم عرض على جبرائيل عليه السلام بطحاء مكة ذهبا فقلت بل شبعة وثلاث جوعات وفى رواية أشبع يوما وأجوع ثلاثا فاحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت قوله بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة فلهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها اذ لا يرجون ثوابا ولا عقابا ويجوز أن يراد ليس ما تعلقوا به شبهة علمية فى نفس المسألة بل انما حملهم على ذلك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها واعتدنا جعلناها عدة ومعدة لهم وقد يستدل به على ان النار مخلوقة ويحتمل ان يقال هو كقوله ونادى وسيق قالت الاشاعرة البنية ليست شرطا فى الحياة وثوابعها فاجر واقوله اذا رأتهم على ظاهره وقالوا لا امتناع فى كون النار حية رائية مغتاظة على الكفار والمعتزلة أولوا فقالوا معنى رأتهم ظهرت لهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر فى البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر وقال

الجبال ذكر النار وأراد خزنتها والمراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم قيل التغيظ عبارة عن
شدة الغضب وذلك لا يكون مسموعا فكيف قال الله سبحانه سمعوا لها تغيظا وأجيب بان المراد سماع ما يدل على الغيظ وهو الصوت أي سمعوا
لها صوتا يشبه صوت المتغيظ قاله الزجاج وقال (١٢٨) قطرب علوا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر متقلدا سيفا ورمحا يروى
ان جهنم تزفر زفرة لا يبقى أحد
الا رعدت فرائصه حتى ان ابراهيم
صلى الله عليه وسلم يجثو على
ركبتيه يقول نفسي نفسي وحين
وصف حال الكفار اذا كانوا بالبعد
من جهنم وصف حالهم عندما يلقون
فيها عن ابن عباس انه يضيق عليهم
المكان كما يضيق الزج في الرمح وسئل
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال
والذي نفسي بيده انهم يستكرهون
في النار كما يستكره الوتد في الحائط
قال الكلبي الاسفلون يرفعهم
اللهب والاعلون يخفضهم الداخلون
فيزدحمون في تلك الابواب الضيقة
وقال العارف بالله الكرب مع الضيق
كما ان الروح مع السعة ولذلك
وصف الله الجنة بان عرضها السموات
والارض وجاء في الاحاديث ان
لكل مؤمن من القصور والجنان
كذا وكذا وقال الصوفية المكان
الضيق قلب الكافر في صدره كقوله
يجعل صدره ضيقا حرجا ثم ان أهل
جهنم مع ما هم فيه يكونون
مقرنين في السلاسل والاصفاد وقد
مر في آخر سورة ابراهيم والثبور
الهلاك ودعاؤه النداء واثبوراه
أي يقال يا ثبور فهذا أوانك وههنا
اضمار أي يقال لهم لا تدعوا
اليوم ثبورا واحدا ذهم أحقاء
بان يقال لهم ذلك وان لم يكن ثمة
قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا
انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه
واحدا انما هو ثبور كثير اما لان
العذاب أنواع وألوان كل نوع

فيقول ارسلوا عبدي وان الرجل ليجر الى النار فيقول يا رب ما كان هذا الظن بك فيقول فما كان
ظنك فيقول ان تسعني رحمتك قال فيقول ارسلوا عبدي وان الرجل ليجر الى النار فتشهق اليه النار
شهوق البغلة الى الشعير وتزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا
ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا)
يقول تعالى ذكره واذا ألقي هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكانا ضيقا قد قرنت أيديهم الى
أعناقهم في الاغلال دعوا هنالك ثبورا واختلف أهل التأويل في معنى الثبور فقال بعضهم هو
الويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن
عباس في قوله وادعوا ثبورا كثيرا يقول ويلا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي
قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا يقول لا تدعوا اليوم ويلا
واحدا وادعوا ويلا كثيرا وقال آخرون الثبور الهلاك ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال
سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا
الثبور الهلاك * قال أبو جعفر والثبور في كلام العرب أصله انصراف الرجل عن الشئ يقال منه
ما ثبرك عن هذا الامر أي ما صرفك عنه وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم
عن طاعة الله في الدنيا والايمان بما جاءهم به نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة منه
كما يقول القائل واندامتاه واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله وكان بعض أهل المعرفة بكلام
العرب من أهل البصرة يقول في قوله دعوا هنالك ثبورا أي هلكة ويقول هو مصدر من ثبر الرجل
أي أهلك ويستشهد لقيله في ذلك ببيت ابن الزبعرى

اذ أجاري الشيطان في سنن الغي * ومن مال ميله مثبور

وقوله لا تدعوا اليوم أيها المشركون ندما واحدا أي مرة واحدة ولكن ادعوا ذلك كثيرا وانما
قيل لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا لان الثبور مصدر والمصادر لا تجمع وانما توصف بامتدادها وقتها
وكثرتها كما يقال قعد قعودا طويلا وأكل أكلا كثيرا حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا حجاج
قال ثنا حماد قال ثنا علي بن زيد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول
من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول
يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم
فيقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل
أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على
ربك وعدا مسؤلا) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة أهذه النار التي وصف
لكم ربكم صفتها وصفة أهلها خير أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبيد الذي وعد من اتقاه في
الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه وقوله كانت لهم جزاء ومصيرا يقول كانت جنة الخلد للمتقين جزاء
أعمالهم لله في الدنيا بطاعته وثواب تقواهم اياه ومصيرا لهم يقول ومصيرا للمتقين يصيرون اليها في
الآخرة وقوله لهم فيها ما يشاؤن يقول لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وعدهموها الله ما يشاؤن
مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين خالدين فيها يقول لابثين فيها ماكثين أبدا لا يزولون عنها ولا يزول
عنهم نعيمها وقوله كان على ربك وعدا مسؤلا وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا

منها ثبور لشدته وفظاعته أو لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم أو لانهم يجعلون بسبب
ذلك القول خفة فان المعذب اذا صاح وبكى وجد بسببه راحة قال الكلبي نزل هذا كله في أبي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات
ثم وبخهم بقوله قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون أي وعدها فحذف الرابط للعلم به وليس هذا الاستفهام كقول القائل السكر

آتنا

آتنا ما وعدتنا على رسلك يقول الله تبارك وتعالى كان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التي وصف صفتها في الآخرة وعدا وعدهم الله على طاعتهم إياه في الدنيا ومسئلتهم إياه ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس كان على ربك وعدا مسؤلا قال فسألوا الذي وعدهم وتنجزوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كان على ربك وعدا مسؤلا قال سألوه إياها فى الدنيا طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم إذ سألوه أن يعطيهم فأعطاهم فكان ذلك وعدا مسؤلا كما وقت أرزاق العباد فى الأرض قبل أن يخلقهم فجعلها أقواتا للسائلين وقت ذلك على مسئلتهم وقرأ وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله وعدا مسؤلا إلى أنه معنى به وعدا واجبا وذلك أن المسؤل واجب وإن لم يسأل كالدين ويقول ذلك نظير قول العرب لأعطينك ألفا وعدا مسؤلا بمعنى واجب لك فتسأله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة العابدين الأوثان وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء قال عيسى وعزير والملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه أبو جعفر القارئ وعبد الله بن كثير ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول بالياء جميعا بمعنى ويوم يحشرهم ربك ويحشر ما يعبدون من دونه فيقول وقرأته عامة قراء الكوفيين نحشرهم بالنون فنقول وكذلك قرأه نافع وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال إنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء يقول فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء يقول أنتم أزللتموهم عن طريق الهدى ودعوتموهم إلى الغى والضلالة حتى تاهوا وهلكوا أم هم ضلوا السبيل يقول أم عبادى هم الذين ضلوا سبيل الرشد والحق وسلكوا العطب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا) يقول تعالى ذكره قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى تنزيها لك يا ربنا وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء المشركون ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم أنت ولينا من دونهم ولكن متعتهم بالمال يا ربنا فى الدنيا والصحة حتى نسوا الذكر وكانوا قوما هلكى قد غلب عليهم الشقاء والخذلان وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا يقول قوم قد ذهبت أعمالهم وهم فى الدنيا ولم تكن لهم أعمال صالحة حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وكانوا قوما بورا يقول هلكى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وكانوا قوما بورا

أحلى أم الصبر ولكن الغرض منه التقريع كما إذا أعطى السيد عبده مالا فتمرد وأبى واستكبر فضربه ضربا وجيعا ويقول على سبيل التوبيخ هذا أطيب أم ذاك والإضافة فى جنة الخلد للتوضيح والتأكيد لا للتمييز فإن الجنة معلوم أن نعيمها لا ينقطع قالت الأشاعرة فى قوله وعد دلالة على أن الجنة إنما تستحق بحسب الوعد والفضل لا لأجل العمل وقالت المعتزلة فى قوله المتقون إشارة إلى أن الجنة لا تنال إلا بالتقوى ولذلك أكد بقوله على سبيل التخصيص بسبب تقديم الجار كانت لهم جزاء ومصيرا أجابت الأشاعرة بأن كونه جزاء ثبت فى الأزل ولا عمل هنالك قالت المعتزلة لا غفران لأصحاب الكبيرة لأن الجنة جاءت جزاء المتقين خاصة فلا يعطى حقهم غيرهم أجابت الأشاعرة بأنه لم لا يجوز أن يرضى المتقون بإدخال الله أهل العفو الجنة قال الجبائى إن الله ذكر المصير مع ذكر الجزاء مدحا للثواب ومكانه كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا وفى قوله لهم فيها ما يشاؤن دلالة على أن حصول المرادات بأسرها لا تكون إلا فى الجنة وأما فى الدنيا فالراحات فيها مخلوطة بالجراحات والضمير فى كان لما يشاؤن واستدلت المعتزلة بقوله على ربك أن ذلك واجب على الله حتى إنه لو لم يفعل استحق الذم وأجيب بأنه واجب بحكم الوعد لقوله وعدا مسؤلا كان المكلفين سألوا بلسان الحال من حيث تحملوا المشقة الشديدة فى طاعته أو سألوه حقيقة بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو سألته الملائكة فى قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم أو من حقه أن يسأل ويطالب لأنه حق واجب بحكم الاستحقاق أو بحسب الوعد على المؤمنين قوله ويوم نحشرهم رجوع إلى قوله واتخذوا من دونه آلهة وظاهر قوله وما يعبدون أنها الأصنام وظاهر قوله أأنتم أضللتم أنه من عبد من العقلاء كالملائكة والمسيح فلأجل هذا اختلفوا فحمله قوم ومنهم الكلبى على الأوثان ثم قالوا لا يبعد أن يخلق الله تعالى فيها الحياة والنور والنطق أو أرادا أنهم تكلموا بلسان الحال وقال الأكثرون إنه عام للأصنام والمعبودين من العقلاء نظيره قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء

يقول هلكى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وكانوا قوما بورا قال هم الذين لا خير فيهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكانوا قوما بورا قال يقول ليس من الخير فى شئ البور الذى ليس فيه من الخير شئ واختلفت القراء فى قراءة قوله ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من أولياء فقرأ ذلك عامة قراء الامصار نتخذ بفتح النون سوى الحسن و يزيد بن القعقاع فانهما قرآه ان نتخذ بضم النون فذهب الذين فتحوها الى المعنى الذى بيناه فى تأويله من ان الملائكة وعيسى ومن عبد من دون الله من المؤمنين هم الذين تبرؤا ان يكون كان لهم ولى غير الله تعالى ذكره وأما الذين قرؤا ذلك بضم النون فانهم وجهوا معنى الكلام الى ان المعبودين فى الدنيا انما تبرؤا الى الله ان يكون كان لهم ان يعبدوا من دون الله جل ثناؤه كما أخبر الله عن عيسى انه قال اذ قيل أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم قال أبو جعفر وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون لعلل ثلاث احداهن اجماع الحجة من القراء عليها والثانية ان الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة فى سورة سبأ فقال ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم فاخبر عن الملائكة انهم اذا سئلوا عن عبادة من عبدهم تبرؤا الى الله من ولايتهم فقالوا لربهم أنت ولينا من دونهم فذلك يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من أولياء والثالثة أن العرب لا تدخل من هذه التى تدخل فى الجحد الا فى الاسماء ولا تدخلها فى الاخبار لا يقولون ما رأيت أخاك من رجل وانما يقولون ما رأيت من أحد وما عندى من رجل وقد دخلت ههنا فى الاولياء وهى فى موضع الخبر ولو لم تكن فيها من كان وجها حسنا واما البور فمصدر واحد وجمع للبائر يقال أصبحت منازلهم بورا أى خالية لا شئ فيها ومنه قولهم بارت السوق وبار الطعام اذا خلا من الطلاب والمشترى فلم يكن له طالب فصار كالشئ الهالك ومنه قول ابن الزبعرى

يارسول المليك ان لسانى * راتق ما فتقت اذ أنا بور

وقد قيل ان بور مصدر كالعدل والزور والقطع لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وانما أريد بالبور فى هذا الموضع ان أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة لانها لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس ﵄ القول فى تأويل قوله تعالى (فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا) يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبرى من كانوا يعبدونه فى الدنيا من دون الله منهم قد كذبوكم أيها الكافرون من زعمتم انهم أضلوكم ودعوكم الى عبادتهم بما تقولون يعنى بقولكم يقول كذبوكم بكذبكم وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فقد كذبوكم بما تقولون يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعزيرا والملائكة يكذبون للمشركين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد كذبوكم بما تقولون قال عيسى وعزير والملائكة يكذبون المشركين بقولهم وكان ابن زيد يقول فى تأويل ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الانبياء والمؤمنون آمنوا به وكذب هؤلاء فوجه ابن زيد تأويل قوله فقد كذبوكم الى فقد كذبوكم أيها المؤمنون

ايا كم كانوا يعبدون ثم قالوا ان لفظة ما قد تستعمل فى العقلاء أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم كما اذا أردت السؤال عن صفة زيد فتقول ما زيد تريد أطويل أم قصير والسائل الله وحده أو الملائكة باذنه وانما قال أنتم وهم ولم يقل أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل لان السؤال وقع عمن تولى فعل الاضلال لا عن نفس الاضلال وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب ان يجيب المعبودون بما أجابوا به حتى يحصل لعبدتهم الالزام والتوبيخ كما قال لعيسى أأنت قلت للناس وكان القياس أن يقال ضلوا عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه فى هداه الطريق والاصل هداه الى الطريق أو للطريق قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الاضلال الذى هو مختص بابليس وحزبه وانطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيهه عن الانداد وأن يكون له ملك أو نبى أو غيرهما ندا أو قصدوا تنزيهه من أن يكون مقصوده من هذا السؤال استفادة علم أو ايذاء من كان بريئا من الجرم بل انما سألهم تقريعا للكفار وتوبيخا لهم من قرأ أن نتخذ بفتح النون فظاهر وهو متعد الى واحد والاصل أن نتخذ أولياء من دونك فزيدت من لتأكيد معنى النفى ومن قرأ بضم النون فهو متعد الى اثنين الاول ضمير نحن والثانى من أولياء ولا تكون من زائدة لانها لا تزاد فى المفعول الثانى يقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولى فمن للتبعيض أى لا نتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والمعنى انا لا نصلح لذلك فكيف ندعوهم الى عبادتنا وفى تفسير الآية على القراءة الاولى وجوه الاول ان المعنى اذا كنا لا نرى أن نتخذ من دونك وليا فكيف ندعو غيرنا الى ذلك الثانى ما كان يصح لنا أن نكون أمثال الشياطين فى توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة عن أبى مسلم الثالث تقدير مضاف محذوف أى ما كان لنا أن نتخذ من دون رضاك من أولياء أى لما علمنا انك لا ترضى بهذا

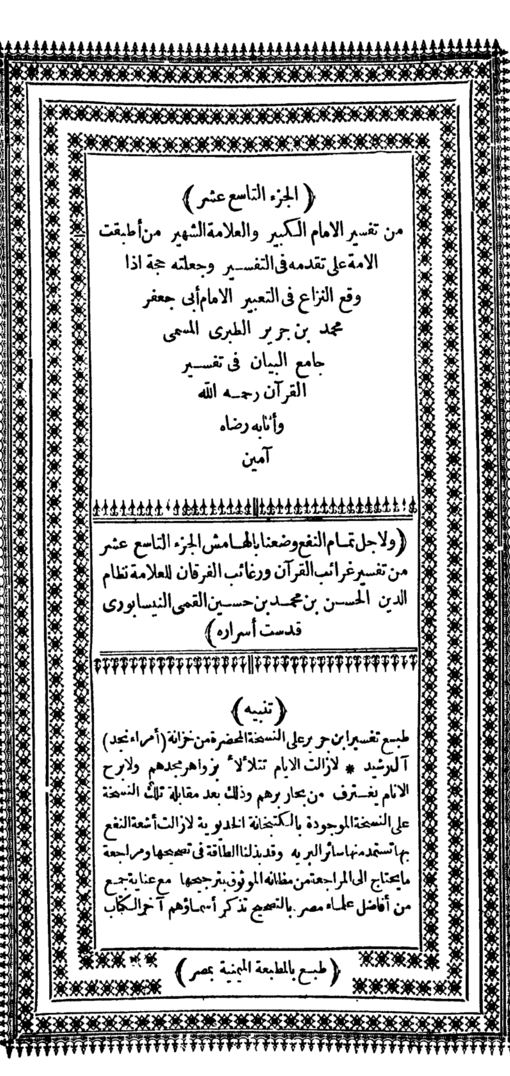
المكذبون بما جاءهم به محمد من عند الله بما تقولون من الحق وهو ان يكون خبرا عن الذين كذبوا الكافرين فى زعمهم انهم دعوهم الى الضلالة وأمروهم بها على ما قاله مجاهد من القول الذى ذكرناه عنه أشبه وأولى لانه فى سياق الخبر عنهم والقراءة فى ذلك عندنا فقد كذبوكم بما تقولون بالتاء على التأويل الذى ذكرناه لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وقد حكى عن بعضهم انه قرأه فقد كذبوكم بما يقولون بالياء بمعنى فقد كذبوكم بقولهم وقوله جل ثناؤه فما تستطيعون صرفا ولا نصرا يقول فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال المشركون لا يستطيعونه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال المشركون قال ابن جريج لا يستطيعون صرف العذاب عنهم ولا نصر أنفسهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذى نزل بهم حين كذبوا ولا أن ينتصروا قال وينادى مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق ما لكم لا تناصرون قال من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده وقال العابدون من دون الله لا ينصره اليوم الهه الذى يعبد من دون الله فقال الله تبارك وتعالى بل هم اليوم مستسلمون وقرأ قول الله جل ثناؤه فان كان لكم كيد فكيدون وروى عن ابن مسعود فى ذلك ما **حدثنا** به أحمد ابن يونس قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال هى فى حرف عبد الله بن مسعود فما يستطيعون لك صرفا فان تكن هذه الرواية عنه صحيحة صح التأويل الذى تأوله ابن زيد فى قوله فقد كذبوكم بما تقولون ويصير قوله فقد كذبوكم خبرا عن المشركين انهم كذبوا المؤمنين ويكون تأويل قوله حينئذ فما يستطيعون صرفا ولا نصرا فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن الحق الذى هداك الله له ولا نصر أنفسهم مما بهم من البلاء الذى هم فيه بتكذيبهم اياك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ومن يظلم منكم أيها المؤمنون يعنى بقوله ومن يظلم ومن يشرك بالله فيظلم نفسه فذلك نذقه عذابا كبيرا كالذى ذكرنا انا نذيقه الذين كذبوا بالساعة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله ومن يظلم منكم قال يشرك نذقه عذابا كبيرا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله ومن يظلم منكم قال هو الشرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا) وهذا الاحتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركى قومه الذين قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق من أكلك الطعام ومشيك فى الاسواق وأنت لله رسول فقد علموا انا ما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق كالذى تأكل أنت وتمشى فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة فان قال قائل فان من ليست فى التلاوة فكيف قلت معنى الكلام الا من انهم ليأكلون الطعام قيل قلنا فى ذلك معناه ان الهاء والميم فى قوله انهم كناية أسماء لم تذكر ولا بد لها من أن تعود على من كنى عنه بها وانما ترك ذكر من

ما فعلنا أو قالت الملائكة انا وهم عبيد ولا ينبغى لعبيدك أن يدعوا من دون اذنك وليا الرابع قالت الاصنام لا يسع منا أن نكون من العابدين فكيف يمكننا الادعاء انا من المعبودين وفى الآية دلالة على انه لا تجوز الولاية والعداوة الا باذن الله والولاية المبنية على ميل النفس وشهوة الطبع مذمومة شرعا والذكر ذكر الله والايمان به أو القرآن والشرائع أو ما فيه حسن ذكرهم فى الدنيا والآخرة قالت المعتزلة فى قوله ولكن متعتهم الخ دليل بين على ان الله عز وجل لا يضل عباده على الحقيقة والا كان جواب العبيد أن يقولوا بل انت أضللتهم لا أن يقولوا بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وعلى آبائهم بفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التى حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر فالحاصل انهم ضلوا بانفسهم لا باضلالنا وقالت الاشاعرة بل فيه دلالة على ان الله تعالى هو المضل حقيقة كانهم قالوا الهنا أنت الذى أعطيتهم جميع مطالبهم فى الدنيا حتى استغرقوا فى بحر الشهوات وأعرضوا عن التوجه الى طاعتك والاشتغال بخدمتك فان هى الا فتنتك أما قوله وكانوا قوما بورا فالاكثرون على ان البور جمع بائر من البوار الهلاك كعائذ وعوذ وحائل وحول وحكى الاخفش انه اسم جمع يقال رجل بور رأى فاسد هالك لا خير فيه وامرأة بور وقوم بور كما يقال أنت بشر وأنتم بشر قالت المعتزلة صاروا الى الهلاك بسبب اختيارهم الضلال وقالت الاشاعرة أراد انهم كانوا فى اللوح المحفوظ من جملة الهالكين ولو قيل انه فعل بالكافر ما صار معه بحيث لا يمكنه ترك الكفر صح القول بالقدر أيضا قوله فقد كذبوكم التفات لاجل الالزام والفاء فيه تدل على شرط مقدر كأنه قال ان زعمتم انهم آلهتكم فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة أو بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا على اختلاف قراءتى الخطاب والغيبة قال جار الله الباء فى الاول كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من كاف الخطاب كأنه قيل فقد كذبوكم بما يقولون وفى الثانى كقولك كتبت بالقلم فما تستطيعون أنتم يا كفار أو فما تستطيع آلهتكم على القراءتين بصرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة لانها تصرف العاصى عن فعله وقيل الحيلة من قولهم انه

والاظهار فى الكلام اكتفاء بدلالة قوله من المرسلين عليه كما اكتفى فى قوله وما منا الا له مقام معلوم من اظهار من ولا شك أن معنى ذلك وما منا الا من له مقام معلوم كما قيل وان منكم الا واردها ومعناه وان منكم الا من هو واردها فقوله انهم ليأكلون الطعام صلة لمن المتروك كما يقال فى الكلام ما أرسلت اليك من الناس الا من انه ليبلغك الرسالة فانه ليبلغك الرسالة صلة لمن وقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة يقول تعالى ذكره وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض جعلنا هذا نبيا وخصصناه بالرسالة وهذا ملكا وخصصناه بالدنيا وهذا فقيرا وحرمناه الدنيا لنختبر الفقير بصبره على ما حرم مما أعطيه الغنى والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة وكيف رضى كل انسان منهم بما أعطى وقسم له وطاعته ربه مع ما حرم مما أعطى غيره يقول فمن اجل ذلك لم أعط محمدا الدنيا وجعلته يطلب المعاش فى الاسواق ولأبتليكم أيها الناس وأختبر طاعتكم ربكم واجابتكم رسوله الى ما دعاكم اليه بغير عرض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم اياه لانى لو أعطيته الدنيا لسارع كثير منكم الى اتباعه طمعا فى دنياه أن ينال منها وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال ثنى عبد القدوس عن الحسن فى قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الآية يقول هذا الاعمى لو شاء الله لجعلنى بصيرا مثل فلان ويقول هذا الفقير لو شاء الله لجعلنى غنيا مثل فلان ويقول هذا السقيم لو شاء الله لجعلنى صحيحا مثل فلان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون قال يمسك عن هذا ويوسع على هذا فيقول لم يعطنى مثل ما أعطى فلانا ويبتلى بالوجع كذلك فيقول لم يجعلنى ربى صحيحا مثل فلان فى أشباه ذلك من البلاء ليعلم من يصبر ممن يجزع **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد فيما يروى الطبرى عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس قال وأنزل عليه فى ذلك من قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق الآية وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون أى جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفون لفعلت ولكنى قد أردت أن أبتلى العباد بكم وأبتليكم بهم وقوله وكان ربك بصيرا يقول وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتحن به من المحن كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وكان ربك بصيرا ان ربك لبصير بمن يجزع أو يصبر

(تم الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير الطبرى ويليه الجزء التاسع عشر أوله القول فى تأويل قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون)

ليتصرف أى يحتال ثم ذكر وعيد كل ظالم بقوله ومن يظلم الآية فاستدلت المعتزلة به على وعيد الفاسق وخلوده وذلك أن الفسق ظلم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون والانصاف انه لا دلالة فى الآية على مطلوبهم لان من ليست من صيغ العموم عند بعضهم ولئن سلم فلعل المراد الاكثر أو أقوام باعيانهم لقوله منكم ولئن سلم فلعله مشروط بعدم العفو كما انه مشروط عند المعتزلة بعدم التوبة ولو سلم الجميع فاذاقة العذاب لا تدل على الخلود ثم بين بقوله وما أرسلنا الآية انه لا وجه لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام لان هذه عادة مستمرة من الله فى كل رسله قال الزجاج الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف لان فى قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره وما منا الا له مقام معلوم أى وما منا أحد وقال الفراء المحذوف هو الموصول والتقدير الا انهم من وقال ابن الانبارى المحذوف هو الواو (١٣٢) بعد لا فتكون الجملة حالا كقوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة قال الكلبى والفراء والزجاج ان هذا فى رؤساء المشركين كأبى جهل وغيره وفى فقراء الصحابة كأنه اذا رأى الشريف الوضيع وقد أسلم قبله أنف ان يسلم فاقام على كفره لئلا يكون للوضيع السابقة والفضل عليه دليله قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه وعن ابن عباس والحسن انه فى أصحاب البلاء والعافية يقول أحدهم لم لم أجعل مثله فى الخلق والخلق والعلم والعقل والرزق والاجل وغير ذلك يؤيده ما روى عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان وويل للشديد من الضعيف وللضعيف من الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرأ هذه الآية وقال آخرون انها تحاج عليهم فى اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مع مساواته اياهم فى البشرية وصفاتها فابتلى المرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وأنواع الاذى وابتلى المرسل اليهم بالتكليف وبذل النفس والمال وصيرورتهم تابعين خادمين بعد ان كانوا متبوعين مخدومين قالت الاشاعرة فى هذا الجعل اشارة الى مذهبنا فى القدر وقال الجبائى هذا الجعل بمعنى التعريف كما يقال فيمن بين ان فلانا لص انه جعله لصا قال فى الكشاف موقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء فى قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا قلت أراد ان كلا من الابتلاء والفتنة يستدعى التمييز فحسن الاستفهام بعده أى يفتنكم ليظهر انكم تصبرون على البلاء أم لا ولعل الاظهر ان الاستفهام غير متعلق بالفتنة وانما هو مستأنف للوعيد كقوله فهل أنتم منتهون ويؤيده قوله وكان ربك بصيرا عالما بمن صبر ومن لا يصبر فيجازى كلا منهم بحسب ذلك وقيل فى الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر فقد جعل الاغنياء فتنة للفقراء وقيل جعلناك فتنة لهم حين بعثناك ضعيفا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله ولو كنت غنيا صاحب كنز كما اقترحوا لم يظهر الطائع من المخلص وقالت الصوفية أتصبرون يا معشر الانبياء على ما يقولون ويا معشر الامم عما يقولون والله أعلم



(الجزء التاسع عشر)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المسمى

جامع البيان فى تفسير القرآن

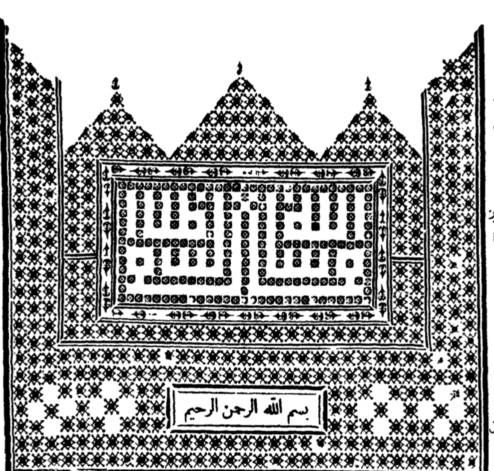
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء التاسع عشر من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد) آل الرشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولابرح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البرية وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة مايحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)



﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا) يقول تعالى ذكره وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا ولا يخشون عقابنا هلا أنزل الله علينا الملائكة فتخبرنا أن محمدا محق فيما يقول وأن ما جاءنا به صدق أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك كما قال جل ثناؤه مخبرا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ثم قال بعد أو تأتى بالله والملائكة قبيلا يقول الله لقد استكبر قائلو هذه المقالة فى أنفسهم وتعظموا وعتوا عتوا كبيرا يقول وتجاوزوا فى الاستكبار بقيلهم ذلك حده * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال كفار قريش لولا أنزل علينا الملائكة فيخبرونا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد استكبروا وعتوا عتوا لأن عتا من ذوات الواو فأخرج مصدره على الأصل بالواو وقيل فى سورة مريم وقد بلغت من الكبر عتيا وإنما قيل ذلك كذلك لموافقة المصادر فى هذا الوجه جمع الأسماء كقولهم قعد قعودا فلما كان ذلك كذلك وكان العاتى يجمع عتيا بناء على الواحد جعل مصدره أحيانا موافقا لجمعه وأحيانا مردودا إلى أصله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا) يقول تعالى ذكره يوم يرى هؤلاء الذين قالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا بتصديق محمد الملائكة فلا بشرى لهم يومئذ بخير ويقولون حجرا محجورا يعنى أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرا محجورا حراما محرما عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله ومن الحجر قول المتلمس

جئت إلى النخلة القصوى فقلت لها * حجر حرام الإملاك الدهاريس

ومنه قولهم حجر القاضى على فلان وحجر فلان على أهله ومنه حجر الكعبة لأنه لا يدخل إليه فى الطواف وإنما يطاف من ورائه ومنه قول الآخر

نهممت أن ألقى إليها محجرا * فلمثلها يلقى إليه المحجر

(وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا وقال الرسول يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا

أي مثلها ركب منه الحرم * واختلف أهل التأويل في المخبر عنهم بقوله ويقولون حجرا محجورا ومن قائلوه فقال بعضهم قائلوا ذلك الملائكة للمجرمين نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا أبو أسامة عن الاجلح قال سمعت الضحاك بن مزاحم وسأله رجل عن قول الله ويقولون حجرا محجورا قال تقول الملائكة حراما محرما أن تكون لكم البشرى حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي عن جدي عن الحسن عن قتادة ويقولون حجرا محجورا قال هي كلمة كانت العرب تقولها كان الرجل إذا نزل به شدة قالوا حجرا يقول حراما محرما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا لما جاءت زلازل الساعة فكان من زلازلها أن السماء انشقت فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها على شقه كل شيء تشقق من السماء فذلك قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين حراما محرما أيها المجرمون أن تكون لكم البشرى اليوم حين رأيتمونا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يوم يرون الملائكة يقول يوم القيامة ويقولون حجرا محجورا قال عوذا معاذا حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وزاد فيه الملائكة تقوله * وقال آخرون ذلك خبر من الله عن قيل المشركين إذا عاينوا الملائكة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا قال ابن جريج كانت العرب إذا كرهوا شيأ قالوا حجرا فقالوا حين عاينوا الملائكة قال ابن جريج قال مجاهد حجرا عوذا يستعيذون من الملائكة * قال أبو جعفر وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك من أجل أن الحجر هو الحرام فمعلوم أن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفران البشرى عليهم حرام وأما الاستعاذة فإنها الاستجارة وليست بتحريم ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) يقول تعالى ذكره وقدمنا وعمدنا إلى ما عمل هؤلاء المجرمون من عمل ومنه قول الراجز

وقدم الخوارج الضلال * إلى عباد ربهم فقالوا * ان دماءكم لنا حلال

يعني بقوله قدم عمد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وقدمنا قال عمدنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فجعلناه هباء منثورا يقول فجعلناه باطلا لأنهم لم يعملوه لله وإنما عملوه للشيطان والهباء هو الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوة يحسبه الناظر غبارا ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه ولا يرى ذلك في الظل * واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا محمد قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال في هذه الآية هباء منثورا قال الغبار الذي يكون في الشمس حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا قال الشعاع في كوة أحدهم إن ذهب يقبض عليه لم يستطع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هباء منثورا قال شعاع الشمس من الكوة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله هباء

له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا) القراآت تشقق بتخفيف الشين على حذف تاء التفعل وكذلك في سورة ق عاصم وحمزة وعلي وخلف وأبو عمرو والآخرون بالتشديد للإدغام ونزل من الإنزال الملائكة بالنصب ابن كثير الباقون وينزل ماضيا مجهولا من التنزيل الملائكة بالرفع ياليتني اتخذت بفتح ياء المتكلم أبو عمرو قومي اتخذوا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وثمود بغير تنوين في الحالين حمزة وسهل ويعقوب وحفص الآخرون بالتنوين للمشاكلة أو بتأويل الحي لا القبيلة أو لأنه اسم الأب الأكبر الربع على

التوحيد ابن كثير بشرى مذكور في الاعراف ميتا بالتشديد يزيد ونسقيه بفتح النون المفضل والبرجمي الباقون بضمها * الوقوف الجزء التاسع عشر وربنا ط كبير ه ط محجورا (٤) ه منشورا ه مقيلا ه تنزيلا ه الرحمن ط عسيرا ه سبيلا ه خليلا ه

منثورا قال ما رأيت شيأ يدخل البيت من الشمس تدخله من الكوة فهو الهباء * وقال آخرون بل هو ما تسفيه الرياح من التراب وتذروه من حطام الاشجار ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله هباء منثورا قال ما تسفي الريح وتبثه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة هباء منثورا قال هو ما تذروا الريح من حطام هذا الشجر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هباء منثورا قال الهباء الغبار * وقال آخرون هو الماء المهراق ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله هباء منثورا يقال الماء المهراق وقوله جل ثناؤه أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا يقول تعالى ذكره أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرا وهو الموضع يستقرون فيه من منازلهم في الجنة من مستقر هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنيا وأحسن منهم فيها مقيلا فان قال قائل وهل في الجنة قائلة فيقال وأحسن مقيلا فيها قيل معناه وأحسن فيها قرارا في أوقات قائلتهم في الدنيا وذلك انه ذكر أن أهل الجنة لا تمر فيهم في الآخرة الا قدر ميقات النهار من أوله الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة فذلك معنى قوله وأحسن مقيلا ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا يقول قالوا في الغرف في الجنة وكان حسابهم ان عرضوا على ربهم عرضة واحدة وذلك الحساب اليسير وهو مثل قوله فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم في قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف النهار فيقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال لم ينتصف النهار حتى يقضي الله بينهم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال وفي قراءة ابن مسعود ثم ان مقيلهم لالى الجحيم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث ان سعيدا الصواف حدثه انه بلغه ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس وأنهم يقيلون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس فذلك قول الله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا * قال أبو جعفر وانما قلنا معنى ذلك خير مستقرا في الجنة منهم في الدنيا لان الله تعالى ذكره عم بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا جميع أحوال الجنة في الآخرة انها خير في الاستقرار فيها والقائلة من جميع أحوال أهل النار ولم يخص بذلك انه خير من أحوالهم في النار دون الدنيا ولا في الدنيا دون الآخرة فالواجب أن يعم كما عم ربنا جل ثناؤه فيقال أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرا في الجنة من أهل النار في الدنيا والآخرة وأحسن منهم مقيلا واذا كان ذلك معناه صح فساد قول من توهم ان تفضيل أهل الجنة بقول الله خير مستقرا على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم في قولهم هذا خير من هذا وهذا أحسن من هذا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) * اختلف القراء في قراءة قوله تشقق فقرأته عامة قراء الحجاز ويوم تشقق

الا جاءني ط لان ما بعده من اخبار الله تعالى ظاهرا ويحتمل أن يكون من تتمة حكاية كلام الظالم خذولا ه مهجورا ه المجرمين ه ط ونصيرا ه واحدة ج على تقدير فرقناه كذلك ط أي كأ ترى لنثبت وان وصلت وقفت على كذلك والتقدير جملة واحدة كذلك الكتاب المنزل وهو التوراة ثم أضمرت فعلا أي فرقناه لنثبت ترتيلا ه تفسيرا ه ط لان ما بعده مبتدأ جهنم لالان ما بعده خبر سبيلا ه وزيرا ه ج للآية ولفاء العطف بآياتنا ط للفاء الفصيحة أي فذهبا وبلغا فعصوهما فدمرناهم تدميرا ه ط لان قوم نوح منصوب بمحذوف أي وأغرقنا قوم نوح أغرقناهم آية ط لان ما بعده مستأنف أليما ه ج للآية ولاحتمال العطف عادا على الضمير في جعلناهم واحتمال انتصابه بمحذوف أي وأهلكنا عادا كثيرا ه الامثال لانفصال بين الامرين المعظمين مع عطف الجملتين المتفقتين تتبيرا ه السوء ط يرونها لا للعطف مع الاضراب نشورا ه هزوا ط لحق المحذوف أي يقولون أهذا الذي رسولا ه عليها ط لانتهاء مقولهم سبيلا ه هواه ط وكيلا ه لا للعطف يعقلون ه ج لابتداء النفي سبيلا ه الظل ج لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع اتحاد المقصود ساكنا ج للعدول مع العطف دليلا ه يسيرا ه نشورا ه رحمته ج للعدول طهورا ه ج لتعلق اللام كثيرا ه ليذكروا ز والوصل أولى للفاء كفورا ه * التفسير هذه شبهة

رابعة لمنكري النبوة وانهم في قول الكلبي أبو جهل والوليد وأضرابهما وتقريرها ان الحكيم لا بد أن يختار في مقصده طريقا يكون أسهل وتشديد

افضاء اليه ولا شك أن انزال الملائكة ليشهدوا على صدق محمد أعون على المطلوب فلو كان محمد صادقا لكان مؤيدا بانزال الملائكة الشاهدين بصدقه قال الفراء معنى لا يرجون لا يخافون والرجاء فى لغة تهامة الخوف وقال (٥) غيره الرجاء على أصله وهو الامل الا أن الخوف يلزمه فى هذه الصورة فان من لا يرجو الجزاء والمعاد لا يخاف العقاب أيضا واللقاء الوصول لا بمعنى المكان والجهة فانه تعالى منزه عن ذلك بل بمعنى الرؤية عند الاشاعرة أو على ارادة الجزاء والحساب عند المعتزلة وقد مر فى أوائل البقرة فى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ولعل تفسيره بلقاء الجزاء أنسب فى هذا المقام لئلا يناقض قوله أو نرى ربنا أى جهرة وعيانا فيأمرنا بتصديقه واتباعه اللهم الا أن يراد ان الذين لا يرجون رؤيتنا فى الآخرة اقترحوا رؤيتنا فى الدنيا قال جار الله لا يخلوا اما أن يكونوا عالمين بان الله عز وجل لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وانه تعالى لا يصح أن يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما أن لا يكونوا عالمين بذلك وانما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التى نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ثم انه سبحانه أجاب عن شبهتهم بقوله لقد استكبروا فى أنفسهم أى أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد فى قلوبهم واعتقدوه ثم نسبهم الى الافراط فى الظلم بقوله وعتوا ثم وصف العتو بالكبر قال جار الله اللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة فى حسن استئنافها غاية وفيها معنى التعجب كأنه قال ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وقال فى التفسير الكبير تحرير هذا الجواب من وجوه أحدها ان القرآن لما ظهر كونه معجزا فقد تمت دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فبعد ذلك لا يكون اقتراح أمثال هذه الآيات الا محض الاستكبار والاستنكار * وثانيها ان نزول الملائكة لو حصل لكان أيضا من جملة المعجزات ولا يدل على الصدق لخصوص

بتشديد الشين بمعنى تتشقق فادغموا احدى التاءين فى الشين فشددوها كما قال لا يسمعون الى الملا الاعلى وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ويوم تشقق بتخفيف الشين والاجتزاء باحدى التاءين من الاخرى والقول فى ذلك عندى انهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتاويل الكلام ويوم تتشقق السماء عن الغمام وقيل ان ذلك غمام أبيض مثل الغمام التى ظلل على بنى اسرائيل وجعلت الباء فى قوله بالغمام مكان عن كما تقول رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس بمعنى واحد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ويوم تشقق السماء بالغمام قال هو الذى قال فى ظلل من الغمام الذى ياتى الله فيه يوم القيامة ولم يكن قط الا لبنى اسرائيل قال ابن جريج الغمام الذى ياتى الله فيه غمام زعموا فى الجنة قال **حدثنا** الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن عبد الجليل عن أبى حازم عن عبد الله بن عمرو قال يهبط الله حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون حجابا منها النور والظلمة والماء فيضرب الماء فى تلك الظلمة صوتا تنخلع له القلوب قال **حدثنا** الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فى قوله يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة يقول والملائكة حوله قال حدثنى حجاج عن مبارك بن فضالة عن على بن زيد ابن جدعان عن يونس بن مهران انه سمع ابن عباس يقول ان هذه السماء اذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والانس وهو يوم التلاق يوم يلتقى أهل السماء وأهل الارض فتقول أهل الارض جاء ربنا فيقولون لم يجئ وهو آت ثم تتشقق السماء الثانية ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف الى السماء السابعة فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والانس قال فتنزل الملائكة الكروبيون ثم يأتى ربنا تبارك وتعالى فى حملة العرش الثمانية بين كعب كل رجل وركبته مسيرة سبعين سنة وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة قال وكل ملك منهم لم يتامل وجه صاحبه وكل ملك منهم واضع رأسه بين يديه يقول سبحان الملك القدوس وعلى رؤسهم شئ مبسوط كانه القباء والعرش فوق ذلك ثم وقف قال **حدثنا** الحسن قال ثنا جعفر بن سليمان عن هرون بن وثاب عن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال **حدثنا** الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال اذا نظر أهل الارض الى العرش يهبط عليهم فوقهم شخصت اليه أبصارهم ورجفت كلاهم فى أجوافهم قال وطارت قلوبهم من مقرها فى صدورهم الى حناجرهم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا يعنى يوم القيامة حين تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة تنزيلا وقوله ونزل الملائكة تنزيلا يقول ونزل الملائكة الى الارض تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن يقول الملك الحق يومئذ خالص للرحمن دون كل من سواه وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه وقد كان فى الدنيا ملوك فبطل الملك يومئذ سوى ملكه الجبار وكان يوما على الكافرين عسيرا يقول وقد كان يوم تشقق السماء بالغمام يوما على أهل الكفر بالله عسيرا يعنى صعبا شديدا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا) يقول تعالى ذكره ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندما وأسفا على ما فرط فى جنب الله وأوبق

نفسه بالكفر به فى طاعة خليله الذى صده عن سبيل الله يقول ياليتنى اتخذت فى الدنيا مع الرسول سبيلا يعنى طريقا الى النجاة من عذاب الله وقوله ياويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا * اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله الظالم وبقوله فلان فقال بعضهم عنى بالظالم عقبة بن أبى معيط لانه ارتد بعد اسلامه طلبا منه لرضى أبى بن خلف وقالوا فلان هو أبى ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال كان أبى بن خلف يحضر النبى صلى الله عليه وسلم فزجره عقبة بن أبى معيط فنزل ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا الى قوله خذولا قال الظالم عقبة وفلانا خليله أبى بن خلف حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى فى قوله ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا قال كان عقبة بن أبى معيط خليلا لامية بن خلف فاسلم عقبة فقال أمية وجهى من وجهك ان تابعت محمدا فكفر وهو الذى قال ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان الجزرى عن مقسم فى قوله ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا قال اجتمع عقبة بن أبى معيط وأبى بن خلف وكانا خليلين فقال أحدهما لصاحبه بلغنى انك أتيت محمدا فاستمعت منه والله لا أرضى عنك حتى تتفل فى وجهه وتكذبه فلم يسلطه على ذلك فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما أبى بن خلف فقتله النبى صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد فى القتال وهما اللذان أنزل الله فيهما ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ويوم يعض الظالم على يديه الى قوله فلانا خليلا قال هو أبى بن خلف كان يحضر النبى صلى الله عليه وسلم فزجره عقبة بن أبى معيط حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويوم يعض الظالم على يديه قال عقبة بن أبى معيط دعا مجلسا فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لطعام فأبى النبى صلى الله عليه وسلم أن يأكل وقال لا آكل حتى تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال ما أنت بآكل حتى أشهد قال نعم قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فلقيه أمية بن خلف فقال صبوت فقال ان أخاك على ما تعلم ولكنى صنعت طعاما فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك فقلته وليس من نفسى * وقال آخرون عنى بفلان الشيطان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلانا خليلا قال الشيطان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى يقول جل ثناؤه مخبرا عن هذا النادم على ما سلف منه فى الدنيا من معصية ربه فى طاعة خليله لقد أضلنى عن الايمان بالقرآن وهو الذكر بعد اذ جاءنى من عند الله فصدنى عنه يقول الله وكان الشيطان للانسان خذولا يقول مسلما لما ينزل به من البلاء غير منقذه منه ولا منجيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) يقول تعالى ذكره وقال الرسول يوم يعض الظالم على يديه يارب ان قومى الذين بعثتنى اليهم لادعوهم الى توحيدك اتخذوا هذا القرآن مهجورا * واختلف أهل التأويل فى معنى اتخاذهم القرآن مهجورا فقال بعضهم كان اتخاذهم ذلك هجرا قولهم فيه السيئ من القول وزعمهم انه سحر وانه شعر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث

قال

كونه نزول الملك بل لعموم كونه معجزا فيكون قبول ذلك ورد الآخر ترجيحا لاحد المثلين من غير مرجح * وثالثها انهم بتقدير رؤية الرب وتصديقه لرسوله لايستفيدون علما أزيد من تصديق المعجزات لافرق بين أن يقول النبى اللهم ان كنت صادقا فاحى هذا الميت فيحييه وبين أن يقول ان كنت صادقا فصدقنى فصدقه فتعين أحد الطرفين محض العناد * ورابعها ان العبد ليس له أن يعترض على فعل مولاه اما بحكم المالكية عند الاشعرى أو بحكم المصلحة عند المعتزلى * وخامسها ان السائل الملح المعاند الذى لا يرضى بما ينعم عليه مذموم واظهار المعجز من جملة الايادى الجسيمة فرد احداها واقتراح الاخرى ليس من الادب فى شئ * وسادسها لعل المراد انى لو علمت بانهم ليسوا مستكبرين عاتين لاعطيتهم مطلوبهم لكنى علمت انهم انما سألوا لاجل المكابرة والعناد فلا جرم لا أعطيهم * وسابعها لعلهم عرفوا من أهل الكتاب ان انه تعالى لا يرى فى الدنيا وانه لا ينزل الملائكة على عوام الخلق ثم انهم علقوا ايمانهم على ذلك فهم مستكبرون ساخرون واستدلت الاشاعرة بقوله لا يرجون لقاءنا على ان رؤية الله مرجوة واستدلت المعتزلة بقوله لقد استكبروا وعتوا ان اقتراح الرؤية مستنكر ولا يخفى ضعف الاستدلالين وانتصب يوم يرون باضمار اذكر فيكون لا بشرى مستأنفا أو بما دل عليه لا بشرى أى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى بالجنة وبرؤية الحق ويومئذ التكرير وقوله للمجرمين ظاهر فى موضع الضمير أو عام فيتناول هؤلاء لعمومه ولاجل هذا العموم استدلت المعتزلة به على القطع بوعيد كل مجرم وان كان من أهل القبلة وحمل الاشاعرة الجرم على الكفر أما قوله حجرا محجورا فانها كلمة يتلفظ بها عند لقاء عدو أو هجوم نازلة يضعونها موضع الاستعاذة يقول الرجل يفعل كذا فيقول حجرا وقد ذكره سيبويه فى باب المصادر

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اتخذوا هذا القرآن مهجورا قال يهجرون فيه بالقول يقولون هو سحر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وقال الرسول الآية يهجرون فيه القول قال مجاهد وقوله مستكبرين به سامرا تهجرون قال مستكبرين بالبلد سامر المجالس تهجرون قال بالقول السيء في القرآن غير الحق حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم في قول الله ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا قال قالوا فيه غير الحق ألم تر الى المريض اذا هذا قال غير الحق * وقال آخرون بل معنى ذلك الخبر عن المشركين انهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا لا يريدون أن يسمعوه وان دعوا الى الله قالوا لا واقرأوهم ينهون عنه وينأون عنه قال ينهون عنه ويبعدون عنه * قال أبو جعفر وهذا القول أولى بتأويل ذلك وذلك ان الله أخبر عنهم انهم قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وذلك هجرهم اياه وقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدوا من مشركي قومه فلم تخصص بذلك من بينهم يقول فاصبر لما نالك منهم كما صبر من قبلك أولوا العزم من رسلنا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن عباس وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين قال يوطن محمدا صلى الله عليه وسلم انه جاعل له عدوا من المجرمين كما جعل لمن قبله وقوله وكفى بربك هاديا ونصيرا يقول تعالى ذكره لنبيه وكفاك يا محمد بربك هاديا يهديك الى الحق ويبصرك الرشد ونصيرا يقول ناصرا لك على أعدائك يقول فلا يهلنك أعداؤك من المشركين فاني ناصرك عليهم فاصبر لامري وامض لتبليغ رسالتي اليهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله لولا نزل عليه القرآن يقول هلا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة قال الله كذلك لنثبت به فؤادك تنزيله عليك الآية بعد الآية والشيء بعد الشيء لنثبت به فؤادك نزلناه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا قال كان الله ينزل عليه الآية فاذا علمها نبي الله نزلت آية أخرى ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب ويثبت به فؤاده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى قال كذلك لنثبت به فؤادك قال كان القرآن ينزل عليه جوابا لقولهم ليعلم محمد ان الله يجيب القوم بما يقولون بالحق ويعني بقوله لنثبت به فؤادك لنصحح به عزيمة قلبك ويقين نفسك ونشجعك به وقوله ورتلناه ترتيلا يقول وشيئا بعد شيء علمناكه حتى تحفظه والترتيل في القراءة الترسل والتثبت * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله ورتلناه ترتيلا قال نزل متفرقا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله ورتلناه ترتيلا قال كان ينزل آية في آيتين وآيات جوابا لهم اذا سألوا عن شيء أنزله الله جوابا لهم وردا عن الشيء فيما يتكلمون به

التي ترك اظهار فعلها نحو معاذ الله وعمرك الله ومعناه منعا أي أسأل الله أن يمنع ذلك منعا كما أن المستعيذ طالب من الله عز وجل أن يمنع المكروه ووصفه بالمحجور للتأكيد كما يقال شعر شاعر وجد جده والأكثرون على أن القائلين هم الكفار اذا رأوا الملائكة عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون فيقولون ما كانوا يقولونه عند نزول كل شدة وقيل هم الملائكة ومعناه حراما محرما أي جعل الله الجنة والغفران أو البشرى حراما عليكم يروى ان الكفار اذا خرجوا من قبورهم قالت الحفظة لهم حجرا محجورا وقال الكلبي الملائكة على أبواب الجنة يبشرون المؤمنين بالجنة ويقولون للمشركين حجرا محجورا وقال عطية اذا كان يوم القيامة تأتي الملائكة المؤمنين بالبشرى فاذا رأى الكفار ذلك قالوا لهم بشرونا فيقولون حجرا محجورا ثم أخبر عن وعيد آخر لهم وذلك انهم كانوا يعملون أعمالا لها صورة الخير من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف وأمثالها مع عدم ابتنائها على أساس الايمان فمثلت حالهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى أشياههم وقصد الى ماتحت أيديهم فأفسدها بحيث لم يترك منها أثرا والا فلا قدوم ولا مايشبه القدوم لتنزهه سبحانه عن الجسمية وصفاتها قال أهل المعاني القادم الى الشيء قاصد له فالقصد هو المؤثر في القدوم فأطلق اسم المسبب على السبب مجازا وقيل أراد قدوم الملائكة بأمره الى موضع الحساب في الآخرة والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وقال مقاتل انه الغبار الذي يسطع من حوافر الدواب وفي أمثالهم أقل من الهباء شبه عملهم بالهباء في قلته وحقارته وأكد المعنى بوصف الهباء بالتناثر لانك تراه منتظما مع الضوء حتى اذا حركته الريح تناثر وذهب كل مذهب والمراد جعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر ولام الهباء واو بدليل الهبوة بمعناه ثم ميز حال الابرار

وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ورتلناه ترتيلا قال كان بين ما أنزل القرآن الى آخره أنزل عليه لاربعين ومات النبى صلى الله عليه وسلم لثنتين أو لثلاث وستين * وقال آخرون معنى الترتيل التبيين والتفسير ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ورتلناه ترتيلا قال فسرناه تفسيرا وقرأ ورتل القرآن ترتيلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) يقول تعالى ذكره ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه الا جئناك من الحق بما نبطل به ما جاؤا به وأحسن منه تفسيرا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق قال الكتاب بما ترد به ما جاؤا به من الامثال التى جاؤا بها وأحسن تفسيرا وعنى بقوله وأحسن تفسيرا وأحسن مما جاؤا به من المثل بيانا وتفصيلا * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأحسن تفسيرا يقول أحسن تفصيلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأحسن تفسيرا قال بيانا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأحسن تفسيرا يقول تفصيلا وقوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا يقول تعالى ذكره لنبيه هؤلاء المشركون يا محمد القائلون لك لولا نزل هذا القرآن جملة واحدة ومن كان على مثل الذى هم عليه من الكفر بالله الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم الى جهنم فيساقون الى جهنم شر مستقرا فى الدنيا والآخرة من أهل الجنة فى الجنة وأضل منهم فى الدنيا طريقا * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم قال الذى أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم أولئك شر مكانا من أهل الجنة وأضل سبيلا قال طريقا حدثنى محمد بن يحيى الازدى قال ثنا الحسين بن محمد قال ثنا شيبان عن قتادة قوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم قال حدثنا أنس بن مالك أن رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال الذى أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه حدثنا أبو سفيان الغنوى يزيد بن عمرو قال ثنا خلاد بن يحيى الكوفى قال ثنا سفيان الثورى عن اسمعيل بن أبى خالد قال أخبرنى من سمع أنس بن مالك يقول جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال كيف يحشرهم على وجوههم قال الذى يحشرهم على أرجلهم قادر بان يحشرهم على وجوههم حدثنا عبيد بن محمد الوراق قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى داود عن أنس بن مالك قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحشر أهل النار على وجوههم فقال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم حدثنى أحمد بن المقدام قال ثنا حزم قال سمعت الحسن يقول قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم فقالوا يا نبى الله كيف يمشون على وجوههم قال أرأيت الذى أمشاهم على أقدامهم أليس قادرا أن يمشيهم على وجوههم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور بن زاذان عن على بن زيد بن جدعان عن أبى خالد عن أبى هريرة قال يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أقدامهم وصنف على وجوههم

عن حال الفجار بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير ووجه صحة التفضيل ما بين فى قوله قل أذلك خير أم جنة الخلد أو التفاوت بين المنزلتين انما يرجع الى الموضع والموضع من حيث انه (٨) موضع لاشر فيه أو هو على سبيل الفرض أى لو كان لهم مستقر كان مستقر أهل الجنة خيرا منه والمستقر مكان الاستقرار والمقيل المكان الذى يأوون اليه للاسترواح الى أزواجهم والاستمتاع بمغازلتهن وملامستهن كحال المترفين فى الدنيا ولا نوم فى الجنة وانما سمى مكان دعوتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه فى اختيار لفظ الاحسن دون أن يقول خير مقيلا رمز الى التحسنات الحاصلة فى مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور وغير ذلك قال ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وعن سعيد بن جبير ان الله تعالى اذا أخذ فى فصل القضاء قضى بينهم كقدر ما بين صلاة الغداة الى نصف الليل فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وقال مقاتل يخفف الحساب على أهل الجنة حتى يكون بمقدار نصف يوم من أيام الدنيا ثم يقيلون من يومهم ذلك فى الجنة وحاصل الآية ان أصحاب الجنة من المكان فى أطيب مكان ومن الزمان فى أحسن زمان ثم أراد أن يصف أهوال يوم القيامة فقال ويوم تشقق أى واذكر يوم تتفتح السماء بسبب غمام يخرج منها فى الغمام الملائكة فينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد قال الفراء الباء بمعنى عن لان السماء لا تنشق بالغمام بل عن الغمام كما يقال انشقت الارض عن النبات أى ارتفع التراب عنه عند طلوعه وقال القاضى لا يمتنع أن يجعل الله تعالى الغمام بحيث تنشق السماء باعتماده عليها عن مقاتل تنشق سماء الدنيا فينزل أهلها وكذلك تنشق سماء سماء ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش ثم ينزل الرب تعالى قال العلماء هذا نزول الحكم والقضاء لا نزول الذات وأما نزول الملائكة

فقيل

فقيل كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم

❁ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله وتكذيبهم رسوله ويخوفهم من حلول نقمته بهم نظير الذي حل بمن كان قبلهم من الامم المكذبة رسلها ولقد آتينا يا محمد موسى الكتاب يعني التوراة كالذي آتيناك من الفرقان وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا يعني معينا وظهيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا يقول فقلنا لهما اذهبا الى فرعون وقومه الذين كذبوا بأعلامنا وأدلتنا فدمرناهم تدميرا وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر من ذكره وهو فذهبا فكذبوهما فدمرناهم حينئذ

❁ القول في تأويل قوله تعالى (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما) يقول تعالى ذكره وقوم نوح لما كذبوا رسلنا وردوا عليهم ما جاؤهم به من الحق أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس آية يقول وجعلنا تغريقنا اياهم واهلاكنا عظة وعبرة للناس يعتبرون بها وأعتدنا للظالمين عذابا أليما يقول وأعددنا لهم من الكافرين بالله في الآخرة عذابا أليما سوى الذي حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا

❁ القول في تأويل قوله تعالى (وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا) يقول تعالى ذكره ودمرنا أيضا عادا وثمودا وأصحاب الرس * واختلف أهل التأويل في أصحاب الرس فقال بعضهم أصحاب الرس من ثمود ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وأصحاب الرس قال قرية من ثمود * وقال آخرون بل هي قرية من اليمامة يقال لها الفلج ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال ثنا ابن وهب قال ثنا جرير بن حازم قال قال قتادة الرس قرية من اليمامة يقال لها الفلج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة أصحاب الرس بفلج هم أصحاب يس * وقال آخرون هم قوم رسوا نبيهم في بئر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي بكير عن عكرمة قال كان الرس بئرا رسوا فيها نبيهم * وقال آخرون هي بئر كانت تسمى الرس ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وأصحاب الرس قال هي بئر كانت تسمى الرس حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد في قوله وأصحاب الرس قال الرس بئر كانت عليها قوم * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك قول من قال هم قوم كانوا على بئر وذلك ان الرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك ومنه قول الشاعر

سبقت الى فرط باهل * تنابلة يحفرون الرساسا

يريد أنهم يحفرون المعادن ولا أعلم ان قوما كانت لهم قصة بسبب حفرة ذكرهم الله في كتابه الا أصحاب الاخدود فان يكونوا هم المعنيين بقوله وأصحاب الرس فانا سنذكر خبرهم ان شاء الله اذا انتهينا الى سورة البروج وان يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبرا الا ما جاء من جملة الخبر عنهم انهم قوم رسوا نبيهم في حفرة الا ما حدثنا أبو حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الاسود وذلك ان الله تبارك وتعالى بعث نبيا الى أهل قرية فلم يؤمن من أهلها أحد الا ذلك الاسود ثم ان أهل

مع كثرتهم وصغر حجم الارض بالقياس الى السماء فقالوا لا يبعد أن يوسع الله الارض عرضا وطولا بحيث تسع كل هؤلاء ومن المفسرين من قال الملائكة يكونون في الغمام وهو سترة بين السماء والارض والله تعالى فوق أهل القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس قال تنشقق كل سماء وينزل سكانها فيحيطون بالعالم ويصيرون سبع صفوف حول العالم والظاهر ان اللام في الغمام للجنس ومنهم من قال هي للعهد والمعهود قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة كما كان لبني اسرائيل في التيه ومعنى تنزيلا تأكيد للنزول ودلالة على اسراعهم فيه قال الزجاج الحق صفة الملك أي الملك الثابت الذي لا يزول للرحمن يومئذ ونظيره مالك يوم الدين ويجوز أن يكون يومئذ تكريرا لقوله ويوم تشقق واعرابهما واحد والفائدة في تخصيص ذلك اليوم ان يعلم انه لا مالك فيه سواه لا بالصورة ولا في الحقيقة فيخضع له الملوك وتعنو له الوجوه وتذل رقاب الجبابرة قالت الاشاعرة ههنا لو وجب على الله يومئذ الثواب لاستحق الذم بتركه وكان خائفا أن لا يفعل فلم يكن له الملك على الاطلاق وأيضا لو كان العبد مالكا للثواب لم يكن الله تعالى مالكا مطلقا بل يكون عبدا ضعيفا لا يقدر على أن لا يؤدي ما عليه من العوض أو فقيرا محتاجا الى أن يدفع الذم عن نفسه باداء ما عليه وكان ذلك اليوم يوما عسيرا على الكافرين لا على المؤمنين واللام في الظالم ظاهر الاستغراق والشمول أو الجنس وعن ابن عباس انه للعهد وذلك ان الآية نزلت في عقبة بن أبي معيط وكان يكثر مجالسة الرسول صلى الله عليه وسلم فاتخذ ضيافة ودعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل من طعامه حتى يأتي بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن أبى أن يأكل من

القرية عدوا على النبي عليه السلام فحفروا له بئرا فالقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر ضخم قال وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه فيشتري به طعاما وشرابا ثم يأتي به الى ذلك البئر فيرفع تلك الصخرة فيعينه الله عليها فيدلي اليه طعامه وشرابه ثم يعيدها كما كانت قال فكان كذلك ماشاء الله أن يكون ثم انه ذهب يوما يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب على أذنه سبع سنين نائما ثم انه هب فتمطى فتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على اذنه سبع سنين أخرى ثم انه هب فاحتمل حزمته ولا يحسب الا انام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم ذهب الى الحفرة في موضعها الذي كانت فيه فالتمسه فلم يجده وقد كان بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه قال فكان النبي عليه السلام يسألهم عن ذلك الاسود مافعل فيقولون ماندري حتى قبض الله النبي فاهب الله الاسود من نومته بعد ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود لاول من يدخل الجنة غير ان هؤلاء في هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرته فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله وأصحاب الرس لان الله أخبر عن أصحاب الرس انه دمرهم تدميرا الا أن يكونوا دمروا باحداث أحدثوها بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وآمنوا به فيكون وجها وقرونا بين ذلك كثيرا يقول ودمرنا بين أضعاف هذه الامم التي سميناها لكم أمما كثيرا كما حدثنا الحسن بن شبيب قال ثنا خلف بن خليفة عن جعفر بن علي بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلفت بالمدينة عمي ممن يفتي على أن القرن سبعون سنة وكان عمه عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي رضي الله عنه حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا حفص بن غياث عن الحجاج عن الحكم عن ابراهيم قال القرن أربعون سنة وقوله وكلا ضربنا له الامثال يقول تعالى ذكره وكل هذه الامم التي أهلكناها التي سميناها لكم أولم نسمها ضربنا له الامثال يقول مثلنا له الامثال ونبهناها على حججنا عليها وأعذرنا اليها بالعبر والمواعظ فلم نهلك منهم أمة الا بعد الابلاغ اليهم في المعذرة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله وكلا ضربنا له الامثال قال كل قد أعذر الله اليه ثم انتقم منه وقوله وكلا تبرنا تتبيرا يقول تعالى ذكره وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم استأصلناهم فدمرناهم بالعذاب ابادة وأهلكناهم جميعا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله وكلا تبرنا تتبيرا قال تبر الله كلا بعذاب تتبيرا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير وكلا تبرنا تتبيرا قال تتبير بالنبطية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله وكلا تبرنا تتبيرا قال بالعذاب

القول في تأويل قوله تعالى (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا) يقول تعالى ذكره ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا على القرية التي أمطرها الله مطر السوء وهي سدوم قرية قوم لوط ومطر السوء هو الحجارة التي أمطرها الله عليهم فاهلكهم بها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء قال حجارة وهي قرية قوم لوط واسمها سدوم قال ابن عباس خمس قريات فاهلك الله أربعا وبقيت الخامسة واسمها صعر لم تهلك صعر كان أهلها لا يعملون ذلك العمل وكانت سدوم أعظمها وهي التي نزل بها لوط ومنها بعث وكان

طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فلم تطأ قفاه ولم تبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر أمر عليا رضي الله عنه بقتله وفي روايات الشيعة ان الظالم هو رجل بعينه وأن المسلمين غيروا اسمه وكنوه وجعلوا فلانا بدلا من اسمه وذكروا فاضلين من الصحابة وفيه بعد لان تغيير القرآن كفر والعض على اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من لوازم الغيظ والتحسر غالبا ونظيره سقط في يده وأكل من بنانه وأمثال ذلك وقال الضحاك يأكل يديه الى المرفق ثم تنبت فلا يزال كذلك كلما أكلها نبتت قال جار الله تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا وفلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان أريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم فجعله كناية عنه قلت زعم بعض أئمة اللغة انه لم يثبت استعمال فلان في الفصيح الا حكاية لا يقال جاءني فلان ولكن يقال قال زيد جاءني فلان لانه اسم اللفظ الذي هو علم لا اسم مدلول العلم ولذلك جاء في كلام الله تعالى يقول ياليتني الخ والذكر ذكر الله والقرآن أو موعظة الرسول أو نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله الذي أضله كما أضله الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة أو اشارة الى ابليس وانه هو الذي حمله على ان صار خليلا لذلك المضل وخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خذله أو أراد الجنس فيدخل فيه كل من تشيطن

ابراهيم

ابراهيم صلى الله عليه وسلم ينادى بصيحة لهم ياسدوم يوم لكم من الله أنهاكم ان تعرضوا لعقوبة الله زعموا ان لوطا ابن أخى ابراهيم صلوات الله عليهما وقوله أفلم يكونوا يرونها يقول جل ثناؤه أولم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم فيعتبروا ويتذكروا فيراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم بل كانوا لا يرجون نشورا يقول تعالى ذكره ما كذبوا محمدا فيما جاءهم به من عند الله لانهم لم يكونوا رأوا ما حل بالقرية التى وصفت ولكنهم كذبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشورا بعد الممات يعنى انهم لا يوقنون بالعقاب والثواب ولا يؤمنون بقيام الساعة فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصى الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا بعثا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذا رأوك ان يتخذونك الاهزوا أهذا الذى بعث الله رسولا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم ان يتخذونك الاهزوا يقول ما يتخذونك الا سخرية يسخرون منك يقولون هذا الذى بعث الله الينا رسولا من بين خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزؤن برسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يقولون اذا رأوه قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التى نعبدها فيصدنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها وثبوتنا على عبادتها وسوف يعلمون حين يرون العذاب يقول جل ثناؤه سيبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حل بهم على عبادتهم الآلهة من أضل سبيلا يقول من الراكب غير طريق الهدى والسالك سبيل الردى أنت أوهم * وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله لولا أن صبرنا عليها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها قال ثبتنا عليها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) يعنى تعالى ذكره أرأيت يا محمد من اتخذ الهه شهوته التى يهواها وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فاذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ الآخر يعبده فكان معبوده والهه ما يتخيره لنفسه فلذلك قال جل ثناؤه أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا يقول تعالى ذكره أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظا فى أفعاله مع عظيم جهله أم تحسب يا محمد ان أكثر هؤلاء المشركين يسمعون ما يتلى عليهم فيعون أو يعقلون ما يعاينون من حجج الله فيفهمون ان هم الا كالانعام يقول ما هم الا كالبهائم التى لا تعقل ما يقال لها ولا تفقه بل هم من البهائم أضل سبيلا لان البهائم تهتدى لمراعيها وتنقاد لأربابها وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم بل يكفرونها ويعصون من خلقهم وبرأهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد كيف مد ربك الظل وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل يقول ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى

من الجن والانس ثم ان الكفار لما أكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت ضاق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وشكاهم الى الله عز وجل وقال يارب ان قومى يعنى قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا أى تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن أبى مسلم ان المراد وقال الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة روى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى والجار محذوف أى جعلوه مهجورا فيه وعلى هذا فله معنيان أحدهما انهم زعموا أنه كلام لا فائدة فيه والثانى أنهم كانوا اذا سمعوه لغوا فيه وجوز فى الكشاف أن يكون المهجور مصدرا بمعنى الهجر كالميسور والمجلود أى اتخذوه هجرا سؤال هذا النداء بمنزلة قول نوح رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا فكيف صارت شكاية نوح سببا لحلول العذاب بامته ولم تصر شكاية نبينا صلى الله عليه وسلم سببا لذلك الجواب ان الكلام بالتمام وكان من تمام كلام نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولم يكن كلام رسولنا الا مجرد الشكاية ولم يقتض الدعاء عليهم وذلك من غاية شفقته على الامة وان بلغ ايذاؤهم اياه الغاية ما أوذى نبى مثل ما أوذيت هذا مع انه سبحانه سلاه وعزاه وأمره بالصبر على أذاهم حين قال وكذلك جعلنا بين ذلك انه أسوة بسائر الانبياء فليصبر على ما يلقاه من قومه كما صبروا وتمام البحث فيه قد سلف فى الانعام فى قوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن وكفى بربك هاديا ونصيرا الى مصالح الدين والدنيا أو الى طريق قهرهم والانتصار منهم ونصيرا لك على أعدائك ثم حكى عنهم شبهة خامسة وهى قولهم هلا ينزل عليه القرآن حال كونه جملة واحدة أى مجتمعا ومعنى التنزيل ههنا التعدية فقط

أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل قال مده مابين صلاة الصبح الى طلوع الشمس **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا قال الظل مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس **حدثنا** محمد ابن عبدالله بن بزيع قال ثنا أبو محصن عن حصين عن أبي مالك قال ألم تر الى ربك كيف مد الظل قال مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كيف مد الظل قال ظل الغداة قبل ان تطلع الشمس **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الظل ظل الغداة قال **حدثنى** حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل قال مده من طلوع الفجر الى طلوع الشمس **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل يعنى من صلاة الغداة الى طلوع الشمس قوله ولو شاء لجعله ساكنا يقول ولو شاء لجعله دائما لا يزول ممدودا لا تذهبه الشمس ولا تنقصه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولو شاء لجعله ساكنا يقول دائما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولو شاء لجعله ساكنا قال لا تصيبه الشمس ولا يزول **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولو شاء لجعله ساكنا قال لا يزول **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو شاء لجعله ساكنا قال دائما لا يزول وقوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يقول جل ثناؤه ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس اياه عند طلوعها عليه انه خلق من خلق ربكم يوجده اذا شاء ويفنيه اذا أراد والهاء فى قوله عليه من ذكر الظل ومعناه ثم جعلنا الشمس على الظل دليلا وقيل معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس التى تنسخه لم يعلم انه شئ اذ كانت الاشياء انما تعرف باضدادها نظير الحلو الذى انما يعرف بالحامض والبارد بالحار وما أشبه ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يقول طلوع الشمس **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قال تحويه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قال أخرجت ذلك الظل فذهبت به وقوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يقول تعالى ذكره ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظل الينا قبضا خفيا سريعا بالفئ الذى يأتى به بالعشى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا قال حوى الشمس الظل وقيل ان الهاء التى فى قوله ثم قبضناه الينا عائدة على الظل وان معنى الكلام ثم قبضنا الظل الينا بعد غروب الشمس وذلك أن الشمس اذا غربت غاب الظل الممدود قالوا وذلك وقت قبضه واختلف أهل التأويل فى معنى قوله يسيرا فقال بعضهم معناه سريعا ذكر من قال ذلك **حدثنى**

لقرينة قوله جملة خلاف ما تقرر فى أكثر المواضع من ارادة التكثير المفيد للتدريج كما مر فى قوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل والقائلون قريش أو اليهود فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله لنثبت الخ وتقريره من وجوه أحدها أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن قارئا كاتبا بخلاف موسى وداود وعيسى فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل الله عليه منجما فى عشرين سنة وعن ابن جريج فى ثلاث وعشرين ليكون أقرب الى الضبط وأبعد عن النسيان والسهو * وثانيها ان الاعتماد على الحفظ أقرب الى التحصيل من الاعتماد على الكتابة والحفظ لابد فيه من التدرج * وثالثها ان نزول الشرائع متدرجة أسهل على المكلف منها دفعة * ورابعها ان نزول جبريل ساعة فساعة مما يقوى قلبه ويعينه على تحمل اعباء النبوة والرسالة * وخامسها ان نزوله مفرقا يوجب وقوع التحدى على ابعاض القرآن وأجزائه ونزوله جملة يقتضى وقوع التحدى على مجموعه ولا ريب فيه ان الاول أدخل فى الاعجاز * وسادسها ان نزوله بحسب الوقائع والحوادث أوفق فى باب التكاليف والاستبصار وأدل على الاخبار عن الحوادث فى أوقاتها * وسابعها ان فى تجديد منصب السفارة فى كل حين مزيد شرف لجبريل وللترتيل معان منها انه قدره آية بعد آية ودفعة عقيب دفعة ومنها التأنى فى القراءة ومعنى ورتلناه أمرنا بترتيل قراءته ومنه حديث عائشة فى قراءته لا يسرد كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفها لعدها وهو مأخوذ من ترتيل الاسنان أى تفلجها يقال ثغر مرتل ويشبه بنور الاقحوان فى تفلجه ومنها انه نزله فى مدد متباعدة الاطراف جملتها عشرون سنة ولم يفرقه فى مدد متقاربة ثم ذكر انهم محجوجون فى كل أوان بقوله ولا يأتونك بمثل أى بسؤال عجيب من أسئلتهم الباطلة الذى كأنه مثل فى

على

على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يقول سريعا * وقال آخرون بل معناه قبضا خفيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عن مجاهد ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا قال خفيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قبضا يسيرا قال خفيا قال ان ما بين الشمس والظل مثل الخيط واليسير الفعيل من اليسر وهو السهل الهين فى كلام العرب أعنى الكلام اذ كان ذلك كذلك يتوجه لما روى عن ابن عباس ومجاهد لان سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء وقيل انما قيل ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا لان الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة ولا يقبل الظلام كله جملة وانما يقبض ذلك الظل قبضا خفيا شيأ بعد شئ ويعقب كل جزء منه يقبضه جزء من الظلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا) يقول تعالى ذكره الذى مد الظل ثم جعل الشمس عليه دليلا هو الذى جعل لكم أيها الناس الليل لباسا وانما قال جل ثناؤه جعل لكم الليل لباسا لانه جعله لخلقه جنة يجتنون فيها ويسكنون فصار لهم سترا يستترون به كما يستترون بالثياب التى يكسونها وقوله والنوم سباتا يقول وجعل لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم وتهدأ به جوارحكم وقوله وجعل النهار نشورا يقول تعالى ذكره وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم نشر الميت كما قال الاعشى

حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

ومنه قول الله لا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والنهار نشورا قال ينشر فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما اخترنا القول الذى اخترنا فى تأويل ذلك لانه عقيب قوله والنوم سباتا فى الليل فاذ كان ذلك كذلك فوصف النهار بان فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه اذ كان النوم أخا الموت والذى قال مجاهد غير بعيد من الصواب لان الله أخبر انه جعل النهار معاشا وفيه الانتشار للمعاش ولكن النشور مصدر من قول القائل نشر فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه كما صحت الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا أصبح وقام من نومه الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا) يقول تعالى ذكره والله الذى أرسل الرياح الملقحة نشرا حياة أمام الحياة والغيث الذى هو منزله على عباده وأنزلنا من السماء ماء طهورا يقول وأنزلنا من السحاب الذى أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا يعنى أرضا قحطة عذبة لا تنبت وقال بلدة ميتا ولم يقل ميتة لانه أريد بذلك لنحيى به موضعا ومكانا ميتا ونسقيه من خلقنا أنعاما من البهائم وأناسى كثيرا يعنى بالاناسى جمع انسان وجمع أناسى فجعل الياء عوضا من النون التى فى انسان وقد يجمع انسان اناسين كما يجمع النسيان نسانين فان قيل أناسى جمع واحده انسى وهو مذهب أيضا محكى وقد يجمع أناسى مخففة الياء وكان من جمع ذلك كذلك أسقط الياء التى بين عين الفعل ولامه كما يجمع القرقور قراقير وقراقر ومما يصحح جمعهم اياه بالتخفيف قول العرب أناسيه كثيرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد

البطلان الا ونحن نأتى بالجواب الحق الذى لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم قال جار الله لما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا ووجه آخر وهو أن يراد ولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت صفته وحاله أن ينزل معه ملك أو يلقى اليه كنز أو ينزل عليه القرآن جملة الا أعطيناك نحن ما يحق لك فى حكمتنا ومشيئتنا وما هو أحسن بيانا لما بعثت به ومن جملة ذلك تنزيل القرآن مفرقا منجما فان ذلك أدخل فى الاعجاز كما مر ثم أوعد هؤلاء الجهلة بانهم شر مكانا من أهل الجنة والبحث عنه نظير ما مر فى صفة أهل الجنة خير مستقرا قال جار الله كانه قيل لهم ان الذى يحملكم على هذه الاسئلة هو انكم تضللون سبيله صلى الله عليه وسلم وتحتقرون مكانه صلى الله عليه وسلم ومنزلته صلى الله عليه وسلم ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوهكم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا ثم ذكر طرفا من قصص الاولين على عادة افتنانه فى الكلام تنشيطا للاذهان وتسلية لنبيه كانه قال لست يا محمد باول من أرسلناه فكذب وآتيناه الآيات فرد بل آتينا موسى وقويناه باخيه ومع ذلك كذب وردّ ومعنى الوزير تقدم فى طه والوزارة لا تنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا ولا شترا كهما فى النبوة قيل لهما اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا أن حملناه على تكذيب آيات الالهية فظاهر وان حملناه على تكذيب بآيات النبوة فاللفظ ماض والمعنى على الاستقبال على عادة اخبار الله تعالى ويجوز أن يراد الى القوم الذين آل حالهم الى ان

صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا) يقول تعالى ذكره ولقد قسمنا هذا الماء
الذى أنزلناه من السماء طهورا لنحيى به الميت من الارض بين عبادى ليتذكروا نعمى عليهم
ويشكروا أيادى عندهم واحسانى اليهم فيأبى أكثرهم الا كفورا يقول الا جحودا لنعمى
عليهم وأيادى عليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمان عن أبيه قال سمعت الحسن بن مسلم يحدث
طاوسا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ماعام بأكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه بين خلقه
قال ثم قرأ ولقد صرفناه بينهم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمى قال ثنا
الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس ماعام بأكثر مطرا من عام ولكنه يصرفه فى
الارضين ثم تلا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا قال المطر ينزله فى الارض ولا
ينزله فى الارض الاخرى قال فقال عكرمة صرفناه بينهم ليذكروا حدثنى يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا قال المطر مرة ههنا ومرة ههنا
حدثنا سعيد بن الربيع الرازى قال ثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن أبى زياد انه سمع أبا
جحيفة يقول سمعت عبد الله بن مسعود يقول ليس عام بامطر من عام ولكنه يصرفه ثم قرأ عبد الله
ولقد صرفناه بينهم وأما قوله فأبى أكثر الناس الا كفورا فان القاسم حدثنا قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فأبى أكثر الناس الا كفورا قال قولهم فى الانواء

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم
به جهادا كبيرا) يقول تعالى ذكره ولو شئنا يا محمد لارسلنا فى كل مصر ومدينة نذيرا ينذرهم
بأسنا على كفرهم بنا فيخف عنك كثير من اعباء ما حملناك منه ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة
ولكنا حملناك ثقل نذارة جميع القرى لتستوجب بصبرك عليه ان صبرت ما أعد الله لك من
الكرامة عنده والمنازل الرفيعة قبله فلا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من أن تعبد آلهتهم
فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا حتى ينقادوا
للاقرار بما فيه من فرائض الله ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعا وكرها * وبنحو الذى
قلنا فى قوله وجاهدهم به قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله فلا تطع الكافرين وجاهدهم به قال
بالقرآن * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى
قوله وجاهدهم به جهادا كبيرا قال الاسلام وقرأ واغلظ عليهم وقرأ وليجدوا فيكم غلظة وقال
هذا الجهاد الكبير

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات
وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) يقول تعالى ذكره والله الذى خلط البحرين
فأمرج أحدهما فى الآخر وأفاضه فيه وأصل المرج الخلط ثم يقال للتخلية مرج لان الرجل اذا
خلى الشئ حتى اختلط بغيره فكأنه قد مرجه ومنه الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم وقوله لعبد
الله بن عمرو كيف بك يا عبد الله اذا كنت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم وصاروا
هكذا وشبك بين أصابعه يعنى بقوله قد مرجت اختلطت ومنه قول الله فى أمر مريج أى مختلط وانما
قيل للمرج مرج من ذلك لانه يكون فيه اخلاط من الدواب ويقال مرجت دابتك أى خليتها
تذهب حيث شاءت ومنه قول الراجز * دعها اما مرج ربيع مرجا * وبنحو ما قلنا فى تأويل
ذلك

كذبوا فدمرناهم وعلى هذا فلا حذف والتدمير الاهلاك وقوم نوح لما كذبوا الرسل بان كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل صريحا كأنهم لم
يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة أولان (١٤) تكذيب واحد من الرسل كتكذيب كلهم أغرقناهم وجعلناهم أى اغراقهم وقصتهم
للناس آية محل اعتبار وأعتدنا
للظالمين وهم قوم نوح أو لكل من
سلك سبيلهم فى التكذيب وقصة
عاد وثمود مذكورة مرارا وأما
الرس فعن أبى عبيدة انه البئر غير
المطوية والقوم كانوا من عبدة
الاصنام أصحاب آبار ومواش بعث
الله عز وجل اليهم شعيبا فدعاهم
الى الاسلام فأبوا فبيناهم حول
الرس انهارت بهم فخسف بهم
وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج
اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم
بقية ثمود وقيل هم أصحاب النبى
حنظلة بن صفوان ابتلاهم الله
بالعنقاء وهى أعظم ما يكون من
الطير سميت بذلك لطول عنقها
وكانت تسكن جبلهم وتنقض
على صبيانهم فتخطفهم ان أعوزها
الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها
الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة
فاهلكوا وقيل هم أصحاب الاخدود
والرس عند العرب الدفن يقال
رس الميت اذا دفن وغيب فى
الحفيرة وقيل الرس بانطاكية
قتلوا فيها حبيب النجار وستجىء
القصة فى سورة يس وعن على
رضى الله عنه انهم قوم يعبدون
شجرة الصنوبر رسوا نبيهم فى
الارض وقيل هم قوم كانت لهم
قرى على شاطئ نهر يقال له الرس
من بلاد المشرق فبعث الله تعالى
اليهم نبيا من ولد يهودا بن يعقوب
فكذبوه فلبث فيهم زمانا ثم حفروا
بئرا فأرسلوه فيها وقالوا نرجو أن
يرضى عنا الهنا وكان عامة قومهم
يسمعون أنين نبيهم يقول الهى
وسيدى ترى ضيق مكانى وشدة كربى وضعف قلبى فعجل قبض روحى حتى مات فأرسل الله تعالى ريحا
عاصفة شديدة الحمرة وصارت الارض من تحتهم حجر كبريت توقد وأظلتهم سحابة سوداء فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص وروى ابن جرير

ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهو الذي مرج البحرين يعني انه خلع أحدهما على الآخر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله مرج البحرين أفاض أحدهما على الآخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وهو الذي مرج البحرين يقول خلع أحدهما على الآخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن مجاهد مرج أفاض أحدهما على الآخر وقوله هذا عذب فرات الفرات شدة العذوبة يقال هذا ماء فرات أي شديد العذوبة وقوله وهذا ملح أجاج يقول وهذا ملح مر يعني بالعذب الفرات مياه الانهار والامطار وبالملح الاجاج مياه البحار وانما عنى بذلك انه من نعمته على خلقه وعظيم سلطانه يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الاجاج ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته وافساده اياه بقضائه وقدرته لئلا يضر افساده اياه بركبان الملح منهما فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم الى الماء فقال جل ثناؤه وجعل بينهما برزخا يعني حاجزا يمنع كل واحد منهما من افساد الآخر وحجرا محجورا يقول وجعل كل واحد منهما حراما محرما على صاحبه أن يغيره ويفسده * وبنحو الذي قلنا في تاويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج يعني انه خلع أحدهما على الآخر فليس يفسد العذب المالح وليس يفسد المالح العذب وقوله وجعل بينهما برزخا قال البرزخ الارض بينهما وحجرا محجورا يعني حجر أحدهما على الآخر بامره وقضائه وهو مثل قوله وجعل بين البحرين حاجزا وحدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا قال محبسا قوله وحجرا محجورا قال لا يختلط البحر بالعذب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وجعل بينهما برزخا قال حاجزا لا يراه أحد لا يختلط العذب في البحر قال ابن جريج فلم أجد بحرا عذبا الا الانهار العذاب فان دجلة تقع في البحر فاخبرني الخبير بها انها تقع في البحر فلا تمور فيه بينهما مثل الخيط الابيض فاذا رجعت لم ترجع في طريقها من البحر والنيل يصب في البحر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن مجاهد وجعل بينهما برزخا قال البرزخ انهما يلتقيان فلا يختلطان وقوله حجرا محجورا أي لا تختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا لا يبغي أحدهما على الآخر حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن رجاء عن الحسن في قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا قال هذا اليبس حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا قال جعل هذا ملحا أجاجا قال والاجاج المر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج يقول خلع أحدهما على الآخر فلا يغير أحدهما طعم الآخر وجعل بينهما برزخا هو الاجل ما بين الدنيا والآخرة بامره وقضائه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وجعل بينهما سترا لا يلتقيان قال والعرب اذا كلم

كذلك ما شاء الله فاحتطب يوما فلما أراد أن يحملها وجد نوما فاضطجع فضرب الله على آذانه سبع سنين ثم انتبه وتمطى وتحول لشقه الآخر فنام سبع سنين ثم هب فاحتمل حزمته وظن انه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته فاشترى طعاما وشرابا وذهب الى الحفرة فلم يجد أحدا وكان قومه استخرجوه فآمنوا به وصدقوه وذلك النبي يسألهم عن الاسود فيقولون لا ندري حاله حتى قبض الله تعالى النبي وقبض ذلك الاسود فقال صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود أول من يدخل الجنة قلت هذه الرواية ان صحت فلا مدخل لها في المقصود فان المقام يقتضي أن يكونوا قوما كذبوا انبيهم فاهلكوا الاجل ذلك أما قوله وقرونا بين ذلك فالمشار اليه ما ذكر من الامم وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ومثله قول المحاسب فذلك كذا أي فما ذكر من الاعداد مجموعها كذا وكذا من الامم والقرون فضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة ليعتبروا ويتعظوا وكلا تبرنا أهلكنا أشنع الاهلاك حين لم ينجع فيهم ضرب المثل والتبير التفتيت والتكسير وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا وكلا الثاني منصوب بتبرنا لانه ليس بمشتغل عنه بضميره والضمير في ولقد أتوا لقريش والقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا ومطر السوء الحجارة أفلم يكونوا في مرار مرورهم على تلك القرية في متاجرهم الى الشام يرونها بل كانوا قوما كفروا بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فمن ثم لم ينظروا الى آثار عذاب الله نظر عبرة وادكار ومن جملة كفرهم وعنادهم انهم اذا رأوك ان يتخذونك

أحدهم الآخر بما يكره قال حجرا قال سترا دون الذي تقول * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذي اخترناه في معنى قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا دون القول الذي قاله من قال معناه انه جعل بينهما حاجزا من الارض أو من اليبس لان الله تعالى ذكره أخبر في أول الآية انه مرج البحرين والمرج هو الخلط في كلام العرب على ما بينت قبل فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين والملح الاجاج أرضا أو يبسا لم يكن هنالك مرج البحرين وقد أخبر انه جل ثناؤه مرجهما وانما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الاجاج عن افساده هذا العذب الفرات مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه فاما اذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه فليس هنالك مرج ولا هنالك من الاعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس و يذكرون به وان كان كل ما ابتدعه ربنا عجيبا وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا) يقول تعالى ذكره والله الذي خلق من النطف بشرا انسانا فجعله نسبا وصهرا وذلك سبعة وصهرا وهو خمسة كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فجعله نسبا وصهرا النسب سبع قوله حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله وبنات الاخت والصهر خمس قوله وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم الى قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وقوله وكان ربك قديرا يقول وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق وتصريفهم فيما شاء وأراد ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا) يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم فتجلب اليهم نفعا اذا هم عبدوها ولا تضرهم ان تركوا عبادتها و يتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا كفاء لادناها وهي ما عدد علينا جل جلاله في هذه الآيات من قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل الى قوله قديرا ومن قدرته القدرة التي لا يمتنع عليه معها شيء أراده ولا يتعذر عليه فعل شيء أراد فعله ومن اذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحل به ما أحل بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر ولا له عنه دافع وكان الكافر على ربه ظهيرا يقول تعالى ذكره وكان الكافر معينا للشيطان على ربه مظاهرا له على معصيته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد وكان الكافر على ربه ظهيرا قال يظاهر الشيطان على معصية الله يعينه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على ربه ظهيرا قال معينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج أبو جهل معينا ظاهر الشيطان على ربه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا قال عونا للشيطان على ربه على المعاصي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا قال على ربه عوينا والظهير العوين وقرأ قول الله فلا تكونن ظهيرا للمجرمين قال لا تكونن لهم عوينا وقرأ أيضا قول الله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم قال ظاهروهم أعانوهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وكان الكافر على ربه ظهيرا يعني أبا الحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل بن هشام وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله وكان الكافر على

ربه

الا هزؤا فسر ذلك الاستهزاء بانهم يقولون مشيرين اليه على سبيل الاستصغار وهذا الذي بعث الله حال كونه رسولا بزعمه و يجوز أن يكون تسميته رسولا استهزاء آخر من حيث (١٦) انه تسليم واقرار في معرض الجحود والانكار وفي هذا جهل عظيم لانهم ان استصغروا صورته فانه أحسنهم خلقا وأعدلهم مزاجا مع انه لم يكن يدعي التمييز بالصورة وان استهزؤا المعنى فيه فقد وقع التحدي عليه وقامت الحجة عليهم فهم أحق بالاستهزاء منه حين أصروا على الباطل بعد وضوح البرهان على الحق ولقد شهد عليهم بعضهم بهذا التقرير ابن أخت خالتهم اذ قالوا ان كاد هي مخففة من الثقيلة واللام في ليضلنا هي الفارقة كانهم سلموا انه لقوة العقل وسطوع الحجة شارف أن يغلبهم على دينهم و يقلبهم عن طريقتهم لولا فرط لجاجهم وصبرهم على عبادة آلهتهم أطلقوا المقاربة أولا ثم قيدوها بلولا الامتناعية ثانيا وفيه انه صلى الله عليه وسلم بذل قصارى مجهوده في دعوتهم حتى شارفوا على الايمان بزعمهم وحين وصفوه بالاضلال والمضل لابد أن يكون ضالا في نفسه فكانهم وصفوه بالضلال فلا جرم أوعدهم الله على ذلك بقوله وسوف يعلمون الى آخر الآية وانما يرون العذاب عند كشف الغطاء عن بصر البصيرة ثم بين انه لا تمسك لهم فيما ذهبوا اليه سوى التقليد واتباع هوى النفس فقال معجبا لرسوله أرأيت من اتخذ الهه هواه قدم المفعول الثاني للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا ثم نفى أن يكون هو حافظا عليهم كقوله وما أنت عليهم بوكيل لست عليهم بمصيطر قال الكلبي نسختها آية القتال عن سعيد بن جبير كان الرجل يعبد الحجر فاذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ثم أضرب عن ذمهم باتخاذ الهوى الها الى نوع آخر أشنع في الظاهر فقال أم تحسب وهي منقطعة ومعناه بل أتحسب وخص أكثرهم بالذكر اما لصون الكلام عن المنع على عادة الفصحاء

العقلاء واما الان منهم من كان يعرف الحق الا أن حب الرياسة يحمله على الخلاف والثاني فهم السماع والعقل لانتفاء فائدتهما وأثرهما وباقي الآية تفسيرها مذكور في آخر الاعراف في قوله أولئك كالانعام (١٧) بل هم أضل قال جار الله جعلوا أضل من الانعام

على ربه ظهيرا الى وكان الكافر على ربه هينا من قول العرب ظهرت به فلم التفت اليه اذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت اليه وكأن الظهير عنده فعيل صرف من مفعول اليه من مظهور به كأنه قيل وكان الكافر مظهورا به والقول الذي قلناه هو وجه الكلام والمعنى الصحيح لان الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه فاولى الكلام أن يتبع ذلك ذمه اياهم وذم فعلهم دون الخبر عن هوانهم على ربهم ولما يجر لاستكبارهم عليه ذكر فيتبع بالخبر على هوانهم عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك يا محمد الى من أرسلناك اليه الا مبشرا بالثواب الجزيل من آمن بك وصدقك وآمن بالذي جئتهم به من عندي وعملوا به ونذيرا من كذبك وكذب ما جئتهم به من عندي فلم يصدقوا به ولم يعملوا قل ما أسألكم عليه من أجر يقول له قل لهؤلاء الذين أرسلتك اليهم ما أسألكم يا قوم على ما جئتكم به من عند ربي أجرا فتقولون انما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه فيه ولا نعطيه من أموالنا شيأ الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا يقول لكن من شاء منكم اتخذ الى ربه سبيلا طريقا بانفاقه من ماله في سبيله وفيما يقربه اليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوه وغير ذلك من سبل الخير ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا) يقول تعالى ذكره وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها فثق به في أمر ربك وفوض اليه واستسلم له واصبر على ما نابك فيه قوله وسبح بحمده يقول واعبده شكرا منك له على ما أنعم به عليك قوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا يقول وحسبك بالحي الذي لا يموت خابرا بذنوب خلقه فانه لا يخفى عليه شيء منها وهو محص جميعها عليهم حتى يجازيهم بها يوم القيامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا) يقول تعالى ذكره وتوكل على الحي الذي لا يموت الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام فقال وما بينهما وقد ذكر السموات والارض والسموات جماع لانه وجه ذلك الى الصنفين والشيئين كما قال القطامي

ألم يحزنك ان حبال قيس * وتغلب قد تباينتا انقطاعا

يريد وحبال تغلب فثنى والحبال جمع لانه أراد الشيئين والنوعين وقوله في ستة أيام قيل كان ابتداء ذلك يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه وذلك يوم السبت فيما قيل وقوله فاسئل به خبيرا يقول فاسئل يا محمد بالرحمن خبيرا بخلقه فانه خالق كل شيء ولا يخفى عليه ما خلق * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فاسئل به خبيرا قال يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتك شيأ فاعلم أنه كما أخبرتك أنا الخبير والخبير في قوله فاسئل به خبيرا منصوب على الحال عن الهاء التي في قوله به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم اسجدوا للرحمن أي اجعلوا سجودكم لله خالصا دون الآلهة والاوثان قالوا أنسجد لما تأمرنا * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة لما تأمرنا بمعنى أنسجد نحن يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له وقرأته عامة قراء الكوفة لما يأمرنا بالياء بمعنى أنسجد لما يأمرنا الرحمن وذكر بعضهم ان مسيلمة كان يدعى الرحمن فلما قال لهم النبي

لانها تنقاد لاربابها التي تعلفها وتعرف المحسن من المسيء وتجتنب المنافع وتجتنب المضار وتهتدى للمراعي والمشارب وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون أعظم المنافع وهو الثواب ولا يتقون أشد المضار وهو العقاب ولا يهتدون للحق الذي هو المرتع الهنيء والمشرب الروي قلت ويحسن أيضا أن يذكر في وجه التفضيل ان جهل الانعام بسيط غير مضر وجهل هؤلاء مركب مضر ومنهم من قال ان الانعام تسبح لله تعالى بخلاف الكفار ثم ذكر طرفا من دلائل التوحيد مع ما فيها من عظيم الانعام فأولها الاستدلال من أحوال الظل والرؤية اما بمعنى البصر فالمراد ألم ترالى صنع ربك أو ألم ترالى الظل كيف مده ربك واما بمعنى العلم وهو ظاهر وذلك ان الظل متغير والكل متغير موجد وصانع والخطاب لكل من له أهلية النظر والاستدلال والكلام في تفسير الآية مجال الا أن ملخص الاقوال فيه اثنان الاول ان الظل أمر متوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة كالكيفيات الحاصلة داخل السقوف الكاملة وأفنية الجدران وهو أعدل الاحوال لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الكامل لقوته يبهر الحس البصري ويؤذي بالتسخين ولذلك وصف الجنة به في قوله وظل ممدود ثم ان الناظر في الظل الى الجسم الملون كانه لا يشاهد شيأ سوى الجسم والملون فاذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زال ظله فيظهر للعقول انه كيفية زائدة على ما شاهده أولا ومعنى الآية ألم ترالى عجيب

صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا أنسجد لما يأمرنا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة بالسجود له * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك انهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وزادهم نفورا يقول وزاد هؤلاء المشركين قول القائل اسجدوا للرحمن من اخلاص السجود لله وافراد الله بالعبادة بعدا مما دعوا اليه من ذلك فرارا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) يقول تعالى ذكره تقدس الرب الذى جعل فى السماء بروجا ويعنى بالبروج القصور فى قول بعضهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن العلاء ومحمد بن المثنى وسالم بن جنادة قالوا ثنا عبد الله بن ادريس قال سمعت أبى عن عطية بن سعد فى قوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قال قصورا فى السماء فيها الحرس حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى أبو معاوية قال ثنى اسمعيل عن يحيى بن رافع فى قوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قال قصورا فى السماء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم جعل فى السماء بروجا قال قصورا فى السماء حدثنى اسمعيل بن سيف قال ثنى على بن مسهر عن اسمعيل عن أبى صالح فى قوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قال قصورا فى السماء فيها الحرس * وقال آخرون هى النجوم الكبار ذكر من قال ذلك حدثنى ابن المثنى قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا اسمعيل عن أبى صالح تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قال النجوم الكبار قال حدثنا الضحاك عن مخلد عن عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الكواكب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بروجا قال البروج النجوم * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال هى قصور فى السماء لان ذلك فى كلام العرب ولو كنتم فى بروج مشيدة وقول الاخطل

كأنها برج رومى يشيده * بان بجص وآجر وأحجار

يعنى بالبرج القصر وقوله وجعل فيها سراجا * اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وجعل فيها سراجا على التوحيد ووجهوا تأويل ذلك الى أنه جعل فيها الشمس وهى السراج التى عنى عندهم بقوله جعل فيها سراجا كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا قال السراج الشمس وقرأته عامة قراء الكوفيين وجعل فيها سرجا على الجماع كأنهم وجهوا تأويله وجعل فيها نجوما وقمرا منيرا وجعلوا النجوم سرجا اذ كان يهتدى بها * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الامصار لكل واحدة منهما وجه مفهوم فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وقمرا منيرا يعنى بالمنير المضىء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) * اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله جعل الليل والنهار خلفة فقال بعضهم معناه ان الله جعل كل واحد منهما خلفا من الآخر فى أن ما فات فى أحدهما من عمل يعمل فيه لله أدرك قضاؤه فى الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال فاتتنى الصلاة الليلة فقال أدرك ما فاتك من ليلتها فى نهارك فان الله جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة يقول من فاته شئ من الليل

صنع ربك كيف مد الظل أى جعله ممتدا منبسطا على الاجسام ولو شاء لجعله ساكنا لاصقا بكل مظل ثم جعلنا الشمس على وجوده دليلا فلولا الشمس ووقوع ضوءها على الاجرام لما عرف ان الظل وجود لان الاشياء انما تعرف باضدادها ثم قبضناه أى أزلنا الظل لا دفعة بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الاظلال فى جانب المغرب شيأ بعد شئ وفى القبض على هذا الوجه منافع جمة الثانى انه سبحانه لما خلق السماء والارض ألقت السماء ظلها على الارض ممدودا منبسطا ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها دليلا على ذلك الظل لان الظل يتبعها كما يتبع الدليل فى الطريق من حيث انه يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم لقبض الظل معنيان أحدهما انتهاء الاظلال الى غاية ما من النقصان بالتدريج وثانيهما قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الاجرام النيرة وقوله الينا يؤكد هذا الثانى فيكون قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير الاستدلال الثانى من أحوال الليل والنهار شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الراحة قاله أبو مسلم وذلك ان النوم سبب الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة فيه عند طائفة وعلى هذا فالنشور بمعنى الانتشار والحركة قال جار الله السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وعلى هذا فالنشور بمعنى البعث وتكون الآية نظير قوله وهو الذى يتوفاكم بالليل عن لقمان انه قال لابنه يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر الاستدلال الثالث قوله وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أى قدام المطر وقدمر ان تفسيره فى الاعراف وانه لم قال ههنا أرسل بلفظ الماضى وهنالك يرسل أما قوله وأنزلنا من السماء ماء طهورا فهو مسلم بين الفقهاء فى

الاستدلال به على طهارة الماء في نفسه وعلى مطهريته لغيره حتى فسر الطهور بعضهم ومنهم أحمد بن يحيى بانه الذي يكون طاهرا في نفسه
مطهرا لغيره واعترض عليهم صاحب الكشاف بان الذي قالوه ان كان شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا والا فليس فعول

أن يعمله أدركه بالنهار أو من النهار أدركه بالليل حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله جعل الليل والنهار خلفة قال جعل أحدهما خلفا للآخر ان فات رجلا من النهار شيء أدركه من الليل وان فاته من الليل أدركه من النهار * وقال آخرون بل معناه انه جعل كل واحد منهما مخالفا صاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الليل والنهار خلفة قال أسود وأبيض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن عمرو بن قيس بن أبي مسلم الماصر عن مجاهد وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال أسود وأبيض * وقال آخرون بل معنى ذلك ان كل واحد منهما يخلف صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا واذا ذهب هذا جاء هذا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا قيس عن عمر بن قيس الماصر عن مجاهد قوله جعل الليل والنهار خلفة قال هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال لو لم يجعلهما خلفة لم يدر كيف يعمل لو كان الدهر ليلا كله كيف يدري أحد كيف يصوم أو كان الدهر نهارا كله كيف يدري أحد كيف يصلي قال والخلفة مختلفان يذهب هذا ويأتي هذا جعلهما الله خلفة للعباد وقرأ لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا والخلفة مصدر فلذلك وحدت وهي خبر عن الليل والنهار والعرب تقول خلف هذا من كذا خلفة وذلك اذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله كما قال الشاعر

ولها بالماطرون اذا * أكل النمل الذي جمعا
خلفة حتى اذا ارتبعت * سكنت من جلق تبعا

(وكما قال زهير)

بها العين والآرام يمشين خلفة * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

يعني بقوله يمشين خلفة تذهب منها طائفة وتخلف مكانها طائفة أخرى وقد يحتمل ان زهيرا أراد بقوله خلفة مختلفات الالوان وانها ضروب في ألوانها وهيآتها ويحتمل أن يكون أراد انها تذهب في مشيها كذا وتجيء كذا وقوله لمن أراد أن يذكر أمر الله فينيب الى الحق أو أراد شكورا نعمة الله عليه التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أو أراد شكورا قال شكر نعمة ربه عليه فيهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لمن أراد أن يذكر ذلك آية له أو أراد شكورا قال شكر نعمة ربه عليه فيهما * واختلفت القراء في قراءة قوله يذكر فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يذكر مشددة بمعنى يتذكر وقرأ عامة قراء الكوفيين يذكر مخففة وقد يكون التشديد والتخفيف في مثل هذا بمعنى واحد يقال ذكرت حاجة فلان وتذكرتها والقول في ذلك انهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيهما ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) يقول تعالى ذكره وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين ولا متجبرين ولا ساعين

من التفعيل في شيء وأقول ان الزمخشري سلم ان الطهور في العربية على وجهين صفة كقولك ماء طهور أي طاهر واسم غير صفة ومعناه ما يتطهر به كالوضوء والوقود بفتح الواو فيهما الماء يتوضأ به و يوقد به النار وعلى هذا فالنزاع مدفوع لان الماء مما يتطهر به هو كونه مطهر الغيره فكأنه سبحانه قال وأنزلنا من السماء ماء هو آلة للطهارة و يلزمه أن يكون طاهرا في نفسه ومما يؤكد هذا التفسير انه تعالى ذكره في معرض الانعام فوجب حمله على الوصف الاكمل ولا يخفى ان المطهر أكمل من الطاهر نظيره و ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ولا ضير ان نذكر بعض أحكام المياه المستنبطة من الآية فنقول ههنا نظران الاول ان عين الماء هو طهور أم لا مذهب الاصم والاوزاعي انه يجوز الوضوء بجميع المائعات وقال أبو حنيفة يجوز الوضوء بنبيذ التمر في السفر و تجوز ازالة النجاسة بجميع المائعات المزيلة لاعيان النجاسات وقال الشافعي وغيره من الائمة ان الطهورية مختصة بالماء لما مر في أول المائدة من ايجاب التيمم عند عدم الماء ولو شارك الماء مائع آخر لما أمر بالتيمم الا بعد اعوازه أيضا ودليله في الخبث قوله صلى الله عليه وسلم ثم اغسليه بالماء النظر الثاني في الماء وفيه بحثان الاول في الماء المستعمل وانه طاهر عند الشافعي وليس بطهور في قوله الجديد أما
الاول فلاطلاق الآية وأنزلنا من السماء ماء طهورا والاصل بقاؤه والحديث خلق الماء طهورا ولان السلف كانوا لا يحترزون عن تقاطر ماء الوضوء على ثيابهم وأبدانهم ولانه ماء طاهر لقي جسما طاهرا فاشبه ما اذا لاقى حجارة وأما الثاني فلقوله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل أحدكم

فيها بالفساد ومعاصي الله * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير انهم اختلفوا فقال بعضهم عني بقوله يمشون على الارض هونا انهم يمشون عليها بالسكينة والوقار ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذين يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبي الوضاح عن عبد الكريم عن مجاهد يمشون على الارض هونا قال بالحلم والوقار **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يمشون على الارض هونا بالوقار والسكينة **حدثني** يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال بالسكينة والوقار **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن شريك عن جابر عن عمار عن عكرمة في قوله يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة قال **حدثنا** ابن يمان عن سفيان عن منصور عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب عن عمرو الملائي يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة * وقال آخرون بل معنى ذلك انهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الذين يمشون على الارض هونا بالطاعة والعفاف والتواضع **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال يمشون على الارض بالطاعة **حدثني** أحمد بن عبد الرحمن قال ثني عمي عبد الله بن وهب قال كتب الى ابراهيم بن سويد قال سمعت زيد بن أسلم يقول التمست تفسير هذه الآية الذين يمشون على الارض هونا فلم أجدها عند أحد فأتيت في النوم فقيل لي هم الذين لا يريدون يفسدون في الارض **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن اسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه قال لا يفسدون في الارض **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال لا يتكبرون على الناس ولا يتجبرون ولا يفسدون وقرأ قول الله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين * وقال آخرون بل معنى ذلك انهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبي الاشهب عن الحسن في يمشون على الارض هونا قال حلماء وان جهل عليهم لم يجهلوا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة يمشون على الارض هونا قال حلماء **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله يمشون على الارض هونا قال علماء حلماء لا يجهلون وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما يقول واذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول أجابوهم بالمعروف من القول والسداد من الخطاب * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو الاشهب عن الحسن واذا خاطبهم الآية قال حلماء وان جهل عليهم لم يجهلوا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن في قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال ان المؤمنين قوم ذلل ذلت والله الاسماع والابصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وانهم لاصحاء القلوب ولكن دخلهم

في الماء الدائم وهو جنب ولو بقي الماء كما كان طاهرا مطهرا لما كان المنع منه معنى وكانت الصحابة لا يحتنون بحفظه ليستعملوه ثانيا ولو كان طهورا لحفظوا اما بغنيهم عن التيمم وقال مالك والسدي انه طاهر مطهر لاطلاق الآية والحديث والاصل بقاء صفته على ما كان عليه و روي انه صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح رأسه بفضل ما في يده وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم اغتسل فرأى لمعة في جسده لم يصبها الماء فأخذ شعرة عليها بلل فأمرها على تلك اللمعة ولقياس ما انفصل من العضو على ما لم ينفصل منه وقال أبو حنيفة انه نجس قياسا للنجاسة الحكمية على النجاسة والمراد باستعمال الماء في المسئلة تأدي عبادة الطهارة به أو انتقال المنع اليه فيه وجهان لاصحاب الشافعي و يتفرع عليه ان المستعمل في الكرة الثانية والثالثة وفي تجديد الوضوء والاغسال المسنونة ليس بطهور على الاول طهور على الثاني والماء المستعمل في الحدث لا يجوز استعماله في الخبث على الاصح لانه مائع لا يرفع الحدث فلا يزيل الخبث كسائر المائعات البحث الثاني الماء المتغير ان تغير بنفسه لطول المكث جاز الوضوء به لانه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من بئر بضاعة وكان ماؤها كأنه نقاعة الحناء وان تغير بغيره ولم يتصل به كما لو وقع بقرب الماء جيفة فأنتن الماء فهو أيضا مطهر وان اتصل به وكان طاهرا ولم يخالطه كما لو تغير بدهن أو عود أو كافور صلب فهو أيضا مطهر وان خالطه فان لم يمكن صون الماء عنه كالمتغير بالتراب والحمأة والورق المتناثر والطحلب فلا بأس بذلك دفعا للحرج وكذا لو جرى الماء في طريقه على معدن زرنيخ أو نورة أو كحل وان أمكن بان يكون الماء مستغنيا عن جنس ذلك الخليط فان كان المغير قليلا بحيث لا يضاف الماء اليه أولا يستحدث من اسما جديدا جاز التوضؤ به والا فلا خلافا لأبي حنيفة حجة الشافعي انه صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به فذلك

من الخوف مالم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا عاهم بالآخرة فقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والله ماحزنهم حزن الدنيا ولا تعاظم فى أنفسهم ماطلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار وانه من لا يعتز بعز الله يقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله عليه نعمة الا فى مطعم ومشرب فقد قل علمه وحضر عذابه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سدادا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن عبد الكريم عن مجاهد واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سدادا من القول حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا يحيى بن يمان عن أبى الاشهب عن الحسن قال حلماء لا يجهلون وان جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا هذا نهارهم فكيف ليلهم خير ليل صفوا أقدامهم وأجروا دموعهم على خدودهم يطلبون الى الله جل ثناؤه فى فكاك رقابهم قال حدثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبادة عن الحسن قال علماء لا يجهلون وان جهل عليهم حلموا القول فى تأويل قوله تعالى (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما) يقول تعالى ذكره والذين يبيتون لربهم يصلون لله يراوحون بين سجود فى صلاتهم وقيام وقوله وقياما جمع قائم كالصيام جمع صائم والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم يقول تعالى ذكره والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرا ووجلا وقوله ان عذابها كان غراما يقول ان عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار ومهلكا له ومنه قولهم رجل مغرم من الغرم والدين ومنه قيل الغريم غريم لطلبه حقه والحاحه على صاحبه فيه ومنه قيل للرجل المولع بالنساء انه لمغرم بالنساء وفلان مغرم بفلان اذا لم يصبر عنه ومنه قول الاعشى

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ * ـط جزيلا فانه لا يبالى

يقول ان يعاقب يكن عقابه عقابا لازما لا يفارق صاحبه مهلكا له وقول بشر بن أبى حازم

ويوم النسار ويوم الجفار * كان عقابا وكان غراما

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن الحسن الازدى قال أخبرنا المعافى بن عمران الموصلى عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب فى قوله ان عذابها كان غراما قال ان الله سأل الكفار عن نعمه فلم يؤدوها اليه فاغرمهم فادخلهم النار قال حدثنا المعافى عن أبى الاشهب عن الحسن فى قوله ان عذابها كان غراما قال قد علموا ان كل غريم مفارق غريمه الا غريم جهنم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان عذابها كان غراما قال الغرام الشر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ان عذابها كان غراما قال لا يفارقه وقوله انها ساءت مستقرا ومقاما يقول ان جهنم ساءت مستقرا ومقاما يعنى بالمستقر القرار وبالمقام الاقامة كان معنى الكلام ساءت جهنم منزلا ومقاما واذا ضمت الميم من المقام فهو من الاقامة واذا فتحت فهو من قمت ويقال المقام اذا فتحت الميم أيضا هو المجلس ومن المقام بضم الميم بمعنى الاقامة قول سلامة بن جندل

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأويب

ومن المقام الذى بمعنى المجلس قول عباس بن مرداس

فأنى مؤويك ان كان شرا * فعيد الى المقامة لا يراها

الوضوء وان كان بالماء المتغير وجب أن لا يجوز الا به وليس كذلك بالاتفاق فهو بماء غير متغير وهو المطلوب وللقائل أن يقول ان هذا اشارة الى كيفية الوضوء لا الى كيفية الماء والمراد انه تعالى لا يقبل الصلاة بما دون ذلك وأما النكال فلا كلام فيه قال وأيضا اذا اختلط ماء الورد بالماء فتوضأ الانسان به يحتمل أن يغسل بعض الاعضاء بماء الورد لا بالماء فيكون الحدث يقينا والطهر مشكوكا فيه والشك لا يرفع اليقين وهذا بخلاف ما اذا كان قليلا لا يظهر أثره فانه كالمعدوم وأيضا الوضوء تعبد لا يعقل معناه ولهذا لو توضأ بماء الورد لم يصح وضوءه ولو توضأ بالماء الكدر والمتعفن صح وضوءه وما لا يعقل معناه وجب الاعتماد فيه على مورد النص حجة أبى حنيفة اطلاق الآية وقوله فاغسلوا وجوهكم وقوله فان لم تجدوا ماء وهذا الشخص غسل ووجد الماء ولانه صلى الله عليه وسلم أباح الوضوء بسؤر الهرة وسؤر الحائض وان خالطهما شئ من لعابهما ولانه لا خلاف فى جواز الوضوء بماء السيول وان تغير لونها الى ألوان ما تمر عليها فى الصحارى من الحشائش وغيرها هذا كله اذا كان الخليط طاهرا فان كان نجسا فمذهب الحسن البصرى والنخعى ومالك وداود واليه ميل الغزالى فى الاحياء ان الماء لا ينجس مالم يتغير بالنجاسة سواء كان الماء كثيرا أو قليلا ومذهب أبى حنيفة ان الماء ينجس باستعماله فى البدن لاداء عبادة وتيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن سواء تغير أحد أوصافه الثلاثة أولم يتغير قال أبو بكر الرازى ولا يختلف على هذا الحكم ماء البحر وماء البئر والغدير والراكد والجارى لان ماء البحر لو وقعت فيه نجاسة لم يجز استعمال الماء الذى فيه النجاسة وكذلك الماء الجارى قال وأما اعتبار أصحابنا للغدير الذى اذا حرك أحد طرفيه لم يتحرك الطرف الآخر فانما هو كلام فى وجه يغلب على الظن عدم بلوغ النجاسة الواقعة فى أحد طرفيه

الى الطرف الآخر وليس كلاما في ان بعض المياه الذى فيه النجاسة قد يجوز استعماله و بعضها لا يجوز استعماله ومن الناس من فرق بين القليل والكثير ثم اختلفوا فى حد الكثير فعن عبدالله بن عمر اذا كان الماء أربعين قلة لم ينجسه شئ وقال سعيد بن جبير

يعني المجلس ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) يقول تعالى ذكره والذين اذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا فى انفاقها * ثم اختلف أهل التأويل فى النفقة التى عناها الله فى هذا الموضع وما الاسراف منها والاقتار فقال بعضهم الاسراف ما كان من نفقة فى معصية الله وان قلت قالوا واياها عنى الله وسماها اسرافا قالوا والاقتار المنع من حق الله ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قال هم المؤمنون لا يسرفون فينفقوا فى معصية الله ولا يقترون فيمنعون حقوق الله تعالى حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال لو أنفقت مثل أبى قبيس ذهبا فى طاعة الله ما كان سرفا ولو أنفقت صاعا فى معصية الله كان سرفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال فى النفقة فيما نهاهم وان كان درهما واحدا ولم يقتروا ولم يقصروا عن النفقة فى الحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قال لم يسرفوا فينفقوا فى معاصى الله كل ما أنفق فى معصية الله وان قل فهو اسراف ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة الله قال وما أمسك عن طاعة الله وان كثر فهو اقتار قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابراهيم بن نشيط عن عمر مولى عفرة انه سئل عن الاسراف ما هو قال كل شئ أنفقته فى غير طاعة الله فهو سرف * وقال آخرون السرف المجاوزة فى النفقة الحد والاقتار التقصير عن الذى لا بد منه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد السلام بن حرب عن مغيرة عن ابراهيم قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف حدثني سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن يزيد بن خنيس أبو عبد الله المخزومى المكى قال سمعت وهيب ابن الورد أبا الورد مولى بنى مخزوم قال لقى عالم عالما هو فوقه فى العلم فقال يرحمك الله أخبرنى عن هذا البناء الذى لا اسراف فيه ما هو قال هو ما سترك من الشمس وأكنك من المطر قال يرحمك الله فأخبرنى عن هذا الطعام الذى نصيبه لا اسراف فيه ما هو قال ما سد الجوع ودون الشبع قال يرحمك الله فأخبرنى عن هذا اللباس الذى لا اسراف فيه ما هو قال ما ستر عورتك وأدفأك من البرد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الرحمن بن شريح عن يزيد بن أبى حبيب فى هذه الآية والذين اذا أنفقوا الآية قال كانوا لا يلبسون ثوبا للجمال ولا يأكلون طعاما للذة ولكن كانوا يريدون من اللباس ما يسترون به عورتهم ويكتنون به من الحر والقر ويريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع وقواهم على عبادة ربهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن العلاء بن عبد الكريم عن يزيد بن مرة الجعفى قال العلم خير من العمل والحسنة بين السيئتين يعنى اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وخير الاعمال أوساطها حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا كعب بن فروخ قال ثنا قتادة عن مطرف بن عبد الله قال خير هذه الامور أوساطها والحسنة بين السيئتين فقلت لقتادة ما الحسنة بين السيئتين فقال الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآية وقال آخرون الاسراف هو أن تأكل مال غيرك بغير حق ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا سالم بن سعيد عن أبى معدان قال كنت عند عون بن عبد الله بن عتبة فقال ليس المسرف من يأكل ماله انما المسرف من يأكل مال غيره * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك قول من قال الاسراف من النفقة الذى عناه الله فى هذا الموضع ما جاوز الحد الذى أباحه الله لعباده الى ما فوقه

الماء الراكد لا ينجسه شئ اذا كان قدر ثلاث قلال وقال الشافعى اذا كان الماء قلتين بقلال هجر لم ينجسه الا ما غير طعمه أو ريحه أو لونه وقد ينصر من المذاهب قول مالك لوجوه منها قوله وأنزلنا من السماء ماء طهورا ترك العمل به فى الماء الذى تغير لونه أو طعمه أو ريحه لظهور النجاسة فيه ولقوله خلق الماء طهورا لا ينجسه شئ الا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه فبقى ما عداه على الاصل ومنها قوله تعالى فاغسلوا والمتوضئ بهذا الماء قد غسل أعضاءه ولاسيما اذا كانت النجاسة مستهلكة فيه لا يظهر عليه آثارها وخواصها من الطعم أو اللون أو الريح ومنها ان عمر توضأ من جرة نصرانية مع ان نجاسة أوانيهم غالبة على الظن فدل ذلك على انه لم يعول الا على عدم التغير ومنها ان تقدير الماء بمقدار معلوم لو كان معتبرا كالقلتين عند الشافعى وعشر فى عشر عند أبى حنيفة لكان أولى المواضع بذلك مكة والمدينة لانه لا يكثر المياه هنالك لا الجارية ولا الراكدة ولم ينقل انهم خاضوا فى تقدير المياه ولا انهم سئلوا عن كيفية حفظها وكانت أوانيهم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وكانوا لا يمنعون الهرة من شرب الماء وقد أصغى لها الاناء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا يرون انها تأكل الفأر ولم يكن فى بلادهم حياض يكرع السنانير فيها ومنها ان الشافعى نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير بنجس وأى فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأى معنى لقول القائل ان قوة الور [illegible] النجاسة مع ان قوة الورود لم تمنع

والاقتار

نجاسة فى قلتين وكل كوز يؤخذ منه فهو طاهر عنده ومعلوم ان البول ينتشر فيه وهو قليل فاى فرق بينه اذا وقع ذلك البول فى ذلك العذب من الماء ابتداء وبينه اذا وصل اليه عند اتصال غيره به ومنها أن الحمامات لم تزل فى الاعصار الخالية يتوضأ منها المتقشفون مع علمهم بان الايدى والاوانى الطاهرة كانت تتوارد عليها ولو كان التقدير بالقلتين وغير ذلك معتبرا لاشتهر وتواتر ومنها ان النصوص فى التقدير متخالفة أما تقدير أبى حنيفة بالعشر فى العشر فمجرد تحكم وأما تقدير الشافعى بالقلتين بناء على قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا فضعيف لان راويه مجهول فان الشافعى لما روى هذا الخبر قال أخبرنى رجل فيكون الحديث مرسلا والمرسل عنده ليس بحجة سلمناه ولكن القلة مجهولة فانها تصلح للكوز والجرة ولكل ما يقل باليد وهى أيضا اسم لهامة الرجل ولقلة الجبل سلمنا لكن فى متن الخبر اضطراب فقد روى اذا بلغ الماء قلتين وروى اذا بلغ قلة وروى أربعين وإذا بلغ كرين سلمنا صحة المتن لكنه متروك الظاهر لان قوله لم يحمل خبثا لا يمكن اجراؤه على ظاهره فان الخبث اذا ورد عليه فقد حمله سلمنا اجراؤه على الظاهر لكن الخبث لغوى وشرعى وحمله على اللغوى لكونه حقيقة أولى اعنى الحديث

والاقتار ما قصر عما أمر الله به والقوام بين ذلك وانما قلنا ان ذلك كذلك لان المسرف والمقتر كذلك ولو كان الاسراف والاقتار فى النفقة مرخصا فيهما ما كانا مذمومين ولا كان المسرف ولا المقتر مذموما لان ما أذن الله فى فعله فغير مستحق فاعله الذم فان قال قائل فهل لذلك من حد معروف تبينه لنا قيل نعم ذلك مفهوم فى كل شئ من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البر وغير ذلك نكره تطويل الكتاب بذكر كل نوع من ذلك مفصلا غير ان جملة ذلك هو ما بينا وذلك نحو أكل آكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه وينهك قواه ويشغله عن طاعة ربه وأداء فرائضه وذلك من السرف وان يترك الاكل وله اليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه وينهك قواه ويضعفه عن أداء فرائض ربه فذلك من الاقتار وبين ذلك القوام على هذا النحو كل ما جانس ما ذكرنا فاما اتخاذ الثوب للجمال يلبسه عند اجتماعه مع الناس وحضوره المحافل والجمع والاعياد دون ثوب مهنته أو أكله من الطعام ما قواه على عبادة ربه فما ارتفع عما قد يسد الجوع ما هو دونه من الاغذية غير انه لا يعين البدن على القيام لله بالواجب معونته فذلك خارج عن معنى الاسراف بل ذلك من القوام لان النبى صلى الله عليه وسلم قد أمر ببعض ذلك وحض على بعضه كقوله ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين ثوبا لمهنته وثوبا لجمعته وعيده وكقوله اذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن يرى أثره عليه وما أشبه ذلك من الاخبار التى قد بيناها فى مواضعها وأما قوله وكان بين ذلك قواما فانه النفقة بالعدل والمعروف على ما قد بينا * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبى سليمان عن وهب بن منبه فى قوله وكان بين ذلك قواما قال الشطر من أموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وكان بين ذلك قواما النفقة بالحق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكان بين ذلك قواما قال القوام أن ينفقوا فى طاعة الله ويمسكوا عن محارم الله قال أخبرنى ابراهيم ابن نشيط عن عمر مولى عفرة قال قلت له ما القوام قال القوام أن لا تنفق فى غير حق ولا تمسك عن حق هو عليك والقوام فى كلام العرب بفتح القاف وهو الشئ بين الشيئين تقول المرأة المعتدلة الخلق انها لحسنة القوام فى اعتدالها كما قال الحطيئة

طافت أمامة بالركبان آونة * يا حسنها من قوام زان منتقبا

فاما اذا كسرت القاف فقلت انه قوام أهله فانه يعنى به انه به يقوم أمرهم وشأنهم وفيه لغات أخر يقال منه قيام أهله وقيمهم فى معنى قوامهم فمعنى الكلام وكان انفاقهم بين الاسراف والاقتار قواما معتدلا لا يجاوزه عن حد الله ولا تقصيرا عما فرضه الله ولكن عدلا بين ذلك على ما أباحه جل ثناؤه وأذن فيه ورخص *واختلفت القراء فى قراءة قوله ولم يقتروا فقرأته عامة قراء المدينة ولم يقتروا بضم الياء وكسر التاء من أقتر يقتر وقرأته عامة قراء الكوفيين ولم يقتروا بفتح الياء وضم التاء من قتر يقتر وقرأته عامة قراء البصرة ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء من قتر يقتر والصواب من القول فى ذلك ان كل هذه القرآت على اختلاف ألفاظها لغات مشهورات فى العرب وقرآت مستفيضات فى قراء الامصار بمعنى واحد فبأيتها قرأ القارئ فمصيب وقد بينا معنى الاسراف والاقتار بشواهدهما فيما مضى من كتابنا فى كلام العرب فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وفى نصب القوام وجهان أحدهما ما ذكرت وهو أن يجعل فى كان اسم الانفاق بمعنى انفاقهم ما أنفقوا بين ذلك قواما أى عدلا والآخر أن يجعل بين هو الاسم فيكون وان كانت فى اللفظة نصبا فى معنى رفع كما يقال كان دون هذا لك كافيا يعنى به أقل من هذا كان لك كافيا فكذلك يكون فى قوله وكان بين ذلك قواما لان معناه وكان

الوسط من ذلك قواما ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) يقول تعالى ذكره والذين لا يعبدون مع الله الها آخر فيشركون فى عبادتهم اياه ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ولا يقتلون النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق اما بكفر بالله بعد اسلامها أو زنا بعد احصانها وقتل نفس فيقتل بها ولا يزنون فيأتون ما حرم الله عليهم اتيانه من الفروج ومن يفعل ذلك يقول ومن يأت هذه الافعال فدعا مع الله الها آخر وقتل النفس التى حرم الله بغير الحق وزنى يلق أثاما يقول يلق من عقاب الله عقوبة ونكالا كما وصفه ربنا جل ثناؤه وهو انه يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ومن الاثام قول بلعام بن قيس الكنانى

جزى الله ابن عروة حيث أمسى * عقوقا والعقوق له أثام

يعنى بالاثام العقاب وقد ذكر ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول فى الاسلام ممن قد كان فى شركه هذه الذنوب فخافوا أن لا ينفعهم مع ماسلف من ذلك اسلام فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فانزل الله تبارك وتعالى هذه الآية يعلمهم ان الله قابل توبة من تاب منهم ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان ناسا من أهل الشرك قتلوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزلت قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى قوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال ابن جريج وقال مجاهد مثل قول ابن عباس سواء حدثنا عبد الله بن محمد الفريابى قال ثنا سفيان عن أبى معاوية عن أبى عمرو الشيبانى عن عبد الله قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم ما الكبائر قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك وان تقتل ولدك من أجل ان يأكل معك أو تزنى بحليلة جارك وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب الله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن الاعمش ومنصور عن أبى وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله قال قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال ان تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أى قال ثم ان تزانى حليلة جارك فانزل الله تصديق قول النبى صلى الله عليه وسلم والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية حدثنا سليمان بن عبد الجبار قال ثنا على بن قادم قال ثنا اسباط بن نصر الهمدانى عن منصور عن أبى وائل عن أبى ميسرة عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنى عمى يحيى بن عيسى عن الاعمش عن سفيان عن عبد الله قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى الذنب أكبر ثم ذكر نحوه حدثنى أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا عامر بن مدرك قال ثنا السرى يعنى ابن اسمعيل قال ثنا الشعبى عن مسروق قال قال عبد الله خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاتبعته فجلس على نشز من الارض وقعدت أسفل منه ووجهى حيال ركبتيه فاغتنمت

خلوته

القلتين فان يحيى بن معين قال انه جيد الاسناد فقيل له ان ابن علية وقفه على ابن عمر فقال ان كان ابن علية وقفه فحماد بن سلمة رفعه وقوله القلة مجهولة غير مسلم لان ابن جريج قال فى روايته بقلال هجر ثم قال وقد شاهدت قلال هجر وكانت القلة تسع قربتين وشيأ واذا كانت هذه الرواية معتبرة فقط لم يكن فى متن الحديث اضطراب وحمل الخبث على الشرعى أولى لان المسئلة شرعية وتفسير عدم حمل الخبث بالتأثر تعسف لانه صح فى بعض الروايات اذا كان الماء قلتين لم ينجس ولانه لا يبقى لذكر القلتين حينئذ فائدة لان مادون القلتين أيضا بتلك المثابة وزيف بانه بعد التصحيح يوجب تخصيص عموم الكتاب والسنة الظاهرة البعيدة عن الاحتمال بمثل هذا الخبر المجمل * حجة من حكم بنجاسة الماء الذى خالطه نجاسة كيف كانت قوله تعالى ويحرم عليهم الخبائث وقوله انما حرم عليكم الميتة والدم وقال فى الخمر رجس من عمل الشيطان حرم هذه الاشياء مطلقا ولم يفرق بين حال انفرادها وحال اختلاطها بالماء فوجب تحريم استعمال كل ماء تيقنا فيه جزأ من النجاسة وأيضا الدلائل التى ذكرتموها مبيحة ودلائلنا حاظرة والحاظر غالب على المبيح بدليل ان الجارية المشتركة لا يحل لواحد منهما وطؤها وأيضا قال صلى الله عليه وسلم لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل فيه من جنابة أطلق من غير فرق بين القليل والكثير أجاب مالك بانه لا نزاع فى تحريم استعمال النجاسات لكن الكلام فى أنه متى مالم يتغير فليس النجاسة أثر لانها انقلبت عن صفتها فكانها معدومة والنهى عن البول فى الماء لتنفر الطبع أو التنزيه لا التحريم واعلم أنه سبحانه بين فى سورة الانفال ان من غاية انزال الماء من السماء تطهير المكلفين به حين قال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فنى وصفه ههنا بكونه طهورا اشارة الى ذلك ثم رتب على الانزال غايتين أخريين أولاهما تتعلق بالنبات والثانية

خلوته قلت بابى وأمى يارسول الله أى الذنوب أكبر قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قلت ثم مه قال ان تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك قلت ثم مه قال ان تزانى بحليلة جارك ثم تلا هذه الآية والذين لايدعون مع الله الها آخر الى آخر الآية **حدثنا** أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور قال ثنى سعيد بن جبير أو حدثت عن سعيد بن جبير أن عبد الرحمن بن ابزى أمره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التين فى النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا الى آخر الآية والآية التى فى الفرقان ومن يفعل ذلك يلق أثاما الى ويخلد فيه مهانا قال ابن عباس اذا دخل الرجل فى الاسلام وعلم شرائعه وأمره ثم قتل مؤمنا متعمدا فلا توبة له والتى فى الفرقان لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله بغير الحق فما ينفعنا الاسلام قال فنزلت الا من تاب قال فمن تاب منهم قبل منه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال ثنى سعيد بن جبير أو قال حدثنى الحكم عن سعيد بن جبير قال أمرنى عبد الرحمن بن ابزى فقال سل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما عن الآية التى فى الفرقان والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الآية والتى فى النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم فسألت ابن عباس عن ذلك فقال لما أنزل الله التى فى الفرقان قال مشركو أهل مكة قد قتلنا النفس التى حرم الله ودعونا مع الله الها آخر فقال الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية فهذه وأولئك وأما التى فى النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية فان الرجل اذا عرف الاسلام ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم فلا توبة له فذكرته لمجاهد فقال الا من ندم **حدثنا** محمد بن عوف الطائى قال ثنا أحمد بن خالد الذهبى قال ثنا شيبان عن منصور بن المعتمر قال ثنى سعيد بن جبير قال قال لى سعيد بن عبد الرحمن بن ابزى سل ابن عباس عن هاتين الآيتين عن قول الله والذين لايدعون مع الله الها آخر الى من تاب وعن قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا الى آخر الآية قال فسألت عنها ابن عباس فقال أنزلت هذه الآية فى الفرقان بمكة الى قوله ويخلد فيه مهانا فقال المشركون فما يغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله وأتينا الفواحش قال فأنزل الله الا من تاب وآمن وعمل صالحا الى آخر الآية قال وأما من دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فى هذه الآية والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الآية قال نزلت فى أهل الشرك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن سعيد بن جبير قال أمرنى عبد الرحمن ابن ابزى أن أسأل ابن عباس عن هذه الآية والذين لايدعون مع الله الها آخر فذكر نحوه **حدثنى** عبد الكريم بن عمير قال ثنا ابراهيم بن المنذر قال ثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان مولى لبنى الديل من أهل المدينة عن فليح الشماس عن عبيد بن أبى عبيد عن أبى هريرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العتمة ثم انصرفت فاذا امرأة عند بابى ثم سلمت ففتحت ودخلت فبينا أنا فى مسجدى أصلى اذ نقرت الباب فأذنت لها فدخلت فقالت انى جئتك أسألك عن عمل عملت هل لى من توبة فقالت انى زنيت وولدت فقتلته فقلت لا ولا نعمت العين ولا كرامة فقامت وهى تدعو بالحسرة تقول ياحسرتاه أخلق هذا الحسن للنار قال ثم صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح من تلك الليلة ثم جلسنا ننتظر الاذن عليه فأذن لنا فدخلنا ثم خرج من كان معى وتخلفت فقال مالك يا أبا هريرة ألك حاجة فقلت له يارسول الله صليت معك البارحة ثم انصرفت وقصصت عليه ما قالت المرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما قلت لها قال قلت لها لا والله ولا نعمت العين ولا كرامة فقال رسول الله صلى

بالحيوان الاعجم فالناطق وفى هذا الترتيب تنبيه على ان الكائنات تبتدى فى الرجوع من الاخس الى الاشرف وفيه ان الغرض من الكل هو نوع الانسان مع ان حياة الاناسى بحياة أرضهم وأنعامهم قال

ميتا مع قوله بلدة بالتأنيث لان فيعلا غير جار على الفعل فكأنه اسم جامد وصف به أو بتأويل البلد والمكان والاناسى جمع انسى أو جمع انسان على ان أصله أناسين فقلب النون ياء وفعيل قد يستوى فيه الواحد والجمع فلهذا لم يقل وأناسى كثيرين ومثله وقرونا بين ذلك كثيرا أسئلة أوردها جار الله مع أجوبتها الاول ان انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقى يؤذن بان الطهارة شرط فى صحة الاحياء والسقى كما تقول حملنى الامير على فرس جواد لاصيد به الوحش الجواب لما كان سقى الاناسى من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم واشارة الى ان من حق استعمال الماء فى الباطن والظاهر أن يكون طاهرا غير متلطخ بشئ من القاذورات قلت قد قررنا فائدة هذا الوصف بوجه آخر آنفا السؤال الثانى لم خص الانعام من بين ماخلق من الحيوان المنتفع بالماء الجواب لان الطير والوحش يبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها مقتنية الانسان وعامة منافعه متعلقة بها فسقيها انعام عليه الثالث ما معنى تنكير الانعام والاناسى ووصفهم بالكثرة الجواب لان بعض الانعام والاناسى الذين هم بقرب الاودية والانهار العظام لا يحتاجون الى ماء السماء احتياجا بينا ولمثل هذا نكر البلدة فى قوله بلدة ميتا قوله سبحانه ولقد صرفناه الاكثرون على ان الضمير عائد الى ماذكر من الدلائل أى كررنا أحوال الاظلال وذكر انشاء السحاب وانزال المطر فى القرآن وفى سائر الكتب الالهية ليتفكروا او يعتبروا او يعرفوا حق النعمة فيه و يشكروا فابى

أكثرهم الا كفران النعمة وجحودها * وقال آخرون انه يرجع الى أقرب المذكورات وهو المطر أي صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتباينة من وابل وطل وغير ذلك فأبوا الا كفورا وان يقولوا مطرنا بنوء كذا

استقلالا فان جعلوا الانواء كالوسائط والامارات فلا باس والنوء سقوط نجم من المنازل الثمانية والعشرين القمرية في المغرب مع الفجر وطلوع قرينه وهو الخامس عشر منه في المشرق يقابله من ساعة في كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما وهو أكثر أو الى أربعة عشر وهو أقل والعرب تضيف الامطار والحر والبرد الى الساقط منها أو الى الطالع فاذا مضت مدة النوء ولم يحدث شيء من مطر وغيره يقال خوى نجم كذا أي سقط ولم يكن عنده أثر وعن ابن عباس ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله عز وجل قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية ويؤيد هذا التفسير تذكير البلدة والانعام والاناسي قال الجبائي في قوله ليذكروا دليل على انه تعالى أراد من الكل التذكر والايمان وفي قوله فأبى أكثر الناس دلالة على ان المكلف له قدرة على الفعل والترك اذ لا يقال للزمن مثلا انه أبى أن يسعى وقال الكعبي الضمير في بينهم لكل الناس فيكون الاكثر داخلا في ذلك العام اذ لا يجوز أن يقال أنزلته على قريش ليؤمنوا فأبى أكثر بني تميم الا كفورا وعند هذا يظهر انه أراد من جميع المكلفين ان يؤمنوا ويعتبروا ومعارضة الاشاعرة معلومة * التأويل ويوم تشقق السماء سماء القلب عن غمام البشرية وهو يوم سعادة الطالبين الصادقين ونزل ملائكة الصفات الروحانية الملك الحقيقي يومئذ للرحمن اذ لم يبق غيره ورجع الكل اليه وذلك مقام الوحدة والفناء في الله والبقاء به وكان يوما على الكافرين عسيرا اذ لم يبق من صفات النفوس الكافرة وحظوظها أثر ولا عشير ويوم يعض الظالم على

الله عليه وسلم بئس ما قلت أما كنت تقرأ هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الآية الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال أبو هريرة فخرجت فلم أترك بالمدينة حصنا ولا دارا الا وقفت عليها فقلت ان تكن فيكم المرأة التي جاءت أبا هريرة الليلة فلتأتني ولتبشر فلما صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء فاذا هي عند بابي فقلت ابشري فاني دخلت على النبي فذكرت له ما قلت لي وما قلت لك فقال بئس ما قلت لها أما كنت تقرأ هذه الآية فقرأتها عليها فخرت ساجدة فقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجا وتوبة مما عملت ان هذه الجارية وابنها حران لوجه الله واني قد تبت مما عملت حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء قال اختلفت الى ابن عباس ثلاث عشرة سنة فما شيء من القرآن الا سألته عنه ورسولي يختلف الى عائشة فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول ان الله يقول لذنب لا أغفره * وقال آخرون هذه الآية منسوخة بالتي في النساء ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني المغيرة بن عبد الرحمن الحراني عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد انه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل العراق وهو يسأله عن هذه الآية التي في تبارك الفرقان والتي في النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فقال زيد بن ثابت قد عرفت الناسخة من المنسوخة نسختها التي في النساء بعدها بستة أشهر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال الضحاك بن مزاحم هذه السورة بينها وبين النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثمان حجج وقال ابن جريج وأخبرني القاسم بن أبي بزة انه سأل سعيد بن جبير هل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة فقال لا فقرأ عليه هذه الآية كلها فقال سعيد بن جبير قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي فقال هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء وقد أتينا على البيان عن الصواب من القول في هذه الآية التي في سورة النساء بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في الاثام من القول قال أهل التأويل الا انهم قالوا ذلك عقاب يعاقب الله به من أتى هذه الكبائر بواد في جهنم يدعى أثاما ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي يحدث عن قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال الاثام واد في جهنم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يلق أثاما قال واديا في جهنم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة في قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما قال واديا في جهنم فيه الزناة حدثني العباس بن أبي طالب قال ثنا محمد بن زياد قال ثنا شرقي بن قطامي عن لقمان بن عامر قال جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي فقلت حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فدعا لي بطعام ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن صخرة زنة عشر عشراوات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهي الى غي وأثام قلت وما غي وأثام قال بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللذان ذكر الله في كتابه أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقوله في الفرقان ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يلق أثاما قال الاثام الشر وقال سيكفيك ما وراء ذلك يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يلق أثاما قال نكالا قال وقال انه واد في جهنم حدثنا

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن هشيم قال أخبرنا زكريا بن أبي مريم قال سمعت أبا امامة الباهلي يقول ان ما بين شفير جهنم الى قعرها مسيرة سبعين خريفا بحجر يهوى فيها أو بصخرة تهوى عظمها كعشر عشراوات سمان فقال له رجل فهل تحت ذلك من شئ قال نعم غى وأثام قوله يضاعف له العذاب يوم القيامة * اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء الامصار سوى عاصم يضاعف جزما ويخلد جزما وقرأه عاصم يضاعف رفعا ويخلد رفعا كلاهما على الابتداء وان الكلام قد تناهى عند يلق اثاما ثم ابتدأ قوله يضاعف له العذاب والصواب من القراءة عندنا فيه جزم الحرفين كليهما يضاعف ويخلد وذلك انه تفسير للاثام لا فعل له ولو كان فعلا له كان الوجه فيه الرفع كما قال الشاعر

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فرفع تعشو لانه فعل لقوله تأته معناه متى تأته عاشيا وقوله ويخلد فيه مهانا ويبقى فيه الى ما لا نهاية فى هوان وقوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا يقول تعالى ذكره ومن يفعل هذه الافعال التى ذكرها جل ثناؤه يلق اثاما الا من تاب يقول الا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك وانابته الى ما يرضاه الله وآمن يقول وصدق بما جاء به محمد نبى الله وعمل عملا صالحا يقول وعمل بما أمره الله من الاعمال فانتهى عما نهاه الله عنه قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات * اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معناه فاولئك يبدل الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الاعمال فى الاسلام فيبدله بالشرك ايمانا وبقيل أهل الشرك بالله قيل أهل الايمان به وبالزنا عفة واحصانا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال هم المؤمنون كانوا قبل ايمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن ذلك فحولهم الى الحسنات وأبدلهم مكان السيئات حسنات حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية قال هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة فيبدل الله سيئاتهم حسنات حين يتوبون حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن سعيد قال نزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآية فى وحشى وأصحابه قالوا كيف لنا بالتوبة وقد عبدنا الاوثان وقتلنا المؤمنين ونكحنا المشركات فانزل الله فيهم الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فابدلهم الله بعبادة الاوثان عبادة الله وأبدلهم بقتالهم مع المشركين قتالا مع المسلمين للمشركين وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس فى قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال بالشرك ايمانا وبالقتل امساكا وبالزنا احصانا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر وهذه الآية مكية نزلت بمكة ومن يفعل ذلك يعنى الشرك والقتل والزنا جميعا لما أنزل الله هذه الآية قال المشركون من أهل مكة يزعم محمد أن من أشرك وقتل وزنى فله النار وليس له عند الله خير فانزل الله الا من تاب من المشركين من أهل مكة فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يقول يبدل الله مكان الشرك والقتل والزنا الايمان بالله والدخول فى الاسلام وهو التبديل فى الدنيا وأنزل الله فى ذلك يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم يعنيهم بذلك لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا يعنى ما كان فى الشرك يقول الله لهم أنيبوا الى ربكم وأسلموا له يدعوهم الى الاسلام فهاتان الآيتان مكيتان والتى فى النساء ومن

نفسه وهو المشرك شركا ظاهرا أو خفيا على يديه والآية حكمها عام فى كل ضدين اجتمعا على معصية الله تعالى وعن مالك بن دينار انك ان تنقل الحجارة مع الابرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار لنثبت به فؤادك بان تخلق قلبك بقلب القرآن وكان بذر التوحيد أوقع فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم فى سر ألم نشرح لك صدرك وكان يتربى بما أنزل عليه بل على قلبه منجما فلما أورق كان ورقه الرحمن علم القرآن فلما أزهر كان زهره فاوحى الى عبده ما أوحى فلما أثمر كانت ثمرته فاعلم أنه لا اله الا الله يحشرون على وجوههم لان توجههم الى أسفل سافلى الطبيعة فيحشرون منكوسين الى جهنم البعد عن الحضرة ألم تر الى ربك فيه ان نبينا صلى الله عليه وسلم رآه وقد قال لموسى لن ترانى وذلك لبقاء أنانيته كيف مد الظل عالم الاجسام ولو شاء لجعله ساكنا فى كتم العدم ثم جعلنا شمس عالم الارواح على وجود ذلك الظل دليلا بان كانت محركة لها الى غاياتها المخلوقة هى لاجلها فيعرف من ذلك انه لولا الارواح لم تخلق الاجساد ولم تتكون بالاجسام وفى قوله ثم قبضناه الينا اشارة الى أن كل مركب فانه سيصل الى بسائطه اذا حصل على كماله الاخير وبوجه آخر الظل ما سوى نور الانوار يستدل به على صانعه الذى هو شمس عالم الوجود وهذا شأن الذاهبين من غيره اليه وفى قوله ثم جعلنا اشارة الى مرتبة أعلى من ذلك وهى الاستدلال به على غيره كقوله أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد وهذه مرتبة الصديقين وقوله ثم قبضناه كقوله كل شئ هالك ألا الى الله تصير الامور وبوجه آخر الظل هو حجاب الذهول والغفلة والشمس شمس التجلى المعروفة من أفق العناية عند صباح الهداية ولو شاء لجعله دائما لا يزول وانما يستدل على الذهول بالعرفان وفى قوله ثم قبضناه اشارة الى أن الكشف التام يحصل بالتدريج عند انقضاء مدة التكليف ثم بين حكمة الاظلال بقوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا كيلا تحترقوا

يقتل مؤمنا متعمدا الآية هذه مدنية نزلت بالمدينة وبينها وبين التي نزلت في الفرقان ثمان سنين وهي مبهمة ليس منها مخرج حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا أبو حمزة عن جابر عن مجاهد قال سئل ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه يبدل الله سيئاتهم حسنات فقال

بدلن بعد حرهم خريفا * وبعد طول النفس الوجيفا

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله يخلد فيه مهانا فقال المشركون ولا والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد الا معنا فانزل الله الا من تاب وآمن قال تاب من الشرك وآمن قال وآمن بعقاب الله ورسوله وعمل عملا صالحا قال صدق فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل الله أعمالهم السيئة التي كانت في الشرك بالاعمال الصالحة حين دخلوا في الايمان * وقال آخرون بل معنى ذلك فاولئك يبدل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن عمرو البصري قال ثنا قريش بن أنس أبو أنس قال ثني صالح بن رستم عن عطاء الخراساني عن سعيد بن المسيب فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا محمد بن حازم أبو معاوية عن الاعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل النار دخولا الجنة قال يؤتى برجل يوم القيامة فيقال نحوا كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها قال فيقال له عملت كذا وكذا وعملت كذا وكذا قال فيقول يارب لقد عملت أشياء ما أراها ههنا قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال فيقال له لك مكان كل سيئة حسنة * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم أعمالهم في الشرك حسنات في الاسلام بنقلهم عما يسخطه الله من الاعمال الى ما يرضى وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لان الاعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القبح وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة الى خلاف ما كانت عليه الا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى فيجب ان فعل ذلك كذلك ان يصير شرك الكافر الذي كان شركا في الكفر بعينه ايمانا يوم القيامة بالاسلام ومعاصيه كلها باعيانها طاعة وذلك ما لا يقوله ذو حجى وقوله وكان الله غفورا رحيما يقول تعالى ذكره وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده وراجع طاعته وذا رحمة به ان يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها قوله ومن تاب يقول ومن تاب من المشركين فآمن بالله ورسوله وعمل صالحا يقول وعمل بما أمره الله فاطاعه فان الله فاعل به من ابداله سيئ أعماله في الشرك بحسنها في الاسلام مثل الذي فعل من ذلك بمن تاب وآمن وعمل صالحا قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا قال هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله وكان الله غفورا رحيما قالوا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان هؤلاء الا معنا قال ومن تاب وعمل صالحا فان لهم مثل ما لهؤلاء فانه يتوب الى الله متابا لم تحظر التوبة عليكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما) اختلف أهل التأويل في معنى الزور والذي وصف الله هؤلاء القوم بانهم لا يشهدونه فقال بعضهم معناه الشرك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك في قوله لا يشهدون الزور قال الشرك حدثني

بدوام شمس تجلي الربوبية وجعل ليوم الغفلة راحة بعد سطوة التجلي وجعل نهار العرفان نشورا أي حياة بنور الربوبية وهو الذي أرسل رياح الاشراف على قلوب الاحباب فتزعجها عن (٢٨) المساكنات عند الستر فلا تستقر الا بالكشف والتجلي وأنزلنا من سماء الكرم ماء حياة العرفان الذي يطهر قلوب المشتاقين على الجنوح الى المساكنات وما يتداخلها في بعض الاوقات من الغفلات لنحيي به بلدة القلوب الميتة عن نور الله بنور الله ونسقيه من جملة مخلوقاتنا من هو على طبع الانعام لغلبة الصفات الحيوانية عليه فيسقى زرع ايمانه بماء الرحمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله تنبت الايمان في القلب كما ينبت الماء البقلة ونسقيه من الانس من سكن الى رياض الانس يفطمه به عن مراضع الانسانية الى المشارب الروحانية ويطهره عن وصمة الملاحظات ويذيقه طعم المكاشفات ولقد صرفنا الذي هو ماء حياة القلوب بينهم ليذكروا به أيام جوار الحق وأوطانهم الحقيقية فابى أكثر الناسين تلك المعاهدة والمشاهدة الا كفورا بنعمة القرآن وماء رفوا قدرها والله المستعان واليه المآب (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسئلكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين لا يشهدون الزور قال هؤلاء المهاجرون قال والزور قولهم لآلهتهم وتعظيمهم اياها * وقال آخرون بل عنى به الغناء ذكر من قال ذلك حدثنى على بن عبد الاعلى المحاربى قال ثنا محمد بن مروان عن ليث عن مجاهد فى قوله والذين لا يشهدون الزور قال لا يسمعون الغناء * وقال آخرون هو قول الكذب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله والذين لا يشهدون الزور قال الكذب * قال أبو جعفر وأصل الزور تحسين الشئ ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل الى من يسمعه أو يراه انه خلاف ما هو به والشرك قد يدخل فى ذلك لانه محسن لاهله حتى قد ظنوا انه حق وهو باطل ويدخل فيه الغناء لانه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحلى سامعه سماعه والكذب أيضا قد يدخل فيه لتحسين صاحبه اياه حتى يظن صاحبه انه حق فكل ذلك مما يدخل فى معنى الزور فاذا كان ذلك كذلك فاولى الاقوال بالصواب فى تأويله أن يقال والذين لا يشهدون شيأ من الباطل لا شركا ولا غناء ولا كذبا ولا غيره وكل ما لزمه اسم الزور لان الله عم فى وصفه اياهم انهم لا يشهدون الزور فلا ينبغى أن يخص من ذلك شئ الا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل وقوله واذا مروا باللغو مروا كراما * اختلف أهل التأويل فى معنى اللغو الذى ذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم معناه ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين ويكلمونهم به من الاذى ومرورهم به كراما اعراضهم عنهم وصفحهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال صفحوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا أوذوا مروا كراما قال صفحوا * وقال آخرون بل معناه واذا مروا بذكر النكاح كفوا عنه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا ذكروا النكاح كفوا عنه حدثنى الحرث قال ثنا الاشيب قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن مجاهد فى قول الله واذا مروا باللغو مروا كراما قال كانوا اذا أتوا على ذكر النكاح كفوا عنه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبى مخزوم عن سيار واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا مروا بالرفث كفوا * وقال آخرون اذا مروا بما كان المشركون فيه من الباطل مروا منكرين له ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال هؤلاء المهاجرون واللغو ما كانوا فيه من الباطل يعنى المشركين وقرأ فاجتنبوا الرجس من الاوثان * وقال آخرون عنى باللغو ههنا المعاصى كلها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال اللغو كله المعاصى * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال ان الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بانهم اذا مروا باللغو مروا كراما واللغو فى كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل أو ما يستقبح فسب الانسان بالباطل الذى لا حقيقة له من اللغو وذكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح فى بعض الاماكن فهو من اللغو وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذى لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه وسماع الغناء مما هو مستقبح فى أهل الدين فكل ذلك يدخل فى معنى اللغو فلا وجه اذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو أن يقال عنى به بعض ذلك دون بعض اذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من

غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما) القراآت ملح بفتح الميم وكسر اللام كحذر أولانه مقصور مالح وكذلك فى فاطر قتيبة يأمرنا على الغيبة حمزة وعلى سراجا بضمتين حمزة وعلى وخلف أن يذكر من الذكر حمزة وخلف تقتروا بضم التاء حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى المفضل بضم الياء وكسر التاء من الاقتار أبو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل الباقون بفتح الياء وكسر التاء يضاعف ويخلد بالرفع فيهما من المضاعفة ومن الخلود أبو بكر وحماد مثله ولكن يخلد مجهولا من الاخلاد المفضل يضعف بالتشديد والرفع ويخلد بالرفع من الخلود ابن عامر مثله ولكن بالجزم فيهما ابن كثير ويعقوب ويزيد الا آخرون كالاول ولكن بالجزم فيهما فيه ى باشباع الكسرة ابن كثير وحفص يبدل من الابدال البرجمى وذرياتنا على التوحيد أبو عمرو وعلى

خبر أو عقل فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام وإذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه مروا كراما مرورهم كراما في بعض ذلك بأن لا يسمعونه وذلك كالغناء وفي بعض ذلك بأن يعرضوا عنه ويصفحوا وذلك إذا أوذوا بإسماع القبيح من القول وفي بعضه بأن ينهوا عنه وذلك بأن يروا منكرا فيغيروه بالنكير فإن لم يقدروا عليه بالنصيحة وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم فيستصرخهم المراد ذلك منهم فيصرخونهم وكل ذلك مرورهم كراما وقد حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة قال مر ابن مسعود بلهو مسرعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أصبح ابن مسعود لكريما وقيل ان هذه الآية مكية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال سمعت السدي يقول وإذا مروا باللغو مروا كراما قال هي مكية وإنما عنى السدي بقوله هذا ان شاء الله ان الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وأمرهم إذا مروا باللغو الذي هو شرك أن يقاتلوا أمراءه وإذا مروا باللغو الذي هو معصية لله ان يغيروه ولم يكونوا أمروا بذلك بمكة وهذا القول نظير تأويلنا الذي تأولناه في ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) يقول تعالى ذكره والذين إذا ذكرهم مذكر بحجج الله لم يكونوا صما لا يسمعون وعميا لا يبصرونها ولكنهم يقاظى القلوب فهماء العقول يفهمون عن الله ما يذكرهم به ويفهمون عنه ما ينبههم عليه فيوعون مواعظه آذانا سمعته وقلوبا وعته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لم يخروا عليها صما وعميانا فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يفقهون حقا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال لا يفقهون ولا يسمعون ولا يبصرون حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال قلت للشعبي رأيت قوما قد سجدوا ولم أعلم ما سجدوا منه أسجد قال والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال هذا مثل ضربه الله لهم لم يدعوها إلى غيرها وقرأ قول الله إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فإن قال قائل وما معنى قوله لم يخروا عليها صما وعميانا أو يخر الكافرون صما وعميانا إذا ذكروا بآيات الله فينفي عن هؤلاء ما هو صفة الكفار قيل نعم الكافر إذا تليت عليه آيات الله خر عليها أصم وأعمى وخره عليها كذلك إقامته على الكفر وذلك نظير قول العرب سببت فلانا فقام يبكي بمعنى فظل يبكي ولا قيام هنالك ولعله أن يكون بكى قاعدا وكما يقال نهيت فلانا عن كذا فقعد يشتمني ومعنى ذلك فجعل يشتمني وظل يشتمني ولا قعود هنالك ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب حتى قد فهموا معناه وذكر الفراء أنه سمع العرب تقول قعد يشتمني كقولك قام يشتمني وأقبل يشتمني قال وأنشدني بعض بني عامر

لا يقنع الجارية الخضاب * ولا الوشاحان ولا الجلباب
من دون ان تلتقي الاركاب * ويقعد الاير له لعاب

بمعنى يصير فكذلك قوله لم يخروا عليها صما وعميانا إنما معناه لم يصموا عنها ولا عموا عنها ولم يصيروا على باب ربهم صما وعميانا كما قال الراجز * ويقعد الاير له لعاب * بمعنى ويصير ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما)

ج لعطف الجملتين المتفقتين مع العارض محجورا ه وصهرا ه قديرا ه ولا يضرهم ط ظهيرا ه ونذيرا ه سبيلا ه بحمده ط خبيرا ه ج لان الذي يصلح صفة للحي والوقف على العرش على تقدير هو الرحمن إذ لا وقف عليه أيضا بناء على ان الرحمن بدل من المستتر في استوى ويصلح أن يكون الذي مبتدأ والرحمن خبره خبيرا ه وما الرحمن ه قد قيل ولا وجه له لان الكل مقول قالوا نفورا ه سجدة منيرا ه شكورا ه سلاما ه وقياما ه جهنم ق قد قيل والوصل أولى لاتحاد القائل غراما ه كذلك ومقاما ه قواما ه ولا يزنون ج للشرط مع واو العطف أثاما ه لمن قرأ يضاعف بالرفع على الاستئناف دون الجزم على ابدال الجملة من الجملة لتقارب معنييهما مهانا ه لا وقد يوقف على جعل الاعمى لكن والوصل أولى لان لكن لا تقتضي الوصل أيضا حسنات ط رحيما ه متابا ه الزور ه لا كراما ه وعميانا ه اماما ه وسلاما ه لا للاتصال الحال فيها ط ومقاما ه دعاؤكم ج لاختلاف الجملتين لزاما ه التفسير انه سبحانه لما قرر سيرة القوم من كفران النعمة وايذاء النبي أراد تهييج نبيه على استمرار الدعوة وفي الآية لطف رمز ونوع تأديب وارشاد وفحواه ولو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ولكن خصصناك برسالة الثقلين اجلالا وتعظيما فقابل هذا التفضل بالتشدد في الدين ففي أول الآية بيان كمال الاقتدار وانه لا حاجة به إلى محمد كان أو غيره ولكن في مفهوم لو دلالة على انه لم يفعل ذلك بل خصه بهذا المنصب الشريف يقول

يقول تعالى ذكره والذين يرغبون الى الله فى دعائهم ومسئلتهم بان يقولوا ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقربه أعيننا من أن تريناهم يعملون بطاعتك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين يعنون من يعمل لك بالطاعة فتقربهم أعيننا فى الدنيا والآخرة حدثنى أحمد بن المقدام قال ثنا حزم قال سمعت كثيرا سأل الحسن قال يا أباسعيد قول الله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين فى الدنيا والآخرة قال لا بل فى الدنيا قال وماذاك قال المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله حدثنا الفضل بن اسحق قال ثنا سالم بن قتيبة قال ثنا حزم قال سمعت الحسن فذكر نحوه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال قرأ حضرمى ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال وانما قرة أعينهم أن يروهم يعملون بطاعة الله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج فيما قرأنا عليه فى قوله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال يعبدونك فيحسنون عبادتك ولا يجرون الجرائر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال يعبدونك يحسنون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال يعبدونك يحسنون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال يسألون الله لازواجهم وذرياتهم أن يهديهم للاسلام حدثنا محمد بن عون قال ثنا محمد بن اسمعيل بن عياش قال ثنى أبى عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال جلسنا الى المقداد بن الاسود فقال لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشد حالة بعث عليها نبى من الانبياء فى فترة وجاهلية ما يرون دينا أفضل من عبادة الاوثان فجاء بفرقان يفرق بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده حتى كان الرجل ليرى ولده ووالده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه بالاسلام فيعلم انه من مات دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم ان حبيبه فى النار وانها التى قال الله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين الآية حدثنى ابن عون قال ثنى على بن الحسن العسقلانى عن عبد الله بن المبارك عن صفوان بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير عن أبيه عن المقداد نحوه وقيل هب لنا قرة أعين وقد ذكر الازواج والذريات وهم جمع وقوله قرة أعين واحدة لان قوله قرة أعين مصدر من قول القائل قرت عينك قرة والمصدر لا تكاد العرب تجمعه وقوله واجعلنا للمتقين اماما * اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه اجعلنا أئمة يقتدى بنا من بعدنا ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الاعلى بن واصل قال ثنى عون بن سلام قال أخبرنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله واجعلنا للمتقين اماما يقول أئمة يقتدى بنا حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واجعلنا للمتقين اماما أئمة التقوى ولاهله يقتدى بنا قال ابن زيد كما قال لابراهيم انى جاعلك للناس اماما * وقال آخرون بل معناه واجعلنا للمتقين اماما نأتم بهم ويأتم بنا من بعدنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واجعلنا للمتقين اماما قال أئمة نقتدى بمن قبلنا ونكون أئمة لمن بعدنا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واجعلنا للمتقين اماما قال اجعلنا مؤتمين بهم

أى بالقرآن أو بترك طاعتهم أو بسبب كونك نذير القرى كلها لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لم يكن على كل نذير الامجاهدة قريته وحين اقتصر على نذير واحد لكل القرى وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلا جرم اجتمع عليه تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده وعظم وصار جامعا لكل مجاهدة ثم ذكر دليلا رابعا على التوحيد فقال وهو الذى مرج البحرين أى خلاهما وأرسلهما متجاورين متلاصقين يقال مرجت الدابة أى خليتها لترعى وسمى الماءين الكثيرين بحرين والفرات البليغ العذوبة والتركيب يدل على كسره العطش بخلاف الاجاج وهو الملح فانه يدل على الشدة والتوهج وقوله هذا اشارة الى ما ارتسم فى الذهن بعد ذكر البحرين والبرزخ الحائل الذى جعل الله بينهما من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وحجرا محجورا كلمة يقولها المتعوذ كما قلنا فى السورة كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له هذا القول ونظيره فى سورة الرحمن بينهما برزخ لا يبغيان فانتفاء البغى ثمة كالتعوذ ههنا وكل منهما مجاز فى غاية الحسن سؤال لا وجود للبحر العذب فكيف ذكر الله تعالى والجواب من وجهين أحدهما ان فى البحار مواضع فيها مياه عذبة تعرفها الملاحون يحمل منها الماء الى حين الوصول الى الموضع الآخر

وثانيهما لعل المراد من البحر العذب الاودية العظام كالنيل والفرات وجيحون ومن البحر الاجاج البحار المشهورة والبرزخ بينهما الحائل من الارض ووجه الاستدلال على هذا الوجه أن يقال العذوبة والملوحة ان كانتا بسبب طبيعة الارض أو الماء فلا بد من الاستواء والافلابد

مقتدين بهم * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك ويخافون عقابك اماما يأتمون بنا في الخيرات لانهم انما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم اماما وقال واجعلنا للمتقين اماما ولم يقل أئمة وقد قالوا واجعلنا وهم جماعة لان الامام مصدر من قول القائل أم فلان فلانا اماما كما يقال قام فلان قياما وصام يوم كذا صياما واجعلنا كذا صياما ومن جمع الامام أئمة جعل الامام اسما كما يقال أصحاب محمد امام وأئمة للناس فمن وحد قال يأتم بهم الناس وهذا القول الذي قلناه في ذلك قول بعض نحوي أهل الكوفة وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية الامام في قوله للمتقين اماما جماعة كما تقول كأنهم عدول قال ويكون على الحكاية كما يقول القائل اذا قيل له من أميركم هؤلاء أميرنا واستشهد لذلك بقول الشاعر

يا عاذلاتي لا تزدن ملامتي * ان العواذل ليس لي بأمير

القول في تأويل قوله تعالى (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما) يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادي وذلك من ابتداء قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا الآية يجزون يقول يثابون على أفعالهم هذه التي فعلوها في الدنيا الغرفة وهي منزل من منازل الجنة رفيعة بما صبروا يقول بصبرهم على هذه الافعال ومقاساة شدتها وقوله ويلقون فيها تحية وسلاما * اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ويلقون مضمومة الياء مشددة القاف بمعنى وتتلقاهم الملائكة فيها بالتحية وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ويلقون بفتح الياء وتخفيف القاف والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان في قراء الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير ان أعجب القراءتين الى أن أقرأ بها ويلقون فيها بفتح الياء وتخفيف القاف لان العرب اذا قالت ذلك بالتشديد قالت فلان يتلقى بالسلام وبالخير ونحن نتلقاهم بالسلام قرنته بالباء وقل ما تقول فلان يلقى السلام فكان وجه الكلام لو كان بالتشديد أن يقال ويتلقون فيها بالتحية والسلام وانما اخترنا القراءة بذلك كما تخير أخذت بالخطام وأخذت الخطام وقد بينا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل فاغنى عن اعادته في هذا الموضع القول في تأويل قوله تعالى (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما) يقول تعالى ذكره أولئك يجزون الغرفة بما صبروا خالدين في الغرفة يعني انهم ماكثون فيها لابثون الى غير أمد حسنت تلك الغرفة قرارا لهم ومقاما يقول واقامة وقوله قل ما يعبأ بكم ربي يقول جل ثناؤه لنبيه قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت اليهم أي شيء يعد بكم وأي شيء يصنع بكم ربي يقال منه عبأت اعبأ عبأ وعبأت الطيب أعبؤه اذا هيأته كما قال الشاعر

كأن بنحره وبمنكبيه * عبيرا بات يعبؤه عروس

يقول يهيئه ويعمله يعبؤه عبأ وعبوأ ومنه قولهم عبأت الجيش بالتشديد والتخفيف فانا أعبيه أهيئه والعبء الثقل * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله قل ما يعبأ بكم ربي قال يعبأ يفعل وقوله لولا دعاؤكم يقول لولا عبادة من يعبده منكم وطاعة من يطيعه منكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر

من قادر مختار يختص كل واحد من الماءين بصفة مخصوصة الاستدلال الخامس من أحوال خلقة الانسان والماء اما العنصر كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي أو النطفة ومعنى فجعله نسبا وصهرا انه قسم البشر قسمين ذوي نسب وذوات صهر والاول الذكور الذين ينسب اليهم فيقال فلان وفلانة بنت فلان ومنه أخذ الشاعر

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الاباعد

والثاني الاناث التي تصاهر بهن ونحوه قوله عز من قائل فجعل منه الزوجين الذكر والانثى والاصهار أهل بيت المرأة عن الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان يقال صاهرت اليهم اذا تزوجت فيهم وكان ربك قديرا حين خلق من ماء واحد صنفين مختلفين بل أشخاصا متباينة لا تكاد تحصرهم عادا الى تهجين سيرة عبدة الاوثان فقال ويعبدون الآية يروى انها نزلت في أبي جهل المراد بالكافر والاولى حمله على العموم والظهير المظاهر أي المعاون أي هذا الجنس يظاهر الشيطان على ربه بالشرك والعداوة والمظاهرة على الرب هي المظاهرة على رسوله أو على دينه ويجوز أن يكون الظهير جمعا كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير والمعنى ان بعض الكفرة مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله جل وعلا وقال أبو مسلم هو من قولهم ظهر فلان لحاجتي اذا نبذها وراء ظهره والمراد ان الكافر بكفره هين على ربه غير ملتفت اليه قوله وما أرسلناك الى قوله سبيلا وجه تعلقه بما قبله ان الكفار يطلبون العون على الله وعلى رسوله ولا أجهل ممن استفرغ جهده في ايذاء من يبذل وسعه في اصلاح مهماته دينا ودنيا حتى يبشرهم على الطاعة وينذرهم على المعصية من

ولا يسألهم على ذلك أجرا الا أن يشاؤا التقرب بالانفاق في الجهاد وغيره فيتخذوا به سبيلا الى رحمة ربهم ونيل ثوابه ومعنى الاستثناء من

من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم يقول لولا ايمانكم وأخبر الله الكفار انه لا حاجة له بهم اذ لم يخلقهم مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لحبب اليهم الايمان كما حببه الى المؤمنين وحدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لولا دعاؤكم قال لولا دعاؤكم اياه لتعبدوه وتطيعوه وقوله فقد كذبتم يقول تعالى ذكره لمشركى قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كذبتم أيها القوم رسولكم الذى أرسل اليكم وخالفتم أمر ربكم الذى أمر بالتمسك به لو تمسكتم به كان يعبأ بكم ربى فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم وخلافكم أمر بارئكم عذابا لكم ملازما قتلا بالسيوف وهلاكا لكم مفنيا يلحق بعضكم بعضا كما قال أبو ذؤيب الهذلى

ففاجأه بعادية لزام * كما يتفجر الحوض اللقيف

يعنى باللزام الكبير الذى يتبع بعضه بعضا وباللقيف المتساقط الحجارة المتهدمة ففعل الله ذلك بهم وصدقهم وعده وقتلهم يوم بدر بايدى أوليائه وألحق بعضهم ببعض فكان ذلك العذاب اللزام هو بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرنى مولى لشقيق بن ثور انه سمع سلمان أبا عبد الله قال صليت مع ابن الزبير فسمعته يقرأ فقد كذب الكافرون حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن ابن مهدى قال ثنا سعيد بن أدهم السدوسى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الحميد قال سمعت مسلم بن عمار قال سمعت ابن عباس يقرأ هذا الحرف فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما يقول كذب الكافرون أعداء الله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود قال فسوف يلقون لزاما يوم بدر حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الرحمن خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله فسوف يكون لزاما قال أبى بن كعب هو القتل يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عمرو عن مغيرة عن ابراهيم قال اللزام يوم بدر حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد فسوف يكون لزاما قال هو يوم بدر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فسوف يكون لزاما قال يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال حدثنا الحسن قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن منصور عن سفيان عن ابن مسعود قال اللزام القتل يوم بدر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فقد كذبتم فسوف يكون لزاما الكفار كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاءبه من عند الله فسوف يكون لزاما وهو يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله قال قد مضى اللزام كان اللزام يوم بدر أسروا سبعين وقتلوا سبعين * وقال آخرون معنى اللزام القتال ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فسوف يكون لزاما قال فسوف يكون قتالا اللزام القتال * وقال آخرون اللزام الموت ذكر من قال ذلك حدثنى على

ماله رضى الساعى به كما رضى المثاب بالثواب هذا ما قاله جار الله وقال القاضى معناه لا أسألكم أجر النفسى وأسألكم أن تطلبوا الاجر لانفسكم باتخاذ السبيل الى ربكم بالايمان والطاعة ولما بين ان الكفار متظاهرون على ايذائه وأمره ان لا يطلب منهم أجرا البتة أمره بان يتوكل عليه فى رفع المضار وجلب المنافع ويتمسك بقاعدة التنزيه والتحميد وفى وصفه ذاته بالحى الذى لا يموت اشارة الى ان الذى يوثق به فى المصالح يجب أن يكون موصوفا بهذه الصفة وليس الا الله وحده وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق والاصار ضائعا اذا مات ذلك المخلوق ثم ختم الآية بالامر بد عليه فى الوعيد أى لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مجازاتهم ومعنى كفى به أى حسبك وهذه كلمة تراد بها المبالغة كقولك كفى بالعلم جمالا وكفى بالادب مالا ثم زاد علمه وقدرته مبالغة وبيانا فقال الذى خلق الخ وقد سبق تفسيره فى الاعراف وأما قوله فاسأل به خبيرا ففيه وجوه قال الكلبى الضمير فى به يعود الى ما ذكر من خلق السماء والارض والاستواء على العرش والباء من صلة الخبير قدمت لرعاية الفاصلة وذلك الخبير هو الله عز وجل لان كيفية ذلك الخلق والاستواء لا يعلمها الا الله سبحانه وعن ابن عباس ان ذلك

الخبير هو جبرائيل وقال الاخفش والزجاج الباء بمعنى عن فاسأل به مثل اهتم به واشتغل به واسأل عنه كقولك ابحث عنه وفتش عنه قال تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقال ثم لتسئلن يومئذ وقال ابن جرير الباء زائدة

قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس فسوف يكون لزاما قال موتا وقال بعض أهل العلم بكلام العرب معنى ذلك فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل به من خير أو شر وقد بينا الصواب من القول فى ذلك وللنصب فى اللزام وجه آخر غير الذى قلناه وهو أن يكون فى قوله يكون مجهول ثم ينصب اللزام على الخبر كما قيل * اذا كان طعنا بينهم وقتالا * وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول فى تأويل ذلك قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ما تدعون من دونه من الآلهة والانداد وهذا قول لا معنى للتشاغل به لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل آخر سورة الفرقان والحمد لله وحده

(تفسير سورة الشعراء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين) قال أبو جعفر وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما فى ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الهجاء وما انتزع به كل قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة وقد بينا الذى هو أولى بالصواب من القول فيه فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته وقد ذكرنا عنهم من الاختلاف فى قوله طسم وطس نظير الذى ذكرنا عنهم فى الم والمر والمص وقد حدثنى علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس فى قوله طسم قال فانه قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله طسم قال اسم من أسماء القرآن فتأويل الكلام على قول ابن عباس والجميع ان هذه الآيات التى أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة لآيات الكتاب الذى أنزلته اليه من قبلها الذى بين لمن تدبره بفهم وفكر فيه بعقل انه من عند الله جل جلاله لم يتخرصه محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتقوله من عنده بل أوحاه اليه ربه وقوله لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين يقول تعالى ذكره لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها ان لم يؤمن قومك بك ويصدقوك على ما جئتهم به والبخع هو القتل والاهلاك فى كلام العرب ومنه قول ذى الرمة

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه * لشئ نحته عن يديك المقادر

* وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس باخع نفسك قاتل نفسك حدثنا الحسن قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين قال لعلك من الحرص على ايمانهم مخرج نفسك من جسدك قال ذلك البخع حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لعلك باخع نفسك عليهم حرصا وأن من قوله أن لا يكونوا مؤمنين فى موضع نصب بباخع كما يقال زرت عبد الله ان زارنى وهو جزاء ولو كان الفعل الذى بعد أن مستقبلا لكان وجه الكلام فى أن الكسر كما يقال أزور عبد الله ان يزرنى

القول فى تأويل قوله تعالى (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فظلت أعناقهم الآية فقال بعضهم معناه فظل القوم الذين أنزل عليهم من السماء آية خاضعة أعناقهم لها من الذلة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله فظلت أعناقهم لها خاضعين قال فظلوا خاضعة أعناقهم لها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله

قوم أنهم قالوا وما الرحمن والواو عاطفة وقعت فى كلامهم فحكى كما هو فاحتمل أنهم جهلوا الله سبحانه واحتمل أنهم عرفوه لكن جحدوه واحتمل أنهم عرفوه بغير هذا الاسم فلهذا سألوا عنه ومن هنا ذهب بعضهم الى تفسير آخر لقوله فاسأل به خبيرا وهو ان الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره وكانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلمة قال القاضى والاقرب أن المراد انكارهم لله لا للاسم لان هذه اللفظة عربية وهم يعلمون انها تفيد المبالغة فى الانعام ثم ان قلنا انهم كانوا منكرين لله فالسؤال عن الحقيقة كقول فرعون وما رب العالمين وان قلنا انهم كانوا مقرين لكنهم جهلوا انه تعالى يسمى بهذا الاسم فالسؤال عن الاسم ومعنى لما تأمرنا للذى تأمرنا بمعنى تأمرنا بسجوده مثل أمرتك الخير فاتسع أولا ثم حذف ثانيا ويجوز أن تكون ما مصدرية أى لأمرك لنا ومن قرأ على الغيبة فالضمير لمحمد أو للمسمى بالرحمن كأنهم قالوا هذا القول فيما بينهم والضمير فى زادهم للمفعول وهو اسجدوا للرحمن أى زادهم أمره نفورا ومن حقه أن يكون باعثا على الفعل والقبول قال الضحاك لما رآهم المشركون يسجدون تباعدوا فى ناحية

الاثناعشر أفلاك وأسامي امشهورة الحمل والثور والجوزاء الخ شبهت بالقصور العالية واشتقاق البروج من التبرج لظهوره والسراج الشمس ومن جمع أراد الشمس والكواكب الكبار والخلفة الهيئة من الخلافة يريد الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل

خاضعين قال لوشاء الله لنزل عليه آية يذلون بها فلا يلوي أحد عنقه الى معصية الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أن لا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية قال لوشاء الله لاراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده بمعصية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فظلت أعناقهم لها خاضعين قال ملقين أعناقهم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فظلت أعناقهم لها خاضعين قال الخاضع الذليل * وقال آخرون بل معنى ذلك فظلت سادتهم وكبراؤهم للآية خاضعين ويقول الاعناق هم الكبراء من الناس * واختلف أهل العربية في وجه تذكير خاضعين وهو خبر عن الاعناق فقال بعض نحوي البصرة يزعمون ان قوله أعناقهم على الجماعات نحو هذا عنق من الناس كثير أو ذكر كما يذكر بعض المؤنث كما قال الشاعر

تمززتها والديك يدعو صباحه * اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

فجماعات هذا أعناق أو يكون ذكره لاضافته الى المذكر كما يؤنث لاضافته الى المؤنث كما قال الاعشى

وتشرق بالقول الذي قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

وقال العجاج * لما رأى متن السماء أبعدت * وقال الفرزدق

اذا القنبات السود طوفن بالضحى * رقدن عليهن الحجال المسجف

(وقال الاعشى)

لمحوقة ان تستجيبي لصوته * وان تعلي الى المعان الموفق

قال ويقولون بنات نعش وبنو نعش ويقال بنات عرس وبنو عرس وقالت امرأة أنا امرؤ لا أكتم المنثور وقال وذكر لرؤبة رجل فقال هو كان أحد بنات مساجد الله يعني الحصا وكان بعض نحوي الكوفة يقول هذا بمنزلة قول الشاعر

ترى أرماحهم متقلديها * اذا صدئ الحديد على الكماة

فمعناه عنده فظلت أعناقهم خاضعيها هم كما يقال يدك باسطها يعني يدك باسطها أنت فاكتفى بما ابتدأ به من الاسم أن يكون فصار الفعل كانه للاول وهو للثاني وكذلك قوله لمحقوقة أن تستجيبي لصوته انما هو لمحقوقة أنت والمحقوقة الناقة الا انه عطفه على المرء لما عاد بالذكر وكان آخر منهم يقول الاعناق الطوائف كما يقال رأيت الناس الى فلان عنقا واحدة فجعل الاعناق الطوائف والعصب ويقول يحتمل أيضا أن تكون الاعناق هم السادة والرجال الكبراء فيكون كانه قيل فظلت رؤس القوم وكبراؤهم لها خاضعين وقال أحب الي من هذين الوجهين في العربية أن يقال ان الاعناق اذا خضعت فأربابها خاضعون فجعل الفعل أولا للاعناق ثم جعلت خاضعين للرجال كما قال الشاعر

على قبضة مرجوة ظهر كفه * فلا المرء مستحي ولا هو طاعم

فأنث فعل الظهر لان الكف تجمع الظهر وتكفي منه كانك تكتفي بان تقول خضعت لك من أن تقول خضعت لك رقبتي وقال ألا ترى ان العرب تقول كل ذي عين ناظر وناظرة اليك لان قولك نظرت اليك عيني ونظرت اليك بمعنى واحد فترك كل وله الفعل ورده الى المعنيين فلو قلت فظلت أعناقهم لها خاضعة كان صوابا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك أن تكون الاعناق هي أعناق الرجال وأن يكون معنى الكلام فظلت أعناقهم ذليلة للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء وأن يكون قوله خاضعين مذكرا لانه خبر عن الهاء والميم في الاعناق فيكون ذلك نظير قول جرير

واحد منهما الآخر أي جعلهما ذوي خلفة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ومثله قوله واختلاف الليل والنهار في أحد تفاسيره وعن ابن عباس جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فمن فاته شئ من وظائف العبادة في أحدهما قضاه في الآخر وعن مجاهد وقتادة والكسائي يقال لكل مختلفين هما خلفتان فالمعنى ان أحدهما أسود والآخر أبيض أو هذا طويل وهذا قصير ثم بين ان هذه النعمة سبب التذكر لمن أراد ذلك أو الشكر لمن أراده أما التذكر فلدلالة الانتقال والتغير على الناقل والمغير وأما الشكر فلان الليل سبب الراحة والسكون والنهار سبب لسهولة التصرف في المعايش قال بعضهم معنى أو الفاصلة انه ان كان كافرا تذكر وان كان مؤمنا شكر وقيل أراد ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في أحدهما ورده من العبادة قام به في الآخر والشكور مصدر كالكفور ثم أراد أن يختم السورة بوصف عباده المخلصين فقال وعباد الرحمن وهو مبتدأ خبره في آخر السورة أولئك يجزون الغرفة أو خبره الذين يمشون والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتشريف وقرئ وعباد جمع عابد وصف سيرتهم مع الخلق بالنهار أولا ثم وصف معاملتهم مع الحق بالليل ثانيا ثم قسم الوصف الاول الى نوعين أحدهما ترك الايذاء وهو المراد بقوله الذين يمشون على الارض هونا مصدر وضع موضع الحال والصفة للمبالغة أو المعنى يمشي بمعنى هينين أو مشيا هينا والمعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذلك كره بعضهم الركوب في الاسواق والمشي

أرى مر السنين أخذن منى * كما أخذ السرار من الهلال

وذلك ان قوله مر لو أسقط من الكلام لادى ما بقى من الكلام عليه ولم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سقوطه وكذلك لو أسقطت الاعناق من قوله فظلت أعناقهم لان ما بقى من الكلام عنها وذلك ان الرجال اذا ذلوا فقد ذلت رقابهم واذا ذلت رقابهم فقد ذلوا فان قيل فى الكلام فظلوا لها خاضعين كان الكلام غير فاسد لسقوط الاعناق لامتغير معناه عما كان عليه قبل سقوطها فصرف الخبر بالخضوع الى أصحاب الاعناق وان كان قد ابتدأ بذكر الاعناق لما قد جرى به استعمال العرب فى كلامهم اذا كان الاسم المبتدأ به وما أضيف اليه يؤدى الخبر كل واحد منهما عن الآخر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) يقول تعالى ذكره وما يجىء هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون ما أتيتهم به يا محمد من عند ربك من تذكيرهم وتنبيه على مواضع حجج الله عليهم على صدقك وحقيقة ما تدعوهم اليه مما يحدثه الله اليك ويوحيه اليك لتذكرهم به الا أعرضوا عن استماعه وتركوا إعمال الفكر فيه وتدبره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) يقول تعالى ذكره فقد كذب يا محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذى أتاهم من عند الله وأعرضوا عنه فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن يقول فسيأتيهم أخبار الامر الذى كانوا يسخرون وذلك وعيد من الله لهم انه محل بهم عقابه على تماديهم فى كفرهم وتمردهم على ربهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث والنشر الى الارض كم أنبتنا فيها بعد ان كانت ميتة لا نبات فيها من كل زوج كريم يعنى بالكريم الحسن كما يقال للنخلة الطيبة الحمل كريمة وكما يقال للشاة أو الناقة اذا غزرتا فكثرت ألبانهما ناقة كريمة وشاة كريمة * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أنبتنا فيها من كل زوج كريم قال من نبات الارض مما تأكل الناس والانعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله من كل زوج كريم قال حسن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) يقول تعالى ذكره ان فى انباتنا فى الارض من كل زوج كريم لآية يقول لدلالة لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث على حقيقته وان القدرة التى بها أنبت الله فى الارض ذلك النبات بعد جدوبها لن يعجزه أن ينشر بها الاموات بعد مماتهم أحياء من قبورهم وقوله وما كان أكثرهم مؤمنين يقول وما كان أكثر هؤلاء المكذبين بالبعث الجاحدين نبوتك يا محمد بمصدقيك على ما تأتيهم به من عند الله من الذكر يقول جل ثناؤه وقد سبق فى علمى أنهم لا يؤمنون فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمى فيهم وقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم يقول وان ربك يا محمد لهو العزيز فى نقمته لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه يقول تعالى ذكره وانى ان أحللت بهؤلاء المكذبين بك يا محمد المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندى عقوبتى بتكذيبهم اياك فلن يمنعهم منى مانع لانى أنا العزيز الرحيم يعنى انه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته أن يعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته وكان ابن جريج يقول فى معنى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى الحجاج عن ابن جريج قال كل شئ فى

كسلام ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين قال لابيه سلام عليك ولا نسخ فى الآية على مازعم الكلبى وأبو العالية من أنها نسخت بآية القتال فان الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم بسوء الادب مستحسن عقلا وشرعا والبيتوتة هى أن يدركك الليل نمت أولم تنم وصفهم باحياء الليل أو أكثره وقوله لربهم اما أن يتعلق بما قبله أو بما بعده أى يبيتون لله على أقدامهم ويفرشون خدودهم ويعفرون جباههم وقيل من قرأ شيأ من القرآن فى صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء قال ابن عباس ثم وصفهم بانهم يقولون فى سجودهم وقيامهم ربنا اصرف عنا الآية وقال الحسن خشعوا بالنهار وتعبوا بالليل خوفا من عذاب جهنم وقوله غراما أى هلاكا وخسرانا ملحا لازما ومنه الغريم لالحاحه والزامه وفلان مغرم بالنساء اذا كان مولعا بهن وسأل ابن عباس نافع بن الازرق عن الغرام فقال هو الموجع وعن محمد بن كعب فى غراما انه سأل الكفار عن نعمه فما أدوها اليه فاغرمهم فادخلهم النار وساءت أما بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز واما بمعنى بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم وهو الرابط أيضا محذوف أى ساءت مستقرا ومقاما هى والظاهر ان

الجملتين من قول الداعين وجوز جار الله أن يكون من كلام الله والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين بان يكون قوله انها ساءت تعليلا لقوله ان عذابها كان غراما وأن يكونا مترادفين كل منهما تعليل لقوله ربنا اصرف قال المتكلمون التعليل الاول

الشعراء من قوله عزيز رحيم فيوما أهلك من مضى من الامم يقول عزيز حين انتقم من أعدائه رحيم بالمؤمنين حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك في هذا الموضع لان قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم عقيب وعيد الله قوما من أهل الشرك والتكذيب بالبعث لم يكونوا أهلكوا فيوجه الى انه خبر من الله عن فعله بهم واهلاكه ولعل ابن جريج بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن اهلاكه من أهلك من الامم وذلك ان شاء الله اذا كان عقيب خبرهم كذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون) يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد اذ نادى ربك موسى بن عمران أن ائت القوم الظالمين يعني الكافرين قوم فرعون ونصب القوم الثاني ترجمة عن القوم الاول وقوله ألا يتقون ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به ومعنى الكلام قوم فرعون فقل لهم ألا يتقون وترك اظهار فقل لهم لدلالة الكلام عليه وانما قيل ألا يتقون بالياء ولم يقل ألا تتقون بالتاء لان التنزيل كان قبل الخطاب ولو جاءت القراءة فيها بالتاء كان صوابا كما قيل قل للذين كفروا سيغلبون وستغلبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال رب اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون) يقول تعالى ذكره قال موسى لربه رب اني أخاف من قوم فرعون الذين أمرتني ان آتيهم أن يكذبون بقيلي لهم انك أرسلتني اليهم ويضيق صدري من تكذيبهم اياي ان كذبوني ورفع قوله ويضيق صدري عطفا به على أخاف وبالرفع قرأته عامة قراء الامصار ومعناه واني يضيق صدري وقوله ولا ينطلق لساني يقول ولا ينطلق بالعبارة عما ترسلني به اليهم للعلة التي كانت بلسانه وقوله ولا ينطلق لساني كلام معطوف به على يضيق وقوله فارسل الى هرون يعني هرون أخاه ولم يقل فارسل الى هرون ليوازرني وليعينني اذ كان مفهوما معنى الكلام وذلك كقول القائل لو نزلت بنا نازلة لفزعنا اليك يعني لفزعنا اليك لتعيننا وقوله ولهم على ذنب يقول ولقوم فرعون على دعوى ذنب أذنبت اليهم وذلك قتله النفس التي قتلها منهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال قتل النفس التي قتل منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قتل موسى النفس قال حدثنا الحسن قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله ولهم على ذنب قال قتل النفس وقوله فأخاف أن يقتلون يقول فأخاف أن يقتلوني قودا بالنفس التي قتلت منهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني اسرائيل) يقول تعالى ذكره كلا أي لن يقتلك قوم فرعون فاذهبا بآياتنا يقول فاذهب أنت وأخوك بآياتنا يعني بأعلامنا وحججنا التي أعطيناك عليهم وقوله انا معكم مستمعون من قوم فرعون ما يقولون لكم ويجيبونكم به وقوله فأتيا فرعون فقولا الآية يقول فأت أنت يا موسى وأخوك هرون فرعون فقولا انا رسول ربك رب العالمين اليك بأن أرسل معنا بني اسرائيل وقال رسول رب العالمين وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا لانه أراد به المصدر من أرسلت يقال أرسلت رسالة ورسولا كما قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بسوء ولا أرسلتهم برسول

يعني برسالة وقال الآخر

اشارة الى أن عذاب أهل النار مضرة خالصة والتعليل الثاني اشارة الى كونها دائمة وقد يفرق بين المستقر والمقام بأن المستقر للعصاة من أهل الايمان والمقام للكفار الذين لا خلاص لهم منها ثم وصفهم بالتوسط في الانفاق والقتر والاقتار التضييق نقيض الاسراف وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابا للجمال والزينة ولكن ما يسد جوعتهم ويستر عورتهم ويكنهم من الحر والقر عن عمر كفى شرها أن لا يشتهي رجل شيأ الا اشتراه فأكله ثم بالغ في نسبة انفاقهم الى الاعتدال بقوله وكان أي الانفاق بين ذلك قواما والمنصوبان يجوز أن يكونا خبرين وأن يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وقال في الكشاف يجوز أن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا ولعل معناه أنه يقوم مقام لفظ المستقر اذا كان متعلقا به في قولك الانفاق بين ذلك وقد ذكر مثله في أول الشعراء في قوله انا معكم مستمعون والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ بكسر القاف وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل ولا ينقص وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كما يقال كان دون هذا كافيا يريد أقل من ذلك فيكون المعنى وكان الوسط من ذلك قواما وضعفه في الكشاف بأن ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة وأقول اذا أريد بالقوام حاق الوسط وبقوله بين ذلك أعم منه لم يلزم التكرار وعن ابن مسعود قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك فأنزل الله عز وجل تصديقه والذين لا يدعون الى قوله ولا يزنون قال جار الله نفي هذه الامور الشنيعة عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين تعريض بما

ألا من مبلغ عني خفافا * رسولا بيت اهلك منتهاها

يعني بقوله رسولا رسالة قل ذلك انتهاء ۷ ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر عليه منه وهو فأتيا فرعون فابلغاه رسالة ربهما اليه فقال فرعون ألم نربك فينا يا موسى وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وذلك مكثه عنده قبل قتله القتيل الذي قتله من القبط وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتله النفس الذي قتل من القبط * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين قال قتل النفس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما قيل وفعلت فعلتك لانها مرة واحدة ولا يجوز كسر الفاء اذا أريد بها هذا المعنى وذكر عن الشعبي انه قرأ ذلك وفعلت فعلتك بكسر الفاء وهي قراءة لقراءة القراء من أهل الامصار مخالفة وقوله وأنت من الكافرين * اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وأنت من الكافرين بالله على ديننا ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين يعني على ديننا هذا الذي تعيب * وقال آخرون بل معنى ذلك وأنت من الكافرين نعمتنا عليك ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال ربيناك فينا وليدا فهذا الذي كافأتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وأنت من الكافرين يقول كافرا للنعمة ان فرعون لم يكن يعلم ما الكفر * قال أبو جعفر وهذا القول الذي قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية لان فرعون لم يكن مقرا لله بالربوبية وانما كان يزعم انه هو الرب فغير جائز أن يقول لموسى ان كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتيل على ما قاله السدي فعلت الفعلة وأنت من الكافرين الايمان عنده هو دينه الذي كان عليه موسى عنده الا ان يقول قائل انما أراد وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى على قولك اليوم فيكون ذلك وجها يتوجه فتأويل الكلام اذا وقتلت الذي قتلت منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك واحساننا اليك في قتلك اياه وقد قيل معنى ذلك وأنت الآن من الكافرين لنعمتي عليك وتربيتي اياك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين) يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون فعلت تلك الفعلة التي فعلت أي قتلت تلك النفس التي قتلت اذا وأنا من الضالين يقول وأنا من الجاهلين قبل ان يأتيني من الله وحي بتحريم قتله على والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال فتقول قد جهل فلان الطريق وضل الطريق بمعنى واحد * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأنا من الضالين قال من الجاهلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج وفي قراءة ابن مسعود وأنا من الجاهلين قال حدثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وأنا من الضالين قال من الجاهلين حدثت عن الحسين قال سمعت

كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه وقيل ان الموصوف بالصفات المذكورة قد يرتكب هذه الامور وقد ما فبين الله تعالى ان المكلف لا يصير بتلك الخلال وحدها من عباد الرحمن حتى ينضاف الى ذلك كونه مجانبا لهذه الكبائر والقتل بغير حق يشمل الوأد وغيره كما مر في سبب النزول ومن يفعل ذلك أي المذكور فترك المأمورات أو ارتكب المنهيات والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما وقيل هو الاسم والمضاف محذوف أي يلق جزاء الاثم وقرأ ابن مسعود أياما بتشديد الياء التحتانية يعني أيام الشدة ومعنى مضاعفة العذاب بان ارتكب مخالفة المذكورات أن يعذب على الشرك وعلى المعاصي الاخر جميعا هذا عند من يرى تعذيب الكفار بفروع الشرائع والمخالف يدعي أن المشار اليه بقوله ذلك هو قوله والذين لا يدعون قال القاضي قوله ويخلد فيه أي في ذلك التضعيف أو المضعف ففيه دليل على ان حال الزيادة كحال الاصل في الدوام فيكون عقاب المعصية دائما واذا كان كذلك في حق الكافر لزم أن يكون كذلك في حق المؤمن وأجيب بان الشيئين قد يكون كل واحد منهما قبيحا ويكون الجمع بينهما أقبح فلا يلزم أن يكون للانفراد حكم الاجتماع وفي قوله ويخلد فيه مهانا اشارة الى ان العقاب هو المضرة الخالصة الدائمة المقرونة بالاذلال والاهانة كما ان الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالاجلال والتعظيم وقوله الا من تاب لا يفهم منه الا ان التائب لا يضاعف له العذاب ولا يلزم منه أن يكون مثابا فلذلك قال فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ان هذا التبديل انما يكون في الدنيا فيبدلهم بالشرك ايمانا و بقتل المسلمين قتل المشركين و بالزنا عفة واحصانا يبشرهم الله تعالى بانه يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة اذا تابوا وآمنوا

أبامعاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأنت من الكافرين قال موسى لم أكفر ولكن فعلتها وأنا من الضالين وفى حرف ابن مسعود فعلتها اذا وأنا من الجاهلين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قال فعلتها اذا وأنا من الضالين قبل ان يأتينى من الله شئ كان قتلى اياه ضلالة خطأ قال والضلالة ههنا الخطأ لم يقل ضلالة فيما بينه وبين الله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال فعلتها اذا وأنا من الضالين يقول وأنا من الجاهلين وقوله ففررت منكم لما خفتكم الآية يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لفرعون ففررت منكم معشر الملأ من قوم فرعون لما خفتكم ان تقتلونى بقتلى القتيل منكم فوهب لى ربى حكما يقول فوهب لى ربى نبوة وهى الحكم كما حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فوهب لى ربى حكما والحكم النبوة وقوله وجعلنى من المرسلين يقول وألحقنى بعداد من أرسله الى خلقه مبلغا عنه رسالته اليهم بارساله اياى اليك يافرعون

❁ القول فى تأويل قوله تعالى (وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون ومارب العالمين قال رب السموات والارض ومابينهما ان كنتم موقنين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون وتلك نعمة تمنها على يعنى بقوله وتلك تربية فرعون اياه يقول وتربيتك اياى وتركك استعبادى كما استعبدت بنى اسرائيل نعمة منك تمنها على بحق وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ماذكر عليه عنه وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل وتركتنى فلم تستعبدنى فترك ذكر وتركتنى لدلالة قوله ان عبدت بنى اسرائيل عليه والعرب تفعل ذلك اختصارا للكلام ونظير ذلك فى الكلام ان يستحق رجلان من ذى سلطان عقوبة فيعاقب أحدهما ويعفو عن الآخر فيقول المعفو عنه هذه نعمة على من الامير أن عاقب فلانا وتركنى ثم حذف وتركنى لدلالة الكلام عليه ولان فى قوله ان عبدت بنى اسرائيل وجهان أحدهما النصب لتعلق تمنها بها واذا كانت نصبا كان معنى الكلام وتلك نعمة تمنها على لتعبدك بنى اسرائيل والآخر الرفع على انها رد على النعمة واذا كانت رفعا كان معنى الكلام وتلك نعمة تمنها على تعبيدك بنى اسرائيل ويعنى بقوله ان عبدت بنى اسرائيل ان اتخذتهم عبيدا لك يقال منه عبدت العبيد وأعبدتهم كما قال الشاعر

علام تعبدنى قومى وقد كثرت * فيهم أباعر ماشاؤا وعبدان

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل قال قهرتهم واستعملتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال تمن على ان عبدت بنى اسرائيل قال قهرت وغلبت واستعملت بنى اسرائيل حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل وربيتنى قبل وليدا * وقال آخرون هذا استفهام كان من موسى لفرعون كأنه قال أتمن على ان اتخذت بنى اسرائيل عبيدا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وتلك نعمة تمنها على قال يقول موسى لفرعون أتمن على أن اتخذت بنى اسرائيل عبيدا * واختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعض نحويى البصرة وتلك نعمة تمنها على فيقال هذا استفهام كأنه قال تمنها على ثم فسر فقال ان عبدت بنى اسرائيل وجعله بدلا من النعمة وكان بعض أهل العربية ينكر هذا القول ويقول هو غلط من تأويله لايجوز أن يكون هو الاستفهام يلقى وهو يطلب فيكون الاستفهام كالخبر قال وقد استغنى

وعملوا سائر الاعمال الصالحة وانما أفرد التوبة والايمان بالذكر أولا لعلو شأنهما وقال الزجاج السيئة بعينها لاتصير حسنة ولكن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط الله عمله ويثبت عليه السيآت وذهب سعيد بن المسيب ومكحول الى ظاهر الآية وهو أنه تعالى يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة وأكدوا هذا الظاهر بما روى عن أبى هريرة مرفوعا ليتمنين أقوام انهم أكثروا من السيآت قيل من هم يارسول الله قال الذين يبدل الله سيآتهم حسنات وقال القاضى والقفال انه تعالى يبدل بالعقاب الثواب فذكر السبب وأراد المسبب ثم عمم الحكم فذكر ان جميع الذنوب بمنزلة الخصال المذكورة أى ومن يترك المعاصى كلها ويندم عليها وأتى بالعمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله عز وجل متابا مرضيا مكفرا للخطايا ويجوز أن ترجع الفائدة الى تخصيص اسم الله أى فانه تائب متابا الى الله الذى هو المفيض لكل الخيرات يعرف حق التائبين ويفعل بهم مايليق بكرمه ويحتمل أن ترجع الفائدة الى تنكير متابا والمتاب المرجع أى يرجع الى الله مرجعا حسنا أى مرجع وقيل هو وعد للتائبين المخلصين فيما مضى بانه سيوفقهم للتوبة فى المستقبل ثم وصفهم بانهم لايشهدون الزور فان كان من الشهادة فالمضاف محذوف أى لايشهدون شهادة الزور وان كان من الشهود الحضور فللمفسرين أقوال فعن قتادة هى مجالس الباطل وعن أبى حنيفة اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين وعن ابن عباس هى المجالس التى يقال فيها الزور والكذب على الله تعالى وعلى رسوله والتحقيق أنه يدخل فيه حضور كل موضع يجرى فيه مالا ينبغى كمحاضر الكذابين ومجالس الخطائين وكالنظارة الحمام تسوغه الشريعة لان الحضور والنظر الى تلك المجالس دليل الاهانة وبعث لفاعله عليه لازجر له عنه وفى مواعظ عيسى ابن مريم اياكم ومجالسة

ومعه أم وهي دليل على الاستفهام واستغفروا ٧

ترو ح من الحي أم تبتكر * وماذا يضرك لو تنتظر

قال وقال بعضهم هو أتروح من الحي وحذف الاستفهام أولا اكتفاء بأم وقال أكثرهم بل الاول خبر والثاني استفهام وكان أم اذا جاءت بعد الكلام فهي الالف فاما وليس معه أم فلم يقله انسان وقال بعض نحوي الكوفة في ذلك ما قلنا وقال معنى الكلام وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين لنعمتي أي لنعمة تربيتي لك فاجابه فقال نعم هي نعمة على أن عبدت الناس ولم تستعبدني وقوله قال فرعون ومارب العالمين يقول وأي شيء رب العالمين قال موسى هو رب السموات والارض وما بينهما يقول ومالك ما بين السموات والارض من شيء ان كنتم موقنين يقول ان كنتم موقنين أن ما تعاينونه كما تعاينونه فكذلك فايقنوا ان ربنا هو رب السموات والارض وما بينهما

القول في تاويل قوله تعالى (قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين) يعني تعالى ذكره بقوله قال لمن حوله ألا تستمعون قال فرعون لمن حوله من قومه ألا تستمعون لما يقول موسى فاخبر موسى عليه السلام القوم بالجواب عن مسئلة فرعون اياه وقيله له ومارب العالمين ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون وجوابه اياه عما سأله اذ قال لهم فرعون ألا تستمعون الى قول موسى فقال لهم الذي دعوته اليه والى عبادته ربكم الذي خلقكم ورب آبائكم الاولين فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك وأخبرهم عما يدعو اليه فرعون وقومه ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون يقول ان رسولكم هذا الذي يزعم انه أرسل اليكم لمغلوب على عقله لانه يقول قولا لا نعرفه ولا نفهمه وانما قال ذلك ونسب موسى عدو الله الى الجنة لانه كان عنده وعند قومه انه لا رب غيره يعبد وأن الذي يدعوه اليه موسى باطل ليست له حقيقة فقال موسى عند ذلك محتجا عليهم ومعرفهم ربهم بصفته وأدلته اذ كان عند قوم فرعون ان الذي يعرفونه ربا لهم في ذلك الوقت هو فرعون وان الذي يعرفونه لآبائهم أربابا ملوك أخر كانوا قبل فرعون قد مضوا فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشيء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه ولذلك قال لهم فرعون انه مجنون لان كلامه كان عندهم كلاما لا يعقلون معناه الذي أدعوكم وفرعون اليه عبادة رب المشرق والمغرب وما بينهما يعني ملك مشرق الشمس ومغربها وما بينهما من شيء لا الى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لآبائكم فمضوا ولا الى عبادة فرعون الذي هو مالكها ان كنتم تعقلون يقول ان كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم وتفهمون بها ما تسمعون مما يبين لكم فلما أخبرهم عليه السلام بالامر الذي علموا أنه الحق الواضح اذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكها عريش مصر وتبين لفرعون ولمن حوله من قومه ان الذي يدعوهم موسى الى عبادته هو الملك الذي يملك الملوك قال فرعون حينئذ استكبارا عن الحق وتماديا في الغي لموسى لئن اتخذت الها غيري يقول لئن أقررت بمعبود سواي لاجعلنك من المسجونين يقول لاسجننك مع من في السجن من أهله

القول في تاويل قوله تعالى (قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون لما عرفه ربه وأنه رب المشرق والمغرب ودعاه الى عبادته واخلاص الالوهة له وأجابه فرعون بقوله لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين أتجعلني من المسجونين ولو جئتك بشيء مبين يبين لك صدق ما أقول يا فرعون وحقيقة

الطائين واذا مروا باللغو وهو كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح مروا كراما مكرمين أنفسهم عن الخوض فيه مع المشتغلين به وأصل الكلمة من قولهم ناقة كريمة اذا كانت لا تبالي بما (٤٠) يحلب منها الغزارة فاستعد للصفح عن الذنب ويقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه وأكرم نفسه عن ذلك وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وقيل اذا ذكروا النكاح كفوا عنه قال جار الله قوله لم يخروا عليها ليس نفيا للخرور ولكنه اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمراد انهم اذا ذكروا بآيات الله أي وعظوا بها ونبهوا حرصوا على استماعها بآذان واعية وعيون كالئة لا كالمنافقين الذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها فهم متساقطون عليها غير منتفعين بها قوله من أزواجنا من للبيان وتسمى في علم البيان تجريدية كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم فسرت القرة بالازواج والذرية كقولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد ويجوز أن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا لا في الامور الدنيوية من الجاه والمال والجمال بل في الامور الاخروية من الطاعة والصلاح عن محمد بن كعب ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكسب العفة وقيل سألوا أن يلحق الله عز وجل بهم أولادهم وأزواجهم في الجنة ليتم لهم سرورهم وتنكير أعين اما لانه أراد أعينا مخصوصة هي أعين المتقين ولهذا اختير جمع القلة لان أعين المتقين قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم وقليل من عبادي الشكور واما لاجل تنكير القرة فان المضاف لا سبيل الى تنكيره ما الا بتنكير المضاف اليه أي هب لنا منهم سرورا وفرحا قال الزجاج يقال أقر الله عينك أي صادف فؤادك ما يحبه وقال المفضل في قرة العين

ما أدعوك اليه وانما قال ذلك له موسى لان من أخلاق الناس السكون بالانصاف والاجابة الى الحق بعـد البيـان فلما قال موسى له ما قال من ذلك قال له فرعون فات بالشئ المبين حقيقة ما تقول فانا ان نسجنك حينئذ ان اتخذت الها غيرى ان كنت من الصادقين يقول ان كنت محقا فيما تقول وصادقا فيما تصف وتخـبر فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين يقول جل ثناؤه فالقى موسى عصاه فتحولت ثعبانا وهى الحية الذكر كما قد بينت فيما مضى قبل من صفته وقوله مبين يقول ليتبين لفرعون والملأ من قومه أنه ثعبان * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قوله فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين يقول مبين له خلق حيـة وقوله ونزع يده فاذا هى بيضاء يقول وأخرج موسى يده من جيبـه فاذا هى بيضاء تلمع للناظرين لمن ينظر اليها ويراها حدثنا أبو كريب قال ثنا غنام بن على قال ثنا الاعمش عن المنهال قال ارتفعت الحية فى السماء قدر ميل ثم سفلت حتى صار رأس فرعون بين نابيها فجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت فجعـل فرعون يقول يا موسى أسألك بالذى أرسلك قال فاخذه بطنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجـه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) يقول تعالى ذكره قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قـدرة الله وسلطانه حجة عليـه لموسى بحقيقة ما دعاه اليه وصدق ما أتاه به من عنـد ربه للملأ حوله يعنى لاشراف قومه الذين كانوا حوله ان هذا الساحر عليم يقول ان موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعبانا عليم يقول ذو عـلم بالسحر وبصر به يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره يقول يريد أن يخرج بنى اسرائيل من أرضكم الى الشام بقهره اياكم بالسحر وانما قال يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملأ حوله من القبط والمعنى به بنو اسرائيل لان القبط كانوا قد استعبدوا بنى اسرائيل واتخذوهم خدما لانفسهم ومهانا فلذلك قال لهم يريد أن يخرجكم وهو يريد أن يخرج خدمكم وعبيـدكم من أرض مصر الى الشام وانما قلت معنى ذلك كذلك لان الله انما أرسل موسى الى فرعون يأمره بارسال بنى اسرائيـل معه فقال له ولاخيه فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان أرسل معنا بنى اسرائيـل وقوله فماذا تأمرون يقول فاى شئ تأمرون فى أمر موسى وما به تشيرون من الرأى فيه قالوا أرجئه وأخاه وابعث فى المـدائن حاشرين يقول تعالى ذكره فاجاب فرعون المـلأ حوله بان قالوا له أخر موسى وأخاه وأنظرهما وابعث فى بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون اليك كل سحار عليم بالسحر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فجمع السحرة لميقات يوم معـلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هـم الغالبين) يقول تعالى ذكره فجمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة لميقات يوم معلوم يقول لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معـلوم وذلك يوم الزينـة وأن يحشر الناس ضحى وقيل للناس هـل أنتم مجتمعون لتنظروا الى ما يفـعل الفريقان ولمن تكون الغلبة لموسى أو للسحرة فلعلنا نتبع السحرة ومعنى لعل ههنا كى يقول كى نتبع السحرة ان كانوا هـم الغالبين موسى وانما قلت ذلك معناها لان قوم فرعون كانوا على دين فرعون فغير معقول أن يقول من كان على دين انظر الى حجة من هو على خلافى لعلى أتبع دينى وانما يقال أنظر اليها كى ازداد بصيرة بدينى فاقيم عليـه وكذلك قال قوم فرعون فاياها عنوا بقيلهم لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين وقيل ان اجتماعهم للميقات الذى اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالاسكندرية ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن

ثلاثة أقوال أحدها برد دمعها لانه دليل السرور والضحك كما أن حره دليل الحزن والغم والثانى قربها أن تكون مع فراغ الخاطر وذهاب الحزن والثالث حصول الرضا وقوله اماما فى معنى الجمع اكتفى به لدلالته على الجنس واعـدم اللبس كما قال يخرجكم طفلا أو أريد كل واحد منا أو اجعلنا اماما واحدا لاتحاد كلمتنا أو هو جمع آم كصائم وصيام وصاحبة وصحاب وقيـل فى الآية دلالة عـلى ان الرياسـة يجب أن تطلب ويرغب فيها والاقرب انهـم سألوا الله أن يبلغهم فى الطاعة المبلغ الذى يشار اليهم ويقتـدى بهـم ومن هنا فسره القفال بان المراد اجعلنا حجة للمتقين قالت الاشاعرة الامامـة فى الدين لا تـكون الا بالعلم والعمل فدل ذلك على ان العـلم والعمل بل جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وقالت المعـتزلة انهـم سألوا من الالطاف ما بهم يختارون أفعال الخير الى أن يصيروا أئمة وأجيب بان تلك الالطاف مفعولة لا محالة فيكون سـؤالها عبثا ثم بين جزاء عبادة العباد بقوله أولئك يجزون الغرفة أى الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحـدا كتفاء بالجنس وقيل الغرفة اسم للجنة وقوله بما صبروا أى بصبرهم على الطاعات وعن الشـهوات أو عـلى أذى الـكفار وضر الفقر وغـير ذلك ولهـذا أطلق اطلاقا ليشمل كل مصبور عليه ثم بين بقوله ويلقون ان تلك المنافع مقـرونة بالتعظيم والتحية والدعاء بالتعمر والسلام دعاء بالسلامة من الآفات وهما من الملائكة أو مـن الله أو من بعضهم لبعض ثم ذكر أنه غنى عن طاعـة الـكل وانه انما كلفهـم لينتفعوا بذلك قال الخليل ما أعبا بفلان أى ما أصنع به كانه يستقله ويستحقره ويدعى ان وجوده وعدمه سواء وقال الزجاج ما يعبأ بكم ربى يريد أى وزن يكون لكم عنده والعبء الثقل وما استفهامية أو نافية والدعاء اما مضاف الى المفعول أى لولا دعاؤه اياكم الى الدين والطاعـة واما الى الفاعـل أى لولا

زيد في قوله وقيل للناس هل أنتم مجتمعون قال كانوا بالاسكندرية قال ويقال بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ قال وهربوا وأسلموا فرعون وهمت به فقال خذها يا موسى قال فكان فرعون مما يلي الناس منه أنه كان لا يضع على الارض شيأ قال فاحدث يومئذ تحته قال وكان ارساله الحية في القبة الحمراء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) يقول تعالى ذكره فلما جاء السحرة فرعون لوعد موسى وموعد فرعون قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا سحرنا قبلك ان كنا نحن الغالبين موسى قال فرعون لهم نعم لكم الاجر على ذلك وانكم لمن المقربين منا فقالوا عند ذلك لموسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين وقيل ذكر قيلهم ذلك لدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون على ان ذلك معناه فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم فالقوا حبالهم وعصيهم من أيديهم وقالوا بعزة فرعون يقول أقسموا بقوة فرعون وشدة سلطانه ومنعة مملكته انا لنحن الغالبون موسى ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون فالقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) يقول تعالى ذكره فالقى موسى عصاه حين ألقت السحرة حبالهم وعصيهم فاذا هي تلقف ما يأفكون يقول فاذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من الفرية والسحر الذي لا حقيقة له وانما هو مخاييل وخدعة فالقي السحرة ساجدين يقول فلما تبين السحرة أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر وأنه مما لا يقدر عليه غير الله الذي فطر السموات والارض من غير أصل خروا لوجوههم سجدا لله مذعنين لله بالطاعة مقرين لموسى بالذي أتاهم به من عند الله انه هو الحق وان ما كانوا يعملونه من السحر باطل قائلين آمنا برب العالمين الذي دعانا موسى الى عبادته دون فرعون وملئه رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم يقول جل ثناؤه يقول فرعون للذين كانوا سحرته فآمنوا آمنتم لموسى بان ما جاء به حق قبل أن آذن لكم في الايمان به انه لكبيركم الذي علمكم السحر يقول ان موسى لرئيسكم في السحر وهو الذي علمكموه ولذلك آمنتم فلسوف تعلمون عند عقابي اياكم وبال ما فعلتم وخطأ ما صنعتم من الايمان به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون) يقول لاقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا في قطع ذلك منكم بين قطع الايدي والارجل وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى ونحو ذلك من قطع اليد من جانب ثم الرجل من الجانب الآخر وذلك هو القطع من خلاف ولاصلبنكم أجمعين فوكد ذلك باجمعين اعلاما منه انه غير مستبق منهم أحدا قالوا لا ضير يقول تعالى ذكره قالت السحرة لا ضير علينا وهو مصدر من قول القائل قد ضار فلان فلانا فهو يضيره ضيرا ومعناه لا ضرر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا ضير قال يقول لا يضرنا الذي تقول وان صنعته بنا وصلبتنا انا الى ربنا منقلبون يقول انا الى ربنا راجعون وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك ايانا وثباتنا على توحيده والبراءة من الكفر به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة انا نطمع انا نرجو أن يصفح لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل ايماننا به فلا يعاقبنا به كما حدثني يونس

قال

اعانكم أو لولا عبادتكم أو لولا دعاؤكم اياه في الشدائد كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله أو لولا شكركم له على احسانه كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم أو ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة أو ما خلقكم ربي اليكم حاجة الا أن تسألوني فاعطيكم أو تستغفروني فاغفر لكم قوله فقد كذبتم أي اذا أعلمتكم اني لا أعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم فسوف يكون لزاما نظير وهو عقاب الآخرة قول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان أحسن الى من يطيعني فقد عصيت فسوف ترى عقوبتي والخطاب لجنس الانس واذا وجد في جنسهم التكذيب فقد صح الخطاب والاوجه أن يترك اسم كان غير منطوق به ليذهب الوهم كل مذهب من أنواع الايعاد وقيل يكون العقاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وقد لوزم اذ ذاك بين القتلى لزاما والله تعالى أعلم * التأويل ولو شئنا لبعثنا فيه كمال القدرة وان أمر النبوة ليس يتعلق بالقربات والمزاجات بل بمحض المشيئة الازلية يروى ان موسى عليه السلام سئم الرسالة وتبرم في بعض الايام فاوحى الله تعالى في ليلة واحدة الى ألف من بني اسرائيل فاصبحوا أنبياء فضاق قلب موسى وغار وقال يا رب اني لا أطيق ذلك فقبض الله أرواحهم في ذلك اليوم وفيه كمال الحكمة فان العزة في القلة ومنه تظهر فائدة الخاتمة وعموم رسالته وفيه تأديب الخواص وعصمتهم عن رؤية الاعمال فلا تطع كفار النفس وسائر القوى البدنية وجاهدهم بهذا الخلاق جهادا كبيرا لا تواسيهم بالرخص ولكن تحملهم على العزائم وهو الذي مرج بحر الروح وبحر النفس هذا عذب فرات من الاخلاق الحميدة الربانية وهذا ملح أجاج من الصفات الذميمة الحيوانية والبرزخ هو القلب وفائدة مرج الاجاج هو احتياج الانسان الى الاخلاق الذميمة لدفع المضرات الدنيوية والاخروية في بقائها وحرام على الروح أن

قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا قال السحر والكفر الذي كانوا فيه أن كنا أول المؤمنين يقول لان كنا أول من آمن بموسى وصدقه بما جاءه به من توحيد الله وتكذيب فرعون في ادعائه بالربوبية في دهرنا هذا وزماننا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن كنا أول المؤمنين أول من آمن بآياته حين رأوها وقوله وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي يقول وأوحينا الى موسى اذ تمادى فرعون في غيه وأبى الا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا أن اسر بعبادي يقول ان سر ببني اسرائيل ليلا من أرض مصر انكم متبعون ان فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني اسرائيل ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم أرض مصر ﴿القول في تأويل قوله تعالى (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون) يقول تعالى ذكره فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده وقومه ويقول لهم ان هؤلاء يعني هؤلاء بني اسرائيل لشرذمة قليلون يعني بالشرذمة الطائفة والعصبة الباقية من عقب وشرذمة كل شئ بقيته القليلة ومنه قول الراجز

جاء الشتاء وقميصي أخلاق * شراذم تضحك منه النواق

وقيل قليلون لان كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة فلما جمع جمع جماعاتهم قيل قليلون كما قال الكميت

فرد قواصي الاحياء منهم * فقد رجعوا الى واحدينا

وذكر أن الجماعة التي سماها فرعون شرذمة قليلين كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي عبيدة ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا قال حدثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال الشرذمة ستمائة ألف وسبعون ألفا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال اجتمع يعقوب وولده الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف فقال فرعون ان هؤلاء لشرذمة قليلون وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه في عسكره ثمانمائة ألف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سعيد الجريري عن أبي السليل عن قيس بن عباد قال وكان من أكبر الناس أو أحدث الناس عن بني اسرائيل قال فحدثنا ان الشرذمة الذين سماهم فرعون من بني اسرائيل كانوا ستمائة ألف قال وكان مقدمة فرعون سبعمائة ألف كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة وفي يده حربة وهو خلفهم في الدهم فلما انتهى موسى ببني اسرائيل الى البحر قالت بنو اسرائيل ياموسى أين ما وعدتنا هذا البحر بين أيدينا وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا فقال موسى للبحر انفلق أبا خالد قال لا لن انفلق لك ياموسى أنا أقدم منك خلقا قال فنودي أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق البحر وكانوا اثني عشر سبطا قال الجريري فأحسبه قال انه كان لكل سبط طريق قال فلما انتهى أول جنود فرعون الى البحر هابت الخيل الهب قال ومثل لحصان منها فرس وديق فوجد ريحها فاشتد فاتبعه الخيل قال فلما تتام آخر جنود فرعون في البحر وخرج آخر بني اسرائيل أمر البحر فانصفق عليهم فقالت بنو اسرائيل مامات فرعون وما كان ليموت أبدا فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام قال فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمر يتراآه بنو اسرائيل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون يعني بني اسرائيل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا

والشهوة والغضب وأشار الى هذا الصنف بقوله ويعبدون من دون الله الآية وكان الكافر النفس على ربه ظهيرا في اظهار صفة قهره لانه مظهرها وما أرسلناك الا مبشرا لاهل النسب ونذيرا لاهل الصهر الا من شاء الأجر من شاء أن يتوسل الى الرب بطاعته اياي وبخدمته لي ومن ههنا قال المشايخ يصل المريد بالطاعة الى الجنة وبتعظيم الشيخ واجلاله الى الله وتوكل أصل التوكل أن يعلم العبد ان الحادثات باسرها مستندة الى تكوين الله وتخليقه وهذا القدر من أصول الايمان وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وما زاد على هذا القدر من سكون القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فانه مقام أرباب الاحوال وأصحاب الكمال وسبح بحمده أي بما حمد به نفسه كقوله أنت كما أثنيت على نفسك والقديم لا يليق به الا الحمد القديم وزادهم نفورا لان الرحمن أقبل عليهم بقهره ولو كان أقبل عليهم بلطفه لخضعوا واستكانوا تبارك الذي جعل في سماء القلوب بروج المنازل والمقامات وهي اثنا عشر التوبة والزهد والخوف والرجاء والتوكل والصبر والشكر واليقين والاخلاص والتسليم والتفويض والرضا وهي منازل الاحوال السيارة شمس التجلي وقمر المشاهدة وزهرة الشوق ومشترى المحبة وعطارد الكشوف ومريخ الفناء وزحل البقاء وهو الذي

جعل ليل السر ونهار التجلي خلفة رعاية لحقوق القلب وحظوظ النفس ان أراد أن يتعظ عند السر أو أراد شكورا عند التجلي وعباد الرحمن دون الشيطان والدنيا والهوى والنفس يمشون في أرض الوجود عند السير الى الله هونا لئلا يتأذى بآثاره غبار صفات بشريتهم أحد

أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال هم يومئذ ستمائة ألف ولا يحصى عدد أصحاب فرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وأوحينا الى موسى ان أسر بعبادي انكم متبعون قال أوحى الله الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على الابواب فاني سآمر الملائكة أن لا تدخل بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمري ففعل فلما أصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا فأرسل في أثرهم ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك ألف رجل وخرج فرعون في الكرش العظمى وقال ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال قطعة وكانوا ستمائة ألف مائتا ألف منهم أبناء عشرين سنة الى أربعين قال حدثني حجاج عن أبي بكر عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال كان مع فرعون يومئذ ألف جبار كلهم عليه تاج وكلهم أمير على خيل قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال كانوا ثلاثين ملكا ساقة خلف فرعون يحسبون انهم معهم وجبرائيل أمامهم يرد أوائل الخيل على أواخرها فاتبعهم حتى انتهى الى البحر وقوله وانهم لنا لغائظون يقول وان هؤلاء الشرذمة لنا لغائظون فذكر ان غيظهم اياهم كان قتل الملائكة من قتلت من أبكارهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وانهم لنا لغائظون يقول بقتلهم أبكارنا من أنفسنا وأموالنا وقد يحتمل أن يكون معناه وانهم لنا لغائظون بذهابهم منهم بالعواري التي كانوا استعاروها منهم من الحلي ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم اياهم وخروجهم من أرضهم بكره لهم لذلك وقوله وانا لجميع حاذرون * اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة وانا لجميع حاذرون بمعنى انهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وانا لجميع حذرون بغير ألف وكان الفراء يقول كان الحاذر الذي يحذرك الآن وكان الحذر المخلوق حذرا لا تلقاه الا حذرا ومن الحذر قول ابن أحمر

هل أسأنا يوما الى غيره * اني حولي واني حذر

* والصواب من القول في ذلك انهما قراءتان مستفيضتان في قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان عن أبي اسحق قال سمعت الاسود بن يزيد يقرأ وانا لجميع حاذرون قال مقوون مؤدون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى ابن عبيد عن أيوب عن أبي العوجاء عن الضحاك بن مزاحم انه كان يقرأ وانا لجميع حاذرون يقول مؤدون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وانا لجميع حاذرون يقول حذرنا قال جمعنا أمرنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وانا لجميع حاذرون قال مؤدون معدون في السلاح والكراع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج أبو معشر عن محمد بن قيس قال كان مع فرعون ستمائة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو داود قال ثنا سليمان بن معاذ الضبي عن عاصم ابن بهدلة عن أبي رزين عن ابن عباس انه قرأها وانا لجميع حاذرون قال مؤدون مقوون * القول في تأويل قوله تعالى (فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين) يقول تعالى ذكره فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء

الاحوال والمقامات يقفون في موقف الاعتذار والتذلل قائلين ربنا اصرف عنا عذاب جهنم القطيعة والبعد اذا أنفقوا وجودهم في ذات الله وصفاته لم يبالغوا في الرياضة الى حد تلف البدن ولم يقتروا في بذل الوجود بالركون الى الشهوات لا يدعون مع الله الها آخر بان لا يرفعوا حوائجهم الى الاغيار ولا يشوبون أعمالهم بالرياء والسمعة ولا يحبون مع الله غيره ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها بكثرة المجاهدة الا بسطوات تجلي صفات الحق في مثل هذا القتل حياة أبدية ولا يزنون بالتصرف في عجوز الدنيا بغير اذن الله يضاعف له العذاب وهو عذاب النيران وعذاب الحرمان عن نعيم الجنان ومن قرب الرحمن الا من تاب من عبادة الدنيا والنفس وآمن بكرامات الاولياء ومقامات الاصفياء وعمل عملا صالحا هو الاعراض عن غير الله وهو الاكبر الاعظم الذي لو طرح ذرة منه على ملء الارض سيئة يبدلها ابريز الحسنات ومن تاب رجع عن انانيته الى هوية الحق وعمل صالحا بالدوام على هذه الحالة فانه يتوب يرجع الى الله متابا لامر بدعليه وهو جذبة ارجعي وحينئذ لا يشهد الزور أي لا يساكن غير الحق واذا مروا باللغو وهو ماسوى الحق لا يلتفت اليه واذا ذكر بآيات ربه تأمل فيها حق التأمل ودعا الله بان يهب له من ازدواج

 وكنوز

ولمتى الروح عما سوى الله فيجزى الغرفة فى مقام العندية بما صبر فى البداية على التكاليف الشرعية وفى الوسط على تبديل الاخلاق
الحيدة بالذميمة وفى النهاية بافناء الوجود ثم أخبر عن استغنائه عن وجود الخلق وعدمهم لولا دعاؤهم اياه بلسان الحاجة فى
حس العدم أو لولا دعاؤه اياهم فى الازل بلسان القدرة فقد كذبتم حين ادعيتم الغنى عن الصانع فسوف يكون خسران السعادة الابدية لازما لكم أعاذنا الله منه

(سورة الشعراء مكية الى قوله والشعراء الى آخرها حروفها ٤٥٤٢ كلمها ١٢٩٩ آياتها مائتان وسبع وعشرون)

(تفسير سورة الشعراء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون ولهم على ذنب فاخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم

وكنوز ذهب وفضة ومقام كريم قبل ان ذلك المقام الكريم المنابر وقوله كذلك يقول هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم فى هذه الآية والتى قبلها وأورثناها يقول وأورثنا تلك الجنات التى أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بنى اسرائيل وقوله فاتبعوهم مشرقين فاتبع فرعون وأصحابه بنى اسرائيل مشرقين حين أشرقت الشمس وقيل حين أصبحوا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاتبعوهم مشرقين قال خرج موسى ليلا فكسف القمر وأظلمت الارض وقال أصحابه ان يوسف أخبرنا انا سننجى من فرعون وأخذ علينا العهد لنخرجن بعظامه معنا فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره فوجد عجوزا بيتها على قبره فأخرجته له بحكمها وكان حكمها أو كلمة تشبه هذا ان قالت احملنى فاخرجنى معك فجعل عظام يوسف فى كسائه ثم حمل العجوز على كسائه فجعله على رقبته وخيل فرعون هى ملء أعنتها خضرا فى أعينهم ولا تبرح حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فاتبعوهم مشرقين قال فرعون وأصحابه وخيل فرعون فى ملء أعنتها فى رأى عيونهم ولا تبرح حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) يقول تعالى ذكره فلما تناظر الجمعان جمع موسى وهم بنو اسرائيل وجمع فرعون وهم القبط قال أصحاب موسى انا لمدركون أى انا لملحقون الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا وذكر انهم قالوا ذلك لموسى تشاؤما بموسى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال قلت لعبد الرحمن فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال تشاءموا بموسى وقالوا أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو اسرائيل الى فرعون قد رمقهم قالوا انا لمدركون قالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا انا لمدركون البحر من بين أيدينا وفرعون من خلفنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال لما انتهى موسى الى البحر وهاجت الريح العاصف فنظر أصحاب موسى خلفهم الى الريح والى البحر امامهم قالوا يا موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار سوى الاعرج انا لمدركون وقرأه الاعرج انا لمدّركون كما يقال نزلت وأنزلت والقراءة عندنا التى عليها قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله كلا ان معى ربى سيهدين قال موسى لقومه ليس الامر كما ذكرتم كلا لن تدركوا ان معى ربى يقول سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه كما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن كعب القرظى عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال لقد ذكر لى انه خرج فرعون فى طلب موسى على سبعين ألفا من دهم الخيل سوى ما فى جنده من شبه الخيل وخرج موسى حتى اذا قابله البحر ولم يكن عنه منصرف طلع فرعون فى جنده من خلفهم فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين أى للنجاة وقد وعدنى ذلك ولا خلف لموعوده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال كلا ان معى ربى سيهدين يقول سيكفينى وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون وقوله فأوحينا الى موسى أن

لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين قال
فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه (٤٦) فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملأ حوله ان هذا
لساحر عليم يريد أن يخرجكم من
أرضكم بسحره فماذا تامرون
قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن
حاشرين يأتوك بكل سحار عليم
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
وقيل للناس هل أنتم مجتمعون
لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم
الغالبين فلما جاء السحرة قالوا أئن
لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال
نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم
موسى ألقوا ما أنتم ملقون فالقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة
فرعون انا لنحن الغالبون فالقى
موسى عصاه فاذا هي تلقف
ما يأفكون فالقي السحرة
ساجدين قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون قال آمنتم له
قبل أن آذن لكم انه لكبيركم
الذي علمكم السحر فلسوف
تعلمون لاقطعن أيديكم وأرجلكم
من خلاف ولاصلبنكم أجمعين
قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا
نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا
أن كنا أول المؤمنين وأوحينا الى
موسى أن أسر بعبادي انكم
متبعون فارسل فرعون في المدائن
حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون
وانهم لنا لغائظون وانا لجميع
حاذرون فاخرجناهم من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك
وأورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم
مشرقين فلما تراءى الجمعان قال
أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا
ان معي ربي سيهدين فأوحينا الى
موسى أن اضرب بعصاك البحر
فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم

اضرب بعصاك البحر فانفلق ذكر ان الله كان قد أمر البحر أن لا ينفلق حتى يضرب به موسى بعصاه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال أوحى الله فيما ذكر الى البحر اذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضرب بعضه بعضا فرقا من الله وانتظار أمره وأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه فانفلق **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سليمان التيمي عن أبي السليل قال لما ضرب موسى بعصاه البحر قال ايها أبا خالد فأخذه افكل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج وحجاج عن أبي بكر بن عبد الله وغيره قالوا لما انتهى موسى الى البحر وهاجت الريح والبحر يرمي بتياره ويموج مثل الجبال وقد أوحى الله الى البحر أن لا ينفلق حتى يضرب به موسى بالعصا فقال له يوشع يا كليم الله أين أمرت قال ههنا قال فجاز البحر ما يوارى حافره الماء فذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا وقال له الذي يكتم ايمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فلجم فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ثم قحمه البحر فارسب في الماء فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه موسى البحر فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وقوله فكان كل فرق كالطود العظيم يقول تعالى ذكره فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم وذكر انه انفلق اثنتي عشرة فلقة على عدد الاسباط لكل سبط منهم فرق * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم يقول كالجبل العظيم فدخلت بنو اسرائيل وكان في البحر اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط وكان الطريق كما اذا انفلقت الجدران فقال كل سبط قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها قناطر كهيئة الطيقان فنظر آخرهم الى أولهم حتى خرجوا جميعا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وحجاج عن أبي بكر بن عبد الله وغيره قالوا انفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط وكان بنو اسرائيل اثني عشر سبطا وكانت الطرق بجدران فقال كل سبط قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم بقناطر كهيئة الطيقان ينظر بعضهم الى بعض وعلى أرض يابسة كأن الماء لم يصبها قط حتى عبر قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال لما انفلق البحر لهم صار فيه كوى ينظر بعضهم الى بعض **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل على نشز من الارض **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فكان كل فرق كالطود العظيم يقول كالجبل **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول في قوله كالطود العظيم قال كالجبل العظيم ومنه قول الاسود بن يعفر

حلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد

يعني بالاطواد جمع طود وهو الجبل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) يعني بقوله تعالى ذكره وأزلفنا ثم الآخرين وقربنا هنالك آل فرعون من البحر وقدمناهم اليه ومنه قوله وأزلفت الجنة للمتقين بمعنى قربت وأدنيت ومنه قول العجاج

طي الليالي زلفا فزلفا * سماوة الهلال حتى احقوقفا

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** القاسم قال ثنا

وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان في ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) القراآت طسم وما بعده بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وقرأ أبو جعفر ونافع

قال

الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله وأزلفنا ثم الآخرين قال قربنا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأزلفنا ثم الآخرين قال هم قوم فرعون قربهم الله حتى أغرقهم فى البحر **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال دنا فرعون وأصحابه بعد ما قطع موسى ببنى اسرائيل البحر من البحر فلما نظر فرعون الى البحر منفلقا قال ألا ترون البحر فرق منى قد تفتح لى حتى أدرك أعدائى فاقتلهم فذلك قول الله وأزلفنا ثم الآخرين يقول قربنا ثم الآخرين هم آل فرعون فلما قام فرعون على الطرق وأبت خيله أن تتقحم فنزل جبرائيل صلى الله عليه وسلم على ماذيانة فتشامت الحصن ريح الماذيانة فاقتحمت فى أثرها حتى اذا هم أولهم ان يخرج ودخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وتفرد جبرائيل بمقلة من مقل البحر فجعل يدسها فى فيه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال أقبل فرعون فلما أشرف على الماء قال أصحاب موسى يا مكلم الله ان القوم يتبعوننا فى الطريق فاضرب بعصاك البحر فاخلطه فاراد موسى أن يفعل فاوحى الله اليه أن اترك البحر رهوا يقول أمره على مكانه انهم جند مغرقون انما أمكر بهم فاذا سلكوا طريقكم غرقتهم فلما نظر فرعون الى البحر قال ألا ترون البحر فرق منى حتى تفتح لى حتى أدرك أعدائى فاقتلهم فلما وقف على أفواه الطرق وهو على حصان فرأى الحصان البحر فيه أمثال الجبال هاب وخاف وقال فرعون أنا راجع فمكر به جبرائيل عليه السلام فاقبل على فرس أنثى فادناها من حصان فرعون فطفق فرسه لا يقر وجعل جبرائيل يقول تقدم ويقول ليس أحد أحق بالطريق منك فتشامت الحصان الماذيانة فما ملك فرعون فرسه ان ولج على أثره فلما انتهى فرعون الى وسط البحر أوحى الله الى البحر خذ عبدى الظالم وعبادى الظلمة سلطانى فيك فانى قد سلطتك عليهم قال فتغطمطت تلك الفرق من الامواج كانها الجبال وضرب بعضها بعضا فلما أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين وكان جبرائيل صلى الله عليه وسلم شديد الاسف عليه لما رد من آيات الله وأطول علاج موسى اياه فدخل فى أسفل البحر فاخرج طينا فحشاه فى فم فرعون لكيلا يقولها الثانية فتدركه الرحمة قال فبعث الله اليه ميكائيل يعيره آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقال جبرائيل يا محمد ما أبغضت أحدا من خلق الله ما أبغضت اثنين أحدهما من الجن وهو ابليس والآخر فرعون قال أنا ربكم الاعلى ولقد رأيتنى يا محمد وأنا أحشو فى فيه مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها وقد زعم بعضهم ان معنى قوله وأزلفنا ثم الآخرين وجمعنا قال ومنه ليلة المزدلفة قال ومعنى ذلك انها ليلة جمع وقال بعضهم وأزلفنا وأهلكنا وقوله وأنجينا موسى ومن معه أجمعين يقول تعالى ذكره وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه من الغرق فى البحر ومن مع موسى من بنى اسرائيل أجمعين وقوله ثم أغرقنا الآخرين يقول ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط بعد ان أنجينا موسى منه ومن معه وقوله ان فى ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان فيما فعلت بفرعون ومن معه من تغريقى اياهم فى البحر اذ كذبوا رسولى موسى وخالفوا أمرى بعد الاعذار اليهم والانذار لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش على ان ذلك سنتى فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلى وعظة لهم وعبرة ان ادكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم فى تكذيبك مع البرهان والآيات التى قد أتيتهم فيحل بهم من العقوبة نظير ما حل بهم ولك آية فى فعلى بموسى وتنجيتى اياه بعد طول علاجه فرعون وقومه منه واظهارى اياه وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم على انى سالك فيك سبيله ان أنت صبرت صبره وقمت من تبليغ الرسالة الى من أرسلتك اليه

ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب بغير زيد بهمزة ثم ياء وعن قنبل ان لنا على الخبر الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مادة آمنتم بالمد أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وسهل ويعقوب أمنتم على الخبر حفص غير الخزاز الآخرون أءمنتم بهمزتين بعبادى انكم بفتح الياء نافع وأبو جعفر حاذرون بالالف عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر الباقون بغير الالف فاتبعوهم بالتشديد يزيد عن يعقوب الباقون بقطع الهمزة وسكون التاء تراءى الجمعان بكسر الراء والهمزة فى الوصل حمزة ونصير وهبيرة فى طريق الخزاز واختلفوا فى الوقف فعن الكسائى بكسر الراء والهمزة على وزن تربعى وفى رواية أخرى عنه تريئ تراعى والمشهور عنه ترا بكسر الراء وفتح الهمزة وأما حمزة فانه يقف ترى بترك الهمزة وكسر الراء ويمد ويشير الى موضع الهمزة وهو المصدر وأما هبيرة فانه يقف ترى بكسر الراء ويشير الى فتح الهمزة الباقون يقفون تراءى على وزن تراعى معى ربى بفتح الياء حفص* الوقوف طسم ٥ المبين ٥ مؤمنين ٥ خاضعين ٥ معرضين ٥ يستهزؤن ٥ كريم ٥ لآية ط مؤمنين ٥ الرحيم ٥ الظالمين ٥ لا للابدال أو البيان تسجيلا عليهم بالظلم فرعون ط للعدول عن الامر الى الاستفهام يتقون ٥ يكذبون ٥ لمن قرأ

ويضيق بالرفع على الاستئناف هرون ط يقتلون وقال كلا لا للعطف معنى لانقطاع مستمعون ٥ العالمين ٥ لا لتعلق ان بنى اسرائيل ط سنين ٥ الكافرين ٥ الضالين ٥ المرسلين ٥ اسرائيل ط العالمين ٥ وما بينهما ط لان جواب الشرط محذوف أى ان

كنتم موقنين فلا تكذبوني موقنين ● يستمعون ● الاولين ● لمجنون ● وما بينهما ط تعقلون ● المسجونين ● مبين ● الصادقين ● مبين ● للآية مع العطف الناظرين ● (٤٨) عليم ● لا لان ما بعده صفة بسحره ق قد قيل بناء ان ما بعده قول الملأ

قيامه ومظاهرك على مكذبيك ومعليك عليهم وما كان أكثرهم مؤمنين يقول وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحق المبين فسابق لهم في علمي انهم لا يؤمنون وان ربك لهو العزيز في انتقامه ممن كفر به وكذب رسله من أعدائه الرحيم بمن أنجى من رسله واتباعهم من الغرق والعذاب الذي عذب به الكفرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) يقول تعالى ذكره واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر ابراهيم حين قال لابيه وقومه أي شيء تعبدون قالوا له نعبد أصناما فنظل لها عاكفين يقول فنظل لها خدما مقيمين على عبادتها وخدمتها وقد بينا معنى العكوف بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وكان ابن عباس فيما روى عنه يقول في معنى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال الصلاة لاصنامهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة اذ تدعونهم * واختلف أهل العربية في معنى ذلك فقال بعض نحوي البصرة معناه هل يسمعون منكم أو هل يسمعون دعاءكم فحذف الدعاء كما قال زهير

القائد الخيل منكوبا دوابرها * قد أحكمت حكمات القد والانف

وقال يريد أحكمت حكمات الانف فالقى الحكمات وأقام الانف مقامها وقال بعض من أنكر ذلك من قوله من أهل العربية الفصيح من الكلام في ذلك ما جاء في القرآن لان العرب تقول سمعت زيدا متكلما يريدون سمعت كلام زيد ثم تعلم ان السمع لا يقع على الاناسي انما يقع على كلامهم ثم يقولون سمعت زيدا أي سمعت كلامه قال ولو لم يقدم في بيت زهير حكمات القد لم يجز ان ينسق بالانف عليها لانه لا يقال رأيت الانف وهو يريد الحكمة وقوله أو ينفعونكم أو يضرون يقول أو تنفعكم هذه الاصنام فيرزقونكم شيأ على عبادتكموها أو يضرونكم فيعاقبونكم على تركم عبادتها بان يسلبوكم أموالكم أو يهلكوكم اذا هلكتم وأولادكم قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر عما ترك وذلك جوابهم ابراهيم عن مسألته اياهم هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون فكان جوابهم اياه لا ما يسمعوننا اذا دعوناهم ولا ينفعوننا ولا يضرون يدل على انهم بذلك أجابوه قولهم بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وذلك ان بل رجوع عن مجحود كقول القائل ما كان كذا بل كذا وكذا ومعنى قولهم وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وجدنا من قبلنا من آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم واتباعا لمنهاجهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لقومه أفرأيتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه الاصنام أنتم وآباؤكم الاقدمون يعني بالاقدمين الاقدمين من الذين كان ابراهيم يخاطبهم وهم الاولون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم ابراهيم من عبادة الاصنام فانهم عدو لي الا رب العالمين يقول قائل وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم فان معنى ذلك فانهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة كما قال جل ثناؤه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقوله الا رب العالمين نصبا على الاستثناء والعدو بمعنى الجمع ووحد لانه أخرج مخرج المصدر مثل القعود والجلوس ومعنى الكلام أفرأيتم كل

لفرعون والجمع للتعظيم والاصح انه من تتمة قول فرعون تأمرون ● حاشرين ● لا لان ما يتلوه جواب عليم ● معلوم ● لا العطف مجتمعون لا لاتصال المعنى الغالبين ● ان المقربين ● ملقون ● الغالبون ● ما يأفكون ● للآية والدلالة على اسراعهم في السجود الساجدين ● العالمين ● وهرون ط لكم ● للابتداء بان مع اتحاد القول السحر ط للفاء لام الابتداء وسوف تعلمون ● لتقدير القسم أجمعين ● لا ضير ط توقية لحق ان والا فالاصل هو الوصل لان ما بعده هو القول في الحقيقة كما في الاعراف منقلبون ● للآية مع اتحاد القول المؤمنين ● متبعون ● حاشرين ● للآية مع ان التقدير بان هؤلاء قليلون ● لغائظون ● حاذرون ● ط لابتداء الخبر من الله وعيون ● لا كريم ● لا لتعلق الكاف كذلك ط أي كما وعدنا بني اسرائيل ايراثهم أخبر عن وقوع الموعود لبني اسرائيل مشرقين ● لمدركون ● ووجه الوصل الاسراع في تداركهم عن خوف الادراك كلا ج لاحتمال أن يكون للردع وان يكون بمعنى حقا سيهدين ● البحر ط لاجل الفاء الفصيحة أي فضرب فانفلق العظيم ● الآخرين ● أجمعين ● الآخرين ● أجمعين ● الآخرين ● للآية ط مؤمنين ● الرحيم ● * التفسير قال جار الله معنى طسم ان آيات

هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين وقدم مثله في أول يوسف والنجم الاهلاك معبود
وقدم في أول الكهف عزاه وعرفه ان غمه وحزنه لا ينفع كما ان وجود الكتاب على بيانه و وضوحه لا ينفع ثم بين انه قادر على تنزيل آية

معبود لكم ولا آبائكم فانى منه برىء لا أعبده الا رب العالمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين) يقول فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين للصواب من القول والعمل ويسددنى للرشاد والذى هو يطعمنى ويسقين يقول والذى يغذونى بالطعام والشراب ويرزقنى الارزاق واذا مرضت فهو يشفين يقول واذا سقم جسمى واعتل فهو يبرئه ويعافيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) يقول والذى يميتنى اذا شاء ثم يحيينى اذا أراد بعد مماتى والذى أطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين فربى هذا الذى بيده نفعى وضرى وله هذه القدرة والسلطان وله الدنيا والآخرة لا الذى لا يسمع اذا دعى ولا ينفع ولا يضر وانما كان هذا الكلام من ابراهيم احتجاجا على قومه فى انه لا تصلح الالوهة ولا ينبغى أن تكون العبودة الا لمن يفعل هذه الافعال لا لمن لا يطيق نفعا ولا ضرا وقيل ان ابراهيم صلوات الله عليه عنى بقوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين والذى أرجو أن يغفر لى قولى انى سقيم وقولى بل فعله كبيرهم هذا وقولى لسارة انها أختى ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين قال قوله انى سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة انها أختى حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله والذى أطمع أن يغفر لى بخطيئتى يوم الدين قال قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة انها أختى قال **حدثنا** الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد نحوه ويعنى بقوله يوم الدين يوم الحساب يوم المجازاة وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن مسألة خليله ابراهيم اياه رب هب لى حكما يقول رب هب لى نبوة وألحقنى بالصالحين يقول واجعلنى رسولا الى خلقك حتى تلحقنى بذلك بعداد من أرسلته من رسلك الى خلقك وائتمنته على وحيك واصطفيته لنفسك وقوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين يقول واجعل لى فى الناس ذكرا جميلا وثناء حسنا باقيا فيمن يجىء من القرون بعدى ＊ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة قوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين قوله وآتيناه أجره فى الدنيا قال ان الله فضله بالخلة حين اتخذه خليلا فسأل الله فقال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين حتى لا تكذبنى الامم فاعطاه الله ذلك فان اليهود آمنت بموسى وكفرت بعيسى وان النصارى آمنت بعيسى وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم وكلهم يتولى ابراهيم قالت اليهود هو خليل الله وهو منا فقطع الله ولايتهم منه بعدما أقروا له بالنبوة وآمنوا به فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم ألحق ولايته بكم فقال ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين فهذا أجره الذى عجل له وهى الحسنة اذ يقول وآتيناه فى الدنيا حسنة وهو اللسان الصدق الذى سأل ربه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين قال اللسان الصدق الذكر الصدق والثناء الصالح والذكر الصالح فى الآخرين من الناس من الامم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لابى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم

ملجئة الى الايمان ولكن المشيئة والحكمة تقتضيان بناء الامر على صورة الاختبار قال صاحب الكشاف وجه عطف فظلت على ننزل كما قيل فى قوله فاصدق وأكن كانه قيل أنزلنا فظلت وأقول الظاهر ان الفاء فى فظلت للسببية بدليل عدم الاستتر فيه كما فى ننزل ووجه العدول الى الماضى كما قيل فى ونادى وسبق وجه مجىء خاضعين خبرا عن الاعناق اذ الاعناق تكون مجمالبيان موضع الخضوع واصل الكلام فظلوا لها خاضعين أى حين وصفت الاعناق بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين وقيل أعناقهم رؤساؤهم كما يقال لهم الرؤس والصدور وقيل أراد جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم عن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفى بنى أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة ومعنى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث قد مر فى سورة الانبياء نبه سبحانه بذلك على انه مع اقتداره على ان يجعلهم ملجئين الى الايمان حكيم يأتيهم بالقرآن حالا بعد حال رعاية لقاعدة التكليف ثم ذكر انه تعالى لا يجدد لهم توجيه موعظة وتذكير الا جددوا ما هو نقيض المقصود وذلك النقيض هو الاعراض والتكذيب والاستهزاء وهذا ترتيب فى غاية الحسن كانه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره حتى صار عرضة للاستهزاء وهذه درجات من أخذ فى الشقاء فانه يعرض أولا ثم يصرح بالتكذيب ثانيا ثم يبلغ فى التكذيب والانكار الى حيث يستهزئ وفى قوله فسيأتيهم وعيد لهم بعذاب بدر أو يوم القيامة وقدمر مثله فى أول الانعام ثم بين انه مع حكمته فى انزال القرآن حالا بعد حال رحيم يظهر من الدلائل الحسية ما يكفى للمتأمل فى باب النظر

والاستدلال والزوج الصنف والكريم نعت لكل ما يرضى ويحمد في بابه منه وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه ونبات كريم مرضي فيما يتعلق (٥٠) به من المنافع فما من نبت الاوفيه نفع وفائدة من جهة وان كانت فيه مضرة من

بعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) يعني ابراهيم صلوات الله عليه بقوله واجعلني من ورثة جنة النعيم أورثني يا رب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة واسكني ذلك واغفر لابي يقول واصفح لابي عن شركه بك ولا تعاقبه عليه انه كان من الضالين يقول انه كان ممن ضل عن سبيل الهدى فكفر بك وقد بينا المعنى الذي من أجله استغفر ابراهيم لابيه صلوات الله عليه واختلاف أهل العلم في ذلك والصواب عندنا من القول فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ولا تخزني يوم يبعثون يقول ولا تذلني بعقابك اياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون يقول لا تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مال كان له في الدنيا ولا بنوه الذين كانوا له فيها فيدفع ذلك عنه عقاب الله اذا عاقبه ولا ينجيه منه وقوله الا من أتى الله بقلب سليم يقول ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع الا القلب السليم والذي عنى به من سلامة القلب في هذا الموضع هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله والبعث بعد الممات * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن عون قال قلت لمحمد ما القلب السليم قال ان يعلم ان الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد الا من أتى الله بقلب سليم قال لا شك فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الا من أتى الله بقلب سليم قال ليس فيه شك في الحق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله بقلب سليم قال سليم من الشرك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الا من أتى الله بقلب سليم قال سليم من الشرك فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد حدثني عمرو بن عبد الحميد الاملي قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك في قول الله الا من أتى الله بقلب سليم قال هو الخالص ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون) يعني جل ثناؤه بقوله وأزلفت الجنة للمتقين وأدنيت الجنة وقربت للمتقين الذين اتقوا عقاب الله في الآخرة بطاعتهم اياه في الدنيا وبرزت الجحيم للغاوين يقول وأظهرت النار للذين غووا فضلوا عن سواء السبيل وقيل للغاوين أينما كنتم تعبدون من دون الله من الانداد هل ينصرونكم اليوم من الله فينقذونكم من عذابه أو ينتصرون لانفسهم فينجونها مما يراد بها وقوله فكبكبوا فيها هم والغاوون يقول فرمي ببعضهم في الجحيم على بعض وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم وأصل كبكبوا كببوا ولكن الكاف كررت كما قيل بريح صرصر يعني به صر ونهنهني ينهنهني يعني به نهني * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فكبكبوا قال فدهوروا حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فكبكبوا فيها يقول فجمعوا فيها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فكبكبوا فيها قال طرحوا فيها فتأويل الكلام فكبب هؤلاء الانداد التي كانت تعبد من دون الله في الجحيم والغاوون وذكر عن قتادة انه كان يقول الغاوون في هذا الموضع الشياطين ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون قال الغاوون الشياطين فتأويل الكلام على هذا القول الذي ذكرناه عن قتادة فكبكب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الاصنام والشياطين

جهة أخرى ويحتمل أن يراد بالكريم النافع منه وتكون المضار مسكوتا عنه قال جار الله معنى الجمع بين كم وكل دون أن يقول كم أنبتنا فيها من زوج كريم هو ان كلا قد دل على الاحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم دل على ان هذا المحيط مفرط الكثرة قلت فالحاصل ان خلق النوع يصدق بخلق فرد واحد منه كما يصدق بخلق أفراد كثيرة فقوله كل زوج اشارة الى خلق كل نوع من أنواع النبات وقوله كم أنبتنا اشارة الى كثرة أفراد كل نوع منه وفيه تنبيه على كمال القدرة ونهاية الجود والرحمة ولهذا ختم الكلام بقوله ان في ذلك الانبات أو في كل واحد من تلك الازواج لآية على الابداء والاعادة وما كان أكثرهم مؤمنين لان الله تعالى طبع على قلوبهم وان ربك لهو العزيز الرحيم فمن عزته قدر على عقوبتهم ومن رحمته بين لهم الدلائل ليتفكروا ويعتبروا والرحمة اذا صدرت عن القدرة كانت أعظم موقعا واعلم انه سبحانه كرر بعض الآيات في هذه السورة لاجل التأكيد والتقرير فمن ذلك انه كرر قوله ان في ذلك لآية الى قوله الرحيم في ثمانية مواضع أولها في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والثانية في قصة موسى ثم ابراهيم ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم لوط ثم شعيب ومن ذلك قوله ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين وهو مذكور في خمسة مواضع في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ولبيّن في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين لذكرها في مواضع من غير هذه

السورة وليس فى قصة موسى لانه رباه فرعون حيث قال ألم نربك فينا وليدا ولا فى قصة ابراهيم لان أباه فى المخاطبين حيث يقول اذ قال لابيه وقومه وهو قدر باه فاستحى موسى وابراهيم ان يقولا وما أسألكم عليه من أجر (٥١) وان كانا منزهين من طلب الاجر ثم انه تعالى أعاد فى

والشياطين وقوله وجنود ابليس أجمعون يقول وكبكب فيهامع الانداد والغاوين جنود ابليس أجمعون وجنوده كل من كان من تباعه من ذريته كان أو من ذرية آدم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) يقول تعالى ذكره قال هؤلاء الغاوون والانداد التى كانوا يعبدونها من دون الله وجنود ابليس وهم فى الجحيم يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين يقول تالله لقد كنا فى ذهاب عن الحق ان كنا لفى ضلال مبين يبين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه لمن تأمله وتدبره انه ضلال وباطل وقوله اذ نسويكم برب العالمين يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله تالله ان كنا لفى ذهاب عن الحق حين نعدلكم برب العالمين فنعبدكم من دونه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اذ نسويكم برب العالمين قال لتلك الآلهة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الغاوين فى الجحيم وما أضلنا الا المجرمون يعنى بالمجرمين ابليس وابن آدم الذى سن القتل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله وما أضلنا الا المجرمون قال ابليس وابن آدم القاتل وقوله فما لنا من شافعين يقول فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الاباعد فيعفو عنا وينجينا من عقابه ولا صديق حميم من الاقارب * واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بالشافعين وبالصديق الحميم فقال بعضهم عنى بالشافعين الملائكة وبالصديق الحميم النسيب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فما لنا من شافعين قال من الملائكة ولا صديق حميم قال من الناس قال مجاهد صديق حميم قال شقيق وقال آخرون كل هؤلاء من بنى آدم ذكر من قال ذلك حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا اسحق بن سعيد البصرى المسمعى عن أخيه يحيى بن سعيد المسمعى قال كان قتادة اذا قرأ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قال يعلمون والله ان الصديق اذا كان صالحا نفع وان الحميم اذا كان صالحا شفع وقوله فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين يقول فلو ان لنا رجعة الى الدنيا فنؤمن بالله فنكون باعانه من المؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) يقول تعالى ذكره ان فيما احتج به ابراهيم على قومه من الحجج التى ذكرنا لدلالة بينة واضحة لمن اعتبر على ان سنة الله فى خلقه الذين يستنون بسنة قوم ابراهيم من عبادة الاصنام والآلهة ويقتدون بهم فى ذلك ماسن فيهم فى الدار الآخرة من كبكبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود ابليس فى الجحيم وما كان أكثرهم فى سابق علمه مؤمنين وان ربك يا محمد لهو الشديد الانتقام ممن عبد من دونه ثم لم يتب من كفره حتى هلك الرحيم بمن تاب منهم ان يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من اثم وجرم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين) يقول تعالى ذكره كذبت قوم نوح رسل الله الذين أرسلهم اليهم لما قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون فتحذروا عقابه على كفركم به وتكذيبكم رسله انى لكم رسول من الله أمين على وحيه الى برسالته اياى اليكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) يقول تعالى ذكره فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به وأطيعونى فى نصحى لكم وأمرى اياكم باتقائه وما أسألكم عليه من أجر يقول وما أطلب منكم على نصحى لكم وأمرى اياكم باتقاء عقاب

هذه السورة قصص الانبياء المشهورين مع أممهم اعتبارا لهذه الامة وبدأ بقصة موسى لما فيه من غرائب الاحوال وعجائب الامور والنداء المسموع عند الاشعرى هو الكلام القديم الذى لا يشبه الحروف والاصوات وعند المعتزلة واليه ميل أبى منصور الماتريدى انه من جنس الحروف والاصوات وانه وقع على وجه علم به موسى انه من قبل الله تعالى وقد عرفه انه سيظهر عليه المعجزات اذا طولب بذلك قال جار الله قوله ألا تتقون كلام مستأنف فيه تعجيب لموسى من حالهم الشنعاء فى قلة خوفهم وكثرة ظلمهم أو هو حال أدخلت عليه همزة الانكار ثم ان موسى خاف أن يكذب عند أداء الرسالة فاستظهر بهرون وفى قراءة النصب خاف التكذيب المستتبع لضيق الصدر المستلزم لاحتباس اللسان عن الجريان فى الكلام ولعله أراد بهذه الحبسة عقدة فى لسانه قبل اجابة دعوته أو بقية روى انها بقيت بعد الاجابة كما مر فى طه ومعنى فارسل الى هرون أرسل اليه جبريل واجعله نبيا يصدقنى فى أمرى فاختصر الكلام اختصارا ثم ذكر ان لهم عليه ذنبا فسمى جزاء الذنب ذنبا أو المضاف محذوف أى تبعة ذنب وهو قود قتل القبطى كما سيجىء تفصيله فى سورة القصص فيمكن ان يقتل قبل أداء الرسالة فلا يتمكن وهذا قد جوزه الكعبى وغيره من البغداديين وقال الاكثرون الاقرب من حال

الانبياء انهم يعلمون اذا حملهم الله تعالى لرسالة انه يمكنهم من أدائها فلا معنى للخوف من القتل قبل الاداء نعم لو خاف بعد الاداء جاز وذلك لما جبل عليه طبع الانسان من التنفر عن القتل فيسأل الله الامان من ذلك وقد جمع الله له بقوله كلا الكلاءتين بقوله فاذهبا استيناء

الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم من ثواب ولا جزاء ان أجرى الا على رب العالمين دونكم ودون جميع خلق الله فاتقوا عقاب الله على كفركم به وخافوا حلول سخطه بكم على تكذيبكم رسله وأطيعون يقول وأطيعوني في نصحي لكم وأمرى اياكم باخلاص العبادة لخالقكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون) يقول تعالى ذكره قال قوم نوح له مجيبيه عن قيله لهم انى رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك يا نوح ونقر بتصديقك فيما تدعونا اليه وانما اتبعك منا الارذلون دون ذوى الشرف وأهل البيوتات قال وما علمي بما كانوا يعملون قال نوح لقومه وما علمي بما كان أتباعى يعملون انما لى منهم ظاهر أمرهم دون باطنه ولم أكلف علم باطنهم وانما كلفت الظاهر فمن اظهر حسنا ظننت به حسنا ومن أظهر سيئا ظننت به سيئا ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون يقول ان حساب باطن أمرهم الذى خفى عنى الا على ربي لو تشعرون فانه يعلم سر أمرهم وعلانيته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون قال هو أعلم بما فى نفوسهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعنى على التصديق بما جئت به من عند الله ان أنا الا نذير مبين يقول ما أنا الا نذير لكم من عند ربكم أنذركم بأسه وسطوته على كفركم به مبين يقول نذير قد أبان لكم انذاره ولم يكتمكم نصيحته قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين يقول قال لنوح قومه لئن لم تنته يا نوح عما تقول وتدعو اليه وتعيب به آلهتنا لتكونن من المشتومين يقول لنشتمنك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين) يقول تعالى ذكره قال نوح رب ان قومى كذبون فيما أتيتهم به من الحق من عندك وردوا على نصيحتى لهم فافتح بينى وبينهم فتحا يقول فاحكم بينى وبينهم حكما من عندك تهلك به المبطل وتنتقم به ممن كفر بك وجحد توحيدك وكذب رسولك كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فافتح بينى وبينهم فتحا قال فاقض بينى وبينهم قضاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فافتح بينى وبينهم فتحا قال يقول اقض بينى وبينهم ونجنى يقول ونجنى من ذلك العذاب الذى تأتى به حكما بينى وبينهم ومن معى من المؤمنين يقول والذين معى من أهل الايمان بك والتصديق لى وقوله فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون يقول فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين حين فتحنا بينهم وبين قومهم وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين فى الفلك المشحون يعنى فى السفينة الموقرة المملوءة * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله الفلك المشحون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فى الفلك المشحون قال يعنى الموقر حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا الحسين بن الحسن الاشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المشحون الموقر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الفلك المشحون قال المفروغ منه المحار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال المشحون المفروغ منه تحميلا حدثنا الحسن قال

أخبرنا

أخيه كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون ومعكم ومستمعون خبران لان أو الخبر مستمعون ومعكم متعلق به ولا يخفى ما فى المعية من المجاز لان المصاحبة من صفات الاجسام فالمراد معية النصرة والمعونة وأما الاستماع فمجاز أيضا وان كان اطلاق السمع على الله حقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء ولا بد فيه من الجارحة فاصل الآية انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجرى بينكما وبينه وانما وحد الرسول فى قوله انا رسول رب العالمين لانه أراد كل واحد أو أراد الرسول بمعنى المصدر أى ذو رسالة رب العالمين يقال أرسلتهم برسول أى برسالة أو جعلا لاتفاقهما واتحاد مطلبهما كرسول واحد وههنا اضمار دل عليه سياق الكلام أى فأتيا فرعون فقالا له ذلك يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف انه موسى فعند ذلك قال ألم نربك فينا وليدا أى صبيا وذلك لقرب عهده من الولادة قيل مكث فيهم ثلاثين سنة من أول عمره وقيل وكز القبطى وهو ابن اثنتى عشرة سنة ففر منهم والفعلة الوكزة عدد عليه نعمه ثم وبخه بقتل نفس منهم وسماه كافر النعمة بسبب ذلك وجوز جار الله ان يراد وأنت اذ ذاك ممن يكفر بالساعة فيكون قد افترى على موسى أو جهل أمره لانه كان يعايشهم بالتقية وانما قلنا انه افتراء أو جهل لان الكفر غير جائز على الانبياء ولو قبل النبوة ويجوز ان يراد انه من الكافرين بفرعون والهيته أو بآلهة كانوا يعبدونها قال تعالى ويذرك وآلهتك ثم ان موسى ما أنكر تربيته ولكن أنكر الكفر فلم ينسب نفسه الا الى الضلال وأراد به الذهاب عن الصواب أو أراد النسيان أو الخطأ وعدم التدبر فى أدبار الامور ثم ذكر موهبة ربه فى حقه حين فر من فرعون وملئه المؤتمرين بقتله والحكم العلم

أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قول الله الفلك المشحون قال هو المحمل وقوله ثم أغرقنا بعد الباقين من قومه الذين كذبوه وردوا عليه النصيحة ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) يقول تعالى ذكره ان فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين في الفلك المشحون حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا بقومه الذين كذبوه لآية لك ولقومك المصدقيك منهم والمكذبيك في ان سنتنا نجية رسلنا واتباعهم اذا نزلت نقمتنا بالمكذبين بهم من قومهم واهلاك المكذبين بالله وكذلك سنتي فيك وفي قومك وما كان أكثرهم مؤمنين يقول ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدقونك مما سبق في قضاء الله انهم لن يؤمنوا وان ربك لهو العزيز في انتقامه ممن كفر به وخالف أمره الرحيم بالتائب منهم ان يعاقبه بعد توبته ۞ القول في تاويل قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين) يقول تعالى ذكره كذبت عاد رسل الله اليهم اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون عقاب الله على كفركم به اني لكم رسول من ربي يأمركم بطاعته ويحذركم على كفركم بأسه أمين على وحيه ورسالته فاتقوا الله بطاعته والانتهاء الى ما يامركم وينهاكم وأطيعون فيما آمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته وما أسئلكم عليه من أجر يقول وما أطلب منكم على أمري اياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابا ان أجري الا على رب العالمين يقول ما أجري وثوابي على نصيحتي اياكم الا على رب العالمين ۞ القول في تاويل قوله تعالى (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه أتبنون بكل ريع آية تعبثون والريع كل مكان مشرف من الارض مرتفع أو طريق أو واد ومنه قول ذي الرمة

طراق الخوافي مشرف فوق ريعه * بذي ليلة في ريشه يترقرق

(وقول الاعشى)

ومهمه قفر تجاوزتها * اذا احب في ريعها آلها

وفيه لغتان ريع وريع بكسر الراء وفتحها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أتبنون بكل ريع آية تعبثون يقول بكل شرف **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بكل ريع قال فج **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله أتبنون بكل ريع آية قال بكل طريق **حدثني** سليمان بن عبيد الله الغيلاني قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا مسلمة بن خالد قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أتبنون بكل ريع قال الريع الثنية الصغيرة **حدثني** يونس قال أخبرنا يحيى بن حسان عن مسلم ابن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة بكل ريع قال فج وواد قال وقال مجاهد بكل ريع بين جبلين قال **حدثني** حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أتبنون بكل ريع قال شرف ومنظر **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله بكل ريع قال بكل طريق **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله بكل ريع بكل طريق ويعني بقوله آية بنيانا علما وقد بينا في غير موضع من كتابنا هذا ان الآية هي الدلالة والعلامة بالشواهد

بالتوحيد وكمال العقل والرأي ولا تدخل فيه النبوة ظاهر الثلا يلزم شبه التكرار بقوله وجعلني من المرسلين قال جار الله وتلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدري ما هي الا بعدان فسرت بقوله ان عبدت نظيره قوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع

والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي كأنه أبي ان يسمى نعمته الا نقمة لان تعبيدهم أي تذليلهم واتخاذهم عبيدا وقصدهم الى ذبح أبنائهم صار هو السبب في حصوله عنده وفي تربيته فلهذا قال الزجاج ان مع ما بعده في موضع نصب أي انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اذ لو لم يفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم ومن هنا قال جار الله ان قول موسى فعلتها اذن جواب لقول فرعون وفعلت فعلتك وجزاء له كان فرعون قال جازيت نعمتي بما فعلت فقال موسى فعلتها مجازيا لك وان نعمتك جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء وقال الحسن أراد انك استعبدتهم وأخذت أموالهم ومنها أنفقت علي فلا نعمة لك بالتربية على ان التربية كانت من قبل أمي وعشيرتي ولم يكن منك الا انك لم تقتلني وقيل أراد انك كنت تدعي ان بني اسرائيل عبيدك ولا منة للمولى على العبد في الاطعام والكسوة واعلم ان للعلماء خلافا في نعمة الكافر فقيل انها لا تستحق الشكر لان الكافر يستحق الاهانة بكفره فلو استحق الشكر لانعامه لزم الجمع بين الاهانة والتعظيم في حق شخص واحد في وقت واحد وقيل لا يبطل بالكفر الا الثواب والمدح الذي يستحقه على الايمان وفي الآية نوع دلالة على كل من القولين ثم ان موسى حين أدى رسالته من قوله انا رسول رب العالمين قال فرعون وما رب العالمين وقد سبق مرارا ان كفره احتمل أن يكون كفر عناد وان يكون كفر جهالة والذي يختص بالمقام هو ان ما انما يطلب به حقيقة الشيء وماهيته وهذا هو الذي قصده فرعون بسؤاله ولم يعرف ان الماهية لا تطلق على ذاته تعالى اذ لا اجزاء لها

حدية ولا تقديرية ولا بأى وجه فرض ضرورة انتهاء الكل اليه واستغنائه عن الكل من كل الوجوه فلا يصح ان يسئل عنه بما هو ولا
بكيف هو ولا بأى شئ هو ولا بم سل هو غاية ذلك ان ينبه على وجوده الذى هو أظهر الاشياء بلوازمه واشارة على وجه يعم الكل

المغنية عن اعادتها فى هذا الموضع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى ألفاظهم فى تأويله ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس بكل ريع آية قال الآية علم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بكل ريع آية قال آية بنيان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد آية بنيان **حدثنى** على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله بكل ريع آية قال بنيان الحمام وقوله تعبثون قال تلعبون * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس تعبثون قال تلعبون **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تعبثون قال تلعبون وقوله وتتخذون مصانع * اختلف أهل التأويل فى معنى المصانع فقال بعضهم هى قصور مشيدة ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قال قصور مشيدة وبنيان مخلد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مصانع قصور مشيدة وبنيان **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن مجاهد قال مصانع يقول حصون وقصور **حدثنى** يونس قال أخبرنا يحيى بن حسان عن مسلم عن رجل عن مجاهد قوله مصانع لعلكم تخلدون قال أبرجة الحمام * وقال آخرون بل هى مآخذ الماء ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مصانع قال مآخذ الماء * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك ان يقال ان المصانع جمع مصنعة والعرب تسمى كل بناء مصنعة وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورا وحصونا مشيدة وجائز أن يكون كان مآخذ الماء ولا خبر يقطع العذر بأى ذلك كان ولا هو مما يدرك من جهة العقل فالصواب أن يقال فيه ما قال الله انهم كانوا يتخذون مصانع وقوله لعلكم تخلدون يقول كأنكم تخلدون فتبقون فى الارض * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله لعلكم تخلدون يقول كأنكم تخلدون **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال فى بعض الحروف وتتخذون مصانع كأنكم تخلدون وكان ابن زيد يقول لعلكم فى هذا الموضع استفهام ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قال هذا استفهام يقول لعلكم تخلدون حين تبنون هذه الاشياء وكان بعض أهل العربية يزعم ان لعلكم فى هذا الموضع بمعنى كيما وقوله واذا بطشتم بطشتم جبارين يقول واذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف وضربا بالسياط كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج واذا بطشتم بطشتم جبارين قال القتل بالسيف والسياط

القول فى تأويل قوله تعالى (فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه من عاد اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم وانتهوا عن اللهو واللعب وظلم الناس وقهرهم بالغلبة والفساد فى الارض واحذروا سخط الذى أعطاكم من عنده ما تعلمون وأعانكم به من بين المواشى

والبنين

كما يقال انه رب السموات والارض وما بينهما أو بأخص من ذلك بان يقال مثلا ربكم ورب آبائكم الاولين وهو الاستدلال بالانفس أو يقال رب المشرق والمغرب وما بينهما من الجهات المفروضة على السماء من لدن طلوع الكواكب الى غروبها وبالعكس وهو الاستدلال بالآفاق وقد راعى فى الجواب الاول طريقة التلطف فختم بقوله ان كنتم موقنين أى ان كنتم موقنين بشئ قط فهذا أول ما توقنون به لظهوره وجلائه وخاشنهم فى الاخير بقوله ان كنتم تعقلون حين نسبوه الى الجنون بعد ان تهكموا به بقوله ان رسولكم ويمكن ان يراد بقوله وما بينهما ثانيا ما بين المشرق والمغرب من المخلوقات فيكون الفرق بين هذا الاستدلال وبين الاول ان الاول هو الاستدلال بالامكان على طريقة الحكيم والثانى هو الاستدلال بالحدوث على طريقة المتكلمين والاول أقرب الى اليقين فلهذا قال ان كنتم موقنين والثانى أقرب الى الحس فلهذا قال ان كنتم تعقلون ولما انجر الكلام الى حد العناد والمخاشنة هدده فرعون بقوله ان اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين وهذا أبلغ من ان لو قال لاسجننك والمعنى لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته ان يأخذ من يريد سجنه يطرحه فى هوة ذاهبة فى الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع
وحينئذ عدل موسى الى الحجة الاصلية فى الباب وهو ادعاء المعجز المنبئ عن صدقه فقال أولو جئتك أى أتفعل فى
ذلك ولو جئتك بشئ أى جائيا بالمعجزة وفى قوله ان كنت من الصادقين ان سلم انه قاله جدا لاهزلا وجعله دلالة على ما ركز فى العقول من ان

والبنين والبساتين والانهار انى أخاف عليكم عذاب يوم من الله عظيم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين) يقول تعالى ذكره قالت عاد لنبيهم هود صلى الله عليه وسلم معتدل عندنا وعظك ايانا وتركك الوعظ فلن نؤمن لك ولن نصدقك على ماجئتنا به وقوله ان هذا الا خلق الاولين * اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة سوى أبي جعفر وعامة قراء الكوفة المتأخرين منهم ان هذا الا خلق الاولين من قبلنا وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو بن العلاء ان هذا الا خلق الاولين بفتح الخاء وتسكين اللام بمعنى ماهذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين وأحاديثهم * واختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك نحو اختلاف القراء فى قراءته فقال بعضهم معناه ماهذا الا دين الاولين وعاداتهم وأخلاقهم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان هذا الا خلق الاولين يقول دين الاولين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ان هذا الا خلق الاولين يقول هكذا خلقة الاولين وهكذا كانوا يحيون ويموتون * وقال آخرون بل معنى ذلك ما هذا الا كذب الاولين وأساطيرهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ان هذا الا خلق الاولين قال أساطير الاولين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا خلق الاولين قال كذبهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هذا الا خلق الاولين قال ان هذا الا أمر الاولين وأساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر عن علقمة عن ابن مسعود ان هذا الا خلق الاولين يقول ان هذا الا اختلاق الاولين قال حدثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود عن الشعبى عن علقمة عن عبد الله انه كان يقرأ ان هذا الا خلق الاولين ويقول شئ اختلقوه حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى قال قال علقمة ان هذا الا خلق الاولين قال اختلاق الاولين * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ ان هذا الا خلق الاولين بضم الخاء واللام بمعنى ان هذا الا عادة الاولين ودينهم كما قال ابن عباس لانهم انما عوتبوا على البنيان الذى كانوا يتخذونه وبطشهم بالناس بطش الجبابرة وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم فأجابوا نبيهم بانهم يفعلون ما يفعلون من ذلك احتذاء منهم سنة من قبلهم من الامم واقتفاء منهم آثارهم فقالوا ماهذا الذى نفعله الا خلق الاولين يعنون بالخلق عادة الاولين ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل قولهم وما نحن بمعذبين لانهم لو كانوا لا يقرون بان لهم ربا يقدر على تعذيبهم ماقالوا وما نحن بمعذبين بل كانوا يقولون ان هذا الذى جئتنا به هو الا خلق الاولين وما الناس معذب بعذبنا ولكنهم كانوا مقرين بالصانع ويعبدون الآلهة على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها ويقولون انها تقربنا الى الله زلفى فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوته سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ثم قالوا له ماهذا الذى نفعله الا عادة من قبلنا وأخلاقهم وما الله معذبنا عليه كما أخبرنا تعالى ذكره عن الامم الخالية قبلنا انهم كانوا يقولون لرسلهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فكذبوه فأهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) يقول تعالى ذكره فكذبت

دعوى الرسالة ان اقترنت بظهور المعجزة على يده تحقق صدقها وقد شنع فى الكشاف ههنا ان فى أهل القبلة من خفى عليهم ما لم يخف على فرعون حتى جوز والقبيح عليه سبحانه ولزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات (٥٥) وفى الغطنة سهو من وجهين أحدهما انه لاقبيح عند الاشاعرة عقلا والثانى انه على تقدير التسليم لايلزم تجويز كل قبيح وهذا من ذلك للزوم الاشتباه وباقى القصة سبق نظيرها فى الاعراف فلنقتصر فى التفسير على ما يختص بالسورة قوله قال للملأ حوله قال فى الكشاف الظرف فى محل النصب على الحال وأقول الاصوب ان يجعل نعتا للملأ أى الاشراف حوله على طريقة قوله

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى *

قوله لميقات يوم معلوم اليوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى كامر فى طه قوله هل أنتم مجتمعون استبطاء لهم فى الاجتماع وحث عليه كقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد ان يحثه على الانطلاق قوله لعلنا نتبع السحرة لم يكن غرضهم اتباع السحرة فى دينهم وانما غرضهم الاصلى ان لا تتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق المجاز لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى قوله بعزة فرعون هى من أيمان الجاهلية ولا يصح الحلف فى الاسلام الا بالله تعالى وبصفاته كامر فى البقرة والمائدة قوله فالقى السحرة لم يسم فاعله وهو الله تعالى فى الحقيقة حين ألقى داعية الايمان فى قلوبهم ويجوز ان ينسب الى ما عاينوا من المعجزات الباهرة وذلك ان لاتقدر فاعلا أى خروا قوله لاضير أى لاضير علينا فيما يتوعدنا به من القتل قوله انا نطمع فى هذا الموضع يحتمل اليقين كقول ابراهيم والذى أطمع ان يغفر لى ويحتمل الظن بناء على ان المرء لا يعلم ما يختاره أو يؤل اليه عند الوفاة ومعنى ان كنا ان كنا وكانوا أول طائفة مؤمنين من أهل زمانهم أو من قوم فرعون أو من أهل المشهد قوله انكم متبعون تعليل للاسراء أى بنيت تدبير أمركم على ان

عاد رسول ربهم هود واو الهاء فى قوله فكذبوه من ذكر هود فاهلكناهم يقول فاهلكنا عادا بتكذيبهم رسولنا ان فى ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان فى اهلاكنا عادا بتكذيبها رسولها العبرة وموعظة لقومك يا محمد المكذبيك فيما أتيتهم به من عند ربك وما كان أكثرهم مؤمنين يقول وما كان أكثر من أهلكنا الذين يؤمنون فى سابق علم الله وان ربك لهو العزيز فى انتقامه من أعدائه الرحيم بالمؤمنين به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) يقول تعالى كذبت ثمود رسل الله اذ دعاهم صالح أخوهم الى الله فقال لهم ألا تتقون عقاب الله ياقوم على معصيتكم اياه وخلافكم أمره بطاعتكم أمر المفسدين فى أرض الله انى لكم رسول من الله أرسلنى اليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره أمين على رسالته التى أرسلها معى اليكم فاتقوا الله أيها القوم واحذروا عقابه وأطيعون فى تحذيرى اياكم وأمر ربكم باتباع طاعته وما أسألكم عليه من أجر يقول وما أسألكم على نصحى اياكم وانذاركم من جزاء ولا ثواب ان أجرى الا على رب العالمين يقول ان جزائى وثوابى الا على رب جميع ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما من خلق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أتتركون فيما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين فاتقوا الله وأطيعون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود أيترككم ياقوم ربكم فى هذه الدنيا آمنين لا تخافون شيأ فى جنات وعيون يقول فى بساتين وعيون ماء وزروع ونخل طلعها هضيم يعنى بالطلع الكفرى * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله هضيم فقال بعضهم معناه اليانع النضيج ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ونخل طلعها هضيم يقول أينع وبلغ فهو هضيم * وقال آخرون بل هو المتهشم المتفتت ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ونخل طلعها هضيم قال محمد بن عمرو فى حديثه تهشم هشيما وقال الحرث تهشم تهشيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الكريم يقول سمعت مجاهدا يقول فى قوله ونخل طلعها هضيم قال حين تطلع يقبض عليه فيهضمه قال ابن جريج قال مجاهد اذا مس تهشم وتفتت قال هو من الرطب هضيم تقبض عليه فتهضمه * وقال آخرون هو الرطب اللين ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة قوله ونخل طلعها هضيم قال الهضيم الرطب اللين * وقال آخرون هو الراكب بعضه بعضا ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله طلعها هضيم اذا كثر حمل النخلة فركب بعضها بعضا حتى نقص بعضها بعضا فهو حينئذ هضيم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال الهضيم هو المتكسر من لينه ورطوبته وذلك من قولهم هضم فلان فلانا حقه اذا انتقصه وتحيفه فكذلك الهضم فى الطلع انما هو التنقص منه من رطوبته ولينه اما بمس الايدى واما بركوب بعضه بعضا وأصله مفعول صرف الى فعيل وقوله وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين يقول تعالى ذكره وتتخذون من الجبال بيوتا * فاختلفت القراء فى قراءة قوله فارهين فقرأته عامة قراء أهل الكوفة فارهين بمعنى حاذقين بنحتها وقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة فرهين بغير ألف بمعنى أشرين بطرين * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك على نحو اختلاف القراء فى قراءته فقال

بعضهم

تتقدموا لو يتبعكم فرعون وجنوده الى ان يغشاهم من اليم ما يغشاهم قوله لشرذمة هى الطائفة القليلة ثم وصفهم بالقلة واختار جمع السلامة ليدل على ان كل حزب منهم فى غاية القلة وذلك بالنسبة الى عسكره والا فهم كثير فى أنفسهم يروى ان فرعون أرسل فى أثرهم ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون فى جمع عظيم وكانت على مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وكان قوم موسى اذ ذاك ستمائة ألف وسبعين ألفا ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والحقارة لا قلة العدد قوله وانهم لنا لغائظون معناه انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا كأخذ الحلى وادعاء الاستقلال والاستخلاص عن ذل الاستخدام ونحن قوم مجموعون كلمة وائتلافا ومن عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الامور فالحذر التيقظ وهو يفيد الثبات والحاذر الذى يحذر حذره وقيل هو تام السلاح لانه فعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه وكل هذه المعاذير لاجل ان لا يظن به العجز وخلاف ما ادعاه من القهر والتسلط وقرئ حادرون بالدال غير المعجمة والحادر السمين القوى أراد انهم أقوياء أشداء فاخرجناهم من جنات أى بساتينهم التى فيها عيون الماء وكنوز الذهب والفضة قال مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها فى طاعة الله تعالى والمقام الكريم المنازل الحسنة والمجالس البهية وقال الضحاك المنابر وقيل السرر فى الحجال كذلك يحتمل النصب أى أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفنا والجر على الوصف أى مقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى الامر كذلك وعلى هذا فيوقف على كريم اى فلحقوهم ومن قرأ بالتشديد فظاهر والاشراق الدخول فى وقت الشروق فلما تراءى الجمعان اى قوم موسى وفرعون

وحصل كل من الفريقين برأى الآخر قال أصحاب موسى خوفا وفزعا انا لمدركون المحقون قال موسى تثبيتا لهم و ردعا عما هم عليه من الجزع والفزع كلا ان معى ربى بالنصرة والمعونة سيهدين سبيل النجاة والخلاص (٥٧) كما وعدنى ثم بين انه كيف هداه بقوله فأوحينا

بعضهم معنى فارهين حاذقين ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح وعبدالله بن شداد وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قال أحدهما حاذقين وقال الآخر متجبرون حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قال حاذقين بنحتها حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فارهين يقول حاذقين * وقال آخرون معنى فارهين مستفرهين متجبرين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن عبدالله بن شداد فى قوله فرهين قال يتجبرون * قال أبو جعفر والصواب فارهين * وقال آخرون ممن قرأه فارهين معنى ذلك كيسين ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فارهين قال كيسين حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك انه قرأ فارهين قال كيسين * وقال آخرون فرهين أشرين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين يقول أشرين ويقال كيسين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بيوتا فرهين قال شرهين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بمثله * وقال آخرون معنى ذلك أقوياء ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين قال الفره القوى * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فرهين قال معجبين بصنيعكم * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان قراءة من قرأها فارهين وقراءة من قرأ فرهين قراءتان معروفتان مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما فى علماء القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ومعنى قراءة من قرأ فارهين حاذقين بنحتها متخيرين لمواضع نحتها كيسين من الفراهة ومعنى قراءة من قرأ فرهين مرحين أشرين وقد يجوز أن يكون معنى فاره وفره واحدا فيكون فارها مبنيا على بنائه وأصله من فعل يفعل و يكون فره صفة كما يقال فلان حاذق بهذا الامر وحذق ومن الفاره بمعنى المرح قول الشاعر عدى بن وادع العقدى من الازد

لا أستكين اذا ما أزمة أزمت * فلن ترانى بخير فاره اللبب

أى مرح اللبب وقوله فاتقوا الله وأطيعون يقول تعالى ذكره فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم وخلافكم أمره وأطيعون فى نصيحتى لكم وانذارى اياكم عقاب الله ترشدوا

القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم فى تماديهم فى معصية الله واجترائهم على سخطه وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون فى الارض ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون يقول ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله وقوله انما أنت من المسحرين * اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه انما أنت من المسحورين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

الآية ومعنى فانفلق فضرب فانفلق فكان كل فرق أى كل جزء متفرقا منفلق منه كالطود وهو الجبل العظيم ومع ذلك وصفه بالعظيم وأزلفنا ثم أى قربنا حيث انفلق البحر الآخرين وهم قوم فرعون والمقرب منه بنو اسرائيل أو قوم فرعون أيضا أى أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد ويجوز أن يراد قدمناهم الى البحر وقرئ وأزلقنا بالقاف أى أزللنا أقدامهم حسابان لم يكن لهم البحر يبسا كما كان لبنى اسرائيل أو عقلا أى أذهبنا عزهم والبحر بحر القلزم أو بحر من وراء مصر يقال له اساف قالت الاشاعرة انه تعالى أضاف الازلاف الى نفسه انما فعلوا ذلك مع ان اجتماعهم فى طلب موسى كفر أجاب الجبائى بان قوم فرعون تبعوا بنى اسرائيل وبنو اسرائيل انما فعلوا ذلك بأمر الله تعالى فلما كان مسيرهم بتدبير الله وهؤلاء تبعوهم أضاف الى نفسه توسعا وهذا كما يبعث أحدنا فى طلب غلام له فيجوز أن يقول بعثنى الغلام لما حدث ذلك عند فعله أو المراد أزلفناهم الى الموت والاجل وقال الكعبى أراد انه جمع تفرقهم كيلا يصلوا الى موسى وقومه أو أراد انه حلم عنهم وترك لهم البحر يابسا حتى طمعوا فى دخوله واعترض بان كل ذلك لابد أن يكون له أثر فى استجلاب داعية قوم فرعون الى الذهاب خلفهم فيعود المحذور ان فى ذلك الذى حدث فى البحر من انجاء البعض

واغراق البعض أو فى ذلك الذى ذكر من القصة بطولها لآية عجيبة للمتدبر المتفكر فى الامور الالهية وما كان أكثرهم مؤمنين حين سألوا بعد النجاة أن يجعل لهم موسى الها غير الله واتخذوا العجل واقترحوا

انما أنت من المسحرين قال من المسحورين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله انما أنت من المسحرين قال انما أنت من المسحورين * وقال آخرون معناه من المخلوقين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبيد قال ثنا موسى بن عمر عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله انما أنت من المسحرين قال من المخلوقين * واختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى ذلك فكان بعض أهل البصرة يقول كل من أكل من انس أو دابة فهو مسحر وذلك لان له سحرا يقرى ما أكل واستشهد على ذلك بقول لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر

وقال بعض نحوى الكوفيين نحو هذا غير انه قال أخذ من قولك انتفخ سحرك أى انك تأكل الطعام والشراب فتسحر به وتعلل وقال معنى قول لبيد من هذا الانام المسحر من هذا الانام المعلل المخدوع قال و يروى ان الساحر من ذلك لانه كالخديعة * والصواب من القول فى ذلك عندى القول الذى ذكرته عن ابن عباس ان معناه انما أنت من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب مثلنا ولست ربا ولا ملكا فنطيعك ونعلم انك صادق فيما تقول والمسحر المفعل من السحر وهو الذى له سحرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ما أنت الا بشر مثلنا فائت باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ثمود لنبيها صالح ما أنت يا صالح الا بشر مثلنا من بنى آدم تأكل ما نأكل وتشرب بما نشرب ولست برب ولا ملك فعلام نتبعك فان كنت صادقا فى قيلك وان الله أرسلك الينا فأت باية يعنى بدلالة وحجة على انك محق فيما تقول ان كنت ممن صدقنا فى دعواه ان الله أرسله الينا وقد حدثنى أحمد بن عمرو البصرى قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابى قال ثنا داود بن أبى الفرات قال ثنا علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس ان صالحا النبى صلى الله عليه وسلم بعثه الله الى قومه فآمنوا به واتبعوه فمات صالح فرجعوا عن الاسلام فأتاهم صالح فقال لهم أنا صالح قالوا ان كنت صادقا فائتنا باية فأتاهم بالناقة فكذبوه وعقروها فعذبهم الله وقوله قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم يقول تعالى ذكره قال صالح لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه فأتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة هذه ناقة يا قوم لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم ما لكم من الشرب ليس لكم فى يوم وردها ان تشربوا من شربها شيأ ولا لها ان تشرب فى يومكم مما لكم شيأ ويعنى بالشرب الحظ والنصيب من الماء يقول لها حظ من الماء ولكم مثله والشرب والشرب والشرب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر وقد حكى عن العرب سماعا آخرها أقلها شربا وشربا وقوله ولا تمسوها بسوء يقول لا تمسوها بما يؤذيها من عقر وقتل ونحو ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ولا تمسوها بسوء لا تعقروها وقوله فيأخذكم عذاب يوم عظيم يقول فيحل بكم من الله عذاب يوم عظيم عذابه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) يقول تعالى ذكره فخالفت ثمود أمر نبيها صالح صلى الله عليه وسلم فعقروا الناقة التى قال لهم صالح لا تمسوها بسوء فأصبحوا نادمين على عقرها فلم ينفعهم ندمهم وأخذهم عذاب الله الذى كان صالح توعدهم به فأهلكهم ان فى ذلك لآية يقول ان فى اهلاك ثمود بما فعلت من عقرها ناقة الله وخلافها أمر نبى الله

صالح

اقتراحات خارجة عن قانون الادب و يحتمل أن يعود الضمير الى هذه الامة بدليل واتل عليهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يغتم بتكذيب قومه بعد ظهور المعجزات ونزول (٥٨) الآيات التأويل الطاء طوله فى كمال عظمته والسين سلامته عن كل عيب ونقص والميم مجده الذى لا نهاية له أو الطاء طهارة قلب نبيه عن تعلقات الكونين والسين سيادته على الانبياء والمرسلين والميم مشاهدته جمال رب العالمين أو الطاء طيران الطائرين بالله والسين سير السائرين الى الله والميم مشى الماشين لله الذين يمشون على الارض هونا ان نشأ ننزل من سماء قلوبهم آية من واردات الحق فظلت أعناق نفوسهم لها خاضعين فسيأتيهم بعد مفارقة الارواح الاجساد أنباء ما كانوا به يستهزؤن لظهور نتائج معاملاتهم الخبيثة على أرواحهم أولم يروا الى أرض قلوب العارفين كم أنبتنا من أشجار أصناف الايمان والتوكل واليقين والاخلاص وسائر الاخلاق الكريمة وما كان أكثرهم مؤمنين لان جناب الحق لعزته يجل عن أن يكون شرعة لكل وارد وان ربك لهو العزيز الذى لا يوجد بالسعى الرحيم حين أدرك أولياءه بجذبات العناية كما أدرك موسى حين ناداه من الشجرة وذلك لانه جعله مظهر لطفه كما انه جعل فرعون مظهر قهره فصار من العتو والاستكبار فى غاية الكمال و يعلم منه ان الانسان له استعداد فى مظهرية صفة القهر ليس لابليس فلذلك عاند ابليس آدم وقال أنا خير منه وعاند فرعون الرب وقال أنا ربكم الاعلى وان له استعدادا فى مظهرية صفة اللطف ليس للملك ولهذا صار الانسان مسجودا للملائكة أن أرسل معنا بنى اسرائيل فيه ان موسى القلب مرسل الى فرعون النفس لئلا تستعبد الصفات الروحانية فان لفرعون النفس فى البداية استيلاء على موسى القلب والصفات الروحانية فاستعملهم فى قضاء حوائجه وتحصيل مقاصده فعرفه فرعون النفس وقال ألم

صالح لعبرة لمن اعتبر به يا محمد من قومك وما كان أكثرهم مؤمنين يقول ولن يؤمن أكثرهم فى سابق علم الله وان ربك يا محمد لهو العزيز فى انتقامه من أعدائه الرحيم بمن آمن به من خلقه

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) يقول تعالى ذكره كذبت قوم لوط من أرسله الله اليهم من الرسل حين قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون الله أيها القوم انى لكم رسول من ربكم أمين على وحيه وتبليغ رسالته فاتقوا الله فى أنفسكم ان يحل بكم عقابه على تكذيبكم رسوله وأطيعون فيما دعوتكم اليه أهدكم سبيل الرشاد وما أسألكم عليه من أجر يقول وما أسألكم على نصحى لكم ودعايتكم الى ربى جزاء ولا ثوابا ان أجرى الا على رب العالمين يقول ما جزائى على دعايتكم الى الله وعلى نصحى لكم وتبليغ رسالات الله اليكم الا على رب العالمين

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) يعنى بقوله أتأتون الذكران من العالمين أتنكحون الذكران من بنى ادم فى أدبارهم وقوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم يقول وتدعون الذى خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهن فأحله لكم وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله وتذرون ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم قال تركتم اقبال النساء الى أدبار الرجال وأدبار النساء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وقوله بل أنتم قوم عادون يقول بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم وأحله لكم من الفروج الى ما حرم عليكم منها كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج بل أنتم قوم عادون قال قوم معتدون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين) يقول تعالى ذكره قال قوم لوط لئن لم تنته يا لوط عن نهينا عن اتيان الذكران لتكونن من المخرجين من بين أظهرنا وبلدنا قال انى لعملكم من القالين يقول لهم لوط انى لعملكم الذى تعملونه من اتيان الذكران من أدبارهم من القالين يعنى من المبغضين المنكرين فعله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (رب نجنى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) يقول تعالى ذكره فاستغاث لوط حين توعده قومه بالاخراج من بلدهم ان هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة فقال رب نجنى وأهلى من عقوبتك اياهم على ما يعملون من اتيان الذكران فنجيناه وأهله من عقوبتنا التى عاقبنا بها قوم لوط أجمعين الا عجوزا فى الغابرين يعنى فى الباقين لطول مرور السنين عليها فصارت هرمة فانها أهلكت من بين أهل لوط لانها كانت تدل قومها على الاضياف وقد قيل انه انما قيل من الغابرين لانها لم تهلك مع قومها فى قريتهم وانها انما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه فكانت من الغابرين بعد قومها ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادتها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) يقول تعالى ذكره ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير وأمطرنا عليهم مطرا وذلك ارسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء فساء مطر المنذرين يقول فبئس ذلك المطر مطر

ربك فينا وليدا فان موسى القلب كان فى حجر فرعون النفس الى ان بلغ أوان الحلم وهى خمس عشرة سنة فقتل قبطى الشهوة حين كفر بالله الهوى وكان قبل القتل ضالا عن حضرة الربوبية ففررت منكم الى الله لما خفت ان تقطعوا على الطريق الى الله رب سموات القلوب وأرض البشرية وما بينهما من المنازل قال لمن حوله من صفات النفس الا تستمعون قال موسى القلب لتعارفه بربه ربكم ورب آبائكم الاولين يعنى الآباء العلوية الروحانية وفى قوله ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون اشارة الى كمال ضدية القلب والنفس فما يصدر عن القلب تعده النفس من الجنون وبالعكس رب مشرق الروح من أفق البدن ورب مغربه فيه وما بينهما من مدة التعلق وقد مر نظيره فى محاجة ابراهيم فى البقرة لاجعلنك من المسجونين فى سجن حب الدنيا فان القلب اذا توجه الى الله فلا استيلاء للنفس عليه الا بشبكة حب الجاه والرياسة فانها آخر ما يخرج من رؤس الصديقين فقال موسى القلب لا تقدر على أن تسجننى فان معى عصا الذكر واليد المنزوعة عما سوى الله وباقى التأويل قد سبق قوله فأخرجناهم أى من جنات صفات الاوصاف الروحانية وعيون الحكمة وكنوز المعارف ومقام كريم فى حضرة أكرم الاكرمين وأورثناها بنى اسرائيل فيه ان النفس اذا فنيت ورث القلب منها صفاتها وبقوتها تصير الى مقامات لم يمكنه الوصول اليها بقوة صفاته ولومات القلب ورثت النفس منه صفاته وبقوتها تتنزل الى دركات لم يمكنها الوصول اليها بمجرد صفاتها فاتبعوهم أى لحق أوصاف النفس أوصاف القلب عند اشراق شمس الروح فكان كل فرق فيه ان كل صفة من أوصاف الروح كجبل عظيم فى العبور عنه وأزلفنا ثم الآخرين أى قربنا صفات النفس بتبعية صفات القلب الى بحر الروح وأنجينا موسى ومن معه من الاوصاف فى بحر الروح بالوصول الى الحضرة ثم أغرقنا أوصاف النفس فى بحر الروحانية فان الوصول الى الحضرة

القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذبوه ان في ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان في اهلاكنا قوم لوط الهلاك الذي وصفنا بتكذيبهم رسولنا العبرة وموعظة لقومك يا محمد يتعظون بها في تكذيبهم اياك وردهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحق وما كان أكثرهم مؤمنين في سابق علم الله وان ربك لهو العزيز الرحيم بمن آمن به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كذب أصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون) يقول تعالى ذكره كذب أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف وهي واحدة الايك وكل شجر ملتف فهو عند العرب ايكة ومنه قول نابغة بني ذبيان

تجلو بقادمتي حمامة ايكة * بردا أسف لثاته بالاثمد

وأصحاب الايكة هم أهل مدين فيما ذكر ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كذب أصحاب الايكة المرسلين يقول أصحاب الغيضة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله كذب أصحاب الايكة المرسلين قال الايكة مجمع الشجر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله كذب أصحاب الايكة قال أهل مدين والايكة الملتف من الشجر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كذب أصحاب الايكة المرسلين قال الايكة الشجر بعث الله شعيبا الى قومه من أهل مدين والى أهل البادية قال وهم أصحاب ليكة وليكة والايكة واحد وقوله اذ قال لهم شعيب ألا تتقون يقول تعالى ذكره قال لهم شعيب ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم اني لكم من الله رسول أمين على وحيه فاتقوا عقاب الله على خلافكم أمره وأطيعون ترشدوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) يقول وما أسألكم على نصحي لكم من جزاء وثواب ما جزائي وثوابي على ذلك الا على رب العالمين أوفوا الكيل يقول أوفوا الناس حقوقهم من الكيل ولا تكونوا من المخسرين يقول ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين) يعني بقوله وزنوا بالقسطاس وزنوا بالميزان المستقيم الذي لا بخس فيه على من وزنتم له ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن ولا تعثوا في الارض مفسدين يقول ولا تكثروا في الارض الفساد وقد بينا ذلك كله بشواهده واختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين) يقول تعالى ذكره واتقوا أيها القوم عقاب ربكم الذي خلقكم وخلق الجبلة الاولين يعني بالجبلة الخلق الاولين وفي الجبلة للعرب لغتان كسر الجيم والباء وتشديد اللام وضم الجيم والباء وتشديد اللام فاذا نزعت الهاء من آخرها كان الضم في الجيم والباء أكثر كما قال جل ثناؤه ولقد أضل منكم جبلا كثيرا وربما سكنوا الباء من الجبل كما قال أبو ذؤيب

منايا تقربن الحتوف لاهلها * جهارا ويستمتعن بالانس الجبل

* وبنحو ما قلنا في معنى الجبلة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح

نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم

صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين يقول خلق الاولين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والجبلة الاولين قال الخليقة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والجبلة الاولين قال الخلق الاولين الجبلة الخلق وقوله قالوا انما أنت من المسحرين يقول قالوا انما أنت يا شعيب معلل تعلل بالطعام والشراب كما نعلل بهما نحن ولست ملكا وما أنت الا بشر مثلنا تأكل وتشرب وان نظنك لمن الكاذبين يقول وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا اليه الا من يكذب فيما يقول فان كنت صادقا فيما تقول بانك رسول الله كما تزعم فاسقط علينا كسفا من السماء يعنى قطعا من السماء وهى جمع كسفة جمع كذلك كما تجمع تمرة تمرا * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله كسفا يقول قطعا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله كسفا من السماء جانبا من السماء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاسقط علينا كسفا من السماء قال ناحية من السماء عذاب ذلك الكسف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال ربى أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم) يقول تعالى ذكره قال شعيب لقومه ربى أعلم بما تعملون يقول باعمالكم هو بها محيط لا يخفى عليه منها شئ وهو مجازيكم بها جزاءكم فكذبوه يقول فكذبه قومه فاخذهم عذاب يوم الظلة يعنى بالظلة سحابة ظللتهم فلما تتاموا تحتها التهبت عليهم نارا وأحرقتهم و بذلك جاءت الآثار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن زيد بن معاوية فى قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة قال أصابهم حر أقلقهم فى بيوتهم فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة فابتدروها فلما تتاموا تحتها أخذتهم الرجفة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر فى قوله عذاب يوم الظلة قال كانوا يحفرون الاسراب ليتبردوا فيها فاذا دخلوها وجدوها أشد حرا من الظاهر وكانت الظلة سحابة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى جرير بن حازم انه سمع قتادة يقول بعث شعيب الى أمتين الى قومه أهل مدين والى أصحاب الايكة وكانت الايكة من شجر ملتف فلما أراد الله أن يعذبهم بعث الله عليهم حرا شديدا ورفع لهم العذاب كانه سحابة فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء بردها فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا قال فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنى سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد قال ثنا حاتم بن أبى صغيرة قال ثنى يزيد الباهلى قال سألت عبد الله بن عباس عن هذه الآية فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فقال عبد الله بن عباس بعث الله عليهم ومدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا البيوت فدخل عليهم أجواف البيوت فاخذ بانفاسهم فخرجوا من البيوت هرابا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها أرسلها الله عليهم نارا قال عبد الله بن عباس فذلك عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يوم الظلة قال اظلال العذاب اياهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عذاب يوم الظلة قال أظل العذاب قوم شعيب قال ابن جريج لما أنزل الله عليهم أول العذاب أخذهم

ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص واتباعك على انه جمع تابع أو تبع يعقوب انا الا بالمد أبو نشيط عن قالون معي من المؤمنين بفتح ياء المتكلم حفص وورش * الوقوف ابراهيم لا لئلا يوهم ان اذ ظرف اتل وانما هو منصوب باذكر ما تعبدون ه عاكفين ه تدعون ه يضرون ه يفعلون ه تعبدون ه لان الضمير بعده توكيد الاقدمون ه والوصل أولى للفاء العالمين لا ه لان الذى صفة الرب يهدين لا ه يشفين ه و يسقين ه يحيين لا ه الدين ه بالصالحين لا ه الآخرين لا ه النعيم لا ه الضالين لا ه يبعثون ه ولا بنون لا ه سليم ه ط بناء على ان ما بعده الى آخر أحوال الجنة والنار هو من كلام الله تعالى وهو الظاهر وقيل هو من تتمة كلام ابراهيم العالمين ه المجرمون ه شافعين ه حميم ه ط المؤمنون ه لآية ط مؤمنين ه الرحيم ه المرسلين ج ه لان اذ تصلح ظرفا للتكذيب مفعولا لاذكر تتقون ج ه لان ما بعده من تمام المقول أمين لا ه للفاء وأطيعون ج ه من أجر ج العالمين ج ه وأطيعون ه لا الارذلون ه ط يعملون ج ه لان ما بعده من تمام القول يشعرون ه لذلك المؤمنين ج ه مبين ه نصف الجزء المرجومين ه ط كذبون ه ج المؤمنين المشحون ج ه الباقين ه لآية ط مؤمنين ه ط الرحيم ه

* التفسير القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام وكان يعلم انهم عبدة أصنام ولكنه سألهم للالزام والتبكيت ومثله أهل المعانى بان يقول أحد للتاجر ما مالك وهو يعلم ان ماله الرقيق ثم يقول له الرقيق جمال وليس بمال وانما قال فى سورة الصافات ماذا تعبدون بزيادة ذا لانه أراد

هنالك مزيد التوبيخ ولذلك بنى الكلام على الزيادة ثم أردفه بقوله أئفكاً آلهة دون الله تريدون وحين صرح هنالك بالتوبيخ لم يجيبوه
وههنا ظنوا انه يريد الاستفهام حقيقة فاجابوه ولكنهم بسطوا الكلام بسطا ولم يقتصروا على أصناما بل زادوا ناصبه وعقبوه

منه حر شديد فرفع الله لهم غمامة فخرج اليها طائفة منهم ليستظلوا بها فاصابهم منها روح وبرد وريح طيبة فصب الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذابا فذلك قوله عذاب يوم الظلة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر بن راشد قال ثنى رجل من أصحابنا عن بعض العلماء قال كانوا عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق فجعلوا كلما عطلوا حدا وسع الله عليهم في الرزق حتى اذا أراد اهلاكهم سلط عليهم حرا لا يستطيعون أن يتقاروا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظلة فوجد روحا فنادى أصحابه هلموا الى الروح فذهبوا اليه سراعا حتى اذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم الظلة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن ابن عباس قال من حدثك من العلماء ما عذاب يوم الظلة فكذبه **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة قوم شعيب حبس الله عنهم الظل والريح فاصابهم حر شديد ثم بعث الله لهم سحابة فيها العذاب فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمونها زعموا يستظلون فاضطرمت عليهم نارا فاهلكتهم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم قال بعث الله اليهم ظلة من سحاب وبعث الى الشمس فاحرقت ما على الارض فخرجوا كلهم الى تلك الظلة حتى اذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة وأحمى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى وقوله انه كان عذاب يوم عظيم يقول تعالى ذكره ان عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شعيب عظيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) يقول تعالى ذكره ان في تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة بتكذيبهم نبيهم شعيبا لآية لقومك يا محمد وعبرة لمن اعتبر ان اعتبروا ان سننا فيهم بتكذيبهم اياك سنتنا في أصحاب الايكة وما كان أكثرهم مؤمنين في سابق علمنا فيهم وان ربك يا محمد لهو العزيز في نقمته ممن انتقم منه من أعدائه الرحيم بمن تاب من خلقه وأناب الى طاعته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) يقول تعالى ذكره وان هذا القرآن لتنزيل رب العالمين والهاء في قوله وانه كناية الذكر الذي في قوله وما يأتيهم من ذكر من ربهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لتنزيل رب العالمين قال هذا القرآن * فاختلفت القراء في قراءة قوله نزل به الروح الامين فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة نزل به مخففة الروح الامين رفعا بمعنى ان الروح الامين هو الذي نزل بالقرآن على محمد وهو جبريل وقرأ ذلك أهل الكوفة نزل مشددة الزاي الروح الامين نصبا بمعنى ان رب العالمين نزل بالقرآن الروح الامين وهو جبريل عليه السلام والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان في قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك ان الروح الامين اذ نزل على محمد بالقرآن لم ينزل به الا بامر الله اياه بالنزول ولن يجهل ان ذلك كذلك ذو ايمان بالله وان الله اذا أنزله به نزل * وبنحو الذي قلنا في ان المعنى بالروح الامين في هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله نزل به الروح الامين قال جبريل **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قول الله نزل به الروح الامين قال جبريل **حدثنا**

القاسم

بقولهم فنظل لها عاكفين اظهارا للابتهاج والافتخار قال في الكشاف وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قلت وهذا مبنى على النقل الصحيح والظن به حسن قال لابد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم قلت ويحتمل أن يكون المحذوف مفعولا ثالثا أي هل يسمعونكم تدعون اذ تدعون وهو حكاية حال ماضية لان اذ للمضي ومعناه استحضار الاحوال الماضية التي كانوا يدعونها فيها وحين تمسكوا في الجواب بطريقة التقليد قائلين على سبيل الاضراب بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون نبههم ابراهيم بقوله أفرأيتم على أن الباطل لا يتغير بان يكون قديما أو حديثا ولا بان يكون في مرتكبيه كثرة أو قلة وصرح بان معبوديه أعداء لقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان الذي يغري على عبادتها هو الشيطان وهو أعدى عدو للانسان وانما لم يقل عدو لكم لانه أراد تصوير المسئلة في نفسه ليكون أدل على النصح وأقرب الى القبول كأنه قال اني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو ويحكى عن الشافعي ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت الى أدب وقوله الا رب العالمين استثناء منقطع لكن رب العالمين حبيبي ثم وصف لهم الرب بانه الذي خلقني فهو يهدين أي خالق بدني على كماله الممكن له ثم يهدين في الاستقبال الى ضروب مصالح الدين والدنيا كامتصاص الدم في البطن والثدي بعد الولادة تقديره ما مر في طه الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ثم نبه بقوله والذي هو يطعمني ويسقين ان الذي يتعلق به قوام البدن من

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الروح الامين جبريل **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول فى قوله الروح الامين قال جبريل وقوله على قلبك يقول نزل به الروح الامين فتلاه عليك يا محمد حتى وعيته بقلبك وقوله لتكون من المنذرين يقول لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أرسلوا اليه من قومهم فتنذر بهذا التنزيل قومك المكذبين بآيات الله وقوله بلسان عربى مبين يبين لمن سمعه انه عربى وبلسان العرب نزل والباء من قوله بلسان من صلة قوله نزل وانما ذكر تعالى ذكره انه نزل هذا القرآن بلسان عربى مبين فى هذا الموضع اعلاما منه مشركى قريش انه أنزله كذلك لئلا يقولوا انه نزل بغير لساننا فنحن انما نعرض عنه ولا نتبعه لانا لا نفهمه وانما هذا تقريع لهم وذلك انه تعالى ذكره قال ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين ثم قال لم يعرضوا عنه لانهم لا يفهمون معانيه بل يفهمونها لانه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين بلسانهم العربى ولكنهم أعرضوا عنه تكذيبا به واستكبارا فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن كما أتى هذه الامم التى قصصنا نبأها فى هذه السورة حين كذبت رسلها أنباء ما كانوا به يكذبون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وانه لفى زبر الاولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم) يقول تعالى ذكره وان هذا القرآن لفى زبر الاولين يعنى فى كتب الاولين وخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص وانما هو وان هذا القرآن لفى بعض زبر الاولين يعنى ان ذكره وخبره فى بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله وقوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل يقول تعالى ذكره أولم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك دلالة على انك رسول رب العالمين ان يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بنى اسرائيل وقيل عنى بعلماء بنى اسرائيل فى هذا الموضع عبد الله بن سلام ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى اسرائيل فى عصره ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل قال كان عبد الله بن سلام من علماء بنى اسرائيل وكان من خيارهم فآمن بكتاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال لهم الله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل وخيارهم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله علماء بنى اسرائيل قال عبد الله بن سلام وغيره من علمائهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أولم يكن لهم آية قال محمد ان يعلمه قال يعرفه علماء بنى اسرائيل قال ابن جريج قال مجاهد علماء بنى اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره من علمائهم **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل قال أولم يكن للنبى آية علامة ان علماء بنى اسرائيل كانوا يعلمون انهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم وقوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين يقول تعالى ذكره ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التى لا تنطق وانما قيل على بعض الاعجمين ولم يقل على بعض الاعجميين لان العرب تقول اذا نعتت الرجل بالعجمة وانه لا يفصح بالعربية هذا رجل أعجم وللمرأة هذه امرأة عجماء وللجماعة هؤلاء قوم عجم وأعجمون واذا أريد هذا المعنى وصف به العربى والاعجمى لانه انما يعنى انه غير فصيح اللسان وقد يكون كذلك وهو من العرب ومن هذا المعنى قول الشاعر

الاعتداء بالطعام والاساغة بالشراب هو من جملة انعام الله تعالى لانه خلق هناك قوى جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها ولولاها لما تم أمر الانتفاع بالغذاء بل نفس الغذاء من جملة نعمه الشاملة ثم قال واذا مرضت فهو يشفين وذلك ان البدن ليس دائما على النهج الطبيعى بحيث تصدر عنه الافعال الموضوع هو لها سليمة فاسترداد الصحة بعد زوالها ليس الا باذن الله وبما خلق لكل داء دواء وانما لم يقل أمرضنى لان كثيرا من أسباب المرض يحدث باسراف الانسان فى المطعم والمشرب وأيضا الصحة تحتاج الى سبب قاهر يقسر الاخلاط والقوى على النسبة المطلوبة أما المرض فانه بسبب تنافر الاخلاط وطلب كل منها مركزه الاصلى وأيضا فيه رعاية الادب فى مقام المدح وتعداد النعم وانما لم يراع هذه النكتة فى قوله والذى يميتنى لان الاماتة ليست بضر كالمرض اما بعدم الاحساس وقتئذ واما لانها مقدمة الوصول الى عالم الخير والراحة وانما زاد لفظة هو فى الاطعام والشفاء لانهما قد ينسبان الى الانسان فيقال زيد يطعم وعمرو يداوى فاكدا اعلاما بان ذلك فى الحقيقة من الله وأما الاماتة والاحياء فلا يدعيهما مدع فاطلق ثم أشار الى ما بعد الاحياء من المجازاة بقوله والذى أطمع فحمل الاشاعرة الطمع على مجرد الظن والرجاء بناء على انه لا يجب لاحد على الله شئ وحمله المعتزلة على اليقين تارة وعلى هضم النفس والتواضع وتعليم الامة أخرى كأنه أضاف الخطيئة الى نفسه لمثل ذلك وقد تحمل الخطيئة على المعاريض المنسوبة اليه من قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى أختى وانما علق المغفرة بيوم الدين لان أثرها يتبين يومئذ وهو فى الدنيا خفى قال بعضهم فائدة زيادة لى هى ان يعلم ان المغفرة فائدتها تعود اليه والله سبحانه لا يستفيد بذلك كمالا لم يكن له والمراد أطمع أن يغفر لى لمجرد عبوديتى له واحتياجى اليه لا بواسطة تشفيع كما قال لجبرائيل أما اليك فلا وحسن قدم الثناء شرع .

من وائل لاحى بعدلهم * من سوقة عرب ولا عجم

فاما اذا أريد به نسبة الرجل الى أصله من العجم لا وصفه بانه غير فصيح اللسان فانه يقال هذا رجل عجمى وهذان رجلان عجميان وهؤلاء قوم عجم كما يقال عربى وعرب بيان وقوم عرب واذا قيل هذا رجل أعجمى فانما نسب الى نفسه كما يقال للاحمر هذا أحمرى ضخم وكما قال العجاج

* والدهر بالانسان دوارى * ومعناه دوار فنسبه الى فعل نفسه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبى موسى قال كنت واقفا الى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة فتلا هذه الآية ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين قال لو نزل على بعيرى هذا فتكلم به ما آمنوا به فقالوا لولا فصلت آياته حتى يفقهه عربى وعجمى لو فعلنا ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى قال كان عبد الله بن مطيع واقفا بعرفة فقرأ هذه الآية ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم قال فقال جلى هذا أعجم فلو أنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين وروى عن قتادة فى ذلك ما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولو نزلناه على بعض الاعجمين قال لو أنزله الله أعجميا كانوا أحسن الناس به لانهم لا يعرفون بالعجمية وهذا الذى ذكرناه عن قتادة قول لا وجه له لانه وجه الكلام الى أن معناه فلو أنزلناه أعجميا وانما التنزيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين يعنى ولو نزلنا هذا القرآن العربى على بهيمة من العجم أو بعض ما لا يفصح ولم يقل ولو نزلناه أعجميا فيكون تأويل الكلام ما قاله وقوله فقرأه عليهم يقول فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد الذين حتمت عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الاعجم ما كانوا به مؤمنين يقول لم يكونوا ليؤمنوا به لما قد جرى لهم فى سابق علمى من الشقاء وهذا تسلية من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن قومه لئلا يشتد وجده بادبارهم عنه واعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم شديدا حرصه على قبولهم منه والدخول فيما دعاهم اليه حتى عاتبه ربه على شدة حرصه على ذلك منهم فقال له لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال مؤيسه من ايمانهم وانهم هالكون ببعض مثلاته كما هلك بعض الامم الذين قص عليهم قصصهم فى هذه السورة ولو نزلناه على بعض الاعجمين يا محمد لا عليك فانك رجل منهم ويقولون لك ما أنت الا بشر مثلنا وهلا نزل به ملك فقرأ ذلك الاعجم عليهم هذا القرآن ولم يكن لهم علة يدفعون بها انه حق وانه تنزيل من عندى ما كانوا به مصدقين فخفض من حرصك على ايمانهم به ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين الذين آيس نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من ايمانهم من الشقاء والبلاء فقال كما حتمنا على هؤلاء انهم لا يؤمنون بهذا القرآن ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم كذلك نسلكه التكذيب والكفر فى قلوب المجرمين ويعنى بقوله سلكنا أدخلنا والهاء فى قوله سلكناه كناية من ذكر قوله ما كانوا به مؤمنين كأنه قال كذلك أدخلنا فى قلوب المجرمين ترك الايمان بهذا القرآن * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله كذلك سلكناه قال الكفر فى قلوب المجرمين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ٧ حدثنا على بن سهل قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء عن سفيان عن حميد عن الحسن فى هذه الآية كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين قال خلقناه

و زيف بانه كان حاصلا فكيف يطلبه والظاهر انه أراد بالحكم النسب الذهنية المطابقة للخارجية أعنى العلوم النظرية كما بينا قالت الاشاعرة فى الآية دلالة على مسئلة خلق الاعمال انه طلب العلم من الله فلولا ان العلم بخلقه والا كان السؤال عبثا وحمله المعتزلة على منح الالطاف قيل الحكم المطلوب بالدعاء ان كان هو العلم بغير الله لزم أن يكون سائلا لما يشغله عن الله وهو باطل وان كان العلم بالله بقدر ما هو شرط صحة الايمان لزم طلب ما هو حاصل لادنى المؤمنين فضلا عن ابراهيم فاذن هو العلم الزائد على ما هو ضرورى فى الايمان وهو الوقوف على حقيقة الذات والصفات ثم لا ينكشف المقال عنها غير الخيال وبه يصير المؤمن من الواصلين الى العين دون السامعين الى الاثر ثم طلب الذكر الجميل بقوله واجعل لى لسان صدق والاضافة فيه كقوله قدم صدق وقال ابن عباس وقد أعطاه الله ذلك لقوله وتركنا عليه فى الآخرين ولهذا اتفق أهل الاديان قاطبة على حبه وادعاء متابعته ومدح الكافر ليس مقصودا لذاته من حيث هو كافر وانما المقصود أن يكون ممدوح كل انسان ومحمودا بكل لسان وفائدة الثناء على الشخص بعد وفاته هو انصراف الهمم الى ما به يحصل له عند الله زلفى وقد يصير ذلك المدح داعيا للمادح أو لمن يسمعه الى اكتساب مثل تلك الفضائل وقيل سأل ربه أن يجعل من ذريته فى آخر الزمان من يكون داعيا الى ملته وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم سأل ما هو غاية كل سعادة فقال واجعلنى من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى

هذه الوراثة فى قوله وتلك الجنة التى أورثتموها وكذلك فى سورة مريم تلك الجنة التى نورث من عبادنا ثم طلب السعادة الحقيقية لاشد

الناس التصاقا به وهو أبوه قال لا واغفر لأبي نوقد سبق في آخر التوبة وفي مريم ما يتعلق به من المباحث وههنا سؤال وهو انه متى حصلت الجنة بدعائه امتنع حصول الخزي فكيف قال بعده ولا تخزني وأيضا قال تعالى

ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وما كان

خلقناه قال حدثنا زيد عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن في بيت أبي خليفة عن قوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين قال الشرك سلكه في قلوبهم وقوله لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم يقول فعلنا ذلك بهم لئلا يصدقوا بهذا القرآن حتى يروا العذاب الاليم في عاجل الدنيا كما رأت ذلك الامم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة ورفع قوله لا يؤمنون لان العرب من شأنها اذا وضعت في موضع مثل هذا الموضع لا ربما جزمت ما بعدها وربما رفعت فتقول ربطت الفرس لا تنفلت وأحكمت العقد لا تنحل جزما ورفعا وانما تفعل ذلك لان تأويل ذلك ان لم أحكم العقد انحل فجزمه على التأويل ورفعه بان الجازم غير ظاهر ومن الشاهد على الجزم في ذلك قول الشاعر

لو كنت اذ جئتنا حاولت رؤيتنا * أو جئتنا ماشيا لا تعرف الفرس

(وقول الآخر)

لطالما حلأتماها لا ترد * فخلياها والسجال تبترد

القول في تأويل قوله تعالى (فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون) يقول تعالى ذكره فيأتي هؤلاء المكذبين بهذا القرآن العذاب الاليم بغتة يعني فجأة وهم لا يشعرون يقول لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه حتى يفجأهم بغتة فيقولوا حين يأتيهم بغتة هل نحن منظرون أي هل نحن مؤخر عنا العذاب ومنسأ في آجالنا لنتوب وننيب الى الله من شركنا وكفرنا بالله فنراجع الايمان به وننيب الى طاعته وقوله أفبعذابنا يستعجلون يقول تعالى ذكره أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون بقولهم لن نؤمن لك حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا القول في تأويل قوله تعالى (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) يقول تعالى ذكره ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا وتكذيبهم رسولنا ما أغنى عنهم يقول أي شيء أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم والمتاع الذي متعناهم به من الحياة اذ لم يتوبوا من شركهم هل زادهم تمتيعنا اياهم ذلك الا خبالا وهل نفعهم شيأ بل ضرهم بازديادهم من الآثام واكتسابهم من الاجرام ما لم يكتسبوه لو لم يمتعوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أفرأيت ان متعناهم سنين الى قوله ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون قال هؤلاء أهل الكفر القول في تأويل قوله تعالى (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون) يقول تعالى ذكره وما أهلكنا من قرية من هذه القرى التي وصفت في هذه السورة الا لها منذرون يقول الا بعد ارسالنا اليهم رسلا ينذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم ذكرى يقول الا لها منذرون ينذرونهم تذكرة لهم وتنبيها لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا ففي الذكرى وجهان من الاعراب أحدهما النصب على المصدر من الانذار على ما بينت والآخر الرفع على الابتداء كأنه قيل ذكرى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى قال الرسل قال ابن جريج وقوله ذكرى قال الرسل وقوله وما كنا ظالمين يقول وما كنا ظالميهم في تعذيبناهم واهلاكهم لانا انما أهلكناهم اذ عتوا علينا وكفروا نعمتنا وعبدوا غيرنا بعد الاعذار اليهم والانذار ومتابعة الحجج عليهم بان ذلك لا ينبغي لهم أن يفعلوه فأبوا الا التمادي في الغي وقوله وما تنزلت به الشياطين يقول تعالى ذكره وما تنزلت بهذا القرآن الشياطين على محمد ولكنه ينزل به الروح الامين وما ينبغي لهم يقول وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا به عليه ولا يصلح لهم

نصيب الكافر كيف يستعيذ منه المعصوم أجاب عنه في التفسير الكبير كان حسنات الابرار سيآت المقربين فكذلك درجات الابرار دركات المقربين وخزي كل واحد بما يليق بحاله فكأنه سأل الشركة أولا ثم الخصوصية ثانيا وأقول يحتمل أن يكون هذا الدعاء من تتمة دعائه لأبيه أي لا تخزني ولا تفضحني بسبب تعذيب أبي يوم يبعث الضالون أو العباد كلهم ومثل هذا الضمير مما يعلم عوده بالقرينة ويجوز أن يكون سأل الجنة بشرط التعظيم والاجلال ويجوز أن يكون آخر هذا الدعاء لما يعقبه من حيث يوم القيامة وأهوالها وأحوالها فأراد أن لا ينقطع نظم الكلام وفي قوله الا من أتى الله بقلب سليم اشارة الى ما وصفه الله به في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وفي هذا الاستثناء وجوه منها انه منقطع والمضاف محذوف أي الا حال من أتى الله بقلب سليم والمراد بالحال سلامة القلب والمعنى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب عن الامراض الروحانية كالجهل وسائر الاخلاق الذميمة ويندرج في سلامة القلب سلامة سائر الجوارح لانه رئيسها ولا شك ان المال والبنين ليسا من جنس سلامة القلب فيكون الاستثناء منقطعا ومنها أنه متصل وذلك على وجهين أحدهما اغناء في دنياه بماله وبنيه وثانيهما أن يجعل من باب قولهم

تحية بينهم ضرب وجيع والمضاف المحذوف الحال أو السلامة نظيره أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك ومنها أن يكون

ذلك وما يستطيعون يقول وما يستطيعون أن يتنزلوا به لانهم لا يصلون الى استماعه فى المكان الذى هو به من السماء انهم عن السمع لمعزولون يقول ان الشياطين عن سمع القرآن من المكان الذى هو به من السماء لمعزولون فكيف يستطيعون أن يتنزلوا به * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وما تنزلت به الشياطين قال هذا القرآن وفى قوله انهم عن السمع لمعزولون قال عن سمع السماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة بنحوه الا انه قال عن سمع القرآن والقراء مجمعة على قراءة وما تنزلت به الشياطين بالتاء ورفع النون لانها نون أصلية واحدهم شيطان كما واحد البساتين بستان وذكر عن الحسن انه كان يقرأ ذلك وما تنزلت به الشياطون بالواو وذلك لحن وينبغى أن يكون ذلك ان كان صحيحا عنه أن يكون توهم ان ذلك نظير المسلمين والمؤمنين وذلك بعيد من هذا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا تدع يا محمد مع الله الها آخر لا تعبد معه معبودا غيره فتكون من المعذبين فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا وعبدوا غيرنا وقوله وأنذر عشيرتك الاقربين يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك من قومك الاقربين اليك قرابة وحذرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم وذكر ان هذه الآية لما نزلت بدأ ببنى جده عبد المطلب وولده فحذرهم وأنذرهم ذكر الرواية بذلك حدثنى أحمد بن المقدام قال ثنا محمد بن عبد الرحمن قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد يا بنى عبد المطلب انى لا أملك لكم من الله شيأ سلونى من مالى ما شئتم حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى ويونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن هشام بن عروة عن أبيه قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قام النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة بنت محمد ويا صفية ابنة عبد المطلب ثم ذكر نحو حديث ابن مقدام حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال ثنا سلامة قال قال عقيل ثنى الزهرى قال قال سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن ان أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيأ يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيأ يا فاطمة بنت رسول الله لا أغنى عنك من الله شيأ سلينى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيأ حدثنى محمد بن عبد الملك قال ثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن ان أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله ثم ذكر نحو حديث يونس عن سلامة غير انه زاد فيه يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيأ ولم يذكر فى حديثه فاطمة حدثنى يونس قال ثنا سلامة بن روح قال قال عقيل ثنى ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين جمع قريشا ثم أتاهم فقال لهم هل فيكم غريب فقالوا لا الا ابن أخت لنا لا نراه الا منا قال انه منكم فوعظهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لهم فى آخر كلامه لا أعرفن ما ورد على الناس يوم القيامة يسوقون الآخرة وجئتم الى

الموصول مفعول لا ينفع والاستثناء مفرغ أى لا ينفع مال ولا بنون أحدا الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه فى طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الحق وحملهم على الخير وقصرنى باب تأديبهم وارشادهم أو سلم قلبه من فتنة المال والبنين فلم يكفر ولم يعص وقد يفسر السليم بالذائب من خشية الله تعالى وحين انجر الكلام الى ذكر يوم القيامة وصف الله تعالى أو ابراهيم أحواله وأهواله فقال وأزلفت الجنة للمتقين قال المفسرون الجنة تقرب من موقف السعداء ليكون لهم فرجا مع الاوتجعل النار بارزة مكشوفة للاشقياء ليزدادوا غما وحسرة ولمثل هذا وبخهم بقوله أينما كنتم تعبدون يعنى الآلهة التى كنتم تعبدونها من دون الله هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وذلك قوله فكبكبوا فيها هم أى الآلهة والغاوون الذين عبدوهم قال جار الله الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كانه اذا ألقى فى جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فى قعرها أعاذنا الله منها والمراد بجنود ابليس شياطينهم أو متبعوه من عصاة الجن والانس قالوا يعنى الغاوين وجنود ابليس وهم يعنى والحال ان الاصنام وعبدتهم فيها يختصمون قال أكثر المفسرين يجوز أن ينطق الله الاصنام بحيث يصح منها التخاصم وقيل ان هذا التخاطب بين العصاة والشياطين اذ نسويهم برب العالمين والمراد بالمجرمين على التفسيرين الرؤساء والكبراء وعن السدى الاولون الذين سنوا الشرك وعن ابن جريج ابليس وقابيل لانه سن القتل وأنواع المعاصى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم خالص بهمه ما يهمنا وفيه نفى الشفعاء والصديق رأسا أو نفى الذين كانوا يعدونهم شفعاء وأصدقاء من الاصنام والرؤساء أو نفى الانتفاع بهم قصدوا بنفعهم نفى ما يتعلق بهم من الفائدة فكل عديم النفع حكمه حكم المعدوم قال جار الله انما جمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء

يسوقون

لاجل الخشية عادة ولكن الصديق الصادق أعز من الكبريت الاحمر حتى زعم بعض الحكماء انه اسم لامعنى له ويجوز أن يكون الصديق في
معنى الجمع والكرة الرجعة الى الدنيا ولو في معنى التمني وقوله فنكون جواب (٦٧) التمني أو عطف في المعنى على كرة أي ليت
لنا كرة فأن نكون وعلى هذا جاز
أن تكون لو على أصل الشرط
والجواب محذوف وهو لفعلنا
كيت وكيت ثم بين ان فيما ذكره
من قصة ابراهيم عليه السلام
لآية لمن يريد أن يستدل بذلك
وما كان أكثر قوم ابراهيم
مؤمنين القصة الثالثة قصة نوح
ولاريب ان نبأه عظيم فقد كان
يدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما
ومع ذلك لم يزد قومه الا التكذيب
والقوم مؤنث بدليل قوله كذبت
وكان أمينا فيهم مشهورا كمحمد
صلى الله عليه وسلم في قريش وكرر
قوله فاتقوا الله وأطيعون تأكيدا
وتقريرا في النفوس مع انه علق
كل واحد بسبب وهو الامانة في
الاول وقطع الطمع في الثاني نظيره
قول الرجل لغيره ألا تتقي الله في
عقوقي وقد ربيتك صغيرا ألا
تتقي الله في عقوقي وقد علمتك كثيرا
وقدم الامر بتقوى الله على الامر
بطاعته لان تقوى الله علة
لطاعته قوله وما علمي أي شيء
علمي ومعناه انتفاء علمه باخلاص
أعمالهم لله عزوجل والاطلاع على
باطنهم ومكنون ضميرهم كأنهم
طعنوا في ايمانهم أيضا فذكر ان
حسابهم على الله وأنه لم يبعث
الا للنذارة ويجوز أن يكون
فسر لهم الرذالة بما هو الرذالة
عنده من سوء الاعمال وفساد
العقائد فبنى جوابه على ذلك وقال
ماعلي الا اعتبار الظاهر والله
يتولى السرائر وفي قوله لو تشعرون
اشارة الى أنهم لا يصدقون بالحساب
والجزاء وفيه انكار أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى رب ان قومي كذبون ليس
باخبار لانه علام الغيوب وانما هو تمهيد مقدمة لطلب الفتح والحكومة والفلك المشحون المملوء من كل زوجين اثنين مع نوح وأهله

تسوقون الدنيا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني
سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن ان أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل
عليه وأنذر عشيرتك الاقربين يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لاأغني عنكم من الله شيئا يابني
عبد المطلب لاأغني عنكم من الله شيئا ياعباس بن عبد المطلب لاأغني عنك من الله شيئا ياصفية عمة
رسول الله لاأغني عنك من الله شيئا يافاطمة بنت محمد سليني ماشئت لاأغني عنك من الله شيئا حدثنا
ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت الحجاج يحدث عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما أنزل الله وأنذر عشيرتك الاقربين قال نبي الله
صلى الله عليه وسلم يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من
النار ألا ان لكم رحما سأبلها ببلالها حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو اسامة عن زائدة عن عبد
الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله يامعشر
بني كعب بن لؤي يامعشر بني عبد مناف يامعشر بني هاشم يامعشر بني عبد المطلب يقول لكلهم
أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فاني والله ماأملك لكم من الله
شيئا ألا ان لكم رحما سأبلها ببلالها حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا
أبو عثمان عن زهير بن عمرو وقبيصة بن مخارق انهما قالا أنزل الله على نبي الله صلى الله عليه وسلم
وأنذر عشيرتك الاقربين قد ثنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه علا صخرة من جبل فعلا أعلاها
حجرا ثم قال يا آل بني عبد منافاه ياصباحاه اني نذير انما مثلي ومثلكم مثل رجل أتى الجيش فخشيهم على
أهله فذهب يربؤهم فخشي أن يسبقوه الى أهله فجعل يهتف بهم ياصباحاه أو كما قال حدثنا محمد بن
بشار قال ثنا عبد الله ومحمد بن جعفر عن عوف عن قسامة بن زهير قال بلغني انه لما نزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين جاء فوضع أصبعه في أذنه ورفع من صوته وقال يابني
عبد مناف واصباحاه قال حدثني أبو عاصم قال ثنا عوف عن قسامة بن زهير قال أظنه عن
الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني عبد الله بن أبي زياد قال ثنا أبو زيد
الانصاري سعد بن أوس عن عوف قال قال قسامة بن زهير ثني الاشعري قال لما نزلت ثم ذكر
نحوه الا انه قال وضع أصبعيه في أذنيه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن نمير عن الاعمش عن
عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ثم نادى ياصباحاه فاجتمع الناس اليه فبين رجل يجيء وبين
آخر يبعث رسوله فقال يابني هاشم يابني عبد المطلب يابني فهر يابني يابني أرأيتكم لو أخبرتكم ان
خيلا بسفح هذا الجبل تريد تغير عليكم صدقتموني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
فقال أبو لهب تبا لكم سائر اليوم ما دعوتموني الا لهذا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب حدثنا أبو
كريب وأبو السائب قالا ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا فقال ياصباحاه فاجتمعت اليه
قريش فقالوا له مالك فقال أرأيتكم ان أخبرتكم ان العدو مصبحكم أو ممسيكم ألا كنتم تصدقونني
قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا أو جمعتنا فانزل الله
تبت يدا أبي لهب الى آخر السورة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو اسامة عن الاعمش عن عمرو
ابن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك

منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف فاجتمعوا اليه فقال أرأيتكم ان أخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا أبي لهب وقد تب كذا قرأ الاعمش الى آخر السورة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية بن هشام عن سفيان عن حبيب عن سعيد عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على الصفا فقال ياصباحاه قال حدثنا خالد بن عمرو قال ثنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال ياصباحاه فجعل يعددهم يا بني فلان ويا بني فلان ويا بني عبد مناف حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عمرو بن مرة الجملي قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قال أتى جبلا فجعل يهتف ياصباحاه فأتاه من خف من الناس وأرسل اليه المتثاقلون من الناس رسلا فجعلوا يجيئون يتبعون الصوت فلما انتهوا اليه قال ان منكم من جاء لينظر ومنكم من أرسل لينظر من الهاتف فلما اجتمعوا وكثروا قال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا مصبحتكم من هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا انتم ماجربنا عليك كذبا فقرأ عليهم هذه الآيات التي أنزلن وأنذرهم كما أمر فجعل ينادي يا قريش يا بني هاشم حتى قال يا بني عبد المطلب اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عمرو انه كان يقرأ وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك المخلصين قال حدثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث ابن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا علي ان الله أمرني ان أنذر عشيرتي الاقربين قال فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى ما أنادهم بهذا الامر أر منهم ما أكره فصمت حتى جاء جبرائيل فقال يا محمد انك الا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي القصعة قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى مالهم بشيء حاجة وما أرى الا مواضع أيديهم وأيم الله الذي نفس علي بيده ان كان الرجل الواحد ليأكل ماقدمت لجميعهم ثم قال اسق الناس فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا وأيم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب الى الكلام فقال ما سحركم به صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل ان أكلمهم فعد لنا من الطعام مثل الذي صنعت ثم اجمعهم لي قال ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالامس فأكلوا حتى مالهم بشيء حاجة قال اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما

* التأويل واتل عليهم نبأ ابراهيم القلب اذ قال لابيه وقومه وهو الروح وما يتولد منه نعبد أصناما وهو ما سوى الله فنظل لها عاكفين الا ان أدركتنا العناية فنعرض عنها بل وجدنا آباءنا وهم الارواح والآباء العلوية كذلك يتعلق بعضهم ببعض فانهم عدو لي ان تعلقت فصرت محجوبا بهم عن الله خلقني فهو يهدين الى حضرته ويطعمني من طعام العبودية الذي يعيش القلوب ويسقيني من شراب طهور التجلي واذا مرضت بتعلقات الكونين فهو يشفين بالجذبة الالهية والذي يميتني عن أوصاف البشرية ثم يحيين بأوصاف الروحانية ويميتني عن أوصاف الروحانية ثم يحيين بالاوصاف الربانية ثم يميتني عن انانيتي ثم يحيين بهويته والذي أطمع أن يستر ظلمة خطيئة وجودي بطلوع شمس نهار الدين رب هب لي من ربوبيتك حكما على بذل وجودي في هويتك والحقني بالذين صلحوا لقبول الفيض الالهي بلا واسطة واجعل لي لسان صدق في الآخرين من النفس وصفاتها ليعرضوا عما سوى الله واغفر لابي الروح انه كان من الضالين حين رد من العالم العلوي الى السفلي من قولهم ضل الماء في اللبن ولا تخزني بتعلقات الكونين قال نوح القلب وما علمي بما كانوا يعملون يعني أراذل الجسد والاعضاء لانهم عملة عالم الشهادة وأنا من عملة عالم الغيب ان حسابهم الا على ربي فيما يعملون من الاعمال الحيوانية لحاجة ضرورية يعفو عنها والشهوة حيوانية يؤاخذهم بها لو تشعرون الفرق بينهما قالوا أي النفس وصفاتها لئن لم تنته يانوح القلب عما تدعونا اليه على خلاف ارادتنا لتكونن من المرجومين باحجار الوساوس والهواجس في الفلك المشحون أي في فلك الشريعة المملوء بالاوامر والنواهي والحكم والمواعظ والاسرار والحقائق ثم أغرقنا بعد الباقين بطوفان استيلاء الاخلاق الذميمة وآفات الدنيا الدنية وباقي القصص اشارات الى رسول القلب المستسلم من الله

وقومه النفس وصفاتها واليه المرجع والمآب لما قررناه (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين (٦٩) أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع

جئتكم به انى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله ان أدعوكم اليه فايكم يوازرنى على هذا الامر على أن يكون أخى وكذا وكذا قال فاحجم القوم عنها جميعا وقلت وانى لاحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا نبى الله أكون وزيرك فاخذ برقبتى ثم قال ان هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا قال فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبى الحسن قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالابطح ثم قال يا بنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف يا بنى قصى قال ثم فخذ قريشا قبيلة قبيلة حتى مر على آخرهم انى أدعوكم الى الله وأنذركم عذابه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأنذر عشيرتك الاقربين قال أمر محمد أن ينذر قومه ويبدأ باهل بيته وفصيلته قال وكذب به قومك وهو الحق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قال النبى صلى الله عليه وسلم يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب اتقوا النار ولو بشق تمرة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأنذر عشيرتك الاقربين بدأ باهل بيته وفصيلته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين جمع النبى صلى الله عليه وسلم بنى هاشم فقال يا بنى هاشم ألا لا ألفينكم تأتونى تحملون الدنيا ويأتى الناس يحملون الآخرة الا ان أوليائى منكم المتقون فاتقوا النار ولو بشق تمرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما نزلت هذه الآية بدأ باهل بيته وفصيلته قال وشق ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقوله واخفض جناحك يقول وألن جانبك وكلامك لمن اتبعك من المؤمنين كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قال يقول ألن لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو السميع العليم) يقول تعالى ذكره فان عصتك يا محمد عشيرتك الاقربون الذين أمرتك بانذارهم وأبوا الا الاقامة على عبادة الاوثان والاشراك بالرحمن فقل لهم انى برىء مما تعملون من عبادة الاصنام ومعصية بارىء الانام وتوكل على العزيز فى نقمته من أعدائه الرحيم بمن أناب اليه وتاب من معاصيه الذى يراك حين تقوم يقول الذى يراك حين تقوم الى صلاتك وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الذى يراك حين تقوم قال أينما كنت وتقلبك فى الساجدين * اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ويرى تقلبك فى صلاتك حين تقوم ثم تركع وحين تسجد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وتقلبك فى الساجدين يقول قيامك وركوعك وسجودك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال سمعت أبى وعلى بن بذيمة يحدثان عن عكرمة فى قوله يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال عكرمة فى قوله وتقلبك فى الساجدين قال قائما وساجدا وراكعا وجالسا * وقال آخرون بل معنى ذلك ويرى تقلبك فى المصلين وابصارك منهم من

لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من

العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين رب نجنى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان فى ذلك

لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) القراآت أوعظت مدغما عباس ونصير خلق الاولين بفتح الخاء وسكون اللام ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب (٧٠) ويزيد وعلى كذبت ثمود مثل بعدت ثمود فارهين بالالف ابن عامر وعاصم وحمزة وعلى وخلف * الوقوف المرسلين • يتقون • أمين • وأطيعون • أجره العالمين • تعبثون • لا تخلدون • ج جبارين • وأطيعون • ج تعلمون • ج وبنين • لا وعيون • ج عظيم • ط الواعظين • للاحتراز عن الابتداء بقولهم الاولين • لا الاولين • لا بمعذبين • ج فاهلكناهم ط لآية ط مؤمنين • الرحيم • المرسلين • ط تتقون • أمين • لا وأطيعون • أجر • العالمين • آمنين • لا لتعلق الظرف وعيون • لا هضيم • فارهين • ج مثلنا من الصادقين • معلوم • ج عظيم • نادمين • لا العذاب ط لآية ط مؤمنين • الرحيم • المرسلين • لا ألا تتقون • ج أمين • لا وأطيعون • ج أجر ج العالمين • ط من العالمين • لا العطف من أزواجكم • عادون ط المخرجين • القالين • يعملون • أجمعين • الغابرين • الآخرين • ج مطر المنذرين • لآية ط مؤمنين • الرحيم • * التفسير القصة الرابعة قصة هود ولنذكر من تفسيرها ما هو غير مكرر الريع بالكسر وقرئ بالفتح المكان المرتفع ومنه الغلة لارتفاعها والآية العلم وفي هذا البناء وجوه فعن ابن عباس انهم كانوا يبنون بكل موضع مرتفع علما يعبثون فيه بمن يمر بالطريق الى هود وقيل كانوا يبنون ذلك ليعرف به فخرهم وغناهم فنهوا عنه ونسبوا الى العبث وقيل كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طرقهم أعلاما فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بروج الحمام وقيل كانوا يتخذون الحمام قاله مجاهد والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون

هو خلفك كما تبصر من هو بين يديك منهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد وتقلبك في الساجدين كان يرى من خلفه كما يرى من قدامه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وتقلبك في الساجدين قال المصلين كان يرى من خلفه في الصلاة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وتقلبك في الساجدين قال المصلين قال كان يرى في الصلاة من خلفه * وقال آخرون بل معنى ذلك وتقلبك في الساجدين أي تصرفك معهم في الجلوس والقيام والقعود ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس قال وتقلبك في الساجدين قال يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعد معهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وتقلبك في الساجدين قال في المصلين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتقلبك في الساجدين قال في الساجدين المصلين * وقال آخرون بل معنى ذلك ويرى تصرفك في الناس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال سألت الحسن عن قوله وتقلبك في الساجدين قال في الناس * وقال آخرون بل معنى ذلك وتصرفك في أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك تفعله والساجدون في قول قائل هذا القول الانبياء ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله الذي يراك الآية قال كما كانت الانبياء من قبلك * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بتأويله قول من قال تأويله ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك حين تقوم معهم وتركع وتسجد لان ذلك هو الظاهر من معناه فأما قول من وجهه الى أن معناه وتقلبك في الناس فانه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة وان كان له وجه لانه وان كان لا شئ الا وظله يسجد لله فانه ليس المفهوم من قول القائل فلان مع الساجدين أو في الساجدين انه مع الناس أو فيهم بل المفهوم بذلك انه مع قوم سجود السجود المعروف وتوجيه معاني كلام الله الى الاغلب أولى من توجيهه الى الانكر وكذلك أيضا في قول من قال معناه تتقلب في أبصار الساجدين وان كان له وجه فليس ذلك الظاهر من معانيه فتأويل الكلام اذا وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم الى صلاتك ويرى تقلبك في المؤمنين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس وقوله انه هو السميع تلاوتك بالحمد وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر العليم بما تعمل فيها ومن يتقلب فيها معك مؤتما بك يقول فرتل فيها القرآن وأقم حدودها فانك بمرأى من ربك ومسمع ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) يقول تعالى ذكره هل أنبئكم أيها الناس على من تنزل الشياطين من الناس تنزل على كل أفاك يعني كذاب بهات أثيم يعني آثم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كل أفاك أثيم قال كل كذاب من الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تنزل على كل أفاك أثيم قال كذاب من الناس حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله كل أفاك أثيم قال هم الكهنة تسترق الجن السمع ثم يأتون به الى أوليائهم من الانس حدثني محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا

أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن سعيد بن وهب قال كنت عند عبدالله بن الزبير فقيل له ان المختار يزعم انه يوحى اليه فقال صدق ثم تلا هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم وقوله يلقون السمع يقول تعالى ذكره يلقي الشياطين السمع وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعه من حين حدث من السماء الى كل أفاك أثيم من أوليائهم من بني آدم * و بنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يلقون السمع قال الشياطين ما سمعته ألقته على كل أفاك كذاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يلقون السمع الشياطين ما سمعته ألقته على كل أفاك قال يلقون السمع قال القول وقوله وأكثرهم كاذبون يقول وأكثر من تنزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون و يخبرون * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله وأكثرهم كاذبون عن عروة عن عائشة قالت الشياطين تسترق السمع فتجيء بكلمة حق فيقذفها في أذن وليه قال ويزيد فيها أكثر من مائة كذبة

القول في تأويل قوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) يقول تعالى ذكره والشعراء يتبعهم أهل الغي لا أهل الرشاد والهدى * واختلف أهل التأويل في الذين وصفوا بالغي في هذا الموضع فقال بعضهم رواة الشعر ذكر من قال ذلك حدثني الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا اسحق بن منصور قال ثنا قيس عن يعلى عن عكرمة عن ابن عباس وحدثني أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن قيس وحدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن يعلى بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس والشعراء يتبعهم الغاوون قال الرواة * وقال آخرون هم الشياطين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الشياطين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يتبعهم الغاوون قال يتبعهم الشياطين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعد وعبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عكرمة في قوله والشعراء يتبعهم الغاوون قال عصاة الجن * وقال آخرون هم السفهاء وقالوا نزل ذلك في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر الآية قال كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين وانهما تهاجيا وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فقال الله والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والشعراء يتبعهم الغاوون قال كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين تهاجيا مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء * وقال آخرون هم ضلال الجن والانس ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس

ومعنى لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا أو ظلما وعلوا فوصفوا بكونهم جبارين وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن أراد أنهم يبادرون العذاب من غير تفكر في العواقب والحاصل ان اتخاذ الابنية الرفيعة يدل على حب العلو واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والبطش الشديد يدل على حب التفرد بالعلو فكأنهم أحبوا العلو وبقاء العلو والتفرد بالعلو وكل هذه لمن له الصفات الالهية لا العبدية ثم بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها بقوله واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ايقاظا لهم عن سنة الغفلة مستشهدا بعلمهم ثم فصلها بقوله أمدكم بانعام عليها يدور معايشكم وبنين بهم يتم أمر حفظها والقيام بها وجنات يحصل بها التفكه والتنزه وعيون بمائها يكمل النماء ثم ختم الكلام بتخويفهم تنبيها على انه كما قدر أن يتفضل عليهم بهذه النعم الجسام فهو قادر على العذاب فيكون فيه مزيد حث على التقوى وكمال تنفر عن العصيان ثم شرع في حكاية جواب القوم وانهم قالوا ان وعظه وعدم وعظه بالنسبة اليهم سيان وانما لم يقل أوعظت أم لم تعظ مع كونه أخصر لان المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أو لم تكن من مباشريه وذويه رأسا وهذا أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قرأ خلق الاولين بفتح الخاء فمعناه ان هذا الا اختلاق الاولين وأكاذيبهم أو ما هذا الا خلق الاولين من تحيا ونموت ولا بعث ولا جزاء والقراءة الاخرى معناها لسنا نحن الا على دين الاولين من آبائنا أو ليس ما نحن عليه من الحياة والموت الا عادة جارية لا خرق لها أو ما هذا الذي جئت به من تلفيق الا كاذيب الا عادة مستمرة من المتنبين ثم أكدوا انكارهم المعاد بقولهم وما نحن بمعذبين فاظهروا بذلك جلادتهم وقوة نفوسهم فاخبر الله تعالى عن اهلاكهم وقد سبقت كيفية ذلك مرارا القصة الخامسة قصة صالح قال جار الله الهمزة

فى أتتركون يجوز أن تكون للانكار أى لا تتركون مخلدين فى الأمن والراحة ولكل نعمتين والى يجوز أن تكون التقرير أى ثم قد تركتم
فى أسباب الامن والفراغ أجل أولا بقوله فيما ههنا أى فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله فى جنات وعيون

والشعراء يتبعهم الغاوون قال هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله والشعراء يتبعهم الغاوون قال الغاوون المشركون * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه ان شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ومردة الشياطين وعصاة الجن وذلك ان الله عم بقوله والشعراء يتبعهم الغاوون فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض فذلك على جميع أصناف الغواة التى دخلت فى عموم الآية وقوله ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد أنهم يعنى الشعراء فى كل واد يذهبون كالهائم على وجهه على غير قصد بل جائرا عن الحق وطريق الرشاد وقصد السبيل وانما هذا مثل ضربه الله لهم فى افتنانهم فى الوجوه التى يفتنون فيها بغير حق فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون يقول فى كل لغو يخوضون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى كل واد يهيمون قال فى كل فن يفتنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أنهم فى كل واد قال فن يهيمون قال يقولون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فى كل واد يهيمون قال يمدحون قوما بباطل ويشتمون قوما بباطل وقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون يقول وان أكثر قيلهم باطل وكذب كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وأنهم يقولون ما لا يفعلون يقول أكثر قولهم يكذبون وعنى بذلك شعراء المشركين كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد قال رجل لابى يا أبا أسامة أرأيت قول الله جل ثناؤه والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فقال له أبى انما هذا لشعراء المشركين وليس شعراء المؤمنين ألا ترى أنه يقول الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخره فقال فرجت عنى يا أبا أسامة فرج الله عنك وقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهذا استثناء من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكر ان هذا الاستثناء نزل فى شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كحسان بن ثابت وكعب بن مالك ثم هو لكل من كان بالصفة التى وصفه الله بها وبالذى قلنا فى ذلك جاءت الاخبار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة وعلى بن مجاهد وابراهيم بن المختار عن ابن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى الحسن سالم البراد مولى تميم الدارى قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون قال جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية انا شعراء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر السورة فى حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة وطاوس قالا والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فنسخ من ذلك واستثنى فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس

وذكر النخل بعد ذكر الجنات اما تخصيص الجنات بغير النخل واما تخصيص النخل بالذكر تنبيها على فضله ومزيته وطلع النخلة ما يبدو منها كنصل السيف وقد مر فى الانعام والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم أراد انه وهب لهم أجود النخل وألطفه كالبرنى مثلا وقيل وصف نخيلهم بالحمل الكثير فان أكثر الحمل هضيم أى لطيف وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد أرطب ثمره والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة وفارهين حال من الناحتين قال علماء المعانى جعل الامر مطاعا مجاز حكمى وانما المطاع بالحقيقة هو الآمر وفى قوله ولا يصلحون اشارة الى ان افسادهم فى الارض غير مقترن بالاصلاح وأساوا المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة أرادوا انه بشر ذو سحر وهو ضعيف لانه يلزم التكرار بقوله ما أنت الا بشر مثلنا الا أن يقال انه بيان والشرب النصيب من الماء كالسقى للحظ من السقى وقرئ بالضم عن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء سؤال لم أخذهم العذاب وقد ندموا والندم توبة جوابه كان ندمهم ندم خوف من العقاب العاجل أو ندموا ندم توبة فى غير أوانها وذلك عند عيان العذاب وقيل ندموا على ترك عقر ولدها وفيه بعد واللام فى العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم
القصة السادسة قصة لوط أنكر على قومه اتيانهم الذكور من الناس لا الاناث على كثرتهن أو أنكر عليهم كونهم مختصين من العالمين بهذه الفاحشة فقوله من العالمين يعود على الاول الى المأتى وعلى الثانى الى الآتى والعالمون على هذا كل
قال

قال ثم استثنى المؤمنين منهم يعنى الشعراء فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فذكر مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا قال هم الانصار الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى حسن البراد قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة وقوله وذكروا الله كثيرا * اختلف أهل التأويل فى حال الذكر الذى وصف الله به هؤلاء المستثنين من الشعراء فقال بعضهم هى حال منطقهم ومحاورتهم الناس قالوا معنى الكلام وذكروا الله كثيرا فى كلامهم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا فى كلامهم * وقال آخرون بل ذلك فى شعرهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وذكروا الله كثيرا قال ذكروا الله فى شعرهم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال فى كتابه ولا على لسان رسوله فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا فى كل أحوالهم وقوله وانتصروا من بعد ما ظلموا يقول وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما بشعرهم وهجائهم اياهم واجابتهم عما هجوهم به وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وانتصروا من بعد ما ظلموا قال يردون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانتصروا من المشركين من بعد ما ظلموا وقيل عنى بذلك كله الرهط الذين ذكرت ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا على بن مجاهد وابراهيم بن المختار عن ابن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى حسن سالم البراد مولى تميم الدارى قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى النبى صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية انا شعراء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى حسن البراد قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون ثم ذكر نحوه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وانتصروا من بعد ما ظلموا قال عبد الله بن رواحة وأصحابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وانتصروا من بعد ما ظلموا قال عبد الله بن رواحة وقوله وسيعلم الذين ظلموا يقول تعالى ذكره وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة أى منقلب ينقلبون يقول أى مرجع يرجعون اليه وأى معاد يعودون اليه بعد مماتهم فانهم يصيرون الى نار لا يطفأ سعيرها ولا يسكن لهبها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة وعلى بن مجاهد وابراهيم بن المختار عن ابن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى الحسن سالم البراد مولى تميم الدارى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون يعنى أهل مكة حدثنى

المعاصى وهذه واحدة منها أو بل أنتم قوم أحقاء بان تنسبوا الى العدوان حيث فعلتم هذه الجريمة العظيمة قالوا لئن لم تنته يالوط عن نهينا لتكونن من جملة من أخرجناه من بلدنا ولعلهم كانوا يطردون من خالف أوادانه كامل فى قلاهم عصبية للدين أوانه معدود فى زمرة مبغضيهم كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك هو عالم ثم طلب النجاة من عقوبة عملهم أو سأل العصمة عن مثل عملهم ولقد عصمهم الله الا عجوزا رضيت بفعلهم وأعانت على ذلك وكانت من أهله بحق الزواج وان لم تشاركهم فى الايمان ومعنى فى الغابرين الا عجوزا مقدرا غبورها أى بقاؤها فى الهلاك واللام فى المنذرين للجنس لتصلح الفاعلية فعل الذم والمخصوص محذوف أى ساء مطر جنس المنذرين مطر أولئك المعهودين والله أعلم (كذب أصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون

من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم
ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال وسيعلم الذين ظلموا من المشركين أي منقلب ينقلبون آخر تفسير سورة الشعراء

(تفسير سورة النمل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله تعالى (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) * قال أبو جعفر وقد بينا القول فيما مضى من كتابنا هذا فيما كان من حروف المعجم في فواتح السور فقوله طس من ذلك وقد روي عن ابن عباس ان قوله طس قسم أقسمه الله هو من أسماء الله حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والواجب على هذا القول أن يكون معناه السميع اللطيف ان هذه الآيات التي أنزلتها اليك يا محمد لآيات القرآن وآيات كتاب مبين يقول يبين لمن تدبره وفكر فيه بفهم أنه من عند الله أنزله اليك لم تتخرصه أنت ولم تتقوله ولا أحد سواك من خلق الله لانه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثله ولو تظاهر عليه الجن والانس وخفض قوله وكتاب مبين عطفا به على القرآن وقوله هدى من صفة القرآن يقول هذه آيات القرآن بيان من الله بين به طريق الحق وسبيل السلام وبشرى للمؤمنين يقول وبشارة لمن آمن به وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد وفي قوله هدى وبشرى وجهان من العربية الرفع على الابتداء بمعنى هو هدى وبشرى والنصب على القطع من آيات القرآن فيكون معناه تلك آيات القرآن الهدى والبشرى للمؤمنين ثم أسقطت الالف واللام من الهدى والبشرى فصارا نكرة وهما صفة للمعرفة فنصبا وقوله الذين يقيمون الصلاة يقول هو هدى وبشرى لمن آمن بها وأقام الصلاة المفروضة بحدودها وقوله ويؤتون الزكاة يقول ويؤدون الزكاة المفروضة وقيل معناه ويطهرون أجسادهم من دنس المعاصي وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وهم بالآخرة هم يوقنون يقول وهم مع اقامتهم الصلاة وايتائهم الزكاة الواجبة بالمعاد الى الله بعد الممات يوقنون فيذلون في طاعة الله رجاء جزيل ثوابه وخوف عظيم عقابه وليسوا كالذين يكذبون بالبعث ولا يبالون أحسنوا أم أساؤا وأطاعوا أم عصوا لانهم ان أحسنوا لم يرجوا ثوابا وان أساؤا لم يخافوا عقابا القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون) يقول تعالى ذكره ان الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وقيام الساعة وبالمعاد الى الله بعد الممات والثواب والعقاب زينا لهم أعمالهم يقول حببنا اليهم قبيح أعمالهم وسهلنا ذلك عليهم فهم يعمهون يقول فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زيناها لهم يترددون حيارى يحسبون أنهم يحسنون وقوله أولئك الذين لهم سوء العذاب يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب في الدنيا وهم الذين قتلوا ببدر من مشركي قريش وهم في الآخرة هم الاخسرون يقول وهم يوم القيامة هم الاوضعون تجارة والاوكسوها باشترائهم الضلالة بالهدى فبار بخت تجارتهم وما كانوا مهتدين القول في تأويل قوله تعالى (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لأهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) يقول تعالى ذكره وانك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه من لدن حكيم عليم يقول من عند حكيم بتدبير خلقه عليم بأنباء خلقه ومصالحهم والكائن من

فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) القراآت ليكة بلام مفتوحة بعدها ياء ساكنة وبفتح التاء على انها ممتنعة من الصرف للعلمية والتأنيث وكذلك في صاد أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر الآخرون الايكة معرفا مجرورا كسفا بفتح السين حفص غير الخراز الآخرون بسكونها ربي أعلم بفتح الياء نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ونزل به مخففا الروح الامين مرفوعين أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو زيد عن المفضل وزيد عن يعقوب الباقون نزل مشددا الروح الامين منصوبين أولم تكن بتاء التأنيث آية بالرفع ابن عامر الباقون بالياء التحتانية آية بالنصب فتوكل بالفاء أبو جعفر

امورهم

ونافع وابن عامر الباقون بالواو ومن تنزل الشياطين بتشديد التاء وكذلك تنزل البزي وابن فليح بخلاف عنهم بالتخفيف نافع وادي بالياء في الوقف
يعقوب والسرندبي عن قنبل وقرأ قتيبة بالامالة * الوقوف المرسلين ج * يتقون * أمين لا وأطيعون ج أجر ج

أمورهم والماضي من أخبارهم والحادث منهم اذ قال موسى واذ من صلة عليم ومعنى الكلام عليم حين قال موسى لأهله وهو في مسيره من مدين الى مصر وقد آذاهم برد ليلهم لما أصلد زنده اني آنست نارا أي أبصرت نارا أو أحسستها فامكثوا مكانكم سآتيكم منها بخبر يعني من النار والهاء والالف من ذكر النار أو آتيكم بشهاب قبس * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة بشهاب قبس باضافة الشهاب الى القبس وترك التنوين بمعنى أو آتيكم بشعلة نار أقتبسها منها وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة بشهاب قبس بتنوين الشهاب وترك اضافته الى القبس بمعنى أو آتيكم بشهاب مقتبس * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وكان بعض نحويي البصرة يقول اذا جعل القبس بدلا من الشهاب فالتنوين في الشهاب وان أضاف الشهاب الى القبس لم ينون الشهاب وقال بعض نحويي الكوفة اذا أضيف الشهاب الى القبس فهو بمنزلة قوله ولدار الآخرة مما يضاف الى نفسه اذا اختلف اسماه ولفظاه توهما بالثاني أنه غير الاول قال ومثله حبة الخضراء وليلة القمراء ويوم الخميس وما أشبهه وقال آخر منهم ان كان الشهاب هو القبس لم تجز الاضافة لان القبس نعت ولا يضاف الاسم الى نعته الا في قليل من الكلام وقد جاء ولدار الآخرة وللدار الآخرة * والصواب من القول في ذلك أن الشهاب اذا أريد به أنه غير القبس فالقراءة فيه بالاضافة لان معنى الكلام حينئذ ما بينا من أنه شعلة قبس كما قال الشاعر

في كفه صعدة مثقفة * فيها سنان كشعلة القبس

واذا أريد بالشهاب أنه هو القبس أو أنه نعت له فالصواب في الشهاب التنوين لان الصحيح في كلام العرب ترك اضافة الاسم الى نعته والى نفسه بل الاضافات في كلامها المعروفة اضافة الشئ الى غير نفسه وغير نعته وقوله لعلكم تصطلون يقول كي تصطلوا بها من البرد وقوله فلما جاءها يقول فلما جاء موسى النار التي آنسها نودي أن بورك من في النار ومن حولها كما حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله نودي أن بورك من في النار يقول قدس * واختلف أهل التأويل في المعني بقوله من في النار فقال بعضهم عني جل جلاله بذلك نفسه وهو الذي كان في النار وكانت النار نوره تعالى ذكره في قول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله فلما جاءها نودي أن بورك من في النار يعني نفسه قال كان نور رب العالمين في الشجرة حدثني اسمعيل بن الهيثم أبو العالية العبدي قال ثنا أبو قتيبة عن ورقاء عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير في قول الله بورك من في النار قال ناداه وهو في النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن في قوله نودي أن بورك من في النار ومن حولها قال هو النور قال معمر قال قتادة بورك من في النار قال نور الله بورك قال حدثنا الحسن قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال الحسن البصري بورك من في النار * وقال آخرون بل معنى ذلك بوركت النار ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الاشيب قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نودي أن بورك من في النار بوركت النار كذلك قال ابن عباس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أن بورك من في النار قال بوركت النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد بورك من في النار قال بوركت النار

العالمين ط الخسرين ج * المستقيم ج * مفسدين ج * الاولين ط المسحرين لا الكاذبين ج نصف آي القرآن الصادقين ط تعلمون * الظلة ط عظيم * لآية ط مؤمنين * الرحيم * العالمين * الامين لا المنذرين لا مبين * الاولين * اسرائيل ط الاعجمين لا مؤمنين ط المجرمين ط بناء على ان لايؤمنون مستأنف للبيان ولو جعل حالا فلا وقف الاليم لا لايشعرون لا منظرون ط يستعجلون * سنين لا للعطف يوعدون لا لان قوله ما أغنى جملة نفي أو استفهام قامت مقام الشرط يمتعون ط منذرون * وقد يوقف عليها بناء على ان ذكرى ليس بمفعوله والمراد ذكرناهم والوقف على ذكرى جائز ظالمين * الشياطين * يستطيعون ط لمعزولون ط المعذبين ج الاقربين ج للعطف المؤمنين * تعملون ج الرحيم لا تقوم لا الساجدين * العليم * الشياطين ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار أثيم ج بناء على ان يلقون حال من ضمير الشياطين أي تنزل ملقين السمع أو صفة لكل أفاك وان جعل مستأنفا كأن قائلا قال لم تنزل فقيل يفعلون كيت وكيت فلك الوقف كاذبون ط الغاوون ط يهيمون لا لايفعلون * ظلموا ط ينقلبون * التفسير

القصة السابعة قصة شعيب وانه كان أخا مدين دون أصحاب الايكة ولهذا لم يقل أخوهم شعيب وروي ان أصحاب الايكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهي التي حملها المقل قال في الكشاف قرأ أصحاب ايكة بتخفيف الهمزة وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ

حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا مكى بن ابراهيم قال ثنا موسى عن محمد بن كعب فى قوله أن بورك من فى النار نور الرحمن والنور هو الله وسبحان الله رب العالمين * واختلف أهل التأويل فى معنى النار فى هذا الموضع فقال بعضهم معناه النور كما ذكرت عمن ذكرت ذلك عنه * وقال آخرون معناه النار لا النور ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن سعيد بن جبير انه قال حجاب العزة وحجاب الملك وحجاب السلطان وحجاب النار وهى تلك النار التى نودى منها قال وحجاب النور وحجاب الغمام وحجاب الماء وانما قيل بورك من فى النار ولم يقل بورك فيمن فى النار على لغة الذين يقولون باركك الله والعرب تقول باركك الله وبارك فيك وقوله ومن حولها يقول ومن حول النار وقيل عنى بمن حولها الملائكة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومن حولها قال يعنى الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن الحسن مثله * وقال آخرون هو موسى والملائكة حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا مكى بن ابراهيم قال ثنا موسى عن محمد بن كعب ومن حولها قال موسى النبى والملائكة ثم قال ياموسى انى أنا الله العزيز الحكيم وقوله وسبحان الله رب العالمين يقول وتنزيها لله رب العالمين مما يصفه به الظالمون ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون الامن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لموسى انه أنا الله العزيز فى نقمته من أعدائه الحكيم فى تدبيره فى خلقه والهاء التى فى قوله انه هاء عماد وهو اسم لايظهر فى قول بعض أهل العربية وقال بعض نحويى الكوفة يقول هى الهاء المجهولة ومعناها ان الامر والشأن أنا الله وقوله وألق عصاك فلما رآها تهتز وفى الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ذكر عما حذف وهو فألقاها فصارت حية تهتز فلما رآها تهتز كأنها جان يقول كأنها حية عظيمة والجان جنس من الحيات معروف وقال ابن جريج فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان قال حين تحولت حية تسعى وهذا الجنس من الحيات عنى الراجز بقوله

يرقلن بالليل اذا ما رجفا * أعناق جان وهاما رجفا * وعنقا باقى الرسيم خطفا

وقوله ولى مدبرا يقول تعالى ذكره ولى موسى هاربا خوفا منها ولم يعقب يقول ولم يرجع من قولهم عقب فلان اذا رجع على عقبه الى حيث بدأ أو بنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولم يعقب قال لم يرجع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال حدثنا الحسن قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال لم يلتفت حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولم يعقب قال لم يرجع ياموسى قال لما ألقى العصا صارت حية فرعب منها وجزع فقال الله انى لايخاف لدى المرسلون قال فلم يرعو لذلك قال فقال الله أقبل ولا تخف انك من الآمنين قال فلم يقف أيضا على شئ من هذا حتى قال سنعيدها سيرتها الاولى قال فالتفت فاذا هى عصا كما كانت فرجع فأخذها ثم قوى بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها وقوله ياموسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون الامن ظلم يقول تعالى ذكره فناداه ربه ياموسى لاتخف

بالنصب وزعم ان ايكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف فى هذه السورة وفى سورة ص ثم اعترض عليه بان ليكة اسم لايعرف قلت انه لايلزم من عدم العلم بالشئ عدم ذلك الشئ والظن بالمتواتر يجب أن يكون أحسن من ذلك أمرهم شعيب بايفاء الكيل ونهاهم عن الاخسار وهو التطفيف وان يبخل الشخص خاسرا فكأنه أمره بالايفاء مرتين توكيدا ثم زاد فى البيان بقوله وزنوا بالقسطاس المستقيم وقد مر فى سورة سبحان قال فى الكشاف ان كان من القسط وهو العدل وجعلت السين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعى قلت ان كان مكررا فوزنه فعلال أيضا وقوله ولا تبخسوا الى كيدا آخر وقد سبق فى هود والجبلة الخليقة حذرهم الله الذى تفضل عليهم بخلقهم وخلق من تقدمهم ممن لولا خلقهم لما كانوا مخلوقين قال فى الكشاف الفرق بين ادخال الواو ههنا فى قوله وما أنت الا بشر وبين تركها فى قصة ثمود هو انه قصد ههنا معنيان متنافيان عندهم للرسالة كونه مسحرا وكونه بشرا وهناك جعل المعنى الثانى مقررا للاول قلت الفرق نير والاشكال فى تخصيص كل من القضيتين بما خصت به ولعل السبب فيه أن صالحا قال فى الخطاب فقللوا فى الجواب وأكثر شعيب فى الخطاب ولهذا قيل له خطيب الانبياء فأكثروا فى الجواب وان فى قولهم وان نظنك هى المخففة من الثقيلة عملت فى ضمير شأن مقدر واللام فى قوله لمن الكاذبين هى المفارقة والكسف بالسكون والحركة جمع كسفة وهى القطعة وقد مر فى سبحان فى اقتراحات قريش والمعنى ان كنت صادقا فى دعوة النبوة فادع الله أن يسقط علينا قطع السماء وانما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فارادوا بذلك اظهار كذبه فلم عنهم شعيب ولم يدع عليهم بل فوض الامر الى الله بقوله ربى أعلم بما تعملون يروى ان شعيبا بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الايكة فأهلكت مدين

من هذه الحية انى لايخاف لدى المرسلون يقول انى لايخاف عندى رسلى وأنبيائى الذى اختصهم بالنبوة الامن ظلم منهم فعمل بغير الذى أذن له فى العمل به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قوله ياموسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون قال لايخيف الله الانبياء الابذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يأخذه منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبدالله الفزارى عن عبدالله بن المبارك عن أبى بكر عن الحسن قال قوله ياموسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون الامن ظلم قال انى انما أخفتك لقتلك النفس قال وقال الحسن كانت الانبياء تذنب فتعاقب * واختلف أهل العربية فى وجه دخول الا فى هذا الموضع وهو استثناء مع وعد الله الغفران المستثنى من قوله انى لايخاف لدى المرسلون بقوله فانى غفور رحيم ومعنى الاستثناء أن يكون ما بعده بخلاف معنى ما قبله وذلك أن يكون ما بعده ان كان ما قبله منفيا مثبتا كقوله ماقام الازيد فزيد مثبت له القيام لانه مستثنى مما قبل الا وما قبل الا منفى عنه القيام وأن يكون ما بعده ان كان ما قبله مثبتا منفيا كقولهم قام القوم الازيدا فزيد منفى عنه القيام ومعناه ان زيدا لم يقم والقوم مثبت لهم القيام والامن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فقد أمنه الله بوعده الغفران والرحمة وأدخله فى عداد من لايخاف لديه من المرسلين فقال بعض نحويى البصرة أدخلت الا فى هذا الموضع لان الا تدخل فى مثل هذا الكلام كمثل قول العرب ما اشتكى الا خيرا فلم يجعل قوله الا خيرا على الشكوى ولكنه علم أنه اذا قال ما اشتكى شيأ أنه يذكر عن نفسه خيرا كأنه قال ما أذكر الا خيرا وقال بعض نحويى الكوفة يقول القائل كيف صير خائفا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء وهو مغفور له فاقول له فى هذه الآية وجهان أحدهما أن يقول ان الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو فهذا وجه والآخر أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا فى الكلمة لان المعنى لايخاف لدى المرسلون انما الخوف على من سواهم ثم استثنى فقال الامن ظلم ثم بدل حسنا يقول كان مشركا فتاب من الشرك وعمل حسنا فذلك مغفور له وليس يخاف قال وقد قال بعض النحويين ان الا فى اللغة بمنزلة الواو وانما معنى هذه الآية لايخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا قال وجعلوا مثله كقول الله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم قال ولم أجد العربية تحتمل ما قالوا لانى لاأجيز قام الناس الا عبدالله وعبدالله قائم انما معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذى بعد الا من معنى الاسماء التى قبل الا وقد أراه جائزا أن يقول لى عليك ألف سوى ألف آخر فان وضعت الا فى هذا الموضع صلحت وكانت الا فى تأويل ما قالوا فاما مجردة قد استثنى قليلها من كثيرها فلا ولكن مثله مما يكون معنى الا كمعنى الواو وليست بها قوله خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك هو فى المعنى والذى شاء ربك من الزيادة فلا تجعل الا بمنزلة الواو ولكن بمنزلة سوى فاذا كانت سوى فى موضع الا صلحت بمعنى الواو لانك تقول عندى مال كثير سوى هذا أى وهذا عندى كانك قلت عندى مال كثير وهذا أيضا عندى وهو فى سوى أبعد منه فى الا لانك تقول عندى سوى هذا ولا تقول عندى الا هذا * قال أبو جعفر والصواب من القول فى قوله الامن ظلم ثم بدل عندى غير ما قاله هؤلاء الذين حكينا قولهم من أهل العربية بل هو القول الذى قاله الحسن البصرى وابن جريج ومن قال قولهما وهو ان قوله الامن ظلم استثناء صحيح من قوله لايخاف لدى المرسلون الامن ظلم منهم فاتى ذنبا فانه خائف لديه من عقوبته وقد بين الحسن رحمه الله معنى قيل الله لموسى ذلك وهو قوله قال انى انما أخفتك لقتلك النفس فان قال قائل فما وجه قيله ان كان قوله

بصيحة جبرائيل وأهلكت أصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة وذلك انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الحر فاخذ بانفاسهم لاينفعهم ظل ولاماء ولاشراب فاضطروا الى ان خرجوا الى الصحراء فاظلتهم سحابة وجدوا (٧٧) لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وحين سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه القصص المؤكدة بالمكررات المختتمة بالمقررات عاد الى مخاطبته قائلا وانه أى وان الذى نزل عليك من الاخبار لتنزيل رب العالمين أى منزله والباء فى نزل به على القراءتين للتعدية ولكنها فى قراءة التشديد تقتضى مفعولا آخر هو الروح أى جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك محفوظا مفهوما لتكون من المنذرين من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون قوله بلسان متعلقا بنزل أى نزله بلسان عربى لتنذر به فانه لو نزله بالاعجمى لقالوا ماتصنع بما لانفهمه ومن هذا الوجه ينشأ فائدة أخرى لقوله على قلبك أى نزلناه بحيث تفهمه ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك والظاهر من نقل أئمة اللغة ان القلب والفؤاد مترادفان ونقل الامام فخر الدين الرازى عن بعضهم ان القلب هو العلقة السوداء فى جوف الفؤاد وذكر كلاما طويلا فى ان محل العقل هو القلب دون الدماغ وهو المخاطب فى الحقيقة فلهذا قال نزله على قلبك ونحن قد تركناه لقلة تعلقه بالمقام ولضعف دلائله مع مخالفته لما عليه معظم أرباب المعقول قوله وانه لفى زبر الاولين يعنى ان ذكر القرآن مثبت فى الكتب السماوية للامم المتقدمة وان معانى القرآن فى تلك الزبر وقد يحتج به لابى حنيفة فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة وقيل الضمير فيه وفى ان يعلمه للنبى صلى الله عليه وسلم وانه حجة ثابتة على نبوته قد شهد بها علماء بنى اسرائيل كعبدالله بن سلام وغيره من الذين أسلموا منهم واعترفوا ان نعته وصفته فى كتبهم مذكور وكان

الامن ظلم استثناء صحيحا وخارجا من عداد من لا يخاف لديه من المرسلين وكيف يكون خائفا من كان قد وعد الغفران والرحمة قيل ان قوله ثم بدل حسنا بعد سوء كلام آخر بعد الاول وقد تناهى الخبر عن الرسل عمن ظلم منهم ومن لم يظلم عند قوله الامن ظلم ثم ابتدأ الخبر عمن ظلم من الرسل وسائر الناس غيرهم وقيل فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى له غفور رحيم فان قال قائل فعلام تعطف ان كان الامر كما قلت بثم ان لم يكن عطفا على قوله ظلم قيل على متر وك استغنى بدلالة قوله ثم بدل حسنا بعد سوء عليه واظهاره اذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره وهو فمن ظلم من الخلق وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية فقد قالوا على مذهب العربية غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة وحملوها على غير وجهها من التأويل وانما ينبغى أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل ويلتمس له على ذلك الوجه للاعراب فى الصحة مخرج لا على احالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل وقوله ثم بدل حسنا بسوء يقول تعالى ذكره فمن أتى ظلما من خلق الله وركب مأثما ثم بدل حسنا يقول ثم تاب من ظلمه ذلك وركوبه المأثم فانى غفور يقول فانى ساتر على ذنبه وظلمه ذلك بعفوى عنه وترك عقوبته عليه رحيم به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بعده * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الامن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء ثم تاب من بعد اساءته فانى غفور رحيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لنبيه موسى وأدخل يدك فى جيبك ذكر انه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه فى جيبه وانما أمره بادخاله فى جيبه لان الذى كان عليه يومئذ مدرعة من صوف قال بعضهم لم يكن لها كم وقال بعضهم كان كمها الى بعض يده ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأدخل يدك فى جيبك قال الكف فقط فى جيبك قال كانت مدرعة الى بعض يده ولو كان لها كم أمره أن يدخل يده فى كمه قال **حدثنى** حجاج عن يونس بن أبى اسحق عن أبيه عن عمرو بن ميمون قال قال ابن مسعود ان موسى أتى فرعون حين أتاه فى ذو نانقة يعنى جبة صوف وقوله تخرج بيضاء يقول تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى من غير سوء يقول من غير برص فى تسع آيات يقول تعالى ذكره أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فهى آية فى تسع آيات مرسل أنت بهن الى فرعون وترك ذكر مرسل لدلالة قوله الى فرعون وقومه على ان ذلك معناه كما قال الشاعر

رأتنى بحبليها فصدت مخافة * وفى الحبل روعاء الفؤاد فروق

ومعنى الكلام رأتنى مقبلا بحبليها فترك ذكر مقبل استغناء بمعرفة السامعين معناه فى ذلك اذ قال رأتنى بحبليها ونظائر ذلك فى كلام العرب كثيرة والآيات التسع بين الآيات التى بيناهن فيما مضى وقد **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تسع آيات الى فرعون وقومه قال هى التى ذكر الله فى القرآن العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والطوفان والدم والحجر والطمس الذى أصاب آل فرعون فى أموالهم وقوله انهم كانوا قوما فاسقين يقول ان فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين يعنى كافرين بالله وقد بينا معنى الفسق فيما مضى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يقول تعالى ذكره فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا يعنى أدلتنا وحججنا على حقيقة ما دعاهم اليه موسى وصحته وهى الآيات التسع التى ذكرنا قبل وقوله

مشركو قريش يذهبون الى اليهود يتعرفون منهم هذا الخبر من قرأ يكن بالتذكير وآية بالنصب على الخبر والاسم أن يعلمه فظاهر ومن قرأ تكن بالتأنيث وآية بالرفع على الاسم والخبران يعلمه فقيل ليست بقوية لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا ويمكن أن يجاب بان الفعل المضارع مع ان ليس من المعارف الصريحة وقد توجه هذه القراءة بتقدير ضمير القصر فى تكن وجملة آية ان يعلمه والهم اغواولهم آية وان يعلمه بدل من آية قال جار الله انما كتب علماء بالواو على لغة من يميل الالف الى الواو ولذلك كتبت الصلاة والزكاة بالواو ثم أكد بقوله ولو نزلناه بامر من آية لو نزله بالاعجمى فقرأه عليهم بعض الاعجمين لم يؤمنوا به لانهم لم يكونوا يفهمونه وقال جار الله معناه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذى لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك أى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم وقررناه فيها فعلى أى وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى تغييرهم عما هم عليه من الانكار والاصرار وقد سبق مثل هذه الآية فى أول الحجر والحاصل انهم لا يزالون على التكذيب حتى يعاينوا الوعيد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان اليأس احدى الراحتين قال فى الكشاف ليس الفاء فى قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا الاجل ترادف العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة وانما المعنى ترتيبها فى الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة نظيره قولك ان أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله لا تريد الترتب فى الوجود ولكن فى الشدة قلت هذا معنى صحيح ولكن لا مانع من ارادة الترتيب والتعذيب فى الوجود يظهر بالتأمل ان شاء الله العزيز ثم نكرهم بقوله أفبعذابنا يستعجلون وفيه

مبصرة يقول يبصر بها من نظر اليها ورآها حقيقة مادلت عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قال بينة قالوا هذا سحر مبين يقول قال فرعون وقومه هذا الذى جاءنا به موسى سحر مبين يقول يبين للناظر بن له انه سحر وقوله وجحدوا بها يقول وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجحدوا بها قال الجحود التكذيب بها وقوله واستيقنتها أنفسهم يقول وأيقنتها قلوبهم وعلموا يقينا أنها من عند الله فعاندوا بعد تبينهم الحق ومعرفتهم به كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس واستيقنتها أنفسهم قال يقينهم فى قلوبهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا قال استيقنوا ان الآيات من الله حق فلم جحدوا بها قال ظلما وعلوا وقوله ظلما وعلوا يعنى بالظلم الاعتداء والعلو الكبر كأنه قيل اعتداء وتكبرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ظلما وعلوا قال تعظما واستكبارا ومعنى ذلك وجحدوا بالآيات التسع ظلما وعلوا واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله فعاندوا الحق بعد وضوحه لهم فهو من المؤخر الذى معناه التقديم وقوله فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة وماذا حل بهم من افسادهم فى الارض ومعصيتهم فيها ربهم وأعقبهم مافعلوا فان ذلك أخرجهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم الى هلاك فى العاجل بالغرق وفى الآجل الى عذاب دائم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون يقول وكذلك يا محمد سنتى فى الذين كذبوا بما جئتهم به من الآيات على حقيقة ما تدعوهم اليه من الحق من قومك ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) يقول تعالى ذكره ولقد آتينا داود وسليمان علما وذلك علم كلام الطير والدواب وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يقول جل ثناؤه وقال داود وسليمان الحمد لله الذى فضلنا بما خصنا به من العلم الذى آتاناه دون سائر خلقه من بنى آدم فى زماننا هذا على كثير من عباده من المؤمنين به فى دهرنا هذا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين) يقول تعالى ذكره وورث سليمان أباه داود العلم الذى كان آتاه الله فى حياته والملك الذى خصه به على سائر قومه فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير يعنى فهمنا كلامها وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بنى ادم اذ فهمه عنها وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير قال بلغنا ان سليمان كان عسكره مائة فرسخ خمس وعشرون منها الانس وخمسة وعشرون الجن وخمسة وعشرون الوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة سرية فأمر الريح العاصف فرفعته وأمر الرخاء فسيرته فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح فأخبرته وقوله وأوتينا من كل شئ يقول وأعطينا ووهب لنا من كل شئ من الخيرات ان هذا لهو الفضل المبين يقول ان هذا الذى أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين يقول الذى

وظنوا انهم يمتعون بأعمار طوال فى سلامة وامن فأنكر الله عليهم استعجالهم الصادر عن الاشر والبطر والاستهزاء والاتكال على طول الامل ثم قال هب ان الامر كما ظنوه من التمتع والتعمير فاذا لحقهم الوعيد أو الاجل أو القيامة هل ينفعهم ذلك عن ميمون بن مهران انه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظنى فتلا عليه هذه الآية فقال له ميمون لقد وعظت فابلغت ثم بين انه ما أهلك قرية الا بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكونوا اهلا كهم تذكرة وعبرة لغيرهم وعلى هذا يكون ذكرى متعلقة باهلاكنا مفعولا له ويجوز أن يكون مفعولا مطلقا لانذر بمعنى التذكرة فان انذر وذكر متقاربان أو حالا من الضمير فى ينذرون أو مفعولا له متعلقا به أى ينذرونهم ذوى تذكرة أو لاجل الموعظة والتذكير أو التقدير هذه ذكرى فالجملة اعتراض ويجوز أن يكون صفة لمنذرون على حذف المضاف أى ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لبلوغهم التذكرة فى أقصى غاياتها والبحث عن وجود الواو وعدمه فى مثل هذا التركيب قد مر فى أول الحجر فى قوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم الا انا نذكر ههنا سبب تخصيص تلك الآية بالواو وهذه بعدم الواو فنقول لا ريب ان الواو تزيد مزيد الربط والاجتماع فى الحال وفى الوصف ان جوزنا فسواء قدرنا الجلتين

أعنى قوله ولها كتاب معلوم وقوله لها منذرون حالا أو وصفا فالمقام يقتضى ورود الفسق على ما وردوذلك ان قوله ولها كتاب صفة لازمة للقرية فان الكتب فى اللوح وصف أزلى فناسب أن يكون فى اللفظ ما يدل على اللزوم واللصوق وهو الواو ثم زيد فى التأكيد بقوله

يبين لمن تامله وتدبره انه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) يقول تعالى ذكره وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فى مسير لهم فهم يوزعون * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله فهم يوزعون فقال بعضهم معنى ذلك فهم يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال جعل على كل صنف من يرد أولاها على أخراها لئلا يتقدموا فى المسير كما تصنع الملوك حدثنا القاسم قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فى قوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون قال يرد أولهم على آخرهم * وقال آخرون معنى ذلك فهم يساقون ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون قال يوزعون يساقون * وقال آخرون بل معناه فهم يتقدمون ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال الحسن يوزعون يتقدمون * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال معناه يرد أولهم على آخرهم وذلك ان الوازع فى كلام العرب هو الكاف يقال منه وزع فلان فلانا عن الظلم اذا كفه عنه كما قال الشاعر

أولم يزع الهوى اذلم يوات * بلى وسلوت عن طلب العتاة

(وقال الآخر)

على حين عاتبت المشيب على الصبا * وقلت الما يصح والشيب وازع

وانما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والامراء وزعة لكفهم اياهم عنه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) يعنى تعالى ذكره بقوله حتى اذا أتوا على وادى النمل حتى اذا أتى سليمان وجنوده على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده يقول لا يكسرنكم و يقتلنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون يقول وهم لا يعلمون انهم يحطمونكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا سفيان عن الاعمش عن رجل يقال له الحكم عن عوف فى قوله قالت نملة يا أيها النمل قال كان نمل سليمان بن داود مثل الذباب ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) يقول تعالى ذكره فتبسم سليمان ضاحكا من قول النملة التى قالت ما قالت وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على يعنى بقوله أوزعنى ألهمنى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك يقول اجعلنى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على قال فى كلام العرب تقول أوزع فلان بفلان يقول حرضه عليه وقال ابن زيد أوزعنى ألهمنى وحرضنى على أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وقوله وأن أعمل صالحا ترضاه يقول وأوزعنى أن أعمل بطاعتك وما ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين يقول وأدخلنى برحمتك مع عبادك الصالحين الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك يقول أدخلنى من الجنة مداخلهم

معلوم وبقوله ما تسبق وهذا بخلاف قوله لها منذرون فانها صفة ثالثة فاطلقت وجود صدر الجملة عن الواو لذلك والله أعلم ثم انه لما احتج على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بكون القرآن معجزا منزلا من رب العالمين مشتملا على معانى كتب الاولين وكان الكفار يقولون انه من القاء الجن كحال الكهنة أراد أن يزيل شبهتهم بقوله وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم التنزل بالوحى وما يستطيعون ثم بين عدم اقتدارهم بقوله انهم عن السمع أى عن سماع كلام أهل السماء لمعزولون وذلك بواسطة رجم الشهب كما أخبر عنه الصادق والمعجزات يتساند بعضها ببعض ولو فرض انهم غير مرجومين بالشهب فالعقل يدل على ان الاهتمام بشأن الصديق أقوى منه بشأن العدو وكان محمد صلى الله عليه وسلم يلعن الشياطين ويامر الناس بلعنهم فلو كان الغيب بالقاء الشياطين لكان الكفار أولى بان يحصل لهم ذلك وحين أثبت حقية القرآن أمر نبيه بجوامع مكارم الاخلاق ومحاسن العبادات والعادات قائلا فلا تدع والمراد أمته كما مر فى نظائره من قوله وان اتبعت أهواءهم وغير ذلك وأنذر عشيرتك الاقربين فيه ان الاهتمام بشأن من هو أقرب الى المرء أولى وفيه انه يجب ان لا ياخذه فى باب التبليغ ما ياخذ القريب للقريب من المساهلة ولين الجانب روى انه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية صعد الصفا فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف يا عباس عم النبى صلى الله عليه وسلم يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أملك لكم من الله شيأ سلونى من المال ما شئتم وروى انه جمع بنى عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة فما كلوا وشربوا حتى شبعوا ثم أنذرهم فقال يا بنى عبد المطلب لو أخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير

لكم بين يدى عذاب شديد قوله واخفض جناحك قد مر تفسيره فى آخر الحجر وفى سبحان وزاد ههنا لمن اتبعك كيلا يذهب الوهم الى ان
خفض الجناح وهو التواضع ولين الجانب مختص بالمؤمنين من عشيرته وانما لم يقتصر على قوله لمن اتبعك لان كثيرا منهم

مداخلهم * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين قال مع عبادك الصالحين الانبياء والمؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين) يقول تعالى ذكره وتفقد سليمان الطير فقال مالى لا أرى الهدهد وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير ما حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران عن أبى مجلز قال جلس ابن عباس الى عبد الله بن سلام فسأله عن الهدهد لم تفقده سليمان من بين الطير فقال عبد الله بن سلام ان سليمان نزل منزلة فى مسير له فلم يدر ما بعد الماء فقيل له من يعلم بعد الماء قالوا الهدهد فذاك حين تفقده حدثنا محمد قال ثنا يزيد قال ثنا عمران بن حدير عن أبى مجلز عن ابن عباس وعبد الله بن سلام بنحوه حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان سليمان بن داود يوضع له ستمائة كرسى ثم يجىء أشراف الانس فيجلسون مما يليه ثم تجىء أشراف الجن فيجلسون مما يلى الانس قال ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتحملهم قال فيسير فى الغداة الواحدة مسيرة شهر قال فبيناهو فى مسيره اذ احتاج الى الماء وهو فى فلاة من الارض قال فدعا الهدهد فجاءه فنقر الارض فيصيب موضع الماء قال ثم تجىء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب قال ثم يستخرجون الماء فقال له نافع بن الازرق قف يا وقاف أرأيت قولك الهدهد يجىء فينقر الارض فيصيب الماء كيف يبصر هذا ولا يبصر الفخ حتى يقع فى عنقه قال فقال له ابن عباس ويحك ان القدر اذا جاء حال دون البصر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كان سليمان ابن داود اذا خرج من بيته الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره حتى اذا كان ذات غداة فى بعض زمانه غدا الى مجلسه الذى كان يجلس فيه فتفقد الطير وكانت فيما يزعمون يأتيه نوبا من كل صنف من الطير طائر فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره الا الهدهد فقال مالى لا أرى الهدهد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أول ما فقد سليمان نزل بواد فسأل الانس عن مائه فقالوا ما نعلم له ماء فان يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجن فدعا الجن فسألهم فقالوا ما نعلم له ماء وان يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالطير فدعا الطير فسألهم فقالوا ما نعلم له ماء وان يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد فلم يجده قال فذاك أول ما فقد الهدهد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قال تفقد الهدهد من أجل انه كان يدله على الماء اذا ركب وان سليمان ركب ذات يوم فقال ابن عباس ان الهدهد كان ينفعه الحذر ما لم يبلغه الاجل فلما بلغ الاجل لم ينفعه الحذر وحال القدر دون البصر فقد اختلف عبد الله بن سلام والقائلون بقوله ووهب بن منبه فقال عبد الله كان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه ليستخبره عن بعد الماء فى الوادى الذى نزل به فى مسيره وقال وهب بن منبه كان تفقده اياه وسؤاله عنه لاخلاله بالنوبة التى كان ينوبها والله أعلم باى ذلك كان اذ لم يأتنا باى ذلك كان تنزيل ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح فالصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن سليمان انه تفقد الطير اما للنوبة التى كانت عليها وأخلت بها واما لحاجة كانت اليها عن بعد الماء وقوله فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين يعنى بقوله مالى لا أرى الهدهد أخطأه بصرى فلا أراه وقد حضر أم هو

كانوا يتبعونه للقرابة والنسب لا للدين وقال فى الكشاف سماهم قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك أو أراد بالمؤمنين المصدقين بالالسنة فزاد قوله لمن اتبعك ليخرج من صدق باللسان دون الجنان أو صدق بهما ولم يتبعه فى العمل وحين أمره بالتواضع لاهل الاخلاص فى الايمان أمره بالتبرئة من أرباب العصيان فاستدل الجبائى به على ان الله تعالى أيضا برىء من عملهم فكيف يكون فاعلا له وأجيب بانه ان أراد براءة الله انه ما أمر بها فمسلم وان أراد انه لا يريدها فممنوع لانتهاء جميع الحوادث الى ارادته ضرورة قوله وتوكل معطوف على قوله فلا تدع أو على قوله فقل أمره بتفويض الامر فى دفع أعاديه الى العزيز الذى يقهر من ناوى أولياءه الرحيم الذى لا يخذل من ينصر دينه قال بعض العلماء المتوكل من ان دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما فيه معصية الله عز وجل ولو وقع فى محنة واستعان فى دفعها ببعض المخلوقين لم يخرج من حد المتوكلين ثم عدد مواجب الرحمة وهى رؤيته قيامه وتقلبه فى الساجدين أى فى المصلين وللمفسرين فيه وجوه منها ماروى انه حين نسخ فرض التهجد طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه حرصا عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات كبيوت الزنابير ذكرا وتلاوة فالمراد بتقلبه فى الساجدين تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم كيف يعملون لآخرتهم ومنها ان المراد تصرفه فيما بين المؤمنين به بالقيام والركوع والسجود والقعود ويروى عن مقاتل انه استدل به على وجود فضل

غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهـل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب ابن منبه مالى لا أرى الهدهـد أم كان من الغائبين أخطأه بصرى فى الطير أم غاب فلم يحضر وقوله لاعذبنه عذابا شديدا يقول فلما أخبر سليمان عن الهدهد انه لم يحضر أو انه غائب غـير شاهد أقسم لاعذبنه عذابا شديدا وكان تعذيبه الطير فيما ذكر عنه اذا عذبها أن ينتف ريشها * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهـل التأويـل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الحمانى عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله لاعذبنه عذابا شـديدا قال نتف ريشه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن شريك عن عطاء عن مجاهد عن ابن عباس فى لاعذبنه عذابا شديدا عذابه نتفه وتشميسه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لاعذبنه عذابا شديدا قال نتف ريشه وتشميسه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لاعذبنه عذابا شـديدا قال نتف ريشه كله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لاعذبنه عذابا شـديدا قال نتف ريش الهدهد كله فلا يعفو منه قال حدثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال نتف ريشه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لاعذبنه عذابا شديدا يقول نتف ريشه حدثنا ابن حميـد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن يزيد بن رومان انه حدث ان عذابه الذى كان يعـذب به الطير نتف جناحه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قيل لبعض أهل العلم هذا الذبح فما العذاب الشديد قال نتف ريشه بتركه بضعة تنزو حدثنا سـعيد بن الربيع الرازى قال ثنا سفيان عن عمرو بن بشار عن ابن عباس فى قوله لاعذبنه عذابا شديدا قال نتفه حدثنى سـعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن حسـين بن أبى شـداد قال نتفه وتشميسه أولاذبحنه يقول أولاقتلنه كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أولاذبحنه يقول أو لاقتلنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد بن العوام عن حصين عن عبد الله بن شداد لاعذبنه عذابا شديدا أولاذبحنه الآية قال فتلقاه الطير فاخبره فقال ألم يستثن وقوله أوليأتينى بسـلطان مبين يقول أوليأتينى بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على بن الحسين الازدى قال ثنا المعافى بن عمران عن سفيان عن عمار الذهبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كل سلطان فى القرآن فهو حجة حدثنى محمد بن سـعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـه عن ابن عباس قوله أوليأتينى بسلطان مبين يقوله ببينة أعذره بها وهو مثل قوله الذين يجادلون فى آيات الله بغـير سلطان يقول بغير بينة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن رجل عن عكرمة قال كل شئ فى القرآن سلطان فهو حجة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبـد الله بن يزيد عن قباث بن رزين انه سمع عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول كل سـلطان فى القرآن فهو حجة كان للهدهد سلطان حدثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أوليأتينى بسـلطان مبين

صلاة الجماعة فى القرآن ومنها انه اشارة الى ما جاء فى الحديث أتموا الركوع والسجود فوالله انى لاراكم من خلف ظهرى فالتقلب تقلب بصره فيمن يصلى خلفه وقيل أراد انه لا يخفى علينا كلما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية أمور الدين وقد احتج بالآية علماء الشيعة على مذهبهم ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم لا يكونون كفارا قالوا أراد تقلب روحه من ساجد الى ساجد كما فى الحديث المعتمد عليه عندهـم لم أزل أنتقل من أصـلاب الطاهـرين الى أرحام الطاهرات وناقشهم أهل السـنة فى التأويل المذكور وفى صحـة الحـديث والاصوب عنـدى ان لا نشتغل بمنع أمثال هذه الدعوى ونسرح الى بقعة الامكان على انه لا يلزم من عـدم الدليـل عـدم المدلول ثم أكد قوله وما تنزلت به الشياطين بقوله هل أنبئكم على من تنزل قال فى الكشاف تقديره أعلى من تنزل ليكون الاستفهام فى صدر الكلام كقولك أعـلى زيد مررت قلت هذا تكلف بارد لان الاستفهام فى من ضمنى لا يصرح به قط والافاك الكثير الافك والاثيم مبالغة آثم وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح ومسـيلمة وأمثالهـما والضمير فى يلقون عائد الى الشياطين كانوا قبل الرجم بالشهب يختطفون بعض الغيوب من الملأ الاعـلى بالقاء السمع أى بالاصـغاء ثم يرجعون به الى أوليائهم وأكثرهم كاذبون لانهـم يخلطون الحق المسموع بكلامهم الباطل كما جاء فى الحـديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليـه فيزيدفيها أكثر مـن مائة كذبة والقسر الصبو وقيل السمع بمعنى المسموع أى يلقى الشياطين الى أوليائهم ما يسمعونه من الملائكة و يحتمل أن يكـون الضمير فى يلقون للافاكين والسمع الاذن أو المسموع أى يلقون السمع الى الشـياطين فيتلقون وحيهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وانما قيل وكلهم كاذبون لان الكذوب قد يصدق فيصدق عليه انه صادق فى الجملة لان هذه عبارة الفصحاء لا يحكمون حكما كليا ما لم تدع اليه ضرورة والحاصل انهـم كانوا يقيسون حال النبى صلى الله عليه وسلم على حال الكهنة فقيل لهم ان الاغلب على الكهنة الكذب ولم يظهر من أحوال محمد صلى الله عليه وسلم الا الصدق

مبين قال بعذر بين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب ابن منبه أو ليأتيني بسلطان مبين أي بحجة عذر له في غيبته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو ليأتيني بسلطان مبين يقول ببينة وهو قول الله الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان بغير بينة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو ليأتيني بسلطان مبين قال بعذر أعذره فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) يعني تعالى ذكره بقوله فمكث غير بعيد فمكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد حتى جاء الهدهد واختلف القراء في قراءة قوله فمكث فقرأت ذلك عامة قراء الامصار سوى عاصم فمكث بضم الكاف وقرأه عاصم بفتحها وكلتا القراءتين عندنا صواب لانهما لغتان مشهورتان وان كان الضم فيها أعجب الي لانها أشهر اللغتين وأفصحهما وقوله فقال أحطت بما لم تحط به يقول فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أحطت بما لم تحط به قال ما لم تعلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه فمكث غير بعيد ثم جاء الهدهد فقال له سليمان ما خلفك عن نوبتك قال أحطت بما لم تحط به وقوله وجئتك من سبأ بنبأ يقين يقول وجئتك من سبأ بخبر يقين وهو ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه وجئتك من سبأ بنبأ يقين أي أدركت ملكا لم يبلغه ملكك * واختلفت القراء في قراءة قوله من سبأ فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والكوفة من سبأ بالاجراء المعنى انه رجل اسمه سبأ وقرأه بعض قراء أهل مكة والبصرة من سبأ بترك الاجراء على انه اسم قبيلة أو لامرأة * والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فالاجراء في سبأ وغير الاجراء صواب لان سبأ ان كان رجلا كما جاء به الاثر فانه اذا أريد به اسم الرجل أجري وان أريد به اسم القبيلة لم يجر كما قال الشاعر في اجرائه

الواردون وتيم في ذرا سبأ * قد عض أعناقهم جلد الجواميس

يروى ذرا وذرى وقد حدثت عن الفراء عن الرؤاسي انه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجز سبأ قال لست أدري ما هو فكأن أبا عمرو ترك اجراءه اذ لم يدر ما هو كما تفعل العرب بالاسماء المجهولة التي لا تعرفها من ترك الاجراء حكي عن بعضهم هذا أبو معرور قد جاء فترك اجراءه اذ لم يعرفه في أسمائهم وان كان سبأ جبلا فاجرى لانه يراد به الجبل بعينه وان لم يجر فلانه يجعل اسما للجبل وما حوله من البقعة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) يقول تعالى مخبرا عن قيل الهدهد لسليمان مخبرا بعذره في مغيبه عنه اني وجدت امرأة تملكهم يعني تملك سبأ وانما صار هذا الخبر للهدهد عذرا أو حجة عند سليمان درأ به عنه ما كان أوعد به لان سليمان كان لا يرى ان في الارض أحدا له مملكة معه وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلا حبب اليه الجهاد والغزو فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الارض هو لغيره وقوم كفرة يعبدون غير الله له في جهادهم وغزوهم الاجر الجزيل والثواب العظيم في الاجل وضم

فكيف يكون كاهنا ثم بين ما يعرف منه ان النبي ليس بشاعر كما أنه ليس بكاهن فقال والشعراء يتبعهم الغاوون قيل أي الشياطين والاظهر انهم الذين يروون أشعارهم وكان شعراء قريش مثل عبد الله بن الزبعري وأمية بن أبي الصلت يهجون النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون أهاجيهم فنزلت ثم بين غوايتهم بقوله ألم تر انهم في كل واد يهيمون وهو تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول يمدحون انسانا معينا تارة ويذمونه أخرى غالين في كلا الطرفين مستعملين التخييل في كل ما يرومونه وذكر من قبائح خصالهم انهم يقولون عند الطلب والدعاوى مالا يفعلون ولعمري انها خصلة شنعاء تدل على الدناءة واللوم قالوا وما فعلوا وأين هم من معشر فعلوا وما قالوا وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعات
وبت أفض أغلاق الختام

فقال وجب عليك الحد وتلا الاية قال قد درأ الله عني الحد يا أمير المؤمنين ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين أغلب أحوالهم الذكر والفكر في مالا باس به من المواعظ والنصائح ومدح الحق وذويه ويكون هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم مثل عبد الله بن رواحة وحسان ابن ثابت وكعب بن زهير كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان اهجهم وروح القدس معك والحاصل ان النظر في الشعر الى المعنى لا على مجرد النظم والروي فان كان المعنى صحيحا مطابقا للحق والصدق فلا باس بادخاله في سلك النظم والقافية بل لعل النظم يروجه ويهيج الطبع على قبوله وهو الذي عناه صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وان كان المعنى فاسدا والغرض غير صحيح فهو الذي توجه الذم اليه والانتصار حد معلوم وهو أن لا يزيد على الجواب بقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فهو على البادي ما لم يعتد المظلوم ثم ختم السورة بآية جامعة للوعيد كله فقال وسيعلم الذين ظلموا خصصه بعضهم

من وجوه الانفلات وهو النجاة * التأويل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فيه اظهار القدرة من وجهين الاول جعل الاعجمى بحيث يقرأ العربي عليهم كقول القائل أمسيت كرديا وأصبحت عربيا والثاني ان أهل الانكار لا يصيرون أهل الاقرار ولو أتاهم مثل هذا الاعجاز البين وذلك لان الله كذلك يسلكه في قلوبهم فيأتيهم عذاب البعد والطرد في الدنيا بغتة وهم لا يشعرون لانهم نيام فاذا ماتوا انتبهوا فيقولون هل نحن منظرون وما ينبغي لهم وما يستطيعون لانهم خلقوا من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة قوة حمل النور القديم ولهذا تستغيث النار من نور المؤمن وتقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي فتكون من المعذبين لان كل من طلب مع الله شيأ آخر حتى الجنة فله عذاب البعد والحرمان من الله وأنذر عشيرتك فيه ان النسب نسب النفوس فان أكل المرء يشبعه ولا يشبع ولده الا اذا أكل الطعام كأكل والده وهذا معنى المتابعة انى برىء مما تعملون لم يقل انى برىء منكم لان المراد لا تبرأ منهم وقل لهم قولا جميلا بالنصح والموعظة الحسنة حتى يرجعوا ببركة دعوتك الى القول الحق أو ينالوا الجنة بواسطة شفاعتك وتقلبك في الساجدين بان خلق روح كل ساجد من روحك انه هو السميع في الازل مقالتك أنا سيد ولد آدم ولا فخر لان أرواحهم خلقت من روحك العليم باستحقاقك لهذه الكرامة الله تعالى حسبي *(سورة النمل مكية حروفها أربعة آلاف وسبعمائة وتسع وتسعون كلمها ألف ومائة وتسعة آياتها ثلاث وتسعون)* *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين

ثم ملكه لغيره الى ملكه حققت للهدهد المعذرة وصحت له الحجة في مغيبه عن سليمان وقوله وأوتيت من كل شئ يقول وأوتيت من كل شئ يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى عبيدة الباجى عن الحسن قوله وأوتيت من كل شئ يعنى من كل أمر الدنيا وقوله ولها عرش عظيم يقول ولها كرسى عظيم وعنى بالعظيم في هذا الموضع العظيم في قدره وعظم خطره لا عظمه في الكبر والسعة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله ولها عرش عظيم قال سرير كريم قال حسن الصنعة وعرشها سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ قال **حدثنى** حجاج عن أبى عبيدة الباجى عن الحسن قوله ولها عرش عظيم يعنى سرير عظيم وقوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله يقول وجدت هذه المرأة ملكة سبأ وقومها من سبأ يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله وقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم يقول وحسن لهم ابليس عبادتهم الشمس وسجودهم لها من دون الله وحببت ذلك اليهم فصدهم عن السبيل يقول فمنعهم بتزيينه ذلك لهم ان يتبعوا الطريق المستقيم وهو دين الله الذى بعث به أنبياءه ومعناه فصدهم عن الحق فهم لا يهتدون يقول فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه ولكنهم في ضلالهم الذى هم فيه يترددون

القول في تأويل قوله تعالى (ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) اختلفت القراء في قراءة قوله ألا يسجدوا لله فقرأ بعض المكيين وبعض المدنيين والكوفيين ألا بالتخفيف بمعنى ألا يا هؤلاء اسجدوا فاضمروا هؤلاء اكتفاء بدلالة يا عليها وذكر بعضهم سماعا من العرب ألا يا ارحمنا ألا يا تصدقا علينا واستشهد أيضا ببيت الاخطل

ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بدر * وان كان حيانا عدا آخر الدهر

فعلى هذه القراءة اسجدوا في هذا الموضع جزم ولا موضع لقوله ألا في الاعراب وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والبصرة ألا يسجدوا بتشديد الا بمعنى وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله ألا في موضع نصب لما ذكرت من معناه انه لئلا ويسجدوا في موضع نصب بان * والصواب من القول في ذلك انهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الامصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع صحة معنييهما * واختلف أهل العربية في وجه دخول يا في قراءة من قرأه على وجه الامر فقال بعض نحويى البصرة من قرأ ذلك كذلك فكانه جعله أمرا كانه قال لهم اسجدوا وزاد يا بينهما يا التى تكون للتنبيه ثم أذهب ألف الوصل التى في اسجدوا وأذهبت الالف التى في يا لانها ساكنة لقيت السين فصارت ألا يسجدوا وقال بعض نحويى الكوفة هذه يا التى تدخل للنداء يكتفى بها من الاسم ويكتفى بالاسم منها فتقول يا أقبل وزيد أقبل وما سقط من السواكن فعلى هذا ويعنى بقوله يخرج الخبء يخرج المخبوء في السموات والارض من غيث في السماء ونبات في الارض ونحو ذلك وبالذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت عباراتهم عنه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد يخرج الخبء في السموات قال الغيث **حدثنى**

محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يخرج الخبء قال الغيث حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذي يخرج الخبء في السموات والارض قال خبء السماء والارض ما جعل الله فيهما من الارزاق والمطر من السماء والنبات من الارض كانتا رتقا لا تمطر هذه ولا تنبت هذه ففتق السماء وأنزل منها المطر وأخرج النبات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن اسمعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر في قوله ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض يعلم كل خفية في السموات والارض حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسامة بن زيد عن معاذ بن عبد الله قال رأيت ابن عباس على بغلة يسأل تبيعا ابن امرأة كعب هل سألت كعبا عن البذر تنبت الارض العام لم يصب العام الآخر قال سمعت كعبا يقول البذر ينزل من السماء ويخرج من الارض قال صدقت قال أبو جعفر انما هو تبيع ولكن هكذا قال محمد وقيل يخرج الخبء في السموات والارض لان العرب تضع من مكان في وفي مكان من في الاستخراج ويعلم ما تخفون وما تعلنون يقول ويعلم السر من أمور خلقه هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها وذلك على قراءة من قرأ الا بالتشديد وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فان معناه ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم بالسجود بقوله الا يا هؤلاء اسجدوا وقد ذكر ان ذلك في قراءة أبي ألا تسجدون لله الذي يعلم سركم وما تعلنون وقوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم يقول تعالى ذكره الله الذي لا تصلح العبادة الا له لا اله الا هو لا معبود سواه تصلح له العبادة فاخلصوا له العبادة وأفردوه بالطاعة ولا تشركوا به شيأ رب العرش العظيم يعني بذلك مالك العرش العظيم الذي كل عرش وان عظم فدونه لا يشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أحطت بما لم تحط به الى قوله لا اله الا هو رب العرش العظيم هذا كله كلام الهدهد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بنحوه

القول في تأويل قوله تعالى (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) يقول تعالى ذكره قال سليمان للهدهد سننظر فيما اعتذرت به من العذر واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا وفيما جئتنا به من الخبر أصدقت في ذلك كله أم كنت من الكاذبين فيه اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون * فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم منصرفا الى فقال هو من المؤخر الذي معناه التقديم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فاجابه سليمان يعني أجاب الهدهد لما فرغ قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم وانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم منصرفا الى وقال وكانت لها كوة مستقبلة الشمس ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدها واستبطأت الشمس فقامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها من تحت جناحه وطار حتى قامت تنظر الشمس * قال أبو جعفر فهذا القول من قول ابن زيد يدل على أن الهدهد تولى الى سليمان راجعا بعد القائه الكتاب وان نظره الى المرأة

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) القراآت اني آنست بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بشهاب منونا على ان قبسا وهو بمعنى مقبوس بدل أو صفة عاصم وحمزة وعلي وخلف ورويس الباقون بالاضافة من في النار ممالة على غير ليث وأبي حمدون وحمدويه وحمزة وفي رواية ابن سعدان والنجاري عن ورش وأبو عمرو وغير ابراهيم بن حماد وكذلك في القصص * الوقوف أول ربع الجزء طس ه ومبين ه لا بناء على ان هدى حال والعامل معنى الاشارة في تلك أو هو مرفوع بدلا من الآيات أو خبرا بعد خبر وان كان التقدير هي هدى به فالوقف المؤمنين لا ه لان الذين صفتهم يوقنون ه يعمهون ه ط تنصيصا على ان أولئك مبتدأ مستأنف الاخسرون ه عليم ه نارا ط تصطلون ه حولها ط العالمين ه الحكيم ه لا لعطف الجملتين الداخلتين تحت النداء عصاك ط للعدول عن بيان حال الخطاب الى ذكر حال المخاطب مع حذف أي فالقاها فجنت ولم يعقب ط لابتداء النداء المرسلون لا ه لان الا ان كان بمعنى لكن فالاستدراك يوجب الوصل أيضا رحيم ه وقومه ط فاسقين ه مبين ج ه للآية والعطف وعلوا ط لاختلاف الجملتين وتعظيم الامر بالاعتبار بعد حذف أي فاقرغناهم

ماالذى ترجع وتفعل كان قبل القائه كتاب سليمان اليها * وقال آخرون بل معنى ذلك اذهب
بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فكن قريبا منهم وانظر ماذا يرجعون قالوا وفعل الهدهد وسمع
مراجعة المرأة أهل مملكتها وقولها لهم انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن
الرحيم ومابعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قوله فالقه اليهم ثم تول عنهم أى كن قريبا
فانظر ماذا يرجعون وهذا القول أشبه بتأويل الآية لان مراجعة المرأة قومها كانت بعد أن ألقى
اليها الكتاب ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أمر بان ينظر الى مراجعة القوم بينهم مايتراجعونه قبل
أن يفعل ماأمره به سليمان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالت ياأيها الملأ انى ألقى الى
كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين) يقول
تعالى ذكره فذهب الهدهد بكتاب سليمان اليها فالقاه اليها فلما قرأته قالت لقومها ياأيها الملأ
انى ألقى الى كتاب كريم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كتب
يعنى سليمان بن داود مع الهدهد بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن داود الى بلقيس بنت ذى
سرح وقومها أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين قال فاخذ الهدهد الكتاب برجله فانطلق به حتى
أتاها وكانت لها كوة فى بيتها اذا طلعت الشمس نظرت اليها فسجدت لها فاتى الهدهد الكوة
فسدها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم ثم ألقى الكتاب من الكوة فوقع عليها فى مكانها الذى
هى فيه فاخذته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال
بلغنى انها امرأة يقال لها بلقيس أحسبه قال ابنة شراحيل أحد أبويها من الجن مؤخر أحد قدميها
كحافر الدابة وكانت فى بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثنى عشر كل رجل منهم على عشرة
آلاف وكانت بارض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فلما جاء الهدهد بخبرها الى
سليمان بن داود كتب الكتاب وبعث به مع الهدهد فجاء الهدهد وقد غلقت الابواب وكانت تغلق
أبوابها وتضع مفاتيحها تحت رأسها فجاء الهدهد فدخل من كوة فالقى الصحيفة عليها فقرأتها فاذا
فيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين وكذلك كانت تكتب
الانبياء لا تطنب انما تكتب جملا قال حدثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لم يزد سليمان
على ماقص الله فى كتابه انه وانه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت
الضحاك يقول فى قوله اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم فمضى الهدهد بالكتاب حتى اذا حاذى بالملكة
وهى على عرشها ألقى اليها الكتاب وقوله قالت ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم والملأ أشراف
قومها يقول تعالى ذكره قالت ملكة سبأ لاشراف قومها ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم
واختلف أهل العلم فى سبب وصفها الكتاب بالكريم فقال بعضهم وصفته بذلك لانه كان مختوما
وقال آخرون وصفته بذلك لانه كان من ملك فوصفته بالكرم لكرم صاحبه وممن قال ذلك ابن زيد
حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى ألقى الى كتاب كريم قال هو كتاب
سليمان حيث كتب اليها وقوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كسرت ان الاولى والثانية

المفسدين * التفسير تلك الآيات التى تضمنتها هذه السورة آيات القرآن الذى علم انه منزل مبارك مصدق لما بين يديه وكتاب مبين فان
أريد به اللوح فآياته انه أثبت فيه كل كائن وان أريد به السورة أو القرآن فالغرض تفخيم شأنهما من قبل التنكير فآيتهما ان اعجازهما
ظاهر مكشوف وفيهما من العلوم والحكم مالا يخفى ولان الواو لا تفيد الترتيب فلا حكمة ظاهرة فى عكس
الترتيب بين ماههنا وبين مافى أول
الحجر ومعنى كون الآيات هدى
وبشرى انها تزيد فى ايمانهم
وتبشرهم بالثواب قال جار الله
يحتمل أن يكون قوله وبالآخرة هم
يوقنون من تتمة الموصول الا أن
الاوجه أن يكون جملة مستقلة
ابتدائية شبيهة بالمعترضة بدليل
تكرير المبتدأ الذى هو هم فكأنه
قيل وما يؤمن بالآخرة حق
الايقان الا هؤلاء الجامعون بين
الايمان والعمل الصالح لان
خوف العاقبة هو الذى يسهل
عليهم متاعب التكاليف وأقول
انه وصفهم بالايمان ليكون اشارة
الى معرفتهم المبدأ ثم وصفهم
باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهما
الطاعة بالنفس والمال وهذه
اشارة الى الوسط ثم وصفهم بمعرفة
المعاد فلا أحسن من هذا النسق
وفيه ان المهتدى بالقرآن حقيقة
هو الذى يكون موقنا باحوال
المعاد لا شاكا فيها آتيا بالطاعات
للاحتياط قائلا ان كنت مصيبا
فيها فقد نلت السعادة وان كنت
مخطئا فلم تفتنى الا لذات يسيرة
زائلة ثم أورد وعيد المنكرين للمعاد
واسناد تزيين الاعمال الى الله
ظاهر على قول الاشاعرة وأما
المعتزلة فتأولوه بوجوه منها انه
استعارة فكأنه لما متعهم بطول
العمر وسعة الرزق وجعلوا ذلك
التمتع ذريعة الى اتباع الشهوات
وايثار اللذات فقد زين لهم بذلك
أعمالهم ومنها انه مجاز حكمى وهو الذى يصححه بعض الملابسات ولا ريب ان امهال الشيطان وتخليته حتى
زين لهم أعمالهم كما قال وزين لهم الشيطان أعمالهم ملابسة ظاهرة للتزيين ومنها انه أراد زينا لهم أمر الدين ولا يلزمهم أن يتمسكوا به
وذلك بان بينا لهم حسنه ومالهم فيه من الثواب فهم يعمهون يعدلون و يتحيرون عما زينا لهم قاله الحسن لهم سوء العذاب أى القتل والاسر

على

كيوم بدر ثم مهد مقدمة لما سيذكر في السورة من الأخبار العجيبة فقال وانك لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند أي حكيم وأي عليم
واذ قال منصوب بعليم أو باذكر كأنه قيل خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى العجيبة الشأن والخبر خبر الطريق لانه كان قد ضله وفي قوله
سآتيكم مع قوله في طه والقصص لعلي آتيكم دليل على انه كان قوي الرجاء الا انه كان يجوز النقيض وعد أهله بانه يأتيهم

على الرد على انى من قوله انى ألقي الى كتاب كريم ومعنى الكلام قالت يا أيها الملأ انى ألقي الى كتاب من سليمان وانه وقوله أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين يقول ألقي الى كتاب كريم ألا تعلوا علي ففي ان وجهان من العربية ان جعلت بدلا من الكتاب كانت رفعا بما رفع به الكتاب بدلا منه وان جعل معنى الكلام انى ألقي الى كتاب كريم أن لا تعلوا علي كانت نصبا بتعلق الكتاب بها وعنى بقوله أن لا تعلوا علي أن لا تتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم اليه ان امتنعتم جاهدتكم فقلت لابن زيد أن لا تعلوا علي أن لا تتكبروا علي قال نعم قال وقال ابن زيد أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين ذلك في كتاب سليمان اليها وقوله وأتوني مسلمين يقول وأقبلوا الى مذعنين لله بالوحدانية والطاعة

❁ القول في تأويل قوله تعالى (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين) يقول تعالى ذكره قالت ملكة سبأ لأشراف قومها يا أيها الملأ أفتوني في أمري تقول أشيروا علي في أمري الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقي الي فجعلت المشورة فتيا وقوله ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون تقول ما كنت قاضية أمرا في ذلك حتى تشهدون فأشاوركم فيه كما

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد دعت قومها تشاورهم يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون يقال في الكلام ما كنت لأقطع أمرا دونك ولا كنت لأقضي أمرا فلذلك قالت ما كنت قاطعة أمرا بمعنى قاضية وقوله قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد يقول تعالى ذكره قال الملأ من قوم ملكة سبأ اذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان نحن ذو القوة على القتال والبأس الشديد في الحرب والامر أيتها الملكة اليك في القتال وفي تركه فانظري من الرأي ما ترين فانا نأتمر لامرك ✱ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عرضوا لها القتال يقاتلون لها والامر اليك بعد هذا فانظري ماذا تأمرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مجاهد قال كان مع ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيول مع كل قيول مائة ألف حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال كان مع بلقيس مائة ألف قيل مع كل قيل مائة ألف قال حدثنا وكيع قال ثنا الاعمش قال سمعت مجاهدا يقول كان تحت يد سبأ اثنا عشر ألف قيول والقيول بلسانهم الملك تحت يد كل ملك مائة ألف مقاتل ❁ القول في تأويل قوله تعالى (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) يقول تعالى ذكره قالت صاحبة سبأ للملأ من قومها اذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان ان أمرتهم بذلك ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وغلبة أفسدوها يقول خربوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وذلك باستعبادهم الاحرار واسترقاقهم اياهم وتناهى الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع فقال الله وكذلك يفعلون يقول تعالى ذكره وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك اذا دخلوا قرية عنوة ✱ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر في قوله وجعلوا أعزة أهلها أذلة قال أبو بكر هذا عنوة حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو بكر قال ثنا الاعمش عن مسلم عن ابن عباس في قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها

باحد الامرين وان أبطأ لبعد المسافة أو غيره قالوا في أو دليل على انه جزم بوجدان أحد الامرين ثقة بعناية الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده والاصطلاء بالنار الاستدفاء بها والاجتماع عليها وانما خصت هذه السورة بقوله فلما جاءها وقد قال في طه والقصص فلما أتاها نودي لانه كره لفظ آتيكم ههنا بخلاف السورتين فاحترز من تكرار ما يقاربه في الاشتقاق مرة أخرى وان مفسرة لان النداء فيه معنى القول لا مخففة من الثقيلة بدليل فقدان قد في فعلها قال جار الله معنى بورك من في النار ومن حولها بورك في مكان النار ومن حوله مكانها البقعة التي حصلت النار منها كما قال في القصص نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة وسبب البركة حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله اياه واظهار المعجزات عليه وقيل معنى بورك تبارك والنار بمعنى النور أي تبارك من في النار وهو الله سبحانه مروي عن ابن عباس وعن قتادة والزجاج ان من في النار هو نور الله ومن حولها الملائكة وقال الجبائي ناداه بكلام سمعه من الشجرة في البقعة المباركة وهي الشام فكانت الشجرة محلا للكلام والمتكلم هو الله بان خلقه فيها ثم ان الشجرة كانت في النار ومن حولها الملائكة وقيل من في النار هو موسى لقربه
منها ومن حولها الملائكة وفي الابتداء بهذا الخطاب عند مجيء موسى بشارة له بانه قد قضي أمر عظيم تنتشر منه البركة في أرض الشام وفي قوله وسبحان الله رب العالمين تنزيه له عما لا يليق بذاته من الحدوث والحلول ونحوهما مما هو من خواص المحدثات وتنبيه على ان الكائن من جلائل الامور والتي لا يقدر عليها الا رب العالمين والهاء في انه اما للشأن واما راجع الى ما دل عليه سياق الكلام أي ان المتكلم أنا وعلى هذا فالله مع

وصفيه بيان لا ثناه وفيه تلويح الى ما أراد اظهاره عليه يريد أنا القادر القوى على اظهار الخوارق الحكيم الذى لا يفعل جزافا ولا عبثا وقوله
وألق عصاك معطوف على بورك وكلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك وألق ومعنى لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد
الفر وانما اقتصر ههنا على قوله لا تخف ولم يضف اليه أقبل كما فى القصص لانه أراد أن يبنى عليه قوله انى لا يخاف لدى

قال اذا دخلوها عنوة خربوها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج
قال قال ابن عباس قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة قال ابن
عباس يقول الله وكذلك يفعلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وانى مرسلة اليهم بهدية
فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل
أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم
صاغرون) ذكر انها قالت انى مرسلة الى سليمان لتختبره بذلك وتعرفه به أملك هو أم نبى وقالت
ان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا أن نتبعه على دينه وان يكن ملكا قبل الهدية
وانصرف ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال
ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قالت وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون قال وبعثت
اليه بوصائف ووصفاء وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى فقالت أن زيل بينهم
حتى يعرف الذكر من الانثى ثم رد الهدية فانه نبى وينبغى لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به
حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وانى مرسلة اليهم بهدية قال جوار
لباسهم لباس الغلمان وغلمان لباسهم لباس الجوارى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثنى حجاج عن ابن جريج قال قولها وانى مرسلة اليهم بهدية قال مائتى غلام ومائتى جارية قال ابن
جريج قال مجاهد قوله هدية قال جوار ألبستهن لباس الغلمان وغلمان ألبستهم لباس الجوارى
قال ابن جريج قال قالت فان خلص الجوارى من الغلمان ورد الهدية فانه نبى وينبغى لنا أن نتبعه
قال ابن جريج قال مجاهد فخلص سليمان بعضهم من بعض ولم يقبل هديتها قال حدثنا الحسين
قال ثنا سفيان عن معمر عن ثابت البنانى قال أهدت له صفائح الذهب وأوعية الديباج فلما بلغ
ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فالقى فى الطرق فلما جاؤا فرأوه ملقى
ما يلتفت اليه صغر فى أعينهم ما جاؤا به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى
قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الآية وقالت ان هذا الرجل ان كان انما همته الدنيا
فسنرضيه وان كان انما يريد الدين فلن يقبل غيره وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع
المرسلون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه
قال كانت بلقيس امرأة لبيبة أديبة فى بيت ملك لم تملك الا لبقايا من مضى من أهلها انه قد سيست
وساست حتى أحكمها ذلك وكان دينها ودين قومها فيما ذكر الزنديقية فلما قرأت الكتاب سمعت
كتابا ليس من كتب الملوك التى كانت قبلها فبعثت الى المقاولة من أهل اليمن فقالت لهم يا أيها
الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى
مسلمين الى قوله بم يرجع المرسلون ثم قالت انه قد جاءنى كتاب لم يأتنى مثله من الملوك قبله فان يكن
الرجل نبيا مرسلا فلا طاقة لنا به ولا قوة وان يكن الرجل ملكا يكاثر فليس بأعز منا ولا أعد فهيأت
هدايا مما يهدى للملوك مما يفتنون به فقالت ان يكن ملكا فسيقبل الهدية ويرغب فى المال
وان يكن نبيا فليس له فى الدنيا حاجة وليس اياها يريد انما يريد أن ندخل معه فى دينه ونتبعه على
أمره أو كما قالت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك

المرسلون وسبب نفى الخوف عن
الرسل مشاهدة مزيد فضل الله
وعنايته فى حقهم ثم استثنى من ظلم
منهم بترك ما هو أولى به وقد مر
بحث عصمة الانبياء فى أول البقرة
وفى الآية لطائف واشارات منها
انه أشار بقوله انى لا يخاف لدى
المرسلون الى ان موسى قد جعل
رسولا ومنها انه أشار بقوله الا من
ظلم الى ما وجد من موسى فى حق
القبطى وبقوله ثم بدل حسنا بعد
سوء أى توبة بعد ذنب الى قول
موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر
لى وقرئ الا بحرف التنبيه ومنها
انه أشار بقوله ثم بدل معطوفا على
ظلم الى أن النبى المرسل بدل النية
ولم يصر على فعله والا كان هذا
العطف مقطوعا عن الكلام ضائعا
فانه اذا ظلم ولم يبدل كان خائفا
أيضا ومنها انه أشار بقوله فانى
غفور رحيم الى ان الخوف وان
لحق المستثنى الا انه منفى عنه أيضا
بسبب غفرانه ورحمته فنفى الخوف
ثابت على كل حال فهذا الاستثناء
قريب من تأكيد المدح بما يشبه
الذم كقوله

* هو البدر الا أنه البحر زاخر *

وكقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب

وهذه اللطائف مما سمح بها الخاطر
أوان الكتابة أرجو أن تكون
صوابا ان شاء العزيز قوله وأدخل
يدك وفى القصص أسلك يدك
موافقة لاضمم ولان المبالغة فى أدخل أكثر منها فى اسلك لان سلك لازم ومتعد وهنالك قال فذانك برهانان
وههنا قال فى تسع آيات وكان أبلغ فى العدد فناسب الابلغ فى اللفظ قال النحويون متعلق الجار محذوف مستأنف أى اذهب فى تسع آيات
أو المراد وأدخل يدك فى تسع أى فى جملتهن وعدادهن اذهب الى فرعون وتفسير التسع قد مر فى آخر سبحان وانما قال ههنا الى فرعون

يقول فى قوله وانى مرسلة اليهم بهدية بعثت بوصائف ووصفاء لباسهم لباس واحد فقالت ان زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الانثى ثم ردالهدية فهو نبى وينبغى لنا أن نتبعه وندخل فى دينه فزيل سليمان بين الغلمان والجوارى ورد الهدية فقال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان فى الهدايا التى بعثت بها وصائف ووصفاء يختلفون فى ثيابهم ليميز الغلمان من الجوارى قال فدعا بماء فجعل الجوارى يتوضأن من المرفق الى أسفل وجعل الغلمان يتوضؤن من المرفق الى فوق قال وكان أبى يحدثنا هذا الحديث حدثنا عبد الاعلى قال ثنا مروان بن معاوية قال ثنا اسمعيل عن أبى صالح وانى مرسلة اليهم بهدية قال أرسلت بلبنة من ذهب وقالت ان كان يريد الدنيا علمته وان كان يريد الآخرة علمت وقوله فناظرة بم يرجع المرسلون تقول فانظر بأى شئ من خبره وفعله فى هديتى التى أرسلها اليه ترجع رسلى أبقبول وانصراف عنا أم برد الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه وأسقطت الالف من ما فى قوله بم وأصله بما لان العرب اذا كانت ما بمعنى أى ثم وصلوها بحرف خافض اسقطوا الفها تفريقا بين الاستفهام وغيره كما قال جل ثناؤه عم يتساءلون وقالوا فيم كنتم وربما أثبتوا فيها الالف كما قال الشاعر

على ما قام يشتمنا لئيم * كخنزير تمرغ فى رماد

وقالت وانى مرسلة اليهم وانما أرسلت الى سليمان وحده على النحو الذى بينا فى قوله على خوف من فرعون وملائهم وقوله فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال * ان قال قائل وكيف قيل فلما جاء سليمان فجعل الخبر فى مجئ سليمان عن واحد وقد قال قبل ذلك فناظرة بم يرجع المرسلون فان كان الرسول كان واحدا فكيف قيل بم يرجع المرسلون وان كانوا جماعة فكيف قيل فلما جاء سليمان قيل هذا نظير ما قد بينا قبل من اظهار العرب الخبر فى أمر كان من واحد على وجه الخبر عن جماعة اذا لم يقصد الخبر عن شخص واحد بعينه يشار اليه بعينه فسمى فى الخبر وقد قيل ان الرسول الذى وجهته ملكة سبأ كان امرأ واحدا فلذلك قال فلما جاء سليمان يراد به فلما جاء الرسول سليمان واستدل قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك بقول سليمان للرسول ارجع اليهم وقد ذكر ان ذلك فى قراءة عبد الله فلما جاؤا سليمان على الجمع وذلك للفظ قوله بم يرجع المرسلون فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى وقوله قال أتمدوننى بمال يقول قال سليمان لما جاءه الرسول من قبل المرأة بهداياها أتمدوننى بمال واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء أهل المدينة أتمدوننى بنونين واثبات الياء وقرأه بعض الكوفيين مثل ذلك غير أنه حذف الياء من آخر ذلك وكسر النون الاخيرة وقرأه بعض قراء البصرة بنونين واثبات الياء فى الوصل وحذفها فى الوقف وقرأه بعض قراء الكوفة بتشديد النون واثبات الياء وكل هذه القراآت متقاربات وجميعها صواب لانها معروفة فى لغات العرب مشهورة فى منطقها وقوله فما آتانى الله خير مما آتاكم يقول فما آتانى الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل بل أنتم بهديتكم تفرحون يقول ما أفرح بهديتكم التى أهديتم الى بل أنتم تفرحون بالهدية التى تهدى اليكم لانكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها وليست الدنيا وأموالها من حاجتى لان الله تعالى ذكره قد مكننى منها وملكنى فيها ما لم يملك أحدا ارجع

أنهم أظهروا خلاف ما أبطنوا والاستيقان أبلغ من الايقان وقوله ظلما وعلوا أى كبرا ترفعا مفعول لاجلهما وقرئ مبصرة بفتح الميم نحو مبخلة قرأها على بن الحسين وقتادة والله أعلم * التأويل طاطلب الطالبين وسير سلامة قلوبهم من تعلقات غير الله تلك دلالات القرآن وشواهد أنواره وكتاب مبين فيه بيان كيفية السلوك ولذلك قال هدى وبشرى للمؤمنين بالوصول الى الله الذين يستقيمون فى المعارج لحقائق الصلوات ويؤتون الزكاة أموالهم وأحوالهم بالاضافة على المستحقين زينا لهم أعمالهم الدنيوية النفسانية فهم يعمهون لعمى قلوبهم عن رؤية الآخرة ونعيمها ولا يكون فى عالم الآخرة أعمى الا كان أصم وأبكم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم فحب الدنيا عميت عين القلب وصمت أذنه وصار أبكم عن العلم اللدنى والنطق به وهو سوء العذاب وهو الموجب لخسران الدارين مع خسران المولى وانما يكون خسران الدارين ممدوحا اذا ربح المولى وجد أبو زيد فى البادية قحفا مكتوبا عليه خسر الدنيا والآخرة فبكى وقبله وقال هذا رأس صوفى وحين أخبر عن مقامات المؤمنين ودركات الكافرين أخبر عن مقام النبى صلى الله عليه وسلم بقوله

وانك لتلقى القرآن لا من عند حبر بل من لدن حكيم بل من لدن حكيم تجلى لقلبك بحكمة القرآن عليم يعلم حيث يجعل رسالاته ثم ضرب مثالا لذلك وهو ان موسى القلب لما كشف له أنوار شواهد الحق فى ليلة الهوى وظلمة الطبيعة قال لاهله وهم النفس وصفاتها انى آنست نارا بوادى أيمن السر لعلكم تصطلون بتلك النار عن جمود الطبيعة فلما جاءها على

قـدمي الشوق وصـدق الطلب نودى من الشجرة الروحانيـة أن بورك من فى نار المحبة نارا نها الموقدة التى تطلع على الافئـدة ومن حولها كالفراش يريد أن يقع فيها وألق عن يدهمتك كل ماتعتمد عليـه سوى فضـل الله فانه جان فى الحقيقة ولى مدبرا هاربا الى الله ولم يعقب لم يرجـع الى غيره فلذلك نودى بلا تخف فان القـلوب الملهمة الموصـلة اليها الهدايا والتحف والالطاف لاتخاف سوى الله الامن ظلم نفسـه بالرجوع الى الغير وأدخل يدهمتك فى جيب (٦٠) قناعتك تخرج بيضاء نقيـة من لوث الدارين فى تسع آيات من أسباب هلاك النفس وصفاتها فانظر كيف كان عاقبة الذين أفسدوا الاستعداد الفطرى والله أعلم (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضـلنا عـلى كثـير من عباده المؤمنـين وورث سليمان داود وقال ياأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسـليمان جنـوده من الجن والانس والطير فهـم يوزعون حتى اذا أتوا عـلى واد النمل قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنـوده وهـم لايشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت عـلى وعـلى والدى وأن أعمـل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتـك فى عبادك الصالحـين وتفقد الطير فقال مالى لاأرى الهدهـد أم كان من الغائبـين لاعذبنـه عذابا شـديدا أولاذبحنـه أوليأتينى بسلطان مبين فمكث غير بعيـد فقال أحطت بمالم تحط به وجئتك من سـبأ بنبأ يقين انى وجـدت امرأة تملكهـم وأوتيت من كل شئ ولها عـرش عظيم وجـدتها وقومها يسجدون للشمس مـن دون الله وزين لهم الشـيطان أعمـالهم فصدهـم عن السبيل فهـم لايهتـدون ألايسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ماتخفون وماتعلنون الله لااله الاهو رب العرش العظيم قال سننظر أصـدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلـوا على وأتونى مسلمين قالت ياأيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شـديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة

فقد

اليهم وهذا قول سليمان لرسول المرأة ارجـع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها لاطاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما أتت الهدايا سليمان فيها الوصائف والوصفان والخيل العراب وأصناف من أصناف الدنيا قال للرسل الذين جاؤا به أتمدوننى بمال لما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لانه لاحاجة لى بهديتكم وليس رأيى فيه كرأيكم فارجعوا اليها بما جئتم به من عندها فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها حدثنا عمرو بن عبد الحميـد قال ثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها قال لاطاقة لهم بها وقوله ولنخرجنهـم منها أذلة وهـم صاغرون يقول ولنخرجن من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون ان لم يأتونى مسلمين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميـد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العـلم عن وهب بن منبه ولنخرجنهم منها أذلة وهـم صاغرون أو لتأتينى مسلمة هى وقومها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال ياأيها المـلأ أيكم يأتينى بعرشها قبـل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبـل أن تقوم من مقامك وانى عليـه لقوى أمـين قال الذى عنده عـلم من الـكتاب أنا آتيك به قبـل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنـده قال هـذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسـه ومن كفر فان ربى غنى كريم) اختلف أهـل العـلم فى الحين الذى قال فيـه سليمـان ياأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها فقال بعضـهم قال ذلك حين أتاه الهـدهد بنبأ صاحبة سـبأ وقال له جئتك من سـبأ بنبأ يقين وأخـبره ان لها عرشا عظيما فقال له سليمان صـلى الله عليه وسـلم سننظر أصدقت أم كنت من الـكاذبين فكان اختباره صـدقه من كذبه بان قال لهؤلاء أيكم يأتينى بعرش هـذه المرأة قبـل أن يأتونى مسلمين وقالوا انما كتب سليمـان الـكتاب مع الهدهد الى المرأة بعدما صح عنده صـدق الهدهد بمجىء العالم بعرشها اليـه على ماوصـفه به الهدهـد قالوا ولولا ذلك كان محالا أن يكتب معـه كتابا الى من لايدرى هـل هو فى الدنيا أم لا قالوا وأخرى انه لو كان كتب مع الهدهـد كتابا الى المرأة قبل مجىء عرشها اليه وقبـل علمه صـدق الهدهد بذلك لم يكن لقوله له سننظر أصـدقت أم كنت من الـكاذبين معـنى لانه لايعـلم بخـبره الثانى من ابلاغه اياها الـكتاب أو ترك ابلاغـه اياها ذلك الانحو الذى عـلم بخبره الاول حين قال له جئتك من سـبأ بنبأ يقين قالوا وان لم يكن فى الـكتاب معه امتحان صـدقه من كذبه وكان محالا أن يقول نبى الله قولا لامعـنى له وقـد قال له سننظر أصـدقت أم كنت من الـكاذبين علم ان الذى امتحن به صدق الهدهد من كذبه هو مصـير عرش المرأة اليـه عـلى ما أخبره به الهدهد الشاهد على صـدقه ثم كان الـكتاب معـه بعـد ذلك اليها ذكر من قال ذلك حدثنى محمـد بن سـعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـه عن ابن عباس قال ان سليمـان أوتى ملكا وكان لايعـلم ان أحـدا أوتى ملكا غـيره فلما

وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما (٩١) يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)

فقد الهدهد سأله من أين جئت ووعده وعيدا شديدا بالقتل والعذاب قال جئتك من سبأ بنبأ يقين قال له سليمان ما هذا النبأ قال الهدهد انى وجدت امرأة بسبأ تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم فلما أخبر الهدهد سليمان انه وجد سلطانا أنكر أن يكون لاحد فى الارض سلطان غيره فقال لمن عنده من الجن والانس يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال سليمان أريد أعجل من ذلك قال الذى عنده علم من الكتاب وهو رجل من الانس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الاكبر الذى اذا دعى به أجاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فدعا بالاسم وهو عنده قائم فاحتمل العرش احتمالا حتى وضع بين يدى سليمان والله صنع ذلك فلما أتى سليمان بالعرش وهم مشركون يسجدون للشمس والقمر أخبره الهدهد بذلك فكتب معه كتابا ثم بعثه اليهم حتى اذا جاء الهدهد الملكة ألقى اليها الكتاب قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم الى وأتونى مسلمين فقالت لقومها ما قالت وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون قال وبعثت اليه بوصائف ووصفاء وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى فقالت ان زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الانثى ثم رد الهدية فانه نبى وينبغى لنا ان نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به فرد سليمان الهدية وزيل بينهم فقال هؤلاء غلمان وهؤلاء جوارى وقال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون الى آخر الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله انى وجدت امرأة تملكهم الآية قال وأنكر سليمان أن يكون لاحد على الارض سلطان غيره قال لمن حوله من الجن والانس أيكم يأتينى بعرشها الآية * وقال آخرون بل انما اختبر صدق الهدهد سليمان بالكتاب وانما سأل من عنده احضاره عرش المرأة بعد ما خرجت رسلها من عنده وبعد أن أقبلت المرأة اليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما رجعت اليها الرسل بما قال سليمان قالت قد والله عرفت ما هذا بملك وما لنا به طاقة وما نصنع بمكاثرته شيأ وبعثت انى قادمة عليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم أمرت بسرير ملكها الذى كانت تجلس عليه وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعل فى سبعة أبيات بعضها فى بعض ثم أقفلت عليه الابواب وكانت انما يخدمها النساء معها ستمائة امرأة تخدمها ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وبسرير ملكى فلا يخلص اليه أحد من عباد الله ولا يرينه حتى آتيك ثم شخصت الى سليمان فى اثنى عشر ألف قيل معها من ملوك اليمن تحت يد كل قيل منهم ألوف كثيرة فجعل سليمان يبعث الجن فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة حتى اذا دنت جمع من عنده من الجن والانس ممن تحت يده فقال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين وتأويل الكلام قال سليمان لاشراف

القراآت وادى النمل ممله عباس وقتيبة وقرأ يعقوب وعلى والسرنديبى عن قنبل بالياء فى الوقف لا يحطمنكم بالنون الخفيفة عباس ورويس أوزعنى بفتح الياء ابن كثير وكذلك فى الاحقاف مالى لا بفتح ياء المتكلم ابن كثير وعلى وعاصم ليأتينى بنون الوقاية بعد الثقيلة ابن كثير فمكث بفتح الكاف عاصم وسهل ويعقوب غير رويس الآخرون بضمها من سبأ بفتح الهمزة لامتناع الصرف البزى وأبو عمرو وعن قنبل بهمزة ساكنة وفى رواية أخرى عنه وعن ابن فليح وزمعة بغير همز الباقون بهمزة منونة مكسورة وكذلك فى سورة سبأ ألا يسجدوا مخففا يزيد وعلى ورويس الآخرون بالتشديد وقال ابن مجاهد اذا وقفوا على الا وقفوا على ألا يا والابتداء اسجدوا تخفون وتعلنون بتاء الخطاب فيهما على وحفص والباقون على الغيبة فالقه بسكون الهاء حمزة وعاصم غير المفضل وأبو عمرو وغير عباس وقرأ باختلاس حركة الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو من طريق الهاشمى عن اليزيدى الباقون بالاشباع انى ألقى بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع أتمدوننى بالياء فى الحالين ابن كثير وسهل وافق به أبو جعفر ونافع وأبو عمرو فى الوصل أتمدونى بتشديد النون وبالياء فى الحالين حمزة ويعقوب الآخرون باظهار النونين

وحذف الياء آتانى الله بفتح الياء أبوجعفر ونافع وأبوعمرو وابن فليح وحفص فن فتح الياء فالوقف بالياء لاغير ومن حذف الياء فانه يقف بغير الياء الاسهلا ويعقوب فانهما يقفان بالياء وقرأ على آتانى الله بالامالة أنا آتيك بالامالة وكذلك مابعده حمزة فى رواية خلف وابن سعدان والعجلى وأبى عمرو وخلاد لنفسه فلما رأته بكسر الراء نصير ليبلونى بفتح الياء أبوجعفر ونافع ساقيها وبابه بالهمز ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل والاحسن تركها قال فى الكشاف (٩٢) من همز فوجهه انه سمع سؤوقا فاجرى عليه الواحد * الوقوف علما

ج للعدول عن بيان ايتاء الفضل ابتداء الى ذكر قول المنعم عليهما شكرا ووفاء المؤمنين ० شئ ط المبين ० يوزعون ० النمل لا لان مابعده جواب اذا مساكنكم ج لانقطاع النظم لنهى الغائب مع اتحاد القائل وجنوده لا لان الواو للحال لايشعرون ० الصالحين ० الهدهد ز على معنى بل أكان من الغائبين على معنى التهديد والاصح ان أم متصل بمعنى الاستفهام فى مالى أى أمالا أراه أو هو غائب الغائبين ० مبين ० يقين ० عظيم ० لايهتدون ० لا ومن خفف الا وقف مطلقا يعلنون ० العظيم ० سجدة الكاذبين ० يرجعون ० كريم ० الرحيم ० لا لتعلق ان مسلمين ० أمرى ج لانقطاع النظم مع اتحاد القائل تشهدون ० تأمرين ० أذلة ج لان قوله وكذلك يحتمل أن يكون من تتمة قولها أوهو تصديق من الله لما قالت يفعلون ० المرسلون ० بمال ز لانتهاء الاستفهام مع فاء التعقيب وبيان الاستغناء على التعجيل آتاكم ج لاختلاف الجملتين على أن بل ترجح جانب الوقف تفرحون ० صاغرون ० مسلمين ० مقامك ج للابتداء بان مع اتحاد القائل أمين ० طرفك ط للعدول أم أكفر ० لنفسه ج كريم ० لايهتدون ० عرشك ط هو ج لاحتمال أن يكون مابعده من كلامها أو من كلام سليمان مسلمين ० من دون الله ط كافرين ० الصرح ج ساقيها ط قوارير ० العالمين ० * التفسير لما فرغ من قصة موسى شرع فى قصة ثانية وهى قصة داود وابنه سليمان والتنوين فى علما للنوع أى طائفة من العلم أو للتعظيم أى علما

من حضره من جنده من الجن والانس يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها يعنى سريرها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أيكم يأتينى بعرشها قال سرير فى أريكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال عرشها سرير فى أريكة قال ابن جريج سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أيكم يأتينى بعرشها بسريرها وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أيكم يأتينى بعرشها قال مجلسها * واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله خص سليمان مسألة الملأ من جنده احضار عرش هذه المرأة من بين املاكها قبل اسلامها فقال بعضهم انما فعل ذلك لانه أعجبه حين وصفه له الهدهد صفته وخشى ان تسلم فيحرم عليه مالها فاراد ان يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال أخبر سليمان الهدهد انها قد خرجت لتأتيه وأخبر بعرشها فاعجبه كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ فعرف انهم ان جاؤه مسلمين لم تحل له أموالهم فقال للجن أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين * وقال آخرون بل فعل ذلك سليمان ليعاتبها به ويختبر به عقلها هل تثبته اذا رأته أم تنكره ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أعلم الله سليمان انها ستأتيه فقال أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين حتى يعاتبها وكانت الملوك يتعاتبون بالعلم * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله قبل أن يأتونى مسلمين فقال بعضهم معناه قبل أن يأتونى مستسلمين طوعا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قبل أن يأتونى مسلمين يقول طائعين * وقال آخرون بل معنى ذلك قبل أن يأتونى مسلمين الاسلام الذى هو دين الله ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين بحرمة الاسلام فيمنعهم وأموالهم يعنى الاسلام يمنعهم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب فى السبب الذى من أجله خص سليمان بسؤاله الملأ من جنده باحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا ليجعل ذلك حجة عليها فى نبوته ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه انها خلفته فى بيت فى جوف أبيات بعضها فى جوف بعض مغلق مقفل عليها فاخرجه الله من ذلك كله بغير فتح أغلاق وأقفال حتى أوصله الى وليه من خلقه وسلمه اليه فكان لها فى ذلك أعظم حجة على حقيقة مادعاها اليه سليمان وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته فاما الذى هو أولى التأويلين فى قوله قبل أن يأتونى مسلمين بتأويله فقول ابن عباس الذى ذكرناه قبل من ان معناه طائعين لان المرأة لم تأت سليمان اذ أتته مسلمة وانما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومسألة وقوله

قال

غرّرًا قال علماء المعاني الواو في وقالا للعطف على محذوف لأن هذا مقام الفاء كقولك أعطيته فشكر فالتقدير ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة والفضيلة فيه وقالا الحمد لله وبيانه ان الشكر باللسان انما يحسن اذا كان مسبوقا بعمل القلب وهو العزم على فعل الطاعة وترك المعصية وبعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات فكأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به قلبا وقالبا وقالا باللسان الحمد لله قلت لقائل أن يقول الاصل عدم الاضمار وقوله هذا مقام الفاء ممنوع وانما يكون كذلك اذا أريد التعقيب

قال عفريت من الجن يقول تعالى ذكره قال رئيس من الجن مارد قوي والعرب فيه لغتان عفريت وعفرية فمن قال عفرية جمعه عفاري ومن قال عفريت جمعه عفاريت * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قال عفريت من الجن قال مارد من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وغيره مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن بعض أصحابه قال عفريت قال داهية قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي قال العفريت الذي ذكره الله اسمه كودن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم قال عفريت اسمه كودن وقوله أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يقول أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقعدك هذا وكان فيما ذكر قاعدا للقضاء بين الناس فقال أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم بين الناس وذكر انه كان يقعد الى انتصاف النهار * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله قال حدثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وغيره مثله قال وكان يقضي قال قبل أن تقوم من مجلسك الذي تقضي فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يعني مجلسه وقوله واني عليه لقوي أمين على ما فيه من الجواهر ولا أخون فيه وقد قيل أمين على فرج المرأة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله واني عليه لقوي أمين يقول قوي على حمله أمين على فرج هذه قوله قال الذي عنده علم من الكتاب يقول جل ثناؤه قال الذي عنده علم من كتاب الله وكان رجلا فيما ذكر من بني آدم فقال بعضهم اسمه بليخا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عثمة قال ثنا شعبة عن بشر عن قتادة في قوله قال الذي عنده علم من الكتاب قال كان اسمه بليخا حدثنا يحيى بن داود الواسطي قال ثنا أبو اسامة عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله الذي عنده علم من الكتاب رجل من الانس حدثنا ابن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية الفزاري عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد في قول الله قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قال أنا أنظر في كتاب ربي ثم آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش تحت الارض حتى خرج اليهم حدثنا ابن عرفة قال ثني حماد بن محمد عن عثمان بن مطر عن الزهري قال دعا الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها قال فمثل بين يديه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال الذي

والتسبيب فان كان المراد مجرد الاخبار عما فعل بهما وعما فعلا فالواو كقولك أعطيته وشكر وقوله على كثير من عباده يجوز أن يكون واردا على سبيل التواضع وان كانا مفضلين على جميع أهل زمانهما ويجوز أن يكون واردا على الحقيقة بالنسبة الى زمانهما أو بالنسبة الى سائر الازمنة وهذا أظهر وانما وصف العباد بالمؤمنين لئلا يظن ان سبب الفضيلة هو مجرد الايمان ولكن ما زيد عليه من الاستغراق في بحر العبودية والعرفان وفي الآية دليل على شرف العلم وان العالم يجب أن يتلقى علمه بشكر الله تعالى قلبا وقالبا وما التوفيق الا منه قوله وورث سليمان داود عن الحسن انه المال لان النبوة عطية مبتدأة وزيف بان المال أيضا عطية مبتدأة ولذلك يرث الولد اذا كان مؤمنا ولا يرث اذا كان كافرا أو قاتلا وما المانع من أن يوصف بانه ورث النبوة لما قام بها عند موته كما يرث الولد المال اذا قام به عند موته والظاهر انه أراد وراثة النبوة والملك معا دليله قوله تشهيرا لنعمة الله ودعاء للناس الى تصديق المعجزة يا أيها الناس علمنا منطق الطير والمنطق يشمل كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف مفيدا أو غير مفيد ومنه

قولهم نطقت الحمامة قال المفسرون انه تعالى جعل الطير في أيامه مما له عقل وليس كذلك حال الطيور في أيامنا وان كان فيها ما ألهمه الله تعالى الدقائق التي خصت بالحاجة اليها يحكى انه مر على بلبل في شجرة فقال لاصحابه انه يقول اني أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا أي التراب وصاحت فاختة فأخبر انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال كما تدين تدان وأخبر ان الهدهد يقول استغفروا الله يا مذنبون والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه والرخمة تقول سبحان ربي الاعلى مل ء سمائه وأرضه والقمري يقول سبحان ربي الاعلى

عنده علم من الكتاب قال رجل من بنى آدم أحسبه قال من بنى اسرائيل كان يعلم اسم الله الذى اذا دعى به أجاب **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الذى عنده علم من الكتاب قال الاسم الذى اذا دعى به أجاب وهو ياذا الجلال والاكرام **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول قال سليمان لمن حوله أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين فقال عفريت أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك قال سليمان أريد أعجل من ذلك فقال رجل من الانس عنده علم من الكتاب يعنى اسم الله اذا دعى به أجاب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين لا آتيك بغيره أقول غيره أمثله لك قال وخرج يومئذ رجل عابد فى جزيرة من البحر فلما سمع العفريت قال أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال ثم دعا باسم من أسماء الله فاذا هو يحمل بين عينيه وقرأ فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى حتى بلغ ان ربى غنى كريم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال رجل من الانس قال وقال مجاهد الذى عنده علم من الكتاب علم اسم الله * وقال آخرون الذى عنده علم من الكتاب كان آصف ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال عفريت لسليمان أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين فزعموا ان سليمان بن داود قال أبتغى أعجل من هذا فقال آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم الاسم الاعظم الذى اذا دعى الله به أجاب واذا سئل به أعطى أنا يا نبى الله آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وقوله أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه أنا آتيك به قبل أن يصل اليك من كان منك على مد البصر ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى ابراهيم قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير قبل أن يرتد اليك طرفك قال من قبل أن يرجع اليك أقصى من ترى فذلك قوله من قبل أن يرتد اليك طرفك قال **حدثنا** الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال غير قتادة قبل أن يرتد اليك طرفك قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر * وقال آخرون بل معنى ذلك من قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قبل أن يرتد اليك طرفك تمد عينيك فلا ينتهى طرفك الى مداه حتى أمثله بين يديك قال ذلك أريد **حدثنا** أبو كريب قال ثنا غنام عن اسمعيل عن سعيد بن جبير قال أخبرت انه قال ارفع طرفك من حيث يجىء فلم يرجع اليه طرفه حتى وضع العرش بين يديه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن عطاء عن مجاهد فى قوله قبل أن يرتد اليك طرفك قال مد بصره **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث

قال

والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس انس ومعنى من كل شئ بعض كل شئ وقال فى الكشاف أراد كثرة ما أوتى كما تقول فلان يقصده كل أحد تريد كثرة قاصديه وانما قال علمنا وأوتينا لانه أراد نفسه وأباه ويجوز أن يريد نفسه فقط لا على طريق التكبر بل على عادة الملوك يعظمون أنفسهم لمصلحة التهييب وقوله ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والتحدث بالنعم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى أقول هذا شكرا لا فخرا روى أن معسكره كان مائة فرسخ فى مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن ومثله للانس ومثله للطير ومثله للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فتقعد الانبياء عليهم السلام على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر وانه كان يقول مع ذلك لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتى آل داود ومعنى يوزعون يحبسون قيل كانوا يمنعون من يتقدم من عسكره ليكون مسيره مع جنوده على ترتيب ومنه يعلم انه كان فى كل قبيل منها وازع يكون له تسلط على الباقين يكفهم ويصرفهم ومعنى أتوا على وادى النمل قطعوه وبلغوا آخره من قولهم أتى على الشئ اذا أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادى ويجوز أن يقصدوا اتيانهم من فوق لان الريح كانت تحملهم فى الهواء فلذلك عدى بعلى عن قتادة انه دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فافحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى لقوله تعالى قالت نملة ولو كان ذكرا لم تجز التاء لان النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والانثى فلابد من التمييز بالعلامة وحين عبر عن تفاهم النمل بلفظ التقاول جعل خطابهم خطاب

أولى العقل فحكى أنها قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم أما جواب الامر وأما نهى بدلا من الامر أى لا تكونوا بحيث يحطمكم أى يكسركم سليمان وجنوده على طريقة لا أرينك ههنا وفى قوله سليمان وجنوده دون أن يقول جنود سليمان مبالغة أخرى كما تقول أعجبنى زيد وكرمه وفى الآية دلالة على ان من يسير فى الطريق لا يلزمه التحرز وانما يلزم من فى الطريق التحرز وفى قولها وهم لا يشعرون تنبيه على وجود الجزم بعصمة الانبياء كأنها عرفت أن النبي لعصمته لا يقع منه قتل (٦٥) هذه الحيوانات الا على سبيل السهو وعن بعضهم انها خافت على قومها أن يقعوا فى كفران نعمة الله تعالى اذا رأوا جلالة سليمان وهذا معنى الحطم فلذلك أمرتهم بدخول المساكن وفيه تنبيه على أن مجالسة أرباب الدنيا محذورة قيل سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال فتبسم ضاحكا أى شارعا فى الضحك آخذا فيه ولكن لم يبلغ حد القهقهة وكان الضحك وما روى أنه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فعلى وجه المبالغة فى الضحك النبوى وانما أضحكه من قولها شفقتها على قومها وسروره بما آتاه الله من ادراك الهمس واشتهاره بالتحرز والتقوى ولذلك مال الى الدعاء قائلا رب أوزعنى قال جار الله حقيقته اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى وأربطه لا ينفلت عنى فلا أزال شاكرا لك وانما أدرج ذكر الوالدين لان النعمة على الولد نعمة عليهما وبالعكس ثم طلب أن يضيف لواحق نعمه الى سوابقها ولا سيما النعم الدينية فقال وأن أعمل صالحا ترضاه ثم دعا أن يجعله فى الآخرة من زمرة الصالحين لان ذلك غاية كل مقصود روى ان النملة أحست بصوت الجنود ولم تعلم أنهم فى الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قبل أن يرتد اليك طرفك قال اذا مد البصر حتى يرد الطرف خاسئا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قبل أن يرتد اليك طرفك قال اذا مد البصر حتى يحسر الطرف * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال قبل أن يرجع اليك طرفك من أقصى أثره وذلك ان معنى قوله يرتد اليك يرجع اليك البصر اذا فتحت العين غير راجع بل انما يمتد ماضيا الى ان يتناهى ما امتد نوره فاذا كان ذلك كذلك وكان الله انما أخبر نا عن قائل ذلك أنا آتيك به قبل أن يرتد لم يكن لنا ان نقول انه قال أنا آتيك به قبل أن يرتد راجعا اليك طرفك من عند منتهاه وقوله فلما رآه مستقرا عنده يقول فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقرا عنده وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ما ظهر عما ترك وهو فدعا الله فاتى به فلما رآه سليمان مستقرا عنده وذكر ان العالم دعا الله فغار العرش فى المكان الذى كان به ثم نبع من تحت الارض بين يدى سليمان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال ذكروا ان آصف بن برخيا توضأ ثم ركع ركعتين ثم قال يا نبي الله امدد عينك حتى ينتهى طرفك فمد سليمان عينه ينظر اليه نحو اليمن ودعا آصف فانخرق بالعرش مكانه الذى هو فيه ثم نبع بين يدى سليمان فلما رآه سليمان مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نبع عرشها من تحت الارض وقوله قال هذا من فضل ربى ليبلونى يقول هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذى أنا فيه حتى حمل الى عرش هذه فى قدر ارتداد الطرف من مأرب الى الشام من فضل ربى الذى أفضله على وعطائه الذى جاد به على ليبلونى يقول ليختبرنى ويمتحننى أأشكر ذلك من فعله على أم أكفر نعمته على بترك الشكر له وقد قيل ان معناه أأشكر على عرش هذه المرأة اذ أتيت به أم أكفر اذ رأيت من هو دونى فى الدنيا أعلم منى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر على السرير اذ أتيت به أم أكفر اذ رأيت من هو دونى فى الدنيا أعلم منى وقوله ومن شكر فانما يشكر لنفسه يقول ومن شكر نعمة الله عليه وفضله عليه فانما يشكر طلب نفع نفسه لانه ليس ينفع بذلك غير نفسه لانه لا حاجة لله الى أحد من خلقه وانما دعاهم الى شكره تعريضا منه لهم للنفع لا لاجتلاب منه بشكرهم اياه نفعا الى نفسه ولا دفع ضر عنها ومن كفر فان ربى غنى كريم يقول ومن كفر نعمه واحسانه اليه وفضله عليه لنفسه ظلم وحظها بخس والله غنى عن شكره لا حاجة به اليه لا يضره كفر من كفر به من خلقه كريم ومن كرمه افضاله على من يكفر نعمه ويجعلها وصلة يتوصل بها الى معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون) يقول تعالى ذكره قال سليمان لما أتى

القصة الثالثة قصة بلقيس وما جرى بينها وبين سليمان وذلك بدلالة الهدهد روى ان سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج مع حشمه فاتى الحرم ومكث به أياما يقرب كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا أعجبته بهجتها الا انهم لم يجدوا الماء فطلب الهدهد لانه يرى الماء من تحت الارض وعن وهب انه أخل بالنوبة التى كانت تنوبه فلذلك تفقده وقيل انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان

عرش بلقيس صاحبة سبأ وقدمت هي عليه لجنده غيروا لهذه المرأة سريرها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله نكروا لها عرشها قال غيروا حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس فلما أتته قال نكروا لها عرشها قال وتنكير العرش انه زيد فيه ونقص حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله نكروا لها عرشها قال غيروه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله نكروا لها عرشها قال مجلسها الذي تجلس فيه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله نكروا لها عرشها أمرهم أن يزيدوا فيه وينقصوا منه وقوله ننظر أتهتدي يقول ننظر أتعقل فتثبت عرشها انه هو الذي لها أم تكون من الذين لا يهتدون يقول من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها وقيل ان سليمان انما نكر لها عرشها وأمر بالصرح يعمل لها من أجل ان الشياطين كانوا أخبروه انه لا عقل لها وان رجلها كحافر حمار فاراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك * وبنحو الذي قلنا في تاويل قوله أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون قال زيد في عرشها ونقص منه لينظر الى عقلها فوجدت ثابتة العقل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ننظر أتهتدي أتعرفه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنى ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ننظر أتهتدي قال تعرفه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون أي أتعقل أم تكون من الذين لا يعقلون ففعل ذلك لينظر أتعرفه أم لا تعرفه

القول في تاويل قوله تعالى (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) يقول تعالى ذكره لما جاءت صاحبة سبأ سليمان أخرج لها عرشها فقال لها أهكذا عرشك فقالت وشبهته به كأنه هو * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما انتهت الى سليمان وكلمته أخرج لها عرشها ثم قال أهكذا عرشك قالت كأنه هو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو قال شبهته وكانت قد تركته خلفها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان أبي يحدثنا هذا الحديث كله يعني حديث سليمان وهذه المرأة فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو شك

فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فاقسم عليها بالله لتتركنه فتركته وقالت ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال أو ليأتيني بسلطان مبين أي بعذر واضح فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه أخذ سليمان برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك (٦٦) بين يدي الله عز وجل فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله عما لقي في غيبته وفي تفقد الهدهد اشارة الى ان الملوك يجب عليهم التيقظ وعدم الغفلة عن أصغر رعيتهم وأرجع الى التفسير قوله مالي لا أرى استبعاد منه أنه لا يراه وهو حاضر في الجند كأن ساترا ستره ثم لاح له انه غائب فقال أم كان من الغائبين وقد مر في الوقوف قوله لأعذبنه لا شك أن تعذيبه انما يكون بما يحتمله حاله فقيل أراد أن ينتف ريشه ويشمسه وكان هذا عذابه للطير وقيل كان يطلي بالقطران ويشمس وقيل هو أن يلقيه للنمل لتأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل أراد لالزمنه صحبة الاضداد كما قيل أضيق السجون مجالسة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة أقرانه ولعل تعذيب الهدهد وذبحه في عصره جائز لمصلحة السياسة كما أباح لنا ذبح كل ما كول لحمه لمصلحة التغذي وحاصل القسم يرجع الى قوله ليكونن أحد هذه الامور الثلاثة التعذيب أو الذبح أو الاتيان بعذر بين وحجة واضحة ويحتمل أن يكون قد عرف اتيانه بالعذر بطريق الوحي فلذلك أدرجه في سلك ما هو قادر على فعله فاقسم عليه ثم أخبر الله سبحانه انه اتى بسلطان مبين وذلك قوله فمكث غير بعيد أي غير زمان بعيد فقال مخاطبا لسليمان أحطت بما لم تحط به قالوا فيه ابطال قول من زعم ان امام الزمان لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه وفيه دليل على شرف العلم وان صاحبه له أن يكافح به من هو أعلى حالا منه والاحاطة بالشيء علما هو أن يعلمه من جميع جهاته وقوله من سبأ بنبأ من جملة صنائع البديع على ان النبأ خبر له شأن فذكره في هذا الموضع دون أن يقول من سبأ بخبر حسن على حسن وسبأ اسم للقبيلة فلا ينصرف أو اسم للحي أو الاب الاكبر فينصرف وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ويحتمل وقوله

وقوله وأوتينا العلم من قبلها يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل سليمان وقال سليمان وأوتينا العلم من قبل هذه المرأة بالله وبقدرته على ما يشاء وكنا مسلمين لله من قبلها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأوتينا العلم من قبلها قال سليمان يقوله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين) يقول تعالى ذكره ومنع هذه المرأة صاحبة سبأ ما كانت تعبد من دون الله وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وصدها ما كانت تعبد من دون الله قال كفرها بقضاء الله غير الوثن ان تهتدى للحق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وصدها ما كانت تعبد من دون الله قال كفرها بقضاء الله صدها أن تهتدى للحق ولو قيل معنى ذلك وصدها سليمان ما كانت تعبد من دون الله بمعنى منعها وحال بينها وبينه كان وجهاً حسناً ولو قيل أيضاً وصدها الله ذلك بتوفيقها للاسلام كان أيضاً وجهاً صحيحاً وقوله انها كانت من قوم كافرين يقول ان هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين وكسرت الالف من قوله انها على الابتداء ومن تأول قوله وصدها ما كانت تعبد من دون الله التأويل الذى تأولنا كانت ما من قوله ما كانت تعبد فى موضع رفع بالصد لان المعنى فيه لم يصدها عن عبادة الله جهلها وانها لا تعقل انما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر وكان ذلك من دين قومها وآبائها فاتبعت فيه آثارهم ومن تأوله على الوجهين الآخرين كانت ما فى موضع نصب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) ذكر ان سليمان لما أقبلت صاحبة سبأ تريده أمر الشياطين فبنوا له صرحاً وهو كهيئة السطح من قوارير وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك وفهمها على نحو الذى كانت تفعل هى من توجيهها اليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكور منهم والاناث معاتبة بذلك كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال أمر سليمان بالصرح وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضاً ثم أرسل الماء تحته ثم وضع له فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس ثم قال ادخلى الصرح ليريها ملكاً هو أعز من ملكها وسلطاناً هو أعظم من سلطانها فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لا تشك انه ماء تخوضه قيل لها ادخلى انه صرح ممرد من قوارير فلما وقفت على سليمان دعاها الى عبادة الله وعابها فى عبادتها

أن يراد بسبأ المدينة أو القوم ثم شرع فى النبأ وهو قوله انى وجدت امرأة واسمها بلقيس بنت شراحيل ملك اليمن كابراً عن كابر الى تبع الاول ولم يكن له ولد غيرها فورثت الملك وكانت هى وقومها مجوساً عبدة الشمس والضمير فى تملكهم يعود الى سبأ ان أريد به القوم والى الاهل المحذوف ان أريد به المدينة وأوتيت من كل شئ أى بعض كل ما يتعلق بالدنيا من الاسباب ولها عرش عظيم كأنه استعظم لها ذلك مع صغر حالها الى حال سليمان أو استعظمه فى نفسه لانه لم يكن لسليمان مثله مع علو شأنه وقد يتفق لبعض الامراء شئ لا يكون مثله لمن فوقه فى الملك وقد يطلع بعض الاصاغر على مسئلة لم يطلع عليها أحد كما اطلع الهدهد على حال بلقيس دون سليمان ووصف كل شئ بالعظم انما هو بالاضافة الى سائر ما خلق من السموات والارض يحكى من عظم شأنه انه كان مكعباً ثلاثين فى ثلاثين أو ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللاً بانواع الجواهر وكذا قوائمه وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال بعض المعتزلة فى قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم دليل على ان المزين للكفر والمعاصى هو الشيطان وأجيب بان قول الهدهد لا يصلح للحجة والتحقيق فيه قدمر ولا يبعد أن يلهم الله الهدهد وجوب معرفته والانكار على من يعبد غيره خصوصاً فى زمن سليمان عليه السلام قوله ألا يسجدوا من قرأ بالتشديد على ان الجار محذوف فان كان متعلقاً بالصد فالتقدير صدهم لان لا يسجدوا وان كان متعلقاً بلا يهتدون فلا مزيدة أى لا يهتدون الى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فقوله الا حرف تنبيه ويا حرف النداء والمنادى محذوف والتقدير ألا يا قوم اسجدوا كقوله

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلا
ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

قال الزجاج السجدة فى الآية على قراءة التخفيف دون التشديد والحق عدم الفرق لان الذم على الترك كالامر بالسجود فى الاقتضاء والخبء مصدر بمعنى المخبوء وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه الله عز وجل من غيوبه ومن جملة ذلك اطلاع الكواكب من أفق الشرق بعد اختفائها فى أفق الغرب ومنها الاقضية والاحكام والوحى والالهام ومنها انزال الملك وكل أثر علوى وفى تخصيص وصف الله تعالى فى هذا المقام باخراج الخبء اشارة الى ما عهده الهدهد من قدرة الله تعالى فى اخراج الماء من الارض ألهمه هذا

الشمس دون الله فقالت بقول الزنادقة فوقع سليمان ساجدا اعظاما لما قالت وسجد معه الناس وسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع فلما رفع سليمان رأسه قال ويحك ماذا قلت قال وأنسيت ماقالت فقالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وأسلمت فحسن اسلامها وقيل ان سليمان انما أمر ببناء الصرح على ما وصفه الله لان الجن خافت من سليمان أن يتزوجها فأرادوا أن يزهدوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وان أمها كانت من الجن فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجن من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال قالت الجن لسليمان تزهده في بلقيس ان رجلها رجل حمار وان أمها كانت من الجن فأمر سليمان بالصرح فعمل فسجن فيه دواب البحر الحيتان والضفادع فلما بصرت بالصرح قالت ما وجد ابن داود عذابا يقتلني به الا الغرق فحسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال فاذا أحسن الناس ساقا وقدما قال فضن سليمان بساقها عن الموسى قال فاتخذت النورة بذلك السبب وجائز عندي أن يكون سليمان أمر باتخاذ الصرح للامرين الذي قاله وهب والذي قاله محمد بن كعب القرظي ليختبر عقلها وينظر الى ساقها وقدمها ليعرف صحة ما قيل له فيها وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه في معنى الصرح ما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الصرح قال بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها قال وكانت بلقيس هلباء شعراء قدمها كحافر الحمار وكانت أمها جنية حدثني أحمد بن الوليد الرملي قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحد أبوي صاحبة سبأ جنيا قال حدثنا صفوان بن صالح قال ثني الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر النضر بن أنس وقوله فلما رأته حسبته لجة يقول فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر وكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة قال وكان من قوارير وكان الماء من خلفه فحسبته لجة قال حدثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله حسبته لجة قال بحرا حدثنا عمرو بن علي قال ثنا ابن سوار قال ثنا روح بن القاسم عن عطاء بن السائب عن مجاهد في قوله وكشفت عن ساقيها فاذا هما شعراوان فقال ألا شيء يذهب هذا قالوا الموسى قال لا الموسى له أثر فأمر بالنورة فصنعت حدثني أبو السائب قال ثنا حفص عن عمران بن

القصص كما ألهمه تلك المعرفة ولما انجر كلام الهدهد الى هذه الغاية قال سليمان سننظر أي نتأمل في صفحات حالك أصدقت أم كنت من الكاذبين وهذا أبلغ من ان لو قال له كذبت لانه اذا كان معروفا بالكذب كان متهما في كل ما أخبر به ثم ذكر كيفية النظر في أمره فقال اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم لم يقل اليها لانه كان قد قال وجدتها وقومها فكأن سليمان قال فألقه الى الذين هذا دينهم اهتماما فيه بامر الدين ولمثل هذا قال في الكشاف ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين ومعنى ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه تسمع ما يقولون ويرجعون من رجع القول كقوله يرجع بعضهم الى بعض القول يروى انها كانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على حجرها وهي مستلقية نائمة وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والجنود حواليها من فوق والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وقيل كان في البيت كوة تقع الشمس فيها كل يوم فاذا نظرت اليها سجدت فجاء الهدهد فسد تلك الكوة بجناحيه فلما رأت ذلك قامت اليه فألقى الكتاب اليها وههنا اضمار أي فذهب فألقى ثم توارى ثم كأن سائلا سأل فماذا قالت بلقيس فقيل قالت يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم مصدر بالتسمية أو حسن مضمونه أو هو من عند ملك كريم أو هو مختوم يروى انه طبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه وقال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وعن ابن المقفع من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به ثم ان سائلا كأنه قال لها من الكتاب وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت سؤال لم قدم سليمان اسمه على اسم الله والجواب انها لما وجدت الكتاب على وسادتها ولم يكن لاحد اليها طريق ورأت الهدهد علمت انه من سليمان وحين فتحت الكتاب رأت التسمية ولذلك قالت ما قالت أو لعل سليمان كتب على عنوان الكتاب انه من سليمان فقرأت عنوانه أولا ثم أخبرت بما في الكتاب أو لعل سليمان قصد بذلك انها لو شتمت لاجل كفرها حصل الشتم لسليمان لا لله تعالى وان في أن لا تعلوا مفسرة لما ألقي اليها أي لا تتكبروا كما تفعل الملوك يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وكان كتب الانبياء عليهم السلام جلا وانه مع وجازته مشتمل على تمام المقصود لان قوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على اثبات الصانع وصفاته والباقي نهي عن الترفع والتكبر وأمر بالانقياد للتكاليف كل ذلك بعد اظهار المعجز برسالة الهدهد قوله قالت

سليمان عن عكرمة وأبي صالح قالا لما تزوج سليمان بلقيس قالت له لم تمسني حديدة قط قال سليمان للشياطين انظروا ما يذهب الشعر قالوا النورة فكان أول من صنع النورة * وقوله انه صرح ممرد من قوارير يقول جل ثناؤه قال سليمان لها ان هذا ليس ببحر انه صرح ممرد من قوارير يقول انما هو بناء مبني مشيد من قوارير * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ممرد قال مشيد وقوله قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان الآية يقول تعالى ذكره قالت المرأة صاحبة سبأ رب اني ظلمت نفسي في عبادتي الشمس وسجودي لها دونك وأسلمت مع سليمان لله تقول وانقدت مع سليمان مذعنة لله بالتوحيد مفردة له بالالوهة والربوبية دون كل من سواه وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في حسبته لجة قال انه صرح ممرد من قوارير فعرفت انها قد غلبت قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله وحده لا شريك له ولا تجعلوا معه الها غيره فاذا هم فريقان يختصمون يقول فلما أتاهم صالح داعيا لهم الى الله صار قومه من ثمود فيما دعاهم اليه فريقين يختصمون ففريق مصدق صالحا مؤمن به وفريق مكذب به كافر بما جاء به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فريقان يختصمون قال مؤمن وكافر قولهم صالح مرسل وقولهم صالح ليس بمرسل ويعني بقوله يختصمون يختلفون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاذا هم فريقان يختصمون قال مؤمن وكافر وقوله قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة يقول تعالى ذكره قال صالح لقومه يا قوم لاي شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة قال السيئة العذاب قبل الحسنة قبل الرحمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قال بالعذاب قبل الحسنة قال العافية وقوله لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون يقول هلا تتوبون الى الله من كفركم فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم يصفح لكم عن عقوبته اياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة وقوله لعلكم

يا أيها الملأ استئناف آخر وهكذا الى تمام القصة ومعنى أفتوني أشيروا علي بما يحدث لكم من الرأي والفتوى الجواب في الحادثة وأصلها من الفتاء في السن وقطع الامر فصله والقضاء فيه أرادت بذلك استعطافهم وتطييب نفوسهم واستطلاع آرائهم فاجابوا بانهم أصحاب القوى الجسدانية والخارجية ولهم النجدة والبلاء في الحرب ومع ذلك فوضوا الامر اليها فما أحسن هذا الادب ويحتمل أن يراد نحن من أبناء الحرب لا من أرباب الرأي والمشورة وانما الرأي اليك وحيث كان يلوح من وصفهم أنفسهم بالشجاعة والعلم بامور الحرب انهم ما يألون الى المحاربة أرادت أن تنبههم الى الامر الاصوب وهو الميل الى الصلح فلذلك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وذلك اذا أرادوا قهرها والتسلط عليها ابتداء والا فالافساد غير لازم بل لعل الاصلاح ألزم اذا سلكت سبيل العدل والانصاف فليس للظلمة في الآية حجة ومفعول مرسلة محذوف أي مرسلة رسلا مع هدية وهي اسم المهدى كالعطية اسم المعطى وانما رأت الاهداء أولا لان الهدية سبب استمالة القلوب قال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا قال في الكشاف روي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج مرصعة اللجم والسروج بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان وعن يساره على اللبنات وأمر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين وعن اليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس كذلك والوحش والطير كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب على اللبنات فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبرهم بما فيه ثم أمر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجر وأخذت دودة بيضاء الخيط فادخلته في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى

ترجون يقول ليرحمكم ربكم باستغفاركم اياه من كفركم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قالوا اطيرنا بك و بمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون) يقول تعالى ذكره قالت ثمود لرسولها صالح اطيرنا بك و بمن معك من أتباعنا وزجرنا الطير بانا نصيبنا بدونهم المكاره والمصائب فاجابهم صالح فقال لهم طائركم عند الله أى ماز جرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه لايدرى أى ذلك كائن اما ما تظنون من المصائب والمكاره أم مالا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله قال طائركم عند الله يقول مصائبكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله طائركم عند الله علمكم عند الله وقوله بل أنتم قوم تفتنون يقول بل أنتم قوم تختبرون يختبركم ربكم اذ أرسلنى اليكم أتطيعونه فتعملون بما أمركم به فيجزيكم الجزيل من ثوابه أم تعصونه فتعملون بخلافه فيحل بكم عقابه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون) يقول تعالى ذكره وكان فى مدينة صالح وهى حجر ثمود تسعة أنفس يفسدون فى الارض ولا يصلحون وكان افسادهم فى الارض كفرهم بالله ومعصيتهم اياه وانما خص الله جل ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون فى الارض ولا يصلحون وان كان أهل الكفر كلهم مفسدين لان هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا فى عقر الناقة وتعاونوا عليه وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تسعة رهط قال من قوم صالح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون هم الذين عقروا الناقة وقالوا حين عقروها نبيت صالحا وأهله فنقتلهم ثم نقول لاولياء صالح ماشهدنا من هذا شيأ ومالنا به علم فدمرهم الله أجمعين وقوله قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله يقول تعالى ذكره قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون فى أرض حجر ثمود ولا يصلحون تقاسموا بالله تحالفوا بالله أيها القوم ليحلف بعضكم لبعض لنبيتن صالحا وأهله فلنقتلنه ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى

وحدثنى

ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله على سبيل الانكار أتمدونني بمال ثم قال على سبيل الاعلام وتعليل الانكار فما آتانى الله من الكمالات والقربات والدرجات خير مما آتاكم ثم اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو انهم لايعرفون الفرح الا فى أن يهدى اليهم حظ من الدنيا فعلى هذا تكون الهدية مضافة الى المهدى اليه والمعنى بل أنتم بهديتكم هذه التى أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك ويحتمل أن يكون الكلام عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ثم قال للرسول أو للهدهد معه كتاب آخر ارجع اليهم ومعنى لاقبل لا طاقة ولا مقابلة والذل أن يذهب عنهم ماكانوا فيه من العز والملك والصغار أن يقعوا مع ذلك فى أسر واستعباد يروى انه لما رجعت اليها الرسل عرفت ان سليمان نبى وليس لهم به طاقة فشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل مع كل قيل ألوف وأمرت عند خروجها أن يجعل عرشها فى آخر سبعة أبيات فى آخر قصور سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حرسا فلعل سليمان أوحى اليه ذلك فاراد أن يريها بعض ما خصه الله به من المعجزات فلذلك قال يا أيها الملأ أيكم ياتينى بعرشها وعن قتادة أراد أن ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل أراد بذلك اختبار عقلها كما يجىء وقيل أراد أن يعرف تحملها ومقدار مملكتها قبل وصولها اليه والعفريت من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد ووزنه فعليت قالوا كان اسمه ذكوان وآتيك به فى الموضعين يجوز أن يكون فعلا مضارعا وأن يكون اسم فاعل ومعنى أن تقوم من مقامك اما على ظاهره وهو أن يقوم فيقعد واما أن يكون المقام هو المجلس ولا بد فيه من عادة معلومة حتى يصح ان يوقت به وعلى هذا فقيل المراد مجلس الحكم وقيل مقدار فراغه من الخطبة وقيل الى انتصاف النهار وانى عليه أى على حمله لقوى أمين آتى به على حاله لا أتصرف فيه بشئ واختلفوا فى الذى عنده علم من الكتاب فقيل هو الخضر عليه السلام وقيل جبرائيل وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل آصف بن برخيا وزيره أو كاتبه وقيل هو سليمان نفسه استبطأ العفريت فقال له أنا آتيك به أسرع مما تقول وقد يرجح هذا القول بوجوه منها ان الشخص المشار اليه بالذى يجب أن يكون معلوما للمخاطب وليس سوى سليمان ولو سلم ان آصف أيضا كان كذلك فسليمان أولى باحضار العرش فى تلك اللمحة والالزم تفضيل آصف عليه من هذا الوجه ومنها قول سليمان هذا من فضل ربى ويمكن أن يقال الضمير راجع

وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تقاسموا بالله قال تحالفوا على اهلاكه فلم يصلوا اليه حتى هلكوا وقومهم أجمعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه ويتوجه قوله تقاسموا بالله الى وجهين أحدهما النصب على وجه الخبر كأنه قيل قالوا متقاسمين وقد ذكر ان ذلك في قراءة عبد الله ولا يصلحون تقاسموا بالله وليس فيها قالوا فذلك من قراءته يدل على وجه النصب في تقاسموا على ما وصفت والوجه الآخر الجزم كأنهم قال بعضهم لبعض أقسموا بالله فعلى هذا الوجه الثاني تصلح قراءة لنبيتنه بالتاء والنون لان القائل لهم تقاسموا وان كان هو الآمر فهو فيمن أقسم كما يقال في الكلام انهضوا بنا نمض الى فلان وانهضوا نمضي اليه وعلى الوجه الاول الذي هو وجه النصب القراءة فيه بالنون أفصح لان معناه قالوا متقاسمين لنبيتنه وقد تجوز الياء على هذا الوجه كما يقال في الكلام قالوا لنكرمن أباك وليكرمن أباك وبالنون قرأ ذلك قراء المدينة وعامة قراء البصرة وبعض الكوفيين وأما الاغلب على قراء أهل الكوفة فقرأته بالياء وضم التاء جميعا وأما بعض المكيين فقرأه بالياء وأعجب القراآت في ذلك الى النون لان ذلك أفصح الكلام على الوجهين اللذين بينت من النصب والجزم وان كان كل ذلك صحيحا غير فاسد لما وصفت وأكرهها الى القراءة بها الياء لقلة قارئ ذلك كذلك وقوله لنبيتنه قال ليبيتن صالحا ثم يفتكوا به حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا يعني فيما وعدهم من العذاب بعد الثلاث عجلناه قبله وان كان كاذبا نكون قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطئوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة وقوله وانا لصادقون نقول لوليه وانا لصادقون انا ما شهدنا مهلك أهله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين) يقول تعالى ذكره وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الارض بصالح بمصيرهم اليه ليلا ليقتلوه وأهله وصالح لا يشعر بذلك ومكرنا مكرا يقول فأخذناهم بعقوبتنا اياهم وتعجيلنا العذاب لهم وهم لا يشعرون بمكرنا وقد بينا فيما مضى معنى مكر الله بمن مكر به وما وجه ذلك وانه أخذه من أخذه منهم على غرة أو استدراجه من استدرج منهم على كفره به ومعصيته اياه ثم احلاله العقوبة به على غرة وغفلة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن شمر بن عطية عن رجل عن علي قال المكر غدر والغدر كفر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا قال احتالوا لامرهم واحتال الله لهم مكروا بصالح مكرا ومكرنا بهم مكرا وهم لا يشعرون

الى استقرار العرش عنده ولو سلم رجوعه الى الاتيان بالعرش فلا يخفى ان كمال حال التابع والخادم من جملة كمالات المتبوع والمخدوم ولا يلزم من أن يأمر الانسان غيره بشئ أن يكون الآمر عاجزا عن الاتيان بذلك الشئ واختلفوا أيضا في الكتاب فقيل هو اللوح وقيل الكتاب المنزل الذي فيه الوحي والشرائع وقيل كتاب سليمان أو كتاب بعض الانبياء وما ذلك العلم قيل نوع من العلم لا يعرف الآن والاكثرون على انه العلم باسم الله الاعظم وقد مر في تفسير البسملة كثير مما قيل فيه ومما وقفت عليه بعد ذلك ان غالب بن قطان مكث عشرين سنة يسأل الله الاسم الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى فاري في منامه ثلاث ليال متواليات قل يا غالب يا فارج الهم يا كاشف الغم يا صادق الوعد يا موفيا بالعهد يا منجز الوعد يا حي يا لا اله الا أنت صل اللهم على محمد وآل محمد وسلم والطرف تحريك الاجفان عند النظر فوضع موضع النظر فاذا فتحت العين توهمت ان نور العين يمتد الى المرئي واذا غمضت توهمت ان ذلك النور قد ارتد فمعنى الآية انك ترسل طرفك الى شئ فقبل ان ترده أبصرت العرش بين يديك روي ان آصف قال له مد عينك حتى ينتهي طرفك فمد عينه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغاص العرش في مكانه ثم ظهر عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرتد طرفه ومن استبعد هذا في قدرة الله فليتأمل في الحركات السماوية على ما يشهد به علم الهيئة حتى يزول استبعاده وقال مجاهد هو تمثيل لاستقصار مدة الاتيان به كما تقول لصاحبك افعل هذا في لحظة أو لمحة وحين عرف سليمان نعمة الله في شأنه وان ذلك صورة الابتلاء بين ان شكر الشاكر انما يعود الى نفس الشاكر لانه يرتبط به العتيد ويطلب المزيد كما قيل الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة وروي في الكشاف عن بعضهم ان كفران النعمة بوار فلما اقشعت نافرة فرجعت في انصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار قوله اقشعت نافرة أي ذهبت في حال نفارها وراهنها أي ثابتها ومن كفر فان ربي غني عن عبادة كل عابد فضلا عن شكر شاكر كريم لا يقطع امداد نعمه عنه لعله يتوب ويصلح حاله زعم المفسرون ان الجن كرهوا أن يتزوجها سليمان فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية أو خافوا أن يولد له منها ولد تجمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد فقالوا له ان في عقلها شيأ وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش وذلك قوله نكروا لها عرشها أي اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل لغيره لئلا يعرفه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه

أسفله وقوله ننظر بالجزم جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف أتهتدى لمعرفة العرش أو للجواب الصائب اذا سئلت عنه أو للدين والايمان بنبوة سليمان اذا رأت تلك الخوارق وقوله أم تكون من الذين لا يهتدون أبلغ من ان لو قال أم لا تهتدى كما مر فى قوله أم كنت من الكاذبين فلما جاءت قيل أهكذا أى مثل ذا عرشك لئلا يكون شبه تلقين فقالت كأنه هو ولم تقل هو هو مع انها عرفته ليكون دليلا على وفور عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل وتوقفت فى مقام التوقف أما قوله وأوتينا العلم فمعطوف على مقدر كأنهم قالوا عند قولها كأنه هو قد أصابت فى جوابها وطابقت المفصل وهى عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة نبوة سليمان بهذه الخوارق وأوتينا نحن العلم بالله و بقدرته قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس وكونها بين ظهرانى الكفرة والغرض تلقى نعمة الله بالشكر على سابقة الاسلام وقيل هو موصول بكلام بلقيس والمعنى وأوتينا العلم بالله و بقدرته و بصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة أو الحالة وذلك عند وفدة المنذر ثم قال سبحانه وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ما كانت تعبد من دون الله وقيل الجار محذوف أى وصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد واختبر ساقها بان أمر أن يبنى على طريقها قصر من زجاج أبيض فاجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى آخره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس ثم قيل لها ادخلى الصرح أى القصر أو صحن الدار فلما رأته حسبته لجة أى ماء غامرا وكشفت عن ساقيها للخوض فى الماء فاذا هى أحسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء فصرف سليمان بصره وناداها انه صرح ممرد أى مملس من قوارير هذا عند من يقول تزوجها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا له همدان وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له قالوا كون ساقها شعراء هو السبب فى اتخاذ النورة أمر به الشياطين فاتخذوها وقال آخرون المقصود من الصرح تهويل المجلس وحصل كشف الساق على سبيل التبع عن ابن عباس لما أسلمت قال لها اختارى من أزوجكه فقالت مثلى لا ينكح الرجال مع سلطان فقال النكاح من الاسلام فقالت ان كان كذلك فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم ردهما الى اليمن ولم يزل بها ملكا قالت رب انى ظلمت نفسى اى بالكفر فى الزمن السالف أو بسوء ظنى بسليمان اذ حسبت انه يغرقنى فى الماء وهذا التفسير أنسب بما قبله ولعل فى قولها مع سليمان أى مصاحبة له اشارة الى ان اسلامها تبع لاسلام سليمان وانها تريد أن تكون معه فى الدارين جميعا والله أعلم * التأويل ولقد آتينا داود الروح وسليمان القلب علما الدنيا على كثير من عباده وهم الاعضاء والجوارح المستعملة فى العبودية وورث سليمان داود لان كل الهام وفيض يصدر من الحضرة الالهية يكون عبوره على داود الروح الا أنه للطافته لا يحفظها وانما يحفظها القلب لكثافته ولذلك كان سليمان أقضى من داود قوله منطق الطير يعنى

بمكرنا وشعرنا بمكرهم قالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك وكان له مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فخرجوا الى كهف وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا اذا فرغنا منه الى أهله ففرغنا منهم وقرأ قول الله تبارك وتعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فخشوا أن تشدخهم فبادروا الغار فطبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار فلا يدرى قومهم أين هم ولا يدرون ما فعل بقومهم فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا وأنجى الله صالحا ومن معه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة ومكروا مكرا ومكرنا مكرا قال فسلط الله عليهم صخرة فقتلتهم وقوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم يقول تعالى ذكره فانظر يا محمد بعين قلبك الى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح كيف كانت وما الذى أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم فان ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا وطغى علينا من سائر الخلق فحذر قومك من قريش أن ينالهم بتكذيبهم اياك ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلات وقوله انا دمرناهم وقومهم أجمعين يقول انا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون فى الارض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين فلم نبق منهم أحدا * واختلفت القراء فى قراءة قوله انا فقرأ بكسرها عامة قراء الحجاز والبصرة على الابتداء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة انا دمرناهم بفتح الالف واذا فتحت كان فى انا وجهان من الاعراب أحدهما الرفع على ردها على العاقبة على الاتباع لها والآخر النصب على الرد على موضع كيف لانها فى موضع نصب ان شئت وان شئت على تكرير كان عليه على وجه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم كان عاقبة مكرهم تدميرنا اياهم * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يعنى تعالى ذكره بقوله فتلك بيوتهم خاوية فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم ليس فيها منهم أحد قد أهلكهم الله فأبادهم بما ظلموا يقول تعالى ذكره بظلمهم أنفسهم بشركهم بالله وتكذيبهم رسولهم ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون يقول تعالى ذكره ان فى فعلنا بثمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة لعظة لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا من قومك الذين يكذبونك فيما جئتهم به من عند ربك وعبرة وأنجينا الذين

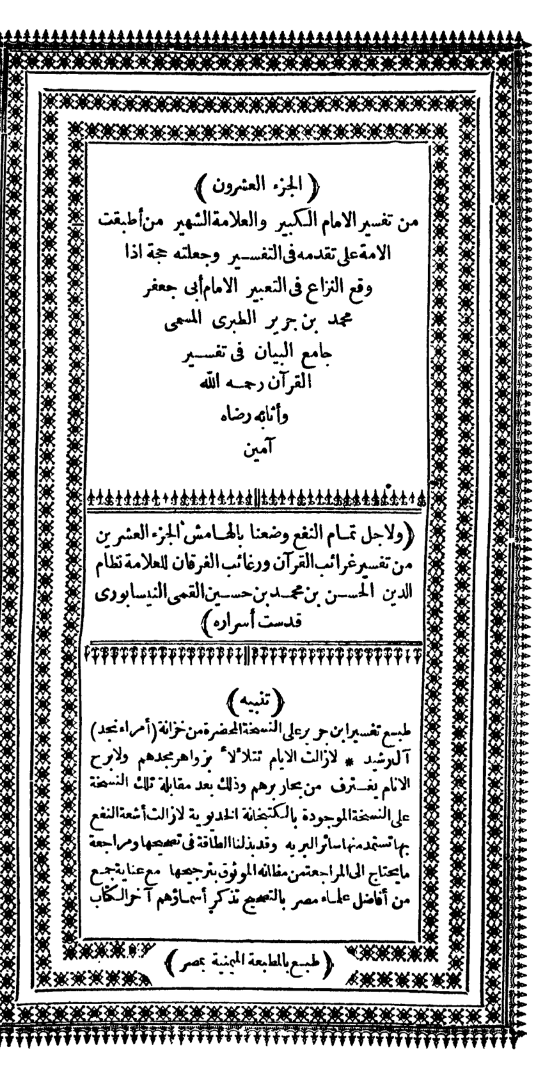
آمنوا

آمنوا يقول وأنجينا من نقمتنا وعذابنا الذى أحللناه بثمود رسولنا صالحا والمؤمنين به وكانوا يتقون بإيمانهم وبتصديقهم صالحا الذى حل بقومهم من ثمود ما حل بهم من عذاب الله فكذلك ننجيك يا محمد وأتباعك عند إحلالنا عقوبتنا بمشركى قومك من بين أظهرهم وذكر ان صالحا لما أحل الله بقومه ما أحل خرج هو والمؤمنون به الى الشام فنزل رملة فلسطين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) يقول تعالى ذكره وأرسلنا لوطا الى قومه اذ قال لهم يا قوم أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون انها فاحشة لعلمكم بانه لم يسبقكم الى ما تفعلون من ذلك أحد وقوله أئنكم لتأتون الرجال شهوة منكم بذلك من دون فروج النساء التى أباحها الله لكم بالنكاح وقوله بل أنتم قوم تجهلون يقول ما ذلك منكم لا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم فخالفتم لذلك أمره وعصيتم رسوله

(تم الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء العشرون أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فما كان جواب قومه)

الرموز والاشارات التى يحفظها بلسان الحال أرباب الاحوال الطائرين فى سماء سناء الفناء وقيل أراد الخواطر الملكية الروحانية قوله من الجن والانس والطير أى من الصفات الشيطانية والانسانية والملكية فهم يوزعون على طبيعتهم بالشريعة وادى النمل هوى النفس الحريصة على الدنيا وشهواتها قالت نملة هى النفس اللوامة يا أيها النمل هى الصفات النفسانية ادخلوا مساكنكم محالكم المختلفة وهى الحواس الخمس وهم لا يشعرون انهم على الحق وأنتم على الباطل لان الشمس لاحس عندها من نورها ولا من الظلمة التى تزيلها نعمتك التى أنعمت على بتسخير جنودى لى وعلى والدى وهما الروح والجسد أنعم على الروح بافاضة الفيوض وعلى الجسد باستعماله فى أركان الشريعة وفى قوله بنبأ يقين اشارة الى أن من أدب المخبران لا يخبر الا عن يقين وبصيرة ولاسيما عند الملوك وفى قول سليمان سننظر أصدقت اشارة الى ان خبر الواحد وان زعم اليقين لا يعول عليه الا بامارات أخر كتاب كريم كأنها عرفت انما بكرامته يهتدى الى حضرة الكريم ان ملوك الصفات الربانية اذا دخلوا قرية الشخص الانسانى أفسدوها بافساد الطبيعة الحيوانية وجعلوا أعزة أهلها وهم النفس الامارة وصفاتها أذلة بسطوات التجلى وكذلك يفعلون مع الانبياء والاولياء وفى قوله أيكم يأتينى بعرشها اشارة الى ان سليمان كان واقفا على ان فى قومه من هو أهل لهذه الكرامة وكرامات الاولياء من قوة اعجاز الانبياء قيل انها ادخلى الصرح فيه دليل على ان سليمان أراد ان ينكحها والا لم يجز النظر الى ساقها وأسلمت نفسى النكاح مع سليمان لله وفى الله تأويل آخر وتفقد الطير هم أهل العشق الطيارة فى فضاء سماء القدس وجو عالم الانس والهدهد الرجل العلى الذى عول على فكره وإعمال قريحته فى استنباط خبايا الاسرار وكوامن الاستار عذابا شديدا بالرياضة والمجاهدة أو لاذبحنه بسكين مخالفات الارادة سبأ مدينة الاختلاط والانس بالانس والمرأة الدنيا وبهجتها وعرشها العظيم حب الجاه والمناصب يسجدون لشمس عالم الطبيعة وهوا الهوى والهدية عرض الدنيا وزينتها والاتيان بالعرش قبل اتيانهم هو اخراج حب الجاه من الباطن حتى تنقاد الاعضاء والجوارح بالكلية لاشتغال العبودية آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الجاه والعفريت الرياضة الشديدة والذى عنده علم من الكتاب هو الجذبة التى توازى عمل الثقلين وتنكير العرش تغيير حب الجاه للهوى بحبه للحق والقصر قصر التصرف فى الدنيا للحق بالحق وكشف الساق كناية عن اشتداد الامر عليه والقوارير عبارة عن رؤية بواطن الامور مع الاشتغال بظواهرها وهذه من جملة منطق الطير يفهم ان شاء العزيز وحده (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون





(الجزء العشرون)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المسمى

جامع البيان فى تفسير القرآن

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

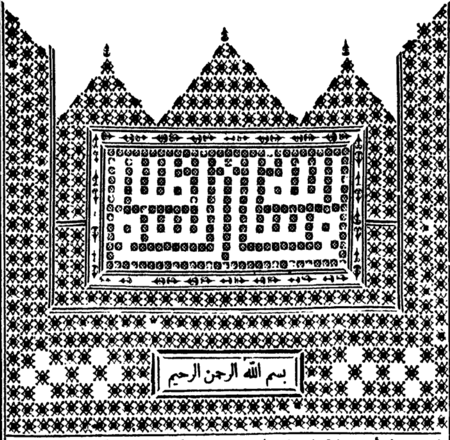
(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء العشرين من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد آل الرشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولابرح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة ما يحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)

فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أءله مع الله قليلا ماتذكرون أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون) القرآآن لتبيتنه على الجمع المخاطب وهكذا لتقولن حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون



﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يقول تعالى ذكره فلم يكن لقوم لوط جواب له اذ نهاهم عما أمرهم الله بنهيهم عنه من اتيان الرجال الا قيل بعضهم لبعض اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون عما نفعله نحن من اتيان الذكران فى أدبارهم كما **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال سمعت الحسن بن عمارة يذكر عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله أناس يتطهرون قال من الرجال والنساء فى أدبارهن **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أناس يتطهرون قال من أدبار الرجال وأدبار النساء استهزاء بهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال يتطهرون من أدبار الرجال والنساء استهزاء بهم يقولون ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أنه تلا انهم أناس يتطهرون قال عابوهم بغير عيب أى انهم يتطهرون من أعمال السوء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) يقول تعالى ذكره فأنجينا لوطا وأهله سوى امرأته من عذابنا حين أحللناه بهم ثم قدرناها يقول فان امرأته قدرناها جعلناها بتقديرنا من الغابرين من الباقين وأمطرنا عليهم مطرا وهو امطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل فساء مطر المنذرين يقول فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم اياه وخوفهم بأسه بارسال الرسول اليهم بذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد الحمد لله على نعمه علينا وتوفيقه ايانا لما وفقنا من الهداية وسلام يقول وأمنة منه من عقابه الذى عاقب به قوم لوط وقوم صالح على الذين اصطفاهم يقول الذين اجتباهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذى بعثه بالدعاء اليه دون المشركين به الجاحدين

نبوة نبيه و بنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق يعنى ابن غنام عن ابن ظهير عن السدى عن أبى مالك عن ابن عباس وسلام على عباده الذين اصطفى قال أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال قلت لعبد الله بن المبارك أرأيت قول الله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى من هؤلاء فحدثنى عن سفيان الثورى قال هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله آلله خير أما يشركون يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء الذين زينا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون آلله الذى أنعم على أوليائه هذه النعم التى قصها عليكم فى هذه السورة وأهلك أعداءه بالذى أهلكهم به من صنوف العذاب التى ذكرها لكم فيها خير أما تشركون من أوثانكم التى لا تنفعكم ولا تضركم ولا عن أنفسها ولا عن أوليائها تدفع سوأ ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعا يقول ان هذا الامر لا يشكل على من له عقل فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم ولا دفع ضر عنكم فى عبادة من بيده النفع والضر وله كل شئ ثم ابتدأ تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم وأياديه عندهم وتعريفهم بقلة شكرهم اياه على ما أولاهم من ذلك فقال أمن خلق السموات والارض ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش اعبادة ما تعبدون من أوثانكم التى لا تضر ولا تنفع خير أم عبادة من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء مطرا وقد يجوز أن يكون مريدا به العيون التى فجرها فى الارض لان كل ذلك من خلقه فأنبتنا به يعنى بالماء الذى أنزل من السماء حدائق وهى جمع حديقة والحديقة البستان عليه حائط محوط وان لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة وقوله ذات بهجة يقول ذات منظر حسن وقيل ذات بالتوحيد وقد قيل حدائق كما قال ولله الاسماء الحسنى وقد بينت ذلك فيما مضى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله حدائق ذات بهجة قال البهجة النقاح مما يأكل الناس والانعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله حدائق ذات بهجة قال من كل شئ تأكله الناس والانعام وقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها يقول تعالى ذكره أنبتنا بالماء الذى أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق اذ لم يكن لكم لولا انه أنزل عليكم الماء من السماء طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحدائق ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك لانه لا يصلح ذلك الا بالماء وقوله أإله مع الله يقول تعالى ذكره أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك وأنزل من السماء الماء فأنبت به لكم الحدائق فقوله أإله مردود على تأويل أمع الله إله بل هم قوم يعدلون يقول جل ثناؤه بل هؤلاء المشركون قوم ضلال يعدلون عن الحق ويجورون عليه على عمد منهم لذلك مع علمهم بأنهم على خطأ وضلال ولم يعدلوا عن جهل منهم بان من لا يقدر على نفع ولا ضر خير ممن خلق السموات والارض وفعل هذه الافعال ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آبائهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضر ولا ينفع أم الذى جعل الارض لكم قرارا تستقرون عليها لا تميد بكم وجعل لكم خلالها أنهارا يقول بينها أنهارا وجعل لها رواسى وهى ثوابت الجبال وجعل بين البحرين حاجزا بين العذب والملح أن يفسد أحدهما صاحبه أإله مع الله سواه فعل هذه الاشياء فأشركتموه فى عبادتكم اياه وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله

فيهما على التكلم مهلك بفتح الميم واللام أبو بكر غير البرجمى وحماد والمفضل وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام الباقون بضم الميم وفتح اللام والكل يحتمل المصدر والمكان والزمان انا دمرناهم وان الناس بالفتح فيهما عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ورويس انتكم مذكور فى الانعام يشركون بياء الغيبة أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم أإله مثل أئنكم الربع على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف يذكرون بياء الغيبة أبو عمرو وهشام الآخرون بتاء الخطاب بل أدرك بقطع الهمزة وسكون الدال ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد المفضل بل ادرك بهمزة موصولة ودال مشددة الشمونى الباقون مثله ولكن بالف بعد الدال * الوقوف يختصمون ه الحسنة ج لابتداء استفهام آخر مع اتحاد القائل ترحمون ه معك ط تفتنون ه ولا يصلحون ه لصادقون ه لا يشعرون ه مكرهم ط لمن قرأ انا بكسر الالف على الاستئناف أجمعين ه ظلموا ط يعلمون ه يتقون ه يبصرون ه النساء ط تجهلون ه * الجزء العشرون قريتكم ج لاحتمال تقدير لام التعليل يتطهرون ه الا امرأته ز لاحتمال ان ما بعده مستانف والاظهر انه حال تقديره استثناء امرأته مقدرة فى الغابرين ه مطر المنذرين ه اصطفى ط يشركون ه ط لان ما بعده استفهام مستأنف وأم منقطعة تقديره بل أمن خلق السموات خيرا ما يشركون وكذلك نظائره ماء ج للعدول مع اتحاد القول بهجة ط

وماعليهم من الضر فى اشراكهم فى عبادة الله غيره ومالهم من النفع فى افرادهم الله بالالوهة واخلاصهم له العبادة وبراءتهم من كل معبود سواه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أءله مع الله قليلا ماتذكرون) يقول تعالى ذكره أم ماتشركون بالله خير أم الذى يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء النازل به عنه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ويكشف السوء قال الضر وقوله ويجعلكم خلفاء الارض يقول ويستخلف بعد امرائكم فى الارض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم وقوله أءله مع الله يقول أءله مع الله سواه يفعل هذه الاشياء بكم وينعم عليكم هذه النعم وقوله قليلا ماتذكرون يقول تذكرا قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرا فلذلك أشركتم بالله غيره فى عبادته ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون) يقول تعالى ذكره أم ماتشركون بالله خير أم الذى يهديكم فى ظلمات البر والبحر اذا ضللتم فيهما الطريق فاظلمت عليكم السبل فيهما كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر والظلمات فى البر ضلاله الطريق والبحر ضلالة طريقه وموجه ومايكون فيه قوله ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته يقول والذى يرسل الرياح نشرا لموتان الارض بين يدى رحمته يعنى قدام الغيث الذى يحيى موات الارض وقوله أءله مع الله تعالى الله عما يشركون يقول تعالى ذكره أءله مع الله سوى الله يفعل بكم شيأ من ذلك فتعبدوه من دونه أو تشركوه فى عبادتكم اياه تعالى الله يقول لله العلو والرفعة عن شرككم الذى تشركون به وعبادتكم معه ماتعبدون ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) يقول تعالى ذكره أم ماتشركون أيها القوم خير أم الذى يبدأ الخلق ثم يعيده فينشئه من غير أصل ويبتدعه ثم يفنيه اذا شاء ثم يعيده اذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه والذى يرزقكم من السماء والارض فينزل من هذه الغيث وينبت من هذه النبات لاقواتكم وأقوات أنعامكم أءله مع الله سوى الله يفعل ذلك وان زعموا أن الها غير الله يفعل ذلك وشيأ منه فقل لهم يا محمد هاتوا برهانكم أى حجتكم على أن شيأ سوى الله يفعل ذلك ان كنتم صادقين فى دعواكم ومن التى فى أمن ومامبتدأ فى قوله أما تشركون والآيات بعدها الى قوله ومن يرزقكم من السماء والارض بمعنى الذى لابمعنى الاستفهام وذلك ان الاستفهام لايدخل على الاستفهام ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله ومايشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هى قائمة لايعلم من فى السموات والارض الغيب الذى قد استأثر الله بعلمه وحجب عنه خلقه غيره والساعة من ذلك ومايشعرون يقول ومايدرى من فى السموات والارض من خلقه متى هم مبعوثون لقيام الساعة وقد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق قال قالت عائشة من زعم أنه يخبر الناس بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله واختلف أهل العربية فى وجه رفع الله فقال بعض البصريين كما تقول الاقليل منهم وفى حرف ابن مسعود قليلا بدلا من الاول لانك نفيته عنه وجعلته للآخر وقال بعض الكوفيين ان شئت أن تتوهم فى من المجهول فتكون

لاحتمال كون مابعده صفة أو استئنافا شجرها ط مع الله ط يعدلون ه حاجزا ط مع الله ط لايعلمون ه ط خلفاء الارض ه ط مع الله ط ماتذكرون ه ط رحمته (٤) ط مع الله ط يشركون ط والارض ط مع الله ط صادقين ه الا الله ط يبعثون ه عمون ه *التفسير القصة الرابعة قصة ثمود والفريقان المؤمن والكافر وقيل صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم أحد والاختصام قول كل فريق الحق معى وفيه دليل على ان الجدال فى باب الدين حق ومعنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة انه تعالى قد مكنهم من التوصل الى رحمة الله وثوابه فعدلوا الى استعجال عذابه وقال جار الله خاطبهم صالح على حسب اعتقادهم وذلك انهم قدروا فى أنفسهم ان التوبة مقبولة عند رؤية العذاب فقالوا متى وقعت العقوبة تبنا حينئذ فالسيئة العقوبة والحسنة التوبة ولولا التحضيض أى هلا تستغفرون قبل عيان عذابه لعلكم ترحمون بان يكشف العذاب عنكم والحاصل ان التوبة يجب ان تقدم على رؤية العذاب ولايجوز ان تؤخر وفيه تنبيه على خطئهم وتجهيل لهم قالوا اطيرنا أى تشاءمنا بك وبمن معك وكانوا قد قحطوا قال طائركم أى سببكم الذى يجىء منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره أو أراد عملكم مكتوب عنده ومنه ينزل بكم العذاب ومعنى التطير والطائر قدمر فى الاعراف وفى سبحان ثم جزم بنزول العذاب بقوله بل أنتم قوم تفتنون أى تعذبون أو تختبرون أو يفتنكم الشيطان بوسوسة الطيرة ثم حكى سوء معاملتهم مع نبيهم بقوله وكان فى المدينة يعنى منزلهم المسمى بالحجر وكان بين المدينة والشام تسعة رهط لم يجمع المميز لان الرهط فى معنى الجمع وهو من الثلاثة الى العشرة أو من السبعة الى العشرة وقد عد فى الكشاف أسماءهم منهم قدار بن سالف عاقر الناقة وكانوا مفسدين لايخالطون الافساد بشىء من الاصلاح ومن جملة معطوفة

معطوفة عليه قل لا يعلم أحد الغيب الا الله قال و يجوز ان تكون من معرفة و ترك ما بعد الا عليه فيكون عطفا و لا يكون بدلا لان الاول منفي و الثاني مثبت فيكون في النسق كما تقول قام زيد الا عمرو فيكون الثاني عطفا على الاول و التأويل جحد و لا يكون ان يكون الخبر جحدا او الجحد خبرا قال و كذلك ما فعلوه الا قليل و قليلا من نصب فعلى الاستثناء في عبادتكم اياه و من رفع فعلى العطف و لا يكون هذا بدلا وقوله بل اداركَ علمهم في الآخرة اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر و عامة قراء أهل الكوفة بل ادّارك بكسر اللام من بل و تشديد الدال من ادّارك بمعنى بل تدارك علمهم أي تتابع علمهم بالآخرة هل هي كائنة أم لا ثم أدغمت التاء في الدال كما قيل اثّاقلتم الى الارض و قد بينا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من اعادته و قرأته عامة قراء أهل مكة بل أدرك علمهم في الآخرة بسكون الدال و فتح الالف بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة و كان أبو عمرو بن العلاء ينكر فيما ذكر عنه قراءة من قرأ بل أدرك و يقول ان بل ايجاب و الاستفهام في هذا الموضع انكار و معنى الكلام اذا قرئ كذلك بل أدرك لم يكن ذلك لم يدرك علمهم في الآخرة و بالاستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذي ذكرت ان أبا عمرو أنكره و بنحو الذي ذكرت عن المكيين انهم قرؤه ذكر عن مجاهد انه قرأه غير انه كان يقرأ في موضع بل أم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الله بن موسى قال ثنا عثمان بن الاسود عن مجاهد انه قرأ أم أدرك علمهم و كان ابن عباس فيما ذكر عنه يقرأ باثبات ياء في بل ثم يبتدئ أادّارك بفتح ألفها على وجه الاستفهام و تشديد الدال **حدثنا** ابن حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس في هذه الآية بلى أادّارك علمهم في الآخرة أي لم يدرك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي حمزة قال سمعت ابن عباس يقرأ بلى أادّارك علمهم في الآخرة انما هو استفهام انه لم يدرك و كأن ابن عباس وجه ذلك الى ان مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذبين بالبعث و الصواب من القراآت عندنا في ذلك القراءتان اللتان ذكرت احداهما عن قراءة أهل مكة و البصرة و هي بل أدرك علمهم بسكون لام بل و فتح ألف ادرك و تخفيف دالها و الاخرى منهما عن قراءة الكوفة و هي بل ادّارك بكسر اللام و تشديد الدال من ادّارك لانهما القراءتان المعروفتان في قراء الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا فأما القراءة التي ذكرت عن ابن عباس فانها و ان كانت صحيحة المعنى و الاعراب فخلاف لما عليه مصاحف المسلمين و ذلك ان في بلى زيادة ياء في قراءته ليست في المصاحف و هي مع ذلك قراءة لا نعلمها قرأ بها أحد من قراء الامصار و أما القراءة التي ذكرت عن ابن محيصن فان الذي قال فيها أبو عمرو قول صحيح لان العرب تحقق ببل ما بعدها لا تنفيه و الاستفهام في هذا الموضع انكار لا اثبات و ذلك ان الله قد أخبر عن المشركين انهم من الساعة في شك فقال بل هم في شك منها بل هم منها عمون و اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه بل ادرك علمهم في الآخرة فايقنوها اذ عاينوها حين لم ينفعهم يقينهم بها اذ كانوا بها في الدنيا يكذبون ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء الخراساني عن ابن عباس بل ادرك علمهم قال بصرهم في الآخرة حين لم ينفعهم العلم و البصر و قال آخرون بل معناه بل غاب علمهم في الآخرة ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله بل ادرك علمهم في الآخرة يقول غاب علمهم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بل ادارك علمهم في الآخرة قال يقول ضل علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم هم منها عمون و قال آخرون معنى ذلك لم يبلغ لهم فيها علم

الافسادهم بقتل نبيهم و التقاسم التحالف فان كان أمرا فظاهر و ان كان خبرا فمحله نصب باضمار قد أي قالوا متقاسمين و التبييت العزم على اهلاك العدو ليلا و أشير على الاسكندر بالبيات فقال ليس من دين الملوك استراق (٥) الظفر قال في الكشاف كأنهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا و بيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله فاذا ذكروا أحدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما قلت انما ارتكب هذا التكلف لانه استقبح ان يأتي العاقل بالخبر على خلاف المخبر عنه يروى انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه و من أهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب مبادرين و قالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فهذا مكرهم فبعث الله صخرة فطبقت عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم و لم يدروا ما فعل بقومهم و عذب الله كلا في مكانه و نجى صالحا و من معه و هذا مكر الله و قيل جاؤا بالليل شاهري سيوفهم و قد أرسل الله الملائكة فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة و لا يرون راميا من قرأ انا دمرناهم بالفتح فمرفوع المحل بدلا من العاقبة أو خبرا لمحذوف أي هي تدميرهم أو منصوب على انه خبر كان أي كان عاقبة مكرهم الدمار أو مجرور تقديره لانا و جوز في الكشاف على هذا التقدير أن يكون منصوبا بنزع الخافض و انتصب خاوية على الحال و العامل معنى الاشارة في تلك و انما قال في هذه السورة و أنجينا الذين آمنوا موافقة لما بعده فأنجيناه و أهله و أمطرنا و كله على افعل و قال في حم السجدة و نجينا الذين آمنوا و كانوا يتقون موافقة لما قبله و ما بعده و زينا و قيضنا و الله أعلم القصة الخامسة قصة لوط و انتصب لوطا باضمار اذكر او بما دل عليه و لقد أرسلنا و اذ بدل على الاول بمعنى مجرد الوقت ظرف على الثاني و يبصرون امامن بصر الحاسة فكأنهم كانوا معلنين بتلك المعصية في ناديهم أو أراد ترون آثار

ذ كر من قال ذلك حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى عن جدى قال ثنا الحسين عن قتادة فى قوله بل ادرك علمهم فى الآخرة قال كان يقرؤها بل ادرك علمهم فى الآخرة قال لم يبلغ لهم فيها علم ولا يصل اليها منهم رغبة وقال آخرون معنى ذلك بل ادرك أم أدرك ذ كر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا و رقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بل ادرك علمهم قال أم أدرك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عثمان عن مجاهد بل ادرك علمهم قال أم أدرك علمهم من أين يدرك علمهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ بل ادرك القول الذى ذ كرناه عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وهو ان معناه اذا قرئ كذلك وما يشعرون أيان يبعثون بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك فى الآخرة حين يبعثون فلا ينفعهم علمهم به حينئذ فأما فى الدنيا فانهم منها فى شك بل هم منها عمون وانما قلت هذا القول أولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب على القراءة التى ذ كرت لان ذلك أظهر معانيه واذ كان ذلك معناه كان فى الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ما ظهر منه عنه وذلك أن معنى الكلام وما يشعرون أيان يبعثون بل يشعرون ذلك فى الآخرة فالكلام اذا كان ذلك معناه وما يشعرون أيان يبعثون بل أدرك علمهم بذلك فى الآخرة بل هم فى الدنيا فى شك منها وأما على قراءة من قرأه بل ادارك بكسر اللام وتشديد الدال فالقول الذى ذ كرنا عن مجاهد وهو أن يكون معنى بل أم والعرب تضع أم موضع بل وموضع بل أم اذا كان فى أول الكلام استفهام كما قال الشاعر

فوالله ما أدرى أسلمى تقولت * أم اليوم أم كل الى حبيب

يعنى ذلك بل كل الى حبيب فيكون تأويل الكلام وما يشعرون أيان يبعثون بل تدارك علمهم فى الآخرة يعنى تتابع علمهم فى الآخرة أى بعلم الآخرة أى لم يتتابع بذلك ولم يعلموه بل غاب علمهم عنه وضل فلم يبلغوه ولم يدركوه وقوله بل هم فى شك منها يقول بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة فى شك من قيامها لا يوقنون بها ولا يصدقون بانهم مبعوثون من بعد الموت بل هم منها عمون يقول بل هم من العلم بقيامها عمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين) يقول تعالى ذ كره قال الذين كفروا بالله أئنا لمخرجون من قبورنا أحياء كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن كنا فيها ترابا قد بلينا لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل يقول لقد وعدنا هذا من قبل محمد واعدون وعدوا ذلك آباءنا فلم نر لذلك حقيقة ولم نتبين له صحة ان هذا الا أساطير الاولين يقول قالوا ما هذا الوعد الا ما سطر الاولون من الاكاذيب فى كتبهم فاثبتوه فيها وتحدثوا به من غير أن يكون له صحة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) يقول تعالى ذ كره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المكذبين ما جئتهم به من الانباء من عند ربك سيروا فى الارض فانظروا الى ديار من كان قبلكم من المكذبين رسل الله ومساكنهم كيف هى ألم يخربها الله ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم وردهم عليهم نصائحهم فخلت منهم الديار وتعفت منهم الرسوم والآثار فان ذلك كان عاقبة اجرامهم وذلك سنة ربكم فى كل من سلك سبيلهم فى تكذيب رسل ربهم والله فاعل ذلك بكم ان أنتم لم تبادروا الانابة من كفركم وتكذيبكم رسول ربكم وقوله ولا تحزن عليهم يقول تعالى ذ كره لنبيه

الضلالة قبلكم أو من بصر القلب والمراد تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا بمثلها وعلى هذا فمعنى قوله بل أنتم قوم تجهلون انكم تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك أو أراد جهلهم بالعاقبة (٦) أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها والخطاب فى قوله تجهلون تغليب ولو قرئ بياء الغيبة نظرا الى الموصوف وهو قوم لجاز من حيث القرينة وباقى القصة مذكور فى الاعراف قل الحمد لله قيل هو خطاب للوط عليه السلام ان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الذنوب وبالنجاة من العذاب وقيل أمر لنبينا صلى الله عليه وسلم بالتحميد على الهالكين من كفار الامم وبالتسليم على الانبياء وأشياعهم الناجين والاكثرون على انه خطاب مستأنف لانه صلى الله عليه وسلم كان كالمخالف لمن تقدمه من الانبياء من حيث ان عذاب الاستئصال مرتفع عن قومه فامره الله سبحانه بان يشكر ربه على هذه النعمة ويسلم على الانبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة ثم شرع فى الدلالة على الوحدانية والرد على عبدة الاوثان وفيه توقيف على أدب حسن وبعث على التيمن بالحمد والصلاة قبل الشروع فى كل كلام يعتد به ولذا توارثه العلماء خلفا عن سلف فافتتحوا بهما امام كل كتاب وخطبة وعند التكلم بكل أمر له شأن قال جار الله معنى الاستفهام وأم المتصلة فى قوله الله خير اما يشركون الزام وتبكيت وتهكم بحالهم وتنبيه على الخطا المفرط والجهل المفرط فمن المعلوم انه لا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه قلت يحتمل ان يكون هذا من قبيل الكلام المصنف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدل عن الاستفهام بذكر الذات الى الاستفهام بذكر الصفات مبتدأ بما هو أبين الحسنات فقال أمن خلق السموات وانما قال ههنا وأنزل لكم واقتصر فى ابراهيم على قوله وأنزل

محمد صلى الله عليه وسلم ولا تحزن على ادبار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك ولا تكن في ضيق مما يمكرون يقول ولا يضيق صدرك من مكرهم بك فان الله ناصرك عليهم ومهلكهم قتلا بالسيف

القول في تأويل قوله تعالى (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) يقول تعالى ذكره ويقول مشركو قومك يا محمد المكذبوك فيما أتيتهم به من عند ربك متى يكون هذا الوعد الذي تعدناه من العذاب الذي هو بنا فيما تقول حال ان كنتم صادقين فيما تعدوننا به قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي يقول جل جلاله قل لهم يا محمد عسى أن يكون اقترب لكم ودنا بعض الذي تستعجلون من عذاب الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قل عسى أن يكون ردف لكم يقول أصوب لكم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون يقول اقترب لكم بعض الذي تستعجلون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عسى أن يكون ردف لكم قال ردف أعجل لكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون قال أزف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ردف لكم اقترب لكم واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله ردف لكم وكلام العرب المعروف ردفه أمر وأردفه كما يقال تبعه وأتبعه فقال بعض نحويي البصرة أدخل اللام في ذلك فأضاف بها الفعل كما يقال للرؤيا تعبرون ولربهم يرهبون وقال بعض نحويي الكوفة أدخل اللام في ذلك للمعنى لان معناه دنا لهم كما قال الشاعر * فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى * فادخل الباء في يطرحن وانما يقال طرحته لان معنى الطرح الرمي فادخل الباء للمعنى اذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى وهذا القول الثاني هو أولاهما عندي بالصواب وقد مضى البيان عن نظائره في غير موضع من الكتاب بما أغنى عن تكراره في هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في معنى قوله تستعجلون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ردف لكم بعض الذي تستعجلون قال من العذاب

القول في تأويل قوله تعالى (وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) يقول تعالى ذكره وان ربك يا محمد لذو فضل على الناس بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم اياه وكفرهم به وذو احسان اليهم في ذلك وفي غيره من نعمه عندهم ولكن أكثرهم لا يشكرونه على ذلك من احسانه وفضله عليهم فيخلصوا له العبادة ولكنهم يشركون معه في العبادة ما يضرهم ولا ينفعهم ومن لا فضل له عندهم ولا احسان وقوله ان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يقول وان ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه ومكنون أنفسهم وخفي أسرارهم وعلانية أمورهم الظاهرة لا يخفى عليه شئ من ذلك وهو محصيها عليهم حتى يجازي جميعهم بالاحسان احسانا وبالاساءة جزاءها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثني الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم قال السر

القول في تأويل قوله تعالى (وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) يقول تعالى ذكره وما من مكتوم سر وخفي أمر يغيب

لان لفظة لكم وردت هناك بالآخر وليس قوله ما كان لكم مغنيا عن ذكره لانه نفي لا يفيد معنى الاول ومعنى الالتفات من الغيبة الى التكلم في قوله فأنبتنا تأكيد معنى اختصاص الانبات بذاته لان الانسان قد يتوهم ان له مدخلا في ذلك من حيث الغرس

والسقي والحدائق جمع حديقة البستان عليه حائط من الاحداق الاحاطة والبهجة الحسن والنضارة لان الناظر يبتهج به وانما لم يقل ذوات بهجة على الجمع لان المعنى جماعة حدائق كما يقال النساء ذهبت ومعنى أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل شريكا له قال في الكشاف قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم قلت انما تعين الغيبة ههنا لان الخطاب في قوله ما كان لكم انما هو لجميع الناس أي ما صح وما ينبغي للانسان ان يتأتى منه الانبات ولو قال بعد ذلك بل أنتم لزم ان يكون كل الناس مشركين وليس كذلك وقوله يعدلون من العدل أو من العدول أي يعدلون به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد ثم شرع في الاستدلال بأحوال الارض وما عليها والقرار المستقر أي دحاها وسواها بحيث يمكن الاستقرار عليها والحاجز البرزخ كما في الفرقان ثم استدل بحاجة الانسان اليه على العموم والمضطر الذي عراه ضر من فقر أو مرض فألجأه الى التضرع الى الله سبحانه وانه افتعال من الضر وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب ودعاؤه استغفاره والمضطر اسم جنس يصلح للكل وللبعض فلا يلزم من الآية اجابة جميع المضطرين نعم يلزم الاجابة بشرائط الدعاء كما في البقرة في قوله ادعوني أستجب لكم وقوله ويكشف السوء كالبيان لقوله

يجيب المضطر والخلافة في الارض اما بتوارث السكنى واما بالملك والتسلط وقد مر في آخر الانعام وقوله قليلا ما تذكرون معناه تذكرون تذكرا قليلا ويجوز أن يراد بالقلة العدم ثم استدل بحاجة الناس خصوصا والهداية في البر والبحر بالعلامات وبالنجوم ثم استدل بأحوال

عن أبصار الناظرين فى السماء والارض الافى كتاب وهو أم الكتاب الذى أثبت ربنا فيه كل ماهو كائن من لدن ابتدأ خلق خلقه الى يوم القيامة و يعنى بقوله مبين انه يبين لمن نظر اليه وقرأ مافيه مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنا عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومامن غائبة فى السماء والارض الافى كتاب مبين يقول مامن شئ فى السماء والارض سر ولا علانية الا يعلمه وقوله ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون يقول تعالى ذكره ان هذا القرآن الذى أنزلته اليك يا محمد يقص على بنى اسرائيل الحق فى أكثر الاشياء التى اختلفوا فيها وذلك كالذى اختلفوا فيه من أمر عيسى فقالت اليهود فيه ماقالت وقالت النصارى فيه ماقالت وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء و هؤلاء من هؤلاء وغير ذلك من الامور التى اختلفوا فيها فقال جل ثناؤه لهم ان هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فاتبعوه واقروا بمافيه فانه يقص عليكم بالحق ويهديكم الى سبيل الرشاد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم) يقول تعالى ذكره ان هذا القرآن لهدى يقول لبيان من الله بين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم و رحمة للمؤمنين يقول و رحمة لمن صدق به وعمل بمافيه ان ربك يقضى بينهم يقول ان ربك يقضى بين المختلفين من بنى اسرائيل بحكمه فيهم فينتقم من المبطل منهم و يجازى المحسن منهم المحق بجزائه وهو العزيز العليم يقول و ربك العزيز فى انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه اذا انتقم العليم بالمحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بنى اسرائيل فيما اختلفوا فيه ومن غيرهم من المبطل الضال عن الهدى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ففوض الى الله يا محمد أمورك وثق به فيها فانه كافيك انك على الحق المبين لمن تأمله وفكر مافيه بعقل وتدبره بفهم انه الحق دون ماعليه اليهود والنصارى المختلفون من بنى اسرائيل ودون ماعليه أهل الاوثان المكذبوك فيما أتيتهم به من الحق يقول فلا يحزنك تكذيب من كذبك وخلاف من خالفك وامض لامر ربك الذى بعثك به وقوله انك لا تسمع الموتى يقول انك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فاماته لان الله قد ختم عليه أن لا يفهمه ولا تسمع الصم الدعاء يقول ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه اذا ولوا مدبرين يقول اذا هم أدبروا معرضين عنه لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم ولا يصغون للحق ولا يتدبرونه ولا ينصتون لقائله ولكنهم يعرضون عنه و ينكرون القول به والاستماع له ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة و بعض الكوفيين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم وما أنت بهادى بالياء والالف واضافته الى العمى بمعنى لست يا محمد بهادى من عمى عن الحق عن ضلالته وقرأته عامة قراء الكوفة وما أنت تهدى العمى بالتاء ونصب العمى بمعنى ولست تهديهم عن ضلالتهم ولكن الله يهديهم ان شاء والقول فى ذلك عندى انهما قراءتان متقاربتا المعنى مشهورتان فى قراء الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ماوصفت وما أنت يا محمد بهادى من أعماه الله عن الهدى والرشاد فجعل على بصره غشاوة عن أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التى هو فيها الى طريق

المبدأ والمعاد ومابينهما وذلك انهم كانوا معترفين بالابداء ودلالة الابداء على الاعادة دلالة ظاهرة فكأنهم كانوا مقرين بالاعادة أيضا فاحتج عليهم بذلك لذلك والرزق من السماء ماء ومن الارض النبات واعلم أن الله سبحانه ذكر قوله أءله مع الله فى خمس آيات على التوالى وختم الاولى بقوله بل هم قوم يعدلون ثم بقوله بل أكثرهم لا يعلمون ثم بقوله قليلا ماتذكرون ثم بقوله تعالى الله عما يشركون ثم هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين والسر فيه ان أول الذنوب العدول عن الحق ثم لم يعلموا ولو علموا ماعدلوا ثم لم يتذكروا فيعلموا بالنظر والاستدلال فاشركوا من غير حجة و برهان قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ان مع الله الها آخر وحين بين اختصاصه بكمال القدرة أراد ان يبين اختصاصه بعلم الغيب قال فى الكشاف هذا على لغة بنى تميم يرفعون المستثنى المنقطع على البدل اذا كان المبدل مرفوعا يقولون مافى الدار أحد الا حمار كان أحدا لم يذكر كقوله وبلدة ليس لها أنيس * الا اليعافير والا العيس والمعنى ان كان الله ممن فى السموات والارض فهم يعلمون الغيب كما ان معنى البيت ان كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتاء للقول بخلوها عن الانيس قلت لقائل أن يقول ان استثناء نقيض المقدم غير منتج فلا يلزم من استحالة كون الله سبحانه فى كل مكان ممن فى السموات والارض انهم لا يعلمون الغيب ولا من امتناع كون اليعافير أنيسا القطع بخلو البلدة عن الانيس وقال غيره ان الاستثناء متصل لان الله سبحانه فى كل مكان بالعلم فيصح الرفع عند الحجازيين أيضا وزيفه فى الكشاف بان كونه فى السموات والارض بالعلم مجاز وكون الخلق فيهن حقيقة من حيث حصول ذواتهم فى تلك الاحياز ولا يصح أن يريد المتكلم بلفظ واحد حقيقة ومجازا معا وأجيب بانا نحمل كون الخلق فيهن على المعنى المجازى أيضا لانهم أيضا عالمون بتلك الاماكن لا أقل من العلم الاجمالى وضعفه فى الكشاف بان فيه ابهام

الرشاد وسبيل الرشاد وقوله ان تسمع الامن يؤمن با ياتنا يقول ما تقدر أن تفهم الحق وتوعيه سمع أحد الاسمع من يصدق با ياتنا يعني بادلته وحججه وآى تنزيله فهم مسلمون فان أولئك يسمعون منك ما تقول ويتدبرونه ويفكرون فيه ويعملون به فهم الذين يسمعون ذكر من قال مثل الذي قلنا في قوله تعالى وقع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله واذا وقع القول عليهم قال حق عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا وقع القول عليهم يقول اذا وجب القول عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقع القول عليهم قال حق العذاب قال ابن جريج القول العذاب ذكر من قال قولنا في معنى القول حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا وقع القول عليهم والقول الغضب حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام عن حفصة قالت سألت أبا العالية عن قوله واذا وقع القول عليهم فقال أوحى الله الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن قالت فكأنما كان على وجهي غطاء فكشف وقال جماعة من أهل العلم خروج هذه الدابة التي ذكرها حين لا يامر الناس بمعروف ولا ينهون عن منكر ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية العوفي عن ابن عمر في قوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض قال هو حين لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا محمد بن الحسن أبو الحسن قال ثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن ابن عمر في قوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض قال ذاك اذا ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية عن ابن عمر في قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال حين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر حدثني محمد بن عمرو المقدمي قال ثنا أشعث بن عبد الله السجستاني قال ثنا شعبة عن عطية في قوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال اذا لم يعرفوا معروفا ولم ينكروا منكرا وذكر ان الارض التي تخرج منها الدابة مكة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنى الاشجعي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر قال تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن الفرات القزاز عن عامر بن واثلة أبي الطفيل عن واثلة بن أسد الغفاري قال ان الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون والله لقد رأينا الدابة حتى يبلغ ذلك الامام فيطلب فلا يقدر على شئ قال ثم تخرج فيراها الناس فيقولون والله لقد رأيناها فيبلغ ذلك الامام فيطلب فلا يرى شيأ فيقول أما اني اذا حدث الذي يذكرها قال حتى يعد فيها القتل قال فتخرج فاذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون فتجيء اليهم فتقول الآن تصلون فتخطم الكافر وتمسح على جبين المسلم غرة قال فيعيش الناس زمانا يقول هذا يا مؤمن وهذا يا كافر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عثمان بن مطر عن واصل مولى أبي عيينة عن أبي الطفيل عن حذيفة وأبي سفيان حدثنا عن معمر عن قيس بن سعد عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد في قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال للدابة ثلاث خرجات خرجة في بعض البوادي ثم تكمن وخرجة في بعض القرى حين يهريق فيها الامراء الدماء ثم تكمن فبينا الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها اذا ارتفعت بهم الارض فانطلق الناس هرابا وتبقى

تسوية بين الله وبين العبد في العلم وهو خروج عن الادب ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت لمن قال ومن يعصهما فقد غوى والحق ان وقوع اللفظ على الواجب وعلى الممكن بمعنى واحد لابد أن يكون بالتشكيك اذ هو في الواجب أدل وأولى لامحالة فهذا الوهم مدفوع عند العاقل ولا يلزم منه سوء الادب ولهذا جاز اطلاق العالم والرحيم والكريم ونحوهما على الواجب وعلى الممكن معا من غير محذور شرعي ولا عقلي وليس هذا كالجمع بين الضميرين اذا كان يمكن للقائل ان يفرق بينهما فيزداد الكلام جزالة ونخامة عن عائشة من زعم انه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن الخلق مكره قال المفسرون سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة فنزلت وأيان بمعنى متى الا انه لا يسأل به الا عن أمر ذي بال وهو متعال من أن يبين ٧ فلو سمى به لانصرف وحين ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث الكائن وقته بين ان عندهم عجزا آخر أبلغ منه وهو انهم ينكرون الامر الكائن مع ان عندهم أسباب معرفته فقال بل ادارك أي تدارك ومن قرأ بغير الالف فهو افتعل من الدرك أي تتابع واستحكم ومعنى أدرك بقطع الهمزة انتهى وتكامل علمهم في الآخرة أي في شأنها ومعناها ويمكن ان يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما يقول لاجهل الناس ما أعلمك واذا لم يعرفوا نفس البعث يقينا فلان لا يعرفوا وقته أولى ويحتمل أن تكون أدرك بمعنى انتهى وفني من قولهم أدركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وصفهم أولا بانهم لا يشعرون

وقت البعث ثم اضرب عن ذلك قائلا انهم لا يعلمون القيامة فضلا عن وقتها ثم ان عدم العلم قد يكون مع الغفلة الكلية فاضرب عن ذلك قائلا انهم ليسوا غافلين بالكلية ولكنهم في شك (١٠) ومرية ثم ان الشك قد يكون بسبب عدم الدليل فاضرب عن ذلك قائلا انهم عمون عن ادراك الدليل مع وضوحه وقد جعل الآخرة مبدأ أعمالهم ومنشأه فلهذا عداه بمن دون عن والضمائر تعود الى من في السموات والارض وذلك ان المشركين كانوا في جملتهم فنسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا وانما فعله ناس منهم قاله في الكشاف قلت قد تقدم ذكر المشركين في قوله بل هم قوم يعدلون وغيره فلا حاجة الى هذا التكلف ولو لم يتقدم جاز للقرينة

* التأويل ولقد أرسلنا صالح القلب بالالهام الرباني الى صفات القالب وهو الفريق المؤمن والى النفس وصفاتها وهو الفريق الكافر والسيئة طلب الشهوات واللذات الفانية والحسنة طلب السعادات الباقية وكان في مدينة القالب الانساني تسعة رهط هم خواص العناصر الاربعة والحواس الخمس يفسدون في أرض القلب بافساد الاستعداد الفطري تقاسموا بالموافقة على السعي في اهلاك القلب وصفاته وأن يقولوا لوليه وهو الحق سبحانه ما أهلكناهم وما حضرنا مع النفس الامارة حين قصدت هلاكهم ومكروا مكرا في هلاك القلب بالهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية ومكرنا مكرا بتواتر الواردات الربانية وتجلي صفات الجمال والجلال وهم لا يشعرون ان صلاحهم في هلاكهم فمن قتلته فانا ديته فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا أفنينا خواص التسعة وآفاتها وأفنينا قومهم أجمعين وهم النفس وصفاتها فتلك بيوتهم وهي القالب والاعضاء التي هي مساكن الحواس خالية عن الحواس المهلكة والآفات الغالبة بما ظلموا أي وضعوا من نتائج خواص العناصر وآفات الحواس في غير موضعها وهو القلب وكان موضعها النفس بأمر الشارع لا بالطبع لاصلاح

طائفة من المؤمنين ويقولون انه لا ينجينا من الله شيء فتخرج عليهم الدابة فتجلو وجوههم مثل الكوكب الدري ثم تنطلق فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وتأتي الرجل يصلي فتقول والله ما كنت من أهل الصلاة فيلتفت اليها فتخطمه قال تجلو وجه المؤمن وتخطم الكافر قلنا فما الناس يومئذ قال جيران في الرباع وشركاء في الاموال وأصحاب في الاسفار حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن البيلماني عن ابن عمر يبيت الناس يسيرون الى جمع وتبيت دابة الارض تسايرهم فيصبحون وقد خطمتهم من رأسها وذنبها فما من مؤمن الا مسحته ولا من كافر ولا منافق الا تخبطه حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا الجبيري عن خبان بن عمير عن حسان بن حصة قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول لو شئت لانتعلت بنعلي هاتين فلم أمس الارض قاعدا حتى أقف على الاحجار التي تخرج الدابة من بينها ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج قال فما حججت قط الا خفت تخرج بعقبنا حدثنا عمرو بن عبد الحميد الاملي قال ثنا أبو أسامة عن هشام عن قيس بن سعد عن عطاء قال رأيت عبد الله بن عمرو وكان منزله قريبا من الصفا رفع قدمه وهو قائم وقال لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذي تخرج منه الدابة حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا سفيان بن سعيد الثوري قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر الدابة فقال حذيفة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها ملمعة ذات وبر وريش لم يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمن وكافر أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء كافر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الحسين عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أوس بن خالد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل البيت ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر قال حدثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال هي دابة ذات زغب وريش ولها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة قال قال عبد الله بن عمر انها تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء فتفشو في وجهه فيسود وجهه وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه فيجلس أهل البيت على المائدة فيعرفون المؤمن من الكافر ويتبايعون في الاسواق فيعرفون المؤمن من الكافر حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا ابن لهيعة ويحيى بن أيوب قال ثنا ابن الهاد عن عمر بن الحكم انه سمع عبد الله بن عمرو يقول تخرج الدابة من شعب فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الارض ما خرجتا فتمر بالانسان يصلي فتقول ما الصلاة من حاجتك فتخطمه حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا ابن أبي فديك قال ثنا يزيد بن عياض عن محمد بن اسحق انه بلغه عن عبد الله بن عمرو قال تخرج دابة الارض ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فأما الكافر فتختم بين عينيه بخاتم سليمان وأما المؤمن فتمسح وجهه بعصا موسى فيبيض واختلفت القراء في قراءة قوله تكلمهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار تكلمهم بضم التاء وتشديد اللام بمعنى تخبرهم وتحدثهم وقرأه أبو زرعة بن عمرو تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنى تسمهم والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك ما عليه قراء الامصار

وبنحو

و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال تحدثهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم وهى فى القراءة تحدثهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله تكلمهم قال كلامها تنبئهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وقوله أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة والشام ان الناس بكسر الالف من ان على وجه الابتداء بالخبر عن الناس انهم كانوا بآيات الله لا يوقنون وهى وان كسرت فى قراءة هؤلاء فان الكلام لها متناول وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة و بعض أهل البصرة أن الناس كانوا بفتح ان بمعنى تكلمهم بان الناس فيكون حينئذ نصبا بوقوع الكلام عليها والصواب من القول فى ذلك انهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضتان فى قراءة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (و يوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره و يوم نجمع من كل قرن وملة فوجا يعنى جماعة منهم و زمرة ممن يكذب بآياتنا يقول ممن يكذب بأدلتنا وحججنا فهو يحبس أولهم على آخرهم ليجتمع جميعهم ثم يساقون الى النار و بنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله و يوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون يعنى الشيعة عند الحشر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من كل أمة فوجا قال الزمرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله نحشر من كل أمة فوجا قال زمرة زمرة فهم يوزعون حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون قال يقول فهم يدفعون حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله فهم يوزعون قال يحبس أولهم على آخرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهم يوزعون قال وزعة ترد أولاهم على أخراهم وقد بينت معنى قوله يوزعون فيما مضى قبل بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وقوله حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما يقول تعالى ذكره حتى اذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله أكذبتم بآياتى أى بحججى وأدلتى ولم تحيطوا بها علما يقول ولم تعرفوها حق معرفتها أم ماذا كنتم تعملون فيها من تكذيب أو تصديق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يقول تعالى ذكره ووجب السخط والغضب من الله على المكذبين بآياته بما ظلموا يعنى بتكذيبهم بآيات الله يوم يحشرون فهم لا ينطقون يقول فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حل بهم ووقع عليهم من القول وقوله ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه يقول تعالى ذكره ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار ومخالفتنا بينهما بتصييرنا هذا سكنا لهم يسكنون فيه و يهدؤن راحة أبدانهم من تعب التصرف والتقلب نهارا وهذا مضيئا يبصرون فيه الاشياء و يعاينونها فيتقلبون

الغالب و بقائه و أنجينا الذين آمنوا وهم القلب وصفاته من شر النفس وصفاتها ولوطا الروح اذ قال لقومه وهم القلب والسر والعقل عند تبدل أوصافهم بمجاورة النفس أتأتون الفاحشة وهى كل ما زلت به أقدامهم عن الصراط المستقيم وأمارتها فى الظاهر اتيان المناهى على وفق الطبع وفى الباطن حب الدنيا وشهواتها وأنتم تبصرون تميزون الخير من الشر واتيان الرجال دون النساء عبارة عن صرف الاستعداد فيما يبعد عن الحق لا فيما يقرب منه فما كان جواب قومه وهم القلب المريض بتعلق حب الدنيا والسر المكدر بكدورات الرياء والنفاق والعقل المشوب بآفة الوهم والخيال أخرجوا الصفات الروحانية من قرية الشخص الانسانى انهم أناس يتطهرون من لوث الدنيا وشهواتها فأنجيناه وأهله وهم السر والعقل وصفاتهما من عذاب تعلق الدنيا الا امرأته وهى النفس الامارة بالسوء وأمطرنا على النفس وصفاتها مطرا بترك الشهوات فساء مطر المنذرين أى صعب فان الفطام من المألوفات شديد وهذه حالة مستدعية للحمد والشكر فلهذا قال قل الحمد لله وسلام من تعلقات الكونين وآفات الوجود المجازى على عباده أمن خلق سموات القلوب وأرض النفوس وأنزل من سماء القلب ماء نظر الرحمة فأنبتنا به حدائق من العلوم والمعانى والاسرار أاله مع الله من الهوى أمن جعل ارض النفس قرارا فى الجسد وجعل خلالها أنهارا من دواعى البشرية وجعل لها رواسى من القوى والحواس وجعل بين بحر الروح و بحر النفس حاجز القلب فان فى اختلاطهما فساد حالهما أاله مع الله كما زعمت الطبائعية أمن يجيب المضطر اذا دعاه فى العدم بلسان الحال ويجعلكم مستعدين لخلافته فى الارض أاله مع الله كما زعم أرباب الحلول والاتحاد أمن يهديكم فى ظلمات بر البشرية و بحر الروحانية وان كانت الروحانية نورانية بالنسبة الى ظلمة البشرية والمراد يهديكم باخراجكم من ظلمات البشرية الى نور

فيه لمعايشهم فيتفكروا في ذلك ويتدبروا ويعلموا أن مصرف ذلك كذلك هو الاله الذي لا يعجزه شيء ولا يتعذر عليه اماتة الاحياء واحياء الاموات بعد الممات كما لم يتعذر عليه الذهاب بالنهار والمجيء بالليل والمجيء بالنهار والذهاب بالليل مع اختلاف أحوالهما ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول تعالى ذكره ان في تصييرنا الليل سكنا والنهار مبصرا لدلالة لقوم يؤمنون بالله على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت وحجة لهم على توحيد الله

القول في تأويل قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى وبينا الصواب من القول في ذلك عندنا بشواهده غير انا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر هنالك من الاخبار فقال بعضهم هو قرن ينفخ فيه ذكر بعض من لم يذكر فيما مضى قبل من الخبر عن ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ويوم ينفخ في الصور قال كهيئة البوق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الصور البوق قال هو البوق صاحبه آخذ به يقبض قبضتين بكفيه على طرف القرن بين طرفه وبين فيه قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة احدى رجليه فاشار فبرك على ركبة يساره مقعيا على قدمها عقبها تحت فخذه وأليته وأطراف أصابعها في التراب قال حدثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال الصور كهيئة القرن قد رفع احدى ركبتيه الى السماء وخفض الاخرى لم يلق جفون عينيه على غمض منذ خلق الله السموات مستعدا مستجدا قد وضع الصور على فيه ينتظر متى يؤمر ان ينفخ فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن أبي رافع المدني عن يزيد بن زياد قال أبو جعفر والصواب يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن أبي هريرة انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لله رب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله ويأمره الله فيمدها ويطولها فلا يفتر وهي التي يقول الله ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتكون سرابا وترج الارض بأهلها رجا وهي التي يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون الارض كالسفينة الموثقة في البحر تضربها الامواج تكفأ بأهلها أو كالقنديل المعلق بالوتر ترججه الارياح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الاقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاموات لا يعلمون بشيء من ذلك فقال أبو هريرة يا رسول الله فمن استثنى الله حين يقول ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وامنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن رافع عن محمد بن

الروحانية ومن ظلمات خلقة الروحانية الى نور الربوبية وذلك حين يرسل رياح العناية بين يدي سحاب الهداية أإله مع الله كما يقوله المنجمون ومطر نابنوء كذا وكما يقوله قاصروا النظر هداتنا الشيخ والمعلم الى كذا أمن يبدأ الخلق بالوجود المجازي ثم يعيده بالوجود الحقيقي الى عالم الوحدة ومن يرزقكم من سماء الربوبية لتربية الارواح ومن أرض بشرية الاشباح أإله مع الله كائنا من كان دليله انه لا يعلم الغيب الا هو ومن جملته علم قيام الساعة والله أعلم (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين

وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون (١٣) الا ما كنتم تعملون انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون)* القراآت أئذا أئنا بياء مكسورة بعد همزة مفتوحة ابن كثير ويعقوب غير زيد مثله ولكن بالمد أبو عمرو وزيد أيذا بهمزة مفتوحة ثم ياء مكسورة انا بكسر الهمزة وبعدها نون مشددة سهل اذا من غير همزة الاستفهام آينا بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة يزيد وقالون مثله ولكن من غير مد نافع غير قالون أئنا بهمزتين مفتوحة ثم مكسورة انا بهمزة مكسورة بعدها نون مشددة على وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة أئذا أئنا بهمزتين مفتوحة ثم مكسورة فيهما حمزة وخلف وعاصم ولا يسمع بفتح الياء التحتانية الصم بالرفع ابن كثير وعباس وكذلك فى الروم الآخرون بضم التاء الفوقانية وكسر الميم ونصب الصم وما أنت تهدى على انه فعل العمى بالنصب وكذلك فى الروم حمزة الباقون بهادى على انه اسم فاعل العمى بالجر أتوه مقصورا على انه فعل ماض حمزة وخلف وحفص والمفضل الآخرون بالمد على انه اسم فاعل بما يفعلون على الغيبة ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحماد والاعشى والبرجى والحلوانى عن هشام فزع بالتنوين عاصم وحمزة وعلى وخلف يومئذ بفتح الميم حمزة وأبو جعفر ونافع الباقون بكسرها تعملون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص * الوقوف لمخرجون ٥ من قبل لا تعجز اعن الابتداء بقول الكفار الاولين ٥ المجرمين ٥ يمكرون ٥ صادقين ٥ تستعجلون ٥

كعب القرظى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لما فرغ من السموات والارض خلق الصور فأعطاه ملكا فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال قلت يا رسول الله وما الصور قال قرن قلت فكيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده ان عظم دائرة فيه لكعرض السموات والارض يأمره فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والارض الامن شاء الله ثم ذكر باقى الحديث نحو حديث أبى كريب عن المحاربى غير أنه قال فى حديثه كالسفينة الملقاة فى البحر وقال آخرون بل معنى ذلك ونفخ فى صور الخلق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم ينفخ فى الصور أى فى الخلق قوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض يقول ففزع من فى السموات من الملائكة ومن فى الارض من الجن والانس والشياطين من هول ما يعاينون ذلك اليوم فان قال قائل وكيف قيل ففزع فجعل فزع وهى فعل مردودة على ينفخ وهى يفعل قيل العرب تفعل ذلك فى المواضع التى تصلح فيها اذا لان اذا يصلح معها فعل ويفعل كقولك أزورك اذا زرتنى وأزورك اذا تزورنى فاذا وضع مكان اذا يوم أجرى مجرى اذا فان قيل فأين جواب قوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع قيل جائز أن يكون مضمرا مع الواو كأنه قيل ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون وذلك يوم ينفخ فى الصور وجائز أن يكون متروكا اكتفى بدلالة الكلام عليه منه كما قيل ولو يرى الذين ظلموا فترك جوابه وقوله الامن شاء الله قيل ان الذين استثناهم الله فى هذا الموضع من أن ينالهم الفزع يومئذ الشهداء وذلك أنهم أحياء عند ربهم يرزقون وان كانوا فى عداد الموتى عند أهل الدنيا وبذلك جاء الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه فى الخبر الماضى و حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عمن حدثه عن أبى هريرة أنه قرأ هذه الآية ففزع من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله قال هم الشهداء وقوله وكل أتوه داخرين يقول وكل أتوه صاغرين وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عيسى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وكل أتوه داخرين يقول صاغرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكل أتوه داخرين قال صاغرين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكل أتوه داخرين قال الداخر الصاغر الراغم قال لان المرء الذى يفزع اذا فزع انما همته الهرب من الامر الذى فزع منه قال فلما نفخ فى الصور فزعوا فلم يكن لهم من الله منجى واختلفت القراء فى قراءة قوله وكل أتوه داخرين فقرأته عامة قراء الامصار وكل آتوه بمد الالف من آتوه على مثال فاعلوه سوى ابن مسعود فانه قرأه وكل أتوه على مثال فعلوه واتبعه على القراءة به المتأخرون الاعمش وحمزة واعتل الذين قرؤا ذلك على مثال فاعلوه باجماع القراء على قوله وكلهم آتيه قالوا فكذلك قوله آتوه فى الجمع وأما الذين قرؤا على قراءة عبد الله فانهم ردوه على قوله ففزع كأنهم وجهوا معنى الكلام الى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن الارض وأتوه كلهم داخرين كما يقال فى الكلام رأى وفر وعاد وهو صاغر والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الامصار ومتقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شئ انه خبير بما يفعلون) يقول تعالى ذكره وترى الجبال يا محمد تحسبها قائمة وهى تمر كالذى حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وترى الجبال تحسبها جامدة يقول قائمة وانما قيل وهى تمر مر السحاب لانها تجمع ثم تسير فيحسب رائيها لكثرتها انها واقفة وهى تسير

لايشكرون ه ومايعلنون ه مبين ه يختلفون ه المؤمنين ه بحكمه ج تعظيما للابتداء بالصفتين مع اتفاق الجملتين العليم ه ج للآية واختلاف الجملتين والفاء واتصال (١٤) المعنى أي اذا كان الحكم لله فاسرع التوكل على الله ط المبين ه مدبرين ه

سيراحثيثا كما قال الجعدى

نازعنى بمثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

قوله صنع الله الذى أتقن كل شئ وأوثق خلقه و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله صنع الله الذى أتقن كل شئ يقول أحكم كل شئ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى ابى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله صنع الله الذى أتقن كل شئ يقول أحسن كل شئ خلقه وأوثقه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الذى أتقن كل شئ قال أوثق كل شئ وسوى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أتقن أوثق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه خبير بما يفعلون يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم وخبرة بما يفعل عباده من خير وشر وطاعة له ومعصية وهو مجازى جميعهم على جميع ذلك على الخير الخير وعلى الشر الشر نظيره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره من جاء الله بتوحيده والايمان به وقول لا اله الا الله موقنا به قلبه فله من هذه الحسنة عند الله خير يوم القيامة وذلك الخير أن يثيبه الله منها الجنة و يؤمنه من فزع الصيحة الكبرى وهى النفخ فى الصور ومن جاء بالسيئة يقول ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه وجحود وحدانيته فكبت وجوههم فى نار جهنم و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ثنى الفضل بن دكين قال ثنا يحيى بن أيوب البجلى قال سمعت أبا زرعة قال قال أبو هريرة قال يحيى أحسبه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون قال وهى لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار قال وهى الشرك حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا أبو يحيى الحمانى عن النضر بن عربى عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون قال من جاء بلا اله الا الله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار قال بالشرك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من جاء بالحسنة فله خير منها يقول من جاء بلا اله الا الله ومن جاء بالسيئة وهو الشرك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن جاء بالسيئة قال بالشرك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من جاء بالحسنة قال كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج وسمعت عطاء يقول فيها الشرك يعنى فى قوله ومن جاء بالسيئة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أبى المحجل عن أبى معشر عن ابراهيم قال كان يحلف ما يستثنى أن من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار قال الشرك حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص قال ثنا سعد بن سعيد عن على بن الحسين وكان رجلا غزاء قال بيناهو فى بعض خلواته حتى رفع صوته لا اله

الا

ضلالتهم ط مسلمون ه تكلمهم ج لمن قرأ بكسر الالف فانه يحتمل ان يكون الكسر للابتداء ولكونها بعد التكليم لانه فى معنى القول ومن فتح فلا وقف اذ التقدير تكلمهم بان لا يوقنون ه يوزعون ه تعملون ه لاينطقون ه مبصرا ط يؤمنون ه من شاء الله ط داخرين ه السحاب ط كل شئ ط تفعلون ه خير منها الا ان ما بعده من تتمة الجزاء آمنون ه لعطف جملتى الشرط فى النار ه تعملون ه شئ ز للعارض وطول الكلام مع العطف المسلمين ه لا للعطف القرآن ج لنفسه ج المنذرين ه فتعرفونها ط تعملون ه * التفسير لما ذكر ان المشركين فى شك من أمر البعث عمون عن النظر فى دلائله أراد أن يبين عامة شبههم وهى مجرد استبعاد احياء الاموات بعد صيرورتهم ترابا عند الحسن قال النحويون العامل فى اذا مادل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج والمراد الاخراج من الارض أو من حال الفناء الى حال الحياة وانما ذهبوا الى هذا التكلف بناء على ان ما بعده همزة الاستفهام وكذا ما بعد ان واللام لا يعمل فيما قبلها لان هذه الاشياء تقتضى صدر الكلام وتكرير حرف الاستفهام فى اذا وانا جميعا انكار على انكار والضمير فى انا لهم ولا بائهم جميعا وقد مر فى سورة المؤمنين تفسير قوله لقد وعدنا وبيان المتشابه فليذكر ثم أوعدهم على عدم قبول قول الانبياء بالنظر فى حال الامم السالفة المكذبة ولم تؤنث كان لان تأنيث العاقبة غير حقيقى أو لان المراد كيف كان عاقبة أمرهم والمراد بالمجرمين الكافرون لان الكفر جرم مخصوص وفيه تنبيه على قبح موقع الجرم أيا ما كان فعلى المؤمن ان يتخوف

الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى و يميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير قال فرد عليه رجل ماتقول يا عبد الله قال أقول ما تسمع قال أما انها الكلمة التى قال الله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من جاء بالحسنة قال الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن جاء بالسيئة يعنى الشرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن ومن جاء بالسيئة يقول الشرك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار قال السيئة الشرك الكفر حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر العدنى قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قوله من جاء بالحسنة قال شهادة أن لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال السيئة الشرك قال الحكم قال عكرمة كل شئ فى القرآن السيئة فهو الشرك و بنحو الذى قلنا فى معنى قوله فله خير منها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فله خير منها وصل اليه الخير يعنى ابن عباس بذلك من الحسنة وصل الى الذى جاء بها الخير حدثنا محمد بن بشار قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا حسين الشهيد عن الحسين من جاء بالحسنة فله خير منها قال له منها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قال من جاء بلا اله الا الله فله خير منها خيرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فله خير منها يقول له منها حظ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج من جاء بالحسنة فله خير منها قال له منها خير فاما أن يكون خيرا من الايمان فلا ولكن منها حين يصيب منها خيرا حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم عن عكرمة قوله من جاء بالحسنة فله خير منها قال ليس شئ خيرا من لا اله الا الله ولكن له منها خير وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من جاء بالحسنة فله خير منها قال أعطاه الله بالواحدة عشرا فهذا خير منها واختلفت القراء فى قراءة قوله وهم من فزع يومئذ آمنون فقرأ ذلك بعض قراء البصرة وهم من فزع يومئذ آمنون باضافة فزع الى اليوم وقرأ ذلك جماعة قراء أهل الكوفة من فزع يومئذ بتنوين فزع * والصواب من القول فى ذلك عندى انهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير ان الاضافة أعجب الى لانه فزع معلوم واذا كان ذلك كذلك كان معرفة على أن ذلك فى سياق قوله و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله فاذا كان ذلك كذلك فمعلوم أنه عنى بقوله وهم من فزع يومئذ آمنون من الفزع الذى قد جرى ذكره قبله واذا كان كذلك كان لاشك انه معرفة وان الاضافة اذا كان معرفة به أولى من ترك الاضافة وأخرى ان ذلك اذا أضيف فهو أبين انه خبر عن امانته من كل أهوال ذلك اليوم منه اذا لم يضف ذلك وذلك انه اذا لم يضف كان الاغلب عليه انه جعل الامان من فزع بعض أهواله وقوله هل تجزون الا ما كنتم تعملون يقول تعالى ذكره قال لهم هل تجزون أيها المشركون الا ما كنتم تعملون اذ كبكم الله لوجوهكم فى النار والاجزاء ما كنتم تعملون فى الدنيا بما يسخط ربكم وترك يقال لهم اكتفاء بدلالة الكلام عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انما أمرت ان أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ وأمرت ان أكون من المسلمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة وهى مكة الذى حرمها على خلقه أن يسفكوا فيها دما حراما أو يظلموا

فامره ان يقول لهم عسى ان يكون وهذه على قاعدة وعد الملوك ووعيدهم يعنون بذلك القطع بوقوع ذلك الامر مع اظهار الوقار والوثوق بما يتكلمون وان كان على سبيل الرجاء والطمع ولمثل هذا قال ردف لكم بعض الذى دون ان يقول ردف لكم الذى واللام زائدة للتأكيد كالباء فى ولا تلقوا بايديكم أو أريد أزف لكم ودنا لكم بتضمين فعل يتعدى باللام ومعناه تبعكم ولحقكم وقال بعضهم المقتضى للعذاب والمؤثر فيه حاصل فى الدنيا الا ان الشعور به غير حاصل كالسكران أو النائم فتمام العذاب انما يحصل بعد الموت وان كان طرف منه حاصلا فى الدنيا فلهذا ذكر البعض ثم ذكر انه متفضل عليهم بتأخير العقوبة فى الدنيا ولكنهم لا يشكرون هذه النعمة فيستعجلون وقوع العقاب بجهلهم وفيه دليل على ان نعمة الله تعم الكافر والمؤمن ثم بين انه مطلع على ما فى صدورهم مما يخفون كالقصود والدواعى وعلى ما يظهرون من أفعال الجوارح وغيرها والعل الغرض انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك ثم أكد ذلك بان المغيبات كلها ثابتة فى اللوح المحفوظ والعاقبة اما مصدر كالعافية واما اسم غير صفة كالذبيحة والرمية واما صفة والتاء للمبالغة كالراوية فى قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه

قيل وما من شئ شديد الغيبوبة الا وهو مثبت فى الكتاب الظاهر المبين لمن ينظر فيه من الملائكة ثم بين لدفع شبه القوم اعجاز القرآن الموافق قصصه لما فى التوراة والانجيل مع كونه صلى الله عليه وسلم أميا والمطابق غرضه لما هو الحق فى نفس الامر وقد حرفه بنو اسرائيل عن

فيها أحداً أو يعاد صيدها أو يختلى خلاها دون الاوثان التى تعبدونها أيها المشركون و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها يعني مكة وقوله وله كل شئ يقول ولرب هذه البلدة الاشياء كلها ملكا فاياه أمرت أن أعبد لا من لا يملك شيأ قال جل ثناؤه رب هذه البلدة الذى حرمها فخصها بالذكر دون سائر البلدان وهو رب البلاد كلها لانه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم أهل مكة بذلك نعمته عليهم واحسانه اليهم وان الذى ينبغى لهم أن يعبدوه هو الذى حرم بلدهم فمنع الناس منهم وهم فى سائر البلاد يأكل بعضهم بعضا و يقتل بعضهم بعضا الا من لم تجر له عليهم نعمة ولا يقدر لهم على نفع ولا ضر وقوله وأمرت أن أكون من المسلمين يقول وأمرني ربي أن أسلم وجهي له حنيفا فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله ابراهيم و جدكم أيها المشركون لا من خالف دين جده المحق ودان بدين ابليس عدو الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وان أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) يقول تعالى ذكره قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة وأن أكون من المسلمين وان أتلو القرآن فمن اهتدى يقول فمن اتبعني وآمن بي و بما جئت به فسلك طريق الرشاد فانما يهتدى لنفسه يقول فانما سلك سبيل الصواب باتباعه اياى وايمانه بي و بما جئت به لنفسه لانه بايمانه بي و بما جئت به يأمن نقمته فى الدنيا وعذابه فى الآخرة وقوله ومن ضل يقول ومن جار عن قصد السبيل بتكذيبه بي و بما جئت به من عند الله فقل انما أنا من المنذرين يقول تعالى ذكره فقل يا محمد لمن ضل عن قصد السبيل وكذبك ولم يصدق بما جئت به من عند ربك انما أنا ممن ينذر قومه عذاب الله وسخطه على معصيتهم اياه وقد أنذرتكم ذلك معشر كفار قريش فان قبلتم وانتهيتم عما يكرهه الله منكم من الشرك به فحظوظ أنفسكم تصيبون وان رددتم وكذبتم فعلى أنفسكم جنيتم وقد بلغتكم ما أمرت بابلاغه اياكم ونصحت لكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك من مشركي قومك متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الحمد لله على نعمته علينا بتوفيقه ايانا للحق الذى أنتم عنه عمون سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه فتعرفون بها حقيقة نصحى كان لكم و يتبين صدق ما دعوتكم اليه من الرشاد و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سيريكم آياته فتعرفونها قال فى أنفسكم وفى السماء والارض والرزق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله سيريكم آياته فتعرفونها قال فى أنفسكم والسماء والارض والرزق وقوله وما ربك بغافل عما تعملون يقول تعالى ذكره وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون ولكن لهم أجل هم بالغوه فاذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا يحزنك تكذيبهم اياك فاني من وراء اهلاكهم واني لهم بالمرصاد فايقن لنفسك بالنصر ولعدوك بالذل والخزى آخر تفسير سورة النمل ولله الحمد والمنة وبه الثقة والعصمة

(تفسير سورة القصص)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

۞ القول فى تأويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه (طسم تلك آيات الكتاب المبين

نتلو

وجهه كاختلافهم فى شأن المسيح فى كثير من الشرائع والاحكام وذكر انه هدى و رحمة لمن آمن منهم وانصف أو منهم ومن غيرهم ثم ذكر ان من لم ينصف منهم فالله يقضي بينهم بحكمه

أى بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما وهو العزيز الذى لا يغالب فيما يريد العليم بما يحكم به ومن يحكم لهم أو عليهم ثم أمره بالتوكل وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل ذلك بامرين أحدهما انه على الحق الابلج وفيه ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بنصرة الله وثانيهما قوله انك لا تسمع الموتى لانه اذا علم ان حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى أو كحال الصم الذين لا يسمعون ولا يفهمون والعمى الذين لا يبصرون ولا يهتدون صار ذلك سببا قويا فى اظهار مخالفتهم وعدم الاعتداد بهم وقوله اذا ولوا مدبرين تأكيد لان الاصم اذا توجه الى الداعى لم يرج منه سماع فكيف اذا ولى مدبرا وهداه عن الضلالة كقولك شفاه عن القيامة ثم بين ان اسماعه لا يجدى الا على الذين علم الله انهم يصدقون بآياته فهم مسلمون أى مخلصون منقادون لامر الله بالكلية ثم هدد المكلفين بذكر طرف من اشراط الساعة وما بعدها فقال واذا وقع القول أى دنا وشارف أن يحصل مؤداه ومفهومه عليهم وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب أخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة وقد تكلم علماء الحديث فيها من وجوه أحدها فى مقدار جسمها فقيل ان طولها ستون ذراعا وقيل ان رأسها تبلغ السحاب وعن أبي هريرة ما بين قرنيها فرسخ للراكب وثانيها فى كيفية خلقتها فروى لها أربع قوائم و زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا وثالثها فى كيفية خروجها عن علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا

يخرج الاثلثها وعن الحسن لايتم خروجها الابعد ثلاثة أيام ورابعها مكان خروجها سئل النبي صلى الله عليه وسلم من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية وخامسها في عدد خروجها

نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) قال أبو جعفر قد بينا قبل فيما مضى تاويل قول الله عز وجل طسم وذكرنا اختلاف أهل التأويل في تاويله وأما قوله تلك آيات الكتاب المبين فانه يعني هذه آيات الكتاب الذي أنزلته اليك يا محمد المبين انه من عند الله وانك لم تتقوله ولم تتخرصه وكان قتادة فيما ذكر عنه يقول في ذلك ما **حدثني** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله طسم تلك آيات الكتاب المبين يعني مبين والله بركته ورشده وهداه وقوله نتلوا عليك يقول نقرأ عليك ونقص في هذا القرآن من خبر موسى وفرعون بالحق كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون يقول في هذا القرآن نبؤهم وقوله لقوم يؤمنون يقول لقوم يصدقون بهذا الكتاب ليعلموا انما نتلوا عليك من نبائهم فيه نبأهم وتطمئن نفوسهم بان سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين سنتنا فيمن عادى موسى ومن آمن به من بني اسرائيل من فرعون وقومه ان نهلكهم كما أهلكناهم وننجيهم منهم كما أنجيناهم منهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين) يقول تعالى ذكره ان فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر وعلا أهلها وقهرهم حتى أقروا له بالعبودة كما **حدثنا** محمد بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي ان فرعون علا في الارض يقول تجبر في الارض **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان فرعون علا في الارض أي بغى في الارض وقوله وجعل أهلها شيعا يعني بالشيع الفرق يقول وجعل أهلها فرقا متفرقين كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل أهلها شيعا أي فرقا يذبح طائفة منهم ويستحيي طائفة ويعذب طائفة ويستعبد طائفة قال الله عز وجل يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين **حدثني** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كان من شأن فرعون انه رأى رؤيا في منامه ان نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل وأحرقت بيوت مصر فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة فسألهم عن رؤياه فقالوا له يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو اسرائيل منه يعنون بيت المقدس رجل يكون على وجهه هلاك مصر فامر ببني اسرائيل أن لا يولد لهم غلام الاذبحوه ولا تولد لهم جارية الاتركت وقال للقبط انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا فادخلوهم واجعلوا بني اسرائيل يلون تلك الاعمال القذرة فجعل بني اسرائيل في أعمال غلمانهم وادخلوا غلمانهم فذلك حين يقول ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يعني بني اسرائيل حين جعلهم في الاعمال القذرة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجعل أهلها شيعا قال فرق بينهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وجعل أهلها شيعا قال فرقا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وجعل أهلها شيعا قال الشيع الفرق وقوله يستضعف طائفة منهم ذكر ان استضعافه اياها كان استعباده ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة يستعبد طائفة منهم ويذبح طائفة ويقتل طائفة ويستحيي طائفة وقوله انه كان من المفسدين يقول انه كان ممن يفسد في الارض بقتله من لا يستحق منه القتل واستعباده من ليس له استعباده وتجبره في الارض على أهلها وتكبره على عبادة ربه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا

روى أنها تخرج ثلاث مرات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في أعاظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وسادسها فيما يصدر عنها من الآثار والعجائب فظاهر الآية أنها تكلم الناس وفحوى الكلام ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون قال جار الله معناه ان الناس كانوا لايوقنون بخروجي لان خروجها من الآيات ومن قرأ ان مكسورة فقولها حكاية قول الله فلذلك قالت بآياتنا أو المعنى بآيات ربنا فحذف المضاف أو سبب الاضافة اختصاصها بالله كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده عن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك روى بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون واذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أوفيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه ويكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه ويكتب بين عينيه كافر وروى أنها تقول لهم يافلان أنت من أهل الجنة يافلان أنت من أهل النار وقيل

في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما
منهم ما كانوا يحذرون) قوله ونريد عطف على قوله يستضعف طائفة منهم ومعنى الكلام ان
فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا فرقا يستضعف طائفة منهم ونحن نريد أن نمن
على الذين استضعفهم فرعون في الارض من بني اسرائيل ونجعلهم أئمة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونريد
أن نمن على الذين استضعفوا في الارض قال بنو اسرائيل قوله ونجعلهم أئمة أي ولاة وملوكا وبنحو
الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة ونجعلهم أئمة أي ولاة الامر وقوله ونجعلهم الوارثين يقول ونجعلهم وارث آل فرعون
يرثون الارض من بعد مهلكهم وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونجعلهم أئمة أي ولاة الامر وقوله
ونجعلهم الوارثين أي يرثون الارض بعد فرعون وقومه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال
ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة ونجعلهم الوارثين أي يرثون الارض بعد فرعون وقوله ونمكن
لهم في الارض يقول ونوطئ لهم في أرض الشام ومصر ونري فرعون وهامان وجنودهما
كانوا قد اخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني اسرائيل فكانوا من ذلك على وجل منهم ولذلك كان
فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم فأرى الله فرعون وهامان وجنوده من بني اسرائيل على
يد موسى بن عمران نبيه ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم كما **حدثنا**
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما
منهم ما كانوا يحذرون شيأ ما حذر القوم قال وذكر لنا ان حازيا حزا لعدو الله فرعون فقال يولد في
هذا العام غلام من بني اسرائيل يسلبك ملكك فتتبع أبناءهم ذلك العام يقتل أبناءهم ويستحيي
نساءهم حذرا مما قال له الحازي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر
عن قتادة قال كان لفرعون رجل ينظر له ويخبره يعني انه كاهن فقال له انه يولد في هذا العام غلام
يذهب بملككم فكان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم حذرا فذلك قوله ونرى فرعون
وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون واختلفت القراء في قراءة قوله ونرى فرعون وهامان
فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين ونرى فرعون وهامان بمعنى ونرى نحن
بالنون عطفا بذلك على قوله ونمكن لهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ويرى فرعون على أن الفعل
لفرعون بمعنى ويرى فرعون بالياء من يرى ورفع فرعون وهامان والجنود والصواب من القول في
ذلك انهما قراءتان معروفتان في قراء الامصار متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من
القراء فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب لانه معلوم ان فرعون لم يكن ليرى من موسى ما رأى الا بان
يريه الله عز وجل منه ولم يكن ليريه الله تعالى ذكره ذلك منه الا رآه ۞ القول في تأويل قوله
تعالى (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه
اليك وجاعلوه من المرسلين) يقول تعالى ذكره وأوحينا الى أم موسى حين ولدت موسى ان أرضعيه
وكان قتادة يقول في معنى ذلك وأوحينا الى أم موسى وحيا جاءها من الله فقذف في قلبها وليس بوحي
نبوة ان أرضعي موسى فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني الآية **حدثنا** القاسم قال
ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله وأوحينا الى أم موسى قال قذف في
نفسها **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أمر فرعون أن يذبح

تكلمهم من الكلام على معنى التبكيت والمراد به الجرح وهو الوسم بالعصا والخاتم ثم ذكر طرفا مجملا من أهوال يوم القيامة قائلا ويوم أي
واذكر يوم نحشر من كل أمة فوجا أي جماعة كثيرة ممن يكذب هذه للتبيين والاولى للتبعيض وقوله بآياتنا يحتمل معجزات
جميع الرسل أو القرآن خاصة وقد
مر معنى قوله فهم يوزعون في
وصف جنود سليمان أي يحبس
أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا
فيكبكبوا في النار وعن ابن عباس
الفوج أبو جهل والوليد بن المغيرة
وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي
أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر
الامم بين أيديهم الى النار والواو في
قوله ولم تحيطوا للحال كأنه قيل
أكذبتم بآياتي بادي الرأي من
غير الوقوف على حقيقتها وانها
جديرة بالتصديق أو بالتكذيب
ويجوز أن تكون الواو للعطف
والمعنى أجحدتموها ومع جحودكم
لم تلقوا أذهانكم لتفهمها فقد
يجحد المكتوب اليه كون الكتاب
من عند من كتبه ومع ذلك لا يدع
تفهم مضمونه وأن يحيط بمعانيه
قال جار الله أماذا كنتم تعملون
للتبكيت لا غير لانهم لم يعملوا
الا التكذيب ولم يشتهر من حالهم
الا ذلك وجوز أن يراد ما كان لكم
عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب
أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك
كأنكم لم تخلقوا الا لاجله وقال
غيره أراد لما لم يشتغلوا بذلك
العمل المهم وهو التصديق فأي
شئ يعملونه بعد ذلك لان كل عمل
سواه فكأنه ليس بعمل قال
المفسرون يختمون بهذا قبل
كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك
قوله ووقع القول عليهم أي
العذاب الموعود يغشاهم بسبب
ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله
فيشغلهم عن النطق والاعتذار
ثم بعد أن خوفهم بأهوال القيامة وأحوالها ذكر ما يصلح أن يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى
النبوة مبالغة في الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال أولم يروا الآية ووجه دلالته على التوحيد أن التقليب من النور الى الظلمة

من ولد من بني اسرائيل سنة و يترك واسنة فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه فاوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم واختلف أهل التأويل في الحال التي أمرت أم موسى أن تلقي موسى في اليم فقال بعضهم أمرت أن تلقيه فيه بعد ميلاده بأربعة أشهر وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر مما يطلب الصبي بعد حال سقوطه من بطن أمه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أن أرضعيه فاذا خفت عليه قال اذا بلغ أربعة أشهر وصاح وابتغى من الرضاع أكثر من ذلك فالقيه حينئذ في اليم فذلك قوله فاذا خفت عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أبي بكر بن عبد الله قال لم يقل لها اذا ولدتيه فالقيه في اليم انما قال لها أن أرضعيه فاذ خفت عليه فالقيه في اليم بذلك أمرت قال جعلته في بستان فكانت تأتيه كل يوم فترضعه وتأتيه كل ليلة فترضعه فيكفيه ذلك وقال آخرون بل أمرت أن تلقيه في اليم بعد ولادها اياه وبعد رضاعها ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما وضعته أرضعته ثم دعت له نجارا فجعل له تابوتا وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته في اليم * وأولى قول قيل في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه فاذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم وجائز أن يكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها اياه وأي ذلك كان فقد فعلت ما أوحى الله اليها فيه ولا خبر قامت به حجة ولا في فطرة العقل بيان أي ذلك كان من أي فاولى الاقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال جل ثناؤه واليم الذي أمرت أن تلقيه فيه هو النيل كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فالقيه في اليم قال هو البحر وهو النيل وقد بينا ذلك بشواهده وذكر الرواية فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقوله ولا تخافي ولا تحزني يقول لا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه ولا تحزني لفراقه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولا تخافي ولا تحزني قال لا تخافي عليه البحر ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك وقوله انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين يقول انا رادو ولدك اليك للرضاع لتكوني أنت ترضعيه وباعثوه رسولا الى من تخافينه عليه أن يقتله وفعل الله ذلك بها وبه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انا رادوه اليك وباعثوه رسولا الى هذه الطاغية وجاعل هلاكه ونجاة بني اسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه

القول في تأويل قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) يقول تعالى ذكره فالتقطه آل فرعون فاصابوه وأخذوه وأصله من اللقطة وهو ما وجد ضالا فاخذ والعرب تقول لما وردت عليه فجأة من غير طلب له ولا ارادة أصبته التقاطا ولقيت فلانا التقاطا ومنه قول الراجز

ومنهل وردته التقاطا * لم ألق اذ وردته فراطا

يعني فجأة واختلف أهل التأويل في المعني بقوله آل فرعون في هذا الموضع فقال بعضهم عني بذلك جواري امرأة فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون فخرج جواري آسية امرأة فرعون يغسلن فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية وظنن ان فيه مالا فلما نظرت اليه آسية وقعت عليها رحمته فاحبته فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه فلم تزل آسية تكلمه

و بالعكس لا يتم الا بقدرة قاهرة ودلالته على الحشر ان النوم يشبه الموت والانتباه يشبه الحياة ودلالته على النبوة ان كل هذه المنافع المكلفين وفي بعثة الرسل الى الخلق أيضا منافع جمة فان الصانع لمفيض الخيرات من (١٩) ايصال بعض المنافع دون البعض أو من رعاية بعض المصالح دون البعض ووصف النهار بالابصار انما هو باعتبار صاحبه وقد مر في يونس والتقابل مرعى في الآية من حيث المعنى كأنه قيل ليسكنوا فيه وليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ثم عاد الى ذكر علامة أخرى للقيامة فقال ويوم ينفخ في الصور وقد تقدم تفسيره في طه والمؤمنين وقوله ففزع كقوله ونادى وسيق والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله قال أهل التفسير الا من ثبت الله قلبه من الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل هم الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر انه منهم موسى لانه صعق مرة قال أهل البرهان انما قال في هذه السورة ففزع موافقة لقوله وهم من فزع يومئذ آمنون وفي الزمر قال فصعق لان معناه فمات وقد سبق انك ميت وانهم ميتون ومعنى داخرين صاغرين أذلاء وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية وجوز أن يراد رجوعهم الى أمره وانقيادهم له قال أهل المناظرة ان الاجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت والكيفية ظن الناظر انها واقفة مع انها تمر مرا حثيثا فاخبر الله سبحانه ان حال الجبال يوم القيامة كذلك تجمع فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر الناظر حسبها جامدة أي واقفة في مكان واحد وهي تمر مر السحاب قال جار الله صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين صنع الله فجعل الاثابة والمعاقبة من جملة الاشياء التي أتقنها وأتى بها على وجه الحكمة

حتى تركه لها قال انى أخاف أن يكون هذا من بنى اسرائيل وان يكون هذا الذى على يديه هلاكنا فذلك قول الله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقال آخرون بل عنى به ابنة فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال كانت بنت فرعون برصاء فجاءت الى النيل فاذا التابوت فى النيل تخفقه الامواج فاخذته بنت فرعون فلما فتحت التابوت فاذا هى بصبى فلما اطلعت فى وجهه برأت من البرص فجاءت به الى أمها فقالت ان هذا الصبى مبارك لما نظرت اليه برئت فقال فرعون هذا من صبيان بنى اسرائيل هلم حتى أقتله فقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه وقال آخرون عنى به أعوان فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أصبح فرعون فى مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة فبينما هو جالس اذ مر النيل بالتابوت يقذف به وآسية بنت مزاحم امرأته جالسة الى جنبه فقالت ان هذا الشئ فى البحر فأتونى به فخرج اليه أعوانه حتى جاؤا به ففتح التابوت فاذا فيه صبى فى مهده فألقى الله عليه محبته وعطف عليه نفسه قالت امرأته آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ولا قول فى ذلك عندنا أولى بالصواب مما قال الله عز وجل فالتقطه آل فرعون وقد بينا معنى الآل فيما مضى بما فيه الكفاية من اعادته ههنا وقوله ليكون لهم عدوا وحزنا فيقول القائل أيكون موسى لآل فرعون عدوا وحزنا قيل انهم حين التقطوه لم يلتقطوه لذلك بل لما قد تقدم ذكره ولكنه ان شاء الله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قال ليكون لهم فى عاقبة أمره عدوا وحزنا لما أراد الله به وليس لذلك أخذوه ولكن امرأة فرعون قالت قرة عين لى ولك فكان قول الله ليكون لهم عدوا وحزنا لما هو كائن فى عاقبة أمره لهم وهو كقول القائل للآخر اذا قرعه لفعل كان فعله وهو يحسب محسنا فى فعله فأداه فعله ذلك الى مساءة مندماله على فعله فعلت هذا لضر نفسك ولتضر به نفسك فعلت وقد كان الفاعل فى حال فعله ذلك عند نفسه يفعله راجيا نفعه غير ان العاقبة جاءت بخلاف ما كان يرجو فكذلك قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا انما هو فالتقطه آل فرعون ظنا منهم انهم محسنون الى أنفسهم ليكون قرة عين لهم فكانت عاقبة التقاطهم اياه منه هلاكهم على يديه وقوله عدوا وحزنا يقول يكون لهم عدوا فى دينهم وحزنا على ما ينالهم منه من المكروه وهو بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا عدوا لهم فى دينهم وحزنا لما يأتيهم واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وحزنا بفتح الحاء والزاى وقرأته عامة قراء الكوفة وحزنا بضم الحاء وتسكين الزاى والحزن بفتح الحاء والزاى مصدر من حزنت حزنا والحزن بضم الحاء وتسكين الزاى الاسم كالعدم والعدم ونحوه والصواب من القول فى ذلك انهما قراءتان متقاربتا المعنى وهما على اختلاف اللفظ فيهما بمنزلة العدم والعدم فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين يقول تعالى ذكره ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا بربهم آثمين فلذلك كان لهم موسى عدوا وحزنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) يقول تعالى ذكره وقالت امرأة فرعون له هذا قرة عين لى ولك يا فرعون فقرة عين مرفوعة بمضمر هو هذا أو هو وقوله لا تقتلوه مسئلة من امرأة فرعون أن لا يقتله وذكر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون قال فرعون أما لك فنعم وأما لى فلا فكان كذلك ذكر من قال ذلك

حدثنا

والصواب قلت لا يبعد ان يكون الناصب ليوم ينفخ هو اذكر مقدرا ويكون صنع الله مصدرا مؤكدا لنفسه أى صنع تسيير الجبال ومرها صنع الله قال القاضى عبد الجبار فى قوله أتقن (٢٠) كل شئ دلالة على ان القبائح ليست من خلقه والا وجب وصفها بانها متقنة ولكن الاجماع مانع منه وأجيب بان الآية مخصوصة بغير الاعراض فان الاعراض لا يمكن وصفها بالاتقان وهو الاحكام لانه من أوصاف المركبات قلت ولو سلم وصف الاعراض بالاتقان فوصف كل الاعراض به ممنوع فما من عام الا وقد خص ولو سلم فالاجماع المذكور لعله ممنوع يؤيده قوله انه خبير بما يفعلون واذا كان خبيرا بكل أفعال العباد على كل نحو يصدر عنهم وخلاف معلومه يمتنع أن يقع فقد صحت معارضة الاشعرى وعلى مذهب الحكيم وقاعدته صدور الشر القليل من الحكيم لاجل الخير الكثير لا ينافى الاتقان والله أعلم ثم فصل أعمال العباد وجزاءها بقوله من جاء بالحسنة فله خير منها الى آخر الآيتين وبيان الخيرية بالاضعاف وبان العمل منقض والثواب دائم وبان فعل السيد بينه وبين فعل العبد بون بعيد على ان الاكل والشرب انما هو جزاء الاعمال البدنية وأما الاعمال القلبية من المعرفة والاخلاص فلا جزاء لها سوى الالتذاذ بلقاء الله والاستغراق فى بحار الجمال والجلال جعلنا الله أهلا لذلك وقيل المراد فله خير حاصل منها وعن ابن عباس ان الحسنة كلمة الشهادة التى هى أعلى درجات الايمان واعترض عليه بانه يلزم منه أن لا يعاقب مسلم وأجيب بانه يكفى فى الخيرية أن لا يكون عقابه مخلدا ثم وعد المحسنين أمرا آخر وهو قوله وهم من فزع يومئذ آمنون وآمن تعدى بالجار وبنفسه والتنوين فى فزع فى احدى القراءتين اما للنوع وهو فزع نوع العقاب فان فزع الهيبة والجلال يلحق كل مكلف وهو الذى أثبته فى قوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا قال فرعون قرة عين لك أما لي فلا قال محمد بن قيس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون قرة عين لي ولك لكان لهما جميعا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال اتخذه فرعون ولدا ودعى على أنه ابن فرعون فلما تحرك الغلام أرته أمه آسية صبيا فبينما هي ترقصه وتلعب به إذ ناولته فرعون وقالت خذه قرة عين لي ولك قال فرعون هو قرة عين لك لا لي قال عبد الله بن عباس لو أنه قال وهو لي قرة عين إذا لآمن به ولكنه أبى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك تعني بذلك موسى حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم بن أبي أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أتت بموسى امرأة فرعون فرعون قالت قرة عين لي ولك قال فرعون يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله به كما هدى به امرأته ولكن الله حرمه ذلك وقوله لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ذكر أن امرأة فرعون قالت هذا القول حين هم بقتله قال بعضهم حين أتي به يوم التقطه من اليم وقال بعضهم يوم نتف من لحيته أو ضربه بعصا كانت في يده ذكر من قال قالت ذلك يوم نتف لحيته حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال لما أتى فرعون به صبيا أخذه إليه فأخذ موسى بلحيته فنتفها قال فرعون علي بالذباحين هو هذا قالت آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا إنما هو صبي لا يعقل وإنما صنع هذا من صباه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا قال ألقيت عليه رحمتها حين أبصرته وقوله وهم لا يشعرون اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وهم لا يشعرون هلاكهم على يده ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم لا يشعرون قال وهم لا يشعرون أن هلاكهم على يديه وفي زمانه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى سفيان عن معمر عن قتادة أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون قال إن هلاكهم على يديه حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وهم لا يشعرون قال آل فرعون أنه لهم عدو وقال آخرون بل معنى ذلك وهم لا يشعرون بما هو كائن من أمرهم وأمره ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالت امرأة فرعون آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون يقول الله وهم لا يشعرون أي بما هو كائن بما أراد الله به وقال آخرون بل معنى قوله وهم لا يشعرون و بنو اسرائيل لا يشعرون أنا التقطناه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون قال يقول لا تدري بنو اسرائيل أنا التقطناه * والصواب من القول في ذلك قول من قال معنى ذلك وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات به لأنه عقيب قوله وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وإذا كان ذلك عقبه فهو بأن يكون بيانا عن القول الذي هو عقبه أحق من أن يكون بيانا عن غيره ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله أنه أصبح

بإضمار القول أي يقال لهم عند الكب هذا القول ثم ختم السورة بخلاصة ما أمر به رسوله وذلك أشياء منها عبادة الرب سبحانه ثم وصف الرب بأمرين احترازا من أرباب أهل الشرك أولهما كونه ربا لما هو أقرب في نظر قريش وهو بلدة مكة حرسها الله وفيه نوع منة عليهم كقوله حرما آمنا و يتخطف الناس من حولهم وثانيهما عام وهو قوله وله كل شئ ومنها أمره بالاسلام وهو الاذعان الكلي لأوامر الله بجميع أعضائه وجوارحه ومنها أمره بتلاوة القرآن أي بتلوه أي اتباعه وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به أتم قيام حتى خوطب بقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ثم لما بين سيرته ذكر أن نفع الاهتداء ووبال الضلال لا يعود إلا إلى المكلف أو عليه وليس على الرسول إلا البلاغ والانذار ثم جعل خاتمة الخاتمة الأمر بالحمد كما هو صفة أهل الجنة و بعد أمره بالحمد على نعمة النبوة والرسالة هدد أعداءه بما سيريهم في الآخرة من الآيات الملجئة إلى الاقرار وذلك حين لا ينفعهم الايمان قاله الحسن وعن الكلبي هي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من العقوبات في الدنيا وما ربك بغافل عما تعملون ولكنه من وراء جزاء العاملين * التأويل قل سيروا في ارض البشرية فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين لأن خواص نفوسهم أنموذج من جهنم كما أن

خواص أهل القلوب أنموذج من الجنة وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم لأنه خمر طينة آدم بيديه أربعين صباحا ونفخ فيه من روحه فهو مطلع على قالبه وعلى قلبه ولهذا قال وما من غائبة من الخواص في سماء القلب وأرض القالب إلا في كتاب مبين وهو علم الله تعالى إن هذا القرآن

يقص لان كل كتاب كان مشتملا على شرح مقام ذلك النبي ولم يكن لنبي مقام في القرب مثل نبينا فلا جرم لم يكن في كتبهم من الحقائق مثل ما في
القرآن ولهذا قال ان ربك يقضي بينهم (٢٢) أي بين هذه الامة وبين أمة كل نبي بحكمه أي بحكمته بان يبلغ متابعي كل نبي الى

منه فؤاد أم موسى فارغا فقال بعضهم الذي عنى جل ثناؤه انه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا كل شئ
سوى ذكر ابنها موسى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن العلاء قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا
الاعمش عن مجاهد وحسان أبي الاشرس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله وأصبح فؤاد أم
موسى فارغا قال فرغ من كل شئ الا من ذكر موسى حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن
قال ثنا سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأصبح فؤاد أم موسى
فارغا قال فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى حدثنا محمد بن عمار قال ثنا عبد الله قال ثنا
اسرائيل عن أبي اسحق عن رجل عن ابن عباس وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من كل شئ
الا من هم موسى حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله
وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال يقول لاتذكر الا موسى حدثنا محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله
قال ثنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال من كل شئ غير ذكر
موسى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس
قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فرغ من كل شئ الا من ذكر موسى حدثنا عبد الجبار بن
يحيى الرملي قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر في قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال
فارغا من كل شئ الا من هم موسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأصبح
فؤاد أم موسى فارغا أي لاغيا من كل شئ الا من ذكر موسى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ
قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فرغ من كل شئ
غير ذكر موسى وقال آخرون بل عنى ان فؤادها أصبح فارغا من الوحي الذي كان الله أوحاه اليها
اذ أمرها أن تلقيه في اليم فقال ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين قال فحزنت
ونسيت عهد الله اليها فقال الله عز وجل وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من وحينا الذي أوحيناه اليها
ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأصبح فؤاد أم
موسى فارغا قال فارغا من الوحي الذي أوحى الله اليها حين أمرها أن تلقيه في البحر ولا تخاف ولا تحزن
قال فجاءها الشيطان فقال يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فيكون لك أجره وثوابه
وتوليت قتله فألقيتيه في البحر وغرقتيه فقال الله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الوحي الذي أوحاه
اليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال ثني الحسن
قال أصبح فارغا من العهد الذي عهدنا اليها والوعد الذي وعدناها أن نرد عليها ابنها فنسيت ذلك كله حتى
كادت أن تبدي به لولا أن ربطنا على قلبها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق قد
كانت أم موسى ترفع له حين قذفته في البحر هل تسمع له بذكر حتى أتاها الخبر بان فرعون أصاب
الغداة صبيا في النيل في التابوت فعرفت الصفة ورأت انه وقع في يدي عدوه الذي فرت به منه وأصبح
فؤادها فارغا من عهد الله اليها فيه قد أنساها عظيم البلاء ما كان من العهد عندها من الله فيه وقال
بعض أهل المعرفة بكلام العرب معنى ذلك وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الحزن لعلمها بانه لم يغرق قال
وهو من قولهم دم فرغ أي لاقود ولا دية وهذا قول لامعنى له لخلافه قول جميع أهل التأويل # قال
أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال معناه وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من
كل شئ الا من هم موسى وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فيه بالصواب لدلالة قوله ان كادت لتبدي به لولا
أن ربطنا على قلبها ولو كان عنى بذلك فراغ قلبها من الوحي لم يعقب بقوله ان كادت لتبدي به لانها ان
كانت قاربت ان تبدي الوحي فلم تكد أن تبديه الا لكثرة ذكرها اياه وولوعها به ومحال ان تكون

مقام نبيهم ويبلغ متابعي نبينا صلى الله عليه وسلم الى مقام المحبة فاتبعوني يحببكم الله وهو العزيز الذي لعزته لايهتدي كل متمن الى مقام حبيبه العليم بمن يستحق هذا المقام فتوكل على الله انك على الحق المبين في دعوة الخلق الى الله واذا وقع القول عليهم وذلك بعد البلوغ ومضي زمان الرعي في مراتع البهيمية أخرجنا لهم من تحت أرض البشرية دابة تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون وهي النفس الناطقة فانها الى الآن كانت موصوفة بصفة الصم والبكم بتبعية النفس الامارة التي لاتوقن هي وصفاتها بالدلائل ويوم نحشر من كل أمة ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون من كلامه وهي صفات الروح والقلب فوجا ذلك بعد التصفية والمداومة على الذكر والفكر حتى اذا رجعوا الى الحضرة قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون بعد ان كنتم مصدقيها عند خطاب ألست بربكم وهذا خطاب فيه استبطاء وعتاب ووقع قول بحبهم عليه بدل ماظلموا فهم لاينطقون كقوله من عرف الله كل لسانه الم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا جعلنا ليل البشرية سببا لاستجمام القلب ونهار الروحانية بتجلي شمس الربوبية مبصرا يبصر به الحق من الباطل ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله اسرافيل المحبة في صور القلب ففزع من
في سموات الروح من الصفات الروحانية ومن في أرض البشرية من الصفات النفسانية الا من شاء الله من به
أهل البقاء الذين أحيوا بحياته وافاقوا بعد صعقة الفناء وهي النفخة الاولى في بداية تأثير العناية للهداية والقاء المحبة التي تظهر القيامة في

به ولعة الاوهي ذا كره واذا كان ذلك كذلك بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحي اليها وأحرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة القلب ولم يخصص فراغ قلبها من شئ دون شئ فذلك على العموم الا ماقامت حجته أن قلبها لم يفرغ منه وقد ذكر عن فضالة بن عبيد أنه كان يقرؤه وأصبح فؤاد أم موسى فازعا من الفزع وقوله ان كادت لتبدي به اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عادت عليه الهاء في قوله به فقال بعضهم هي من ذكر موسى وعليه عادت ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا الاعمش عن مجاهد وحسان أبي الاشرس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان كادت لتبدي به أن تقول ياابناه قال **حدثني** يحيى بن سعيد عن سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان كادت لتبدي به أن تقول ياابناه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان كادت لتبدي به أن تقول يابنياه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان كادت لتبدي به أي لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما جاءت أمه أخذ منها يعني الرضاع فكادت ان تقول هو ابني فعصمها الله فذلك قول الله ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها وقال آخرون أوحيناه اليها أي تظافر * والصواب من القول في ذلك ماقاله الذين ذكرنا قولهم أنهم قالوا ان كادت لتقول يابنياه لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك وأنه عقيب قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا فلان يكون لو لم يكن من ذكرنا في ذلك اجماع على أن ذلك من ذكر موسى لقربه منه أشبه من أن يكون من ذكر الوحي وقال بعضهم بل معنى ذلك ان كادت لتبدي بموسى فتقول هو ابني قال وذلك أن صدرها ضاق اذ نسب الى فرعون وقيل ابن فرعون وعني بقوله لتبدي به لتظهره وتخبر به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان كادت لتبدي به لتشعر به **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان كادت لتبدي به قال لتعلن بأمره لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقوله لولا أن ربطنا على قلبها يقول لولا ان عصمناها من ذلك بتثبيتناها وتوفيقناها للسكوت عنه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله لولا أن ربطنا على قلبها أي بالايمان لتكون من المؤمنين **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كادت تقول هو ابني فعصمها الله فذلك قول الله ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها وقوله لتكون من المؤمنين يقول تعالى ذكره عصمناها من اظهار ذلك وقيله بلسانها وثبتناها للعهد الذي عهدنا اليها لتكون من المؤمنين بوعد الله الموقنين به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لايشعرون) يقول تعالى ذكره وقالت أم موسى لاخت موسى حين ألقته في اليم قصيه يقول قصي أثر موسى اتبعي أثره تقول قصصت آثار القوم اذا اتبعت آثارهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لاخته قصيه قال اتبعي اثره كيف يصنع به **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قصيه أي قصي أثره **حدثنا** ابن حميد ثنا سلمة عن ابن اسحق وقالت لاخته قصيه قال أتبعي اثره **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالت لاخته قصيه

شخص الحب وفزع الصفات هيجانها الطلب بتهييج أنوار المحبة الا من شاء الله وهو الخفي وهي لطيفة في الروح بالقوة وانما تصير بالفعل عند طلوع شموع الشواهد وآثار التجلي فلا يصيبه الفزع بالنفخة الاولى ولا تدركه الصعقة بالنفخة الثانية وترى جبال الاشخاص جامدة على حالها وهي تمر بالسير في الصفات وتبديل الاخلاق مر السحاب رب هذه البلدة وهي القلب والرب هو الله كما ان رب بلدة القالب هو النفس الامارة وانه تعالى حرم بلدة القلب على الشيطان كما قال يوسوس في صدور الناس دون أن يقول في قلوب الناس سيريكم آياته فتعرفونها فيه اذا لم ير الآيات لم يمكن عرفانها اللهم اجعلنا من العارفين واكشف عنا غطاءنا بحق محمد وآله صلى الله وسلم عليهم

(سورة القصص مكية سوى آية نزلت بجحفة ان الذي فرض الخ حروفها ٥٨٠٠ كلمها ١١٤١ آياتها ٨٨)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل

بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ولما بلغ أشده
واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين (٢٤) ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من

أي انظري ماذا يفعلون به حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وقالت لأخته قصيه يعني قصي أثره حدثني العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس وقالت لأخته قصيه أي قصي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحي ابني أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه ونسيت الذي كان الله وعدها وقوله فبصرت به عن جنب يقول تعالى ذكره فقصت أخت موسى أثره فبصرت به عن جنب يقول فبصرت بموسى عن بعد لم تدن منه ولم تقرب لئلا يعلم أنها منه بسبيل يقال منه بصرت به وأبصرته لغتان مشهورتان وأبصرت عن جنب وعن جنابة كما قال الشاعر

أتيت حريثا زائرا عن جنابة * فكان حريث عن عطائي جاحدا

يعني بقوله عن جنابة عن بعد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عن جنب قال بعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن جنب قال عن بعد قال ابن جريج عن جنب قال هي على الحد في الارض وموسى يجري به النيل وهما متحاذيان كذلك تنظر اليه نظرة والى الناس نظرة وقد جعل في تابوت مقير ظهره وبطنه وأقفلته عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي سفيان عن معمر عن قتادة فبصرت به عن جنب يقول بصرت به وهي محاذيته لم تأته حدثني العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثني القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس فبصرت به عن جنب والجنب أن يسمو بصر الانسان الى الشيء البعيد وهو الى جنبه لا يشعر به وقوله وهم لا يشعرون يقول وقوم فرعون لا يشعرون بأخت موسى أنها أخته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهم لا يشعرون قال آل فرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون أنها أخته قال جعلت تنظر اليه كأنها لا تريده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وهم لا يشعرون أنها أخته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وهم لا يشعرون أي لا يعرفون أنها منه بسبيل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) يقول تعالى ذكره ومنعنا موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أمه ذكر أن أخته لموسى هي التي قالت لآل فرعون هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أراد والله المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع فأبى أن يأخذ فذلك قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فلما جاءت أمه أخذ منها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل قال لا يقبل ثدي امرأة حتى يرجع الى أمه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير

شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين) * القراآت ونري بفتح الياء وامالة الراء فرعون وهامان وجنودهما بالرفع حمزة وعلي وخلف وهكذا قرؤا قوله وحزنا بضم الحاء وسكون الزاي الباقون بفتحهما * الوقوف طسم كوفي المبين • لا يؤمنون • نساءهم ط المفسدين • الوارثين • لا للعطف يحذرون • ارضعيه ج للفاء مع احتمال الابتداء باذا الشرطية ولا تحزني ج للابتداء بان مع ان التقدير فان المرسلين • وحزنا ط خاطئين • ولك ط لا تقتلوه ق والوجه الوصل لان الرجاء بعده تعليل للنهي لا يشعرون • فارغا ط المؤمنين • قصيه ز بناء على ان التقدير فتبعته فبصرت لا يشعرون • لا بناء على ان الواو للحال أي وقد حرمنا وقوله فقالت عطف على قوله فبصرت والحال معترض ناصحون • عن لا يعلمون • علما والمحسنين • يقتتلان لا لان ما بعده صفة الرجلين ظاهرا ولكن مع اضمار أي يقال لهما هذا من شيعته وهذا من عدوه

وليس ببعيد أن يكون مستأنفا من عدوه الاول لان ما بتلوه معطوف على قوله فوجد مع اعتراض عارض من عدوه لا لان الثانى للعطف عليه
لعدم مع اتحاد القائل الشيطان ط مبين ه فغفر له ط الرحيم ه للمجرمين ه يستصرخه ط مبين ط لهما لان لا زما بعده

عن ابن عباس وحرمنا عليه المراضع من قبل قال كان لا يؤتى بمرضع فيقبلها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل قال لا يرضع ثدى امرأة حتى يرجع الى أمه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحرمنا عليه المراضع من قبل قال جعل لا يؤتى بامرأة الا لم يأخذ ثديها قال فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال جمعوا المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرمضهم ذلك فيؤتى بمرضع بعد مرضع فلا يقبل شيأ منهن فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ويعنى بقوله يكفلونه لكم يضمونه لكم وقوله وهم له ناصحون ذكر انها أخذت فقيل قد عرفته فقالت انما عنيت أنهم للملك ناصحون ذكر من قال ذلك **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما قالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون أخذوها وقالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفه ولكنى انما قلت هم للملك ناصحون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون قال فعلقوها حين قالت وهم له ناصحون قالوا قد عرفته قالت انما أردت هم للملك ناصحون **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وهم له ناصحون أى لمنزلته عندكم وحرصكم على مسرة الملك قالوا هاتى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره فرددنا موسى الى أمه بعد أن التقطه آل فرعون لتقر عينها بابنها اذ رجع اليها سليما من قبل فرعون ولا تحزن على فراقه اياها ولتعلم أن وعد الله الذى وعدها اذ قال لها فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى الآية حق وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فرددناه الى أمه فقرأ حتى بلغ لا يعلمون ووعدها انه راده اليها وجاعله من المرسلين ففعل الله ذلك بها وقوله ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر المشركين لا يعلمون ان وعد الله حق لا يصدقون بان ذلك كذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين) يقول تعالى ذكره ولما بلغ موسى أشده يعنى حان شدة بدنه وقواه وانتهى ذلك منه وقد بينا معنى الاشد فيما مضى بشواهده فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وقوله واستوى يقول تناهى شبابه وتم خلقه واستحكم وقد اختلف فى مبلغ عدد سنى الاستواء فقال بعضهم يكون ذلك فى أربعين سنة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد فى قوله واستوى قال أربعين سنة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة قوله واستوى قال بلغ أربعين سنة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس ولما بلغ أشده قال بضعا وثلاثين سنة قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أشده واستوى قال أربعين سنة وأشده ثلاثا وثلاثين سنة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولما بلغ أشده واستوى قال كان أبى

جواب لما بالامس ط للابتداء بالنفى والوصل أوجه لاتحاد القائل المصلحين ه يسعى ز لعدم العاطف مع اتحاد القول من الناصحين ه يترقب ز لما قلنا فى يسعى الظالمين ه نصف السبع * التفسير فاتحة هذه السورة كفاتحة سورة الشعراء نتلوا عليك على لسان جبرائيل من نبأ موسى وفرعون أى طرفا من خبرهما متلبسا بالحق أو محقين لقوم يؤمنون لان التلاوة انما تنفع هؤلاء ثم شرع فى تفصيل هذا المجمل وفى تفسيره كان سائلا سأل وكيف كان نبؤهما فقال مستأنفا ان فرعون علا فى الارض أى طغى وتكبر فى أرض مملكته وجعل أهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه أو جعلهم أصنافا فى استخدامه فبان وحارث وغير ذلك أو فرقا مختلفة بينهم عداوة ليكونوا له أطوع وهم بنو اسرائيل والقبط وقوله يستضعف حال من الضمير فى جعل أو صفة لشيعا أو مستأنف ويذبح بدل منه وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل من فعل أهل الفساد لاغير لان الكهنة ان صدقوا فلا فائدة فى القتل وان كذبوا فلا وجه للقتل اللهم الا ان يقال ان النجوم دلت على انه يولد ولد لو لم يقتل لصار كذا وكذا وضعفه ظاهر لان المقدر كائن البتة ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على قوله ان فرعون علا فهذه أيضا تفسير للنبأ ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى يستضعف

أى يستضعفهم وهو نحن نريد أن نمن عليهم فى المآل فجعلت
ارادة الوقوع كالوقوع ونجعلهم أئمة مقدمين فى أمور الدين والدنيا وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم فى الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن

يقول الاشد الجلد والاستواء أربعون سنة وقال بعضهم يكون ذلك فى أربعين سنة وقوله آتيناه حكما وعلما يعنى بالحكم الفهم بالدين والمعرفة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد آتيناه حكما وعلما قال الفقه والعقل والعمل قبل النبوة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد آتيناه حكما وعلما قال الفقه والعمل قبل النبوة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما فقها فى دينه ودين ابائه وعلما بما فى دينه وشرائعه وحدوده وقوله وكذلك نجزى المحسنين يقول تعالى ذكره وكما جزينا موسى على طاعته ايانا واحسانه بصبره على أمرنا كذلك نجزى كل من أحسن من رسلنا وعبادنا فصبر على أمرنا وأطاعنا وانتهى عما نهيناه عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) يقول تعالى ذكره ودخل موسى المدينة مدينة منف من مصر على حين غفلة من أهلها وذلك عند القائلة نصف النهار واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله دخل موسى هذه المدينة فى هذا الوقت فقال بعضهم دخلها متبعا أثر فرعون لان فرعون ركب وموسى غير شاهد فلما حضر علم بركوبه فركب واتبع أثره وأدركه المقيل فى هذه المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال كان موسى حين كبر يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعى موسى بن فرعون ثم ان فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب فى أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تغلقت أسواقها وليس فى طرقها أحد وهى التى يقول الله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها وقال آخرون بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه لانه كان قد خالفهم فى دينهم وعاب ما كانوا عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما بلغ موسى أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما فكانت له من بنى اسرائيل شيعة يسمعون منه ويطيعونه ويجتمعون اليه فلما استد رأيه وعرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقا فى دينه فتكلم وعادى وأنكر حتى ذكر ذلك منه وحتى أخافوه وخافهم حتى كان لا يدخل قرية فرعون الا خائفا مستخفيا فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها وقال آخرون بل كان فرعون قد أمر باخراجه من مدينته حين علاه بالعصا فلم يدخلها الا بعد أن كبر وبلغ أشده قالوا ومعنى الكلام ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى أى من بعد نسيانهم خبره وأمره ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله على حين غفلة من أهلها قال ليس غفلة من ساعة ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره وقال فرعون لامرأته أخرجيه عنى حين ضرب رأسه بالعصا هذا الذى قتلت فيه بنو اسرائيل فقالت هو صغير وهو كذا هات جمرا فأتى بجمر فأخذ جمرة فطرحها فى فيه فصارت عقدة فى لسانه فكانت تلك العقدة التى قال الله واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى قال أخرجيه عنى فأخرج فلم يدخل عليهم حتى كبر فدخل على حين غفلة من ذكره * وأولى الاقوال بالصحة فى ذلك أن يقال كما قال الله جل ثناؤه ولما بلغ أشده واستوى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها واختلفوا فى الوقت الذى عنى بقوله على حين غفلة من أهلها فقال بعضهم ذلك نصف النهار ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

قال

قتادة ولاة أى ملوكا ومعنى الوراثة والتمكين فى أرض مصر والشام هو أن يرثوا ملك فرعون وينفذ فيه أمرهم والذى كانوا يحذرون منه هو ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم يروى انه ذبح فى طلب موسى تسعين ألف وليد قال ابن عباس ان أم موسى لما قربت ولادتها أرسلت الى قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بالحبالى وكانت مصافية لام موسى وقالت انها قد نزل فى ما نزل فينفعنى حبك فعالجتها فلما وقع على الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاخبر فرعون ولكن وجدت لابنك هذا حبا شديدا فاحفظيه فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها نفر من بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعقل ما تصنع لما طاش من عقلها فدخلوا فاذا التنور مسجور واذا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لم دخلت القابلة عليك قالت انها حبيبة لى دخلت للزيارة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت يا أخت موسى أين الصبى فقالت لا أدرى سمعت بكاءه فى التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها أن يذبح فألهمها الله تعالى ان تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت فى النيل فجاءت الى النجار وأمرته بنجر تابوت طوله خمسة أشبار فى عرض خمسة فعلم النجار بذلك فجاء الى موكل بذبح الابناء فاعتقل لسانه فرجع ثم عاد مرات فعلم انه من الله فاقبل على النجر وقيل لما فرغ من صنعة التابوت ثم أتى فرعون يخبره فبعث معه من يأخذه فطمس الله على عينيه وقلبه بالم فلم يعرف الطريق وأيقن انه من الله وانه هو المولود الذى يخافه فرعون فآمن فى الوقت وهو مؤمن آل فرعون وانطلقت أم موسى وألقته فى النيل وكانت لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن محمد بن المنكدر عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قوله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال نصف النهار قال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال يقولون فى القائلة قال وبين المغرب والعشاء **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال دخلها بعد ما بلغ أشده عند القائلة نصف النهار **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال دخل نصف النهار وقوله فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يقول هذا من أهل دين موسى من بنى اسرائيل وهذا من عدوه من القبط من قوم فرعون فاستغاثه الذى من شيعته يقول فاستغاثه الذى هو من أهل موسى على الذى من عدوه من القبط فوكزه موسى فقضى عليه يقول فلكزه ولهزه فى صدره بجميع كفه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا حفص عن الاعمش عن سعيد بن جبير قال أسا موسى من حيث أساء وهو شديد الغضب شديد القوة فمر برجل من القبط قد تسخر رجلا من المسلمين قال فلما رأى موسى استغاث به قال موسى خل سبيله فقال قد هممت أن أحمله عليك فوكزه موسى فقضى عليه قال حتى اذا كان الغد نصف النهار خرج ينظر الخبر قال فاذا ذاك الرجل قد أخذه آخر فى مثل حده قال فقال ياموسى قال فاشتد غضب موسى قال فأهوى قال فخاف ان يكون اياه يريد فقال فقال أتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس قال فقال الرجل ألا اراك ياموسى أنت الذى قتلت **حدثنا** ابو كريب قال ثنا غنام بن على قال ثنا الاعمش عن سعيد بن جبير فوجد فيها رجلين يقتتلان قال رجل من بنى اسرائيل يقاتل جبارا للفرعون فاغاثه فوكزه موسى فقضى عليه فلما كان من الغد استصرخ به فوجده يقاتل آخر فاغاثه فقال أتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فعرفوا انه موسى فخرج منها خائفا يترقب قال غنام أو نحو هذا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه اما الذى من شيعته فمن بنى اسرائيل وأما الذى من عدوه فقبطى من آل فرعون **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه يقول من القبط فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه **حدثنا** العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما بلغ موسى أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بنى اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينا هو يمشى ذات يوم فى ناحية المدينة اذا هو برجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فغضب موسى واشتد غضبه لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انما ذلك من قبل الرضاعة من أم موسى الا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على علم مالم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعونى فقتله ولم يرهم أحد الا الله والاسرائيلى فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان الآية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته مسلم وهذا من أهل دين فرعون كافر فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق وشدة فى البطش فغضب بعدوهما فنازعه فوكزه موسى وكزة قتله منها وهو لا يريد قتله فقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن

حاجات ترفعها الى أبيها وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطباء والسحرة فى أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ هذه الا من قبل البحر يوجد منه شبيه الانس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك فى يوم

كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون فى مجلس له على شفير النيل ومعه آسية زوجته وأقبلت بنت فرعون فى جوار بها حتى جلست على الشاطئ اذ أقبل النيل بتابوت تضربه الارياح والامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرأت نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو صبى صغير فى مهده يمص ابهامه لبنا واذا نور بين عينيه فألقى الله محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرئت وضمته الى صدرها فقال الاعزة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذى تحذر منه فهم فرعون بقتله فاستوهبته امرأة فرعون وابنته فترك قتله قال علماء البيان اللام فى قوله ليكون لهم عدوا لام العاقبة وأصلها التعليل الا انه واردها على سبيل المجاز استعيرت لما يشبه التعليل من حيث ان العداوة والحزن كان نتيجة التقاطهم كما ان الاكرام مثلا نتيجة المجئ فى قولك جئتك لتكرمنى وبعبارة أخرى ان مقصود الشئ والغرض منه هو الذى يؤل اليه أمره فاستعملوا هذه اللام فيما يؤل اليه الامر على سبيل التشبيه وان لم يكن غرضا ومعنى كونهم خاطئين هو انهم اخطؤا فى التدبير حيث ربوا عدوهم فى حجرهم أو انهم أذنبوا وأجرموا وكان عاقبة ذلك أن يجعل الله فى تربيتهم من على يديه هلاكهم قال النحويون قرة عين خبر مبتدأ محذوف أى هو قرة عين ولا يقوى أن يجعل مبتدأ ولا يقتلوه خبرا لان الطلب لا يقع خبرا الا بتأويل ولو نصب لكان أقوى لان الطلب مظان النصب روى

أبي نجيح عن مجاهد قوله هذا من شيعته وهذا من عدوه قال من قومه من بني اسرائيل وكان فرعون
من فارس من اصطخر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله
عن أصحابه هذا من شيعته اسرائيلي وهذا من عدوه قبطي فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من
عدوه وبنحو الذي قلنا أيضا قالوا في معنى قوله فوكزه موسى ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن
عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فوكزه موسى قال بجميع كفه **حدثنا** القاسم قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة فوكزه موسى نبي الله ولم يتعمد قتله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق
قال قتله وهو لا يريد قتله وقوله فقضى عليه يقول ففرغ من قتله وقد بينت فيما مضى ان معنى القضاء
الفراغ بما أغنى عن اعادته ههنا ذكر انه قتله ثم دفنه في الرمل كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن أصحابه فوكزه موسى فقضى عليه ثم دفنه في الرمل وقوله
قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين يقول تعالى ذكره قال موسى حين قتل القتيل هذا
القتل من تسبب الشيطان انه عدو مضل مبين لي بان هيج غضبي حتى ضربت هذا فهلك من ضربتي انه
عدو يقول ان الشيطان عدو لابن آدم مضل له عن سبيل الرشاد بتزيينه له القبيح من الاعمال وتحسينه
ذلك له مبين يعني انه تبين عداوته لهم قديما واضلاله اياهم ۞ القول في تأويل قوله (قال رب اني ظلمت
نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين)
يقول تعالى ذكره مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التي قتلها وتوبته اليه منه
ومسئلته غفرانه من ذلك رب اني ظلمت نفسي بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها فاعف عن ذنبي ذلك
واستره علي ولا تؤاخذني به فتعاقبني عليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله رب اني ظلمت نفسي
قال بقتلي من أجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر ولم يؤمر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة قال عرف المخرج فقال ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وقوله فغفر له يقول تعالى
ذكره فعفا الله لموسى عن ذنبه ولم يعاقبه انه هو الغفور الرحيم يقول ان الله هو الساتر على المنيبين
اليه من ذنوبهم على ذنوبهم المتفضل عليهم بالعفو عنها الرحيم للناس ان يعاقبهم على ذنوبهم بعد
ما تابوا منها وقوله قال رب بما أنعمت علي يقول تعالى ذكره قال موسى رب بانعامك علي بعفوك عن
قتل هذه النفس فلن أكون ظهيرا للمجرمين يعني المشركين كانه أقسم بذلك وقد ذكر انه في قراءة
عبد الله فلا تجعلني ظهيرا للمجرمين كانه على هذه القراءة دعا ربه فقال اللهم لن أكون ظهيرا ولم
يستثن عليه السلام حين قال فلن أكون ظهيرا للمجرمين فابتلي وكان قتادة يقول في ذلك ما **حدثنا**
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلن أكون ظهيرا للمجرمين يقول فلن أعين بعدها على
فجرة قال وقلما قالها رجل الا ابتلي قال فابتلي كما تسمعون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فأصبح
في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين)
يقول تعالى ذكره فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفا من جنايته التي جناها وقتله النفس التي قتلها
أن يؤخذ فيقتل بها يترقب يقول يترقب الاخبار أي ينتظر ما الذي يتحدث به الناس مما هم صانعون
في أمره وأمر قتيله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** العباس
ابن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم بن أبي أيوب قال ثنا سعيد

في حديث ان آسية حين قالت قرة عين لي ولك قال فرعون لك لا لي ولو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ثم انها رأت فيه مخايل اليمن
ودلائل النفع وتوسمت فيه أمارات النجابة فقالت (٢٨) عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا فانه أهل للتبني وذلك لما عاينت من النور وارتضاع
الابهام وبرء البرصاء قال في الكشاف وهم لا يشعرون حال من آل فرعون وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه قلت لا يبعد أن تكون الجملة حالا من فاعل قالت أي قالت كذا وكذا في حال عدم شعورهم بالمآل وهو ان هلاكهم على يده وبسببه وقال الكلبي أي لا يشعرون بنو اسرائيل وأهل مصر انا التقطناه قوله سبحانه وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال الحسن أي فارغا من كل هم الا من هم موسى وقال أبو مسلم فراغ الفؤاد هو الخوف والاشفاق كقوله وأفئدتهم هواء أي جوف لا عقول فيها وذلك انها حين سمعت بوقوعه عند فرعون طار عقلها جزعا ودهشا وقال محمد بن اسحق والحسن في رواية أي فارغا من الوحي الذي أوحينا اليها وذلك قولنا فالقيه في اليم ولا تخافي الغرق وسائر المخاوف ولا تحزني فالخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع فنهيت عنهما جميعا فجاءها الشيطان وقال لها كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجر وتوليت اهلاكه ولما أتاها خبر موسى انه وقع الى يد فرعون انساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله اليها وقال أبو
عبيدة فارغا من الحزن فانه تعالى يقول لولا أن ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون أما
من فسر الفراغ بحصول الخوف فعنده معنى قوله ان كادت لتبدي به هو انها كادت تحدث بان الذي وجدتموه ابني قاله ابن عباس وفي رواية

ابن

ابن جبير عن ابن عباس فاصبح فى المدينة خائفا يترقب قال خائفا من قتله النفس يترقب أن يؤخذ حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فاصبح فى المدينة خائفا يترقب قال خائفا أن يؤخذ وقوله فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يقول تعالى ذكره فرأى موسى لما دخل المدينة على خوف مترقبا الاخبار عن أمره وأمر القتيل فاذا الاسرائيلى الذى استنصره بالامس على الفرعونى يقاتله فرعونى آخر فرآه الاسرائيلى فاستصرخه على الفرعونى يقول فاستغاثه أيضا على الفرعونى وأصله من الصراخ كما يقال قال بنو فلان ياصباحاه قال له موسى انك لغوى مبين يقول جل ثناؤه قال موسى للاسرائيلى الذى استصرخه وقد صادف موسى نادما على ما سلف منه من قتله بالامس القتيل وهو يستصرخه اليوم على آخر انك أيها المستصرخ لغوى يقول انك لذو غواية مبين يقول قد تبينت غوايتك بقتالك أمس رجلا واليوم آخر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك قال أبغونى قاتله ومن يشهد عليه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون شيأ اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالامس وكره الذى رأى فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونى فقال للاسرائيلى لما فعل بالامس واليوم انك لغوى مبين فنظر الاسرائيلى الى موسى بعد ما قال هذا فاذا هو غضبان كغضبه بالامس اذ قتل فيه الفرعونى فخاف أن يكون بعد ما قال له انك لغوى مبين اياه أراد ولم يكن أراده انما أراد الفرعونى فخاف الاسرائيلى فحاجه فقال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وانما قال ذلك مخافة أن يكون اياه أراد موسى ليقتله فتتاركا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال الاستنصار والاستصراخ واحد حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يقول يستغيثه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قتل موسى القتيل خرج فلحق بمنزله من مصر وتحدث الناس بشأنه وقيل قتل موسى رجلا حتى انتهى ذلك الى فرعون فاصبح موسى غاديا الغد واذا صاحبه بالامس معانق رجلا آخر من عدوه فقال له موسى انك لغوى مبين أمس رجلا واليوم آخر حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا حفص عن الاعمش عن سعيد بن جبير والشيبانى عن عكرمة قال الذى استنصره هو الذى استصرخه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين) يقول تعالى ذكره فلما أن أراد موسى أن يبطش بالفرعونى الذى هو عدو له وللاسرائيلى قال الاسرائيلى لموسى وظن انه اياه يريد أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال خافه الذى من شيعته حين قال له موسى انك لغوى مبين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال موسى للاسرائيلى انك لغوى مبين ثم أقبل لينصره فلما نظر الى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذى يقاتل الاسرائيلى وفرق من موسى أن يبطش به من أجل انه أغلظ له الكلام قال

عكرمة كادت تقول وا ابناه من شدة وجدها به وذلك حين رأت الموج يرفع ويضع وقال الكلبى ذلك حين سمعت الناس يقولون انه ابن فرعون ثم قال لولا أن ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشئ المنقلب ليستقر (٢٩) ويطمئن لتكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك وأما من فسره بعدم الخوف فالمعنى عنده انها صارت مبتهجة مسرورة حين سمعت ان فرعون تبناه وعطف عليه وان الشأن انها قاربت أن تظهر انه ولدها لولا أن ألهمناها الصبر لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لتبنى فرعون وتعطفه والاول أظهر بدليل قوله وقالت لاخته قصيه أى اقتفى أثره وانظرى أين وقع والى من صار وكانت أخته لابيه وأمه واسمها مريم فبصرت به أى أبصرته عن جنب عن بعد أى نظرت اليه مزورة متجانفة وهم لا يشعرون بحالها وغرضها والتحريم ههنا لا يمكن حمله على النهى والتعبد ظاهرا فلذلك قيل انه مستعار للمنع لان من حرم عليه شئ فقد منعه وكان لا يقبل ثدى مرضع اما لانه تعالى منع حاجته الى اللبن وأحدث فيه نفار الطبع عن لبن سائر النساء واما لانه أحدث فى ألبانهن من الطعم ما ينفر عنها طبعه وعن الضحاك ان أمه أرضعته ثلاثة أشهر فعرف ريحها والمراضع جمع مرضعة وهى المرأة التى تصلح للارضاع أو جمع مرضع وهى الثدى أو الرضاع فالاول مكان والثانى مصدر ومن قبل أى ومن قبل قصها أثره أو من قبل ان رددناه الى أمه أو من قبل ولادته فى حكمنا وقضائنا روى انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف أهله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد والمراد انهم يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه ولا يمنعون ما ينفعه فى تربيته وغذائه فانطلقت الى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبى يعلله فرعون شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك

قالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي الا قبلنى فدفعه اليها وعين أجرها قال فى الكشاف انما أخذت الاجر على ارضاع ولدها لانه
مال حربى استطابته على وجه الاستباحة قلت ولعل ذلك لدفع التهمة فان مال الحربى لم يكن مستطابا بدليل قوله وأحلت

يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين فتركه موسى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر ابن عبد الله عن أصحابه قال ندم بعد أن قتل القتيل فقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال ثم استنصره بعد ذلك الاسرائيلى على قبطى آخر فقال له موسى انك لغوى مبين فلما أن أراد أن يبطش بالقبطى ظن الاسرائيلى انه اياه يريد فقال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس قال وقال ابن جريج أو ابن أبى نجيح الطبرى يشك وهو فى الكتاب ابن أبى نجيح ان موسى لما أصبح أصبح نادما تائبا وودان لم يبطش بواحد منهما وقد قال للاسرائيلى انك لغوى مبين فعلم الاسرائيلى أن موسى غير ناصره فلما أراد الاسرائيلى أن يبطش بالقبطى نهاه موسى ففرق الاسرائيلى من موسى فقال أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فسعى بها القبطى وقوله ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الاسرائيلى لموسى ان تريد ما تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وكان من فعل الجبابرة قتل النفوس ظلما بغير حق وقيل انما قال ذلك لموسى الاسرائيلى لانه كان عندهم من قتل نفسين من الجبابرة ذكر من قال ذلك حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا هشيم بن بشير عن اسمعيل بن سالم عن الشعبى قال من قتل رجلين فهو جبار قال ثم قرأ أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض هكذا تقتل النفس بغير النفس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض قال تلك سيرة الجبابرة أن يقتل النفس بغير النفس وقوله وما تريد أن تكون من المصلحين يقول ما تريد أن تكون ممن يعمل فى الارض بما فيه صلاح أهلها من طاعة الله وذكر عن ابن اسحق انه قال فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما تريد أن تكون من المصلحين أى ما هكذا يكون الاصلاح ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين)﴾ ذكر ان قول الاسرائيلى سمعه سامع فأفشاه وأعلم به أهل القتيل فحينئذ طلب فرعون موسى وأمر بقتله فلما أمر بقتله جاء موسى مخبر وخبره بما قد أمر به فرعون فى أمره وأشار عليه بالخروج من مصر من بلد فرعون وقومه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم ابن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انطلق الفرعونى الذى كان يقاتل الاسرائيلى الى قومه فأخبرهم بما سمع من الاسرائيلى من الخبر حين يقول أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فأرسل فرعون الذباحين بقتل موسى فأخذوا الطريق الاعظم وهم لا يخافون أن يفوتهم وكان رجل من شيعة موسى فى أقصى المدينة فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم الى موسى فأخبره الخبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أعلمهم القبطى الذى هو عدو لهما فأتمر الملأ ليقتلوه فجاء رجل من أقصى المدينة وقرأ الى آخر الآية قال كنا نحدث انه مؤمن آل فرعون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال ذهب القبطى الذى كان يقاتل الاسرائيلى فأفشى عليه ان موسى هو الذى قتل الرجل فطلبه فرعون وقال خذوه فانه صاحبنا وقال للذين يطلبونه اطلبوه فى بنيات الطريق فان موسى غلام لا يهتدى الطريق وأخذ موسى فى بنيات الطريق وقد جاءه الرجل فأخبره ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك حدثنا القاسم

لى الغنائم قالوا كانت عالمة بان الله تعالى سينجز وعده ولكن ليس الخبر كالعيان فلهذا قال سبحانه ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم أى أكثر الناس لا يعلمون حقية وعده فى ذلك العهد وبعده لاعراضهم عن النظر فى آيات الله وقال الضحاك ومقاتل يعنى أهل مصر لا يعلمون ان الله وعدرده اليها قلت ويؤيد هذا القول انه اقتصر على الضمير دون ان يقول ولكن أكثر الناس كما قال فى سورة يوسف والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقيل هذا تعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا وعلى هذا يحتمل ان يكون قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون من جملة ما يعلمها أى ولتعلم حقية وعد الله وهذا الاستدراك وجوز فى الكشاف ان يتعلق الاستدراك بقوله ولتعلم المقصود ان الرد به انما كان لهذا الغرض الدينى وهو العلم بصدق وعد الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ان هذا هو الغرض الاصلى الذى ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن ثم بين سبحانه كمال عنايته فى حقه كما بين فى قصة يوسف قائلا ولما بلغ أشده وزاد ههنا قوله واستوى فقيل بلوغ الاشد والاستواء بمعنى واحد والاصح انهما متغاران والاشد عبارة عن البلوغ والاستواء اشارة الى كمال الخلقة وعن ابن عباس الاشد ما بين الثمانية عشر الى ثلاثين والاستواء من الثلاثين الى الاربعين وهو عند الاطباء سن الوقوف فلعل يوسف أعطى النبوة فى سن النمو وأعطى موسى اياها فى سن الوقوف والعلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قيل ليس فى الآية دلالة على ان هذه النبوة كانت قبل قتل القبطى أو بعده

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن أصحابه قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي لموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس سعى بها الى أهل المقتول فقال ان موسى هو قتل صاحبكم ولولم يسمعه من الاسرائيلي لم يعلمه أحد فلما علم موسى انهم قد علموا خرج هاربا فطلبه القوم فسبقهم قال وقال ابن أبي نجيح سعى القبطي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال الاسرائيلي لموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وقبطي قريب منهما يسمع فأفشا عليهما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمع ذلك عدو فأفشى عليهما وقوله وجاء رجل ذكر انه مؤمن آل فرعون وكان اسمه فيما قيل سمعان وقال بعضهم بل كان اسمه شمعون ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي قال اسمه شمعون الذي قال لموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أصبح الملأ من قوم فرعون قد أجمعوا لقتل موسى فيما بلغهم عنه فجاء رجل من أقصى المدينة يسعى يقال له سمعان فقال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى الى موسى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين وقوله من أقصى المدينة يقول من آخر مدينة فرعون يسعى يقول يعجل كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يعجل ليس بالشد وقوله قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يقول جل ثناؤه قال الرجل الذي جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى يا موسى ان أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك ويتشاورون ويرتاؤن فيك ومنه قول الشاعر * ما تأتمر فينا فأمرك في يمينك أو شمالك * يعني ما ترتائي وتهم به ومنه قول النمر بن تولب

أرى الناس قد أحدثوا شيمة * وفي كل حادثة يؤتمر

أي يتشاور ويرتأى فيها وقوله فاخرج انى لك من الناصحين يقول فاخرج من هذه المدينة انى لك في اشارتي عليك بالخروج منها من الناصحين

القول في تأويل قوله تعالى (فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) يقول تعالى ذكره فخرج موسى من مدينة فرعون خائفا من قتله النفس أن يقتل به يترقب يقول ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فخرج منها خائفا يترقب خائفا من قتله النفس يترقب الطلب قال رب نجني من القوم الظالمين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة فخرج منها خائفا يترقب قال خائفا من قتل النفس يترقب أن يأخذه الطلب **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر لي انه خرج على وجهه خائفا يترقب ما يدري أي وجه يسلك وهو يقول رب نجني من القوم الظالمين **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فخرج منها خائفا يترقب قال يترقب الطلب مخافة وقوله قال رب نجني من القوم الظالمين يقول تعالى ذكره قال موسى وهو شاخص عن مدينة فرعون خائفا رب نجني من هؤلاء القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بذلك وقوله ولما توجه تلقاء مدين يقول تعالى ذكره ولما جعل موسى وجهه نحو مدين ماضيا اليها شاخصا عن مدينة فرعون وخارجا عن سلطانه قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل وعني

لان الواو في قوله ودخل المدينة لا تفيد الترتيب قلت يشبه ان يستدل على ان النبوة كانت بعد قتل القبطي بانها كانت بعد تزوجه بنت شعيب والتزوج كان بعد فراره منهم الى مدين كما قرره تعالى في هذه السورة وقد أجمل ذلك في الشعراء حيث قال حكاية عن موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وعلى هذا يمكن أن يراد بالواو الترتيب ويكون المعنى آتيناه سيرة الحكماء والعلماء قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه أما المدينة فالجمهور على انها القرية التي كان يسكنها فرعون عن فرسخين من مصر وقال الضحاك هي عين الشمس وقيل هي مصر وحين غفلتهم بين العشاءين أو وقت القائلة أو يوم عيد اشتغلوا فيه باللهو وقيل أراد غفلتهم عن ذكر موسى وأمره وذلك انه حين ضرب رأس فرعون بالعصا ونتف لحيته في الصغر أمر فرعون بقتله فجيء بجمر فاخذه في فيه فقال فرعون لا أقتله ولكن أخرجوه عن الدار والبلد فاخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر والقوم نسوا ذكره قاله السدي وقيل ان الغفلة لموسى من أهلها وذلك انه لما بلغ أشده وآتاه الله الرشد علم ان فرعون وقومه على الباطل فكان يتكلم بالحق ويعيب دينهم وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وتستر قال الزجاج قوله هذا وهذا وهما غائبان على جهة الحكاية أي وجد فيها رجلين يقتتلان اذا نظر الناظر اليهما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه عن مقاتل ان الرجلين كانا كافرين الا أن أحدهما من بني اسرائيل والآخر من القبط واحتج عليه بان موسى قال له انك لغوي مبين والمشهور ان الذي من شيعته كان مسلما كانه قال ممن شايعه على دينه وانما وصفه بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر على ان بني اسرائيل فيهم غلظة الطباع فيمكن أن ينسبوا الى الغواية بذلك الاعتبار ألا ترى انهم قالوا بعد مشاهدة الآيات اجعل لنا الها وروي ان القبطي أراد أن يسخر الاسرائيل

بقوله تلقاء نحو مدين و يقال فعل ذلك من تلقاء نفسه يعني به من قبل نفسه و يقال دار ه تلقاء دار فلان اذا كانت محاذيتها ولم يصرف اسم مدين لانها اسم بلدة معروفة كذلك تفعل العرب باسماء البلاد المعروفة ومنه قول الشاعر

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا * والعصم من سعف العقول الفادر

وقوله عسى ربي أن يهديني سواء السبيل يقول عسى ربي أن يبين لي قصد السبيل الى مدين وانما قال ذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها وذكر ان الله قيض له اذ قال رب نجني من القوم الظالمين ملكا سدده الطريق وعرفه اياه ذكر من قال ذلك **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما أخذ موسى في بنيات الطريق جاءه ملك على فرس بيده عنزة فلما رآه موسى سجد له من الفرق قال لا تسجد لي ولكن اتبعني فاتبعه فهداه نحو مدين وقال موسى وهو متوجه نحو مدين عسى ربي أن يهديني سواء السبيل فانطلق به حتى انتهى به الى مدين **حدثنا** العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى متوجها نحو مدين وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه فانه قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر لي انه خرج وهو يقول رب نجني من القوم الظالمين فهيأ الله الطريق الى مدين فخرج من مصر بلا زاد ولا حذاء ولا ظهر ولا درهم ولا رغيف خائفا يترقب حتى وقع الى أمة من الناس يسقون بمدين **حدثنا** أبو عمار الحسين ابن حريث المروزي قال ثنا الفضل بن موسى عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينها وبينها مسيرة ثمان قال وكان يقال نحو من الكوفة الى البصرة ولم يكن له طعام الا ورق الشجر وخرج خائفا فما وصل اليها حتى وقع خف قدمه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثام قال ثنا الاعمش عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس قال لما خرج موسى من مصر الى مدين وبينه وبينها ثمان ليال كان يقال نحو من البصرة الى الكوفة ثم ذكر نحوه ومدين كان بها يومئذ قوم شعيب عليه السلام ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما توجه تلقاء مدين ومدين كان عليه قوم شعيب قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل وأما قوله سواء السبيل فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سواء السبيل قال الطريق الى مدين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل قال قصد السبيل **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن عسى ربي أن يهديني سواء السبيل قال الطريق المستقيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير) يقول تعالى ذكره ولما ورد موسى ماء مدين وجد عليه أمة يعني جماعة من الناس يسقون نعمهم ومواشيهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وجد عليه أمة من الناس يسقون يقول كثرة من الناس يسقون **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أمة من الناس

يسقون

في حمل الحطب الى مطبخ فرعون وقيل ان الاسرائيلي هو السامري فاستغاثه سأله أن يخلصه منه فوكزه أي دفعه باطراف الاصابع أي بجميع الكف فقضى عليه أي أماته وقتله الطاعنون في عصمة الانبياء قالوا ان كان القبطي مستحق القتل فلم قال هذا من عمل الشيطان وقال رب اني ظلمت نفسي وان لم يكن مستحق القتل كان قتله معصية وذنبا وأيضا قوله هذا من عدوه يدل على انه كان كافرا حربيا وكان دمه مباحا والاستغفار من القتل المباح غير جائز وأجيب انا نختار انه للكفرة كان مباح الدم الا ان الاولى تأخير قتله الى زمان آخر فقوله هذا من عمل الشيطان معناه اقدامي على ترك المندوب من عمل الشيطان أو هذا اشارة الى عمل المقتول وهو كونه مخالفا لله أو هو اشارة الى المقتول يعني انه من جند الشيطان وحزبه والاستغفار من ترك الاولى سنة المرسلين أو أراد اني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا الكافر ولو عرف ذلك فرعون لقتلني به فاغفر لي فاستره على هذا كله اذا سلم انه كان نبيا في ذلك الوقت وفيه ما فيه قالت المعتزلة في قوله هذا من عمل الشيطان دليل على ان المعاصي ليست بخلق الله وللقائل أن يقول الشيطان من خلق الله فضلا عما يصدر عن الشيطان على ان المشار اليه يحتمل أن يكون شيأ آخر كما قررنا قوله بما أنعمت علي قيل أراد به القوة وانه لن يستعملها الا في مظاهرة أولياء الله وعلى هذا يكون ما أقدم عليه من اعانة الاسرائيلي على القبطي طاعة اذ لو كانت معصية لصار حاصل الكلام بما أنعمت علي بقبول توبتي فاني أكون مواظبا على مثل تلك المعصية وقال القفال الباء للقسم كأنه اقسم بما أنعم الله عليه من المغفرة ان لا يظاهر مجرما وأراد بمعاونة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من يؤدي مظاهرته الى ترك الاولى وقال الكسائي والفراء انه خبر ومعناه الدعاء كأنه

يسقون قال أناسا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وقع الى أمة من الناس يسقون بمدين أهل نعم وشاء حدثنا على بن موسى وابن بشار قالا ثنا أبو داود قال أخبرنا عمران القطان قال ثنا أبو حمزة عن ابن عباس فى قوله ولما ورد ماء مدين قال على بن موسى قال مثل ماء جوبكم هذا يعنى المحدثة وقال ابن بشار مثل محدثتكم هذه يعنى جوبكم هذا وقوله ووجد من دونهم امرأتين تذودان يقول ووجد من دون امة الناس الذين هم على الماء امرأتين تذودان يعنى بقوله تذودان تحبسان غنمهما يقال منه ذاد فلان غنمه وماشيته اذا أراد شئ من ذلك يشذو يذهب فرده ومنعه يذودها ذودا وقال بعض أهل العربية من الكوفيين لا يجوز ان يقال ذدت الرجل بمعنى حبسته انما يقال ذلك للغنم والابل وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انى لبعقب حوضى أذود الناس عنه بعصاى فقد جعل الذود صلى الله عليه وسلم فى الناس ومن الذود قول سويد بن كراع

أبيت على باب القوافى كأنما * أذود بها سربا من الوحش نزعا

وقول الآخر وقد سلبت عصاك بنو تميم * فما تدرى بأى عصا تذود

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تذودان يقول تحبسان حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس ووجد من دونهم امرأتين تذودان يعنى بذلك أنهما حابستان حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير فى قوله امرأتين تذودان قال حابستين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ووجد من دونهم امرأتين تذودان يقول تحبسان غنمهما واختلف أهل التأويل فى الذى كانت عنه تذودهاتان المرأتان فقال بعضهم كانتا تذودان غنمهما عن الماء حتى يصدر عنه مواشى الناس ثم يسقيان ماشيتهما لضعفهما ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك قوله امرأتين تذودان قال تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا ويخلو لهم البئر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ووجد من دونهم امرأتين يعنى دون القوم تذودان غنمهما عن الماء وهو ماء مدين وقال آخرون بل معنى ذلك تذودان الناس عن غنمهما ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال أى حابستين شاءهما تذودان الناس عن شائهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن أصحابه تذودان قال تذودان الناس عن غنمهما وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا من سقى مواشيهم وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لدلالة قوله ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء على ان ذلك كذلك وذلك انهما انما شكتا انهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء اذ سألهما موسى عن ذودهما ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس كان لا شك انهما كانتا تخبران عن سبب ذودهما عنها الناس لا عن سبب تأخر سقيهما الى أن يصدر الرعاء وقوله قال ما خطبكما يقول تعالى ذكره قال موسى للمرأتين ما شأنكما وأمركما تذودان ماشيتكما عن الناس هلا تسقونها مع مواشى الناس والعرب تقول للرجل ما خطبك بمعنى ما أمرك وحالك كما قال الراجز * يا عجبا ما خطبه وخطبى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل

قال فلا تجعلنى ظهيرا والفاء للدلالة على تلازم ما قبلها وما بعدها وفى الآية دلالة على عدم جواز اعانة الظلمة والفسقة حتى يبرى القلم ويليق الدواة عن ابن عباس انه لم يستثن اى لم يقل فلن اكون ان شاء الله فابتلى به مرة أخرى وفى هذه الرواية نوع ضعف فانه ترك الاعانة فى المرة الثانية ولئن صحت فلعله اراد انه جرت صورة تلك القضية عليه الا ان الله عصمه وبعد موت القبطى من الوكز أصبح موسى من غد ذلك اليوم خائفا يترقب الاخبار وما يقال فيه فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يطلب نصرته بصياح وصراخ فنسبه موسى لذلك الى الغواية فان كثرة المخاصمة على وجه يؤدى الى الاستنصار خلاف طريقة الرشد فغوى بمعنى غا ووجوز بعض أهل اللغة ان يكون بمعنى مغو لانه أوقع موسى فيما أوقع ثم طلب منه مثل ذلك وهو نوع من الاغواء قال بعضهم لما خاطب موسى الاسرائيلى بانه غوى ورأى فيه الغضب ظن لما هم بالبطش انه يريده فقال أتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس وزعموا انه لم يعرف قتله بالامس الا هو وصار ذلك سبب الظهور القتل ومزيد الخوف وقال آخرون بل هو قول القبطى وقد كان عرف القضية من الاسرائيلى وهذا القول أظهر لان قوله ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض لا يليق الا ان يكون قولا للكافر قال جار الله الجبار الذى يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر فى العواقب ولا يدفع بالتى هى أحسن وقيل هو العظيم الذى لا يتواضع لامر الله عز وجل وحين وقعت هذه الواقعة انتشر الحديث فى المدينة وهموا بقتل موسى فاخبره بذلك رجل وهو قوله وجاء رجل من أقصى المدينة أى من أبعد مسافتها اليه وقوله يسعى صفة اخرى لرجل او حال لانه قد تخصص بالوصف وان جعل الظرف صلة لجاء حتى يكون المجىء من هنالك ترجح ان يكون يسعى وصفا قال العلماء الاظهر فى هذه الصورة ان

التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا العباس قال ثنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال أخبرنا القاسم قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال لهما ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وجد لهما رحمة ودخلته فيهما خشية لما رأى من ضعفهما وغلبة الناس على الماء دونهما فقال لهما ما خطبكما أى ما شأنكما وقوله قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء يقول جل ثناؤه قالت المرأتان لموسى لا نسقى ماشيتنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم لأنا لا نطيق أن نسقى وانما نسقى مواشينا ما أفضلت مواشى الرعاء فى الحوض والرعاء جمع راع والرعى جمع رعاء ورعاة ورعيان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قال موسى للمرأتين ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير أى لا نستطيع أن نسقى حتى يسقى الناس ثم نتبع فضلاتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله حتى يصدر الرعاء قال ينتظران تسقيان من فضول ما فى الحياض حياض الرعاء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال وأبونا شيخ كبير لا يقدر أن يمس ذلك من نفسه ولا يسقى ماشيته فنحن ننتظر الناس حتى اذا فرغوا اسقينا ثم انصرفنا واختلفت القراء فى قراءة قوله حتى يصدر الرعاء فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز سوى أبى جعفر القارئ وعامة قراء العراق سوى أبى عمرو يصدر الرعاء بضم الياء وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو بفتح الياء من يصدر الرعاء عن الحوض وأما الآخرون فانهم ضموا الياء بمعنى أصدر الرعاء مواشيهم وهما عندى قراءتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وأبونا شيخ كبير يقولان لا يستطيع من الكبر والضعف أن يسقى ماشيته وقوله فسقى لهما ذكر انه عليه السلام فتح لهما عن رأس بئر كان عليه حجر لا يطيق رفعه الا جماعة من الناس ثم استسقى فسقى لهما ماشيتهما منه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال فتح لهما عن بئر حجرا على فيها فسقى لهما منها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج بنحوه وزاد فيه قال ابن جريج حجرا كان لا يطيقه الا عشرة رهط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن الحكم عن شريح قال انتهى الى حجر لا يرفعه الا عشرة رجال فرفعه وحده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رحمهما موسى حين قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فأتى الى البئر فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما موسى دلوا فأروتا غنمهما فرجعتا سريعا وكانتا انما تسقيان من فضول الحياض حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس فسقى لهما فجعل يغرف فى الدلو ماء كثيرا حتى كانتا أول الرعاء ريا فانصرفتا الى أبيهما بغنمهما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال تصدق عليهما نبى الله صلى الله عليه وسلم فسقى لهما فلم ينشب أن أروى غنمهما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أخذ دلوهما موسى ثم تقدم الى السقاء بفضل قوته فزاحم القوم على الماء حتى أخرهم عنه ثم سقى لهما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير) يقول تعالى ذكره فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما ثم تولى الى ظل شجرة ذكر انها سمرة ذكر من قال ذلك

حدثنا

يكون الظرف وصفا وفى يس ان يكون صلة ولذلك خصت بالتقدم ويؤيده ما جاء فى التفسير انه كان يعبد الله فى جبل فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلا والائتمار التشاور لان كل واحد من المتشاورين يأمر صاحبه بشئ أو يشير عليه بأمر ومعنى يأتمرون بك يتشاورون بسببك وقوله لك من الناصحين كقوله فيه من الزاهدين وقد مر ان الجار فى مثل هذه الصورة بيان لا صلة فخرج منها خائفا يترقب المكروه من جهتهم وان يلحق به قال ملتجئا الى الله رب نجنى من القوم الظالمين وفيه دليل على ان قتله القبطى لم يكن ذنبا والا لم يكونوا ظالمين بطلب القصاص * التأويل ان فرعون النفس الامارة استولى على من فى الارض الانسانية وجعل أهلها وهم الروح والسر والعقل أصنافا فى الاستخدام لاستيفاء الشهوات يستضعف طائفة وهم صفات القلب الابناء الصفات الحميدة المتولدة من ازدواج الروح والقلب والنساء الصفات الذميمة المتولدة من ازدواج النفس والبدن انه كان من المفسدين للاستعداد الفطرى ونرى فرعون النفس وهامان الهوى وجنودهما من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية أم موسى السر لان القلب تولد من ازدواج الروح والسر أن ارضعيه من لبن الروحانية فقد حرم عليه مراضع الحيوانية أو الدنيوية فالقيه فى اليم فى الدنيا فى تابوت القالب وجاعلوه من المرسلين أى من القلوب المحدثين كما قال بعضهم حدثنى قلبى عن ربى فالتقطه آل فرعون وهم صفات النفس والقوى البشرية من الجاذبة والماسكة والهاضمة وغيرها فانها أسباب لتربية الطفل ليكون لهم فى العاقبة عدوا بعداوتهم بطريق الرياضات والمخالفات وحزنا بترك الشهوات واللذات وبالدعوة الى ما لا يلائم هواهم من طاعة الله وقالت امرأة فرعون النفس وهى الجثة لا تقتلوا القلب بسيف الشهوات والانهماك فى أسباب اللذات والحسيات عسى أن ينفعنا بأن يحبنا من

حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ثم تولى موسى الى ظل شجرة سمرة فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير حدثنى العباس قال ثنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انصرف موسى الى شجرة فاستظل بظلها فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير حدثنى الحسين بن عمرو العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال حثثت على جمل لى ليلتين حتى صبحت مدين فسألت عن الشجرة التى أوى اليها موسى فاذا شجرة خضراء مورق فاهوى اليها جملى وكان جائعا فاخذها جملى فعالجها ساعة ثم لفظها فدعوت الله لموسى عليه السلام ثم انصرفت وقوله فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير محتاج وذكر ان نبى الله موسى عليه السلام قال هذا القول وهو بجهد شديد وعرض ذلك للمرأتين تعريضا لهما لعلهما أن يطعماه مما به من شدة الجوع وقيل ان الخير الذى قال نبى الله انى لما أنزلت الى من خير فقير انما عنى به شبعة من طعام وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد عن ابن عباس قال لما هرب موسى من فرعون أصابه جوع شديد حتى كانت ترى أمعاؤه من ظاهر الصفاق فلما سقى للمرأتين وأوى الى الظل قال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ولما ورد ماء مدين قال ورد الماء وانه ليتراأى خضرة البقل فى بطنه من الهزال فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال شبعة حدثنى نصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا حكام بن أسلم عن عنبسة عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ولما ورد ماء مدين قال ورد الماء وان خضرة البقل لترى فى بطنه من الهزال حدثنى نصر بن عبد الرحمن قال ثنا حكام بن أسلم عن عنبسة عن أبى حصين عن سعيد بن جبير انى لما أنزلت الى من خير فقير قال شبعة يومئذ حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال قال هذا وما معه درهم ولا دينار قال حدثنا سفيان عن ليث عن مجاهد انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ماسأل الا الطعام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن سفيان الثورى عن ليث عن مجاهد فى قوله فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ماسأل ربه الا الطعام حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال قال ابن عباس لقد قال موسى ولو شاء انسان ان ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع وما يسأل الله الا أكلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال كان نبى الله بجهد حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن عطاء بن السائب فى قوله انى لما أنزلت الى من خير فقير قال بلغنى ان موسى قالها وأسمع المرأة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من خير فقير قال طعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد من خير فقير قال طعام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى لما أنزلت الى من خير فقير قال الطعام يستطعم لم يكن معه طعام وانما سأل الطعام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يقول تعالى ذكره فجاءت موسى احدى المرأتين اللتين سقى لهما تمشى على استحياء من موسى قد سترت وجهها بثوبها وبنحو الذى قلنا فى ذلك

النار قال أهل التحقيق لما كان اعتقاد الجنة فى تربية موسى القلب انه يكون قرة عينها ولدها فلا جرم نفعها الله بالنجاة ورفع الدرجات وحين لم يكن لفرعون النفس فى حقه هذا الاعتقاد بل كان يتوقع الهلاك منه (٣٥) كان هلاكه على يده بسيف الصدق وسم الذكر وهم لا يشعرون انه لولم يوفق لاهلاكهم لكان هلاكه على أيديهم فؤاد أم موسى هو سر السر أخت موسى القلب هو العقل ودخل مدينة القالب على حين غفلة من أهلها وهم الصفات النفسانية فوجد فيها رجلين صفتين احداهما من صفات القلب والاخرى من صفات النفس وفى قوله هذا من عمل الشيطان اشارة الى ان قتل كافر صفات النفس بالجهاد معها ان لم يكن بامر الحق وعلى سبيل المتابعة لم يعتد به فلن أكون ظهيرا للمجرمين الذين أجرموا بان جاهدوا كفار صفات النفس بالطبع والهوى لا بالشرع كالفلاسفة والبراهمة انك لغوى مبين لانك تنازع ذا سلطان قوى قبل أوانه وهو فرعون النفس وجاء رجل هو العقل من أقصى مدينة الانسانية أى من أعلى مرتبة الروحانية يسعى فى طلب نجاة موسى القلب فاخرج من مدينة البشرية الى صحراء الروحانية خائفا من سطوات فرعون النفس يترقب مكايدهم (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن

عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول
وكيل فلما قضى موسى الأجل وسار باهله آنس (٣٦) من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو

جذوة من النار لعلكم تصطلون
فلما أتاها نودى من شاطئ الواد
الايمن فى البقعة المباركة من
الشجرة أن ياموسى انى أنا الله رب
العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها
تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب
ياموسى أقبل ولا تخف انك من
الآمنين أسلك يدك فى جيبك
تخرج بيضاء من غير سوء واضمم
اليك جناحك من الرهب فذانك
برهانان من ربك الى فرعون
وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال
رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن
يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى
لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى انى
أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك
بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا
يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن
اتبعكما الغالبون فلما جاءهم
موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا
الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا
فى آبائنا الاولين وقال موسى ربى
أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن
تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح
الظالمون وقال فرعون يا أيها الملأ
ما علمت لكم من اله غيرى فاوقد لى
ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا
لعلى أطلع الى اله موسى وانى
لاظنه من الكاذبين واستكبر هو
وجنوده فى الارض بغير الحق
وظنوا أنهم الينا لا يرجعون
فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
وجعلناهم أئمة يدعون الى النار
ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم
فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة
هم من المقبوحين) *القراآت بى ان بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو و يصدر بفتح الياء
وضم الدال ابن عامر و يزيد وأبو عمرو وأبو أيوب الآخرون بضم الياء وكسر الدال انى أريد ستجدنى ان بفتح ياء المتكلم فيهما أبو جعفر

قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو السائب والفضل بن الصباح قالا ثنا ابن فضيل عن ضرار بن عبد الله بن أبى الهذيل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قوله فجاءته احداهما تمشى على استحياء مستترة بكم درعها أو بكم قميصها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن حماد بن عمرو الاسدى عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل عن عمر رضى الله عنه قال واضعة يدها على وجهها مستترة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن نوف فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال قال سترت وجهها بيديها قال حدثنا يحيى عن سفيان عن أبى اسحق عن نوف بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن نوف فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال قائلة بيديها على وجهها ووضع أبى يده على وجهه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة واضعة ثوبها على وجهها تقول ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال لم تكن سلفعا من النساء خراجة ولاجة قائلة بيدها على وجهها ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول فى قوله فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال بعيدة من النداء حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى تمشى على استحياء قال أتته تمشى على استحياء منه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال واضعة يدها على جبينها وقوله قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا يقول تعالى ذكره قالت المرأة التى جاءت موسى تمشى على استحياء ان أبى يدعوك ليجزيك تقول يثيبك أجر ما سقيت لنا وقوله فلما جاءه وقص عليه القصص يقول فمضى موسى معها الى أبيها فلما جاء أباها وقص عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط قال له أبوها لا تخف نجوت من القوم الظالمين يعنى من فرعون وقومه لانه لا سلطان له بأرضنا التى أنت بها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس قال اخبرنا يزيد قال ثنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال استنكر ابو الجاريتين سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا فقال ان لكما اليوم لشأنا قال ابو جعفر احسبه قال فاخبرتاه الخبر فلما أتاه موسى كلمه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا فى مملكته حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال لما رجعت الجاريتان الى ابيهما سريعا سألهما فاخبرتاه خبر موسى فأرسل اليه احداهما فاتته تمشى على استحياء وهو يستحى منه قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام معها وقال لها امضى فمشت بين يديه فضربتها الريح فنظر الى عجيزتها فقال لها موسى امشى خلفى ودلينى على الطريق ان أخطأت فلما جاء الشيخ وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا قال قال مطرف اما والله لو كان عند نبى الله شئ ما تتبع مذقيهما ولكن انما حمله على ذلك الجهد فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال رجعتا الى أبيهما فى ساعة كانتا لا ترجعان فيها فانكر شأنهما فسألهما فاخبرتاه الخبر فقال لاحداهما عجلى على به فاتته

على استحياء فجاءته فقالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام معها كما ذكر لى فقال لها
امشى خلفى وانعتى لى الطريق وأنا أمشى أمامك فانا لا ننظر الى أدبار النساء فلما جاءه أخبره الخبر
وما أخرجه من بلاده فلما قص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين وقد أخبرت أباها
بقوله انا لا ننظر الى أدبار النساء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالت احداهما يا أبت استأجره
ان خير من استأجرت القوى الامين) يقول تعالى ذكره قالت احدى المرأتين اللتين سقى لهما موسى
لابيها حين أتاه موسى وكان اسم احداهما صفورة واسم الاخرى ليا وقيل شرفا كذلك حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب ابن سليمان الذمارى عن
شعيب الجبائى قال اسم الجاريتين ليا وصفورة وامرأة موسى صفورة ابنة يثرون كاهن مدين
والكاهن حبر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال احداهما صفورة ابنة يثرون
وأختها شرفا ويقال ليا وهما اللتان كانتا تذودان وأما أبوهما ففى اسمه اختلاف فقال بعضهم كان
اسمه يثرون ذكر من ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن
مرة عن أبي عبيدة قال كان الذى استأجر موسى ابن أخى شعيب يثرون حدثنا ابن وكيع قال
ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال الذى استأجر موسى يثرون ابن
أخى شعيب عليه السلام وقال آخرون بل اسمه يثرى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال
ثنا العلاء بن عبد الجبار عن حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال الذى استأجر موسى يثرى
صاحب مدين حدثنى أبو العالية العبدى اسمعيل بن الهيثم قال ثنا أبو قتيبة عن حماد بن
سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال الذى استأجر موسى يثرى صاحب مدين حدثنى أبو العالية
العبدى اسمعيل بن الهيثم قال ثنا أبو قتيبة عن حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن بن عباس قال اسم
أبي المرأة يثرى وقال آخرون بل اسمه شعيب وقالوا هو شعيب النبى عليه السلام ذكر من قال
ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول
يقولون شعيب صاحب موسى ولكنه سيد أهل الماء يومئذ * قال أبو جعفر وهذا مما لا يدرك علمه
الا بخبر ولا خبر بذلك تجب حجته فلا قول فى ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه وجد من
دونهم امرأتين تذودان قالت احداهما يا أبت استأجره تعنى بقولها استأجره ليرعى عليك ماشيتك
ان خير من استأجرت القوى الامين تقول ان خير من تستأجره للرعى القوى على حفظ ماشيتك
والقيام عليها فى اصلاحها وصلاحها الامين الذى لا تخاف خيانته فيما تأمنه عليه منها وقيل انها لما
قالت ذلك لابيها استنكر أبوها ذلك من وصفها اياه فقال لها وما علمك بذلك فقالت أما قوته فما رأيت
من علاجه ما عالج عند السقى على البئر وأما الامانة فما رأيت من غض البصر عنى وبنحو ذلك جاءت
الاخبار عن أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد قال أخبرنا
الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قالت احداهما يا أبت
استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين قال فاحفظته الغيرة أن قال وما يدريك ما قوته وأمانته
قالت اما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى فى ذلك السقى منه وأما أمانته فانه نظر
حين أقبلت اليه وشخصت له فلما علم انى امرأة صوب رأسه فلم يرفعه ولم ينظر الى حتى بلغته رسالتك
ثم قال امشى خلفى وانعتى لى الطريق ولم يفعل ذلك الا وهو أمين فسرى عن أبيها وصدقها وظن به
الذى قالت حدثنى على قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لموسى ان خير من
استأجرت القوى الامين يقول أمين على ما استودع حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى

ونافع انى آنست انى أنا الله وانى أخاف بفتح ياء المتكلم فى الكل أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ولعلى آتيكم بفتح الياء هم وابن عامر جذوة بفتح
الجيم عاصم وبضمها حمزة وخلف الباقون بكسرها من الرهب بفتح الراء وسكون الهاء حفص وبفتحهما أبو عمرو وسهل
ويعقوب وأبو جعفر ونافع وابن
كثير الآخرون بضم الراء وسكون
الهاء فذانك بتشديد النون ابن
كثير ويعقوب وأبو عمرو ومعى
بالفتح حفص ردا بغير همز أبو جعفر
ونافع وابن كثير الآخرون بضم
الراء وهمزة فى الوقف يصدقنى
بالرفع حمزة وعاصم يكذبونى بالياء
فى الحالين يعقوب وافق ورش
وسهل وعباس فى الوصل قال موسى
بغير واو ابن كثير ربى أعلم بفتح
الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير
وأبو عمرو ومن يكون على التذكير
حمزة وعلى وخلف والمفضل
لا يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم
نافع ويعقوب وعلى وخلف
* الوقوف السبيل ه يسقون
ه لانه رأس آية عند الاكثرين
مع عطف المتفقتين تذودان ج
لعدم العاطف وطول الكلام مع
اتحاد الفاعل خطبكما ط الرعاء
ز لان ما بعده منقطع لفظا ومعنى
كأنه قال فلم خرجتما فقالتا تعريضا
بالاستقامة وأبونا شيخ كبير ط
فقير ه على استحياء ز لعدم
العاطف مع اتحاد القائل ومن
وقف على تمشى ويجعل على استحياء
حالا مقدما أى قالت مستحيية فلا
وجه له فى الوقف لنا ط لان جواب
لما منتظر وقبله حذف أى
فذهب معها فلما جاءه فكان الفاء
لاستئناف القصص لان قال جواب
لما لا تخف ز لان قوله نجوت غير
متصل به نظما وليفصل بين
البشارتين أى لا تخف ضيما وقد
نجوت من ظلم فرعون الظالمين ه
استأجره ج للابتداء بان مع اتحاد القول واحتمال التعليل الامين ه حجج ج للشرط مع الفاء عندك ج لابتداء النفى مع الواو عليك
ج الصالحين ه وبينك ج لابتداء الشرط على ط وكيل ه نارا ه لعدم العاطف وطول الكلام مع اتحاد القائل تصطلون ه

قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين قال ان موسى لما سقى لهما ورأت قوته وحرك حجرا على الركية لم يستطعه ثلاثون رجلا فازاله عن الركية وانطلق مع الجارية حين دعته فقال لها امشى خلفى وأنا أمامك كراهية ان يرى شيأ من خلفها مما حرم الله ان ينظر اليه وكان يوما فيه ريح حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عبد الرحمن بن أبى نعم فى قوله يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين قال لها أبوها ما رأيت من أمانته قالت لما دعوته مشيت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثيابى فتلزق بجسدى فقال كونى خلفى فاذا بلغت الطريق فاذهبى قالت ورأيته يملأ الحوض بسجل واحد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله القوى الامين قال غض طرفه عنهما قال محمد بن عمرو فى حديثه حين أوحتى سقى لهما فصدرتا وقال الحرث فى حديثه حتى سقى بغير نلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال فتح عن بئر حجرا على فيها فسقى لهما بم او الامين انه غض بصره عنهما حين سقى لهما فصدرتا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر وهانئ بن سعيد عن الحجاج عن القاسم عن مجاهد ان خير من استأجرت القوى الامين قال رفع حجرا لا يرفعه الا فئام من الناس حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق قال عمرو بن ميمون فى قوله القوى الامين قال كان يوم ريح فقال لا تمشى أمامى فيصفك الريح لى ولكن امشى خلفى ودلينى على الطريق قال فقال لها كيف عرفت قوته قالت كان الحجر لا يطيقه الا عشرة فرفعه وحده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن شريح فى قوله القوى الامين قال أما قوته فانتهى الى حجر لا يرفعه الا عشرة فرفعه وحده وأما أمانته انى مشيت امامه فوصفتها الريح فقال لها امشى خلفى وصفى لى الطريق حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن عمر وعن زائدة عن الاعمش قال سألت تميم بن ابراهيم بم عرفت امانته قال فى طرفه بغض طرفه عنها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان خير من استأجرت القوى الامين قال القوى فى الصنعة الامين فى ما ولى قال وذكر لنا ان الذى رأت من قوته انه لم تلبث ماشيتها حتى رواها وان الامانة التى رأت منه انها حين جاءت تدعوه قال لها كونى ورائى وكره أن يستدبرها فذلك ما رأت من قوته وأمانته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين قال بلغنا ان قوته كانت سرعة ما أروى غنمهما وبلغنا انه ملأ الحوض بدلو واحد وأما أمانته فانه أمرها أن تمشى خلفه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وهى الجارية التى دعته قال الشيخ هذه القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة أرأيت امانته ما يدريك ما هى قالت مشيت قدامه فلم يحب أن يخوننى فى نفسى فامرنى أن أمشى خلفه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين فقال لها وما علمك بقوته وأمانته فقالت اما قوته فانه كشف الصخرة التى على بئر آل فلان وكان لا يكشفها دون سبعة نفر وأما أمانته فانى لما جئت ادعوه قال كونى خلف ظهرى وأشيرى لى الى منزلك فعرفت ان ذلك منه أمانة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين لما رأت من قوته وقوله لها ما قال أن امشى خلفى لئلا يرى منها شيأ مما يكره فزاده ذلك فيه رغبة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى

العالمين ۰ لا عصاك ط لحق الحذف أى فالقاها فحييت فلما رآها ولم يعقب ط لا تخف ج لمثل ما مر أى لا تخف باس العصا انك أمنت بها باس فرعون الامنين ۰ سوء ز لعطف الجملتين المتفقتين مع طول الكلام وملئه ط فاسقين ۰ يقتلون ۰ يصدقنى ز للابتداء بان مع اتحاد القول واحتمال التعليل يكذبون ۰ باآياتنا ج أى لا يصلون اليكما بسبب آياتنا أو على اليكما أوجه أى أنتم الغالبون باآياتنا الغالبون ۰ الاولين ۰ الدار ط الظالمون ۰ غيرى ج تشريع الكلام الى اله موسى لا لان ما بعده مقوله أيضا المكذبين ۰ لا يرجعون ۰ فى اليم ج للابتداء وبامر الاعتبار اختلاف الجملتين مع فاء التعقيب الظالمين ۰ نصف الجزء الى النار ج لعطف الجملتين المختلفتين لا ينصرون ۰ لعنة ط لمثل ذلك المقبوحين ۰ * التفسير ذهب بعض المفسرين الى ان موسى خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله تعالى وأخذ يمشى من غير معرفة طريق فاوصله الله الى مدين وقد يؤيد هذا التفسير ما روى عن ابن عباس انه خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه ويحتمل أن يكون معنى قول ابن عباس انه لما خرج قصد مدين لانه وقع فى نفسه أن بينه وبينهم قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم وهو كان من بنى اسرائيل لكن لم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله تعالى امالانه قصد مدين فلقوله سبحانه ولما توجه تلقاء مدين أى قصد نحو هذه القرية ولم تكن فى سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان واما انه اعتمد على فضل الله فلقوله عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل أى وسطه وجادته نظيره قول جده ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى سيهدين وهكذا الخلف الصدق يقتدى بالسلف الصالح فيهتدى قال السدى لما أخذ فى المسير جاءه ملك على فرس فسجد له موسى من الفرح فقال لا تفعل واتبعنى فاتبعه نحو مدين عن ابن جريج انه

تعالى (قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تاجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) يقول تعالى ذكره قال أبو المرأتين اللتين سقى لهما موسى لموسى انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تاجرنى ثمانى حجج يعنى بقوله على أن تاجرنى على أن تثيبنى من تزويجكها رعى ماشيتى ثمانى حجج من قول الناس أجرك الله فهو يأجرك بمعنى أثابك الله والعرب تقول أجرت الاجير أجره بمعنى أعطيته ذلك كما يقال أخذته فانا آخذه وحكى بعض أهل العربية من أهل البصرة ان لغة العرب أجرت غلامى فهو مأجور وآجرته فهو مؤجر يريد أفعلته قال وقال بعضهم آجره فهو مؤاجر أراد واغلته وكأن أباها عندى جعل صداق ابنته التى زوجها موسى رعى موسى عليه ماشيته ثمانى حجج والحجج السنون وقوله فان أتممت عشرا فمن عندك يقول فان أتممت الثمانى الحجج التى شرطتها عليك بانكاحى اياك احدى ابنتى فجعلتها عشر حجج فاحسان من عندك وليس مما اشترطته عليك بسبب تزويجك ابنتى وما أريد أن أشق عليك باشتراط الثمانى الحجج عشرا عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين فى الوفاء بما قلت لك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ستجدنى ان شاء الله من الصالحين أى فى حسن الصحبة والوفاء بما قلت ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على مانقول وكيل) يقول تعالى ذكره قال موسى لابى المرأتين ذلك بينى وبينك أى هذا الذى قلت من انك تزوجنى احدى ابنتيك على ان آجرك ثمانى حجج واجب بينى وبينك على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه وقوله أيما الاجلين قضيت يقول اى الاجلين من الثمانى الحجج والعشر الحجج قضيت يقول فرغت منها وفيتكها رعى غنمك وماشيتك فلا عدوان على يقول فليس لك ان تعتدى على فتطالبنى باكثر منه وما فى قوله أيما الاجلين صلة يوصل بها اى على الدوام وزعم اهل العربية ان هذا اكثر فى كلام العرب من أى وانشد قول الشاعر

وأيهما ما اتبعن فاننى * حريص على اثر الذى انا تابع

وقال عباس بن مرداس

فأيما ربيك فكان شرا * بعيد الى المقامة لا يراها

وقوله والله على مانقول وكيل كان ابن اسحق يرى القول من ابى المرأتين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال موسى ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على قال نعم والله على مانقول وكيل فزوجه وأقام معه يكفيه ويعمل له فى رعاية غنمه وما يحتاج اليه منه وزوجه موسى صفورا أو اختها شرفا أو ليا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال قال ابن عباس الجارية التى دعته هى التى تزوج حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال له انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى الى آخر الآية قال وايتهما تريدان تنكحنى قال التى دعتك قال لا الا وهى بريئة مما دخل نفسك عليها فقال هى عندك كذلك فزوجه وبنحو الذى قلنا فى قوله أيما الاجلين قضيت قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت اما ثمانيا واما عشرا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد وسأله رجل قال أى الاجلين قضيت فلا عدوان على قال فقال القاسم ما أبالى أى ذلك كان انما هو موعد وقضاء وقوله والله على مانقول وكيل يقول والله على ما أوجب كل واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول شهيد وحفيظ كالذى حدثنا القاسم قال

خرج بغير زاد ولا ظهر ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ولما ورد ماء مدين وكان بئرا فيما روى وورود الماء مجيئه والوصول اليه ضد الصدور وجد عليه أى على شفيره ومستقاه امة من الناس جماعة كثيرة العدد أصنافا يسقون مواشيهم ووجد من دونهم أى فى مكان أسفل من مكانهم امرأتين تذودان أى تدفعان وتطردان أغنامهما لان على الماء من هو أقوى منهما فلم يتمكنا من السقى وكانتا تكرهان المزاحمة على الماء واختلاط أغنامهما باغنامهم أو اختلاطهما بالرجال وقيل تذودان الناس عن غنمهما وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر وبالجملة حذف مفعول تذودان لان الغرض تقرير الذود لا المذود وكذا فى يسقون ولا نسقى المقصود هو ذكر السقى لا المسقى وكذا فى قراءة من قرأ حتى يصدر من الاصدار أى حتى يصدر الرعاء مواشيهم الغرض بيان الاصدار قال ما خطبكما هو مصدر بمعنى المفعول أى ما مخطوبكما من الذياد قالتا لا نسقى الآية سألهما عن سبب الذود فذكرتا انا ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقى الى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به وهذه الضرورة هى التى سوغت لنبى الله شعيب ان رضى لابنتيه تسقى الماشية على ان الامر فى نفسه ليس بمحظور ولعل العرب وخصوصا أهل البدو منهم لا يعدونه قادحا فى المروءة وزعم بعضهم ان أباهما هو هرون ابن أخى شعيب وشعيب مات بعدما عمى وهو اختيار أبى عبيد ونميه الى ابن عباس وعن الحسن انه رجل مسلم قبل الدين من شعيب أما قوله فسقى لهما فمعناه فسقى غنمهما لاجلهما ففيه قولان أحدهما انه سأل القوم فسمحوا وكان لهم دلو يجتمع عليها أربعون رجلا فيخرجونها من البئر فاستقى موسى بها وحده وصب الماء فى الحوض ودعا بالبركة ثم قرب غنمهما فشربت حتى رويت والثانى انه عمد الى بئر وعليها صخرة

لا يقلها الا سبعة رجال أو عشرة أو أربعون أو مائة أقوال فاقلها وحده وسقى أغنامهما كل ذلك فى شمس وحر ثم تولى الى الظل ظل شجرة فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير ذهب أكثر المفسرين (٤٠) الظاهر بين ومنهم ابن عباس الى أنه طلب من الله طعاما يأكله وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب وعن الضحاك انه مكث سبعة أيام لم يذق فيها طعاما الا بقل الارض وان خضرته يتراءى فى بطنه من الهزال وفيه دليل على انه نزع الدلو وأقل الصخرة بقوة بانية وقال بعض أهل التحقيق أراد انى فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير الدين وذلك انه كان عند فرعون فى ملك وثروة فاظهر الرضا بهذا البدل شكرا لله يروى انهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لى وذلك قوله سبحانه فجاءته احداهما تمشى على استحياء قيل من جملة حيائها انها قد استترت بكم درعها ثم قالت ان أبى يدعوك عن عطاء بن السائب انه حين قال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير رفع صوته بدعائه لتسمعها فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت لنا وضعفت الرواية بان هذا نوع من الدناءة وضعف اليقين بالله فلا يليق بالنبى وقد روى انها حين قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنيانا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا سؤال كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وأن يمشى معها وهى أجنبية الجواب العمل بقول الواحد حرا أو عبدا ذكرا كان أو أنثى سائغ فى الاخبار والمشى مع الاجنبية لا بأس به فى حال الاضطرار مع التورع والعفاف ويؤيده ما روى أن موسى تبعها فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق قال الضحاك لما دخل عليه قال له من أنت يا عبد الله قال أنا موسى بن عمران بن

نقص

ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد والله على ما نقول وكيل قال شهيد على قول موسى وختنه وذكر أن موسى وصاحبه لما تعاقدا بينهما هذا العقد أمر احدى ابنتيه أن تعطى موسى عصا من العصى التى تكون مع الرعاة فاعطته اياها فذكر بعضهم أنها العصا التى جعلها الله آية وقال بعضهم تلك عصا أعطاه اياها جبريل عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال أمر يعنى أبا المرأتين احدى ابنتيه ان تأتيه يعنى أن تأتى موسى بعصا فاتته بعصا وكانت تلك العصا عصا استودعها اياه ملك فى صورة رجل فدفعها اليه فدخلت الجارية فاخذت العصا فاتته بها فلما رآها الشيخ قال لا ائتيه بغيرها فالقتها تريد أن تأخذ غيرها فلا يقع فى يدها الا هى وجعل يرددها وكل ذلك لا يخرج فى يدها غيرها فلما رأى ذلك عمد اليها فاخرجه معها فرعى بها ثم ان الشيخ ندم وقال كانت وديعة فخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال اعطنى العصا فقال موسى هى عصاى فابى أن يعطيه فاختصما فرضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما فاتاهما ملك يمشى فقال ضعوها فى الارض فمن حملها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها وأخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ فرعى له عشر سنين قال عبد الله بن عباس كان موسى أحق بالوفاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال يعنى أبا الجارية لما زوجها موسى لموسى أدخل ذلك البيت فخذ عصا فتوكأ عليها فدخل فلما وقف على باب البيت طارت اليه تلك العصا فاخذها فقال ارددها وخذ أخرى مكانها قال فردها ثم ذهب ليأخذ أخرى فطارت اليه كما هى فقال لا أرددها فعل ذلك ثلاثا فقال ارددها فقال لا آخذ غيرها اليوم فالتفت الى ابنته فقال لابنته ان زوجك لنبى ذكر من قال التى كانت آية عصا أعطاها موسى جبرائيل عليه السلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر قال سألت عكرمة قال اما عصا موسى فانها خرج بها آدم من الجنة ثم قبضها بعد ذلك جبرائيل عليه السلام فلقى موسى بها ليلا فدفعها اليه

القول فى تأويل قوله تعالى (فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون) يقول تعالى ذكره فلما وفى موسى صاحبه الاجل الذى فارقه عليه عند نكاحه اياه ابنته وذكر ان الذى وفاه من الاجلين أتمهما وأكملهما وذلك العشر الحجج على ان بعض أهل العلم قد روى عنه أنه قال زاد مع العشر عشرا أخرى ذكر من قال ذلك الذى قضى من ذلك هو الحجج العشر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس أى الاجلين قضى موسى قال خيرهما وأوفاهما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أى الاجلين قضى موسى قال أتمهما وأوفاهما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال قال يهودى بالكوفة وأنا أتجهز للحج انى أراك رجلا تتبع العلم أخبرنى أى الاجلين قضى موسى قلت لا أعلم وأنا الآن قادم على حبر العرب يعنى ابن عباس فسائله عن ذلك فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودى فقال ابن عباس قضى أكثرهما وأطيبهما ان النبى اذا وعد لم يخلف قال سعيد فقدمت العراق فلقيت اليهودى فأخبرته فقال صدق وما أنزل على موسى هذا والله العالم قال حدثنا يزيد قال ثنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب عن سعيد بن جبير قال سألنى رجل من أهل النصرانية أى الاجلين قضى موسى قلت لا أعلم وأنا يومئذ لا أعلم فلقيت ابن عباس فذكرت له الذى سألنى عنه النصرانى فقال اما كنت تعلم ان ثمانيا واجب عليه لم يكن نبى الله

نقض منها شيأ ونعلم ان الله كان قاضيا عن موسى عدته التي وعده فانه قضى عشر سنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما قضى موسى الاجل قال حدث ابن عباس قال رعى عليه نبي الله أكثرها وأطيبها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاجلين قضى موسى فقال أوفاهما وأتمهما حدثنا محمد بن أحمد الطوسي قال ثنا الحميدي أبو بكر عبد الله بن الزبير قال ثنا سفيان قال ثني ابراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت جبرائيل أي الاجلين قضى موسى قال أتمهما وأكملهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل أي الاجلين قضى موسى قال سوف أسأل اسرافيل فقال سوف أسأل الله تبارك وتعالى فسأله فقال أبرهما وأوفاهما ذكر من قال قضى العشر الحجج وزاد على العشر عشرا أخرى حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فلما قضى موسى الاجل قال عشر سنين ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قضى الاجل عشر سنين ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى حدثني المثنى قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن قتادة قال ثنا أنس قال لما دعا نبي الله موسى صاحبه الى الاجل الذي كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على غير لونها فلك ولدها فعمد فرفع خيالا على الماء فلما رأت الخيال فزعت فجالت جولة فولدن كلهن بلقا الا شاة واحدة فذهب بأولادهن ذلك العام وقوله وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا يقول تعالى ذكره فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله شاخصا بهم الى منزله من مصر آنس من جانب الطور يعني بقوله آنس أبصر وأحس كما قال العجاج

آنس خربان قضى فانكدر * داني جناحيه من الطور فمر

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل غير أنا نذكر ههنا بعض ما لم نذكر قبل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا أي أحسست نارا وقد بينا معنى الطور فيما مضى بشواهده وما فيه من الرواية عن أهل التأويل وقوله لاهله امكثوا اني آنست نارا يقول قال موسى لاهله تمهلوا وانتظروا اني أبصرت نارا لعلي آتيكم منها يعني من النار بخبر أو جذوة من النار يقول أو آتيكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار وهي مثل الجزمة من أصل الشجرة ومنه قول ابن مقبل

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذا غير خوار ولا دعر

وفي الجذوة لغات للعرب ثلاث جذوة بكسر الجيم وبها قرأت قراء الحجاز والبصرة وبعض أهل الكوفة وهي أشهر اللغات الثلاث فيها وجذوة بفتح الجيم وبها قرأ أيضا بعض قراء الكوفة وهذه اللغات الثلاث وان كن مشهورات في كلام العرب فالقراءة بأشهرها أعجب الي وان لم أنكر قراءة من قرأ بغير الاشهر منهن وبنحو الذي قلنا في معنى الجذوة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أو جذوة من النار يقول شهاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو جذوة والجذوة أصل شجرة فيها نار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله اني

يظهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقص عليه القصص أي المقصوص من لدن ولادته الى قتل القبطي وفراره خوفا من فرعون وملئه فقال له شعيب لا تخف من فرعون أو ضيم نجوت من القوم الظالمين فلا سلطان لفرعون بأرضنا (٤١) قالت احداهما وهي كبراهما اسمها صفراء وكانت الصغرى صفيراء يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال النحويون جعل القوي الامين اسما لكونه معرفة صريحة أولى من جعل أفعل التفضيل المضاف اسما لكونه قريبا من المعرفة ولكن كمال العناية صار سببا للتقديم وورود الفعل وهو استأجرت بلفظ الماضي للدلالة على انه أمر قد جرب وعرف وقال المحققون ان قولها هذا كلام حكيم جامع لا مزيد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني الكفاية والامانة اللتين هما ثمرتا الكياسة والديانة في الذي يقوم بأمرك فقد حصل مرادك وكمل فراغك عن ابن عباس ان شعيبا أحفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه أي خفضه حين بلغته رسالته وانه أمرها بالمشي خلفه فلذلك قال أريد أن أنكحك احدى ابنتي وليس هذا عقدا حتى تلزم الجهالة في المعقود عليها ولكنه حكاية عزم وتقرير وعد ولو كان عقدا لقال أنكحتك ابنتي فلانة وفي قوله هاتين دليل على انه كانت له غيرهما قال أهل اللغة تأجرني من أجرته اذا كنت له أجيرا فيكون ثماني حجج ظرفه أو من أجرته كذا اذا آتيته اياه فيكون الثماني مفعولا به ثانيا ومعناه رعيه ثماني حجج فان أتممت عشرا أي عمل عشر حجج فمن عندك أي فاتمامه من عندك لا من عندي اذ هو تفضل منك وتبرع وما أريد أن أشق عليك بالزام أتم الاجلين أو بالمناقشة في مدة الرعي وانما أعامل معك معاملة الانبياء يأخذون بالاسمح بالحاء لا بالجيم قال أهل الاشتقاق حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر انه اذا

صعب الامر فكانه شق عليه ظنه باثنين يقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه ثم أكد وعد المسامحة بقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين عموما
أو في باب حسن المعاملة وقوله ان شاء الله أدب جميل كقول اسحق ستجدني ان شاء الله من الصابرين أي على الذبح وفيه ان

آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار قال أصل الشجرة في طرفها النار فذلك قوله أو جذوة قال السعف فيه النار وقال معمر وقال غير قتادة أو جذوة أو شعلة من النار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أو جذوة من النار قال أصل شجرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أو جذوة من النار قال أصل شجرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو جذوة من النار قال الجذوة العود من الحطب الذي فيه النار ذلك الجذوة وقوله لعلكم تصطلون يقول لعلكم تسخنون بها من البرد وكان في شتاء

۞ القول في تأويل قوله تعالى (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين) يقول تعالى ذكره فلما أتى موسى النار التي آنس من جانب الطور نودي من شاطئ الوادي الايمن يعني بالشاطئ الشط وهو جانب الوادي وعدوته والشاطئ يجمع شواطئ وشطان والشط الشطوط والايمن من نعت الشاطئ عن يمين موسى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من شاطئ الواد الايمن قال ابن عمرو في حديثه عند الطور وقال الحرث في حديثه من شاطئ الوادي الايمن عند الطور عن يمين موسى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الايمن قال شق الوادي عن يمين موسى عند الطور وقوله في البقعة المباركة من صلة الشاطئ وتأويل الكلام فلما أتاها نادى الله موسى من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة منه من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين وقيل ان معنى قوله من الشجرة عند الشجرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة قال نودي من عند الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين وقيل ان الشجرة التي نادى موسى منها ربه شجرة عوسج وقال بعضهم بل كانت شجرة العليق ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة في قوله البقعة المباركة من الشجرة قال الشجرة عوسج قال معمر عن قتادة عصا موسى من العوسج والشجرة من العوسج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض من لا يتهم عن بعض أهل العلم اني آنست نارا قال خرج نحوها فاذا هي شجرة من العليق وبعض أهل الكتاب يقول هي عوسجة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام شجرة سمر خضراء ترف

۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين) يقول تعالى ذكره نودي موسى أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فألقاها موسى فصارت حية تسعى فلما رآها موسى تهتز يقول تتحرك وتضطرب كأنها جان والجان واحد الجان وهي نوع معروف من أنواع الحيات وهي منها عظام ومعنى الكلام كأنها جان من الحيات ولى مدبرا يقول ولى موسى هاربا منها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولى مدبرا فارا منها ولم يعقب يقول ولم يرجع على عقبه وقد ذكرنا الرواية

الاعتماد في جميع الامور على معونة الله والامر موكول الى مشيئته استدل الفقهاء بالآية على ان العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى ان الحاق الزيادة بالثمن والمثمن جائز وعلى ان عقد النكاح لا يفسده الشروط التي لا يوجبها العقد و يمكن أن يقال انه شرع من قبلنا فلا يلزمنا وجوز في الكشاف أن يكون استأجره لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ووفاه اياه ثم أنكحه ابنته وجعل قوله على أن تأجرني عبارة عما جرى بينهما قال موسى ذلك الذي شارطتني عليه قائم بيني و بينك أيما الاجلين قضيت وما مؤكدة لابهام أي زائدة في شيوعها فلا عدوان علي أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة فان قضيت الثماني فلا أطالب بالزيادة وان قضيت العشر باختياري فلم أطالب بالزيادة أيضا وقيل أراد أيهما قضيت فلا أكون معتديا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تزوج كبراهما وقيل صغراهما ولا خلاف في أنه قضى أوفى الاجلين قال القاضي في قوله فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس دليل على أنه لم يزد على العشرة وفيه نظر لانه لا يفهم من هذا التركيب الا أن الايناس حاصل على عقيب مجموع الامرين ولا يدل على ان ذلك حصل عقيب أحدهما وهو قضاء الاجل و يؤيده ماروي عن مجاهد انه بعد العشر المشروط مكث عشر سنين أخر قال أهل اللغة الجذوة بحركات الجيم العود الغليظ كانت في رأسه نار أولم تكن وشاطئ الوادي جانبه ومن الاولى والثانية في
كلتاهما لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة فالثانية بدل من الاولى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على

الشاطئ ووصفت البقعة بالمباركة لان فيها ابتداء الرسالة والتكليم احتجت المعتزلة على مذهبهم ان الله تعالى يتكلم بكلام يخلقه فى جسم
بقوله من الشجرة وقال أهل السنة مما وراء النهر ان الكلام القديم القائم بذات الله غير مسموع والمسموع من الشجرة وهو

في ذلك وماقاله أهل التأويل فيما مضى فكرهنا اعادته غير انا نذكر في ذلك بعض مالم نذكره هنالك
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولم يعقب يقول ولم يعقب أى لم يلتفت من
الفرق حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ولم يعقب يقول لم ينتظر
وقوله ياموسى أقبل ولا تخف يقول تعالى ذكره فنودى موسى ياموسى أقبل الىّ ولا تخف من
الذى تهرب منه انك من الآمنين من ان يضرك انما هو عصاك وقوله أسلك يدك فى جيبك يقول
أدخل يدك وفيه لغتان سلكته وأسلكته فى جيبك يقول فى جيب قميصك كما حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أسلك يدك فى جيب قميصك وقد بينا فيما مضى السبب الذى من
أجله أمر ان يدخل يده فى الجيب دون الكم وقوله تخرج بيضاء من غير سوء يقول تخرج بيضاء من
غير برص كما حدثنا بشر قال ثنا ابن المفضل قال ثنا قرة بن خالد عن الحسن فى قوله اسلك
يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء قال فخرجت كأنها المصباح فايقن موسى انه لقى ربه وقوله
واضمم اليك جناحك يقول واضمم اليك يدك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واضمم اليك جناحك قال يدك حدثنا ابن حميد قال ثنا
جرير عن ليث عن مجاهد واضمم اليك جناحك قال وجناحاه الذراع والعضد هو الجناح والكف
اليد أضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء وقوله من الرهب يقول من الخوف والفرق
الذى قد نالك من معاينتك ماعاينت من هول الحية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال
ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من الرهب قال الفرق حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة واضمم اليك جناحك من الرهب أى من الرعب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد فى قوله من الرهب قال مما دخله من الفرق من الحية والخوف وقال ذلك الرهب وقرأ
قول الله يدعوننا رغبا ورهبا قال خوفا وطمعا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل
الحجاز والبصرة من الرهب بفتح الراء والهاء وقرأته عامة قراء الكوفة من الرهب بضم الراء وتسكين
الهاء والقول فى ذلك انهما قراءتان متفقتا المعنى مشهورتان فى قراء الامصار فبأيتهما قرأ القارئ
فمصيب وقوله فذانك برهانان من ربك يقول تعالى ذكره فهذان اللذان أريتكهما ياموسى من
تحول العصا حية ويدك وهى سمراء بيضاء تلمع من غير برص برهانان يقول آيتان وحجتان وأصل
البرهان البيان يقال للرجل يقول القول اذا سئل الحجة عليه هات برهانك على ماتقول أى هات
تبيان ذلك ومصداقه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى
قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فذانك برهانان من ربك العصا واليد آيتان حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فذانك
برهانان من ربك تبيان من ربك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فذانك برهانان
من ربك هذان برهانان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فذانك برهانان
من ربك فقرأ هاتوا برهانكم هاتوا على ذلك آية نعرفها وقال برهانان آيتان من الله واختلفت القراء
فى قراءة قوله فذانك فقرأته عامة قراء الامصار سوى ابن كثير وأبى عمرو فذانك بتخفيف النون لانها
نون الاثنين وقرأه ابن كثير وأبو عمرو فذانّك بتشديد النون واختلف أهل العربية فى وجه تشديدها
فقال بعض نحويى البصرة ثقل النون من ثقلها للتوكيد كما أدخلوا اللام فى ذلك وقال بعض نحويى

الصوت والحرف دال على كلام الله
وذهب الاشعرى الى ان الكلام
الذى ليس بحرف ولا صوت يمكن
ان يكون مسموعا كما ان الذات الذى
ليس بجسم ولا عرض يمكن أن
يكون مرئيا وروى أن شعيبا كانت
عنده عصى الانبياء فقال لموسى
بالليل أدخل البيت فخذ عصا من
تلك العصى فأخذ عصا هبط بها آدم
من الجنة ولم تزل الانبياء يتوارثونها
حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان
مكفوفا فشعر بها فقال غيرها فما
وقع فى يده الا هى سبع مرات فعلم
ان له شانا وعن الكلبى الشجرة
التى منها نودى شجرة العوسج ومنها
كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب
اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ
على يمينك وان كان الكلأ
هناك أكثر لان فيها تنينا أخشاه
عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم
ذات اليمين ولم يقدر على منعها فمشى
على أثرها فاذا عشب وريع لم ير
مثله فنام فاذا بالتنين قد أقبل
فحاربته العصا حتى قتلته وعادت
الى موسى دامية فارتاح لذلك وحين
رجع الى شعيب مس الغنم
فوجدها ملأى البطون غزيرة
اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم
ان لموسى والعصا شانا قيل كن لما
لاترجو أرجى منك لما ترجو فان
موسى ذهب ليقتبس النار فكلمه
الملك الجبار وقد مر فى النمل تفسير
قوله فلما رآها تهتز الى قوله من غير
سوء اما قوله واضمم اليك جناحك
من الرهب فذكر جار الله معنيين
أحدهما حقيقة وهو انه لما قلب
الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه نقصان قدرك عند الاعداء فان اتقيتها
فهى تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب النقص واظهار معجزة أخرى وثانيهما

الكوفة شددت فرقا بينها وبين النون التي تسقط للاضافة لان هاتان وهذان لا تضاف وقال آخرون منهم هو من لغة من قال هذا قال ذاك فزاد على الالف ألفا كذا زاد على النون نونا ليفصل بينهما وبين الاسماء المتمكنة وقال في ذانك انما كانت ذلك فيمن قال هذان يا هذا فكرهوا تشبيه الاضافة فأعقبوها باللام لان الاضافة تعقب باللام وكان أبو عمرو يقول التشديد في النون في ذانك من لغة قريش الى فرعون وملئه يقول الى فرعون وأشراف قومه حجة عليهم ودلالة على حقيقة نبوتك يا موسى انهم كانوا قوما فاسقين يقول ان فرعون وملأه كانوا قوما كافرين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردأ يصدقني اني أخاف أن يكذبون) يقول تعالى ذكره قال موسى رب اني قتلت من قوم فرعون نفسا فأخاف ان أتيتهم فلم أبن عن نفسي بحجة أن يقتلون لان في لساني عقدة ولا أبين معها ما أريد من الكلام وأخي هرون هو أفصح مني لسانا يقول أحسن بيانا عما يريد أن يبينه فأرسله معي ردأ يقول عونا يصدقني أي يبين لهم عني ما أخاطبهم به كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردأ يصدقني أي يبين لهم عني ما أكلمهم به فانه يفهم ما لا يفهمون وقيل انما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه لان الاثنين اذا اجتمعا على الخبر كانت النفس الى تصديقهما أسكن منها الى تصديق خبر الواحد ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأرسله معي ردأ يصدقني لان الاثنين أحرى أن يصدقا من واحد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فأرسله معي ردأ يصدقني قال عونا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ردأ يصدقني أي عونا وقال آخرون معنى ذلك كيما يصدقني ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ردأ يصدقني يقول كي يصدقني حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فأرسله معي ردأ يصدقني يقول كيما يصدقني حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ردأ يصدقني يقول كيما يصدقني والردء في كلام العرب هو العون يقال منه قد أردأت فلانا على أمره أي كفيته وأعنته واختلفت القراء في قراءة قوله يصدقني فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة ردأ يصدقني بجزم يصدقني وقرأ عاصم وحمزة يصدقني برفعه فمن رفعه جعله صلة للردء بمعنى فأرسله معي ردأ من صفته يصدقني ومن جزمه جعله جوابا لقوله فأرسله فانك اذا أرسلته صدقني على وجه الخبر والرفع في ذلك أحب القراءتين الي لانه مسألة من موسى ربه أن يرسل أخاه عونا له بهذه الصفة وقوله اني أخاف أن يكذبون يقول اني أخاف ان لا يصدقون على قولي لهم اني أرسلت اليكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) يقول تعالى ذكره قال الله لموسى سنشد عضدك أي نقويك ونعينك بأخيك تقول العرب اذا أعز رجل رجلا وأعانه ومنعه ممن أراده بظلم قد شد فلان على عضد فلان وهو من عاضده على أمره اذا أعانه ومنه قول ابن مقبل

عاضدتها بعتود غير معتلث * كأنه وقف عاج بات مكتوبا

يعني بذلك قوسا عاضدها بسهم وفي العضد لغات أربع أجودها العضد ثم العضد ثم العضد والعضد

مجاز وهو ان يراد بضم الجناح التجلد وضبط النفس حتى لا يضطرب فيكون استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف أرخى جناحيه والا ضمهما ومعنى من الرهب من أجل الخوف والفرق بين هذه العبارة وبين قوله أسلك يدك في جيبك ان الغرض هناك خروج اليد بيضاء وههنا الغرض اخفاء الخوف أو أراد بالجناح المضموم ههنا اليد اليمنى وبالجناح المضموم اليه في قوله واضمم يدك الى جناحك اليد اليسرى وقيل ان الرهب هو الكم بلغة حمير وزيفه النقاد من قرأ فذانك بالتخفيف تثنى ذاك ومن قرأ بالتشديد تثنى ذلك وأصله ذانلك قلبت اللام نونا وأدغمت وسميت الحجة برهانا لبياضها وانارتها من قولهم امرأة برهرهة أي بيضاء والعين واللام مكررتان والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره السلطان من السليط الزيت لانارتها وظاهر الكلام يقتضي أنه تعالى أمره بذلك قبل لقاء فرعون والسر فيه أن يكون على بصيرة من أمره عند لقاء المعاند اللعوج وزعم القاضي انه في حال أداء الرسالة لان المعجز انما ظهر ليستدل المرسل اليه على الرسالة ولا يخفى ضعف هذا الكلام لان الحكمة في الاظهار لا تنحصر في الاستدلال بل لعل هناك أنواعا أخر من الحكم والمقاصد فقد ذكرنا واحدا منها ومما يؤكد ان هذا الكلام قد جرى ولم يكن هناك أحد غير موسى قوله معتذرا رب اني قتلت منهم نفسا الآية والردء اسم ما يعان به من ردأته أي أعنته فعل بمعنى مفعول به ويصدقني بالرفع صفة وبالجزم جواب كما في قوله وليا يرثني والمراد بتصديق أخيه ان يلخص بالحق ويجادل عنه لا ان يقول صدقت فان هذا القدر لا يفتقر الى البيان والفصاحة لان سحبان وباقلا يستويان فيه ويجوز ان يكون الضمير في يصدقني لفرعون وجوز جار الله ان يكون من الاسناد المجازي بناء على ان يصدق مسند الى هرون وهو بيانه وبلاغته سبب تصديق فرعون يؤيده قوله اني أخاف ان يكذبون قال الجبائي

انما سأل موسى ان يرسل هرون بأمر الله تعالى ولم يكن ليسأل سؤالا يأمن ان يجاب ولا حكمة ولقائل ان يقول لعله سأله مشيرا وطاعلى معنى ان اقتضت الحكمة ذلك كما يقول الداعي في دعائه وقال السدي علم ان الاثنين أقوى من الواحد فلهذا سأل اعترض القاضي

يجمع جميع ذلك على أعضاد وقوله ونجعل لكما سلطانا يقول ونجعل لكما حجة كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لكما سلطانا حجة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** موسى ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ونجعل لكما سلطانا والسلطان الحجة وقوله فلا يصلون اليكما يقول تعالى ذكره فلا يصل اليكما فرعون وقومه بسوء وقوله بآياتنا يقول تعالى ذكره فلا يصل اليكما فرعون بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فالباء في قوله بآياتنا من صلة غالبون ومعنى الكلام أنتما ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملأه بآياتنا أي بحجتنا وسلطاننا الذي نجعله لكما ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين) يقول تعالى ذكره فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه قالوا لموسى ما هذا الذي جئتنا به الا سحر افتريته من قبلك وتخرصته كذبا وباطلا وما سمعنا بهذا الذي تدعونا اليه من عبادة من تدعونا الى عبادته في أسلافنا وآبائنا الاولين الذين مضوا قبلنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) يقول تعالى ذكره وقال موسى مجيبا لفرعون ربي أعلم بالمحق منا يا فرعون من المبطل ومن الذي جاء بالرشاد الى سبيل الصواب والبيان عن واضح الحجة من عنده ومن الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة منا وهذه معارضة من نبي الله موسى عليه السلام لفرعون وجميل مخاطبة اذ ترك أن يقول له بل الذي غر قومه وأهلك جنوده وأضل أتباعه أنت لا أنا ولكنه قال ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار ثم بالغ في ذم عدو الله بأجمل من الخطاب فقال انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا ينجح ولا يدرك طلبته الكافرون بالله تعالى يعني بذلك فرعون انه لا يفلح ولا ينجح لكفره بربه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى اله موسى واني لأظنه من الكاذبين) يقول تعالى ذكره وقال فرعون لأشراف قومه وسادتهم يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فتعبدوه وتصدقوا قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله ربا غيري ومعبودا سواي فأوقد لي يا هامان على الطين يقول فاعمل لي آجرا وذكر أنه أول من طبخ الآجر وبنى به ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فأوقد لي يا هامان على الطين قال على المدر يكون لبنا مطبوخا قال ابن جريج أول من أمر بصنعة الآجر وبنى به فرعون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأوقد لي يا هامان على الطين المطبوخ الذي يوقد عليه هو من طين يبنون به البنيان يقول فاجعل لي صرحا يقول ابن لي بالآجر بناء وكل بناء مسطح فهو صرح كالقصر ومنه قول الشاعر

بهن نعام بناها الرجال * تحسب أعلامهن الصروحا

يعني بالصروح جمع صرح وقوله لعلي أطلع الى اله موسى يقول انظر الى معبود موسى الذي يعبده ويدعو الى عبادته واني لأظنه فيما يقول من ان له معبودا يعبده في السماء وانه هو الذي يؤيده وينصره وهو الذي أرسله الينا من الكاذبين فذكر لنا ان هامان بنى له الصرح فارتقى فوقه فكان من قصته وقصة ارتقائه ما **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال قال فرعون لقومه يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي

بان هذا من حيث العادة واما من حيث الدلالة فلا فرق بين معجزة ومعجزتين لان المبعوث اليه في أيهما نظر علم وان لم ينظر فالحال واحدة هذا اذا كانت طريقة الدلالة بين المعجزتين واحدة فاما اذا اختلف وأمكن في احداهما من الشبهة مالا يمكن في الاخرى فغير ممتنع ان يقال انهما بمجموعهما أقوى من واحدة كما قال السدي لكن ذلك لا يتأتى في موسى وهرون لان معجزتهما كانت واحدة قال جار الله معنى سنشد عضدك سنقويك باخيك امالان اليد تشتد بشدة العضد وجملة البدن يقوى على مزاولة الامور بشدة اليد واما لان الرجل واشتداده بالاخ شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد والسلطان التسلط والغلبة والحجة الواضحة وقوله بآياتنا اما متعلق بمقدر أي اذهبا بآياتنا أو متعلق بظاهر وهو نجعل أو لا يصلون ويجوز ان يكون بيانا للغالبون كأنه قيل بماذا نغلب فقيل بآياتنا وامتنع ان تكون صلة للغالبون لتقدمه ويجوز ان تكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه مثله ويجوز ان يكون من لغو القسم الذي لا جواب له كقولك زيد وأبيك منطلق والمراد الغلبة بالحجة والبرهان في الحال أو بالدولة والمملكة في المآل ولو صلب السحرة بعد تسليم نبوته لا يقدح في قوله ومن اتبعكما الغالبون لان الدولة الباقية أعلى شأنا وسحر مفترى أي سحر تعمله أنت ثم تنسبه الى الله فهو كذب من هذا الوجه أو سحر ظاهر افتراؤه لا سحر يخفى افتراؤه أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر فان كل سحر فاعله يوهم خلافه فهو المفتري ومعنى ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين قد مر في سورة المؤمنين قال جار الله في آبائنا حال عن هذا أي كائنا

اذهب فى السماء فانظر الى اله موسى فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه فامر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى متلطخة دما فقال قد قتلت اله موسى تعالى الله عما يقولون ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يقول تعالى ذكره واستكبر فرعون وجنوده فى أرض مصر عن تصديق موسى واتباعه على ما دعاهم اليه من توحيد الله والاقرار بالعبودية له بغير الحق يعنى تعديا وعتوا على ربهم وظنوا أنهم الينا لا يرجعون يقول وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون ولا ثواب ولا عقاب فركبوا أهواءهم ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد وانه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة وقوله فاخذناه وجنوده يقول تعالى ذكره فجمعنا فرعون وجنوده من القبط فنبذناهم فى اليم يقول فالقيناهم جميعهم فى البحر فغرقناهم فيه كما قال أبو الاسود الديلى

نظرت الى عنوانه فنبذته * كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

وذكر ان ذلك بحر من وراء مصر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنبذناهم فى اليم قال كان اليم بحرا يقال له اساف من وراء مصر غرقهم الله فيه وقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يقول تعالى ذكره فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بربهم وردوا على رسوله نصيحته ألم نهلكهم فنورث ديارهم وأموالهم أولياءنا ونخول لهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم بعد ان كانوا مستضعفين تقتل أبناؤهم وتستحيى نساؤهم فانا كذلك بك وبمن آمن بك وصدقك فاعلون مخولوك واياهم ديار من كذبك ورد عليك ما أتيتهم به من الحق وأموالهم ومهلكوهم قتلا بالسيف سنة الله فى الذين خلوا من قبل ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) يقول تعالى ذكره وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتم بهم أهل العتو على الله والكفر به يدعون الناس الى أعمال أهل النار ويوم القيامة لا ينصرون يقول جل ثناؤه ويوم القيامة لا ينصرهم من الله اذا عذبهم ناصر وقد كانوا فى الدنيا يتناصرون فاضمحلت تلك النصرة يومئذ وقوله وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة يقول تعالى ذكره وألزمنا فرعون وقومه فى هذه الدنيا خزيا وغضبا منا عليهم فحتمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السيء ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة فمخزوهم بها الخزى الدائم ومهينوهم الهوان اللازم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة قال لعنوا فى الدنيا والآخرة قال هو كقوله وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لعنة أخرى ثم استقبل فقال هم من المقبوحين وقوله هم من المقبوحين يقول تعالى ذكره هم من القوم الذين قبحهم الله فاهلكهم بكفرهم بربهم وتكذيبهم رسوله موسى عليه السلام فجعلهم عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الامم التى كانت قبله كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين بصائر للناس يقول ضياء لبنى اسرائيل فيما بهم الحاجة من أمر دينهم وهدى يقول وبيانا لهم ورحمة لمن عمل به منهم لعلهم يتذكرون يقول ليتذكروا نعم الله بذلك عليهم فيشكروه عليها ولا يكفروا وبنحو الذى قلنا

فى زمانهم وأيامهم قلت لا مانع من ان يكون الظرف لغوا ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين فى ذلك وقد سمعوا بنحوه أو يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله فى فظاعته أو أرادوا ان الكهان لم يخبروا بمجىء ما جاء به موسى وكل هذه المقالات لا تصدر الا من المحجوج الملجوج الذى قصارى أمره التمسك بحبل التقليد من قرأ قال موسى بغير واو فعلى طريقة السؤال والجواب ووجه قراءة الاكثرين انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن العاقل الناظر بين القولين فيتبين له الغث من السمين وقوله ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده الخام للخصم المعاند اذ لا سبيل الى دفاعه بالحجة أى يعلم انى محق وانهم مبطلون وقوله ومن تكون له عاقبة الدار يعنى العاقبة الجيدة كأن المذمومة غير معتد بها ضم طريقة الوعيد الى الالخام المذكور وقيل معناه ربى أعلم بالانبياء السالفة فهو جواب لقولهم ما سمعنا بهذا وقال جار الله ربى أعلم بحال من أهله للفلاح حيث جعله نبيا ووعده حسنى العقبى ولو كان كاذبا كما تزعمون لم يؤهله لذلك لانه لا يفلح عنده الظالمون واعلم ان فرعون كان من عادته عند ظهور حجة لموسى ان يتعلق فى دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على اغمار قومه فذكر ههنا أمرين الاول قوله ما علمت لكم من اله غيرى فكأنه استدل بعدم الدليل على عدم المدلول وهو خطأ من جهة ان الدليل على المدلول وهو وجود الصانع أكثر من ان يحصى ومن جهة ان عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول واما قوله غيرى فقد تكلف بعضهم انه لم يرد به انه خالق السموات والارض وما فيهما فان امتناع ذلك بديهى وانما أراد به نفى الصانع والاقتصار على الطبائع وانه لا تكليف على الناس الا ان يطيعوا املاكهم وينقادوا الامره الثانى قوله فاوقد لى يا هامان على الطين وقد تكلفوا له ههنا فى أيضا فقيل انه يبعد من العاقل ان يروم صعود السماء بآلة ولكنه أراد انه لا سبيل الى اثبات الصانع من حيث العقل كما مر ولا من حيث

الحس فان الاحساس به يتوقف على الصعود وهو متعذر والافانى ياهامان مثل هذا البناء وانما قال ذلك تهكما فبمجموع هذه الاشياء قرائنه
لادليل على الصانع ثم رتب النتيجة عليه وهو قوله وانى لاظنه من الكاذبين يحتمل ان يريد لاعلمه من الكاذبين والاكثرون من

في معنى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد وعبد الوهاب قالا ثنا عوف عن أبي نصرة عن أبي
سعيد الخدري قال ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء ولا من الارض بعد ما أنزلت التوراة على وجه
الارض غير القرية التي مسخوا قردة ألم تر أن الله يقول ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا
القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ۞ القول في تأويل قوله تعالى
(وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين) يقول تعالى ذكره
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما كنت يا محمد بجانب غربي الجبل اذ قضينا الى موسى الامر يقول اذ
فرضنا الى موسى الامر فيما ألزمناه وقومه وعهدنا اليه من عهد وما كنت من الشاهدين يقول وما
كنت لذلك من الشاهدين وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت بجانب الغربي يقول بجانب غربي
الجبل اذ قضينا الى موسى الامر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج
قال غربي الجبل حدثنا ابن بشار قال ثنا الضحاك بن مخلد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن
علي بن مدرك عن أبي زرعة بن عمرو قال انكم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أجبتم قبل ان
تسألوا وقرأ وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر ۞ القول في تأويل قوله تعالى
(ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا
كنا مرسلين) يعني تعالى ذكره بقوله ولكنا أنشأنا قرونا ولكنا خلقنا أمما فأحدثناها من
بعد ذلك فتطاول عليهم العمر وقوله وما كنت ثاويا في أهل مدين يقول وما كنت مقيما في أهل
مدين يقال ثويت بالمكان أثوي به ثواء قال أعشى ثعلبة

أثوى وقصر ليله ليزودا * ومضى وأخلف من قتيلة موعدا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد في قوله وما كنت ثاويا في أهل مدين قال الثاوي المقيم تتلوا عليهم آياتنا يقول
تقرؤ عليهم كتابنا ولكنا كنا مرسلين يقول لم تشهد شيأ من ذلك يا محمد ولكنا كنا نحن نفعل
ذلك ونرسل الرسل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن
رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) يقول تعالى ذكره وما
كنت يا محمد بجانب الجبل اذ نادينا موسى بأن سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم
بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآية كما حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى
الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة في قول الله وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا قال نادى يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني وأجبتكم قبل أن تدعوني
حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت بجانب الطور اذ
نادينا قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني واستجبت لكم قبل أن تدعوني حدثني ابن
وكيع قال ثنا حرملة بن قيس النخعي قال سمعت هذا الحديث من أبي زرعة عمرو بن جرير عن أبي
هريرة وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني واستجبت
لكم قبل أن تدعوني حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر عن سليمان وسفيان
عن سليمان وحجاج عن حمزة الزيات عن الاعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة بن عمرو وعن أبي
هريرة في قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني

المفسرين على انه بنى مثل هذا
البناء جهلا منه أو تلبيسا على ما انه
حيث صادفهم أغبى الناس
وأخلاهم من الفطن يروى ان
هامان جمع العمال منهم خمسون
الف بناء سوى الاجراء وأمر بطبخ
الآجر والجص ونجر الخشب
وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ
مبلغا لا يقدر الباني ان يقوم عليه
فبعث الله جبريل عند غروب الشمس
فضربه بجناحه فقطعت ثلاث
قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون
فقتلت ألف ألف رجل ووقعت
قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم
يبق أحد من عماله الا قد هلك
وروى في القصة ان فرعون ارتقى
فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد
الله ان يفتنهم فردت اليه وهي
ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله
موسى فعند ذلك بعث الله جبرائيل
لهدمه قال أهل البيان ان صح
حديث رد النشابة ملطوخة فقد
تهكم به بالفعل كما ثبت التهكم
بالقول في غير موضع وانما قال
فاوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل
اطبخ لي الآجر لان هذه العبارة
أحسن ولان فيه تعليم الصنعة وقد
كان أول من عمل الآجر فرعون عن
عمر أنه حين سافر الى الشام ورأى
القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت
ان أحدا بنى بالآجر غير فرعون
والطلوع والاطلاع الصعود يقال
طلع الجبل واطلع وفي قوله سبحانه
واستكبر هو وجنوده في الارض
يعني أرض مصر بغير الحق اشارة
الى ان الاستكبار بالحق انما هو
لله تعالى كما جاء في الحديث القدسي الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فهو كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق وفي قوله وظنوا أنهم الينا
لا يرجعون دليل على انهم كانوا منكري البعث كالطبائعيين وفي قوله فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم دلالة على علو شأنه تعالى وعظمته

سلطانه واشارة الى استحقار فرعون وجنوده وعدده وان كانوا أكثر من رمال الدهناء كأنه شبههم بحصيات أخذهن أحد في كفه فطرحهن في البحر استدلت الاشاعرة بقوله وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ان خالق الشر وجاعل الكفر هو الله سبحانه وقالت المعتزلة معنى الجعل التسمية والحكم بذلك كما يقال جعله بخيلا فاسقا اذا حكم بالبخل والفسق عليه وسماه بالبخيل والفاسق أو أراد خذلناهم ومنعناهم

الالطاف حتى كانوا أئمة الكفر داعين الى النار أي الى موجباتها من الكفر والمعاصي وقال أبو مسلم معنى الامامة التقدم وذلك انه تعالى عجل لهم العذاب فصاروا متقدمين لمن وراءهم من الكفرة الى النار وقال بعضهم أراد بالامامة انهم بلغوا في ذلك الباب أقصى النهايات حتى استحقوا ان يقتدى بهم ثم بين بقوله ويوم القيامة لا ينصرون ان عقاب الآخرة سينزل بهم على وجه لا يمكن التخلص منه وقال في الكشاف أراد وخذلناهم في الدنيا ويوم القيامة هم مخذولون كما قال وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة أي طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيامة هم من المقبوحين أي من المطرودين المبعدين وقال الليث قبحه الله بالتخفيف قبحا بالفتح وقبحا بالضم أي نحاه عن كل خير وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجه وزرقة العين وعن بعضهم انه تعالى يقبح صورهم ويقبح عليهم عملهم فيجمع لهم الفضيحتين *التأويل وحين توجه تلقاء مدين عالم الروحانية وجد عليه أمة من أوصاف الروح يسقون مواشي أخلاقهم من ماء فيض الالهي ووجد من دونهم امرأتين السر والخفي ابنتا شعيب الروح يمنعان من استقاء ماء الفيض الالهي قال الشيخ الامام الرباني نجم الدين المعروف بداية وذلك لان لمعان

واستجبت لكم قبل أن تدعوني قال وهو قوله حين قال موسى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة الآية قال حدثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج مثل ذلك وقوله ولكن رحمة من ربك يقول تعالى ذكره لم تشهد شيأ من ذلك يا محمد فتعلمه ولكنا عرفناكه وأنزلنا اليك فاقتصصنا ذلك كله عليك في كتابنا وابتعثناك بما أنزلنا اليك من ذلك رسولا الى من ابتعثناك اليه من الخلق رحمة منا لك ولهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولكن رحمة من ربك ما قصصنا عليك لتنذر قوما الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولكن رحمة من ربك قال كان رحمة من ربك النبوة وقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك يقول تعالى ذكره ولكن أرسلناك بهذا الكتاب وهذا الدين لتنذر قوما لم يأتهم من قبلك نذير وهم العرب الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الله اليهم رحمة لينذرهم بأسه على عبادتهم الاصنام واشراكهم به الاوثان والانداد وقوله لعلهم يتذكرون يقول ليتذكروا فيتبينوا خطأ ما هم عليه من كفرهم بربهم الى الاقرار لله بالوحدانية وافراده بالعبادة دون كل ما سواه من الآلهة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولكن رحمة من ربك قال الذي أنزلنا عليك من القرآن لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) يقول تعالى ذكره ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتك يا محمد اليهم لو حل بهم بأسنا أو أتاهم عذابنا من قبل أن نرسلك اليهم على كفرهم بربهم واكتسابهم الآثام واجترامهم المعاصي ربنا هلا أرسلت الينا رسولا من قبل أن يحل بنا سخطك وينزل بنا عذابك فنتبع أدلتك وآي كتابك الذي تنزله على رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا لعاجلناهم العقوبة على شركهم من قبل ما أرسلناك اليهم ولكنا بعثناك اليهم نذيرا بأسنا على كفرهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والمصيبة في هذا الموضع العذاب والنقمة ويعني بقوله بما قدمت أيديهم بما اكتسبوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون) فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يا محمد نذير فبعثناك اليهم نذيرا بالحق من عندنا وهو محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة من الله اليهم قالوا تمردا على الله وتماديا في الغي هلا أوتي هذا الذي أرسل الينا وهو محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتي موسى بن عمران من الكتاب يقول الله تبارك وتعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقومك من قريش القائلين لك لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفر الذين علموا هذه الحجة من اليهود بما أوتي موسى من قبلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال يهود تأمر قريشا أن تسأل محمدا مثل ما أوتي موسى يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لقريش يقولوا لهم أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى قال اليهود تأمر قريشا ثم ذكر نحوه قالوا ساحران تظاهرا واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة

أنوار الفيض يرد على الروح في البداية بالتدريج فينشأ منه الخفي وهو لطيفة ربانية مودعة في الروح بالقوة فلا يحصل بالفعل الا بعد غلبة الواردات الربانية ليكون واسطة بين الحضرة والروح في قبول تجليات صفات الربوبية والفيوض الالهية فيكون في هذه المدة بمعزل عن الاستقاء وكذا السر وهو لطيفة روحانية متوسطة بين القلب والروح قابلة لفيض الروح مؤدية

الى القلب وهو أيضا بمعزل عن أستقاء ماء فيض الروح عند اشتغال القلب بمعالجات النفس واصلاح القالب الى حين توجه موسى القلب الى مدين عالم الروحانية وذلك قولهما لانسقي حتى يصدر الرعاء وهم صفات الروح ويصرفوا مواشيهم وهي الصفات الانسانية عن ماء الفيض الالهي فاذا صدروا استقيناه واشبنا من الاوصاف والاخلاق من أفضلة مواشيهم في حوض القوى وأبونا وهو شعيب

وا البصرة قالوا ساحران تظاهرا يعني أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل وقالوا له ولمحمد صلى الله عليه وسلم في قول بعض المفسرين وفي قول بعضهم لموسى وهرون عليهما السلام وفي قول بعضهم لعيسى ومحمد ساحران تعاونا وقرأ عامة قراء الكوفة قالوا سحران تظاهرا يعني وقالوا للتوراة والقرآن في قول بعض أهل التأويل وفي قول بعضهم الانجيل والفرقان واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على قدر اختلاف القراء في قراءته حدثنا سليمان بن معدي كرب الرعيني قال ثنا بقية ابن الوليد قال ثنا شعبة عن أبي حمزة قال سمعت مسلم بن يسار يحدث عن ابن عباس في قول الله ساحران تظاهرا قال موسى ومحمد حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي حمزة قال سمعت مسلم بن يسار قال سألت ابن عباس عن هذه الآية ساحران تظاهرا قال موسى ومحمد حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن أبي حمزة عن مسلم بن يسار أن ابن عباس قرأ ساحران قال موسى ومحمد عليهما السلام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن كيسان أبي حمزة عن مسلم بن يسار عن ابن عباس مثله ومن قال موسى وهرون عليهما السلام حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ساحران تظاهرا قال يهود لموسى وهرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قالوا ساحران تظاهرا قول يهود لموسى وهرون عليهما السلام حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن سعيد بن جبير وأبي رزين ان أحدهما قرأ ساحران تظاهرا والآخر سحران قال الذي قرأ سحران قال التوراة والانجيل وقال الذي قرأ ساحران قال موسى وهرون وقال آخرون عنوا بالساحرين عيسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قوله ساحران تظاهرا قال عيسى ومحمد أو قال موسى صلى الله عليه وسلم ذكر من قال عنوا بذلك التوراة والانجيل والفرقان ووجه تأويله الى قراءة من قرأ سحران تظاهرا حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله سحران تظاهرا يقول التوراة والقرآن حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قالوا سحران تظاهرا يعني التوراة والفرقان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قالوا سحران تظاهرا قال كتاب موسى وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال عنوا به التوراة والانجيل حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن حميد الاعرج عن مجاهد قال كنت الى جنب ابن عباس وهو يتعوذ بين الركن والمقام فقلت كيف تقرؤ سحران أو ساحران فلم يرد علي شيأ فقال عكرمة ساحران وظننت انه لو كره ذلك أنكره علي قال حميد فلقيت عكرمة بعد ذلك فذكرت ذلك له وقلت كيف كان يقرؤها قال كان يقرأ سحران تظاهرا أي التوراة والانجيل ذكر من قال عنوا به الفرقان والانجيل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن الضحاك أنه قرأ سحران تظاهرا يعنون الانجيل والفرقان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قالوا سحران تظاهرا قالت ذلك أعداء الله اليهود للانجيل والفرقان فمن قال ساحران فيقول محمد وعيسى ابن مريم * قال أبو جعفر وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه قالوا سحران تظاهرا يعني كتاب موسى

الروح لا يقدر على سقيه من الاوصاف الانسانية الا بالآحر والوسائط وانا لانطيق أن نسقي لضعف حالنا فسقى موسى القلب مواشيهما بقوة استفادها من الجسد وقوة استفادها من الروح لانه متوسط بين العالمين ولهذا سمى قلبا ثم تولى الى الظل الى العناية فطلب الفيض الالهي بلا واسطة وهكذا ينبغي أن يكون السالك لا يقنع بما وجد من المعارف أبدا فجاءته احداهما فيه ان القلب يحتاج في الوصول الى حضرة شعيب الروح أن يستمد من الخفي أو السر لا تخف نجوت فيه ان القلب اذا وصل الى مقام الروح نجا من ظلمات النفس وصفاتها ان خير من استأجرت من النفس والجسد القوى الامين لان القلب استفاد القوة من الجسد والامانة من الروح ثماني حجج فيه ان الروح في تبليغ القلب الى مقام الحق يحتاج الى تسييره في مقامات صفاته الثمانية المخصوصة به في خلافة الحق وهي الحياة والارادة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والبقاء وتمام ذلك الى العشرة راجع الى خصوصيته وهما المحبة والانس مع الله أيما الاجلين قضيت في التخلق بأخلاقك الثمانية وفي المحبة والانس مع الله فلا عدوان علي أي ليس لك أن تمنعني العبور عن المحبة لانك من خصوصيتك بالخلافة مجبول على تلك الصفات الثمانية وأما المحبة والانس مع الله فصفتان مخصوصتان بالحضرة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولهذا كل انسان من المؤمن والكافر فانه مجبول على تلك الاوصاف وليس من زمرة يحبهم ويحبونه الا مؤمن موحد فلما اتصف موسى القلب بالاوصاف الثمانية وغلبت عليه محبة الله واستأنس به وصار بجميع صفاته متوجها الى حضرة

وهو التوراة وكتاب عيسى وهو الانجيل وانما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لان الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب وهو قوله وقالوا لولا أوتي مثل ما أتى موسى والذي يليه من بعده ذكر الكتاب وهو قوله فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه فالذي بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبه بان يكون من ذكر غيره واذ كان ذلك هو الاولى بالقراءة فمعلوم أن معنى الكلام قل يا محمد أو لم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتي موسى من قبل وقالوا لما أوتي موسى من الكتاب وما أوتيته أنت سحران تعاونا وقالوا انا بكل كافرون يقول تعالى ذكره وقالت اليهود انا بكل كتاب في الارض من توراة وانجيل وزبور وفرقان كافرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل وخالفه فيه مخالفون ذكر من قال مثل الذي قلنا في ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله انا بكل كافرون قالوا نكفر أيضا بما أوتي محمد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقالوا انا بكل كافرون قال يهود أيضا نكفر بما أوتي محمد أيضا وقال آخرون بل معنى ذلك وقالوا انا بكل الكتابين والفرقان والانجيل كافرون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك وقالوا انا بكل كافرون يقول بالانجيل والقرآن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وقالوا انا بكل كافرون يعنون الانجيل والفرقان حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقالوا انا بكل كافرون قال هم أهل الكتاب يقول بالكتابين التوراة والفرقان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقالوا انا بكل كافرون الذي جاء به موسى والذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين للتوراة والانجيل هما سحران تظاهرا ائتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما لطريق الحق ولسبيل الرشاد أتبعه ان كنتم صادقين في زعمكم ان هذين الكتابين سحران وان الحق في غيرهما وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال فقال الله تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فقال الله ائتوني بكتاب من عند الله هو أهدى منهما من هذين الكتابين الذي بعث به موسى والذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يقول تعالى ذكره فان لم يجبك هؤلاء القائلون للتوراة والانجيل سحران تظاهرا الزاعمون ان الحق في غيرهما من اليهود يا محمد الى أن يأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما فاعلم انما يتبعون أهواءهم وان الذي ينطقون به ويقولون في الكتابين قول كذب وباطل لا حقيقة له ولعل قائلا أن يقول أولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن ما قال القائلون من اليهود وغيرهم في التوراة والانجيل من الافك والزور والمسمى وهما سحران باطل من القول الا بأن لا يجيبوه الى اتيانهم بكتاب هو أهدى منهما قيل هذا كلام خرج مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله

القدس آنس من طور الحضرة نار نور الالوهية وفي قوله لاهله امكثوا اشارة الى أن السالك لا بد له من تجريد الظاهر عن الاهل والمال وتفريد الباطن عن تعلقات الكونين نور يبدو واذا بدا استتر لكن شمس طلعت ومن رآها آمن وفي قوله لعلكم تصطلون اشارة الى أن الاوصاف الانسانية جامدة من برودة الطبيعة لا تتسخن (٥٠) الا بجذوة نار المحبة بل بنار الجذبة الالهية من شاطئ الواد الايمن وهو السر في بقعة البدن من شجرة وجود الانسان من الرهب أي رهبة من فوات وصال الحضرة وأخي هرون هو العقل فمن خصوصيته تصديق الناطق بالحق قالوا ما هذا الا سحر مفترى لان النفس خلقت من أسفل عالم الملكوت منكسة والقلب خلق وسط عالم الملكوت متوجها الى الحضرة فلهذا ما كذب الفؤاد ما رأى وما صدقت النفس ما رأت في آبائنا الاولين أي في طبائع الكواكب فانها آباء النفس وأمهاتها العناصر والطبائع منكوسة الى عالم السفل لا يعرفون مقام الوحدة فلا يعرفون بالتوحيد فاوقد لي يا هامان الشيطان على الطين البشرية بنفخ الوساوس والغرور فاجعل لي صرحا من المقدمات الخيالية والوهمية فانظر كيف كان عاقبة المكذبين أغرقوا في ماء شهوات الدنيا ويم هممها فادخلوا نار الحسرة والندامة (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور [illegible] رحمة من ربك [illegible] من نذير من [illegible] أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من [illegible] عليه [illegible] عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل [illegible] هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن

اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به
يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة
السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم (٥٢) أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين

انك لا تهدى من أحببت ولكن
الله يهدى من يشاء وهو أعلم
بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى
معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن
لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل
شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم
لا يعلمون وكم أهلكنا من قرية
بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم
تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن
الوارثين وما كان ربك مهلك
القرى حتى يبعث فى أمها رسولا
يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى
القرى الا وأهلها ظالمون وما
أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا
وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا
تعقلون أفمن وعدناه وعدا حسنا
فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة
الدنيا ثم هو يوم القيامة من
المحضرين ويوم يناديهم فيقول
أين شركائى الذين كنتم تزعمون قال
الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء
الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا
تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم
يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو
أنهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم
فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت
عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون
فأما من تاب وآمن وعمل صالحا
فعسى أن يكون من المفلحين
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان
لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما
يشركون وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله
الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون)* القرا آت سحران عاصم وحمزة وعلى وخلف الآخرون ساحران تظاهرا
بالتخفيف اتفاقا تجبى اليه بتاء التأنيث أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون على التذكير يعقلون بياء الغيبة شجاع واليزيدى الباقون
بتاء الخطاب الا أبا عمرو فانه مخير ثم هو بسكون الهاء على والحلوانى عن قالون تبرأنا مثل انشانا ء الوقوف يتذكرون ‌ه الشاهدين ‌ه

عليه وسلم والمراد به المقول لهم أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل من كفار قريش وذلك
انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قريش أولم يكفر هؤلاء الذين أمروك أن تقولوا هلا
أوتى محمد مثل ما أوتى موسى بالذى أوتى موسى من قبل هذا القرآن ويقولوا للذى أنزل عليه وعلى
عيسى سحران تظاهرا فقولوا لهم ان كنتم صادقين ان ما أوتى موسى وعيسى سحر فأتونى بكتاب من
عند الله هو أهدى من كتابيهما فان هم لم يجيبوكم الى ذلك فاعلموا انهم كذبة وانهم انما يتبعون فى
تكذيبهم محمدا وما جاءهم به من عند الله أهواء أنفسهم ويتركون الحق وهم يعلمون يقول تعالى
ذكره ومن أضل عن طريق الرشاد وسبيل السداد ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله
وعهد من الله ويترك عهد الله الذى عهده الى خلقه فى وحيه وتنزيله ان الله لا يهدى القوم الظالمين
يقول تعالى ذكره ان الله لا يوفق لاصابة الحق وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا
طاعته وكذبوا رسوله وبدلوا عهده واتبعوا أهواء أنفسهم ايثارا منهم لطاعة الشيطان على طاعة
ربهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم
الكتاب من قبله هم به يؤمنون) يقول تعالى ذكره ولقد وصلنا يا محمد لقومك من قريش ولليهود
من بنى اسرائيل القول بأخبار الماضين والنبأ عما أحللنا بهم من بأسنا اذ كذبوا رسلنا وعما نحن
فاعلون بمن اقتفى آثارهم واحتذى فى الكفر بالله وتكذيب رسله مثالهم ليتذكروا فيعتبروا
ويتعظوا وأصله من وصل الحبال بعضها ببعض ومنه قول الشاعر

فقل لبنى مروان ما بال ذمة * وحبل ضعيف ما يزال يوصل

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم ببيانهم عن تأويله فقال بعضهم
معناه بينا وقال بعضهم معناه فصلنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه
عن ليث عن مجاهد قوله ولقد وصلنا لهم القول قال فصلنا لهم القول حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد وصلنا لهم القول قال وصل الله لهم القول فى هذا القرآن يخبرهم
كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع لعلهم يتذكرون حدثنا القاسم قال ثنا محمد بن عيسى
أبو جعفر عن سفيان بن عيينة وصلنا بينا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
فى قوله ولقد وصلنا لهم الخبر خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة وشهدوها فى الدنيا
بما نريهم من الآيات فى الدنيا وأشباهها وقرأ ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة وقرأ انا
سوف نجزهم ما وعدناهم فى الآخرة كما أنجزنا للانبياء ما وعدناهم نقضى بينهم وبين قومهم
واختلف أهل التأويل فيمن عنى بالهاء والميم من قوله ولقد وصلنا لهم فقال بعضهم عنى بها قريشا
ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولقد وصلنا لهم القول قال
قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولقد وصلنا
لهم القول قال لقريش حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن
أبيه عن ابن عباس قوله ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون قال يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
وقال آخرون عنى بها اليهود ذكر من قال ذلك حدثنى بشر بن آدم قال ثنا عفان بن مسلم
قال ثنا حماد بن سلمة قال ثنا عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن رفاعة القرظى قال نزلت

هذه الآية في عشرة أنا أحدهم ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون حدثنا ابن سنان قال ثنا حيان قال ثنا حماد عن عمرو بن يحيى بن جعدة عن عطية القرظي قال نزلت هذه الآية ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون حتى بلغ انا كنا من قبله مسلمين في عشرة انا أحدهم فكأن ابن عباس أراد بقوله يعني محمدا لعلهم يتذكرون عهد الله في محمد اليهم فيقرون بنبوته ويصدقونه وقوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون يعني بذلك تعالى ذكره قوما من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدقوه فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن هم بهذا القرآن يؤمنون فيقرون انه حق من عند الله ويكذب جهلة الاميين الذين لم يأتهم من الله كتاب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قال يعني من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به الى قوله لا نبتغي الجاهلين في مسلمة أهل الكتاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله الى قوله الجاهلين قال هم مسلمة أهل الكتاب قال ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أن يحيى بن جعدة أخبره عن علي بن رفاعة قال خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم أبو رفاعة يعني أباه الى النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا فأوذوا فنزلت الذين آتيناهم الكتاب من قبله قبل القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قال كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق يأخذون بها وينتهون اليها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوا به فأعطاهم الله أجرهم مرتين بصبرهم على الكتاب الاول واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وصبرهم على ذلك وذكر أن منهم سلمان وعبد الله بن سلام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله من قبله مسلمين ناس من أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والانجيل ثم أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فآتاهم الله أجرهم مرتين بما صبروا بايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وباتباعهم اياه حين بعث فذلك قولهم انا كنا من قبله مسلمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) يقول تعالى ذكره واذا يتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول هذا القرآن قالوا آمنا به يقولون صدقنا به انه الحق من ربنا يعني من عند ربنا نزل انا كنا من قبل نزول هذا القرآن مسلمين وذلك انهم كانوا مؤمنين بما جاءت به الانبياء قبل مجيء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلمهم من الكتب وفي كتبهم صفة محمد ونعته فكانوا به وبمبعثه وبكتابه مصدقين قبل نزول القرآن فلذلك قالوا انا كنا من قبله مسلمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم يؤتون ثواب عملهم مرتين بما صبروا واختلف أهل التأويل في معنى الصبر الذي وعد الله ما وعد عليه فقال بعضهم وعدهم ما وعد جل ثناؤه بصبرهم على الكتاب الاول

لا للاستدراك المعترض ج لاختلاف الجملتين مع العطف آياتنا ج لما مر مرسلين ه يتذكرون ه المؤمنين ة ما أوتي موسى ط من قبل ج للفصل بين الخبر والطلب مع اتحاد القائل تظاهرا ج للتعجب من عنادهم كافرون ه صادقين ه أهواءهم ط من الله ط الظالمين ه يتذكرون ه لان (٥٢) الذين مبتدأ يؤمنون ه مسلمين ه ينفقون ه أعمالكم ط لابتداء الكلام مع اتحاد المقول عليكم ط لذلك الجاهلين ه من يشاء ط لعطف الجملتين المتفقتين بالمهتدين ه أرضنا ط لا يعلمون ه معيشتها ج للفصل بين الاستفهام والاخبار مع فاء التعقيب قليلا ط الوارثين ه آياتنا ج للعدول مع اتفاق الجملتين ظالمون ه وزينتها ج فصلا بين المعنيين المتضادين وأبقى ط تعقلون ه المحضرين ه تزعمون ه أغوينا ج أغويناهم ج لعدم العاطف مع اتحاد القائل اليك ج لما قلنا مع زيادة النفي المقتضي للفصل يعبدون ه العذاب ج لجواز تعلق لو بمحذوف أي لو اهتدوا لما لقوا ما لقوا ويجوز تعلقها بيهتدون والوقف على لهم أي لو كانوا يهتدون لرأوا العذاب بقلوبهم يهتدون ه المرسلين ه لا يتساءلون ه المفلحين ه ويختار ز وقد يوصل على معنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة وفيه بعد الخيرة ه يشركون ه يعلنون ه الا هو ط والآخرة ز لعطف الجمل ترجعون ه

* التفسير انه سبحانه بعد تتميم قصة موسى أراد أن يبين اعجاز نبينا صلى الله عليه وسلم فذكر أولا أنه أعطى موسى الكتاب بعد اهلاك فرعون وقومه حال كون الكتاب أنوارا للقلوب وارشادا لأهل الضلال وسببا لنيل الرحمة ارادة أن يتذكروا ويجوز أن يعود ترجي التذكر الى موسى ثم أجمل عظائم أحوال موسى وبين انه صلى الله عليه وسلم لم يكن هنالك فقال وما كنت بجانب الغربي أي بجانب المكان الواقع في شق الغرب وهو ناحية الشام التي فيها قضى الى موسى أمر الوحي والاستنباء وما كنت من الشاهدين على ذلك فقد يكون الشخص حاضرا ولا يكون شاهدا ولا مشاهدا قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت فما شاهدت تلك الوقائع فانه يجوز أن يكون هنالك

واتباعهم

واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وصبرهم على ذلك وذلك قول قتادة وقد ذكرناه قبل وقال آخرون بل وعدهم بصبرهم بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث و باتباعهم اياه حين بعث وذلك قول الضحاك بن مزاحم وقد ذكرناه أيضا قبل وممن وافق قتادة على قوله عبد الرحمن بن زيد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انا كنا من قبله مسلمين على دين عيسى فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا فكان لهم أجرهم مرتين بما صبروا أول مرة ودخلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الاسلام وقال قوم في ذلك بما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال ان قوما كانوا مشركين أسلموا فكان قومهم يؤذونهم فنزلت أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقوله و يدرؤن بالحسنة السيئة يقول و يدفعون بحسنات أفعالهم التي يفعلونها سيآتهم ومما رزقناهم من الاموال ينفقون في طاعة الله اما في جهاد في سبيل الله واما في صدقة على محتاج أو في صلة رحم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين قال الله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وأحسن الله عليهم الثناء كما تسمعون فقال و يدرؤن بالحسنة السيئة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) يقول تعالى ذكره واذا سمع هؤلاء القوم الذين آتيناهم الكتاب اللغو وهو الباطل من القول كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين لا يجارون أهل الجهل والباطل في باطلهم أتاهم من أمر الله ما وعدهم من ذلك وقال آخرون عنى باللغو في هذا الموضع ما كان أهل الكتاب ألحقوه في كتاب الله مما ليس هو منه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا الى آخر الآية قال هذه لاهل الكتاب اذا سمعوا اللغو الذي كتب القوم بأيديهم مع كتاب الله وقالوا هو من عند الله اذا سمعه الذين أسلموا ومروا به يتلونه أعرضوا عنه وكأنهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مسلمين على دين عيسى ألا ترى أنهم يقولون انا كنا من قبله مسلمين وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن منصور عن مجاهد واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم قال نزلت في قوم كانوا مشركين فأسلموا فكان قومهم يؤذونهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم قال كان ناس من أهل الكتاب أسلموا فكان المشركون يؤذونهم فكانوا يصفحون عنهم يقولون سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله أعرضوا عنه يقول لم يصغوا اليه ولم يستمعوه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وهذا يدل على ان اللغو الذي ذكره الله في هذا الموضع انما هو ما قاله مجاهد من انه سماع القوم ممن يؤذيهم بالقول ما يكرهون منه في أنفسهم وانهم أجابوهم بالجميل من القول لنا أعمالنا قد رضيناها لانفسنا ولكم أعمالكم قد رضيتموها لانفسكم وقوله سلام عليكم يقول أمنة لكم منا أن نسابكم أو تسمعوا منا ما لا تحبون لا نبتغي الجاهلين يقول لا نريد محاورة أهل الجهل ومسابتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لا تهدي من أحببت هدايته ولكن الله يهدي من

ولا يشهد ولا يرى ثم قال ولكنا أنشأنا بعد عهد موسى الى عهدك قرونا فتطاول عليهم العمر فاندرست العلوم والشرائع ووجب ارسالك اليهم آخرهم قرنا وهو القرن الذي أنت فيه فارسلناك وعرفناك أحوال الانبياء وحاصل الآية انه ذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب والغرض بيان اعجازه كأنه قال ان في اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من أهله دلالة ظاهرة على نبوتك ثم فصل ما أجمل فذكر أول أمر موسى و بين انه صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك وهو قوله وما كنت ثاويا مقيما في أهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلوا عليهم آياتنا قال مقاتل أي لم تشهد أهل مدين وأنت تقرأ على أهل مكة خبرهم ولكنا أرسلناك الى أهل مكة وأنزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك ما علمتها وقال الضحاك يقول يا محمد انك لم تكن رسولا الى أهل مدين تتلوا عليهم الكتاب وانما الرسول غيرك ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا فارسلنا الى فرعون مدين شعيبا وأرسلناك الى العرب لتكون خاتم الانبياء ثم ذكر أوسط أمر موسى وأشرف أحواله و بين انه لم يكن هناك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا الاظهر انه يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه وعن بعض المفسرين أنه أراد قوله ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها الى قوله المفلحون وقال ابن عباس اذ نادينا أمتك في اصلاب آبائهم يا أمة محمد أجيبكم قبل ان تدعوني وأعطيكم قبل ان تسألوني وأغفر لكم قبل ان تستغفروني قال وانما قال الله تعالى ذلك حين اختار موسى سبعين رجلا لميقات ربه وقال وهب لما ذكر الله لموسى فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال يارب أرنيهم قال انك لن تدركهم وان شئت أسمعتك أصواتهم قال بلى يارب فقال يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم فاجابوه من اصلاب آبائهم فقال سبحانه أجبتكم قبل ان تدعوني الحديث كما ذكر ابن عباس وروى سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال كتب الله كتابا قبل ان يخلق الخلق بالفي عام ثم وضعه على العرش ثم نادى يا أمة محمد ان رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني من لقيني منكم

يشهدان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ادخله الجنة قوله ولكن رحمة أي ولكنا علمناك رحمة من ربك ثم فسر الرحمة بقوله لتنذر قوما
ما أتاهم من نذير من قبلك أي في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة وقيل كانت حجة الانبياء قائمة عليهم ولكنه
ما بعث اليهم من يجدد تلك الحجة عليهم فبعثه الله تعالى تقريرا لتلك التكاليف وازالة لتلك الفترة قوله ولولا أن تصيبهم هي

امتناعية وجوابها محذوف والفاء في قوله فيقولوا للعطف على أن تصيبهم وقوله لولا أرسلت هي تحضيضية والفاء في فنتبع جواب لولا وذلك أن التحضيض في حكم الامر لان كلا منهما بعث على الفعل والمعنى ولولا أنهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم والحاصل أن ارسال الرسول لاجل ازالة هذا العذر قال أصحاب البيان القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول أدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بفاء السببية تنبيها على انهم لو لم يعاقبوا على كفرهم ولم يعاينوا العذاب لم يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فالسبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان وفي هذا بيان استحكام كفرهم وتصميمهم قال الجبائي في الآية دلالة على وجوب اللطف والا لم يكن لهم أن يقولوا لولا أرسلت وقال الكعبي فيه دليل على انه تعالى يقبل حجة العباد فلا يكون فعل العبد بخلق الله والا لكان الكافر أعظم حجة على الله تعالى وقال القاضي فيه ابطال الجبر لان اتباع الآيات لو كان موقوفا على خلق الله فاي فائدة في قولهم هذا ومعارضة الاشاعرة بالعلم والداعي معلومة ثم بين انهم

قبل البعثة يتعلقون بشبهة وبعد البعثة يتعلقون باخرى فلا مقصود لهم الا العناد فقال فلما جاءهم الحق لكيما
أي الرسول المصدق بالكتاب المعجز قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى من الكتاب المنزل جملة ومن سائر المعجزات كقلب العصا حية واليد البيضاء
وفلق البحر فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله أولم يكفروا وفيه وجوه أحدها أن اليهود أمروا قريشا أن يسألوا محمدا مثل ما أوتي موسى

يشاء أن يهديه من خلقه بتوفيقه للايمان به وبرسوله ولو قيل انك لا تهدي من أحببته لقرابته
منك ولكن الله يهدي من يشاء كان مذهبا وهو أعلم بالمهتدين يقول جل ثناؤه والله أعلم من سبق
له في علمه انه يهتدي للرشاد ذلك الذي يهديه الله فيسدده ويوفقه وذكر ان هذه الآية نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبي طالب عمه من اجابته اذ دعاه الى الايمان بالله الى
ما دعاه اليه من ذلك ذكر الرواية بذلك **حدثنا** أبو كريب وأبو الحسين بن علي الصدائي قالا **حدثنا**
الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرني قريش لأقررت
عينك فأنزل الله انك لا تهدي من أحببت الآية **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن
يزيد بن كيسان قال ثني أبو حازم الأشجعي يذكر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعمه قل لا اله الا الله ثم ذكر مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن يزيد بن كيسان
سمع أبا حازم الأشجعي يذكر عن أبي هريرة قال لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا عماه قل لا اله الا الله فذكر مثله الا انه قال لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حمله عليه
الا جزع الموت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن
أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحو حديث أبي كريب والصدائي **حدثنا** أحمد
ابن عبد الرحمن بن وهب قال ثني عمي عبد الله بن وهب قال ثني يونس عن الزهري قال ثني سعيد
ابن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده
أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله
الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة
عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب
آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين
ولو كانوا أولي قربى وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من
أحببت ولكن الله يهدي الآية **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن
الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه بنحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن
أبي سعيد بن رافع قال قلت لابن عمر انك لا تهدي من أحببت نزلت في أبي طالب قال نعم **حدثني**
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله انك لا تهدي من أحببت قال قول محمد لأبي طالب قل
كلمة الاخلاص أجادل عنك بها يوم القيامة قال محمد بن عمرو في حديثه قال يا ابن أخي ملة الأشياخ أو
سنة الأشياخ وقال الحرث في حديثه قال يا ابن أخي ملة الأشياخ **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انك لا تهدي من أحببت قال قال محمد لأبي طالب اشهد بكلمة
الاخلاص أجادل عنك بها يوم القيامة قال أي ابن أخي ملة الأشياخ فأنزل الله انك لا تهدي من
أحببت قال نزلت هذه الآية في أبي طالب **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله انك لا تهدي من أحببت ذكر لنا انها نزلت في أبي طالب قال الأصم عند موته يقول لا اله الا الله

فقال تعالى أولم يكفروا هؤلاء اليهود الذين اقترحوا هذا السؤال بموسى مع تلك الآيات الباهرة والذين اوردوا هذا الاقتراح هو مشركة
والذين كفروا بموسى من قبل أو بما أوتي موسى من قبل هم الذين كانوا في زمن موسى الا أنه تعالى جعلهم كالشئ الواحد لتجانسهم في الكفر
والتعنت وقال الكلبي ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة يسألهم عن (٥٥) محمد وشأنه فقالوا انا نجده في التوراة بنعته
وصفته فلما رجع الرهط اليهم فاخبروهم بقول اليهود قالوا انه كان ساحرا كما ان محمدا ساحر فقال الله تعالى في حقهم أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل وقال الحسن قد كان للعرب أصل في أيام موسى فالتقدير أولم يكفروا آباؤهم بان قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا أي تعاونا وقال قتادة أولم يكفروا اليهود في عصر محمد بما أوتي موسى من قبل من البشارة بعيسى ومحمد عليه السلام فقالوا ساحران وقيل الاظهر ان كفار مكة وقريشا كانوا منكرين لجميع النبوات ثم انهم طلبوا من محمد معجزات موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى بل بما أوتي جميع الانبياء من قبل فعلم انه لا غرض لهم في هذا الاقتراح الا التعنت من قرأ ساحران بالالف نظاهر وأما من قرأ سحران فاما بمعنى ذوي سحر او على جعلهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر أو على ارادة نوعين من السحر أو على ان المراد هو القرآن والتوراة وضعفه أبو عبيدة بان المظاهرة بالناس وافعالهم أشبه منها بالكتب وأجيب بان الكتابين لما كان كل واحد منهما يقوي الآخر لم يبعد ان يقال على سبيل المجاز تعاونا كما يقال تظاهرت الاخبار وفي تكرار قالوا وجهان أحدهما قالوا ساحران مرة وقالوا انا بكل من موسى ومحمد أو بكل من
الكتابين كافرون مرة وثانيهما ان يكون قوله وقالوا معطوفا على أولم يكفروا ثم عجزهم بقوله قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما
أي مما أنزل على موسى ومما أنزل علي قال ابن عباس فان لم يستجيبوا لك دعاءك فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج وقال مقاتل فان لم يمكنهم ان يأتوا
بكتاب أفضل منهما وهذا أشبه بالآية وهذا الشرط شرط يدل بالامر المتحقق بعضه والا فالظاهر ان لو قيل فاذ لم يستجيبوا ويجوز ان يقصد

لكيما تحل له بها الشفاعة فأبى عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر لما حضر
أبا طالب الموت قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عماه قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال له
يا ابن أخي انه لولا ان يكون عليك عار لم أبال ان أفعل فقال له ذلك مرارا فلما مات اشتد ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم وقالوا ما تنفع قرابة أبي طالب منك فقال بلى والذي نفسي بيده انه الساعة لفي
ضحضاح من النار عليه نعلان من نار تغلي منهما أم رأسه وما من أهل النار من انسان هو أهون عذابا
منه وهو الذي أنزل الله فيه انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين
وقوله وهو أعلم بالمهتدين يقول وهو أعلم بمن قضى له الهدى كالذي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد قوله وهو أعلم بالمهتدين قال بمن قدر له الهدى والضلالة حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقالوا ان
نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا
ولكن أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره وقالت كفار قريش ان نتبع الحق الذي جئتنا به
معك ونتبرأ من الانداد والآلهة يتخطفنا الناس من أرضنا باجتماع جميعهم على خلافنا وحربنا يقول
الله لنبيه فقل أولم نمكن لهم حرما يقول أولم نوطئ لهم بلدا حرمنا على الناس سفك الدماء فيه
ومنعناهم من ان يتناولوا سكانه فيه بسوء وأمنا على أهله من أن يصيبهم بها غارة أو قتل أو سباء وبنحو
الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني
حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس ان الحرث بن نوفل الذي قال ان نتبع
الهدى معك نتخطف من أرضنا وزعموا أنهم قالوا قد علمنا انك رسول الله ولكنا نخاف أن نتخطف
من أرضنا أولم نمكن لهم الآية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن
أبيه عن ابن عباس قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا قال هم أناس من قريش قالوا
لمحمد ان نتبعك يتخطفنا الناس فقال الله أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويتخطف الناس من حولهم قال كان يغير
بعضهم على بعض وبنحو الذي قلنا في معنى قوله أولم نمكن لهم حرما آمنا قال أهل التأويل ذكر من
قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك
نتخطف من أرضنا قال الله أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ يقول أولم يكونوا آمنين
في حرمهم لا يغزون فيه ولا يخافون يجبى اليه ثمرات كل شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة أولم نمكن لهم حرما آمنا قال كان أهل الحرم آمنين يذهبون حيث
شاؤا واذا خرج أحدهم فقال اني من أهل الحرم لم يتعرض له وكان غيرهم من الناس اذا خرج أحدهم
قتل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولم نمكن لهم حرما آمنا قال
آمنا كم به قال هي مكة وهم قريش وقوله يجبى اليه ثمرات كل شئ يقول يجمع اليه وهو من قولهم
جبيت الماء في الحوض اذا جمعته فيه وانما أريد بذلك يحمل اليه ثمرات كل بلد كما حدثنا أبو كريب
قال ثنا ابن عطية عن شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن مجاهد عن ابن عباس في يجبى اليه ثمرات
كل شئ قال ثمرات الارض وقوله رزقا من لدنا يقول رزقا رزقناهم من لدنا يعني من عندنا ولكن

أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر هؤلاء المشركين القائلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا لا يعلمون انا نحن الذين مكنا لهم حرما آمنا ورزقناهم فيه وجعلنا الثمرات من كل أرض تجبى اليهم فهم بجهلهم بمن فعل ذلك بهم يكفرون لا يشكرون من أنعم عليهم بذلك ❁ القول في تأويل قوله تعالى (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين) يقول تعالى ذكره وكم أهلكنا من قرية أبطرتها معيشتها فبطرت وأشرت وطغت فكفرت ربها وقيل بطرت معيشتها فجعل الفعل للقرية وهو في الاصل للمعيشة كما يقال أسفهك رأيك فسفهته وأبطرك مالك فبطرته والمعيشة منصوبة على التفسير وقد بينا نظائر ذلك في غير موضع من كتابنا هذا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها قال البطر أشر أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله وقال ذلك البطر في النعمة فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا يقول فتلك دور القوم الذين أهلكناهم بكفرهم بربهم ومنازلهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا يقول خربت من بعدهم فلم يعمر منها الا أقلها وأكثرها خراب ولفظ الكلام وان كان خارجا على أن مساكنهم قد سكنت قليلا فان معناه فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا منها كما يقال قضيت حقك الا قليلا منه وقوله وكنا نحن الوارثين يقول ولم يكن لما خربنا من مساكنهم منهم وارث وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها لا مالك لها الا الله الذي له ميراث السموات والارض ❁ القول في تأويل قوله تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) يقول تعالى ذكره وما كان ربك يا محمد مهلك القرى التي حوالي مكة في زمانك وعصرك حتى يبعث في أمها رسولا يقول حتى يبعث في مكة رسولا وهي أم القرى يتلوا عليهم آيات كتابنا والرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى يبعث في أمها رسولا وأم القرى مكة وبعث الله اليهم رسولا محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون يقول ولم نكن لنهلك قرية وهي بالله مؤمنة انما نهلكها بظلمها أنفسها بكفرها بالله وانما أهلكنا أهل مكة بكفرهم بربهم وظلمهم أنفسهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون قال الله لم يهلك قرية بايمان ولكنه يهلك القرى بظلم اذا ظلم أهلها ولو كانت قرية آمنت لم يهلكوا مع من هلك ولكنهم كذبوا وظلموا فبذلك أهلكوا ❁ القول في تأويل قوله تعالى (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) يقول تعالى ذكره وما أعطيتم أيها الناس من شئ من الاموال والاولاد فانما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا وهو من زينتها التي يتزين به فيها لا يغني عنكم عند الله شيأ ولا ينفعكم شئ منه في معادكم وما عند الله لاهل طاعته وولايته خير مما أوتيتموه أنتم في هذه الدنيا من متاعها وزينتها وأبقى يقول وأبقى لاهله لانه دائم لا نفاد له وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله وما عند الله خير وأبقى قال خير ثوابا وأبقى

بحرف الشك التهكم وانما لم يقل فان لم يأتوا الان قوله فاتوا أمر والامر دعاء الى الفعل فناسب الاستجابة والتقدير فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم صاروا محجوجين ولم يبق لهم شئ الا اتباع الهوى وفي قوله ومن أضل ممن اتبع هواه حال كونه بغير هدى من الله اشارة الى فساد طريقة التقليد استدلت الاشاعرة بقوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين أي الذين وضعوا الهوى مكان الهدى على ان هداية الله تعالى خاصة بالمؤمن وقالت المعتزلة الالطاف منها ما يحسن فعلها مطلقا ومنها ما لا يحسن الا بعد الايمان واليه الاشارة بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والآية محمولة على القسم الثاني دون الاول والا كان عدم الهداية عذرا لهم ثم أجاب من قولهم هلا أوتي محمد كتابه دفعة واحدة بقوله ولقد وصلنا أي أنزلنا عليهم القرآن انزالا متصلا بعضه في أثر بعض ليكون ذلك أقرب الى التذكر والتذكير والتنبيه فانهم يطلعون في كل يوم على فائدة زائدة وحكمة جديدة ويجوز أن يراد بتوصيل القول جعل بيان على أثر بيان والمعنى أن القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا الى غير ذلك من معاني القرآن ارادة أن يتعظوا فيفلحوا ويحتمل أن يكون المراد بيان الدلالة على كون هذا القرآن معجزا مرة بعد اخرى وحين اقام الدلالة على النبوة أكد ذلك بقوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله اى من قبل القرآن هم به يؤمنون قال قتادة انها نزلت في اناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة حقة يتمسكون بها فلما بعث الله محمدا آمنوا به من جلتهم سلمان وعبد الله بن سلام وقال مقاتل نزلت في أربعين من مسلمي أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة في السفينة وثمانية جاؤا من الشام وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة أنا أحدهم والتحقيق أن كل من حصل عندنا في حقه هذه الصفة يكون داخلا في الآية لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم حكى عنهم ما يدل على تأكد ايمانهم وقوله انه الحق من ربنا تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله يوجب الايمان به وقوله انا كنا من قبله مسلمين بيان لقولهم آمنا به لان ايمانهم احتمل أن يكون

عندنا أفلا تعقلون يقول تعالى ذكره أفلا عقول لكم أيها القوم تتدبرون بها فتعرفون بها الخير من الشر وتختارون لانفسكم خير المنزلتين على شرهما وتؤثرون الدائم الذي لا نفاد له من النعيم على الفاني الذي لا بقاء له ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) يقول تعالى ذكره أفمن وعدناه من خلقنا على طاعته ايانا الجنة فآمن بما وعدناه وصدق وأطاعنا فاستحق بطاعته ايانا أن نجزله ما وعدناه فهو لاق ما وعد وصائر اليه كمن متعناه في الحياة الدنيا متاعها فتمتع به ونسي العمل بما وعدنا أهل الطاعة وترك طلبه وآثر لذة عاجلة على آجله ثم هو يوم القيامة اذا ورد على الله من المحضرين يعني من المشهدين عذاب الله وأليم عقابه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه قال هو المؤمن سمع كتاب الله فصدق به وآمن بما وعد الله فيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا هو هذا الكافر ليس والله كالمؤمن ثم هو يوم القيامة من المحضرين أي في عذاب الله **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ابن عمرو في حديثه قوله من المحضرين قال احضروها وقال الحرث في حديثه ثم هو يوم القيامة من المحضرين أهل النار احضروها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال أهل النار احضروها واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل بن هشام ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي قال ثنا شعبة عن أبان بن تغلب عن مجاهد أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل بن هشام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال آخرون نزلت في حمزة وعلي رضي الله عنهما وأبي جهل لعنه الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا بدل بن المحبر الثعلبي قال ثنا شعبة عن أبان بن تغلبة عن مجاهد أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال نزلت في حمزة وعلي بن أبي طالب وأبي جهل قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن أبان بن تغلبة عن مجاهد قال نزلت في حمزة وأبي جهل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون) يقول تعالى ذكره ويوم ينادي رب العزة الذين أشركوا به الانداد والاوثان في الدنيا فيقول لهم أين شركائي الذين كنتم تزعمون انهم لي في الدنيا شركاء قال الذين حق عليهم القول يقول قال الذين وجب عليهم غضب الله ولعنته وهم الشياطين الذين كانوا يغوون بني آدم ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة في قوله هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا قال هم الشياطين وقوله تبرأنا اليك يقول تبرأنا من ولايتهم ونصرتهم اليك ما كانوا ايانا يعبدون يقول لم

قريب العهد وأن يكون بعيده فلا تغيروا أني اعلم بهم متقادموه ثم الما وجدوا في كتب الانبياء من البشارة بمقدمه فاذعنوا له وتلقوه بالقبول كما هو شأن كل مسلم ومعنى من قبله أي من قبل وجوده ونزوله وفي قوله ويؤتون أجرهم مرتين أقوال بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على أذى المشركين وعلى أذى أهل الكتاب أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وعلى الايمان به بعد نزوله وهذا أقرب لانه لما بين أنهم آمنوا بعد البعثة و بين انهم كانوا مؤمنين به قبل البعث ثم أثبت لهم الاجر مرتين وجب أن ينصرف الى ذلك ويدرؤن بالحسنة وهي الطاعة السيئة وهي المعاصي المتقدمة أي يدفعوا بالحلم الاذى يروى انهم لما أسلموا لعنهم أبو جهل فسكتوا عنه وقال السدي عاب اليهود عبد الله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم مدحهم بالايمان ثم بالطاعات البدنية ومكارم الاخلاق ثم بالطاعات المالية وهو الانفاق مما رزقهم ثم بالتحمل والتواضع وانما يجب أن يقول له الحليم في معارضة السفيه وهو قوله واذا سمعوا اللغو وهو كل ما ينبغي أن يلقى و يترك أعرضوا عنه وقالوا لاهل ذلك اللغو لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم سلام توديع ومتاركة لا نبتغي الجاهلين لا نطلب مخالطتهم وعشرتهم ولا نجازيهم الباطل على باطلهم وهذا الخلق مندوب اليه ولو بعد الامر بالقتال فلا نسخ ثم ذكر أن الهداية انما تتعلق بمشيئة الله قال الزجاج أجمع المسلمون على انها نزلت في أبي طالب وذلك انه قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله قال قد علمت انك صادق ولكني أكره أن يقال جبن عند الموت وقد مر مثل هذا النقل في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه واعلم أنه لا منافاة بين هذه الآية و بين قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم لان الذي نفاه هداية التوفيق وشرح

الصدر والتي أثبتها هداية الدعوة والبيان و بحث الأشاعرة والمعتزلة ههنا معلوم وحيث بين أن وضوح الدلائل لا يكفي ما لم ينضم اليه هداية
الله سبحانه حكى عنهم شبهة أخرى متعلقة بالدنيا وذلك انهم قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا روي أن الحرث بن عثمان بن
نوفل بن عبد مناف قال للرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لنعلم أن الذي تقوله حق ولكن يمنعنا من ذلك أن تسلبنا العرب

يكونوا يعبدوننا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) يقول تعالى ذكره وقيل للمشركين بالله الآلهة والانداد في الدنيا ادعوا شركاءكم الذين كنتم تدعون من دون الله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم يقول فلم يجيبوهم ورأوا العذاب يقول وعاينوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون يقول فودوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون) يقول تعالى ذكره ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين فيقول لهم ماذا أجبتم المرسلين فيما أرسلناهم به اليكم من دعائكم الى توحيدنا والبراءة من الاوثان والاصنام فعميت عليهم الانباء يومئذ يقول فخفيت عليهم الاخبار من قولهم قد عمي عني خبر القوم اذا خفي وانما عنى بذلك انهم عميت عليهم الحجة فلم يدروا ما يحتجون لان الله تعالى قد كان أبلغ اليهم في المعذرة وتابع عليهم الحجة فلم تكن لهم حجة يحتجون بها ولا خبر يخبرون به مما تكون لهم به نجاة ومخلص وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فعميت عليهم الانباء قال الحجج يعني الحجة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون قال الحجج قال حدثني حجاج عن ابن جريج في قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين قال بلا اله الا الله التوحيد وقوله فهم لا يتساءلون بالانساب والقرابة ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فهم لا يتساءلون قال لا يتساءلون بالانساب ولا يتماتون بالقرابات انهم كانوا في الدنيا اذا التقوا تساءلوا وتماتوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فهم لا يتساءلون قال بالانساب وقيل معنى ذلك فعميت عليهم الحجج يومئذ فسكتوا فهم لا يتساءلون في حال سكوتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) يقول تعالى ذكره فأما من تاب من المشركين فأناب وراجع الحق وأخلص لله الالوهة وأفرد له العبادة فلم يشرك في عبادته شيأ وآمن يقول وصدق بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعمل صالحا يقول وعمل بما أمره الله بعمله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فعسى أن يكون من المفلحين يقول فهو من المنجحين المدركين طلبتهم عند الله الخالدين في جنانه وعسى من الله واجب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) يقول تعالى ذكره وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار للولاية الخيرة من خلقه ومن سبقت له منه السعادة وانما قال جل ثناؤه ويختار ما كان لهم الخيرة والمعنى ما وصفت لان المشركين كانوا فيما ذكر عنهم يختارون أموالهم فيجعلونها لآلهتهم فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار للهداية والايمان والعمل الصالح من خلقه ما هو في سابق علمه انه خيرتهم نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهتهم خيار أموالهم فكذلك اختياري لنفسي واجتبائي لولايتي واصطفائي لخدمتي وطاعتي خيار مملكتي وخلقي وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد

ابن

بسرعة أي يجتمعون على محاربتنا و يخرجوننا فأجاب الله سبحانه عن شبهتهم بقوله أولم نمكن لهم حرما آمنا روي ان العرب كانوا يشتغلون بالنهب والغارة خارج الحرم وما كانوا يتعرضون البتة لسكان الحرم وقد زاد الله حرمته بقوله ومن دخله كان آمنا و بين مزيته بقوله يجبى اليه ثمرات كل شيء قالوا الكل ههنا بمعنى الاكثر قلت يحتمل أن يكون على أصله وانتصب رزقا على انه مصدر لان يجبى بمعنى يرزق أو على انه مفعول لاجله وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة وحاصل الجواب انه لما جعل الحرم آمنا وأكثر فيه الرزق حال كونهم معرضين عن عبادة الله تعالى مقبلين على عبادة الاوثان فبقاء هذه الحالة مع الايمان أولى ولا يخفى أن التخطف على تقدير وقوعه لا يصلح عذرا لعدم الايمان فان درجة الشهادة أعلى وأجل ومضرة التخطف أهون من العقاب الدائم الا أنه تعالى احتج عليهم بما هو معلوم من عادة العرب وهو أنهم كانوا لا يتعرضون لقطان الحرم والامر البين للحس أولى بان يفحم به الخصم فلذلك قدمه الله تعالى وفي الآية دلالة على صحة المحاجة لازالة شبهة المبطلين قالت الاشاعرة الارزاق انما تصل اليهم على أيدي الناس وقد أضاف الرزق الى نفسه فدل ذلك على أن أفعال العباد مستندة الى الله ومن تأمل في الآية علم أن العبد يجب أن لا يخاف ولا يرجو الا من الله ثم أجاب عن شبهتهم بحديث آخر مخلوط بالوعيد وانتصب معيشتها بنزع الخافض كقوله واختار موسى قومه أو على انه ظرف مكان مجازا كأن البطر استغرق في المعيشة أو على حذف المضاف أي بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم أو بتضمين بطرت معنى كفرت يعطلت

والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه وقوله إلا قليلا قال ابن عباس أي لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة ويجوز أن يكون شؤم معاصيهم بقي في ديارهم فكل من يسكنها من أعقابهم لم يسكن إلا قليلا من المسلمين لم وكنا نحن الوارثين كقوله ولله ميراث السموات والارض لانه الباقي بعد فناء خلقه ثم كان لسائل أن يقول ما بال الكفرة قبل (٥٩) مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم يهلكوا مع تماديهم في الغي فقال وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها أي في القرية التي هي قصبتها وأصلها وغيرها من توابعها وعمالها رسولا يتلو عليهم آياتنا بوحي وتبليغ وذلك لتأكيد الحجة وقطع المعذرة قال في الكشاف يحتمل أن يراد وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الارض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وكان لقائل أن يقول ما بال الكفار بعد مبعث محمد لم يهلكهم الله مع تكذيبهم وجحودهم فقال وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون بالشرك وأهل مكة ليسوا كذلك فمنهم من قد آمن ومنهم من سيؤمن ومنهم من يخرج من نسله من يؤمن ثم أجاب عن شبهتهم بجواب ثالث وذلك ان حاصل شبهتهم ان قالوا تركنا الدين لاجل الدنيا فبين تعالى بقوله وما أوتيتم من شئ الآية ان ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله خير وأبقى لانه أكثر وأدوم ونبه على جهلهم بقوله أفلا تعقلون ورحم الله الشافعي حيث قال اذا أوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير نظير الآية قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت قال أهل البرهان انما قال في هذه السورة وما أوتيتم بالواو وفي الشورى فما أوتيتم بالفاء لانه لم يتعلق بما قبله ههنا كثير تعلق وقد تعلق في الشورى بما قبلها أشد تعلق ولانه عقب ما لهم من المخافة ما أوتوه من الامنة والفاء حرف التعقيب والواو لمجرد العطف وانما زاد في هذه السورة وزينتها لان المراد ههنا جميع أعراض الدنيا من الضرورات ومن الزين فالمتاع ما لا غنى عنه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن والمنكوح والزينة

ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة قال ما كانوا يجعلون خير أموالهم لآلهتهم في الجاهلية فاذا كان معنى ذلك كذلك فلا شك ان ما من قوله ويختار ما كان لهم الخيرة في موضع نصب بوقوع يختار عليها وانها بمعنى الذي فان قال قائل فان كان الامر كما وصفت من ان ما اسم منصوب بوقوع قوله يختار عليها فأين خبر كان فقد علمت ان ذلك اذا كان كما قلت ان في كان ذكرا من ما ولا بد لكان اذا كان كذلك من تمام وأين التمام قيل ان العرب تجعل لحروف الصفات اذا جاءت الاخبار بعدها أحيانا اخبارا كفعلها بالاسماء اذا جاءت بعدها أخبارها ذكر الفراء أن القاسم بن معن أنشده قول عنترة

أمن سمية دمع العين تذريف * لو كان ذا منك قبل اليوم معروف

فرفع معروفا بحرف الصفة وهو لا شك خبر لذا وذكر ان المفضل أنشده ذلك

* لو ان ذا منك قبل اليوم معروف * ومنه أيضا قول عمر بن أبي ربيعة

قلت أجيبي عاشقا بحبكم مكلف * فيه ثلاث كالدمى وكاعب ومسلف

فمكلف من نعت عاشق وقد رفعه بحرف الصفة وهو الباء في أشباه لما ذكرنا بكثير من الشواهد فكذلك قوله ويختار ما كان لهم الخيرة رفعت الخيرة بالصفة وهي لهم وان كانت خبرا لما لما جاءت بعد الصفة ووقعت الصفة موقع الخبر فصار كقول القائل كان عمرو وأبوه قائم لا شك ان قائما لو كان مكان الاب وكان الاب هو المتأخر بعده كان منصوبا فكذلك وجه رفع الخيرة وهو خبر لما فان قال قائل فهل يجوز ان تكون ما في هذا الموضع جحدا ويكون معنى الكلام وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء ان يختاره فيكون قوله ويختار نهاية الخبر عن الخلق والاختيار ثم يكون الكلام بعد ذلك مبتدأ بمعنى لم تكن لهم الخيرة أي لم يكن للخلق الخيرة وانما الخيرة لله وحده قيل هذا قول لا يخفى فساده على ذي حجى من وجوه لو لم يكن بخلافه لاهل التأويل قول فكيف والتأويل عمن ذكرنا بخلافه فاما أحد وجوه فساده فهو أن قوله ما كان لهم الخيرة لو كان كما ظنه من ظنه من أن ما بمعنى الجحد على نحو التأويل الذي ذكرت كان انما جحد تعالى ذكره أن تكون لهم الخيرة فيما مضى قبل نزول هذه الآية فأما فيما يستقبلونه فلهم الخيرة لان قول القائل ما كان لك هذا لا شك انما هو خبر عن أنه لم يكن له ذلك فيما مضى وقد يجوز أن يكون له فيما يستقبل وذلك من الكلام لا شك خلف لان ما لم يكن للخلق من ذلك قديما فليس ذلك لهم أبدا وبعد لو أريد ذلك المعنى لكان الكلام فليس وقيل وربك يخلق ما يشاء ويختار ليس لهم الخيرة ليكون نفيا عن أن يكون ذلك لهم فيما قبل وفيما بعد والثاني أن كتاب الله أبين البيان وأوضح الكلام ومحال أن يوجد فيه شئ غير مفهوم المعنى وغير جائز في الكلام ان يقال ابتداء ما كان لفلان الخيرة ولما يتقدم قبل ذلك كلام يقتضي ذلك فكذلك قوله ويختار ما كان لهم الخيرة ولم يتقدم قبله من الله تعالى ذكره خبر عن أحد أنه ادعى انه كان له الخيرة فيقال له ما كان لك الخيرة وانما جرى قبله الخبر عما هو صائر اليه أمر من تاب من شركه وآمن وعمل صالحا واتبع ذلك جل ثناؤه الخبر عن سبب ايمان من آمن وعمل صالحا منهم وان ذلك انما هو لاختياره اياه للايمان والسابق من علمه فيه اهتدى ويزيد ما قلنا من ذلك ابانة قوله وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون فأخبر انه يعلم من عباده السرائر والظواهر ويصطفي لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة والعلانية الرضية والثالث ان معنى الخيرة في هذا

وغيرها كالثياب الفاخرة والمراكب الرائقة والدور والمشيدة وأماكن الشورى فلم يقصد الاستيعاب بل ما هو مطلوب بهم في تلك الحالة من الحياة والامن في الحياة فلم يحتج الى ذكر الزينة ثم زاد للبيان المذكور تأكيدا بقوله أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه لان وعد الله يترتب عليه الانجاز البتة وصاحبه يلقى الموعود لا محالة وتقدير الكلام أبعد التفاوت المذكور بين ما عند الله وبين متاع الحياة

الموضع انما هو الخيرة وهو الشيء الذي يختار من البهائم والانعام والرجال والنساء يقال منه أعطي الخيرة والخيرة مثل الطيرة والطيرة وليس بالاختيار واذا كانت الخيرة ما وصفنا فمعلوم ان من أجود الكلام أن يقال وربك يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء لم يكن لهم خير بهيمة أو خير طعام أو خير رجل أو امرأة فان قال فهل يجوز أن تكون بمعنى المصدر قيل لا وذلك انها اذا كانت مصدرا كان معنى الكلام وربك يخلق ما يشاء ويختار كون الخيرة لهم واذا كان ذلك معناه وجب أن لا تكون الشرار لهم من البهائم والانعام واذا لم يكن لهم شرار ذلك وجب أن لا يكون لها مالك وذلك ما لا يخفى خطؤه لان لخيارها ولشرارها أربابا يملكونها بتمليك الله اياهم ذلك وفي كون ذلك كذلك فساد توجيه ذلك الى معنى المصدر وقوله سبحان الله وتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره تنزيها لله وتبرئة له وعلوا عما أضاف اليه المشركون من الشرك وما تخرصوه من الكذب والباطل عليه وتأويل الكلام سبحان الله وتعالى عن شركهم وقد كان بعض أهل العربية يوجهه الى انه بمعنى وتعالى عن الذي يشركون به ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون) يقول تعالى ذكره وربك يا محمد يعلم ما تخفي صدور خلقه وهو من اكننت الشيء في صدري اذا أضمرته فيه وكننت الشيء اذا صنته وما يعلنون يقول وما يبدونه بألسنتهم وجوارحهم وانما يعني بذلك ان اختياره من يختار منهم للايمان به على علم منه بسرائر أمورهم وبواديها وانه يختار للخير أهله فيوفقهم له ويولي الشر أهله ويخليهم واياه وقوله وهو الله لا اله الا هو يقول تعالى ذكره وربك يا محمد المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له ولا معبود تجوز عبادته غيره له الحمد في الاولى يعني في الدنيا والآخرة وله الحكم يقول وله القضاء بين خلقه واليه ترجعون يقول واليه تردون من بعد مماتكم فيقضي بينكم بالحق ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله أيها القوم أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل دائما لا نهار الى يوم القيامة يعقبه والعرب تقول لكل ما كان متصلا لا ينقطع من رخاء أو بلاء أو نعمة هو سرمد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سرمدا دائما لا ينقطع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أن جعل الله عليكم الليل سرمدا يقول دائما وقوله من اله غير الله يأتيكم بضياء يقول أفلا ترعون ذلك سمعكم وتفكرون فيه فتتعظون وتعلمون أن ربكم هو الذي يأتي بالليل ويذهب بالنهار اذا شاء واذا شاء أتى بالنهار وذهب بالليل فينعم باختلافهما كذلك عليكم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قومك أرأيتم أيها القوم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة دائما لا ليل معه أبدا الى يوم القيامة من اله غير الله من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء يأتيكم بليل تسكنون فيه فتستقرون وتهدؤن فيه أفلا تبصرون يقول أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار عليكم

الدنيا تسوى بين أهل الجنة وبين أبناء الدنيا ومعنى ثم في قوله ثم هو يوم القيامة تراخي حال الاحضار عن حال التمتع لا تراخي وقته عن وقته وتخصيص لفظ المحضرين بالذين أحضروا للعذاب أمر عرف من القرآن قال الله تعالى لكنت من المحضرين فانهم لمحضرون ويمكن أن يقال ان في اللفظ اشعارا به لان الاحضار مشعر بالتكلف والالزام وذلك لا يليق بمجالس اللذة والانس وانما يليق بمواضع الاكراه والوحشة قيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة ثم ذكر من وصف القيامة قائلا ويوم يناديهم أي فاذكر ذلك اليوم ومعنى الاستفهام في أين التوبيخ والتهكم ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره تزعمونهم شركائي قال الذين حق عليهم القول أي وجب وثبت وهو مفهوم لاملأن جهنم وهم الشياطين ورؤساء الكفر وهؤلاء مبتدأ والذين أغوينا صفته والعائد الى الموصول محذوف والتقدير هؤلاء الذين أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا قال أهل السنة أرادوا كما ان قومنا غوين أغوونا بقسر والجاء فنحن أيضا أغويناهم بالوسوسة والتسويل وبكل ما أمكن حتى غووا وقالت المعتزلة يعنون انا ما غوينا الا باختيارنا

فكذلك هم ما غووا الا باختيارهم وان اغواءنا ما ألجأهم الى الغواية بل كانوا مختارين في الاقدام على تلك العقائد والاعمال فيكون كما حكى عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي ثم قالوا تبرأنا اليك منهم ومن عقائدهم وأعمالهم ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون هؤلاء أهواءهم الفاسدة وأخلاء الجلتين من العاطف لكونهما مقررتين

رحمة

لمعنى الجملة الأولى وحين حكى التوبيخ المذكور ثم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر اعتذارا ذكر ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم وهو قوله وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم زعم جم غفير من المفسرين ان جواب لو محذوف فقال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو انهم كانوا يهتدون (٦١) في الدنيا ما أبصروه في الآخرة ولعلموا ان العذاب حق أو لو كانوا يهتدون بوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب وقيل أرادوا رأوا العذاب لو كانوا يبصرون شيأ ولكنهم صاروا مبهوتين بحيث لا يبصرون شيأ فلا جرم ما رأوه وقيل الضمير للاصنام أي لو كانوا أحياء مهتدين لشاهدوا العذاب وقيل لو للتمني أي تمنوا لو كانوا مهتدين ثم بكتهم بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل ومعنى عميت عليهم الانباء ان أخبار المرسلين والمرسل اليهم صارت كالعمى عليهم جميعا لا يهتدون اليهم فهم لا يتساءلون كما يسأل بعض الناس بعضا في المشكلات لانهم متساوية الاقدام في العجز عن الجواب واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتلعثمون في الجواب عن مثل هذا السؤال كما قال سبحانه يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا فما ظنك بضلال أممهم قال القاضي الآية تدل على بطلان قول المجبرة لان فعلهم لو كان خلقا من الله تعالى وجب وقوعه بالقدرة والارادة ولما عميت عليهم الانباء ولقالوا انما كذبنا الرسل من جهة خلقك فينا تكذيبهم ومن جهة القدرة الموجبة لذلك وكذا القول فيما تقدم لان الشيطان كان له ان يقول انما أغويت لخلقك في الغواية وانما قبل من دعوته لمثل ذلك فتكون الحجة لهم على الله تعالى والعذر ظاهرا وعارضته الاشاعرة بالعلم والداعي والذي اعتمد عليه القاضي في دفع هذا المشكل المعضل في كتبه الكلامية قوله خطأ قول من يقول انه يمكن وخطأ قول من يقول انه لا يمكن فالواجب السكوت وزيفه الاشعري بان الكافر لو أورد هذا السؤال على ربه لما كان لربه عنه جواب الا السكوت فتكون حجة الكافر قوية وعذره ظاهرا ولقائل ان يقول السكوت عن جواب الكافر قيل جواب الاحمق السكوت وحين فرغ من توبيخ

رحمة من الله لكم وحجة منه عليكم فتعلموا بذلك أن العبادة لا تصلح الا لمن أنعم عليكم بذلك دون غيره ولمن له القدرة التي خالف بها بين ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) يقول تعالى ذكره ومن رحمته بكم أيها الناس جعل لكم الليل والنهار فخالف بينهما فجعل هذا الليل ظلاما لتسكنوا فيه وتهدؤا وتستقروا لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرف الذي تتصرفون نهارا لمعايشكم وفي الهاء التي في قوله لتسكنوا فيه وجهان أحدهما أن تكون من ذكر الليل خاصة ويضمر للنهار مع الابتغاء هاء أخرى والثاني أن تكون من ذكر الليل والنهار فيكون وجه توحيدها وهي لهما وجه توحيد العرب في قولهم اقبالك وادبارك يؤذيني لان الاقبال والادبار فعل والفعل يوحد كثيره وقليله وجعل هذا النهار ضياء تبصرون فيه فتتصرفون بابصاركم فيه لمعايشكم وابتغاء رزقه الذي قسمه بينكم بفضله الذي تفضل عليكم وقوله ولعلكم تشكرون يقول تعالى ذكره ولتشكروه على انعامه عليكم بذلك فعل ذلك بكم لتفردوه بالشكر وتخلصوا له الحمد لانه لم يشركه في انعامه عليكم بذلك شريك فلذلك ينبغي أن لا يكون له شريك في الحمد عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعني تعالى ذكره ويوم ينادي ربك يا محمد هؤلاء المشركين فيقول لهم أين شركائي الذين كنتم تزعمون أيها القوم في الدنيا انهم شركائي وقوله ونزعنا من كل أمة شهيدا وأحضرنا من كل جماعة شهيدها وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله من الرسالة وقيل ونزعنا من قولهم نزع فلان بحجة كذا يعني أحضرها وأخرجها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونزعنا من كل أمة شهيدا وشهيدها نبيها يشهد عليها انه قد بلغ رسالة ربه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ونزعنا من كل أمة شهيدا قال رسولا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وقوله فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله يقول فقلنا للامة كل نبي منهم التي ردت نصيحته وكذبت بما جاءها به من عند ربهم اذ شهد نبيها عليها بابلاغه اياها رسالة الله هاتوا برهانكم يقول فقال لهم هاتوا حجتكم على اشراككم بالله ما كنتم تشركون مع اعذار الله اليكم بالرسل واقامته عليكم الحجج وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقلنا هاتوا برهانكم أي بينتكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فقلنا هاتوا برهانكم قال حجتكم لما كنتم تعبدون وتقولون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقلنا هاتوا برهانكم قال حجتكم بما كنتم تعبدون وقوله فعلموا أن الحق لله يقول فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم وأن الحق لله والصدق خبره فأيقنوا بعذاب من الله لهم دائم وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول واضمحل فذهب الذي كانوا يشركون بالله في الدنيا وما كانوا يتخرصون ويكذبون على ربهم فلم ينفعهم هنالك بل ضرهم وأصلاهم نار جهنم ۞ القول في تأويل قوله

تعالى (ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليه وآتيناه من الكنوز ماان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذقال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين) يقول تعالى ذكره ان قارون وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب كان من قوم موسى يقول كان من عشيرة موسى بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عمه لابيه وأمه وذلك ان قارون هو قارون بن يصهر بن قاهث وموسى هو موسى بن عمران بن قاهث كذا نسبه ابن جريج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان قارون كان من قوم موسى قال ابن عمه ابن أخى أبيه قال قارون بن يصفر هكذا قال القاسم وانما هو يصهر بن قاهث وموسى بن عمرم بن قاهث وعمرم بالعربية عمران وأما ابن اسحق فان ابن حميد حدثنا قال ثنا سلمة عنه ان يصهر بن قاهث تزوج سميت بنت بتاويت بن بركنا بن بقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران يحنت بنت شمويل بن بركنا بن بقشان بن بركنا فولدت له هرون بن عمران وموسى بن عمران صفى الله ونبيه فموسى على ماذكر ابن اسحق بن أخى قارون وقارون هو عمه أخو أبيه لابيه وأمه وأكثر أهل العلم فى ذلك على ماقاله ابن جريج ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن ابراهيم فى قوله ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عم موسى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك بن حرب قال ثنا سعيد عن قتادة ان قارون كان من قوم موسى كنا نحدث انه كان ابن عمه أخى أبيه وكان يسمى المنور من حسن صوته فى التوراة ولكن عدوّ الله نافق السامرى فاهلكه البغى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن سماك عن ابراهيم ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عمه فبغى عليه قال ثنا يحيى القطان عن سفيان عن سماك عن ابراهيم قال كان قارون ابن عم موسى قال ثنا أبو معاوية عن ابن أبى خالد عن ابراهيم ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عمه حدثنى بشر بن هلال الصواف قال ثنا جعفر بن سليمان الضبعى عن مالك بن دينار قال بلغنى ان موسى بن عمران كان ابن عم قارون وقوله فبغى عليهم يقول فتجاوز حده فى التكبر والتجبر عليهم وكان بعضهم يقول كان بغيه عليهم زيادة شبر أخذها فى طول ثيابه ذكر من قال ذلك حدثنى على بن سعيد الكندى وأبو السائب وابن وكيع قالوا ثنا حفص بن غياث عن ليث عن شهر بن حوشب ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال زاد عليهم فى الثياب شبرا وقال آخرون كان بغيه عليهم بكثرة ماله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انما بغى عليهم بكثرة ماله وقوله وآتيناه من الكنوز ماان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة يقول تعالى ذكره وآتينا قارون من كنوز الاموال ماان مفاتحه وهى جمع مفتح وهو الذى يفتح به الابواب وقال بعضهم عنى بالمفاتح فى هذا الموضع الخزائن لتثقل العصبة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ماقلنا فى معنى مفاتح حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا الاعمش عن خيثمة قال كانت مفاتح قارون تحمل على ستين بغلا كل مفتاح منها لباب كنز معلوم مثل الاصبع من جلود حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن خيثمة قال كانت مفاتح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع كل مفتاح على خزانة على حدة فاذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلا أغر محجل حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن خيثمة فى

الكفار وتهديدهم اتبعه ذكر التائبين وانهم من المفلحين وعسى من الكريم تحقيق أو الترجى عائد الى التائب ثم ان القوم كانوا يذكرون شبهة أخرى وهو قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فاجاب الله تعالى عنها بقوله وربك يخلق مايشاء ويختار لانه المالك المطلق المنزه عن النفع والضر فله ان يخص من شاء بماشاء وعلى مذهب المعتزلة هو حكيم فلا يفعل الا الحكمة والخير وقوله ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار والخيرة من التخيير كالطيرة من التطير فى انه اسم مستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وهو بمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه وقد مر فى الوقف ان بعضهم يقف على من يشاء ثم يقول ويختار ما كان لهم فيه الخيرة قال أبو القاسم الانصارى يعلم من هذا متعلق المعتزلة فى ايجاب الصلاح والاصلح عليه وأى صلاح فى تكليف من علم انه لايؤمن ولو لم يكلفه لاستحق الجنة والنعيم من فضل الله فان قيل انما كلفه ليستوجب على الله ماهو الافضل لان المستحق أفضل من المتفضل به قلنا اذا علم ان ذلك الافضل لايحصل فتعريضه للعقاب الابدى لايكون رعاية للمصلحة ثم قولهم المستحق خير من المتفضل به ممنوع لان ذلك التفاوت انما يحصل فى حق من يستنكف من تفضله أما الذى حصل ذاته وصفاته باحسانه فكيف يستنكف من تفضله قلت لقائل ان يقول مجرد الاستبعاد لايصلح للمنع على ان لذة الاجر تستحيل ان تحصل بدون الاجر ثم نزه نفسه بقوله سبحان الله وتعالى عما يشركون والغرض ان الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال والاهانة والاجلال كلها مفوض وجوبها اليه ليس لاحد فيه شركة ومنازعة ثم أكد ذلك بقوله وربك يعلم ماتكن صدورهم من عداوة نبيه وما يعلنون من مطاوعتهم فيه ويحتمل ان يكون عاما يشمل السرائر والظواهر كلها وهو المستأثر بالالهية قوله ولا اله الا هو تقرير لما قبله له الحمد فى الدار الاولى على نعمه الفائضة على البر والفاجر وفى الدار الآخرة كقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا التكليف قال أهل السنة الثواب يستحق عند المعتزلة

فلا يستحق الحمد فضلا من أهل الجنة وأما أهل النار فلم ينعم عليهم حتى يستحق الحمد منه والجواب ما ذكرناه ان تحميدهم يجرى مجرى التنفس
قال القاضي انه يستحق الحمد من أهل النار أيضا بما فعل بهم في الدنيا من التمكين والتيسير والالطاف وسائر النعم وانهم باساءتهم لا يخرج
ما أنعم الله عليهم من أن يوجب الشكر وقال في التفسير الكبير فيه نظر لان أهل الآخرة مضطرون الى معرفة الحق فاذا

قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال نجده مكتوبا في الانجيل مفاتح قارون وقر ستين
بغلا غرا محجلة ما يزيد كل مفتاح منها على أصبع لكل مفتاح منها كنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا
ابن عيينة عن حميد عن مجاهد قال كانت المفاتح من جلود الابل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة قال مفاتح
من جلود كمفاتح العيدان وقال قوم عني بالمفاتح في هذا الموضع خزائنه ذكر من قال ذلك حدثنا
أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن أبي صالح في قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة
قال كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن الضحاك
ما ان مفاتحه قال أوعيته ونحو الذي قلنا في معنى قوله لتنوء بالعصبة قال أهل التأويل ذكر من
قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس
في قوله لتنوء بالعصبة قال لتثقل بالعصبة حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن
علي عن ابن عباس قوله لتنوء بالعصبة يقول تثقل وأما العصبة فانها الجماعة واختلف أهل التأويل
في مبلغ عددها الذي أريد في هذا الموضع فأما مبلغ عدد العصبة في كلام العرب فقد ذكرناه فيما
مضى باختلاف المختلفين فيه والرواية في ذلك والشواهد على الصحيح من قولهم في ذلك بما أغنى عن
اعادته في هذا الموضع فقال بعضهم كانت مفاتحه تنوء بعصبة مبلغ عددها أربعون رجلا ذكر من
قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن اسماعيل بن سالم عن أبي صالح
قوله لتنوء بالعصبة قال أربعون رجلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
لتنوء بالعصبة قال ذكر لنا أن العصبة ما بين العشرة الى الاربعين حدثت عن الحسين قال
سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لتنوء بالعصبة أولي القوة يزعمون
ان العصبة أربعون رجلا يثقلون مفاتحه من كثرة عددها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي
قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء
بالعصبة أولي القوة قال أربعون رجلا وقال آخرون ستون وقال كانت مفاتحه تحمل على سبعين بغلا
حدثنا كذلك ابن وكيع قال ثنا أبي عن الاعمش عن خيثمة وقال آخرون كانت تحمل على ما
بين ثلاثة الى عشرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جابر بن نوح عن أبي روق عن
الضحاك عن ابن عباس لتنوء بالعصبة قال العصبة ثلاثة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح
قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس لتنوء بالعصبة قال العصبة ما بين العشرة الى خمسة
عشر وقال آخرون كانت تحمل ما بين عشرة الى خمسة عشر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن
أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة قال العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لتنوء بالعصبة قال
العصبة خمسة عشر رجلا وقوله أولي القوة يعني أولي الشدة وقال مجاهد في ذلك ما حدثني محمد
ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أولي القوة قال خمسة عشر
فان قال قائل وكيف قيل وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكيف تنوء المفاتح بالعصبة
وانما العصبة هي التي تنوء بها قيل اختلف في ذلك أهل العلم بكلام العرب فقال بعض أهل البصرة

علموا أن التوبة واجبة القبول وأن الشكر مما يوجب الثواب فلا بد أن يتوبوا ويشتغلوا بالشكر ليستحقوا الثواب ويتخلصوا من العقاب ولقائل أن يقول لا يلزم من وجوب قبول التوبة واستحقاق الجزاء على العمل في دار التكاليف أن يكون الامر كذلك في غير دار التكاليف ثم بين بقوله وله الحكم أن القضاء بين العباد مختص به فلولا حكمه لما انفذ على العبد حكم سيده ولا على الزوجة حكم زوجها ولا على الابن حكم أبيه ولا على الرعية حكم سلطانهم ولا على الامة حكم رسولهم والى محل حكمه وقضائه يرجع كل عبيده وامائه *التأويل ولقد آتينا موسى القلب مقام القرب والوحي والمكالمة وكشف العلوم بعد هلاك فرعون النفس وصفاتها لعلهم يتذكرون اذ كانوا في عالم الارواح مستمعين خطاب ألست بربكم وما كنت في غرب العدم بل كنت في شرق الوجود في عالم الارواح اذ قضينا الى موسى أمر اتخاذ العهد منه أن يؤمن بك كقوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين وما كنت في عالم الشهادة ولكنا أنشأنا قرونا في عالم الشهادة فتطاول عليهم العمر فاحتجبوا بالنفس وصفاتها ونسوا تلك العهود والمواثيق وما كنت مقيما في أهل مدين كشعيب وموسى اذ أخذت منهما الميثاق أن يؤمنا بك ولكنا كنا مرسلين

للرسل الذين أخذنا الميثاق منهم ولولا أن يصيبهم التفقد ر ولولا أن مقتضى العناية الازلية في حق هذه الامة ودفع حجتهم علينا فانا ناديناهم وهم
في العدم ما سمعناهم نداءنا ولم نوفقهم للاجابة فلما جاءهم الحق يعني محمدا وفيه انه رتبة ان يقول أنا الحق لفنائه عن نفسه بالكلية وبقائه
بربه وكل من سواه فليس له ان يقول ذلك الا بطريق المتابعة لولا أوتي مثل ... لو لم يكونوا محتجبين بكمرهم عن رؤية كماله لقالوا لولا أوتي

مثل ما أوتى محمد من مقام المحبة ومقام لى مع الله وقت بكتاب من عند الله هو أهدى منهما يعنى الكتاب المشتمل على العلم اللدنى فانه أهدى الى الحضرة من الكتب الموقوفة على السماع والمطالعة ومن لم تكن له هذه الرتبة فانه محجوب عن الحضرة بهوى نفسه كما قال فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم الذين آتيناهم (٦٤) حقيقة الكتاب فى عالم الارواح من قبل نزوله فى عالم الاشباح هم به يؤمنون فى عالم الصورة ولهذا قالوا انا كنا من قبله مسلمين ولذلك قال يؤتون أجورهم مرتين أى فى العالمين بما صبروا على مخالفات الهوى موافقات الشرع ويدرؤن بالاعمال الصالحات ظلمة المعاصى أو بحسنة الذكر صدأ حب الدنيا عن مرآة القلوب أو بحسنة نفى ماسوى الله شرك الوجود المجازى ومما رزقناهم من الوجود المجازى ينفقون فى طلب الوجود الحقيقى واذا سمعوا اللغو وهو طلب ماسوى الله أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا فى طلب الوجود الحقيقى ولكم أعمالكم فى طلب الفانى انك لاتهدى من أحببت وذلك ان للقلب بابين أحدهما الى النفس والجسد وهو مفتوح أبدا والآخر الى الروح والحضرة وهو مغلوق لايفتحه الا الفتاح الذى بيده كل مفتاح كما قال أم على قلوب أقفالها وقال انا فتحنا لك فتحا مبينا وهو أعلم بالمهتدين الذين أصابهم رشاش النور وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف بجذبات الالوهية من أرض الانانية أولم نمكن لهم حرما آمنا فى مقام الهوية يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من العلوم الدنية ولكن أكثرهم لايعلمون ذوق العلم اللدنى لم تسكن من بعدهم الا قليلا أى لم تسكن فى قرى القلوب الفاسد استعدادها الا قليلا من نور الاسلام بعبور الخواطر الروحانية فى الاحايين وكنا نحن الوارثين بان رجع نور الاسلام أى الحضرة بعد فساد الاستعداد حتى يبعث فى أمها أى روحها الا ان لقلب ذلك

من متولدات الروح رسولا من وارد نفحات الحق الوعد الحسن للعوام الجنة وللخواص الرؤية وللاخص الوصول والوصال كما أوحى الى عيسى تجوع ترني تجرد تصل الى اغوينا هم كما غوينا راعوا طريقة الادب ولم يقولوا كما أغويتنا مثل ما قال ابليس فبما أغويتني أى

مجاز ذلك ما ان العصبة ذوى القوة لتنوء بمفاتح نعمه قال ويقال فى الكلام انها لتنوء بها عجيزتها وانما هو تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله قال والعرب قد تفعل مثل هذا قال الشاعر

فديت بنفسه نفسى ومالى * وما آلوك الا ما أطيق

والمعنى فديت بنفسى وبمالى نفسه وقال آخر

وتركت خيلا لاهوادة بينها * تسقى الرماح بالضياطرة الحمر

وانما تسقى الضياطرة بالرماح قال والخيل ههنا الرجال وقال آخر منهم ما ان مفاتحه قال وهذا موضع لايكاد يبتدأ فيه ان وقد قال ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم وقوله لتنوء بالعصبة انما العصبة تنوء بها وفى الشعر * تنوء بها فتثقلها عجيزتها * وليست العجيزة تنوء بها ولكنها هى تنوء بالعجيزة وقال الاعشى ما كنت فى الحرب العوان مغمرا * اذ شب حر وقودها أجذالها

وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول هذا الذى قاله هذا القائل وابتداء ان بعد ما ويقول ذلك جائز مع ما ومن وهو مع ما ومن أجود منه مع الذى لان الذى لا يعمل فى صلته ولا تعمل صلته فيه فلذلك جاز وصارت الجملة عائدما اذ كانت لا تعمل فى ما ولا تعمل ما فيها قال وحسن مع ما ومن لانهما يكونان بتأويل النكرة ان شئت والمعرفة ان شئت فتقول ضربت رجلا ليقومن وضربت رجلا انه لمحسن فتكون من وما تأويل هذا ومع الذى أقبح لانه لايكون بتأويل النكرة وقال آخر منهم فى قوله لتنوء بالعصبة نوءها بالعصبة أن تثقلهم وقال المعنى ان مفاتحه لتنىء بالعصبة تميلهن من ثقلها فاذا أدخلت الباء قلت تنوء بهم كما قال آتونى أفرغ عليه قطرا قال والمعنى آتونى بقطر أفرغ عليه فاذا حذفت الباء زدت على الفعل الفا فى أوله ومثله فاجاءها المخاض معناه فجاء بها المخاض وقال قد قال رجل من أهل العربية ما ان فى العصبة تنوء بمفاتحه فحول الفعل الى المفاتح كما قال الشاعر

ان سراجا لكريم مفخره * تحلى به العين اذا ما تجهره

وهو الذى يحلى بالعين قال فان كان سمع أثرا بهذا فهو وجه والا فان الرجل جهل المعنى قال وأنشدنى بعض العرب حتى اذا ما التأمت مفاصله * وناء فى شق الشمال كاهله

يعنى الرامى لما أخذ القوس ونزع مال عليها قال ونرى أن قول العرب ما ساءك وناءك من ذلك ومعناه ما ساءك وأناءك من ذلك الا انه ألقى الالف لانه متبع لساءك كما قالت العرب أكلت طعاما فهنانى ومرانى ومعناه اذا أفردت وأمرانى فحذفت منه الالف لما أتبع ما ليس فيه ألف وهذا القول الآخر فى تأويل قوله لتنوء بالعصبة أولى بالصواب من الاقوال الاخر لمعنيين أحدهما انه تأويل موافق لظاهر التنزيل والثانى ان الآثار التى ذكرنا عن أهل التأويل بنحو هذا المعنى جاءت وان قول من قال المعنى ذلك ما ان العصبة لتنوء بمفاتحه انما هو توجيه منهم الى ان معناه ما ان العصبة لتنهض بمفاتحه واذا وجه الى ذلك لم يكن فيه من الدلالة على انه أريد به الخبر عن كثرة كنوزه على نحو ما فيه اذا وجه الى أن معناه ان مفاتحه تثقل العصبة وتميلها لانه قد تنهض العصبة بالقليل من المفاتح وبالكثير وانما قصد جل ثناؤه بالخبر عن كثرة ذلك واذا أريد به الخبر عن كثرته كان لاشك ان الذى قاله من ذكرنا قوله من ان معناه لتنوء العصبة بمفاتحه قول لامعنى له هذا مع خلافه تأويل السلف فى ذلك وقوله اذ قال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين يقول اذ قال قومه لاتبغ ولا تبطر فرحا ان الله لايحب من خلقه الاشرين البطرين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال

أنقويناهم بتقديرك كما غوينا بغنائك وهذا من خصوصية تكريم بني آدم بحفظ البعداء طريقة الادب كما يحفظها أهل القرب على بساط الكرامة ورأوا العذاب يعني لو كانوا يهتدون لرأوا عذاب الفطام عن المألوفات والشهوات (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل

الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون

ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله لا يحب الفرحين يقول المرحين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال المتبذخين الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن جابر قال سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية ان الله لا يحب الفرحين قال الاشرين البطرين البذخين حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن مجاهد في قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال يعني به البغي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال المتبذخين الاشرين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم حدثني الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا انه قال المتبذخين حدثنا محمد بن عبد الله المحرمي قال ثني شبابة قال ثني ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال الاشرين البطرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ قال له قومه لا تفرح أي لا تمرح ان الله لا يحب الفرحين أي ان الله لا يحب المرحين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن مجاهد في قوله اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال هو فرح البغي ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل قوم قارون له لا تبغ يا قارون على قومك بكثرة مالك والتمس فيما آتاك الله من الاموال خيرات الآخرة بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا وقوله ولا تنس نصيبك من الدنيا يقول ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك يقول لا تترك أن تعمل لله في الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن الاعمش عن ابن عباس ولا تنس نصيبك من الدنيا قال أن تعمل فيها لآخرتك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حمزة بن خالد عن عون بن عبد الله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال ان قوما يضعونها على غير موضعها ولا تنس نصيبك من الدنيا تعمل فيها بطاعة الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تنس نصيبك من الدنيا قال العمل بطاعته حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن مجاهد قال تعمل في دنياك لآخرتك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال العمل فيها بطاعة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عيسى الحرمي عن مجاهد ولا تنس

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا

الكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) * القراآت عندي أولم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن فليح وأبو عمرو وخزاعي عن أصحابه وابن مجاهد وأبو عون والسرندي عن قنبل الباقون (٦٦) بالإسكان ويكأن ويكأنه الوقف على الياء أبو عمرو ويعقوب وبذلك الوقف على الكاف ويكأنه موصولة روى السوسي عن السرندي وهو مذهب حمزة الباقون كلاهما موصولان لخسف على البناء للفاعل سهل ويعقوب وحفص ربي أعلم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو * الوقوف بضياء ط تسمعون ه فيه ط تبصرون ه تشكرون ه تزعمون ه يفترون ه عليهم ص لان الواو للحال أي وقد آتيناه مع طول الكلام القوة ط بناء على أن التقدير واذكر إذ قال وقال في الكشاف إنه متعلق بتنوء فلا وقف الفرحين ه في الأرض ط المفسدين ه عندي ط جمعا ط المجرمين ه في زينته ط لعدم العاطف واختلاف القائل قارون لا لأن ما بعده تعليل التمني ولو ابتدئ إنا لحكمنا بأنه ذو حظ عظيم ه صالحا ج لأن ما بعده احتمل أن يكون ابتداء إخبار من الله واحتمل أن يكون من قول أهل العلم الصابرون ه من دون الله ق قد قيل لتفصيل الاعتبار المنتصرين ه ويقدر ج للابتداء بلا ولامع اتحاد المقول لخسف بنا ط الكافرون ه ولا فسادا ط للمتقين ه منها ج لعطف جملة الشرط يعملون ه معاد ط مبين ه للكافرين ه ز للآية مع العاطف للمشركين ه للآية وخلو المعطوف عن نون التأكيد التي دخلت المعطوف عليه مع اتفاق الجملتين آخر احترازا من ايهام كون ما بعده صفة آخر ه لا إله إلا هو ط وجهه ط ترجعون ه * التفسير لما بين سبحانه حقيقة الهيته واستحقاقه للحمد المطلق وأن مرجع الكل إلى حكمته وقضائه أتبعه بعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه أحد سواه وهو تبديل ظلام الليل بضياء النهار وبالعكس والمعنى أخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل

نصيبك من الدنيا قال أن تعمل في دنياك لآخرتك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن مجاهد قال العمل بطاعة الله نصيبه من الدنيا الذي يثاب عليه في الآخرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال لا تنس أن تقدم من دنياك لآخرتك فإنما تجد في آخرتك ما قدمت في الدنيا فيما رزقك الله * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تترك أن تطلب فيها حظك من الرزق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تنس نصيبك من الدنيا قال الحسن ما أحل الله لك منها فإن لك فيه غنى وكفاية حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن حميد العمري عن معمر عن قتادة ولا تنس نصيبك من الدنيا قال طلب الحلال حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن الحسن ولا تنس نصيبك من الدنيا قال قدم الفضل وأمسك ما يبلغك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال الحلال فيها وقوله وأحسن كما أحسن الله إليك يقول وأحسن في الدنيا إنفاق مالك الذي آتاكه الله في وجوهه وسبله كما أحسن الله إليك فوسع عليك منه وبسط لك فيها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأحسن كما أحسن الله إليك قال أحسن فيما رزقك الله ولا تبغ الفساد في الأرض يقول ولا تلتمس ما حرم الله عليك من البغي على قومك إن الله لا يحب المفسدين يقول إن الله لا يحب بغاة البغي والمعاصي ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) يقول تعالى ذكره قال قارون لقومه الذين وعظوه إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي علمه الله مني فرضي بذلك عني وفضلني بهذا المال عليكم لعلمه بفضلي عليكم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال إنما أوتيته على علم عندي قال على خير عندي قال حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله إنما أوتيته على علم عندي قال لولا رضى الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا وقرأ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا الآية وقد قيل إن معنى قوله عندي بمعنى أرى كأنه قال إنما أوتيته لفضل علمي فيما أرى وقوله أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا يقول جل ثناؤه أولم يعلم قارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتي من الكنوز أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشا وأكثر جمعا للأموال ولو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ولرضاه عنه لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالا لأن من كان الله عنه راضيا فمحال أن يهلكه الله وهو عنه راض وإنما يهلك من كان عليه ساخطا وقوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قيل إن معنى ذلك أنهم يدخلون النار بغير حساب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان عن معمر عن قتادة ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال يدخلون النار بغير حساب وقيل معنى ذلك أن الملائكة لا تسأل عنهم لأنهم يعرفونهم بسيماهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثني أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن

مجاهد

مجاهد ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون كقوله يعرف المجرمون بسيماهم زرقا سود الوجوه والملائكة لا تسأل عنهم قد عرفتهم وقيل معنى ذلك ولا يسأل عن ذنوب هؤلاء الذين أهلكهم الله من الامم الماضية المجرمون فيم أهلكوا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال عن ذنوب الذين مضوا فيم أهلكوا فالهاء والميم فى قوله عن ذنوبهم على هذا التأويل لمن الذى فى قوله أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وعلى التأويل الاول الذى قاله مجاهد وقتادة للمجرمين وهى بان تكون من ذكر المجرمين أولى لان الله تعالى ذكره غير سائل عن ذنوب مذنب غير من أذنب لا مؤمن ولا كافر فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم انه لا معنى لخصوص المجرمين لو كانت الهاء والميم اللتان فى قوله عن ذنوبهم لمن الذى فى قوله من هو أشد منه قوة من دون المؤمنين يعنى لانه غير مسؤل عن ذلك مؤمن ولا كافر الا الذين ركبوه واكتسبوه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم) يقول تعالى ذكره فخرج قارون على قومه فى زينته وهى فيما ذكر ثياب الارجوان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا طلحة بن عمرو عن أبى الزبير عن جابر فخرج على قومه فى زينته قال فى القرمز قال حدثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فخرج على قومه فى زينته قال فى ثياب حمر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فخرج على قومه فى زينته قال على براذين بيض عليها سروج الارجوان عليهم المعصفرات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فخرج على قومه فى زينته قال عليه ثوبان معصفران وقال ابن جريج على بغلة شهباء عليها الارجوان وثلثمائة جارية على البغال الشهب عليهن ثياب حمر حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى وعمر بن عمان عن مبارك عن الحسن فخرج على قومه فى زينته قال فى ثياب حمر وصفر حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك أنه سمع ابراهيم النخعى قال فى هذه الآية فخرج على قومه فى زينته قال فى ثياب حمر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن سماك عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر قال ثنا شعبة عن سماك عن ابراهيم مثله حدثنا محمد ابن عمرو بن على المقدمى قال ثنا اسمعيل بن حكيم قال دخلنا على مالك بن دينار عشية واذا هو فى ذكر قارون قال واذا رجل من جيرانه عليه ثياب معصفرة قال فقال مالك فخرج على قومه فى زينته قال فى ثياب مثل ثياب هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فخرج على قومه فى زينته ذكر لنا انهم خرجوا على أربعة آلاف دابة عليهم وعلى دوابهم الارجوان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فخرج على قومه فى زينته قال خرج فى سبعين ألفا عليهم المعصفرات فيما كان أبى يذكر لنا قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون يقول تعالى ذكره قال الذين يريدون زينة الحياة الدنيا من قوم قارون ياليتنا أعطينا مثل ما أعطى قارون من زينتها انه لذو حظ عظيم يقول ان قارون لذو نصيب من الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون) يقول تعالى ذكره وقال الذين أوتوا العلم بالله حين رأوا قارون خارجا عليهم فى زينته الذين

السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه قال الكلبى أفلا تسمعون معناه أفلا تطيعون من يفعل ذلك وقوله أفلا تبصرون معناه أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ والضلال وقال أهل البرهان قدم الليل على النهار لان ذهاب الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل وانما ختم الآية الاولى بقوله افلا تسمعون بناء على الليل وختم الاخرى بقوله افلا تبصرون بناء على النهار والنهار مبصر وآية النهار مبصرة ثم بين ان من رحمته زاوجه بين الليل والنهار لتسكنوا فى الليل ولتبتغوا من فضله فى النهار ولارادة الشكر على النعمتين جميعا وفى الآية طريقة اللف ثقة بفهم السامع وذلك لان السكون بالنهار وان كان ممكنا وكذا الابتغاء من فضل الله بالليل الا أن الاليق بكل واحد منهما ما ذكره فلهذا خصه به وفى تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء دليل على انه لا شئ أحط عند الله من الاشراك به و يعلم منه أنه لا شئ أجلب لرضاه من الشهادة بوحدانيته وفحوى الخطاب أين الذين ادعيتم الهيتهم لتخلصكم أو أين الذين قلتم انهم تقربكم الى الله زلفى وقد علموا أن لا اله الا الله فيكون ذلك زيادة

فى غمهم ومعنى ونزعنا وأخرجنا من كل أمة شهيدا قال بعضهم هو نبيهم لان الانبياء يشهدون انهم بلغوا أممهم الدلائل و بالغوا فى ايضاحها كل غاية ليعلم أن التقصير منهم فيكون ذلك زيادة فى غمهم أيضا وقال آخرون بل هم الشهداء الذين يشهدون على الناس فى كل زمان و يدخل فى جملتهم الانبياء وهذا أقرب لانه تعالى عم كل جماعة بان ينزع منهم الشهيد فيدخل فيه أزمنة الفترات والازمنة التى بعد محمد صلى الله عليه

وسلم فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك وخلاف الرسول فعلموا حينئذ أن الحق لله ورسوله وغاب عنهم ما كانوا يفترون من الباطل والزور ثم عقب حديث أهل الضلال بقصة قارون وهو اسم أعجمي ولهذا لم ينصرف بعد العلمية ولو كان فاعولا من قرن لانصرف والظاهر أنه كان ممن آمن بموسى هذا ظاهر نص القرآن ولا يبعد أيضا حمله على القرابة قال الكلبي انه كان ابن عم موسى وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني اسرائيل للتوراة الا أنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والذبح والقربان الى هرون فمالي وفي قوله فبغى عليهم وجوه أحدها ان بغيه استخفافه بالفقراء وثانيها انه ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقال القفال معناه طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت يده الضحاك طغى عليهم واستطال فلم يوافقهم في أمر ابن عباس تجبر وتكبر عليهم ومثله عن شهر بن حوشب قال بغيه انه زاد عليهم في الثياب شبرا فهذا يعود الى التكبر الكلبي بغيه حسده وذلك انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة له والوزارة لهرون وكان القربان الى موسى فجعله الى هرون فوجد قارون في نفسه حسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شئ الى متى أصبر قال موسى هكذا حكم الله قال والله لا أصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني اسرائيل أن يأتي كل واحد بعصا فالقى مجموع العصي في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها فاصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ماهو بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون باتباعه وكان كثير المال كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله وآتيناه من الكنوز سئل الكلبي ألستم تقولون ان الله لا يعطي الحرام فكيف أضاف ايتاء مال قارون الى نفسه فاجاب بانه لا حجة في ان ماله حرام سلطانك لجواز انه ظفر بكنز لبعض الملوك الخالية وكان الظفر عندهم طريق التملك أولعله وصل اليه بالارث من جهات أو بالكسب من جهة المضاربات وغيرها والمفاتح جمع مفتح بكسر الميم وهو ما يفتح به الباب أو جمع مفتح بالفتح وهو الخزانة فمن الناس من طعن في القول الاول لان مال الرجل

قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون ويلكم اتقوا الله وأطيعوه فثواب الله وجزاؤه لمن آمن به وبرسله وعمل بما جاءت به رسله من صالحات الاعمال في الآخرة خير مما أوتي قارون من زينته وماله لقارون وقوله ولا يلقاها الا الصابرون يقول ولا يلقاها أي ولا يوفق لقيل هذه الكلمة وهي قوله ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا والهاء والالف كناية عن الكلمة وقال الا الصابرون يعني بذلك الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا وآثروا ما عند الله من جزيل ثوابه على صالحات الاعمال على لذات الدنيا وشهواتها فجدوا في طاعة الله ورفضوا الحياة الدنيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) يقول تعالى ذكره فخسفنا بقارون وأهل داره وقيل وبداره لانه ذكر ان موسى اذ أمر الارض تأخذه أمرها بأخذه وأخذ من كان معه من جلسائه في داره وكانوا جماعة جلوسا معه وهم على مثل الذي هو عليه من النفاق والموازرة على أذى موسى ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا الاعمش عن المنهال بن عمرو وعن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى فصالحه على كل ألف دينار دينارا وكل ألف شئ شيأ أو قال وكل ألف شاة شاة الطبري يشك قال ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيرا فجمع بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل ان موسى قد أمركم بكل شئ فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وأنت سيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيئوا بفلانة البغي فتجعلوا لها جعلا فتقذفه بنفسها فدعوها فجعل لها جعلا على أن تقذفه بنفسها ثم أتى موسى فقال لموسى ان بني اسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم فخرج اليهم وهم في براح من الارض فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت أو رجمناه حتى يموت الطبري يشك فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة قالت يا لبيك قال أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت لا وكذبوا ولكن جعلوا الي جعلا على أن أقذفك بنفسي فوثب فسجد وهو بينهم فأوحى الله اليه مر الارض بما شئت قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أقدامهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى حقيهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم قال فجعلوا يقولون يا موسى يا موسى ويتضرعون اليه قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم فأوحى الله اليه يا موسى يقول لك عبادي يا موسى يا موسى فلا ترحمهم أما لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال فذلك قول الله فخرج على قومه في زينته وكانت زينته انه خرج على دواب شقر عليها سروج حمر عليهم ثياب مصبغة بالبهرمان قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون الى قوله انه لا يفلح الكافرون يا محمد تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن المنهال عن رجل عن ابن عباس قال لما أمر الله موسى بالزكاة قال رموه بالزنا فجزع من ذلك فأرسلوا الى امرأة كانوا قد أعطوها حكمها على أن ترميه بنفسها فلما جاءت عظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت قالت اذ قد استحلفتني فاني أشهد انك بريء وانك رسول الله فخر ساجدا يبكي فأوحى الله اليه تبارك وتعالى ما يبكيك قد

سلطنالك على الارض فمرها بما شئت فقال خذيهم فاخذتهم الى ماشاء الله فقالوا ياموسى ياموسى
فقال خذيهم فاخذتهم الى ماشاء الله فقالوا ياموسى ياموسى فخسفتهم قال وأصاب بنى اسرائيل بعد
ذلك شدة وجوع شديد فاتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك قال فدعا لهم فاوحى الله اليه ياموسى
أتكلمنى فى قوم قد أظلم ما بينى وبينهم خطاياهم وقد دعوك فلم تجبهم أما اياى لو دعوا لاجبتهم
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فخسفنا به
وبداره الارض قال قيل للارض خذيهم فاخذتهم الى أعقابهم ثم قيل لها خذيهم فاخذتهم الى ركبهم
ثم قيل لها خذيهم فاخذتهم الى أحقابهم ثم قيل لها خذيهم فاخذتهم الى أعناقهم ثم قيل لها خذيهم
فخسف بهم فذلك قوله فخسفنا به وبداره الارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا على
ابن هاشم بن البريد عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ان قارون كان
من قوم موسى قال كان ابن عمه وكان موسى يقضى فى ناحية بنى اسرائيل وقارون فى ناحية قال فدعا
بغية كانت فى بنى اسرائيل فجعل لها جعلا على أن ترمى موسى بنفسها فتركته اذا كان يوم تجتمع
فيه بنو اسرائيل الى موسى أتاه قارون فقال ياموسى ما حد من سرق قال أن تقطع يده قال وان كنت
أنت قال نعم قال فما حد من زنى قال أن يرجم قال وان كنت أنت قال نعم قال فانك قد فعلت قال ويلك
بمن قال بفلانة فدعاها موسى فقال أنشدك بالذى أنزل التوراة أصدق قارون قالت اللهم اذ نشدتنى
فانى أشهد انك برىء وانك رسول الله وان عدو الله قارون جعل لى جعلا على أن أرميك بنفسى قال
فوثب موسى فخر ساجدا لله فأوحى الله اليه أن ارفع رأسك فقد أمرت الارض أن تطيعك فقال
موسى يا أرض خذيهم فاخذتهم حتى بلغوا الحقو قال ياموسى قال خذيهم فاخذتهم حتى بلغوا
الصدور قال ياموسى قال خذيهم قال فذهبوا قال فاوحى الله اليه ياموسى استغاث بك فلم تغثه اما
لو استغاث بى لاجبته ولاغثته حدثنا بشر بن هلال الصواف قال ثنا جعفر بن سليمان الضبعى
قال ثنا على بن زيد بن جدعان قال خرج عبد الله بن الحرث من الدار ودخل المقصورة فلما خرج
منها جلس وتساند عليها وجلسنا اليه فذكر سليمان بن داود وقال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها
قبل أن يأتونى مسلمين الى قوله ان ربى غنى كريم ثم سكت عن ذكر سليمان فقال ان قارون كان من
قوم موسى فبغى عليهم وكان قد أوتى من الكنوز ماذكر الله فى كتابه ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة
أولى القوة قال انما أوتيته على علم عندى قال وعادى موسى وكان مؤذيا له وكان موسى يصفح عنه
ويعفو للقرابة حتى بنى دارا وجعل باب داره من ذهب وضرب على جدر داره صفائح الذهب وكان
الملأ من بنى اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه فلم تدعه
شقوته والبلاء حتى أرسل الى امرأة من بنى اسرائيل مشهورة بالخنا مشهورة بالسب فارسل اليها
فجاءته فقال لها هل لك أن أمولك وأعطيك وأخلطك بنسائى على أن تأتينى والملأ من بنى اسرائيل
عندى فتقولى ياقارون ألا تنهى عنى موسى قالت بلى فلما جلس قارون وجاء الملأ من بنى اسرائيل
أرسل اليها فجاءت فقامت بين يديه فقلب الله قلبها وأحدث لها توبة فقالت فى نفسها الان أحدث اليوم
توبة أفضل من أن أوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعذب عدو الله له فلما تكلمت بهذا الكلام
سقط فى يدى قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف انه قد وقع فى هلكة وشاع كلامها فى الناس
حتى بلغ موسى فاشتد غضبه فتوضأ من الماء وصلى وبكى وقال يارب عدوك لى مؤذ أراد فضيحتى

الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو انا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب لكفاها اعداد قليلة من المفاتيح ولهذا قال أبو رزين يكفى الكوفة مفتاح والجمد
وأيضا الكنوز هى الاموال المدفونة فى الارض ولا يتصور لها مفتاح أجاب الناصرون القول الاول وهو اختيار ابن عباس والحسن ان
المال اذا كان من جنس العروض لا من جنس النقود جاز ان يبلغ فى الكثرة الى هذا الحد وايضا ماروى ان مفاتحه كانت
من جلود الابل وكل مفتاح اصبع
ولكل خزانة مفتاح وكان اذا
ركب حملت المفاتيح ستون بغلا
غير مذكور فى القرآن فالصواب
ان يفسر قوله لتنوء اى تنهض
مثقلا بان تلك الخزائن يعسر
ضبطها ومعرفتها على أهل القوة
فى الحساب وقريب منه قول أبى
مسلم ان المراد من المفاتح العلم
والاحاطة كقوله وعنده مفاتح
الغيب والمراد ان حفظها والاطلاع
عليها يثقل على العصبة اولى القوة
والمتانة فى الرأى وظاهر الكنوز
وان كان من جهة العرف هو المال
المدفون الا انه قد يقع على المال
المجموع فى المواضع التى عليها
اغلاق وايضا لا استبعاد فى ان يكون
موضع المال المدفون بيتا تحت
الارض له غلق ومفتاح معه ولا
تفرح كقوله ولا تفرحوا بما
آتاكم وذلك انه لا يفرح بالدنيا
الا من اطمأن ورضى بها قال ابن
عباس كان حبه ذلك شركا لانه
ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى
وابتغ فيما آتاك الله من المال
والثروة الدار الآخرة يعنى أسباب
حصول سعاداتها من اصناف
الخيرات والمبرات الواجبة
والمندوبة فان ذلك هو نصيب المؤمن
من الدنيا دون الذى يأكل
ويشرب والى هذا أشار بقوله
ولا تنس نصيبك من الدنيا ويحتمل
أن يراد به اللذات المباحة وحين
أمروه بالاحسان المالى أمروه
بالاحسان مطلقا ويدخل فيه الاحسان بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن الغيبة والحضور وفى قوله كما أحسن الله اليك اشارة الى قوله
تعالى لئن شكرتم لازيدنكم والى ما قال الحكماء المكافاة فى الطبيعة واجبة والفساد فى الارض المنهى عنه هو ما كان عليه من الظلم والبغى
وجوز القائل موسى عليه السلام أو مؤمنو قومه وهو ظاهر اللفظ وكيف كان فقد جمع فى هذه الالفاظ من الوعظ مالو قبل لم يكن عليه

مزيد لكنه أبى ان يقبل بل تلقى النصح بكفران النعمة قائلا انما أوتيته على علم عندى وفيه وجوه قال قتادة ومقاتل والكلبى كان قارون
اقرأ بنى اسرائيل للتوراة فقال انما أوتيته لفضل علمى واستحقاقى لذلك وقال سعيد بن المسيب والضحاك ان موسى أنزل عليه الكيمياء من
السماء فعلم قارون ثلث العلم ويوشع ثلثه (٧٠) وطالوت ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وكان يأخذ الرصاص
والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل أراد
علمه بوجوه المكاسب والتجارات
وقيل أراد ان الله أعطانى ذلك
على علم له تعالى بحالى وباستهالى
لذلك وقوله عندى الامر كذلك أى
فى اعتقادى وفى ظنى فاجابه الله
تعالى بقوله أولم يعلم الآية قال
علماء المعانى يجوز ان يكون المعنى
بالاستفهام اثباتا لعلمه لانه قد قرأ
فى التوراة اخبار الامم السالفة
والقرون الخالية وحفظها من
موسى وغيره فكأنه قيل انه قد علم
ذلك فلم اغتر بكثرة ماله وأعوانه
ويجوز ان يراد به نفى العلم لانه لما
تصدى بكونه من أهل العلم حيث
قال على علم عندى وبخه الله تعالى
انه لم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى
به نفسه مصارع الهلكى ووجه
اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم
المجرمون بما قبله انه تعالى اذا
عاقب المجرمين فلا حاجة الى ان
يسألهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها
لانه عالم بكل المعلومات وقال أبو
مسلم أراد انهم لا يسألون سؤال
استيقان وانما يسألون سؤال تقريع
ومحاسبة فخرج على قومه فى زينته
عن الحسن فى الحمرة والصفرة
وقيل خرج على بغلة شهباء عليه
ثوب أحمر أرجوانى وعلى البغلة
سرج من ذهب ومعه أربعة
آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى
خيولهم الديباج الاحمر وعن
يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره
ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى
والثياب الفاخرة وقيل فى تسعين ألفا عليهم الثياب الصفر قال الراغبون فى الحياة العاجلة ياليت لنا مثل
ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم والحظ الجد والبخت عن قتادة كانوا مسلمين تمنوا ذلك رغبة فى الانفاق فى سبيل الخير وقال آخرون كانوا
كفارا وقدمر فى سورة النساء تحقيق الغبطة والحسد فى قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقال الذين أوتوا العلم باحوال

وشينى يارب سلطنى عليه فاوحى الله اليه أن مر الارض بما شئت تطعك فجاء موسى الى قارون فلما
دخل عليه عرف الشر فى وجه موسى فقال ياموسى ارحمنى قال يا أرض خذيهم قال فاضطربت داره
وساخت بقارون وأصحابه الى الكعبين وجعل يقول ياموسى فاخذتهم الى ركبهم وهو يتضرع
الى موسى ياموسى ارحمنى قال يا أرض خذيهم قال فاضطربت داره وساخت وخسف بقارون
وأصحابه الى سررهم وهو يتضرع الى موسى ياموسى ارحمنى قال يا أرض خذيهم فخسف به وبداره
وأصحابه قال وقيل لموسى صلى الله عليه وسلم ياموسى ما أفظك أما وعزتى لو اياى نادى لاجبته
حدثنى بشر بن هلال قال ثنا جعفر بن سليمان عن أبى عمران الجونى قال بلغنى انه قيل لموسى
لا أعبد الارض لاحد بعدك أبدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى وعبد الحميد
الحمانى عن سفيان عن الاغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال عبد الحميد عن أبى نصر عن ابن
عباس ولم يذكر ابن مهدى أبا نصر خسف به وبداره الارض قال الارض السابعة حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال بلغنا انه يخسف به كل يوم مائة قامة ولا يبلغ
أسفل الارض الى يوم القيامة فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد
ابن حبان عن جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار قال بلغنى ان قارون يخسف به كل يوم مائة
قامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فخسفنا به وبداره الارض ذكر لنا
انه يخسف به كل يوم قامة وانه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وقوله فما كان له من فئة
ينصرونه من دون الله يقول فلم يكن له جند يرجع اليهم ولا فئة ينصرونه لما نزل به من سخطه بل
تبرؤا منه وما كان من المنتصرين يقول ولا كان هو ممن ينتصر من الله اذا أحل به نقمته فيمتنع لقوته
منها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة فما كان له من فئة ينصرونه أى جند ينصرونه وما عنده منعة يمتنع بها
من الله وقد بينا معنى الفئة فيما مضى وانها الجماعة من الناس وأصلها الجماعة التى يفىء اليها الرجل
عند الحاجة اليهم للعون على العدو ثم تستعمل ذلك العرب فى كل جماعة كانت عونا للرجل وظهرا
له ومنه قول خفاف

فلم أر حيا القاحيا * وخدل بين فاضحة وحجر
أشد على صروف الدهر اذا * وأمر منهم فئة بصبر [٧]

القول فى تأويل قوله تعالى (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) يقول
تعالى ذكره وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس من الدنيا وغناه وكثرة ماله وما بسط له منها بالامس يعنى
قبل أن ينزل به ما نزل من سخط الله وعقابه يقولون ويكأن الله اختلف فى معنى ويكأن الله فاما
قتادة فانه روى عنه فى ذلك قولان أحدهما ما حدثنا به ابن بشار قال ثنا محمد بن خالد بن عثمة
قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال فى قوله ويكأنه قال ألم تر انه حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة ويكأنه أولا ترى انه وحدثنى اسمعيل بن المتوكل الاشجعى قال ثنا
محمد بن كثير قال ثنى معمر عن قتادة ويكأنه قال ألم تر انه والقول الآخر ما حدثنا القاسم

[٧] هكذا هذان البيتان بالاصول وهما غير مستقيمى الوزن والمعنى فليراجعا من مظانهما اه مصححه

اولم

قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة في قوله ويكأن الله يبسط الرزق قال أولم يعلم أن الله ويكأنه أولا يعلم انه وتاول هذا التأويل الذي ذكرناه عن قتادة في ذلك أيضا بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة واستشهد لصحة تاويله ذلك كذلك بقول الشاعر

سألتاني الطلاق ان رأياني * قل مالي قد جئتماني بنكر
ويكأن من يكن له نشب يحبب * ومن يفتقر يعش عيش ضر

وقال بعض نحوي الكوفة ويكأن في كلام العرب تقرير كقول الرجل أما ترى الى صنع الله واحسانه وذكر انه أخبره من سمع اعرابية تقول لزوجها أين ابننا فقال ويكأنه وراء البيت معناه أما ترينه وراء البيت قال وقد يذهب بها بعض النحويين الى انهما كلمتان يريد ويك أنه كأنه قال ويلك اعلم انه وراء الباب فاضمر أعلم قال ولم نجد العرب تعمل الظن مضمرا ولا العلم وأشباهه في أن وذلك انه يبطل اذا كان بين الكلمتين أو في آخر الكلمة فلما أضمر جرى مجرى المتأخر ألا ترى انه لا يجوز في الابتداء أن يقول يا هذا انك قائم ويا هذا ان قمت يريد علمت أو أعلم أو ظننت أو أظن وأما حذف اللام من قولك ويلك حتى تصير ويك فقد تقوله العرب لكثرتها في الكلام قال عنترة

ولقد شفا نفسي وابرأ سقمها * قول الفوارس ويك عنتر اقدم

قال وقال آخرون ان معنى قوله ويكأن وي منفصلة من كان كقولك للرجل وي أما ترى ما بين يديك فقال وي ثم استأنف كأن الله يبسط الرزق وهي تعجب وكأن في معنى الظن والعلم فهذا أوجه يستقيم قال ولم تكتبها العرب منفصلة ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة وقد يجوز أن تكون كثر بها الكلام فوصلت بما ليست منه وقال آخر منهم ان وي تنبيه وكان حرف آخر غيره بمعنى لعل الامر كذا وأظن الامر كذا لان كذا بمنزلة أظن وأحسب وأعلم * وأولى الاقوال في ذلك بالصحة القول الذي ذكرنا عن قتادة من ان معناه ألم تر ألم تعلم للشاهد الذي ذكرنا فيه من قول الشاعر والرواية عن العرب وان ويكان في خط المصحف حرف واحد ومتى وجه ذلك الى غير التأويل الذي ذكرنا عن قتادة فانه يصير حرفين وذلك انه ان وجه الى قول من تأوله بمعنى ويلك اعلم ان الله وجب ان يفصل ويك من ان وذلك خلاف خط جميع المصاحف مع فساده في العربية لما ذكرنا وان وجه الى قول من يقول وي بمعنى التنبيه ثم استئناف الكلام بكان وجب أن يفصل وي من كان وذلك أيضا خلاف خطوط المصاحف كلها فاذا كان ذلك حرفا واحدا فالصواب من التأويل ما قاله قتادة واذ كان ذلك هو الصواب فتأويل الكلام وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالامس يقولون لما عاينوا ما أحل الله به من نقمته ألم تر يا هذا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسع عليه لا لفضل منزلته عنده ولا لكرامته عليه كما كان بسط من ذلك لقارون لا لفضله ولا لكرامته عليه ويقدر يقول ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك ويقتر عليه لا لهوانه عليه ولا لسخطه عمله وقوله لولا ان من الله علينا يقول لولا ان تفضل علينا فصرف عنا ما كنا نتمناه بالامس لخسف بنا واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار سوى شيبة لخسف بنا بضم الخاء وكسر السين وذكر عن شيبة والحسن لخسف بنا بفتح الخاء والسين بمعنى لخسف الله بنا وقوله ويكأنه لا يفلح الكافرون يقول ألم تعلم انه لا يفلح الكافرون فينجح طلباتهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) يقول تعالى ذكره تلك الدار الآخرة

الدنيا وانها عند الآخرة كلاشيء ويلكم وأصله الدعاء بالهلاك الا أنه قد يستعمل في الردع والزجر وطريق النصح والاشفاق والضمير في قوله ولا يلقاها عائد الى الكلمة المذكورة وهي قوله ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا أو الى الثواب بمعنى المثوبة أو بتأويل الجنة أو الى السيرة والطريقة أي لا يلزم هذه السيرة الا الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله وحكم به من الغنى وضده وظاهر حال قارون ينبئ عن انه كان ذا أشر وبطر واستخفاف بحقوق الله واستهانة بنبيه وكتابه فلا جرم خسف الله به وبداره الارض الا أن المفسرين فصلوا فقالوا كان يؤذي نبي الله موسى وهو يداريه للقرابة التي كانت بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثر فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فامر بما شئت فقال ائتوا الى فلانة البغي حتى ترميه بنفسها في جمع بني اسرائيل فجعل لها ألف دينار أو طستا مملوأ من ذهب فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فأوحى الله الى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني

قريبا عجيبا قلت لعل استغاثته كانت مقرونة بالتوبة والا فالعتاب بعيد ثم ان بني اسرائيل أصبحوا يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون
ليستفيد داره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله ومعنى من المنتصرين من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله وأصبح
الذين تمنوا مكانه أي منزلته من الدنيا وأسبابها (٧٢) بالامس أي بالزمان المتقدم يقولون راغبين في طاعة الله والرضا بقضائه وقدره

نجعلها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق في الارض وتجبرا عنه ولا فسادا يقول ولا ظلم الناس
بغير حق وعملا بمعاصي الله فيها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن زياد بن أبي زياد قال سمعت عكرمة
يقول لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا قال العلو التجبر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن
قال ثنا سفيان عن منصور عن مسلم البطين تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في
الارض ولا فسادا قال العلو التكبر في الحق والفساد الاخذ بغير الحق حدثنا ابن وكيع قال ثنا
أبي عن سفيان عن منصور عن مسلم البطين للذين لا يريدون علوا في الارض قال التكبر في الارض بغير
الحق ولا فسادا أخذ المال بغير حق قال حدثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير
للذين لا يريدون علوا في الارض قال البغي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن
ابن جريج قوله للذين لا يريدون علوا في الارض قال تعظما وتجبرا ولا فسادا عملا بالمعاصي حدثنا ابن
وكيع قال ثنا أبي عن أشعث السمان عن أبي سلمان الاعرج عن علي رضي الله عنه قال ان الرجل
ليعجبه من شراك نعله ان يكون أجود من شراك صاحبه فيدخل في قوله تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقوله والعاقبة للمتقين يقول تعالى
ذكره والجنة للمتقين وهم الذين اتقوا معاصي الله وادوا فرائضه وبنحو الذي قلنا في معنى العاقبة
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والعاقبة
للمتقين أي الجنة للمتقين * القول في تأويل قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره من جاء الله يوم القيامة
باخلاص التوحيد فله خير وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم ومن جاء بالسيئة وهي الشرك بالله كما
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من جاء بالحسنة فله خير منها أي له منها حظ خير
والحسنة الاخلاص والسيئة الشرك وقد بينا ذلك باختلاف المختلفين ودللنا على الصواب من القول
فيه وقوله فلا يجزى الذين عملوا السيئات يقول فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة الا
ما كانوا يعملون يقول الا جزاء ما كانوا يعملون * القول في تأويل قوله تعالى (ان الذي فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين) يقول تعالى
ذكره ان الذي أنزل عليك يا محمد القرآن كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن
ابن جريج عن مجاهد في قوله ان الذي فرض عليك القرآن قال الذي أعطاك القرآن حدثني محمد
ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان الذي فرض عليك القرآن قال الذي أعطاكه
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله لرادك الى معاد فقال بعضهم معناه لمصيرك الى الجنة ذكر
من قال ذلك حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشر عن خصيف
عن عكرمة عن ابن عباس لرادك الى معاد قال الى معدنك من الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن
مهدي عن سفيان عن الاعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الى الجنة حدثنا ابن
وكيع قال ثني أبي عن ابراهيم بن حبان سمعت أبا جعفر عن ابن عباس عن أبي سعيد الخدري لرادك
الى معاد قال معاده آخرته الجنة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن
أبي

ويكأن الله من قرأ وي مفصولة عن كأن وهو مذهب الخليل وسيبويه فهي كلمة تنبيه عن الخطأ وتندم كأنهم تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون أي ما أشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح نظير هذا الاستعمال قال الشاعر ويكأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعيش عيش ضر وعند الكوفيين ويك بمعنى ويلك أي ألم تعلم انه لا يفلح الكافرون حكى هذا القول قطرب عن يونس وجوز جار الله ان يكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي واللام مقدر وقيل ان لبيان المقول لاجله هذا القول والتعليل أي لانه لا يفلح الكفار كان ذلك الخسف قال في الكشاف قوله تلك تعظيم للدار الآخرة وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت ذكرها وبلغك صفتها ووصفها قلت يحتمل أن يكون للتبعيد حقيقة وفي قوله لا يريدون دون أن يقول يتركون زجر عظيم ووعظ بليغ كقوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا حيث علق الوعيد بالركون عن علي ان الرجل يعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحته ومن الناس من رد العلو الى فرعون والفساد الى قارون لقوله تعالى ان فرعون علا في الارض وقال في قصة قارون ولا تبغ الفساد في الارض وضعف
هذا التخصيص بين لقوله في خاتم الآية والعاقبة للمتقين قوله من جاء بالحسنة الآية قد مر تفسير مثله في
آخر الانعام وفي آخر النمل وقوله فلا يجزى الذين عملوا السيئات من وضع الظاهر موضع المضمر اذ كان يكفي أن يقال فلا تجزون الا أنه أراد
فضل تهجين لحالهم باسناد عمل السيئات اليهم مكررا وفي ذلك لطف بالسامعين في زيادة تبغيض السيئة الى قلوبهم ثم أراد أن يسلي رسوله في

خاتمة السورة فقال ان الذى فرض عليك القرآن أى أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد وأى معاد فتنكير المعاد للتعظيم وانه ليس لغيره من البشر مثله يعنى أن الذى حملك صعوبة تكليف التبليغ وما يتصل به لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف وقيل أراد عوده الى مكة يوم الفتح ووجه التنكير ظاهر لان مكة يومئذ كانت معادا له شأن لغلبة المسلمين وظهور عز الاسلام وأهله

أبى مالك فى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الى الجنة ليسألك عن القرآن حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى عن أبى صالح قال الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن سفيان عن السدى عن أبى صالح لرادك الى معاد قال الى الجنة حدثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدى عن أبى مالك قال يردك الى الجنة ثم يسألك عن القرآن حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن جابر عن عكرمة ومجاهد قالا الى الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة وعطاء ومجاهد وأبى قزعة والحسن قالوا يوم القيامة قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لرادك الى معاد قال يجىء بك يوم القيامة قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن والزهرى قالا معاده يوم القيامة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لرادك الى معاد قال يجىء بك يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عون عن الحسن فى قوله لرادك الى معاد قال معادك من الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله لرادك الى معاد قال كان الحسن يقول اى والله ان له لمعادا يبعثه الله يوم القيامة ويدخله الجنة وقال آخرون معنى ذلك لرادك الى الموت ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن وهب الواسطى قال ثنا محمد بن عبد الله الزبيرى قال ثنا سفيان بن سعيد الثورى عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لرادك الى معاد قال الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدى عن رجل عن ابن عباس قال الى الموت قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر عن سعيد لرادك الى معاد قال الى الموت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى عمن سمع ابن عباس قال الى الموت حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن سفيان عن الاعمش عن سعيد بن جبير قال الى الموت حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن رجل عن سعيد بن جبير فى قوله لرادك الى معاد قال الموت حدثنا القاسم قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر بن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الى الموت أو الى مكة وقال آخرون بل معنى ذلك لرادك الى الموضع الذى خرجت منه وهو مكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى بن عبيد عن سفيان العصفرى عن عكرمة عن ابن عباس لرادك الى معاد قال الى مكة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لرادك الى معاد قال يقول لرادك الى مكة كما أخرجك منها حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال أخبرنا يونس بن أبى اسحق عن مجاهد قال مولده بمكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن يونس بن أبى اسحق قال سمعت مجاهدا يقول لرادك الى معاد قال الى مولدك بمكة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن عمرو وهو ابن أبى اسحق عن مجاهد فى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الى مولدك بمكة حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبى عن الفضيل بن مرزوق عن مجاهد أبى الحجاج فى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الى مولده بمكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عيسى بن يونس عن أبيه عن مجاهد قال الى مولدك بمكة * والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال الى

وذل أهل الشرك وحزبه والسورة مكية فقيل وعده وهو بمكة فى أذى من أهلها انه مهاجر بالنبى منها ويعيده اليها فى ظفر ودولة وقيل نزلت عليه هذه الآية حين بلغ الجحفة فى مهاجره وقد اشتاق الى وطنه وفى الآية اخبار عن الغيب وقد وقع كما أخبر فيكون فيه اعجاز دال على نبوته وحين وعد رسوله الرد الى المعاد المعتبر قال قل لاهل الشرك ربى أعلم يعنى نفسه واياهم بما يستحقه كل من الفريقين فى معاده ولا يخفى ان هذا الكلام منتصب واثق بصدقه وحقيته ثم ذكر رسوله ما أنعم به عليه فقال وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة قال أهل العربية هذا الاستثناء محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقى اليك الكتاب الا لاجل الرحمة أو الا بمعنى لكن أى ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك ثم نهاه عن اتباع أهواء أهل الشرك وقدم مرارا أن مثل هذا النهى من باب التهييج له ولامته ثم ان مرجع الكل اليه فقال كل شئ هالك الا وجهه فمن الناس من فسر الهلاك بالعدم أى يعدم كل شئ سواه والوجه يعبر به عن الذات ومنهم من فسر الهلاك بخروجه عن كونه منتفعا به منفعته الخاصة به اما بالاماتة أو بتفريق الاجزاء كما يقال هلك الثوب وهلك المتاع وقال أهل التحقيق معنى الهلاك كونه فى حيز الامكان غير مستحق الوجود ولا العدم من عند ذاته وان سميت المعدوم شيأ

فممتنع الوجود أحق كل شئ بان يسمى هالكا كما استدلت المعتزلة بالآية على أن الجنة والنار غير مخلوقتين لانهما لو كانتا مخلوقتين لعرض لهما الفناء بحكم الآية وهذا يناقض قوله أكلها دائم وعورض بقوله أعدت للكافرين ويحتمل أن يقال الكل بمعنى الاكثر ومن هنا قال

عادتك من الموت أو الى عادتك حيث ولدت وذلك ان المعاد في هذا الموضع المفعل من العادة ليس من العود الا ان يوجه موجه تأويل قوله لرادك لمصيرك فيتوجه حينئذ قوله الى معاد الى معنى العود ويكون تأويله ان الذى فرض عليك القرآن لمصيرك الى ان تعود الى مكة مفتوحة لك فان قال قائل فهذه الوجوه التى وصفت فى ذلك قد فهمناها فما وجه تأويل من تأوله بمعنى لرادك الى الجنة قيل ينبغى أن يكون وجه تأويله ذلك كذلك على هذا الوجه الآخر وهو لمصيرك الى ان تعود الى الجنة فان قال قائل أو كان أخرج من الجنة فيقال له نحن نعيدك اليها قيل لذلك وجهان أحدهما انه ان كان أبوه آدم صلى الله عليهما أخرج منها فكان ولده باخراج الله اياه منها قد أخرجوا منها فمن دخلها فكانما يرد اليها بعد الخروج والثانى ان يقال انه كان صلى الله عليه وسلم دخلها ليلة أسرى به كما روى عنه انه قال دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا فقلت لمن هذا فقالوا لعمر بن الخطاب ونحو ذلك من الاخبار التى رويت عنه بذلك ثم رد الى الارض فيقال له ان الذى فرض عليك القرآن لرادك لمصيرك الى الموضع الذى خرجت منه من الجنة الى ان تعود اليه فذلك ان شاء الله قول من قال ذلك وقوله قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين ربى أعلم من جاء بالهدى الذى من سلكه نجا ومن هو فى جور عن قصد السبيل منا ومنكم وقوله مبين يعنى انه يبين للمفكر الفهم اذا تأمله وتدبره انه ضلال وجور عن الهدى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين) يقول تعالى ذكره وما كنت ترجو يا محمد ان ينزل عليك هذا القرآن فتعلم الانبياء والاخبار عن الماضين قبلك والحادثة بعدك مما لم يكن بعد مما لم تشهده ولا تشهده ثم تتلو ذلك على قومك من قريش الا ان ربك رحمك فأنزله عليك فقوله الا رحمة من ربك استثناء منقطع وقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين يقول فاحمد ربك على ما أنعم به عليك من رحمته اياك بانزاله عليك هذا الكتاب ولا تكونن عونا لمن كفر بربك على كفره به وقيل ان ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وان معنى الكلام ان الذى فرض عليك القرآن فأنزله عليك وما كنت ترجو أن ينزل عليك فتكون نبيا قبل ذلك لرادك الى معاد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين) يقول تعالى ذكره ولا يصرفنك عن تبليغ آيات الله وحججه بعد أن أنزلها اليك ربك يا محمد هؤلاء المشركون بقولهم لولا أوتى مثل ما أوتى موسى وادع الى ربك وبلغ رسالته الى من أرسلك اليه بها ولا تكونن من المشركين يقول ولا تتركن الدعاء الى ربك وتبليغ المشركين رسالته فتكون ممن فعل فعل المشركين بمعصية ربه وخلافه أمره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) يقول تعالى ذكره ولا تعبد يا محمد مع معبودك الذى له عبادة كل شئ معبودا آخر سواه وقوله لا اله الا هو يقول لا معبود تصلح له العبادة الا الله الذى كل شئ هالك الا وجهه واختلف فى معنى قوله الا وجهه فقال بعضهم معناه كل شئ هالك الا هو وقال آخرون معنى ذلك الا ما أريد به وجهه واستشهدوا التأويلهم ذلك كذلك بقول الشاعر

الضحاك كل شئ هالك الا الله والعرش والجنة والنار وقيل الا العلماء فان علمهم باق ويمكن أن يقال ان زمان فناء الجنة لما كان قليلا بالنسبة الى زمان بقائها فلا جرم أطلق لفظ الدوام عليه ومن فسر الهلاك بالامكان فلا اشكال والله أعلم * التأويل أرأيتم ان جعل الله عليكم ليل الفراق عند استيلاء ظلمة البشرية سرمدا من اله غير الله يأتيكم بضياء نهار الوصل والتجلى قل أرأيتم ان جعل الله عليكم نهار الوصل بطلوع شمس التجلى سرمدا من اله غير الله يأتيكم بليل سر (٧٤) تسكنون فيه عن وعثاء سطوة التجلى ومن رحمته جعل لكم ليل السر ونهار التجلى فان العاشق لو دام فى التجلى كاد يستهلك وجوده وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبى وقال لعائشة كلمينى يا حميراء وذلك لتخرجه من سطوات شمس التجلى الى سرظل البشرية ليستريح من التعب والنصب وليس هذا السر من قبيل الحجاب وانما هو من جملة الرحمة واللطف نظيره الشمس فى عالم الصورة فانها فى خط الاستواء تحرق وفى الآفاق الرحوية لا تؤثر وفى الآفاق الحلية يعتدل الحر والبرد فتكثر العمارة وتسهل ويعيش الحيوان ونزعنا من كل أمة من أرباب النفوس شهيدا هو القلب الحاضر فقلنا هاتوا برهانكم وهو حقيقة التوحيد التى لا تحصل بالعقل الا بجذبة خطاب الحق فعلموا بتلك البراهين القاطعة أن الحق لله ان قارون النفس كان من قوم موسى القلب لان الله تعالى جعل النفس تبعا للقلب وجعل سعادتها فى متابعته وآتيناه من الكنوز المودعة فى صفاتها قد أهلك من قبله من القرون كابليس فانه أكثر علما وطاعة فى زينته هى التى زين حبها للناس من النساء والبنين وغير ذلك قال الذين يريدون الحياة الدنيا وهم صفات النفس وقال الذين أوتوا العلم وهم صفات الروح فخسفنا به الارض دركات السفل وبداره وهى قالبه أرض جهنم يتغلغل فيها الى يوم القيامة بل الى الابد نجعلها للذين لا يريدون كما قال استغفر فى بعض الكتب المنزلة عبدى أنا ملك حى لا أموت أبدا أطعنى أجعلك ملكا حيا لا تموت أبدا عبدى أنا ملك اذا قلت لشئ كن فيكون أطعنى أجعلك ملكا اذا قلت لشئ كن فيكون وعن النبى صلى الله عليه وسلم عنوان كتاب الله الى عباده المؤمنين من الملك الحى الذى لا يموت الى الملك الحى الذى لا يموت ان الذى فرض أى أوجب عليك التخلق بخلق القرآن لرادك الى معاد هو مقام الفناء فى الله والبقاء به قل ربى أعلم من جاء

بالهدى؛ وهو بذلك الوجود المجازي في الوجود الحقيقي الا رحمة من ربك أي الا أنا ألقينا الكتاب اليك القاء الا كسيرعلى النحاس فتطلقت بخلق القرآن والله المستعان *(سورة العنكبوت وهي مكية حروفها ٤٢١٧ كلماتها ٧٨٠ آياتها ٦٩ آية)*(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الله الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو (٧٥) لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فانجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) *الوقوف الم كوفي لا يفتنون ○ الكاذبين ○ يسبقونا ط يحكمون ○ ج لآت ط العليم ○ لنفسه ط العالمين ○ يعملون ○ حسنا ط فلا تطعهما ط يعملون ○ الصالحين ○ كعذاب الله ط

أستغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد اليه الوجه والعمل

وقوله له الحكم يقول له الحكم بين خلقه دون غيره ليس لأحد غيره معه فيهم حكم واليه ترجعون يقول واليه تردون من بعد مماتكم فيقضي بينكم بالعدل فيجازي مؤمنيكم جزاءهم وكفاركم ما وعدهم آخر تفسير سورة القصص

(تفسير سورة العنكبوت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله تعالى (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) قال أبو جعفر وقد بينا معنى قول الله تعالى ذكره الم وذكرنا أقوال أهل التأويل في تأويله والذي هو أولى بالصواب من أقوالهم عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه أظن الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين اياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء امتحان بان قالوا آمنا بك يا محمد فصدقناك فيما جئتنا به من عند الله كلا لنختبرهم ليتبين الصادق منهم من الكاذب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله آمنا وهم لا يفتنون قال يبتلون في أنفسهم وأموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثني يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم لا يفتنون أي لا يبتلون حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد في قوله وهم لا يفتنون قال لا يبتلون فان الاولى منصوبة بحسب والثانية منصوبة في قول بعض أهل العربية بتعلق يتركوا بها وان معنى الكلام على قوله أحسب الناس أن يتركوا لان يقولوا آمنا فلما حذفت اللام الخافضة من لان نصبت على ما ذكرت وأما على قول غيره فهي في موضع خفض باضمار الخافض ولا تكاد العرب تقول تركت فلانا أن يذهب فتدخل ان في الكلام وانما تقول تركته يذهب وانما أدخلت ان ههنا لاكتفاء الكلام بقوله أن يتركوا اذ كان معناه أحسب الناس أن يتركوا وهم لا يفتنون من أجل أن يقولوا آمنا فكان قوله أن يتركوا مكتفية بوقوعها على الناس دون أخبارهم وان جعلت ان في قوله أن يقولوا منصوبة بنية تكرير أحسب كان جائزا فيكون معنى الكلام أحسب الناس أن يتركوا أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) يقول تعالى ذكره ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الامم ممن أرسلنا اليهم رسلنا فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد باعدائهم وتمكيننا اياهم من أذاهم كموسى اذ أرسلناه الى بني اسرائيل فابتليناهم بفرعون وملائه وكعيسى اذ أرسلناه الى بني اسرائيل فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه فكذلك ابتلينا اتباعك بمخالفيك من أعدائك فليعلمن الله الذين صدقوا منهم في قيلهم آمنا وليعلمن الكاذبين منهم في قيلهم ذلك والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار وفي حال الاختبار وبعد

معكم ط العالمين ○ المنافقين ○ خطاياكم ط شئ ط لكاذبون ○ مع أثقالهم ط فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين يفترون ○ عاما ط لحق الحذف أي فلم يؤمنوا فأخذهم الطوفان ط ظالمون ○ للعالمين ○ *التفسير انه سبحانه لما قال في خواتيم السورة المتقدمة ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أي الى مكة ظاهرا ظافرا وكان في ذلك الرد من احتمال مشاق الحوادث ما كان قال بعده الم أحسب الناس الى قوله وهم لا يفتنون بالجهاد أو نقول لما أمر بالدعاء الى الدين القويم في قوله وادع الى ربك وكان دونه محن

الاختبار ولكن معنى ذلك وليظهرن الله صدق الصادقين منهم فى قيله آمنا بانه من كذب الكاذب منهم بابتلائه اياه بعدوه ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه على نحو ما قد بيناه فيما مضى قبل وذكران هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين عذبهم المشركون ففتن بعضهم وصبر بعضهم على اذاهم حتى أتاهم الله بفرج من عنده ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول نزلت يعنى هذه الآية الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا الى قوله وليعلمن الكاذبين فى عمار بن ياسر اذ كان يعذب فى الله وقال آخرون بل نزل ذلك من أجل قوم كانوا قد أظهروا الاسلام بمكة وتخلفوا عن الهجرة والفتنة التى فتن بها هؤلاء القوم على مقالة هؤلاء هى الهجرة التى امتحنوا بها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد بن مطر عن الشعبى قال انما نزلت يعنى الم أحسب الناس أن يتركوا الآيتين فى اناس كانوا بمكة اقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب محمد نبى الله صلى الله عليه وسلم من المدينة انه لا يقبل منكم اقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فردوهم فنزلت فيهم هذه الآية فكتبوا اليهم انه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا فقالوا نخرج فان اتبعنا أحد قاتلناه قال فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ثم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولقد فتنا قال ابتلينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد ولقد فتنا الذين من قبلهم قال ابتلينا الذين من قبلهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم أى ابتلينا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا ساء ما يحكمون) يقول تعالى ذكره أم حسب الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره وهم المعنيون بقوله الذين يعملون السيآت أن يسبقونا يقول أن يعجزونا فيفوتونا بانفسهم فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم حسب الذين يعملون السيآت أى أهل الشرك أن يسبقونا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن يسبقونا أن يعجزونا وقوله تعالى ذكره ساء حكمهم الذى يحكمون بان هؤلاء الذين يعملون السيآت يسبقوننا بانفسهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين) يقول تعالى ذكره من كان يرجو الله يوم لقائه ويطمع فى ثوابه فان أجل الله الذى أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريبا وهو السميع يقول والله الذى يرجو هذا الراجى بلقائه ثوابه السميع لقوله

المتاعب واعباء الرسالة ما لا يخفى بدأ السورة بما يهون على النفس بعض ذلك وأيضا لما بين ان كل ما الثه ورجوع اليه ركعلى منكرى الحشر بان الامر ليس على ما حسبوه ولكنهم يكلفون فى دار الدنيا ثم يرجعون الى مقام الجزاء والحساب قال أهل البرهان وقوع الاستفهام بعد الم يدل على استقلالها وانقطاعها عما بعدها فى هذه السورة وفى غيرها من السور وفى تصدير السورة بامثال هذه الحروف تنبيه المخاطب وايقاظ له من سنة الغفلة كما تقدم لذلك كلام له معنى مفهوم كقول القائل اسمع وكن لى ولا تقدم الا اذا كان فى الحديث شائق وبالخطاب اهتمام ولهذا ورد بعد هذه الحروف ذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن الذى لا يخفى غناؤه والاهتمام بشأنه كقوله الم ذلك الكتاب الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب أنزل اليك يس والقرآن ص والقرآن الم تنزيل الكتاب الا ثلاث سور كهيعص الم أحسب الناس الم غلبت الروم ولا يخفى ان ما بعد حروف التهجى فيها من الامور العظام التى يحق ان ينبه عليها بيانه فى هذه السورة ان القرآن ثقله وعبؤه بما فيه من التكاليف وبيانه فى سورة مريم ظاهر لان خلق الولد فيما بين الشيخ الفانى والعجوز العاقر معجز وكذا الاخبار عن غلبة الروم قبل وقوعها ومعنى الآية راجع الى ان الناس لا يتركون بمجرد التلفظ بكلمة الايمان بل يؤمرون بانواع التكاليف واختلفوا فى سبب نزولها فقيل نزلت فى عمار بن ياسر والوليد بن الوليد ومسلمة بن هاشم وكانوا يعذبون بمكة وقيل نزلت فى أقوام هاجروا وتبعهم الكفار فاستشهد بعضهم ونجا الباقون وقيل فى مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب وهو أول قتيل من المسلمين رماه عامر بن الحضرمى يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة قال جار الله مفعولا الحسبان الترك وعلته والتقدير أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا قال والترك بمعنى التصيير فقوله وهم لا يفتنون حال سد مسد ثانى مفعوليه وقال آخرون تقديره أحسبوا أنفسهم متروكة غير مفتونين لان قالوا آمنا وأقول ان من خواص ان مع الفعل وان مع جزئيه سدها مسد مفعولى أفعال القلوب والحكم بان الترك ههنا بمعنى التصيير غير لازم ثم لما ذكر ان المؤمنين قوله سبحانه فى موضع آخر أم حسبتم ان تتركوا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف

آمنا بالله العليم بصدق قيله انه قد آمن من كذبه فيه وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه لانه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده والهرب من العقاب فليس بالله الى فعله ذلك حاجة وذلك ان الله غنى عن جميع خلقه له الملك والخلق والامر

القول فى تأويل قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره والذين آمنوا بالله ورسوله فصح ايمانهم عند ابتلاء الله اياهم وفتنته لهم ولم يرتدوا عن أديانهم باذى المشركين اياهم وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم التى سلفت منهم فى شركهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون يقول ولنثيبنهم على صالحات أعمالهم فى اسلامهم أحسن ما كانوا يعملون فى حال شركهم مع تكفيرنا سيآت أعمالهم

القول فى تأويل قوله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره ووصينا الانسان فيما أنزلنا الى رسولنا بوالديه أن يفعل بهما حسنا واختلف أهل العربية فى وجه نصب الحسن فقال بعض نحوى البصرة نصب ذلك على نية تكرير وصينا وكان معنى الكلام عنده ووصينا الانسان بوالديه ووصيناه حسنا وقال قد يقول الرجل وصيته خيرا أى بخير وقال بعض نحوى الكوفة معنى ذلك ووصينا الانسان أن يفعل حسنا ولكن العرب تسقط من الكلام بعضه اذا كان فيما بقى الدلالة على ما سقط وتعمل ما بقى فيما كان يعمل فيه المحذوف فنصب قوله حسنا وان كان المعنى ما وصفت وصينا لانه قد ناب عن الساقط وأنشد فى ذلك

عجبت من دهماء اذ تشكونا * ومن أبى دهماء اذ توصينا * خيرا بها كأنما خافونا

وقال معنى قوله توصينا خيرا ان نفعل بها خيرا فاكتفى بتوصينا منه وقال ذلك نحو قوله فطفق مسحا بالسوق أى يمسح مسحا وقوله وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما يقول ووصينا الانسان فقلنا له ان جاهداك والداك لتشرك بى ما ليس لك به علم انه ليس لى شريك فلا تطعهما فتشرك بى ما ليس لك به علم ابتغاء مرضاتهما ولكن خالفهما فى ذلك الى مرجعكم يقول تعالى ذكره الى معادكم ومصيركم يوم القيامة فانبئكم بما كنتم تعملون يقول فاخبركم بما كنتم تعملون فى الدنيا من صالح الاعمال وسيآتها ثم أجازيكم عليها المحسن بالاحسان والمسىء بما هو أهله وذكر ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب سعد بن أبى وقاص ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى قوله فانبئكم بما كنتم تعملون قال نزلت فى سعد بن أبى وقاص لما هاجر قالت أمه والله لا يظلنى بيت حتى يرجع فأنزل الله فى ذلك أن يحسن اليهما ولا يطيعهما فى الشرك

القول فى تأويل قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) يقول تعالى ذكره والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من الاعمال وذلك أن يؤدوا فرائض الله ويجتنبوا محارمه لندخلنهم فى الصالحين فى مدخل الصالحين وذلك الجنة

القول فى تأويل قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما فى صدور

من مفارقة الاوطان وكل ما يقصو ينتلون من ملاقاة الاعداء والمصابرة على أذاهم وشأنه ما تكرهه النفس والتحقيق ان المقصود من خلق البشر هو العبادة الخالصة لله فاذا قال باللسان آمنت فقد ادعى طاعة الله بالجنان فلا بد له من شهود وهو الاتيان بالاركان واذا حصل الشهود فلا بد له من مزك وهو بذل النفس والمال فى سبيل الرحمن فمعنى الآية احسبوا ان يقبل منهم دعواهم بلا شهود أو شهود بلا مزك أو المراد احسبوا ان يتركوا فى أول المقامات لا بل ينقلون الى أعلى الدرجات وهو مقام الاخلاص والقربات ثم مثل حال هؤلاء بحال السلف منهم قائلا ولقد فتنا الذين من قبلهم أراد كذلك فعل الله بمن قبلهم لم يتركهم بمجرد قولهم آمنا بل أمرهم بالطاعات وزجرهم عن المنهيات وقوله فليعلمن الله كقوله وليعلم الله وقد مر تحقيقه فى آل عمران والحاصل أن التجدد يرجع الى المعلوم لا الى العالم ولا الى العلم وذلك لان الاول زمانى دون الاخيرين وأما عبارات المفسرين فقال مقاتل فليرين الله وليظهرن الله وقيل فليميزن وجوز جار الله أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين قال الامام فخر الدين الرازى فى وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبى العهد بالاسلام فى أول ايجاب التكاليف وعن قوم مستديمى الكفر مستمرين عليه فقال فى حق الاولين الذين صدقوا بصيغة الفعل المنبئ عن التجدد وقال فى حق الآخرين وليعلمن الكاذبين بالصيغة المنبئة عن الثبات وانما قال يوم ينفع الصادقين صدقهم بلفظ اسم الفاعل لان الصدق يومئذ قد ترسخ فى قلوب المؤمنين بخلاف أوائل الاسلام ثم بين بقوله أم حسب الذين الخ ان من كلف بشئ ولم يمتثل عذب فى الحال وان لم يعذب فى الاستقبال نظيره قوله ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا والحاصل ان الامهال لا يوجب الاهمال والتعجيل فى جزاء الاعمال انما يوجد ممن يخاف الفوت لولا الاستعجال ومعنى الاضراب ان هذا الحسبان أشنع من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ولهذا اختتم الآية بقوله ساء ما يحكمون والمخصوص محذوف وما موصولة أو مبهمة والتقدير بئس الذى يحكمون حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا وفى الآية ابطال قول من ذهب الى أن التكاليف ارشادات والايعاد عليه ترغيب وترهيب ولا يوجب من الله تعذيب واعلم ان أصول الدين ثلاثة معرفة المبدأ وأشار اليه بقوله آمنا ومعرفة

العالمين) يقول تعالى ذكره ومن الناس من يقول أقررنا بالله فوحدناه فاذا آذاه المشركون فى اقراره بالله جعل فتنة الناس اياه فى الدنيا كعذاب الله فى الآخرة فارتد عن ايمانه بالله راجعا على الكفر به ولئن جاء نصر من ربك يا محمد أهل الايمان به ليقولن هؤلاء المرتدون عن ايمانهم الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله انا كنا أيها المؤمنون معكم ننصركم على اعدائكم كذبا وافكا يقول الله أوليس الله بأعلم أيها القوم من كل أحد بما فى صدور جميع خلقه القائلين آمنا بالله فاذا أوذى فى الله ارتد عن دين الله وغيرهم فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية ولا يستتر عنه سر ولا علانية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال فتنته أن يرتد عن دين الله اذا أوذى فى الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الى قوله وليعلمن المنافقين قال أناس يؤمنون بألسنتهم فاذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة فى أنفسهم افتتنوا فجعلوا ذلك فى الدنيا كعذاب الله فى الآخرة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية نزلت فى ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فاذا أوذوا أصابهم بلاء من المشركين رجعوا الى الكفر مخافة من يؤذيهم وجعلوا أذى الناس فى الدنيا كعذاب الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال هو المنافق اذا أوذى فى الله رجع عن الدين وكفر وجعل فتنة الناس كعذاب الله وذكر ان هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الايمان كانوا بمكة فخرجوا مهاجرين فأدركوا وأخذوا فأعطوا المشركين لما نالهم اذاهم ما أرادوا منهم ذكر الخبر بذلك حدثنا أحمد بن منصور الرمادى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون باسلامهم فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم قبل بعض وقال المسلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم الى آخر الآية قال فكتب الى من بقى بمكة من المسلمين بهذه الآية أن لا عذر لهم فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت فيهم هذه الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الى آخر الآية فكتب المسلمون اليهم بذلك فخرجوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فكتبوا اليهم بذلك ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله الى قوله وليعلمن المنافقين قال هذه الآيات نزلت فى القوم الذين ردهم المشركون الى مكة وهذه الآيات العشر مدنية الى ههنا وسائرها مكى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين)

الوسط وهو ارسال الرسل وايضاح السبل واليه أشار بقوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا ومعرفة المعاد اما للاشقياء وهو قوله أم حسب الآية واما للسعداء وهو قوله من كان يرجو أى يأمل لقاء جزاء الله فان أجل الله لآت فان أراد بالاجل الموت ففيه اشارة الى بقاء النفس بعد فراق البدن فلولا البقاء لما حصل اللقاء كقولك من كان يرجو الخير فان السلطان واصل فانه لا يفهم منه الا ايصال الخير بوصوله ومثله من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ويحتمل ان يراد بالاجل الوقت المضروب للحشر وقيل يرجو بمعنى وهو السميع لاقوال العباد صدقوا أم كذبوا العليم بنياتهم وطوياتهم وبسائر أعمالهم فيجازيهم بالمسموع ما لا اذن سمعت وبالمرئى ما لا عين رأت وبالنيات ما لا خطر على قلب بشر ثم بين بقوله ومن جاهد الآيتان فائدة التكاليف والمجاهدات انما ترجع الى المكلف والله غنى عن كل ذلك قال المتكلمون من الاشاعرة فى الآية دلالة على ان رعاية الاصلح لا تجب على الله والا كان مستكملا بذلك وان أفعاله لا تعلل بغرض لان ذلك خلاف الغنى وانه ليس فى مكان والا لزم افتقاره وانه ليست قادريته بقدرة ولا عالميته بعلم لان القدرة والعلم غيره فيلزم افتقاره ويمكن أن يجاب عن الاول بان وجوب صدور الاصلح عنه لمقتضى الحكمة لا يوجب الاستكمال وعن الثانى بان استتباع الفائدة لا يوجب افتقار المفيد وعن الثالث أن استصحاب المكان غير الافتقار اليه وعن الرابع ان العالم هو ما يغاير ذات الله مع صفاته وفى الآية بشارة من وجه وانذار من وجه آخر وذلك ان الاستغناء عن الكل يوجب غناه عن تعذيب كل فاجر كما أنه يمكن ان يهلك كل صالح ولا شئ عليه الا انه رجح جانب البشارة بقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقد مر مرارا ان الايمان فى الشرع عبارة عن التصديق بجميع ما قال الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفصيلا فيما علم واجمالا فيما لم يعلم والعمل الصالح هو الذى ندب الله ورسوله اليه والفاسد ما نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنه وعند المعتزلة الامر والنهى مترتب على الحسن والقبح ثم العمل الصالح باق لانه فى مقابلة الفاسد والفاسد هو الهالك التالف يقال فسد الزرع اذا خرج عن حد الانتفاع ولكن العمل عرض لا يبقى بنفسه ولا بالعامل لان كل شئ هالك الا وجهه فبقاؤه انما يتصور اذا كان لوجه الله ومنه يعلم ان النية شرط فى

الاعمال الصالحة وهى كونها لله تعالى وبها احتج زفر فى نية الصوم وأبو حنيفة فى نية الوضوء وقدمر انه تعالى ذكر فى مقابلة الايمان والعمل الصالح أمرين تكفير السيئات والجزاء بالاحسن فتكفير السيئات فى مقابلة الايمان والجزاء بالاحسن فى مقابلة العمل الصالح ومنه يعلم ان الايمان يقتضى عدم الخلود فى النار لان الذى كفر سيئاته يدخل الجنة لامحالة فالجزاء الاحسن يكون غير الجنة وهو مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد ان يكون هو الرؤية عند من يقول بها وههنا بحث وهو ان قوله لنكفرن يستدعى وجود السيئات حتى تكفر فالمراد بالذين آمنوا وعملوا ماقوم مذنبون واماقوم مشركون آمنوا فحبط الايمان ماقبله أو يقال ان وعد الجميع باشياء لا يستدعى وعد كل واحد بكل واحد من تلك الاشياء نظيره قول الملك لقوم اذا أطعتمونى أكرم آباءكم واحترم أبناءكم وهذا لا يقتضى ان يكرم آباء من توفى أبوه ويحترم ابن من لم يولد له ابن ولكن مفهومه انه يكرم آباء من له اب ويحترم ابن من له ابن أو يقال مامن مكلف الاوله سيئة حتى الانبياء فان ترك الاولى بالنسبة اليهم سيئة بل حسنات الابرار سيئات المقربين وحين بين حسن التكاليف ووقوعها وذكر ثواب من حقق التكاليف أصولها وفروعها أشار بقوله ووصينا الانسان الآية الى انه لادافع لهذه السيرة ولا مانع لهذه الطريقة فان الانسان اذا انقاد لاحد ينبغى ان ينقاد لابويه ومع هذا لو أمراه بالمعصية لايجوز اتباعهم فكيف غيرهم ومنه يعلم انه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ومعنى وصينا أمرنا كما مر فى قوله ووصى بها ابراهيم وقوله بوالديه أى بتعهدهما ورعاية حقوقهما وعلى هذا ينتصب حسنا بمضمر يدل عليه ماقبله أى أولهما حسنا أوافعل بهما حسنا كأنه قال قلنا له ذلك وقلنا له وان جاهداك الى آخره فلو وقف على قوله بوالديه حسن ويجوز أن يراد وصيناه بايتاء والديه حسنا وقلنا له وان جاهداك وقوله ماليس لك به علم كقوله مالم ينزل به عليكم سلطانا أى لامعلوم ليتعلق العلم به واذا كان التقليد فى الايمان قبيحا فكيف يكون حال التقليد فى الكفر وعلى وجوب ترك طاعة الوالدين اذا أراداولدهما على الاشراك دليل عقلى وذلك ان طاعتهما وجبت بامر الله فاذا تسببا طاعة الله فى الاشراك به فقد أبطلا طاعة الله مطلقا ويلزم منه عدم لزوم طاعة الوالدين بامر الله وكل مايفضى وجوده الى عدمه فهو باطل فطاعة الوالدين فى اتخاذ الشرك بالله

المنافقين) يقول تعالى ذكره وليعلمن الله أولياء الله وحزبه أهل الايمان بالله منكم أيها القوم وليعلمن المنافقين منكم حتى يميزوا كل فريق منكم من الفريق الآخر باظهار الله ذلك منكم بالمحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم الى الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام وتثاقل المتثاقل منكم عنها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله من قريش للذين آمنوا بالله منهم اتبعوا سبيلنا يقول قالوا كونوا على مثل مانحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الاعمال ولنحمل خطاياكم يقول قالوا فانكم ان اتبعتم سبيلنا فى ذلك فبعثتم من الممات وجوزيتم على الاعمال فانا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم قال قول كفار قريش بمكة لمن آمن منهم يقول قالوا لانبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا ان كان عليكم شئ فهو علينا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول فى قوله وقال الذين كفروا هم القادة من الكفار قالوا لمن آمن من الاتباع اتركوا دين محمد واتبعوا ديننا وهذا أعنى قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وان كان خرج مخرج الامر فان فيه تأويل الجزاء ومعناه ماقلت ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كما قال الشاعر

فقلت ادعى وادع فان أندى ۞ لصوت ان ينادى داعيان

يريد ادعى وادع ومعناه ان دعوت دعوت وقوله وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون وهذا تكذيب من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يقول جل ثناؤه كذبوا فى قيلهم ذلك ماهم بحاملين من آثام خطاياهم من شئ انهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم من حمل خطاياهم ان هم اتبعوهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون) يقول تعالى ذكره وليحملن هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزار أنفسهم وآثامها وأوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يكذبونهم فى الدنيا بوعدهم اياهم الاباطيل وقيلهم لهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليحملن أثقالهم أى أوزارهم وأثقالا مع أثقالهم يقول وأوزار من أضلوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقرأ قول الله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء مايزرون فهذا قوله وأثقالا مع أثقالهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش القائلين للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يقول لنبيه محمد

من الممتنعات وفي قوله الى مرجعكم ترغيب في رعاية حقوق الوالدين وترهيب عن عقوقهما وان كانا كافرين الا في الدعاء الى الشرك وفيه أن المجازي المؤمن والمشرك اذا كان هو الله وحده فلا ينبغي أن يعق الوالدين لاجل كفرهما وفي قوله فانبئكم دليل على انه سبحانه عالم بالخفيات لا يعزب عنه شئ يروى ان سعد بن أبي وقاص الزهري حين أسلم قالت أمه وهي حمنة بنت أبي سفيان يا سعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت وان الطعام والشراب علي حرام حتى

تكفر بمحمد وكان أحب ولدها اليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك

صلى الله عليه وسلم لا يحزنك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الاذى فاني وان أمليت لهم فأطلت املاءهم فان مصيرهم الى البوار ومصير أمرك وأمر أصحابك الى العلو والظفر بهم والنجاة مما يحل بهم من العقاب كفعلنا ذلك بنوح اذ أرسلناه الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى التوحيد وفراق الآلهة والاوثان فلم يزدهم ذلك من دعائه اياهم الى الله من الاقبال اليه وقبول ما آتاهم به من النصيحة من عند الله الا فرارا وذكر انه أرسل الى قومه وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة كما حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا عون بن أبي شداد قال ان الله أرسل نوحا الى قومه وهو ابن خمسين وثلثمائة سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلثمائة سنة فأخذهم الطوفان يقول تعالى ذكره فأهلكهم الماء الكثير وكل ماء كثير فاش طام فهو عند العرب طوفان سيلا كان أو غيره وكذلك الموت اذا كان فاشيا كثيرا فهو أيضا عندهم طوفان ومنه قول الراجز * أفناهم طوفان موت جارف * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأخذهم الطوفان قال هو الماء الذي أرسل عليهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول الطوفان الغرق وقوله وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) يقول تعالى ذكره فأنجينا نوحا وأصحاب سفينته وهم الذين حملهم في سفينته من ولده وأزواجهم وقد بينا ذلك فيما مضى قبل وذكرنا الروايات فيه فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وجعلناها آية للعالمين يقول وجعلنا السفينة التي أنجيناه وأصحابه فيها عبرة وعظة للعالمين وحجة عليهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأنجيناه وأصحاب السفينة الآية قال أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي ولو قيل معنى وجعلناها آية للعالمين وجعلنا عقوبتنا اياهم آية للعالمين وجعل الهاء والالف في قوله وجعلناها كناية عن العقوبة أو السخط ونحو ذلك اذ كان قد تقدم ذلك في قوله فأخذهم الطوفان وهم ظالمون كان وجها من التأويل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد ابراهيم خليل الرحمن اذ قال لقومه اعبدوا الله أيها القوم دون غيره من الاوثان والاصنام فانه لا اله غيره واتقوه يقول واتقوا سخطه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل خليله ابراهيم لقومه انما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانا يعني مثلا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما تعبدون من دون الله أوثانا أصناما واختلف أهل التأويل في تأويل قوله وتخلقون افكا فقال بعضهم معناه وتصنعون كذبا ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا أبو صالح

قال

فنزلت هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعدا أن يداريها ويرضيها بالاحسان ثم أكد جزاء من آمن وعمل صالحا بتكرير قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين أي في زمرتهم وحسن أولئك رفيقا قال الحكماء أي في المجردين الذين لا كون لهم ولا فساد فيدخل فيه العلويات عندهم ثم بين حال أهل النفاق بعد تقرير حال أهل الكفر والوفاق فقال ومن الناس من يقول آمنا بالله يعني انا المؤمنون حقا امنا ادعى أن ايمانه كايمانهم فأخبر أن ايمانه لا تحقيق له بدليل قوله فاذا أوذي في الله أي في سبيله ودينه جعل فتنة الناس كعذاب الله قال جار الله أي جعل فتنة الناس صارفة عن الايمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر وهذا على التوهم أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا وهذا في الواقع وقيل جزعوا من عذاب الناس كما جزعوا من عذاب الله وبالجملة معناه انهم جعلوا فتنة الناس مع ضعفها وانقطاعها كعذاب الله الاليم الدائم حتى ترددوا في الامر وقالوا ان آمنا نتعرض للتأذي من الناس وذلك انهم كانوا يسعهم أذى من الكفار وان تركنا الايمان نتعرض لما توعدنا به محمد فاختاروا الاحتراز من التعرض العاجل ونافقوا وانما قال فتنة الناس ولم يقل عذاب الناس لان فعل العبد ابتلاء من الله ليس في الآية منع من اظهار كلمة الكفر اكراها انما المنع من اظهار هذا من مواطأة القلب التي كانوا عليها ومما يؤكد تذبذبهم قوله ولئن جاء نصر من ربك ويلزمه الغنيمة غالبا ليقولن انا كنا معكم يعني دأب المنافق انه اذا رأى اليد للكافر أظهر ما أضمر من الكفر وان كان النصر للمؤمن أضمر ما أضمر وأظهر المعية وادعى التبعية وفي تخصيص اسم الرب بالمقام اشارة الى أن التوبة والرحمة هي التي أوجبت النصر ثم أخبر

انه سبحانه أعلم بما فى صدور العالمين منهم بما فى صدورهم لانه خبير بما بأنفسهم كما هى وهم لا يعرفون نفوسهم كما هى فالتلبيس لا يفيد المنافق بالنسبة الى الله شيأ لانه لا يجوز عليه الالتباس دليله قوله وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وفيه وعد المؤمنين ووعيد المنافقين اعتبر أمر القلب ههنا وهو فى المؤمن التصديق وفى المنافق النفاق واعتبر فى أول السورة أمر اللسان وهو فى الكافر الكذب لانه يقول الله غير موجود أو الله أكثر من واحد وفى المؤمن الصدق لانه يقول الله واحد وحين

بين أحوال الفرق الثلاثة وذكر أن الكافر

قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وتخلقون افكا يقول تصنعون كذبا وقال آخرون وتقولون كذبا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وتخلقون افكا يقول وتقولون افكا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتخلقون افكا يقول تقولون كذبا وقال آخرون بل معنى ذلك وتنحتون افكا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله وتخلقون افكا قال تنحتون تصورون افكا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتخلقون افكا أى تصنعون أصناما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتخلقون افكا الاوثان التى ينحتونها بأيديهم *وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه وتصنعون كذبا وقد بينا معنى الخلق فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع فتأويل الكلام اذا انما تعبدون من دون الله أوثانا وتصنعون كذبا باطلا وانما فى قوله افكا مردود على انما كقول القائل انما تفعلون كذا وانما تفعلون كذا وقرأ جميع قراء الامصار وتخلقون افكا بتخفيف الخاء من قوله وتخلقون وضم اللام من الخلق وذكر عن أبى عبد الرحمن السلمى انه قرأ وتخلقون افكا بفتح الخاء وتشديد اللام من التخليق والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا يقول جل ثناؤه ان أوثانكم التى تعبدونها لا تقدر أن ترزقكم شيأ فابتغوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم تدركوا ما تبتغون من ذلك واعبدوه يقول وذلوا له واشكروا له على رزقه اياكم ونعمه التى أنعمها عليكم يقال شكرته وشكرت له أفصح من شكرته وقوله اليه ترجعون يقول الى الله تردون من بعد مماتكم فيسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره وأنتم عباده وخلقه وفى نعمه تتقلبون ورزقه تأكلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين) يقول تعالى ذكره وان تكذبوا أيها الناس رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما دعاكم اليه من عبادة ربكم الذى خلقكم ورزقكم والبراءة من الاوثان فقد كذبت جماعات من قبلكم رسلها فيما دعتهم اليه الرسل من الحق فحل بها من الله سخطه ونزل بها من عاجل عقوبته فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم اياه وما على الرسول الا البلاغ المبين يقول وما على محمد الا أن يبلغكم عن الله رسالته ويؤدى اليكم ما أمره باداته اليكم ربه ويعنى بالبلاغ المبين الذى يبين لمن سمعه ما براد به ويفهم به ما يعنى به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير) يقول تعالى ذكره أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الاشياء طفلا صغيرا ثم غلاما يافعا ثم رجلا مجتمعا ثم كهلا يقال منه أبدأ وأعاد وبدأ وعاد لغتان بمعنى واحد وقوله ثم يعيده يقول ثم هو يعيده من بعد فنائه وبلاه كما بدأه أول مرة خلقا جديدا

يدعو من يقول آمنت بالكفر للفتنة وبين أن عذاب الله فوقها وكان الكافر أن يقول المؤمن لم تصبر فى الذل على الايذاء ولم لا تدفع الذل والعذاب عن نفسك بموافقتنا وكان جواب المؤمن أن يقول خوفا من عذاب الله على خطيئة مذهبكم فقالوا لا خطيئة فيه وان كان فيه خطيئة فعلينا أشار الى جميع ذلك بقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أرادوا وليجمع هذان الامران فى الحصول أن تتبعوا طريقتنا وأن نحمل خطاياكم نظيره لكن منك العطاء وليكن منى الدعاء وليس هو فى الحقيقة أمر طلب وايجاب ولكنه حكاية قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فان عسى كان جزاء ومعاد فانا نتحمل عنكم الاثم وترى نظيره فى الاسلام يشجع أحدهم أخاه على ارتكاب بعض المآثم فيقول افعل هذا واثمه على وكم من مغرور بمثل هذا الضمان ثم أخبر الله تعالى عنهم بانهم لا يحملون شيأ من خطاياهم ولا ريب ان هذا مخالف لما زعموا من أنهم يحملون أوزارهم فلهذا حكم الله عليهم بانهم كاذبون ويجوز أن يكونوا كاذبين لانهم وعدوا وفى قلوبهم نية الخلف ولا حاجة فى توجيه تسميتهم كاذبين الى

التشبيه الذى ذكره فى الكشاف أما الجمع بين قوله وماهم بحاملين وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فهو أن النفى راجع الى الحمل الذى يخفف عن صاحبه بسببه والاثبات يرجع الى انهم يحملون وزر الاضلال ووزر الضلال مع ان اتباعهم حاملون وزر الضلال كما قال عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من وزره شئ قال وليسألن سؤال تقريع يوم القيامة عما كانوا يفترون من أباطيلهم وعلى تقدير وجوده يحملونها

خطايا التابعين ثم أجمل قصة نوح ومن بعده تصديقا لقوله في أول السورة ولقد فتنا الذين من قبلهم وفيه تثبيت للنبي عليه الصلاة والسلام كأنه قيل له ان نوحا لبث ألف سنة تقريبا يدعو قومه ولم يؤمن منهم الا قليل فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك وفيه تحذير لكفار قريش فان أولئك الكفار ما نجوا من العذاب مع تلك الاعمار الطوال فهؤلاء كيف يسلمون أم كيف يغترون سؤال ما الفائدة في قوله ألف سنة الا خمسين عاما دون أن يقول تسعمائة وخمسين الجواب لان العبارة الثانية تحتمل التجوز والتقريب فان من قال عاش فلان ألف سنة يمكن أن يتوهم أنه يدعى ذلك تقريبا لا تحقيقا فاذا قال الا شهرا أو الا سنة زال ذلك الوهم وأيضا المقصود تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الالف الذي هو عقد معتبر أوصل الى هذا الغرض وانما جاء بالمميز في المستثنى مخالفا لما في المستثنى منه تجنبا من التكرار الخالي عن الفائدة وتوسعة في الكلام قال بعض الاطباء العمر الطبيعي للانسان مائة وعشرون سنة فاعترضوا عليهم بعمر نوح عليه السلام وغيره وذلك ان المفسرين قالوا عمر نوح ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة ويمكن أن يقال انهم أرادوا بالطبيعي ما كان أكثريا في أعمارهم ولا ينافي هذا كون بعض الاعمار زائدا على هذا القدر بطريق خرق العادة على ان العادة قد تختلف باختلاف الاعصار والادوار ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين والطوفان ما عم كل المكان بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل وفي قوله وهم ظالمون دليل على أن العذاب أخذهم وهم مصرون على الظلم ولو كانوا قد تركوه لما أهلكهم والضمير في قوله وجعلناها اما للحادثة أو للقصة أو للسفينة وأعاجيب هذه القصة وأحوال السفينة وأهوالها قد تقدمت مرارا ولا ريب انها آيات يجب أن يستدل بها على موجدها * التأويل أقسم بصمدانيته وبآلائه ونعمائه انه مهما يكون من العبد التقرب اليه باصناف العبودية يكون منه التقريب الى العبد بالطاف الربوبية يؤكده قوله أحسب الناس أي الناسون من أهل البطالة أن يتركوا بمجرد الدعوى ولا يطالبون بالبلوى فالمحبة والمحنة توأمان وبالامتحان يكرم الرجل أو يهان فمن زاد دعواه زاد قدر

لا يتعذر عليه ذلك ان ذلك على الله يسير سهل كما كان يسيرا عليه ابداؤه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده بالبعث بعد الموت وقوله قل سيروا في الارض يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات الجاحدين الثواب والعقاب سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الله الاشياء وكيف أنشأها وأحدثها وكما أوجدها وأحدثها ابتداء فلم يتعذر عليه احداثها مبديا فكذلك لا يتعذر عليه انشاؤها معيدا ثم الله ينشئ النشأة الآخرة يقول ثم الله يبدئ ذلك البدأة الآخرة بعد الفناء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق خلق السموات والارض ثم الله ينشئ النشأة الآخرة أي البعث بعد الموت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة قال هي الحياة بعد الموت وهو النشور وقوله ان الله على كل شيء قدير يقول تعالى ذكره ان الله على انشاء جميع خلقه بعد افنائه كهيئته قبل فنائه وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر لا يعجزه شيء أراده

القول في تأويل قوله تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يقول تعالى ذكره ثم الله ينشئ النشأة الآخرة خلقه من بعد فنائهم فيعذب من يشاء منهم على ما أسلف من جرمه في أيام حياته ويرحم من يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحا واليه تقلبون يقول واليه ترجعون وتردون وأما قوله وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء فان ابن زيد قال في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء قال لا يعجزه أهل الارضين في الارضين ولا أهل السموات في السموات ان عصوه وقرأ مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين وقال في ذلك بعض أهل العربية من أهل البصرة وما أنتم بمعجزين في الارض ولا من في السماء معجزين قال وهو من غامض العربية للضمير الذي لم يظهر في الثاني قال ومثله قول حسان بن ثابت

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

أراد ومن ينصره ويمدحه فأضمر من قال وقد يقع في وهم السامع ان النصر والمدح لمن هذه الظاهرة ومثله في الكلام أكرم من أتاك وأتى أباك وأكرم من أتاك ولم يأت زيدا تريد ومن لم يأت زيدا فيكتفي باختلاف الافعال من اعادة من كأنه قال أمن يهجو ومن يمدحه ومن ينصره ومنه قول الله عز وجل ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وهذا القول أصح عندي في المعنى من القول الآخر ولو قال قائل معناه ولا أنتم بمعجزين في الارض ولا أنتم لو كنتم في السماء بمعجزين كان مذهبا وقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يقول وما كان لكم أيها الناس من دون الله من ولي

ولي يلي أموركم ولا نصير ينصركم من الله ان أراد بكم سوأ ولا يمنعكم منه ان أحل بكم عقوبته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره والذين كفروا بحجج الله وأنكروا أدلته وجحدوا لقاءه والورود عليه يوم تقوم الساعة أولئك يئسوا من رحمتي يقول تعالى ذكره أولئك يئسوا من رحمتي في الآخرة لما عاينوا ما أعد لهم من العذاب وأولئك لهم عذاب موجع فان قال قائل وكيف اعترض بهذه الآيات من قوله وان يكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم الى قوله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وترك ضمير قوله فما كان جواب قومه وهو من قصة ابراهيم وقوله ان الذين تعبدون من دون الله الى قوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون قيل فعل ذلك كذلك لان الخبر عن أمر نوح وابراهيم وقومهما وسائر من ذكر الله من الرسل والامم في هذه السورة وغيرها انما هو تذكير من الله تعالى به الذين يبتدئ بذكرهم قبل الاعتراض بالخبر وتحذير منه لهم أن يحل بهم ما حل بهم فكأنه قيل في هذا الموضع فاعبدوه واشكروا له اليه ترجعون فكذبتم أنتم معشر قريش رسولكم محمدا كما كذب أولئك ابراهيم ثم جعل مكان فكذبتم وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم اذ كان ذلك يدل على الخبر من تكذيبهم رسولهم ثم عاد الى الخبر عن ابراهيم وقومه وتتميم قصته وقصتهم بقوله فما كان جواب قومه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يقول تعالى ذكره فلم يكن جواب قوم ابراهيم له اذ قال لهم اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون الا أن قال بعضهم لبعض اقتلوه أو حرقوه بالنار ففعلوا فارادوا احراقه بالنار فاضرموا له النار فالقوه فيها فانجاه الله منها ولم يسلطها عليه بل جعلها عليه بردا وسلاما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما كان جواب قوم ابراهيم الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار قال قال كعب ما حرقت منه الا وثاقه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول تعالى ذكره ان في انجائنا لابراهيم من النار وقد ألقي فيها وهي تسعر وتصييرناها عليه بردا وسلاما لادلة وحججا لقوم يصدقون بالادلة والحجج اذا عاينوا ورأوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ابراهيم لقومه وقال ابراهيم لقومه يا قوم انما اتخذتم من دون الله أوثانا واختلفت القراء في قراءة قوله مودة بينكم فقرأته عامة قراء المدينة والشأم وبعض الكوفيين مودة بنصب مودة بغير اضافة بينكم بنصبها وقرأ ذلك بعض الكوفيين مودة بينكم بنصب المودة واضافتها الى قوله بينكم وخفض بينكم وكان هؤلاء الذين قرؤا قوله مودة نصبا وجهوا معنى الكلام الى انما اتخذتم أيها القوم أوثانا مودة بينكم فجعلوا انما حرفا واحدا واوقعوا قوله اتخذتم على الاوثان فنصبوها بمعنى اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا تحابون على عبادتها وتتوادون على خدمتها فتتواصلون عليها وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة مودة

بلواه فالبلاء للنفوس لاخراجها عن أوطان الكسل وتصريفها في حسن العمل والبلاء على القلوب لتصفيتها من شين الرين لقبول نقوش الغيب والبلاء على الارواح لتجردها بالبواثق عن العلائق والبلاء على الاسرار في اعتكافها في مشاهدة الكشف بالصبر على آثار التجلي الى أن تصير مستهلكة فيه بافنائه وان أشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلا يجري عليه نكر في أوقات غلبات شواهد الحق فيظن أنه هو الحق لا يدري أنه من الحق ولا يقال انه الحق وعز من يهتدي الى ذلك أم حسب (٨٣) الذين فيه ان من موجبات عمل السيئات سواد مرآة القلوب بصدأ الحسبان رين الكفران ليتوهموا أن يسبقونا بالعدوان عن طريق ستنافي الانتقام عن أهل الحال والاجرام ساء ما يحكمون بالنجاة عن الدركات باتباع الشهوات هيهات هيهات من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت فان من رجى عمره في رجاء لقائنا فهو الذي نبيح له النظر الى جمالنا وهو السميع لانين المشتاقين العليم بطويات الصادقين ومن جاهد بالسعي في طلبنا فانما يجاهد لنفسه لانها بالتخلية عن الاخلاق الذميمة وبالتحلية بالصفات الحميدة تخلص عن الامارية وتستأهل للمطمئنة فتستحق لجذبة ارجعي الى ربك والذين آمنوا بهم بمحبتنا وعملوا الصالحات ببذل الوجود في طلب جودنا لنكفرن عنهم سيئات وجودهم المجازي ولنجزينهم وجودا حقيقيا أحسن منه وان جاهداك لتشرك بي فيه اشارة الى ان المريد اذا تمسك بذيل شيخ كامل وتوجه الى الحضرة بعزيمة من عزائم الرجال فان منعه الوالدان عن ذلك فعليه أن لا يطيعهما لانه سبب ولادته في عالم الارواح وهما سبب ولادته في عالم الاشباح كما قال عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فهو أحق برعاية الحقوق منهما جعل فتنة الناس كعذاب الله فيه ان المؤمن من كف الاذى والولي من يتحمل من الخلق الاذى ولا تترشح عنه الشكوى من البلوى كالارض يلقى عليها كل قبيح فينبت منها كل مليح والمنافق اذا لم يكن في حماية خشية الله يعتريه خوف الخلق اذا أوذي في الله وقال الذين كفروا فيه ان كافر النفس وصفاته يقولون بلسان الطبيعة الانسانية لمؤمني القلب والسر والروح وصفاتهم اتبعوا سبيلنا في طلب الشهوات الحيوانية ولنحمل خطاياكم أي ندفع عنكم ضرر ما يرجع اليكم في متابعة شهوات الدنيا وطيباتها وما هم بحاملين شيأ من خطاياهم وهو العمى والصمم والبكم وسائر الصفات النفسانية

ولكن يحملون أثقالهم هذه الاوثان مع الآفات التي تختص بها والله أعلم بالصواب ﴿وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون

بينكم برفع المودة واضافتها الى البين وخفض البين وكان الذين قرؤا ذلك كذلك جعلوا انما حرفين بتأويل ان الذين اتخذتم من دون الله أوثانا انما هو مودتكم للدنيا فرفعوا مودة على خبران وقد يجوز أن يكونوا على قراءتهم ذلك رفعا بقوله انما أن تكون حرفا واحدا ويكون الخبر متناهيا عند قوله انما اتخذتم من دون الله أوثانا ثم يبتدئ الخبر فيقال ما مودتكم تلك الاوثان بنافعتكم انما مودة بينكم في حياتكم الدنيا ثم هي منقطعة واذا أريد هذا المعنى كانت المودة مرفوعة بالصفة بقوله في الحياة الدنيا وقد يجوز أن يكونوا يروا رفع المودة رفعها على ضمير هي وهذه القراآت الثلاث متقاربات المعاني لان الذين اتخذوا الاوثان آلهة يعبدونها اتخذوها مودة بينهم وكانت لهم في الحياة الدنيا مودة ثم هي عنهم منقطعة فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب لتقارب معاني ذلك وشهرة القراءة بكل واحدة منهن في قراء الامصار وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين قال صارت كل خلة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة الا خلة المتقين وقوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا يقول تعالى ذكره ثم يوم القيامة أيها المتوادون على عبادة الاوثان والاصنام والمتواصلون على خدمتها عند ورودكم على ربكم ومعاينتكم ما أعد الله لكم على التواصل والتواد في الدنيا من أليم العذاب يكفر بعضكم ببعض يقول يتبرأ بعضكم من بعض ويلعن بعضكم بعضا وقوله ومأواكم النار يقول جل ثناؤه ومصير جميعكم أيها العابدون الاوثان وما تعبدون النار وما لكم من ناصرين يقول وما لكم أيها القوم المتخذو الآلهة من دون الله مودة بينكم من أنصار ينصرونكم من الله حين يصليكم نار جهنم فينقذونكم من عذابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم) يقول تعالى ذكره فصدق ابراهيم خليل الله لوط وقال اني مهاجر الى ربي يقول وقال ابراهيم اني مهاجر دار قومي الى ربي الى الشام وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فآمن له لوط قال صدق لوط وقال اني مهاجر الى ربي قال هو ابراهيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فآمن له لوط أي فصدقه لوط وقال اني مهاجر الى ربي قال هاجرا جميعا من كوثى وهي من سواد الكوفة الى الشام قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز أهل الارض الى مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرار أهلها حتى تلفظهم وتقذرهم وتحشرهم النار مع القردة والخنازير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فآمن له لوط قال صدقه لوط صدق ابراهيم قال أرأيت المؤمنين أليس آمنوا الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء به قال فالايمان التصديق وفي قوله اني مهاجر الى ربي قال كانت هجرته الى الشأم وقال ابن زيد في حديث الذئب الذي كلم الرجل فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنت له أنا وأبو بكر وعمر

وعمرو ليس أبو بكر ولا عمر معه يعنى آمنت له صدقته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى قال الى حران ثم أمر بعد بالشأم الذى هاجر ابراهيم وهو أول من هاجر يقول فآمن له لوط وقال ابراهيم انى مهاجر الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى ابراهيم القائل انى مهاجر الى ربى وقوله انه هو العزيز الحكيم يقول ان ربى هو العزيز الذى لا يذل من نصره ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء واليه هجرته الحكيم فى تدبيره خلقه وتصريفه اياهم فيما صرفهم فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) يقول تعالى ذكره ورزقناه من لدنا اسحق ولدا ويعقوب من بعده ولد الولد كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب قال هما ولد ابراهيم وقوله وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب بمعنى الجمع يراد به الكتب ولكنه خرج مخرج قولهم كثر الدرهم والدينار عند فلان وقوله وآتيناه أجره فى الدنيا يقول تعالى ذكره وأعطيناه ثواب بلائه فينا فى الدنيا وانه مع ذلك فى الآخرة لمن الصالحين فله هنالك أيضا جزاء الصالحين غير منتقص حظه بما أعطى فى الدنيا من الاجر على بلائه فى الله عما له عنده فى الآخرة وقيل ان الاجر الذى ذكره الله عز وجل انه آتاه ابراهيم فى الدنيا هو الثناء الحسن والولد الصالح ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآتيناه أجره فى الدنيا قال الثناء حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ليث قال أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم الى عكرمة يسأله عن قوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين قال قال أجره فى الدنيا ان كل ملة تتولاه وهو عند الله من الصالحين قال فرجع الى مجاهد فقال أصاب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن مندل عمن ذكره عن ابن عباس وآتيناه أجره فى الدنيا قال الولد الصالح والثناء حدثنى على قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وآتيناه أجره فى الدنيا يقول الذكر الحسن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتيناه أجره فى الدنيا قال عافية وعملا صالحا وثناء حسنا فلست بلاق أحدا من الملل الا يرضى ابراهيم ويتولاه وانه فى الآخرة لمن الصالحين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر لوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الذكران ما سبقكم بها يعنى بالفاحشة التى كانوا يأتونها وهى اتيان الذكران من أحد من العالمين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن خالد بن خداش ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبى نجيح عن عمرو بن دينار فى قوله انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين قال ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون

وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)* القراآت أولم تروا بتاء الخطاب حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل النشأة بفتح الشين بعدها ألف ممدودة حيث كان ابن كثير وأبو عمرو مودة بالرفع بينكم بالجر على الاضافة ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعلى وأبو زيد عن المفضل مودة بالرفع بينكم بالفتح الشمونى والبرجمى مودة بالنصب بينكم على الاضافة حمزة وحفص الباقون مودة بالنصب بينكم بالفتح ربى انه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو انكم بهمز واحد أينكم بهمزة بعدها ياء ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب ويزيد مثله بزيادة مدة فى الثانية يزيد وقالون كلاهما مثل هذه الثانية أبو عمرو والاولى بهمزة واحدة الثانية بهمزتين ابن عامر وحفص هشام يدخل بينهما مدة الباقون بهمزتين فيهما أئنكم كنظائره لننجينه بسكون النون من الانجاء يعقوب وحمزة وعلى وخلف سىء بهم كما ذكر فى هود منجوك من الانجاء ابن كثير ويعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل منزلون بالتشديد ابن عامر وثمود غير مصروف فى الحالين حمزة وحفص وسهل ويعقوب* الوقوف واتقوه ط تعلمون ه افكا ط واشكروا له ط ترجعون ط من قبلكم ج للعطف مع الاختلاف بالاثبات والنفى المبين ه يعيده ط يسير ه الآخرة ط قدير ه ج لان ما بعده يحتمل وصفا واستئنافا من أقطار تكون لهذا قال
لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتفاق الجملتين تقلبون ه السماء ز فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين نصه
النار ط يؤمنون ه أوثانا ج لمن قرأ مودة بالرفع الدنيا ج لاختلاف الجملتين والفصل بين تباين الدارين بعضا ج بيان وانما قال
الجملتين مع اتحاد المقصود من ناصرين ه قيل لا وقف لتعلق الفاء لوط م لان قوله وقال فاعله ابراهيم ولو وصل لا وهم اتحاد فلا يفيد اليقين
الحكيم ه الدنيا ج للابتداء بان مع واو العطف الصالحين ه الفاحشة ز لان ما بعده يصلح مثبتا أنفا وحالا أو وقف المخلوقات بحيث

ط لانتهاء الخطاب لابتداء الجواب الصادقين ● المفسدين ● البشرى لا لان قالوا جواب لما القرية ج للابتداء بان مع احتمال التعليل ظالمين ● وقد يوصل دلالة على تدارك ابراهيم لوطا ط بمن فيها ج لان لام التوكيد تقتضى قسما أى والله لننجينه مع تمام المقصود فى التنجية الا امرأته ج لان ما بعده يصلح مستأنفا فى النظم ولكنه حال المرأة لان المستثنى مشبه بالمفعول أى يستثنى امرأته كائنة من الغابرين ولا تحزن ط فصلا بين البشارتين وتوفير الافرح (٨٦) الغابرين ● يفسقون ● يعقلون ● شعيبا لا لتعلق الفاء المفسدين ●

السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لوط لقومه أئنكم أيها القوم لتأتون الرجال فى أدبارهم وتقطعون السبيل يقول وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث وذلك انهم فيما ذكر عنهم كانوا يفعلون ذلك بمن مر عليهم من المسافرين ومن ورد بلادهم من الغرباء ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتقطعون السبيل قال السبيل الطريق المسافر اذا مر بهم وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الخبيث وقوله وتأتون فى ناديكم المنكر اختلف أهل التأويل فى المنكر الذى عناه الله الذى كان هؤلاء القوم يأتونه فى ناديهم فقال بعضهم كان ذلك انهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا روح بن عطيفة الثقفى عن عمرو بن مصعب عن عروة بن الزبير عن عائشة فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال الضراط وقال آخرون بل كان ذلك انهم كانوا يحذفون من مر بهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو أسامة عن حاتم بن أبى صغيرة عن سماك بن حرب عن أبى صالح عن أم هانئ قالت سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم فهو المنكر الذى كانوا يأتون حدثنا الربيع قال ثنا أسد قال ثنا أبو أسامة باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا سليمان بن أحضر قال ثنا أبو يونس القشيرى عن سماك بن حرب عن أبى صالح مولى أم هانئ ان أم هانئ سئلت عن هذه الآية وتأتون فى ناديكم المنكر فقالت سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عمر بن أبى زائدة قال سمعت عكرمة يقول فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يؤذون أهل الطريق يحذفون من مر بهم حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن عمر بن أبى زائدة قال سمعت عكرمة قال الحذف حدثنا موسى قال أخبرنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وتأتون فى ناديكم المنكر قال كان كل من مر بهم حذفوه فهو المنكر حدثنا الربيع قال ثنا أسد قال ثنا سعيد بن زيد قال ثنا حاتم بن أبى صغيرة قال ثنا سماك بن حرب عن باذام أبى صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يجلسون بالطريق فيحذفون أبناء السبيل ويسخرون منهم وقال بعضهم بل كان ذلك اتيانهم الفاحشة فى مجالسهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كان يأتى بعضهم بعضا فى مجالسهم يعنى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر حدثنا سليمان بن عبد الجبار قال ثنا ثابت بن محمد الليثى قال ثنا فضيل ابن عياض عن منصور بن المعتمر عن مجاهد فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كان يجامع بعضهم بعضا فى المجالس حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد وتأتون فى ناديكم المنكر قال كان يأتى بعضهم بعضا فى المجالس حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن

جاثمين ● لان عادا يحتمل ان يكون منصوبا باخذتهم أو بمحذوف أى واذكر وهذا أوجه لان قوله وقد تبين حال ولا يحسن ان يكون عامله فاخذتهم واما وجه انتصابه فبمحذوف وهو واذكر أو اهلكنا مساكنهم ط لان التقدير مقدرين وعامله فاخذتهم مستبصرين ● ج العطف وهامان يحتمل عندى الوقف وقيل لا بناء على ان قوله ولقد جاءهم حال عامله فاخذتهم سابقين ● لا لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتفاق الجملتين بذنبه ط وكذلك حاصبا ط وأخذته الصيحة ط وخسفنا به الارض ط وأغرقنا ط لعطف الجمل والوقف أوجه تفصيلا لانواع النقم وامهالا لفرصة الاعتبار يظلمون ● العنكبوت ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا بيتا ط العنكبوت ج لان وهن بيت العنكبوت معلق يعلمون ● * التفسير قوله وابراهيم منصوب بمضمر وهو اذكر وقوله اذ قال بدل منه بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها أى اذكر وقت قوله لقومه وجوز أن يكون معطوفا على نوحا فاورد عليه أن الارسال قبل الدعوة فكيف يكون وقت الدعوة ظرفا للارسال وأجيب بان أرسلناه حين كان صالحا أمر ممتد الى أوان الدعوة

يه اعبدوا الله خصوه بالعبادة واتقوا مخالفته ذلكم الاخلاص والتقوى خير لكم ان كنتم تعلمون
غاية الخضوع فلا تصلح الا لمن هو فى غاية الكمال فضلا عن الجماد وأما اتقاء خلافه فلان من قدر على اهلاك الماضين فهو اقين وتعذيبهم اذا عصوه فالعاقل من يحذر خلاف القادر ثم بين بقوله انما تعبدون من دون الله أوثانا ان الذى يعبدونه جسم لا روح له ولا ظلم أشنع من وضع الاشرف موضع الاخس وبين بقوله وتخلقون افكا ان الذين يزعمون أنها

منصور

منصو رعن مجاهد قال كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتأتون فى ناديكم المنكر قال المجالس والمنكر اتيانهم الرجال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يأتون الفاحشة فى ناديهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال ناديهم المجالس والمنكر عملهم الخبيث الذى كانوا يعملونه كانوا يعترضون بالراكب فيأخذونه و يركبونه وقرأ أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون وقرأ ماسبقكم بها من أحد من العالمين حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وتأتون فى ناديكم المنكر يقول فى مجالسكم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه وتحذفون فى مجالسكم المارة بكم وتسخرون منهم لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين يقول تعالى ذكره فلم يكن جواب قوم لوط اذ نهاهم عما يكرهه الله من اتيان الفواحش التى حرمها الله الا قيلهم ائتنا بعذاب الله الذى تعدنا ان كنت من الصادقين فيما تقول والمنجزين لما تعدنا القول فى تأويل قوله تعالى (قال رب انصرنى على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين) يقول تعالى ذكره ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى من الله باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية قرية سدوم وهى قرية قوم لوط ان أهلها كانوا ظالمين يقول ان أهلها كانوا ظالمى أنفسهم بمعصيتهم الله وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الى قوله نحن أعلم بمن فيها قال فجادل ابراهيم الملائكة فى قوم لوط أن يتركوا قال فقال أرأيتم ان كان فيها عشرة أبيات من المسلمين أتتركونهم فقالت الملائكة ليس فيها عشرة أبيات ولا خمسة ولا أربعة ولا ثلاثة ولا اثنان قال فحزن على لوط وأهل بيته فقال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين فذلك قوله يجادلنا فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب فقالت الملائكة يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود فبعث الله اليهم جبرائيل صلى الله عليه وسلم فانتسف المدينة وما فيها باحد جناحيه فجعل عاليها سافلها وتتبعهم بالحجارة بكل أرض القول فى تأويل قوله تعالى (قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للرسل من الملائكة اذ قالوا له انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين فلم يستثنوا منهم أحدا اذ وصفوهم بالظلم ان فيها لوطا وليس من الظالمين بل هو من رسل الله وأهل الايمان به والطاعة له فقالت الرسل له نحن أعلم بمن فيها من الظالمين الكافرين بالله منك وان لوطا ليس منهم بل هو كما قلت من أولياء الله لننجينه وأهله من الهلاك الذى هو نازل باهل قريته الا امرأته كانت من الغابرين الذين أبقتهم الدهور والايام

شفعاءهم عند الله كذب وزور ثم ذكر انهم لا يقدرون على نفع ولا على ايصال رزق أى رزق كان ثم أشار بقوله فابتغوا عند الله الرزق الى أن هذه الهبة والرزق الموعود فى قوله وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها يجب أن يطلب من الله فقط واذا كان الرزق منه فالشكر يجب أن يكون له ثم بين بقوله اليه ترجعون ان المعاقب والمثيب هو وحده فلا رهبة الا منه ولا رغبة الا فيه ثم ان قوله وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم الى قوله فما كان جواب قومه ان كان اعتراضا خطابا لكفار قريش فظاهر وان كان تتمة قول ابراهيم فالامم المتقدمة عليه اما قوم نوح وقوم ادريس وقوم شيث وقوم آدم واما قوم نوح وحده وعبر عن أمته بالامم لانه عاش ألف سنة وأكثر فمضت عليه القرون وكان كل قرن يوصون من بعدهم من الانبياء أن يكذبوا نوحا والبلاغ ذكر المسائل والابانة واقامة البرهان عليه وفيه دليل على ان تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز والا لم يكن البلاغ مبينا وحين بين التوحيد والرسالة شرع فى بيان المعاد فان هذه الاصول الثلاثة لا تكاد تنفصل فى الذكر الالهى فقال أولم يروا أى ألم يعلموا بالبرهان النير القائم مقام الرؤية كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده اما ابداء الخلق المطلق فلان المخلوق لا بد له من خالق أول ينتهى اليه سلسلة المخلوقات واما خلق الانسان بل كيفيته فانه كالمشاهد المحسوس فانا نرى النطفة وقعت فى الرحم فدارت عليها الاطوار حتى حصلت خلقا آخر وأما الاعادة فلانها أهون فى القياس العقلى ولهذا ختم الآية بقوله ان ذلك على الله يسير وحين أشار الى العلم الحدسى الحاصل من غير طلب أمر نبينا صلى الله عليه وسلم او حكى ابراهيم قول ربه له قل سيروا فى الارض أى ان لم يحصل لكم الحدس المذكور فسيروا فى أقطار الارض وتفكروا فى كيفية تكون المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان حتى يفضى بكم النظر الى العيان فالآية الاولى اشارة الى ما هو كالمركوز فى الاذهان ولهذا قال بطريق الاستفهام أولم يروا والآية الثانية أمر بالنظر المؤدى الى العلم والايقان على تقدير عدم حضور ذلك البيان والعيان وانما قال أولا كيف يبدئ بلفظ المستقبل وثانيا كيف بدأ بلفظ الماضى لان العلم الحدسى حاصل فى كل حال وأما العلم الاستقرائى فلا يفيد اليقين الا فيما شاهد وتتبع فكأنه قيل ان لم يحصل لكم العلم بان الله فى كل حال موصوف بالابداء والاعادة فانظروا فى أصناف المخلوقات بعينى

يعجز قوله كيف بدأ هائم تستدلوا من ذلك على انه ينشئها النشأة الثانية فهذا عطف على المعنى كأنه قال وانظروا كيف بدأ هذا وتكلف جار الله فقال هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كما قال قوله ثم بعيده اخبار على حياله وليس بمعطوف على يبدئ ثم في اقامة اسم الله مقام الضمير في قوله ثم الله ينشئ النشأة اشارة الى أنه لا يقدر على هذه النشأة الا المعبود الكامل الذات المتصف بالعلم والحياة وبسائر نعوت الجلال وحين ذكر دلائل الانفس والآفاق صرح بالنتيجة الكلية فقال ان الله على كل شئ من الابداء والاعادة قدير وكذا على

التكليف والجزاء تقريره قوله يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون يقال قلب فلان في مكانه اذا أودي وفي الآية لطائف منها انه قدم التعذيب على الرحمة مع قوله سبقت رحمتي غضبي لان الآية مسوقة لتهديد المكذبين ومع ذلك لم يخل الكلام عن ذكر الرحمة وانه يؤكد قوله سبقت رحمتي غضبي ومنها انه لم يقل يعذب الكافر ويرحم المؤمن اظهارا للهيبة الالهية ومنها أنه قال أولا واليه ترجعون ثم أعاده ههنا لان التعذيب والرحمة قد يكونان عاجلين وكأنه قال وان تأخر ثوابكم وعقابكم فان الينا ايابكم وعلينا حسابكم وعندنا يدخر لكم ذلك فلا تظنوا فوته يؤكده قوله وما أنتم بمعجزين وفيه أن الانقلاب اليه لا منه وذلك أن الاعجاز اما بالهرب واما بالثبات وقد نفي الاول بقوله وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء أي لو هبطتم الى موضع السمك في الماء أو صعدتم الى محل السماك في السماء لم تخرجوا من قبضة قدرة الله وقدم الارض على السماء لان السماء أبعد وأفسح أي ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة أو في السماء التي هي أفسح منها وأبعد فانكم لا تفوتون الله والمراد لا تعجزونه كيف ما هبطتم في أعماق الارض أو علوتم الى البروج الشيدة الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة أو أراد الحوف

وتطاولت أعمارهم وحياتهم وانها هالكة من بين أهل لوط مع قومها ❁ القول في تأويل قوله تعالى (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) يقول تعالى ذكره ولما أن جاءت رسلنا لوطا من الملائكة سيء بهم يقول ساءته الملائكة بمجيئهم اليه وذلك انهم تضيفوه فساءوه بذلك فقوله سيء بهم فعل بهم من ساءه بذلك وذكر عن قتادة أنه كان يقول ساء ظنه بقومه وضاق بضيفه ذرعا **حدثنا** بذلك الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عنه وضاق بهم ذرعا يقول وضاق ذرعه بضيافتهم لما علم من خبث فعل قومه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا قال بالضيافة مخافة عليهم مما يعلم من شر قومه وقوله وقالوا لا تخف ولا تحزن يقول تعالى ذكره قالت الرسل للوط لا تخف علينا أن يصل الينا قومك ولا تحزن مما أخبرناك من انا مهلكوهم وذلك ان الرسل قالت له يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل انا منجوك من العذاب الذي هو نازل بقومك وأهلك يقول ومنجو أهلك معك الا امرأتك فانها هالكة فيمن يهلك من قومها كانت من الباقين الذين طالت أعمارهم ❁ القول في تأويل قوله تعالى (انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل للوط انا منزلون يا لوط على أهل هذه القرية سدوم رجزا من السماء يعني عذابا كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا أي عذابا وقد بينا معنى الرجز وما فيه من أقوال أهل التأويل فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله بما كانوا يفسقون يقول بما كانوا يأتون من معصية الله ويركبون من الفاحشة ❁ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون) يقول تعالى ذكره ولقد أبقينا من فعلتنا التي فعلنا بهم آية يقول عبرة بينة وعظة واعظة لقوم يعقلون عن الله حججه ويتفكرون في مواعظه وتلك الآية البينة هي عندي عفو آثارهم ودروس معالمهم وذكر عن قتادة في ذلك ما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون قال هي الحجارة التي أمطرت عليهم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله منها آية بينة قال عبرة ❁ القول في تأويل قوله تعالى (والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين) يقول تعالى ذكره وأرسلت الى مدين أخاهم شعيبا فقال لهم يا قوم اعبدوا الله وحده وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالعبادة وارجوا اليوم الآخر يقول وارجوا بعبادتكم اياه جزاء اليوم الآخر وذلك يوم القيامة ولا تعثوا في الارض مفسدين يقول ولا تكثروا في الارض معصية الله ولا تقيموا عليها ولكن توبوا الى الله منها وأنيبوا وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يتأول قوله وارجوا اليوم الآخر بمعنى واخشوا اليوم الآخر وكان غيره من أهل العلم بالعربية ينكر ذلك ويقول لم نجد الرجاء بمعنى

لا تعجزون بلاءه الظاهر في الارض أو النازل من السماء وجوز بعضهم أن يراد وما أنتم بمعجزين من في الارض ولا في السماء بحذف الموصول وهو اختيار في الشورى على قوله وما أنتم بمعجزين في الارض لانه خطاب للمؤمنين وفي الثاني بقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لان الركن الشديد الذي يستند اليه اما ولي يشفع أو ناصر يدفع والاول أسهل الطريقين فلذلك قدم الولي على النصير ثم خص الوعيد

الخوف في كلام العرب الا اذا قارنه الجحد ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) يقول تعالى ذكره فكذب أهل مدين شعيبا فيما أتاهم به عن الله من الرسالة فأخذتهم رجفة العذاب فاصبحوا في دارهم جاثمين جثوما بعضهم على بعض موتى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاصبحوا في دارهم جاثمين أي ميتين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) يقول تعالى ذكره واذكروا أيها القوم عادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم خرابها وخلاؤها منهم بوقائعنا بهم وحلول سطوتنا بجميعهم وزين لهم الشيطان كفرهم بالله وتكذيبهم رسله فصدهم عن السبيل يقول فردهم بتزيينه لهم ما زين لهم من الكفر عن سبيل الله التي هي الايمان به ورسله وما جاؤهم به من عنده بهم وكانوا مستبصرين يقول وكانوا مستبصرين في ضلالتهم معجبين بها يحسبون انهم على هدى وصواب وهم على الضلال وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين يقول كانوا مستبصرين في دينهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكانوا مستبصرين في الضلالة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكانوا مستبصرين في ضلالتهم معجبين بها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وكانوا مستبصرين يقول في دينهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد قارون وفرعون وهامان ولقد جاء جميعهم موسى بالبينات يعني بالواضحات من الآيات فاستكبروا في الارض عن التصديق بالبينات من الآيات وعن اتباع موسى صلوات الله عليه وما كانوا سابقين يقول تعالى ذكره وما كانوا سابقينا بانفسهم فيفوتوننا بل كنا مقتدرين عليهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يقول تعالى ذكره فأخذنا جميع هذه الامم التي ذكرناها لك يا محمد بعذابنا فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود والعرب تسمي الريح العاصف التي فيها الحصا الصغار أو الثلج أو البرد والجليد حاصبا ومنه قول الاخطل

ولقد علمت اذا العشار تروحت * هدج الربي كي نكبهن شمالا
ترمي العضاه بحاصب من ثلجها * حتى يبيت على العضاه جفالا

وقال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربها * بحاصب كنديف القطن منثور

بالكافرين بآياته أي بدلائل الوحدانية وبالكتب والمعجزات وفي زيادة قوله أولئك اشارة الى أن اليأس من الرحمة مقصور فيهم لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ونسبة اليأس اليهم اما على سبيل الاختبار عن حالهم يوم القيامة أو على سبيل وصف الحال فان صفة المؤمن أن يكون راجيا خاشيا ونعت الكافر أن لا يخطر بباله خوف ولا رجاء بل يكون خائفا كما قيل الخائن خائف وجوز في الكشاف أن يكون على طريقة التشبيه كأنه يشبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من (٨٩) يئس من رحمة الله ولعله ذهب الى هذا التشبيه لان اليأس من رحمة الله متوقف على الاعتراف بالله وبرحمته والكافر غير معترف بواحد من الامرين ثم بين بتكرير أولئك في قوله وأولئك لهم عذاب أليم ان كل واحد من الوعيدين لا يوجد الا فيهم وان كان الوعيدان متلازمين في الحقيقة ثم حكى ان جواب قوم ابراهيم لم يكن الا أن قالوا فيما بينهم أو قال واحد ورضي به الباقون أقتلوه بالسيف ونحوه أو حرقوه بالنار وهذا ليس جوابا في الحقيقة ولكنه كقولهم عتابك السيف وفيه بيان جهالتهم انهم وضعوا الوعيد موضع الائتمار للنصيحة والاذعان للحق ثم بين انهم اتفقوا على تحريقه فأنجاه من النار والقصة مذكورة في سورة الانبياء ان في ذلك الانجاء لآيات جمع الآية لعظم تلك الحالة كقوله ان ابراهيم كان أمة أو لانها مشتملة على أحوال عجيبة كالرمي من المنجنيق من غير أن لحق به ضرر وكما يروى أن النار صارت عليه روحا وريحانا الى غير ذلك وانما قال في قصة نوح عليه السلام وجعلناها آية ولم يذكر الجعل ههنا لان الخلاص من مثل تلك النار آية في نفسه وأما السفينة فقد جعلها الله آية بان أحدث الطوفان وصانها عن الغرق ويمكن أن يقال ان الصون عن النار أعجب من الصون عن الماء فلذلك وحد الآية هنالك وجمعها ههنا وانما قال هنالك آية للعالمين وههنا لآيات لقوم يؤمنون لان تلك السفينة بقيت أعواما حتى مر عليها الناس ورآها فحصل العلم بها لكل أحد أو نقول جنس السفينة حصلت بعد ذلك فيما بين الناس فكانت آية للعالمين وأما تبريد النار فلم يبق من ذلك أثر فلم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان به وههنا لطيفة وهي ان الله تعالى جعل النار بردا وسلاما على ابراهيم بسبب اهتدائه في نفسه وهدايته لغيره وقال قد كان لكم أسوة حسنة في

و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فنهم من أرسلنا عليه حاصبا قوم لوط حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة اختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بذلك فقال بعضهم هم ثمود قوم صالح ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومنهم من أخذته الصيحة ثمود وقال آخرون بل هم قوم شعيب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من أخذته الصيحة قوم شعيب * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين انه أهلكهم بالصيحة فى كتابه فى غير هذا الموضع ثم قال جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم فمن الامم التى أهلكناهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة فلم يخصص الخبر بذلك عن بعض من أخذته الصيحة من الامم دون بعض وكلا الامتين أعنى ثمود ومدين قد أخذتهم الصيحة وقوله ومنهم من خسفنا به الارض يعنى بذلك قارون و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومنهم من أغرقنا قوم نوح وقال آخرون بل قوم فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من أغرقنا قوم فرعون والصواب من القول فى ذلك أن يقال عنى به قوم نوح وفرعون وقومه لان الله لم يخصص بذلك احدى الامتين دون الاخرى وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما فهما معنيتان به وقوله وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يقول تعالى ذكره ولم يكن الله ليهلك هؤلاء الامم الذين أهلكهم بذنوب غيرهم فيظلمهم باهلاكه اياهم بغير استحقاق بل انما أهلكهم بذنوبهم وكفرهم بربهم وجحودهم نعمه عليهم مع تتابع احسانه عليهم وكثرة أياديه عندهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بتصرفهم فى نعم ربهم وتقلبهم فى الآية وعبادتهم غيره ومعصيتهم من أنعم عليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) يقول تعالى ذكره مثل الذين اتخذوا الآلهة والاوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم اليها فى ضعف احتيالهم وقبح رواياتهم وسوء اختيارهم لانفسهم كمثل العنكبوت فى ضعفها وقلة احتيالها لنفسها اتخذت بيتا لنفسها كيما يكنها فلم يغن عنها شيأ عند حاجتها اليه فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله وحل بهم من سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيأ ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم اياهم و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الى آخر الآية

ابراهيم فحصل للمؤمنين بشارة بان الله سيجعل النار على المؤمن المهتدى بردا وسلاما حتى أنه بعد أن خرج من النار عاد الى النصيحة والدعاء لقومه الى التوحيد والاخلاص وذلك قوله وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة قال جار الله من قرأ بالنصب بغير اضافة أو باضافة فعلى وجهين أحدهما التعليل أى لتتوددوا بينكم وتتواصلوا لاتفاقكم وائتلافكم على عبادتها كما يتفق الناس على مذهب فيكون بينهم نسبة من ذلك الوجه الثانى أن يكون مفعولا ثانيا على حذف المضاف أو على ان المصدر بمعنى المفعول أى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم واتخذتموها مودودة بينكم ومن قرأ بالرفع باضافة أو بغير اضافة فعلى وجهين أيضا أن يكون خبرا لان على ان ما موصولة والتقدير ان التى اتخذتموها أوثانا هى سبب مودة بينكم أو مودودة بينكم وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هى مودودة أو سبب مودة وعلى هذا فالوقف على أوثانا حسن كامل ثم يوم القيامة يقوم بين العبدة وكذا بينهم و بين أوثانهم التباغض والتلاعن نظيره كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا والتحقيق فيه انهم غلبت عليهم الجسمية ولذاتها فلهذا ألفوا الاصنام ولم تقبل عقولهم موجودا منزها عن الاجسام وخواصها فلا جرم اذا رفعت الحجب وكشف الغطاء عن عالم الارواح زالت نسبة الجسمية وظهرت الآلام الروحانية وعذبوا بنار الخسران والحرمان من غير شفعاء ولا أعوان فلذلك قال ومأواكم النار وما لكم من ناصرين وانما لم يقل ههنا وما لكم من دون الله لان الله لا ينصر الكفار من أهل النار وانما جمع الناصر ههنا لانه أراد فى الاول جنس النصير وههنا أراد نفى الناصرين الذين كان أهل الشرك يزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله فآمن له لوط وكان ابن أخى ابراهيم صدقه حين رأى النار لم تحرقه قالت العلماء ان لوطا آمن برسالة ابراهيم حين رأى المعجزة وأما بالوحدانية فآمن من حين سمع مقالته اذ لو توقف فى الايمان الى وقت اظهار المعجزة كان نقصا فى مرتبته وقدحا فى نور باطنه ألا ترى ان أبا بكر وعليا أسلما كما عرض النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام عليهما وقال ابراهيم انى مهاجر من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ولهذا قالوا لكل نبى هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه فى هجرته امرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة وهاجر معه لوط أيضا ومعنى الى ربى أى الى حيث أمرنى بالهجرة قال

قال ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره ان مثله كمثل بيت العنكبوت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت قال هذا مثل ضربه الله للمشرك مثل الهه الذى يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا قال هذا مثل ضربه الله لا يغنى أولياؤهم عنهم شيأ كما لا يغنى العنكبوت بيتها هذا وقوله وان أوهن البيوت يقول وان أضعف البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون يقول تعالى ذكره لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله فى قلة غنائهم عنهم كغناء بيت العنكبوت عنها ولكنهم يجهلون ذلك فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم الى الله زلفى ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) اختلف القراء فى قراءة قوله ان الله يعلم ما تدعون فقرأته عامة قراء الامصار تدعون بالتاء بمعنى الخطاب لمشركى قريش ان الله أيها الناس يعلم ما تدعون اليه من دونه من شئ وقرأ ذلك أبو عمرو ان الله يعلم ما يدعون بالياء بمعنى الخبر عن الامم ان الله يعلم ما يدعو هؤلاء الذين أهلكناهم من الامم من دونه من شئ * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأ بالتاء لان ذلك لو كان خبرا عن الامم الذين ذكر الله انه أهلكهم لكان الكلام ان الله يعلم ما كانوا يدعون لان القوم فى حال نزول هذا الخبر على نبى الله لم يكونوا موجودين اذ كانوا قد هلكوا فبادوا وانما يقال ان الله يعلم ما تدعوه اذا أريد به الخبر عن موجودين لا عمن قد هلك فتأويل الكلام اذ كان الامر كما وصفنا ان الله يعلم أيها القوم حال ما تعبدون من دونه وان ذلك لا ينفعكم ولا يضركم ان أراد الله بكم سوأ ولا يغنى عنكم شيأ وان مثله فى قلة غنائه عنكم مثل بيت العنكبوت فى غنائه عنها وقوله وهو العزيز الحكيم يقول والله العزيز فى انتقامه ممن كفر به وأشرك فى عبادته معه غيره فاتقوا أيها المشركون به عقابه بالايمان به قبل نزوله بكم كما نزل بالامم الذين قص الله قصصهم فى هذه السورة عليكم فانه ان نزل بكم عقابه لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء كما لم تغن عنهم من قبلكم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دونه الحكيم فى تدبيره خلقه فمهلك من استوجب الهلاك فى الحال التى هلاكه صلاح والمؤخر من أخر هلاكه من كفرة خلقه به الى الحين الذى فى هلاكه الصلاح وقوله وتلك الامثال نضربها للناس يقول تعالى ذكره وهذه الامثال وهى الاشباه والنظائر نضربها للناس يقول نمثلها ونشبهها ونحتج بها للناس كما قال الاعشى

هل تذكر العهد فى تعمص * اذ تضرب لى قاعدا مثلا

وما يعقلها الا العالمون يقول تعالى ذكره وما يعقل انه أصيب بهذه الامثال التى نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلا الا العالمون بالله وآياته ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (خلق الله

والزبور والفرقان ولهذا اندرج ذكر اسمعيل فى الآية ولعل السر فى عدم ذكر اسمعيل والتصريح بذكره ان الله تعالى جعل الزمان بعد ابراهيم قسمين أحدهما زمن اسحق ويعقوب وذراريهما الى زمان الفترة والآخر من محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم قيام الساعة وهو من ولد اسمعيل فطى ذكر اسمعيل اشارة الى تأخر زمان دولته والله أعلم ثم كرر ذكر النعمة بقوله وآتيناه أجره فى الدنيا قال أهل التحقيق ان الله تعالى بدل جميع أحوال ابراهيم عليه السلام باضدادها لما أراد القوم تعذيبه بالنار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وهاجر فريدا وحيدا فوهب الله له ذرية طيبة مباركة كما وصفنا وكان لا مال له فكثر ماله حتى حصل له من المواشى ما علم الله عدده فقط يروى انه كان له اثنا عشر ألف كلب حارس فى أعناقها أطواق من ذهب وكان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فجعل الله وجهته صدقا وذا وقصتهم صدق فى الآخرين حتى يتلى بتركنا على محمد وآل محمد بينة قال القوم

الكفرة واذا كان الزنا فاحشة كما قال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة مع ان الزنا لا يفضي الى قطع النسل فالواطة أولى بكونها فاحشة لتماديها في القبح ولافضائها الى انقطاع النسل ويعلم منه احتياجها الى الزاجر كالزنا بل أولى ويعلم منه افتقارها الى الرجم بدليل امطار الحجارة على أهلها ومعنى ماسبقكم انه لم يأت بمثل هذا الفعل أحد قبلهم أولم يشتهر به ولم يبالغ فيه أحد وان ارتكبه بعضهم في الندرة كما يقال ان فلانا سبق البخلاء في البخل واللئام في اللؤم اذا زاد عليهم ومعنى تقطعون السبيل تقضون الشهوة

السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم خلق الله يا محمد السموات والارض منفردا بخلقها لا يشركه في خلقها شريك ان في ذلك لآية يقول ان في خلقه ذلك لحجة لمن صدق بالحجج اذا عاينها والآيات اذا رآها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (اتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اتل يعني اقرأ ما أوحي اليك من الكتاب يعني ما أنزل اليك من هذا القرآن وأقم الصلاة يعني وأد الصلاة التي فرضها الله عليك بحدودها ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اختلف أهل التأويل في معنى الصلاة التي ذكرت في هذا الموضع فقال بعضهم عني بها القرآن الذي يقرأ في موضع الصلاة أوفي الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبي الوفاء عن أبيه عن ابن عمر ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال القرآن الذي يقرأ في المساجد وقال آخرون بل عني بها الصلاة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يقول في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خالد بن عبد الله عن العلاء بن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس في قول الله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خالد قال العلاء بن المسيب عن سمرة بن عطية قال قيل لابن مسعود ان فلانا كثير الصلاة قال فانها لا تنفع الا من أطاعها قال حدثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد قال من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا قال حدثنا الحسين قال ثنا علي بن هاشم بن البريد عن جويبر عن الضحاك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان تنهى عن الفحشاء والمنكر قال قال سفيان قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك قال فقال سفيان اي والله تأمره وتنهاه قال علي وحدثنا اسمعيل بن مسلم عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال الصلاة اذا لم تنهه عن الفحشاء والمنكر قال من لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والحسن قالا من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فانه لا يزداد من الله بذلك الا بعدا والصواب من القول في ذلك ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال ابن عباس وابن مسعود فان قال قائل وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ان لم يكن معنيا بها ما يتلى فيها قيل تنهى من كان فيها فتحول بينه وبين اتيان الفواحش لان شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر ولذلك قال ابن مسعود من لم يطع صلاته لم يزدد من الله الا بعدا وذلك ان طاعته لها اقامته اياها بحدودها وفي طاعته لها مزدجر عن

بالرجال مع قطع السبيل المعتاد مع النساء ويجوز أن يكونوا قطاع الطريق والظاهر يشعر به وتأتون في ناديكم المنكر أي تضمون الى قبح فعلكم قبح الاظهار والنادي هو المجلس مادام فيه الناس وعن عائشة كانوا يتحاقبون وعن ابن عباس هو الحذف ومضغ العلك وحل الازار والفحش في المزاح والسخرية بمن مر بهم فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ولم يهددوه بنحو القتل والتخويف كما في قصة ابراهيم لان ابراهيم كان يقدح في آلهتهم ويشتمهم بتعديد نقائصهم يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ فجعلوا جزاءه شر الجزاء وأما لوط فكان ينكر عليهم فعلهم فهددوه بالاخراج أولا أخرجوا آل لوط من قريتكم واقترحوا من عذاب الله ثانيا ويجوز أن يكون على سبيل الاستهزاء فلا جرم قال رب انصرني على القوم المفسدين كأنه أيس من توبتهم وانابتهم ومن أن يلدوا الا تبعا مطيعا كما قال نوح ولا [illegible] الا فاجرا كفارا ولعلهم كانوا [illegible] الناس يحملهم على [illegible] من المعاصي [illegible] وكرها أو بابتداء

[illegible] امن بعدهم بهم والبشرى هي البشارة بالولد والنافلة اسحق ويعقوب واضافة مهلكو [illegible] الفحشاء
[illegible] لا تعريف لانه بمعنى الاستقبال أو الحال القريب منه لا الماضي ولان المقصود يتضح بذلك لا بوصف الملائكة لمطلق الاهلاك [illegible] دوم ثم علل الاهلاك بان الظلم قد استمر فيهم بناء على ان كان للثبوت والاستمرار ويحتمل أن يكون للزمان الماضي فان هذا الامر [illegible] حليل والزائد الا لا تحتاج الملائكة الى تقريره بخلاف ما في قصة نوح فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فان ذلك اخبار من الله تعالى

ولا يحسن من الكريم ان يعاقب على الجرم السابق الا بعد تحقق الاصرار والاستمرار وقال بعضهم ان تعلق البشرى بهذا الانذار هو انه كان في اهلاك قوم لوط اخلاء الارض من العباد فقدمت البشارة المذكورة المتضمنة لوجود عباد صالحين حتى لا يتأسف على اهلاك قوم من أبناء جنسه ثم ان ابراهيم لما سمع انذار الملائكة أظهر الاشفاق على لوط والحزن له قائلا ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم منك بمن فيها وأخبر وا بحاله وحال قومه ومعنى من الغابرين من الماضين ذكرهم أو بمن مضى زمانه و بقى (٩٣) أو من الباقين في المهلكين ومعنى سىء بهم وضاق بهم

ذرعا قدمر في هود وقال بعضهم يحتمل أن يكون ضيق الذرع عبارة عن انقباض الروح فعند ذلك تجتمع أعضاء الانسان وتقل مساحتها فقالت الملائكة لا تخف علينا ولا تحزن بسبب التفكر في أمرنا قال أهل البرهان وانما قيل ههنا ولما ان جاءت بزيادة ان لان لما تقتضي جوابا واذا اتصل به ان دل على ان الجواب وقع في الحال من غير تراخ في الظاهر كما في هذه السورة وهو قوله سىء بهم وفي هود اتصل به كلام بعد كلام فطال فلم يحسن دخول ان ظاهرا مع ان القصة واحدة ثم ان الملائكة قالوا لوط انا منجوك بلفظ اسم الفاعل وقالوا لابراهيم عليه السلام لننجينه بلفظ الفعل لان ذلك ابتداء الوعد وهذا أوان انجازه فارادوا أن ذلك الوعد حتم واقع منا كقولك أنا ميت لضرورة وقوعه ووجوده والرجز العذاب الذي يوقع صاحبه في القلق والاضطراب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب والمراد الحجارة وقيل النار وقيل الخسف وعلى هذا يراد أن الامر بالخسف والقضاء به من السماء ولقد تركنا منها أي من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة أو بقية الحجارة أو الماء الاسود أو قصتهم وخبرهم وقوله لقوم يتعلق بتركنا أو ببينة ولزيادة قوله بينة قال لقوم

الفحشاء والمنكر حدثنا أبو حميد الحمصي قال ثنا يحيى بن سعيد العطار قال ثنا أرطاة عن ابن عون في قول الله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال اذا كنت في صلاة فأنت في معروف وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر والفحشاء هي الزنا والمنكر معاصي الله ومن أتى فاحشة أو عصى الله في صلاته بما يفسد صلاته فلا شك انه لا صلاة له وقوله ولذكر الله أكبر اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه ولذكر الله اياكم أفضل من ذكركم اياه ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال ابن عباس هل تدري ما قوله ولذكر الله أكبر قال قلت نعم قال فما هو قال قلت التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك قال لقد قلت قولا عجبا وما هو كذلك ولكنه انما يقول ذكر الله اياكم عندما أمر به أو نهى عنه اذا ذكرتموه أكبر من ذكركم اياه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي ربيعة عن ابن عباس قال ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عبد الله بن ربيعة قال سألني ابن عباس عن قول الله ولذكر الله أكبر فقلت ذكره بالتسبيح والتكبير والقرآن حسن وذكره عند المحارم فيحتجز عنها فقال لقد قلت قولا عجيبا وما هو كما قلت ولكن ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة عن ابن عباس ولذكر الله أكبر قال ذكر الله للعبد أفضل من ذكره اياه حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قال ابن المثنى ثني عبد الاعلى وقال ابن وكيع ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى قال كنت قاعدا عند ابن عباس فجاءه رجل فسأل ابن عباس عن ذكر الله أكبر فقال ابن عباس الصلاة والصوم قال ذلك ذكر الله قال رجل اني تركت رجلا في رحلي يقول غير هذا قال ولذكر الله أكبر قال ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد اياه فقال ابن عباس صدق والله صاحبك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى ابن عباس فقال حدثني عن قول الله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد ابن سلمة عن داود عن عكرمة ولذكر الله أكبر قال ذكر الله للعبد أفضل من ذكره اياه حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا ابن فضيل قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية ولذكر الله أكبر قال هو قوله فاذكروني أذكركم ولذكر الله لعباده اذ ذكروه أكبر من ذكركم اياه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولذكر الله أكبر قال ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه في الصلاة أو غيرها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن داود بن أبي هند عن محمد ابن أبي موسى عن ابن عباس قال ذكر الله اياكم اذا ذكرتموه أكبر من ذكركم اياه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عامر عن أبي قرة عن سلمان مثله حدثنا

يعقلون بخلاف قوله في قصة نوح عليه السلام وجعلناها آية للعالمين لان الآية لا تتبين الا لذوي العقول وليس كل من في العالم بذي عقل ثم أجمل سائر القصص والرجاء اما على أصله أو بمعنى الخوف وعلى الاول قال جار الله أراد افعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمر بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالصلاة مثلا على ارادة الشرط وهو الاسلام فكذبوه انما صح اطلاق التكذيب مع ان ما ذكره شعيب أمر ونهي والامر لكونه طلبا لا يحتمل التصديق والتكذيب وكذا النهي لان قول شعيب يتضمن قوله انه

واحدوا الحشر كائن والفساد محرم وكل واحد من هذه خبر ومعنى الرجفة والصيحة قد مر في الاعراف وفي هود وكذا انه لم قال مع الرجفة في دارهم على التوحيد ومع الصيحة في ديارهم على الجمع وأهلكنا عادا وثمود وقد تبين لكم ذلك الاهلاك من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكانوا مستبصرين أي عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال وكانوا عارفين بأخبار الرسل ان العذاب نازل بهم ولكنهم لم ينظروا في الدليل ولجوا حتى هلكوا وما كانوا سابقين (٦٤) أي أدركهم أمر الله فلم يفوتوه ثم قرر أمر المذنبين باجمال آخر يفيد انهم عذبوا بالعناصر الاربعة فجعل ما منه تركيبهم سببا لعدمهم وما منه بقاؤهم سببا لفنائهم فالحاصب حجارة محماة تقع على كل واحد منهم فتنفذ من الجانب الآخر وهو اشارة الى التعذيب بعنصر النار وانه لقوم لوط والصيحة وهي تموج شديد في الهواء لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون وما كان الله ليظلمهم بالاهلاك ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالاشراك وقال بعض أهل العرفان وما كان الله ليضعهم في غير موضعهم فان موضعهم الكرامة ولكنهم وضعوا أنفسهم مع شرفها في عبادة الوثن الذي هو في غاية الخسة فلذلك ضرب لهم المثل بالعنكبوت ونسجه الذي هو عند الناس في غاية الوهن والضعف فان كان تشبيها مركبا فظاهر وان كان مفرقا فالمشرك كالعنكبوت واتخاذه الصنم معبودا وملجأ كاتخاذ العنكبوت نسجه بيتا فانه يصير سببا لهلاكه ولتنظيف البيت منه كعابد الوثن يقع في النار بسبب عبادته وفيه أن العنكبوت كأنه يصطاد بسبب نسجه الذباب ولكنه لا بقاء له ويتلاشى بأدنى سبب كذلك الكافر يستفيد بشركه ما هو أقل من جناح بعوضة وهو بعض متاع الدنيا ولكنه كعمله يصير آخر الامر هباء منثورا ثم عرض على العقول صحة المثل المضروب قائلا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت - ذلك بانه لا يصلح للبقاء ولا للاستدفاء ولا للاستظلال ولا للاستكنان والنسج في نفسه ان فرض له فائدة كان الصنم في نفسه يمكن أن ينتفع به ولكن اتخاذ النسج بيتا لاشك انه غير مفيد بل مضر كما مر فكذلك عبادة الصنم ثم قال لو كانوا يعلمون فحذف الجواب ليذهب الوهم كل مذهب أي لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وأمر دينهم لتابوا وندموا ولو كانوا يعلمون صحة هذا التشبيه وقد صح ان أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا

أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو أسامة قال ثني عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة الحضرمي قال سمعت أبا الدرداء يقول ألا أخبركم بخير أعمالكم وأحبها الى مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من أن تغزوا عدوكم فتضربوا أعناقهم وخير من اعطاء الدنانير والدراهم قالوا ما هو قال ذكركم ربكم وذكر الله أكبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي قال ثنا سفيان عن جابر عن عامر عن أبي قرة عن سلمان ولذكر الله أكبر قال قال ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم اياه قال حدثني أبي عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال سألت أبا قرة عن قوله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم اياه قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد وعكرمة قالا ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم اياه قال حدثنا ابن فضيل عن مطرف عن عطية عن ابن عباس قال هو كقوله اذكروني أذكركم فذكر الله إياكم أكبر من ذكركم اياه قال ثنا حسن بن علي عن زائدة عن عاصم عن شقيق عن عبد الله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لربه قال ثنا أبو يزيد الرازي عن يعقوب عن جعفر عن شعبة قال ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له وقال آخرون بل معنى ذلك ولذكر الله أفضل من كل شيء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عمر بن أبي زائدة عن العيزار بن حريث عن رجل عن سلمان انه سئل أي العمل أفضل قال أما تقرأ القرآن ولذكر الله أكبر لا شيء أفضل من ذكر الله حدثنا ابن حميد أحمد بن المغيرة الحمصي قال ثنا علي بن عياش قال ثنا الليث قال ثني معاوية عن ربيعة ابن يزيد عن اسمعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء انها قالت ولذكر الله أكبر فان صليت فهو من ذكر الله وان صمت فهو من ذكر الله وكل خير تعمله فهو من ذكر الله وكل شر تجتنبه فهو من ذكر الله وأفضل ذلك تسبيح الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولذكر الله أكبر قال لا شيء أكبر من ذكر الله قال أكبر الاشياء كلها وقرأ أقم الصلاة لذكري قال لذكر الله وانه لم يصفه عند القتال الا انه أكبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الاعمش عن أبي اسحق قال قال رجل لسلمان أي العمل أفضل قال ذكر الله وقال آخرون هو محتمل للوجهين جميعا يعنون القول الاول الذي ذكرناه والثاني ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثني ابن علية عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ولذكر الله أكبر قال لها وجهان ذكر الله أكبر مما سواه وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنا أبو كريب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس في ولذكر الله أكبر قال لها وجهان ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم اياه وذكر الله عند ما حرم وقال آخرون بل معنى ذلك ولذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدي عن أبي مالك في قوله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة وقال آخرون بل معنى

بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن أديان اذا استقريتها دينا وصاحب الكشاف علق هذا الشرط بما قبله وليس بذاك وقدمر فى الوقوف (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين أتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون

ذلك والصلاة التى أنت بها وذكرك الله فيها أكبر مما نهتك الصلاة من الفحشاء والمنكر

حدثنى أحمد بن المغيرة الحمصى قال ثنا يحيى بن سعيد العطار قال ثنا أرطاة عن ابن عون فى قول الله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والذى أنت فيه من ذكر الله أكبر قال أبو جعفر وأشبه هذه الاقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال ولذكر الله اياكم أفضل من ذكركم اياه وقوله والله يعلم ما تصنعون يقول والله يعلم ما تصنعون أيها الناس فى صلاتكم من اقامة حدودها وترك ذلك وغيره من أموركم وهو مجازيكم على ذلك يقول فاتقوا ان تضيعوا شيأ من حدودها

(تم الجزء العشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الحادى والعشرون أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب)